المنتظم

ابن الجوزي

الجزء الأول

ذكر المخلوقات

ذكر خلق الأرض

لما روينا أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ابتدأنا بذكر ما روى أبو الضحى، عن ابن عباس، قال: خلق الله النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه.

وروى عنه أبو ظبيان: دحا الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبِتتْ بالجبال فإنها لتفنخرعلى الأرض:

وروى السدي عن أشياخه، قال: أخرج من الماء دخاناً فسمى عليه فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فخلق الأرض على حوت وهو النون والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح.

وروينا أن الكعبة خلقت قبل الأرض. روى عكرمة عن ابن عباس، قال: وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت.

وروى عطاء، عن ابن عباس، قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق خلق الريح فأرسلها فنسجت الماء حتى حوت على خشفة وهي التي تحت الكعبة، ثم مد اللّه الأرض منها حتى بلغت حيث شاء في الطول والعرض.

وقال عبد اللّه بن عمرو: خلق اللّه البيت قبل الأرض بألفي سنة، ومنه دحيت الأرض.

قال أبو هريرة: كانت الكعبة خشفة على الماء قبل الأرض بألفي سنة، وعليها ملكان يسبحان الليل والنهار والخشفة الأكمة الحمراء.

قال خالد بن مضرس، وهو أخو حارثة: الأرض مسيرة خمسمائة سنة، فثلشمائة منها عمران، ومئتان خراب ليس فيها أحد.

وقال حسان بن عطية: سعة الأرض مائة سنة، والبحار مائة سنة، ومائة سنة عمران.

وقال غيره: ثلث الأرض عمران، وثلثها خراب، وثلثها بحار.

وقال وهب بن منبه: ما العمارة في الخراب، إلا فسطاط في صحراء.

وقال قتادة: عمران الأرض المقسم أربعة وعشرون ألف فرسخ في مثلها، فالسند والهند من ذلك اثنا عشر ألف فرسخ في مثلها، وهم ولد حام بن نوح، والصين من ذلك ثمانية آلاف فرسح في مثلها، وهم ولد يافث، والروم من ذلك ثلاثة آلاف فرسخ في مثلها، والعرب ألف فرسخ في مثلها، وهم والروم جميعاً من ولد سام بن نوح. والخراب أكثر.

وروى قتادة عن أبي الجلد، قال: الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ، اثنا عشر منها للسودان، وثمانية للروم، وثلاثة لأهل فارس، وألف للعرب.

وقال غيره: أرض الحبشة مسيرة سبعة فراسخ، والفرسخ عشرة ألف ذراع.

وقال معتب بن سمي: الأرض ثلاثة أثلاث، فثلث للناس والشجر والدواب، وثلث هواء، وثلث بحار.

قال أبو الوفاء بن عقيل: ونقلت من كتاب الهندسة: ذكر علماء الهندسة أن الأرض على هيئة الكرة على تدوير الفلك، موضعه في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة، وأن النسيم يحيط بها كالبياض من البيضة حول المحّة، وأن الفلك يحيط بالنسيم كإحاطة القشرة البيضاء بالبياض المحيط بالمحة، والأرض مقسومة نصفين بينهما خط الاستواء، وهو من المشرق إلى المغرب، وهو طول الأرض، وهو أكبر خط في كرة الأرض كما أن منطقة البروج أكبر خط في الفلك، وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي تدور حوله بنات نعش. واستدارة الأرض في موضع خط الاستواء ثلاثمائة وستون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً، والإصبع ست حبات من شعير مضمومة، فتكون جميع ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة، واستدارتها عرضاً مثل ذلك، إلا أن العمارة بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة، ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الربع الشمالي من الأرض. والربع الجنوبي خراب لشدة الحر والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكل ربع من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم، والاقليم هو البلدان التي يتفق عرضها في مسير الشمس وارتفاع درجها.

وقال بعضهم في تقدير ما غمر من الأرض بالبحار: إن موضع البر منها كسواد القمر من القمر، ومعمورها كسراً منه.

وذكر بعض العلماء أن غاية ما يمكن ارتفاع البنيان في الجو مقدار ميلين، فإنه مبلغ أعالي الجبال على استقامتها بغير تقريح ولا تدريج.

باب ذكر البلاد

قال كعب الأخبار: تجد في كتاب الله عز وجل معنى التورية أن الأرض على صفة النسر، فالرأس الشام، والجناحان المشرق والمغرب، والذنب اليمن، ولا يزال الناس بخير ما لم يقرع الرأس، فإذا قرع الرأس هلك الناس.

وقال غيره من العلماء: الأرض كلها سبعة أقاليم، فالإقليم الأول الهند، والثاني الحجاز، والثالث مصر، والرابع بابل، والخامس الروم، والسادس الترك ويأجوج ومأجوج، والسابع الصين، ومقدار كل أقليم سبعمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ من غير أن يدخل في ذلك جبل ولا واد، والبحر الأعظم محيط بذلك، كله يحيط به جبل قاف. قال أبوالحسن أحمد بن جعفر:

أما الإقليم الأول

فإنه يبتدئ من المشرق من أقاصي بلاد الصين، فيمر على بلاد الصين على ساحل البحر مما يلي الجنوب، وفيه مدينة ملك الصين، ثم يمر على ساحل البحر في جنوب بلاد الهند، ثم بلاد السند، ثم يقطع البحر إلى جزيرة العرب وأرض اليمن، فيكون فيهم من المدائن المعروفة مدينة ظفار وعمان وحضرموت وصنعاء وعدن والتبالة وجرش وسبأ، ثم يقطع الإقليم بحر القلزم فيمر في بلاد الحبشة ويقطع نيل مصر، وفيه مدينة مملكة الحبشة، وتسمى جَرْمَى وتسمى، دونقلة مدينة النوبة، ثم يمر الإقليم في أرض المغرب على جنوب بلاد البربر إلى أن ينتهي إلى بحر المغرب.

والإقليم الثاني

يبتدىء من المشرق، فيمر على بلاد الصين، ثم يمر على بلاد الهند، ثم ببلاد السند، وفيه مدينة المنصورة، والديبل، ثم يمر لملتقى البحر الأخضر وبحر البصرة، ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وأرض تهامة، وفيه من المدائن: اليمامة، والبحرين، وهجر، ويثرب، ومكة، والطائف، وجدة، ثم يقطع بحر القلزم، ويمر بصعيد مصر، فيقطع النيل فيه من المدائن تومن، وأخميم، وأسوان، ثم يمر في أرض المغرب على وسط بلاد أفريقية، ثم يمرعلى بلاد البربر، وينتهي إلى بحر المغرب.

والإقليم الثالث

يبتدىء من المشرق، فيمرعلى شمال بلاد الصين، ثم على بلاد الهند، ثم على شمال بلاد السند، ثم على بلاد كابل وكرمان، وسجستان، والسيرجان، ثم يمر على سواحل بحر البصرة، وفيه مدينة اصطخر، ونسا، وسابور، وشيراز، وسيراف، مهروبان، ثم يمر بكور الأهواز، والعراق، وفيه البصرة، وواسط، وبغداد، والكوفة، والأنبار، وهيت، ثم يمر على بلاد الشام، وفيه حمص ودمشق، والصور، وعكا، والطبرية، وقيسارية، وبيت المقدس، والرملة، وعسقلان، وغزة، ثم يقطع أسفل أرض مصر، وفيه من المدن هنالك تنيس، ودمياط، وفسطاط مصر، والفيوم، والاسكندرية، ثم يمر على بلاد افريقية، وينتهي إلى بحر المغرب.

والإقليم الرابع

يبتدىء من المشرق فيمر ببلاد التبت، ثم على خراسان، وفيه: فرغانة، وسمرقند، وبلخ، وبخارى، وهرا ة، ومَرو، وسرَخسَ، وطوس، ونيسابور، وجرجان، وقومس، وطبرستان، وقزوين، والري، وأصفهان، وقم، وهمذان ونهاوند، والدينور، وحلوان، وشهرزور، وسرَمن رأى، والموصل، وبلد، ونصيبين، وآمد، وراس عين، وقاليقا، وسُمَيْسَاط، وحرّان، والرقة، وقرقيسيا، ثم يمر على شمال الشام، وفيه من المدن: بالسر، ومنبج، وملطية، وحلب، وقنسرين، وأنطاكية، وطرابلس، والمصيصة، وصيدا، وأزنة، وطرسوس، وعمورية. ثم يمر في بحر الشام على جزيرة قبرس، ثم في أرض المغرب على بلاد طنجة، وينتهي إلى بحر المغرب.

والإقليم الخامس

يبتدىء من المشرق من بلاد يأجوج ومأجوج، ثم يمرعلى شمال خراسان، وفيه: خوارزم، وشاش، وأذربيجان، وسنجار، وأخلاط، ثم يمر في بلاد الروم على خرشة، ورومية، ويمر على بلاد الأندلس حتى ينتهي إلى بحر المغرب.

والإقليم السادس

يبتدئ من المشرق، فيمرعلى بلاد يأجوج ومأجوج، ثم على بلاد الخزر، ويمر على القسطنطينية، وينتهي إلى بحر المغرب.

والإقليم السابع

يبتدىء من المشرق من شمال بلاد يأجوج ومأجوج، ثم على بلاد الترك ثم على سواحل بحر جرجان، ثم يقطع بحر الروم، فيمر على الصقالبة، وينتهي إلى بحر المغرب. وذكر غيره: أن المسكون من الأرض على تفاوت أقطاره مقسوم بين سبع أمم، وهم: الصين، والهند، والسودان، والبربر، والروم، والترك، والفرس، والفرس في وسط هذه الممالك.

قال الأزهري: وإنما سمي الإقليم إقليماً لأنه مقلوم من الأقاليم التي بنى ناحيته، أي مقطوع عنه.

وقال الحسن: الأمصار المدينة، والشام، ومصر، والجزيرة، والكوفة، والبصرة، والبحرين.
وقال قتادة: هي عشرة، فزاد: دمشق، وحمص، والأردن، وفلسطين، وقنسرين.
وقال الأصمعي: العراقان البصرة، والكوفة. وسواد البصرة: الأهواز، وفارس.
وسواد الكوفة من كسكر إلى حلوان.
وقد ذكر عن بطليموس الملك أنه أحصى مدن الدنيا في زمانه، فإذا هي أربعة آلاف ومائتا مدينة.
ويقال: بلاد الأندلس مسيرة شهر في مثله يحتوي أربعين مدينة، وبلاد سرنديب مسيرة ثمانين فرسخاً في مثلها، وفي بلاد رومية ألف ومائتا كنيسة، وأربعون ألف حمام، وبها سوق للطير فرسخ، ولا يقدر غريب أن يدخلها إلا بدليل، لأن مدخلها دف تقريح، ولا يقف عليها إلا أصلهان، وكذلك عمورية عظيمة، زعموا أن حول سورها ألف عمود ومائتي عمود، وعشرين عموداً فيها رهابين.
وفي القسطنطينية من العجائب سبعة أسوار سُمْكُ سورها الكبير احدى وعشرون ذراعاً، وسمك سور الفصيل عشرة أذرع، وسمك الفصيل مما يلي البحر خمسة. أذرع، وبينها وبين البحر وجه يكون نحو خمسين ذراعاً، في سورها مائة باب. ومملكة الروم يدخل فيها حدود الصقالبة، ومن جاورهم، والسرير بينه وبين الحزر مسيرة فرسخين. ويقال: كان هذا السرير لبعض الأكاسرة، وديوان ملك الروم موسوم على مائة ألف رجل، على كل عشرة آلاف بطريق، جزائر الروم خمس: جزيرة قبرص، ودورها مسيرة ستة عشر يوم، وجزيرة أقريطس، ودورها مسيرة خمسة عشر يوماً وجزيرة الراهب، وبها يخص الخدم، وجزيرة الفضة، وجزيرة الصقلية، ودورها مسيرة خمسة عشرة يوماً، وهي بإزاء افريقية، والحبشية على بحر القلزم، وبينها وبين المصر مفازة فيها معدن الذهب، ومدينة أصحاب الكهف من عمل الروم، والكهف في جبل بانجلوس، وأما أصحاب الرقيم فبحرية، وهي رستاق بين عمورية وبنتيه.
وأما طول بلاد الصين على البحر فمسيرة شهرين بها، وبها ثلاثمائة مدينة كلها عامرة. ويقال ما دخل الصين أحد واشتهى أن يخرج منها سيما بلاد من الصين يدعى الاشبيلا، يكون بها الذهب الكثير.
والهند سبعة أجناس، وهم اثنتان وأربعون ملة، منهم البراهمة.
ومدينة الاسكندر على ساحل البحر، بينها وبين مصر أربعون فرسخاَ، بناها الاسكندر الأول، وهو ذو القرنين، في ثلاثمائة سنة.
وبلغنا أن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار إلا بخرق سود حيال أعينهم، مخافةً على أبصارهم من شدة بياض حيطانها.
وفيها المنارة التي هي أحد عجائب الدنيا، يصعد على أعلاها مشياً ولا يبين لمن يصعدها أنه يرتقي، لأنه يدور ولا ينقل قدميه على درج، إنما يمشي كأنه على الأرض، وكان فيها سوى أهلها ستمائة ألف من اليهود خولاً لأهلها.
ومدينة فرعون التي كان ينزلها، كان لها سبعون باباً، وجعل حيطانها بالحديد، والصفر مبنية، وأجرى فيها الأنهار، ونصب سريره في وسط الأنهار، فكان الماء يجري تحت سريره بمقدار يستحسن ولا يضر.
ويقال: أن أنزه الأرض وأجمعها طيباً وحسن مستشرف سمرقند. قالوا: وأحسن الأرض مصنوعة الريّ، وأحسنها مفروقة جرجان وطبرستان، وأحسنها مستخرجة نيسابور، وأحسنها قديماً وحديثاً جند نيسابور، ولها حسن الأنهار، وأعظم بلاد اللّه بركة الشام، وأكثرها أنهاراً البصرة، وأعدلها هواء اليمن وأغناها من الدواب والبرس أصفهان، وأرشها العراق.

وذكر أبو منصور الأزهري: أن جابلق وجابلس مدينتان، أحديهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، ليس وراهما.
وقال بعضهم: بفتح اللام فيهما.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو طالب ابن عمر بن إبراهيم الفقيه، أخبرنا محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن زنجي الكاتب، قال: حدثني أبي، أخبرنا عسيل بن ذكوان، قال: قال الأصمعي: أحسن الدنيا ثلاثة أنهار، نهر الايلة، وغوطة دمشق، وسمرقند، وحشوش الدنيا ثلاثة: عمان، واردبيل، وهيت.
أخبرنا الحسن بن محمد البارع، أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، أخبرنا أبو الطاهر المخلص، أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي، أخبرنا الزبير بن بكار، قال: حدثني علي بن صالح، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة: أن الفرع أول قرية مارت لأم اسماعيل النبي صلى الله عليه وسلم الثمر بمكة، وكانت من عمل عاد، شقت لها بين جبلين ثم كملت السبيل فيه.

قال بعض العلماء: سميت خراسان بخراسم الشمس، أي مطلع الشمس. وحد خراسان من الدامغان إلى شط نهر بلخ، وعرضها من حد زرنج إلى حد جرجان، ومدنها، الكبار أربعة: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ. وأولها من ناحية العراق نيسابور، بناها سابور ذو الأكتاف.
وتفسير خوارزم: أرض الهوان، لأن أهلها لا يطيعون إلا على هوان. بلخ بناها لهراسب. هراة بناها الضحاك. مرو بناها مرو الشاهجان، تفسير مرو: مرج، والشاه: الملك، والجان: الروح، وكأنه يقال: مرج نفس الملك.
موقان، واردبيل، والبيلقان، وجرجان، وحوران سميت بأسماء أصحابها. حلوان بحلوان بن عمر بن السحار بن قضاعة. رامهرمز بناها هرمز بن شابور، والمذ والهند إخوان من أولاد سام. الصين سميت بصين بن يعبر بحد ما بين الحجاز والشام إلى الطائف. تهامة ما سائر البحر بمكة. الموصل سميت لأنها وصلت ما بين دجلة والفرات.
واعلم أن مملكة الإسلام شرقها أرض الهند، وغربها مملكة الروم، وشمالها مملكة الصين، وجنوبها بحر فارس. وأما مملكة فارس فشرقها بلاد الإسلام، وغربها وجنوبها البحر المحيط.
أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا أحمد بن عبد الملك النيسابوري، أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أخبرنا إبراهيم بن أحمد البزاري، أخبرنا جعفر بن أحمد بن المفلس، أخبرنا عمر بن عبد اللّه الأودي، أخبرنا إسماعيل بن حماد، عن القاسم بن معن، عن بيان، عن حكيم بن جابر، قال: قالت الصحة أنا لاحقة بأرض العرب، قال الجوع: أنا معك، قال الإيمان: أنا لاحق بأرض الشام، قال الموت: أنا معك، قال الملك. أنا لاحق بأرض العراق، قال القتل: أنا معك.
ذكر الجبال قال ابن عباس: كانت الأرض تميد حتى القيت فيها الجبال، وكان أبو قبيس أول جبل وضع في الأرض، وإن الجبال لتفخرعلى الأرض.
أخبرنا ابن الحصين: أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، أخبرنا عبداللّه بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها، فاستقرت، فتعجب الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالت: يا رب فهل من شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالت: يا رب،

فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، يتصدق بيمينه ويخفيها من شماله". قال قيس بن عباد: إن اللّه تعالى لما خلق الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هذه تموه على ظهرها أحداً، فأصبحت الملائكة صبحاً وفيها رواسيها لم يدروا من أين خلقت، قالوا: يا ربنا، هل من فعلك شيء أشد من هذا؟ قال: نعم الحديد... فذكر نحوما تقدم إلى أن قالوا: هل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم الرجل، قالوا: ربنا فهل من خلقك شيء أشد من الرجل. قال: المرأة.

من مشاهير الجبال قال العلماء بالسير: أبو قبيس، هو الجبل المشرف على الصفا، سمي برجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس، لأنه أول من بنى فيه. وكان يسمى في الجاهلية الأمين، لأن الركن كان مستودعاً فيه عام الطوفان، وهو أحد الأخشبين.

وأحد، من جبال المدينة. وثور، من جبال مكة، والأحمر جبل، وجهد جهينة، مشرف على قينقاع كان يسمى الأعرف في الجاهلية. الحجون، الجبل المشرف، الذي بحذاء مسجد البيعة الذي يلي شعب الجزارين. المُحَصَّب، جبل مشرف على ذي طوى، وحَضَن نجد. ذباب، جبل بالمدينة. يذبل، جبل بين اليمامة وطريق البصرة. جبل ذو خيش شمام، جبل شبام جبل باليمن. الظهران، جبل عسيب جبل لبني هذيل وعشيب جبل لقريش، حبود جبل، المناقب جبل.

قال أبو الحسين بن المبادي: جبل طي عظيمان طويلا المسير.

جبل العَرْج الذي بين مكة والمدينة، يمضي إلى الشام حتى يتصل بلبنان من حمص، ثم يسير من دمشق فيمضي حتى يتصل بجبال أنطاكية والمصيصة، ويسمى هنالك الأكام، ثم يتصل بجبال ملطية، وشميشاط، وقاليقلا أبدا إلى بحر الخزر. وأما ساتيد وتبل فحيطان.

وأما جبال سرنديب فشامخات أيضاً ومنها الجبل الذي أهبط عليه آدم من الجنة، واسمه واش، وقيل: واشم. وزعموا أن فيه أثر قدم عليه السلام، وهو جبل عال يرى في مراكب البحر من مسيرة أيام، وزعموا أنه مسحوا أثر قدم آدم، فإذا هو مقدار سبعين ذراعاً، قالوا: وعلى هذا الجبل شبيه البرق شتاء وصيفاً طول السنة لا يذهب، وحول هذا الجبل ياقوت وألوانه كثيرة. وفي وادي هذا الجبل الماس الذي يقطع الزجاج والصخور، ويثقب اللؤلؤ، وغيره.

وعلى هذا الجبل العود، والفلفل والأفاوية وفيه دابة الزباد، ودواب المسك، ثم يعدل إلى جبال الصين، وفيها ألوان من النبات والطيب والمنافع الكثيرة.

جبال الأندلس وجبال القمر، فموصوفات بالعظم طولاً، وسعة الشقة مسيراً.

وأما جبال بلاد أرمينية فعظام كثيرة، جبال بلاد الروم، ومنها جبل قيسارية، وذو الكلاع، وحصير، وجبل الرقيم، وجبل الروم الذي اعتمله" ذو القرنين، وجعل وراه يأجوج ومأجوج، طوله سبعمائة فرسخ، بدوه خارج العمران في الإقليم السابع، وطرف مبدأه مستقبل المشرق، وينعطف هذا الجبل في موضع مبدأه إلى ناحية الجنوب، ثم يستقيم فيمر طولاً إلى أن ينتهي طولاً إلى البحر المظلم، فيتصل به والروم المعمول سداً دون يأجوج ومأجوج هو في واد متوسط هذا الجبل.

وببلاد اليمن جبلان عظيمان مسيرة ما بينهما في السهل ثلاثة أيام، ورأسهما متقاربان، يناول الرجل صاحبه ما يريد من أحدهما إلى الآخر.

وباليمن جبل يقال له المصانع، طويل ممتنع، ووراءه جبل آخر، وبينهما فضل متقارب. وجبال فرنجة من جبال الأندلس، وهناك

جبل فيه نار تتقد في تراب وحجارة، ما طفئت قط وجبال الصقالبة، وبلاد خراسان، ونواحي المشرق كثيرة.

وبمكة أبو قبيس، وحراء، وثبير وبعرفات جبل يقال له كبكبا، وبالمدينة أحد، ودرقان، وعينين، واليسقون، وذباب، وسلع، ورانج، وجبل بني عبيد، وهمدان بين الجحفة وقديد، وببلاد الجزيرة في نفس باقردي الجودي الذي أرسلت عليه السفينة، وطوررتيا برأس عين، وببلاد نجد جبيل منيف يقال له حصن، بخيبر جبل يقال له: ذو الرقبة، وبين قديد وعسمفان جبل يسمى المشلل بالكديد، وفي الأرض جبال كثيرة لا تحصى. تعالى من يثبتها اليوم ويسيرها غدا.

قال المصنف: وباليمن جبل يقال له شعبان.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية الخراز، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا عبداللّه بن محمد الشعباني، حدثنا أشياخ من شعبان، منهم محمد بن أبي أمية، وكان عالماً: أن مطراً أصاب اليمن فحجفت السيل موضعاً فأبدى عن أزج عليه باب من حجارة، فكسر الغلق ودخل، فإذا هو عظيم فيه سرير من ذهب، فإذا عليه رجل مسجى فشبرناه فإذا طوله اثنا عشر شبراً، وإذا عليه حباب من وشي منسوجة بالذهب، وإلى جنبه مِحْجَن من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب عليه، ياقوتة حمراء، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية له ضفيرتان، وإلى جنبه لوح من ذهب مكتوب فيه بالحميرية: "باسمك اللهم رب حمير، أنا حسان بن عمرو القيل، إذ لا قيل إلا الله، عشت بأملٍ ومت بأجل أيام الطاعون هلك فيه اثنا عشر ألف قيل، فكنت آخرهم قيلاً، فأتيت جبل في شعبين ليجيرني من الموت، فأخفرني، قال عبد الله بن محمد: هو حسان بن عمر بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عون، وحسان هو ذو الشعبين، وهو جبل باليمن نزله هو وولده، فنسبوا إليه، فمن كان بالكوفة قيل: هم شعبيون، منهم عامر الشغبي، ومن كان بالشام قيل لهم: شعبانيون، ومن كان باليمن قيل لهم: آل شعبين ومن كان بمصر والمغرب، قيل لهم: الأشعوب، وهم جميعاً بنو حسان بن عمرو ذي شعبين.

أنبأنا علي بن عبيد الله الزعفراني، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة، أخبرنا ابن العباس محمد بن عبد الرحمن المخلص، أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، أخبرنا عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي سعد الوراق، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك أبو الأشعث الكندي، قال: أملى علي عرام بن الأصبغ السلمي، قال: أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار، وما

فيها من المياه. أولها رضوى، من ينبع على يوم، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق مكة، مياسره طريق البريراء لمن كان مصعداً إلى مكة، وعلى ليلتين من البحر، وبحذائها عَزْوَر، وبينها وبين رضوى طريق المُعْرقة، تختصره العرب إلى الشام وإلى مكة. والمدينة بين جبلين، قدر شوط الفرس. وهما جبلان شاهقان منيعان لا يروقهما أحدينا، بهما الشوحة، والنبع والزنق، وهو شجر شبه الضهياء، والضهياء شجر شبه العناب تأكله الإبل والغنم، لا ثمر له، وللضهياء ثمر شبه العصفر لا يؤكل، ولا ريح له ولا طعم. وفي الجبلين جميع مياه وأوشال، والوشل ماء يخرج من لا يطورها أحد، ولا يعرف متفجرها، ويسكن وراءها وأجوازها نهد وجهينة في الوبر خاصة دون المدر، ولهم هناك يسار ظاهر. ويصب الجبلان في وادي غيقة، وغيقة تصب في البحر، ولها مساك، وهوموضع يمسك الماء.

ومن عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحرعلى ليلة من رضوى ينبع. وفيها مغبر، وهي قرية كبيرة غناء، سكانها الأنصار وجهينة وليث أيضاً. وفيها عيون. عذاب غزيرة، وواديها يليل يصب في غيقة.

والصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع، وماؤها عيون كلها، وهو فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبع، وهي لجهينة والأنصار، ولبني فهر ونهد. ورضوى منها من ناحية مغيب الشمس على يوم، وحواليها قنان واحدها قنة وضعضاع وجمعها ضعاضع و في والقنان والضعاضع جبل صغار لا يسمى.

وفي يليل هذا عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون، وكثرها يجري في الرمل، فلا يمكن للزارعين عليها أن يزرعوا عليها إلا في مواضع يسيرة بين أحناء الرمل فيها نخيل، ويتخذ فيها البقول والبطيخ، وتسمى هذه العين بحير.

ويتلوها الجارعلى شاطىء البحر، ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر، ومن البحرين والصين. وبها منبر، وهي قرية كبيرة آهلة، يشرب أهلها من البحيرة.

وبالجار قصور كثيرة، ونصف الجار في جزيرة من بحر العرب، ونصفها على الساحل. وبحذاء الجارقرية في جزيرة من البحر تكون ميلاً في ميل، لا يعبر إليها إلا في سفن، وهي مرسا الحبشة خاصة، يقال لها: قراقف، وسكانها تجار كنحو أهل الجار، ويؤتون بالماء من فرسخين. ووادي يليل يصب في البحر.

ثم من عند عنقه اليسرى مما يلي المدينة عن يمين المصعد إلى مكة من المدينة، وعن يسار المصعدين من الشام إلى مكة- جبلان يقال لأحدهما: ثافل الأصغر، وثافل الأكبر، وهما لضمرة خاصة، وهم أصحاب حلال ودعة ويسار. وبينهما ثنية لا تكون رمية سهم.

وبينهما وبين رضوى وعزور ليلتان، نباتهما العرعر، والقرظ، والظيان، والأيدع، والشبيام، والظيان له ساق غليظة، وهو كثيرالشوك والحطب، وله سنفة كسنفة العشرق، والسنفة ما تدلى كماً من ثمر وخرج من أغصانه، والعشرق ورق يشبه الحَنْدَقُوق منتنة الريح، والأيدع شجر شبه الدلب إلا أن أغصانه أشد تقاربَاً من أغصان الدلب، لها وردة حمراء طيبة الريح وليس لها ثمر، نهى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن كسر شيء من أغصانها و عن السدر والتنطب والسرح والشهانة، لأن هؤلاء جميعاً ذوات ظلال يسكن الناس فيها من البرد والحر، وللسدر ثمر، وللتنطب ثمر ويقال له الهمقع يشبه المشمش، يؤكل طيباً.

وفي ثافل الأصغر ماء في دوار في جوقة يقال لها القاحة، عذبتان غزيرتان وهما جبلان كبيران شامخان، وكل جبال تهامة تنبت الغضور، وبينهما وبين عزور ورضوى سبع مراحل، وبين هذه الجبال جبال صغار وقَرادد.

ولمن صدر من المدينة مصعداً أول جبل يلقاه من عن يساره ورقان، وهو جبل أسود عظيم كأعظم ما يكون من الجبال ينقاد من سيالة إلى المتَعشّى بين العرج والرويثة، وفي ورقان أنواع الشجر المثمر كله وغير المثمر، وفيه القرظ والسمّاق، والرمان، والخَزَم، وهو شجر يشبه ورقه ورق البردى، وله ساق كساق النخلة تتخذ منه الأرشية الجياد. وقيل: به أوشال وعيون عذاب، سكانه بنو أوس من مزينة، أهل عمود ولهم يسار. وهم أهل صدق. وبسفحه من عن يمينه سيالة، ثم الروحاء، ثم الروثية، ويفلق بينه وبين القدس الأبيض ثنية بني عقبة، يقال لها وكزبة، ثم يقطع بينه وبين القدس الأسود عقبة يقال لها: حَمَت. ونبات القدسين جميعاً العرعر، والقرظ، والشوحط. والقدسان جميعاً لمزينة، وأموالهم ماشية من الشاء والبعير، وهم، أهل عمود، وفيه أوشال كثيرة.

ويقابلها من عن يمين الطريق المصعد جبلان يقال لهما نهبان، نهب الأسفل ونهب الأعلى ما في دوار من الأرض بئر واحدة كبيرة غزيرة الماء مثلها، عليها مباطخ وبقول نخلات، وفي نهب الأسفل أوشال.

وفيه العرج، ووادي العرج يقال له مسيحة، بناتها المرخ والأراك والثمام، ومن عن يسار الطريق مقابلاً قدس الأبيض والأسود جبل

من أشمخ ما يكون من الجبال يقال لها آرة، وهو جبل أحمر تخرج من جوانبه عيون، على كل عين من جانبه قرية، فمنها قرية غناء كبيرة يقال لها: الفرع، وهي لقريش والأنصار ومزينة ومنها أم العيال قرية صدقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها قرية غناء كبيرة يقال لها المضيق. ومنها قرية يقال لها العمرة، وقرية يقال لها: خضرة، وقرية يقال لها: الفغوة، وفي كل هذه القرى نخيل وزرع، وهي من السقيا على ثلاث مراحل، وواديها يصب في الأبواء وفي ودان، وهي قرية من أمهات القرى.

والستارة قرية تتصل بجبلة واديها واحد، ويزعمون أن جبلة أول قرية اتخذت بتهامة، وبجبلة حصون منكرة مبنية بالصخر، لا يرومها أحد.

وشمنصير جبل مُلَمْلَم لم يعله قط أحد، ولا أدري ما على ذروته، وبأعلاها القرود، وبغربيه قرية بحذائها جبل صغير يقال له ضُعَاضِع، وهذه القرية لسعيد وبني سروح، وهم الذين نشأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذيل فيها شيء، ولفهم أيضاً.

وعن يمين الطريق جبل الأبواء، ثم هرشي، وهو على ملتقى الشام وطريق المدينة، وهرشي في أرض مستوية، وهي هضبة مُلَمْلَمَة لا ينبت الله فيها شيئاً، وأسفل منه ودان على ميلين مما يلي مغيب الشمس من عن يمينها بينها وبين البحر يقطعها المصعدون من حجاج المدينة وينصبون منها منصرفين من مكة، ويتصل بها مما يلي مغيب الشمس من عن يمينها بينها وبين البحر خبت، والخبت الرمل الذي لا ينبت فيه غير الأرطي، وهوحطب، وفيها متوسط الخبت جبيل صغير أسود شديد السواد يقال له: طفيل، ثم ينقطع عند الجبال ثلاثة أودية ينبت فيها الأراك، والمرخ، والدوم وهو المُقل والنَخْلُ.

ومنها واد يقال له كُلية، بأعلاه ثلاثة أجبل صغار متفرقات من الجبال، ودون الجحفة على ميل واديها غدير خم، وواديه يصب في البحر، لا ينبت إلا المرخ والثمام والأراك، وغدير خم لا يفارقه أبداً ماء من ماء المطر، وبه ناس من خزاعة وكنانة.

ثم الشراة، وهو جبل مرتفع شامخ يأرَيه الفرد، وينبت النبع والشوحط والقرظ.

ثم عُسْفَان، وهو على ظهر الطريق لخزاعة خاصة، ثم البحر، وتنقطع عنك الجبال.

ثم مر الظهران، ومر هي القرية، والظهران الوادي، وبمر عيون كثيرة، ونخيل كثيرة.

ثم تؤم مكة متحدراً من برية يقال لها جَفْجَف. وتنحدر في حد مكة في واد يقال له وادي تُرْبة، تنصب إلى بستان بني عامر، وحواليه بين الجبال السراة ويسوم وفرقد معدن البُرْم، وجبلان يقال لهما شوانان، واحدها شوان. وهذه البلاد كلها لغامد. وفي جبال السراة الأعناب وقصب السكر.

ومن جبال مكة: أبو قبيس، والصفا، والجبل الأحمر، والجبل الأسود، ومرتفع يقال له الهَيْلاء، يقطع منه الحجارة للبناء وللأرحاء. والمروة جبل مائل إلى الحمرة، وثبير جبل شامخ يقابله حراء، وهو أرفع من ثبير، في أعلاه قلةٌ شاهقة وليس في جبل مكة نبات إلا شيء من الضهياء يكون في الجبل الأحمر، وليس في شيء منها ماء.

ثم جبال عرفات تتصل بها جبال الطائف، وفيها مياه كثيرة الأوشال.

والأخشبان جبلان بعرفات بينهما يعرف الناس، وقُعَيقعان قرية بها مياه كثيرة وزرع ونخيل وفواكه، وهي اليمانية.

والطائف ذات مزارع ونخيل وأعناب وموز، وسائر الفواكه، وفيها مياه جارية وأودية تنصب منها إلى تبالة، وهي قرية.

وحد الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة، فنصف المدينة، حجازي ونصفها تهامي، ومن القرى الحجازي بطن نخل، وبحذاء نخل جبل

يقال له الأسود، نصفه نجدي ونصفه حجازي، وهو جبل أسود شامخ.

ثم الطرف لمنْ أم المدينة يكتنف ثلاثة أجبل أحدها ظَلِمٌ، وهو جبل أسود شامخ لا ينبت فيه شيئاً. والشَوْرَان جبل مطل على السد كبير مرتفع.

ومن قبل المدينة جبل يقال له الصاري، وأحد، وجبل حذاء شوران يقال له سن، وجبال كبار شواهق لا ينبت فيها شيئاً، بل يقطع منها الأرحاء والصخور للبناء، تنقل إلى المدينة وما حواليها. وحذاها جبيل ليس بالشامخ يقال له قنة الحجر، وهناك واد. ثم تمضي مصعداً نحو مكة، فتميل إلى واد يقال له عريفطان، ليس بها ماء ولا رعي، وحذاءه جبل يقال له أبلى وفي أبلى مياه، منها بئر معونة، وحذاء أبلى جبل يقال له ذو الموقعة من شرقيها، وهو جبل معدن بني سليم، يكون به اللازورد كثيراً، وحذاؤه من عن يمينه جبل يقال له أحامر ليس فيه ماء. وجبل يقال له بُرثُم، وجبل يقال له تِعار، وهما جبلان عاليان لا ينبتان شيئاً، فيهما النمران كثيرة. والخرب جبل بينه وبين القبلة، لا ينبت فيه شيئاً، وجبل يقال له أقراح شامخ مرتفع أجرد، لا ينبت فيه شيئاً، كثيرة النمور والأراوي. ثم جبل يقال له صفار، وجبل يقال له شُواحِط، وجبل لصفينة يقال له الستار، وبصفينة مزارع ونخيل كثيرة، يعدل إليها أهل الحجاز إذا عطشوا، وجبل يقال له هَكْرَان، وجبل يقال له عُنّ والوفقا جبل لبني طال، حذاه جبل يقال له: بُس.

وذكر أبو منصور الأزهري عن قعيقعان موضع بمكة اقتتل عنده قبيلان من قريش فسمي قعيقعان بتقعقع السلاح فيه. قال: وقال السدي: إنما سمي قعيقعان لأن حربهما كانت تجعل فيه قسيها وجعابها وعرقها فكانت تقعقع وتصوت. قال: وقعيقعان جبل بالأهواز ومنه نحت أساطين مسجد البصرة.

قال السدي: الجبل الذي تطلع الشمس من ورائه طوله ثمانون فرسخاً.

فصل ذكر قدامة بن جعفر الكاتب قال: الذي وجد في الإقليم الأول من الجبال تسعة عشرجبلاً منها جبل سرنديب، وطوله مائتان ونيف وستون ميلاً. والإقليم الثاني فيه سبعة وعشرون جبلاً منها جبل كرمان، وطوله ثلاثمائة ونيف وثلاثون ميلاً. والإقليم الثالث فيه أحد وثلاثون جبلاً، والإقليم الرابع فيه من الجبال أربعة وعشرون جبلاً ومنها جبل الثلج بدمشق طوله ثلاثمائة وثلاثون ميلاً، وجبل اللكام لهذه الناحية وطوله مائة ميل، وجبل متصل بحُوّان وطوله مائة وخمسة وعشرون مِيَلاً. والإقليم الخامس فيه تسعة وعشرون جبَلاً. وفي الإقليم السادس أربعة وعشرون جبلاً، فجميع ما عرف من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلاً.

ذكر التلاع والعقاب والتلال والتلاع والعقاب اسم لما هو دون الجبل في الرفعة، وكذلك الضراب والصوى، وذلك لا يحصى عدده إلا من أعظمها عقبة همذان من بلاد المشرق، بالحجاز عقبة هرشى، وبطريق مكة من وجه العراق عقبة واقصة، فإذا علوت نحو الحجاز فعقبة كراع.

ذكر الرمال الرمال تتلاقى وتنتقل بعضها إلى بعض إلا أن من الرمال ما يوطيء من القدم، ومنها ما يوفض فيه الرجل لوقته وربما ابتلع الشخص فمن الرمال ما بين العراق والمدينة والرجل يثبت عليه، وكذلك الرمل التي في تيه بني إسرائيل فيما بين مصر ومكة وبلاد اليمن في أماكن القرعة، رمالها لينة يتاه فيها لطول المسافة، وتنقلها الريح من مكان إلى مكان فيصير الوادي هضبة والهضبة وادياً فتشتبه المسالك. وببلاد الصمد في البحر الشرقي الكثير الأحمر، وأهله عظام الأجسام سود الألوان ورمل عالج طويل المسافة.

ذكر القلاع إنما اتخذ الملوك والجبارون القلاع لتعصمهم من الأعداء، وهي أكثر من أن تحصى.

قال أبو الحسين ابن المنادي: ومن أعجبها بنياناً وأمنعها قلعة ماردين، فإنها أسست على مصابرة الطالب أربعين عاماً فلو نزل عليها ملك بجيشه هذا المقدار لما افتتحها لأنه يدخر فيها قوت أربعين سنة ولا يتغير، وتسع بيوتها ومناراتها من المدخر هو أكثر مقداراً من ذلك، وفيها من العيون العذبة عشرات كثيرة. وقلعة بعلبك، وقلعة تدمر، وقلعة فامية، وقلعة الشوش بالأهواز، وهما قلعتان إحداهما فوق الأخرى، ومثلها قلعة السوس الأقصى على بنائها، وببلاد الروم حصون وقلاع كثيرة، وببلاد أرمينية من القلاع والحصون ألوف أحصنها قلعة مليح الكبير، وبخراسان وسجستان وبلاد المشرق قلاع على جبال شوامخ كثيرة العلا، وهنالك قلعة سليمان.

قال الحسن: كان سليمان يغدو من جبال بيت المقدس فيقيل باصطخر ثم يروح من اصطخر فيبيت بقلعة خراسان يقال لها قلعة سليمان عليه السلام.

ذكر الأبنية الحصينة هي كثيرة العدد إلا أن المشتهر المنتهى منها مدينة فرعون التي كان يترلها، وصرحه الذي بناه له هامان، ومدائن كسرى وخورنق بهرام صور بالكوفة، ومدينة الاسكندر على ساحل البحر، ورومية وقسطنطينية، وعمورية.

ذكر المعادن قد أحصى بعض القدماء المعادن المعروفة كالجص والنورة فوجدوها سبعمائة معدن.

قالوا: ولا ينعقد الملح إلا في السبخة، والجص إلا في الرمل والحصى.

ذكر البحار أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا عبدالله، قال حدثني أبي، أخبرنا يزيد، أخبرنا العوام، قال: حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل، قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أخبرنا عمر بن الخطاب، عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس من ليلة إلا والبحر يشرف على الأرض ثلاث مرات يستأذن الله في أن يتنصح عليهم فيكفه الله عز وجل".

وروى محمد بن شعيب بن شابور، عن عمر بن يزيد المنقري: أن بحرنا هذا خليج من قنطس، وقنطس خلفه محيط بالأرض كلها، فهو عنده كعين على سيف البحر، ومن خلفه الأصم محيط بالأرض كلها فقنطس وما دونه كعين على سيف البحر، ومن خلفه البحر المظلم محيط بالأرض كلها فالأصم وما دونه كعين على سيف البحر ومن خلفه الماس محيط بالأرض كلها، فالمظلم وما دونه عنده كعين على سيف البحر، ومن خلفه الباكي، وهو ماء عذب، أمره الله تعالى أن يرتفع، فأراد أن يستجمع فزجره فهو باكي يستغفر اللّه محيط بالأرض كلها، فالماس وما دونه عنده كعين على سيف البحر، ومن خلفه العرش محيط بالدنيا فالباكي وما دونه عنده كعين على سيف البحر.

قال أبو الحسين ابن المنادي: ثم بلغنا آن البحر المعروف بالقنطس را، من وراء قسطنطينية يجيء من بحر الخزر، وعرض فوهته ستة أميال، فإذا بلغ أندس صار بين جبلين وضاق حتى يكون عرضه علوه منهم بين أندس هذه وبين قسطنطينية مائة ميل في مستوًى من الأرض ثم يمر الخليج حتى يصب في أرض الشام، وعرضه عند مصبه ذلك مقدار علوه منهم، وهنالك زعمو صخرة عليها برج فيه سلسلة تمنع ا المسلمين من دخول الخليج، وطول الخليج من بحر الخزر إلى بحر الشام ثلاث وعشرون ميلاً، ينحدر الراكب فيه من بحر الخزر وتلك النواحي، ويصعد فيه من بحر الشام إلى القسطنطينية.

قالوا: وأما البحر الذي خلف الصقالبة فلا يجري فيه الفلك ولا القوارب، ولا يجيء منه خبر.

وإما البحر الغربي فممنوع من الخير، وفي ركوبه خطر، وليس من البحر أعظم بركة من البحر الشرقي وطوله من القلزم إلى العد

قواق وذلك مقدار آربعة آلاف وخمسمائة فرسخٍ فيجيء من السند الخيزران والقنا والقسط، ويجيء من سندان الساج والقنا أيضاً، ويجيء من مل الفلفل، وعلى كل عنقود من عناقيد الفلفل ورقة تكنّه من المطر، فإذا انقطع حين المطر ارتفعت العدق عنه، فإذا عاد المطر عادق عليه، ويجيء من سرنديب الماس، وهناك الياقوت، ويجيء من جزيرة الرامي البقم، ويقال أن عروق البقم نافع من سم سباعة الأفاعي وقد جربه البحريون من لدغ أفعى، ويجيء من هناك الخيزران أيضاً، ويجيء من جزيرة لبكيا لوس النارجيل، ومن جزيرة كله، وهي معدن الرصاص، ومن جزيرة الخيزران أيضاً ومن جزيرة صالوس الكافور، ومن جزيرة جابه وشلامط السنبل والصندل والقرنفل، ومن الصين المسك والعود والجولنجان، والدارسيني، ومن الوقواق الذهب والأبنوس، ومن الهند العود والكافور وجوزبّوا، ومن اليمين العنبر والورس.

وقال بعض العلماء: أعظم البحار بحر فارس، وبحر الروم، وهما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط، وأعظمها طولاً وعرضاً بحر فارس، وبحر القلزم، وهو الذي انفلق لموسى عليه السلام وغرق فيه فرعون. والأرض كلها مستديرة، والبحر المحيط مختف بها كالطوق.

وفي البحار ما لا يعيش فيها حيوان أصلاً إما لشدة حرارة مائة أو لشدة برده. والبحر الغربي لا يجري فيه السفن لأن فيه جبالاً من حجارة المغناطيس إذا انتهت السفن إليها جذبت ما فيها من المسامير فأسقطت، وفيه سمك على صورة الناس. وفي بحر الهند حيتان تبلع القارب، وفيه سمك طيارة. وفي بحر الشرقي سمك طول السمكة مائة باع، ومائتا باع، وسمك بمقدار الذراع، وجوهها كوجوه البوم، وسمك على خلقة البقر يعمل من جلودها الدرق، وسمك على خلقة الجمال، وسمك طول السمكة عشرون ذراعاً في جوفها مثلها وفي الآخرى مثلها إلى أربع سمكات، وسلاحف دوران السلحفاة عشرون ذراعاً وفي بطنها مقدار ألف بيضة.

وذكر أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق الفقيه في كتاب البلدان فقال: قال ابن عباس الزرقي: البحار أربعة: البحر الكبير الذي ليس في العالم أكبر منه هو يأخذ من المغرب إلى القلزم، وهو مر مالح لا يستمد من غيره، وهو يمر من القلزم على وادي القرى، ثم يمر إلى جدة ثم يبلغ عدن ثم الشحر ثم إلى بربر ثم إلى عمان، فيمر بالديل، وفيه جزائر لا يحصى، وفيه أربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ، وعرضه مثل ذلك.

ويخرج من هذا البحر خليج من ناحية القبلة حتى بلغ ايلة البصرة.

ثم البحر الغربي الرومي من أنطاكية إلى قسطنطنية، ثم يدور آخذاً إلى ناحية الدبور حتى يخرج خلف باب الأبواب من ناحيةَ الخزر وعليه المدن، وفيه جزيرة فيها اثنا عشر مدينة، وعليه من ناحيةِ مصر ودمياط، وعليه جزائر ثلاثمائة، وعليه بلاد أسقلية، وفي هذه الجزائر والسواحل ملوك متوجون لا يردون الطاعة إلى صاحب قسطنطينية.

والبحر الثالث: الخراساني عليه جبال موقان وطبرستان وري وجرجان حتى يبلغ خوارزم، وفي الجانب الشمالي أربعة آلاف ومائة مدينة، وفي يد ملك النوبة ألف مدينة من العين، وفي ناحية الشمال ثلاثة بحور، ويقال أن بحر الهند طوله من المغرب إلى المشرق، ألف ميل، وعرضه آلفا ميل وسبعمائة ميل، وبجانبه جزيرة يستوي فيها الليل والنهار، وفيه من الجزائر ألف وثلاثمائةَ وستون جزيرة فيها جبال، ومبلغ الأقاليم السبعة ثمانية وثلاثون ألف فرسخ، وعرضها ألف وتسعمائة وخمس وتسعون فرسخاً.

وذكروا أن الفلك ثلاثمائة وستون درجة، محيط بالأرض كالمحة في جوف البيضة، ويحيط بالبحرمن أسفل وفوق. والأرض في وسط الفلك.

قال أبو عبد الله الفقيه: قد جعل الله سبحانه وتعالى لكل بحر جزراً ومداً، وفي بحر فارس الماء ثلاثون باعاً إلى سبعين باعاً، وفيه اللؤلؤ الجيد، ثم بعد ذلك بحر فيه ملوك من العرب يكون على الزنج والصقالبة، وفي هذه الجزيرة عنبر كثيرة فيله لا يحصى، وجزائر الواق ألف وسبعمائة جزيرة ملكتها امرأة.

قال موسى بن المبارك السيرافي: دخلت مملكتها فرأيتها تقعد لأهل مملكتها عريانة على السريروعليها تاج وعلى رأسها أربعة آلاف وصيفة عراة أبكار.

وفي بلادها من السمك ما يكون مائة ذراع، ومائتي ذراع يخاف على السفر منها أن يضربها بأجنحتها فتغرق المركب، فإذا سلك المركب هناك ضربوا بالخبث بالليل كله مخافة من هذا السمك، وفيه سلاحف السلحفاة استدارت عشرون ذراعاً، يخرج من بطن الواحدة ألف بيضةَ، وفيه طين يجمع على رأس الماء أشياء، وتبيض عليها وتحضنه. وفيه سمك على خلقة البقر.

وثم جزيرة سرنديب، فإذا مات الميت هناك قطع أربعة أرباع واحرق بالنار، وأهله ونساؤه يتهافتون حوله حتى يحرقوا أنفسهم معه.

وثم الكركورن، وناس حفاة عراة لا يفهم كلامهم مأواهم رؤوس الشجر، وطعامهم ثمر الشجر، ويستوحشون من الناس، وهناك أشجار الكافور، تُظل الشجرة مائة رجل ومائتين، ويسيل الكافور كما يسيل الصمغ، ومن ورائهم قوم يأكلون الناس مأواهم رؤوس الجبال، ثم هناك جزيرتان فيهما قوم سود يأكلون الرجال دون النساء، وبعد ذلك يخرج فيه حيات يبتلع الرجال، وثم قردة بيض كالجواميس، وسنانير لها أجنحة، والبد صنم بالهند يحجون إليه من مسيرة سنة وأكثر، ويتقربون إليه وطوله أرجح من عشرين ذراعاً على صورة رجل، ويزعمون أنه نزل من السماء، وهو من حجر ألبس صفائح من ذهب وله سدنة ويمار في الرجل وقد لف على أصابعه قطناً وصب عليها دهنا ويشعل فيها النار، فلا يزال واقفاً حتى يحترق، وبين الهند والصين ثلاثون ملكاً أصغر ملك بها يملك ما يملكه العرب، ومن ذبح ببلاد الهند بقرة يذبح.

باب المياه التي تسمى بالبحيرات تشبيهاً بالبحر ولانبساطها وخروجها عن حدود الأنهار كبطائح البصرة المتصلة بدجلة، وبحيرة طبرية بدمشق، وبحيرة بنواس، والماء المستطيل بعمق أنطاكية، ومياه الأودية التي يسكن فيها، وماء المطر ومذاوب الثلوج، ولا يقف أحد على عددها.

ذكر الأنهار والعيون أخبرنا هبة الله بن محمد الشيباني، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان، وأخبرنا عبد الأول بن أحمد، قال: أخبرنا الدَرَاوْردي، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا هدبة، قالا: حدثنا همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن مالك بن صعصعة حدثه، عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث المعراج، قال: "ثم رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات". أخرجاه في الصحيحين.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصلت، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مخلد، قال: قرأت على العباس بن اليزيد، قلت له: حدثكم مروان بن معاوية، عن ادريس الأودي، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نهران من الجنة النيل والفرات".

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أبو الفتح ابن أبي الفوارس، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد، قال:

حدثنا الحارث بن محمد، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "فجرت أربعة أنهار من الجنة: النيل، والفرات، وسيحان وجيحان".

وفي حديث ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يترل في الفرات كل يوم مثاقيل من بركة الجنة".

وروى أبوعميس، عن القاسم، قال: "مد الفرات فجاء برهانه مثل البصير وكانوا يتحدثون أنها من الجنة".

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد الواعظ، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدثني أبو بكر محمد بن ادريس الشعراني، قال: حدثنا موسى بن إبراهيم الأنصاري، عن اسماعيل بن جعفر المدني، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، قال: أوصى الله تعالى إلى دانيال أن احفر لي سيبين نهرين بالعراق، قال دانيال: إلهي بأي مكاتل وبأي مساحي، وبأي رجال وبأي قوة أحفر لك هذين النهرين، فأوحى الله إليه أن أعدَّ سكةً من حديد واجعلها في خشبة والقها خلف ظهرك فإني باعث إليك الملائكة يعينونك على حفر هذين السيبين. فحفر، وكان إذا انتهى إلى أرض أرملة أو يتيم حاد عنها حتى حفر دجلة والفرات".

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرثا أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن علي بن يعقوب، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد، قال: حدثنا الحارث بن محمد، قال: حدثنا سعيد بن شرحبيل، عن ليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، قال: قال كعب: نهر النيل نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة، قال: قال الله: نورهن ليصيرهن إلى الجنة.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشافعي، قال: حدثنا محمد بن اسماعيل السلمي، قال: حدثنا سعيد بن سابق، قال: حدثني سلمة بن علي، عن مقابل بن حبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل، وهو نهر مصر. أنزلها اللّه تعالى من غير واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، فذلك قوله تعالى: "وَأَنْزلنا مِنَ السمَاءِ مَاءً بِقدر فَأَسْكَنَاهُ فِي الأَرْض".

فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل اللّه تعالى جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه. وهذه الأنهار الخمسة، فرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: "وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرون".

فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد خير الدين والدنيا، فقد جاء في حديث آخر: "نهران مؤمنان ونهران كافران، فأما المؤمنان فالنيل والفرات، وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ".

قال ابن قتيبة: قال ذلك على وجه التشبيه لأن النيل والفرات يعرضان على الأرض ويسقيان بلا تعب ولامؤونة، ودجلة ونهر بلخ لا يسقيان إلا قليلاً بتعب مؤونة، فهذان في قلة النفع كالكافرين، وهذان في كثرة النفع كالمؤمنين.

مخارج الأنهار

قال أبو العالية: كل ماء عذب في الأرض من أصل الصخرة التي في بيت المقدس يهبط من السماء ثم يتصرف في الأرض.

قال أبو الحسين بن المنادي: مخرج نهر بلخ، واسمه جيحون من جبال التبت، ثم يمر ببلخ والترمذ وخوارزم حتى يصب في بحر جرجان، ومخرج مهْران، وهو نهر السند من جبال سندان ثم يمر بالبصرة، ويصب في بحر الشرقي الكبير بعد أن يحمل منه أنهار بلاد الهند.

ومخرج الفرات من قاليقلا حتى يمر بأرض الروم ويستمد من عيون حتى يخرج على ميلين من ملطية، ثم يبلغ إلى شمشاط فتحمل من هناك السفن ثم تبلغ إلى الكوفة من فوق دقما وإلى حلة من هناك أيضاً وتصب في دجلة.

ومخرج دجلة من جبال آمد، ثم يستمد من عيون كثيرة من نواحي أرمينية ثم يمر ببلد ومن هناك تحمل السفن وتستمد من الزاب الأعلى والزاب الأسفل، وتصب في البطائح، ثم يصب البطائح في البحر الشرقي.

وفي بعض الكتب السالفة أن الشياطين حفرت دجيل لسليمان بن داود، واحتفر هو في نهر الملك فإن الشياطين لما حفرت دجيل ألقت ترابه بين خانقين وقصر شيرين ومخرج الراسي نهر أرمينية من قاليقلا، ومنتهاه بحر جرجان.

ومخرج الزابين من جبال أرمينية، ثم يصبان في دجلة، يصب الكبير بالحديثة، والصغير بالسن. ومخرج النهروان من جبال أرمينية ثم يمر بباب الصلولي ويسمى هناك تامراً ويستمد من القواضل فإذا مر بباب كسرى سمي النهروان، ثم يصب في دجلة أسفل جبل.

ومخرج الخابور من رأس عين، ويستمد من الهرماس ثم يصب في الفرات بقيرقيسيا.

ومخرج نيل مصر من جبال القمر ثم يصب خلف بحرين خلف خط الإستواء، ويطيف بأرض النوبة، ويجيء إلى مصر فيصير بعضه بدمياط في البحر الرومي، ويسقي باقيه القسطنطينية حتى يصب أيضاً في البحر الرومي.

ومخرج الهيد ميذ من جبال سجستان، وله من ورائها مفيض عظيم إلى صراة في فضاء من الأرض وحول ذلك البساتين والمزارع يسير على سمت مستقيم ثم يعوج حتى يحاذي مجاذب توديه إلى البحر الشرقي.

ويخرج سيحان نهر أذنه من بلاد الروم، ثم يمر على موضع من بلاد أرمينية ثم يمتد إلى اذنه، وهناك يدعى سيحان، ثم يسير حتى يصب في البحر الشامي.

ومخرج جيحان نهر المصيصة من بلاد الروم على مراحل منها، ثم يِصب في البحراللبناني ويستمد من وادي الزنج ثم يصب في البحر الشامي.

ومخرج الأرند نهر أنطاكية من أرض دمشق مما يلي طريق البربر، وهويجري مع الجنوب، ولذلك يدعى المقلوب، ثم يصير في البحر الرومي.

ومخرج نهر دمشق من ذلك الموضع، ويسقي الغوطة ثم يصب في بحيرة دمشق.

ومخرج قويق نهر حلب من قرية تدعى سبتات على سبعة أميال من دابق، ثم يمر إلى حلب ثمانية عشر ميلاً، ثم إلى مدينة قنسرين اثني عشر ميلاً، ثم يفيض في الأجمة هذه المشتهرة بالذكر، وقد تذكر كثيراً مماً لم يشتهر ذكره.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: ذكر بعض من تقدم من العلماء بأخبار الأوائل أن ملك الأردوان وهم النبط كان في السواد، قبل ملك فارس، وأن النبط هم الذين استنبطوا الأرض وعمروا السواد، وحفروا الأنهار العظام،

ويقال لهم ملوك الطوائف، قال: وحكى الهيثم بن عدي، عن عبد اللّه بن عياش، قال: ملك النبط سواد العراق ألف سنة، وكان حد ملك النبط الأنبار إلى عانات كسكر إلى ما والاها من كور دجلة إلى جوخي. وكانت سرة الدنيا في أيد النبط، واعتبر ذلك أن الفرات ودجلة ينصبان من الشام والجزيرة، ولا ينتفع بهما حتى يأتيا بلادهم، فيفجرونها في كل موضع، ثم يسوقون بقيتهما إلى البحر، وكان ملكهم ألف سنة، وإنما سموا نبطاً، لأنهم انبطوا الأرض وحفروا الأنهار العظام، منها الصراة العظمى.

ونهر آبا، ونهر سورا ونهر الملك، وحفروا الصراة العظمى فيروز حششں، وحفر نهر آبا أبا ابن الصامغان، وحفر نهر الملك أفقورشة، وكان آخر ملوك النبط ملك مائتي سنة، ثم وليت ملك فارس فحفروا أنهار كوثى والصراة الصغرى التي عليها ابن هبيرة وكل سيب بالعراق. ثم حفروا النهروان.

وقال غيره: حفر الصراة العظمى أفريدون، وحفر أقفور بن بلاش نهر الملك، وحفرآبا ابن الصمغان نهر الأنبار، وبنى قناطر هذا النهر قباد بن فيرون، وحفرت خماني بنت بهمن أردشير تامرا، وهو القاطول الأول، وشقت منه أنهاراً، وحفر أردشير دجيل، وحفر الزاب زو بن الطهما سب، وحفر براز الروز رجل من فارس اسمه بران، وحفر الحجاج النيل، وحفر خالد بن عبد الله القسري نهر الصلح، ونهر المبارك، وحفر الرشيد قاطول نهر السلام، وهو عمود نهرين، واستخرج منه الخالص.

فصل وذكر القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار، قال: أول العيون عين تخرج من جبل القمر وراء خط الاستواء، ثم ينبعث منها عشرة أنهار، ويخرج منها بحرهو نيل مصر حتى يمر بمدينة النوبة، ويقطع الإقليم الأول حتى يجاوره إلى الاقليم الثاني، ثم يمد إلى مصر ثم ينقسم النيل سبعة أقسام يمر الغربي منها إلى الإسكندرية. ومسير النيل من ابتدائه إلى انتهائه ألفا ميل، ونيفاً.

وعين أخرى مركزها تحت خط الاستواء يخرج منها نهر يمر إلى النيل حتى يصب فيه عند مدينة النوبة.

وعين أخرى في جزيرة الفضة التي في بحر الصين يخرج منها ثلاثة أنهار تصب في البحر.

وعين أخرى من وراء خط الاستواء يخرج منها نهران يصبان في البحر.

قال: وفي الإقليم الأول من الأنهار والعيون ثلاثة وعشرون كلها جارية إلا عيناً وا حدة.

وفي الإقليم الثاني من الأنهار والعيون أربعة وعشرون، والبحيرة المعروفة بطبرية وهي مدورة مقدارها ثلاثة وثلاثون ميلاً، ويخرج منها نهر يمر على قرب أنطاكية حتى يصب في البحر.

وفي الإقليم الرابع أنهار وعيون لم يذكر عددها.

وفي الإقليم الخامس خمسة وعشرون نهراً منها دجلة تخرج من بين جبلين عند مدينة آمل، وتصير إلى بلد، ثم الموصل، ثم المدينة، ويصب إلى بغداد ثم إلى واسط ثم البطائح، ثم يفترق فرقتين، فرقة تمر إلى البصرة، وفرقة إلى المدار، ويصب الجميع إلى بحر فارس ومسافتها ثمانمائة ميل ونصف.

وفي الإقليم السادس ستة وعشرون نهراً منها الفرات أولها من عين في بلد الروم وطولها عند طلوعها في بلد الإسلام سبعمائة وخمسة وثلاثون ميلاً.

وفي الإقليم السابع ثمانية وعشرون نهراً منها جيحان يصب في بحر الشامي، وطوله سبعمائة ونيف وثلاثون ميلاً، وفيه نهر بلخ.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال:

حدثنا معتمر بن سليمان، عن الصباح بن أشرس، قال: سئل ابن عباس عن المد والجزر، فقال: إن ملكاً موكل بقاموس البحر، فإذا وضع رجله فاضت وإذا رفعها غاضت.

ذكر طرف من عجائب ما في الأرض

انبأنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد الكسائي، قال: أخبرنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري، قال: حدثنا عبد الوهاب بن الحسن الكلابي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن كاس النخعي، قال: حدثنا خضر بن أبان، قال: حدثنا منصور بن عمار، قال: حدثنا ليث بن سعد، عن عقيل بن خالد، عن شفي بن ماتع، عن عبد الله بن عمرو، قال: من العجائب التي وصفت في الدنيا أربع: منارة الإسكندرية، عليها مرآة من حديد يقعد القاعد تحتها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فيرى من بالقسطنطينية وبينها عرض البحر، وسوداني من نحاس على قضيب من نحاس على الباب الشرقي برومية، فإذا كان أوان الزيتون صفَّر ذلك السوداني صفرة فلا تبقى سودانية تطير إلا جاءت معها بثلاث زيتونات في رجليها، وزيتونة في منقارها فألقته على ذلك السوداني فيحمله أهل رومية فيعصرون ما يكفيهم لسرجهم وإدامهم إلى العام المقبل.

ورجل من نحاس بأرض اليمن ما بين الشجر ماداً يده إلى وراء كأنه يقول: ليس ورائي مذهب ولا مسلك، وهو أرض رجراجة لا تستقر عليها الأقدام، غزاها ذو القرنين في سبعين ألفا، فخرج عليهم نمل كنجاتي، وكانت النملة تخطف الفارس عن سرجه. وبطة من نحاس بين عمود من نحاس فيما بين الهند والصين بأرض يقال لها كثار، فإذا كان يوم عاشوراء، شربت البطة من الماء حاجتها، ومدت منقارها فيفيض من فيها الماء ما يكفيهم لزروعهم ومواشيهم إلى العام المقبل.

وقد روي لنا هذا الخبر على وجه آخر، فأنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا عبد المحسن بن محمد، قال: أخبرنا أبو أحمد عبد اللّه بن محمد الدهان، قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن الحسين البردعي، قال: حدثنا أبو هريرة أحمد بن عبد اللّه بن أبي العصام، قال: حدثني اسحاق بن ابراهيم الأزرق، قال: حدثنا محمد بن أبي موسى، قال: حدثنا حجاج بن أبي لهيعة، عن أبي قسيل، عن عبد اللّه بن عمرو عن العجائب التي وضعت في الدنيا أربع: مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية فكان الجالس يجلس تحتها فيرى مَن بالقسطنطينية وبينها عرض البحر، وعمود من نحاس بأرض رومية فإذا كان لقاط الزيتون لم يبق سودانية إلا جاءت إليه بثلاث زيتونات فيعصرها أهل رومية لادامهم ومصابيحهم، وفرس من نحاس عليه راكب من نحاس بأرض طليلة قريبة من قرى الأندلس من خلفها بأرض رجراجة لا يطأ عليها أحد إلا ابتلعه، والفرس قافل بيده هكذا مكتوب في جبهته ليس ورائي مسلك، وعمود من نحاس عليه شجرة من نحاس تمثال عاد، فإذا كان أشهر الحرم هطل منها الماء فملىء منه الحياض ويشرب الناس منه وسقطوا ظهورهم فإذا تصرمت أشهر الحرم انقطع ذلك عنهم.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الله بن خلف، قال: حدثنا جدي محمد بن عبد الله، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حاتم، قال: حدثنا عمرو بن شبة، قال: حدثنا سليم بن منصور بن عمار، عن أبيه، قال: حدثني عبد ربه، عن نافع، عن أبي مدرك السعدي، قال: أتيت طليلة من وراء الأندلس فرأيت صنمين من نحاس رؤوسهما في الهواء قائمين على رجل واحدة كل واحدة منها واضع كفه اليسرى بين عينيه مكتوب: ليس خلفي مسلك.

قال: وقد أخبرني أناس من أهل تلك الناحية أن ذا سرح الملك سار في الجموع حتى وصل إلى تلك الناحية، فخرج عليه خلق يشبه

النمل، وإن كانت الدابة من تلك الدواب لتخطف برجليها رجلين وتأخذ الرجل. مع بقرة معه فتحمله فما يقدر على نفسه، فلما رأى ذلك ذو سرح الملك انصرف بالجمع.

وقد ذكر بعض العلماء في العجائب: أنه بأرض مصر أسطوانتان من بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل اسطوانة طوق من نحاس يقطر من أحديهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره ليلاً ونهاراً وموضعه من الاسطوانة أخضر رطب.

والهرمتان بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع طولاً في أربعمائة ذراع عرضاً كلما ارتفع البناء دق، وهما من رخام ومرمر مكتوب عليها طب وسحر وتحتَ ذلك مكتوب: "إني بنيتها بملكي فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمها فإن الهدم أيسر من البناء".

قال أبو الحسين أحمد بن جعفر: وبلغنا أنهم قدروا فإذا خراج الدنيا مراراً كثيرة لا يقوم بهدمها ويقال إنه ما من بناء بالحجارة أبهى من كنيسة حمص، ولا بناء بالآجر والجص أبهى من ايوان كسرى بالمدائن، ولا منارة أعجب من منارة الاسكندرية، ولا بناء بالحجارة أحكم ولا أبهى من شاذروان تستر لأنها بالصخر وأعمدة الحديد وطاط الرصاص. وأعجب من هذا كله سد ذي القرنين الذي أمده الله لبنائه، وسيأتي ذكره في أخبار في القرنين إن شاء الله.

ومن العجائب: نار بصقلية تجيء بالهند وبالأندلس تشعل في حجارة ولا يمكن أن يوقد منها. وأهل اليمن يمطرون في الصيف، وليس بصقلية نمل.

ومن العجائب: بيتان وجدا بالأندلس عند فتحها في مدينة الملوك، ففتح أحد البيتين وهو بيت المال، فوجد فيه أربعة وعشرون تاجاً عدة ملوكهم، لا يدرى ما قيمة التاج منها، وعلى كل تاج اسم صاحبه ومبلغ سنه وكم ملك من السنين ووجد فيه مائدة سليمان بن داود. ووجد على البيت الآخر أربعة وعشرون قفلاً، كان كلما ملك ملك منهم زاد قفلاً، ولا يدرون ما في البيت، فلما ملك آخر ملوكهم قال: لا بد لي من أن أعرف ما في هذا البيت، وتوهم أن فيه مالاً، فاجتمعت إليه الأساقفة والشمامسة وأعظموا ذلك وسألوه أن يأخذ بما فعله الملوك قبله فأبى، وقال: انظر ما تحطب على مالك من مال يظن أنه فيه فنحن ندفعه إليك من أموالنا فلا تفتحه. فعصاهم وفتح الباب، فإذا فيه تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم وقسيهم ونبلهم، فدخلت العرب جزيرة الأندلس في السنة التي فتح فيها الباب.

ووجد قتيبة بن مسلم بمدينة تدعى بيكند قدوراً عظاماً يصعد إليها بسلاليم.

أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن شاهين، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا علي بن محمد بن أحمد المصري، قال: حدثنا عبد الله بن عيسى المدني، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثني هشام بن محمد بن السائب، قال: حدثني حفص بن عمر بن النعمان البخاري، قال: حدثني أبي، عن جدي، قال: سمعت حميداً دهقان الفلوجة السفلى، وكان عمر قد فرض له في ألفي مع عدة من الدهاقين، قال: كان ببابل سبع مدائن في كل مدينة أعجوبة ليست في الأخرى، وكان في المدينة الأولى التي منها ملكها تمثال الأرض جميعاً فإذا أتوى عليه بعين أهل مملكته بخراجها خرق أنهارها عليهم فعرفت حيث كانت فلا يستطيعون لها سداً حتى يؤدون ما عليهم فإذا سدها عليهم في تماثيلهم انسدت في بلادهم. وفي المدينة الثانية حوض فإدا أراد الملك أن يجمعهم لطعامهم إلى من أحب منهم بما لا أحب من الأشربة نصبه في ذلك الحوض،

فاختلط جميعاً، ثم تقدم السقاة فأخذوا الآنية، فمن صب في انائه تنيناً صار في شرابه الذي جاريه.
وفي المدينة الثالثة طبل إذا غاب من أهلها غائب فأرادوا أن يعلموا أحي هو أم ميت أتوا الطبل فضربوه، فإن كان حياً صوت الطبل، وإن كان ميتاً لم يسمع له صوت. وفي المدينة الرابعة: مرآة من حديد، إذا غاب الرجل عن أهله فأحبوا أن يعلموا حاله كيف هو أتوا المرآة فنظروا فيها فأبصروه على حاله التي هو عليها.
وفي المدينة الخامسة: أوزة من نحاس إذا دخل المدينة غريب صوتت صوتاً فسمعه جميع أهل المدن فيعلم أنه دخلها غريب.
وفي المدينة السادسة: قاضيان جالسان على الماء فيجيء المحق والمبطل، فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضي ويغمس المبطل في الماء.
وفي المدينة السابعة: شجرة لا تظل إلا ساقها فإن جلس تحتها رجل إلى ألف أظلتهم، وإن زاد واحد جعلوا كلهم في الشمس.

باب ذكر أول من سكن الأرض

أول من سكن الأرض الجن، وما زالوا يعمرون الأرض ويعبدون اللّه عز وجل حتى طال عليهم الأمد، فيتناول بعضهم بعضاً، فنهاهم بعض ملوكهم، واسمه يوسف ويقال إنه كان نبياً، ولا يثبت مثل هذا، فأرسل الله عليهم جنداً من الملائكة فيهم ابليس، فأجلوهم عن الأرض.

وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: كان الجن سكان الأرض، والملائكة سكان السماء، وهم عمارها، لكل سماء ملائكة، ولكل أهل سماء صلاة وتسبيح ودعاء، فكل أهل سماء أشد عبادة وأكثر دعاء وصلاة وتسبيحاً من الذين تحتهم.
وقد قال بعض العلماء: عمروا الأرض ألفي سنة. وقال بعضهم: أربعين سنة. وروى سماك بن حرب، عن بشر بن قحيف، عن ابن عباس، قال: إن الكلاب من الجن، وهي من ضعفاء الجن.
وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن الله لعن شيطان الجن فمسخهم دواب في الأرض فهي هذه الكلاب السود، وهي الجن".

باب ذكر سكان الأرض

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تعالى خلق ألف أمة، ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر".
وقد روينا نحو هذا عن يحيى بن أبي كثير موقوفاً. وقال وهب بن منبه: "إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا من ذلك واحد".
وقال أبو العالية: الجن عالم والإنس عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض، والأرض أربع زوايا كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم خلقهم الله لعبادته.
أخبرنا اسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدثنا أبو صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني إسحاق بن حاتم المدائني، قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن عثمان بن أبي دهرس، قال: بلغني أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: "إن بهذا المغرب أرضاً بيضاء مسيرة للشمس أربعين سنة بها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين، قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: "ما تدرون خلق الشيطان أم لم يخلق"، قالوا: ومن وراء آدم هم؟ قال: "وما تدرون خلق آدم أم لم يخلق".

باب ذكر من ملك الأرض كلها

قد روينا في الحديث عن مجاهد أنه قال: ملك الأرض أربعة أنفس: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود، وذو القرنين، وأما الكافران فبخت نصر، ونمرود.

وقد حكى أبو الحسين بن جعفر المنادي، أن هشام بن محمد، والشرقي بن قطامي، قالا: ملك الدنيا كلها من الجن والإنس ثمانية: فثلاثة منهم من ولد جان: جيومرث، وبعضهم يقول جيومرب بالباء، ثم ملكها بعده طهمورث، ثم ملكها من بعده ابنه أوشنج، فخلق اللّه تعالى آدم على عهد أوشنج، وكان أول من ملك الدنيا من أولاد آدم جمشاد بن بونجهان من ولد قابيل، وكان يقطع الدنيا كل يوم كما تقطعها الشمس، يضحي بالمشرق ويمسي بالمغرب، ملكها بين آدم ونوح. والثاني: نمرود بن كنعان بن حام بن نوح. والثالث: بوارسب، وهو الضحاك بين الأهبوب. والرابع سليمان. والخامس ذو القرنين.

قلت: وإذا أضيف بخت نصر صاروا ستة إلا أن هذا القول لا أراه ثابتاً. وسنذكر جيومرث، وطهموث في أولاد آدم.

باب ذكر ما تحت الأرض

اعلم أن الأرض كان طبقاً واحداً، فشقها سبحانه سبعاً، وكذلك السماء.

قال كعب: هنه الأرض على صخرة خضراء في كف ملك، وذلك الملك قائم على ظهر الحوت، وذلك الحوت منطو بالسموات السبع من تحت الأرض.

وقال ابن عباس: الصخرة على منكبي ملك والملك على الثور والثورعلى الماء، والماء متن الريح.

وقال وهب: اسم الحوت بهموت.

باب ذكر سكان الأرضين السبع

روى عطاء بن يسار أنه سأل كعب الأحبار، فقال له: من ساكن الأرض الثانية؟ فقال: الريح العقيم؟ لما أراد اللّه عز وجل هلك قوم عاد أوحى إلى خزنتها أن افتحوا منها بابا، قالوا: يا ربنا مثل منخر الثور، قال: اذن تتلف الأرض بمن عليها، فاستأذنوا ربهم فضيق ذلك حتى جعله مثل حلقة الخاتم، قال: فقلت: من ساكن الأرض الثالثة؟ قال حجارة جهنم، قال: قلت: فمن ساكن الرابعة؟ قال: كبريت جهنم، قلت: فمن ساكن الأرض الخامسة؟ قال: حيات جهنم، قال: قلت: وان لها الحيات؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده كأمثال الأودية، قلت: فمن ساكن السادسة؟ فقال: عقارب جهنم كأمثال البغال، ولها أذناب كالرماح يلقى إحداهن الكافر فيلسعه اللسعة فيتناثر لحمه على قدمه، قلت: فمن ساكن السابعة؟ قال: تلك سجين، وفيها ابليس موثق يد أمامه ويد خلفه، ورجل أمامه ورجل خلفه، فيأتيه جنوده بالأجنان في مكانه ذلك.

وقد روى الضحاك، عن ابن عباس، قال: في كل أرض آدم كآدمكم، ونوح كنوحكم.

ومعنى هذا أن لكل الأرض ساعة يقوم كبيرهم ومتقدمهم مقام آدم ونوح فينا.

باب ذكر الجن والشياطين

هذا الجن ثلاثة أنواع: جان، وجن، وشياطين، ولا خلاف أن الكل خلقوا قبل آدم.

فأما الجان: ففيه ثلاثة أقوال، أحدها: أنه أبو الجن، رواه أبو صالح، والضحاك عن ابن عباس، وهومخلوق من نار.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "خلق الجان من مارج من نار، وخلقت الملائكة من نور".

وروى الضحاك، عن ابن عباس، قال: المارج لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت.

وروى عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أبو الجن اسمه سوما، فقال الله له: تمن، فقال: أتمنى أن نرى ولا نرى، وأن نغيب في الثرى، وأن يصير كهلنا شاباً، فأعطي ذلك، فإن الدهر ليمرعلى ابليس فيهرمه ثم يصبح، وهو ابن ثلاثين سنة.

والثاني: أن الجان هو الاثنين، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل.

والثالث: أن الجان مسيخ الجن.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقري، وعبد اللّه بن محمد الحاكم، ويحيى بن محمد المدبر، قالوا: حدثنا أبو الحسين بن النقور، قال: أخبرنا عبيد الله بن جشامة، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثنا هدبة، قال: حدثنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الجان مسيخ الجن، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس.

وأما الشياطين: فكل متجبر عات من الجن. وهو مأخوذ من شطن أي بعد عن الخير وقيل بعد غوره في الشر. وكذلك المارد والعفريت.

وقد روى الضحاك، عن ابن عباس، قال: الشياطين ولدان ابليس لا يموتون إلا مع إبليس.

والجن: يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر.

وقال السدي: في الجن شيعة وقدرية ومرجئة.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: خلق الله الجن قبل آدم بألفي سنة.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الغيلان، فقال: "هي شجرة الجن".

وقيل عند عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أن الغيلان تتحول عن خلقها، فقال إنه ليس شيء يتحول عن خلقه، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا أحسستم من ذلك شيئاً فأذنوا.

وروى أبو الدرداء، عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قال: "خلق الله الجن على ثلاث أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب.

وخلق الإنس على ثلاثة أصناف: صنف لهم قلوب لا يعقلون بها، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف في ظل اللّه يوم لا ظل إلا ظله".

واختلف الناس هل يدخل مسلمو الجن الجنة؟ فقال الضحاك: يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون.

وقال مجاهد: يدخلونها ولكن لا يأكلون فيها ولا يشربون، يلهمون من التسبيح والتقديس ما يجد أهل الجنة من لذيذ الطعام والشراب.

وقال ليث بن أبي سليم: ثوابهم أن يجاروا من النار، ويقال لهم: كونوا تراباً.

باب ذكر ابليس لعنه الله اختلف العلماء، هل كان من الجن أو من الملائكة على قولين.

أحدهما: أنه كان من الملائكة وأعظمهم قبيلة. وإن من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن، وكان منهم، وكان له، سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى فمسخه الله شيطاناً رجيماً.

وروى الضحاك، عن ابن عباس، قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال له الجن خلق من نار السموم من بين الملائكة، وخلق الملائكة كلهم من نور غير هذا الحيّ، وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وأول من سكن الأرض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، فبعث اللّه عز وجل إليهم إبليس في جند من الملائكة يقال لهم الجن، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل ذلك اغتر في نفسه، فقال: لقد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد.

وقال السدي، عن أشياخه: كان إبليس على مُلك السماء الدنيا، وكان مع، مُلكه خازناً، فوقع في صدره كبر، وقال: ما أعطانا الله هذا إلا لمزية على الملائكة.

وحكى أبو جعفر الطبري أن إبليس بعث حكماً يقضي بين الجن في الأرض فقضى بينهم بالحق ألف سنة فسمي حَكَماً، فدخله لكبر فألقى بين الذين كان حكم بينهم العداوة والبغضاء حتى اقتتلوا، فبعث الله عز وجل عليهم ناراً، فأحرقتهم، فعرج السماء، وأقام عند الملائكة يعبد اللّه إلى أن خلق آدم.

والقول الثاني: إنه كان من الجن. قال الحسن: لم يكن إبليس من الملائكة قط.

وقال شهر بن حوشب: كان إبليس من الجن الذين طردهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء.

وقال سعد بن مسعود: كانت الملائكة تقاتل الجن فسُبي أبليس، وكان صغيراً، وكان مع الملائكة يتعبد معها، فلما أمروا أن يسجدوا سجدوا وأبى إبليس.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان إبليس اسمه عزازيل، ثم ابليس بعد.

وقال ابن جريج: كان اسم إبليس في السماء الحارث.

وقد روى ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: خلق الله ابليس من مارج من نار، فلما خلق علق في الهواء، فقال: يا هواء إن كنت فوقي فارفعني إليك، وإن كنت أسفل مني فأهبطني إليك. فنودي: إن اللّه بكل مكان ومع كل إنس وجان، فاصطكت أسنانه، وخرج من فيه شرر خلق من كل شررة شيطان مخلد.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، قال: أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه الحافظ،

قال: حدثنا أبي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أبان، قال: حدثنا أبوبكر بن عبيد، قال: حدَثنا يحيى بن عثمان، قال: حدثنا بقية، عن سفيان، قال: أوحى اللّه تعالى إلى موسى عليه السلام إن أول من مات إبليس، وذلك أنه أول من عصاني، وأنا أعد من عصاني من الموتى.

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا الحسن بن يحيى العبدي، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لما أهبط إبليس، قال: يا رب قد لعنته فما عمله؟ قال: السحر، قال: فما قرآنه، قال: الشعر، قال: فما كتابه؟ قال: الوشم، قال: فما طعامه؟ قال: كل ميتة وما لم يذكر اسم الله، قال: فما شرابه؟ قال: كل مسكر، قال: فأين مسكنه؟ قال: الحمام، قال: فأين مجلسه؟ قال: الأسواق، قال: فما مؤذنه؟ قال: المزمار، قال: فما مصائده؟ قال: النساء.

قال القرشي: وحدثنا بشير بن الوليد الكندي، قال: حدثنا محمد بن طلحة، عن زبيد، عن مجاهد، قال: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره، ثم سماهم فذكر بترو، والأعور، ومسوط، وداسم، وزلنبور.

فأما بتر فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بشق الجيوب، ولطم الخدود، ودعوى الجاهلية.

وأما الأعور فهو صاحب الزنا، يأمر به ويزينه.

وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقي فيخبره بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه، وما أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا، وما هو الأمر.

وأما داسم فهو الذي يدخل إلى أهله يريه العيب فيهم ويبغضه عليهم.

وأما زلنبور فهو صاحب السرقى الذي يركز رايته في السوق، ولا يزالون ملتطمين.

وقال حوشب بن سيف، قال: اسم الشيطان الذي يفتن الناس في الأسواق فنحواص.

وقد روى سيف، عن مجاهد ان إبليس نكح نفسه فباض خمس بيضات، فهم أولاده. وهذا من أبعد الأقوال.

وقال عكرمة: من أولاد إبليس القعقاع.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا خارجة بن مصعب عن يونس بن عبد، عن الحسن، عن عتي، عن أبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "للوضوء شيطان يقال له الولهان، فاتقوه أو قال: فاحذروه".

قال أبو الحسين بن المنادي: وقد قيل ان أحد الشياطين يجيء في صورة طائر يقال له القرقصية يخفق بجناحه على عين الرجل الذي يقرأ على أهله الفاحشة فلا ينكر بعد ذلك عليها.

باب ذكر أجناس الطير وحيوان البر والبحر

جميع أجناس الطير وجميع دواب الأرض كانت منتشرة في الأرض والهواء والبحار قبل آدم عليه السلام.

قال وهب بن منبه: فأري حمل البحر النسر، قال: يا خطيب الطير أحدث حدث، قال: نعم، خلق خلق من أمره كذا من صفته كذا

يضعفه يعني آدم غير أنه أعطي الرفق، فقال: ويحك إنه من أعطي الرفق استتر لك من السماء واستخرجني من البحر. قال سعيد بن جبير: لما أهبط آدم إلى الأرض كان فيها نسر في البر، وحوت في البحر، وسيأتي هذا الحديث في انهباط آدم.

باب ذكر جهنم

قال عبد الله بن سلام: النار في الأرض. وما يدل على أن النار في الأرض ما أخبرنا هبة اللّه بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا جعفر، قال: حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا حسين بن محمد، قال: حدثنا خلف يعني ابن خليفة عن يزيد بن كيسان، عن أبي خازم، عن أبي هريرة، قال: كنا عند رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوماً فسمعنا وجبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما هذا؟"، قلنا: اللّه ورسوله أعلم، قال: "هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن انتهى إلى قعرها". انفرد بإخراجه مسلم.

فإن قيل: كيف تكون جهنم في الأرض، وقد رآها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج. فجوابه من وجهين، أحدهما: أنه رآها في الأرض في طريقه إلى بيت المقدس. وقد روينا عن عبادة بن الصامت أنه رؤي على سور بيت المقدس الشرقي يبكي، فقيل له في ذلك، فقال: ههنا أخبرنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أنه رأى جهنم.

والثاني: أنه لا يمتنع في القدرة أن يرى جهنم في الأرض وهو في السماء وقد بكى له بيت المقدس وهو بمكة فوصفه للقوم.

أخبرنا أبو الفتح الكروخي، قال: أخبرنا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر الغورجي، قال: أخبرنا الجراحي، قال: حدثنا المحبوبي، قال: حدثنا الترمذي، قال: حدثنا عباس الدوري، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة".

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سليمان، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره.

أنبأنا أحمد بن الحسين البنا، أخبرنا عنه أبن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الأبنوسي، قال: أخبرنا أبو الحسين بن أخي هما: قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا حجاج، قال: أخبرنا ابن جريج في قوله تعالى: "لَهَا سَبْعَةُ أبواب": أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم السقر، ثم الجحيم وفيها أبو جهل، ثم الهاوية.

قال القرشي: وحدثني حمزة بن العباس، قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا عنبسة بن سعيد، عن حبيب بن أبي عمرة، عن مجاهد، قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً يجري فيها أودية القيح والدم، قلت له: أنهار، قال: لا بل أودية.

قالى كعب: الفلق بيت في النار إذا فتح صاح منه جميع أهل النار.

وقال أبو المثنى الأملوكي: إن في النار أقواماً يربطون بنواعير من نار يدور بهم ملك النواعير، ما لهم فيها راحة ولا فترة.

باب ذكر السماء والسموات

قال: لما خلق عز وجل الماء ثار منه دخان فبنى منه السموات، وتمت وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والأفلاك والملائكة في يومين بعد خلق الأرضين وما فيهن في أربعة أيام.

وقال أبو الخلد: والسماء موج مكفوف. وقال كعب: السماء أشد بياضاً من اللبن.

قال القاسم بن أبي برة: السماء بيضاء، ولكن من بعد ترى خضراء.

وقال إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة.

وقال الربيع بن أنس: السموات أولها موج مكفوف، والثانية من صخر، والثالثة من حديد، والرابعة من صفر ونحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوته حمراء.

وذكر أبو الحسين أحمد بن جعفر: أن لا اختلاف بين العلماء في أن السماء مثال الكرة، وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدور الكرة على قطبين ثابتين غير متحركين أحدهما في ناحية الشمال، والآخر في ناحية الجنوب.

ويدل على ذلك أن الكواكب جميعاً تبدو من المشرق فترتفع قليلاً على ترتيب واحد في حركاتها وتقادير أجرامها إلى أن تتوسط السماء ثم تنحدر على ذلك الترتيب كأنها ثابتة في كرة تديرها جميعاً دوراً واحداً.

وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع أجرامها من البرد مثل الكرة، ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوحد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد بل على المشرق قبل المغرب، وكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء كالنقطة من الدائرة يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى في جميع نواحي السماء على قدر واحد، فيدل على ذلك أن ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد كاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء.

ذكر ما بين السماء والسماء

أخبرنا هبة اللّه بن القاسم، أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا يحيى بن العلاء، عن عمه شعيب بن خالد، قال: حدثني سماك بن حرب، حدثنا عبد اللّه بن عميرة، عن عباس بن المطلب قال: كنا جلوساً مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالبطحاء، فمرت سحابة، فقال: "أتدرون ما هذا؟ قلنا: السحاب، قال: والمزن قلنا: والمزن، قال: والعنان. قال: فسكتنا، قال: هل تدرون كم بين السماء والأرض. قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء".

قال العلماء: وكذلك الأرضون السبع في كثافتها وبعد ما بين الواحدة والأخرى فذلك مسيرة أربعة عشر ألف سوى ما تحت الأرض من الظلمة والنور وما فوق السموات من الحجب والظلمة إلى العرش، وهذا على قدر سير الآدمي الضعيف، فأما الملك فإنه

يجرد ذلك في ساعة.

وقد سأل ابن الكوا علي بن أبي طالب رضي اللهّ عنه عن مسافة ذلك، فقال: دعوة عبد صالح.

ذكر الشمس والقمر والنجوم

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن سوار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن المناعي، قال: حدثني هارون بن علي بن الحكم، قال: حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مرداس، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد القرشي، حدثنا محمد بن موسى، حدثنا مسلمة بن الصلت، حدثنا جارية بن المنذر، حدثنا الأعمش، عن سليمان بن موسى، عن القاسم بن مخيمرة، عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لما أبرم اللّه عز وجل خلقه فلم يبق غيرآدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمراً فإنه خلقها دون الشمس في الضوء، ولوتركها شمسين لم يعرف الليل من النهار، ولكان الصائم لا يدري إلى متى يصوم، فأرسل جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فمحا عنه الضوء، وبقي فيه النور، وخلق للشمس عجلة لها ثلثمائة وستون عروة، ووكل بها ثلاثمائة وستين ملكاً قد يعلق كل ملك بعروة وإذا أراد أن يري العباد آية خرت الشمس عن عجلتها فوقعت في بحر وتسجد الشمس تحت العرش بمقدار الليل، ثم تؤمر بالطلوع، فإذا ما دنت القيامة جعلت الشمس، ثم يتبعها القمر ثم يطلعان من المغرب ثم يعود إلى ما خلق اللّه".

وروى طاووس، عن ابن عباس، أنه قال: قال الله عز وجل للسماء: أخرجي شمسك وقمرك ونجومك"، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك" فقالتا: أتينا طائعين. وقد أشكل هذا قوم غلبت عليهم الظواهر، وقل فهمهم، وظنوا أنه قول السماء حقيقة، وأنها أخرجت شمسها بفعل، وهذا سوقهم، لأن قوله أتيا طوعاً معناه كونا بتكويننا، وهوتقريب إلى الأفهام تقريره لا بد من فعل ما يريده لوقدرنا أن السماء موجودة أن يوافق أو يخالف، ويوضح هذا أنهما إن كانتا حالة الخطاب معدومتين، فالمعدوم لا يخاطب، وإن كانتا موجودتين استغنتا بوجودهما عن التكوين، ثم أي قدرة لهما في إخراج شمس أو قمر، وهل خالق إلا الله، وإنما المرادكوني بتكويني إياك، ومثله قوله، تعالى: "إنمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون". وقوله: "كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِين". "كونوا حجارة أو حديداً"، وهذا من توسع العرب في الخطاب يقصدون به اعلام المخاطب بسرعة التكوين.

قال مجاهد في قوله تعالى: "رب المشرقين ورب المغرِبَيْنِ" قال: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ومغرب الشتاء ومغرب الصيف.

قال ابن عباس: يطلع كل سنة في ثلاثمائة وستين كوة، كل يوم في كوة فلا يرجع إلى تلك الكوة في ذلك اليوم من العام للمقبل.

وقد روى عبد اللّه بن عمرو، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه رأى الشمس حين غابت فقال: "في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله عز وجل لأهلكت ما على الأرض".

قال أبو الحسين أحمد بن جعفر: قد نظر بعض الناس أن ذلك دعاء على الشمس، وليس كذلك، إنما هو وصف للعين التي تواري الشمس في قوله تعالى: "تغْرب فِي عين حَامِئَة".

قال سعيد بن المسيب: إن الشمس إذا أرادت أن تطلع تقاعست كرامة أن تعبد من دون الله فيدفعها ثلاثمائة وستون ملكاً. وقال ابن عباس: لا تطلع إلا وهي كارهة، تقول: يا رب لا تطلعي على عبادك فإني أراهم يعصونك.

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا أبو الخطاب علي بن عبد الرحمن الجراح، حدثنا عبد الملك بن بشران، أخبرنا أحمد بن الفضل بن العباس بن خريم، حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا أبو اليمان، حدثنا عمير بن المعدان بن عامر، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقته".

أخبرنا عبد الأول، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن أعين، حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا ابن نعيم، أخبرنا الأعمش، عن ابراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: "يا أبا ذر تدري أين تذهب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي الله عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها: ارجعي حيث جئت، فتطلع من مغربها". أخرجاه في الصحيحين.

قال ابن عقيل: قد ذكر أصحاب علوم الهندسة أن بعد الشمس من الأرض أربعة آلاف وثمانمائة وعشرون ألف ميل ونصف. وذكروا أن جرم القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءاً من الأرض، وإن المشتري أعظم من الأرض، يزيد جرمه على جرم الأرض مائتين وثمانين مرة ونصف وربع. وزحل أعظم من الأرض تسعة وسبعين مرة ونصف. وأما الكواكب الثابتة فأعظمها الخمسة عشر العظام نيرة مثل الشعرى والسماك، وقلب الأسد، يكون جرم كل كوكب منها أعظم من الأرض بأربع وسبعين مرة ونصف.

ذكر البيت المعمور

اختلف العلماء في أي سماء، وهو على ثلاثة أقوال: أحدها: لْي السماء السابعة. رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، يدل عليه ما.

أخبرنا به عبد الأول، أخبرنا الداوودي، أخبرنا ابن أعين، حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا هدبة، حدثنا همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك بن صعصعة، أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به فذكر صعوده من سماء إلى سماء حتى أتى السماء السابعة، قال: ثم رفع إلى البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه.

القول الثاني: إنه في السماء الدنيا، رواه أبوهريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس: هو حيال الكعبة، ويسمى الصراح.

وقال الربيع بن أنس: كان البيت المعمور مكان الكعبة في زمان آدم، فلما كان، زمن نوح أمر الناس بحجه فعصوه، فلما طفى الماء رفع فجعل بحذاء البيت في السماء الدنيا.

والقول الثالث: إنه في السماء السادسة، قاله علي رضي اللّه عنه.

ذكر ما بعد السموات السبع

من ذلك سدرة المنتهى، وهي بعد السماء السابعة، وقد قيل أنها في السادسة، والأول أصح.

أخبرنا هبة اللّه بن محمد، قال: حدثنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا هدبة، حدثنا همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر معراجه

إلى السماء السابعة، ثم قال: "ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبتها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة".

قال أحمد: وحدثنا ابن نمير، أخبرنا مالك بن مغول، عن الزبير بن عدي، عن طلحة، عن مرة، عن عبد اللّه، قال: لما أسري برسول اللّه صلى الله عليه وسلم انتهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، فأعطي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك باللّه من أمته شيئاً المقحمات". هذا الحديث من أفراد مسلم، والذي قبله متفق عليه.

ثم الكرسي

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة.

ثم العرش

روى اسماعيل بن أبي خالد، عن سعد الطائي، قال: العرش ياقوتة حمراء.

ذكر الملائكة

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله: "خلقت الملائكة من نور". انفرد بإخراجه مسلم.

ذكر حملة العرش

من أعظم الملائكة خلقاً حملة العرش، وعددهم اليوم أربعة أحدهم على صورة البشر قد وكل بالدعاء لنسل الآدمي، والآخر على صورة النسر وقد وكل بالدعاء لأجناس الطير، والآخر على صورة الثور قد وكل بالدعاء لنسل البهيمي، والآخر على صورة السبع قد وكل بالدعاء لأجناس السباع، فإذا جاءت القيامة صاروا ثمانية، قال الله عز وجل: "وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبك فَوْقَهم يَوْمَئذٍ ثَمَانِيَةٌ".

وقد قال سعيد بن جبير: ثمانية صفوف من الملائكة.

وقد روى أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصف أحد حملة العرش، فقال: قدماه على الأرض السابعة من الأرضين والذي نفس محمد بيده لوأن الطير سخرت ما بين أصل عنقه إلى منتهاها من رأسه لحففت فيه سبعمائة عام قبل أن تقطعه".

أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري، أخبرنا إسحاق بن أبي إسحاق الحافظ، أخبرنا أبو الحارث علي بن القاسم، حدثنا عبد اللّه بن محمد بن الحسن الشرقي، حدثنا أحمد بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا ابراهيم بن طهمان، عن موسى بن عتبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللّه من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة".

أخبرنا عبد الأول، أخبرنا أبو اسماعيل، أخبرنا أحمد بن ابراهيم النيسابوري، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا أبو إسحاق ابراهيم بن اسحاق الأنماطي، حدثنا ابو الفضل سهل الأعرج، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إسرائيل، عن معاوية بن اسحاق،

عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله عز وجل أذن لي أن أحدث عن ملك قد لزقت رجلاه الأرض وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، قال: فيرد عليه ما يعلم ذلك الذي يخلف به كاذباً".

ذكر الملك المسمى بالروح

قد روينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة.

ذكر جبريل عليه السلام

أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا نصر بن أحمد بن البطر، أخبرنا ابن رزقويه، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا إسحاق بن ابراهيم الحنبلي، حدثنا العلاء بن عمرو الخراساني، حدثنا عبد الله بن الحكم البجلي، حدثنا القاسم بن الحكم العربي، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا كانت ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل فيهبط في وكيله من الملائكة وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر، فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب".

ذكر إسرافيل

روى ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن ملكاً من ملائكة اللّه تعالى يقال له إسرافيل يحمل زاوية من زوايا العرش على كاهله، وقدماه في الأرض السفلى قد رنق رأسه في السماء السابعة.

قال أبو الحسين أحمد بن جعفر: والملائكة خلقت من نور، وقد قيل أن المستأنف منها يخلق دموع إسرافيل.

ذكر أصناف الملائكة

روى معدان بن أبي طلحة، عن عمر البكالي قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: الملائكة عشرةّ أجزاء، الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون تسعة أجزاء وجزء واحد الذين وكلوا بخزانة كل شيء، والملائكة والجن عشرة أجزاء تسعة أجزاء الملائكة وجزء واحد الجن، والجن والإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء الجن وجزء واحد الإنس، فإذا ولد واحد من الإنس ولد تسعة من الجن، والإنس عشرة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء واحد سائر الإنس، وما من السماء موضع اهاب إلا عليه ملك ساجد أو قائم.

أخبرنأ أبو الفضل محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا علي بن الحسين بن القنوجي، أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني، حدثنا أبو علي، الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثني أبو عبيدة الحسن بن علي بن الجعد، حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، عن اسماعيل بن أبي سعيد، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، قال: لما خلق اللّه عز وجل الملائكة واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء، فقالوا: ربنا مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

جمهور الملائكة مشغولون بالتعبد، كما قال اللّه عز وجك: "يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنهَارَ لا يَفْتُرون". فمنهم قيام في التعبد، ومنهم ركوع ومنهم سجود، وكل من رتب لعبادة فهو مقيم عليها إلى يوم القيامة.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا أسود، عن ابراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط فما فيها موضع أربع يعني أصابع إلا عليه ملك ساجد، ومن الملائكة موكل بعمل فمنهم حملة العرش قد وكلوا لحمله جبريل هو صاحب الوحي والغلظة، فهو يترل بالوحي ويتولى إهلاك المكذبين وميكائيل صاحب الرزق والرحمة وإسرافيل صاحب اللوح والصور، وعزرائيل قابض الأرواح وله أعوان وهؤلاء الأربعة هم المقسمات أمراً. ومنهم كتاب على بني آدم، وهم المعقبات ملكان في الليل وملكان في النهار".

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد. قال: حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر بن همام، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة الليل وملائكة النهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم، وهوأعلم: كيف تركتم عبادي؟ فقالوا: تركناهم وهم يصلون". أخرجاه في الصحيحين.

روى أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها، قال صاحب اليمين: أمسك فيمسك عنه سبع ساعات، فإن استغفر منها لم تكتب وإن لم يستغر كتبت عليه سيئة.

وفي حديث علي رضي الله عنه إن مقعد الملكين على الثنيتين.

وقال الحسن: إن مجلسيهما تحت الشعرعلى الحنك.

ومن الملائكة من قد وكل بالشمس ومنهم موكل بالقطر، والرعد صوت ملك يزجر والسحاب والبرق ضربه إياه بمخاريق، ومنهم موكل بالرياح والأشجار.

روى مجاهد، عن ابن عباس، قال: ليس أحد من خلق الله أكثر من الملائكة ليس من شجرة إلامعها موكل بها.

ومنهم ملكان يقول أحدهما: اللهم. أعط منفقاً مالاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً. وملكان يقول أحدهما: يا باغي الخير أبشر، ويقول الآخر: يا باغي الشر أقصر. ومنهم ملائكة يساحون في الأرض يتبعون مجالس الذكر، وملائكة يبلغون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من أمته السلام. وملائكة موكلون بمكة والمدينة ليمنعوا عنها الدِّجال إذا خرج. ومن الملائكة من هو مشغول بغرس شجر الجنة.

قال الحسن: إن أحدهم ليفتر، فيقال له: ما لك، فيقول: فتر صاحبي من العمل.

وكان الحسن يقول: أمدوهم رحمكم الله.

ومنهم موكل بصياغة حليّ الجنة.

روى شمر بن عطية، عن كعب، قال: إن في الجنة ملكاً يصوغ حلية أهل الجنة منذ خلق إلى أن تقوم الساعة، لو شئت أن أسميه لسميته، ولو أن قُلباً منها خرج لردّ شعاع الشمس.

قال مؤلف الكتاب: فلو ذهبنا نكتب كل شيء من هذا طال ذلك.

ذكر تسبيح الملائكة

أخبرنا محمد بن ناصر، اُخبرنا جعفر بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، أخبرنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان بن عمرو، قال: سمعت خالد بن معدان، يقول: إن لله عز وجل ملائكة أربعة يسبحون تحت العرش يسبح بتسبيحهم أهل السموات، يقول الأول سبحان ذي الملك والملكوت، ويقول الثاني: سبحان ذي العزة والجبروت، ويقول الثالث: سبحان الحي الذي لا يموت، ويقول الرابع: سبحان الذي يميت الخلق و يموت.

وقال هارون بن رباب: حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم، يقول أربعة: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، ويقول الأربعة الأخرى: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك.

قال سعيد بن جبيرة أتى جبريل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال: "إن أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأهل السماء الثاني ركوع إلى يوم القيامة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون: سبحان الحي الذي لا يموت.

وقد روينا أن في الملائكة ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج، وهويقول: يامن ألف بين الثلج والنار فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفيء النار ألف بين عباد المؤمنين.

باب ذكر الجنة

الجنة والنار مخلوقتان قبل آدم. قال عبد اللّه بن سلام: والجنة في السماء. ويدل عليه قوله: "عند سدرة المنتهى، عِنْدَهَا جنةُ الْمَأْوَى".

وقال مجاهد: "وَفِي السمَاء رِزْقُكُم"، قال: المطر، "وما توعدون" قال: الجنة.

ويدل على أن الجنة قد خلقت قوله تعالى: "اسْكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجنة". وقد روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان عرش اللّه على الماء، ثم اتخد جنة، ثم اتخذ دونها أخرى ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة، فقال: "وَمِن دونِهمَا جنتَان". أخبرنا عبد الأول، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن أعين، حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا روح بن عبد المؤمن، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها".

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبو قدامة الحارث بن عبيد، حدثنا أبو عمران، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "جنات الفردوس أربع: ثنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وثنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وليس بين

القوم أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه عز وجل في جنة عدن". قال أحمد: وحدثنا أبو النضر، حدثنا زهير، حدثنا سعد أبو مجاهد، حدثنا أبو المدلّه أنه سمع أبا هريرة يقول: قلنا: يا رسول اللهّ حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنتها فضة، وملاطها المسك الأذخر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييؤس ويخلد لا يموت، لايبلى ثيابه ولايفنى شبابه". هذا الحديث حسن، واللذان قبله في الصحيحين.

باب ذكر آدم عليه السلام

روى السدي سن أشياخه، قال: بعث اللهّ عز وجل جبرئيل إلى الأرض ليأتيه بطين منها، قالت الأرض: إني أعوذ باللهّ منك أن تنقص مني أو تَشينني، فرجع و لم يأخذ، وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتُها. فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها، فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ باللّه أن أرجع، و لم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط، فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين. فصعد به، فَبَلَ التراب حتى عاد طيناً، ثم تُرك حتى تغير وأنتن، وهو قوله "مِنْ حَمَأٍ مَسْنُون"، قال: مُنْتِن.

وقد روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث رب العزة إبليس فأخذ من أديم الأرض، ومن عذبها ومن ملحها، فخلق آدم، فمن ثَمَّ سُمّيَ آدم، لأنه خلق من أديم الأرض، ومن ثَم قال إبليس: "أأسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً"، أي هذه الطينة أنا جئت بها. وقد رواه ابن جبيرعن ابن مسعود.

فأخبرنا به محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا حسين بن الحسن الأشقر، حدثنا يعقوب بن عبد الله القُميَ، عن سعيد بن جبير، عن ابن مسعود، قال: إن اللّه بعث إبليس فأخذ من أديم الأرض من عذبها ومالحها، فخلق منه آدم، فكل شيء خلقه من عذبها فهو صائر إلى الجنة وإن كان ابن كافر، وكل شيء خلقه من مالحها فهو صائر إلى الناروإن كان ابن نبي. قال: فمن ثم قال ابليس: "أأسجد لمن خلقت طيناً" لأنه جاء بالطينة، وسمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

أخبرنا عبد الأول، أخبرنا الداوي، أخبرنا ابن أعين السرخسي، أخبرنا ابراهيم بن خريم، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا هوفق بن خليفة، حدثنا عوف، عن قَسَام بن زُهَير، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والخبيث، والطيب، والسهل، والحَزْن وبين ذلك".

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللهّ بن أحمد، حدثني أبي، أخبرنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدثنا زُهَير بن محمد، عن عبد اللّه بن محمد بن عَقيل، عن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد الأنصاريّ، عن أبي لُبابة البدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمُها عنده، وأعظم عند الله عز وجل من يوم الفطر ويوم الأضحى، وفيه خمس خلال: خلق اللّه تبارك وتعالى فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفَّى آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أتاه الله إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب في السماء والأرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يستغفرون من يوم الجمعة".

قال أحمد: وحدثنا أبو عامر، حدثنا زهير، عن عبد اللّه بن محمد، عن عمرو بن شرحبيل بن سعد بن عبادة، عن أبيه، عن جده سعد بن عبادة أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرنا عن يوم الجمعة، ماذا فيه من الخير. قال: "فيه خمس خلال: فيه خُلقَ آدم، وفي أهبط آدم، وفيه تُوفّي، وفيه ساعة لا يسأل عبد فيها شيئاً إلا أتاه اللّه ما لم يسأل مأثماً أوقطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة".

فصل

فلما صور اللّه تعالى آدم تركه أربعين ليلة جسداً ملقى لا روح فيه، هكذا رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال السدي عن أشياخه: بقي جسداً بين طين وماء أربعين سنة. والمراد بذلك من أعوامنا. وقد روى أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، قال: خمر اللّه عز وجل طينة آدم أربعين يوماً. فعلى هذا يكون التخمير قبل التصوير".

وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "في يوم الجمعة خلق آدم ".

وقال مجاهد: خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم الجمعة.

فصل

روى السدي عن أشياخه، قال: لما أراد اللّه عز وجل أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فنفخ فيه الروح فدخل فيه الروح من رأسه فعطس، فقالت له الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد للّه، فقال اللّه: رحمك ربك، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان، فذلك قوله: "خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ". فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس.

وروى الضحاك، فقال: أتته النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري في شيء من جسده إلا صار لحماً ودماً، فلما انتهت النفخة إلى سرته فنظر إلى جسده فاعجبه، فذهب لينهض فلم يقدر، فلما تمت النفخة عطس، فقال: الحمد للّه، فقال له ربه: يرحمك ربك.

أخبرنا أبن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، حدثنا حسين، وعفان، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل لما صور آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك".

قال أحمد: وحدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، حدثنا أبو هريرة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "خلق اللّه عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفرمن الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فزادوه ورحمة الله، فكلَ من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله فلم يزل الخلق ينقص بعد".

هذا حديث متفق عليه، والذي قبله من أفراد مسلم.

أخبرنا زاهر بن طاهر النيسابوري، أخبرنا الحاكم أبو سعد محمد بن محمد بن علي، أخبرنا أبو بكر، حدثنا يحيى بن اسماعيل، أخبرنا

مكي بن عبدان، حدثنا أحمد ابن الأزهر، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا حماد بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً".

وقد روي عن مجاهد: أن نفس آدم كان يؤذي أهل السماء فحط إلى ستين ذراعاً. وليس هذا بشيء. قال أبو الحسن: هذا من كتب السريانيين ليس للإسلاميين فيه أكثر من الرواية عنهم.

ذكر الحوادث التي في زمان آدم عليه السلام

هذه الحوادث تنقسم ثلاثة أقسام: فالقسم الأول ما حدث وآدم في السماء، والثاني ما حدث وهو في الجنة، والثالث ما حدث وآدم في الأرض.

ذكر القسم الأول ما حدث وآدم في السماء من ذلك أن الله تعالى لما أكمل خلق آدم ونفخ فيه الروح علمه الأسماء كلها.

قال ابن عباس: علمه أسماء كل شيء.

قال الحسن: علمه اسم كل شيء: هذه الخيل، وهذه البغال والإبل، والجن، والوحوش.

وقال الربيع بن أنس: علمه أسماء الملائكة.

والصحيح العموم، وقد شرحنا هذا في التفسير، وهناك أليق بسط هذا. ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس.

أخبرنا محمد بن عمر الأوحدي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي بن المهتدي، أخبرنا عمر بن أحمد بن شاهين، حدثنا عبد اللّه بن سليمان، حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، حدثنا عثمان بن ربيعة، عن قادم بن المسور، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لما أمر اللّه عز وجل الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام أول من سجد له إسرافيل، فأثابه اللّهّ بأن كتب القرآن في جبهته. ومن أعظم ذكر الحوادث السماوية في زمان آدم امتناع ابليس من السجود له تكبراً، وقد سبق بيانه في ذكر أخبار ابليس.

ذكر القسم الثاني ما حدث وآدم في الجنة وهو ما حدث وآدم في الجنة لما سجدت الملائكة لآدم وأبعد الله إبليس أسكن آدم الجنة، فما حدث أباح آدم جميع أشجار الجنة سوى شجرة واحدة، اختلفوا فيها، فقيل: هي الحنطة، وقيل: الكرمة إلى غير ذلك مما قد شرحناه في التفسير.

ومما حدث: ما روى السدي عن أشياخه: لما أسكن آدم الجنة كان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج، فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت. قالت امرأة، قال: و لم خلقت. قالت: تسكن إلي، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه: ما أسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: و لم سمت حواء. قال: لأنها خلقت من شيء حيّ، فقال اللّهّ: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة. قال قتادة: خلق حواء من ضلع من أضلاعه.

قال مجاهد: خلقت من قصيرى آدم.

ومما حدث: احتيال إبليس في الدخول إلى الجنة لاستذلال آدم.

روى السدي عن أشياخه، قال: لما أراد إبليس أن يدخل الجنة إلى آدم فمنعه الخزنة، فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير، وهي كأحسن الدوابّ فكلمها أن تدخله في فمها فأدخلته في فمها فقال: يا آدم هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ، فأبى أن

يأكل، فقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم قد أكلتُ و لم يضرني فلما أكل بدت لهما سوآتهما.
وروى طاووس، عن ابن عباس، قال: إن إبليس عرض نفسه على الدواب لتحمله حتى تدخله الجنة حتى يكلم آدم، وكل الدواب أبى ذلك عليه، حتى كلّم الحية، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به، وكانت كاسية أعلى أربع قوائم، فأعراها اللّه تعالى وجعلها تمشي على بطنها.
وقال وهب بن منبه: لما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها، فأخذ من الشجرة، وجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها وطعمها وأحسن لونها، فأكلت منها وذهبت بها إلى آدم، فقالت: انظر إلى هذه ما أطيب ريحها وطعمها، فأكل فبدت لهما سوآتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناد ربُّه: يا آدم أين أنت. قاد: أنا هذا يا ربّ، قال: يا حواء، أنت غَرَرْتِ عبدي، فلا تحملين حَمْلاً إلا حملته كرهاً، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً. وقال للحية: أنت الذي دخل الملعون في جوفك حتى غرّ عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكنْ لك رزق إلا التراب، أنتِ عدوّة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت منهم أحداً أخذت تسميه، وحيث لقيَك شدَخ رأسك. وروى محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم: ان آدم لما رأى نعم الجنة قال: لو أن خالداً، فاغتنمها إبليس فأتاه من قبل الخلد.
قال ابن إسحاق: وحديث ان أول ما ابتدأهما به من كيده أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له: ما يُبْكِيك؟ قال: أبكي عليكما، إنكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والغبط، فوقع ذلك في أنفسهما، ثم أتاهما فوسوس إليهما، وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد.
وقال ابن زيد: وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها، ثم حسنها في نفسه، قال: فدعاها آدم لحاجته، فقالت: لا، إلا أن تأتي هذا، قال: ما آتي. قالت: تأكل من هذه الشجرة، فأكلا منها، فبدت سوآتهما، وذهب آدم هارباً إلى الجنة، فناداه ربُّه يا آدم أني أتيت. قال: لا يا رب، ولكن حياء منك، وقال: يا آدم أنَّى أتيتَ. قال: من قِبَل هذا أي رب، قال: فقال اللّهّ: إن لها عليّ أن آدميها في كل شهر مرة، كما آدمت هذه الشجرة، وأن أجعلها سفيهة فقد كنت خلقتها حليمة، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً.
وكان سعيد بن المسيب يحلف باللّه ما يستثني: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقتْه الخمرحتى إذا سكر قادته إليها فأكل.

قال المؤلف: وفي هذا بعد من جهتين، أحدهما: أن خمر الجنة لا يسكر، لقوله تعالى: "لا فيهَا غَول".
والثاني: أنه لا يخلو أن يكون شربه مباحاً له أو محظوراً وقد حظره لأن الظاهر إباحته جميع ما في الجنة له سوى تلك الشجرة ومن فعل المباح لم يؤاخذ بما يؤثره، على أن راوي هذا الحديث محمد بن إسحاق وفيه مقال.
ومما حدث إخراج آدم من الجنة قال العلماء: لما واقع آدم وحواء الخطيئة أخرجهما الله تعالى من الجنة وسلبهما ما كانا فيه من النعمة، وأهبطهما وعدويهما إبليس والحية إلى الأرض.
قال ابن عباس في قوله: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ قال: آدم وحواء وإبليس والحية.
ذكر مقدار مكثه في الجنه روى أبو صالح، عن ابن عباس: أن آدم مكث في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة، وهو خمسمائة سنة.

وقال أبو العالية: مكث في الجنة خمس ساعة.

وقد روينا أنه خلق آخر النهار من يوم الجمعة، فعلى هذه يكون في الساعة الأخيرة فمكث جسداً أربعين سنة من سنيها، كان مكثه في السماء بعد تصويره في الجنة إلى أن أصاب الخطيئة واهبط، ثلاثاً وأربعين سنة وأربعة أشهر.

وقال الحسن البصري: كان الساعة التي لبثها آدم في الجنة مقدار أربعين ومائة من سنينكم.

ذكر الوقت الذي أخرج فيه روى سعد بن عبادة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "في يوم الجمعة خلق آدم وفيه أهبط ".

وروى أبو صالح، عن ابن عباس: أن آدم أخرج بين الصلاتين صلاة الظهر وصلاة العصر.

وقد ذكرنا انه اسكن وأخرج في ساعة واحدة من ساعات ذلك اليوم. قال ابن جرير: فأهبط قبل غروب الشمس.

ذكر المكان الذي اهبط إليه قال علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، وأبو العالية: أهبط بالهند. وروى أبو صالح، عن ابن عباس، قال: أهبط على جبل بالهند يقال له نَوْد.

وقال ابن اسحاق: أهل التوراة يقولون: أهبِط بالهند على جبل يقال له واسم، عند واد يقال له بهيل بين الدهنج والمندل: بلدين بأرض الهند.

فقال قوم: بل أهبط بَسَرَنْديب على جبل يقال له: نَوْذ، وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة، وإبليس بميسان، والحية بأصفهان.

وقال آخرون: أهبطت الحية بالبرية، وإبليس بالساحل من بحر الأ بُلَّة.

وقيل: كان الجبل الذي أهبط عليه أقرب من جميع الجبال إلى السماء.

ذكر ما هبط معه من الجنة قال أبو موسى الأشعري: لما أخرجه الله من الجنة زوده من ثمارها، فثماركم هذه من ثمارها.

وقال ابن عباس: كان حين أخرج لا يمر بشيء إلا عبث به، فقيل للملائكة: دعُوه فليتزودْ منها ما شاء، فترل بالهند، وإن هذا الطيب الذي يُجَاء به من الهند مما خرج به آدم.

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: نزل آدم معه ريحُ الجنة فعلق بشجرها وأوديتها يعني الهند وأنزل معه الحجر الأسود، وكان اشدَ بياضاً من الثلج، وعصا موسى، وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع، ومُرّ، ولُبان.

وقال أبو العالية: أخرج ومعه غصن من شجر الجنة، وعلى رأسه تاج أو إكليل من شجر الجنة. وقال قتادة: أهبط آدم على جبل بالهند وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة فعبق ريح ذلك الإكليل بشجر ذلك الجبل فصار طيباً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، أخبرنا عاصم بن الحسن، أخبرنا أبو الحسين، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا أبو الحسن بن البر، قال: أهبط آدم بالهند في جزيرة سرنديب على جبل يدعى نَوْذ، وعلى آدم الورق الذي خصفه فيبس فتحات فنبت منه أنواع الطيب والثمار، فعلى ذلك الجبل: العود، والسنبل، والقرنفل، والأفاوية، ودابة المسك، ودابة الزباد، وحول الجبل الياقوت، وفي واديه الماس، وفي أرض تلك الجزيرة السفاذج، وفي أنهارها البلور، وفي بحرها اللؤلؤ.

وأخرج آدم من الجنة معه صرة حنطة، وثلاثين نصيباً من ثمر الجنة، عشرة في القشور: الجوز، واللوز، والفستق، والبندق، والخَشخاش، والبلُّوط، والشاهبلوط، والجوز الهندي، والرمان، والموز.

وعشرة لها نوى: الخوخ، والمشمش والإجّاص، والرُطَب، والغبيراء، والنبق، والزُّعرور، والعنّاب، وا لمُقْل والشاملوك.

وعشرة لا قشور لها ولا نوى: التُفّاح، والسفرجل، والكمثرى، والعنب، والتوت، والتين، والأترج، والخروب، والخيار، والبطيخ.

وأنزل على آدم من الصحف احدى وعشرون صحيفة، وحرم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير، وفرض عليه صلاة خمسين ركعة.

أخبرنا موهوب بن أحمد، ومحمد بن ناصر، قالا أخبرنا على بن أحمد بن بيان، قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن عثمان السقا الحافظ، قال: قريء على أبي عمرمحمد بن يوسف القاضي، حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن أبي التياح، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "لما أهبط اللّه آدم من الجنة إلى الأرض حزن عليه كل شيء جاوره إلا الذهب والفضة، فأوحى اللّه إليهما: جاورتكما بعبد من عبادي، ثم أهبطه من جواركما، فحزن عليه كل شيء إلا أنتما، قالا: إلهنا وسيدنا، أنت تعلم أنك جاورتنا به وهو لك مطيع، فلما عصاك لم نحب أن نحزن عليه، فأوحى الله إليهما: وعزَّتي وجلالي لأعِزَّنكما حتى لايُنال كل شيء إلاَّ بكما".

هذا حديث إسناده حسن، ومتنه غريب.

أخبرنا ابن ناصر، أنبأنا عبد المحسن بن محمد، أخبرنا عبد الله بن عمر بن شاهين، قال: حدثني أبي، حدثنا الحسن بن محمد بن عنبر، حدثنا ابراهيم بن عامر الأصبهاني، حدثنا أبي، حدثنا يعقوب بن جعفر، عن سعيد بن جبير، قال: أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض وليس في الأرض إلا حوت ونسر، فكات النسر إذا أمسى آوى إلى الحوت فيبيت عنده، فلما رأى النسرآدم أتى إلى الحوت، فقال: يا حوت قد أهبط إلى الأرض شيء يمشي على رجليه ويبطش بيده، فقالت: إن كنت صادقاً فما لي في البحر مهرب، ولا لك في البر مهرب. يريد أنه يحتال عليهما.

ذكر القسم الثالث وهو ما حدث وآدم فى الأرض

فمن ذلك أن آدم حين نزل شكى حاله

فروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: لما رأى اللّه عز وجل عري آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضان أمن، الأزواج الثمانية، فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء فنسج آدم جُبَّة لنفسه، وجعل لحواء درعاً وخِماراً، فلبسا ذلك.

ثم أنزل عليه بعد العلاوة، والمِطرقة، والكلبتان، فنظر إلى قضيب نابت من حديد، وأخذه، فجعل يكسر أشجاراً قد يبست بالمطرقة، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب، أفكان أول شيء، ضربه مُدْية، فكان يعمل بها، ثم ضرب التنّور الذي ورثه نوح، ونفرت منه الوحوش إلى البر، وكان لباسهما من جلود الضان والسباع.

وروى الضحاك، عن ابن عباس: إن جبريك أتى آدم بالجَلَم، وأمره أن جز الشاة، ففعل فغزلت حواء وحاكه آدم فالخذ منه عباءة لنفسه وأخرى لحواء.

وروى عطاء، عن ابن عباس: ان جبريل أتى آدم بالثورين وصمدهما له وأمره بالزراعة.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: علم آدم صنعة الحديد، وأمر الحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حَصَدَه، ثم داسه، ثم طحنه. ثم عجنه، ثم خبزه، ثم أكله، فلم يبلغ منه حتى بلغ منه ما شاء اللّه أن يبلغ.

قال سعيد: وأهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه، ويمسح العرق عن جبينه.

وحكى أبو جعفر الطبري عن آخرين، قالوا: جاع آدم فاستطعم ربه، فجاءه جبريل بسبع حبات من حنطة فوضعها في يده، فقال:

ما أصنع بهذا، قال: تتركه في الأرض، ففعل فأنبته اللّه من ساعته، ثم أمره فحصده، ثم أمره فجمعه وفركه بيده، ثم أمره أن يفرِّيه، ثم أتاه بحجرين فطحنه، ثم أمره أن يخبزه مَلَّةً.إن عجنه،، وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحَه، فخرجت النار، فهو أول مَنْ خبز الملَة.

ومن الأحداث أن

آدم أخذ في البكاء إلى أن نزلت عليه التوبة

قال ابن عباس: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعم الجنة مائتي سنة، لم يأكلا و لم يشربا أربعين يوماً، و لم يقرب آدم حواء مائة سنة. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أخبرنا علي بن أحمد الملطي، أخبرنا أحمد بن محمد بن دوست حدثنا ابن صفوان، حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا هشام، عن الحسن، قال: أهبط آدم من، الجنة فبكى ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء ولا يلتفت إلى المرأة ولا يضع يده عليها.

قال القرشي: وحدثنا محمد بن يحيى بن أبي حاتم، قال. حدثني سعد بن يونس، عن أبي عمرو الشيباني، عن أبي الهذيل، عن وهب بن منبه، قال: أوحى الله إلى آدم: يا آدم ما هذه الكآبة التي بوجهك والبلية التي قد أحاطت بك. قال. خروجي من دار البقاء إلى دار الفناء، من دار النعم إلى دار الشقاء. قال: ثم ان آدم سجد سجدة على جبل الهند مائة عام يبكي حتى جرت دموعه في وادي سرنديب، فأنبت اللّه لذلك الوادي من دموع آدم الدار صيني والقرنفل، وجعل طير ذلك الوادى الطواويس، ثم ان جبريل أتاه فقال: يا آدم ارفع رأسك فقد غفر لك، فرفع رأسه ثم أتى البيت فطاف أسبوعاً فما أتمه حتى خاض في دموعه إلى ركبتيه ثم أتى موضع المقام وصلى فيه ركعتين، وبكى حتى جرت دموعه على الأرض.

قلت: وكان السبب في قبول توبة آدم أنه تلقى كلمات فقالها فتيب عليه، وذلك قوله تعالى: "فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّه كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه".

واختلف المفسرون في تلك الكلمات على وجوه قد ذكرناها في التفسير، والذي نختاره من الأقوال. ما أخبرنا به محمد بن عبد اللّه بن حنيف، أخبرنا علي ابن الفضل، أخبرنا محمد بن عبد الصمد، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد. حدثنا ابراهيم بن خريم، حدثنا عبد الحميد بن حميد، حدثنا أبو غسان، حدثنا مالك بن إسماعيل النهلي، عن زهير بن معاوية الجشمي، عن خُصيف، عن مجاهد: فَتَلَقَى آدم مِنْ ربهِ كَلِمَات. قال: هو قوله: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنْفسَنا وَإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا..." إلى آخر الآية. قال قتادة: تاب اللّه على آدم يوم عاشوراء.

ومن الأحداث إن الله عز وجل

أنزل ياقوتة من الجنة فجعلها في موضع الكعبة

وأمر آدم أن يتوجه إلى مكة فيطوف

قال قتادة: قال اللّه: يا آدم إني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي،، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي، فانطلق إليه آدم فمد له في خطوه وكان بين خطوه مفازة، فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك، فأتى البيت فطاف به.
وفي حديث أبي صالح عن ابن عباس: أن آدم بنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء، وطور زيتا ولبنان والجودي، وبنى قواعده من حراء، فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات، فأراه المناسك التي يفعلها الناس، ثم قدم به مكة فطاف بالبيت اسبوعاً.
قال ابن عباس: حج من الهند أربعين حجة على رجليه. وقيل: ان آدم التقى بحواء على عرفات فتفارقا ثم رجع بها إلى الهند فاتخذا مغارة يأويان إليها.

ومن الأحداث أن

الله تعالى مسح ظهرآدم بنعمان

وأخرج ذريته. أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين، أخبرنا الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير يعني ابن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أخذ اللّه الميثاق من ظهر آدم بنَعْمَان يعني عرفة فأخرج من صلبه كلَّ ذرية ذَرَأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قُبُلاً،" قال: "أ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القيامة إنا كنّا عَنْ هَذَا غَافِلين".

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني يعقوب الرماني، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدث، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب في قول اللّه عز وجل: "وَإِذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُريتَهُم ْ"، قال: جمعهم فجعلهم أزواجاً ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق " وَأشْهَدَهُمْ عَلَى أنْفُسِهِمْ السْتُ بِرَبِّكُمْ" قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، فرفع عليهم آدم ينظر إليهم فرأى الغني والفقير والحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب ألا سويت بين عبادك، فقال: إني أحببت أن أشكر، ورأى آدم، الأنبياء فيهم مثل السرج عليهم النور، خصوا بميثاق أخرى في الرسالة والنبوة، وهو قوله تعالى: "وَإِذْ أخَذْنَا مِنَ النبِيينَ مِيثَاقَهُمْ" إلى قوله "عِيسَى ابن مريم" وكان في تلك الأرواح.
أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا روح، حدثنا مالك، عن زيد بن أبي أنيسة، أن عبد الحميد بن عبد الرحمن، أخبره عن مسلم بن يسار الجُهني، عن عمر بن الخطاب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن اللّه عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقتَ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون،. فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال: "إن اللّه عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل به الجنة، فإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النارحتى يموت على عمل من عمل أهك النار فيدخله به النار".

قال أحمد: وحدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: لما نزلت آية الدَين، قال رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم: "إن أول من جحد آدم عليه السلام، إن اللّه تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار إلى يوم القيامة، فجعل يعرض عليه ذريته، فرأى فيهم رجل يزهَر، فقال: أي رب من هذا. قال: ابنك داود، قال: أي رب كم عمره؟ قال: ستون عاماً، قال: أي رب زد في عمره، قال: لا إلا أن أزيده من عمرك وكان عمر آدم ألف عام فزاده من عمره، أربعين عاماً فكتب اللّه عليه بذلك كتاباً، وأشهد عليه الملائكة، فلما احتُضِر آدم وأتته الملائكة لتقبضه، قال: إنه قد بقي من عمري أربعون عاماً، فقيل: إنك وهبتها لإبنك داود، قال: ما فعلت، فأبرز اللّه عليه الكتاب، وأشهد عليه الملائكة".

وقد رواه الحسن بن الأشيب، عن حماد فزاد فيه: "... ثم أكمل اللّه لآدم ألف سنة، وأكمل لداود مائة سنة".

ومن الأحداث وجود أولاد آدم عليه السلام

ولدت حواء لآدم آربعين ولداً من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، قالوا: وكانت لا تلد إلا توأمين ذكراً وأنثى. وأول الأولاد: قابيل وتوأمته قليما، ويقال قيثما، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث.

وعد منهم ابن اسحاق: قين وتوأمته، وهابيل وليوذا، وآشوث بنت آدم وتوأمها، وشيث، وتوأمته وحزورة وتوأمها، ثم إياد وتوأمته، ثم بالغ. ويقال: باتح وتوأمته، ثم أثاثي وتوأمته، ثم توبة وتوأمته، ثم بنان وتوأمته، ثم شبوبة وتوأمته، ثم حيان وتوأمته، ثم ضرابيس وتوأمته، هدز وتوأمته، ثم نجود وتوأمته ثم سندل وتوأمته، ثم بارق وتوأمته.

وكان الرجل منهم ينكح أي اخواته شاء إلا التي ولدت معه، فإنها لا تحل له.

وقد روي عن ابن عباس: ان أول ولد ولدته حواء سمته عبد الرحمن، ثم سمت الثاني صالحاً، ثم الثالث عبد الحارث. قال أبو جعفر الطبري: ولد لآدم بعد قتل هابيل بخمس سنين شيث، وزعم أهل التوراة أنه لم يولد معه توأم وتفسير شيث عندهم "هبة اللّه "، ومعناه أنه خلف هابيل. وقال أبو صالح، عن ابن عباس: ولد شيث وأخته عزورا، وهو بالعربية شث، وبالسريانية شاث، وبالعبرانية شيث، وإليه أوصى آدم، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة.

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جُيُو مَرْت هو آدم. وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء.

وقال آخرون: هو حام بن يافث بن نوح. وأكثر العلماء على أن جُيُو مَرْت هو أبو الفرس من العجم، وإنما اختلفوا هل هو آدم أم غيره. وقال قوم: انه ملك وتجبر وتزوج ثلاثين امرأة وكثر نسله وتسمى بآدم، وما زال ملكه وملك أولاده منتظماً بأرض المشرق إلى أن قتل يَزْدَجِرْد بن شهريار أيام عثمان بن عفان.

وقد ذكر أبو الحسن بن البراء: أن جُيُو مَرْت ملك ثلاثين سنة، ثم كان من سوى الملك هوشَنْك من أولاد أولاده ملك أربعين سنة، ثم ملك طهمورث من أولاد أولاد هوشنك، ودان بدين الصابئين ثلاثين سنة، ثم ملك أخوه جمشيذ ستمائة وست عشرة سنة، ثم ملك هوار سب ألف سنة، ومن قبله كان نمرود صاحب ابراهيم، ثم ملك فريدون مائتي سنة، وقسم الملك بين أولاده في حياته، ثم ملك ابنه ايرج ست سنين، ثم انتقل الملك إلى منوشهر ثمانين سنة إلى أن غلبه التركي اثنتي عشرة سنة، ثم غلبه منوشهر فملك ثمانياً وعشرين سنة.

وقد حكينا آنفاً عن أبي الحسين بن المنادي أن جيومرث وطهمورث من أولاد الجان، والله أعلم.
وقد روى ابن اسحاق، عن بعض أهل الكتاب: ان حواءِ حملتَ بقين بن آدم وهو الذي يقال له: قابيل في الجنة وتوأمته فلم تجد وحَماً ولا وصَباً وولدهما و لم تر معهما دماً لطهر الجنة، فلما نزلت إلى الأرض حملت بهابيل وتوءمته. وفي هذا بعد وليس مما يوثق بنقله.

ومن الأحداث

احتيال ابليس على آدم وحواء في تسمية عبد الحارث

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو بكر المنكدري، أخبرنا أبو الحسن بن الصلت، حدثنا أبو بكر الأنباري، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الحسن بن موسى الأشيب، حدثنا عتاب بن الخزرجي، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، ومجاهد وعكرمة عن ابن عباس: ان حواء لما حملت جاءها إبليس فقال: إني أخرجتكما من الجنة لئن لم تطيعيني لأجعلن لولدك قرنين يشقان بطنك أولأخرجته ميتاً، فقضى الله أن خرج ميتاً، فلما حملت بالثاني جاءها فقال لها مثل مقالته الأولى فقضى اللّه أن الولد خرج ميتاً، فلما حملت الثالث جاءها فقال لها مثل مقالته، فقالت: وما الذي تريد أن نطيعك فيه، قال: سمياه عبد الحارث، ففعلت فقال اللّه: "جعلا له شركاء فيما آتاهما".
قال عثمان: وحدثنا يعلى بن عبد، حدثنا عبد الملك، قال: قيل لسعيد بن جبير: يا أبا عبد اللّه أشْرَك آدم؟ قال: معاذ الله أن تقول أشرك آدم، إن حواء لما حملت وأثقلت أتاها إبليس فقال لها: أرأيت هذا الذي في بطنك من أين يخرج. أمن فيك، ام من منخرك، أم من أذنيك؟ أرأيت إن خرج سوياً صحيحاً لم يضرك، أتطيعيني في اسمه؟ قالت: نعم فلما ولدت، قال: سمياه عبد الحارث. فسمياه عبد الحارث. أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن ابراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لما حملت حواء وطاف بها إبليس فكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش".

ومن الأحداث أن الله عز وجل لما

أعطى آدم ملك الأرض

نبأه وجعله رسولا إلى ولده وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها بخطه وعلمه جبريل إياها.

ذكره أبوجعفر الطبري، قال: وقيل: ان مما أنزل عليه حروف المعجم في احدى وعشرين ورقة، وتحريم الميتة والدم ولحم الخترير.
وقد روى أبو أمامة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي اللّه، أنبياً كان آدم. قال: "نعم مكلّماً".
وروى ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "أول المرسلين آدم ".

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، حدثنا أحمد بن معروف، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا عمرو بن الهيثم، وهاشم بن القاسم، قال: حدثنا المسعودي، عن ابن عمر الشامي، عن عبيد

بن الحشاش، عن أبي ذر قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الأنبياء أول. قال: "آدم "، قلت: أنبياً كان؟ قال: "نعم نبياً مكلماً".

ومن ذلك وعظ بنيه

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا عبد العزيز بن جعفر الخرقي، حدثنا الحسين بن اسماعيل، حدثنا الحسن بن شبيب، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبي هاشم الرماني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أهبط اللّه آدم إلى الأرض كثرت ذريته فاجتمع إليه ذات يوم ولده، وولد ولده، وولد ولد ولده، فجعلوا يتحدثون حوله وآدم ساكت لا يتكلم، فقالوا: يا أبانا مالنا نحن نتكلم وأنت ساكت لا تتكلم؟ قال: يا بني ان اللّه عز وجل لما أهبطني إلى الأرض من جواره عهد إليّ فقال: يا آدم أقل الكلام حتى ترجع إلى جواري.

ومن الأحداث ما روي أنه ضرب الدنانير

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو علي بن الصواف، أخبرنا محمد بن خلف وكيع، حدثنا المشرف بن سعد أبو زيد الواسطي، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا عيسى بن إبراهيم الهاشمي، حدثنا معاوية بن عبد اللّه، قال: سمعت كعباً يقول: أول من ضرب الدنانير والدراهم آدم عليه السلام، وقال: لا تصلح المعيشة إلا بها.
أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا جعفر بن أحمد السرج، أخبرنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل الضراب، حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن مروان، حدثنا عبد المنعم، عن أبيه، عن وهب بن منبه، قال: لما ضربت الدراهم والدنانير حملهما ابليس فقبلهما، وقال: سلاحي وقَرّة عينِ وثمرة قلبي، بكما أغري وبكما أطغي، وبكما أكفر ابن آدم، وبكما تستوجب النار ابن آدم.

ومن الأحداث قتل قابيل أخاه هابيل

اختلفوا في السبب الذي قتله لأجله: فروى السدي عن أشياخه، قال: كان لا يولد لآدم مولود إلا ومعه جارية، وكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، وجارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر. حتى ولد له قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرْع، وهابيل صاحب ضَرْع، وكان قابيل الأكبر، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل، وطلب هابيل أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه، وقال: هي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوجها، فأمره آدم أن يزوجه إياها، فأبى.
فقربا قرباناً، وكان آدم قد ذهب إلى مكة، فقالَ آدم للسّماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض، فأبت، وقال للجبال فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، ترجع فتجد أهلك كما يسرك.
فلما انطلق آدم، قربا قرباناً، قرب هابيل جَذعَة سمينة، وقرب قابيل حزمة سنبل، فنزلت فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فطلبه ليقتله، فذهب إلى رؤوس الجبال، فأتاه يوماً وهو نائم في الجبل، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء، لا يدري كيف يَدْفن، إلى أن بعث اللّه غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له ثم حثا عليه، فقال حينئذ: أعَجَزْتُ أنْ أكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَاب.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا موسى بن اسماعيل التبوذكي، حدثنا حماد بن سلمة، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان لآدم أربعة أولاد توءم ذكر وانثى من بطن وذكر وانثى من بطن، فكانت أختَ صاحب الحرث وضيئة، وكانت أخت صاحب الغنم قبيحة، فقال صاحب الحرث: أنا احق بها، وقال صاحب الغنم: ويحك أتريد أن تستأثر بوضاءتها علي، تعال حتى نقرب قرباناً، فإن تقبل قربانك كنت أحق بها، وإن تقبل قرباني كنت أَحق بها. قال: فقربا قربانيهما، فجاء صاحب الغنم بكبش أعن أقرن أبيض، وجاء صاحب الحرث بصبرة من طعامه، فقبل الكبش فجعله الله في الجنة أربعين خريفاً، وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم، فقال صاحب الحرث: لأقتلنك، فقتله، فولد آدم كلهم من ذلك الكافر.

قال موسى: وحدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: كان آدم يزوج ذكر هذا البطن بانثى هذا البطن، وانثى هذا البطن بذكر هذا البطن.

وقد ذكر ابن، اسحاق عن بعض أهل الكتاب: أن قابيل كان يفتخر على هابيل ويقول: أنا وأختي من ولادة الجنة، فامتنع من تزويجه فقتله بعد هذا.

وروى العوفي، عن ابن عباس: أنهما قربا قرباناً تطوعاً لأجل المرأة فلم يتقبل قربان قابيل، فغضب وقتل أخاه، وقال: لا ينظر الناس إليّ وإليك وأنت خير مني.

وقد روينا عن الحسن ان ابني آدم هذين من بني إسرائيل و لم يكونا من صلب آدم، وان أول من مات آدم.

وفي هذا بعد، فإنا قد ذكرنا أن حواء لم يكن لها ولد، فسمت ولدها عبد الحارث، ويقال ان أول من مات آدم. أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عبد اللّه بن مرة، عن مسروق، عن عبد اللّه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها"، لأنه كان أول من سن القتل.

أخرجاه في الصحيحين.

وذكر في التوراة: أن هابيل قتل وله عشرون سنة، وكان لقابيل يومئذ خمس وعشرون سنة.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا الأزهري، أخبرنا علي بن عمر الحافظ. حدثنا اسماعيل بن العباس الوراق، حدثنا أبو البختري عبد اللّه محمد بن شاكر، قال: حدثني أحمد بن محمد المخرمي، عن عبد العزيزبن الرياح، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: لما قتل ابن آدم أخاه، قال آدم عليه السلام:

تَغَيَّرَتِ البِلادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ الأَرْض مُغْبرٌّ قَبيحُ

تَغَيَّر كُلُّ ذِي طَعْم ولَوْنٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةُ الوجه الصبيح

قتل قابيل هابيلا أخاه ... فواحزناً مضى الوجه المليح

فأجابه إبليس لعنه الله:

تنحَ عن البلاد وساكنيها ... بنى في الخلد ضاق لك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء ... وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما انفكت مكايدتي ومكري ... إلى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبّار أضحى ... بكفِّك من جنان الخلد ريح

ومن الأحداث إن قابيل بعد أن قتل أخاه هرب إلى اليمن وشاع في أولاده الزنا وشرب الخمر والفساد، فأوصى آدم أن لا ينكح بنو شيث بني قابيل، فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حافظاً لا يقربه أحد من بني قابيل. وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث، فقال مائة من بني شيث صباح: لونظرنا ما فعل عمنا. يعنون بني قابيل، فهبطت المائة إلى نساء من بني قابيل فاحتبسوهن، ثم قال مائة أخرى: لونظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا فاحتبسهم النساء ثم هبط بنوشيث كلهم فجاءت المعصية، فكثر بنوقابيل حتى ملاؤا الأرض، والذين غرقوا أيام نوح.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا عبد الصمد بن علي بن المأمون، أخبرنا عبد الله بن محمد بن حنانه، حدثنا البغوي، حدثنا أبو نصر التمار، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان، عن ابن مسعود، وابن عباس قالا:

لما كثر بنوآدم دعت عليهم السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا أهلكهم، فأوحى اللّه تعالى إلى الملائكة: إني لو أنزلت الشيطان والشهوة فيكم مترلتهما من بني آدم لفعلتم كما يفعلون، فحدثوا أنفسهم بانهم إن ابتلوا سيعتصمون، فأوحى الله إليهم أن اختاروا من أفضلكم ملكين، فاختاروا هاروت وماروت فاهبطا إلى الأرض حكمين، وهبطت الزهرة في صورة امرأة. وأهل فارس يسمونه بيدخت، وكان الملائكة قبل ذلك يستغفرون للذين آمنوا، فلما وقعا في الخطيئة استغفروا لمن في الأرض.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن آبي بكير، حدثنا زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن ابن عمر، أنه سمع النبيِ صلى الله عليه وسلم يقول: "إن آدم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها، نحن أطوع لك من بني آدم، فقال تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض، ننظر كيف يعملان، قالوا: هاروت وماروت. وأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن النساء، فجاءهما فسألاها نفسها، فقالت: لا واللّه حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك، فقالا: والله لا نشرك باللّه شيئاً، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي، فقالا: لا والله لا نقتله أبداً، ثم رجعت بقدح خمر أتحمله،، فسألاها نفسها، فقالت: لا واللّه حتى تشربا هذه الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبيتما علي إلا قد فعلتما حين سكرتما، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا وقيل ان ذلك بعد رفع إدريس.

ومن الأحداث نزول الموت بآدم عليه السلام

قد روينا أن ملك الموت جاء ليقبض آدم وقد مضى من عمره ألف سنة سوى أربعين وهبها لابنه داود، فقال: قد بقي لي أربعون سنة، فقيل له: إنك وهبتها لداود، قال: ما فعلت. وأن اللّه تعالى أتم له ألف سنة.

وقال محمد بن إسحاق: لما حضرت آدم الوفاة دعا ابنه شيثاً فعهد إليه عهده وعلّمه ساعات الليل والنهار وعلّمه عبادة الحق في كل ساعة منهن وكتب وصيته. وكان شيث وصي آدم.

قال أبو جعفر الطبري: ان آدم مرض أحد عشر يوماً، ودفع إلى شيث كتاب وصيته، وأمره أن يخفيه من قابيل، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم، و لم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، قال: رأيت شيخاً بالمدينة يتكلم فسألت عنه، فقالوا هذا أبي بن كعب، فقال: ان آدم عليه السلام لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له منها فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوط، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم: يا بني آدم ما تريدون. قالوا: أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة، قالوا لهم: ارجعوا قد قَضى أبوكم. فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال: إليك عني إنما أتيت من قبلك، خلي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى، فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له وألحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر ثم حثوا عليه، ثم قالوا: يا بني آدم هذه سنتكم.

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد، أخبرنا محمد بن عبد الملك، حدثنا الدارقطني، حدثنا البغوي، حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا أبو عبيده الحداد، عن عثمان بن سعد، عن الحسن عن أبي بن، كعب، أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: "إن الملائكة صلت على آدم وكبرت عليه أربعاً، وقالوا: هذه سنتكم يا بني آدم".

قال الدارقطني: وحدثنا محمد بن مخلد، حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان العلاف، حدثنا صباح بن مروان، حدثنا عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صلى جبريل على آدم، كبر عليه أربعاً وصلى جبريل بالملائكة يومئذ، ودفن في مسجد الخيف واحد من قبل القبلة ولحد له وكتم قبره.

وقال عروة بن الزبير: أتاه جبريل بثياب من الجنة وحنوط من حنوطها، فكفنه وحنطه وحملته الملائكة حتى وضعته بباب الكعبة وصلى عليه جبريل ثم حملته الملائكة حتى دفنته في مسجد الخيف.

وقال ابن اسحاق: قبر عند منى أول قرية كانت في الأرض، قال: وبلغني أنه مات بمكة، وقال قوم: قبرفي غارأبي قبيس.

وروى أبو صالح، عن ابن عباس، قال: مات آدم على نود، الجبل الذي أهبط عليه، فقال شيث لجبريل: صلّ على آدم، فقال: تقدم أنت وكبر عليه ثلاثين تكبيرة. ولما ركب نوح حمل معه آدم فلما خرجِ من السفينة دفن آدم ببيت المقدس، و لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاَ، ورأى فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد. وقد ذكرنا أنه توفي يوم الجمعة.

باب

ذكر خلافة شيث أباه آدم عليه السلام قد ذكرأن شيث بن آدم كان وصي أبيه.
وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنه كان نبياً وإلى شيث أنساب بني آدم كلهم اليوم، وذلك أن نسل سائر بني آدم غير نسل شيث انقرضوا. و لم يزل شيث مقيماً بمكة يحج ويعتمر، وجمع ما أنزل عليه من الصحف إلى صحف أبيه، آدم فعمل بها.

ذكر الأحداث التي جرت في ولاية شيث

من ذلك موت أمه حواء، فإنهم ذكروا أنها عاشت بعد آدم سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم، وأنهما لم يزالا هنالك حتى استخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة، فلم ذهب الطوفان ردهما إلى أماكنهما.
ومن ذلك أن شيث بن آدم بنى الكعبة بالحجارة والطين. وقد زعم قوم أنه لم تزل القبة التي جعلت لآدم في مكان البيت إلى أيام الطوفان.

ومن الأحداث التي كان ابتداؤها في زمن آدم
وامتدت بعده

أن قابيل لما قتل أخاه هرب إلى اليمن، فأتاه ابليس، فقال: إنما قبل قربان أخيك لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك. فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها.
وجاء من أولاده جبابرة وفراعنة، ثم انقرض ولده، وكذلك أولاد آدم انقطع نسلهم إلا ما كان من شيث. وقيل: إن بعض أولاد قايل اتخذ آلات اللهو من المزامير والطبوال والعيدان والطنابير والمعازف، فانهمك ولد قابيل في اللهو، فذهب إليهم قوم من أولاد شيث، ثم نزل آخرون، وفشت الفواحش وشرب الخمر.

فأما ما يتعلق بشيث

فإنه كان قد ولد له أنوش في زمن أبيه آدم، وأوصى شيث إلى أنوش بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير الرعايا على منهاج أبيه من غيرتغير ولا تبديل وهوأول من غرس النخل وزرع الحبّ ونطق بالحكمة وعاش تسعمائة وخمس سنين.
وولد لأنُوش قَيْنَان في زمن آدم أيضاً، وأوصى أنوش إلى قَيْنَان.
وولد لقينان مَهلائيل في زمن آدم أيضاً. فوصى قَيْنَان إليه، وكان مَهْلاَئيل على منهاج أبيه.
وولد لَمَهْلاَئِيل يَرْدِإه، فأوصى إليه، وقيل إن يَرْد ولد في زمان آدم أيضاً. وولد ليَرْد خَنُوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام.
وهذه الأسماء لا يكاد الرواة يتوافقون عليها، فإني رأيت أبا الحسن بن المنادي، قد ضبط بخطه لمك بتسكين الميم، وحنوح بالحاء غيرمعجمة.
وقد ذكر قوم أن اوشْهَنْج هو ابن آدم لصلبه، وأنه أول ملك ملك الأرض، وقوم يزعمون أنه من ولد نوح، فقال قوم: أوشْهَنْج، وهو مَهْلاَئِيل بن قَيْنَان، وأن أوشهَنج كان في زمان آدم رجلاً وأنه خلف جده خيومرث، وملك الأقاليم السبعة، وكان فضلاً

محموداً وهو أول من استنبط الحديد في ملكه، فاتخذ منه الأدوات للصناعات واستخرج المعادن، ورتب الممالك، وحضَّ الناس على الزراعة، واتخذ الملابس من جلود السباع، وأمر بذبح البهائم والأكل من لحومها، ووضع الحدود فيَ الأحكام، وكان ملكه أربعين سنة، وأنه بنى مدينة الريّ، وأنها أول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التي كان يسكنها بدنبا وتَدمن طبرستان، وبنى مدينة بابل والسوس. بعد في البلاد، وجلس على السرير، وأنه نزل الهند وعقد على رأسه تاجاً ونفى أهل الفساد والذعار من البلدان إلى البراري وجزائر البحار، وألجأهم إلى رؤوس الجبال، وقرب أهل الصلاح وانتهى ملكه إلى طهمورث، وهومن ولده إلا أن بينهما عدة آباء.

فصل. فأما يَرْد أبو إدريس، فإنه عاش تسعمائة سنة.

وروى أبو صالح، عن ابن عباس، قال: في زمان يَرْد عُبدت الأصنام.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن المسلمة، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري، حدثنا أبو علي الحسن بن عليل العنبري، حدثنا أبو الحسن علي بن الصباح بن الفرات، أخبرنا هشام بن السائب الكلبي، قال: أخبرني أبي، قال: أول ما عبدت الأصنام ان آدم عليه السلام لما مات جعله بنوشيث في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه بأرض الهند، ويقال للجبل نود.

وقال هشام: وأخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: فكان بنوشيث يأتون جنب آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل: إن لبني شيث دواراَ يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها.

وأخبرني أبي قال: كان ودّ، وسواع، وبغوث، ويعوق، ونمر، قوماً صالحين، فماتوا في شهر فجزع عليهم أهاليهم وأقاربهم، فقال رجل من بني قابيل: يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً، قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم، وكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه ليعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول، وعملت على عهد يرد بن مهلائيلَ، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول، ثم جاء من بعدهم القرن الثالث، فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فعبدوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم، فبعث اللّه إليهم إدريس، فدعاهم، و لم يزل أمرهم يشتد حتى بعث نوحاً وجاء الطوفان، فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة.

والصحيح ان هذه الأصنام الخمسة عملتَ بعد نوح على ما سنذكره، فيجوز أن يكونوا عملوها اتباعاً لفعل قدمائهم.

باب ذكر إدريس عليه السلام

واسمه خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم.

قال الزبير بن بكار: وهو إدريس بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن الطاهر بن هبه، وهو شيث بن آدم، وإنما قيل له إدريس لأنه أول من درس الوحي المكتوب.

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب،

أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: إن أول نبي بعد آدم إدريس عليه السلام، وهو حنوخ بن يرذ، وكان يصعد له في اليوم من العمل ما لا يصعد لبني آدم في السنة، فحسده إبليس وعصاه قومه، فرفعه الله مكاناً علياً وأدخله الجنة. قلت: كذا في هذه الرواية لاحنوخ بالحاء المهملة ثم بالخاء المعجمة، ويرذ بالذال المعجمة. ورويت الكلمة الأولى بخاءين معجمتين، ويرد بدال مهملة.

وزعم ابن اسحاق أن إدريس أول نبي أعطي النبوة. وقد روى أبو ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "أربع من الرسل سريانيون: آدم، وشيث، وأحنوح وهو إدريس، ونوح".

وقال علماء السير: نبأ الله تعالى إدريس في حياة آدم، وقد مضى من عمر آدم ستمائة واثنتان وعشرون سنة، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة فدعا قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة اللّه ومخالفة الشيطان، وأن لا يلامسوا أولاد قابيل، فخالفوا، فجاهدهم وسبى منهم واسترق.

وهو أول نبي خط بالقلم وقطع الثياب وخاطها، ورفع إدريس وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين سنة، وأبوه حي، فعاش أبوه بعد ارتفاعه مائة وخمساً وثلانين سنة.

قال زيد بن أسلم: كان يصعد لإدريس من العمل مثل ما يصعد لجميع بنِي آدم، فجاءه ملك فاستأذن اللّه في جلسة، فأذن له فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يسجد، فلما عرفه، قال: إني أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموت فلعلي أعلم ما شدته فأكون له أشد استعداداً، ؤأوحى اللّه إليه أن أقبض روحه ساعة ثم أرسله، فافعل، ثم قال: كيف رأيت. قال: أشد ما بلغني عنه، وإني أحب أن تريني النار، قال: فحمله وأراه إياها، قال: إني أحب أن تريني الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: واللّه لا أخرج حتى يكون اللّه تعالى يخرجني، فبعث اللّه ملكاً يحكم بينهما، فقال. ما تقول يا ملك الموت فقص عليه ما جرى، فقال: ما تقول يا إدريس، قال: إن اللّه تعالى قال: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَة الْمَوْتِ" وقد ذقته، وقال: "وَإِن مِنْكُمْ إِلاَّ وَاردهَا" وقد وردها. وقال لأهل الجنة "وَمَا هُم مِنْها بمخرَجِينَ" فو الله لا أخرج حتى يكون اللّه يخرجني، فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذني دخل وبأمرِي فعل، فخل سبيله.

فإن قيل: أين هذه الآيات لأدريس؟ فالجواب: إن الله أعلم بوجوب الورود، وامتناع الخروج من الجنة وغير ذلك فقاله.

ذكر الأحداث التى كانت في زمن إدريس عليه السلام

منها أنه ملك الدنيا كلها في عهد إدريس بِيوَراسب، ويقال: بوراسب، وهو الضحاك بن الأهنوب، وهو صديق إبليس، قبل إدريس ظهره، وظهرت في منكبه حيتان، وكان دينه فى دين البراهمة، فبقي ملكاً للأقاليم جميعاً ألف سنة إلا نصف يوم.

ذكر الأحداث بعد إدريس

استخلف إدريس ولده مَتُوشَلَخ على أمر اللّه، وأوصاه قبل أن يرفع، وكان أول من ركب البحر، وملك بطريق الطاعة لله سبحانه. ثم ولد لمتوشلخ لمك في حياة آدم، ثم ولد للَمَك نوح عليه السلام. وقيل: كان لَمتوُشَلَخ ولد يقال له: صابىء، وبه سمي الصابئون.

روى عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" قال: كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بَطْنين من ولد آدم، كان أحدهما يسكن السهل، والآخريسكن الجبال، وكان رجال الجبال صِباحاً وفي المساء دمامة، وكان نساء السهل صِباحاً وفي الرجال دمامة، وأتى إبليس رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فآجر نفسه منه، وكان إبليس يخدمه فأخذ ابليس مثل هذا الذي يزمُر فيه الرِّعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمعِ الناس مثله، فبلغ ذلك مَنْ حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، أواتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج النساء للرجال.

قال: ويتزل الرجال لهن. وإن ررجلاً من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصبَاحتهنَ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك،، ثم تحولوا إليهن، فتزلوا معهن، فظهرت الفاحشة فيهن، فهو قوله تعالى: "وَلاَ تَبرَّجْنَ تَبَرَّجَ الجاهِلِيةِ الأولَى".

وقد كانت أحداث كثيرة وقرون بين آدم ونوح لا يعلم أكثرها.

وروى أبو أمامة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم كان بين آدم ونوح. قال: "عشرة قرون".

قال الشيخ الإمام أبو الفرج: وقد اختلف في ترتيب هذه القرون والأحداث الكائنة فيها فمن ذلك: أن قوماً قالوا: ملك طَهْمُرث، ويقال: طهمورب، بالباء، كذلك ضبط أبو الحسين ابن المنادي. ويقال: طهومرت، وهو من ولد أوشنج، وبينهما عدة آباء، فسلك طريق جده، وملك الأقاليم كلها، وبنى الموضع الذي جدده بعد ذلك شابور ملك فارس، ونزله، ونفى الأشرار، وهو أول من كتب بالفارسية، واتخذ الخيل والبغال والحمير، والكلاب لحفظ المواشي، واستمرت أحواله على الصلاح.

ثم ملك أخوه جم الشيذ، وتفسيره سد الشعاع، سمي بذلك لأنه كان جميلاً، وضيئاً فملك الأقاليم، وسلك السيرة الجميلة وزاد في الملك بأن ابتدع عمل السيوف والسلاح دلّ على صنعة الإبريْسم والقز وغيره ومما يُغزَل. وأمر بنسج الثياب وصبغها، و نحت السروج والأكُف، وتذليل الدواب بها.

وصنف الناس أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة كتّاباً، وطبقة صنَّاعاً وحراثين، وطبقة خدماً.

وعمل أربعة خواتم: خاتماً للحرث والشرط، وكتب عليه الأناة، وخاتماً للخراجِ وجباية الأموال، وكتب عليه العمارة. وخاتماً للبريد، وكتب عليه الرخاء. وخاتماَ للمظالم، وكتب عليه العدل، فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس إلى أن جاء الإسلام. وألزم من غلبه من أهل الفساد بالأعمال الصعبة من قطع الصخور من الجبال، وعمل الرخام والجص والبناء والكَلْس والحمامات.

وأخرج من البحار والجبال والمعادن والفلوات كل ما ينتفع به الناس من الذهب والفضة وما يذاب من الجواهر وأنواع الطيب والأدوية، وأحدث النوروز فجعله عيداً.

ثم إنه بطر وجمع الخلق فأخبرهم أنه مالكهم والدافع عنهم بقوته الهرم والسقم والموت، وجحد إحسان اللّه إليه، وأدعى الربوبية. فأحس بذلك الملك بيورَاسب الذي يسمى الضحاك، وهو من ولد جيومرث، ويزعم قوم ان جم الشيذ زوج أخته بعض آشراف أهل بيت، فولدت له الحكم فانتدب إلى جم بنفسه، فهرب منه، ثم ظفربه الضحاك فامتلخ أمعاءه ونشره بمنشار. وقد روينا عن وهب بن منبه قصة تشبه أن تكون قصة جم لولا أن فيها ذكر بخت نصر، وبين جم وبخت نصر بون بعيد، إلا أن يكون الضحاك سمي بذلك الزمان بخت نصر.

فأخبرنا عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، أخبرنا علي بن محمد بن اسحاق اليزدي، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الرازي، أخبرنا جعفر

بن عبد الله الروياني، حدثنا أبو بكر محمد بن هارون، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا خلف، حدثنا إسماعيل، حدثنا عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهباً يقول: إن رجلاً ملك وهو شاب، فقال: إني لأجد للمُلْك لذة، ولا أدري أكذلك يجد الناس الملك أم أنا أجده من بينهم؟ فقيل: بل الملك كذلك، فقال: ما الذي يقيمه لي؟ فقيل له: يقيمه أن تطيع اللّه ولا تعصيه، فدعا ناساً من خيارمن كان في ملكه، فقال لهم: كونوا بحضرتي وفي مجلسي، فما رأيتم أنه طاعة الله فمروني أن أعمل به، وما رأيتم أنه معصية اللّه فازجروني عنه أنزجر، ففعل ذلك هو وهم، فاستقام ملكه أربعمائة سنة مطيعاً للّه.

ثم إن إبليس انتبه لذلك، فقال: تركت رجلاً يعبد اللّه ملكاً أربعمائة سنة،، فجاء فدخل عليه وتمثل له برجل، ففزع منه الملك فقال: من أنت. فقال ابليس: لا تُرَعْ، ولكن أخبرني من أنت؟ فقال الملك: أنا رجل من بني آدم، فقال له إبليس: لوكنت من بني آدم لقد مت كما يموت بنو آدم؟ ألم تَرَ كَمْ قد مات من الناس وذهب أمن، القرون، ولكنك إله، فادعُ الناس إلى عبادتك.

فدخل ذلك في قلبه، ثم صعد المنبر، فخطب الناس، فقال: يا أيها الناس إني قد كنت، أخفيت عليكم أمراً بان لي إظهاره لكم، أتعلمون أني ملكتكم أربعمائة سنة، فلو كنت من بني آدم لقد مت كما ماتوا، ولكني إله فاعبدوني فأرعش مكانه، فأوحى اللّه تعالى إلى بعض من كان معه، فقال: أخبره، أني قد، استقمت له، ما استقام لي، فارعوى من طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي، فبعزتي حلفتُ لأسلِّطَنَّ عليه بخت نصر فليضربن عنقه، وليأخذن ما في خزانته، وكان في ذلك الزمان لا يسخط اللّه على أحد إلا سلط عليه بخت نصر فضرب عنقه وأوقر من خزانته سبعين سفينة ذهباً.

باب ذكر نوح عليه السلام

وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس. وقال الزبير بن بكار: نوح بن ملكان بن مثوب بن إدريس، وكان بين آدم ونوح ألف سنة، وولد نوح عليه السلام بعد وفاة آدم بثمانمائة وست وعشرين سنة، فلما بلغ قال له أبوه: قد علمت انه لم يبق في هذا الموضع غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة، فما زال على حاله حتى بعثه اللّه تعالى بعد أن تكامل له خمسون سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسون، وقيل: كان ابن أربعمائة وثمانين سنة، فبعث وليس في الزمان من يأمر بالمعروف، وكانوا يعبدون الأوثان، فدعاهم وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه. أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا الجوهري، أخبرنا أبوعمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كان للمك يوم ولد نوحاً اثنتان وثمانون سنة و لم يكن أحد في ذلك الزمان ينهى عن منكر، فبعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة، ودعاهم مائة وعشرون سنة، وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة.

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، أخبرنا يحيى بن عبد الوهاب بن منده، أخبرنا أبو طاهر بن عبد الرحيم، أخبرنا أبو محمد بن حبان، حدثنا محمد بن أحمد بن معدان، حدثنا أبو عمير، حدثنا أبو ضمرة، عن سعيد بن حسن، قال: كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين، وكانت المرأة تلد أول النهار فيتبعها ولدها في آخره.

قال علماء السير: فرض الله على نوح الصلاة والحلال والحرام، وأمره الله عز وجل بصنعه السفينة، فغرس شجرة فعظمت ثم قطعها، وجعل يعمل سفينة فيمرون عليه فيسخرون منه.

قال سلمان الفارسي: أنبت الساج أربعين سنة، وعملها في أربعمائة سنة.

قال قتادة: ذكر لنا أن طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون، وارتفاعها في السماء ثلاثون.

وقيل: طولها ألف ذراع، وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنَب الفيل فغمزه فوقع منه خترير وخترِيرة، فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بخرز السفينة يقرضه أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر.

وروى يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، قال: أول ما حمل في الفلك من الدواب الذرة، وآخر ما حمل الحمار. قال ابن عباس: كانوا ثمانين رجلاً منهم سام، وحام، ويافث. وكنائنه نساء بنيه هؤلاء، وثلاثة وسبعون من ولد شيث. وقال قتادة: كانوا ثمانية: نوح وامرأته، وبنوه الثلاثة ونساؤهم. وقال الأعمش: كانوا سبعة، و لم يذكر امرأة نوح. وقال ابن اسحاق: كانوا عشرة.

قال ابن جريج: حدثت أن حاماً أصاب امرأته في السفينة فدعا عليه نوح فتغير نطفته فجاء بالسودان.

وقال الحسن: كان التنور الذي فار منه الماء حجارة. واختلفوا أين فار التنور؟ فروى عكرمة عن ابن عباس انه فار بالهند. وقال الشعبي ومجاهد بالكوفة. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، حدثنا أبو الحسين بن علي الطناجيري، أخبرنا عمرو بن أحمد بن شاهين، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن أبيه، عن أنس، قال: لما ركب نوح السفينة جاء إبليس فتعلق بالسفينة وقال: من أنت؟ قال: إبليس، قال: ما جاء بك؟ قال: جئت لتسأل لي ربك، هل لي من توبة؟ قال: فأوحى الله إليه أن توبته أن يأتي قبرآ فيسجد له، فقال: أنا لم أسجد له حيًّا وأسجد له ميتاً، فذلك قوله تعالى: "أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ".

قال علماء السير: فلما استقرنوح بمن معه فتحت أبواب السماء بماء منهمر، فغطى السفينة وكان بين أن أرسل الله الماء، وبين أن احتمل السفينة أربعون يوماً، ثم ارتفع الماء فوق الجبال فهلك كل ما على وجه الأرض من في روح وشجر، فلم يبق سوى نوح ومن معه.

ويزعم أهل الكتاب أنه بقي عوج بن عناق أيضاً.

روى أبو صالح، عن ابن عباس، قال: أرسل اللّه المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة، فأقبلت الوحش والدواب كلها إلى نوح، وسخرت له، فحمل له منها من كل زوجين اثنين، وحمل جسد آدم، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال، فركبوا فيها، لعشر ليال مضيْن من رجب، وخرجو منها يوم عاشوراء، فسارت بهم السفينة وطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر، حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت بالحرم اسبوعاً، ورفع البيت الذىِ بناه آدم، رفع من الغرق وهو البيت المعمور والحجر، الأسود على أبي قبيس، ثم انتهت بهم إلى الجودي، وهو جبل في أرض الموصل، فاستقرت عليه، و"قيل يا أرض ابلغي ماءك ويا سماء أقلعي".

فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي ترون في الأرض، فآخر ما بقي من الطوفان في الأرض ماء، بحِسْمَى بقي في الأرض أربعين سنة بعد الطوفان ثم ذهب.

قال العلماء: أرسل الله الطوفان لمضي ستمائة سنة من عمر نوح، ولتتمة ألفي سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من لَدُن هبوط آدم، وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب، وأقام نوح في السفينة إلى أن غاض الماء، فلما خرج اتخذ بناحية بقردى من أرض الجزيرة موضعاً، وابتنى هناك قرية سموها ثمانين، لأنه كان فيها لكل انسان معه بيت، فهي إلى اليوم تسمى سوق ثمانين.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري، أخبرنا، عمر بن أحمد بن شاهين، حدثنا موسى بن عبد الله بن يحيى، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، حدثني محمد بن الهيثم بن عدي، حدثني أبو يعقوب بن سابق، حدثنا هشيم، عن الكلبي، عن ابن صالح، عن ابن عباس، قال: كان مجتمع الناس حيث خرجوا من السفينة ببابل، فنزلوا سوق ثمانين بالجزيرة، فابتنى كل واحد منهم بيتاً، وكانوا ثمانين رجلاً فسمي سوق ثمانين، ثم ضاقت بهم حتى خرجوا فنزلوا موضع بابل، وكان طول بابل اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً، وكان سورها عند النيل وبابهاعند دَاوَرْدان، فمكثوا بها حتى كثروا، وملكهم يومئذ نمرود بن كنعان بن حام بن نوح، فلما كفروا بلبل الله ألسنتهم ففرقوا على اثنين وسبعين لساناً، وفهم الله العربية عمليق، وأمَيم، وطسم بن لوط بن سام، وعاد وعبيل ابني عوص بن إرم بن سام، وثمود، وجديس بن جاثم بن إرم بن سام، وقنطود بن عابر بن شالخ بن أرفخسد بن سام.

فخرجت عاد وعبيل، فنزلت عاد الشَحْر، ونزلت عبيل يثرب، ونزلت عماليق صنعاء وما حولها، ونزلت أميم أبار ومضى بعضهم مع عاد، ومضت طسم وجديس فنزلوا اليمامة، ونزلت ثمود الحجر وما والاها. فهلكتَ عاد والعماليق بصنعاء، وتحولت العماليق فنزلت مكة ثم مضى بعضهم إلى يثرب، ويثرب اسم رجل منهم.

قال ابن شاهين: وحدثني أبي، حدثنا محمد بن علي، حدثنا القعنبي، حدثنا أبو ضمرة، عن مالك بن أنس، قال: كان الرجل في زمان نوح ينتسب إلى خمسة عشر أباً كلهم حي.

قال العلماء: عاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة على خلاف في عدد السنين، وكان جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً، ويقال أكثر، وإنما ذلك مقدار لبثه في الإنذار والله أعلم.

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: ولد نوح ساماً وفي ولده بياض وآدمة، وحاماً وفي ولده سواد وبياض قليل، ويافث وفيهم الشقرة والحمرة، وكنعان وهو الذي غرق، والعرب تسميه ياماً. قال ابن عباس في قوله تعالى: "وجعلنا ذريته هم الباقين"، قال: لم يبق إلا ذرية نوح.

وقال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح.

ذكر خبر الملك المسمى بالضحاك

وهو بيوراسب. لما قهر جماً الملك ملك مكانه، وسار في الناس بجور شديد. وذكر بعض المؤرخين أن نوحاً بعث في زمان هذا الرجل إليه وإلى أهل مملكته ممن تمرد وعصى، وأنهم هلكوا بمخالفته، فلذلك ذكرنا خبره ها هنا.

كان الضحاك عظيم المملكة. ويقال: ان جماً الملك زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته، وملكه على اليمن، فولدت له الضحاك. واليمن تدعيه وتزعم أنه من أنفسها، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج، وأنه ملك على مصر أخاه سنان بن علوان، وهو أول الفراعنة، وأنه ملك مصر حين قدمها الخليل.

والفرس تنسب الضحاك غير هذا النسب، فترفع نسبه إلى جيومرث، وقيل: كان كثير الإقامة ببابل. وعامة المؤرخين ذكروا أنه ملك الأقاليم السبعة كلها، وأنه كان ساحراً فاجراً.

قال هشام بن محمد: ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون ألف سنة، وسار بالجور والقتل، وكان أول من سن الصلب والقطع، وأول من وضع العُشور وضرب الدراهم، وأول من تَغنَّى وغُنِّيَ له.
ويقال انه خرج في منكبه سِلْعتان كانتا تضربان عليه حتى يطليهما بدماغ إنسان، وكان يقتل لذلك في كل يوم رجلين، ويَطْلي سِلْعتيه بدماغيهما، فإذا فعل ذلك سكن مايجد.
قال الشيخ الإمام أبو الفرج: وهذا الضحاك هو الذي غناه حبيب بن أوس بقوله:

بَلْ كَانَ كَالضَحَّاكِ في سَطَوَاتِهِ ... بالعالمين وَأَنْتَ أفريدون

وأفريدون من نسل جم الملك الذي كان من قبل الضحاك، ثم قدم إلى مترل الضحاك فاحتوى عليه وأوثق الضحاك، وسمي ذلك اليوم مهرجاناً، وعلا أفريدون سرير الملك. وكان عرض صدر الملك أفريدون أربعة أرماح. والفرس تزعم أن الملك لم يكن إلا للبطن الذي منه أوشهنج وجم وطَهمُورث، وأن الضحاك كان غاصباً، غصب أهل الأرض بسحره أوخبثه. وكان على منكبيه ناتئتان، كل واحدة كرأس الثعبان، فكان يسترهما ويزعم أهما حيتان يقتضيانه الطعام، وكانتا تتحركان إذا جاع، وزعم أنه نبي.
وقيل: ما زال الناس معه في جهد حتى وثب رجل اسمه كابي من أهل أصبهان كان قد قتل له ابنين، فجمع الناس لقتاله، فهرب الضحاك وولى مكانه أفريدون فاحتوى على ملك الضحاك. وملك أفريدون خمسمائة سنة، وكان عمر الضحاك ألف سنة، وملكه ستمائة سنة، وقد زعم بعض نسابي الفرس أن أفريدون هو نوح الذي قهر الضحاك وغلبه وسلبه ملكه.
وقال قوم: أفريدون هو ذو القرنين. وقال بعضهم: هو سليمان بن داود، وقال الفرس: أفريدون من ولد جم الملك، وهو التاسع من ولده. وكان أفريدون قد أمر بالعدل ورد المظالم، وهو أول من نظر في النجوم والطب، وأول من ذلل الفيلة وامتطاها وقاتل بها الأعداء، واتخذ الأوز والحمام. وكان شديد القوة حسن الصورة، وعالج الدرياق، وهوأول من سمي بكَيْ، وكان يقال له "كَيْ أفريدون " وهي كلمة معناها التتريه، أي: هو متره متصل بالروحانية. وأنه ملك الأرض فقسمها بين أولاد له ثلاثة، فوثب اثنان منهم على الثالث فقتلاه واقتسما الأرض فملكاها ثلاثمائة سنة. ثم بغى منهم طوج بن أفريدون، ثم نشأ له أفراسياب بن ترك الذي تنسب إليه الترك من ولد طوج.
ويقال: الضحاك هو نمرود الخليل وأن الخليل ولد في زمانه، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه. واللّه أعلم.

ذكر أولاد نوح عليه السلام

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عبد الوهاب، عن شعبة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، أن نبي اللّه صلى الله عليه وسلم قال: "لاسام أبو الترك، وحام أبو الحبشْ، ويافث أبو الروم".
وقال سعيد بن المسيب: ولد نوح ثلاثة أولاد: سام، وحام، ويافث. فولد سام العرب وفارس والروم، وولد حام السودان والبربر والقبط، وولد يافث الترك والصقالبة، و يأجوج ومأجوج.
وقال وهب بن منبه: سام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السود، ويافث أبو الترك وأبو يأجوج ومأجوج وهم بنوعم الترك.

ويزعم أهل التوراة أن نوحاً نام فانكشفت عورته ورآها حام فلم يغطها، ورآها سامٍ ويافث وألقيا عليها ثوباً، فلما انتبه علم بالحال، فدعا على أولاد حام أن يكونوا عبيداً لإخوته.

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: لما ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحولوا إلى بابل، فبنوها وهي بين الفرات والصراة، وكانت اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً، وكثروا بها حتى صاروا مائة ألف.

ذكر أولاد سام من أولاد سام: فارس وطسم وعمليق وهو أبو العماليق كلهم وإرم وأرفخشد، وأولاد أرفخشد الأنبياء والرسل وخيار الناس، والعرب كلها والفراعنة– ومن أولاد إرم: عابر وعوص، ومن ولد عابر ثمود وجديس، وكانوا عرباً، وولد عوص عاد.

وكانت طسم والعماليق وهاشم يتكلمون بالعربية، وفارس يتكلمون باللسان الفارسي وكانت العرب تقول لهذه الأمم العرب العاربة، لأنه لسانهم الذي جبلوا عليه، وتقول لبني إسماعيل العرب المتعربة؟ لأنهم كانوا يتكلمون بلسان هذه الأمم حتى سكنوا بين أظهرهم.

وولد لعابر فالغ، ومعناه بالعربية قاسم، وإنما سمي بذلك لأنه قسم الأرض بين بني نوح. وولد لعابر أيضاً أرغوا، وولد لأرغوا ساروغ، وولد لساروغ ناخور، وولد لناخور تارخ أبو ابراهيم الخليل.

وولد لعابر أيضاً قحطان، وقحطان أول من ملك اليمن وأول من سُلِّم عليه "أبيت اللعن".

وولد لقحطان يعرب، وولد ليعرب شجب سبأ، وسبأ هو الذي ينسب القبيلة الذين قال لهم سبأ إليه. أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا علي بن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة،عن عبد اللّه بن مسرة الشيباني، عن عبد الرحمن بن وعلة، قال: سمعت ابن عباس يقول: ان رجلاً سأل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض. قال: "بل هورجل ولد، عشرة فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعرون وأنمار وحمير. وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان".

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيويه، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا الحسن بن الحكم النخعي، أخبرنا أبو سبرة النخعي، عن فروة بن مسيك المرادي، قال: أتيت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول اللّه، ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم، قال: "بلى"، قال: ثم بدا لي فقلت: يا رسوك اللّه، لا بل أهل سبأ هم أعز وأشد قوة، فأذن لي في قتال سبأ، فلما خرجت من عنده أنزل اللّه في سبأ ما أنزال، فأرسل رسول اللّه إلى مترلي فوجدني قد سرت، فردّني، فلما أتيته وجدته قاعداً وحوله أصحابه، فقال: "ادع القوم فمن أجابك منهم فاقبل ومن أبى ولا تعجل عليه حتى تحدث إلِي، فقال رجل من قوم: يا رسول الله، وما سبأ أرض أو امرأة. قال: "ليست بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فأما ستة فتيامنوا، أما أربعة فتشاموا. فأما الذين تشاموا: فلخم، وجذام، ومحسمان، وعاملة".

وأما الذين تيامنوا: فالأزد، وكندة، وحمير، والأشعرون، وأنهار، ومذحج " فقال رجل: يا رسول اللّه، وما أنمار؟ قال: "هم الذين منهم خثعم وبجيلة، والفرس، والنبط من أولاد سام أيضاً".

ذكر أولاد يافث من أولاده يونان، وولد ليونان نبطي ومن أولاده الروم. ومن أولاد يافث ملوك العجم كلها من الترك والخزر

والفرس.

ذكر أولاد حام منهم كوش، وولد لكوش نمرود المتجبر، وهو أول ملك ملك بعد الطوفان بثلاثمائة عام. وعلى عهده قسمت الأرض وتفرق الناس والألسن. ونمرود الأخير من أولاد نمرود، هذا هوالذي ولد في زمن إبراهيم الخليل.

ومن أولاد حام تيرش، ومن أولاده الترك والخزر. ومنهم موعج، ومن أولاده يأجوج ومأجوج. و منهم نوار ومن أولاده الصقالبة والنوبة والحبشة وأهل السواحل والهند والسند.

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السلام

فمن الأحداث اقتسام أولاد نوح الأرض وقد ذكرنا أن يالغ بن عامر قسم الأرض، فترل بنو سام سرّة الأرض، وهو ما بين ساتيدما إلى البحر، وما بين اليمن إلى الشام، وجعل الله سبحانه فيهم النبوة والكتاب والجمال والآدمة والبياض، ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدّبور، وجعل الله فيهم أدمة وبياضاً قليلاً ورفع عنهم الطاعون. ونزل بنو يافث مجرى الشمال والصبا، وفيهم الحمرة والشقرة، وأخلي الله أرضهم فاشتد بردها، وأخلى سماءهم، فليس يجري فوقهم شيء من النجوم السبعة الجارية، لأنهم صاروا تحتَ بنات نعش والجدْي والفرقدين، وابتلوا بالطاعون. ثم لحقت عاد بالشَحْر، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث.

ولحقت عبل، وهوعبل بن عوص بن آدم صنعاء قبل أن تسمى صنعاء، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها عبل فترلوا موضع الجحفة، فأقبل سيل فاحتجفهم، فذهب بهم فسميت الجحفة. ولحقت ثمود بالحجر، ولحقت طسم وجديس باليمامة، ولحقت بنو يقطن بن عامر باليمن فسميت اليمن حيث تيامنوا إليها. ولحق قوم من بني كنعان بالشام فسميت الشام حيث تشاموا، وكانت الشام يقال لها أرض كنعان.

وكانت العماليق في بلدان شتى، وكان منهم بالمشرق إلى عمان، وبالبحرين طائفة، وكان بالشام ومصر ومكة والمدينة والحجاز ونجد منهم طائفة. والطائفة التي كانت منهم بالشام يقال لهم لا الكنعانيون وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، وهم الجبابرة المعروفون. والطائفة التي كانت بمصر يقال لهم الفراعنة، ومنهم فرعون يوسف، وكان اسمه الريّان بن الوليد، وفرعون موسى وكان اسمه وائل بن مصعب.

وكان بمكة أيضاً طائفة منهم، وكان سيدهم بكر بن معاوية، وهو الذي نزل عليه وفد عاد حين ذهبوا يستسقون لعاد، وكان معاوية هذا نازلاً بظاهر مكة خارجاً من الحرم، وكان يتخذ منهم ناس يقال لهم: بديل وراجل. فكان بالمدينة منهم بنوحف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الأرزن، وكان ملك الحجاز منهم الملك الذي يدعى الأرقم، وكان مترله تيماء، وكانت منازلهم المدينة إلى تيماء وإلى فدك.

ومن الأحداث التي كانت بعد نوح عبادة الأصنام روى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس، قال: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك، ونسخ العلم فعبدت، وصارت تلك الأوثان في العرب بعد. أما ود فكان لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكان لهذيل، وأما يغوث فكان لمراد بني غطيف بالجرف، وأما يعوق فكان لهمدان، وأما نسر فكان لحميرآل

في الكلاع.

ومن الأحداث بين نوح وابراهيم طغيان جنين من أولاد إرم وهما: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهي عاد الأولى، وثمود بن جاثر ابن إرم، وهم كانوا العرب العاربة.

ذكر قصة قوم عاد وكفرانهم

لما تجبروا وعتوا وعبدوا الأوثان أرسل اللّه تعالى إليهم هود بن عبد اللّه بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، ومن النسابين من يقول: الخلود بضم الخاء واللام، كذلك رأيته بخط المنادي، قال: ويقال بالجيم المكسورة، واللام المفتوحة. ومنهم من يقول هود هو: عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. فدعاهم إلى التوحيد وترك الظلم، فكذبوه وقالوا: من أشدُ منا قوَّة فلم يؤمن منهم بهود إلا القليل، فبالغ في وعظهم فزاعوا في طغيانهم إلى أن قالوا: "سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين" فحبس اللّه عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدوا فبعثوا إلى مكة وفداً حتى يستسقي لهم منهم: قيل، ولقيم وجلهم، ومرثدبن سعد، وكان يكتم إيمانه، ولقمان بن عاد، فترلوا على بكربن معاوية فجعل يسقيهم الخمر وتغنيهم الجرادتان شهراً، ثم بعثوا آخر، فدعا فقال: اللهم إني لم أجئك لأسير فأفاديه، ولا لمريض فأشفيه، فاسق عاداً ما كنت مسقيه. فرفعت له سحابة فنودي منها: اختر، فجعل يقول: إذهبي إلى بني فلان، واذهبي إلى بني فلان. فمرت سحابة سوداء، فقال: إذهبي إلى بني فلان، واذهبي إلى بني فلان. فمرت سحابة سوداء، فقال: إذهبي إلى عاد، فنودي منها: خذها رماداً، رمدداً لا تدع من عاد أحداً. قال: وكتمهم والقوم عند بكر بن ساوية يشربون.

وفي رواية: أن بكر بن معاوية لما رأى طول مقامهم عنده، قال: هلك أخوالي وأصهاري، وهؤلاء ضيفي، وما أدري ما أصنع، واستحى أن يأمرهم بالخروج، فشكى ذلك إلى قينتيه الجرادتين، فقالتا له: قل شعراً نغنيهم به. قال::

ألايَاقيلُ، وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لعل الله يَصبْحنا غَمَامَا

فَيسقِي أرْضَ عاداً ... إنَ عاداً قَد امسوا لا يُبِينُونَ الكَلاما

من العطش الشَّديد، فليس نرجو ... به الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما

وَقَد كانتْ نساؤُهُمُ بخيرِ ... فقدأمستْ نِساؤُهُمُ عَيَامَا

وإنَّ الوحشَ تأتيهمْ جهاراً ... ولاتخشَى لعادي سِهاما

وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نَهارَكمُ وليلَكُمُ التماما

فقبَح وفدكُمْ من وَفْد قوم ... ولا لُقوا التحية والسلاما

فلما سمعوا هذا قالوا: ويلكم ادخلوا الحرم فاستسقوا لقومكم، فقال مرثد: إنكم واللّه لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم. فقال جلهم: احبسوا هذا عنا ولا يقدمن معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود. ثم خرجوا يستسقون، فنشأت سحابة وقيل له: اختر، فاختار سحابة سوداء، فساقها الله تعالى إلى عاد حتى خرج عليهم من واد لهم يقال له مغيث فلما رأوها استبشروا بها، فقالوا:

"هذا عارض ممطرنا". فكان أول من رأى ما فيها امرأة منهم فصاحت وصعقت، فقيل لها: ما رأيت؟ قالت: ريحاً فيها كشهب النار، أمامها رجالٌ يقودونها، فسخرها الله عليهم "سَبْعَ ليال وثمانيةَ أيام حُسُوماً".

فاعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه منها إلا ماتلين الجلود، وتلتذّ عليه النفوس، فكانت تقلع الشجر وتهدم البيوت، فمن لم يكن في بيته هبت الريح حتى تقطعه بالجبال، وكانت ترفع الظعينة ما بين السماء والأرض وترميهم بالحجارة.

فوصل الخبر إلى الوفد، وكانوا قد قيل لهم: قد أعطيتم مناكم لدعائكم فاختاروا. فقال مرثد: يا رب، أعطني براً وصدقاً، فأعطِي ذلك. وقيل لقيل: ما تريد؟ فقال: أن يصيبني ما أصاب قومي.

وقال لقمان بن عاد: أعطني عمر سبعة أنسر، فعمر عمر سبعة أنسر، يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة، فيأخذ الذكر لقَوِّته حتى إذا مات أخذ غيره، فلما لم يبق غير واحد، قال له ابن أخيه: يا عم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر، فقال لقمان: هذا لُبد- ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر النسر طارت النسور، و لم ينهض فمات لقمان.

ذكر قصة عجيبة للقمان بن عاد

أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا أبو محمد بن السراج، أخبرنا القاضي أبوعبد اللّه بن محمد بن سلامة القضاعي، أخبرنا أبومسلم الكاتب، أخبرنا ابن دريد، حدثنا العكلي، عن ابن أبي خالد، عن الهيثم، عن مجاهد، عن الشعبي، قال: كان لقمان بن عاد عادياً الذي عمّر عمر سبعة أنسر مبتلى بالنساء، فكان يتزوج المرأة فتخونه حتى تزوج جارية صغيرة لم تعرف الرجال، ثم نقر لها بيتاً في صفح جبل، وجعل له درجه بسلاسل يترل بها ويصعد، فإذا خرج رفعت السلاسل، حتى عرض لها فتى من العماليق فوقعت في نفسه، فأتى بني أبيه فقال: واللّه لأجتنين عليكم حرباً لا تقومون بها، قالوا: وما ذاك؟ قال: امرأة لقمان بن عاد، هي أحب الناس إلي. قالوا: فكيف نحتال لها، قال: اجمعوا سيوفكم ثم اجعلوني فيها وشدوها حزمة عظيمه، ثم ائتوا لقمان فقولوا: إنا أردنا أن نسافر ونحن نستودع سيوفنا حتى نرجع، وسمّوا له يوماً، ففعلوا وأقبلوا بالسيوف فدفعوها إلى لقمان، فوضعها في بيته وخرج لقمان وتحرك الرجل فحلت الجارية عنه، وكان يأتيها فإذا أحست بلقمان جعلته بين السيوف وحتى انقضت الأيام، ثم جاءوا إلى لقمان فاسترجعوا سيوفهم فرفع لقمان رأسه بعد ذلك، فإذا بنخامة يبوس في سقف البيت، فقال لامرأته: من نخم هذه. قالت: أنا، قال: فتنخمي، ففعلت فلم تصنع شيئاً، فقال: يا ويلتاه السيرف دهتني، ثم رمى بها من ذروة الجبل، فتقطعت قطعاً وانحدر مغضباً، فإذا ابنة له يقال لها صحر، فقالت له: يا أبتاه ما شأنك؟ قال: فأنت أيضاً من النساء، فضرب رأسها بصخرة فقتلها، فقالت العرب: ما أذنبت إلا ذنب صحر. فصار مثلاً.

قال العلماء بالسير: كان عمر هود مائة وخمسين سنة. وقد ذكرنا قصة عاد في تفسير القران العزيز مستوفاة فاختصرناها ها هنا.

ذكر قصة ثمود

وكانوا قد عتوا وكفروا بالله وأفسدوا في الأرض، وكانوا قد مدت أعمارهم، وكانوا يسكنون الحجر إلى وادي القرى من الحجاز والشام، فكان أحدهم يبني المساكن من المدر فتنهدم والرجل منهم حيٌ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فنحتوها وجابوها وجوفوها.

فبعث اللّه تعالى إليهم بعد هلاك قوم عاد صالح بن عبيد بن جاذربن جابربن ثمود، ويقال: ابن جاثر بالثاء، فدعاهم إلى التوحيد فلم يزدهم دعاؤه إلا طغياناً، فقالوا: ائتنا بآية فقال اخرجوا إلى هضبة من الأرض، فخرجوا فإذ هي تمخض تمخّض الحامل، ثم انفرجت فخرجت من وسطها ناقة فقال: "هذه ناقة الله فذروها تأكل في أرض الله". وكانت تشرب ماء يوماً ويشربون يوماً، ويحتلبونها في يوم شربها عوض ما شربت. وكان صالح لا يبيت عندهم بل في مسجد له، فهموا بقتله فكمنوا له تحت صخرة يرصدونه فرضختهم الصخرة فأصبح الناس يقولون قتلهم صالح، فاجتمعوا على عقر الناقة، فذهبوا إليها وهي على حوضها قائمة، فضرب أحدهم واسمه قدار بن سالم عرقوبها فوقعت تركض، فجاء الخبر إلى صالح، فأقبل فأخذوا يعتذرون إليه ويقولون: إنما عقرها فلان.

فقال: انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى يرفع عنكم العذاب، فخرجوا وقد صعد إلى رأس الجبل، فلم يقدروا عليه فرغا ثلاثاً، فقال صالح: لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام. ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة، أواليوم الثاني محمرة واليوم، الثالث مسودة، فأصبحوا كأنما طليت وجوههم بالخَلوق، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم. فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب. فلما أصبحوا إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء، فضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب فلما أمسوا صاحوا: ألا قد مضى يومان، فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فتحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع، ثم ألقوا نفوسهم بالأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا.

وكان منهم رجل بالحرم يقال له أبو رغال، منعه الحرم من العذاب.

وذكر أن صالحاً أقام في قومه عشرين سنة، وتوفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وقيل: بل عاش مائتي سنة وسبعين، ثم بعث الله تعالى بعده إبراهيم الخليل.

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، أخبرنا علي بن الحسين بن سكينة، حدثنا محمد بن أبي القاسم بن مهدي، حدثنا علي بن أحمد بن أبي قيس حدثنا عبد الله بن محمد القرشي حدثنا علي بن الجعد، حدثنا معاوية، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، قال: كان رجل في قوم صالح قد أذاهم، فقالوا: يا بني الله ادع الله عليه، فقال: اذهبوا فقد كفيتموه. وكان يخرج كل يوم فيحتطب، فخرج يومئذٍ ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخرة فاحتطب ثم جاء بحطبه سالماً، فجاؤا إلى صالح فقالوا: لقد جاء بحطبة سالماً لم يصبه شيء فدعاه صالح فقال: أي شيء صنعت اليوم؟ قال: خرجت ومعي قرصتان فتصدفَ بإحديهما وأكلت الأخرى، فقال له صالح: حل حطبك، فحله فإذا فيه أسود مثل الجذع عاض على جزل من الحطب، فقال له صالح: فهذا دفع عنك. يعني بصدقتك عن الرغيف.

وكان بين نوح وإبراهيم دانيال الأكبر

فأما دانيال الأصغر فكان في زمان بخت نصر. أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن عبد الله المعدل، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا محمد بن أحمد ابن البراء، قال: أخبرنا الفضل بن غانم، قال: حدثنا الهيثم بن عمي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: أوحى الله عز وجل إلى دانيال الأكبرأن يجري لعبادي نهرين واجعل مفيضهما

البحر، فقد أمرت الأرض أن تعطيك، قال: فأخذ قناة أو قصبة فجعل يخد في الأرض ويتبعه الماء، وإذا مر بأرض شيخ كبيرأو يتيم ناشده الله فيحيد عن أرضه، فعواقيل دجلة والفرات من ذلك. وقد ذكرنا مثل هذا الحديث في أول الكتاب.
أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا عبد للة بن عمر بن شاهين، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زيد، قال: حدثنا زيد بن الحباب، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الحوفي، قال: كان أنف دانيال ذراعاً.

باب ذكر إبراهيم الخليل عليه السلام

هو: إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح.

قال الزبير بن بكار: ويقولون إبراهيم بن آزر بن الناحور بن الشارغ بن القاسم، الذي قسم الأرض بين أهلها، ابن يعبر بن السالح بن سنحاريب. واسم أمه نونا بنت كرنبا بن كوثا من بني أرفخشد بن سام. وكرنبا هو الذي كرى نهر كوثا. وكان بين الطوفان وإبراهيم ألف سنة وتسع وتسعون سنة. وقيل: ألف ومائتا سنة وثلاث وستون، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وثلاثين سنة. وقد روى أبو أمامة أن رجلاً سأل رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم فقال: كم بين نوح وإبراهيم؟ فقال: عشرة قرون.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي، حدثنا سفيان بن سعد، عن أبيه، عن عكرمة، قال: كان إبراهيم الخليل يكنى أبا الأضياف.
واختلفوا في المكان الذي ولد فيه، فقال بعضهم: ولد في بابل من أرض السواد، وقال بعضهم: بالسواد بناحية كوثى، وقال بعضهم: ولد بالسوس، من أرض الأهواز. وقيل: كان بناحية كسكر ثم نقله أبوه إلى ناحية كوثى، وهي المكان الذي كان به نمرود. وقيل: كان مولده بحران، ولكن أباه نقله إلى أرض بابل.
وعامة العلماء على أن الخليل ولد في عهد نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام. وكان نمرود هذا قد ملك الشرق والغرب. وبعض المؤرخين يقول: نمرود هذا هو الضحاك، وهو الذي أراد إحراق الخليل، وقد سبق ذكره.
قال السدي عن أشياخه: أول ملك ملك الأرض شرقها وغربها نمرود بن كنعان. وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أ أربعة: نمرود، وسليمان بن داود، وذو القرنين، وبخت نصر.
قال العلماء بالسير: لم يكن بين نوح وإبراهيم نبيّ إلا هود وصالح، فلما أراد الله تعالى إظهار إبراهيم قال المنجمون لنمرود: إنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسرأوثانكم في شهر كذا وكذا، من سنة كذا وكذا، فلما دخلت السنة المذكورة بعث نمرود إلى كل امرأة حاملة بقريته فحبسها عنده و لم يعلم بحمل أم إبراهيم، فجعل لا يولد غلام في ذلك الشهر إلا ذبحه.
فلما وجدت أم إبراهيم الطَّلْق خرجت ليلاً إلى مغارة ثم ولدت إبراهيم فيها وأصلحت من شأنه ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت إلى بيتها وكانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل، فتجده يمص إبهامه قد جعل الله رزقه في ذلك، وكان آزر قد سألها عن حملها فقالتَ:

ولدت غلاماً فمات فسكت عنها. فكان إبراهيم يشب في شهر شباب سنة.

فلما تكلم قال لأمه: أخرجيني أنظر، فنظر وقال: إن الذي رزقني وأطعمني ما لي رب غيره، ثم رأى كوكباً ثم رأى الشمس فقال ما قصه الله تعالى علينا. ثم ذهبت به أمه إلى أبيه فأخبرته ما صنعت به فسر بسلامته.

وكان آرز يصنع الأصنام ويقول لإبراهيم: بعها، فيقول ابراهيم: من يشتري ما يضره ولا ينفعه. فشاع بين الناس استهزاؤه بالأصنام، ثم أراد أن يباديَ إبراهيم قومه بالمخالفة، فخرجوا إلى عيد لهم فقال: "إِنِّي سَقِيمٌ" فلما ذهبوا، قال: "لأكيدَنَّ أصْنَامُكُمْ". فسمعها بعضهم، ثم دخل إبراهيتم إلى بيت الالهة وقد جعلوا بين يديها طعاماً، فقال: ألا تأكلون. فلما لم يجبه أحد، قال: ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبرثم خرج. فلما رجع القوم قالوا: "مَنْ فَعَلَ هَذَا بآلِهَتِنَا" ثم ذكروا فقالوا: "سَمِعْنَا فَتى يَذْكُرُهُم"، أي: يسبهم، فجاءوا به إلى ملكهم نمرود، فقال: أأنتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا" غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها، فكسرهن، فقالوا: ما نراه الا كما قال، فقال له نمرود: فما إلهك الذي تعبد؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، قال نمرود: أنا أحيي وأميت، آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون، قد أمته، وأعفوعن الآخر فأكون قد أحييته، فقال له إبراهيم: فَإن الله يأتِي بِالشمْس مِنَ المَشْرِقِ فَا تِ بِهَا مِنَ المغْرِبِ، فبهت عند ذلك نمرود وحبسه سبع سنين.

أخبرناَ محمد بن أبي القاسم، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد، حدثنا عبد الله بن سيبويه، حدثنا إسحاق بن راهويه، حدثنا بهز، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: جُوِّع لإبراهيم عليه السلام أسدان ثم أرسلا عليه، فجعلا يلحسانه ويسجدان له.

قال علمأء السير: ثم أجمع نمرود وقومه على تحريقه، فقالوا: أحرقوه.

ذكر قصة إلقائه في النار

قال شعيب بن الجبائي: ان الذي قال حَرِّقُوهُ خسف به الأرض فهويتجلجل فيها إلى يوم القيامة. وألقي إبراهيم في الناروهو ابن ست عشرة سنة.

قال علماء السير: أمر نمرود بجمع الحطب فجمعوا، حتى ان كانت المرأة لتنذر في بعض ما تطلب مما تحب إن قالت كذا، لتحتطبن على نار إبراهيم احتساباً في دينها، فلما أوقدوا النار أجمعوا على قذفه فيها، قالت الخلائق: أي ربنا! إبراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره يحرق بالنار فيك! فَاذَنْ لنا في نصرته. قال: فإن استغاث بشيء منكمِ فأغيثوه، وإن لم يدع غيري فأنا وليه، فلما ألقي قي النار قال: " يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وسلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ".

وجاء جَبْرئيل وابراهيم موثق، قال: ألك حاجة. قال: أمَّا إليك فلا.

قال كعب: ما أحرقت النار إلا وثاقه. قال عبد اللّه بن عمرو: أول كلمة قالها إبراهيم حين طرح في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

قال السدي عن أشياخه: رفع إبراهيم رأسه إلى السماء، وقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحداً يعبدك غيري، حسبي اللّه ونعم الوكيل، فقذفوه في النار،، فقال: "يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وسَلاَماً عَلَى إِبرَاهيم".

قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات ابراهيم من بردها و لم تبق نار يومئذ في الأرض إلا طَفِئَتْ، ظنت أنها هي التي تُعنى. فلما طفئت النار نظروا إلى ابراهيم فإذا هو ورجل آخر معه، فإذا رأس ابراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق وذكروا أن ذلك الرجل هو ملك الظل، فأخرجوا إبراهيم وأدخلوه على الملك.

وقال ابن إسحاق: بعث الله ملك الظل فقعد مع إبراهيم يؤنسه، فمكث نمرود أياماً لا يشك أن النار قد أكلت ابراهيم ثم ركب فنظر فإذا إبراهيم، وإلى جنبه رجل جالس، فناداه نمرود: يا إبراهيم، كبير إلهك الذي بلغتَ قدرته أن حال بين ما أرى وبينك، هل تستطيع أن تخرج منها؟ فقام إبراهيم يمشي حتى خرج، فقال له: يا إبراهيم، من الرجل الذي رأيت معك. قال: ملك الظل، أرسله ربي ليؤنسني. فقال: إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته، فقال: إنه لا يقبل منك ما كنت على دينك، فقال: لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبحها له، فذبح أربعة آلاف بقرة، وكفً عن ابراهيم.

واستجاب لإبراهيم رجال من قومه لما رأوا من تلك الآية على خوف من نمرود، فأمن له لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران أخو ابراهيم، وهو الذي بنى مدينة حرّان وإليه تنسب. وآمنت به سارة وهي ابنة عمه فتزوجها.

قال السدي عن أشياخه: لما انطلق إبراهيم ولوط إلى الشام لقي إبراهيم سارة وهي بنت ملك حَران وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها على أن لا يغيرها.

ومن الأحداث في زمن الخليل عليه السلام

أنه دعا أباه آزر إلى الإيمان، فقال: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً، فأبى أبوه أن يطيعه، فأعرض عنه إبراهيم، وقد كان ابراهيم يجاهده.

وقال أبو الحسن بن البراء: كان لإبراهيم ثلاثمائة يقاتلون بالعصي. و لم يحارب من الأنبياء إلا هو، وموسى، وداود، ومحمد عليهم السلام.

ومن الأحداث هجرة الخليل عليه السلام

وذلك أن إبراهيم ومن معه من أصحابه المؤمنين أجمعوا على فراق قومهم، فخرج إبراهيم مهاجراً إلى ربه عز وجل، وخرج معه لوط مهاجراً، وسارة زوجته. وقد ذكرنا أنه تزوجها في طريق هجرته بحران، وخرج بها من حَران حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأول. وكانت سارة أحسن الناس، فلما وصف لفرعون حسنها بعث يطلبها.

أخبرنا هبة اللّه بن الحصين، أخبرنا الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا علي بن حفص، عن ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس. قال: فأرسل إليه: من هذه معك؟ قال: أختي، قال: أرسل بها، قال: فأرسل بها إليه، وقال: لا تكذبي قولي، فإني قد أخبرت أنك أختي، أن ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك، قال: فلما دخلت إليه قام إليها. قال: فأقبلت تصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنتَ بك وبرسولك،

وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلَطْ عليَ الكافر. قال: فَغُطَّ حتى ركض برجله.

قال أبو الزناد: قال أبو سلمة، عن أبي هريرة: أنها قالت: اللهم إن يمت قيل هي قتلته. قال. فأرسل ثم قام إليها فقامت تصلي وتقول: الهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر. قال: فَغُط حتى ركض برجله.

قال أبو الزناد: قال أبو سلمة، عن أبي هريرة: قالت: اللهم إن يمت قيل هي قتلته، فأرسل. قال: فقال في الثالثة أو الرابعة: ما أرسلتم إلا شيطاناً، أرجعوها إلى ابراهيم وأعطوها هاجر. قال: فرجعت إلى إبرإهيم فقالت لإبراهيم: أشعرت ان اللّه عز وجل رد كيد الكافر وأحذم وليدةً.

قال ابن إسحاق: وكانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لإبراهيم، وقالت: إني أراها امرأة، وضيئة فخذها لعل اللّه يرزقك منها ولداً، وكانت سارة قد منعت الولد، فوقع عليها فولدت له إسماعيل.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها فإن لهم ذمة ورحماً". قال الزهري. الرحم أن أم إسماعيل كانت منهم.

ثم ان إبراهيم خرج من مصر إلى الشام فترل السبْع من أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة أوأقرب. فبعثه الله نبياً. وأقام إبراهيم بذلك المقام فاحتفر به بئراَ فكانت غنمه تردها، واتخذ به مسجداً، ثم ان أهلها آذوه فخرج حتى نزل بناحية فلسطين فنضب ماء تلك البئر التي احتفرها، فندم أهل ذلك المكان على ما صنعوا وقالوا: أخرجنا من بين أظهرنا رجلاً صالحاً ولحقوه فسألوه أن يرجع، قال: ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه، قالوا: فإن الماء الذي كنت تشرب منه ونحن معك قد نضب، فأعطاهم سبع أعتز من غنمه، وقال: أوردوها الماء تظهر ولا تغرفن منها حائض. فخرجوا بالأعتز فلما وقفت على البئر، ظهر إليها الماء.

وكان اللّه تعالى قد أوسع على ابراهيم وبسط له في الرزق والخدم، وكان يضيف كل من نزل به، وهو أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من رأى الشيب. وروى عيسى بن يونس، عن....، عن سعد بن ابراهيم، عن أبيه، قال: أول من خطب على المنابر إبراهيم عليه السلام.

هاجر ولدت إسماعيل

ومن الحوادث أن سارة لما وهبت هاجر لإبراهيم ليتسرى بها ولدت إسماعيل وهو أكبر ولد ابراهيم فغارت سارة فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فخفضتها، ثم قالت: لا تساكنيني في بلد. فأوحى اللهّ تعالى إلى إبراهيم أن يأتي مكة، فذهب بها وبابنها إلى مكة. وزعم السدي عن أشياخه: أن سارة حملت بعد هاجر وأنهما ولدتا وكبر الولدان فاقتتلا. وليس هذا بصحيح، لأن إسماعيل إنما خرج وهو مرضع.

ومن الحوادث

خروج إبراهيم إلى مكة بإسماعيل وهاجر وروى ابن إسحاق عن أشياخه: أن إبراهيم خرج، ومعه جبرئيل، فكان لا يمر بقرية إلا قال: بهذه أمرت يا جبرئيل؟ فيقول جبرئيل: امضه، حتى قدم به مكة وهي ذات عضاء وسلَمَ وسَمُرة وبها أناس مايقال لهم العماليق خارج مكة وحولها، والبيت يومئذ ربوة حمراء، فقال لجبرئيل: أها هنا أمرت، أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشاً، ثم انصرف إلى الشام فتركهما".

أخبرنا عبد الأول، أخبرنا ابن طلحة الداوردي، أخبرنا ابن أعين السرخسي، حدثنا أبو عبد الله الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب السختياني، وكثير بن كثير بن المطلب. ابن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس:

أول ما اتخذ النساء المِنْطَقَ من قبل أم إسماعيل؟ اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها ابراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت: الله أمرك بهذا. قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضَيعنا. ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية حتى لا يروه، استقبل بوجهه البيت، دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، فقال: "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع" حتى بلغ "يشكرون".

وجعلت أم إسماعيل ترضع ابنها وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في ماء السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى- أو قال: يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف دِرْعِها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة وقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فلذلك سعى الناس بينهما".

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غِواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال: بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوضُهُ وتقوك بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائهما وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً".

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقّال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيتاً للّه يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن اللّه لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، وتأتيه السيول فيأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا ان هذا الطائر ليدورعلى ماء لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا جَرياً أو جريين فإذا هم بالماء، فقال: أتأذنين لنا أن نترل عندك. فقالت: نعم، ولكن لاحق لكم في الماء. قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحبُ الإنس، فترلوا وأرسلوا إلى أهاليهم فجاءوا فترلوا معهم حتى إذا كان بها أهلُ أبيات منهم، وشب الغلام وتعلَم العربية منهم وأنسهم وأعجبهم حين شبّ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم.

وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن، في ضيق وشدة، فشكت إليه. فقال: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغيرعتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ من صفته، كذا وكذا فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء. قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك: غيِّر عتبة بابك. قال: ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى. فلبث عنه إبراهيم ما شاء اللّه، ثم أتاهم فلم يجلى، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم. وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على اللّه، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لاو لم يكن لهم يومئذ الحَبُ، ولوكان لدعا لهم فيه بالبركة".

قال: فهما لا يخلوا عليهما أحد بغير ملة إلا يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل، قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: أفأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، فقال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم جاء، بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله قد أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: أوتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن اللّه أمرني أن أبني ها هنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيتَ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه، وقام عليه يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: " ربنا تقبل منا أنت السميع العليم". انفرد بإخراجه البخاري.

وقد روى عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذا الحديث: أن زوجة إسماعيل الثانية قالت لإبراهيم لما قدم: انزل رحمك الله حتى أغسل رأسك فقد شعث،، فلم يترل به فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شقه الأيسر. فقال لها: إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك.

ومن الحوادث

أمر اللّه عز وجل الخليل ببناء البيت قد ذكرنا أن ابراهيم عليه السلام قدم مكة بهاجر وإسماعيل، فوضعهما هنالك، ثم قدم لزيارة ابنه ثلاث مرات، فلقيه في الثالثة، وقال له: إن اللّه قد أمرني أن أبني بيتاً ها هنا.

وقد روى خالد بن عرعرة، عن علي عليه السلام، قال: أوحى اللّه تعالى إلى ابراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض، فضاق إبراهيم بذلك ذرعاً، فأرسل عز وجل السكينة وهي ريح خَجُوج ولها رأسان، فانتهت به إلى مكة فتطوَّقت على موضع البيت كتطوّي الجحفة، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فبنى إبراهيم وبقى حجر، فانطلق الغلام يلتمس له حجراً فأتاه فوجده قد ركب الحجر

الأسود في مكانه، فقال: يا أبت من أتاك بهذا الحجر، قال: أتاني به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبرئيل من السماء.

وروى حارثة بن مضرّب، عن علي رضي الله عنه قال: لما قدم إبراهيم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس، فكلّمه، فقال: يا إبراهيم ابن على ظلّي ولاتزد ولاتنقص.

حدثنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا أحمد بن معروف، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا موسى بن محمد بن ابراهيم، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن أبي بكر سليمان بن أبي خيثمة، عن أبي جهم بن حذيفة بن غانم، قال: أوحى، الله إلى إبراهيم أن يبني البيت وهو يومئذ ابن مائة سنة، وإسماعيل يومئذ ابن ثلاثين سنة فبناه معه.

فإن قيل: هل بني البيت قبل إبراهيم؟ قلنا: ذكرنا في قصة آدم أن الله عز وجل أنزل ياقوتة فجعلها مكان البيت، وأمرآدم بالطواف حولها. وفي رواية: أن آدم بناه ثم بناه بعده بنوه إلأ أن الغرق عفى أثره وبقي مكانه أكمة إلى أن بناه الخليل.

فأما حدود الحرم: فأول من وضعها الخليل عليه السلام، وكان جبرئيل يأمر به، ثم لم يتحرك حتى كان قصيّ بن كلاب، فجددها، فقلعتها قريش في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه جبريل، فقال: إنهم سيعيدونها، فرأى رجال منهم في المنام قائلاً يقول: حرم أعزكم الله به نزعتم أنصابه، الآن يتخطفكم العرب، فأعادوها، فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد أعادوها، فقال: فأصابوا. قال: ما وضعوا منها نصباً إلا بيد الملك. ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الفتح تميم بن راشد فجددها، ثم جددها عمر بن الخطاب، ثم جددها معاوية، ثم عبد الملك بن مروان. فإن، قال قائل: ما السبب في بعد بعض الحدود وقرب بعضها؟

ففيه ثلاثة أجوبة: أحدها: انه لما أهبط الله عز وجل على آدم بيتاً من ياقوت أضاء ما بين المشرق والمغرب ففرت الجن والشيطان وأقبلوا ينظرون، فجاءت ملائكة تردهم فوقفوا مكان حدود الحرم. رواه سعيد بن جبيرعن ابن عباس.

والثاني: انه كان في ذلك البيت قناديل فيها نور فانتهى ضوء ذلك النور إلى مواضع الحرم. قاله وهب بن منبه.

والثالث: انه لما وضع الخليل الركن أضاء فالحرم إلى موضع انتهاء نوره.

ومن الأحداث أنه لما فرغ إبراهيم من بناء البيت

أمره اللّه عز وجل أن يؤذن في الناس بالحج قال ابن عباس: لما بني البيت أوحى الله تعالى إليه: أن "أذن فِي الناس بالحج".

فقال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذِّن وعلّي البلاع. فقام على الحجر فنادى: أيها الناس إنّ ربكم قد اتخذ بيتاً وأمركم أن تحجوه، فسمعه من بين لسماء والأرض وأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك، فاستجاب له ما سمعه من حجرأو شجرأوأكمة أوتراب أو شيء: لبيك اللهم لبيك.

وقال عبد بن عمر: استقبل ابراهيم اليمن فدعا إلى الله وإلى حج بيته، فأجيب: لبيك لبيك، ثم إلى الشام فأجيب لبيك لبيك.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا محمد بن معروف أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا هشام بن محمد، عن أبيه قال: خرج إبراهيم إلى مكة ثلاث مرات دعا الناس إلى الحج في آخرهن فأجابه كل شيء سمعه، فأول من أجابه جرهم قبل العماليق ثم أسلموا ورجع إبراهيم إلى بلد الشام فمات به وهو ابن مائتي سنة.

ومن الحوادث أنه

ابتدأ بفعل الحج بعد فراغه من البيت فروى ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراح به إلى منى، فصلى به الظهر والعصر والمغرت والعشاء الآخرة، والفجر بمنى، ثم غدى به إلى عرفات فأنزله حيث يترل الناس، فصلى به الصلاتين جميعاً: الظهر والعصر، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلّي أحدٌ من الناس المغرب، أفاض حتى أتى جمعاً فصلى به الصلاتين جميعاً: المغرب والعشاء، ثم أفاض حتى إذا كان كأبطأ مأ يصلي أحد من المسلمين الفجر أفاض به من منى فرمى الجمرة ثم ذبح وحلق، ثم أفاض إلى البيت، ثم أوحى إلى محمد: "أنِ اتَّبِعْ مِلَةَ إِبْرَاهِيم".

ومن الحوادث أن اللّه عز وجل أنزل على الخليل عشر صحائف أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي بن المهتدي، أخبرنا الحسن بن أحمد بن علي الغساني، حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم كتاب أنزله الله. قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قال: قلت: يا رسول اللّه، فما كان في صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلّط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلومِ، فإني لا أردُّها وإن كانت من كافر. وكان فيها أمثال: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباَ، على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه، وساع يفكّر فيها في صنع الله، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون طاغياً إلا في ثلاث: تزوّدٌ لمعاد، ومرمّة لمعاش، ولذة في غير محرم، وعلى العاقل أن، يكوت بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه. ومن حسب كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه، وسلام على من أكرم الضيف، ومن أهانه فهو في الدرك الأسفل من النار. قال أبوذر: فلهذا كان إبراهيم لا يأكل إلا مع الضيف.

من الحوادث اتخاذ الله عز وجل إبراهيم خليلا

اختلف العلماء في سبب ذلك على ثلاثة أقوال: أحدها: لإطعامه الطعام فكان لا يأكل إلا مع ضيف لسعة كرمه. وفي حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام يا محمد".

والثاني: أن الناس أصابتهم سنة فأقبلوا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام وكانت له ميرة من صديق له بمصرمن كل سنة، فبعث غلمانه بالإبل إلى صديقه فلم يعطهم شيئاً، فقالوا: لو احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بشيء، فملأوا الغرائر رملاً ثم أتوا إبراهيم فأعلموه، فاغتم إبراهيم لأجل الخلق فنام، وجاءت سارة وهي لا تعلم ما كان، ففتحت الغرائر فإذا دقيق حواري، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس، فاستيقظ إبراهيم، فقال: من أين هذا الطعام، فقالت: من عند خليلك المصري قال: بل من عند خليلي الله. فيومئذ اتخذه الله خليلاً. رواه أبو صالح، عن ابن عباس.

والثالث: أنه اتخذه خليلاً لكسره الأصنام وجداله قومه. قاله مقاتل. أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، أخبرنا محمد الجوهري، أخبرنا

أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا هشام بن محمد، عن ابيه، عن ابن عباس، قال: لما اتخذ الله إبراهيم، خليلاً ونبياً كان له يومئذ ثلاثمائة عبد أعتقهم، وأسلموا وكانوا يقاتلون معه بالعصي.
أخبرنا أبو منصور بن خيرون، عن أبي محمد الجوهري، عن الدارقطني، حدثنا عمربن الحسن بن علي، حدثنا عبد اللّه بن محمد بن عبد، قال: حدثني محمد بن يحيى، حدثنا يمان بن سعيد، حدثنا خالد بن يزيد المقري، حدثنا أبو روق، عن الضحاك بين مزاحم، عن ابن عباس، قال: أول من عمل القسي العربية ابراهيم عليه السلام عمل لإسماعيل قوساً ولإسحاق قوساً وكانوا يرمون بها وعلمهما الرمي. وأول من اتخذ القسيّ الفارسية نمرود.

ومن الحوادث

سؤاله ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى

واختلف العلماء في سؤاله ذلك على أربعة أقوال: أحدها: أنه رأى ميتة تمزقها الهوام والسباع، فسأل ذلك. قال ابن عباس: مر إبراهيم برجل ميت على ساحل البحر فرأى دواب البحر وسباع الأرض تأكل منه، وقال قتادة: مر على دابة ميتة. وقال ابن جريج: مر على جيفة حمار. وقال ابن يزيد: مر على حوت ميتة.
والثانى: انه لما بشر بأن اللّه تعالى قد اتخذه خليلاً سأل ذلك ليعلم بإجابته صحة البشارة. رواه السدي عن أشياخه.
والثالث: أنَّه أحبَّ أن يزيل عوارض الوساوس. وهو مذهب عطا بن أبي رباح.
والرابع: أنه لما قال: ربي الذي يحيي ويميت أحب أن يرى ما أخبر به عن ربه. ذكره ابن إسحاق.
وزعم مقاتل بن سليمان أن هذه القصة جرت لإبراهيم بالشام قبل أن يكون له ولد وقيل نزول الصحف عليه، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

ومن الحوادث أن الله تعالى أمر بكلمات فأتمهن

وقد اختلفوا في الكلمات على ستة أقوال: أحدها: أنه ابتلاه بالإسلام فأتمه. رواه عكرمة عن ابن عباس.
والثاني: ابتلاه بالطهارة، خمس في الرأس، وخمس في الجسد؟ في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء. رواه طاووس عن ابن عباس.
والثالث: أنها ست في الإنسان: حلق العانة، والختان، ونتف الإبط؟ وتقليم الأظفار، وقص الشارب، والغسل يوم الجمعة. وأربع في المشاعر: الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة. رواه حَنَش عن ابن عباس.
والرابع: أنها مناسك الحج خاصة. رواه قتادة عن ابن عباس.
والخامس: أنها قوله تعالى: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلناس إِمَاماً" وآيات النسك. قاله أبو صالح.
والسادس: انه ابتلاه بالكواكب والقمر وبالشمس وبالنار وبالهجرة وبالختان.
أخبرنا أبو الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عليِ بن حفص،

أخبرنا ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "اختتن إبراهيم خليل الرحمن عز وجل بعدما أتت له ثمانون سنة، واختتن بالقدوم ". أخرجاه في الصحيحين وليس في حديثهما ذكر سنه يومئذ. والقدوم: موضع.

وقد أخبرنا عليّ بن عبد الواحد الدينوري، أخبرنا علي بن عمر القزويني، أخبرنا علي بن عمربن سهل الجريري، حدثنا أحمد بن عمير بن حوصا، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، أخبرنا الأوزاعي، عن يحيى بن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "اختتن ابراهيم وهو ابن عشرين ومائة سنة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة".

وروى الضحاك، عن ابن عباس، قال: إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول من ثرد الثريد، أول من لبس النعلين، وأول من قاتل بالسيف والسن، وأول من قسم الفيء، وأول من اختتن في موضع يقال له القدوم وهوختن نفسه.

وروى، أبو الحسين بن المنادي من حديث ابن عباس، أنه قال: كان إبراهيم بزازاً يبيع الثياب فدعا ربه أن يستره إذا قام يصلي، فأهبط اللّه إليه جبريل فقطع له السراويل وخاطته سارة، فهوأول سراويل لبس في الأرض.

ومن الحوادث أن

الله عز وجل ابتلى الخليل بذبح ولده

بعد فراغه من الحج

وقد اختلف العلماء في الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق.

فروى علي بن زيد بن جدعان عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "وفدينا بذبح عظيم". قال: "إسحاق".

وقد رواه مبارك، عن الحسن فوقفه على العباس، وهوأصح وكذلك روى عكرمة عن ابن عباس، قال: الذبيح إسحاق. وبه قال ابن مسعود، وكعب، وعبد بن عمير ومسروق، وأبوميسرة في خلق كثير.

وقد روى معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن رجلاً جاءه، فقال: يا ابن الذبيحين، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. يشيرإلى إسماعيل وعبد اللّه والد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن عبد المطلب نذر أن يذبحه، وهذا الحديث لا يثبت، ثم أن رسول الله لم يقر به، وجائز أن يكون العم أباً كما قال عز وجل: "نعبد إلهك وإله آبائك وإسماعيل وإسحاق". فأدخل إسماعيل في الآباء، وهوعم يعقوب.

وقد روى الشعبي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، ويوسف بن مهران، عن ابن عباس أنه إسماعيل.

وبه قال الشعبي، وقال: رأيت قرني الكبش في الكعبة. وإليه يذهب الحسن ومجاهد والقرظي، واحتج بأن الله تعالى لما فرغ من قصة الذبيح، قال: "وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ".

والقول الأول أصح، فإن الخليل لما هاجر عن قومه، قال: "هَبْ لِي مِنَ الصَالِحِينَ فَبَشَرْنَاهُ بِغلامٍ حَلِيمٍ". والبشارة كانت لسارة،

فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ، أي كبر، وبلغ أنه سعى مع ابنه. فأما إسماعيل فقد ذكرنا أنه أسكنه مكة و لم يره حتى تزوج امرأتين.
والاحتجاج بقرني الكبش ليس بشيء، لأنه من الجائز أن يكونا حملا من الشام، واحتجاج المحتج بقوله: "وَبَشَرْنَاهُ" يدل على أنه إسحاق لأن الواو لا تقتضي الترتيب.

الإشارة إلى قصة الذبح سبب أمر الله خليله بذبح ولده

ما روى السدي عن أشياخه أن جبريل لما بشر سارة بإسحاق، قالت: وما آية ذلك؟ فأخذ عودا يابساً في يده فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر، فقال ابراهيم: هو لله إذاً ذبيح، فلما كبر إسحاق أتى ابراهيم في النوم فقيل له: أوف بنذرك الذي نذرت، فقال لإسحاق: انطلق نقرب قرباناً إلى الله، فأخذ سكيناً وحبلاً ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يا أبتاه، أين قربانك؟ قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك، فقال إسحاق: اشدد رباطي حتى لا اضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي فتراه سارة فتحزن، وأسرع مَرّ السكين على حلقي ليكون أهون للموت عليّ، وإذا أتيت سارة فاقرأ عليها السلام. فأقبل عليه إبراهيم يقبله، وقد ربطه وهويبكي وإسحاق يبكي، ثم إنه جرّ السكين على حلقه فلم يُحِك السكين، فأضجعه على جبينه فنودي: يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. فإذا بكبش فأخذه، وخلى عن ابنه، وأكب على ابنه يقبله ويقول: اليوم يا بني وُهِبْتَ لي. فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر فجزعت سارة، وقالت: يا إبراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني.
قال شعيب الجبائي: لما علمت بذلك ماتت يوم الثالث.

وروى ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم: إن إبراهيم لما خرج بابنه ليذبحه اعترضه إبليس، فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ فقال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، فقال: واللّه إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك. فعرفه إبراهيم، فقال: إليك عني عدو اللّه، فواللّه لأمضين لأمر ربي فيه، فلما يئس عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض الولد، فقال: يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك. قال: يحتطب لأهلنا من هذا الشعب، قال: واللّه ما يريد إلا أن يذبحك، قال: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره ربه، فسمعاً وطاعة، فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى أمه، فقال: هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنه؟ فقالت: ذهب به يحتطبان من هذا الشعب، قال: ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: هو أرحم به وأشد حباً من ذلك، قال: إنه يزعم أن اللّه يأمره بذلك، قالت: فإن كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر اللّه. فرجع عدو الله لم يصب من آل إبراهيم شيئاً مما أراد.
فقال: يا أبت إذا أردت ذبحي فاشدد رباطي، فإن الموت شديد، واشحذ شفرتك حتى تُجهز عليّ فتريحني. فإذا أنت أضجعتني فعلى وجهي فإني أخشى إن نظرت في وجهي أن تدركك رقة تحولُ بينك وبين أمر اللّه فيَّ، وإن رأيت أن ترد قميصي إلى أمي فإنه عسى أن يكون أسلَى لها عنَي. فقال له إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر اللّه. فربطه كما أمره، ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين، واتق النظر في وجهه، ثم أدخل الشفرة، فقبلها اللّه تعالى ونودي: قد صدقت الرؤيا.
قال ابن عباس: خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً، وهو الكبش الذي قربه هابيل فنحره في منى.
وقال علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه: كان كبشاً أبيض أقرن أعين مربوطاً بسَمُر في ثبير.
وقال عبد بن عمير: ذبح بالمقام.

وقال الحسن: أهبط عليه من ثبير.

قال وهب بن منبه، وشعيب الجبائي، وغيرهما: كان ذلك بإيليا من أرض الشام.

ومن الأحداث في زمن الخليل عليه السلام

احتيال نمرود في صعود السماء وبنيان الصرح

رأى نمرود سلامة إبراهيم من النار وما آمن، ثم زاد عتوه وتمرور فبقي أربعمائة عام لاتزيده الحجج إلا تمادياً. ثم انه حلف ليطلبن إله إبراهيم.

قال السدي عن أشياخه: أخذ نمرود أربعة أفرخ من فراخ النسور فرباهن باللحم والخمر حتى إذا كبرن وغلظن واستعلجن، قرنهن بتابوت، وقعد في ذلك التابوت، ثم رفع رجلاً من لحم لهنَّ، فطرن به، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض فرأى الأرض تحته كأنها فلكة في ماء، ثم صعد فوقع في ظلمة، فلم يرما فوقه ولا ما تحته، ففزع فألقى اللحم فاتبعته منقضّات، فلما رأت الجبال ذلك كادت تزول، فذلك قوله تعالى: "وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبَال".

فلما رأى أنه لم يطق شيئاً أخذ في بنيان الصرح، فبناه، ثم ارتقى ينظر وسقط الصرح، وتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع.

ومن الأحداث في زمن الخليل عليه السلام هلاك نمرود

قال زيد بن أسلم: بعث اللّه إلى نمرود ملكاً أن آمن بي وأتركك على ملكك. قال: فهل ربّ غيري. فأتاه الثانية فقال له ذلك فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة، فقال له ذلك فأبى عليه، فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام، فجمع جموعه، فأمر اللّه الملك ففتح عليه باباً من البعوض، وطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام والجبار كما هو لم يصبه من ذلك شيء، فبعث اللّه عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه فعذبه الله أربعمائة عام كما ملكه وأماته اللّه. وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء، فأتى اللّه بنيانه من القواعد، وهو قال اللّه: "فأتى الله بنيانهم من القواعد".

وقد ذكرنا أن قوماً يقولون نمرود هو الضحاك الذي سبق ذكره، وليس كذلك، لأن نسب نمرود في النَبَط، ونسب الضحاك في عجم الفرس.

وذكر قوم أن الضحاك ضم إلى نمرود السَّواد وما اتصل بها، وكان عاملاً له، وكانت ولايته. بابل من قبل الضحاك، فلما ملك أفريدون وقهر الضحاك قتل نمرود وشرد النبط. والله أعلم.

ومن الأحداث في زمن الخليل عليه السلام

إرسال إبنه إسحاق إلى أرض الشام

وكان إبراهيم بفلسطين وإسماعيل إلى جرهم ولوط إلى سدوم، ويعقوب إلى أرض كنعان، فهؤلاء كلهم أرسلوا في زمانه.

ومن الأحداث في أيام الخليل عليه السلام

هلاك قوم لوط

قد ذكرنا أن لوطاً عليه السلام هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمناً به متبعاً له على دينه إلى الشام معهما سارة. وقد قيل: كان معهم تارخ أبو إبراهيم وهو على غير دينه حتى صاروا إلى حران، فمات تارخ بحران على كفره. وشخص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام، واختتن لوط مع إبراهيم ولوط ابن ثلاث وخمسين سنة، ثم مضوا إلى مصر فصادفوا هناك فرعونا من فراعنتها، ويقال له أخو الضحاك، وجهه الضحاك عاملاً عليها من قبله، فرجعوا عوداً على بدئهم إلى الشام، فترل إبراهيم فلسطين ونزل لوط الأردن، فأرسل اللّه تعالى لوطاً وذلك في وسط عمر إبراهيم.

وهو: لوط بن هاران بن تارخ، ورأيت بخط أبي الحسين بن المنادي: هازن، بالزاء المعجمة من غير ألف. بعث إلى أهل سَدُوم، فكانوا أهل كفر باللّه وركوب الفاحشة.

قال مجاهد: كان بعضهم يجامع بعضاً في المجالس. قال العلماء بالسير: كان لوط يدعوهم إلى عبادة اللّه وينهاهم عن الفاحشةَ ولا يزجرهم وعيده ولا يزيدهم إلا عتواً، فسأل اللّه تعالى أن ينصره عليهم، فبعث اللّه تعالى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، فأقبلوا مشاة في صورة رجال شباب فترلوا على إبراهيم، وكان قد احتبس عنه الضيف أياماً ففرح بهم ورآهم في غاية الحسن والجمال، فقام يخدمهم فجاء بعجل سمين، فأمسكوا، فقال: ألا تأكلون. فقالوا: لا نأكل طعاماً إلا بثمنه، قال: فإن له ثمناً، قالوا: وما هو. قال: تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل وقال: حق لهذا أن يتخذه اللّه خليَلاَ، ثم رأى إمساكهم ففزع منهم وظنهم لصوصاً، قالوا: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط فضحك سارة تعجباً وقالت: لحقتم بابنا ولا تأكلون طعامنا. فقال جبرئيل: أيتها الضاحكة أبشري بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وكانت بنت تسعين سنة وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة.

فلما سكن روعه، وأعلموا لماذا أرسلوا فناظرهم في ذلك كما قال اللّهّ عز وجل: "فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط".

وكان جداله إياهم أن الملائكة قالوا: "إنا مهلكوا أهل هذه القرية". فقال لهم: أهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمنون. قالوا: لا، قال: ثلاثمائة. قالوا: لا، قال مائتان، قالوا: لا، قال: مائة، قالوا لا، قال: أربعون، قالوا لا، قال: أربعة عشر، قالوا: لا. وكان يعدهم أربعة عشر مع امرأة لوط. فسكت واطمأنت نفسه. هذا قول سعيد بن جبير.

قال ابن عباس: قال الملك لإبراهيم: إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب. قال حذيفة: جاءت الرسل لوطاً وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم واللّه أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط، فأتوه فقالوا: إنّا مضيفوك الليلة. فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال: أما تعلمون مايعمل أهل هذه القرية؟ واللّهّ ما أعلم على ظهر الأرض ناساً أخبث منهم. فانطلق بهم فلما بصرت عجوز السوء امرأته بهم انطلقت وأنذرتهم.

وقال السدي، عن أشياخه: لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط أتوهم نصف النهار، فلما بلغوا نهرسدوم لقوا ابنة لوط تستقي الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى ريثا، والصغرى رعرثا، فقالوا لها: يا جارية هل من مترل. قالت: نعم،

مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فزعت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت يا أبتاه أدركت فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن من وجوههم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالاً، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها وقالت إن في بيت، لوط رجالاً مارأيت مثل وجوههم قط. فجاء قومه يهرعون إليه.

قال علماء السير: فلما أتاه قومه جعل يلطف بهم ويقول: اتقوا اللّه ولا تخزوني في ضيفي. ويقول: هؤلاء بناتي أهن أطهر لكم مما تريدون".

فلما لم يلتفتوا إلى قوله قال: "لَوْ أن لِي بِكُمْ قوَّةً" أي: لو أن لي أنصاراً ينصرونني عليكم أو عشيرة يمنعونني منكم لحلت بينكم وبين ما جئتم. فلما اشتد الأمر عليه، قالت له الرسل: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فقال: أهلكوهم الساعة.

فقال جبرئيل: إن موعدهم الصبح. فطمس جبرئيل أعينهم، فقالوا: يا لوط جئتنا بقوم سحرة كما أنت حتى تصبح. فأمر أن يُسري بأهله، فخرج وقت سحر، ثم أدخل جبرئيل جناحه في أرضهم فرفعها، وكانت خمس قريات أعظمها سدوم حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، فجعل عاليها سافلها، ورموا بالحجارة فكانوا أربعآ آلاف ألف، وتبعت الحجارة شذاذ القوم، وسمعت امرأة لوط الهدة، فقالت: واقوماه، فأدركها حجر فقتلها.

وتوفي لوط وهو ابن ثمانين سنة، وعلى مقتضى الحساب يكون وفاة لوط قبل إبراهيم بسنين كثيرة.

ومن الحوادث في أيام الخليل عليه السلام

موت سارة

فإنها توفيت بالشام، وقيل: ماتت بأرض كنعان، وهي بنت مائة وسبع وعشرين سنة، فدفنت بمزرعة اشتراها إبراهيم. وأما هاجر فقد ذكرنا في الحديث الصحيح أنها ماتت بمكة قبل بناء البيت.

ومن الحوادث تزوج الخليل بعد سارة

قال ابن إسحاق: لما ماتت سارة تزوج بعدها من الكنعانيين من العرب العاربة واسمها قَنْطورا بنت يقطان. ويقال: بنت مقطور، وقد قال حذيفة: يوشك بنو قنطورا أن يخرجوا أهل البصرة منها. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال ان قنطورا كانت جارية لإبراهيم، فولدت أولاداً، والترك من نسلها. قال ابن إسحاق: ولدت له قنطورا ستة نفر: منهم مدين وأولاده الذين أرسل إليهم شعيب وقيل: تزوج أخرى اسمها حجون، فولدت له خمس بنين.

وكان ممن يتبع في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ذو القرنين

وإن كانوا قد اختلفوا في زمان كونه. فروي عن علي رضي الله عنه، أنه قال: كان من القرون الأول من ولد يافث بن نوح. وقيل: انه من ولد عيلم بن سام. وانه ولد بأرض الروم حين نزلها ولد سام. وقال الحسن البصري: كان بعد ثمود. وذكر أبو الحسين بن

المنادي أنه كان في زمان الخليل، ومات في ذلك الزمان. وهذا الأشبه.

فقد روى الفضل بن عطية، عن عطاء، عن ابن عباس: أن ذا القرنين لقي إبراهيم الخليل بمكة فسلم عليه وصافحه واعتنقه.

وجاء في حديث آخر: أن إبراهيم الخليل كان جالساً في مكان فسمع صوتاً، فقال: ما هذا الصوت؟ قيل له: هذا ذو القرنين في جنوده. فقال لرجل عنده: إئت ذا القرنين وأقرئه مني السلام، فأتاه، فقال: إن إبراهيم يقرأ عليك السلام، قال: ومن إبراهيم. قال: خليل الرحمن، قال: وإنه لها هنا. قال: نعم، فنزل عن فرسه ومشى، فقيل له: إن بينك وبينه مسافة، فقال: ما كنت أركب في بلد فيه إبراهيم، فمشى إليه فسلم عليه، وأوصاه، وأهدى إليه إبراهيم بقراً وغنماً.

واختلف العلماء في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال: أحدها: عبد الله. قاله علي رضي الله عنه. وقال ابن عباس: اسمه عبد الله بن الضحاك.

والثاني: الإسكندر، قاله وهب. وقيل: هو الإسكندر بن قيصر. قاله أبو الحسين ابن المنادي، وكان قيصر هذا أول القياصرة وأقدمهم، وإنما سمي بذي القرنين بعد ذلك بزمان طويل.

والثالث: عياش، قاله محمد بن علي بن الحسين.

والرابع: الصعب بن جاثر بن القلمس. ذكره أبو بكر بن أبي خيثمة. واختلفوا هل كان نبياً أم لا. فقال عبدالله بن عمرو، وسعيد بن المسيب، والضحاك بن مزاحم: كان نبياً.

وخالفهم الأكثرونْ في هذا، فروينا عن علي رضيِ الله عنه أنه قال: كان عبداً صالحاً أمر قومه بتقوى الله، لم يكن نبياً ولا ملكاً.

وقال وهب: كان ملكاً و لم يوح إليه.

وقال أحمد بن جعفر المنادي: كان على دين إبراهيم. واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين. على عشرة أقوال: أحدها: أنه دعا قومه إلى الله تعالى فضربوه على قرنه فهلك فغبر زماناً ثم بعثه اللّه تعالى فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك فذلك قرناه. قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رواية.

والثاني: انه سمي بذي القرنين لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها، رواه أبوصالح، عن ابن عباس.

وأخبرنا محمد بن عمر الأرموي، أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي، أخبرنا عمر بن شاهين، حدثنا محمد بن سليمان الباغندي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، قال: حدثني زائدة، عن سماك بن حرب، عن حبيب بن جادم، قال: قال رجك لعلي رضي اللّه عنه: كيف بلغ ذو القرنين المشرق والمغرب. فقال علي: سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور. وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان عبداً صالحاً ناصح لله وأطاعه فسخر له السحاب فحمله عليه وبسط النور.

والثالث: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

والرابع: لأنه رأى في النوم كأنه امتد من السماء إلى الأرض، فأخذ بقرني الشمس، فقص ذلك على قومه فسمي بذي القرنين.

والخامس: لأنه ملك فارس والرّوم.

والسادس: لأنه كان في رأسه شبه القرنين. رويت هذه الأقوال الأربعة عن وهب ابن منبه.

والسابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر. قاله الحسن.

قال أبو بكر بن الأنباري: والعرب تسمى الضفيرتين من الشعر غديرتين وضفيرتين وقرنين. ومن قال سمي بذلك لأنه ملك فارس والروم قال: لأنهما عاليان على جانبين من الأرض، فقال لهما قرنان.

والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف.

والتاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس وهو حي.

والعاشر: لأنه سلك الظلمة والنور. ذكر هذه الأقوال الأربعة، أبو إسحاق الثعلبي.

قال مجاهد: ملك الأرض أربعة، مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود، وبخت نصر.

قال أبو الحسين أحمد بن جعفر: زعموا أن ذا القرنين أحد عظماء ملوك الأرض إلا أن الله أعطاه مع ذلك التوحيد والطاعة واصطناع الخير، ومدّ له في الأسباب وأعانه على أعدائه، وفتح المدائن والحصون، وغلب الرجال وعمر عمراً طويلاً بلغ فيه المشارق والمغارب وبنى السد فيما بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، وكان في ذلك رحمة للمؤمنين، وحرزاً منيعاً من البلاء الذي لاطاقة لهم به.

ذكر طرف من أخباره روى أبو الحسين بن المنادي بإسناد له عن عتبة بن عامر الجهني، أن النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر ذا القرنين، فقال: "إن أول أمره أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً حتى أتى أرض مصر، فابتنى عندها مدينة يقال لها الاسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به فقال له: انظر ما تحتك، قال: ما أرى مدينتي وأرى مدائن معها، ثم عرج به، فقال له: انظر، فقال: قد اختلطت المدائن، ثم زاد فقال له: انظر، فقال: أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرها، فقال له الملك: إنما تلك الأرض كلها وهذا السواد الذي ترى محيطاً به البحر، وإنما أراد اللهّ أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطاناً فيها، فسر في الأرض علّم الجاهل وثبت العالم.

فسار، حتى بلغ مغرب الشمس ثم أتى السدين، وهما جبلان لينان يتزل عنهما كل شيء، فبنى السد، ثم سار فوجد يأجوج ومأجوج يقاتلون قوماً وجوههم كوجوه الكلاب ثم قطعهم، فوجد أمة قصاراً يقاتلون الذين وجوههم كوجوه الكلاب، ثم مضى فوجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمة من الحيّات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض.

وروى أبو الحسين بإسناد له عن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن جده علي، بن أبي طالب، رضي اللهّ عنهم، أنه قال: كان ذو القرنين عبداً صالحاً، وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتي ذا القرنين ويزوره، فبينما هما يوماً يتحدثان، قال ذو القرنين: يا رفائيل، حدثني كيف عبادتكم في السماء، فبكى رفائيل وقال: يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا، ان في السموات من الملائكة هو قائم أبداً لا يجلس، ومنهم الساجد لا يرفع رأسه أبداً، ومنهم الراكع لا يستوي قائماً أبداً، ومنهم الرافع وجهه لا يجلس أبداً، وهم يقولون: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك. فبكى ذو القرنين بكاء شديداً، ثم قال: يا رفائيل إني لأحب أن أعيش فأبلِغ من عبادة ربي حقَّ طاعته. فقال رفائيل: أوتحب ذلك؟ قال: نعم، قال: فإن للّه عيناً في الأرض تسمى عين الحياة فيها عزيمة أنه من شرب منها شربة إنه لن يموت حتى يكون هو الذي يسأل الموت. قال ذو القرنين: فهل تعلمون أنتم موضع تلك العين، فقال رفائيل: لا، غير أننا نتحدث في السماء أن للهّ في

الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جان، فنحن نظن أن تلك العين هي التي في تلك الظلمة، فجمع ذو القرنين حكماء أهل الأرض، وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة، وقال: أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله وما جاءكم من أحاديث الأنبياء، وحديث من كان قبلكم من العلماء أن الله وضع في الأرض عيناً سماه عين الحياة؟ فقالت العلماء: لا، فقال ذو القرنين: فهل وجدتم فيها أن الله وضع في الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جان. قالوا: لا، فقال عالم من، العلماء واسمه أفشنجير: أيها الملك لم تسأل عن هذا.
فأخبره بالحديث وما قال له رفائيل في العين والظلمة، فقال: أيها الملك، إني قرأت وصية آدم فوجدت فيها أن الله وضع في الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جان، فقال ذو القرنين: فأي أرض وجدتها في الأرض. قال: وجدتها على قرن الشمس.
فبعث ذو القرنين في الأرض فحشر الناس إليه الفقهاء والأشراف والملوك، ثم سار يطلب مطلع الشمس، فسار إلى أن بلغ طرف الظلمة ثنتي عشرة سنة، فإذا الظلمة ليست بليل وظلمة تفور مثل الدخان، فعسكَرثم جمع علماء عسكره، فقّال: إني أريد أن أسلك هذه الظلمة، فقالت العلماء: أيها الملك، إنه من كان قبلك من الأنبياء لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها، فإنّا نخاف أن يتفق عليك منها أمر، تكرهه، ويكون فيها فساد الأرض، فقال: ما بد من أن أسلكها، فخرت العلماء سجداً، وقالوا: أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فإنا لو نعلم أنك إن طلبتها ظفرت بما تريد ولكنا نخاف العتب من اللّه، ويتفق عليك أمر يكون فيه فساد الأرض وما عليها، فقال: ما بد من أن أسلكها، فقالت العلماء: شأنك بها، فقال ذو القرنين: أي الدواب بالليل أبصر.
قالوا: الخيل، قال: فأيها أبصر. قالوا: الإناث أبصر، قال: فأي الإناث. قالوا: البكارة.
فأرسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى بكارة، ثم انتخب من أهل عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل، فدفع إلى كل رجل فرساً، وعقد للخضر على مقدمته على ألفين، وكان الخضر وزير ذي القرنين، وهو ابن خالته. وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف، فقال ذو القرنين للناس: لا تبرحوا من عسكركم هذا اثنتي عشرة سنة فإن نحن رجعنا إليكم فذلك وإلا فارجعوا إلى بلادكم، فقال الخضر: أيها الملك إنا نسلك ظلمة لا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضاً، فكيف نصنع بالضلال إذا أصابنا؟ فدفع ذو القرنين إلى الخضر خرزة حمراء، فقال: حيث يصيبك الضلال فاطرح هذه الخرزة إلى الأرض فإذا صاحت فليرجع إليها أهل الضُّلال. فسار الخضر بين يدي في القرنين يرتحل ونزل ذو القرنين وقد عرف الخضر ما يطلب ذو القرنين، وذو القرنين يكتم الخضر.

فبينما الخضر يسير إذ عارضه واد، فظن الخضر أن العين في الوادي، فلما قام على شفير الوادي قال لأصحابه: قفوا ولا يبرحن رجل من موقفه، ورمى بالخرزة في الوادي، فمكث طويلاً ثم أضائته الخرزة وطلب صوتها، فانتهى إليها فإذا هي على حافة العين، فترع الخضر ثيابه ثم دخل العين، فإذا ماء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ثم خرج فلبس ثيابه ثم رمى بالخرزة نحو أصحابه فصاحت، فرجع الخضر إلى صوتها وإلى أصحابه، فأخذها وركب فسار. ومرّ ذو القرنين فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوماً وأربعين ليلة، فخرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولا قمر، وأرض حمراء، ورملة. وإذا قصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ مسور ليس عليه باب، فترل ذو القرنين بعسكره ثم خرج وحده حتى دخل القصر، فإذا حديدة طرفاها على حافتي القصر، وإذا طائر أسود كأنه الخطاف أو شبه بالخطاف، مذموم بأنفه إلى الحديدة، معلق بين السماء والأرض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين، قال: من هذا؟ قال: أُنا ذو القرنين، فقال الطائر: يا ذا القرنين أما كفاك ما وراءك

حتى وصلتَ إلي، يا ذا القرنين حدثني هل كثر البناء بالأجر والجص. قال: نعم. فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة، ثم قال: هل كثرت شهادات الزور في الأرض. قال: نعم. فانتفض الطائر ثم انتفخ فبلغ ثلثي الحديدة، ثم قال: يا ذا القرنين: حدثني هل كثرت المعازف في الأرض؟ قال: نعم. فانتفض ثم انتفخ فملأ الحديدة وسد ما بين جداري القصر، فاجتث ذو القرنين فرحاً، فقال الطائر: هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا اللهّ. قال: لا، فانضم الطائر ثلثاً ثم قال: هل تركت الصلاة المفروضة. قال: لا، فانضم الطائر ثلثاً، ثم قال: هل ترك الناس غسل الجنابة، قال: لا، فعاد الطائر كما كان ثم قال: يا ذا القرنين اسلك هذه الدرجة إلى أعلى القصر، فسلكها فإذا سطح وعليه رجل قائم، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا. قال: أنا ذو القرنين، قال: يا ذا القرنين أما كفاك ما وراءك حتى وصلت إليّ؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا صاحب الصور، وإن الساعة أقتربت وأنا أنتظر أمر ربي أن أنفخ فأنفخ. ثم ناوله حجراً، فقال: خذها فإن شبع شبعت وإن جاع جعت، فرجع به إلى أصحابه فوضعوا الحجرفي كفه ووضعوا حجراً آخر مقابله، فإذا به يميل، فتركوا آخر كذلك إلى ألف حجر، فمال ذلك الحجر بالكل. فأخذ الخضر كفاً من تراب، وتركه في احدى الكفتين وأخذ حجراً من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الأخرى وترك معه كفاً من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين، فاستوى في الميزان، فقال الخضر: هذا مثل ضرب لكم إن ابن آدم لا يشبع أبداً دون أن يحثى عليه التراب كما لم يشبِع هذا الحجر حتى وضعت عليه التراب. قال: صدقت يا خضر لا جرم، لا طلبت أثراَ في البلاد بعد مسيري هذا، فارتحل راجعاً حتى إذا كان في وسط الظلمة وطىء الوادي الذي فيه زبرجد، فقال من معه: ما هذا الذي تحتنا؟ فقال ذو القرنين: خذوا منه، فإنه من أخذ ندم ومن ترك ندم. فأخذ قوم وترك قوم، فلما خرجو من الظلمة إذا هو بزبرجد، فندم الآخذ والتارك. ثم رجع ذو القرنين إلى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات. قال الحسن البصري: ان ذا القرنين كان يركب وعلى مقدمته ستمائة ألف، وعلى ساقته ستمائة ألف.

كتاب أم الإسكندر إليه قال كعب الأحبار: إن أم ذي القرنين كانت حازمة عاقلة، فلما بلغها أن ابنها قد فتح المدائن واستعبد الرجال، ودانت له الملوك كتبت إليه. بسم اللهّ الرحمن الرحيم. من روقية أم الإسكندر إلى الإسكندر الموتى له، الضعيف الذي بقوة ربه قوي، وبقدرته قهر، وبعزته استعلى، يا بني لا تدع للعجب فيك مساغاً فإن ذلك يرديك، ولا تدع للعظمة فيك مطمعاً فإن ذلك يضعفك، يا بني ذل نفسك للذي رفعك. واعلم أنك عن قليل محوَّل عما أنت فيه، يا بني إياك والشح فإن الشح يرديك ويزري بك، وانظر هذه الكنوز التي جمعتها أن تعجل حملها إليّ كلها مع رجل مفرد على فرس أجرد.

فلما ورد عليه الكتاب جمع الناس، فقال: انظروا فيما كتبت أمي وسألتني فيه:

أن أرسل بهذه الأموال، فقالوا: وكيف السبيل إلى حملها على فرس؟ فقال: هل عندكم غير هذا. قالوا: لا، فدعا كاتبه فقال: أكتب كلَّ مال جمعته فاحصه واجعله في كتاب وبين مواضعها وعدها، ففعل الكاتب ثم ختم الكتاب، وحمل رجل على فرس، ثم قال له: امض بهذا الكتاب إلى أمي، ثم قال لهم: إنما سألتني أمي أن أبعث إليها بعلم مالي أجمع ومواضعها. قال: إن ذلك إلى اليوم معروف بالروم في بيت مملكتهم وبيوت أموالهم يجدون علم ذلك في أرض كذا وكورة كذا، وموضع كذا وكذا، ومن المال كذا وكذا مما كنزه الإسكندر، وكان اللهّ لم يجعل فيه من الحرص شيئاً، و لم يجمع الدنيا إلا ما كان يسر بمن معه فيقويهم على ذلك، وكان مسيرة ذلك رحمة للمؤمنين.

صفة بناءالسد ذكر أبو الحسين بن المنادي عن الموجود في أيدي الفرس عن كتبهم الموروثة: أن ذا القرنين لما عزم على المسير إلى

مطلع الشمس أخذ على طريق كابل في الهند وتبت، فتلقته الملوك بالهدايا العظيمة والتحايا الكريمة والطاعة والأموال إلى أن صار إلى الأرض المنتنة السوداء، فقطعها سيراً في شهر، ثم جاءته الأدلاء فانتهوا به إلى الحصون الشامخة والمدن المعطلة من أهلها وقد بقيت منهم فيها بقايا سألوه بأجمعهم أن يسد عنهم الفج الذي بينهم وبين يأجوج ومأجوج، فسار إليه ونزل بجيشه العظيم الهائل ومعه الفلاسفة والصناع والحدادون، فاتخذ قدور الحديد الكبار والمغارف الحديدية، وأمر أن يجعل كل أربعة من تلك القدور على ديكدان طول كل واحد خمسين ذراعاً أو نحوها، وأمر الصناع أن يضربوا اللبن الحديد، فاتخذوا النحاس والحديد وأضرموا عليه النار فصارت حجارة لم ير الناس مثلها كأنها تشبه جبل السد. طول كل لبنة ذراع ونصف بالذراع الأعظم، وسمكها شبر.

فما زالوا يبنون السد من جانب الجبل، وجعل في وسطه باباً عظيماً طوله أقل من عرضه، فالعرض مائة ذراع، كل مصراع خمسين ذراعاً، والطول خمسين ذراعاً، وعليه قفل عظيم نحو عشرة أذرع، وفوقه بأذرع غلق أطول من ذلك القفل! وكل ذلك أملس كملاسة الجبل وبلونه.

فذكروا أنه لما فرغ من بناء السد أمر بالنار فاضرمت عليه من أسفله إلى أعلاه، فصار معجوناً كأنه حجر واحد مثل الجبل سواء، فلما فرغ من بنائه مال راجعاً بعد أن لقي الأمم التي خلف يأجوج ومأجوج. قال أبو الحسين: وبلغني عن خردا ذبه، قال: حدثني سلام الترجمان: أن الواثق لما رأى في المنام أن السد الذي سده ذو القرنين ببناء بين يأجوج ومأجوج انفتح وجهني فقال: عاينه واتني بخبره، وضم إليَ خمسين رجلاً ووصلني بخمسة آلاف دينار وأعطاني ديتي عشرة آلاف درهم، وأمر بإعطاء كل رجل معي ألف درهم ورزق ستة أشهر، وأعطاني مائتي بغل يحمل الزاد والماء. فشخصنا من سر من رأى بكتاب من الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية وهو بتفليس، في إنفاذنا فكتب لنا إلى إسحاق صاحب السرير، وكتب لنا ذاك إلى ملك الدان، فكتب لنا إلى قلانشاه، فكتب لنا إلى ملك الخزر، وسرنا من عند ملك الخزر، يوماً وليلة، ثم وجه معنا خمسين رجلاً أدلاء، فسرنا من عنده خمسة وعشرين يوماً، ثم سرنا إلى أرض سوداء منتنة الريح وقد كنا تزودنا قبل دخولها طيباً نشمه للرائحة المكروهة، فسرنا فيها عشرة.

أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها سبعة وعشرين يوماً فسألنا عن تلك المدن التي كان يأجوج ومأجوج طرقوها فخربوها، ثم صرنا إلى حصون بالقرب من جبل السد في شعب منه.

وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرأون القرآن، لهم كتاتيب ومساجد، فسألوا: من أين أقبلتم؟ فأخبرناهم أنا رسل أمير المؤمنين، فأقبلوا يتعجبون ويقولون: أمير المؤمنين! قلنا: نعم،فقالوا: أشيخ هوأم شاب؟ فقلنا: شاب، فتعجبوا وقالوا: أين يكون؟ قلنا: بالعراق في مدينة يقال لهاسرمن رأى، فقالوا:ما سمعنا بهذا قط.

ثم سرنا إلى جبل أملس ليس عليه خضراء، وإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً، وفيه السد، وإذا عضادتان مبنيتان للمشي مما يلي الجبل من جنبتي الوادي، عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعاً الظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب، وعليه بناء مكين من حديد مغيب في نحاس في سمك خمسين ذراعاً. وإذا دروند حديد طرفاه على العضادتين، طوله مائة وعشرون ذراعاً، قد ركب على العضادتين، على كل واحد بمقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع، وفوق الدروند بناء بذلك الحديد المغيب في النحاس إلى رأس الجبل في ارتفاعه مدّ البصر، وفوق ذلك شرف حديد في كل شرفة قرنان يشير كل واحد منهما إلى صاحبه وإذا باب حديد مصراعين معلقين، عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسين ذراعاً في ثخن خسمة أذرع، وقائمتاهما في دوارة

في قدر، وعلي الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع الاستدارة، وارتفاء القفل من الأرض خمس وعشرون ذراعاً، وفوق القفل بقدر خمس أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل، وقعر، كل واحد منهما ذراعان، وعلى الغلق مفتاح مغلق طوله ذراع ونصف، وله اثنتا عشرة دندانجة كل واحد كدستج أكبر ما يكون من هاوون معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار، والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق، وعتبة الباب عشرة أذرع بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين، والظاهر منها خمس أذرع، وهذا الذراع كله بالذراع السوداء.

ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة حديد، في كل واحدة خمسون ومائة منّ، فيضرب القفل بتلك الموزبات في كل يوم مرّات ليسمع من نقباء الباب الصوت، فيعلموا أن هنالك حفظة، ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثا، وإذا ضرب أصحابنا القفل وضعوأ اذاهم فيسمعون بمن داخل دوياً.

وبالقرب من هذا الموضع حصن كبير يكون وعشرة فراسخ في عشر فراسخ بكسر مائة فرسخ ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما بمائتي ذراع قي مائتي ذراع، وعلى باب هذين الحصنين شجرتان، وبين الحصنين عين عذبة، في أحد الحصنين آلة البناء الذي كان بني به السد من القدور والحديد والمغارف الحديد، على كل أنصبة أربع قدور مثل قدور الصابون، وهنالك بقية من اللبن قد التزق بعضها ببعض من الصداء، واللبنة ذراع ونصف في سمك شبر.

وسألوا من هنالك: هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج، فذكروا أنهم رأوا مرّة عدداً فوق الشرف، فهبت ريح سوداء فألقتهم إلى جانبهم، فكان مقدار الرجل منهم في رأي العين شبراً ونصفاً. قال سلام الترجمان: فلما انصرفنا أخذتنا الأدلاء إلى ناحية خراسان فسرنا إليها حتى خرجنا خلف سمرقند سبع فراسخ، وقد كان أصحاب الحصون زودونا ما كفانا، ثم صرنا إلى عبد اللّه بن طاهر.

قال سلام: فوصلني بمائة ألف درهم، ووصل كل رجل معي بخمسمائة درهم. وأجرى للفارس خمسة دراهم وللراجل ثلاثة دراهم في كل يوم إلى الذي. فرجعنا إلى سرمن رأى بعد خروجنا بثمانية وعشرين شهراً.

قال ابن خرداذبه: فحدثني سلام الترجمان بجملة هذا الخبر ثم أتليته من كتاب كتبه الواثق.

وقد روى أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم. أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا، أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قال: لا إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه فيرونه أشد ما كان حتى إذا بلغت مدقم وأراد اللّه عز وجل أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون المياه ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم نحو السماء فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فيبعث الله عز وجل نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم ودمائهم ".

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن مخلد، حدثنا محمد بن عمرو بن البحتري، حدثنا أبو طاهر أحمد بن بشر الدمشقي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد

بن جابر، عن أبيه، عن يحيى بن جابر، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان الكلابي، قاك: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يأجوج ومأجوج، فقال: "ليستوقد المسلمون من جعابهم وثيابهم وتراسيهم وقسيهم سبع سنين".

ذكر أشياء جرت لذي القرنين في المسير أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا محفوظ بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجارزي حدثنا المعافى بن زكريا، حدثنا عبد اللّه بن محمد بن جعفر الأزدي، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا صفوان بن عمرو بن عبد الرحمن بن عبد اللّه الخزاعي: أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم وقد احتفروا قبوراً، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلّوا عندها، ورعوا البقل كما ترعى البهائم، وقد قيض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض، فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم، فقال الرسول: أجب الملك، فقال: ما لي إليه حاجة، فأقبل إليه ذو القرنين فقال: إني أرسلت إليك لتأتيني، فما أتيت، فها أنا ذا قد جئتك، فقال: لو كانتَ لي إليك حاجة لأتيتك، فقال له ذو القرنين: ما لي أراكم على الحال التي رأيت، لم أر أحداً من الأمم عليها. قالوا: وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء، أفلا اتخذتم الذهب والفضة واستمتعتم بها، فقال: إنما كرهنا لأن أحداً لم يعط منها شيئاً إلا تاقت نفسه إلى أفضل منه، فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبوراً فإذا أصبحتم تعهدتموها وكنستموها وصليتم عندها، قالوا: أردنا: إذا نظرنا إليها وألهتنا الدنيا منعت قبورنا من الأمل، قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض، أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وذبحتموها واستمتعتم بها، فقالوا: رأينا أن في نبات الأرض بلاغاً، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين، فتناول جمجمة، فقال: يا ذا القرنين أتدري من هذا.

قال: لا، من هو. قال: ملك من ملوك الأرض أعطاه اللّه سلطاناَ على أهل الأرض فغشم وظلم وعتى، فلما رأى الله، ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى، قد أحصى الله عليه عمله حتى يجازيه به في آخرته. ثم تناول جمجمة أخرى إليه، فقال: يا ذا القرنين، هل تدري من هذا. قال: لا من هذا. قال: ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الظلم والغشم التجبر، فتواضع وخشع لله عز وجل وعمل بالعدل في أهل مملكته، فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته، شم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين، وقال: وهذه الجمجمة تصير إلى ما صارتَ إليه هذه الجماجم، فانظر يا عبد اللّه ما أنت صانع فقال له ذو القرنين: هل لك في صحبتي فأتخذك وزيراً وشريكاً فيما أنا فيه من هذا المال، فقال: ما أصلح أنا وأنت في مكان، قال: و لم؟ قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدّو ولي صديق، قال: و لم ذلك؟ قال: يعادونك لما في يدك من الملك ولا أجد أحداً يعاديني لرفضي ذلك فانصرف عنه ذو القرنين.

وذكروا أن ذا القرنين لما رجع عن سلوك الظلمة قصد بلاد خراسان، فلما صار إلى نهر بلخ هاله أمره، فأمرهم بشق الخشب الغلاظ وترقيقها، ثم أمر الحدادين فضربوا المسامير ثم أمر بثلاثمائة سفينة فصنعت، وأمر بحبال من ليف وبحبال من قنب فصنعت غلاظاً طوالاَ، فأمر ببناء جسر، من جانبي النهر وشدت تلك الحبال منهما ممدوداً على الماء عرضاً، وجعلت السفن جسراً بين الحبال في صدور السفن وفي إعجازها لتمسكها، ثم أمر بالخشب فقطع بمقدار عرض السفن، وقصدت سقفاً، وهيل عليه التراب ولب بالماء حتى اطمأن ونشف، فلما أمكن العبورعليه عبره بجيوشه سائراً إلى قومس، فاشتكى فأخذه الرعاف حتى مات في طريقه، وقد كان حين بلغ الصين أمر بمدن كثيرة فبنيت هنالك؟ فمنها: الدبواسية، وحمدان، وشيرك، وبرج الحجارة، وكذلك أمرحين بلغ الهند فبنى

هنالك مدينة سرنديب، وله غير هذه الأبنية في النواحي التي طافها.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل،، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الحسن بن يحيى من أهل مرو، حدثنا أوس بن عبد اللّه بن بريدة، قال: أخبرني أخي سهل بن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن جده بريدة، قاك: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "سيكون بعدي بعوث كثيرة فكونوا في بعث خراسان، ثم انزلوا مدينة مرو، فإنه بناها ذو القرنين ودعا لها بالبركة ولا يضر أهلها بسوء".

ذكر وفاته قد روينا أن الخضر شرب من عين الحياة، وفاتت ذا الفرنين فزعم أقوام أنها لما فاتته اغتم، فقال له الحساب: لا تحزن إنا نرى لك مدة وإنك لا تموت إلا على أرض من حديد، وسماء من خشب، فانصرف راجعاً يريد الروم، فأقبل يدفن كنوز كل أرض بها، ويكتب ذكر ذلك ومبلغ ما دفن وموضعه وحمل الكتاب معه حتى بلغ بابل فرعف وهو في مسير فسقط عن دابته، فبسط له درع وكانت الدروع إذ ذاك صفائح، فنام على تلك الدرع، فآذته الشمس، فدعوا ترساً فأظلوه تطرفاً، فإذا هو مضطجع على حديد وفوقه خشب، فقال: هذه أرض من حديد وسماء من خشب، فأيقن الموت.

ذكركتابه إلى أمه يعزيها عن نفسه أنبأنا ثابت بن يحيى بن بندار، قال: أخبرني أبي، أخبرنا أبو علي الحسن بن الحسين بن دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرجي، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، أخبرنا أبوحذيفة إسحاق بن بشر القرشي، عن عبد اللّه بن زياد، قال: حدثني بعض من قرأ الكتب: أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها بلغ أرض بابل فمرض مرضاً شديداً أشفق من مرضه أن يموت بعدما دَوَّخَ البلاد وجمع الأموال، فترل بابل فدعا كاتبه، فقال: خفِّفْ عليَّ في الموتة بكتاب تكتبه إلى أمي تعزيها بي، واستعن ببعض علماء أهل فارس، ثم اقرأه عليّ. فكتب الكتاب.

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من الإسكندر بن قيصر رفيق أهل الأرض بجسده قليلاً، ورفيق أهل السماء بروحه طويلاً إلى أمه روقية ذات الصفاء التي لم تمتع بثمرتها في دار القرب، وهي مجاورته عما قليل في دار البعد، يا أمتاه، يا ذات الحكمة أسألك برحمتي وودي وولادتك إياي، هل وجدت لشيء قراراً باقياً وخيالاً دائماً، ألم تري إلى الشجرة كيف تنضر أغصانها وتخرج ثمرتها وتلتف أوراقها ثم لا يلبث الغصن أن يتهشم والثمر أن يتساقط، والورق أن يتباين. ألم تري النبت الأزهر يصبح نضيراً ثم يمسي هشيماً.! ألم تري إلى النهار المضيء ثم يخلفه الليل المظلم.! ألم تري إلى القمر الزاهر ليلة بدره كيف يغشاه الكسوف؟! ألم تري إلى شهب النار الموقدة ما أوشك ماتخمد؟! ألم تري إلى عذب المياه الصافية ما أسرعها إلى البحور المتغيرة.! ألم تري إلى هذا الخلق كيف يعيش في الدنيا قد امتلأت منه الافاق، واستعلت به الأشياء، وولهت به الأبصار والقلوب.! إنما هما شيئان: إما مولود وإما ميت، كلاهما مقرون بالفناء، أنم تري أنه قيل لهذه الدار روحي بأهلك فإنك لست لهم بدار.! يا واهبة الموت، ويا موروثة الأحزان، ويا مفرقة بين الأحبة، ويا مخربة العمران، ألم تري إلى كل مخلوق يجري على ما لا يدري؟ هل رأيت يا أماه معطياً لا يأخذ، ومقرضاً لا يتقاضى، ومستودعاً لا يسترد وديعته؟! يا أماه إن كان أحد بالبكاء حقيقاً فلتبك السماء على نجومها، ولتبك الحيتان على بحورها وليبك الجوعلى طائره، ولتبك الأرض على أولادها والنبت الذي يخرج منها، وليبك الإنسان على نفسه التي تموت في كل ساعة وعند كل طرفة. يا أمتاه إن الموت لا يعتقني من أجل أني كنت عارفاً أنه نازل بي، فلا يتعبك الحزن فإنك لم تكوني جاهلة بأني من الذين

يموتون. يا أمتاه إني كتبت كتابي هذا وأنا أرجوأن تعتبري به ويحسن موقعه منك، فلا تخلفي ظني ولا تحزني روحي، يا أمتاه إني قد علمت يقيناً أن الذي أذهب إليه خير من مكاني الذي أنا فيه، وأطهر من الهموم والأحزان والأسقام والنصب والأمراض فاغتبطم لي بمذهبي، واستعدي لاتباعي، يا أمتاه إن ذكري قد انقطع من الدنيا وما كنت أذكر به من الملك والرأي، فاجعلي لي من بعدي ذكراً أذكر به في حلمك وصبرك والرضا بما يقول الحكماء، يا أمتاه إن الناس سينظرون إلى هذا منك وهم راض وكاره ومستمع وقائل، فأحسني إلي وإلى نفسك في ذلك، يا أمتاه السلام في هذا الدار قليل زائل فليكن عليك، وعلينا في دار الأزل السلام الدائم. فتفكري بفهم وديعة نفسك أن تكوني شبه النساء في الجزع كما كنت لا أرضى شبه الرجال في الاستكانة والضعف، و لم يكن ذلك يرضيك في. ثم مات رحمه اللّه.

وفي رواية أنه كان في كتابه إليها: أيا أماه اصنعي طعاماً واجمعي من قدرت عليه من نساء أهل المملكة، ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة. فصنعت طعاماً وجمعت الناس وقالت: لا يأكل من أصيب بمصيبة قط، فلم يأكل أحد، فعلمت ما أراد.

فلما حمل تابوته إليها تلفتت بعظماء أهل المملكة، فلما رأته قالت: يا ذا الذي بلغ السماء حلمه وجاز أقطار الأرض ملكه، ودانت الملوك عنوة له، مالك اليوم نائماَ لا تستيقظ، وساكتاً لا تتكلم، من بلغك عني بأنك وعظتني فاتعظت، وعزيتني فتعزَيت، فعليك السلام حيّاً وميتاً. ثم أمرت بدفنه. واختلف في قدر عمره، فذكر عن أهل الكتاب أنه عاش ثلاثة آلاف سنة. وذكر أبو بكربن أبي خيثمة أنه عاش ألفاً وستمائة سنة.

فأما من يقول عاش نحواً من أربعين سنة فإنما اشتبه عليه بالإسكندر اليوناني، وذلك يأتي ذكره بعد يونس عليه السلام.

ومن الحوادث وفاة الخليل صلوات اللّه عليه وسلامه

لما أراد اللّه عز وجل قبض إبراهيم أمر ملك الموت أن يتلطف له. فروى السدي عن أشياخه، قال: كان إبراهيم يطعم الناس ويضيفهم، فبينا هو يطعم الناس إذا هو بشيخ كبيريمشي في الحر، فبعث إليه بحصان فركبه حتى إذا أتاه أطعمه، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت. فقال إبراهيم للشيخ: ما بالك يا شيخ تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم الكبر، قال: ابن كم أنت؟ قال: فزاد على عمر إبراهيم سنتين، فقال إبراهيم: إنما بيني وبينك سنتان، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك، قال: نعم، قال إبراهيم: اللهم أقبضني إليك، فقام الشيخ فقبض نفسه. واختلفوا في قدر عمر إبراهيم، فقال قوم: مائتا سنة. وقال آخرون: مائة وخمس وسبعون. ودفن عند قبر سارة في مزرعة حَبْرُون.

باب ذكر اسماعيل صلوات الله عليه وسلامه

إسماعيل أكبر بنيه، ولد له وهو ابن تسعين سنة وولد إسحاق بعده بثلاثين سنة، وقد ذكرنا أن سارة وهبت هاجر لإبراهيم، وأنه ولد له منها إسماعيل، وأن الخليل هاجر به وبأمه إلى مكة وانه زوج إسماعيل امرأة من جرهم، ثم أخرى. قال ابن إسحاق: ولد لإسماعيل اثنا عشر ولداً، منهم: نابت، وقيمر، ويقال قيدار الذي نشر اللّه منه العرب، ويقال: بل العرب من نابت ومن قيدر.

وقيل: سميت العرب العاربة لأن إسماعيل نشأ بعربة وهي من تهامة. وقيل: بل لأن أول من نطق بلسان العرب يعرب بن قحطان، وهوأبو اليمن فهم العرب العاربة.

واتخذ الله إسماعيل نبياً بعد إبراهيم، وبعث إلى العماليق وجرهم وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الأوثان، فآمنت له طائفة منهم وكفر الأكثرون.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: لما بلغ إسماعيل عشرين سنة توفيت هاجر وهي بنت تسعين سنة فدفنها إسماعيل في الحجر.

أنبأنا أبوعبد اللّه الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدّباس، أخبرنا أبوجعفر بن المسلمة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص، أخبرنا أبو عبد اللّه أحمد بن إسماعيل بن داود الطوسي، حدثنا الزبيربن بكار، قال: حدثني إسماعيل بن أبي أوشى، عن أبيه، عن الربيع بن قريع الغطفاني، عن عقبة بن بشير، قال: سألت محمد بن علي بن الحسين، قلت: يا أبا جعفر من أول من تكلم بالعربية؟ قال: إسماعيل وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة، قلت: فما كان كلام الناس قبل ذلك. قال: العبرانية.

وفي رواية عن أبي جعفر، قال: ألهم الله إسماعيل العربية فنطق بها. قال علماء السير: لما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق، وزوج ابنته من العيص بن إسحاق، وعاش إسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة، ودفن في الحِجر عند قبرأمه هاجر. قال عمر بن عبد العزيز: شكا إسماعيل إلى ربه عز وجل حرمكة فأوحى اللّه إليه: أني أفتح لك باباً من الجنة في الحِجر يجري عليك منه الروح إلى يوم القيامة. وفي ذلك الموضع توفي.

قال خالد المخزومي: فيرون أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربي فيه قبره.

وقال صفوان بن عبد اللّه الجمحي: حفر ابن الزبير الحجر فوجد فيه سفطاً من حجارة أخضر، فسأل قريشاً عنه فلم يجد عند أحد منهم فيه علماً، فأرسل إلى أبي فسأله فقال: هذا قبر إسماعيل عليه السلام.

وفي رواية: أنه وجد حجارة خضراء منطبقاً بها، فقيال له: هذا قبر إسماعيل. وقيل: بل قبره مقابل الحجر الأسود. وقال ابن الزبير: هذا المحدودب يشير إلى ما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام، فقبور عذارى بنات إسماعيل. قال: وذلك الموضع سوي مع المسجد ولا يثبت أن يعود محمودباً كما كان.

قال علماء السير: لما توفي إسماعيل دبرأمر الحرم بعده ابنه نابت بن إسماعيل، وقيل: اسمه نبت، وأمه الجرهمية، ثم مات نبت و لم يكن ولد إسماعيل فغلبت جرهم على ولاية البيت.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا موسى بن إبراهيم، عن أبي بكر بن عبد اللّه بن أبي الجهم، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، عن أبي الجهم بن حذيفة بن غانم، قال: توفي إسماعيل بعد إسحاق فدفن داخل الحِجر مما يلي الكعبة مع أمه هاجر. وولي نابت بن إسماعيل البيت بعد أبيه مع أخواله جرهم.

قال ابن سعد: وأخبرنا خالد بن خداش، حدثنا عبد الله بن وهب المعبري، قال: حدثني حرملة بن عمران، عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي فروة، أنه قال: ما يعلم موضع قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة: قبر إسماعيل، فإنه تحت الميزاب بين الركن والبيت وقبر هود فإنه في خصف تحت جبال اليمن عليه شجرة نداء وموضعه أشد الأرض حرّاً،، وقبر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم.

باب ذكر إسحاق عليه الصلاة والسلام

زعم الضحاك بن مزاحم أن إسحاق أوّل مرسل بعد ابراهيم، قال: و لم يمت إبراهيم حتى بعث إسحاق إلى أرض الشام، وبعث يعقوب بن إسحاق إلى كنعان، وبعث إسماعيل إلى جرهم، وبعث لوط إلى سدوم.

قال: وكان هؤلاء كلهم أحياء على عهد إبراهيم أو كان إبراهيم، قد زوج ابنه إسحاق أروقة بنت بتاويل بن ناحور بن آزر، فولدت لإسحاق العيص ويعقوب وهو ابن ستين سنة.

فأما العيص فإنه تزوج بنت عمه إسماعيل، وولدت له الروم، وكل بني الأصفر من ولده. وإنما سمي ولد ولده الأصفر لأنه كان فيه آدمة. وكثر أولاوده حتى غلبوا الكنعانيين بالشام، وصاروا إلى البحر والسواحل وناحية الاسكندرية، وصار الملوك من ولده، وهم اليونانية، وسيأتي ذكر يعقوب إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر السدي وغيره: أن عيصاً ويعقوب اعترضا في بطن أمهما وكانا توأماً، فقال العيص: أنا أخرج قبلك، فخرج فسمي عيصاً، وسمي يعقوب لأنه تبعه.

قال المصنف: ومثل هذا قبيح أن يذكر، لأن يعقوب اسم أعجمي ليس بمشتق من العقب، ولا عيصاً من المعصية، وإثبات خصومة بين حملين من أبعد الأشياء، قد نزهت كتابنا عن مثل هذه الأشياء التي تملأ مثلها التواريخ والمبتدآات.

قال علماء السير: عاش إسحاق مائة وستين سنة، وتوفي بفلسطين، ودفن عند قبر، أبيه إبراهيم وانتقل الملك إلى ولد إسحاق، فملك منهم ملوك. وكان من زمن كيومرت إلى انتقال الملك إلى ولد إسحاق ألف سنة وتسعمائة واثنتان وعشرون سنة.

باب ذكر يعقوب عليه السلام

قد ذكرنا أن يعقوب ولد في زمن إبراهيم، ونبيء في زمانه أيضاً.

قال علماء السير: كان إسحاق يميل إلى يعقوب، ويدعو له. ويقال: إنه قال، للعيص أطعمني لحم صيد أدع لك، فسمع يعقوب فجاءه بلحم فدعا له فظنه العيص، فتوعد العيص يعقوب بالقتل فخرج هارباً إلى خاله لابان فزوجه ليا، فولدت له روبيل، وشمعون، ولاوي، ويشحب، وزبالون، وقيل: زيلون. ثم توفيت فتزوج أختها راحيل فولدت له يوسف، وابن يامين، ومعناه: ابن الوجع، لأنها ماتت في نفاسه. وذكر الطبري أنه بنيامين، وهو بالعربية شداد، وولد له من غيرهما أربعة نفر، وكان بنو يعقوب اثني عشر ولداً. وكان أحب الخلق إليه يوسف، وهؤلاء الأسباط.

وأهل الكتاب يقولون: كانوا أنبياء، ومختلف في ألفاظ أسمائهم، فأما روبيل فهو أكبر ولد يعقوب، ثم شمعون ويقال سمعان، ثم يهوذا وهو في الرئاسة أعلاهم، وكان داود وعيسى جميعاً من ولد يهوذا، ثم لاوي وكان موسى وهارون من ولده، ثم يساخر ثم زيلون ويقال: زيالون، ويقال: زيولون، وقد يقال بالراء والباء ربولون، ثم جادر، ثم أشيز، ثم ودان ثم نفثالي، ويقال: نفثال، ويقال: نفثول، ثم بنيامين ويوسف، وكانت أم روبيل وشمعون ويهوذا ولاوي ويساخر وزيلون اسمها ليا بنت لايان خال يعقوب، وهؤلاء أخت منها ومن يعقوب أبيهم يقال لها دنيا، وكانت امرأة أيوب، وكانت أم جاذر وأشيرا إسمها بلها، وكانت أمها راحيل كانت أم يوسف وبنيامين اسمها راحيل، وهي أخت ليا بنت لايان.

ومن الحوادث في زمان يعقوب ما جرى ليوسف

عليهما السلام

فإن أمه راحيل لما ولدته دفعه يعقوب إلى أخته تحضنه.

قال مجاهد: أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغنا أن عمته ابنة إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق، وكانت إليها مِنْطقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكان من أختانها ممن وليها كان له سلَماً لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء، فلما حضنت يوسف أحبته حباً شديداً حتى إذا ترعرع طلبه يعقوب، فقالت: ما أصبر عنه، فقال: وكذلك أنا. قالت: فدعه عندي أياماً، فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق، فشدتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: قد فقدت منطقة إسحاق فانظروا من أخذها، فوجدت مع يوسف، فقالت: إنه يسلَمَ لي أصنع به ما شئت، فقال يعقوب: أنت وذاك، فأمسكته فلم يقدر عليه يعقوب حتى ماتت، وبذلك عيّره أخوته في قولهم: "إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخ لَهُ مِنْ قَبْلُ".

قال علماء السير: لما رأى أخوة يوسف شدة محبة يعقوب له، وعلموا المنام الذي رآه، وأن الشمس والقمر والنجوم سجدوا له دخلهم الحسد، فاحتالوا عليه بقولهم: "أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدَاً يَرْتَعْ وَيَلْعَب" فلما خرجوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل هذا يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل يصيح: يا أبتاه، يا يعقوب لوتعلم ما يصنع بابنك، فألقوه في الجب، فجعلوا يُدْلونه فيتعلق بشفير البئر، فربطوا يديه ونزعوا قميصه، فقال: يا اخوتاه ردُّوا عليّ قميصي أتوارى به في الجبّ، فقالوا: ادع الشمس والقمر والكواكب تؤنسك. فألقوه في الماء، فآوى إلى الصخرة في الجب، ثم أرادوا أن يرضخوه بصخرة، فمنعهم يهوذا، وقال: قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه، وكان يهوذا يأتيه بالطعام، فأوحى اللّه تعالى "لَيُنَبِّئَنَّهُمْ بأمرهم هذا"، ثم جاءوا أباهم عشاء يبكون، فقال: أين يوسف؟ قالوا: أكله الذئب، وكانوا قد ذبحوا جدياً فلطخوا بدمه القميص، فجاءت سيارة بعد ثلاثة أيام، فورد واردهم فتعلق به فصعد، فقال: "يَا بُشْرَى هَذَا غلام". فقال اخوته: هذا غلام آبق منا. واشتروه منهم بعشرين درهماً، ثم باعوه بمصر، فاشتراه قُطْفير، وكان على خزائن مصر، وفرعون مصر يومئذ الريان بن الوليد من أولاد سام بن نوح. ويقال: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف، ثم مات ويوسف حيّ، ثم ملك بعده قابوس بن مصعب، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى.

فلما اشتراه قطفير أتى به منزله، فقال لامرأته واسمها راعيل: أكرمي مثواه، وكان لا يأتي النساء، فراودته عن نفسه، "وَقَالَتْ: هَيْتَ لَك" أي: تهيأت لك، قَالَ: "مَعَاذَ اللّه".

فأما قوله: "وهَمَّ بِهَا"، فإنه حديث الطبع وتمنيه نيل الشهوة لو كانت مباحة فإن الإنسان إذا صام اشتهى شرب الماء، غير أن الصوم مانع، فرأى البرهان وهو علمه بأن اللّهَ تعالى حرّم الزنا ولا يلتفتَ إلى ما يروى في التواريخ والتفاسير من أنه رأى يعقوب عاضاً على يده فإن مرتبة يوسف كانت أعلى من هذا. وقد شرحنا هذا في التفسير.

والشاهد الذي شهد، كان طفَلاً صغيراً تكلم هكذا.

قال علماء السير: "فَلَمّا رَأى" زوج المرأة "قَمِيصَهُ قدَّ مِنْ دُبرٍ"، قال لزوجته "إِنهُ مِنْ كَيْدِكُنّ"، ثم قال ليوسف: "اعْرِضْ عَنْ هَذَا"، أي لا تذكره لأحد "وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِك". فشاع الحديث، وجعل النسوة يقلن: "امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ"، فلما سمعت

بذلك أعدت لهن طعاماً وما يتكئن عليه من الوسائد، "وأتَتْ كُلَّ وَاحدَة منْهُنَّ سكِّيناً" لقطع الأترج، ثم قالت ليوسف: اخرج، فخرج عليهن فقطعن أيديهن بالسكاكين، وهُنَّ يحسبن أنهن يقطعن الأترج، فقالت لهن: "فَذَلكُنَّ الَّذي لُمتنني فيه وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِه فاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنن" فاستغاث يوسف بربه عز وجل، وقال: "رَبِّ السِّجْنُ أحب إلَيّ" قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني بين الناس يعتذر إلى الناس، ولا يطيق أن اعتذر، فإما أن تأذن لي فأعتذر، وإما أن تحبسه فحبسه، فأدخل معه السجن فتيان من فتيان الملك، وكان أحدهما صاحب طعامه فبلغه أنه يريد أن يسمه فحبسه وحبس صاحب شرابه ظناً أنه مالأه على ذلك، وكان يوسف قد قال في السجن: اني أعبر الرؤيا، فسألاه عن مناميهما المذكورين في القرآن، وقد قيل: إنهما لم يريا شيئاً وإنما جرّبا عليه فدعاهما إلى التوحيد أولا بقوله أرباب متفرقون.

ثم فسر مناميهما، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: "قُضِيَ الأمْرُ" ثم قال للذي ظن أنه ناج منهما: "اذْكُرْني عنْدَ رَبِّك". وأخبره أنه محبوس ظلْماً. فأوحى إليه: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً! لأطيلن حبسك، فبكى وقال: يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة، فويل لإخوتي! فلبث في السجن سبع سنين، ثم رأى الملك مناماً، وهو قوله: "إنِّي أرَى سَبْع بَقَرات سمَان" فقصها على أصحابه، فقالوا: "أضْغَاثُ أحلام" فقال الذي نجا من الفتيين، وهو الساقي "وادَّكَر" أي: ذكر حاجة يوسف "أنا أنبِّئكُمْ بتأويله فَارْسلُون "فأرسلوه، فأتى يوسف فأخبره وقال: "تَزْرَعُونَ سَبْعَ سنين". ومعناه: ازرعوا. فعاد إلى الملك، فأخبره. فقا الملك: "ائتوني به" فأبى يوسف أن يخرج حين رابه مما قرب به، فقال: "ارجعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْألْهُ مَا بَالُ النِّسْوَة اللاتي قطَّعْنَ أيْديَهُن" فجمع الملك النسوة، وقال: "ومَا خطبُكُنَّ إذْ رَاودتُنَّ يوسفَ عَنْ نَفْسه قُلْنَ حَاش للَّه". ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته فقالت امرأة العزيز: "أنَا رَاوَدتُّهُ"، فقال يوسف: ذلك الفعل الذي فعلت من ترديدي رسول الملك ليعلم قطفير سيدي "أنِّي لَمْ أخُنْهُ بَالْغَيْب".

فلما تبين للمك عذر يوسف ورأى أمانته، قال: "ائْتُوني به أسْتَخْلصْهُ لنَفْسي فَلَمّا" أتي به فكلمه "قَالَ إنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكينٌ أمين" فقال: "اجْعلني عَلَى خَزَائنِ الأرْض" أي على حفظ الطعام "إني حَفيظٌ" لما استودعتني "عَليم" بسني المجاعة، فولاه عمل قطفير، وعزل قطفير، فهلك قطفير في تلك الأيام، وزوج الملك يوسف امرأة قطفير، فلما دخلت عليه قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين، فقالت: أيها الصادق لا تلمني فإني كنت امرأة حسناء في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت فيما أعطاك ربك من الحسن فغلبتني نفسي، فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له أفراييم وميشا، فولد لأفراييم نون، وولد لنون يوشع فتى موسى، وولد لميشا موسى، وهو نبي قبل موسى بن عمران. وقد روي في حقها غير هذا على ما سيأتي.

فلما ولي يوسف أمر الناس بالزرع فزرعوا، فأمر بترك الزرع في سنبله، ودخلت السنون. المجدبة وقحط الناس وأجدبت بلاد فلسطين، وباع يوسف الطعام بالدنانير والدراهم والحلي والحلل، ثم باعهم في السنة الأخرى بالعبيد والإماء، ثم باعهم بعد ذلك بالخيل والدواب، ثم بالمواشي والبقر والطير، ثم بالقرى والضياع والمنازل، ثم باعهم بأنفسهم، فلم يبق بمصر رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير إلا صار في ملك يوسف.

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، أخبرنا صاعد بن سيار، أخبرنا أحمد بن أبي سهل الغورجي، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ إجازة، أخبرنا محمد بن أحمد بن حمزة، حدثنا محمد بن المنفر، قال: حدثني مطروح بن شاكر، حدثنا علي بن معبد العبدي، حدثنا عمر بن عبد الله القرشي، قال: جاء سيل بمصر، فحسر عن بيت من ذهب في أصل جبل عليه مصراعان وفيه امرأة عليها سبعة عقود وسبعة

أسورة وإلى جانبها صخرة مكتوب فيها: أنا شادة بنت فلان الملك، أصابتنا مجاعة على عهد يوسف، فبذلت صاعاً من درهم بصاع من طعام، فلم أقدر عليه، ثم بذلت صاعاً من دنانير بصاع من طعام فلم أقدرعليه، ثم بذلت صاعاً من لؤلؤ بصاع من طعام فلم أقدر عليه، فعمدت إلى اللؤلؤ فسحقته ثم شربته فزادني جوعاً، فمت جوعاً، فأيما امرأة طلبت الدنيا بعد فأماتها الله موتي فإني إنما مت جوعاً.

وقد روي أن زليخا صارت في ملك يوسف لأنها اشترت منه بجميع ملكها، ثم بنفسها فأخرجها يوسف من مدينته فابتنت لنفسها مسكناً على قارعة طريق يوسف، فغيرتها السنون ونسيها يوسف واشتغل بملكه عليه السلام، وكبرت وعميت وانحنى صلبها. وكان يوسف يركب في كل شهر ركبة في ثمانمائة ألف، وفي ألف دواء وألفي سيف يدور في عمله وينتصب لأهل مملكته، وينصف للمظلوم من الظالم. وكانت زليخا تلبس جبة صوف وتشد حقويها بحبل من ليف وتقف على قارعة الطريق فإذا حاذاها يوسف نادته فلا يسمع نداءها، ففعلت ذلك مراراً، فركب يوماً فنادته: أيها العزيز سبحان من جعل العبيد بالطاعة ملوكاً. وجعل الملوك بالمعصية عبيداً، فسمعها فبكى والتفت إلى فتاه، فقال: انطلق بهذه العجوز معك إلى دار الملك، واقض لها كل حاجة، فقال لها الغلام: ما حاجتك يا عجوز؟ فقالحت له: إن حاجتي محرمة أن يقضيها غير يوسف، فأقبل يوسف من موكبه فدعا بها، وقال: من أنت يا عجوز؟ قالت: أنا معتقتك ومذللتك، أنا زليخا، فبكى وقال: ما فعل حسبك وجمالك، قالت: ذهب به الذي ذهب بذلّتك ومسكنتك وأعطاك هذا الملك، فقال: يا زليخا إن لك عندي قضاء ثلاث حوائج فسلي، فوحق شيبة إبراهيم لأقضينها، فقالت: حاجتي الأولى أن تدعو اللّه أن يرد عليّ بصري وشبابي، فدعا اللّه لها فرد بصرها وشبابها، فلما نظر إلى حسنها وجمالها لم يتمالك أن ضحك، ثم قالت: ادع الله أن يرد عليّ حسني كما كان، فدعا اللّه فرد حسنها وجمالها وزادها كرامة ليوسف، فصارت كأنها بنت ثماني عشرة سنة، وكان لها يومئذ مائة وعشرون سنة، فقالت: حاجتي الثالثة...، قال ما هي؟ قالت: ليست حاجتي إليك، قال: فما حاجتك؟ قالت: أن تتزوج بي، فأوحىِ الله إليه أن تزوج بها وزينها بكل زينة، ثم دخل بها فأصابها بكراً، وأولدها اثني عشر ولداً.

ذكر هذه القصة أبو الحسين بن المنادي من حديث وهب بن منبه، وغيره.

قال العلماء: وبلغ الجدب أرض كنعان وهلكت ماشية يعقوب ودوابه وجاع هو وأولاده، فقال لهم: انطلقوا فاشتروا لنا من عزيز مصر طعاماً. وكان يوسف قد أقعد صاحب جوازه على الطريق، وأمره أن لا يترك أحداً من أهل الشام يدخل ممر إلا سأله عن حاله وقصته، فلما قدم ولد يعقوب سألهم من أين هم؟ فقالوا: نحن كنعانيون من بني يعقوب النبي عليه السلام، وكتب إلى يوسف بذلك، وأنهم يريدون اشتراء طعام، فورد الكتاب على يوسف فبكى بكاء شديداً، ثم قال: عزعلي يا نبي اللّه بما قاسيت من فقراء الشام وجوعها وأنا ملك مصر، ثم أدخلهم عليه "فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُون" فجعته العبرة ثم قال: من أين أنتم؟ قالوا: من وادي كنعان، قال: ومن أنتم؟ قالوا: بنو يعقوب النبي ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل، فقال: حياكم الله يا ولد يعقوب، ألكم حاجة؟ قالوا: نعم أصابتنا خصاصة، فوجهنا يعقوب إليك نمتار منك طعاماً، فأمر بصرارهم فأخذت، ثم دعا فتاه من حيث لا يشعرون، فأمره أن يجعل كل صرة في حمل من الأحمال التي يكيل فيها الطعام لهم، وكان هو يتولى الكيل بنفسه ويخيط الحمل بنفسه، فلما أرادوا الرحيل، قال: كيف رأيتم سيرتي وحسن ضيفي؟ قالوا: جزاك اللّه خيراً فقال: إن لي إليكم حاجة، قالوا: وما حاجتك؟ قال:

تخبروني كم ولد يعقوب؟ قالوا: اثنا عشر، قال: فما أرى إلا عشرة، قالوا: أما أحدهما وكان يقال له يوسف وكان أجملنا فأكله الذئب، قال: فالآخر، قالوا: موكل بخدمة يعقوب يتسلى به، قال: فاتوني بأخيكم هذا، "فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي، ولا تَقْرَبُونِ".

فرجعوا إلى يعقوب فقصوا عليه قصتهم، فبكى يعقوب، وقال: "هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْه إلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أخيهِ مِنْ قَبْل" ثم فتحوا متاعهم فوجدوا الصرار، فقالوا: "يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هذه بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إلَيْنَا". ثم ما زالوا بيعقوب حتى بعث معهما ابن يامين، ثم أنه كره أن تصيبهم العين، فقال: "لا تَدْخُلُوا مِن بَاب وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتفرِّقَةٍ".

فلما وصلوا إليه فرأى يوسف ابن يامين خنقته العبرة، فلما جلسوا نصب لهم موائد ستة، وأمر كل واحد منهم أن يأخذ بيد أخيه من أمه وأبيه فيجلسان على مائدة، وأخذ كل واحد بيد أخيه، فبقيت مائدة خالية وابن يامين قائم وحده، فقال يوسف: يا غلام ما لك لا تقعد مع اخوتك؟ قال: ليس لي قرين، ولقد كان لي أخ فأكله الذئب، فقال: أتحب يا غلام أن أجلس أنا معك؟ قال: نعم، فجلس معه فجعل ابن يامين يبكي، قال: ما لك؟ قال: أرى في وجهك علامات طال ما كنت أراها في وجه أخي يوسف.

فلما كان لهم أمر فتاه أن يجعل الصواع في رحل ابن يامين فلما خرجوا نادى مناد: "أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون".

فجرى لهم ما قصّ في القرآن إلى أن ظهر الصواع في رحل ابن يامين، فأقبلوا يلطمون وجه ابن يامين، وهو يقول: وحق شيبة إبراهيم ما سرقت ولا علمت كما لم تعلموا أنتم بصراركم قبل ذلك، فلما رجعوا إلى أبيهم، تخلف روبيل، وقال: "فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْض حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي".

فلما أخبروا يعقوب، قال: "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً"، ثم أعرض عنهم، "وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ"، فقالوا له: لا تزال "تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَى تَكُونَ حَرَضاً". فقال: "إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّه" لا إليكم "وأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ"من صدق رؤيا يوسف.

وقيل: إن يعقوب سأل ملك الموت: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، فقال لأصحابه: "إِذْهَبُو فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخيه".

فرجعوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف فقالوا: "مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرَّ وَجِئنَا بِبِضَاعة مُزْجَاة" وكانت سمناً وصوفاً، فسألوا التجاوز عنهم، وقالوا له: "وَتَصدقْ عَلَيْنَا" أي: بفضل ما بين الرديء والجيد، وقيل: ترد أخانا. فبكى وقال: "هَلْ عَلِمْتُم مَا فَعَلْتم بِيُوسُفُ وَأَخِيهِ" فقالوا: "إِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُو!سُفُ وَهَذَا أَخِي" فقالوا: " لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا" فقال: ما فعل أبي؟ قالوا: عمي من الحزن، فقال: "اذْهَبُوا بِقَمِيصي هَذَا أَفَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ". فلما فصلوا بالقميص قال يعقوب: "إِنِي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُف" فكان بينهما مسيرة ثمانية أيام.

قال العلماء: واستأذنت الريح ربها أن تأتي بريح القميص يعقوب قبل البشر، فأذن لها.

فلما وصل وهو يهوذا، وكان قد قال: أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم فأخبرته أنه أكله الذئب وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره أنه حيٌّ فأفرحه كما أحزنته، فألقاه على وجه يعقوب فارتد بصيراً، فقال أولاده: "يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا". "قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُم". فأخر ذلك إلى ليلة الجمعة وقت السحر.

ثم دخل يعقوب وأولاده وأهله إلى مصر، فلما بلغوا خرج يوسف يتلقاه في ألوف كثيرة، فنظر يعقوب إلى الخيل، فقال لابنه يهوذا

وهو يتوكأ عليه: هذا فرعون مصر، فقال: لا هذا ابنك يوسف. فلما التقيا قال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان، فلما دخلوا مصر رفع أبويه على العرش، وهو السرير.

والمراد بأبويه: أبوه وأمه، وقيل: بل خالته وكانتَ أمه قد ماتت. وخروا له الوالدان والأخوة سجداً. وكانت تحية الناس قديماً.

فقال يوسف: "يَا أبتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاي" التي رأيتها، وكان بين الرؤيا وتأويلها أربعون سنة. قاله سلمان وقال الحسن: ثمانون. قال الحسن: ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان بين ذلك وبين لقاء يعقوب ثمانين سنة، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة.

وقد زعم بعض أهل الكتاب أن يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة، وأقام في مترل العزيز ثلاث عشر سنة، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون ملك مصر واسمه الريان بن الوليد، وأن هذا الملك آمن به ثم مات.

وقال بعض علماء السير: أقام يعقوب عند يوسف بمصر، أربعاً وعشرين سنة، وقيل: سبع عشرة، ومات وهو ابن مائة وسبع وأربعين سنة، وعاش يوسف بعد يعقوب ثلاثاً وعشرين سنة، وأوصى إلى يوسف أن يدفنه عند أبيه إسحاق، فحمله إلى هناك، وأوصى يوسف إلى أخيه يهوذا أن يدفن إلى جنب آبائه. ومات.

باب ذكر أيوب عليه الصلاة والسلام

وهو أيوب بن أموص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم. نسبه ابن إسحاق.

وقال هشام بن محمد، عن أبيه: أيوب بن رازح بن أموص بن العيرز بن العيمر.

قال وهب بن منبه: كان أيوب في زمن يعقوب عليه السلام، وكانت تحته بنت يعقوب، وكان أبوه ممن آمن لإبراهيم يوم إحراقه. وأم أيوب بنت لوط النبي صلى اللّه عليهما فلوط جدّ أيوب لأمه.

وبعضهم يجعل أيوب بعد سليمان، وبعضهم يقول: هو بعد يونس. والذي يقتضيه الصواب تقديمة على ما قد اخترنا.

ونبينا أيوب في زمن يعقوب، وكان يترل بالبَثْنيَّة من أرض الشام، وكان غنياً كثير الضيافة والصدقة، وكان إبليس يومئذ لا يحجب من السماوات فسمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، فأدركه الحسد، فقال: يا رب لو صدمت أيوب بالبلاء لكفرك، فقال: اذهب فقد سلطتك على ماله، ثم سلطه على أولاده، ثم على جسده، وصبرت معه زوجتش رحمة، بنت إفراييم بن يوسف بن يعقوب.

قال مجاهد: أول من أصابه الجدري أيوب.

وقال وهب: كان يخرج عليه مثل ثدايا النساء ثم يتفقأ.

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: عرج الشيطان، فقال: أي رب سلطني علي أيوب، قال: سلطتك على ماله وولده و لم أسلطك على جسده، قال: فترل فجمع جنوده، فقال: إني سلطت على أيوب فأروني سلطانكم، قال: فصاروا نيراناً ثم صاروا ماء.

قال: وبيناهم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة إلى زرعه وطائفة إلى إبله وطائفة إلى غنمه، وقالوا: اعلموا أنه لا يعتصم منكم إلا بمعرفة، فأتوه بالمصائب بعضها على أثر بعض.

قال: فجاء صاحب الزرع، فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك ناراً فأحرقه. وجاء راعي الإبل، فقال: يا أيوب ألم ترَ إلى ربك أرسل إلى إبلك عدواً فذهب بها. وجاء صاحب البقر، فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل إلى بقرك عدواً فذهب بها. ثم جاء صاحب الغنم فقال مثل ذلك.

فقال: وجاء لبنيه فجمعهم في بيت أكبرهم، فبيناهم يأكلون ويشربون فجمع أركان البيت فهدم عليهم البيت. قال: فجاء إلى أيوب في هيئة الغلام وفي أذنيه قرطان، فقال: يا أيوب ألم تر إلى بنيك اجتمعوا في بيت أكبرهم يأكلون ويشربون، فبيناهم كذلك إذ جاءت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم وطعامهم وشرابهم، فقال له أيوب: أين كنت أنت؟ قال: كنت معهم، قال: فكيف أفلت، قال: أفلتَ، قال: أنت الشيطان، قال: أنا الآن مثلي يوم خرجت من بطن أمي، فقام فحلق رأسه ثم قام يصلي، فأرن الشيطان رنة سمعها أهل السموات وأهل الأرض، ثم عرج فقال: أي رب قد اعتصم وإني لا أستطيعه إلا بتسليطك فسلطني عليه، قال: قد سلطتك على جسمه و لم أسلطك على قلبه. قال: فنفخ تحت قدميه نفخة فصرخ من قرنه إلى قدمه حتى بدا حجاب بطنه، وألقى عليه الرقاد.

قال: فقالت امرأته ذات يوم: يا أيوب قد والله نزل بي من الجهد والفاقة، فابعث قرناً من قروني برغيف فأطعمك، فادع ربك فليشفيك، قال: ويحك كنا في النعماء سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضراء سبعين عاماً.

قال: فكان في ذلك البلاء سبعين، قال: فقعد الشيطان في الطريق، فأخذ تابوتاً يتطيب فأتته امرأة أيوب، فقالت: يا عبد الله إن ها هنا إنساناً مبتلى فهل لك أن تداويه؟ قال: إن شاء فعلت على أن يقول لي كلمة واحدة إذا برأ، يقول: أنت شفيتني، قال: فأتته فقالت: يا أيوب إن ها هنا رجلاً يزعم أنه يداويك على أن تقول له كلمة واحدة: أنت شفيتني، قال: ويلك ذلك الشيطان، للّه علي إن شفاني الله أن أجلدك مائة جلدة، فبيناهم كذلك إذ جاءه جبرئيل فأخذ بيده فقال: قم، فقام، فقال: اركض برجلك فركض فنبعت عين، فقال: اشرب فشرب.

قال: ثم ألبسه حلة من الجنة وجاءت امرأته فقالت: يا عبد اللّه أين المبتلى الذي كان ها هنا لعل الذئاب ذهبت به أو الكلاب، قال: فقال: ويحك لأنا أيوب قد رد اللّه إلي نفسي، قال: فقالت: يا عبد اللّه لا تسخر بي، قال: ويحك أنا أيوب، فرد اللّه إليه ماله وولده بأعيانهم ومثلهم معهم، وأمطر عليهم جراداً من ذهب.

قال: فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعله في ثوبه. فيأخذ فيجعل فيه، فأوحى اللّه إليه: يا أيوب أما شبعت، قال أيوب: من ذا الذي يشبع من فضلك ورحمتك.

قال: فأخذ ضغثاً بيلى فجلدها به. قال وكان الضغث مائة شمراخ،، فجلدها به جلدة واحدة.

وبالإسناد حدثنا عبد اللّه، حدثنا أبي، حدثنا يزيد، أخبرنا جرير بن حازم، قال: سمعت عبد الله بن عبد بن عمير يقول: كان لأيوب أخوان فأتياه ذات يوم فوجدا له ريحاً، فقالا: لو كان الله علم من أيوب خيراً ما بلغ به كل هذا، قال: فما سمع شيئاً كان أشد عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبتَ ليلة شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فصدقني. قال: فصدق وهما يسمعان، ثم قال:

اللهم إن كنت تعلم أني لم ألبس قميصاً قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني. قال: فصدقني وهما يسمعان، ثم قال: ثم خر ساجداً ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف مابي، فكشف الله ما به. وقال يزيد مرة أخرى: لو كان لأيوب عند اللّه خير ما بلغ به كل هذا.

وقال وهب بن منبه: كانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه، فلما رأوا ما نزل به من البلاء بعدوا عنه.

قال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كناسة سبع سنين وأشهراً ما يسأل اللّه أن يكشف ما به وما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب.

وروى ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس: أن أيوب عليه السلام مكث في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات لم يتضعضع ولم يسأل العافية، وكان يقول: يا رب إن كان هذا لك رضى فشدد، وإن كان من سخط فاغفر.

قرأت على ابن ناصر، عن سليمان بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الرقي، أخبرنا محمد بن عمر بن حفص، حدثنا أحمد بن الخليل القومسي، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن بشير بن طلحة، عن خالد بن الدريك قال: لما ابتلي أيوب قال لنفسه: قد نعمت سبعين سنة فاصبري على البلاء سبعين سنة.

قال علماء السير: كان عمر أيوب ثلاثاً وسبعين سنة. وقال قوم: ثلاثاً وتسعين سنة. وقيل: بل عاش مائة وستاً وأربعين، وأوصى عند موته إلى ابنه حومل.

باب ذكر شعيب عليه السلام

وهو شعيب بن عيفا بن نويب بن مدين بن إبراهيم. هكذا يقول الأكثرون. وقرأته بخط أبي الحسين بن المنادي على خلاف هذا النسب وهذا الاسم، قال: هو شعيب ابن نوبب– بباءين مع سكون الواو – بن رعيل بن عيفا بن مدين بن إبراهيم.

وبعضهم يقول: ليس من ولد إبراهيم، إنما هو من ولد بعض من آمن به، ولكنه ابن بنت لوط.

أرسل إلى أمتين: أهل مدين، وأصحاب الأيكة. وكانت مدين دار شعيب والأيكة خلف مدين.

وكان اسمه القديم يبرون، هذا نقلته من خط ابن المنادي. وقال قوم: يثرون بياء وبعدها ثاء.

وقال الشرقي بن القطامي – وكان عالماً بالأنساب –: هو يثرون بالعبرانية، وشعيب بالعربية.

قال العلماء: بعثه اللّه تعالى إلى مدين، وهو ابن عشرين سنة، وكانوا أهل بخس في المكاييل والموازين، فدعاهم إلى التوحيد ونهاهم عن التطفيف، فكان يقال له: خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، فلما طال تماديهم بعث اللّه عليهم حرّاً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم فخرجوا إلى البرية، فبعث اللّه عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس، فوجدوا برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، فذلك عذاب يوم الظلة.

قال أبو الحسين بن المنادي: وكان أبو جاد، وهواز، وحلى، وكلمون، وسعفص، وقريشات بني الأمحض بن جندل بن يعصب بن مدين بن إبراهيم ملوكاً. وكان أبو جاد ملك مكة وما والاها من تهامة، وكان هواز وحطي ملكي وج، وهو الطائف. وكان

سعفص وقريشات ملكي مدين، ثم خلفهم كلمون، وكان عذاب يوم الظلة في ملكه، فقالت حالفه بنت كلمون – وفي رواية: أخت كلمون – ترثيه:

كلمونٌ هدَّ ركني هُلْكُهُ وَسْطَ المحلَّهْ
سيّدُ القوم أتاه ال حَتفُ ناراً وَسْطَ ظُلَّهْ
كويت ناراً فأضحت دارهم كالمضمحلَّهْ

ثم إن شعيباً مكث في أصحاب الأيكة باقي عمره يدعوهم إلى اللّه سبحانه ويأمرهم بطاعته وتوحيده والإيمان بكتابه ورسله، فما زادهم دعاؤه إلا طغياناً، ثم سلط عليهم الحرّ. فجائز أن تكون الأمتان اتفقتا في التعذيب.

وقد قال قتادة: أما أهل مدين فأخذهِم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة، فسلط عليهم الحرّ سبعة أيام، ثم بعث الله عليهم ناراَ فأكلتهم، فذلك عذاب يوم الظلة.

فأما قوله تعالى: "وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً". فقال سعيد بن جبير: كان أعمى. وهذا إن ثبت فقد كان في آخرعمره.

قال أبو روق: لم يبعث اللّه نبياً أعمى ولا به زمانة.

قال أبو الحسين بن المنادي: وهذا القول أليط بالقلوب من قول سعيد بن جبير.

قال أبو المنذر: ثم إن شعيباً زوج موسى ابنته، ثم خرج إلى مكة فتوفي بها، وأوصى إلى موسى، وكان عمره كله مائة وأربعين سنة، ودفن في المسجد الحرام حيال الحجر الأسود.

ومن الحوادث التي كانت في زمن شعيب ملك منوشهر

ورأيته بخط أبي الحسين بن المنادي "ميوشهر" قد ضبط بالياء، وهو من ولد إيرج ابن آفريدون، ولما كبر صار إلى جده أفريدون فتوجه. وبعث موسى عليه السلام وقد مضى من ملك منوشهر ستون سنة، فعاش في الملك ستين سنة، أخرى، ثم وثب به عدو فنفاه عن بلده اثني عشر سنة، ثم أديل منه منوشهر فنفاه وعاد إلى ملكه، فملكه بعد ذلك ثمانياً وعشرين سنة.

وكان منوشهر يوصف بالعدل والإحسان، وهو أوّل من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب وزاد فِي مهنة المقاتلة الرمي، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقاناً، وجعل أهلها له خولاً وعبيداً.

وسار إلى بلاد الترك مطالباً بدم جده إيرج، فقتل طوخ بن أفريدون فانصرف. واصطلح هو وقريشات على أن يجعلا حدَّ ما بين مملكتيهما منتهى رمية سهم رجل من أصحاب منوشهر، فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته تلك مما يلي الترك فهو الحدُ بينهما. فرمى ذلك فبلغت رميته نهر بلخ، فصارحدّ ما بين الترك وولد طوخ وولد إيرج. واشتَقّ مُنُوشهْر من الصّراة ودِجلة ونهر بلخ أنهاراً عظاماً، وقيل: إنه هو الذي كرى الفرات الأكبر، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها.

قالوا: ولما مضى من ملك منوشهر خمس وثلاثون سنة تناولت الترك من أطراف رعيته فقام خطيباً فوبخ رعيته – ويقال: هي أولى خطبة سمعت من خطيب – وقال: إنما الناس ناس ما دفعوا العدو عنهم، وقد نالت الترك من أطرفكم، وليس ذلك إلا من ترككم

جهاد عدوكم، وقلة المبالاة، وإن الله أعطانا هذا الملك ليبلونا أنشكر فيزيدنا أم نكفر فيعاقبنا، فإذا كان غدا فاحضروا.
وأرسل إلى أشراف الأساورةَ فدعاهم وأدخل الرؤساء، ودعى موبذ موبذان، فأقعد على كرسي مما يلي سريره، ثم قام على سريره، فقام أشراف أهل مملكته، فقال: اجلسوا فإني إنما قمت لأسمعكم كلامي، فجلسوا، فقال: أيها الناس، إنما الخلق للخالق، والشكر للمنعم، والتسليم للقادر، ولا بد مما هو كائن، وإنه لا أضعف من مخلوق طالباً كان أو مطلوباً، ولا أقوى من خالق، ولا أقدر ممن طلبته في يده، ولا أعجز ممن هو في يد طالبه، وإن التفكر نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، وقد ورد الأول ولا بد للآخر من اللحوق بالأول، وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله وإن اللّه عز وجل أعطانا هذا الملك فله الحمد، ونسأله، إلهام الرشد والصدق واليقين، وإن للملك على أهل مملكته أحقاً، ولأهل مملكته عليه حقاً، فحق الملك على أهل المملكة، أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوَّه، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها، إذ لا معتمد لهم على غيرها وأنها تجارتهم، وحق الرعية على الملك، أن ينظر لهم، ويرفق بهم، ولا يحملهم ما لا يطيقون، وإن أصابتهم مصيبة تنقص من ثمارهم من آفة من السماء أو الأرض أن يسقط عنهم خراج ما نقص، وإن اجتاحتهم مصيبة أن يعوضهم ما يقويهم على عمارتها، ثم يأخذ منهم بعد ذلك على قدرما لا يجحف بهم، والجند للملك بمنزلة جناحي الطائر، فمتى قُصّ من الجناح ريشه كان ذلك نقصاناً منه، فكذلك الملك إنما هو بجناحه وريشه.

ألا وإن الملك ينبغي أن يكون فيه ثلاث خصال: أولها أن يكون صدوقاً لا يكذب، وأن يكون سخياً لا يبخل، وأن يملك نفسه عند الغضب، فإنه مسلّط ويده مبسسوطة، والخراج يأتيه، فينبغي ألا يستأثر عن جنده ورعيته بما هم أهله، وأن يكثر العفوة فإنه لا ملك أبقى من ملك فيه العفو، ولا أهلكَ من ملك فيه العقوبة، ولأن يخطيء في العفو فيعفو، خير من أن يخطيء في العقوبة.
فينبغي للملك أن يَتَثَبَّت في الأمر الذي فيه قتل النفس وبواها، وإذا رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا ينبغي له أن يحابيه، وليجمع بينه وبين المتظلّم، فإن صح عليه للمظلوم حق خرج إليه منه، وإن عجز عنه آدمي أدى عنه الملكُ ورده إلى موضعه، وأخذه بإصلاح ما أفسد، فهذا لكم علينا.
ألا من سفك لحماً بغير حق أوقطع يداً بغير حق، فإني لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفو عنه صاحبه، فخذوا هذا عني.
وإن الترك قد طمعت فيكم فاكفوها بما تكفون أنفسكم به،، قد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم.
ألا وإن الملك ملك إذا أطيع، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك. فمهما بلغنا من الخلاف فإنا لا نقبله من المُبلغ له حتى نتيقّنه منه، فإذا صحت معرفة ذلك أنزلناه منزل المخالف.
ألا وإن أكمل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين، فمن قُتِل في مجاهدة العدوّ رجوت له الفوز برضوان اللّه.
وأفضل الأمور التسليم لأمر اللّه والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه، أين المهرب مما هو كائن! وإنما يتقلَب في كف الطالب، وإنما أهل هذه الدنيا سفر لا يحلون عقد الرحال إلا في غيرها، وإنما بلغتهم فيها بالعواري، فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم لمن القضاء له! ومن أحق بالتسليم لمن فوقه ممن لا يجد مهرباً إلا إليه، ولا معولاً إلا عليه! فثقوا أن النصر من اللّه تعالى، وكونوا على ثقة من دَرَك الطلبة إذا صحت نياتكم، واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة، وقمع العدوّ وسدّ الثغور والعدل للرعية

وإنصاف المظلوم، فشفاؤكم عندكم، والدواء الذي لا داء فيه الاستقامة، والأمر بالخير والنهي عن الشرّ، ولا قوة إلا باللّه.
انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشربكم، ومتى عدلتم فيها رغبوا في العمارة، فزاد ذلك في خراجكم، وتبين في زياده أرزاقكم، وإذا خِفْتم على الرعية زهدوا في العمارة، وعطلوا أكثر الأرض فنقص ذلك من خراجكم، وتبين في نقص أرزاقكم، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف.
هذا قولي وأمري يا موبذ موبذان، الزم هذا القول وجد في هذا الذي سمعت في يومك أسمعتم أيها الناس! فقالوا: نعم، قد قلت فأحسنت، ونحن فاعلون إن شاء اللّه.
ثم أمر بالطعام فوضع كلوا وشربوا، ثم خرجوا وهم له شاكرون.
وكان ملكه مائة وعشرين سنة، فلما هلك قريشات، وتغلب على مملكة فارس، وصار إلى أرض بابل، وأقام بأذربيجان، وأكثر الفساد فبقي اثنتي عشرة سنة إلى أن ظهر زو.

وكان من الملوك في هذا الزمان

الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان وإخوته. وكان أملكه باليمن أيام ملك منوشهر، وإنما سمي، الرائش – واسمه الحارث – لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن، فسمي لذلك الرائش.
وأنه غزا الهند فقتل بها وسبى وغنم الأموال ورجع إلى اليمن، ثم سار منها على جبل طيء، ثم على الأنبار، ثم على الموصل، وأنه وجِّه منها خيله وعليها رجل من أصحابه، يقال له: شمر بن العطاف، فدخل على الترك أرض أذْرَبيجَان وهي في أيديهم يومئذ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية، وزَبَر ما كان من مسيره في حَجَرَيْن، فهما معروفان ببلاد آذربيجان.
وملك بعد الرائش ابنه أبرهة، ويقال له: ذو منار. وإنما قيل ذلك لأنه غزا بلاد المغرب فأوغل فيها فخاف على جيشه الضلال عند قفوله، فبنى المنار ليهتدوا به.
وهو أحد الملوك الذين توغلوا في الأرض، وكان له ولد يقال له: "العبد" فبعثه إلى ناحية من أقاصي بلاد المغرب، فغنم وأصاب مالاً، وقدم عليه بسبي لهم خلق منكرة. فذعر الناس منهم، فسموه ذا الأذعار.
ويقال: ان ملوك اليمن كانوا عمالاً لملوك الفرس بها ومن قبلهما كانت ولايتهم بها.

باب ذكر موسى عليه السلام

كان بين موسى وإبراهيم ألف سنة، وبين إبراهيم ونوح ألف سنة، وبين نوح وآدم ألف سنة.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبوِ عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا قبيصة بن عقبة، أخبرنا سفيان بن سعد، عن أبيه، عن عكرمة، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، عن غير واحد من أهل العلم، قالوا: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، القرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى عشرة قرون، والقرن مائة سنة.

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب كذلك قال هشام بن محمد، عن أبيه.

وقال ابن إسحاق: موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي.

ورأيته بخط أبي الحسين بن المنادي: "ناهب " بالنون والباء. واسم أم موسى يوخابذ.

وكان الكهان قد قالوا لفرعون – واسمه الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نمير بن الهلوالش بن ليث بن هاران بن عمرو بن عملاق. وكان فرعون يوسف لا يؤذي بني إسرائيل بل يحسن إليهم، فلما مات وليَ بعده فرعون من فراعتهم فلم يؤذي بني إسرائيل، ثم ملك فرعون موسى، وهو الرابع من الفراعنة، وكان أخبثهم، وعاش ثلاثمائة سنة، واستعبد بني إسرائيل وعذبهم، وصنَفهم في أعماله، فصنف يبنون له، وقوم يحرثون له، ومن لاعمل له فعليه الجزية.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا ابراهيم بن عمر البرمكي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن سلم إجازة، أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، حدثنا أبو بكر المروزي، قال: حدثنا أبو عبد اللّه المروزي، حدثنا محمد بن عبد، حدثنا معمر بن بشر، قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك، يقول: كان فرعون عطاراً، وكان من أهل أصبهان فأفلس وركبه دين فخرج يلتمس ما يقضي دينه فلم تزل ترفعه أرض وتضعه أخرى حتى دخل مصر، ورأى عند باب المدينة وقر بطيخ بدرهم، وفي المدينة بطيخة بدرهم.

قال فرعون: قد صرت إلى موضع أقضي ديني واستغني فأشترى وقراً بدرهم.

ومضى ليدخله المدينة فتناول كل إنسان بطيخة حتى بقي معه واحدة وباعها بدرهم، فضجر، فقالوا له: هكذا سنتنا، فقال: أما ها هنا أحد يعدل أو نصير؟ فقالوا: لا هنا ملك، قد خلا بلذاته، وسلط وزيره على الناس ليس ينظر في شيء، فبسط لبدا على المقابر، فجعل يأخذ من كل جنازة أربعة دراهم، فصبر بذلك ما شاء الله حتى ماتت بنت الملك، فمروا بها عليه، فقال: هاتوا أربعة دراهم، فقالوا: هذه بنت الملك، فقال: هاتوا ثمانية، فما زال وزالوا يتنازعون حتى أضعف عليهم مرات، فلما رجعوا قالوا للملك: عمل بنا عامل الموتى كذا وكذا، قال: ومن عامل الموتى، فوصفوا له.

فبعث إلى وزيره، فدعاه فقال: أنت استعملت هذا؟ قال: لا، فدعاه، فقال: من استعملك، فقص عليه القصة، وأخبره بأمر البطيخ وأنهم قالوا له أنه ليس ها هنا أحد يعدل، فلما رأيت ذلك صنعت ما ترى لينتهي إليك، فتغير وتنتبه لملكك. قال: فمذ كم أنت على حالك، فقال: سنين كثيرة حتى صرت إلى الأموال الكثيرة، فأمر بوزيره فضربت عنقه واستوزر فرعون فسار فيهم بسيرة حسنة وأذاقهم فيها طعم العيش لما كانوا فيه قبل. يقضي بالحق ولو على نفسه ثم، ان الملك مات، فقالوا: من نستخلف؟ فاجتمع رأيهم فقالوا: لا نستعمل غير هذا الذي أذاقنا طعم العيش، فملكوه على أنفسهم، فلم يزل عليهم يموت قرن ويخلفهم آخرون، وتراخى به السن وطال ملكه حتى ادعى ما علمتم.

قال علماء السير: قالت الكهنة لفرعون: يولد مولود في بني إسرائيل يكون هلاكك على يده، فأمر بذبح أبنائهم، ثم اشتكت القبط إلى فرعون وقالت: إن دمت على الذبح فلم يبق من بني إسرائيل من يخدمنا، فصار يذبح سنة ويترك سنة.

فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها، وولد موسى بعده بسنه.

وقال قوم: بينهما ثلاث سنين.

قال وهب: بلغني أنه ذبح سبعين ألف وليد فلما حملت أم موسى بموسى لم يتبين حملها و لم تعلم بولادتها إلا أخته مريم، فكتمته ثلاثة أشهر.

فلما ولد موسى دخل الطلب إليها فرمته في التنور فسلم، ثم خافت عليه فصنعت له تابوتاً وألقته في البحر حمله الماء إلى أن ألقه بين يدي فرعون.

فلما فتح التابوت فنظر إليه، قال: عبراني من الأعداء، كيف أخطأه الذبح فقالت آسية: هذا أكبر من ابن سنة، وإنما أمرت بذبح أولاد هذ السنة فدعه يكون قر عين لي ولك.

وكان فرعون لا يولد له إلا البنات، فتركه وأحبه.

ولما رمته أمه في اليم بكت وجزعت، فربط اللّه على قلبها فسكنت وكانت تتوكف الأخبار، حتى سمعت أن فرعون أخذ صبياً في تابوت فعرفت القصة، فقالت لأخته – واسمها مريم، وكان له أختان: مريم وكلثوم: قصيه فانظري ماذا يفعلون به.

فدخلت أخته على آسية مع النساء، وقد عرضت عليه المرضعات، فلم يقبل ثدياً، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم. قالوا: نعم، من هم؟ قالت: حنة امرأة عمران، فبعثوا إليها، فأخذ ثديها فشرب ونام.

فلما انتهى رضاعه ردته إلى فرعون، فاتخذه يوماً في حجره فمدَّ بلحيته، فقال: عليّ بالذابح، فقالت آسية: إنما هو صبي لا يعقل. وأخرجت له ياقوتاً وجمراً فوضع يده على جمرة فطرحها في فيه فأحرقت لسانه، فذلك قوله: "وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي". وكبر موسى فكان يركب مراكب فرعون، ويلبعس مثل ما يلبس، وكان يدعى موسى بن فرعون.

وإن فرعون ركب يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى ركب في أثره، فوجد في المدينة "رَجُلَيْنِ يقتتلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ" أي: من بني إسرائيل "وَهَذَا مِنْ عَدُوِّه" يعني القبط. فاستغاثه الإسرائيلي على القبطي، فوكزه موسى فمات.

فندم موسى على قتله، وأصبح خائفاً أن يؤخذ به.

"فَإِذَا الذِي استَنصَرَهُ بالأَمْس يَسْتَصْرِخُه". أي: يستغيثه على آخر. وكان القبط قد أخبروا فرعون بالقتل، فقال: إن عرفتم قاتله فاخبروني؟ فلم يعرفوه، فلما أراد موسى أن ينصر الإسرائيلي في هذا اليوم الثاني ظن الإسرائيلي أنه يقصده بالأذى، فقال: "أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بالأمس".

فعلم الناس أنه هوالقاتل، فطلبوه فخرج خائفاً فهداه اللّه إلى مدين.

قال سعيد بن جبير: خرج إلى مدين وبينه وبينها مسيرة ثمان، و لم يكن له طعام إلا ورق الشجر فخرج حافياً.

قال السدي: "وَلَمَا وردَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْه أمَةً مِنَ الناس يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُوهم امْرأتَيْنِ تَذُودان" أي: تحبسان غنمهما، فسألهما: "مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتّى يصدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ". فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر، كان يجتمع عليها نفر حتى يرفعوها، فسقى لهما ورجعتا، وإنما كانتا تسقيان من فضول الحياض، ثم تولى موسى إلى ظل شجرة، فقال: "رَبِّ إنِّي لَمَا أنْزَلْتَ إلَيَّ مِنْ خيْرٍ فَقِير".

قال ابن عباس: ورد ماء مدين وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال.

قال السدي: فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً سألهما، فأخبرتاه خبر موسى، فأرسل إليه إحداهما فأتته " تَمشي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إن أَبِي يَدْعُوكَ".

فقام معها فمشت بين يديه، فضربتها الرياح فنظر إلى عجيزتها، فقال: امشي خلفي ودليني الطريق.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، أخبرنا علي بن محمد العلاف، أخبرنا عبد الملك بن عمر بن بشران، أخبرنا حمزة بن محمد الدهقان، حدثنا عباس الدوري، حدثنا عبد الله، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، فلا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين تذودان، قال: ما خطبكما؟ فحدثتاه، فأتى الحجر فرفعه، ثم لم تسق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم، ورجعت المرأتان إلى أبيهما، فحدثتاه، وتولى موسى الظل، فقال: "رَب إنِّي لِمَا أنزلْتَ إليَّ مِنْ خيْرٍ فَقيرٌ".

فجاءته إحداهما "تَمْش عَلَى استِحْيَاءٍ" واضعة ثوبها على ثغرها، فقالت: "إنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَاسَقَيْتَ لَنَا" فقال لها: امشي خلفي ودليني الطريق، فإني أكره أن يصيب الريح ثيابك فيصف لي جسدك.

فلما انتهى إلى أبيها: "وَقصَ عَلَيه القَصَصَ". "قَالَتْ إِحدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأجِرْهُ إنَّ خَيْرَ منَ اسْتَأجَرْتَ القويُ الأَمينُ": قال: يا بنية، ما علمك بأمانته وقوته. قالت: أما قوته فرفعه الحجر ولا يطبقه إلا عشرة، وأما أمانته، فقال لي: امشي خلفي وصفي الطريق فإني أكره أن يصيب الريح ثوبك فيصف لي جسدك.

قال السدي: لما سمع شعيب قولها قال: "إِنِّي أرِيدُ أنْ أنْكِحَكَ إِحْدى ابْنَتيَّ هاتين".

فزوج التي دعته، وقضى أيما الأجلين.

فأما اسم المرأة التي تزوجها فهو صفورا، والأخرى ليّا.

وقد روي عن ابن عباس: أن الذي استأجره صاحب مدين، واسمه يثربي.

وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: وهو ابن أخي شعيب.

ذكر ما جرى له بعد انفصاله عن مدين شعيب

قال السدي: "فَلَمَا قَضى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأهْلِهِ" ضلّ الطريق فرأى ناراً - وكان شتاء - ف "قَالَ لأهْله أمْكُثُوا".

أخبرنا محمد بن أبي منصور الحافظ، أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، أخبرنا الحسن بن علي التميمي أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه، حدثنا عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه قال: لما رأى موسى النار انطلق يسير حتى وقف منها قريباً، فإذا هو بنارعظيمة تفور من فروع شجرة خضراء شديده الخضرة، لا تزداد النار فيما يرى إلا عظماً وتضرّماً، ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق إلا خضرة وحسناً.

فوقف ينظر لا يدري على ما يضع أمرها، إلا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق أوقد إليها موقد نالها فاحترقت، وإنه إنما تمنع النار شدة خضرتها وكثرة مائها وكثافة ورقها وعظم جزعها. فوضع أمرها على هذا، فوقف يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسه.

فلما طال عليه ذلك أهوى إليها بضغث في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها. فلما فعل ذلك موسى مالت نحوه كأنما تريده،

فأستأخر عنها وهاب، ثم عاد فطاف بها فلم تزل تطمعه ويطمع فيها. ولم تكن بأوشك من خمودها، فاشتد عند ذلك عجبه وفكر في أمرها، وقال: هي نارممتنعة لا يقتبس منها ولكنها تضرم في جوف شجرة ولا تحرقها، ثم خمودها على قدر عظمها في أوشك من طرفة عين، فلما رأى ذلك موسى، قال: إن لهذه النار لشأناً. ثم وضع أمرها على أنها مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بما أمرت ولا من صنعها ولا لم صنعت، فوقف متحيراً لا يدري أيرجع أم يقيم.

فبينا هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فإذا هو أشد ما كان خضرة، وإذا الخضرة ساطعة في السماء، ثم لم تزل الخضرة تنور وتصْفر وتبياضَّ حتى صارت نوراً ساطعاً عموداً ما بينا السماء والأرض عليه مثل شعاع الشمس تكلُّ دونه الأبصار، كلما نظر إليه كاد يخطف بصره.

فعند ذلك اشتد خوفه وحزنه، فرد يده على عينيه ولصق بالأرض وسمع الحنين والوجس إلا أنه يسمع حينئذٍ شيئاً لم يسمع السامعون مثله. عظماً الحنين.

فلما بلغ موسى الكرب واشتد عليه الهول وكاد أن يخالط في عقله من شدة الخوف لما يسمع ويرى نودي من الشجرة، فقيل: يا موسى، فأجاب سريعاً وما يدري من دعا، وما كان سرعة إجابته إلا استئناساً بالإنس، فقال: لبيك مراراً، أسمع صوتك وأحس رحبك ولا أرى مكانك، فأين أنت. قال: أنا فوقك ومعك وأمامك وأقرب إليك منك. فلما سمع هذا موسى علم أنه لا ينبغي ذلك إلا لربه تعالى، وأيقن به، فقال: كذلك أنت يا إلهي، أكلامك أسمع أم لرسولك؟ قال: أنا الذي أكلمك فادن مني، فجمع موسى يديه في العصا ثم تحامل حتى استقل قائماً فرعدت فرائصه حتى اختلفت واضطربت رجلاه وانقطع لسانه وانكسر قلبه ولم يبق منه عظم يحمل آخر، فهو بمنزلة الميت إلا أن روح الحياة تجري فيه، ثم زحف على ذلك وهو مرعوب حتى وقف قريباً من الشجرة التي نودي منها، فقال له الرب تبارك وتعالى: " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ" قال: وما تصنع بها ولا أحد أعلم بذلك منه، قال موسى: " أَتَوَكَأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى". وكان لموسى عليه السلام في العصى مآرب. وكانت لها شعبتان ومحجن تحت الشعبتين.

قال له الرب تبارك وتعالى: " أَلْقِهَا يَا مُوسَى". فظن موسى أنه يقول له ارفضها فألقاها على وجه الأرض لا على وجه الرفض، ثم حانت منه نظرة فإذا هي بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب ليمس كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيقلبها، ويطعن بالناب في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، عيناه توقدان ناراً، وقد عاد المحجن عرفاً فيه شعر مثل النيازك، وعادت الشعبتان فماً مثل القليب الواسع، وفيه أضراس وأنياب لها صريف.

فلما عاين ذلك موسى عليه السلام ولى مدبراً، فذهب حتى أمعن في البرية،، ورأى أنه قد أعجز الحية، ثم ذكر ربه عز وجل فوقف استحياء منه.

ثم نودي: يا موسىِ، ارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف، قال: " خُذْهَا" بيمينك " وَلا تَخفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى" وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف، فدخلها بخلال من عيدان، فلما أمره بأخذها ثنى طرف المدرعة على يده، فقال له مَلَك: أرأيت يا موسى لو أذن اللّه عز وجل لما تحاذر، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً. قال: لا ولكني ضعيف، ومن ضعف خلقت، فكشف عن يده ثم وضعها في فيّ الحية حتى سمع حسَ الأضراس، والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها، فإذا يده في الموضع

الذي كان يضعها فيه إذا توكأ بين الشعبتين. فقال له اللّه عز وجل: ادن، فلم يزل يدنيه حتى أسند ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يديه في العصا وخضع برأسه وعنقه، ثم قال: إني قد أتيتك اليوم مقاماً لا ينبغي لبشر بعدك أن يقوم مقامك أدنيتك وقربتك حتى سمعت كلامي، وكنت بأقرب الأمكنة مني، فانطلق برسالتي فإنك بعيني وسمعي، فإن معك يدي وبصري، وإني قد ألبستك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم من جنودي بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا عني، حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي، وعبد غيري، وزعم أنه لا يعرفني، وإني أقسم بعزتي لولا العذر والحجة اللذان وضعت بيني وبين خلقي لبطشت بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار، فإن أمرت السماء حصبته، وإن أمرت الأرض ابتلعته، وإن أمرت الجبال، دمرته، وإن أمرت البحار غرقته، ولكنه هان عليَ وسقط من عيني، ووسعه حلمي، واستغنيت بما عندي، وحق لي أني أنا الغني لا غني غيري.

فبلغه رسالاتي، وادعه إلى عبادتي وتوحيدي، وإخلاص اسمي، وذكره بآياتي وحذره نقمتي وبأسي، وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، ولا يرعبك ما ألِبسَهُ من لباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس يطرف ولا ينطق، ولا يتنفس إلا بإذني.

قل له: أجب ربك عز وجل فإنه واسع المغفرة، فإنه قد أمهلك أربعمائة سنة وفي كلها أنت مبارز لمحاربته، تشبه وتمثل وتصدُ عباده عن سبله، وهو يمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض، لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب. ولو شاء أن يعجل ذلك لك أويسلبكه فعل، ولكنه ذوأناة، وحلم عظيم.

وجاهده بنفسك وأخيك، وأنتما محتسبان بجهاده، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قِبَلَ له بها لفعلت، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة – ولا قليل مني – تغلب الفئة الكثيرة بإذني.

ولا تعجبنكما زينته، ولا ما يتمتع به، ولا تمدا إلى ذلك أعينكما، فإنها زهرة الحياة الدنيا، وزينة المترفين، وإني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي قديماً فأخرت لهم في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة، وإني لأجنبهم سلوتها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق عن مبارك الغرّة.

وما ذاك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا ولم يطع الهوى.

واعلم أنه لم يزين العباد بزينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، " سِيَماهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُود". أولئك أوليائي حقاً حقاً، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك.

واعلم أنه من أهان لي ولياً إذا خافه فقد بارزني بالمحاربة وما رآني، وعرض نفسه للهلكة ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي. أويظن الذي يعاديني أن يعجزني. أم يظن الذي بارزني أن يسبقني أويفوتني؟ فكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكلُ نصرتهم إلى غيري.

قال: فأقبل موسى عليه السلام إلى فرعون في مدينته، قد جعل حولها الأسد في غيضة قد غرسها، فالأسد فيها مع ساستها، إذا اسَدَتْهَا على أحد أكل. وللمدينة أربعة أبواب في الغيضة، فأقبل موسى عليه السلام من الطريق الأعظم الذي يراه منه فرعون، فلما

رأته الأسد صاحت صياح الثعالب فأنكر ذلك الساسة وفرقوا من فرعون.
وأقبل موسى حتى انتهى إلى الباب إلى قبة فرعون فقرعه بعصاه، وعليه جبة صوف وسراويل صوف، فلما رآه البواب عجب من جرأته فتركه ولم يأذن له، وقال: هل تدري من تضرب؟ إنما تضرب باب سيدك، قال: أنت وأنا وفرعون عبيد لربي عز وجل فأنا آمره، فأخبر البواب الذي يليه والبوابين حتى بلغ ذلك أدناهم ودونهم سبعون حاجباً كل حاجب منهم تحت يده من الجنود ما شاء الله عز وجل كأعظم أميراليوم إمارة، حتى خلص الخبر إلى فرعون، فقال: أدخلوه عليّ فأدخلوه،، فلما أتاه قال له فرعون: أأعرفك، قال: نعم، قال: "أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً". فرد موسى عليه الذي ذكره اللّه عز وجل، قال فرعون: خذوه، فبادرهم موسى "فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ" فحملتَ على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، قتل بعضهم بعضاً.
وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت، فقال لموسى: اجعل بيننا وبينك أجلاً ننظر فيه، فقال له موسى: لم أومر بذلك وأنا أمرت بمناجزتك، وإن أنت لم تخرج إليَّ دخلت إليك.
فأوحى اللّه عز وجل إلى موسى: أن اجعل بينك وبينه أجلاً، واجعل ذلك إليه، قال فرعون: اجعله إلى أربعين يوماً، ففعل. وكان فرعون لا يأتي الخلاء إلا في أربعين يوماً مرة، فاختلف ذلك اليوم أربعين مرة.
قال: وخرج موسى من المدينة، فلما مرَّ بالأسد بصبصت بأذنابها، وسارت مع موسى تشيعه ولا تهيجه ولا أحد من بني إسرائيل.

ومن ماكلم الله عز وجل به موسى عليه السلام

ما أنبأنا يحعى بن ثابت بن بندار، أخبرنا أبي، أخبرنا ابن دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي، أخبرنا الثوري، وعباد بن كثير، عن منصور بن المعتمر، عن مجاهد، عن كعب، قال: إن الرب عزوجل قال لموسى: يا موسى إذا رأيت الغني مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلًا فقل مرحباً بشعار الصالحين.
يا موسى، إنك لن تقرب عليِّ بعمل من أعمال البر خيرلك من الرضا بقضائي، ولن تأتي بعمل أحبط لحسناتك من البطر، وإياك والتضرع لأبناء الدنيا، إذن أعرض عنك، وإياك أن تجود بدينك لدنياهم إذن آمرأبواب رحمتي أن تغلق دونك.
ادن الفقراء وقرب مجلسهم منك، ولا تركن إلى حب الدنيا، فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أضر عليك من الركون إلى الدنيا.
يا موسى بن عمران، قل للمذنبين النادمين أبشروا، وقل للعالمين المعجبين إخسأوا.
قال وهب بن منبه: كان موسى إذا كلمه الله عز وجل يرى النور على وجهه ثلاثة أيام، و لم يتعرض للنساء مذ كلمه.
وقد روى أبو سعيد الخدري قال: افتخر أهل الإبل والغنم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "السكينة والوقار في أهل الغنم، والخيلاء في أهك الإبل" وقال: "بعث موسى وهو يرعى غنماً لأهله، وبعثت وأنا أرعى غنماً لأهلي بجياد".
وزعم السدي: أن موسى رجع من تكليم اللّه عز وجل فسار بأهله نحو مصر فأتاها ليلاً فتضيف على أمه وهو لا يعرفها، فجاء هارون فقيل له: ضيف، فقعد معه، فسأله: من أنت. فقال: أنا موسى، فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه، فلما تعارفا، قال له: يا هارون إنطلق معي إلى فرعون، إن اللّه تعالى قد أرسلنا إليه، قال هارون: سمعاً وطاعة، فانطلقا إليه لَيلاً، فأتيا الباب فضرباه،

ففزع فرعون وفزع البواب فكلمهما فقال موسى: أنا رسول رب العالمين.
فأتى فرعون، فقال: إن ها هنا إنساناً مجنوناً، يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال: أدخله، فدخل فعرفه فرعون.

فقال: " أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً"، ثم قال له: " وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ "، قال ما قصه اللّه تعالى علينا. فقال له: إن كنت جئت بآية فأت بها، فألقى عصاه، فإذا هي ثعبان مبين قد فتحت فاها ووضعت لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، ثم توجهت إلى فرعون فذعر منها ووثب وصاح: يا موسى خذها فأنا أومن، فعادت عصا، ثم نزع يده فإذا هي بيضاء، فخرج من عندها.
فأبى فرعون أن يؤمن، وبنى الصرح ورقي عليه وأمر بنُشابه فرمى بها نحو السماء فردت إليه ملطخة بالدم، فقاك: قد قتلت إله موسى.
قال وهب: بعث إلى السحرة فجمعهم، وقال: قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط، فإن غلبتموه أكرمكم. وكان يرأس السحرة ساتور، وعازور، وحطحط، ومصفى، وهم الذين آمنوا لما رأوا سلطان اللّه فتبعتهم السحرة في الإيمان.
وفي عدد السحرة أقوالٌ كثيرة مذكورة في التفسير، فمن قائل يقول: كانوا سبعين ألفاً، ومن قائل يقول: كانوا سبعمائة ألف. إلى غير ذلك.
وإنهم جمعوا حبالهم وعصيّهم، وكان موعدهم يوم الزينة وهو عيد كان لهم،، فلما اجتمعوا ألقوا ما في أيديهم فإذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي تركب بعضها بعضاً، "فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ". فأوحى إليه: أن ألق عصاك، فألقاها فتلقفت جميع ما صنعوا حتى ما يرى في الوادي شيء، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه، فخرت السحرة سجداً، فواعدهم فرعون بالقتل، فقالوا: " فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ". فرجع مغلوباً، وأبى إلا التمادي في الكفر.
قال ابن عباس: كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء.

ذكر الآيات التي أرسلت على قوم فرعون

لما فرغ من أمر السحرة و لم يؤمن فرعون أرسلت عليه الآيات.
وقد زعم السدي أن الآيات أرسلت قبل لقاء السحرة.
فأما الأولى الطوفان: وهو المطر، أغرق كل شيء لهم. وقيل: بل ماء فاض على وجه الأرض ثم ركد فلم يقدروا أن يعملوا شيئاً، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشفه فنبتت زروعهم، فقالوا: ما يسرنا أننا لم نمطر، فبعث اللّه عليهم الجراد فأكل حروثهم وزروعهم حتى أكل مسامير الأبواب، فسألوا موسى أن يدعو ربه، فدعا فكشفه فلم يؤمنوا، فبعث اللّه عليهم القمل والدبا فلحس الأرض كلها وكان يأكل لحومهم وطعامهم ومنعهم النوم والقرار، فسألوا موسى أن يدعو ربه أن يكشفه، وقالوا: نؤمن، فدعا فكشفه فلم يؤمنوا، فأرسل اللّه عليهم الضفاع فملأت البيوت والأطعمة والأواني، فقالوا: اكشف ذلك فكشفه فلم يؤمنوا، فأرسل عليهم الدمٍ، وكان الإسرائيلي يأتي والقبطي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء هذا القبطي دماً، ويخرج للإسرائيلي ماء، فسألوا موسى، فدعا فكشف فلم يؤمنوا.
قال ابن عباس: مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات: الجراد، والقمل، والضفا دع، والدم.

قال علماء السير: ثم ان اللّه تعالى أوحى إلى موسى وأخيه أن يقولا قولًا ليناً، فقال له موسى: هل لك في أن أعطيك شبابك ولا تهرم وملكك فلا يترع منك، فإذا مت أدخلت الجنة وتؤمن بي، فقال: كما أنت حتى يأتي هامان، فلما جاء أخبره فعجزه، وقال: تعبد بعد ما كنت رباً، فخرج فقال: " أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى".

قال السدي: بين هذه الكلمة وبين قوله: " مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي".

أربعون سنة.

ثم قال له قومه: " أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَه لِيُفْسدمُوا فِي الأرْض وَيَذَرك وَآلِهَتَك". فقال: " سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ". فأعاد القتل على الأبناء وحتماً إذ علم أنه لا يقدرعلى قتل موسى.

ذكر مؤمن آل فرعون

كان هذا المؤمن يكتم إيمانه، فإذا همّوا بقتل موسى جادل عنه، وقال: " أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أنْ يَقُولَ رَبي اللَّهُ".

قال قتادة: كان قبطياً من قوم فرعون فنجى مع موسى.

قال شعيب الجبائي: إنه سمعان، وقيل: سمعون، وقيل شمعان وشمعون بالشمين المعجمة.

وقال مقاتل: حزقيل.

وممن آمنت بموسى آسية

قال أبو هريرة: ضرب فرعون لامرأته أوتاراً في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة، فقالت: " رَبِّ أبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجنَّةِّ" فكشف اللّه لها عن بيتها في الجنة حتى رأته قبل موتها.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، حدثنا يونس، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن عليا، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنتَ عمران، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون ".

وممن آمن ماشطة ابنة فرعون

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد القزاز، أخبرنا عبد الصمد بن على بن المأمون، أخبرنا عبد اللّه بن محمد، بن حبان أخبرنا البغوي، أخبرنا أبو نصر التمار، حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لما أسري به مرت به رائحة طيبة، فقال: يا جبريل، ما هذه الرائحة؟ قال: ماشطةَ ابنة فرعون كانت تمشطها فوقع المشط من يدها، فقالت: بسسم اللّه، فقالت بنت فرعون: أبي، قالت: بل ربي ورب أبيك، قالت: أخبر بذلك أبي، قالت: نعم، فأخبرته فدعا بها، فقال: من ربك. قالت: ربي وربك اللّه الذي في السماء، فأمر فرعون نقرة من نحاس فأحمت ودعا بها وبولدها، فقالت: إن لي

إليك حاجة، قال: وما هي؟ قالت: تجمع بعظامي وعظام ولدي فتدقها جميعاً، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فألقى ولدها واحداً واحداً حتى إذا كان آخر ولدها كان صبياً مرضعاً قال: اصبري يا أماه فإنك على الحق، قال: ثم ألقيت مع ولدها.

قصة الغرق

ثم أن اللّه تعالى أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل، وأوحى إليه: " أن أسْرِ بِعِبَادِي".

فأمر موسى بني إسرائيل أن يستعيروا الحلي من القبط، فخرجوأ ليلًا وهم ستمائة ألف وعشرون ألفاً، وخرج موسى ومعه تابوت يوسف عليه السلام لما خرفي ليدفنه مع آبائه في الأرض المقدسة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا الحسن بن زكريا، أخبرنا عبد الباقي بن قانع، أخبرنا أبو الغوث طيب بن إسماعيل العجلي، حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا يونس بن عمرو، عن أبي بردة، عن أبي موسى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأعرابي فأكرمه، فقال: "ا أعرابي تعاهدنا" قال: فأتاه فقال: اسأل حاجتك، قال: ناقة برحلها وأجير يحملها عليَ. قالها مرتين. قال: "يا أعرابي، أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ". فقال له أصحابه: وما عجوز بني إسرائيل فقال له: "إن موسى لما أراد أن يسير ببني إسرائيل ضل عن الطريق، فقال لعلماء بني إسرائيل: ما هذا؟ قالوا: نحن نخبرك: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ مواثيق من اللهّ أن لا نخرج من مصر حتى نخرج عظامه معنا، فقال موسى: وأيكم يدري أين قبر يوسف. قالوا: ما تدري إلا عجوز في بني إسرائيل، فأرسك إليها فقالت: واللهّ لا أقول حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة، فقيل له: أعطها، فأتت مستنقع ماء، فقالت: أنضبوا هذا الماء، فلما أنضبوه قالت: احفروا ها هنا فاحتفروا، فبدت عظام يوسف، فلما أقلوها من الأرض بان لهم الطريق مثل ضوء النهار.

قال علماء السير: وكان لموسى حين خرج من مصر ثمانون سنة، ويقال: ان بين مولد إبراهيم إلى خروج موسى ببني إسرائيل من مصر خمسمائة وخمس سنين، وأن من هبوط آدم إلى خروج موسى ببني إسرائيل من مصر ثلاثة آلاف سنة وثمانمائة وأربعين سنة.

ودعا موسى حين خرج، فقال: " رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أمْوَالِهِمْ " فجعلت دراهمهم ودنانيرهم حجارة، حتى الحمص والعدس والجوز، فلما خرجوا ألقى على القبط الموت فأصبحوا يدفنوهم فشغلوا عن طلب بني إسرائيل.

وقيل: بل علموا في الليل بخروجهم، فقال فرعون: لا نتبعهم حتى يصيح الديك، فما صاح ديك بلد بالليل.

وكان موسى على الساقة، وهارون يقدمهم، وتبعهم فرعون على مقدمته هامان في ألف ألف وستمائة ألف حصان.

" فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون خلفنا، قال موسى: " كَلا إنَ مَعِيَ رَبي سَيَهْدِينِ".

قال قتادة: ذكر لنا أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى، وكان يقول: أين أمرت يا نبي اللّه أن تترل، ؟ فيقول: أمامك، فيقول: وهل أمامى إلا البحر؟ فيقول: ما كذبت ولا كذبت. فأوحى اللّه إلى موسى: اضرب بعصاك البحر، فأوحى إلى البحر: إذا ضربك موسى فانفلق له، فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فزعاً من اللّه عز وجل وانتظاراً لأمره، فضربه فانفلق اثنا عشر طريقاً على عدد الأسباط، فسار موسى وأصحابه على طريق يابس والماء قائم بين كل فريقين، فلما دخل بنو إسرائيل و لم يبق منهم أحد، أقبل

فرعون على حصان له حتى وقف على شفير البحر، فهاب الحصان أن ينفذ فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق فشمها الفرس فدخل فرعون فدخل قومه وجبرئيل أمامه وميكائيل على فرس خلف القوم يحثهم يقول: الحقوا بصاحبكم، فلما أراد أولهم أن يصعدوا تكامل نزول آخرهم انطبق البحر عليهم، فنادى فرعون: "آمنت".

قال ابن عباس: جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، لو رأيتني وأنا أدس من حمأة البحر في فيّ فرعون مخافة أن تدركه الرحمة.

قال العلماء: فقال قوم: إن فرعون لم يغرق، فقذفه لبحر حتى رأوه فعرفوه، فذلك قوله تعالى: " فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ".

أخبرنا عبد الأول، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن أعين، حدثنا إبراهيم بن خريم، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا إبراهيم بن الحكم، قال: حدثني أبي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان أصحاب موسى الذين جاوزوا البحر اثني عشر سبطاً، وكان في كل طريق اثنا عشر ألفاً كلهم ولد يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم".

ومن الحوادث ان

بني إسرائيل مروا على قوم يعكفون على أصنامهم

فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً، فأجابهم بما قص اللّه عزوجل في القرآن.

ذكر طلبهم للتوبة لما ندموا سألوا قبول التوبة فقيل لهم: "فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ".

فروى عكرمة عن ابن عباس، قال: لما أمروا بقتل أنفسهم، قالوا: يا نبي الله كيف نقتل الأبناء والأخوة، فأنزل اللّه تعالى عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً، فقتلوا وقالوا: ما آية توبتنا؟ قال: أن يقوم السلاح والسيف فلا يقتل، فقتلوا حتى خاضوا في الدماء، وصاح الصبيان: يا موسى العفو العفو، فبكى موسى فأنزل اللّه تعالى التوبة، وقام السلاح وانكشفت الظلمة عن سبعين ألفاً.

قيل: قال قتادة: فجعل اللّه القتل للمقتول شهادة وللحي توبة. هذا يدل على أن الكل ابتلوا.

وقال ابن السائب: والمقاتل إنما أمر من لم يعبد أن يقتل العابدين وأن لا يمتنع العابدون من ذلك.

وقال أبو سليمان الدمشقي: إنما الخطاب لعبدة العجل وحدهم أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً.

ومن الحوادث ذهاب السبعين إلى الطور يعتذرون من عبادة العجل ان موسى أخذ من أصحابه جماعة ومضى إلى الطور يعتذرون من عبادة العجل.

قال ابن اسحاق: إختار سبعين، وقال: انطلقوا فتوبوا مما صنعتم وسلوه التوبة على من خلفتم من قومكم صوموا وطهروا وطهروا ثيابكم، فخرج إلى طور سيناء لميقات وقّته له ربه، فلما وصلوا قال لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا، فذكر قوم من علماء السيرأنهم سمعوا كلام اللّه من الله وليس هذا بصحيح، وأي خير يبقى لموسى، وإنما هلك القوم لأنهم قالوا: " لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللّه جَهْرَةً " فصعقوا وماتوا، فقام موسى يسأل ربه، ويقول: " رَبِّ لَوْ شِئْتَ أهليتهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيايَ "، فرد اللّه إليهم أرواحهم، فسألوا التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل، فقيل: لا إلا أن تقتلوا أنفسكم. وقد ذكرنا أن السبعين إنما اعتذروا بعد توبة من تاب وقتلهم أنفسهم، وهذا قول السدي.

ومن الحوادث قصة أريحا

ان اللّه تعالى أمر موسى وقومه إلى أريحا، وهي أرض بيت المقدس.

قال السديَ: ساروا حتى إذا كانوا قريباً منها بعث موسى اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل ليأتوه بخبر الجبارين، فلقيهم رجل من الجبارين يقال له: عاج، فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حجزته، وعلى رأسه حمل حطب، فانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها وقال: لأطحنهم برجلي، قالت: بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك.

فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض: يا قوم، إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي اللّه، ولكن اكتموا وأخبروا نبي الله، فانطلق عشرة منهم فأخبروا أهاليهم وكتم رجلان، فقال الناس: " إِن فِيهَا قَوْماً جبارِينَ وَإِنا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتى يَخْرُجُوا".

ومن الحوادث

حديث الحجر أنهم لما خرجوا من البحر احتاجوا في طريقهم إلى الماء فاستسقى موسى فأمر أن ، يضرب بعصاه الحجر، وكان حجراً خفيفاً بقدر رأس الإنسان قاله ابن عباس.

وعنه أنه كان كذراعين في ذراع.

وقال مجاهد: كان ذلك في تيههم.

ومن الحوادث

إنزال التوراة إنهم طلبوا من موسى أن يأتيهم بكتاب من عند الله، فوعده اللّه تعالى ثلاثين ليلة وأتمها بعشر وأعطاه التوراة، وأنزل عليه عشر صحائف أيضاً.

وفرض اللّه على موسى صلاتين كل يوم والحج.

ومن الاحداث نتق الجبل

قال قتادة: تدلوا في أصل الجبل فوقع فوقهم، فقال: لتأخذن أمري أو لأرمينكم به. وكان السبب أنهم رأوا تكاليف التوراة ثقيلة، فأبوا قبولها فنتق الجبل.

ومن الحوادث

قصة العجل وذلك أن جبرئيل جاء إلى موسى على فرس ليذهب به إلى مناجاة ربه، فرآه السّامري فأنكره.

وإسم السامري منجا، كذلك ضبطه ابن المنادي.

وقال: إن لهذا لشأناً، فأخذ من تربة حافر الفرس، فانطلق موسى واستخلف هارون وواعدهم ثلاثين ليلة وأتمها اللّه تعالى له بعشر،

فوقع في تلك الزيادة زللهم بعبادة العجل.

وكان السبب في اتخافه أن هارون قال لهم: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم وإن حلى القبط غنيمة، فاجمعوا واحفروا له فادفنوه فإن جاء موسى فأحلها فأخذتموها وإلا كان شيئاً لم تأكلوه. فجمعوه في حفرة، فجاء السامري تلك الصفة فألقاها، وقال: كن عجلاً، فصار عجلاً جسداً له خوار، وكان السامري من قوم يعبدون البقر، وكان حب ذلك في قلبه، فقال لهم: " هَذَا إِلَهُكُمْ وإلهُ مُوسَى فَنَسِيَ". يقول: ترك موسى إلهه وذهب يطلبه، فعكفوا عليه يعبدونه، فقال لهم هارون: " إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ".

وإن اللّه عزوجل أخبر موسى بالقصة بقوله: " فَإِنّا قَدْ فَتَنا قَوْمَكَ مِنْ بَعدكَ ".

ثم إن موسى طلب الرؤية بقوله: " رَبِّ أرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ". فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً، فلما أفاق قال: " سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ".

فأخذ الألواح ورجع إلى قومه " غَضْبَاناً آسفاً " لما صنعوا، فألقى الألواح وأخذ برأس أخيه فاعتذر كما قص اللّه، ثم التفت إلى السامري، فقال: " فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِي". قال: " بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ".

فأخذ موسى العجل فذبحه، ثم برده بالمبرد وذراه في البحر وندم من عبد العجل.

" منهَا " " قَالَ رَجُلاَنِ" وهما اللذان كتما، وهما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنَّه: يا قوم " ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ " فقالو: " إنا لَنّ نَدْخُلَهَا أبداً مَا دَامُوا فِيها" فغضب موسى فدعا عليهم،، فقال: " رَبِّ إِنِي لاَ أَمْلِكُ إلأَ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْم الفَاسِقِينَ" فقال اللّهّ تعالى: " فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأرْض". فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى، فقالوا: يا موسى كيف لنا ها هنا بالطعام، فأنزل اللّهّ عليهم المن والسلوى، وكان المن يسقط على الشجرة، والسلوى طائر، فقالوا: أين الشراب؟ فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، فشرب كل سبط من عين، قالوا: فأين الظل. فظلل اللّه عليهم الغمام، قالوا: فأين اللباس. فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب، فأجمعوا ذلك فقالو: " لَنْ نصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادعُ لَنَا رَبَّكَ يُخرِجْ لَنَا مِمّا تُنْبِتُ الأرْضُ". فلما خرجوا من التيه أكلوا البقول.

ومن الحوادث

قتل موسى عليه السلام عوج بن عناق حكى أبوجعفر الطبري أن عوجاً عاش ألف سنة، وإنه التقى بموسى، فضرب موسى كعب عوج فقتله.

وعناق اسم أبيه، وقال وهب بن منبه: بل اسم أمه، وكانت من بنات آدم.

قال: وولد عوج في زمن آدم، وكان جباراً لا يوصف عظماً، وعمره ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة حتى أدرك موسى، وكان الماء في زمان الغرق إلى حجزته، وكان يتناول الحوت من البحر فيرفعه بيده في الهواء فيفور في حر الشمس ثم يأكله.

وكان سبب هلاكه أنه قطع حجراً من جبل فجاء به على رأسه ليقلبه على عسكر موسى، فبعث اللهّ طائراً فنقر الحجر فنزل في عنقه، فجاء موسى فضربه بالعصى في كعبه فقتله.

ومن الحوادث

ما جرى لبلعام من دعائه على موسى روى محمد بن إسحاق عن سالم بن أبي النضر، أنه حدث: أن موسى لما نزل في أرض كنعان من أرض الشام، وكان بلعام بقرية من قرى البلقاء، فأتى قوم بلعم إلى بلعم، فقالوا له: هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا أ ويقتلنا ويُحلُّها بني إسرائيل ويسكنها، وإنا قومك وليس لنا متزل وأنت رجل مجاب الدعوة فادع اللّه عليهم. فقال: ويلكم، نبي اللّه معه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من اللّه ما أعلم.

قالوا: ما لنا من متزل، فلم يزالوا به يرققونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حماره متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل، فما سار عليها غير قليل حتى ربضت به، فترل عنها فضربها حتى أذلقها وأذن الله لها فكلمته، فقالت: ويحك يا بلعم! أين تذهب؟! ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن، وجهي هذا، أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعوعليهم! فلم يترع عنها يضربها، فخلى اللّه سبيلها حين فعل بها ذلك.

فانطلقت حتى إذا أشرفت به على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل لا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل.

قال: فقال قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا، قال: فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب اللّه عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأحتال لكم. جملوا النساء واعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم.

ففعلوا فوقع رجل منهم على امرأة، فأرسل اللّه الطاعون على بني إسرائيل حينئذ، فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش، فأخبر خبر الرجل والمرأة، فأخذ حربته ثم دخل عليهما القبة وهما مضطجعان، شانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وهو يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك.

وقد قيل: إن بلعام لما دعى على قوم موسى تاهوا، وإن موسى دعا عليه ثم حارب أهل بلده بعد خروجه من التيه، فأسره وقتله، وحارب الكنعانيين، وقتل عوج، وحارب موسى اليونانيين والمديانيين والأمم الكافرة.

وقد حكى أحمد بن جعفر المنادي: أن موسى بعد هلاك فرعون وطيء الشامِ، فأهلك ما بها من الكفار، وبعث بعثاً إلى الحجاز وأمرهم أن لا يستبقوا منهم أحداَ، فقدموها فرزقهم اللّه الظفر فقتلوا العمالقة، وكانوا بيثرب حتى انتهوا إلى ملكهم الذي كان يقال له: الأرقم قيما فقتلوه، وأصابوا ابناً له شابَاَ لم ير أحسن منه، فضنوا به عن القتل، وأجمع رأيهم على أن يسحبوه حتى يقدموا به على موسى فيرى فيه رأيه. فأقبلوا قاعدين به، وقبض موسى قبل قدومهم فتلقاهم الناس فأخبروهم الخبر، فقالت بنو إسرائيل: خالفتم نبيكم حين استبقيتم هذا، لا تدخلوا علينا، فحالوا بينهم وبين الشام، فرجعوا إلى الحجاز، فكان ذلك أول سكنى يهود الحجاز، فترلوا المدينة واتخذوا فيها المزراع، فمنهم بنوقريظة وبنو النضير الكاهنان، نسبة إلى جدهم الكاهن بن هارون بن عمران.

ذكر الخضر عليه السلام

الخضر قد كان قبل موسى، قال الطبري: كان في أيام أفريدون الملك بن أثفيان. قال: وقيل: إنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، الذي كان أيام إبراهيم. وذي القرنين عند قوم هو أفريدون، وزعم بعضهم انه من ولد من كان آمن بالخليل عليه السلام، وهاجر معه من أرض بابل.

وقال عبد اللهّ بن شوذب: الخضرمن ولدفارس.

وقالت ابن إسحاق: هو من سبط هارون بن عمران.

وقول من قال: إنه كان في زمان أفريدون أكثر من ألف سنة، والخضر قديم إلا أنه لما كان ذكره لم ينبغ إلا في زمان موسى ذكرناه ها هنا.

فصل في اسم الخضر

فأما اسم الخضر، فقال كعب الأحبار: هو الخضر بن عاميل. وقال ابن إسحاق: اسمه أرمياء بن خلقيا.

وقال أبو جعفر الطبري: إن هذا ليس بصحيح لأن أرمياء كان في أيام بخت نصر، وبين عهد موسى وبخت نصر زمن طويل.

وقيل: هو الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وقال بعض أهل الكتاب: هو خضرون بن عاميل بن أليفرن بن العيص بن إسحاق، وإنه ابن خالة ذي القرنين ووزيره.

قال الطبري: إن الخضر هو الولد الرابع من أولاد آدم.

فصل لم سمي الخضر وقد اختلف العلماء لم سمي الخضرعلى قولين: أحدهما: أنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت، والفروة الأرض اليابسة.

أخبرنا ابن حصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد اللهّ بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما سمى الخضر خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء".

والثاني: إنه كان إذا جلس اخضر ما حوله. قاله عكرمة. وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضر ما حوله.

واختلفوا هل كان نبياً أم لا على قولين ذكرهما ابن الأنباري.

ذكر لقاء موسى الخضر عليهما السلام

كان سبب طلب موسى الخضر أن موسى سئل من أعلم أهل الأرض؟ فقال: أنا، قيل له: لناعبد هوأعلم منك يعني الخضر.

أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد بن حموية، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار، قال: أخبرني سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب اللّه عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي عند مجمع البحرين، قال: يا رب، كيف لي به، قيل له: أحمل حوتاً فتجعله في مكتل فإذا فقدته فهو ثَمَّ.

فانطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، وحملا حوتاً في مكتل حتى كانا عند الصخرة ووضعا رؤوسهما فناما، فانسل الحوت من المكتل، فاتخذ سبيله في البحر وكان لموسى ولفتاه عجباً، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: "آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً". و لم يجد موسى من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، فقال له فتاه: "رأيْتَ إذْ أوَيْنَا إِلَى الصَخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوت" قال موسى: "ذلك مَا كنا نَبْغِي فَارتدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً" حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب- أو قال بثوبيه- فسلم موسى عليه، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم "هَلْ أتَّبِعكَ عَلَى أنْ تُعلِمنِي مما عُلِمتَ رُشْداً"، فقال: "إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً" يا موسى إني على علم من علم اللهّ علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه اللهّ لا أعلمه، قال: "سَتَجدني إنْ شَاءَ الله صَابِراً وَلا أعْصِي لَكَ أمْراً".

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليسِ لهما سفينة، فمرت بهما سفينة فكلماهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهما بغي نوْلِ. فجاء عصفور فوقع على حرف فنقر نقرة ونقرتين من البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم اللّه إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، قال: "ألم أقُلْ إنكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً"، قال: "لاَ تؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيت". وكان الأولى من موسى نسياناً. فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: "أقتلتَ نَفساً زَكِيةً بِغَيْرِ نَفْسٍ"، قال: "ألَمْ أقُل لَكَ إنك لَنْ تَستَطِيعَ مَعِي صبْراً".

"فَانْطَلَقَا حَتى إذَا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أهْلَهَا فَأَبَوا أنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أنْ يَنْقَض"، قال الخضر بيده "فَأقَامَه"، فقال له موسى: "لَوْ شِئْتَ لاتَخَذْتَ عَلَيْه أجْراً"، قال: "هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ".

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يرحم اللّه موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما". أخرجاه في الصحيحين.

فصل في اختلاف العلماء في حياة الخضر وموته

وقد زعم قوم أن الخضر حيّ إلى الآن، واحتجوا بأحاديث لا تثبت وحكايات عن أقوام سليمي الصدور، ويقول أحدهم: لقيت الخضر.

فأما الأحاديث فمنها ما يروى عن أهل الكتاب أن الخضر كان مع ذي القرنين وأنه سبق إلى العين التي قصدها ذو القرنين لما وصف له أن من شرب منها خلد في الدنيا، فشرب منها فأعطي الخلد لذلك.

ومنها ما أخبرنا به علي بن أبي عمر الدباس، قال: أخبرنا علي بن الحسين بن أيوب، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكى، قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن خريم، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن زيد، قال: حدثنا عمرو بن عاصم، قال: حدثنا الحسن بن رزين، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لا أعلمه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم، فيحلق كل منهما على رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: "بسم اللّه ما شاء اللّه لا يسوق الخير إلا اللّه، بسم اللّه ما شاء اللّه لايصرف السوء إلا اللّه، ما شاء اللّه ماكان من نعمة فمن الله، ما شاء اللّه لا حول ولا قوة إلا باللّه".

ومنها ما روي عن الحسن البصري، أنه، قال: وكل إلياس بالفيافي، ووكل الخضر بالبحور، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى وأنهما يجتمعان في كل موسم في كل عام.

ومنها ما أخبرنا به إسحاق بن ابراهيم الختلي، قال: حدثني عثمان بن سعيد الأنطاكي قال: حدثنا علي بن الهيثم المصيصي، عن عبد الحميد بن بحر، عن سلام الطويل، عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوي، عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبعسقلان، قال: بينا أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي، فإذا سحابة تظله من الشمس فوقع في قلبي إنه إلياس النبي صلى الله عليه وسلم، فأتيته فسلمت عليه فانفتل من صلاته فرد عليّ السلام، فقلت: من أنت رحمك الله؟ فلم يرد عليّ شيئاً، فأعدت القول مرتين، فقال: أنا إلياس النبي، فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي أن يذهب، فقلت له: إن رأيت رحمك الله أن تدعو لي أن يذهب عني ما أجد حتى أفهم حديثك، فدعا لي بثمان دعوات، فقال: يا بريا رحيم، يا حي يا قيوم، يا حنّان يا منّان،.، فذهب عني ما كنت أجد، فقلت: إلى من بعثت؟ قال: إلى أهل بعلبك، قلت: فهل يوحى إليك اليوم، فقال: منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا. قلت: فكم من الأنبياء في الحياة؟ قال: أربعة أنا والخضر في الأرض، وإدريس وعيسى في السماء، قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم في كل عام بعرفات، قلت: فما حديثكما؟ قال: يأخذ من شعري وأخذ من شعره، قلت: فكم الأبدال؟ قال: هم ستون رجلاً، خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطىء الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجلان بأنطاكية، وسبعة في سائر الأمصار تسقون بهم الغيث، وبهم ينصرون على عدوهم، وبهم يقيم اللّه أمر الدنيا حتى إذا أراد أن يهلك الدنيا أماتهم جميعاً.

وقد روي أنه كان في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم، وروا من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم إثبات حياة الخضر.

ومن حديث أنس، أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الخضر، وقال: ادع لرسول اللّه.

وإن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً، وابن عمر أثبتوا وجوده، وإنه رآه عمر بن عبد العزيز، ورواه مسلمة، ورباح بن عبيدة كلاهما عن عمر بن عبد العزيز.

قالوا: ورآه إبراهيم التيمي، وإبراهيم بن أدهم، وأحمد بن حنبل. وكل هذه الأحاديث لا تثبت والحديث الذي ذكرناه عن ابن عباس فيه الحسن بن زيد، قال العقيلي: هو مجهول.

وفي الحديث الثاني السلام بن الطويل، قال يحيى: ليس بشيء. وقال البخاري، والرازي، والنسائي، والدارقطني: هو متروك الحديث. وقال ابن حيان: يروي الموضوعات كأنه المعتمد لها.

قال: وعبد الحميد بن بحر لا يحل الاحتجاج به بحال، وداود مجهول، والرجل المرابط لا يدرى من هو.

وقد روى مسلمة بن مصقلة، إنه رأى إلياس وجرى له معه نحو ما سبق.

وربما ظهر الشيطان لشخص فكلمه، وربما قال بعض المتهمين لبعض أنا الخضر، وأعجب الأشياء أن يصدق القائل أنا الخضر وليس لنا فيه علامة نعرفه بها، وقد جمعت كتاباً سميته عجالة المنتظر بشرح حال الخضر، وذكرت فيه هذه الأحاديث والحكايات ونظائرها وبينت خطأها فلم أر الإطالة بذلك ها هنا.

قال أبو الحسين بن المنادي ونقلته من خطه. عن تعمير الخضر وهل هو باق في الدنيا أم لا، فإذا أكثر المغفلين مغرورون بأنه باق من

أجل ما قد روي، وساق بعض ما قد ذكرنا، ثم قال: أما حديث أنس فواه بالوضاع، وأما خبر ابن عباس فضعيف بالحسن بن رزين، وأما قول الحسين فمأخوذ عن غير أهل ملتنا مربوط بقول بعضهم أن الخضر شرب من العين التي قصدها ذوي القرنين موصول بما قيل إنه الرجل الذي يقتله الدجال والمسند من ذلك إلى أهل الذمة فساقط لعدم ثقتهم.

وخبر مسلمة فكلا شيء، وخبر رياح كالرياح، ثم مد اللّه على السري وضمرة عفى الله عنهما.

وأين كان الخضر عن تبشيرأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالخلافة. وهذه الأخبار واهية الصدور والأعجاز لا تخلو في حالها من أحد أمرين: إما أن تكون أدخلت من حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً. وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على وجه التعجب، فنسبت إليهم على سبيل التحقيق. قال: والتخليد لا يكون لبشر لقول اللّه عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإين مت فهم الخالدون".

وأهل الحديث يتفقون على أن حديث أنس منكر الإسناد، سقيم المتن، بين فيه أثر الصنعة، وأن الخضر لم يراسل نبينا و لم يلقه و لم يكن ممن عرض عليه ليلة الإسراء، و لم يدركه ذكر في عهده بالبقاء، ولو انه كان في عدد الأحياء حينئذ لما وسعه التخلف عن لقاء رسول اللّه صلى الله عليه وسلم والهجرة إليهً. قال: وما أعجب إغراء أهل الضعف بذكر الخضر وإلياس، والمعنى منهم بذلك المنتسبون إلى رؤية الأبدال ومشاهدة الآيات.

قال: وقد أخبرني بعض أصحابنا أن إبراهيم الحربي بن إسحاق سئل عن تعمير الخضر فأنكر ذلك، وقال: هو متقادم الموت. قال وروجع غيره في تعميره، وأن طائفة من أهل زماننا يرونه ويروون عنه، نقال: من أحال على غائب حي أو مفقود ميت لم ينتصف منه، وما ألقى ذكر هذا بين الناس ألا الشيطان. قال: فإن قيل: هذا هامة بن الهيم وزريب بن برثملا معمران، قيل: ومن صحح لهما وجادة حتى يكون لهما تعمير، ولو أنهما معروفان لكان سبيلهما في التخليد سبيل سائر البشر، بل هذان حديثان دسا إلى مغفلين فرووهما بلا تفقد ولا تمييز.

فإن قيل: هذا هاروت وماروت وإبليس باقون إلى يوم القيامة. قيل: ليس هؤلاء بشراً، ولو كانوا بشراً لما نص القرآن على تخليدهم ولما أنكر ذلك مؤمن. وتخليد إبليس ثابت بقوله: ماله "فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم".

وتخليد الملكين بقوله: "وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أحَدٍ حَتَّى يقولا إنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ". وهذا لا يكون إلا على مستقبل الأيام. قال: وجاء في التفسير إنهما مصلوبان منكسان في بئر ببابل لأنهما اختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فأعطيا ما سألا. فأما بقاء الدجال الأعور فليس ذلك بالطويل لأنه ولد بالمدينة في عهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ثم يحيا إلى نزول المسيح عيسى فيقتله.

قال: فقد صح لما بينا أن الخضر عبد من عباد اللّه نصب لموسى لأمر أراده اللّه، وقد مضى لسبيله فليعرف ذلك، وإن سمع من جاهل خلاف ذلك فلا يمارين لأن المراء في ذلك نقص، زادنا اللّه وإياكم فهماً. هذا آخر كلام أبي الحسين المنادي، ومن خطه نقلته. وقد روى أبو بكر النقاش: أن محمد بن اسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد".

فصل

قال ابن جريج: كان قارون ابن عم موسى أخي أبيه، فهو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث. وكذلك قال إبراهيم النخعي: كان ابن عمه. وقال ابن إسحاق: قارون عم موسى قال قتادة: كان يسمى المنور من حسن صورته، ولكنه نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي. وروى الأعمش، عن خيثمة، قال: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلاً.

واختلفوا في قوله تعالى: "فَبَغَى عَلَيْهِمْ": فقال ابن عباس: جعل لبغية جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى ما على ما قالت، فأخبرته الحال. وقال الضحاك: بغى بالكفر، وقال قتادة بالكبر.

وقال عطاء الخراساني: زاد في طول ثيابه شبراً.

فوعظه قومه فكان جوابه "إِنَّمَا أوتِيتُهُ علَى عِلْمٍ عِنْدِي". قال قتادة: على خير عندي، وقال غيره لولا رضى الله عنَي ما أعطاني هذا، فقال تعالى: "أولَمْ يَعْلَمْ أنَ اللّهَ قَدْ أهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَأشَدُّ مِنْهُ قوَةً وَأكْثَرُ جَمْعا" للأمو ال.

والمعنى: لو كان اللّه إنما يعطي الأموال من يعطيه لرضاه عنه وفضله عنده لم يهلك أرباب الأموال الكثيرة. فوعظه قومه، فلم تزده العظة إلا بغياً حتى خرج على قومه في زينته، وكان راكب برذون أبيض مسرج بسرج الأرجوان، قد لبس ثياباً معصفرة، وحمل معه ثلاثمائة جارية بمثل هيئته وزينته، وأربعة آلاف من أصحابه.

وقيل: حمل معه ثلاثمائة جارية بمثل هيئته، وتسعين ألفاً من أصحابه. قال مجاهد: فخرجوا على براذين بيض عليها سروج الأرجوان عليهم المعصفر. قال ابن عباس: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار ديناراً، وعن كل ألف درهم درهماً وعن كل ألف شاة شاة، وعن كل ألف شيء شيئاً. ثم أتى إلى مترله فحسبه فوجده كثيراً، فجمع بني إسرائيل، وقال: إن موسى قد أمركم، بكل شيء فأطعتموه، وهو الان يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغيّ فتجعلوا لها جعلاً فتقذفه بنفسها.

ففعلوا ثم أتاه قارون، فقال: إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم، فخرج فقال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، فإن كانت له امرأة جلدناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون إنك فجرت بفلانة، قال: ادعوها، فلما جاءت قال موسى: يا فلانة أنا فعلت ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا كذبوا ولكن جعلوا إليَّ جعلاً على أني قد أقذفك بنفسي، فسجد فأوحى اللّه إليه: مُر الأرض بما شئت، قال: يا أرض خذيهم فأخذهم هكذا.

روي عن ابن عباس انه قال: فأخذهم، وقال غيره: أخذت قارون وأصحابه.

وروى علي بن زيد بن جدعان، عن عبد اللّه بن الحارث، قال: جاء موسى إلى قارون فدخل عليه، فقال: يا موسى ارحمني، فقال: يا أرض خذيهم، فاضطربت داره وساخت، وخسف، بقارون وأصحابه. قال قتادة: ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قدر قامة، وأنه يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

فصل في ذكر قتيل بني إسرائيل،

روى السدي عن أشياخه، قال: كان رجل من بني إسرائيل مكثراً من المال، وكانت له بنت، وكان له ابن أخ محتاج فخاطب إليه ابن أخيه ابنته، فأبى أن يزوجه، فغضب الصبي، وقال: واللهّ لأقتلن عمي ولآخذن ماله ولأنكحن ابنته ولآكلن ديته.

فأتاه الفتى فقال له: يا عم، قد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل، فانطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلّي أصيب فيها فإنهم إذا رأوك معي أعطوني. فخرج العم مع الفتى ليلاً، فلما بلغ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه لا يدري أين هو، وإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه، فأخذهم، وقال: قتلتم عمي فأدوا إلي ديته، وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه، وينادي: واعمّاه.

قال أبو العالية: وأتى القاتل إلى موسى، فقال: إن قريبي قتل ولا أجد من يبيّن لِي من قتله غيرك. فنادى موسى في الناس: أنشدكم اللّه، من كان عنده من هذا القتيل،، علم إلا بينه لنا، فلم يكن عندهم علم، فأقبل القاتل على موسى وقال: أنت نبي اللهّ فأسأل الله أن يبين لنا. فسأل ربه فأمره بذبح البقرة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن حبيب، قال: أخبرنا علي بن الفضل، قال: أخبرنا محمد بن عبد الصمد، قال أخبرنا عبد اللّه بن أحمد بن حمويه، قال: أخبرنا أحمد بن حمويه، قال: أخبرنا إبراهيم بن خريم، قال: حدثنا عبد الحميد بن حميد، قال: أخبرنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهباً يقول: إن فتى من بني إسرائيل كان براً بوالدته، وكان يقوم ثلث الليل يصلي ويجلس عند رأس والدته ثلث الليل، فيذكرها التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، ويقول: يا أماه إن كنت ضعفت عن قيام الليل فكبري اللهّ وسبحيه وهلليه، وكان ذلك عملهما الدهر كله، فإذا أصبح أتى الجبل فاحتطب على ظهره، فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء اللهّ أن يبيعه، فيتصدق بثلثه، ويبقي لعبادته ثلثاً، ويعطي الثلث أمه، فكانت أمه تأكل النصف وتتصدق بالنصف، فكان ذلك عملهما الدهر.

فلما طال ذلك عليهما، قالت: يا بني اعلم إني ورثت من أبيك بقرة وختمت عنقها وتركتها في البقر على اسم اللهّ إله ابراهيم واسحاق ويعقوب وسأبين لك ما لونها وهيئتها فادعها باسم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وإن علامتها أنها ليست بهرمة ولا فتية غير أنها بينهما، وهي صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، إذا نظرت إلى جلدها خيل إليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها، وليست بالذلول لونها واحد، فإذا رأيتها فخذ عنقها فأزلها تتبعك بإذن إله إسرائيل.

فانطلق الفتى وحفظ وصية والدته، وسار في البرية يومين أوثلاثة، ثم صاح بها، وقال: بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعَقوب إلا ما أتيتيني، فأقبلت البقرة إليه وتركت الرعي وقامت بين يدي الفتى. فأخذ بعنقها، فتكلمت البقرة وقالت: يا أيها الفتى البر بوالدته اركبني، فقال الفتى: لم تأمرني والدتي أن أركب عليك ولكنها أمرتني أن أسوقك، فأحب أن أتبع قولها، قالت: وإله إسرائيل لو ركبتني ما كنت لتقدر علي، فانطلق أيها الفتى البر بوالدته، فإنك لو أمرت هذا الجبل أن ينقلع من أصله لاقتلع لبرك بوالدتك وطاعتك إلهك.

فانطلق فطار طائر من بين يديه فاختلس البقرة، فدعاها بإله إبراهيم فأقبلت وقالت: إن الطائر إبليس اختلسني فلما ناديتني جاء ملك

من الملائكة فانتزعني منه فردني إليك لبرك بوالدتك وطاعتك إلهك. فدخل الفتى إلى أمه فأخبرها بالخبر، فقالت: يا بني إني آراك تحتطب على ظهرك فاذهب بهذه البقرة فبعها وخذ ثمنها وتقوبه فقال: بكم أبيعها. قالت: بثلاثة دنانير على رضى مني. فانطلق إلى السوق فبعث اللّه ملكاً من الملائكة فقال للفتى: بكم تبيعها. قال: بثلاثة دنانير على رضى من والدتي، قال: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك، قال: لو أعطيتني زنتها لم أبيعها حتى أستأمرها. فخرج الفتى فأخبر والدته الخبر فقالت: بعها بستة دنانير على رضى مني. فانطلق فأتاه الملك وقال: ما فعلت. فقال: أبيعها بستة دنانير على رضى من والدتي، فقال: فخذ اثني عشر ديناراً ولا تستأمرها، قال: لا. فانطلق إلى أمه، فقالت: يا بني إن الذي يأتيك ملك من الملائكة في صورة آدمي، فإذا أتاك فقل له: إن والدتي تقرأ عليك السلام وتقول: بكم تأمرني أن أبيع هذه البقرة. فقال له الملك: أيها الفتى يشتري بقرتك هذه موسى بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل، فاشتروها منه على أن يملأوا له جلدها دنانير، فعمدوا إلى جلدها فملأوه دنانير ثم دفعوه إلى الفتى. فعمد الفتى فتصمق بالثلثين على الفقراء من بني إسرائيل، وتقوّى بالثلث.

فصل في ذكر أن بني إسرائيل آذوا موسى فنسبوه إلى الآدر

إن قوماً من بني إسرائيل عابوا موسى لكونه يغتسل مؤتزراً، فقالوا إنه آدر. والآدر: العظيم الخصيتين. حدثنا عبد الأول بن عيسى، قال: أخبرنا الداودي، قال: أخبرنا ابن أعين السرخسي، قال: حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، قال: حدثنا إسحاق بن نصر، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: واللّه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر. فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه، فجمع موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى عليه السلام، وقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً".

قال أبوهريرة: واللّه إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر. أخرجاه في الصحيحين.

فإن قيل: كيف خرج موسى عرياناً حتى رآه الناس. فيحتمل وجهين، أحدهما: انه خرج وليس هناك أحد فرأوه.

والثاني: انه كان عليه مئزر، والإزرة تبين تحت الثوب المبتل بالماء.

ذكر الملوك في زمان موسى عليه السلام،

إن أول ملك من ملوك اليمن ملك كان لهم في زمان موسى من حمير يقال له: شميربن الأهلوك. وهو الذي بنى مدينة ظفار باليمن، وأخرج من كان بها من العماليق، وإن هذا الملك الحميري كان من عمال ملوك الفرس يومئذ على اليمن ونواحيها.

ومن الحوادث في زمانه احتراق ابني هارون

قال وهب بن منبه:. كان يسرج في بيت المقدس ألف قنديل وكان يخرج زيتاً من طور سيناء مثل عنق البعيرحتى يصب في القنديل، ولا يمس بالأيدي، وكانت تنحدر نار من السماء بيضاء فيسرج بها، وكان يلي السراج ابنا هارون. فأوحى اللّه تعالى إليهما: أن لا تسرجا بنار الدنيا، فابطأت النار عنهما عشية، فعمدا إلى نار من نار الدنيا فأسرجا بها، فانحدرت النار فأحرقتهما.

فخرج الصريخ إلى موسى فخرج إلى الموضع الذي كان يناجي فيه ربه، فقال: أي رب ابنا هارون أخي، قد علمت مترلتهما مني فانحدرت النار فاحرقتهما، وناداه: يا موسى هكذا أفعل بأوليائي إذا عصوني، فكيف أفعل بأعدائي.

ومن الحوادث

موت هارون في زمان موسى عليهما السلام روى السدي عن أشياخه: إن اللّه تعالى أوحى إلى موسى: إني متوف هارون، فأتى به جبل كذا كذا، فانطلق موسى وهارون نحو الجبل، فإذا هما فيه بشجرة لم ير شجر مثلها، وإذا هما ببيت مبني، وإذا هما فيه بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريحٌ طيبة.، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، فقال: يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير، فقال له موسى: فنم عليه، قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ، فقال له موسى: لا ترهب، أنا أكفيك رب هذا البيت فنم، فقال: يا موسى نم معي.

فناما فأخذ هارون الموت، فلما قُبِض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده على حب بني إسرائيل له، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى، وكان في بعض الغلظ عليهم.

فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم، أترونني أقتل أخي، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا اللّه فترل بالسرير حتى نظروا إليه من السماء والأرض فصدقوه.

وقال عمرو بن ميمون: مات موسى وهارون في التيه، مات هارون قبل موسى، وكانا أخرجا في التيه إلى بعض الكهوف، فمات فدفنه موسى وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: ما فعل هارون. قال: مات، قالوا: لكنك قتلته لحبنا إياه. فشكى موسى ما لقي من بني إسرائيل، فأوحى اللّه إليه: أن انطلق هم إلى موضع قبره، فإني باعثه حتى يخبرهم أنه مات موتاً.

فانطلق بهم إلى قبر هارون، فنادى: يا هارون، فخرج من قبره ينفض رأسه، فقال: أنا قتلتك قال: لا والله ولكني مت، قال: فعد إلى مضجعك. قال الحسن: مات هارون وهو ابن مائة وثماني عشرة سنة، قبل موسى بثلاث وفي التوراة: ان هارون مات وهو ابن عشرين ومائة سنة وكانت وفاته في التيه.

ومن الآحداث وفاة موسى عليه السلام

قال السدي عن أشياخه: بينما موسى يمشي ويوشع فتاه إذ أقبلت ريح سوداء، فلما نظر إليها، يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال: يا قوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي اللّه، فاستل موسى من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل، وقالوا: قتلت نبي اللّه، قال: لا والله ما قتلته ولكنه استّل مني، فلم يصدقوه وأرادوا قتله. قال: فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام. فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه في المنام، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى، وأنا قد رفعناه إلينا، فتركوه و لم يبق ممن أبى أن يدخل قرية الجبارين مع موسى أحد إلا مات و لم يشهد الفتح.

وزعم ابن إسحاق: أن موسى كان قد كره الموت وأعظمه، فأراد اللّه أن يحبب إليه الموت ويكره إليه الحياة، فنبي يوشع وكان يغدو

عليه ويروح فيقول له موسى: يا نبي الله ما أحدث الله إليك. فيقول له يوشع: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدئء به وتذكره؟ فلا يذكر له شيئاً.

فلما رأى ذلك موسى كره الحياة وأحب الموت. وكذلك قال محمد بن كعب القرظي: كان تحويل النبوة إلى يوشع بن نون قبل موت موسى، وكان يختلف يوشع إلى موسى غدوة وعشية، فيقول له موسى: يا نبي اللّه هل أحدث الله إليك اليوم شيئاَ. فيقول له يوشع: يا صفي اللّه صحبتك من كذا وكذا سنة، فهل سألتك عن شيء يحدثه اللّه إليك حتى تكون أنت الذي تبتدئه لي. فلما رأى موسى الجماعة عند يوشع أحب الموت.

قال أبو الحسين بن المنادي: هذه العبارة توهم بعض الأغبياء أن موسى غاظه ما رأى، فأحب الموت، إذ ضاق ذرعاً بالذي أبصر من مترلة يوشعٍ حين علت. وليس كذلك، إنما أحب موسى الموت لما رأى له خلفاً في أمته كافياً يقوم مقامه فيهم، فاستطاب حينئذ الموت لما وصفنا لا غير.

وأما إستجابة يوشع وامتناع يوشع من إفشائه ما يكون من اللّه إليه فلم يك من باب التعزز من يوشع ولا من حبه الاقتصار من موسى إليه، بل هو من استخبار موسى يوشع هل بلغ حد الأمناء الذين يكتمون ما يجب كتمه عن أقرب الناس إليهم وأعزهم عليهم، فلما ألفى يوشع بالغاً هذه المرتبة لم يشك في نهوضه بالوحي واستمكانه من الحال التي أهل لها فهذا الذي صار موسى إلى السؤال.

ويدل على هذا ما روي عن الحسن أنه، قال: لما ودع موسى أهله وولده أرسل إلى يوشع فاستخلفه على الناس، قال: وكان موسى إنما يستظل في عريش ويأكل ويشرب في نقير من حجر تواضعاً للّه عز وجل حين أكرمه بكلامه.

قال وهب: ذكر لي أنه كان من أمر وفاته انه أخرج يوماً من عريشه ذلك لبعض حاجته، فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً، فعرفهم فأقبل إليهم حتى وقف عليهم فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شيئاً أحسن منه و لم ير مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة اللّه لم تحفرون هذا القبر. قالوا: نحفره واللّه لعبد كريم على اللّه، قال: إن هذا العبد من اللّه لبمترلة، ما رأيت كاليوم مضجعاً، قالت الملائكة: يا صفي اللّه أتحب أن يكون لك. قال: وددت، قالوا: فانزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربك ثم تنفس، فترل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوَّت عليه الملائكة.

قال مؤلف الكتاب: وفي هذا بعد، فإن الحديث الصحيح يدل على غير هذا. أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن همام منبه، قال: حدثنا أبوهريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاء ملك الموت إلى موسى، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى اللّه عز وجل وقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال: فرد اللّه إليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له: إن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما تواريت بيدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة. فعاد إليه فأخبره، فقال: ثم مه، قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب. قال: يا رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر".

قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "واللّه لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر".

قال أبو عمران الجوني: لما مثل موسى عليه السلام جعل يبكي ويقول: لست أجزع للموت ولكني أجزع أن ييبس لساني عن ذكر الله عند الموت. قال: وكان لموسى ثلاث بنات فدعاهن فقال: يا بناتي، إن بني إسرائيل سيعرضون عليكن الدنيا بعدي فلا تقبلن منها شيئاً تلقطن هذا السنبل فافركنه ثم كلنه، وستبلغن به إلى الجنة.

قال علماء السير: توفي موسى بعد هارون بثلاث سنين، وأوصى إلى يوشع، وتوفي بباب لد.

قال أبو جعفر الطبري: كان جميع مدة عمر موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة، عشرون منها في ملك أفريدون، ومائة منها في ملك مِنُو شِهْر، وكان ابتداء أمره منذ بعثه اللّه نبياً إلى أن قبضه الله في ملك مِنُوشِهْر.

واختلفوا: هل مات بأرض الشام أم لا على قولين: أحدهما أنه توفي بأرض التيه، وقد روينا عن ابن عباس انه قال: ماتوا كلهم في التيه وموسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع، وكالب بن يوفنا، والحديث الذي قدمناه يدل على هذا. والقول الآخر: لما مضت الأربعون خرج موسى ببني إسرائيل من التيه، وقال لهم: ادخلوا القرية فكلوا منها حيث شئتم. قاله الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد.

وقال ابن جرير: وهذا هو الصحيح، وإن موسى هو الذي فتح قرية الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل لأن أهل السير أجمعوا أن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج، ملكهم، وكان بلعام فيمن اسباه سباه موسى وقتله.

قال أبو الحسين بن المنادي: وقد قيل: إن اليهود لا تدري أين قبر موسى وهارون، ولوعلموا لاتخذوهما إلهين من دون اللّه.

ذكر يوشع بن نون عليه السلام،

وهو يوشع بن نون بن افراييم بن يوسف بن يعقوب.

وقد ذكرأن اللّه تعالى جعل يوشع نبياً في زمن موسى، فلما توفي موسى ابتعثه اللّه تعالى، فأقام لبني إسرائيل أحكام التوراة، وهو الذي قسم الشام بين بني إسرائيل، وهو الذي أخرج الله له نهر الأردن، وأمره الله تعالى بالمسير إلى أريحا لحرب من فيها من الجبارين، وهي التي امتنع بنو إسرائيل من دخولها فعوقبوا بالتيه. ومات موسى وهارون في التيه، ومات الكل سوى يوشع وكالب.

وإنما دخل يوشع بأبنائهم، فقاتل الجبارين فهزمهم، واقتحم أصحابه عليهم يقتلونهم، فكانتَ العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها، وكان القتال يوم الجمعة، حتى إذا أمسوا وقاربت الشمس الغروب خافوا من دخول السبت، فقال يوشع: اللهم احبس الشمس، فوقفت بينها وبين الغروب قيد رمح، فثبتت مقدار ساعة حتى افتتحها وقتل أعداءه وهدم أريحا ومدائن الملوك وجمع غنائهم، وأمرهم يوشع أن يقربوا الغنيمة فقربوها فلم تنزل النار لأكلها، فقال يوشع لهم: فبايعوني.

أخبرنا هبة اللّه بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن همام بن منبه، قال: حدثنا أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

"غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن، ولا آخرقد بنى بيوتاً ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنى إلى القرية حتى صلى العصر أو قريباً من ذلك. فقال

للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي فحبست عليه حتى فتح الله عليه، فجمعوا ما غنموا، فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم. فأخرجو له مثل رأس بقرة من ذهب. قال: فوضعوه بالمال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته. فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن اللهّ عز وجل رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا". أخرجاه في الصحيحين.

ويوشع هذا هو الذي حارب العماليق وعليهم السميدع بن هوير فالتقوا بأيلة فقتل السميدع وأكثر العماليق، وقد ذكرنا أن موسى حارب الجبارين، واللهّ أعلم.

أنبأنا أحمد بن علي المجلى، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدثنا عبد اللّه بن محمد القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني محمد بن بسطام، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: حدثني إبراهيم بن عمرو الصنعاني، قال: أوحى اللّه عز وجل إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم، وستين ألفاً من شرارهم. قال: يا رب فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم.

وزعم هشام بن محمد الكلبي: أن بقية بقيت من الكنعانيين بعد قتل يوشعٍ من قتل منهم، وأن إفريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب مرَ بهم متوجهاً إلى أفريقية، فاحتلها وقتل ملوكها وأسكنها البقية التي بقيت من الكنعانيين، فهم البرابرة، وإنما سموا بربراً لأن أفريقيش قال لهم: ما أكثر بربرتكم، فسموا لذلك بربراً.

فقالوا: ونهض يوشع إلى بعض الملوك فقاتله فغلبه وصلبه على خشبة وأحرق المدينة، وقتل من أهلها اثني عشرألفاً. واحتال أهل بلد آخر حتى جعل لهم أماناً فظهر على، باطنهم، فدعا الله عليهم أن يكونوا حطابين وسقائين، فكانوا كذلك. وهرب خمسة من الملوك فاختفوا في غار، فأمر يوشع بسد باب الغارحتى فرغ من أعدائه، ثم أخرجهم فقتلهم وصلبهم.

وتتبع سائر الملوك واستباح منهم واحداً وثلاثين ملكاً، وقسم الأرض التي غلب عليها.

ثم مات يوشع عليه السلام، وكان عمره مائة سنة وعشر سنين، وقيل: مائة وعشرين سنة. ودفن في جبل إفراييم، وكان تدبيره أمر بني إسرائيل بعد أن توفي موسى إلى أن توفي هو سبعاً وعشرين سنة، وذلك كله من زمان منوشهر عشرين سنة، ومن زمان أفراسياب سبع سنين.

ذكر الأحداث التي حدثت بعد يوشع عليه السلام

قال الزهري، ومحمد بن كعب القرظي: لما حضرت يوشع الوفاة استخلف كالب بن يوفنّا.

قال القرظي: ولم يكن لكالب نبوة، ولكنه كان رجلاً صالحاً يودونه فوليهم زماناً يقيم فيهم من طاعة الله ما كان يقيم يوشع حتى قبضه اللّه عز وجل على منهاج يوشع. فاستخلف كالب ابناً له فأقام العدل في بني إسرائيل أربعين سنة، فلما مات اختلفت بنو إسرائيل، ودعى كل إلى نفسه وإلى سبطه، ثم عملوا بالمعاصي وتشاحنوا على الدنيا وأحبوا الملك، فبعث الله تعالى حزقيل.

ذكر الملوك بعد يوشع بن نون عليه السلام

فأما الملوك، فإن منوشهر هلك في زمن يوشع فملك أفراسياب، وكان يُكثر المقام ببابل وبِمهْرِجان قذَق، فأكثر الفساد في مملكة فارس، ودفن الأنهار والقنّي، وقحط الناس في سنة خمس من ملكه، إلى أن خرج عن، مملكة أهل فارس،، وغارت المياه، وحالت الأشجار المثمرة إلى أن ظهر عليه ملك يقال له: "زوّ"، من أولاد منوشهر، وبينهما عدة آباء، فطرده عن مملكة أهل فارس، وأصلح ما كان أفسد، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين، فعمرت البلاد في مملكته، وكثرت المياه فيها، واستخرج بالسواد نهراً فسماه الزاب، وأمر فبنيت على حافتيه مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة، وغرس فيها الغروس، وكان من أول من اتخذ له ألوان الطبيخ، وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه: نحن متقدمون في عمارة ما أخْرَبَهُ الساحر فريساب.

وكان جميع ملك زو ثلاث سنين، ملك ابنه بعده كيقباد، وكان يشبه فرعون في الكبر. وجاء بأولاد جبابرة، وسمى المدن بأسمائها، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة، وكان نازلاً بالقرب من نهر بلخ ليمنع الترك أن يتطرقوا إلى حدود فارس، وكان ملكه مائة سنة، وكان القيم بأمر بني إسرائيل يوشع، ثم كالب بن يوفنا، ثم حزقيل.

ذكر حزقيل بن بوزي،

وهو الذي يقال له ابن العجوز، ويقال إن ابن العجوز أشمويل، واللّه أعلم. قال ابن إسحاق: هو حزقيل بن بوذي، وإنما قيل له ابن العجوز لأنها سألت اللّه عزّ وجلّ الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها، فلذلك قيل ابن العجوز، وهو الذي دعى للقوم "الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت".

قال وهب بن منبه: أصاب ناساً من بني إسرائيل بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم، وقالوا: يا ليتنا متنا فاسترحنا مما نحن فيه، فأوحى اللّه تعالى إلى حزقيل: إن قومك صاحوا من البلاء وزعموا أنهم ودُوا لو ماتوا فاستراحوا، وأيٌ راحة لهم في الموت، أيظنون أني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت، فانطلق إلى جبانة كذا وكذا فإن فيها أربعة الاف قال وهب: وهم "الَّذِينَ خرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذرَ الموت" فقم فيهم فنادهم، وكانت عظامهم قد تفرقت، فرقتها الطير والسباع، فناداها حزقيل، فقال: يا أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع عظام كل إنسان منهم، ثم نادى ثانية فقال: أيتها العظام إن اللّه يأمرك أن تكتسي اللحم، فاكتست اللحم، وبعد اللحم جلداً، فكانت أجساداً، ثم نادى الثالثة أيتها الأرواح إن اللّه يأمرك أن تعودي في أجسادك، فقاموا باذن اللّه وكبروا تكبيرة واحدة.

وقال السدي عن أشياخه: كانت قرية يقال لها دَاوَرْدَان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها، فهلك من بقي في القرية وسلم الاخرون، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين سلموا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا بقينا! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم. فوقع في قابل فخرجوا وهم بضعة وستون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان، وهو واد أفيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: موتوا، فماتوا.

فمر بهم نبي يقال له هزقيل، فوقف عليهم وجعل يفكر فيهم، فأوحى اللّه إليه: أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم، فقيل له: ناد، فنادى: يا أيتها العظام إن اللّه يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجساداً من عظام، ثم أوحى إليه أن ناد: يا أيتها العظام إن اللّه يأمرك أن تكتسي لحماً ودماً، ثم قيل له: ناد، فنادى يا أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي،

فقاموا.

قال مجاهد: قالوا حين أحيوا: سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم أحياء، سحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن. حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

ذكر الملوك، التي كانت في زمن حزقيل

إنه كان في زمن حزقيل، من الملوك: بخت نصر البابلي، وهو الذي أفنى ملوك أهل هذا الزمان، لأنه كان يفتح الحصون ويقتل من فيها، وكان في هذا الزمان عدة من الأنبياء، منهم: أرمياء، ودانيال، فلما هربت اليهود من بخت نصر إلى مصر أخذوا معهم أرمياء ودانيال، فلما أهبطوه أرض مصر قتلوه، ومضى قوم منهم إلى أرض بابل فوثبوا بحزقيل فقتلوه وقبروه هناك.

ولما قبض حزقيل و لم يذكر مدة بقائه في بني إسرائيل كثرت فيهم الأحداث، فبعث اللّه عز وجل إليهم إلياس، وبعض العلماء يجعل حزقيل بعد إلياس، فالاختلاف في تقديم الأنبياء وتأخيرهم متفاوت بين النقلة، ونحن نتخير الأصوب عندنا.

ذكر إلياس عليه السلام،

قال ابن إسحاق: لما قبض الله عز وجل حزقيل عظمت الأحداث في بني إسرائيل فنسوا ما كان اللّه عهد إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون اللّه بعث إليهم إلياس بن ياسين بن فِنْحاص بن العيزار بن هارون بن عمران.

وقال وهب: إلياس بن العازر بن العيزار بن هارون. وقال الطبري: إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون. وقال أحمد بن جعفر بن المنادي: إلياس بن يشين بن العازر بن هارون. نقلته من خطه وضبطه. قال: وهو إلياس، وهو إلياسين، وهو إدراسين، وهذا في قراءة ابن مسعود.

وإنما كانت الأنبياء تبعث من بني إسرائيل بعد موسى لتجديد ما نسوا من التوراة وقد بعث الله بين موسى وعيسى ألف نبي من بني إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم، و لم يكن بينهم فترة.

وكان بنو إسرائيل قد اتخذوا صنماً يسمونه بعلاً. قال نعيم بن أبي: مذ كان رجل من الملوك يغزو فأطال الغيبة مرة عن امرأته فاشتاقت إليه، فصاغت رجلاً من ذهب وفضة، وألبسته ثياب زوجها وعممته وقلدته السيف وأقعدته على سرير زوجها وحجبته وأقامت عليه الحرس، ثم جمعت أهل أرضها، وكانوا يعبدون الأوثان، فقالت: إن هذه الأوثان التي في أيديكم باطل فاطرحوها، وإنما إلهكم البعل، فإذا كشفت لكم عنه فاسجدوا له، فكشفت لهم عنه فسجدوا وعبدوه، وكتبت إلى زوجها تخبره بما صنعت.

فكتب إليها: قد أصبت، ثم قدم فعبد وسجد له، فبعث الله إليهم إلياس يدعوهم إلى الله سبحانه، وجعلوا لا يسمعون منه. قال ابن إسحاق: فأوحى الله إليه: قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك فدعا عليهم أن يمسك عنهم القطرفحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والهوام والشجر. وكان قد استخفى خوفاً على نفسه من أجل دعائه عليهم، وكان حيث ما كان يوضعِ له رزقه، فمنع الرزق ثلاثاً فبكى فنودي: أتبكي لجوع ثلاثة أيام وقومك يموتون جوعاً فارجع إليهم.

وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان فيلقى أهل ذلك المترل منهم شرأ. فأوى ليلة إلى امرأة من بني

إسرائيل لها ابن يقال له: إليسع بن أخطوب، به ضُرٌّ، فآوته وأخفت أمره، فدعا لإبنها فعوفي من الضُرِّ، وإتبع إلياس فآمن به وصدقه ولازمه، فأوحى الله إلى إلياس: إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق لم يعص من الدواب والبهائم والطير، فقال: يا رب دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج لعلهم يترعون عما هم عليه؟ قيل له: نعم. فجاء إلى بني إسرائيل، فقال: إنكم قد هلكتم جهداً وهلكت البهائم والطير والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك، وتعلموا أن اللّه عليكم ساخط، وإن الذي أدعوكم إليه الحق. فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن لم تفعل علمتم أنكم على باطل فترعتم ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت.

فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم، فعرفوا ما هم فيه من الضلالة، ثم قالوا: ادع لنا، فدعا لهم بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا. فخرجت سحابة وهم ينظرون، ثم أرسل اللّه المطر فأغاثهم ففرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه.

فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم دعا ربه أن يقبضه إليه فيريحه منهم، فقيل له: انظر يوم كذا فاخرج فيه إلى بلد كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه. فخرج وخرج معه إليسع حتى إذا كان بالبلد الذي ذكر له، في المكان الذي أمر به أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه فانطلق، فكساه الله الريش وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار في الملائكة فكان إنسيّاً مَلكئاً سحابيّاً أرضياً، وسميت الأرض التي كانوا فيها بعلبك باسم الصنم الذي اسمه البعل.

ذكر من كان بعد إلياس

قد اختلف العلماء فيمن كان بعد إلياس. فقال الحسن ووهب: نبي بعد إلياس، اليسع، وقد عوَّلنا على ذلك. وقد حكى أبو الحسين بن المنادي: أن قوماً قالوا: بل كان بعد إلياس يونس.

قال: وقالوا: ان يونس بعد سليمان، وأيوب بعد سليمان أيضاً.

وذكر ابن أبي خيثمة أن أيوب كان بعد سليمان، وان يونس بعد أيوب. ونحن نتخير من هذا الاختلاف في الترتيب أقربه إلى الصواب. والله الموفق.

وهذا اليسع هواليسع بن عدي بن شويلخ بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب. وقال وهب بن منبه: هو اليسع بن خطوب، ويقال: ابن أخطوب.

كان يتيماً مضروراً فانقطع إلى إلياس وآمن به، فدعى الله له فكشف عنه ضرّه، وأتاه الحكمة والنبوة، فبعث إلى بني إسرائيل، فمكث فيهم زماناً يدعوهم إلى التوحيد وأن يتمسكوا بمنهاج إلياس وشريعته، فلم يزل كذلك حتى قبضه الله تعالى.

وقد فرق بعض العلماء بين إليسع الذي صحب إلياس وبين ابن أخطوب، فقال: هما اِثنان، وابن أخطوب لم يصحب إلياس، و لم يذكر في القرآن.

ذكر من كان، بعد اليسع

قال وهب: قام بعد إليسع شاب اسمه شمعون من أفاضل بني إسرائيل، ثم استخلف عليهم رجلاً يقال له عيلوق وهو ابن ستين سنة، فأقام لهم الحق أربعين سنة، فتمت له مائة سنة، وكان له ابنان يأخذان الرشوة ويفعلان الفسق فاستبدل الله عز وجل به أشموئيل.

أنبأنا ثابت بن بندار بن إبراهيم، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن الحسن بن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر، قال: حدثنا الحسن بن على القطان، قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدثنا إسحاق بن بشير القرشي، قال: أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، قال: إنما غضب الله على عيلوق أنه رأى ابناً له يتعاطى، من، أمر النساء ما لا يحل، له، فقال: مهلاً يا بنى، فغضب عليه ربه وقال: لم يكن من غضبك حتى انتهكت محارمي إلا أنك قلت مهلاً يا بني. فسقط عن سريره، فانقطع نخاعه وأسقطت إمارته.

وقتل ابن له في جيش كان بعثه، وكان معهم التابوت، وكان عدوهم العمالقة فظهروا عليهم وسبوا التابوت، وحولت النبوة والخلافة إلى أشموئيل.

وفي رواية عن وهب بن منبه قال: لما قبض الله أليسع عظمت الخطايا في بني إسرائيل وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر وفيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو.

ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف، فكانوا إذا نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت، فترل بهم عدو فأخذ من أيدهم التابوت، فأخبر ملكهم إيلاف بأخذ التابوت فمات كمداً، ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم، فمكثوا على اضطراب من أمرهم، واختلال من أحوالهم يتمادون في غيهم وضلالهم فسلط عليهم من ينتقم منهم، ثم يراجعون التوبة فيكف الله، عنهم شر مَنْ يبغيهم إلى أن بعث الله تعالى أشموئيل.

فبعث في زمانه طالوت ملكاً، فاستخلص التابوت، وكان أمرهم من مدة وفاة يوشع تارة إلى ما ذكرنا من الأنبياء، وتارة إلى القضاة، وتارة إلى الساسة، وتارة إلى عدو يقهرهم، إلى أن عاد الملك والنبوة إليهم بأشموئيل، فكانت تلك المدة أربعمائة وستين سنة. وكان أول من ملكهم في هذه المدة رجلاً من نسل لوط يقال له "كوسان"، فقهرهم وأذلهم ثماني سنين ثم أخذه من يده أخ لكالب الأصغر يقال له "عثانيل بن يوفنا"، فقام بأمرهم أربعين سنة، ثم سلط الله عليهم ملكاً يقال له جعلون ويقال أعلون، فملكهم ثماني عشرة سنة. ثم ملك بعده "أيلون من ولد إفرائيم خمساً وخمسين سنة، فقال إنه لما تمت له خمس وثلاثون سنة من ملكه عليهم تمت للعالم أربعة آلاف سنة. ثم ملكهم رجل من سبط بنيامين يقال له "أهوز بن حنو الأشل أ، فقام بأمرهم ثمانين سنة، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له، يافين فملكهم عشرين سنة.

ثم استنقذهم امرأة نبي من أنبيائهم يقال لها "ديوار"، فدبرأمرهم من قبلها رجل يقال له باراق أربعين سنة، ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين.

ثم أنقذهم منهم رجل من ولد نفثالى بن يعقوب يقال له جدعون بن برانس فدبر أمرِهم أربعين سنة، ثم دبر أمرهم من، بعد ابنه أبيملك وقيل إنه ابن عمه ثلاثاً وعشرين سنة، ثم دبرهم بعده رجل من بني إسرائيل يقال له بابين اثنتين وعشرين سنة. ثم ملكهم بعده بنوعمون، وهم قوم من أهل فلسطين ثماني عشرة سنة، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين.

ثم دبرهم من بعده ألون عشر سنين، ثم دبر أمرهم يحنون وهو رجل من بني إسرائيل، ثم دبرهم من بعده ليزون، ويسميه بعضهم

عكرون ثماني سنين، ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعيمن سنة.
ثم وليهم شمشون عشرين سنة ثم بقوا بغير رئيس ولا مدبرعشر سنين. ثم دبر أمرهم بعد ذلك عالي الكاهن، وفي أيامه غلب أهل غزة وعسقلان على التابوت، ثم مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعون سنة بعث شمويل نبياً فدبرأمرهم عشر سنين. ثم سألوه حين نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم أن يبعث لهم ملكاً معهم في سبيل الله فبعث لهم طالوت.

ذكر ذي الكفل،

اختلفوا هل كان نبياً أم لا على قولين: أحدهما: إنه لم يكن نبيًا إنما كان عبداً صالحاً. قال أبو موسى الأشعري، ومجاهد في آخرين. ثم اختلف هؤلاء في علة تسميته بذي الكفل على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي فكفل هذا بصلاته، فسمي ذا الكفل. قاله أبو موسى. والثاني: انه تكفل للنبي بقومه أن يكفيه أمرهم وتعهد أن يقضي بينهم بالعدل ففعل، فسمي ذا الكفل. قاله مجاهد. والثالث: ان ملكاً قتل في يوم ثلاثمائة نبي وفرمنه مائة نبي فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا. فسمي ذا الكفل، قاله ابن السائب.
والقول الثاني: إنه كان نبياً. قال الحسن وعطاء وأهل الكتاب. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن ذا الكفل هو يوشع بن نون. وفي رواية عن ابن عباس، قال: كان ذو الكفل من أولاد أيوب، فأرسله الله تعالى داعياً إلى توحيده بالشام.
وقال غيره: هو اليسع بن أخطوب، وكان قبل داود. قال وهب: كان بعد اليسع. قال عطاء: وإنما سمي بذي الكفل لأن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: إني أريد أن أقبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر ويصوم النهارلا يفطر، ويقضي بين الناس فلا يغضب فارفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب، فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فكفل به فوفى. وحكى بعض علماء السير: انه كان في زمن ذي الكفل جبار من العماليق فدعاه ذو الكفل إلى الإيمان وضمن له الجنة، فقال: من كفل لي بذلك، قال: أنا، وكتب له كتاباً تكفل له بالجنة إن هو آمن. فترك الملك ملكه ولحق بالنساك. فلما مات دفن الكتاب معه، فبعث اللّه الكتاب إلى ذي الكفل وأخبره أنه وفى الملك بما ضمن له، فآمن به مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وتكفل لهم بمثل ما تكفل لملكهم، فسماه الله تعالى ذا الكفل. وأقام ذو الكفل عمره بالشام حتى مات وهو ابن خمس وسبعين سنة.

ذكر خبر أسابن إبيا وزرح الهندي،

قال وهب بن منبه: كان ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له أسابن أبيا، وكان رجلاً صالحاً. وكان ملك، من ملوك الهند يقال له زرح، وكان جباراً فاسقاً يدعو الناس إلى عبادته. وكان أسا لما ملك بعث منادياً فنادى: ألا إن الكفر قد مات وأهله، وعاش الإيمان وأهله، وانتكست الأصنام وعبادها، وظهرت طاعة الله وأعمالها، فليس كافر من بني إسرائيل يطلع رأسه بعد اليوم بكفر في ولايتي إلا قتلته. فإن الطوفان لم يغرق الدنيا وأهلها، و لم يخسف القرى بمن فيها لو لم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله وإظهار معصيته؟ فمن أجل ذلك يعمل بها ولا تترك طاعة إلا أظهرنا جهدنا، حتى تطهر الأرض من نجسها وننقيها من دنسها، ونجاهد مَنْ خالَفنا في ذلك بالحرب والنفي من بلادنا.
فلما سمع قومه ذلك ضجوا وكرهوا، فأتوا أمه فشكوا إليها فعله، فأتته فعاتبته على ذلك ووبخته إذ دعا قومه إلى ترك دينهم. فغضب

ودعاها إلى الصواب فأبت، فقال: إن قولك هذا قد قطع ما بيني وبينك. ثم أمر بإخراجها وتغريبها، وقال لصاحب شرطته ان هي ألمت بهذا المكان فاقتلها.

فلما رأى قومه ما فعل بأمه ذلوا وأذعنوا له بالطاعة واحتالوا له بكل حيلة، فحفظه الله من شرهم، فائتمروا أن يهربوا من بلاده، فخرجوا متوجهين إلى زَرْح ملك الهند. فلما دخلوا عليه سجدوا وشكو إليه ما جرى عليهم، وقالوا: أنت أولى بملكنا، فقال: ما كنت مجيبكم إلى مقاتلة قوم لعلكم أطوع لي منكم، حتى أبعث إليهم أمناء، فإن كان الأمر على ما قلتم نفعكم ذلك عندي وإلا أنزلت بكم العقوبة.

فاختار من قومه جواسيس ليعلموا علم القوم ويبحثوا له عن شأن تلك الأرض. فجهزهم وأعطاهم جواهر وكسوة ليبيعوا ذلك هنالك. فساروا كالتجار حتى فصلوا عليهم ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم.

وكان أسا الملك قد تقدم إلى نساء بني إسرائيل انه إن رأى امرأة لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج قتلها أو نفاها، لأن إبليس لم يدخل على أهل الدين في دينهم بأشد من مكيدة النساء. فكانت المرأة التي لا زوج لها لا تخرج إلا في ثياب رثة، فكان النساء يشترين من هذه الأمتعة سراً بالليل، و لم يزل أولئك ينظرون في أحوال المدينة حتى عرفوا جميع أخبارها، فكانوا قد ستروا محاسن ما معهم ليجعلوه هدية للملك، فقالوا للناس: ما بال الملك لا يشتري منا شيئاً وعندنا من الطرائف، ثم نحن نعطيه بغيرثمن. فقالوا لهم: إن له من الخزائن ما لا يقدرعلى مثله، إنه استفرغ الخزائن التي سار بها موسى من مصر، والحليَ الذي كان بنو إسرائيل أخذوا، وما جمع يوشع وسليمان والملوك.

قالوا: فبماذا يقاتل عدواً إن عرض له؟ فقالوا لهم: إن عدته للقتال قليلة، غير أن له صديقاً لو استعان به على أن يزيل الجبال أزالها؟ فإذا كان معه صديقه فليس شيء من الخلق يطيقه.

قالوا: ومن صديقه وكم علا جنوده؟ قالوا: لا تحصى جنوده، وكل شيء من الخلق له، لو أمر البحر لطمّ على البر. فدخل بعض الجواسيس على أسا الملك، وقال: إن معنا هدية نريد أن نهديها لك من طرائف، أوتشتري منا فنرخصه عليك.

قال: ائتوني به، فلما أتوه به، قال: هل يبقى هذا لأحد أو يبقون له. قالوا: لا، قال: فلاحاجة لي به، إنما طلبي لما يتبقى.فساروا من بيت المقدس متوجهين إلى زرح ملكهم فأخبروه الخبر، فقال: إن صديق أسا لا يطيق أن يأتي بأكثرمن جندي، ولا بأكمل من عدتي. ثم جمع العساكر ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلاده، ثم أمر بمائة مركب، فقرن له البغال، كل أربعة أبغل جميعاً عليها سرير وقبة، وفي كل قبة منهن جارية، ومع كل مركب عشرة من الخدم، وخمسة أفيال من فيلته، وجعل خاصته الذي يركبون معه مائة ألف. ثم قال: أين صديق أسا؟ هل يستطيع أن يعصمه مني، فبلغ الخبر أسا، فدعى ربه فقال: اللهم أنت القوي أنظر إلى ضعفنا وقوة عدونا فغرق عدونا في اليم كما غرقت فرعون.

ثم نام فرأى في المنام: أني قد سمعت كلامك، وأني إن غرقته لم يعلم بنو إسرائيل كيف صنعت بهم، ولكن سأظهر لك ولمن اتبعك فيهم قدرة حتى أكفيك مؤونتهم، وأهب لك غنيمتهم حتى يعلم أعداؤك أن صديق أسا لا يطاق وليُه، ولا يهزم جنده.

فأرسل أسا إليهم طليعته، فرجعوا يقولون: لم تر عيون بني آدم مثلهم ولا مثل فيلهم، فقد انقطع رجاؤنا.

وجاء أهل البلد إلى أسا، فقالوا: إنا خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم لعلهم يرحمونا. فقال: أما معاذ الله أن نلقي بأيدينا في أيدي

الكفرة، قالوا: فاحتل لنا حيلة، واطلب إلى صديقك الذي كنت تعدنا بنصره، فإن الصديق لا يسلم صديقه على مثل هذا، فدخل أسا المصَّلى، ووضع تاجه وحل ثيابه ولبس المسوح وافترش الرماد، ثم أخذ في الدعاء وجعل يقول: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، أنت الذي لا يطيق كنْهُ عظمتك بشر، أسألك بالمسألة التي سألك بها إبراهيم خليلك فأطفأت بها عنه النار، وبالدعاء الذي دعاك به نجيك موسى فأنجيت بني إسرائيل من الظلمة وأعتقتهم من العبودية، وبالتضرع الذي تضرع لك عبدك داود فرفعته ونصرته على جالوت، أنت محي الموتى، فقد حل بنا كرب عظيم لا يطيق كشفه غيرك ولا حول ولا قوة إلا بك.

وجعل علماء بني إسرائيل يدعون الله ويقولون: اللهم اجب اليوم عبدك فإنه قد اعتصم بك وحدك ولا تخل بينه وبين عدوك، واذكر حبه إياك، وفراقه أمه. فألقى اللهّ عليهم النوم وهو في مصلاه ساجداً ثم أتاه ات من اللّه تعالى، فقال له: يا أسا إن الحبيب لا يسلم حبيبه، وإن اللّه تعالى يقول: إني قد ألقيت عليك محبتي، ووجب لك نصري، وأنا الذي أكفيك عدوك، فإنه لا يهون من توكل، عليَ، ولا يضعف من تقوّى بي، كنت تذكرني في الرخاء، وأسلمك في الشدائد، وكنت تدعوني آمناً، وأسلمك خائفاً، أقسم لو كايَدَتْك السموات والأرض بمن فيهن لجعلت لك من جميع ذلك مخرجاً، فإني معك، ولن يخلص إليك ولا إلى من معك أحد.

فخرج أسا من مصلاه وهو يحمد الله، مسفراً وجهه، فأخبرهم بما قيل له فصدقه المؤمنون وكذبه المنافقون. فقدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب إلى أسا فيها شتم له ولقومه، وتكذيب باللّه،، كتب فيها: أن ادع صديقك فليبارزني بجنوده فلما قرأها دخل مصلاه، ونشرها بين يدي الله تعالى، ثم قال: اللهم ليس بي شيء من الأشياء أحب إليَّ من لقائك، غير أني أتخوف أن يطفأ هذا النور الذي أظهرته في أيامي هذه.

فأوحى الله إليه أنه لا تبديل لكلماتي، ولا خلف لموعدي، فاخرج من مصلاك، ثم مُرْ خيلك أن تجتمع، ثم أخرج بهم وبمن اتبعك حتى تقفوا على نَشَز من الأرض. فخرج فأخبرهم الخبر وما قيل له، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤوسهم، مع كل رجل منهم، رهط من قومه، وودّعوا أهاليهم وداع من لا يرجع إلى الدنيا، ووقفوا على رابية من الأرض فأبصرهم زرح، قال: إنما نهضت من بلادي وأنفقت أموالي لمثل هؤلاء، ثم دعا بالنفر الذين قدموا عليه يشكون من أسا وقومه، فقال: زعمتم أن قومكم كثير عددهم، وكذبتموني، ثم آمر بهم وبالأمناء الدين بعت ليخبروه حبرهم، فقتلوا جميعاً، ثم قال: ما أدري ما أصنع بهؤلاء القوم، إني لأستقلهم عن المحاربة، وأرى إن رادني أن أقاتلهم.

فأرسل إلى أسا، فقال: أين صديقك الذي كنت تعدنا به، أفتضعون أيديكم في يدي فأمضي فيكم حكمي، أوتلتمسون قتالي.

فأجابه أسا فقال: يا شقي إنك لست تعلم ما تقول، أتريد أن تغالب ربك بضعفك، أم تريد أن تكاثره بقلتك؟ فاجتهد يا شقي بجهدك حتى تعلم ماذا يحل بك. فأمر زرح الرماة أن يرموهم، فردها الملائكة عليهم، فأصابت كل رام نشابته، وتراءت الملائكة للخلق، فلما رآهم زرح وقع الرعب في قلبه وقال: إن أسا لعظيم كيده، ماضٍ سحره، وكذلك بنو إسرائيل، حيث كانوا لا يغلب سحرهم ساحر، وبه ساروا في البحر، ثم نادى في قومه: هلموا سيوفكم واحملوا عليهم حملة واحدة.

فسلوا سيوفهم فقتلتهم الملائكة فلم يبق غير زرح ونسائه ورقيقه. فلما رأى ذلك ولى مدبراً وهويقول: إن أسا ظهر علانية، وأهلكني صديقه سراً، إني كنت أنظر إلى أسا ومن معه لا يقاتلون والحرب واقعة في قومي.

فلما رأى أسا أن زرحاً قد ولى، قال: اللهم إنك إن لم تخل بيني وبينه استنفر علينا قومه ثانية. فأوحى الله إليه: إنك لم تقتل من قتل منهم ولكني قتلتهم، فقف مكانك ة فإني لو خليت بينك وبينهم أهلكوكم جميعاً؟ إنما يتقلب، زرح في قبضتي، وإني قد وهبت لك ولقومك عساكره وما فيها من فضة ومتاع ودابة، فهذا أجرك إذا اعتصمت بي. فسارزرح حتى ركب البحر فغرق ومن معه.

ذكر من ملك بعده،

ملك بعده ابنه هوشافاظ، خمساً وعشرين سنة. ثم ملكت عثليا، ويقال: عزليا بنت عمرم، كانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل، فلم يبق فيهم إلا يواش بن أخزيا، فإنها طلبته فتوارى عنها ثم قتلها، وكان ملكها سبع سنين. ثم ملك يواش أربعين سنة. ثم ملك ابنه أمصيا تسعاً وعشرين سنة، ثم قتله أصحابه.

ثم ملك ابنه عوزيا ويقال لعوزيا: غوزيا، اثنتين وخمسين سنة. ثم ملك بعده ابنه يوثام ست عشرة سنة.

ثم ملك ابنه أحاز ست عشرة سنة.

ثم ملك ابنه حزقيا، وقيل إنه صاحب شعثا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع إلى ربه عز وجل فزاده وأمهله، وأمر شعيا بإعلامه بذلك.

قال ابن إسحاق: صاحب شعيا الذي هذه قصته إسمه صديقه.

ذكر يونس عليه السلام،

كان يونس بعد سليمان. وبعض العلماء تجعل بينهما أيوب، وتقديم أيوب على ما اخترنا أوضح.

وهويونس بن متى، ومتَى أبوه، وهو من ولد بنيامين بن يعقوب.

وكان قبل النبوة من عباد بني إسرائيل، هرب بدينه فترل شاطىء دجله، فبعثه الله نبياً إلى أهل نينوي من أرض الموصل وهو ابن أربعين سنة، وكانوا جبارين.

قال وهب بن منبه: فضاق بالرسالة ذرعاً وشكى إلى الملك الذي أتاه ضيق ذرعه، فأعلمه انه إن أبلغتهم الرسالة فلم يستجيبوا له عذبهم الله، وإن لم يبلغهم أصابه ما يصيبهم من العذاب، وإن الأجل أربعون يوماً، فأنذرهم وأعلمهم بهذا الأجل، فقالوا له: إن رأينا أسباب العذاب أصابك.

ثم انصرفوا عنه على ذلك، فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء غيماً أسود يدخن، واسودت سطوحهم، فأيقنوا بالعذاب وبرزوا من القرية بأهليهم وبهائمهم، وفرقوا بين كل ذات ولد وولدها، ثم تضرعوا إلى ربهم فرحمهم الله تعالى وقبل توبتهم.

ثم إن يونس ساح فرأى راعياً في فلاة فسقاه لبناً وهومستند إلى صخرة، فأعلمه إنه يونس وأمره أن يقرأ على قومه السلام، فقال: يا نبي الله لا أستطيع لأن من كذب منا قتل. قال: فإن كذبوك فالشاة التي سقيتني من لبنها وعصاك والصخرة يشهدون لك. فأتاهم الراعي فأخبرهم فأنكروا قوله، فأنطق الشاة والعصى والصخرة فشهموا له فقالوا له: أنت خيرنا حين نظرت إلى نبينا فملكوه عليهم

أربعين سنة.

وروى عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، قال: كان يونس قد وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والدة وولدها يجاورون إلى الله، فكف الله عنهم العذاب، فلم يرشيئاً، وكان من كذب و لم تكن له بينة قتل.

فانطلق مغاضباً فركب سفينة فركدت والسفن تسير يميناً وشمالاً، فقالوا: ما لسفينتكم. قالوا: ما ندري، فقال يونس: إن فيها عبداً آبق من ربه، وإنها لا تسير بكم حتى تلقونه، قالوا: أما أنت يا نبي الله فلا والله لا نلقيك، فقال: اقترعوا، فغلب ثلاث مرات.

فوقع فابتلعه الحوت وأهوى به الى قرار الأرض، فسمع يونس تسبيح الحصى، فنادى. في الظلمات؟ ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر، فنبذ بالعراء وهو سقيم كهيئة الطائر الممعوط الذي ليس عليه ريش، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فكان يستظل تحتها ويصيب منها فيبس فبكى فأوحى إليه: أتبكي على شجرة أن يبست ولا تبكي على مائة ألف أويزيدون أن تهلكهم.

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا، قال: أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد الزينبي، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الوراق، قال: حدثنا محمد بن السري التمار، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، قال: لما التقم الحوت يونس نبذة إلى قرار الأرضين، فسمع تسبيح الحصى في الحمأة، فذلك الذي نابه. فنادى "لاَ إِلَهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إني كُنْتُ منَ الظالمين".

وفي قدرمكثه فِي بطن الحوت خمسة أقوال: أحدها: أربعون يوماً. قاله أنس بن مالك، وابن جريج، والسدي.

والثاني: سبعة أيام. قاله عطاء، وابن جبير.

والثالث: ثلاثة أيام. قاله مجاهد، وقتادة.

والرابع: عشرون يوماً. قاله الضحاك.

والخامس: بعض يوم. قاله الشعبي.

ذكر قصة شعيا بن أمصيا وخراب بيت المقدس،

وقد جعلوه بعد يونس وقبل زكريا، وهو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليهم.

قال ابن إسحاق: هو الذي قال لإيليا وهي قرية ببيت المقدس، واسمها أوري شلم، فقال: أبشري أوري شلم، يأتيك الآن راكب الحمار، يعني عيسى، ويأتيك بعده راكب البعير، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم.

وقال: كان في بني إسرائيل ملك يدعى صديقه، وكان إذا ملك الملك عليهم بعث الله تعالى نبياً يسدده ويرشده ويكون فيما بينه وبين الله عز وجل، ولا تنزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة.

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً. فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعيا معه، فبعث الله سنحاريث معه ستمائة ألف راية، فأقبل سابيا حتى نزل حول، بيت المقدس والملك مريض، في ساقه قرحة، فجاءه النبي شعيا، فقال له: يا ملك بني إسرائيل، إن سنحاريث ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده ستمائة ألف راية، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله، هل أتاك وحي من الله كيف يفعل الله بنا وبسنحارث وجنوده؟ قال: لا.

فبينا هم على ذلك أوحى الله تعالى إلى شعيا: أرأيت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من

أهل بيته.
فأتى النبي شعيا ملك بني إسرائيل فأخبره، فأقبل على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى، وقال وهو يبكي وبتضرع إلى الله: زدني في عمري، فاوحى الله إلى شعيا أن يخبر الملك أن ربه قد رحمه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه فقال الملك لشعيا: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا.

قال: فقال الله لشعيا: قل له إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وأنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريث وخمسة من كتابه.
فلما أصبح جاء صارخ فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوك، فاخرج فإن سنحاريث ومن معه قد هلكوا.
فلما خرج الملك، التمس سنحاريث فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه، فأدركه الطلب في مغارة هو وخمسة من كتابه أحدهم بخت نصر، فجعلوهم في الجوامع، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خر ساجداً، ثم قال لسنحاريث: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون! فقال سنحاريث له: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشداً و لم يُلقني في الشقوة إلا قلة عقلي.
فقال ملك بني إسرائيل: إن ربنا إنما أبقاك ومن معك لتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا، ولتنذروا من بعدكم.
ثم أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع، وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس، وكان يرزقهم في كل يوم خبزتَيْن من شعير لكل رجل منهم. فقال سنحاريث لملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا، فافعل ما أمرت.
فأمر بهم إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعيا النبي: أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريث ومن معه لينذروا من وراءهم، وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم.
فبلغ النبي شعيا ذلك الملك، ففعل، فخرج سنحاريث ومن معه حتى قدموا بابل، فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، ثم لبث سنحاريث بعد ذلك سبع سنين ثم مات.
وقد زعم بعض أهل الكتاب أن هذا الملك من بني إسرائيل الذي سار إليه سنحاريث كان أعرج، وكان عرجه من عِرْق النسا، وأن سنحاريث إنما طمع في مملكته لزمانته وضعفه، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له "ليفر"، وكان بخت نصر ابن عمه وكاتبه، وأن الله أرسل عليه ريحاً أهلكت جيشه، وأفلت هو وكاتبه، وأن هذا البابلي قتله ابن له، وأن بخت نصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذي قتل أباه، وأن سنحاريث سار بعد ذلك إليه، وكان مسكنه نِينَوى مع ملك أذربيجان يومئذ؟ وكان يدعى سلمان الأعسر، وأن سنحاريث وسلمان اختلفا، فتحاربا حتى تفانى جنداهما، وصار ما كان معهما غنيمة لبني إسرائيل.
وقال بعضهم: بل الذي غزاه سنحاريث حزقيا صاحب شعيا، و أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله تعالى ملكاً، فقتل من أصحابه في ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألفاً.
وكان ملكه إلى أن تُوُفي تسعاً وعشرين سنة.
ثم ملك بعده ابنه مِنَشَا بن حزقيا إلى أن توفى خمساً وخمسين سنة. ثم ملك بعده ابنه أمون إلى أن قتله أصحابه اثنتي عشرة سنة. ثم ملك ابنه يوشيا إلى أن قتله فرعون المقعد ملك مصر إحدى وعشرين سنة.

ثم ملك بعده ابنه ياهواحاز فغزاه فرعون المقعد فأسره وأشخصه إلى مصر، وملك يوثاقيم بن ياهواحاز على ما كان عليه أبوه، ووظف عليه خراجاً يؤديه إليه، فبقي كذلك اثنتي عشرة سنة.

ثم ملك بعده ابنه يوثا حين، فغزاه بخت نصر، فأسره وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه، وملك مكانه شيا عمه وسماه صديقيا فخالفه، فغزاه فظفر به، فذبح ولده بين يديه، وسَمَل عينيه وحمله إلى بابل، وخرب المدينة وسبى بني، إسرائيل وحملهم إلى بابل، فمكثوا بها إلى أن ردهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاما سب لقرابة كانت بينه وبينهم من قبل أمه، فكان جميع ما ملك صديقيا إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر.

ثم صار ملك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن بهراسب، وعامله على ذلك كله بخت نصر.

وقال محمد بن إسحاق: لما قبض الله عز وجل صديقه ملك بني إسرائيل الذي قد تقدم خبره، مَرِج أمر بين إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً ونبيهم شعيا معهم لا يقبلون منه.

فأوحى اللّه تعالى إليه: قم في قومك أوح على لسانك، فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي فوعظهم وخوفهم الغير، بعدما عدد عليهم نعم الله عليهم.

فلما فرغ من مقالته عدوا عليه، فهرب منهم، فلقيته شجرة، فانفلقت، فدخل فيها وأدركه الشيطان، فأخذ هُدْبة من ثوبه، فأراهم إياه، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها.

ذكر ملوك فارس،

قد ذكرنا ملوك بني إسرائيل في ذلك الزمان، فأما ملوك فارس فإنه كان قد ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك فارس كيقباذ، وقد ذكرنا الملوك قبله في قصة يوشع.

ثم ملك بعده كيقابوس، وكان يسكن بلخ، وولد له ولد لم ير أحسن منه ولا أكمل، فسماه سياوخش، وكان قد تزوج بنت فراسياب ملك الترك، فهويت سياوخش ودعته إلى نفسها، فامتنع فأفسدت ما بينه وبين أبيه، فبعثه أبوه لحرب فراسياب لأمر جرى بينهما، فلما صار إلى هناك جرى بينه وبين ملك الترك صلح، فكتب إلى أبيه يخبره، فكتب إليه أبوه يأمره بمناهضة فراسياب، فرأى أن الحرب بعد الصلح لا يحسن، فراسل فراسياب في أخذ الأمان منه، فأجابه وزوجه ابنته، فحملت منه فأشفق على ملكه منه لما رأى من كماله، وحرض عليه فقتله.

فبلغ الخبر أباه، فبعث من غزا الترك وأثخن فيهم، وجاء بزوجة ابنه وولدها، وإسمه كيخسرو، فقام بالملك بعد جده كيقابوس.

ثم نهض طالباً بثأر أبيه، فلقي فراسياب، فقتل بينهما مائة ألف، ثم ظفر بفرا سياب فقتله.

ثم زهد في الملك وتنسك بعد أن ملك مملكة الفرس ستين سنة، وأعلم الوجوه من أهله بذلك، فجزعوا وتضرعوا إليه أن لا يفعل، فلم يقبل منهم.

قالوا: فسم لنا من يملك. وكان لهراسب حاضراً، فأشار إليه، فلما ولي الأمر بنى مدينة بلخ وأقام بها يقاتل الترك. ودون الدواوين، وعمر الأرض، وجبى الخراج، وكان بعيد الهمة، محمود السيرة، تقر له الملوك بأنه ملكهم، وفي زمانه بعث أرميا.

ذكر قصة أرمياء

وهوأرمياء الألف مضمومة، كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي. أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو علي بن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر، قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان، قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: حدثنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي، قال: حدثنا إدريس، عن وهب: ان أرمياء كان غلاماً من أبناء الملوك، وكان زاهداً، و لم يكن لأبيه ابن غيره، وكان أبوه يعرض النكاح، وكان يأبى مخافة أن يشغله عن عبادة ربه، فألح عليه أبوه وزوجه في أهل بيت من عظماء أهل مملكته، فلما دخلت عليه امرأته، قال لها: يا هذه، إني مسر إليك أمراً فإن كتمته علي وسترته سترك الله في الدنيا والآخرة، وإن أنت أفشيته قصمك الله في الدنيا والاخرة. قالت: فإني سأكتمه عليك، قال: فإني لا أريد النساء.
فأقامت معه سنة، ثم إن أباه أنكر ذلك، فسأله فقال: يا أبه ما طال ذلك بعد، فدعى امرأته فسألها، فقالت مثل ذلك، ففرق بينهما وزوجه امرأة في بيت أشرافهم فأدخلت عليه فاستكتمها أمره، فلما مضت سنة سأله أبوه مثل ما سأل، فقال: ما طال ذلك، فسأل المرأة فقالت: كيف تحمل امرأة من غير زوج ما مسني؟ فغضب أبوه، فهرب منه.
فبعثه الله نبياً مع ناشية، و ناشية ملك. وذلك حين عظمت الأحداث في بني إسرائيل وعملوا بالمعاصي، وقتلوا الأنبياء، وأوحي إليه: إني مهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم، فقم على صخرة بيت المقدس يأتيك أمري، فقام وجعل الرماد على رأسه وخرَّ ساجداً، وقال: يا رب، وددت أن أمي لم تلدني حين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل، فيكون خراب بيت المقدس وبوار بنِي إسرائيل من أجلي، فقيل له: إرفع رأسك، فرفع رأسه وبكى ثم قال: يا رب من تسلط عليهم؟ قال: عبدة النيران لا يخافون عذابي ولا يرجون ثوابي، قم يا أرميا فاستمع حتى أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل: من قبل أن أصورك قد نبيتك، من قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك، ومن أقبل، أن تبلغ الأشد اخترتك، ولأمر عظيم اجتبيتك، فقم مع الملك ناشية فسدده وأرشده فكان معه يرشده، ويأتيه الوحي حتى عظمت الأحداث ونسوا أنجاة الله إياهم من عدوهم سنحاريث، فأوحى الله إلى أرميا: قم فقص عليهم ما أمرتك به، وذكرهم نعمتي عليهم، وعرفهم أحداثهم.

فقال أرميا: يا رب إني ضعيف إن لم تقوني، عاجز إن لم تبلغني، مخطيء إن لم تسددني، مخذول إن لم تنصرني، ذليل إن لم تعزني.
فقال الله تعالى له: أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن الخلق والأمر كله لي، وأن القلوب والألسنة كلها بيدي أقلبها كيف شئت فتطيعني، وأنا الله الذي ليس شيء مثلي، قامت السموات والأرض وما فيهن بكلمتي، و لم تتم المقدرة إلا لي، و لم يعلم ما عندي غيري، وأنا الذي كلمت البحار ففهمت قولي وأمرتها فعقلت أمري، وحدّدْت عليها حدودا فلا تعدو حدي، وإني معك ولن يصل إليك شيء معي، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي، مستوجباً بذلك أجر من اتبعك منهم، ولا ينقص من أجورهم شيء، إنطلق إلى قومك فقم فيهم وقل لهم إن اللّه تبارك وتعالى ذكركم بصلاح آبائكم، فلذلك استقاكم يا معشر أبناء الأنبياء ونسلهمٍ، كيف وجد أباؤهم مغبة طاعتي، وكيف وجدوا هم مغبة معصيتي، وهل وجدوا أحداً عصاني فسعد بمعصيتي، وهل علموا أحداً طاعني فشقي بطاعتي، إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها، وإن هؤلاء القوم رتعوا في مروج الهلكة وتركوا الأمر الذي به أكرمت آباءهم، وابتغوا الكرامة من غير وجهها. أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادتي خولاً

يتعبدونهم دوني،، ويحكمون فيهم بغير كتابي، حتى أنسوهم ذكري، و غيروا، سنني، فأدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي؟ فهم يطيعونهم في معصيتي. وأما ملوكهم وأمراؤهم فبطروا نعمتي، وأمنوا مكري، وغرتهم الدنيا حتى نبذوا كتابي، ويفترون على رسلي جرأة منهم عليَّ وغِرَّة بي. فسبحان جلالي، وعلو مكاني، وعظمة شأني! وهل ينبغي لي أن يكون لي شريك في ملكي. وهك ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي؟ وهل ينبغي لي أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني، وآذن بطاعة لأحد لا تنبغي لأحد إلا لي. وأما قرّاؤهم وفقهاؤهم فيدرسون ما يتخيرون، فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني، ويطيعونهم في معصيتي، ويوفون بعهودهم الناقضة لعهدي.

وأما أولاد النبيين فمقهورون ومفتونون، يخوضون مع الخائضين، فيتمنون طي مثل نصري آباءهم، والكرامة التي أكرمتهم بها، ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم مني بغير صدق منهم، ولا تفكر، ولا يذكرون كيف كان نصر آبائهم، وكيف كان جهدهم في أمري، حين اغتر المغترون، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم، فصبروا وصدقوا حتى عز أمري، وظهر ديني، فتأنَّيْت بهؤلاء القوم لعلهم يستحييون مني ويرجعون، فطولت عليهم وصفحت عنهم، فأكثرت ومددت لهم في العمر وأعذرت لعلهم يتذكرون، وكل ذلك أمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض، وألبسهم العافية، وأظهرهم على العدو، فلا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني. فحتى متى، أبي يتمرسون، أم إياي يخادعون، أم علي يتجرؤون، فإني أقسم بعزتي لأقيمن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم، ويضل فيها رأي ذو الرأي، وحكمة الحكيم، ثم لأسلِّطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً، ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة والبيان، يتبعه عد وسواد مثل الليل المظلم، له فيه عساكر مثل قطع السحاب، ومراكب مثل العجاج، كأن حفيف راياته طيرانَ النسور، وحجل فرسانه كصوت العقبان، يعيدون العمران خراباً، والقرى وحشاً، ويبعثون في الأرض فساداً، ويتبرون ما علوا تتبيراً، قاسية قلوبهم لا يكترثون ولا يرقون ولا يرحمون، يجولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسد تقشعر من هيبتها الجلود. فوعزتي لأعطلن بيوتهم من كتبي وقدسي ولأخلين مجالسهم من حديثها وعروسها، ولأوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كالوا يتزينون بعمارتها لغيري، ويتعبدون فيها لكسب الدنيا بالدين، ويتفقهون فيها لغير الدين، ويتعلمون فيها لغير العمل. لأبدلن ملوكها بالعز الذل، وبالأمن الخوف، وبالغنى الفقر، وبالنعمة الجوع، وبطول العافية والرخاء ألوان البلاء، وبلباس الحرير مدارع الوبر، والعباء بالأرواح الطيبة والأدهان جيف القتلى، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال.

ثم لأعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب، وبعد البروج المشيدة مساكن السباع، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد ضوء السراج دخان الحريق، وبعد الأنس الوحشة والقفار.

ثم لأبدلن نساءها بالأسورة الأغلال، وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد، وبألوان الطيب والأدهان النقع والغبار، وبالمشي على الزرابي عبور الأسواق والأنهار، وبالخدور والستور الحسور عن الوجوه والسوق والأسفار.

ثم لأدوسنهم بألوان العذاب حتى لوكان الكائن منهم في خالق لوصل ذلك إليه، إني إنما أكرم من أكرمني، وإنما أهين من هان عليه أمري، ثم لآمرن السماء خلال ذلك فلتكونن طبقاً من حديد، ولأمرن الأرض فلتكونن سبيكة من نحاس، فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت. فإن أمطرت خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الآفة، فإن خلص منهم شيء نزعت منه البركة، وإن دعوني لم أجبهم، وإن سألوني لم أعطهم، وإن بكوا لم أرحمهم، وإن تضرعوا إِليَّ صرفت وجهي عنهم، وإن قالوا: اللهم أنت الذي ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا

برحمتك وكرامتك، وذلك بأنك اخترتنا لنفسك، وجعلت فينا نبوتك وكتابك، ثم مكنت لنا في البلاد واستخلفتنا فيها وربيتنا وآباءنا من قبلنا بنعمتك صغاراً وحفظتنا وإياهم برحمتك كباراً، فأنت أحق المنعمين أن لا تغير إن غيرنا، ولا تبدل إن بدلنا، وأن يتم نعمه وإحسانه.

فإن قالوا ذلك قلت لهم: إني ابتدىء عبادي بنعمتي ورحمتي، فإن قبلوا أتممت، وإن استزادوا زدت، وإن شكروا ضاعفت، وإن بدلوا غيرت، وإذا غيروا غضبت، وإذا غضبت عذبت، وليس يقوم لغضبي شيء.

وقال كعب: قال أرمياء: برحمتك أصبحت أتكلم بين يديك، وهل ينبغي لي ذلك وأنا أذل وأضعف من أن ينبغي لي أن أتكلم بين يديك، ولكن برحمتك أبقيتني لهذا اليوم، وليس أحد أحق من يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد مني بما رضيت به مني طولاً والإقامة في دار الخاطئين وهم يعصونك حولي بغير نكير ولا تغير مني، فإن تعذبني فبذنبي، وإن ترحمني فذلك ظني بك.

ثم قال: يا رب سبحانك وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت إنك المملك هذه القرية وما حولها وهي مساكن أنبيائك، ومنزل وحيك، يا رب سبحانك وبحمدك وتباركت وتعاليت إنك لمخرب هذا المسجد وما حوله من المساجد ومن البيوت التي رفعت لذكرك، يا رب وإنك لتعذب هذه الأمة وهم ولد ابراهيم خليلك، وأمة موسى نجيك، وقوم داود صفيك، يا رب أي القرى يأمن عقوبتك بعد أوري شلم، وأي العباد يأمنون سطوتك بعد ولدخليلك ابراهيم، وأمة نجيك موسى، وقوم خليفتك داود تسلط عليهم عبدة النيران.

فقال الله تعالى: يا أرميا، من عصاني فلا يستنكر نقمتي، فإني إنما أكرمت هؤلاء القوم على طاعتي، ولو أنهم عصوني لأنزلتهم دار العاصين إلا أن تداركهم رحمتي.

قال أرميا: يا رب اتخذت ابراهيم خليلاً وحفظتنا به، وموسى نجياً فنسألك أن تحفظنا ولا تسلط علينا عدونا، فأوحى الله تعالى إليه: يا أرميا إني قدستك في بطن أمك، وأخرتك إلى هذا اليوم، فلو أن قومك حفظوا اليتامى والأرامل والمساكين وابن السبيل، وكنت الداعم لهم، وكانوا عندي بمنزلة جنة ناعم شجرها طامر، لا يغور ماؤها، ولا يبور ثمرها، إني كنت لهم بمنزلة الراعي الشفيق، أجنبهم كل قحط وكل عزة، واتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشاً ينطح بعضها بعضاً.

فيا ويلهم ثم يا ويلهم إنما أكرم من أكرمني، وأهين من هان عليه أمري إن من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمعصيتي، وإن هؤلاء القوم يظهرون معصيتي في المساجد والأسواق وعلى رؤوس الجبال، وظلال الأشجار حتى عجت السماء إليّ منها، والأرض والجبال، ونفرت منها الوحوش، في كل ذلك ينتهون ولا ينتفعون بما علموا من الكتاب.

قال: فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد عصوه وكذبوه، وقالوا: أعظمت على الله الفرية وتزعم أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعباده وتوحيده، فمن يعبده حين لا يبقى له في الأرض عابد ولا مسجد ولاكتاب، لقد أعظمت الفرية، واعتراك الجنون.

فأخذوه وقيدوه وسجنوه فعند ذلك بعث الله عز وجل عليهم بخت نصر.

ذكر خبر بخت نصر البابلي

لما ولي لهراسب وتمكن ملكه بعث بخت نصر، وهو رجل من الأعاجم، فأتى دمشق وصالح أهلها، ووجه قائداً له، فأتى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل، وأخذ منه رهائن وانصرف. فلما بلغ طبرية وثب بنو إسرائيل على ملكهم، فقالوا: داهنت أهل بابل

وخذلتنا، فقتلوه، فكتب قائد بخت نصر إليه بما كان، فكتب إليه أن يقيم بموضعه حتى يوافيه، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه.

فسار بخت نصر حتى أتى بيت المقدس، فهدمه وهدم المساجد، ورمى فيها الكنائس، وخرب الحصون، وحرق التوراة، وأخذ الأموال، وقتل المقاتله، وسبى الذرية، وكانوا سبعين ألف غلام، ووجد في سجن بني إسرائيل أرميا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له بخت نصر: ما خطبك؟ فأخبره أن الله تعالى بعثه إلى قومه ليحذرهم الذي حل بهم فكذبوه وحبسوه، فقال بخت نصر: بئس القوم قوم عصوا رسول ربهم! فخلى سبيله، وأحسن إليه.

فاجتمع إليه من بقي من ضعفاء بني إسرائيل، فقالوا: إنا قد أسأنا وظلمنا، ونحن نتوب مما صنعنا، فادع الله أن يقبل توبتنا. فذعا ربه، فأوحى إليه: إنهم غير فاعلين، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلد، فأخبرهم، فقالوا: كيف نقيم ببلدة قد خربت. فخرجوا يستجيرون بملك مصر، فغزا بخت نصر أرض مصر، فقتل ملكها وقتلهم، ثم بلغ أقصى ناحية المغرب، وانصرف بسبي كثيرمن أهل فلسطين والأردن، فيهم دانيال وغيره من الأنبياء.

ذكر خبر غزو بخت نصر للعرب

إن بخت نصر إنما حارب بني إسرائيل لقتلهم يحيى بن زكريا، وليس بصحيح على ما سيأتي بيانه، ثم حارب العرب في زمن معد بن عدنان، فجمع من في بلاده من تجار العرب فبنى لهم حيراً على النجف وضمهم فيه، ووكل بهم من يحفظهم، ثم تأهب للخروج إلى قتال العرب، فأقبلت طوائف منهم مسالمين، فأنزلهم على شاطىء الفرات، فابتنوا موضع معسكرهم فسموه الأنبار وخلى عن أهل الحيرة، فاتخذوها مترلاً في حياة بخت نصر.

فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار وبقي ذلك الحير خراباً.

وقال قوم: خرج بخت نصر فالتقى هو وعدنان، ورجع بخت نصر بالسبايا فألقاهم بالأنبار، فقيل: أنبار العرب، ثم مات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً. فلما مات بخت نصر خرج معد بن عدنان ومعه أنبياء بني إسرائيل حتى أتى مكة، فأقام أعلامها وحج، وحج معه الأنبياء وأفنى أكثر جرهم، وتزوج معانة بنت جوشم، فولدت له نزار بن معد، وولد لنزار مضر وربيعة وإياد وأنمار، فقسم ماله بينهم.

وأنبأنا الحسين بن محمد الدياس، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عقبة المكرم، قال: حدثني محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا مضر وربيعة فإنهما كانا مسلمين".

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أحمد بن كامل بن شجرة، قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن موسى بن حمار البربري، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أبي السري، قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن معاوية بن عميرة، أنه سمع عبد الله بن عباس وقد سأله عن ولد نزار بن معد، قال: "هم أربعة: مضر، وربيعة، وإياد، وأنمار، بنو نزار بن معد بن عدنان، فكثر أولاد معد ونموا وتلاحقوا، ومنازلهم مكة وما والاها من تهامة، فانتشروا وتنافسوا في المنازل والمحال، وأرض العرب يومئذ خاوية ليس فيها كبير أحد إلا خراب بخت نصر وإياها، وأجلى أهلها إلا من كان

اعتصم برؤس الجبال ولجأ إلى أوديتها وشعابها، ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليه فيها متنكباً لمسالك جنده، فاقتسموا الغور، غور تهامة على سبعة أقسام لمنازلهم ومسارح أنعامهم ومواشيهم، وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحر والأنهار بها، فصاروا في مثل الجزيرة من جزائر البحر.

وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم، فظهر بناحية قنسرين، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى وقع في البحر من ناحية البصرة والأيلة، فامتد البحر من ذلك المرضع مطيفاً ببلاد العرب، فأتى منها على صفوان وكاظمة، ونفذ إلى القطيف وهجر وعمان والشحر، ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين وعدن، واستطال ذلك العنق فطعن في تهايم اليمن، ومضى إلى ساحل جدة.

وأقبل النيل في غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى وقع في بحرمصر والشام.

ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين، فمر بعسقلان وسواحلها، وأتى على بيروت ونفذ إلى سواحل حمص و قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات فخطا على أطراف قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق.

وأقبل جبل الصراة من قعر اليمن حتى بلغ أطراف الشام، فسمته العرب حجازاً، لأنه حجز بين الغور ونجد، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه الغور وما دونه في شرقيه النجد.

فصار لعمرو بن معد بن عدنان، وهو قضاعة جدة وما دونها إلى منتهى ذات عرق إلى حيز الحرم، فانتشروا فيها، وكان لجنادة بن معد الغمر.

وصار لمضر بن نزار حيز الحرم إلى السروات. وصار لربيعة بن نزارمهبط الجبل من غمر ذي كندة وبطن ذات عرق إلى عمرة وما صاقبها من بلاد نجد الغور من تهامة.

وصار لأياد وأنمار ما بين حذاء من مصر إلى أرض نجران وما قاربها.

وصار لباقي ولد معد أرض مكة وأوديتها وشعابها وجبالها وبطاحها وما صاقبها من البلاد، فأقاموا بها مع من كان في الحرم من جرهم. وسنذكر أحوال بني نزار في نسب نبينا صلى الله عليه وسلم.

وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادي القرى وغيرهما.

ثم أوحى اللّه تعالى إلى أرميا: أني عامر بيت المقدس، فأخرج إليها فأنزلها، فخرج حتى قدمها وهي خراب فقال في نفسه: متى تعمر هذه. فأماته الله مائة عام ثم بعثة، وقيل هو عزير عليه، السلام.

ذكر عمارة بيت المقدس

اختلفوا على قولين: أحدهما إنه أرميا. روى عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، قال: أقام أرميا بأرض مصر، فأوحى الله تعالى إليه: أن الحق بأرض إيليا، فإن هذه ليست لك بأرض، فقام فركب حماره حتى إذا كان ببعض الطريق وقد أخذ معه سلة من عنب وسقاء جديداً أملاه ماء.

فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى نظر إلى خراب لا يوصف، فقال: "أنى يُحيي هذهِ اللّهُ بَعْدَ مَوتِهَا"، ثم تبوأ منها مترله وربط حماره، فألقى الله عليه السبات ونزع روحه مائة عام.

فلما مرت منها سبعون أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس، فقال: إن الله يأمرك أن تنْفرَ بقومك فتعمر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت. فقال الملك: أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل.

فندب ألف قهرمان، مع كل قهرمان ثلاثة آلاف عامل، وما يصلحه من أداة العمل، فسارت القهارمة فلما وقعوا في العمل رد الله روح الحياة في عيني إرمياء، فنظر إليها تعمر.

قال مجاهد: إسمه كورش، و لم يتم بناؤها إلا بعد الملك الرابع بعد كورش على سماعة بن أصيد، وهو من رهط داود.

القول الثاني إن أرمياء لبث في موته إلى أن هلك بخت نصر، وكان قد عاش ثلاثمائة سنة، وهلك ببعوضة دخلت في رأسه، وهلك الملك الذي فوقه، وهو لهراسب، وكان ملكه مائة وعشرين سنة.

وملك بعده ابنه بشاسب، فبلغه عن بلاد الشام، خراب وإن السباع قد كثرت في بلاد فلسطين فلم يبق فيها من الإنس أحد، فنادى في أرض بابل في بني إسرائيل: من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع، وملك عليهم رجلاً من آل داود، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها، فرجعوا فعمروها، ورد اللّه الروح إلى أرمياء عليه السلام.

القول الثالث وعلى هذا أكثر العلماء، وهو عُزَير بن شرويق بن عزيا بن أيوب بن زرحيا بن عزي من ولد هارون.

أخبرنا أبو الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب بن غيلان، قال: أخبرنا أبو بكر الشافعي، قال: حدثنا أبو يعقوب الحربي، قال: حدثنا أبو حذيفة النهدي، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب: "أَوْ كَالَذِي مَّر عَلَى قَرْيَة" قال: هو عزير.

قاد علماء السير: لما قال عزيز: "أني يحيى هذه اللّه بعد موهما"، أماته اللّه مائة عام، وأول ما خلق منه عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً ونفخ فيه الروح.

قال ابن عباس: مات وهو ابن أربعين سنة، وابنه ابن عشرين سنة.

ثم بعث وهو ابن أربعين ومائة، وابنه ابن مائة وعشرين، فأقبل حتى أتى قومه في بيت المقدس، فقال: أنا عزير، فقالوا: حدثنا آباؤنا أن عزير مات، فقال: أنا هو، أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم، وكانت قد ذهبت فليس أحد يقرأها، فأملاها عليهم.

قال وهب بن منبه: كان عزير من السبايا التي سباها بخت نصر من بيت المقدس، فرجع إلى الشام يبكي على فقد التوراةَ، فجاء ملك، فقال: صم وتطهر وطهر ثيابك وتعالى إلى هذا المكان. ففعل، فأتاه بإناء فيه ماء فسقاه، فمثلت التوراة في صدره، فرجع على بني إسرائيل فتلاها عليهم وأقام فيهم مقيماً بحق اللّه، ثم توفاه.

قال أحمد بن جعفر بن المنادي: لما تلى عليهم بعضها افتتنوا، فقالو ما قالوا، فلما مات بدلت، وكان المتولي لتبديلها ميخائيل تلميذ عزير، وهو رأس بابل كلها. وقال غيره: لما خرب بيت المقدس أحرق التوراة وساق بني إسرائيل إلى بابل، فذهبت التوراة، فجاء عزير فجددها لهم ودفعها إلى تلميذ له ومات، فذلك التلميذ زاد فيها ونقص.

ويدل على تبديلها أن فيها أسفار موسى وما جرى له، وكيف كان موته ووصيته إلى يوشع، وحزن بني إسرائيل علِيه وغير ذلك مما لا يشكل على عافل أنه ليس من كلام اللّه ولا من كلام موسى، وفي أيدي السامرة توراة تخالف هذه الموجودة.

وقال داود بن أبي هند: سأل عزير ربه عن القدر، فأوحى اللّه إليه: سألتني عن علمي فعقوبتك أن لا أَسميك في الأنبياء، فلم يذكرمن

الأنبياء.

قالت علماء السير: لما بني بيت المقدس أقام بنو إسرائيل أمرهم وكثروا إلى أن غلبتهم الروم، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة.

ذكر زراديشت

ويقال: زرتيشست بن سقيمان، وقيل: ابن حركان بعد ثلاثين سنة من ملك بشتاسب، وهو الذي يزعم المجوس أنه نبيهم.

وقد زعم بعض أهل الكتاب أنه كان خادماً لبعض تلامذة أرمياء النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان خاصاً به، فخانه وكذب عليه، فدعى الله عليه فبرص، فلحق بأذربيجان، وشرع بها دين المجوسية، ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاس، وهو ببلخ.

فلما قدم عليه ادعى النبوة وأراده على قبول دينه فامتنع من ذلك ثم صدقه، وقبل ما دعاه إليه، وأتاه به من كتاب ادعاه وحياً، فكتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفراً في الجلود، ونقشاً بالذهب، وصيّر بشتاسب ذلك في موضع من إصطخر، ووكل به الهرابذة، ومنع تعليمه العامة، وألزم رعيته بقبول قول زرادشست، وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى قبلوا ذلك ودانوا به، وبنى بالهند بيوت النيران، وتنسك وتعبد. وقال عمرو بن بحر الجاحظ: جاء زرادشت من بلخ، وهو صاحب المجوس، وادعى أن الوحي نزل عليه على جبل سيلان، فدعى أهل، تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد، وجعل الوعيد يضاعف البرد، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى أهل الجبال فقط، وشرع لأصحابه التوضؤ بالأبوال، وغشيان الأمهات، وتعظيِم النيران مع أمور سمجة.

قال: ومن قول زرادثست: كان الله وحده ولا شيء معه، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكره إبليس، فلما مثل بين يديه أراد قتله فامتنع منه، فلما رأى امتناعه وادعه إلى مدةّ، وسالمه إلى غاية.

وما زال مذهب زرادشت معمولاً به إلى زمان كسرى أنوشروان، فإنه هو الذي منع من أتباع ملة زرادشت، وقد ذكرنا أنه كان للمجوس نبي وكتاب إلا أنه لا يتحقق متى كان ذلك.

وقد أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، قال: أخبرنا علي بن منصور بن علان "ح".

وأخبرتنا فاطمة بنت الحسين بن الحسن الرازي، قالت: أخبرنا أبو بكرأحمد بن علي الخطيب، قالا: أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الخيري، قال: أخبرنا أبو العباس الأصم، قال: حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا الشافعي، قال: حدثنا سفيان، عن سعيد بن المرزبان، عن نصر بن عاصم، قال: قال فروة بن نوفل: على ما تَؤخذ الجزية من المجوس وليسوا بأهل كتاب، فقام إليه المستورد فأخذ يلببه، وقال: يا عدو الله، تطعن على أبي بكر وعمر وعلى أمير المؤمنين يعني علياً وقد أخذوا منهم الجزية، فذهب به إلى القصة، فخرج إليهم علي رضي الله عنه، فقال: اتئدا! أنا أعلم الناس بالمجوس، كان لهم علم يعلمونه، وكتاب يدرسونه، وإن ملكهم سكر فوقع على ابنته أو أمه فاطلع عليه بعض أهل مملكته، فلما صحا جاءوا يقيمون عليه الحد، فامتنع منهم، فدعا أهل مملكته، فقال: تعلمون ديناً خيراً من دين آدم، قد كان آدم ينكح بنيه من بناته، فأنا على دين آدم، وما يرغب بكم عن دينه.

فتابعوه وقاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم، فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع بين أظهرهم وهم أهل كتاب، وقد أخذ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر منهم الجزية. أنبأنا أبو غالب الماوردي، قال: أخبرنا أبو علي التستري، قال: أخبرنا أبو

عمرو الهاشمي، قال: أخبرنا أبو علي اللؤلؤي، قال: حدثنا أبو داود السجستاني، قال: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، قال: حدثنا محمد بن بلال، عن عمران القطان، عن أبي حمزة، عن ابن عباس، قال: إن أهل فارس لما مات نبيهم كتب لهم إبليس المجوسية.

ذكر الخبر عن ملوك اليمن

وصار الملك باليمن بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر، وكان يقال له: ياسر أنعم سموه بذلك لأنعامه عليهم، فسار نحو المغرب غازياً، فبلغ إلى وادي الرمل و لم يبلغه أحد قبله، فلم يقدر على الجواز، فبينا هو مقيم انكشف الرمل، فأمر رجلاً من أهل بيته أن يعبر هو وأصحابه، فعبروا فلم يرجعوا. فأمر حينئذ بصنم من نحاس، فنصب على صخرة على شفير الوادي، وكتب في صدره: هذا الصنم لياسر الحميري وليس وراءه مذهب، فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب.

ذكر قصة تبع

ثم ملك من بعده تُبَّع بن زيد بن عمرو بن تبع بن أبرهة بن ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ.

وكان تبع هذا في أيام بشتاسب وبهمن، وأنه شخص متوجهاً من اليمن حتى خرج على جبلي طيء، ثم سار يريد الأنبار، فلما انتهى إلى موضع الحيرة تحير، وذلك في الليل، فأقام مكانه فسمي ذلك الموضع الحيرة.

ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولخم وجُذام وعاملة وقضاعة، فبنوا وأقاموا به، ثم توجه إلى الأنبار، ثم إلى الموصل، ثم أذربيجان، فلقي الترك بها فهزمهم وقتل المقاتلة، وسبى الذرية، ثم انكفأ راجعاً إلى اليمن، فهابته الملوك وأهدت إليه، ثم غزا الصين فاكتسح ما فيها، وقتل مقاتلتها.

أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو علي بن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر، قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان، قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: أخبرنا إسحاق بن بشر، قال: حدثنا علي بن عاصم، قال: أخبرني عمران بن حدير، عن أبي مجلز، قال: جاء ابن عباس إلى عبد اللّه بن سلام فسأله فقال: سمعت الله تعالى يذكر تبعاً فلم يذمه وذم قومه، فقال: نعم، إن تبعاً غزا بيت المقدس فسبى أولاد الأحبار، فقدم بهم على قومه، فأعجب بفتية منهم، فجعل يدنيهم ويسمع منهم، وجعل الفتية يخبرونه عن اللّه عز وجل وما في الآخرة، فأعجب بهم فتكلم قومه، فقالوا: إن هؤلاء الفتية قد غلبونا على تبع ونخاف أن يدخلوه في دينهم. فبلغ تبعاً ما يقول قومه، فأعلم الفتية بذلك، فقالوا: بيننا وبينهم النصيف، قال: وما هو؟ قالوا: النار التي تحرق الكاذب ويبرأ فيها الصادق.

فأرسل إلى أحبار قومه فأدخلهم عليه، فقال: اسمعوا ما يقول هؤلاء، قالوا: وما يقولون؟ قال: يقولون إن لنا رباً خلقنا وإليه نعود، وان بين أيدينا جنة وناراً، فإن أبيتم علينا، فإن بيننا وبينكم النار التي تحرق الكاذب. قالوا: قد رضينا.

فمر الفتية في النار وخرجوا منها، فاختار تبع من قومه عدهم فقال: ادخلوها، فلما دخلوها أحرقتهم، فأسلم تبع وكان رجلاً صالحاً، فذكره الله تعالى و لم يذمه وذم قومه.

وروى سفيان، عن قتادة، قال: كان تبع رجلاً من حمير سار بالجنود حتى أتى الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا القطيعي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا

حسن بن موسى، قال: حدثنا ابن لهيعة، قال: حدثنا أبو زرعة عمرو بن جابر، عن سهل بن سعد، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "لاتسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم".

وقال أبو الحسين بن المنادي: ليس ببعيد أن يكون قوم تبع نسبوا إليه لأنه نبي.

وقد ذهب قوم إلى أنه كان في الفترة بعد عيسى والله أعلم.

ذكر خبر أردشير وابنته خماني

قال علماء السير: وجرت لبشتاسب حروب عظيمة مع الترك وغيرهم، ومات، وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة، وقيل مائة وخمسين.

وملك بعد بشتاسب ابن ابنه بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، فلما عقد التاج على رأسه، قال: نحن محافظون على الوفاء، ودائنون برعيتنا بالخير، وكان يدعى أردشير الطويل الباع. وإنما قيل له ذلك لتناوله كل ما يمد يده إليه من الممالك التي حوله، حتى ملك الأقاليم كلها.

وابتنى بالسواد مدينة وسماها آبادان، وابتنى الأُبلّة.

وهو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الآخر.

وكانت أم بهمن من أولاد طالوت وأم ولده من أولاد سليمان بن داود.

وتفسير بهمن بالعربية: الحسن النية، وأنه ولى في زمانه على بيت المقدس جماعة، ثم ولى كيرش العيلمي من ولد عيلم بن سام بن نوح، وكتب إليه أن يرفق ببني إسرائيل وأن يطلق لهم النزول حيث أحبوا، وأن يولي عليهم من يختارونه، فاختاروا دانيال النبي صلى الله عليه وسلم فولى أمرهم.

ذكر دانيال عليه السلام،

لما تمت عمارة بيت المقدس سأل أرميا ربه عز وجل أن يقبضه إليه، فمات، وأنقذ اللّه بني إسرائيل من أرض بابل على يدي دانيال. وكان دانيال ممن سباه بخت نصر في تخريب بيت المقدس، فرمى به في جب مغلولاً في فلاة من الأرض، وألقى معه سبعَين وأطبق عليه الجب، فبقى تسعة أيام.

فأوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: انطلق فاستخرج دانيال من الجب، فقال: يا رب من يدلني عليه؟ قال: يدلك عليه مركبك، فركب أتاناً له، فخرج يطوف، فقال: يا صاحب الجب، فأجابه دانيال، فقال: قد أسمعت فما تريد؟ قال: أنا رسول الله إليك لأستخرجك من هذا الموضع، فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يَكِل من توكَلَ عليه إلى غيره، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، وبالإساءة غفراناً. ثم استخرجه والسبعان يمشيان معه، فعزم عليهما دانيال أن يرجعا إلى الغيضة.

وقد روينا أن بخت نصر اتخذ صنماً وأمر بالسجود له فلم يسجد دانيال وأصحابه فأمر بهم فألقوا في أتون فلم يحترقوا.

أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا ابن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر، قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان، قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: حدثنا أبو حذيفة القرشي، قال: حدثنا سعيد بن بشر، عن قتادة، عن كعب، قال: كان سبب استنقاذ بني إسرائيل من أرض بابل أن بخت نصر لما صدر من بيت المقدس بالأسارى، وفيهم دانيال وعزير، فاتخذ بني إسرائيل خولاً زماناً طويلاً، وإنه رأى رؤيا فزع منها، فدعا كهنته وسحرته فأخبرهم بما أصابه من الكرب في رؤياه، وسألهم أن يعبروها، فقالوا: قصها علينا، قال: قد أنسيتها، فأخبروني بتأويلها، قالوا: لا نقدر حتى تقصها، فغضب وقال: قد أجلتكم ثلاثة أيام فإن أتيتموني بتأوبلها وإلا قتلتكم.

وشاع ذلك في الناس، فبلغ دانيال وهو محبوس، فقال لصاحب السجن: هل لك أن تذكرني للملك، فإن عندي علم رؤياه، وإني أرجو أن تنال بذلك عنده مترلة، فقال له: إني أخاف عليك سطوة الملك، لعل غم السجن حملك على أن تروح بما ليس عندك فيه علم، قال دانيال: لا تخف عليَّ فإن لي رباً يخبرني بما شئت من حاجتي. فانطلق صاحب السجن فأخبر بخت نصر بذلك، فدعا دانيال فدخل، ولا يدخل عليه أحد إلا سجد له، فوقف دانيال و لم يسجد، فقال الملك لمن في البيت: اخرجوا، فخرجوا، فقال: ما منعك أن تسجد لي؟ قال: إن لي رباً أتاني هذا العلم على أن لا أسجد لغيره، فخشيت أن أسجد لك فينسلخ عنِي العلم ثم أصير في يديك أمياً لا تنتفع بِي فتقتلني، فرأيت ترك السجدة أهون من القتل، وخطر سجدة أهون من الكرب الذي أنت فيه، فتركت السجود نظراً إلى ذلك.

فقال بخت نصر: لم يكن قط أوثق في نفسي منك حيث وفيت لإلهك، وأعجب الرجال عندي الذين يوفون لأربابهم بالعهود، فهل عندك علم بهذه الرؤيا التي رأيت؟ قال: نعم عندي علمها وتفسيرها.

قال: رأيت صنماً عظيماً، رجلاه في الأرض ورأسه يمس السماء، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينا أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه وأحكام صنعته قذفه الله بحجر من السماء فوقع على قبة رأسه، فدقه حتى طحنه، فاختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره حتى يخيل اليك أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك، ولو هبت الريح لأذرته.

ونظرت إلى الحجر الذي قذف به يربو ويعظم وينتشر حتى ملأ الأرضين كلها فصرت لا ترى إلا السماء والحجر.

قال له بخت نصر: صدقت هذه الرؤيا التي رأيت، فما تأويلها. قال: أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي أوسطه وفي آخره. وأما الذهب فهذا الزمان وهذه الأمة التي أنت فيها وأنت ملكها. وأما الفضة ابنك من بعدك يملكها، وأما النحاس فإنه الروم، وأما الحديد ففارس.

وأما الفخار فأمتان تملكهما امرأتان إحداهما في مشرق اليمن، والأخرى في غربي الشام.

وأما الحجر الذي قذف به الصنم؟ حذف الله به هذه الأمم في آخر الزمان، فيظهر عليها حتى يبعث نبي أمي من العرب فيدوخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ أصناف الصنم، ويظهره على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الآرض وانتشر فيها حتى ملأها فيحق الله به الحق ويزهق به الباطل، ويعز به الأذلة، وينصر به المستضعفين.

فقال له بخت نصر: ما أعلم أحداً استفتيت به منذ وليت الملك على شيء غلبني غيرك، ولا لأحد عندي يد أعظم من يدك، وأنا

أجازيك بإحسانك، فاختر من ثلاث خلال أعرضهن عليك: إن أحببت أن أردك إلى بلادك، وأعمر لك كل شيء خربته، وإن أحببت كتبت لك أماناً تأمن به حيث ما ملكت، وإن أحببت أن تقيم معي فأواسيك.

قال دانيال: أما قولك تردني إلى بلادي وتعمر لي ما خربت، فإنها أرض كتب الله عز وجل عليها الخراب وعلى أهلها الفناء إلى أجل معلوم، فليس تقدر علي أن تعمر ما خرب الله ولا ترد أجلاً أجله الله حتى يبلغ الكتاب أجله وينقضي هذا البلاء الذي كتب الله على إيليا وأهلها.

وأما قولك أن تكتب لي أماناً آمن به حيث ما توجهت، فإنه لا ينبغي لي أن أطلب مع أمان الله أمان مخلوق.

وأما ما ذكرت من مواساتك، فإن ذلك أرفق لي يومي هذا حتى يُقضى فينا قضاء.

فجمع بخت نصر ولده وحشمه وأهل العلم والرأي من أهل المملكة، فقال لهم: هذا رجل حكيم قد فرج اللهّ به عني الكرب الذي عجزت عنه، وإني رأيت أن أوليه أمركم، فخذوا من أدبه وحكمته وأعظموا حقه، فإذا جاءكم رسولان أحدهما مني والآخر من دانيال فآثروا حاجته على حاجتي.

قال: فنزل منه دانيال أفضل المنازل، فجعل تدبير ملكه إليه، فلما رأى ذلك عظماء أهل بابل حسدوا دانيال، فاجتمعوا إلى بخت نصر، فقالوا له: لم يكن على الأرض ملك أعز من ملكنا، ولا قوم أهيب في صدور أهل الأرض منا حتى دانت لنا الأرض، والأن قد طمعوا فينا منذ قلدت ملكك هذا العبد الإسرائيلي، فقال أتنقموني إِني عمدت إلى أحكم أهل الأرض، فاستعنت به.

ثم ان بخت نصر هلك ببعوضة سلطت عليه وملك مكانه ابنه بلطا فبطش بطش الجبارين، وكان يشرب الخمر في آنية مسجد بيت المقدس التي غنمها أبوه، فنهاه دانيال ثم قال له: إنك تقتل إلى ثلاثة، ويسلب الله ملكك، فدخل بيته وأغلق بابه ودعى أوثق الناس عنده، وقال: الزم عتبة بابي فلا يمر بك أحد في هذه الأيام الثلاثة إلا قتلته، وإن قال إني أنا الملك.

فلما مضت الأيام الثلاثة قام الملك فخرج من الباب فرحاً، فمر بالحارس، فقام الحارس فضربه بالسيف، وهو يقول: أنا الملك، فيقول: كذبت فقتله.

ورجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس، فمكثوا بأحسن حال حتى مات دانيال، ثم كثرت فيهم الأحداث والبغي، فسلط الله عليهم أرطاصوس، فقتل وسبى.

وهذا دانيال من بني إسرائيل، وهو مدفون بالسوس، ولما فتح أبو موسى السوس دل على جثة دانيال، فقام رجل إلى جثته، فكانت ركبة دانيال محاذية رأسه، وليس بدانيال الأكبر، فإن ذاك كان بين نوح وإبراهيم، وقد سبق ذكره.

ذكر الملوك بعد ذلك

وتوفي بهمن وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة، وقيل ثمانين سنة.

ثم ملكت بعده ابنته خماني، واختلفوا في سبب تمليكهما. فقال بعضهم: إنما ملكوها لعقلها ونجدتها وإحسان أبيها إليهم.

وقال آخرون: كانت حاملاً من أبيها بهمن بدار الأكبر، فسألت أباها أن يعقد له التاج وهو في بطنها، ففعل. وكان ساسان من امرأة أخرى، وكان حينئذ رجلاً ينتظر الملك لا يشك فيه، فلما فعل أبوه ذلك لحق بإصطخر وتزهد وتعبد في رؤس الجبال، واتخذ غُنَيْمة، فكان يتولاه بنفسه.

وقيل: إن خماني ولدت بعد أشهر من ملكها، فأخفت من إظهار الولد، فجعلته في تابوت، وصيرت معه جوهراً نفيساً، وأجرته تحت نهر من أنهار إصطخر، وقيل من أنهار بلخ، فوقع التابوت إلى رجل طحان من أهل إصطخر، فأخذه ورباه، وظهر أمره حين شب، وأقرت خماني بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتلف، فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحولت التاج عن رأسها إليه، وتقلد أمر المملكة، وتنقلت خماني إلى فارس، وبنتْ مدينة إصطخر، وقمعت الأعداء، ومنعتهم من بلادها، وأغزت أرض الروم، فسبى سبي كثير، فأمرت أن يبنى لها في كل موضع بنياناً منيفاً، فأحد ذلك البنيان في مدينة إصطخر.

والثاني على المدرجة التي يسلك فيها إلى دار بجرد على فرسخ من المدينة. والثالث على أربعة فراسخ منها في المدرجة التي تسلك فيها إلى خراسان.

وإنها أجهدت نفسها في طلب مرضاة الله تعالى.

وكان ملكها ثلاثين سنة.

وكان بعض ملكها في زمن كيرش العيلمي، الذي ذكرنا آنفاً أنه تولى بيت المقدس على بني إسرائيل.

وعاشت خماني بعد هلاك كيرش ستاً وعشرين سنة، وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بخت نصر إلى أن عمر سبعين سنة، بعضها في أيام بهمن، وبعضها في أيام خماني.

رقد ذكرنا ما يدل على أن التخريب لبيت المقدس كان قبل ذلك، والله أعلم.

ذكر دارا وأولاده

فلما ملك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، وكان ضابطاً لملكه، قاهراً لمن حوله من الملوك، فابتنى بفارس مدينة سماها دارا بجرد، وولد له ولد فأعجب به فسماه دارا باسم نفسه، وصير له الملك من بعده، فملك اثنتي عشرة سنة. ثم ملك ابنه دارا بن دارا بن بهمن فأساء السيرة في رعيته، وقتل رؤساءهم، فغزاه الإسكندر بن فيلبوس اليوناني، وقد ملَّه أهل مملكته، فلحق كثير منهم بالإسكندر، فأطلعوه على عورة دارا، وقووه عليه، فالتقيا ببلاد الجزيرة، فاقتتلا سنة، ثم أن رجالاً من أصحاب دارا وثُبوا به فقتلوه وتقربوا برأسه إلى الإسكندر، فأمر بقتلهم، وقال: هذا جزاء من اجترأ على ملكه.

وتزوج ابنته روشنك بنت دارا، وغزا الهند ومشارق الأرض، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية، فهلك بناحية السواد، فحمل إلى الإسكندرية في تابوت من ذهب. وكان ملكه أربع عشرة سنهَ، وقيل كان ملك دارا أربع عشرة سنة، أيضاً، واجتمع ملك الروم وكان قبل الإسكندر متفرقاً، وتفرق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعاً.

ذكر هلاك دارا بن دارا

إن دارا بن دارا لما مَلَك، وكان فيلبوس أبو الأسكندر اليوناني قد ملك بلاداً من بلاد اليونانيين فصالح دارا على خراج يحمل إليه في كل سنة ثم ملك ابنه الإسكندر فلم يحمل الخراج، فغضب دارا وكتب إليه يوبخه، وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم، وقال فيما كتب إليه: أنت صبي ينبغي أن تلعب بالصولجان، وإنك إن استعصيت بعثت إليك من يأتيني بك في وثاق، وإن عدة جندي

كعدة حب السمسم الذي بعثت به.

فكتب إليه الإسكندر أنه قد فهم كتابه وتيَمّن بإرساله الصولجان والكرة لإلقاء الملقي الكرة إلى الصولجان، واحترازه إياها، ويشبه الأرض بالكرة، وإنه محيز ملك دارا إلى ملكه وبلاده إلى حيزه من الأرض. وإنه تيمن بالسمسم لدسمه وبعده عن المرارة والحرافة. وبعث إلى دارا بِصُرةٍ من خردل، فهي تجمع الكرة والحرافة والمرارة.

فلما وصل إليه الكتاب جمع جنده، وتأهب لمحاربة الإسكندر، وتأهب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا. فالتقيا فاقتتلا أشد القتال، وصارت الدّبْرة على جند دارا.

فلما رأى ذلك رجلان من حرس دارا طعناه من خلفه فوقع، ليحظيا عند الإسكندر. ونادى الإسكندر: أن لا يقتل دارا. ثم سار حتى وقف عليه، فرآه يجود بنفسه، فترل الإسكندر عن دابته وجلس عند رأسه، وأخبره أنه ما هم قط بقتله، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه، وقال له: سلني ما بدا لك، فقال دارا: إليَ لك حاجتان: إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين فتكا بي، والأخرى أن تتزوج ابنتي روشنك.

فأجابه وصلب الرجلين، وتوسط بلاد دارا، فكان له ملكه.

وقال آخرون: كان ملك الروم في أيام دارا الأكبر يؤدي إلى دارا الخراج، فلما هلك ملك الإسكندر، وكان ذا حزم ومكر، فمن مكره أنه خرج في بعض الحروب من صف أصحابه، وأمر من نادى: يا معشر الفرس، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمان، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل العسكر وله منا الوفاء. فاتهمت الفرس بعضها بعضاً، فكان أول اضطراب حدث فيهم.

وتلقاه بعض ملوك الهند بألف فيل عليها السلاح، وفي خراطيمها السيوف، فلم تقف دواب الإسكندر، فأمر باتخاذ قلة من نحاس مجوفة، وربط خيله بين تلك التماثيل حتى التقيا، ثم أمر فملئت نفطاً وكبريتاً، وألبسها الدروع وجرت على العجل إلى المعركة، وبين كل تمثالين منها جماعة من أصحابه.

فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النيران في أجواف التماثيل فلما حميت انكشفت أصحابه عنها، فغشيتها الفيلة فضربتها بخراطيمها، فتشيطت، فولت مدبرة راجعة على أصحابها، فصارت الدبرة على ملك الهند.

وغزا الإسكندر بعض ملوك المغرب فظفر به، فآنس لذلك من نفسه القوة فنشز على دارا الأصغر، وامتنع عما كان يحمله إليه، وكان الخراج الذي يؤديه آل الإسكندر إلى ملوك الفرس بيضاً من ذهب، ألف ألف بيضة، في كل بيضة مائة مثقال.

فلما امتنع الإسكندر أن يبعث كتب إليه دارا يطالبه. فكتب إليه: إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها. فالتقيا للقتال بناحية خراسان مما يلي الحرز.

ذكر نبذ من أحوال الإسكندر

قد ذكرنا أن هذا الإسكندر هو ابن فيلبوس، وبعضهم يقول: ابن بيلبوس بن مطريوس. ويقال: ابن مصريم بن هرمس بن هردسر، بن مسطون بن رومي بن يلظي بن يونان بن يافث بن توبة بن سرحون بن رومية بن يرثط بن توفيل بن زوفي بن الأصفر بن أليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. ولما هلك دارا ملك الإسكندر ملك دارا فملك العراق والروم والشام ومصر،

وعرض جنده بعد هلاك دارا فوجدهم ألف ألف وأربع مائة ألف رجل منهم من جنده ثمانمائة ألف، ومن جند دارا ستمائة ألف. فجلس على سريره، وقال: أدالنا الله من دارا، ورزقنا خلاف ما كان يتوعدنا به، وهدم ما كان ببلاد الفرس من المدن والحصون وبيوت النيران، وقتل الهرابذة، وأحرق كتبهم ودواوين دارا، واستعمل على مملكة دارا رجلاً من أصحابه، وسار إلى أرض الهند، فقتل ملكها وفتح مدينتها.

ثم سار منها إلى الصين وصنع بها كصنيعه بالهند، ودانت له عامة الأرض، وملك الصين والتبت.

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو الفرج الأصفهاني، قال: قرأت في بعض كتب الأوائل أن الإسكندر لما انتهى إلى ملك الصين أتاه صاحبه وقد مضى من الليل شطره، وقال له: هذا رسول ملك الصين بالباب يستأذن عليك، فقال: احضروه. فوقف بين يديه وسلم ثم قال: إن رأى الملك أن تخليني، فأمر الإسكندر من بحضرته من أصحابه فانصرفوا، وبقي صاحبه، فقال: الذي جئت فيه لا يحتمل أن يسمعه غيرك. فقال الإسكندر فتشوه، ففتش فلم يصب معه حديد، فوضع الإسكندر بين يديه سيفاً وقال له: كن بمكانك وقل ما شئت، وخرج كل ما كان عنده، فقال: قل.

فقال له: إني أنا الملك لا رسوله، وقد جئتك أسألك عما تريد مما يمكن عمله ولو على أصعب الأمور فإني أعمله فأغنيك عن الحرب، فقال له الإسكندر: ما آمنك مني؟ قال: علمي بأنك رجل عاقل وليس بيننا عداوه ولا مطالبة قد حل. وأنت تعلم إنك إن قتلتني لم تحظ بطائل، ولم يكن سبباً لأخذ مملكة الصين، ولم يمنعهم قتلي أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً، ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وصيد الحريم.

فأطرق الإسكندر وعلم أنه رجل عاقل، فقال: الذي أريد منك ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلاً، ونصف ارتفاع مملكتك في كل سنة، فقال: هل غيرذلك شيء؟ قال: لا، قال: قد أجبتك، قال: كيف يكون حالك حينئذ؟ قال: أكون قتيلاً وأكلة كل مفترس. قال: فإن قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك؟ قال: أصلح مما كانت، قال: فإن قنعت منك بارتفاع سنة، قال: يكون ذلك كمالاً لأمر ملكي ومذهباً، جميع أذاتي قال: فإذا اقتصرت منك على النصف من ارتفاع السنة، قال: يكون الملك ثابتاً وأسبابه مستقيمة، قال: فإذا اقتصرت منك على ارتفاع الثلث؟ قال: يكون السدس وقفاً، ويكون الباقي لجيشي وأسباب الملك. قال: فقد اقتصرت منك على هذا، فشكره وانصرف.

فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض وأحاط بجيش الإسكندر حتى خافوا الهلاك، فتواثب أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب.

فبينما هم كذلك إذ طلع وعليه التاج فلما رأى الإسكندر ترجل له، فقال له الإسكندر: غدرت، قال: لا والله، قال: فما هذا الجيش؟ قال: أردت أن أريك أنني لم أطعك عن قلة وضعف، وأنت ترى الجيش وما غاب عنك أكثره، ولكن رأيت العالم الكبير مقبلاً فملكنا لك ممن هو أقوى منك وأكثر من عددك، ومن حارب العالم الكبير غلب، وأردت طاعته بطاعتك، والذلة بأمره بالذلة لك.

فقال الإسكندر: ليس مثلك من يؤخذ منه خراج، فما رأيت بيني وبينك أحداً يستحق الفضل والوصف بالعدل غيرك، فقد أعفيتك من جميع ما أردته منك، وأنا منصرف عنك.

فقال له ملك الصين: أما إذا فعلت ذلك فليس بحسن. ثم انصرف الإسكندر فبعث إليه ملك الصين هدايا أضعاف ما كان قرر معه.

وكان أرسطاليس مؤدب الإسكندر فِي صغره، فقال له ولصبيان معه: أي شيء تعملون إذا ملكتم، فكل واحد بذل من نفسه شيئاً، فقال الإسكندر: أعمل حسب ما يوجبه الوقت، ويقتضيه العقل، فقال له: أنت أدرى بالرئاسة والملك.

فلما ملك الأسكندر كان أرسطاليس له كالوزير يكاتبه ويعمل برأيه، فكتب إليه: إن في عسكري جماعة لا آمنهم على نفسي لبعد هممهم وشجاعتهم، ولا أرى لهم عقولاً تفي بتلك الفضائل.

فكتب إليه: أما ما ذكرت من بعد هممهم، فإن الوفاء من بعد الهمة. وأما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن هذه حاله فَرَفِّهْهُ في معيشته، وأخصصه بحسان النساء، فإن رفاهية العيش توهي العزم، وتحبب السلامة، وليكن خلقك حسناً تخلص لك النيات، ولا تتناول من لذيذ العيش ما لا يمكن أوساط رعيتك مثله، فليس مع الاستئثار محبة، ولا مع المواساة بغضة.

واعلم أن المملوك إذا اشترى لا يسأل عن مال سيده، وإنما يسأل عن خلقه.

وهذا أرسطاليس كان من كبار الحكماء، قال يوماً أفلاطون لأصحابه: ما العجب؟ فتكلموا، فقال أرسطاطاليس: ما ظهر وخفيت علته، قال: أنت أفضل الجماعة.

وكان أرسطاطاليس يقول: لكل شيء صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار.

وقال: إعصَ الهوى وأطع من شئت.

وقيل له: ألا تجتمع الحكمة والمال؟ فقال: آخر الكمال.

وكتب إلى بعض ملوك يونان وكان مستهتراً باللعب: إذا علمت الرعايا تسليط الهوى على الملك تسلطت عليه، فاقهر هواك تفضل حكمتك، والسلام.

فكتب الملك: أيها الحكيم إذا كانت بلادنا عامرة، وسبلنا آمنة، وعمالنا عادلة، فلم تمنع لذة عاجلة.

فكتب إليه: إنما تمهدت الأمور على ما ذكرت بيقظتك بالحكمة دون غفلتك باللذة، فما أخوفني أن تهدم ما بنته الحكمة ما جنته الغفلة. فأقبل الملك على السياسة.

وقد ذكر بعض من لا يعلم

إن الإسكندر هو الذي دخل الظلمات، وهذا غلط، وإنما أشكل عليهم لاشتراك الاثنين في الإسم والتسمية بالإسكندر. وقد ذكرنا خبر ذاك في زمن إبراهيم الخليل، وإنه عاش ألف سنة وستمائة سنة، وهذا اليوناني عاش ستاً وثلاثين سنة. وملك ثلاث عشرة سنة وأشهراً، وبنى مدناً كثيرة، وتوفي في بعض قرىَ بابل.

باب زكريا عليه السلام

وهو زكريا بن أدي وقيار: ابن برخيا من أولاد سليمان بن داوود عليهما السلام، أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا القطيعي، قال: حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدَثنا بريد، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي نافع، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "كان زكريا نجاراً"

ذكر الأحداث في زمن زكريا

وجود نذر حنة بنتِ فاقُود فإنها لَمَا حملت نذرت حملها محرراً لله تعالى ليكون في المسجد متعبداً. فلما وضعت مريم جاءت بها إلى العُبَّاد، فاقترعوا على كفالتها، فرموا أقلامهم مع جرية الماء فرسبت وصعد قلم زكريا فكفلها، وكانت أخت مريم عند زكريا، فلما رأى رزقها يأتي من غير كلفة، سأل ربه عز وجل ولداً، وكانت زوجته اسمها: أشياع بنت عمران وهي أختَ مريم فجاءته بيحيي ، وطلب آيَةَ على وجود الحمل، لأن الحمل لا يتحقق بأوله ليبادر بالشكر، فأمسك لسانه عن كلام الناس من غير مرض، و لم يمسك عن الذكر للّه سبحانه وتعالى.

قال الربيع بن أنس: لَمَّا سمع اليهود كلام عيسى في المهد حسدوا زكريا وعادوه وكان أخبرهم قبل ذلك بحبل مريم، فتغامزوا به، وقد وجدوا ذلك مكتوباً عندهم كيف يكون، وأخبرهم به سليمان، فالتمسوا زكريا ليقتلوه، فهرب حتى انتهى إلى شجرة عظيمة، فتجوفت له ودخل فيها فجاءوا يطيفون بالشجرة فرأوا هدبة من ثوبه، فقطعوا الشجرة حتى خلصوا إليه فقتلوه .

وقال السُديّ: اتهموا زكريا وقالوا: هو أحبل مريم فطلبوه، فهرب إلى الشجرة.

قال أحمد بن جعفر المنادي: وكان له من العمر أقل من مائة سنة.

باب ذكر يحيى عليه السلام

قال مؤلف الكتاب: ولد يحيى قبل عيسى عليه السلام بستة أشهر.

وقيل: قبل أن يرفع عيسى عليه السلام، وكان يحيى قد رزق الفطنة والفهم في زمن الصبا من الصغر.

قال قتادة في قوله،: "وأتيناه الحكم صبياً". قال: ابن ثلاث سنين.

قال علماء السير: نبيء يحيى صغيراً. فساح ثم دخل الشام يدعو الناس، وكان طعامه الجراد وقلوب الشجر. وكان يحيى كثير العبادة غزير الدمعة.

أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا أحمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: عبد اللّه بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن الحسين، قال: حدَّثني سعيد، بن شرحبيل، قال: حدَّثنا سعيد بن عطارد، عن وهيب بن الورد، قال: كان

ليحيى بن زكريا خطان في خديه من البكاء، فقال له أبوه زكريا: إني إنما سألت الله عز وجل ولداً تَقرُّ به عيني، فقال: يا أبت، إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلاّ كل بكّاء.

ذكر سبب قتل يحيى بن زكريا

روى الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث عيسى بن مريم يحي بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعَلِّمُون الناس، وكان فيما نهوْهم عنه نكاح ابنة الأخ، وكان لملِكِهم ابنة أخٍ تُعجبه يريد أن يتزوَجها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها، فبلغ ذلك امها، فقالت لها: إذا دخلتِ على المَلِك فسألك ما حاجتك، فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى، فقالت له: فقال: سَلي غير هذا، قالت: ما أسأل غَيْره.

فدعي يحيى ودعا بطست فذبحه فندرت قطرة من دَمِهِ على الأرض، فلم تَزَلْ تغلي حتى بعث اللّه بخت نصّر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلته على ذلك الدم، فألقى اللّه عز وجل في قلبه أن يقتل عليه حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً منهم، فسكَن .

وروى الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن مشيم مولى معاوية: أن ملكاً في بني إسرائيل كانت له امرأة، وكان لها بنية يحبها أبوها، وكان لها عليه كل يوم حاجة، فقالت لها أمها: إذا سألك ما حاجتك فقولي: رأس يحيى بن زكريا، فلما جاءته وسقته ووقفت بين يديه، قال لها: ما حاجتك؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا، فزجرها وأغضبه ذلك، فولّت عنه، فقال له من حوله من المنافقين: وما يحيى وما رأس يحيى، فقال: ادفعوا إليها رأس يحيى.

فأتوه وإنه لقائم يصلي في ناحية كنيسة جيرون بدمشق ، فاحتزوا رأسه فجعلوه في طبق، وأمر بدفعه إلى جارية ابنته، فولَت به ذاهبة إلى أمها، فلما كانت عند المطهرة التي على درج دمشق خُسِفَ بها، فقيل لأمها: أدركي ابنتك، فخرجت حاسرة عن وجهها حتى وقفت عليها وقد ذهبت الأرض بجثتها، فلم يبق منها إلا رأسها، فقالت: احتزوا الرأس نغسله ونكفنه ونبكي عليه، ففعلوا فلما صار بأيديهم نفضت الأرض الجثة فألقتها إليهم.

قال الربيع بن أنس: كانت للملك ابنة شابة، فكانت تأتي أباها فتغني عنده حتى إذا أرادت الرجوع، قال لها: سلي حاجتك؟ وأن أمها رأت يحيى قد أعطي حُسناً وجمالا، فأرادته على نفسه فأبى عليها، فقالت له: إني قاتلتك أو تأتي حاجتي، فقال: معاذ الله.

فقالت لابنتها: إذا أتيت أباك الليلة فقال: سلي حاجتك، فقولي: أسألك رأس يحيى.

فلما جاءت وقال: سلي حاجتك، قالت: رأس يحيى، فقال: ارجعي إلى أمك فتأمرك بما هو خير لك من هذا. فرجعت إلى أمها فحدثتها، فقالت لا تسأليه إلا رأس يحيى. فلما جاءت فيِ الليلة الثانية فغنته، قال: سلي حاجتك، قالت: رأس يحيى. فقال: ارجعي إلى أمك فتأمرك بما هو أنفع لك من هذا، فرجعت إليها، فقالت: لا تسأليه إلا رأس يحيى. فلما جاءت في الليلة الثالثة فغنته ، قال: سلي حاجتك ، قالت: رأس يحيى، فقال: ارجعي إلى أمك فتأمرك بما هو أنفع لك من هذا. فرجعت إليها، فقالت: لا تسأليه إلا رأس يحيى. فقال: لك ما سألت، فرجعت إلى أمها فَرِحَة فأخبرتها. فأرسلت إلى يحيى، فقالت إني قد، أعطيت رأسك إن لم تأتِ حاجَتي، فأبى عليها، فقالت له إني ذابحتك. فذبحته ثم ندمت، وجعلت تنادي: ويل لها، ويل لها. حتى ماتت فهي أول امرأة تدخل النار ، وأن الدم صار يغلي ولا يسكن، وإن بخت نصّر جاز عليه فسأل عنه، فقالوا: هذا دم يحيى بن زكريا قتلته امرأة خيارهم.

وكان عبد الله بن الزبير يقول: من أنكر الباقلاني لا أنكره، لقد ذكر لي أنه إنما قتل يحيى بن زكريا في زانية كانت جارة له. وروى يزيد بن هارون ، عن سليمان التميمة ، عن أسلم العجلي ، عن أبي هريرة ، وابن عمر رضي الله عنهما: أن امرأة يقال لها "ربة" قتلت يحيى بن زكريا، فأتت برأسه في طست ، فأمرت الأرض فأخذتها.

وقال عبد اللّه بن عمر: وقتلت تلك المرأة في يوم سبعين نبياً، وهي مكتوبة في التوراة: مقتلة الأنبياء، وأنها على منبر في النار يَسمع صراخها أقصى أهل النار، . أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا أبو القاسم: عبد الله بن عمر بن شاهين، قال: حدَّثنا أبي، قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن عقبة الانصاري، قال: حدَّثنا أبو تمام، قال: حدَّثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني ابن لهِيعة، عن عمارة بن غزية، عن عروة بن الزبير، قال: اسم المرأة التي قتلت يحيى بن زكريا لا "أزبيل "، وإنها قتلت سبعين نبياً آخرهم يحيى بن زكريا. وروت فاطمة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن يحيى بن زكريا عليهما السلام مكث في بني إسرائيل أربعين سنة".

قال قتادة: قتل بدمشق.

ذكر ما عوقب به بنو إسرائيل لقتلهم يحيى بن زكريا

أقال النبي صلي الله عليه وسلم: "من هوان الدنيا على اللّه تعالى أن يحيى بن زكريا قتلته إمرأة. زعم السدي، عن أشياخه: أن رجلاً رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملةٍ من أهل بابل يدعى "بخت نصر"، فأقبل يسأل عنه حتى نزل على أمّه وهي تحتطب، فلما جاء على رأسه حزمَة حطبٍ ألقاها ثم قعد في البيت، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فاشترى بها طعاماً وشراباً، فلَما كان في اليوم الثاني فعل به ذلك، وكذلك في اليوم الثالث، ثم قال له: إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر. قال: تسخر بي!. قال: لا، ولكن ما عليك أن تتخذ عندي بها يداً. قالت له أمه: وما عليك إن كان، وإلا لم ينقصك شيئاً. فكتب له أماناً، فقال : أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي آية تعرفني بها. قال: ترفع صحيفتك على قَصَبة فأعْرِفُك بها، فكساه وأعطاه. فلما قتل يحيى أصبح دمه يغلي، فلم يزل يُلْقَى عليه التراب ويغلي إلى أن بلغ سور المدينة، وخرج بخت نصر من قبل صيحائين الملك، فتحصن القوم منه في مدائنهم، فلما اشتدَ عليه المقام هَم بالرجوع، فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل، فقالت: إن فتحت لك المدينة أتعطيني ما أسألك فتقتل مَنْ آمرك بقتله، وتكف إذا أمرتك. قال: نعم. قالت: إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أرباع، ثم أقم على كل زاوية ربعاً، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحكِ باللّه بدم يحيى ابن زكريا ، فإنها سوفَ تَتساقط.

ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها، فقالت: أقتل على هذا الدم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً، فلما سكن الدم قالت: كف يدك، فإنه إذا قُتل نبيّ لم يرض اللّه حتى يُقتل مَنْ قتله، ومَنْ رضيَ قتله. فأتاه صاحبُ الصحيفة بصحيفة فكفّ عنه وعن أهل بيته، وخَرب بيت المقدس، وأمر أن يطرح فيه الجِيف، وقال: مَنْ طرح فيه جيفة فله جزْيته تلك السنة، وأعانه على إخرابه الروم من أجل بني إسرائيل إذ قتلوا يحيى. فلما خربه بخت نصَر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل، منهم: دانيال ، فلما قدم أرض بابل وجد صيحائين قد مات، فَمَلك مكانه، فقال له المجوس: إن الذين قدمت بهم دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك،

فدعاهم، فسألهم، فقالوا: أجلْ إن، لنا رباً نعبده ولا نأكل من ذبحتكم أ فأمر بخَد فخُد لهم، فألقوا فيه وهم ستة وألقِيَ معهم سَبُع ضارٍ ليأكلهم، فلما راحوا إليهم وجدوهم جلوسأ، والسبعُ مفترش ذراعيه، ووجدوا معهم رجلاً فعدوهم فوجدوهم سبعة، فقالوا: إنما كانوا ستة، فخرج السابع وكان ملكاً فلطم بخت نصر لطمة، فصار في الوحش فكان فيهم سبع سنين .

قال أبو جعفر ابن جرير الطبري: وقول مَنْ قال إن بخت نضر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى غَلَط عند أهل العلم بأمور الماضين لأنهم أجمعوا على أن بخت نصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء في عهد إرمياء، وبين أرمياء وتخريب بخت نصر بيت المقدس إلى مولد يحيى أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، وهذا مما يتفق عليه اليهود والنصارى، ويذكرون آن ذلك في أسفارهم مبين، وذلك أنهم يَعدون من لدن تخريب بخت نصر بيت المقدس إلى حين عُمرانها في عهد كيرش أصبهبذ بابل من قِبل بهمن، ثم من قِبَل خماني سبعين سنة، ثم من بعد عمرانه إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازَة مملكها إلى مملكته ثمانياً وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلثمائة وثلاث سنين، فذلك على قولهم أربعمائة وإحدى وستون سنة. وأما المجوس: فإنها توافق اليهود والنصارى في مدة خراب بيت المقدس وأمر بختنصر، وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل إلى غلبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك دارا، وتخالفهم في مدة ما بين ملك الإسكندر، ومولد يحيى، فتزعم أن مدة ذلك إحدى وخمسون سنة. وقال محمد بن إسحاق: لما رجع بنو إسرائيل من بابل إلى بيت المقدس ما زالوا تحدِثون الأحداثَ، ويُبعث إليهم الرسل، فريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان من آخر مَنْ بُعِثَ إليهم زكريا ويحيى وعيسى، وكانوا من بيت آل داود، فلما رفع اللّه عز وجل عيسى، وقتلوا يحيى وبعض الناس، يقول: وقتلوا زكريا ابتعث الله إليهم ملِكاً من ملوك بابل يقال له: خردوس، فسار إليهم بأهل بابل، حتى دخل عليهم الشام، ، فقال لصاحب شرطته: إني كنت حلفت بإلهي: لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنَهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلى الأ أجد أحداً أقتله، فدخل بيت المقدس، فوجد دماً يغلي، فقال: ما بال هذا الدم يغلي. فقالوا: هذا دم قربان قربناه فلم يُقْبَل مِنا. فقال: ما صدقتموني.

فقتل منهم خلقَاَ كثيراً على ذلك الدم فلم يسكن. فقال: ويلكم أصدقُوني قبل ألأَ أترك منكم أحداً، فقالوا: هذا دم نبي منَا قتلناه، فقال: لهذا ينتقم منكم ربكم، فأمر وذبح من الخيل والبقر والبغال والغنم حتى سال الدم إلى خردوس، فأرسل إليه: حسبك. وهذه الوقعة الأخيرة التي قال اللّه تعالى فيها: فإذا جاء وعد الآخرة لِيَسُئُواْ وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة".

فكانت الوقعة الأولى بخت نصر وجنوده، ثم ردّ الله له الكرة عليهم، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده، وهي كانت أعظم الوقعتين، فيها كان خراب بلادهم، وقتل رجالهم، وسبيُ ذراريهم ونسائهم يقول الله تعالى: "وَلِيُتَبرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرا".

فصل

قال مؤلف الكتاب: وقد بعث الله عز وجل بين موسى وعيسى عليهما السلام خلقاً كثيراً من الأنبياء، أكثرهم لم يذكر اسمه، وقليل منهم يذكر.قال ابن مسعود: كان بنو إسرائيل يقتلون في اليوم ثلثمائة نبي، ثم يقوم سوق نعلهم آخر النهار.وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "ما صدق نبي ما صدقت أن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا الرجل الواحد".فمن الأنبياء أصحاب الرس، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان أصحاب الرس يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبياً من ولد يهودا

بن يعقوب، فحفروا له بئراً وألقوه فيها فهلكوا. وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له: "حنظلة بن صفوان " قتلوه فأهلكهم اللّه. فأما قتادة ووهب، فقالا: هم قوم شعيب. وقال السدي: هو حبيب النجار. واللّه أعلم.

ذكر عيسي ابن مريم عليه السلام

أخبرنا محمد بن عبد الباقي أو قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو ابن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدَثنا محمد بن بياض، قال: حدثنا هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبي صالح ، عن ابن عباس، قال: كان بين موسى بن عمران، وعيسى عليهما السلام ألف سنة وسبع مائة سنة، و لم يكن بينهما فترة، وأنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة و تسع وستون سنة، بعث في أولها ثلاثه أنبياء وهو قوله عز وجل: "إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزرنا بثالث"، والذي عزز به سمعون.. وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا أربع مائة سنه وأربع وثمانين.

قال علماء السير: مات عمران بن ماثان بن اليعازار بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن إلياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يوشافاظ بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داوود عليهما السلام . وكانت امرأة عمران حين مات واسمها: حنة حاملا بمريم، وكان زكريا زوج أشياع أخت مريم، فجعلت حنة ما في بطنها محرراً للكنيسة التي في جبل أصبهيون ، فلما ولدت إذا هي أنثى فكفلها زكريا، فلما فطمتها أمها تركتها في محرابها، ولحقت بأهلها، فغُذيت بثمار الجنة، فكان زكريا يجد عندها الثمار الرطبة التي تكون في الشتاء، فيقول: يا مريمِ، أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فهنالك دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ولداَ.

ذكر حمل مريم

لما بلغت خمس عشرة سنة خرجت يوماً تستعذب الماء من مغارة، فإذا جبريل من عند الله ينفخ في جيبها نفخة فوصلت إلى الرحم، فاستمر بها الحمل. وقال قوم: حملت به لثلاث عشرة سنة، وأن جبريل عليه السلام نفخ ما بين جيبها ودرعها .وأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا أبو علي ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَثني محمد بن يعقوب الدمامي، قال: أخبرنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يُحدث، عن الربيع بن أنس، عن رفيع أبي العالية، عن أبي بن كعب : "أن الله عز وجل بعث جبريل إلى مريم فدخل من فيها".

فصل

قال مؤلف الكتاب : وقد اختلف العلماء في المدة التي حملت به.

فقال ابن عباس: حين حملت وضعت.

وعنه: ثمانية أشهر.

وقال عكرمة: وليس أحد يولد لثمانية أشهر فيعيش إلا يشبه عيسى بن مريم.

وقال الحسن: تسع ساعات.

وقال مقاتل: ثلاث ساعات.

وقال ابن جبير: تسعة أشهر.

وقال نوف البكالي : مكثت حاملا قدر ما تمكث النساء .

ذكر ما جرى له في حال الحمل روى ابن أبي، نجيح، عن مجاهد، قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته، فإذا شغلني عنه شاغل سبح في بطني وأنا أسمع .

ذكر ولادها قال نوف البكالي : خرجت هاربة من قومها نحو المشرق، وخرجوا في طلبها، فجعلوا لا يلقون أحداً إلا قالوا: هل رأيت فتاة من حالها كذا وكذا. فيقول: لا. حتى أتوا راعي بقر، فقالوا له، فقال: لا، ولكني رأيت من بقري شيئآ لم أره، رأيتها سجدت نحو هذا الوادي.

قال: "فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قالت: يا ليتني مت قبل هذا" فناداها جبريل: لا تحزني، فوضعته، وقطعت سرته ولفته في خرقة وحملته. قال وهب بن منبه: لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى أصبحت الأصنام في جميع الأرض منكسة على رؤوسها، كلما ردوها على قوائمها انقلبت، فحارت الشياطين لذلك و لم تعلم السبب، فشكت إلى إبليس فطاف الأرض ثم عاد، فقال: رأيت مولوداً والملائكة قد حفت به، فلم أستطع أن أدنو إليه، ومن أعظم أمره أن الله عز وجل كتمني أمره، و لم تضع أم ألا وأنا حاضرها .

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر ، قال: حدَثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدًثني أبي، قال: حدًثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه".

قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: "وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم".

أخرجاه في الصحيحين .

ذكر ما جرى لها مع قومها حين لقوها

قال نوف: أقبل قومها يطوفون عليها، فلما رأوها قعدت ووضعت عيسى في حجرها وأعطته ثديها، فوقفوا و "قالوا: يا مريم لقد جئت شيئاً فريا". فأشارت إليه أن كلمهم ف "قالوا: كيف نكلم من كان في المهد" فترع فمه من ثديها، وجلس واتكأ على يساره، و "قال: إني عبد اللّه آتاني الكتاب وجعلني نبياً،".

ذكر صفة عيسى عليه السلام

روى أبو هريرة، عن النبي صلي الله عليه وسلم، أنه قال: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وانه خليفتي على أمتي، وأنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحُمرة والبياض .

ذكر مسكنه عليه السلام

قال مؤلف الكتاب: كان عيسى عليه السلام يسكن من ساعير أرض الخليل عليه السلام بقرية تدعى ناصرة .

ذكر ما جرى له في الصغر في المكتب

قال سعيد بن جبير: لما ترعرع عيسى جاءت به أمه إلى مُعَلِّم الكتاب فدفعته إليه، فقال له: قل بسم، فقال عيسى: الله ، فقال المعلم: الرحمن، فقال عيسى: الرحيم. فقال المعلم: كيف اعلَم مَنْ هو أعلم مني.

وكان يخبر الصبيان مما يأكلون، وما يدخر لهم أهاليهم في البيوت .

ذكر نبوته ومعجزاته

قال علماء السير: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام حين تم له ثلاثون سنة، فأمره أن يبرز للناس فيدعوهم إلى الله عز وجل. وكانوا أرباب أوثان، ثم أنزل عليه الإنجيل بالسريانية، فأقبل عيسى إلى بيت المقدس، فأبرأ أعمى ممسوح العينين، ومقعداً زمناً.

وكان يداوي المرضى، والزَّمْنَى، والعميان، والمجانين، ويبرىء الأكمة والأبرص، ويحيي الموتَى، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله. وينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وكان كتابه الإنجيل، وزاده التوراة، وعِلمه الزبور .

وكان من آياته المائدة والمشي على الماء، وقد كان يسبح في بطن أمه، وتكلم في المهد طفلاً.

قال وهب: وكان يجتمع على بابه من المرضى خمسون ألفاً.

أنبأنا يحيى بن ثابت، قال: أخبرنا الحسن بن الحصين بن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر، قال: أخبرنا الحسن ابن علي القطان، قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي، قال: حدثني محمد بن الفضل، عن أبان بن أبي عياش، عن أبي عثمان النهري، عن سلمان الفارسي، قال: لم يبق في مدينتهم زَمِنٌ ولا مبتلى ولا مريض إلا اجتمعوا إليه فدعا لهم فشفاهم الله، فصدقوه واتبعوه، ثم قالوا له: ابعث لنا من الآخرة، قال: مَنْ تريدون؟ قالوا: سام بن نوح، فإنه قد مات منذ كذا وكذا ألف سنة، قال: تعلمون أين قبره؟ قالوا: في وادي كذا وكذا. فانطلقوا إلى الوادي، فصلى عيسى ركعتين، ثم قال: يا رب، إنهم سألوني ما قد علمت فابعث لي سام بن نوح، فقال: يا سام بن نوح، قُم بإذن الله، ثم نادى مثل ذلك، ثم نادى الثالثة، فأجابه فنظر إلى الأرض قد انشقت عنه، فخرج وهو ينفض التراب عن رأسه وهو يقول: لبيك يا رسول الله وكلمته، ها أنا ذا قد جئتك. فقال: يا بني إسرائيل، هذا عيسى بن مريم، ابن العذراء المباركة، روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، فآمِنوا به واتبعوه .

ثم قال: يا روح الله، إنك لما دعوتني جمع الله مفاصلي وعظامي، ثم سواني خلقا فلما دعوتني الثانية رجعت إلي روحي، فلما دعوتني الثالثة خفت أن تكون القيامة، فشاب رأسي وأتاني ملك، فقال : هذا عيسى يدعوك لتصدق مقالته، يا روح الله، سل ربك أن يردني إلى الآخرة فلا حاجة لي في الدنيا. قال عيسى: فإن شئت أن تكون معي، قال: يا عيسى، أكره كرب الموت، ما ذاق الذائقون مثله. فدعا ربه فاستوت عليه الأرض، وقبضه الله إليه، فبلغ عدة من آمن بعيسى سبعة آلاف.

قال مؤلف الكتاب : وقد روي أن الذي أحياه حام بن نوح، أنبأنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد بن

السراج، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، قال: أخبرنا يوسف بن عمر الزاهد، قال: قرىء على عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري وأنا أسمع، قيل له: أخبركم موسى بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن ابن الهاد، عن ابن شهاب قال: قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: أحي حام بن نوح، فقال: أروني قبره، فأروه فقام فقال: يا حام بن نوح إحي بإذن الله، فلم يخرج، ثم قالها الثانية، فإذا شق رأسه ولحيته أبيض. فقال: ما هذا، قال: سمعت الدعاء الأول فظننت أنه من الله عز وجل، فشاب له شقي، ثم سمعت الثاني فعلمت أنه من الدنيا فخرجت. قال: منذ كم مِت؟ قال: منذ أربعة آلاف سنة ما ذهبت عني سكرة الموت، ""

ذكر كلمات مما أوحي إلى عيسى عليه السلام

أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا الحسن بن الحسين بن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر، قال: أخبرنا الحسن بن علي العطار، قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي، قال: أخبرنا عيسى بن عطية السعدي، وعبد الله بن زياد بن سمعان، قالا: عن بعض مَنْ أسلم من أهل الكتاب قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى: يا عيسى ابن مريم، اذكرني في الدنيا أذكرك في المعاد، أكحل عينك بملول الحزن، تيقظ لي في ساعات الليل. أسمعني لذاذة الإنجيل، إذا دخلت مسجداً من مساجدي فليضطرب قلبك خوفاً مني، ولتخشع جوارحك لي. وقل لقومك إذا دخلوا مسجداً من مساجدي لا تدخلوا إلا بقلوب خائفة، وأبصار خاشعة خافضة، وأيدٍ طاهرة من الدنس. وأخبرهم أني لا أستجيب دعاء الظالم حتى يرد المظلمة إلى صاحبها. يا عيسى، لا تجالس الخطائين حتى يتوبوا يا عيسى، إني ذاكر كل من ذكرني، وألعن الظالمين إذا ذكروني،

ذكر عيشته وزهده

قال سلمان الفارسي: كان عيسى يلبس الصوف بالنهار، والشعر بالليل، وما قهقه ضاحكاً قط.

وقال مجاهد: كان يأكل قلوب الشجر، ويلبس الشعر، ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب، ولم يكن يدخر شيئاً لغدٍ ، أينما أدركه المساء بات .

وقال عطاء الخراساني: كان عيسى عليه السلام يتخذ نعلين من لحا الشجر، وشراكهما ليف.

وقال عمرو بن شرحبيل: كان عيسى يأكل من غزل أمه .

وقال شعيب بن حرب: كانت مريم تلقط فإذا عُلم بها نثر لها، فإذا علمت تحولت إلى مكان لا تعرف فيه. أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا الحسن بن الحسين بن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر، قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان، قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي، قال: أخبرنا عيسى بن عطية السعدي، وعبد الله بن زياد بن سمعان، قالا جميعاً: عن مكحول، عن كعب :

أن عيسى كان يأكل الشعير، ويمشي على رجليه، ويركب الدواب، ولا يسكن البيوت ولا يستصبح السراج، ولا يلبس القطن، ولا لمس النساء والطيب، ولم يمزج شرابه بشيء قط، ولم يدهن رأسه، ولم يقرب رأسه ولحيته غسولاً قط، ولم يجعل بين الأرض وبين جلده شيئاً قط. ولم يهتم لغداء ولا لعشاء. وكان يجالس الضعفاء والمساكين، ولم يأكل مع الطعام إداماً قط، وكان يجزىء بالقوت

القليل، ويقول: هذا لمن يموت كثير. وقال عيسى، وعبد الله جميعاً، عن بعض مَنْ أسلم من أهل الكتاب: أن عيسى عليه السلام كان سياحاً يسيح في الأرض، لا يأويه بيت ولا قرية، عليه برنس من شعر وإزار من شعر، وينتعل، نعلين من النعال السبتية وفي يده عصا، مأواه حيث جُنَه الليل، سراجه ضوء القمر، وظله ظلمة الليل، وفراشه من الأرض، ووسادة حجر الأرض، وبقله وريحانه عُشب الأرض، وربما طوى الأيام جائعاً، إذا أصابه الشدة فرح واستبشر، وإذا أصابه الرخاء خاف وحزن .

قال القرشي: وبه حدثنا هشام، عن الحسن: أن عيسى مر به إبليس يوماً وهو متوسد حجراً، فقال: يا عيسى، أليس تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا؟ قال فقام عيسى عليه السلام فأخذ الحجر فرمى به إليه، فقال: هذا لك مع الدنيا .

قال: وقالوا: يا روح الله، لو بنينا لك بيتاً تسكنه، قال: لا حاجة لي به، فألحوا عليه، فأذن لهم، فبنوا له عريشاً، فلما دخله فنظر إليه، قال: إنما أردت بيتاً إذا قمت أصاب رأسي وإذا اضطجعت أصاب جنبي حائطه، ولا حاجة لي بهذا، فلم يسكن بعدها ظل بيت قط حتى رُفِع.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن علي بن ميمون، قال: أخبرنا أبو عبد الله: محمد بن علي العلوي، قال: أخبرنا أحمد بن علي العطار، قال أخبرنا أحمد بن جعفر البجلي، قال: حدَّثنا علي بن المنذر الطرائقي، قال: أخبرنا محمد بن فضيل، قال: حدثنا عمران بن مسلم ، قال: بلغني أن عيسى بن مريم خرج على أصحابه عليه مدرعة من صوف وكساء من صوف وتُبَّان ، مجزوز الرأس والشاربين باكياً شعثَاَ متغير اللون من الجوع، يابس الشفتين من العطش، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين، فقال: السلام عليكم، أنا الذي أنزلت الدنيا مترلتها بإذن من الله أعز وجل، ولا عجبٌ ولا فخر، يا بني إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، أهينوا الدنيا تكرم الآخرة عليكم، ولا تهينوا الآخرة فتكرم الدنيا عليكم، فإن الدنيا ليست بأهل لكرامة، كل يوم تدعو إلى الفتنة والخسارة. ثم قال لأصحابه: تمرون أين بيتي؟ قالوا: أين بيتك يا روح الله؟ فقال: بيتي المساجد، وطيبي الماء، وإدامي الجوع، ودابتي رجلي، وسراجي بالليل القمر، وظلالي ظلمة الليل ومسكني، في الشتاء مشارق الشمس، وطعامي ما يس، وفاكهتي وريحاني بقول الأرض مما يأكل السباع والأنعام، ولباسي الصوف، وشعاري الخوف، وجلسائي الزمنى والمساكين، أصبح وليس لي شيء، وأمسي وليس لي شيء وأنا طيب النفس، غير مكترث مَنْ أغنى مني وأربح مني .

وذكر أنه لبس جبة من صوف عشر سنين، كلما تخرق منها شيء خاطه بشريط ،و لم يدهن رأسه أربع سنين متواليات، ثم دهنه بودك الشحم، وقال: يا بني إسرائيل، اتخذوا المساجد بيوتاً، والقبور دوراً، وكونوا كأمثال الأضياف، ألا ترون إلى طير السماء؟ لا يزرعن ولا يحصدن وإله. السماء يرزقهن. يا بني إسرائيل، كلوا من خبز الشعير ومن بقول الأرض، واعلموا أنكم لم تؤدوا شكر ذلك، فكيف ما كان من فضل .أخبرنا الحسن بن أحمد بن محبوب، قال: أخبرنا أبو علي: أحمد بن محمد البرداني، قال: قرأت على يوسف بن محمد الهمذاني، أخبركم الحسين بن عمر بن برهان، قال: حدثنا محمد بن عمرو بن البختري، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبيد، قال: حدَّثني المثنى بن معاذ الغنوي، قال: أخبرنا محمد بن شجاع النميري، قال: بينا عيسى بن مريم يسيح في بعض بلاد الشام اشتد به المطر والرعد والبرق،. فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه، فرُفِعَتْ له خيمة من بُعد، فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه، فإذا في الكهف أسد، فرفع يده، ثم قال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى و لم تجعل لي مأوى؟ فأجابه الجليل

عز وجل: مأواك عندي في مستقر رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراً جعلتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربع مائة عام، يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرنَّ منادياً ينادي: أين الزاهدون في الدنيا، زوروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم .

ذكر طرف من مواعظ عيسى عليه السلام

أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا الحسن بن الحسين بن دوما، قال: أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرجي، قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان، قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، قال: أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي، قال: أخبرنا أحمد بن إدريس، عن وهب بن منبه قال: قال عيسى بن مريم: "إن للحكمة أهلاً إن كتمتها عن أهلها جهلت، وإن تكلمت بها عند غير أهلها جهلت، فكن كالطبيب العالم الذي يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع".

قال القرشي: وأخبرنا عيسى بن عطية السعدي، وعبد الله بن زياد بن سمعان، قالا: عن بعض من أسلم من أهل الكتاب ، قال: قال عيسى عليه السلام للحواريين: لا تجالسوا الخطائين فإن مجالستهم تقسي القلب، تقربوا إلى الله عز وجل بمفارقتهم. يا معشر الحواريين، لا تحملوا على اليوم هم غدٍ ، حَسْبُ كل يوم همه، ولا يهتم أحدكم لرزق غدٍ ، خالق غد يأتيكم فيه بالرزق. ولا يقولن أحدكم إذا استقبل الشتاء: من أين آكل ومن أين ألبس؟ وإذا استقبله الصيف يقول: من أين آكل ومن أين، أشرب؟ فإن كان لك في الشتاء بقاء ذلك فيه رزق، وإن كان لك في الصيف بقاء ذلك فيه رزق. ولا تحمل هم شتائك وصيفك على يومك، حسب هم كل يوم بما فيه. يا معشر الحواريين. إن ابن آدم خلق في الدنيا على أربعة منازل، فهو في ثلاثة منها بالله واثق، وظنه بالله حَسن، وهو في الرابعة سيىء ظنه بربه يخاف خذلان الله إياه.

أما المنزلة الأولى؟ فإنه يخلق في بطن أمه خنقاً من بعد خلق، في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، يدر الله عليه رزقه في ظلمة البطن، فإذا خرج من البطن وقع في اللبن، لا يسعى إليه بقدم، ولا يتناوله بيده، ولا ينهض إليه بقوة بل يكره عليه، حتى يرتفع عن اللبن ويفطم، ويقع في المنزلة الثالثة بين أبوين يحنان عليه ، فإذا ماتا وتركاه يتيماً تعطف عليه الناس؟ يطعمه هذا ويكسوه هذا رحمة له، حتى إذا بلغ منزلته الرابعة واستوى خلقه واجتمع حتى انه لا يرزقه إلا الله، اجترأ على الله، وغدا على الناس يقاتلهم على الدنيا.

يا معشر الحواريين، اعتبروا بالطير، هل رأيتم طيراً قط يدخر، وكذلك البهائم والسباع، الحق أقول لكم أمسيتم في زمان أقوم، كلامهم كلام الأنبياء، وفعالهم فعال السفهاء، كلامهم دواء يبرىء الداء، وقلوبكم ما تقبل الدواء. قلوبكم تبكي من أعمالكم، أصبحت الدنيا عندكم بمنزلة العروس المجلية يعشقها كل من يراها، وهي بمنزلة الحية، لين لمسها، يقتل سمها.

يا معشر الحواريين، ليكن همكم من الدنيا أنفسكم تفوزوا بها، ولا تكن همَّكم بطونكم وفروجكم: تملأوها من الطعام وتضمروها من الحكمة، كلوا خبز الشعير، وملح الجريش، واخرجوا من الدنيا سالمين. واعلموا أن النظر إلى النساء سهم من سهام إبليس مسموم، وهو يزرع الشهوة في القلب، وان مثل الحكيم يعمل حكمته كمثل الشمس تضيء للخلائق ولا تحرق نفسها، وإن مثل الحكيم الذي لا يعمل بحكمته كمثل السراج يضيء لِمَنْ حوله، ويحرق نفسه.

يا معشر الحواريين، لا تضعوا البعوض عن شرابكم وسرطون الفيلة ، لا تنظروا في ذنوب الناس كالأرباب وانظروا في ذنوبكم

كالعبيد، ما الناس إلا كرجلين: مبتلى ومعافى، فارحموا صاحب البلاء، واحمدوا الله على العافية .يا بني إسرائيل، كونوا حكماء علماء، لا تضعوا الحكمة إلا عند أهلها ولا تكتموها أهلها، فإنكم إن تكلمتم بالحكمة عند غير أهلها جهلتم، وإن منعتموها أهلها فقد ظلمتموها وضيعتموها، فكونوا كالطبيب العالم الذي يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع، اعفوا عن الناس يعف الله عز وجل عنكم. يا بني إسرائيل، ما يغني عن البيت المظلم السراج على ظهره وباطنه مظلم، تخرجون الحكمة إلى الناس وتمسكون الغل في صدوركم. لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق ويمسك النخالة، كذلك الحكمة تخرج من أفواهكم وتبقي الغِل في صدوركم. إن الذي يخوضُ الماء لا بد أن يصيب ثوبه الماء، وكذلك مَنْ يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا. طوبى للمجتهدين بالليل ورعوا في مساجدهم العمل وسقوا زرعهم من الدموع عينهم حتى نبت وأدرك الحصاد ليوم فقرهم، فوجدوا عاقبة ذلك عند ربهم، ومَنْ يكن زرعه المر لا يحصد حُلواً. يا عبد الدنيا، ما أكثر الشجر وليس كله يثمر، وما أكثر العلماء وليس كلهم يعمل، إن الدابة ما لم تُرَضْ تُستصعب . يا عبيد الدنيا، إنكم لا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون، كنتم أمواتاً فأحياكم، وحين أحياكم متم، وحين كنتم ضلالا هداكم، وحين اهتديتم ضللتم. إن الزانية إذا حملت يفضحها حملها، وكذلك يفتضح بالعمل مَنْ كان يغر الناس بالقول الحسن ويقول ما لا يفعل.

ذكر الحوادث في زمان عيسى عليه السلام

منها إيمان الحواريين وهم اثنا عشر رجلاً اتبعوا عيسى عليه السلام ، وأهل الكتاب يجعلونهم رسلاً، ويسمونهم: فأولهم شمعون الصَّفا، ثم أندرواس أخوه ثم ربدى، ثم يوحنا أخوه ثم تولوس، ثم لوقا، ثم برتملى، ثم توما، ثم متى الماكس، ثم يعقوب بن خلفى، ثم شمعون العتاني، ثم مارقوش.

قال مؤلف الكتاب: وهؤلاء الذين سألوا عيسى عليه السلام نزول المائدة.

ومن الحوادث إيفاد عيسى رجلين من الحواريين إلى أنطاكية لإنذار أهلها: روى سعيد،، عن قتادة في قوله تعالى: "واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون" . قال: "ذكر لنا أن عيسى بن مريم عليه السلام بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية مدينة بالروم، فكذبوهما، فبعث ثالثاً". وإلى هذا المعنى ذهب ابن جريج.

وقد ذهب قوم منهم كعب، ووهب إلى، أن اللّه تعالى أرسلهم، والأول أثبت. ومن الجائز أن يضاف إرسالهم إلى الله وان كان عيسى قد أرسلهم لأنهم رسوله. واختلف العلماء في اسميهما على ثلاثة أقوال: أحدهما: صادق، وصدوق، قاله بن عباس، وكعب.

والثاني: يحنا، ويونس، قاله وهب.

والثالث: يومار، وبولس. قاله مقاتل. قال: واسم الثالث شمعون، وكان من الحوارين، وهو وصي عيسى عليه السلام.

قال كعب: كان بأنطاكية فرعون يقال له: أنطبجس، يعبد الأصنامٍ ، فبعثهم الله عز وجل إليهم فكذَبهم وأراد قتلهم، فبلغ ذلك حبيباً، وكان مجذوما فجاء يسعى ويقول: يا قوم اتبعوا المرسلين فقتلوه. قال ابن مسعود: ووطئوه بأرجلهم، فلما مضى إلي رحمة الله قال: يا ليت قومي يعلمون، وغضب الله عليهم لاستضعافهم إياه، فعجل الانتقام منهم، فصيح بهم فهلكوا. وقد قال أبو الحسين بن المنادي: حبيب النجار هو نبي أصحاب الرس المذكور في سورة الفرقان. قال مؤلف الكتاب : وفي هذا بُعد.

ومن الحوادث

لقاء عيسى عليه السلام إبليس لعنه الله

أنبأنا أبو بكر: محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا أبو الحسين بن المهتدي، عن أبي الحسين ابن أخي مهنى، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: أخبرنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين البرجلاني، قال: حدَّثني محمد بن بشر، قال: أخبرنا سعيد بن عصام، عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد ، قال: لقي عيسى بن مريم إبليس، فقال له: أسألك بالحي القيوم الذى جعل عليك اللعنة ما الذي يسيل جسمك ويقطع ظهرك؟ فضرب بنفسه الأرض ثم قام فقال: لولا أنك سألتني بالحي القيوم مما أخبرتك، أما الذي يقطع ظهري فصلاة الرجل في بيته نافلته، وفي الجماعة فرضه. وأما الذي يسيل جسمي فصهيل الخيل أو قال الفرس في سبيل الله عز وجل.

ومن الحوادث في زمانه قتل يحيى بن زكريا

وقد سبق ذكر ذلك، فإنه قتل وعيسى عليه السلام في الأرض.

ومن الحوادث في زمن عيسى عليه السلام

أن الأرض أجدبت فخرج يستسقي

أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري ، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا أبو الحسين بن سمعون، قال: حدَّثنا عثمان بن أحمد بن يزيد، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الجيلي، قال: حدَثنا محمد بن حاتم الطوسي، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الهروي، حدَثنا إسحاق بن إِبراهيم التغلبي ، قال: أخبرنا مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس ، قال: خرج عيسى بن مريم يستسقي بالناس، فأوحى الله عز وجل إليه: لا يستسقي معك خَطَّاء، فأخبرهم بذلك، فقال: مَنْ كان من أهل الخطايا فليعتزل. فاعتزل الناس كلهم إلا رجل مصاب بعينه اليمنى، فقال له عيسى: ما لك لا تعتزل؟ فقال: يا روح الله، ما عصيت الله طرفة عين، ولقد التفت بعيني هذه إلى قدم امرأة من غير أن كنت أردت النظر إليها فقلعتها، ولو نظرت إليها باليسرى لقلعتها. قال: فبكي عيسى حتى ابتلت لحيته بدموعه، ثم قال فادعُ، فأنت أحق بالدعاء مني، فإني معصوم بالوحي وأنت لم تعصم أو لم تعص، ، فتقدم الرجل فرفع يديه، وقال: اللهم إنك خلقتنا وقد علمت ما نعمل من قبل أن خلقتنا فلم يمنعك ذلك أن لا تخلقنا، فكما خلقتنا وتكفلت بأرزاقنا فارسل السماء علينا مدراراً فو الذي نفس عيسى بيده ما خرجت الكلمة تامةً من فيه حتى أرخت السماء عزاليها، وسقي الحاضر والبادي.

ومن الأحداث في زمان عيسى عليه السلام نزول المائدة

أخبرنا هبة بن محمد بن الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب: محمد بن غيلان، قال: أخبرنا أبو بكر: محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدَثنا أحمد بن يوسف، قال: أخبرنا بحر بن نصر، قال: أخبرنا عافية بن أيوب، عن سعيد بن عبد العزيز بن أبي عثمان المهدي، عن سلمان الفارسي ، قال: لما سأل الحواريون عيسى أن يترل الله تعالى لهم المائدة قام عيسى فألقى الصوف عنه ولبس الشعر والتحفه، ووضع يمينه على شماله ووضعهما على صدره،

وصف بين قدميه وألصق الكعب بالكعب والإبهام بالإبهام، وخفض رأسه خاشعاً، ثم أرسل عينه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته، وجعلت تقطر على صدره، وقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وأخرنا فيكون عطيةً منك لنا علامة منك وبيننا وبينك، وارزقنا عليها طعاماً نأكله. قال: فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة من فوقها، وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها تهوي منقضة في الهواء وعيسى يبكي ويقول: إلهي اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابَاَ. حتى استقرت بين يدي عيسى والناس حوله يجدون ريحاً طيبة لم يجدوا مثلها قط، فخر عيسى ساجداً لله عز وجل وخر الحواريون معه، فبلغ ذلك اليهود فأقبلوا ينظرون، فرأوا أمراً عجيباً، وإذا منديل مُغطى على السفرة، فجاء عيسى فجلس فقال: مَنْ أجرأنا و أوثقنا بنفسه وأحسننا بلاءً وأوثقنا عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى ننظر ونأكل؟ فقال الحواريون: أنت أولى بذلك يا روح الله وكلمته. قال: فتوضأ عيسى وضوءاً جديداً ودعا ربه دعاء كثيراً وبكى بكاء طويلاً، ثم قام حتى جلس عنده السفرة، فإذا سمكة ليس فيها شوك وقد رُصِّتْ حولها من البقول، وإذا عند رأسها خلٌ وعند ذنبها ملح وخمسة أرغفة، على كل واحد منها زيتون وخمسُ رمانات، فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله، أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة ؟ فقال عيسى: سبحان الله، أما تنتهون؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا. فقال شمعون: لا واللّه، إله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءاً قال عيسى: ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، إنما هو شيء ابتدعه الله عز وجل بالقدرة، فقال له: كن فكان، فكلوا ما سألتم واحمدوا عليه ربكم. فقالوا: يا روح اللّه، إن أريتنا اليوم آية من هذه السمكة، فقال: يا سمكة إحي بإذن الله تعالى. فاضطربت السمكة طرية، تدور عيناها تبصبص ، تلمظ بفيها كما يتلمظ السَبعُ. ثم قال: عودي كما كنت بإذن الله. فعادت مشوية في حالها. فقالوا: يا روح اللّه، كن أنت أول مَنْ يأكل منها، فقال: معاذ اللّه أن آكل منها، ولكن يأكل منها مَنْ سألها، فعرف الحواريون أن تكون، إنما أنزلت سخطة، فلم يأكلوا، فدعا لها عيسى أهل الفاقة، والزمانة والعميان، والمجذومين ، والبرص، والمقعدين، وأصحاب الماء الأصفر، والمجانين والمختلين، فقال: كلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم ليكون المهنأ لكم والبلاء و العقوبة، لغيركم. فصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل أو امرأة، كلهم شبعانٌ يتجشأ، وإذا ما عليها كهيئته حين نزلت من السماء. ورُفعت السفرة إلى السماء وهم ينظرون إليها، فاستغنى كل فقير أكل منها يومئذ، وبَرَأَ كل زمنٍ من زمانته، وندم الحواريون وسائر مَنْ أبى أن يأكل منها، فكانت إذا نزلت بعد ذلك أقبلوا إليها من كل مكان؟ الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والمرضى والأصحاء. فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوباً بينهمِ، وكانت تنزل يوماً ولا تنزل يوماً. فلبثت كذلك أربعين صباحاً تغيب يوماً وتنزل يوماَ يؤكل منها، حتى إذا فاء الفيء ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون إلى ظلها حتى توارى عنهم، فأوحى الله إلى عيسى: أن اجعل مائدتي رزقاً لليتامى والزمنى دون الأغنياء من الناس. فلما فعل ذلك بهم عظم على الأغنياء، وأذاعوا القبيح حتى شكُوا وشَكَّكُوا الناس، حتى قال قائلهم: يا روح الله، بحق أنها تنزل من عند الله؟ فقال عيسى،: ويحكم هلكتم، سترون العذاب إن لم يرحمكم الله تعالى.

فأوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام : إني آخذ بشرطي من المكذبين الذين اشترطت عليهم إني مُعذَب مَنْ كفر منهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. فمسخ الله تعالى منهم ثلاثة وثلاثين خنازير من ليلتهم، فأصبحوا يأكلون ما في الحشوش ويأتون إلى عيسى عليه السلام، فينظرون إليه وأعينهم تسيل دمعاً، فيقول عيسى: يا فلان يا فلان، قد كنت أخوفكم عذاب الله وعقوبته، وسأل ربه أن يُميتهم، فأماهم بعد ثلاثة أيام .

سبب رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

قال وهب بن منبه: أتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم، فقال عيسى عليه السلام: مَنْ يشتري نفسه منكم بالجنة. فقال رجل: أنا، فأخذوه فقتلوه.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن عيسى عليه السلام قال: أيكم يُلقى عليه شبهي فيُقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب فقال: أنا. فالقي عليه شبهه ورُفع عيسى، فقتلوه.

قال بعض العلماء: واسم هذا الرجل يسوع بن قديرا. وروى أبو صالح، عن ابن عباس: أن عيسى عليه السلام دخل خوخة، فدخل وراءه رجل من اليهود، فالقي عليه شبه عيسى، فقتلوه وصلبوه. قال وهب: رفع الله عيسى عليه السلام لثلاث ساعات من النهار، وكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فأصبح ملكياً إنسياً، سمائياً أرضياً.

وقال أبو الحسن بن البراء العبدي: رُفِعَ عيسى ليلة القمر وترك خفين ومدرعة، وحذافة يحذف بها الطير، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة وأشهراً. وقال سعيد بن المسيب: رَفَعَ اللّه عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وقال مؤلف الكتاب : وقد ذكرنا أنه أوحى الله عز وجل إليه بعد الثلاثين فبقي يوحى إليه ثلاث سنين، ثم انقطع الوحي بعده، ووقعت الفترة إلى أن بعث نبينا محمدا صلي الله عليه وسلم. وقد قيل: بل بعث بينهما أربعة من الرسل، ثلاثة منهم مذكورون في قوله تعالى: "إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث "3. والرابع: خالد بن سنان العبسي .وقد روينا عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه ذكر عيسى، فقال: "ليس بيني وبينه نبي .وظاهر هذا يمنع وجود نبي بينهما. ومن الممكن أن يتأول، فيقال: لا نبي يُغَير حكماً، فإنَّ عيسى أحل وحرم، ومَنْ بعث بعده دَعَى إلى دينه و لم يُغير. والله أعلم. قال علماء التاريخ: ومِن هبوط آدم عليه السلام إلى أن رُفع المسيح إلى السماء خمسة آلاف وخمسمائة واثنتان وثلاثون سنة .

ذكر حال عيسى عليه السلام عند نزوله من السماء

روى أبو هريرة، عن النبي صلي الله عليه وسلم، أنه ذكر عيسى، فقال: إنه نازل يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، ويقاتل الناس على الإسلام، فيُهلك الله تعالى في زمانه مسيح الضلالة الدجال الكذّاب، ويقع الأمن في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا يضرهم شيئاً، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المؤمنون ". وروى النواس بن سمعان، عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: يترل عيسى على المنارة البيضاء شرقي دمشق ".

وقال عبد الله بن سلاَّم: مكتوب في التوراة صفة محمد يُدفن معه عيسى ابن مريم عليهما السلام . أنبأنا أبو القاسم: هبة الله بن أحمد الحريري، عن أبي طالب: محمد بن علي بن الفتح العشاري، قال: أخبرنا أبو الحسين بن ميمي، قال: حدَّثنا أبو علي بن صفوان، قال: أخبرنا عبد الله بن عبيد الله بن مهدي، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن، قال: أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي، عن عبد الله بن زيد أبي عبد الرحمن الجيلي، عن عبد اللّه بن عمر ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلمَ: يترل عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأرض فيتزوج ويُولَد له، ويمكث خمساً وأربعين سنة، ثم يموت فيُدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحدٍ بين أبي بكر وعمر" .

ذكر حوادث مرت عقيب رفع عيسى عليه السلام

فمنها افتراق العقائد

روى أبو معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما رُفِعَ عيسى عليه السلام اجتمع من علماء بني إسرائيل مائة رجل، فقال بعضهم لبعض: أنتم كثير ونتخوف الفرقة ليخرج بعضكم. فأخرجوا عشرة عشرة حتى بقت عشرة، فقالوا: أنتم كثير، أخرجوا بعضكم فاخرجوا ستة وبقي أربعة، إليهم ينتهي علم بني إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى؟ فقال رجل منهم: أتعلمون أن أحداً يحيي الموتى إلا الله. قالوا: لا. قال: أتعلمون أن أحداً يعلم الغيب إلا اللّه. قالوا: لا، قال: أتعلمون أن أحداً يبرىء الأكمه والأبرص إلا الله؟ قالوا: لا. قال: فإنه هو اللّه كان في الأرض ما بدا له، ثم صعد إلى السماء حين بدا له. فقال الآخر: أنا لا أقول كما أقلت، قد عرفنا عيسى وعرفنا أمه، بل هو ولده .فقال الآخر: لا أقول كما، قلتما ، ولكن جاءت به أمه من عمل غير صالح. فقال الأخر: لا أقول كما تقولون، قد كان عيسى يخبركم أنه عبد الله وروح الله وكلمته ألقاها إلى مريم فقولوا كما قال لنفسه. فتفرقوا فخرج رجل منهم فسألوه: ما قلت؟ قال: قلت هو الله، فاتبعه عنق من الناس. ثم قالوا للآخر: ما قلت؟ قال: قلت هو ولده، فاتبعه عنق من الناس، ثم خرج الثالث فقالوا: ما قلت؟ قال: قلت جاءت به أمه من عمل غير صالح، فاتبعه عنق من الناس، ثم خرج الآخر، فقالوا: ما قلت. قال: قلت هو عبد اللّه وروح الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، فاتبعه عنق من الناس. وروى شيبان، عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما رُفع عيسى عليه السلام انتخب أربعة من فقهائهم فقالوا للأول: ما تقول في عيسى. قال: هو الله أهبط إلى الأرض فخلق ما خلق وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء. فاتبعه على ذلك ناس، فكانت اليعقوبية من النصارى. فقالت الثلاثة الأخر: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو ابن اللّه. وتابعه على ذلك ناس، فكانت النسطورية من النصارى. فقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذبٌ ، فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فبايعه على ذلك ناس. فكانت الإسرائيلية من النصارى الذي يقال دين الملك. فقال الرابع: أشهد أنك كاذبٌ ، ولكنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحه. فاختصم القوم، فقال المرء المسلم: أنشدكم الله، أتعلمون أن عيسى كان يُطعَم الطعام؟ قالوا: نعم. قال: وهل تعلمون أنّ الله لا يُطْعَم الطعام؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم الله أتعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: نعم، قال: فهل تعلمون أن الله عز وجل لا ينام؟ قالوا: نعم. قال: فخصمهم .ومن الأحداث بعد رفع عيسى ابن مريم عليهما السلام وفاة مريم عليها السلام: فإنها بقيت بعد رفعه ست سنين، وكان جميع عمرها نيفاً وخمسين سنة.

ذكر حوادث حرب الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام قال ابن إسحاق: لما قصدت اليهود عيسى عليه السلام فصلبوا الذي شبه به عدوأ على الحواريين فشمسّوهم وعذبوهم وطافوا بهمِ، فسمع بذلك ملك الروم- وكانوا تحت يده، وكان صاحب وثن فقيل له: ان رجلاَ كان في هؤلاء الناس الذين تحت يديك من بني إسرائيل عدواْ عليه فقتلوه، وكان يخبرهم أنه رسول اللّه، قد أراهم العجائب، وأحيا لهم الموتى، وأبرأ لهم الأسقام، وأخبرهم بالغيوب. قال: ويحكم فما منعكم أن تذكروا هذا لي، فو اللّه لو علمت فما خلّيتُ بينهم وبينه. ثم بعث فانتزع الحواريين من أيديهم، وسألهم عن دين عيسى وأمْرِه، فأخبروه خبره، فبايعهم على دينهم،

وأخذ الخشبة التي صُلِب عليها فأكرمها وصانها لما مسها منه. وقَتَل في بني إسرائيل قتلى كثيرة، فمن هنالك كان أصلُ النصرانية في الروم .

قال وهب بن منبه: اجتمع الحواريون بعد رفع عيسى، فقالوا: نريد أن نخرج دعاة في الأرض، وكان ممن توجه إلى الروم: نسطور، وصاحبان له. فأما نسطور فحبسته حاجة، فقال لصاحبيه: أرفقا ولا تحرقا ولا تستبطئاني. فلما قدما الكورة، إذا قوم في يوم عيدهم، وقد برز ملكهم وأهل مملكته، فأتاه الرجلان فقاما بين يديه فقالا له: اتق الله، فإنكم تعملون بالمعاصي وتنتهكون حرم اللّه. فغضب الملك وهمَّ بقتلهما، فقام إليه نفر من أهل مملكته، فقالوا: إن هذا يوم لا تهريق فيه دماء، وقد ظفرت بصاحبيك، فإن أحببت أن تحبسهما حتى يمضي عيدنا ثم ترى فيهما رأيك فعلت. فأمر بحبسهما، ثم ضرب على أذنه بالنسيان لهما حتى قدم نسطور، فسأل عنهما فأخبر بشأنهما وأنهما محبوسان في السجن، فدخل عليهما، فقال: ألم أقل لكما أرفقا، ولا تحرقا، ولا تستبطئاني فهل تدريان ما مثلكما؟ أمثلكما مثل امرأة لم تُصِبْ واحداً حتى دخلت في السن، فأصابت بعدما دخلت في السن ولداً، فأحبت أن يعجل شبابه حتى يكبر، فحملت على معدته ما لا يطيق فقتلته. ثم قال لهما: والان فلا تستبطئاني حتى آتي إلى باب الملك. فأتاه وقد جلس للناس، وكانوا إذا ابتُلوا بحرام وبحلال رفعوه إلى الملك، فنظر فيه ثم سأل عنه ما يليه، وسأل الناس بعضهم بعضاً حتى ينتهي إلى أقصى المجلس. فجلس نسطور في أقصى المجلس، فلما ردوا على الملك جواب من أجابه، وردوا عليه جواب نسطور، فسمع بشيء عليه نور، وحلا في مسامعه، فقال: مَنْ صاحب هذا القول. قالوا: الرجل الذي في أقصى المجلس، قال: علي به. فلما جاءه قال: أنت القائل كذا. قال: نعم، قال: فما تقول في كذا وكذا؟ فجعل لا يسأله عن شيء إلا فسَّره له، فقال له الملك: عندك هذا العلم وأنت تجلس في آخر القوم، ضعوا له عند سريري مجلساً. ثم قال له: إن أتاك ابني فلا تقم له. ثم أقبل على نسطور وترك الناس، فلما عرف أن مترلته قد ثبتت، قال: لأروزنَه. فقال: أيها الملك، أنا رجل بعيد الدار فإن أحببت أن تقضي حاجتك مني فأذن لي فأنصرف إلى أهلي، فقال: يا نسطور، ما إلى ذلك سبيل فإن أردت أن تحمل أهلك إلينا فلك المواساة، وإن أحببت أن،. تأخذ من بيت المال حاجتك فتبعث به إلى أهلك فعلت. فسكت نسطور. ثم تخير يوماً مات لهم فيه ميت، فقال: أيها الملك، بلغني أن رجلين أتياك يعيبان عليك دينك. قال: فذكرهما، فأرسل إليهما، فقال: يا نسطور، أنت حكم بيني وبينهما لا ما قلت من شيء رضيتُ به، قال: نعم، أيها الملك، هذا ميت قد مات في بني إسرائيل فمرهما يدعوان ربهما فيحييه لهما، ففي ذلك آية بيِّنة. قال: فأتي بالميت فوضع عنده، وقاما وتوضآ ودعوا ربهما فردَّ عليه روحه وتكلم، فقال: أيها الملك إن، في هذا لأية بينة، ولكن مُرهما بغير ذلك، اجمع أهل مملكتك، ثم قل لآلهتك، فإن كنت تقدر على أن تضر بهما فليس أمرهما بشيء، وإن كانا يقدران على أن يضرا آلهتلك فأمرهما قوي. فجمع الملك أهل مملكته، ودخل البهو الذي فيه الآلهة، فخر ساجداً هو ومَنْ معه من أهل مملكته، وخر نسطور ساجداً، وقال: اللهم إني أسجد لك وأكيد هذه الآلهة أن تعبد منْ دونك، ثم رفع الملك رأسه وقال: إن هذين يريدان أن يُبَدِّلا دينكم، ويدعوا إلى إله غيركم فافقأوا أعينهم، أو جدَعوهما. فلم ترد عليه الآلهة شيئاً، فقام نسطور وأمر صاحبيه أن يحملا معهما فأسآ، فقال: أيها الملك، قل لهذين: أتقدران على أن تضرا آلهتي فقال لهما: أتقدران على أن تضرا آلهتنا؟ قالا: خل بيننا وبينهم. ففعل، فأقبلا عليها فكسراها فقال نسطور: أما أنا فقد آمنت برب هذين. وقال الملك: وأنا فقد آمنت برب هذين. وقال جميع الناس: آمنا برب هذين، فقال نسطور لصاحبيه: هكذا الرفق.

ذكر ما يتعلق باليونانيين وأهل الشام

قال مؤلف الكتاب : وَثَبَتْ اليهود بالمسيح والرئاسة ببيت المقدس حينئذٍ لقيصر، والملك على بيت المقدس من قِبَل قيصر هيردوس، ثم مات هيردوس فولى مكانه ابنه أركلاوس، ثم مات فولى مكانه هيردوس الصغير الذي صُلِبَ شبهُ المسيح في ولايته. وكانت الرئاسة في ذلك الوقت لملوك اليونانية والروم، فكان هيردوس وابنه من قِبَلهم، إلا أنهم كانوا يُسمُّون بالملك، وكان الملوك الكبار يسمون بقيصر، وكان ملك بيتَ المقدس في وقتَ الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوسطوس دون القضاء. وكان القضاء لرجل رومي يقال له فيلاطوس من قِبَل قيصر ، وكان مُلك طبناروس ثلاثاً وعشرين سنة، منها إلى وقت رفع عيسى، المسيح ثماني عشرة سنة وأيام، ومنها بعد ذلك خمس سنين، فصار مُلك الشام بعده إلى ابنه جايوس فملك أربع سنين. ثم ملك بعده ابن له آخر يقال له: قلوديوس أربع عشرة سنة.

ثم ملك بعده نيرون الذي قتل فطرس وبولس أربع عشرة سنة. ثم ملك بعده بوطلايوس أربعة أشهر. ثم ملك بعده اسفسيانوس عشر سنين .وبمضي ثلاث سنين من ملكه، وتمام أربعين سنة من وقت رفع عيسى عليه السلام، وجه اسفسيانوس ابنه ططورس إلى بيت المقدس حتى هدَمه، وقتل من قتل من بني إسرائيل غضباً للمسيح. ثم ملك ططورس بعد أبيه سنتين . أثم ملك بعده دومطيانوس ست عشرة سنة، ثم ملك بعده باذاوس ست سنين.

ثم من بعده طرطياوس تسع عشرة سنة.

ثم من بعده هدريانوس إحدى وعشرين سنة.

ثم من بعده ططورس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة.

ثم من بعده مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة.

ثم من بعده قوذوموس ثلاث عشرة سنة.

ثم من بعده فرطناجوس ستة أشهر.

ثم من بعده سبروس أربع عشرة سنة.

ثم من بعده أنطينايوس أربع سنين.

ثم بعده مرقيانوس ست سنين.

ثم بعده أنطنيانوس أربع سنين، .

ثم الحندروس ثلاث عشرة سنة.

قال مؤلف الكتاب : ثم تملك بعده أربعون رجلا واحداً بعد واحدٍ أسماؤهم من هذا الجنس فلا طائل في الإطالة بذكرها. ثم ملك بعد الأربعين رجلا هرقل الذي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة. فمن وقت عمارة بيت المقدس بعد تخريب بخت نصّرُ له إلى زمان هجرة نبينا ألف سنة ونيف. فمن تملك الإسكندر اليوناني إلى الهجرة تسعمائة ونيف وعشرون سنة من ذلك

من وقت ظهوره إلى مولد عيسى عليه السلام ثلاثمائة وثلاث سنين، ومن مولده إلى وقت رفعه ثلاث وثلاثون سنة، ومن وقت رفعه إلى زمان الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر، وكان قتل يحيى بن زكريا في عهد أردشير بن بابك لثماني سنين خلت من ملكه .

ذكر الأحداث المتعلقة بالعرب

قال مؤلف الكتاب : لما مات بخت نصّر انضمّ الذين اسكنوا الحيرة من العرب إلى أهل الأنبار، وبقِي الحيرة خراباً ، فغبَروُا بذلك زمانًا طويلا، لا يطلع عليهم أحد من العرب، وفي الأنبار أهلها ومَنْ انضَم إليهم من أهل الحيرة ومن قبائل العرب من بني إسماعيل ومن معدّ بن عدنان وكثروا وملأوا بلادهم من تِهامة وما يليها، ثم فرقتهم حروبٌ وقعت بينهم، وأحداث حدثت فيهم، فخرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من بلاد اليمن والمشارق ونزل بعضهم البحرين، وكان بها جماعة من الأزْد كانوا نزلوها في زمان عمران بن عمرو، مزيقيا. ومزيقيا لقب عمرو، وإنما لُقِّب مزيقيا لأنه كان يتخذ كل يوم حُلتين مِن حُلل الملوك، فإذا أمسى مزقهما واستبدل بهما من الغد أخريين لأنه لم يكن يرى أحداً أهلاً أن يلبس ثيابه. وهو ابن عامر ويلقب عامر: ماء السماء بن حارثة" وهو الغِطْريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب، فتحالفوا على، التُّنُوخ وهو المقام وتعاقدوا على التوازر، والتناصر، فَضَمَّهم اسم تَنُوخ. فدعا مالك بن زهير جَذيمَة الأبرش بن مالك بن فهم أن يقيم معه، فأقام فزوَجه أخته لميس ابنة زهير. وكان هذا كله في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر، وفرّق البلدان بينهم عند قتله دارا أبن دارا ملك فارس، إلى أن ظهر أردشير بن بابك مَلك فارس على ملوك الطوائف، وقهرهم ودَان له الناس، وضبط له، الملك. وإنما سُمُوا ملوك الطوائف لأن كل ملك منهم كان ملكه قليلاً من الأرض.

فتطلعتْ أنفسُ مَنْ كان بالبحرين من العرب إلى رِيف العراق، وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه، أو مشاركتهم فيه، فانقسموا فخرج كل رئيس من العرب بمن معه على قوم. ولم يزالوا كذلك لا يدينون للأعاجم ولا. تدين لهم الأعاجم إلى أن قدم الأنبار تبع وهو أسعد أبو كَرِب بن مليكرب في جيوشه، فخلَّف بها مَنْ لم يكن فيه قوة للقتال ، وخرج للغزو.
ونزل كثير من تَنوخ الأنبارَ والحيرة، وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغربيه في الأبنية والمظال، لا يسكنون بيوت المدَر . وكانوا يسمَون: عرب الضاحية، فكان أول مَنْ ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فَهْم، وكان منزله فيما يلي الأنبار. ثم مات مالك ، فملك بعده أخوه عمرو بن فهم، ثم هلك فملك بعده جَذيمة بنت الأبرش أبن مالك، بن فَهْم بن غَنم بن دَوْس الأزديّ ، وكان من قبل أردشير بن بابك . وكان من أفضل ملوك العرب رأياً، وأشدهم نكاية، وأبعدهم غوراً ، وهو أوَّل من استجمع له الملك بأرض العراق، وضمَّ إليه العرب، وكان به بَرَص، فكَنَت العرب عنه إعظاماً له. فقيل: جَذيمة الوضاح، وجَذيمة الأبرش وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقةَ، وهِيت وناحيتها، ، وعين التَمْر، وأطراف البر. وكان لا ينادم أحداً كبراً، بل ينادم الفرقدين، فإذا شربَ قدحاً صب لها قدحاً. وكانت تُجْبَى إليه الأموال وتفد عليه الوفود، فخرج إلى غزو طسمْ وجَديس، فأصاب حسان بن تبع قد أغار على طسمْ وجديس، فانكفأ جذيمة راجعاً بمَنْ معه . وكانت فيهم الزرقاء، واسمها: اليمامة، وبها سُفَي بلدها: اليمامة، وهي من بنات لقمان بن عاد، وقيل: هي من جديس وطسم.

فلما قصدهم جيش حسان بن تبع بقي بينه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام، فأبصرتهم وقد حمل كل رجل منهم شجرة يسير بها، فقالت: "تالله ، لقد دب الشجر أو حِمْير قد أخذت شيئاً تجر. فلم يصدقوها، فقالت: لا أقسم باللّه لقد أرى رجلًا منهم ينهش كتفاً أو يخصف نعلا!، فلم يستعدوا.

فصبّحهم حسان فاجتاحهم، فأخذها فشق عينيها ، وإذا فيها عروق من الأثمد .

قال مؤلف الكتاب : وبنظر هذه المرأة يُضْرَبُ المَثَل. وكانت زرقاء اليمامة قد نظرت إلى سرب من حمام طائر ، فإذا فيه، ست وستون حمامة، وعندها حمامة واحدة، فقالت:

ليت الحمام ليه إلى حمحامتيه

ونصفه قديه ثم الحمام ميه

فقال النابغة يخاطب النعمان ويقول :

واحكم كحكم فتاة الحي إذا نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد

أراد : كن حكماً.

وكان جَذيمة قد تنبأ وتكهن، واتخذ صنمين يقال: لهما: الضيزنان ومكانهما بالحيرة معروف وكان يستسقي بهما ويستنصرهما على العدوّ. وكانت إيادٌ بعيْن أباغ، وأباغ رجل من العماليق نزل بتلك العين، فكان يغازيهم، فَذُكِر لجذيمة غلام من لَخم في أخواله من إياد، يقال له: عدي بن نصر بن ربيعة، له جمالٌ وظرف، فغزاهم جذيمة، فبعث إياد قوماً منهم فسقوا سَدنَة الصنمين الخمر، وسرقوهما، فأصبحا في إياد، فبعث إلى جذيمة: إن صنميْك أصبحا فينا زهدأ فيك ورغبة فينا فإن أوثقت لنا ألاَّ تغزونَا رددناهما إليك.

فقال: وعدي بن نصر تدفعونه إلي مع الصَّنَمَيْن، فدفعوه إليه مع الصنميْن، فانصرف عنهم، وضم عدياً إلى نفسه وولاه شرابه. فأبصرته رَقاش بنت مالك، أخت جذَيمة، فعشقته وراسلته وقالت: يا علي، اخطبني إلى الملك فإن لك حسباً وموضعاً. فقال: لا أجترىء على كلامه في ذلك، ولا أطمع إن يزوجنيك. قالت: فإذا جلس على شرابه وحضر ندماؤه فَاسْقه صِرْفاً، واسق القوم مِزَاجاً، فإذا أخذت الخمر منه فاخطبني إليه، فإنه لن يَرُدَك ولن يمتنع منك، فإذا زوجك فأشهد القوم. ففعل الفتى ما أمرته، فلما أخذت الخمر مأخَذها، خطبها إليه فأملكه إياها، فأعرس بها من ليلته، وأصبح مضرجاً بالخَلوق. فقال له جَذِيمة: ما هذه الآثار يا عدي؟ قال: آثار العُرس، قال: أي عرس. قال: عُرس رَقاش قال: منْ زوجكها ؟ قال: الملك. فضرب جَذيمة بيده على جبهته وأكب على الأرض ندامة وتلهفاً، وخرج عدي على وجهه هارباً فلم يُرَله أثر، و لم يُسْمع له بذكر، وأرسل إليها جذيمة فقال:

حَدَثيني وأنْتِ لا تكذبيني أبِحُر زَنَيْتِ أمْ بهَجِين!

أمْ بِعَبْد فَأنْتِ أهْلٌ لِعَبْدٍ أمْ بِدُون فَأنْت أهْل لِدُونِ

فقالت: لا ، بل أنت زوجتَني أمرأ عربياً، معروفاً حسيباً، و لم تستأمِرْني في نفسي، و لم أكن مالكةً لأمري. فكف عنها وعرف عذرَها. ورجع عديً بن نصر إلى أياد، فكان فيهم، فخرج ذات يوم مع فتية متصيدين، فرمى به فتىً منهم بين جبلين فمات.

واشتملت رَقاش على حمل، فولدت غلاماً سفَته عمرو، حتى إذا ترعرع عطرته وأليسته وحلته، وأزارته خاله جذيمة، فلما رآه أعجب به وأحبه. وكان مع ولده، فخرج جذيمة متبدياً بأهله وولده في سنة ذات خصب، فضرب لهم أبنية في رَوْضة ذات زهرة وغدُر ، وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمْأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها، وإذا أصابها عمرو خبأها في حجزته ، فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول :

هَذَا جنَايَ وَخيَارُهُ فيهِ ... إذْ كُل جَانٍ يده إلَى فِيهِ

فضمه إليه جَذيمَة والتزمه وسُر بقوله وفعله، وأمر فجعل له حلي من فضة وطوْف من فضة. فكان أوَّل عربي البس طوقاَ، فكان يسمَّى عمرو ذا الطوق، . فبينما هو على أحسن حاله استطاره الجن فاستهوته، ، فضرب جذيمة في الآفاق فلم يقدر عليه. وأقبل رجلان أخوان من بَلْقيْن بهدايا يريدان جذيمة يقال لهما: مالك وعقيل فترلا ببعض الطريق مترلًا ومعهما قَيْنة لهما يقال لها: أمّ عمرو، فقَدّمت إليهما طعاماً، فبينما هما يأكلان أقبل فتيَّ عَريان شاحب، قد تلبد شَعْره وطالت أظفاره وساءت حاله، فجاء حتى جلس حَجْرَة منهما، فمد يده إليهما يريد الطعام، فناولتْه القينة كُراعاً فأكلها ثم مد يده إليها، فقالت:، تعطي العبد كُراعاً فيطمع في الذراع . فذهبت مثلاً ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها فأوكَتْ زِقَها ، فقال عمرو بن عدي:

صَدَدْتِ الكأسَ عَنَا أمَّ عَمْرٍو ... وَكَانَ الكَأسُ مَجْرَاهَا اليَمِينا

وَمَا شرُّ الثلاثة أمَ عَمْرٍ و ... بِصَاحِبِكِ الذي لا تصحبينا

فقال مالك وعقيل: مَنْ أنت يا فتى؟. فقال: أنا عمرو بن عدي.

فنهضا إليه فضمَاه وغسلا رأسه، وقلَما أظفاره، وأخذا من شعره وألبساه مما كان معهما من الثياب، وقالا: ما كنا لنهدي لجذيمَة هدَّية هي أنفس عنده، ولا أحب إليه من ابن أخته، وقد ردَه الله عليه بنا. فخرَجا به إلى جذيمة بالحيرة، فسُر بذلك سروراً شديداً، وأرسل به إلى أمه فمكث عندها أياماً ثم أعادته إليه، فقال: لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوْق، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة. فأعادوا عليه الطوْق، فلما نظر إليه قال: "شبَ عمرو عن الطوق "، فأرسلها مثلًا، وقال لمالك وعقيل: حُكْمَكُمَا، فقالا: حُكمنا منادمتك ما بقيا وبقيت، فهما نَدْمانا جَذيمة اللذان ذكرا في أشعار العرب. وفي ذلك يقول أبو خراش الهذلي الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما ملتْ كَبيشَةُ طَلْعَتِي ... وَإنَ ثَوَائي عِنْدَهَا لَقَلَيل

ألَمْ تَعْلَمِي أنْ قَد تْفَرقَ قبْلَنَا ... نَديما صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقَيل

وقال مُتمم بن نوْيرة :

وَكُنَّا كَنَدْمَانيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَهر حَتَّى قِيلَ لَنْ يتصَدَعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأنِّي وَمَالِكاً ... لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نبِتْ لَيْلَةً معاَ

وكان ملك العرب بأرض الجزيوة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب وقيل : ظريف بن حسّان بن أذينة بن السَّمَيْدَع بن هوبر العليقميّ . فجمع جذيمة جموعه من العرب، فسار إليه يريد غزاته فالتقوا فاقتتلوا قتالًا شديداً، فقتل عمرو بن ظَرب وفضت جموعه، وانصرف جذيمة بمن معه سالمين غانمين. فملكتَ من بعد عمرو ابنته الزباء، واسمها: نائلة، وكان جنود الزباء بقايا من العماليق،

والعارية الأولى من قبائل قضاعة، وكان للزباء أخت يقال لها: زبيبة، فبنت لها قصراً حسناً على شاطىء الفرات الغربي، وكانت تَشْتُو عند أختها، وتَرْبع ببطن النجار، وتصير إلى تَدمُر. فلما أن استجمع لها أمرها واستحكم لها مُلْكها، أجمعت لغزو جَذيمة الأبرش تطالب بثأر أبيها، فقالت لها أختها زبيبة وكانت على الشام والجزيرة من قبل الروم، وكانت ذات رأي ودهاء: يا زباء إنّك إن غزوْت جَذيمة فإنما هو يوم له ما بعده، إن ظفرت أصبت ثأرك، وإن قتلت ذهب مُلْكُك ، والحرب سِجاك ، وعثراتها لا تقال ، وإنَ كَعْبَك لم يزل سامياً على من ناوأكِ وساماك، و لم تري بُؤْساً ولا غِيَراً ، ولا تدرين لمن تكون العاقبة ولا على من تكون الدائرة فقالت لها الزباء: قد أديت النصيحة، وأحسنت الروية، وإن الرأي ما رأيت، والمقول ما قلت. فانصرفت عما كانت أجمعت عليه من غزو جذيمة، وأتت أمرها من وجه الخداع والمكر. فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها، وأن يصل بلاده ببلادها، وكان فيما كتبت إليه: أنها لم تجد مُلْك النساء ألا قبح في السماع، وضعف السلطان، وقلة ضبط المملكة، وإنها لم تجد لملكها موضعاً ولا لنفسها كفْئاً غيره، فاجمع مُلْكي إلى مُلْكك، وصِلْ بلادي ببلادك، وتقلّدْ أمري مع أمرك. فلما انتهى كتاب الزّباء إلى جُذيمة استخفه ما دعتْه إليه، ورغب فيما أطمعته فيه، وجمع إليه أهلَ الحجى، والنُّهى، من ثقات أصحابه، وهو بالبَقَة من شاطىء الفرات، فعرض عليهم ما دعته إليه الزّباء، واستشارهم، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها، واستشارهم على ملكها، وكان فيهم رجل يقال له: قصير بن سعد بن عمرو، وكان سعد قد تزوج أمَةً لجذيمة، فولدت له قصيراً، وكان حازماً مقدماً عند جَذيمة، فخالفهم فيما أشاروا به، وقال: "رأي فاتر، وعدو حاضر". فذهبت مثلَاَ .

وقال لجذيمة: اكتب إليها، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك، وإلا لم تمكّنْها من نفسك و لم تقع في حبالها، وقد قتلت أباها. فلم يوافق جَذيمة ما أشار به عليه قصير، وقال له: لا إنك أمرؤ رأيك في الكِن لا فِي الضح ". فذهبت مثلاً. ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي فاستشاره، فشجعه على السير. فاستخلف عمرو، وسار في وجوه أصحابه، فلما نزل رحبة طوق دعا قصيراً، فقال: ويحك ما الرأي. قال له: "ببقة تركت الرأيَ "، فذهبت مثلاً. و استقبلته رُسُل الزّباء بالهدايا والألطاف، فقال: أيا قصير، ، كيف ترى. قال: خَطَرٌ يسيرٌ في خَطْب كبير". فذهبت مثلاً. وقال له قصير: ستلْقاكَ الخيول، فإن سارتْ أمامك فالمرأة صادقة، وإن أحاطت بك فالقوم غادرون، فاركب العصا وكانت فرساً لجذيمة لا تجارَى فإنِّي راكبُها ومسايرك أعليها، .فلقيته الخيول فحالت بينه وبين العصا، فركبها قصير مولياً، فقال: "ويل أمّه حزماً على ظهر العصا فذهبت مثلاَ. فجرت به إلى غروب الشمس ثم نَفَقَت وقد قطعت أرضاً بعيدة، فبنى عليها بُرْجاً يقال له: برج العصا. ودخل جذَيمة على الزّباء فقتلته ، ورجع قصير إلى عمرو بن عديّ، فقال: تهيأ ولا تُطِلّ دمَ خالك. قال: لا وكيف لي بها وهي أمنع من عُقاب الجو". فذهبت مثلاً. وكانت الزّباء سألت كاهنةً لها عنْ ملكها وأمرها، فقالت: أرى هلاكَكِ بسبب غلام مهين، وهو عمرو بن عدي، ولكن حتفك بيدك، ومن قبلَه يكون ذلك. فحذِرَت من عمرو، وأخذت نَفَقاً من مَجْلسها الذي كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها، وقالت: إن فجَأني أمر دخلت النفق إلى حصني. ودعت رجلاً مُصوَراً؟ فجهزته وقالت له : سِرْ حَتى تقم على عمرو بن عدي متنكراً، فتخلوَ بحشمه وتخالطهم، ثم أثبتْ عمرو بن عدي معرفةً فصوره جالساً وقائماً، وراكباً ومتفضلًا ، ومتسلّحاً بهيئته وثيابه، فإذا أحكمتَ ذلك فأقبل إلي.

فانطلق وصنع ما أمرته به، وأرادت أن تعرِف عمرو بن عديّ فلا تراه على حال إلآ

عرفتْه وحذِرته وعلمت علمَه. فقال قصير لعمرو بن عدي: أجْدَعْ أنفي واضرب ظهري، ودعْني وإياها فقال عمرو: ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحق مني. فقال قصير: دخَل عنّي إِذاً وخلاك ذمٌّ ". فذهبت مثلًا. وقال ابن الكلبيّ: كان أبوها اتّخذ لها النفق

ولأختها، وكان الحصن لأختها في داخل مدينتها، قال: فقال له عمرو: فأنت أبصر، فجدَعَ أنفه وضرب ظهره فقالت العرب: لمكر ما جدع قصيرٌ أنفه ". وفي ذلك يقول المتلمس:

وَمِنْ حَذَرِ الأَوْتَارِ مَا جَزّ أَنْفَه | قَصيرِ وَخَاضَ المَوْتَ بِالسيْفِ بيهس

ثم خرج قصيرٌ كأنه هارب، وأظهر أن عمراً فعل به ذلك، وأنه يزعم أنه مَكَر بخاله جذيمة، وغرّه من الزّباء. فسار قصير حتى قدم عليها، فتسبب في قتلها .وقال مؤلف الكتاب: وقد رويت لنا هذه القصة على خلاف هذا، وأن جَذيمة طرد الزباء ثم طلب أن يتزوجها، ونحن نوردها لتعلم قدر الاختلاف. أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا علي بن الحسين بن موسى العلوي، قال: حدَثنا أبو محمد: سهل بن أحمد الديباجي، قال: أخبرنا قاسم بن جعفر السراج، قال: أخبرنا يعقوب بن الناقد، قال: أخبرنا أحمد بن عمرو بن الفرج، قال: أخبرنا أبي، عن يونس بن حبيب النحوي. قال الديباجي: وحدَثنا القاضي أبو محمد: عبد الله بن أحمد الربعي، قال: حدَّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، قال: حدَثنا ابن محمد الكلبي، عن أبيه ، قال: كان جذيمة بن مالك ملكاً على الحيرة وعلى ما حولها من السواد ملك ستين سنة وكان به وضح، وكان شديد السلطان، قد خافته العرب، وهيبه العدو، فتهيبت العرب أن يقولوا الأبرص، فقالوا: الأبرش. فغزا مليح بن البراء، وكان ملكاً على الحُضْرِ ، وهو الحاجز بين الروم والفرس. وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قوله:

وَأخو الحَضْرَ إذْ بَنَاهُ وَإذْ دج | لَةُ تُجْبَى إليهِ والخَابُورُ

فقتله جذيمة، وطرد الزْباء إلى الشام، فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان، حسنة البيان، شديدة السلطان، كبيرة الهمة. قال ابن الكلبي: ولم تكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها: فارعة، وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها، فسميت الزّباء.

قال ابن الكلبي: فبُعث عيسى ابن مريم بعد قتل أبيها، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال، وبذلت الأموال، وعادت إلى ديار أبيها ومملكته، فأزالت جذيمة الأبرش عنها، وابتنت على عراقي الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات وغربيه، وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات، فكان إذا رهقها عدو أوت إليه وتحصَّنت به، وكانت قد اعتزلت الرجال، فهي عذراء بتول، وكان بينها وبين جذيمة مهادنة، فحدث جذيمة نَفْسُهُ بخطبتها، فجمع خاصته فشاورهم في ذلك، وكان له ابن عم يقال له: قصير بن سعد، وكان عاقلاً لبيباَ، وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته، فسكت القوم وتكلم قصير فقال: أبيت اللعن أيها الملك، إن الزّباء امرأة قد حرمت الرجال، فهى عذراء بتول، لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثأر، والدم لا ينام، وإنما تاركتك وهنةً وحذاراً من بطشك، والحقد دفين في سويداء القلب، له كُمُون ككمون النَّار في الحجر، إن أقدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك في بنات الأكفاء متسع، ولهن فيه مقنع، وقد رفع اللّه قدرك عن الطمع في مَنْ دونك وعظم شأنك، فما أحد فوقك.

فقال جذيمة: يا قصير، الرأي ما رأيته، والحزم فيما قلته، ولكن، النفس تواقة، وإلى ما تحب وتهوى مشتاقة، ولكل امرءٍ قَدَرٌ لا مفر منه ولا وزر. فوجه إليها خاطباً، وقال: إئت الزباء فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه. فجاءها خطيبه، فلما سمعت كلامه وعرفت مُراده، قالت له: أنعم بك عيناً وبما جئت به وله . وأظهرت له السرور به، والرغبة فيه، وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه، وقالت: قد كنت، أضربت عن هذا الأمر خوفاً أن لا أجد كفؤاً، والملك فوق قدري، وأنا دون قدره، وقد أجبتَ إلى ما سأل، ورغبت فيما

قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسِرْت إليه، ونزلت عليه . وأهدت له هدية سنية، فساقت العبيد، والإماء، والكراع، والسلاح، والأموال، والإبل، والغنم، وحملت من الثياب والعين والورق.

فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب، وأبهجه ما رأى من الفُطف، فظن أن ذلك بحصول رغبة، فأعجبته نفسه، وسار من فوره في مَنْ يثق به من خاصته وأهل مملكته، وفيهم قصير خازنه. واستخلف على ملكه ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي، وهو أول ملوك الحيرة من لخم، ، وكان ملكه عشرين ومائة سنة، وهو الذي اختطفته الجنّ وهو صبي وردته وقد شب وكبر، فقالت أمه: ألبسوه الطوق، فقال خاله جذيمة: "شب عمرو عن الطوق . فذهبت مثلاً.

وسار إلى الزباء، فلما صار معه نزل فتصيد وأكل وشرب، واستغنى بالمشورة والرأي من أصحابه، فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد، فقال: أيها الملك، كل عزم لا يؤيد بحزم فإلى اخرما يكون كون فلا يثق به خرف قول لا محصول له، ولا يُعقد الرأي بالهوى فيفسد، ولا الحزم بالُمنى فينفذ، والرأي عندي للملك أن يعقب أمره بالتثبت، ويأخذ حفره بالتيقظ، ولولا أن الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزماً بتاً أن لا يفعل. فأقبل جذيمة على الجماعة فقال: ما عندكم أنتم في هذا الأمر؟ فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبة الملك في ذلك وصَوَبُوا رأيه، وقوُوا عزمه، فقال جذيمة: الرأي مع الجماعة، والصواب ما رأيتم، فقال قصير: أرى القدر سابق بالحذر فلا يطاع لقصير أمر". فأرسلها مثلًا. وسار جذيمة فلما قرب من ديار الزباء نزل فأرسل إليها يعلمها بمجيئه، فرحبت به، وأظهرت السرور والرغبة به، وأمرت أن تحمل إليه الأموال والعلو، فأتت وقالت لجندها، وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها: تلقوا سيدكم وملك دولتكم. وعاد الرسول إليه بالجواب بما رأى وسمع، فلما أراد جذيمة أن يسير، دعا قصيراً، فقال: أنت على رأيك؟ قال: نعم وقد زادت بصيرتي فيه، أفأنت على عزمك. قال: نعم وقد زادت، رغبتي فيه. فقال قصير: ليس للأمور بصاحب مَنْ لم ينظر في العواقب، "قد ستدرك الأمر قبل، فوته، وفى يد الملك بقية هو بها متسلط على استدراك الصواب، فإن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان، وعزة ومكان، فإنك قد نزعت يدك من سلطانك، وفارقت عشيرتك ومكانك، وألقيتها في يدي مَن لَستُ آمنُ عليك مَكْرَه ُوغدره، فإن كنت ولا بد فاعلًا، ولهواك تابعاً، فإن القوم أن يلقوك غداً فِرقاً وساروا أمامك، وجاء قوم وذهب قوم فالأمر بعد في يدك، والرأيِ فيه إليك، فإن تلقوك زردقاً واحداً، وقاموا لك صَفَين حتى إذا توسطتهم انقضُّوا عليك من كل جانب فأحدقوا بك فقد ملكوك وصرت في قبضتهم، وهذه العصا لا تسبق غبارها وكانت لجذيمة فرسٌ تسبق الطير، وتجاري الرياح يقال لها: عصا- فإذا كان كذلك فتجلل ظهرها، فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها، فسمع جذيمة كلامه، ولم يَرُدً جواباً، وسار.

وكانت الزّباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها: إذا أقبل جذيمة غداً، فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين من عن يمينه ومن عن شماله، فإذا توسط جمعكم فتفوضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به، وإياكم أن يفوتكم. وسار جذيمة وقصيرٌ عن يمينه، فلما لقيه القوم زَرْدَقَاَ واحداً قاموا له صفين، فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب انقضاض الأجدل على فريسته ، فأحدقوا به وعلم أنهم قد ملكوه، وكان قصير يسايره، فأقبل عليه، وقال: صدقت يا قصير. فقال قصير: أيها الملك، لا أبطأت بالجواب حتى فات الصواب ". فأرسلت مثلًا.

فقال: كيف الرأي الآن؟ فقال: هذه العصا فدونكها، لعلها تنجو بك أو قال: تنجو بها وهو الأصح فأنف جذيمة من ذلك، وسارت

به الجيوش، فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأسر وأيقن بالقتل جمع نفسه، فصار على ظهر العصا وأعطاها عنانها وزجرها، فذهبت به تهوى هوَي الريح ، فنظر إليه جذيمة وهي تتطاول به. وأشرفت الزباء من قصرها، فقالت: ما أحسنك من عروس تُجلَى عليَ وتزف إليَ. حتى دخلوا أبه، على الزّباء و لم يكن معها في قصرها إلا جوارٍ أبكار أتراب، وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة، كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي، وهي بينهن كأنها قمر قد حُفَتْ به النجوم تزهر، وأمرت بالأنطاع فبُسطَتْ، وقالت لوصيفاتها: خفوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن. فأخذن بيده، فأجلسنه على الأنطاع بحيث تراه ويراها، أو تسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري فقطعن دواهيه، ووضعت الطشت تحت يده، فجعلت دماؤه تشخب في الطشت، فقطرت قطرة في النطع، فقالت لجواريها: لا تضيّعوا دم الملك، فقال جَذيمة: لا يُحزنك دم أراقة أهله. فلما مات قالت: واللّه ما وفى دمك ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض. ثم أمرت به فدفن. وكان جذيمة قد استخلف على مملكته ابن أخته: عمرو بن عديّ، وكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر، ويقتفي الأثر من خاله، فخرج ذات يوم ينظر إلى فارس قد أقبل، تهوي به فرسه هَوَي الريح، فقال: أما الفرس ففرس جذيمة، وأما الراكب فكالبهيمة لأمر ما جاءت العصا، فأشرف عليهم قصير، فقالوا: ما وراءك. قال: سعى القدر بالملك إلي، حتفه رغم أنفي وأنفه فاطلب بثأرك من الزباء، فقال عمرو: وأي ثأر يطب من الزباء وهي أمنع من عقاب الجو، فقال قصير: قد علمت نصحي كيف كان لخالك، وكان الأجل رائده، وإني والله لا أنام عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس، أو أدرك به ثأر أو تخرم نفسي فاعذر. ثم أنه عمد إلى أنفه فجدعه، ثم لحق بالزْباء هارباً من عمرو بن عدي، فقيل لها: هذا قصير ابن عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد جاءك، فأذنت له، فقالت: الذي جاء بك يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر، فقال: يا ابنة الملوك العظام لقد أتيت فيما يأتي مثلك في مثله، لقد كان دم الملك يطلبه حتى أدركه، وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو بن عدي، فإنه اتهمني بخاله وبمشورتي عليه في المسير إليك، ، فجدع أنفي، وأخذ مالي، وحال بيني وبين عيالي، وتهددني بالقتل وإني خشيت على نفسي فهربت منه إليك، وأنا مستجيربك، ومستند إلى كهف عزك. فقالت: أهلًا وسهلًا، لك حق الجوار ودية المستجير. وأمرت به فأنزل وأجريت له الأنزال، ووصلته وكسته، وأخدمته وزادت في إكرامه، فأقام مدة لا يكلمها، تكلمه، وهو يطلب الحيلة عليها، وموضع الفرصة منها، وكانت متمنعة بقصر مشيد علي باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها .فقال لها قصير يوماً، إن لي بالعراق مالَاَ كثيرا وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، فإن أذِنْتِ لي بالخروج إلى العراق، وأعطيتني شيئاً أتعلل به في التجارة وأجعله سبباً إلى الوصول إلى مالي أتيتك بما قدرت عليه من ذلك. فأعطته مالاً بعدما أذنت له بالخروج، فقدم العراق وبلاد كسرى، فأطرفها وألطفها وسرّها، وبنت له عندها مترلَاَ، وعاد إلى العراق ثانية، فقدم بأكثر من ذلك طرفاً من الجواهر ، والبز، والخز، والقز، والديباج، فازداد مكانه عندها ، وازدادت مترلته عندها، ورغبتها فيه، و لم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات، والطريق إليه. ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من الأوليين طرائف ولطائف، فبلغ مكانه أمنها، وموضعه عندها إلى أن كانت تستعين به في مهمِّها وملمِّها، فاسترسلت إليه وعوَلت عليه في أمورها كلها . وكان قصير رجل حسن العقل والوجه، حصيفاً أديباً لبيباً، فقالت له يوما: أريد أن أغزو البلد الفلاني من أرض الشام، فاخرج إلى العراق فأتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب فقال قصير: ولي في بلاد عمرو بن عديّ ألفُ بعير وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا، وما يعلم عمرو بن عديّ بها، ولو علم لأخذها واستعان بها على حربك، وكنت أتربص به المنون وأنا أخرج متنكراً من حيث لا يعلم فآتيك بها مع الذي سألت. فأعطته من المال ما أراد، وقالت: يا قصير، الملك يحسن بمثلك وعلى يد مثلك يصلح

أمره، ولقد بلغني أن أمر جذيمة كان إيراده وإصداره إليك، وما تقصر يدك عن شيء تناله يدي، ولا يقعد بك حالٌ تنهض بي.
فسمع كلامها رجل من خاصة قومها، فقال: أسد خادر وليث زائر، قد تحفز للوثبة. ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها، قال: الآن طاب المصاع. وخرج من عندها، فأتى عمرو بن عدي وقال: أصبت الفرصة من الزباء فانهض فعجل الوثبة، فقال له عمرو: قُلْ يُسمع ، ومُرْ أفعل، فأنت طبيب هذه القرحة، فقال: الرجال والأموال. فقال: حُكمك فيما عندنا مسلط. فعمد إلى ألفي رجل من فُتاك قومه وصناديد أهل مملكته، فحملهم على ألف بعير في الغرائر السود، وألبسهم السلاح والسيوف والحجف ، وأنزلهم في الغرائر، وجعل رؤوس، المسوح من أسافلها مربوطة من داخل، وكان عمرو فيهم. وساق الخيل والعبيد والكراع والسلاح والإبل محملة.

فجاءها البشير فقال : قد جاء قصير. ولما قرب من المدينة حمل الرجال في الغرائر متسلحين السيوف والحجف، وقال: إذا توسطت الإبل المدينة والأمارَةُ بيننا كذا وكذا فاخرطوا الربط. فلما قربت العير من مدينة الزباء في قصرها فرأت الإبل تتهادى بأحمالها فارتابت منها ، وقد كان وشي بقصير إليها، وحذَرَتْ منه، فقالت للواشي به إليها، إن قصير اليوم مِنَا، وهو ربيب هذه النعمة، وصنيعة هذه الدولة، وإنما يبعثكم على، ذلك الحسد، وأن ليس فيكم مثله، فهالها ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها، من قول الواشي به إليها:

أري الجمال سَيْرُهَا وَئيدا	اجنْدَلًا يَحْمِلْنَ أم حَدِيداً
أمْ صرَفَانَاَ بَارِداً شَدِيدا	أمْ الرجَال فِي المسوح سُودا

ثم أقبلت على جواريها وقالت: أرى الموت الأحمر فِي الغرائر السوداً فذهبت مثلًا حتى إذا توسطت الإبل المدينة وتكاملت، ألغز إليهم الأمارة، فاخترطوا رؤوس الغرائر، فوقع إلى الأرض ألفا فراع بألفي باتر ونادوا : يا لثأر القتيل غدراً. وخرجت الزباء تمضي تريد النفق، فسبقها إليه قصير، فحال بينها وبينه، فلما رأت أن قد أحيط أبها، وملكت التقمت خاتماً في يدها تحت فصه سم ساعةٍ ، وقالت: "بيدي لا بيدك يا عمرو" فأدركها عمرو وقصير، فضرباها بالسيف حتى هلكت، وملكا مملكتها، واحتويا على مملكيها ونعمتها، وخط قصير على جذيمة قبراً، وضرب عليه فسطاطاً وكتب على قبره يقول :

ملكَ منع بالعساكر والقنا	والمشرفية عزة ما توصفُ
فَسَعت منيته إلى أعدائه	وهو المتوج والحسام المرهفُ

قال علماء السير : وصار الملك من بعد جَذيمة لابن أخته عمرو بن عديّ، وهو أوّلُ مَنْ اتخذ الحيرة منزلَاَ من ملوك العرب، وأول مَنْ مجده أهلُ الحيرة في كتبهم من ملوك العرب العراق، وإليه ينسبون وهم ملوك آل نصر. قالوا: عمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة، إلى أن عمرت الحيرة في زمن عمر و بن عدي. وعمرت الحيرة خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة إلى أن وضعت الكوفة، ونزلها أهل الإسلام، فلم يزل عمرو بن عديّ ملكاً إلى أن مات وهو ابن مائة وعشرين سنة. قيل: مائة وثماني عشرة سنة. ومن ذلك في زمن أردشير، لم ومن ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة. وفي زمن، ملوك فارس ثلاث وعشرون.
ومن ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرةَ أشهر. وفي زمن سابور بن أردشير ثماني سنين وشهران. وما زال عقب

عمرو بن عديّ بعده لهم الملك متصلاً على كل من بنواحي العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك واستكفائهم أمر من وليهم من العرب إلى أن قتل أبرواز بن هرمز النعمان بن المنذر، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم. والنعمان من أولاد نصر أيضاً، لأنه النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة. قال أبو جعفر الطبري : ما زال على ثغر العرب من قِبَل ملوك الفرس من آل ربيعة إلى أن ولي عمرو بن هند، ثم وليَ بعده أخوه قابوس بن المنذر، ثم ولي أربع سنين من ذلك في زمن أنوشِروان ثمانية أشهر، وفي زمن هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر، ثم ولي بعده السهْرَب، ثم ولي بعده المنذر أبو النعمان بن المنذر أربع سنين، ثم بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك في زمن هرمز سبع سنين وثمانية أشهر، وفي زمن أبرويزا أربع عشرة سنة، وأربعة أشهر، ثم ولي إياس بن قبيصةَ الطائي تسع سنين، ولسنةٍ وثمانية أشهر من ولايته بُعث رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم ، ثم استخلف ازادية الهمداني سبعة عشر سنة، ثم استخلف ولي المنذر بن النعمان بن المنذر ثمانية أشهر إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة، وكان آخر مَنْ بقي من آل نصر. فجميع ملوك آل نصر عشرون ملكاً، ملكوا خمس مائة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر.

فصل في سبب نزول ملوك آل نصر الحيرة

وكان سبب نزولهم الحيرة رؤيا رآها نصر بن ربيعة اللخمي ، وكان ملكه بين التبابعة. فرأى رؤيا هالته، فبعث في مملكته فلم يدع كاهناً ولا منجماً إلا جمَعه إليه، ثم قال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني، فأخبروني بتأويلها، فقالوا: اقصصها علينا، فقال: إنه لا يعرف تأويلها إلا مَنْ يعرفها قبل أن أخبره بها، قالوا: فإن كان الملك يريد ذلك فليبعث إلى سَطِيح، وَشِق، فإنه ليس أحد أعلم منهما. واسم سطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن. وشق بن صعب بن يشكر بن فهم. فبعث إليهما، فقدم سطيح قبل شق، و لم يكن في زمانهما مثلهما من الكهان، فقال له: يا سطيح، إني قد رأيت رؤيا هالتني فإن آصبتها أصبت تأويلها. فقال: رأيت جُمْجُمة خرجت من ظُلُمَة فوقعت بأرض ثهْمَة، فأكلتْ منها كلّ ذات جُمْجُمة. فقال الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح، فما عندك من تأويلها؟ قال: حِلف بما بين الحرتين من حنَش، ليهبطَن أرضَكم الحَبَش، فليملكُنَ ما بين أبْيَن إلى جُرَش. قال له الملك: وأبيكَ يا سطيح، إنَ هذا لغائظ مُوجعِ، فمتى هو كائن؟ في زماني أم بعده ؟ قال: لا بل بعده بحين، الحين من ستين إلى سبعين. قال: فهل يحوم ذلك من مُلكهم أو ينقطع. قال : لا بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين، ثم يخرجون منها هاربين. قال: ومَنْ يلي ذلك. قال: إرم ذي يَزَن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك أحد منهم باليمن. قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟ قال: لا بل ينقطع. قال: ومَنْ يقطعه؟ قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من العلي قال: وممَّن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال: وهل الدهر، يا سطيح من آخر؟ قال: نعم، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون. قال: أحق ما تخبرنا يا سطيح. فقال: نعم، والشفق والغسق والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق. فلفا فرغ قدم شِق فدعاه فقال: يا شِق إني قد رأيت رؤيا فأخبرني بها، قال: نعم، رأيت جُمجمة خرجت من ظلمَة فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نَسَمة، قال: صدقت، فما عندك من تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحَرتين من إنسان ليترلن أرضَكم السودان، فليغلِبُن على كل طَفْلة البنان ، وليَملكُن ما بين أبْيَن إلى نجران. فقال له الملك: وأبيك يا شِق، إن

هذا لغائظ فوجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟ قال بعدكم بزمان، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن، ويذيقهم منه أشد الهوان. قال: ومَنْ هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام من بيت في يزن. قال: فهل يدوم ملكه أم ينقطع. قال: بل ينقطع برسول يأتي بالحقّ وبالعدل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم يجْزى فيه الولاة، ويُجمع الناس للميقات. فوقع في نفسه أنّ ما قالا كائن من أمر الحبشة، فجهزَ بنِيه وبني أهل بيته إلى العراق، وكتب لهم إلى ملك من ملوك الفرس يقال له: سابور، فأسكنهم الحيرة، وما زالت الحيرة يسكنها الملوك .

فصل

قال مؤلف الكتاب : وقد روينا عن بعض ملوك الحيرة قصة مستطرفة يحسن ذكرها.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد اللّه بن إبراهيم الحيري، قالت: أخبرنا علي بن الحسن بن الفضل، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن خالد الكاتب، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهري، قال: حدَّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدَثني الزبير بن بكار، قال: حدَثني عمي مصعب بن عبد اللّه، عن الهيثم بن عدي، عن أبيه ، قال: كان المنصور أمير المؤمنين ضم الشرقي من قطامي إلى المهدي حين وضعه بالري، فأمره أن يأخذه بالحفظ لأيام العرب ومكارم أخلاقها ودراسة أخبارها وقراءة أشعارها، فقال له المهدي ذات ليلة: يا شرقي، مرح قلبي الليلة بشيء يلهيه، قال: نعم، أصلح اللّه الأمير، ذكروا أنه كان في ملوك الحيرة ملك له نديمان قد نزلا من قلبه متزلة نفيسة، وكانا لا يفارقانه في لهوه وبأسه، ويقظته ومنامه ، وكان ل يقطع أمراً دونهما، ولا يصدر إلا عن رأيهما، فغبر بذلك دهراً طويلًا. فبينما هو ذات ليلة في شغله ولهوه، إذ غلب عليه الشراب فأثر فيه تأثيراً أزال

عقله، فدعا بسيفه فانتضاه وشد عليهما فقتلهما، وغلبته عيناه فنام، فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بما كان منه، فأكب على الأرض عاضاً عليها تأسفاً عليهما وجزعاً لفراقهما، فامتنع من الطعام والشراب وتسلب عليهما ثم حلف ألا يشربَ شراباً يخرج عقله ما عاش، فواراهما وبنى على قبريهما الغرنين، وسَنَّ أن لا يمر بهما أحد من الملك فمَنْ دونه إلَّا سَجَد لهما.

قال: وكان إذا سَنَ الملك سُنَّة توارثوها وأحيوا ذكرها، وأوصى بها الآباء أعقابهم.

قال: فغبر الناس بذلك دهراً طويلَاَ لا يمر بقبرهما أحد صغيراً ولا كبيراً إلا سجد لهما، فصار ذلك سنة لازمةً، وأمراً كالشريعة والفريضة، وحكم في من أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم في خصلتين يجاب إليهما كائناً ما كانتا. قال: فمر يوماً قصَار ومعه كارة ثيابه، وفيها مدقته، فقال الموكلون بالقبر للقصار: اسجد فأبى أن يفعل، فقالوا: إنك مقتول إن لم تسجد، فأبى، فرُفع إلى الملك واخبر بقصته. فقال: ما منعك أن تسجد؟ فقال: قد سجدت، ولكن كذبوا عليٌ ، قالوا الباطل. قال الملك: فاحتكم في خصلتين فإنك مجاب إليهما وإني قاتلك، قال: ولا بد من قتلي بقول هؤلاء، قال: لا بد من ذلك، قال: فإني أحكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه، قال له الملك: يا جاهل، لو حكمت بما يجدي على مَنْ تخلف كان أصلح لهم. مَال: ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك.

فقال الملك لوزرائه: ما ترون فيما حكم به هذا الجاهل، قالوا: نرى أن هذه سنة أنت سننتها، وأنت تعلم ما في نقض السُنن من العار والبوار وعظيم الإثم، ومتى نَقَضْتَ سُنَّةً نُقضَتْ أخرى ثم أخرى، ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك، فتبطل السنن. قال: فاطلبوا لي القصار أن يحكم بما شاء يعفيني من هذه، فإني أجيبه إلى ذلك ولو بلغ شطر ملكي.

فطلبوا إليه، قال: ما أحكم إلا بضربة في رقبته، فلما رأى الملك ما عزم عليه القصار عقد له مجلساً عاماً، وأحضر القصار وأبدى مدقته فضرب بها عنق الملك ضربة أزاله عن موضعه، فخر الملك مغشيأ عليه، فأقام ستة أشهر عليلاً ، وبلغت به العلة حداً كان يجرع فيها الماء بالقُطن. فلما أفاق وتكلم، وطعم وشرب سأل عن القصار، فقيل له: إنه محبوس، فأمر إحضاره، وقال: قد بقيت لك خصلة فاحكم فيها فآني قاتلك لا محالة. فقال القصار: فإذا كان ولا بد فإني أحكم أن أضرب الجانب الآخر ضربة أخرى، فلما سمع الملك بذلك خر على وجهه من الجزع، وقال: ذَهَبَتْ والله إذاً نفسي. ثم قال للقصار: ويلك دع عنك ما لا ينفعك، فإنه لن ينفعك ما مضى فاحكم بغيره أنفذه لك كائناً ما كان، قال: ما راحتي إلا في ضربه أخرى. فقال الملك لرؤسائه ووزرائه: ما ترون. قالوا: تموت على السُنَّة، قال: ويلكم والله إنه إن ضرب الجانب الآخر لم أشرب الماء البارد أبداً، لأني أعلم بما قد مر بي. قالوا: فما عندنا حيلة.

فلما رأى ذلك وما قد أشرف عليه، قال للقصار: أخبرني، ألم أكن قد سمعتك يوم جاء بك الشَرَط أنك قد سجدت؟ قال: نعم. فوثب من مجلسه وقبَّل رأسه، وقال: أشهد أنك أصدق من أولئك، وأنهم كذبوا عليك. فانصرف راشداً، فحمل كارته ومضى. فضحك المهدي حتى فحص برجله، وقال: أحسنت والله، ووصله وبره.

ذكر ما كان من طسم وجديس

قال مؤلف الكتاب : كانوا في أيام ملوك الطوائف، وكان فناء جَدِيس على يد حسان بن تبع .

قال علماء السير: كان طسم وجديس من ساكني اليمامة، وهي إذ ذاك عن أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرأ، فيها من صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشامخة، وكان عليهم مَلِك من طسم، ظلوم غشوم، لا ينهاه شيء عن هواه، يقال له: عملوق.

وكان مما لقوا من ظلمه أنه أمَر بألا تُهْدَى بِكْر من جَدِيس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعَها ، فقال رجل من جديس يقال له الأسود بن غفار لرؤساء قومه: قد ترونَ ما نحن فيه من العار والذلّ الذي ينبغي للكلاب أن تعافه وتمتعض منه، فأطيعوني، فإني أدعوكم إلى عز الدهر ونفي الذل، قالوا: وما ذاك؟ قالا: إني صانع للملك وقومه طعاماً، فإذا جاءوا نهضنا إليهم بأسيافنا، فأنفرد به فأقتله، وليجهز كل رجل منكم على جليسه. فأجابوه إلى ذلك وأجمع رأيهم عليه، فأعد طعاماً، وأمر قومه فانتضوْا سيوفهم ودفنوها في الرمل، وقَال: إذا أتاكم القوم يرفلون في حللهم فخذوا سيوفهم ، ثم شدوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم، ثم اقتلوا الرؤساء؟ فإنكم إذا قتلتم الرؤساء لم تكن السفلة شيئَاَ. ففعلوا ذلك فأفنوهم، فهرب رجل من طَسْم يقال له: رياح بن مرة، حتى أتى حسان بن تبع فاستغاث به، فخرج حسان في حِمْير ، فلما كان من اليمامة على ثلاث، قال له رياح: أبيت اللعن إن لي أختاً متزوّجة في جَديس، يقال لها: اليمامة، ليس على وجه الأرض أبصرُ منها، إنها لتبصر الراكب من مسيرة ثلاث، وأنا أخاف أن تنذر القوم بك، فمرْ أصحابَك فليقلع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه، ويسير وهي في يده فأمرهم حسان بذلك ففعلوا، ثم سار، فنظرت اليمامة فأخبرت بحالهم– على ما تقدم– وصبحهم حسان فأبادهم وهدم قصورهم وحصونهم، وقتل اليمامة–وكانت فيما ذُكر أول من اكتحل بالاثمد .وحسان هذا يقال له: تبع بن تبع أبن، أسعد أبي كرب بن ملكيكرب بن تُبَّع، وهو أبو تبع الأصغر بن حسان، الذي يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة وكسى الكعبة شِعب المطابخ ، وإنما سُمي بهذا الاسم لنصبه المطابخ في ذلك الموضع

وإطعامه الناس وأن أجياداً إنما سمي أجياداً؟ لأن خيله كانت هناك، وأنه قدم يثرب، فنزل منزلاً يقال له: منزل الملك وقتل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكاية مَنْ شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار، وأنه وجه ابنه حسان إلى السند وسمرا ذا الجناح إلى خرسان، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين، فمر سمر بسمرْقَند، فأقام عليها حتى افتتحهما، وقتل مقاتلتها أو سبى، وحوى ما فيها، ونفذ إلى الصين، فوافى حَسّان بها. فمن أهل اليمن مَنْ يزعم أنهما ماتا هنالك، ومنهم مَنْ يزعم أنهما انصرفا إلى تُبع بالأموال والغنائم .

ذكر الأحداث المتعلقة بالفرس

قال مؤلف الكتاب : وقد ذكرنا أن الإسكندر اليوناني قتل دارا بن دارا الذي كان ملك الفرس بالعراق ملك أقليم بابل، ثم فرق الممالك بين ملوك الطوائف، وقد بينا أن معنى ملوك الطوائف: أن كل ملك يملك بناحية معروفة ولا يتعداها إلى غيرها، فأما السواد فإنها بقيت بعد هلاك الإسكندر في يد الروم أربعاً وخمسين سنة ، وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك وولده على السواد، وكانوا إنما يملكون سواد الكوفة ويتطرفون الجبال وناحية الأهواز وفارس إلى أن خرج رجل يقال له: أشك ، وهو ابن دارا الأكبر، وكان مولده ومنشأهُ بالري، فجمع جمعاً كبيراً، وسار يريد أنطيخس الرومي، فلقيه فقتل أنطيخس وغلب السواد، وصار في يد من الموصل إلى الري وأصبهان، فعظمه سائر ملوك الطوائف لنسبه وشرفه فيهم، وسمّوه ملكاً، أهدوا إليه ثم ملك بعده جوذرز بن أشكان ، ويقال: ابن سابور، وقيل: هو الذي غزا

بني إسرائيل في المرة الثانية، سُلط عليهم لقتلهم يحيى بن زكريا، فأثخن فيهم و لم يعد لهم جماعة، ورفع الله منهم النبوة، وأنزل عليهم الذل. وكانت الروم قد أقبلت إلى بلاد فارس لطلب ثأر أنطيخش ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو أردوان ، فكتب إلى ملوك

الطوائف يعلمهم قصد الروم إلى بلادهم فأمدوه، فاجتمع عنده أربعمائة ألف، فولى عليهم ملكا من ملوك الطوائف يلي ما بين انقطاع السواد إلى الحيرة، فسار بهم حتى لقي ملك الروم فقتله، واستباح عسكره، وذلك هو الذي هيج الروم على بناء قسطنطينية، ونقل الملك من رومية إليها، وكان الذي ولي إنشاءها قسطنطين الملك، وهو أول ملك من ملوك الروم تنصَّر، وهو الذي أجلى من بقي من إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتلهم عيسى، وأخذ الخشبة التي زعموا أنهم صلبوا عليها عيسى عليه السلام ، فعظمها الروم وأدخلوها خزائنهم، فهي عندهم إلى الآن ، و لم يزل ملك فارس متفرقاً حتى ملك أرْدَشِير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهآ فريد بن ساسان الأكبر بن بَهْمَن بن إسْفَنْديار بن بشتاسب بن لُهْراسب فنهض بفارس طالباً بزعمه دم ابن عمه دارا بن دارا بن بهمن الذي حارب الإسكندر حتى قتله حاجباه ، ومُريداً بزعمه ردَ المُلك إلى أهله الذي لم يزل عليه سلفه وتم آباؤه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف، وكان مولده بأصطخر، وكان جده ساسان شجاعاً بلغ من شجاعته أنه حارب وحده ثمانين رجلاً من أهل أصطخر ذوي نجدة فهزمهم، وكان ساسان قَيِّمآ على بيت نار أصطخر، فوُلِد له بابك، فلما احْتَنَك قام بأمر الناس بعده ابنه، ثم وُلد له أردشير فملك وفتك بجماعة من الملوك، وفتح البلدان، وسُمي: شَاهَنْشَاه، وبنى الجوسق، وبنى المدينة التي في شرقيّ المدائن، ومدينة غربية، وأقام بالمدائن، وكان قد حلف لا يستبقي أحداً من ملوك الطوائف، أوجب ذلك على عقبه، فوجد جارية في دار المملكة فأعجبته، وكانت بنت أردوان الملك وهو من ملوك الطوائف، واسمها: سورا، فقال لها وهو لا يعلم أنها ابنة أردوان: أبكْرٌ أنت أم ثيب. فقالت: بكْرة فواقعها واتخذها لنفسه، فعلقَتْ منه، فلما علمت أنَّها حامل عرفته نسبهاَ فنفر طبعه عنها، ودعى شيخاً مُسناً وسلمها إليه وقال: أودعها بطن الأرض، ولما أخذها الشيخ أعلمته أنها حامل من الملك أردشير فجعلها في سرب وقطع

مذاكيره وجعلها في حُقّ وسلم الحُقّ إلى أردشير وسأله أن يختم عليه بخاتمه، ويكون في بعض خزائنه ففعل ووضعت الجارية غلاماً، فأخذ الشيخ طالعه فعلم أنه سيملك فسمَّاه سابور ، فلما نشأ دخل الشيخ على الملك فراه حزيناً فقال: ما لك أيها الملك؟ فقال: لي هذا المُلك وما ليَ ولد. فقال: أيها الملك انظر إلى الحُقُّ الذي كنت سألتك وضعه في بعض الخزائن. فأحضره وفتحه فلما أبصر ما فيه حدثه الشيخ حديث الجارية وولدها، فاستدعاه مع ألف صبي من أقرانه فلعبوا بالصوالجة وهو ينظر إليهم، فدخلت الكرة إيوان الصك، فأحجم الكل عنها، ودخل سابور وحده فأخذها، فعلم أردشير أنه ولده فعقد له التاج ورسمه بالملك من بعده، وتوَجه بتاجه في حياته، و لم يزل أردشير محمود السير والأثر، ذاكٍ رأيه، وأثخن في الأرض، وكان معدوداً من الحكماء . نبأنا عبد الوهاب بن المبارك بإسناد له عن أحمد بن يحيى السفدي قال: سمعت محمد بن سلام يقول: كان مما حُفظ عنه أنه قال يوماً لوزرائه وخاصته بحسبكم، دلالة على فضيلة العلم أنه يمدح بكل لسان وبحسبكم دلالة على عيب الجهل أن كل الناس ينتفي منه ويغضب أن يُسمى به. وكتب أردشير إلى الملوك كتاباً فيه: من ملك الملوك أردشير بن بابك إلى مَنْ يخْلُفُهُ بعده من ملوك فارس، أما بعد: فإن صنيع الملوك على غير صنيع الرعية، فالملك يطبعه العز والأمن والسرور والقدرة والجرأة والعبث والبطر، ثم كل ما ازداد في العمر تنفساً وفي الملك سلامة في هذه الطبائع حتى يسلمه إلى سُكر الشراب فينسى النكبات والعثرات والعبر والدوائر فيرسل يده ولسانه بالفعل والقول، وقد قال الأولون منا: عند حسن الظن بالأيام تحدث العبر. وقد كان من الملوك من تذْكرهُ غَرة الذل، وأمْنُهُ الخوف، وسروره الكابة، وقدرته العجز. وقد قال الأولون منا: رشاد الوالي خير للرعية من خصب الزمان، واعلموا أن الملك والدين أخوان توأمان، لا قَوامَ لأحدهما إلا بصاحبه لأن الدين أس المُلك وعماده،

والملك يُعد حارس الدين، فلا بد للملك من أسِه، ولا بد للدين من حارسه، فإن ما لا حارس له ضائع، وما لا أس له مهموم، واعلموا إنما سلطانكم على أجساد الرعية، وأنه لا سلطان للملوك على القلوب وفي سكر الملك بالسلطان ما يكفيه من سكر الشراب، ، واعلموا أنه ليس للملك أن يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه، وليس له أن يغضب لأن الغضب والعداوة لقاح الشر والندامة، وليس له أن يلعب لأن اللعب من عمل الفراغ، وليس له أن يحسد إلا ملوك الأمم على حًسن التدبير، واعلموا أنه لكل ملك بطانة، ولكل رجل من بطانته بطانة، ثم لكل امرء من بطانة البطانة بطانة حتى يجمع في ذلك أهل المملكة، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب أقام كل آمر منهم بطانته على ذلك، حتى يجتمع على الصلاح عامةُ الرعية، واعلموا أن الملك قد تهون عليه العيوب لأنه لا يستقل بها حتى يرى الناس يتكاتمونها، وهذا من الأبواب الداعية إلى طاعة الهوى، فاحذروا إفشاء السر عند صغار أهاليكم وخدمكم ، واعلموا أن الملك ورعيته جميعاً يحق عليهم أن لا يكون للفراغ عندهم موضع، فإن التضييع في فراغ الملك، وفساد المملكة في فراغ الرعية.

فصل

فلما هلك أردشير قام بملك فارس بعده ابنه سابور

فقسم الأموال، وبان فضل سيرته وغزا البلدان، فكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها: الحضر، وبها رجل يقال له: الساطرون، وهو الذي يقول فيه أبو داوود الأبادي :

وَأرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلى مِنَ الحض ... رِ عَلَى رَب أَهْلِهِ الساطِرُونِ

والعرب تسميه: الضَّيْزن، فرحل سابور، وأقام على ذلك الحضر أربع سنين وتحصَّن الضَّيْزَن في الحصن، فلم يقدر عليه، فخرجت بنت الضَّيْزَن ويقال لها: النَّضِيرة إلى رَبَض المدينة، وكانت من أجمل نساء زمانها، وكان سابور من أجمل رجال زمانه، فرأته ورآها فعشقته وعشقها، فأرسلت إليه: ما تَجعل لي إن دَلَلْتُكَ على ما تَهْدم به سور هذه المدينة وتَقتل أبي؟ قال: أتزوجك، وأرفعُك على نسائي وأحظيك بنفسي عوهُنَ. قالت: عليك بحمامة وَرْقاء مُطَوَّقة، فاكتب في رجليها بحَيْض جارية بِكْرٍ زرقاء، ثم ارْسِلْها، فإنها تقع على حائط المدينة، فتتداعى المدينة، وكان ذلك طِلَّسْم المدينة لا يهدمُها إلَا هذا، ففعل وتداعت المدينة، ففتحها عَنْوة، وقتل الضَيْزَن، وأخرب المدينة، فاحتمل النَضِيرة فعرس بها بعين التَمْر، فذكر أنها لم تزل ليلتَها تَضوَرُ من خشونة فرشها، وهو من حرير محشوة بريش الطير، فالتُمس ما كان يُؤذيها، فإذا ورقة آسٍ ملتزمة بعكنْة من عكنَها قد أثرت فيها، وكان ينظَر إلى مُخّها من لين بشرتها، فقال لها سابور: ويحك، بأي شيء كان يغذوك أبوك. قالت: بالزُبْد والُمخ وشهد الأبكار من النحل وصفْو الخمر. فقال: أنا أحدثُ عهداً بك مِن أبيك. فأمر رجلًا فركب فرساً جموحاً، ثم عصب غدائرها بذنبه ثم أستركضها فقطعها قطعاً فذلك قول الشاعر:

أقْفَرَ الْحِصنْنُ مِنْ نَضيرَةَ فالمِر ... بَاعُ منْهَا فَجانبُ الثّرثارِ

وقال عدي بن زيد:

وَأخُو الحَضْرِ إذْ بَنَاهُ وَإذْ دِج ... لَةُ تُجْبى إليه والخابور

شَادهُ مَرْمَراً وجَلَلهُ كِ ... لساً فللطير في ذراهُ وُكُور

لم يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فبادَ ال ... مُلْكُ عَنْهُ فبابُهُ مَهْجُورُ

فلما احتضر سابور ملك ابنه هرمز، وكان ملكه ثلاثين سنة وقيل: إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر، فقام بالملك هرمز سنة وعشرة أيام . ثم قام بالملك ابنه بهرام بن هرمز وكان ذا حلم، وبر وحسن سيره، وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر. ثم قام بعده بهرام بن بهرام بن هرمز وكان أيضاً حسن السيرة، فبقي ثماني عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة. ثم ملك بعده بهرام بن بهرام بن هرمز، ولقب: بشاهنشاه. فبقي أربع سنين .ثم ملك بعده نَرسي بن بهرام، وهو أخو بهرام الثالث، فأحسن السيرة تسع سنين. ثم ملك هُرْمز بن نَرسي بن بهرام بن بهرام أبن بهرام، بن هرمز بن سابور بن أردشير، فسار بالعدل وعمارة البلاد ست سنين، وقيل: سبعة، وهلك ولا ولد له، وإنما كان له حمل ذكر له المنجمون أنه ذكر، وأنه يملك الأرض، فأوصى بالملك للحمل ومات. فوُضِع التاج على بطن الأم وكتب منه إلى ملوك الآفاق وهو جنين، وسمُوه سابور، وهو سابور ذو الأكتاف، ولا يُعرفُ أحد مَلَكَ وهو في بطن أمه سواه، فولد فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره في الآفاق، ووجهوا بذلك البرُد في الأطراف فشاع أن القوم لا ملكَ لهم، وإنما ينتظرون صبياً في المهد، فطمعت في ملكهم الترك والروم، وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس، وكانوا أحوج الناس إلى المعاش لسوءِ حالهم وسوءِ عيشهم، فسار منهم جمع عظيم في البحر، فوصلوا إلى رستاق فارس فغلبوا عليها وعلى حروثهم ومواشيهم ومكثوا كذلك حيناً لا يغزوهم أحد من فارس، حتى ترعرع سابور فأول ما عُرف من تدبيره أنه سمع ضجة الناس وقت

السحر، فسأل عن ذلك فقيل: الناس يزدحمون على جسر دجلة، فأمر باتخاذ جسر آخر ليكون أحد الجسرين للمقبلين والآخر للمدبرين، فاستبشر الناس بفطنته مع صغر سنه ولم يزل يظهر منه حسن التدبير إلى أن بلغ ست عشرة سنة فخرج في ألف مقاتل، فاوقع بالعرب فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وسار إلى بلاد عبد القيس، فأباد أهلها، ثم إلى اليمامة فقتل مَنْ وجد بها، ولم يمر بماء للعرب إلا عورَه ، ولا بعين إلا طَمَّها، واجتاز بيثرب ففعل مثل ذلك ، وقتل وأسر ورجع إلى العراق، وأمر بحفر نهر فوهته بهيت وأخرجه قريباً من القادسية ثم إلى كاظمة، ثم إلى البحر وجعل عليه مناظر وروابط ومسالح، وجعل في تلك المناظر الرجال والخيل، فكان مَنْ أراد من العرب أن يدخل إلى ملك فارس لقضاء حاجته أعرض نفسه على صاحب الحصن الذي يدخل منه فيثبت اسمه ويختم يده، فإذا قضى حاجته، لم يخرج إلا من الحصن الذي دخل منه، فيعرض نفسه على صاحب الحصن فيكسر الختم الذي على يده ويعلم على اسمه، ثم يخرج إلى البادية. فاستقامت بذلك مملكة فارس وحفظت من العرب، وسمى هذا النهر: الحاجز وهو العتيق، وجعل بإزاء ذلك النهر دهاقين فأقطعهم القطائع، وكانوا رداء لأهل الحصون، وكان إذا طرقهم طارق من العرب بالليل أوقدوا النار، وإن صبحهم نهاراً دخنوا، فيعلم أهل القرية بهذه العلامة ما حدث، يأتونهم.

ومن جملة ملك الحصون: حصن مهيب، ومنظرة بخطيرة، ومنظرة حديثة النورة، منظرة بالأنبار، ومنظرةَ بدير الجماجم، ومنظرة بالقادسية، وحصن بذي قار، وبنى الكرخ، وسجستان، ونيسابور. وقال ابن قتيبة: وهو الذي بنى الإيوان بالمدائن، والسوس، وغزا أرض الروم

فسبى سبياً كثيراً. وهادن قسطنطين ملك الروم، وكان قسطنطين أول مَنْ تَنصَر، وفرق ملكه بين ثلاث بنين ملوك كانوا له، فملَّكت الروم عليهم رجلَاَ من أهل بيت قسطنطين يقال له: لُلْيانوس، وكان يدين بملَة الروم التي كانت قبل ذلك، ويًسرُّ ذلك ويُظهِر النَّصرانية. قبل أن يملك، فلما ملك أظهر ملّة الروم، وأمرهم بإحيائها، وأمر بهدم البِيعَ، وقتل الأساقفة وأحبار النصارى، وجمع جموعاً من الروم والخزر، ومَنْ كان في مملكته من العرب، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس. فانتهزت العرب بذلك الفُرصة من الانتقام من سابور لأجل ما فتك بالعرب، وقتل منهم، فاجتمع في عسكر لليانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألفاً فوجههم مع رجل من بطارقة الروم، بعثه على مقدمته يسمَى: يوسانوس، وسار لُلْيانوس حتى نزل بلاد فارس، فلما بلغ الخبر إلى سابور هاله ذلك، ووجَّه عيوناً تأتيه بخبرهم، فاختلفتْ أقوال العيون، فتنكَّر سابور، وسار في أناس من ثِقاته ليعاينَ عسكرَهم، فلما قرب من عسكر يوسانوس صاحب مقدمة لليانوس، وجه رهطاً إلى عسكر يوسانوس ممَّنْ كان معه ليأتوه بالخبر على حقيقته، فنذرت بهم الرُّوم فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس، فلم يقِر أحد منهم بالأمر الذي توجَّهوا له، إلا رجل واحد فإنه أخبر بالقصة على وجهها، وبمكان سابور، وقال: وجه معي جنداً، حتى أدفع إليهم سابور، فأرسل يوسانوس إلى سابور رجلًا مِنْ بطانته ينذره، فارتحل سابور من الموضع الذي كان فيه إلى عسكره. ثم تقدمت العرب فحاربت سابور، ففضُّوا جموعه، وقتلوا مقتلةً عظيمة، وهرب سابور فيمَنْ بقي من جنده، واحتوى لليانوس على مدينة سابور ، وظفر ببيوت أمواله، وكتب سابور إلى مَنْ بالآفاق من جنوده يُعلمهم بما لقيَ، ويأمرهم أن يقدموا عليه، فاجتمعت إليه الجيوش، فانصرف فحارب لليانوس، فاستنقذ منهم محلته وكان لليانوس يوماً جالساً فأصابه سهم غَرْبٌ فقتله، فتحير جنوده وسألوا يوسانوس أن يتملك عليهم فأبى وقال: أنا على مِلَة النصرانية، والرؤساء يخالفون في الملة. فأخبرتْه الروم أنَهم على مَلّتِه، وإنما كانوا يكتمون ذلك لمخافة لليانوس، فملَكوه عليهم، وأظهروا النَصرانيَّة.

فلما عَلِمَ سابور بهلاك لليانوس أرسل إلى قوَّاد جنود الروم أن سرحوا إلينا رئيساً منكم، فأتاه يوسانوس في ثمانين رجلاً، فتَلقّاه

وعانقه شكراً لما كان منه في أمره، وأرسل سابور إلى قوّاد جند الروم: إنكم لو ملكتم غير يوسانوس لجرى هلاككم، وإنما تمليكه سبب نجاتكم. وقويَ أمر يوسانوس، ثم قال: إنَ الروم قتلوا بشراً كثيراً من بلادنا، وخَربوا عمرانها، فإمَّا أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا، وإما أن يعوّضونا من ذلك نَصيبين من بلاد فارس. وإنما غلب عليها الروم، فدفعوا إليه نصيبين، فبلغ أهلَهَا فخرجوا عنها لعلمهم مخالفة سابور لدينهم، فنقل سابور اثني عشر ألف بيت من أهل إصْطخر وأصبَهان وغيرها إلى نصيبين، وانصرف يوسانوس إلى مملكة الروم، فبقي زمناً يسيراً ثم هلك. وإنَ سابور ضَرِيَ بقتل العرب، ونزع أكتاف رؤسائهم، وكان ذلك سبب تسميتهم إياه: ذا الأكتاف.

وذكر بعضُ العلماء بالأخبار أنَ سابور لما أثخَن في العرب وأجلاهم عن نواحي فارس والبحرين واليمامة ذهب إلى الشام والروم، وأعلم أصحابه أنه عزم على دخول الروم ليبحث عن أسرارهم، فدخل وبلَغه أنَّ قيصر أوْلَم وجمع الناس، فانطلَقَ سابور على هيئة السؤَّال، حتى شهد ذلك الجمع لينظر إلى قيصر، ففُطِن له واخذ، وأمر به قيصر فادرِج في جلد ثور، ثم سار بجنُوده إلى أرض فارس، ومعه سابور على تلك الحالة، فأكثر من القتل وخراب القرى حتى انتهى إلى مدينة جُنْدَيْ سابور، وقد تحصَن أهلُها، فنصب المجانيق ، وهدم بعضها، فبينما هم كذلك ذاتَ يوم إذ غفل الروم الموكَّلون بحراسةِ سابور، وكان بقربه قوم من سَبْي الأهواز، فأمرهم أن يُلقوا على القد الذي كان عليه زيتاً، ففَعلوا فلان الجلد، فانسل منه، فلم يزل يدبّ حتى دنا من باب المدينة، وأخبر حُراسها باسمه، فلما دخلها ارتفعت أصوات أهلها بالحمد، فانتبه أصحابُ قيصر بأصواتهم، وجمع سابور مَنْ كان في المدينة وعبأهم، وخرج، إلى الروم سَحَراً، فقتلهم وخرج وأخذ قيصر أسيراً ، وغنم أمواله ونساءه، وأثقله بالحديد، وأخذه بعمارة ما أخرب، ثم قطع عقبه، وبعث به إلى الروم على حمار. ثم أقام سابور حيناً، ثم غزا الروم، فقتل وسَبى، ثم استصلح العرب، وأسكن بعضهم للأهواز وكَرْمان وبقي في مملكته اثنتين وسبعين سنة.

فصل وفي زمن سابور ظهر ماني الزنديق

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي: كان ماني أسقفاً من أساقفة النصارى، كبيراً فيهم، محمود السيرة عندهم، وكان في أيام سابور في الأكتاف ملك فارس، فزنا، فسقطت مرتبته في النصرانية، وكان مطارنة زمانه يحسدونه، فلما ظهر منه ما ظهر وجدوا السبيل إلى ما أرادوا فيه فأسقطوا مرتبته، وكان عالماً فيهم بالديانات المتقدمة، عارفاً باختلاف الناس فيها، فلما رأى حاله وما آل إليه أمره أخذ في الرد على أصحابه وقال: إني لم أزن ، ولكن أهل الدير حسدوني وأنكروا مخالفتي في أهل دينهم، إذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتي ويأخذون شرائعهم عن ابن مريم رسول الشيطان . ثم وضع كتباً إذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتي فابتدأ بالطعن على أصحاب الشرائع، ومال إلى شريعة المجوس القائلين بالهين الذين اعتقدوا أن إبراهيم وموسى وعيسى كانوا رُسل الظلماني، فبنى ماني على أصلهم، وشيد مقالتهم، وقالوا: إنا نرى الأشياء متضادة، والحيوان معادناً ، فلو كانت هذه الأشياء من فعال حكيم لم تتضاد، فلا بد أن يكون من اثنين متضادين ليس إلا النور والظلمة.

وشرع لأصحابه شرائع بواقعاته الباردة، وعمل لسابور كتابَاَ سماه بالشابرمَان " شرح فيه مذهبه، فهمَّ سابور بالميل إليه فشق ذلك على المؤايدة، فقالوا لسابور: إنه يقول إنك شيطان، وإذا شئت فسله عن يدك هذه مَنْ خلق. فسأله فقال: من خلق الشيطان، فشق

ذلك على سابور فقال: أصلبوه. فصُلِب فقام على خشبته فقال مسبحاً مهللاً: أنت أيها المعبود النوراني، بلَغت ما أمرتني به، وهاك عادهم فيّ، وأنت الحليم، وها أنا مار إليك، وما أذنبت صامتاً ولا ناطقاً، فتباركت أنت وعالموك النورانيون الأزليون، فكان هذا آخر قوله وظهر بعده تلميذ له يقال له: كشطا، فقوى مذهبه.

فصل وهلك في عهد سابور

عاملهُ على ضاحية مُضر أو، ربيعة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، فاستعمل على عمله ابنه عمرو بن امرىء القيس .

فصل فلما هلك سابور أوصى بالملك بعده لأخيه

أردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ، فلما استقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرئاسة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه. ثم ملك سابور بن سابور في الأكتاف، فاستبشرت الرعيَّة برجوع مُلك أبيه إليه، واستعمل الرِّفق، وأمر به، وخضع له عَمّه أردشير المخلوع. وهلك في أيامه عمرو بن امرىء القيس الذي ولي لسابور ضاحية مُضر وربيعة، فولى سابور مكانه أوس بن قَلام، وهو من العماليق . وأن العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فسطاط كان ضرب على سابور، فسقط الفسطاط عليه فقتله، وكان ملكه خمس سنين .

فصل

ثم ملك بعده أخوه بهرام بن سابور في الأكتاف

وكان يلقب بكَرْمان شاه وذلك أنّ أباه سابور ولاه في حياته كَرمان، فكتب إلى قوّاده كتاباً يَحثّهم على الطاعة، وبَنى بكَرْمان مدينة، وكان حَسَنَ السياسة في زمانه هلك أوس بن قلام المتولي على العرب، وكانت ولاية أوس خمس سنين ويقال اسمه: ياوس وهو الأصح فاستخلف بعده امرؤ القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي. وكان ملك بهرام هذا إحدى عشرة سنة، ثم ثار إليه بعض الفُتّاك فرماه بنشَابة فقتله .

فصل

ثم قام بالملك بعده يزدجرد الملقب بالأثيم

فبعضهم يقول: هو ابن المقتول قبله، وبعضهم يقول: هو أخوه، وكان فَظاً غليظاً مستطيلا على الناس، سيىء الخلُق، يعَاقِب بما لا يُطاق، ويسفك الدماء، فلذلك سُمِّيَ الأثيم لأن ملوك فارس كانوا يستعملون العدد، فأظهر هو الظلم، وجار الناس إلى الله تَعالى من ظلمه، وابتهلوا إليه يسألون تعجيل الانتقام منه. فبينا هو بجرجان إذ أقبل فرس عائر لم يَر َمثله في الخيل، فوقف على بابه، فتعجب الناس منه، واخبِر يَزْدَجِرْد خَبَرَة، فأمر به أن يُسرَجَ ويُلْجَم، ويدخل عليه، فحاول الناس إلجامه وإِسراجه، فلم يمكنه، فنْهِيَ إليه

ذلك، فخرج فألجمه بيده وأسرجه، فلم يتحرك الفرس، حتى إذا رفع ذنبه لِيُثْفِرَهُ رمحه على فؤائده رمحه فهلك فنها، وملأ الفرس فُروجَهُ جرياَ فلم يدْرَك، فقالت الرعية: هذا من رأفة الله تعالى بنا، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة، وخمسة أشهر، وستة عشر يوماً. وقيل: إحدى وعشرين سنة، وخمسة أشهر، وثمانية عشر يوماً.

فصل وفي زمان يزدجرد هذا هلك امرؤ القيس

بن عمرو بن امرىء القيس، واستخلف مكانه ابنه النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي، وهو صاحب الخَوَرْنَق. وكان سبب بناء الْخَوَرْنَق أن يَزْدَجِرد الأثيم كان لا يبقى له ولد فولد له بهرام، فسأل عن مترل صحيح من الأدواء والأسقام. فدلَ على ظهر الحيرة. فدفع ابنه بهْرام جُور إلى النّعمان هذا، وأمره ببناء الخورنق مسكنَاَ له، وأنزله إياه فبعث إلى الروم فأتي منها برجل مشهور بعمل الحصون والقصور للملوك يقال له: سنِمَّار، فكان يبني مده يغيب يقصد بذلك أن يطمأن إلينا، فبناه في سنتين، فلما فرغ من بنائه صعد النعمان عليه ومعه وزيره وسنِمَّار فرأى البر والبحر، وصيد الظبيان والظباء والحمير، ورأى صيد الحيتان والطير، وسمع غناء الملاحين وأصوات الحدأة، فعجب بذلك إعجاباً شديداً، وكان البحر حينئذٍ يضرب إلى النَجف، فقال له سنِفَار متقرباً إليه بالحذق وحُسن الصنعة: إني لأعرف من هذا البناء موضع حجر لو زال لزال جميع البنيان. فقال: لا جرم لا رغبة، ولا يعلم مكان ذلك الحجر أحد. ثم أمر به فُرمي من أعلى البنيان فتقطع .

وقيل: إهم لما تعجبَّوا من حُسْنه وإتقان عمله قال سنمار أو كان قد جاءوا به من الروم لبنائه، لو علمت أنكم تُوفونني أجرتي وتصنعون لي ما أنا أهله بنيتُه بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت، فقال : وإنَّك لتقدر على أن تبنيَ ما هو أفضل منه ثم لم تبنه! ثم أمر به فطُرِح من رأس الخَورنق فمات فكانت العرب تضرب بذلك مثلاً فتقول: وكان، جزاء سنمار. قال سليط بن سعد

جزَى بنوهُ أبا الغِيلَانِ عنْ كِبَر ... وحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا جزَى سِنِمار

وقال آخر:

جَزَاني جَزَاهُ الله شَر جَزائه ... جَزَاءَ سِنّمار وَمَا كَانَ ذَا ذَنب

وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً، وسَبَى وغنم، وكان أشدّ الملوكِ نكاية في عدوَه، وكان ملك فارس قد جعل معه كتيبتيْن يقال لإحداهما: دَوْسَر وهي لتَنُوخ، والأخرى: الشهباء وهي لفارس فكان يغزو هما بلاد الشام، ومَنْ لم يَدنْ له من العرب. وإنه جلس يوماً في مجلسه من الخورْنَق، فأشرف منه على النَجف وما يليه من البساتين والنخيل والأهار مما يلي المغرب، وعلى الفُرات مما يلي المشرق في يوم من أيام الربيع، فأعجب بما رأى من الخضرة والأهار فقال لوزيره: هل رأيت مثل هذا المنظر قط فقال: لا، لو كان يدوم . قال: فما الذي يدُوم؟ قال: ما عند اللّه في الآخرة. قال: فبم يُنال ذلك. قال: بترك الدنيا وعبادة الله. فترك مُلْكَه من ليلته، ولَبِس المُسوح، وخرج مستخفياً هارباً لا يعلم به أحد، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله. وفي ذلك يقول عديّ بن زيد :

وتَبَيَّضْ رَبّ الْخَورْنَقِ إذْ ... أصْبَحَ يَوْماً وَلَلْهُدَى تَفْكِير

سره حاله كثرة ما يل ... لقاه و البحر معرض والسدير

فارعوى قلبه فقال وما ... غِبْطَةُ حَيّ إلى الْممات يَصِير

وكان مُلْك النعمان إلى أن تركه وساح في الأرض تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر، من ذلك في زمن يَزْدَ جرْد خمس عشرة سنة، وفي زمن بَهْرام جور بن يَزْدَجرِد أربع عشرة سنة

فصل وبهرام جور

قال مؤلف الكتاب : وبَهْرام جُور هذا ملك بعد أبيه يَزْدَجرِد، ويقال له: بَهْرابم جُور بن يَزْدَجرد الخَشنِ بن بَهْرام كَرْمان شاه بن سابور ذي الأكتاف. ولما وُلد بَهْرام هذا أمر أبوه المنجمين أن ينظروا في النجوم ليعلموا ما يؤول إليه أمره، فنظروا، فأمروا أن تجعل تربيته وحضانته إلى العرب، فدعا بالمنذر بن النعمان، فاستحضنه بَهْرام وشرفه وملَكه على العرب، وأمر له بصلة وكُسوة، وأمره أن يسير بَهْرام إلى بلاد العرب، فسار به المنذر إلى محَلته، واختار لإرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام ضخام، وأذهان ذكية،، آداب رضية من بنات الأشراف منهنّ امرأتان من بنات العجم ، وأمر لَهنَ بما يصلحهنَّ، فتداولْنَ إرضاعه ثلاث سنين، وفُطِم في السنة الرابعة، حتى إذا أتت عليه خمس سنين قال للمنذر: أحضرْنِي مؤدّبين ذوِي علم ليعلّموني الكتابة والرمي والفقه. فقال له المنذر: إنَّك بعدُ صغير السنّ، و لم يأن لك. فقال: أنا لعمري صغير، ولكنّ عقلي عقل مُحْتَنِك، وأوْلى ما كلِّف به الملوك صالح العلم، فعجِّل عليّ بما سألتُك من المؤدّبين. فوجّه المنذر ساعةَ سمع هذا إلى باب المَلِك مَنْ أتاه برهط من فقهاء الفرسِ، ومعلِّمي الرّمْي والكتابة، وجمع له حكماء ومحدّثين من العرب، فألزمهم بَهْرام، ووقَت لكلّ منهم وقتاً يأتيه فيه، فتفرع لهم بَهْرام، فبلغ اثنتي عشرة سنة، وقد استفاد كلّ ما أفيد وحفظه وفاق معلميه، حتى اعترفوا له بفضله عليهم، فأثاب بهرام المنذر ومعلميه ، وأمرهم بالانصراف عنه، وأمر معلّمي الرمْي والفروسية بالإقامة عنده، ليأخذ عنهم ما ينبغي له إحكامه، وأمر بهرام النعمان أن يحضروا خيولهم فأحضروها
وأخرَّوها فسبق فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعاً، فقرّ به المنذر إلى بَهْرام، وقال: يُبَارِك الله لك فيه. فأمر بقبضه، وركبه يوماً إلى الصيد، فبصُر بعانة ، فرمى وقصد نحوها فإذا بأسد أقد شَدَ، على عَيْر كان فيها، فتناول ظهره، فرماه بَهْرام رمية نفذت من بطنه وبطن العَيْر وسُرتِهِ حتى أفضت إلى الأرض، فأمر بَهْرام فصور ما جرى له مع الأسد والعَيْر في بعض مجالسه. ثم رحل إلى أبيه، وكان أبوه لا يحفل بولد، فاتخذ بَهْرام للخدمة، فلقي بَهْرام، من ذلك عناء. ثم إنّ يَزْدَجرْد وفد عليه أخ لقيصر، يقال له: ثياذوس، في طلب الصلح والهدنة، فسأله بَهْرام أن يسأل يَزْدَجرْد أباه أن يأذن له في الانصراف إلى المنذر، فأذن له ، فانصرف إلى بلاد العرب، وأقبل على النعّم واللذة والتلنذ، فهلك يَزْدَجرْد وبَهْرام غائب، فتعاقد ناس من العظماء وأرباب البيوتات ألّا يملّكوا أحداً من ذرية يَزْدَجرْد لسوء سيرته، وقالوا: إن يَزْدَجرْد لم يخَلِف ولداً يحتمل الملك غير بَهْرام، و لم يَل بَهْرام ولاية قطّ يُبلَى بها خبره، ويعرف بها حاله، و لم يتأدَّب بأدب العجم وإنما أدبُه أدب العرب، وخُلُقه كخلُقهم لنشأته بينهم، واجتمعت كلمتهم وكلمة العامَّة على صرف الملْك عن بَهْرام إلى رجل من عِترة أردشير بن بابك يقال له: كسرى، فلم يعتموا حتى ملكوه ، فانتهى إلى بُهْرام هلاك أبيه يَزْدَجرْد وتمليكهم كسرى وهو ببادية العرب فدعا بالمنذر والنعمان ابنه وناسٍ من عِلية العرب، وقال لهم: لا أحسبكم تجحدون خصيصي والدي، كان، أتاكم معشر العرب بإحسانه وإنعامه مع فظاظته وشَدّته على الفرس وأخبرهم بالذي أتاه من نَعْي أبيه، وتمليك الفرس مَنْ ملَكوا. فقال المنذر: لا يهولنَّك ذلك حتى ألطِف الحيلة فيه. وإنَ المنذر جهَّز عشرة آلاف رجل مِن فرسان العرب، ووجههم مع ابنه إلى مدينتين للملك، وأمره أن يعسكر قريباً منهما، ويدمِن إرسال طلائعه إليهما، فإن تحرَّك أحد لقتاله قاتله وأغار على ما والاهما،

وأسر وسَبَى، ونهى عن سَفْك دم. فسار النّعمان حتى نزل قريباً من المدينتين، ووجَّه طلائعه إليهما، واستعظم قتال الفرس، وإِنَ مَنْ بالباب من العظماء وأهل البيوتات أرسلوا جواني صاحب رسائل يَزْدَجرْد إلى المنذر، وكتبوا إليه يعلمونه أمر النعمان، فلما ورد جُواني على المنذر وقرأ الكتاب الذي كتب إليه، قال له: الق الملك بَهْرام، ووجه معه مَنْ يوصله إليه. فدخل جواني على بَهْرام فراعه ما رأى من وسامته وبهائه، وأغفل السجود دَهشاً، فعرف بَهْرام أنه إنما ترك السجود لما راعه من رُوائه، فكلّمه بَهْرام، ووعده من نفسه أحسن الوعد، وردّه إلى المنذر، وأرسل إليه أن يجيب في الذي كتب، فقال المنذر لجواني: قد تدبّرت الكتاب الذي أتيتني به وانما وجّه النعمان إلى ناحيتكم الملك بَهْرام حيث ملكه اللّه بعد أبيه، وخوّله إيّاكم. فلما سمع جُواني مقالة المنذر، وتذكَر ما عاين من رُواء بهرام وهيبته عند نفسه، وأن جميع مَنْ شاور في صرف الملك عن بَهْرام مخصوم محجوج، قال للمنذر: إني لست محيراً جواباً، ولكن سِرْ إن رأيت إلى محلَة الملوك فيجتمع إليك مَنْ بها من العظماء وأهل البيوتات، وتشاوروا في ذلك. وأتِ فيه ما يجمل فإنهم لن يخالفوك في شيء ممّا تشير به.

فردّ المنذر جُواني إلى مَنْ أرسله إليه، واستعدّ وسار بعد فصول جواني من عنده بيومٍ ببهرام في ثلاثين ألف رجل من فُرْسان العرب وذوي البأس والنجدة منهم إلى مدينتي الملك حتى إذا وردهما، أمرَ فجمع الناس، وجلس بَهْرام على مِنْبر من ذهب مكلّل بجوهر، وجلس المنذر عن يمينه، وتكلَم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر لكلامهم فظاظة يَزْدَجِرْد أبي بهرام كانت، وسوء سيرته، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرض، وأكثر القتل ظلماً، حتى قَتَلَ النّاس في البلاد التي كان يملكها، وأموراً في ذلك فظيعة. وذكروا أنّهم تعاقدوا وتواثقوا على صرف الملك عن ولد يَزْدَجرد لذلك، وسألوا المنذر ألّا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه. فوعَى المنذر ما بثُّوا من ذلك، وقال لبهرام: أنت أوْلى بإجابة القوم منّي. فقال بهرام : وأنا كنت أكره فعله، وأرجو أن أملك مكانه فأصلح ما أفسد، فإن أتت لملكي سنة و لم أفِ لكم تبرّأت من الملك طائعاً، وقد أشهدت اللّه بذلك عليّ وملائكته موبَذان مَوْبذ، وأنا مع هذا قد رضيت بتمليككم مَنْ يتناول التاج والزينة من بين أسدين ضاريَيْن فهو الملك. فأجابوا إلى ذلك وقالوا: يترك التاج والزينة بين أسدين، وتنازع أنت وكسرى، فأيكما يتناولهما من بينهما سلمنا له الملك. فرضي بهرام بمقالتهم، فأتَى بالتاج والزينة موْبَذان مَوْبذ، الموكلّ كان يعقد التَاج على رأس كلِّ ملِك فوضعهما في ناحية، وجاءوا بأسدين ضاريْين مُشْبلين ، فوقف أحدُهما على جانب الموضع الذي وُضع فيه التاج والزينة، والآخر بحذائه، فأرخي وَثاقهما، ثم قال بهرام لكسرى : دونَك التاج والزينة. فقال، كسرى: أنت أولى بتناولهما مني لأنك تطلب المُلْك بوراثة، وأنا فيه مغتصب. فلم يكره بهرام قوله بثقته وبطشه، وتوجَّه نحو التاج والزينة، فقال مَوْبذان مَوْبَذ: هذا عن غير رأي أحدٍ ، ونحن برآء إلى الله عز وجل من إتلافِك نفسك. فقال: أنتم من ذلك برآء. ومشى نحوهما فبدر إليه أحدُهما، فوثب وثبة فعلا ظهره، وعصر جَنْبَيه بفخذيه عصراً أثخنه، وجعل يضرب رأسه بشيء في يده، ثم شدَ الأسد الآخر عليه فقبض على أذنيْه، وعَرَكهما بكلِتا يديه، و لم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذي كان راكبه حتى دمغهما وتناول التاج والزينة، فأذعن الكل له، وقالوا: رَضينا به مَلِكاً. وكان ابن عشرين سنة.

ثم جلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية يعدهم بالخير، ويأمرهم بتقوى الله عز وجل وبطاعته. ثم صار يؤثر اللهو، فكثرتْ ملامة رعيته له، وطمع مَنْ حوله من الملوك في استْباحة بلاده ، وكان أول مَنْ سبق بالمكاثرة له: خاقان ملك الترك، فإنَه غزاه في مائتين وخمسين ألف من الترك، فلما بلغ الفرس إقبال خاقان هالهم ذلك، فدخل على بَهْرام جماعة من الرؤساء فقالوا: إن فيما قد أزف ما يشغل عن اللهو فلم يقبل عليهم و لم يترك اللهو.

وإنه تجهَّز فسار إلى أذْرَبيجان لينسَك في بيت نارها، ويتوجه منها إلى أرمينيَة ويطلب الصيد في آجامها ويلهو في سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات وثلثمائة رجل من رابطته من ذوي بأس ونجدة، واستخلف أخاَ له يسمى: نَرْسِي على ما كان يدبر من أمر ملكه، فلم يشك الناسُ حين بلغَهم مسير بَهْرام فيمن سار، واستخلافه أخاه أن ذلك هربٌ من عدوه، واستلام لملكه ، وتآمروا في إنفاذ وفد إلى خاقان والاقرار له بالخَراج، مخافة أن يستبيح بلاده، ويصطلم مقاتلتهم ، فبلغ ذلك خاقان، فآمن ناحيتهم، فأتى بهرام عين كان وجهه ليأتيَه بخبر خاقان، فأخبره بأمر خاقان وعزْمه، فسار إليه بَهْرام في العدَة الذين كانوا معه، فبيته ، وقتل خاقان بيده، وأفشى القتلَ في جنده، وانهزم مَنْ كان سَلِم منهم متوجهاً إلى بلاده، وخففوا عسكرهم وذراريهم ، فأمعن بَهْرام في طلبهم يقتلهم ويحوي ما غنم منهم ويسبِي ذراريّهم، وانصرف وجنده سالمين. وظفر بَهْرام بتاج خاقان وإكليله، وغلب على بلاده من بلاد الترك، واستعمل على ما غلب عليه مَرْزبانا حبَاه بسرير من فضة، وأتاه أناس من أهل البلاد المتاخِمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين له بالطاعة، وسألوه أن يُعلِمهم حد ما بينه وبينهم فلا يتعدَوه، فحد لهم حدّاً، فبنى لهم منارة، ووجه قائداً من قوّاده إلى ما وراء النهر منهم، فقاتلهم حتى أقروا لبهرام بالعبوديَّة وأداء الجِزْية. وان بَهْرام انصرف إلى أذرَبيجان، راجعاً إلى محلَّته، وأمر بما كان في إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجواهر فعلِّق على بيت نار أذَرَبيجان، ثم سار وورد مدينة طيسبون ، فنزل دار المملكة بها، ثم كتب إلى جُنْدِه وعمّاله بقتله خاقان، وما كان من أمره. ثم ولى أخاه نَرْسِي خُراسان، وأمَرَه أن ينزل بلْخ .

وذُكِر أن بَهْرام لَمَا انصرف من غَزْوِه الترك، خطب أهله مملكته أياماً متوالية، فحثَهم على لزُوم الطاعة، وأعلمهم أنَّ، بنيته التَّوسعة عليهم، وإيصالَ الخير إليهم، وانَّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه، وأنَ أباه كان افتتح أمرَهم باللين والمعدلة ، فجحدوا ذلك أو مَنْ جحده منهم، فأصاره ذلك إلى الغِلْظة، ثم رفع عن الناس الخراجِ ثلاث سنين شكراً لما لقيَ من النَصْر على الأعداء، وقدم في الفقراء والمساكين مالاَ عظيماً، وفي أهل البيوتات وأصحاب الأحساب عشرين ألف ألف، درهم. وقد كان بهْرام حين أفضى له الملك أمر أن يرفع عن أهل الخراج البقايا التي بقيتْ عليهم من الخَراج، فعلِم أنَ ذلك سبعون ألف ألف درهم، فأمر بتركها وترك. ثلث خراج السَّنة التي وَلي فيها .

ودخلَ بَهْرام أرض الهند متنكراً، فمكثَ فيها حيناً، فبلغَه أن في ناحية من أرضهم فيلًا قد قطع السُّبل، وقتل ناساً كثيراً، فسأل عن مكانه فدُلَّ عليه. ليقتله، فانتهى ذلك إلى ملكهم، فدعا به، وأرسل معه رسولاً يخبره بخبره، فلما انتهى بَهْرام والرسول إلى الأجَمَة التي فيها الفيل، رقِيَ الرسُول إلى شجرة لينظر إلى صنيع بهرام بالفيل ، فصاح بَهْرإم بالفيل، فخرج مُزبِداً، فرماه رمية وقعت بين عينيه، ووقَذَه بالنُّشَّاب، ثم وثب عليه فأخذ بمِشْفرِه، فاجتذبه جَذْبَةً حتى جَثا الفيل، ثم احتزّ رأسه وذهب به. فأخبر الرسول الملك بما جرى، فحباه مالاً عظيماً، وسأل عن أمره فقال بَهْرام: أنا رجل من عظماء الفُرس، سَخِط علي ملك فارس فهربت منه إلى جوارك .

ثم إن عدوًّاً لذلك الملك خرج عليه، فعزم الملك على الخضوع له، فنهاه بَهْرام، وخرج فقاتله، فانصرف محبوراً ، فأنْكَحه الملك ابنته، ونَحَله الديبل ومكران وما يليها من أرض السند، وأشهد له شهوداً بذلك ، فأمر بتلك البلاد فضُمَت إلى أرض العجم، فانصرف بَهْرام مسروراً .

ومضى بَهْرام إلى بلاد السودان من ناحية اليمن، فأوقع بهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وسَبَى منهم خَلْقاً، ثم انصرف إلى مملكته

فرآه ناقص الهمَّة، فوكل مَنْ يؤدبه. أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو القاسم التنوخي قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدَّثنا عيسى بن محمد أبو ناظرة السدوسي قال: حدَّثني قبيصة بن محمد المهلبي قال: أخبرني اليمان بن عمرو مولى ذي الرئاستين قال : كان ذو الرئاستين يبعثني ويبعث أحداثاً من أحداثه إلى شيخ بخُراسَان له أدب وحسن معرفة بالأمور، ويقول لنا: تعلموا منه الحكمة، فإنه حكيم، فكنا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده سألنا ذو الرئاستين، فاعترض ما حفظناه فنخبره به ، فصرنا ذات يوم إلى الشيخ فقال لنا: أنتم أدباء، وقد سمعتم الحكمة، ولكم جدات ونعم، فهل فيكم عاشق. فقلنا: لا. فقال: اعشقوا فإن العشق مطلق اللسان العي، ويفتح حيلة البليد والمختل ، ويبعث على التنظف وتحسين الثياب، وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء وشرف الهمة، وإياكم والحرام.

فانصرفنا من عنده إلى ذي الرئاستين، فسألنا عما أفدنا يومنا ذلك ، فهبنا أن نخبره، فعزم علينا، فقلنا له إنه أمرنا بكذا وكذا، وقال لنا كذا وكذا. قال: صدق واللّه، تعلمون من أين أخذ هذا؟ قلنا: لا. قال ذو الرئاستين: إن بَهْرام جور كان له ابن، وكان قد رسمه للأمر بعده، فنشأ الفتى ناقص الهمَّة، ساقط المروءة، خامل النفس، سّيء الأدب، فغمَّه ذلك، فوكل به المؤدبين والحكماء ومَنْ يلازمه ويعلمه، وكان يسألهم عنه فيحكون ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه، إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوماً فقال له المؤدب: قد كُنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صرنا إلى اليأس من صلاحه. قال: وما ذاك الذي قد حدث؟ قال: رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها حتى غلبت عليه، وهو لا يهذي إلا بها، ولا يتشاغل إلا بذكرها فقال بهْرام: الآن رجوت فلانة، ثم دعا بأبي الجارية فقال: إني مُسِر إليك سراً فلا يعدونك فضمن له سره فأعلمه أن ابنه قد عشق ابنته، وأنه يريد أن ينكحها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عيناه عليها، فإذا استحكم طمعه فيها تجنَت عليه وصرته، فإن استعتبها أعلمته أنها لا تصلح إلا لملك، ومَن همته همة الملوك ، وأنه يمنعها من مواصلته أنه لا يصلح للملك، ثم ليعلمه خبرها وخبره. ولا يطلعها على ما أسرَّ إليه.

فقبل أبوها ذلك منه. ثم قال للمؤدب الموكل بتأديبه: خَوِّفه بي، وشجعه على مراسلة المرأة. ففعل ذلك، وفعلت المرأة ما أمرها به أبوها، فلما انتهت إلى التجنَي عليه، وعلم الفتى السبب الذي كرهته لأجله ، أخذ في الأدب، وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية، وضرب الصوالجة حتى مهر في ذلك، ثم رَفَعَ إلى أبيه أنه يحتاج من الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء إلى فوق ما يقدر. فسُرّ الملك بذلك أو أمر له به، فدعا مؤدبه فقال: إن الموضع الذي وَضَع به ابني نفسه من حب هذه المرأة لا يزرى به، فتقدم إليه أن يرفع إليّ أمرها، ويسألني أن أزوجه إياها. ففعل، فرفع الفتى ذلك إلى أبيه، فدعا بأبيها فزوَّجها إياه، وأمر بتعجيلها، وقال: إذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيئاً حتى أصير إليك. فلما اجتمعا صار إليه فقال: يا بني، لا يضعن منها عندك مراسلتها إياك، وليست في حبالك، فإني أنا أمرتها بذلك، وهي أعظم الناس، منَة عليك بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخَلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحدّ الذي تصلح معه للملك من بعدي، فزدها من التشريف والإكرام بقدر ما يستحق منك. ففعل الفتى ذلك، وعاش مسروراً بالجارية، وعاش أبوه مسروراً به، وأحسن ثواب أبيها، فرفع مرتبته وشرفه بصيانته سره وطاعته إياه، وأحسن جائزة المؤدب

بامتثاله ما أمره به، وعقد لابنه على الملك بعده. قال اليمان مولى في الرئاستين: ثم قال لنا ذو الرئاستين: سلوا الشيخ الآن لِمَ حملكم على العشق. فسألنا فحدثنا بحديث بهْرام جور وابنه.

فصل في موت بهرام

قال مؤلف الكتاب : ثم إن بَهْرام في آخر مُلْكه ركب للصيد، فشدَ على عَيْر وأمعن في طلبه، فارتطم في جُبًّ، فغرق، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجُبِّ بأموال عظيمة ، وأقامت قريبة منه، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على مَنْ يُخرجه منه فنقلوا من الجُب طينَاَ كثيراً وحَمْأةً حتى جمعوا من ذلك آكاماً عظاماً، و لم يقدروا على جُثة بَهْرام . واختلفوا في ملكه، فقال قوم: كان ملكه ثماني عشرة سنة، وعشرة أشهر وعشرين يوماً. وقال آخرون: كان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة، وعشرة أشهر، وعشرين يوماً .

فصل قال بالملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام جور

فلما عُقِد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف، فدعوْا له وهنأوه بالُملك، فردَ عليهم ردّاً حسناً، وذكر أباه ومناقبه، وأنه سار فيهم بأحسن السيرة، فلم يزل رؤوفاً برعيته، مُحسناً إليهم، قامعاً لعدوِّه . وكان له ابنان يقال لأحدهما: هُرْمز، وكان ملكاً على سِجِسْتَان، والأخر يُقال له: فَيْروز، فغلب هُرْمز على الُملك من بعد هلاك أبيه يَزْدَجِرد، فهرب فَيْروز منه ولَحِقَ ببلاد الهياطلة ، وأخبر مَلِكها بقصَّته وقصَّة أخيه هُرْمز، وأنه أوْلى النَّاس منه، وسأله أن يمده بجيش يقاتل لهم هرمز، فأبى، إلى أن أخبر أنّ هُرْمز ظلوم جائر، فقال: إنّ الجوْر لا يرضاه اللّه. فأمدَ فيروز بجيش ، فأقبل بهم، وقاتل هُرْمز أخاه، فقتله وشتتّ جمعه وغلب على الملك .وكان مُلك يَزْدَجِرد ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر . وقيل: سبع عشرة

فصل ثم ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور

بعد أن قَتَلَ أخاه. وقيل: بل حبسه لما ظفر به، وأظهر العدل، وقسم الأموال في زمان قَحط نزل بهم، ثم قاتل الهياطلة الذين كانوا أعانوه على قتال أخيه فقتلوه في المعركة .وقيل: سقط في خندق فهلك، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرين سنة .

فصل ثم ملك بعده ابنه بلاش بن فيروز

وكان قُبَاذ قد نازعه الُملك، فغلب بَلاش وهرب قُباذ إلى ملك الترك، فلم يزل بَلاش حسن السيرة فبلغ من مراعاته للرعيَّة أنّه كان لا يبلغه أنَّ بيتاً خرب وجَلاَ أهلُه عنه، إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تَرْكِه إنعاشهم حتى اضطروا إلى ذلك الجلاء. وبنى بالسوَّاد مدينة اسمها اليوم، : ساباط، وهي قريبة من المدائن. وكان ملكه أربع سنين .

فصل ثم ملك بعده أخوه قباذ بن فيروز

وكان قُباذُ لما هرب إلى مَلِك الترك من أخيه بَلاش ومعه جماعة يسيرة فيهم زَرْمِهْر فتاقت نفسه إلى الجماع، فشكا ذلك إلى زَرْمِهْرم وسأله أن يلتمس له امرأة ذات حسب فمضى إلى امرأة صاحب منزله، كان، رجَلاَ من الأساورة، وكانتَ له بنت فائقة في،

الجمال، فتنصح لها في ابنتها، وأشار عليها أن تبعث بها إلى قباذ، فأعلمت زوجها، فلم يزل زَرمهرُ يُرَغب المرأةَ وزوجَها، ويشير عليهما، حتى قَفَلا، وصارت البنت إلى قُباذ، واسمُها: نيونْدُخْت، فغشيَها قُباذ في تلك الليلة، فحملَت بأنوشرْوانَ، فأمر لها بجائزة، وأحبها حباً شديداً ثم إن ملك الترك وجه معه جيشاً، فانصرف وسأل عن الجارية فقال: وضعت غلاماً، فأمر بحملها إليه، فأتت بأنوشروان تقوده إليه، فأخبرته أنه ابنه، فإذا هو قد نَزَع إليه في صورته .وورد الخبر عليه بهلاك بَلاش، فتيمَّن بالمولود، وأمر بحمله، وحَمْل أمه، فلما صارا إلى المدائن، واستوثق له أمره بنى مدينة الرّجان ، ومدينة حُلوان، ومدائن كثيرة .
ولما مضى من ملكه عشر سنين أرادوا إزالته عن ملكه لاتباعه لرجل يقال له: مَزدك بن مَاردا

فصل

وكان مزدك رجلاً يدعو الناس إلى ملة زرادشت

الذي ذكره تقدم ، ودعواه نبوة المجوس، وكان مز دك يلبس الصوف ويتزهَّد، ويُكثر الصلاة تقرباً إلى العوام، وكان هو وأصحابه يزعمون أنه مَنْ كان عنده فضل من الأموال والأمتعة والنساء فليس هو بأولى به من غيره ، وحثَّ النَاس على التأسي به في أموالهم وأهلهم ، وزعم أنه من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه، فاغتنم السفَلة ذلك وتابعوا مَزْدَكاً وأصحابه، فتَم للعَاهِر قضاء نهمته بالوصول إلى الكرائم، فابتُلَي الناس بهم، وقويَ أمرُهم، حتى كانوا يدخلون على الرجل داره فيغلبون على أمواله وأهله، وحملوا قُباذ على تزيين ذلك، وقالوا له : إنَك قد أثمت فيما مضى، وليس يطهِّرك من هذا إلا إباحةُ نسائك، وأرادوه على أن يدفَع نفسَه إليهم فيذبحوه ويجعلوه قربانًا للنَار، وكان قُباذ من خيار ملوكهم حتى حمله مَزدَك على ما حمله، فانتشَرت الأطراف، وفسدت الثغور ،.
وكانت أم أنوشروان يوماً بين يدي قُباذ، فدخل عليه مزدك، فلما رآها قال لقباذ: ادفعها إِليَ لأقضي حاجتي منها. فقال: دونكها. فوثب أنوشروان، فجعل يسأله ويضرع إليه أن يهب له أمه إلى أن قبَّل رجله، فتركها، فبقي ذلك في نفس أنوشروان ، فلما رأى زَرْمَهر ذلك خرجِ بمن يتابعه من الأشراف، فقتل من المزدكية ناساً كثيراً، ثم حرشت المَزْدَكية قُباذاَ على زَرْمهر فقتله، وغزا قُباذ الروم، وبنى آمد، وملك قُباذ ابنه كسرى، وكتب إليه بذلك كتاباً وختمه، وهَلَكَ بعد أن ملك ثلاثاً وأربعين سنة .

فصل ثم ملك ابنه كسرى أنوشروان

بن قُباذَ بن فَيْروزَ بن يَزْدَجِرْد بن بَهْرام جُور . وولد أنُوشرْوان باسعراس، وهي من كور نيسابور .فاستقبل الملك بجد وسياسة وحزم، ونظر في سيرة أرْدشير، فأخذ نفسه بذلك، وبحث في سياسات الأمم فاختار ما رضيه، وفرق رئاسة البلاد بين جماعة، وقوى المقاتلة بالأسلحة والكراع، وارتجع بلاداً كانت في مملكة الفرس بلغه أن طائفة من العرب أغارت على بعض حدود، السواد من ملكه، فأمر بحفر النهر المسمى بالحاجز، وإعادة المناظر والمسالح، على ما ذكرنا في أخبار ذي الأكتاف، وعرف الناس منه رأياً وحزماً وعلماً وعقلاً وبأساً مع رأفة ورحمة . فلما عُقد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف، فدعوا له، فقام خطيباً، فبدأ بذكر نعمة الله على خلقه عند خلقه إياهم، وتوكله بتدبير أمورهم، وتقدير أقواتهم ومعايشهم، ثم أعلم الناس بما ابتلوا به من ضَياع أمورِهم، وامحاءِ دينهم، وفسادِ حالهم في أولادهم ومعايشهم، وأعلَمُهم أنه ناظر فيما يُصلح ذلك ويَحْسِمُه. ثم أمر، برؤوس المَزْدكيّة

فضُربَتْ أعناقهم، وإبطال ملة زرادشت التي كان ابتدعها في المجوسية في زمان بشتاسب، وقد سبق ذكر ذلك كله ، وكان ممن دعا الناس إليها مزَدك ولما ولي أنوشروان دخل عليه مزدك والمنذر بن ماء السماء فقال أنُوشِروان:

قد كنت أتمنى أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف، وأتمنى أن أقتل هؤلاء الزنادقة، فقال مزدك: أوتستطيع أن تقتل الناس جميعاً؟ فقال: وإنك ها هنا يا ابن الزانية، والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قَبَّلْتُ رجلك إلى يومي هذا. وأمر بقتله وصلبه .

وقتل من الزنادقة ما بين جازر إلى النهروان وإلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم ، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة. وقتل جماعة ممن دخل على الناس في أموالهم، وردّ الأموال إلى أهلها، وأمر بكل مولود اختلف فيه عنده أن يلحق بمن هو منهم، إذا لم يُعرفْ أبوهُ، وأنْ يُعطَى نصيباً من مال الرجل الذي يُسندُ إليه إذا قبله الرجل، وبكل امرأة غلبتْ على نفسِها أن يُؤخَذ الغالبُ لها حتى يغرمَ لها مهرَهَا، ثم تُخير المرأة بين الإقامة عنده، وبين التزويج بغيره ، إلَأ أن يكون لها زوج أوَّل فَتُردُ إليه، وأمر بكلّ مَنْ كان أضر برجل في ماله أو ركب مظلمة أن يُؤخذ منه الحق، ثم يُعاقب، وأمر بعيال ذوي الأحساب الذين مات قَيمهم فكُتبوا له، فأنكح بناقم الأكفاء، وجعل جهازهم من بيت المال، وأنكح نساءهم من بيوتات الأشراف وأغناهم ، وخَير نساء والده أن يُقمْن مع نسائه فيواسَيْن، أو يبتغي لهنَّ أكفاء هنَ من البعولة، وأمر بكَرْي الأنهار وحفر القنيّ، وإسلاف أصحاب العمارات وتقويتهم وبإعادة كلّ جسْر قطع، أو قنطرة كسرت، أو قرية خربت أن يرد ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح، وتفقّد الأساورة فقوَاهم بالدوابِّ والعدَة، ووكَل ببيوت النيران، وبنى في الطرق القصور والحصون، وتخير الحُكام والعُمال، وتقدم إلى مَنْ وُليَ منهم أبلغ تَقدُم، وبعث رجلاً من الحكماء إلى الهند فاستنَسخ له كتاب كليلة ودمنة طلباً لما فيه من الحكمة، فلما استوثق له المُلْك ودانت له البلاد سار نحو أنطاكية بعد سنتين من مُلْكه، وكان فيها عظماء جنود قَيْصر، فافتتحها، ثم أمر أن تُصَوَّر له مدينة أنطاكيةَ على ذرعها وعدد منازلها وطرقها وجميع ما فيها وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جَنْب المدائن، فبُنيت المدينة المعروفة برومية على صورة أنطاكيَة، ثم حمل أهل أنطاكية حتى أسكنهم إياها. فلما دخلوا باب المدينة مضى أهل كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها، بأنطاكيَة، كأنَهم لم يخرجوا عنها. ثم قصد مدينة هرقل فافتتحها، ثم الإسكندرية وما دونها، وخفَف طائفة من جنوب بأرض الروم، بعد أن أذعن له قَيْصر، وحمل إليه الفدية ، ثمّ انصرف من الروم فأخذ نحو الخَزر، فأدرك منهم ما كانوا وتروه في رعيَّته، ثم انصرف نحو عَدد فقتل عظماء تلك البلاد، ثم انصرف إلى المدائن، وملَك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه، ثم سار إلى الهياطلة مطالباً لهم بوتَر جده فيروز في القديم، وبنى الإيوان الموجود اليوم .

فصل في سبب بناء الإيوان

قال : وبينا كسرى أنوشروان جالساً في إيوانه القديم البناء إذ وقعت عيناه على ورثة، فقال لغلام كان على رأسه: هات تلك الورثة. فمضى الغلام فلم يرها فعاد، فقال: لم أرها. فقال: ويحك، هي تلك. وأشار إليها فأبصرها الغلام في حضرته، فلما انتهى إليها لم يرها. فقام أنوشروان بنفسه، ومشى إلى البستان، فحين مد يده ليقطعها وقع الإيوان، فنظر إلى شيء من لطف الله عز وجل فعجب وسُر سروراً شديداً، وتصدَّق بمال جزيل ، ثم أعاد بناء الإيوان أفضل من بنائه الأول، وهذا هو الإيوان الموجود اليوم فلما فرغ منه رفع رأسه يوماً فرأى حمامة وحشية فوق المشرف، وإذا حيَّة عظيمة قد دنت إلى الحمامة لتثب عليها وتبتلعها، فرمى الحية بقوس البندق، فسقطت إلى الأرض وطارت الحمامة سليمة، فسُرّ بإحسانه إلى الحمام ، ثم جاءت الحمامة بعد خمسة أيام فقعدت

على تلك الشرفة، فلما رآها أنوشروان أخذت ترمي حباً لا يدرون ما هو، فأخذه فزرعه في بستان داره فنبت نباتاً طيب الريح، فقال: نعم ما كافأتنا الحمامة به حين نجيناها من الهلاك فبحق قيل: لن يضيع المعروف، وأنا أسأل الله الذي ألهم هذا الطائر من شكرنا أما ألهمه، أن يلهم رعيتنا في ذبنَا عنهم، وإِخراجنا إياهم من الهلكة في دينهم ودنياهم إلى الهدى لشكرنا، وأن يلهمنا نحن الصبر على الإحسان إليهم.

و لم يزل مظفراً منصوراً يهابه الأمم ، يحضر بابه من وفدهم عدد كبير من الترك والصين والخَزر، وكان مكرماً للعلماء، وملك ثمانيا وأربعين سنة. وقيل: سبعا وأربعين سنة ، وثمانية أشهر وعشرة أيام.

ذكر طرف من أخباره

إنه كان مكتوباً على سرير كسرى: الدين لا يتم إلا بالملك، والملك لا يتم إلا بالرجال، والرجال لا يتمون إلا بالمال، والمال لا يجيء إلا بعمارة الأرض، والعمارة لا تتم إلا بالعدل.

وكان على جانبه مكتوب: عدل السلطان أنفع للرعية من خصيب الزمان. ورفع إلى كسرى أن عامل الخراج بالأهواز قد جنى فضل ثمانية آلاف درهم على ما يجب من الخراج، فوقع بردّ المال وقال: إن الملك إذا عمَر بيوت أمواله بما يأخذ من الرعية كان كمن عمَر سطح داره بما يقلعه من قواعد بنائه .ومات لكسرى ولد فلم يجزع عليه فقيل له في ذلك فقال: من أعظم الجهل شغل القلب بما لا مردّله. وكان يقول: الغم مدهشة للعقل، مدهشة للطبع، مقطعة للحيلة، فإذا ورد على العاقل ما يحتاج فيه إلى الحيلة قمع الحزن، وفرغ العقل للحيلة.

وقال: القليل مع قلة الهم. أهنأ من الكثير مع عدم الدعة. وقال: لما فرغت من إصلاح، الأمور الخاصة والعامة إلى قبول ما لا خير فيه إلا بالأكثر ، لكنني آثرت طاعة الله. ونظرنا في سير الروم والهند، فاصطفينا محمودها، ومن أعظم الضرر على الملوك الأنفة مع العلم.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسين الضراب قال: حدَّثنا أبي قال: أخبرنا أحمد بن مروان قال: أخبرنا إسماعيل بن يونس قال: أخبرنا الرقاشي عن الأصمعي قال : كان لكسرى جامان من ذهب يأكل فيهما ، فسرق رجل من أصحابه جاماً وكسرى ينظر إليه، فلما رفعت الموائد افتقد الطباخ الجام ورجع يطلبه، فقال له كسرى: لا تَعْنَ، قد أخنه من لا يرده، ورآه من لا يفشي عليه. فدخل الرجل إليه بعد ذلك وقد حلَى سيفه ومنطقته ذهباً فقال له كسرى بالفارسية: يا فلان بعني السيف والمنطقة من ذاك، قال: نعم. و لم يفطن بذلك أحد غيرهما وسكت. وروى إبراهيم بن عبد الصمد قال: لما عمل كسرى القاطول أضر ذلك بأهل الأسافل، فانقطع عنهم الماء حتى افتقروا وذهبت أموالهم، فخرج أهل ذلك البلد إلى كسرى يتظلمون، فوافوه وقد خرج، فتعرضوا له وقالوا: جئنا متظلمين. فقال: ممَّنْ؟ قالوا: منك. فثنى رجله ونزل عن دابته وجلس على الأرض، فأتاه بعض من معه بشيء يقعد عليه فأبى، وقال: لا أجلس إلا على الأرض إذا أتاني قوم يتظلمون مني، ثم قال: ما مظلمتكم؟ قالوا: أحدثت، القاطول فقطع عنا شربنا، وذهبت معايشنا. قال: فإني آمر بسده. قالوا: لا يحسمك هذا، ولكن

مُر مَنْ يعمل لنا مجرى ماء من فوق القاطول، ففعل فعمرت بلادهم. وكان كسرى يقول: قد خفت أن يُحجب عني المظلوم. فعلق على أقرب البيوت من مجلسه ستراً وعلق عليه الأجراس، ونادى مناديه: مَنْ ظُلم فليحرك هذا الستر.

ومن الحوادث في زمانه

أنه رفع إليه صاحب الخبر بنياسبور أنه أقد ظهر رجل لا يغادر صورته شيء من صورة الملك، وأن اسمه أنوشروان، وأنه حائك، وأنه ولد في ساعة كذا وكذا من يوم كذا وكذا من سنة كذا وكذا ، فنظر أنوشروان فوجد مولده لا يغادر شيئاً من مولده، فوجّه رجلين من أهل الدين والأمانة إلى نيسابور ليكتبا إليه بخبر الرجل، فلم يلبث أن جاءه كتاب الأمينين بصدق ما كتب صاحب الخبر، وزادا: أنا سألنا عن مذهب هذا الإنسان، فأخبرونا ثقات جيرانه ومعامليه أنه من الصحة في المعاملة وصدق اللهجة والستر السداد بحيث لا يعرفون من يقاربه في أهل صناعته. فتعجب أنوشروان فكتب إلى العامل أن يدفع إلى هذا الرجل عشرة آلاف درهم، وأن يجري له ذلك، في كل سنة، وأن يخيَّر إن أحب أن لا يحُوك، ويجري عليه زيادة من المال ما يكون وراء كفايته. فأحضره عامل نيسابور وأقبضه المال، ورفع مجلسه وقال: إن الملك أنوشروان يخيرك أن تدع هذه الصناعة ويزيدك ما يرضيك، فما الذي تراه، فجرى الملك خيراً، فقال: ما أحب أن يكون مكافأتي للملك على إغنائه إياي نقض شيء من سنته، متكلاً على مال الملك ، ولولا أن برك اسمي في مضاهاة اسم الملك قد ظهر علي لاستبدلت به، تتريهاً لجلالة اسم الملك أن يكون مثلي سميه. فكتب بخبره إلى أنوشروان، فأمر الملك أن يجعل أنوشروان الحائك عريف الحاكة ورئيسهم، فأفاد مالاً جليلاً، و لم يدع صناعته. ومات في السنة التي مات فيها أنوشروان الملك .

ومن الحوادث: أن كسرى أنوشروان، خرج يتصيد.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا محفوظ بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن الحسين الخالدي قال: حدثنا المعافى بن زكريا قال: أخبرنا أحمد بن كامل قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد القيسي قال: أخبرنا محمد بن أبي السري قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه قال: . خرج كسرى في بعض أيامه للصيد ومعه أصحابه ، فعن له صيد فتبعه حتى انقطع عن أصحابه وأظلته سحابة فأمطرت مطراً شديداً، حال بينه وبين أصحابه، فمضى لا يدري أين يقصد، فرفع له كوخ فقصده، فإذا عجوز بباب الكوخ جالسة فقال لها: أنزل. قالت: انزل . فترل فدخل الكوخ، وأدخل فرسه، فأقبل الليل، فإذا ابنة العجوز قد جاءت معها بقرة قد رعتها بالنهار، فأدخلتها الكوخ، وكسرى ينظر إليها ، فقامت العجوز إلى البقرة ومعها، إناء فاحتلبت البقرة لبناً، صالحأ وكسرى ينظر فقال في نفسه: ينبغي أن تجعل على كل بقرة إتاوة يعني خراجًا فهذا حلاب كبير . وأقام مكانه حتى مضى اكثر الليل فقالت العجوز: يا فلانة، قومي إلى فلانة تريد البقرة فاحتلبيها . فقامت إلى البقرة فوجدها حائل لا لبن فيها، فنادت: يا أماه، قد والله أضمر لنا الملك شراً. فقالت: وما ذاك. قالت: هذه فلانة حائل تبيس بقطرة. فقالت لها: امكثي فإن عليك ليلًا. فقال كسرى بني نفسه: من أين علمت ما أضمرت في نفسي، أما إني لا أفعل ذلك. قال: فمكثت، ثم نادتها: يا بنية، قومي إلى فلانة فاحتلبيها . فقامت إليها فوجدتها حافل. فقالت: يا أمّاه، قد والله ذهب ما كان في نفس الملك من الشر، هذه فلانة حافل. فاحتلبتها، وأقبل الصبح وتتبع الرجال أثر كسرى حتى أتوه بركب ، فأمر بحمل العجوز وابنتها إليه، فأحسن إليهما، وقاد: كيف علمت أن الملك قد

أضمر شراً، وأن الشر الذي أضمره قد رجع فيه. قالت العجوز، : إنا بهذا المكان منذ كذا وكذا، ما عمل فينا بعدل إلا أخصب بلدنا، واتسع عيشنا وما أمر فينا بجور إلا ضاق عيشنا، وانقطعت موادنا والنفع عنا.

ومن الحوادث

أن كسرى أمر جنوده أن لا يتعرضوا لزرع أحد، فمر فارس منهم بمبطخة، فأخذ بطيخة، فتعلق به صاحب البطيخة وقال : بيني وبينك الملك. فبذل له ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له إلى عشرة آلاف درهم فلم يقبل. فحمله إلى الملك فقص عليه القصة، فقال للفارس: ما حملك على ما فعلت . قال: دنو الأجل. قال: فكم بذلت فيها؟ قال: عشرة آلاف درهم وما أملك غيرها. فقال كسرى للأكار: ويحك، ما الذي زهدك في عشرة آلاف درهم، ورغبك في دم هذا البائس؟ قال: ما رغبت في دمه، ولكني كنت فقيراً و لم أر إلا الخير في أيام الملك، فأردت أن أزيد في شرف أفعاله حتى يقال أن في أيامه بلغت بطيخة عشرة آلاف درهم . فاستحسن ذلك منه، وقال للفارس: أعطه ما بذلت. وأعطاه مثل ذلك.

ومن الحوادث في زمان أنوشروان:

ولادة عبد الله بن عبد المطلب، أبي نبينا صلي الله عليه وسلم، فإنه ولد في السنة الخامسة عشرة من ملكه ، وولد نبينا صلى الله عليه وسلم في سنة أربعين من ملك أنوشروان، وهو عام الفيل .

ومن الحوادث في زمن أنوشروان

أن ملك اليمن لم يزل متصلًا لا يطمح فيه طامح حتى ظهرت الحبشة على بلادهم في زمن أنوشروان. قال هشام بن محمد: وكان سبب ظهورهم أن ذا نواس الحميري ملك اليمن في ذلك الزمان كان يهودياً، فتقدم عليه يهودي أمن أهل نجران، يقال له: دوس من أهل نجران فأخبره أن أهل نجران قتلوا له بنتين ظلماً، فاستنصره عليهم وأهل نجران نصارى فحمى ذو نواس اليهودية، فغزا أهل نجران فأكثر فيهم القتل، فخرج رجل من أهل نجران حتى قدم على ملك الحبشة فأعلمه بما نكبوا به، وأتاه، بالإنجيل قد أحرق النار بعضه ، فقال له: الرجال عندي كثير وليس عندي سفن، وأنا كاتب إلى قيصر في البعثة إلي بسفن أحمل فيه الرجال: فكتب إلى قيصر في ذلك، وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فبعث له قيصر بسفن كثيرة، فبعث معه صاحب الحبشة سبعين ألفَاَ من الحبشة وافر عليهم رجَلَا من الحبشة يقال له: أرياط ، وعهد إليه: إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم، وأخرب ثُلثَ بلادهم، واسب ثلث نسائهم وأبنائهم، فخرج أرياط ومعه جنوده وفي جنوده أبرهة الأشرم، فركب البحر ، وسمع بهم ذُونُواس، فجمع إليه حِمْير ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن فتناوشوا، ثم انهزم ذو نواس، ودخل أرياط بجموعه ،فلما رأى ذُو نُواس ما نزل به وبقومه وجَّه فرسه في البحر، ثم ضربه فخاض فيه في ضَحْضَاح حتى أفضى به إلى غَمْره فأقحمه، فكان آخر العهد به .

ووطىء أرياط اليمن بالحبشة فقتل ثلثَ رجالها، وأخرب ثلثَ بلادها، وبعث إلى النجاشيّ بثلث سباياها، فأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها، و لم يبعث إلى النجاشي بشيء، فقيل للنجاشي: إنه قد خَلَعَ طاعتك، وإنه رأى أن قد استغنى بنفسه. فوجَّه إليه جيشاً عليه أرياط، فلما حل بساحته بعث إليه أبرهة: إنه يجمعني وإياك الدّين والبلد، والواجب عليَ وعليك أن تنظر لأهل بلادنا وديننا، فإن شئت فبارزني ، فأيُّنا ظفر بصاحبه كان المُلْك له، و لم يقتل الحبشة فيما بيننا، فرضيَ أرياط، فأجمع أبرهة على المكرْ به،

فاتَّعدا موضعاً يلتقيان فيه فأكمن أبرهة عبداً له يقال له: أرنجدة في وَهدةٍ قريب من الموضع الذي يلتقيان فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحربته، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه، فَسُميَ: أبرهة الأشرم، ونهض الكمين من الحُفْرة فزرق أرياط فأنفذه وقتله، فقال لإرنجدة: احتكمْ. فقال: لا تدخل امرأة باليمن على زوجها حتى يُبدَأ بي. قال: لك ذلك. فغبر بذلك زماناَ، ثم إن أهل اليمن عَدَوْا عليه فقتلوه. فقاد أبرهة: قد آن لكم أن تكونوا أحراراً . فبلغ النجاشيَ قتل أرياط، فآلى ألأَ ينتهي حتى يُريق دم أبرهة ويطأ بلاده، وبلغ أبرهة آليتُه، فكتب إليه : أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، قد هَم عليَ يُريد توهينَ ملكك، وقتل جندك، فسألته أن يكفَّ عن قتالي، إلى أن أوجّه إليك رسولَاَ، فإن أمرته بالكفِّ عنّي وإلّاَ سلمت إليه جميع ما أنا فيه، فأبى إلا أن يحاربني فحاربته، فظهرت عليه، وإنما سلطاني لك، وقد بلغني أنك حلفت ألّاَ تنتهي حتى تُريق دمي، وتطأ بلادي، وقد بعثت إليك بقارورة من دمي وتراب من تراب بلادي، وفي ذلك خروجك من يمينك ، فاستتم أيُّها الملك عندي يدك، فإنما أنا عبدك، وعزي عزك، فرضيَ عنه النجاشي، وأقره على عمله .

فصل قال علماء السير

لما رضيَ النجاشي عن أبرهة بنى أبرهة كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها ، بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلّاها بالذهب والفضة، وحفَّها بالجوهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، وأوقد فيها المندل، ولطخ جوانبها بالمسك، وسمَاها: القُليسْ .
وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرفَ إليها حاج العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشيّ غضب رجل من بني فقيم ، فخرج حتى أتاها فأحدث فيها ثم أخرج، فلحق بأرضه، فخبر بذلك أبرهة فقال: مَنْ صنع هذا؟ فقيلَ: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحج إليه العرب بمكة لما سمع من قولك إني أريد أن أصرف إليه حاجَ العرب، فغضب، فجاء فقعد فيها أي أنها ليست لذلك بأهل فغضب أبرهة، وحلف ليسيرَنَ إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب، منهم: محمد بن خُزاعيّ الذكواني وأخوه قيس، فأمَر محمداً على مضر، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حج القلَيْس، وهي الكنيسة التي بناها .
فسارمحمد حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة وقد بلغ أهل تهامة أمره وما جاء له بعثوا رجلاً من هذيل يقال له: عروة بن حياض، فرماه بسهم فقتله، وهرب أخوه قيس فلحق بأبرهة فأخبره، فزاد ذلك أبرهة غيظاً ، وحلف ليغزوَن بني كنانة، وليهدمن البيت .
فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل، فسمعت العرب بذلك فأعظموه، ورأوْا جهاده حقاً عليهم، فخرج رجل من أشراف أهل، اليمن وملوكهم يقال له: ذو نفر إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله تعالى، فقابله فهزِم ذو نفر وأصحابه، واخذ أسيراً فقال: أيها الملك، لا تقتلني، فإنَه عسى أن يكون كوني معك خيراً لك. فتركه في وثاق، فلما وصل إلى أرض خثعم عرض له نُفيَل بن حبيب الخثعمي ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله، فهزمه أبرهة وأخنه أسيراً، فقال له: لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب. فتركه في الحديد، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتّب في رجال من ثقيف، فقال: أيُّها الملك، إنما نحن عبيدك، ونحن نبعث منْ يدلّك. فبعثوا معه أبا رغال، فمضى به حتى أنزله المغمَس، فمات أبو رغال هناك، فرجمت العرب قبره، فهو القبر، الذي يَرجُم الناس بالمغمَس. ولما نزل أبرهة بالمغمَس بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه

أموال أهل مكة، أصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمَت قريش، وكنانة، وهذيل، ومَنْ كان بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك. وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة فقال: سلْ عن سيد هذا البلد وشريفهم، فقل له : إن الملك يقول لكم إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجةَ لي بدمائكم وإن لم يُرِدْ حربي فاتني به، .فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيّد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فجاءه فأخبره بما قال أبرهة، فقال عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعهُ فهو بيته وحرَمه، وإن يخلّ بينه وبينه، فو الله ما عندنا من دَفْع عنه.

قال: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيَه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنِيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفْر ، وكان له صديقاً حتى دُلَّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه فقال له: يا ذا نفْر، هل عندك غنَاء فيما نزل بنا: فقال له ذو نفر: ما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوّاً أو عشيّا ما عندي غناء فيما نزل بك إلاَّ أن أنيساً سائس الفيل لي صديق فسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم ، عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخيرٍ إن قدر عليه. قال: حسبي. ثم بعث إلى أنَيْس، فجاء به فقال: يا أنَيْس، إن عبد المطلب سيّد قريشَ يطعم الناس بالسّهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذنْ له عليه وانفعه بما أستطعت. قال: أفعل. فكلّم أنيس أبرهة فقال: يا أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك فأذَنْ له، وأحْسِن إليه. فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب عظيماً، وسيماً، جسيماً، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه، ونزل عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه، ثم قال لترجمانه: قل: ما حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردَ علي مائتي بعير أصابها لِي. فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتتركُ بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان ليمتنع مني. قال: أنت وذاك، أردد إليَ إبلي. وكان عبد المطلب قد ذهب معه حين مضى إلى أبرهة عمرو بن نفاثة بن عليّ وهو سيد كنانة وخويلد بن واثلةَ الهذلي وهو سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم .

فلما ردَ أبرهة إبل عبد المطلب انصرف إلى قُريش فأخبرهم بالخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، و التحرز في شَعَف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطّلب فأخذ بحلْقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بباب الكعبة :

يآ رب لَا أَرْجُو لَهُمْ سواكَا — يَا رَب فامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكا

إنَ عَدوَ الْبَيْتِ مَن عاداكا — أَمْنَعْهُمُ أَنْ يُخْرِبُوا قُراكا

وقال أيضاً:

لا هُم إنَّ الْعَبْدَ يَم — نَعُ رحلهُ فامْنَعْ رِحَالكْ

لا يغلبنَ صَلِيبُهُمْ — ومِحالهمْ عَدواً محالك

قال مؤلف الكتاب: ويروى غدواً بالغين ، يعني غداً، وهي لغةٌ ، فإن أراد الشاعر أن مع القوم أخوة غدواً:

فلئنْ فَعلْتَ فربمَا أولَى فأمْر ما بدا لَكَ
جَروا جُموعَ بِلادِهِمْ والْفِيلَ كَيْ يسبوا عيالكْ
عَمَدُوا حِمَاكَ بكَيْدِهِمْ جَهْلاً ومَا رَقَبُوا جَلالَكْ
إنْ كُنتَ تَاركَهم وكَعبتَنَا فامُرْ مَا بَدَا لَكْ.

ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة الباب، وانطلق ومَنْ معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيلَه، وعبَّأ جيشه، فلما وجَّهوا الفيل أقبل نُفيل بن حَبيب الخَثْعَميّ حتى أخذ بأذن الفيل فقال: ابْرُكْ وارجعْ من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام. فبرك، ومضى نُفيل يشتدُ في الجبل، فضربوا الفيل ليقومَ فأبى، فأدخلوا محاجن في مراقيه ليقوم فأبى ، فوجّهوه إلى اليمن، فقام يهرول، ووجّهوه إلى الشام فهرول ، ووجهوه إلى المشرق فهرول ، ووجّهوه إلى مكة فبرك ، فأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كلّ طائر منهم ثلاثة أحجار: حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمّص والعَدَس، لا تصيب أحداً منهم إلّا هلك، فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاءوا منه، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق إلى، اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل اللّه عز وجل بهم من نقمته:

أيْنَ الْمَفرّ وَالإلهُ الطّالِبْ وَالأشْرَمُ الْمَغْلوبُ غَيْرُ الغَالبْ !

وقال نفيل أيضاَ:

ألا حُييتِ عَنَا يا ردينا نعمنا كمْ مَعَ الإصبْاح عَيْنا
أتانا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشاء فَلمْ يُقدَر لْقَابِسِكمْ لدَيْنَا
رُدينَةُ لوْ رَأيْتِ ولَم ترَيْه لدَى جَنْبِ المحصب ما رأينا
إذاً لعَذرْتني وحَمِدْتِ رَايي ولم تأسَي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنا
حَمِدْتُ اللّه إذْ عَايَنْتُ طيْراً وخِفْت حِجَارَةً تُلْقى عَلَيْنَا
فكل القَوْمِ يَسْألُ عن نُفَيْل كأنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا!

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسم، وخرجوا به معهم تتساقط أنامله أنْمُلةً أنْملة ، كلما سقطت أنملة تبعها دم وقيح ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر، عن أشياخ له: أن النجاشي وجه أرياطاً أبا صحم في أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها، فقام رجل من الحبشة يقال له: أبرهة الأشرم فقتل أرياطاً، وغلب على اليمن، فرأى الناس يتجهَّزون أيام الموسم فسأل: أين يذهب الناس؟ فقيل له: يحجُون بيت الله بمكة فقال: مَم هو ؟ قالوا: من حجارة. قال: وما كسوته؟ قالوا: ما، يأتي من ها هنا من الوصائل،. فقال أبرهة: والمسيح لأبنيَنَ لكم خيراً منه فبنى لهم بيتا عمله بالرخام الأبيض، والأحمر، والأصفر،

والأسود، وحلاه بالذهب والفضة، وحفّه بالجواهر، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب، وجعل فيه ياقوتة حمراء عظيمة، وجعل له حُجَّاباً وكان يوقد فيه بالمنْدَل، ويلطخ جُمره بالمسك، وأمر الناس أ أن، يحجوه ، فحجه كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيه رجال يتعبدون، وكان نُفيل الخثعميّ يؤرِّض له ما يكره، فأمهل، فلما كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرّك، فقامَ فجاء بعذِرة فلطخ بها قبلته، وجمع جيفاً فألقاها فيه. فاخبر أبرهة بذلك ، فغضب غضباً شديداً، وقال: إنّما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم، لأنقضنّه حجراً حجراً. فكتب إلى النجاشيّ يخبره بذلك، وسأله أن يبعث إليه بفيله محمود وكان فيلًا لم يُرَقط مثله عظماً وجسماً وقوة فبعث به إليه، فسار أبرهة بالناس ومعه مَلِك حِمْير، ونُفَيل بن حبيب الخثعمي، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نَعَم الناس، فأصابوا إبلًا لعبد المطلب فجاء فقال: حاجتي أن ترد إبلي. فقال: ظننتك كلمتني في البيت . فقال: إن للبيت رباً سيمنعه. فَردَتْ عليه، ، فأشعرها وجعلها هدياً وبثها، في الحرم لكي يُصاب منها شيء فيغضب رب الحرم.

فأقبلت الطير من البحر كل طائر ثلاثة أحجار:، حجَران في رجليه وحجر في مِنقاره، فقذفتها عليهم، وبعث الله عز وجل سيلًا فذهب بهم فألقاهم في البحر، وولى أبرهة هارباً بمن معه، فجعل أبرهة، يسقط عضواً عضواً .

فصل قال علماء السير لما هلك أبرهة

ملك النصرانية في الحبشة ابنه يكسوم، فذلّت حمير وقبائل اليمن ، و وطئتهم الحبشة ثم هلك يكسوم، وملك أخوه مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخل أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقاً، وأخرجوا الحبشة من اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم، ثم مسروق خرج سيف بن ذي يَزن الحميري، وكان يزن يكنى: أبا مُرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما همْ فيه، وطلب إليه أن يخرجَهم عنه، و يليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، ويكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه، و لم يجد عنده شيئاً مما يريد فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكا إليه ما همْ فيه من البلاء والذلّ، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادة في، كل عام، فأقم عندي حتى أخرج بك معي. فأقام عنده حتى خرج به إلى كسرى، فلما قدم النعمان على كسرى وفرغ من حاجته، ذكر له سيف ذي يزن، وما قدم له، وسأله أن يأذنَ له عليه، ففعل. وكان كسرى إنما يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجُهُ، وكان تاجُهُ مثل القنفل العظيم، مضروباً فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والذهب والفضة، معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاق مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه، ثم يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كشف الثياب عنه، فلا يراه أحد إلّا برك هيبة له. فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك، ثم قال: أيُها الملك غلبتْنا على بلادنا الأغربة. فقال كسرى: أيّ الأغربة ؟ الحبشة أم السند. قال: الحبشة، فجئتك لتنصرَني عليهم، وتخرجهم عني، وتكون لك بلادي ، فأنت أحب إلينا منهم. فقال: بعدت أرضك من أرضنا، وهي أرض قليلة الخيْر، إنما بها الشاء والبعير، وذلك مما لا حاجة لنا به، فلم أكن لأورّط جيشاً من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك. فأجيز بعشرة آلاف درهم، وكساه كسوة حسنة، فلما قبضها خرج فجعل ينثُر الورق للناس، فنهبتها الصبيان والعبيد والإماء، فلم يلبث ذلك أنْ دخل على كسرى، فقيل له: العربيّ الذي أعطيته ما أعطيته نثره للناس ونهبته العبيد والصبيان والنساء. فقال: إنّ لهذا الرجل لشأناً، ائتوني به،

فلما دخل قال: عمَدت إلى حِباء الملِك الذي حبَاك به تنثره للناس قال: وما أصنع بالذي أعطاني الملك ما جبال أرضي التي جئت منها إلاّ ذهب وفضة يرغّبه فيها لما رأى من زهادته فيها إنّما جئت إلى الملك ليمنعني من الظلم، ويدفع عنّي الذلّ، فقال له كسرى: أقم عندي حتى أنظر في أمرك. فأقام عنده. وجمع كسرى مَرَازبته وأهل الرأي ممّن كان يستشيره فاستشارهم في أمره، فقال قائل: أيها الملك، إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن هلكوا كان الذي أردت بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان مُلكاً ازددته إلى ملكك. فقال: إنّ، هذا الرأي أحصوا لِي كَمْ في سجوني من الرجال فحسبوا فوجدوا في سجونه ثمانمائة رجل، فقال: انظروا إلى أفضل رجل منهم حَسَبَاً وبيتاً فاجعلوه عليهم. فنظروا فإذا رجل يقال له: وَهْرِز. ففعلوا، وبعثه مع سيف بن ذي يزن، وأمرَهُ على أصحابه، ثم حملهم في ثماني سفر ، فغرقت سفينتان بما فيهما، فخلَصوا ستمائة، فقال وهْرز لسيف: ما عندك؟ قال: ما شئتَ من رجل عربيّ، وفرس عربيّ ثم أجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظهر جميعاً. قال: أنصفت. فجمعَ إليه سيف مَنْ استطاع من قومه، وسمع بهم مسروق بن أبرهة، فجمع جنده من الحبشة، وسار إليهم حتى إذا تقاربت العسكران، ونزل الناس بعضهم إلى بعض بعث وَهْرِز ابناً له يقال له: نَوْزاذ على جريدة خيل ، فقال له، :
ناوشهم القتال حتى ننظر كيف قتالهم. فخرج إليهم فناوشهم فقتلوه، فزاد ذلك وَهْرِز حنقاً عليهم فقال: أروني ملكهم. فقالوا: ترى رجلًا على الفيل عاقداً تاجَه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء. قال: نعم. قالوا: ذاك ملكهم. فوقفوا طويلًا ثم قال: علام هو؟. قالوا: قد تحوّل على فرس. فقال: اتركوه. فوقفوا طويلًا، ثم قال: علام هو؟. قالوا: قد تحوّل على البغلة. فقال: ابنة الحمار ذلّ وذلّ ملكه، إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أوذنكم، فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا، و لآبوا به، فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم. ثم أوْتَر قوسه وضربه فصكّ الياقوتة التي بين عينيه، فتغلغلت النِّشابة في رأسه، حتى خرجت من قفاه، فتكّس عن دابّته، واستدارت الحبشة، فحملت عليهم الفُرْس، فانهزموا، وقتلوا وهرب شريدهم في كل وجه، فاقبل وَهْرِز يريد صنعاء يدخلها، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتي منكّسة أبداً، اهدموا الباب. فهمم باب صنعاء، ثم دخلها ناصباً رايتَه بين يديه. فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى: إني قد ضبطت لك اليمن، وأخرجت مَنْ كان بها من الحبشة وبعث إليه الأموال. فكتب إليه كسرى أن يُملّك سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها، وفرض كسرى على سيف بن ذي يزن جزْية وخراجاً يؤديه في كل عام، وكتب إلى وَهْرِز أن ينصرف إليه ففعل، وكان ذو يزن أبو سيف من ملوك اليمن . وقيل: بل الذي قدم على كسرى ذي يزن، فمات على بابه، فقدم ابنه سيف عليه، فقال: أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصر فمات ببابك فرق له وأعانه، وجرى له ما ذكرنا. قال ابن هشام بن محمد: لما صعدت السفائن سار إليهم مسروق في ماله ألف من الحبشة وحِميْر والأعراب، ولحِق بابن ذي يزن بَشَرٌ كثير، ونزل وهرز على سيف البحر وراء ظهره، ولّما نظر مسروق إلى قلتهم طمع فيهم، وأرسل إلى وَهْرِز وقال: ما جاء بك، وليس معك إلّا ما أرى، ومعي مَنْ ترى لقد غرّرت بنفسك وبأصحابك، فإن أحببت أذِنت لك، فرجعت، وإن أحببتَ ناجزتُك، أو أجلتك حتى تنظرَ في أمرك. فقال: بل تضرب بيني وبينك أجلًا. ففعل. فلما مضى من الأجل عشرة أيام خرج ابن وهْرز حتى دنا من معسكر القوم فقتلوه، فلما انقضى الأجل غير يوم أمر بالسفن التي كانوا فيها فأحرقت بالنار، وما كان معهم من فضل كسوة فأحرق، و لم يدع إلا ما كان على أجسادهم، ثم دعا بكل زاد كان معهم فقال: كلوا. فلما فرغوا أمر بفضله فألقيَ في البحر، ثم قال: أما ما أحرقت من سفنكم، فإني أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم، وأمَا ما أحرقت من ثيابكم، فإنَه كان يغيظني إن ظفرت بكم الجيش، أن يصير ذلك إليهم، وأمّا ما ألقيت من زادكم في

البحر، فإنّي كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداَ، فإن كنتم تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك، وإن كنتم. تفعلون اعتمدت على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري فإني لم أكن لأمكنَهم من نفسي. فقالوا: بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا، أو نظفَر.

فلما أصبح عبىَ أصحابه، وجعل يقول: إما ظفرتم، وإما متم كراماً. ثم رمى ملك القوم فسقط، وهزموا، وغنم من عسكرهم ما لا يحصى، وغلب على صنعاء وبلاد اليمنْ.

وقال ابن إسحاق: لما انصرف وَهْرِز إلى كسرى، وخلف سيفاً على اليمن عدا على الحبشة فجعل يقتلهم إلا بقايا ذليلة، فاتخذهم خَوَلا، وجعل منهم قوماً يمشون بين يديه بالحراب، فلما كان يوماً في وسطهم وجأوه بالحراب فقتلوه، ووثب رجل من الحبشة فأفسد في اليمن فبلغ الأمر كسرى، فبعث إليهم وَهْرِز في أربعة آلاف من الفُرْس، وأمره ألاَّ يترك باليمن أسود ولا ممن شرك فيه السودان إلا قتله، . ففعل، فأقام فيها يَجْبِيها إلى كسرى حتى هلَك .

ولما احتضر وَهْرِز دعا بقوسه ونشابته، وقال: أجلسوني. فأجلسوه، فرمى وقال: هناك. فوقعت نشَابتُه وراءَ الدَّيْر ، فهذا هلك بعث كسرى إلى اليمن أسواراً يقال له: زين ، وكان جباراً مُسْرِفاً فَعَزَلَهُ، واستعمل المروُزان بن وَهْرِز، فلَّما هَلَكَ أمر بعده ابنه البينجان بن المرزبان، فلما هَلك أجمّر بعده خُر خسْرَه .

ثم إن كسرى غضِب عليه، فحلف ليأتينَه به أهلُ اليمن يحملونه على أعناقهم، ففعلوا، فلما قدِموا على كسرى تلقاه رجل من عظماء فارس، فألقى عليه سيفاً لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القَتْل ونزعه، وبعث باذان إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم .

فصل أنوشروان و يخطيانوس

قال علماء السير: وكان بين كسرى أنوشرْوان وبين يخطيانوس ملك الروم هدنة و مودعة، فوقع بين رجل كان ملَّكه ملك الروم يقال له: خالد بن جَبَلة وبين رجل كان ملَكه كسرى يقال له: المنذر بن النعمان نائرة ، فأغار خالد على حيز المنذر، فقتل من أصحابه مقتْلة عظيمة، وغنِم أموالاً، فشكا ذلك المنذر إلى كسرى، فكتب كسرى إلى ملك الروم يذكر ما بينهما من العهد، ويعلمه ما لقي عامله المنذر، ويسأله أن يأخذ خالد بأن يرد على المنذر ما غنم من حيزه، ويدفع إليه دية مَنْ قتل، وأن لا يستخف بما كتب إليه، فيكون في ذلك انتقاض ما بينهما من العهد.

ثم واتر الكُتب بذلك فلم يحفل بها ملك الروم، فغزاه كسرى في بضعة وتسعين ألف مقاتل، فأخذ مدينة دارا، ومدينة الرهاء، ومدينة مَنْبج، ومدينة قِنسرين، ومدينة حَلب، ومدينة أنْطاكيَة وكانت أفضل مدينة بالشام ومدينة فامِية، ومدينة حِمْص، ومدناً كثيرة، واحتوى على ما كان منها، وسَبَى أهل مدينة أنطاكيَة، ونقلَهم إلى أرض السواد، وكان ملك الروم يؤدي إليه الخراج، وكان قُباذ قد أمر في آخر ملكه بمسْح الأرض، سهلها و وعرها، ليصح الخراج عليها، فمُسِحَت غير أن قُباذ هَلَك قبل أن يستحكم أمر المساحة، فلما ملك كسرى أمر باستتمامها وإحصاء النخل والزيتون، ثم استشار الناس وقال: نريد أن نجمع من ذلك في بيوت أموالنا ما لو أتانا عن ثَغْر أو طرف فَتق، كانت الأموال عندنا مُعَدَّة. فاجتمع رأيهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس

والبهائم، وهو الحنطة والشعير والأرز والكرم و الرطاب والنخل والزيتون فوضعوا عن كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم، وعلى كل أربع نخلات فارسي درهماً، وعلى كل ست نخلات دقل مثل ذلك ، وعلى كلّ ستة أصول زيتون مثل ذلك، و لم يضعوا إلاَّ على النخل الذي تجمعه الحديقة دون الشاذ، وألزموا الناس الجزْية ما خلا أهلَ البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذه والكتاب ومَنْ كان في خدمة الملك، وصيروها على طبقات: اثني عشر درهماً، وثمانية، وستة، وأربعة، على قدر إكثار الرجل وإقلاله و لم يلزم الجزية مَنْ كان له من السن دون العشرين وفوق الخمسين، واقتدى بجمهور هذه الأشياء عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قالوا: وكان كسرى ولى رجلًا من الكتاب ذا كفاية، يقال له: بابك بن البيروان ديوان المقاتلة، فاستعرض العسكر و لم ير كسرى فيهم. فقال: انصرفوا، فاستعرضهم في اليوم التالي فلم ير كسرى فيهم، فقال: انصرفوا، وأمر مناديهم، فنادوا في اليوم الثالث: لا يتخلفن أحد، ولا من أكرم بتاج وسرير. فبلغ ذلك كسرى، فوضع تاجه، وتسلَح بسلاح المقاتلة، ثم أتى بابك ليعرض عليه، وكان الفارس يؤخذ بالسلاح التام، فجاء كسرى بسلاح يعوزه شيء يسير، فقال: أيُّها الملك، إنك واقف مقام المعْدلة التي لا محاباة فيها، فهلمَ كلما يلزمك من الأسلحة. ففعل، فلما قام بابك إلى كسرى قال: إن غِلْظَتي في الأمر الذي أغلظت فيه اليوم عليك. إنما كان لينفذ أمري الذي وضعتني له. فقال كسرى: ما غلُظ علبنا أمر أريد به تدبر صلاح رعيتنا. قالوا: و لم يكن ببلاد الفرس بناتُ آوى فتساقط إليها من بلاد الترك في زمان كسرى، فشق على كسرى، وسأل موْبَدان عن ذلك، فقال: متى تغير عدل بجور تساقط إلى أرباب ذلك ما يكرهون. فأمر كسرى عماله أن لا يتعدوا العدل .

ومن الحوادث في زمن كسرى أنوشروان : أنه غضب على وزيره بزرجمهر فقبض عليه وقال: الحمد لله الذي أظفرني بك. فقال له: فكافئه بما يحب كما أعطاك ما تحب. قال: بماذا؟ قال: بالعفو فحبسه في بيتَ كالقبر، وصفده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر أن لا يزاد في كل يوم على قرصين من الخبز، وكف ملح جريش، ودورق ماء، وأن تنقل ألفاظه إليه، فأقام شهوراً لا يسمع له لفظة، فقال أنوشروان: أدخلوا عليه أصحابه، ومروهم أن يسألوه ويفاتحوه الكلام و عربونيه. فدخل عليه جماعة من المختصين به، فقالوا له: أيها الحكيم، نراك في هذا الضيق والحديد والشدة وسحنة وجهك، و صبحة جسمك على حالها لم تتغير، فما السبب؟ فقال: إني عملت جوارشنا من ستة أخلاط، فأخذت منه في كل يوم شيئأ، فهو الذي أبقاني على ما ترون. قالوا: فصفه لنا. قال: الخلط الأول: الثقة باللّه عز وجل. والثاني: علمي بأن كل مقدر كائن. والثالث: الصبر، خير ما استعمل الممتحن. والرابع: إن لم أصبر فأي شيء أعمل و لم أعين على نفسي بالجزع. والخامس: قد يمكن أن يكون في شر مما أنا فيه. والسادس: من ساعة إلى ساعة فرج. ثم إنه قتله. وكان بزرجمهر حكيماً، فمن كلامه: أنه قيل له: من أحب الناس إليك أن يكون عاقلًا. قال: عدوي، لأني أكون منه في دعة. وقال: إن كان شيء فوق الحياة فالصحة، وإن كان مثلها فالغنى، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض، وإن كان مثله فالفقر. ووجد في مكتوب له أربع كلمات: الأولى: إذا كان الله أجل الأشياء فالعلم به أجل العلوم. والثانية: إذا كان الرزق خطاً مقسوماَ فالحرص باطل. والثالثة: إذا كانت الأمور بمقادير اللّه ومشيئته فما آفاتنا ومصائبنا إلا لعلل وأسباب عرفناها أو جهلناها. والرابعة: إذا كان الإنسان عن تركيب مختلف، فطلب الحالة الواحدة منه محال.

وقال بزرجهمر: أدل الأشياء على عقل الرجل التدبير.

وقال بزرجمهر: ينبغي للعاقل أن يكون كعابر نهر أو قاطع رحل .

وقال: مداراة الناس نصف العقل.

وقال: لا ينبغي للعاقل أن يسكن بلداً ليس فيه خمسة: سلطان صارم، وقاض عادل، وسوق قائمة، ونهر جار، وطبيب فاره.

وقال: ما أوتي رجل مثل غزيرة عقل، فإن حرمها فطول صمت، فإن حرمها فالموت أستر له.

وقال وقد سئل: الأغنياء أفضل أم العلماء؟. قال: العلماء. قيل: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء يأتون، أبواب العلماء؟ قال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، وجهل الأغنياء بفضل العلم.

فصل امرؤ القيس

وكان في زمن كسرى أنوشروان امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي واسم أمه: تملك، وقد ذكر في قوله حيث يقول:

ألا هل أباها والحوادث جمة ... بأن امرأ القيس بن تملك ينفرا

أي ترك الحضر وسافر وهو من أهل نجد، والديار التي يصف في شعره ديار بني أسد.

وكان قُباذ قد ملَّك الحارث بن عمرو على العرب، فملك ابنه حجراً على بني أسد، وكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه، فسار إليهم فأخذ سراهم فقتلهم بالعصي، فسموا عبيد العصا. وأسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الأبرص، ثم رحمهم وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم.

ثم ملك أنوشروان فملك النعمان بن ماء السماء فهرب الحارث، واتبعته خيل المنذر ففاتهم فأدركوا ابنه عمراً فقتلوه، ثم إنهم قتلوا حجراً، وكان حجر قد طرد ابنه امرأ القيس لأجل امرأة تشبب بها في شعره يقال لها: فاطمة، وتُلقب: عنيزة، وكان يعشقها، فطلبها زماناً، فلم يصل إليها، وكان يطلب غرتها حتى كان منها، يوم الغدير ما، كان بدارة جلجل، فهو الذي يقول فيه هذا:

ألا رب يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جُلجُل

وذلك أنه رأى نسوة يتمايلن في غدير، فيهن عنيزة، فأخذ ثيابهن، وأقسم لا يعطيهن حتى يخرجن فيأخذنها، فخرجن متكشفات ، فبلغ ذلك أباه، فدعا مولى له فقال: اقتل امرؤ القيس وائتني بعينيه. فذبح شاة وأتاه بعينيها، فندم حجر على ذلك فقال: أبيت اللعن، إني لم أقتله. قال: فأتني به. فانطلق فرده إليه فنهاه عن قول الشعر، ثم بلغه أنه قال:

ألا انْعِمْ صباحاً أيها الطلل البالي .

وطرده، فبلغه قتل أبيه فقال: ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، ثم آلى أن لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يأخذ بثأر أبيه. وخرج إلى قيصر فطلب النصر، فعشقته بنت الملك، فكان يأتيها، وفطن بذلك الطماح بن قيس الأسدي، وكان حجر قتل أباه فوشى به إلى قيصر، فهرب امرؤ القيس، فبعث قيصر في طلبه، فأدركه دون أنقرة بيوم، ومعه حلة مسمومة، فلبسها في يوم صائف، فتناثر لحمه، وتقطع جلده، فقال حين حضرته الوفاة:

وطعنة مسحنفره ... وجفنة مثعنجره

تبقى غداً بأنقره .

وهو آخر شيء تكلم به. وكان امرؤ القيس قد ماتت أمه في صغره فأرضعه أهله بلبن كلبة، فكان إذا عرق فاح منه ريح الكلب، وكان النساء يبغضنه. وتزوج امرأة فاستطالت ليلتها معه، فقال: ما تكرهين مني؟ فقالت: إنك ثقيل الصدر، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة، ريحك ريح كلب. فطلقها. وقال مؤلف الكتاب : وقد روينا أن قوماً من اليمن أقبلوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلوا الطريق، وأعوزهم الماء، فإذا ركبٌ على بعير، فأنشد بعضهم يقول:

ولما رأت أنَ الشريعَة قصدها   وأن البياضَ من فرائضها دامي

تَيَمَّمَتِ العينَ التي عند ضارج   يُفيءُ عليها الظل عَرْمَضُها طامي

فقال الراكب: مَنْ يقول هذا؟ فقالوا: امرؤ القيس. قال: ما كذب والله هذا ضارج عندكم. فمشوا، فإذا ماء عذب عليه العرمض، فشربوا ولولا ذلك لهلكوا. ولما وردوا أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أحيانا الله ببيتين من شعر امرىء القيس. فقال: ذاك الرجل مشهور في الدنيا خامل في الآخرة، مذكور في الدنيا منسي في الآخرة، معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار . أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا أبو الجهم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار.

قال مؤلف الكتاب: واعلموا أن أوائل الشعر لم تكن إلا الأبيات اليسيرة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة له، فأول من ابتدع المعاني العجيبة والنسيب الدقيق، مع قرب المأخذ: امرؤ القيس، فمن أبياته اللطيفة البديعة قصيدته المشهورة :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل

كأني غداة البين يوم تحملوا   لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم   يقولون لاتهلك أسىً وتجمّل

وإن شفائي عبرة مهراقة   فهل عند رسم دارس من معول

أغرك مني أن حبكِ قاتلي   وأنكِ مهما تأمري القلب يفعل

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي   بسهميك في أعشار قلب مُقتل

وليل كموج البحر أرخى سدوله   علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصدره   وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل   بصبح وما الإصباح فيك بأمثل

وله فيها يصف الفرس:

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً   كجلمود صخر حطه السيل من عل

خليلي مرا بي على أم جندب	نقضي لبانات الفؤاد المعذب
ألم تر أني كلما جئت طارقاً	وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
ألا ليت شعري كيف جادت بوصلها	وكيف يضن بالإخاء المغيب
أدامَتْ على ما بيننا من نصيحة	أميمة أم صارت لقول المخيب
ولله عينا من رأى من تفرق	أشت وأنأى من فراق المحصب
غداة غدوا فينا إلى بطن نخلة	وآخر منهم جازع فخد كبكب
فإنك لم تقطع لبانة عاشق	بمثل غدو أو رواح مؤوَب

وكان لكسرى أولاد، فجعل الملك بعده لابنه هرمز.

باب عدد الأنبياء و المرسلين

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن المهتدي قال: أخبرنا أبو الفرج الحسن بن أحمد العماني قال: حدَّثنا أبو بكر محمد بن أحمد الشمشاطي قال: حدَّثنا جعفر بن محمد الفريابي قال: أخبرنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانِي قال: حدَّثنا أبي، عن جدي، عن أبي أدريس الخولانِي، عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً" قلت: مَن كان أولهم؟ قال: آدم، قلت: يا رسول الله، أنبي مرسل؟ قال: نعم، خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه، وسواه قُبُلاً ، يا أبا ذر: أربعة سُريانيون: آدم، وشيث و أخنوخ وهو إدريس، وهو أول مَنْ خط بالقلم ونوح، وأربعة من العرب: هود، و شعيب، و صالح، ونبيك يا أبا ذر، وأول أنبياء بني إسرائيل: موسى، و آخرها عيسى عليه السلام، وأول المرسلين : آدم، وآخرها محمد صلي الله علية وسلم قلت : يا رسول الله كم كتاب أنزل الله عز وجل؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله عز وجل على شيث خمسين صحيفة، وعلى اخنوخ ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل أن يترل التوراة عشر صحائف، وانزل التوراه، والإنجيل، والزبور، والفرقان، قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالًا كلها، كان فيها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك تجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فِي صنع الله عز وجل إليه، وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون طائعاً إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، معيلاً على شأنه، حافظاً لسانه، ومَنْ يحسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها عجبت لمن أيقن بالقدر، ثم هو يلهو، وعجبت لَمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً كيف لا يعمل .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو محمد بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قّال: حدَثنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا عمرو بن الهيثم وهاشم بن الهيثم قالا: أخبرنا المسعودي، عن أبي عمرو الشامي، عن عبد الله بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: قلت للنبي صلي الله عليه وسلم: أيٌّ الأنْبياء أول؟ قال: آدم عليه السلام قلت: أونبياً كان؟ قال: "نعم نبي مُكلَم قال: قلتَ: فكم المرسلين؟ قال: ثلثمائة وخمسة عشر، جمأ غفيراً" .أخبرنا أبو الهاشم هبة الله بن محمد بن الحصين قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي قال: أخبرنا إسحاق بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن رجاء قال: أخبرنا سعيد بن سلمة بن أبي الحسام قال: حدثنا محمد بن المنكدر، عن يزيد بن إبان، عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول: قال رسول الله صلي الله علية وسلم "بعث الله تعالى ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل " .أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد قال: أخبرنا مسلم بن خالد الزنجي قال حدثني زياد بن سعد، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله علية وسلم: "بعث الله عَلى إثر ثَمانِيَة آلافٍ من الأنبياء، مِنهمْ أربعة آلاف نبي، مِنْ بَني إسرائيل ".وروى أبو سعيد الخدري ، عن النبي صلي الله علية وسلم أنه قال: بين يدي الرحمن تبارك وتعالى لوحاً فيه ثلثمائة وخمس عشرة شريعة، يقول الرحمن عز وجل: وعزتي وجلالي لا يأتيني عبد من عبادي لا يشرك بي شيئاً فيه واحد منكن إلا أدخلته الجنة. قال أبو الحسين بن المنادي: هذه الشرائع عائدة إلى المرسلين. وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: لم يكن من الفرس نبي. وقال وهب بن منبه: أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والتوراة لست ليال، خلون من رمضان، والزبور لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، والإنجيل لثماني عشرة ليلة، خلت من رمضان، والقرآن لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان.

ذكر فضل هذه الأمة

أخبرنا الكروخي قال: أخبرنا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر العورجي قالا: أخبرنا ابن الجراح قال: أخبرنا ابن محبوب قال: حدَثنا الترمذي قال: أخبرنا عبيد بن حميد قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر قال: أخبرنا بهز بن حكيم، عن معاوية، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلي الله علية وسلم قال: "إنكم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى".

ذكر ما بين الأنبياء من السنين

روى أبو صالح، عن ابن عباس قال: كان بين آدم إلى نوح عليهما السلام ألفا سنة ومائتا سنة، وبين نوح إلى إبراهيم عليهما السلام ألف ومائة وثلاث وأربعون سنة، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة، ومن موسى إلى داوود خمسمائة وتسع وسبعون سنة، ومن داوود إلى عيسى ألف وثلاث وخمسون سنة، ، ومن عيسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة. وقال ابن إسحاق: بين آدم إلى نوح ألف ومائتا سنة، ومن نوح إلى إبراهيم عليهما السلام ألف ومائة واثنتان وأربعون سنة، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسى وداود خمسمائة وتسع وستون سنة، ومن داوود إلى عيسى ألف وثلثمائة

وست وخمسون سنة، ومن عيسى إلى محمد ستمائة سنة. وقال ابن أبي خثيمة: منذ خلق الله آدم إلى أن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وثمانمائة سنة.

ذكر معايش الأنبياء

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان آدم عليه السلام حرَّاثاً، وكان نوح نجاراً، وكان إدريس خيَّاطاً، وكان صالح تاجراً، وكان إبراهيم زرَاعاً، وكان شعيب راعياً وكان موسى راعياً، وكان داوود زرّاداً، وكان سليمان ملكاً، وكان عيسى لا يخبأ شيئاً لغده، وكان نبينا صلي الله علية وسلم يرعى غنماً لأهل بيته بأجياد، وكانت حواء تغزل الشعر فتحوكه بيدها فتكسو نفسها وولدها.

ذكر من ولد مختونا

قال مؤلف الكتاب : أما آدم فإنه خلق مختوناً، وولد شيث وإدريس ونوح، وسام، وهود، وصالح، ونبي أصحاب الرس، ولوط، ويوسف، وموسى، وشعيب، وسليمان، و زكريا، وعيسى، ونبينا مختونين مسرورين، وابتلي بالختان إبراهيم الخليل على ما سبق.

ذكر أقوام من القدماء

منهم: خالد بن سنان العبسي قال مؤلف الكتاب :ويروى أنه من الأنياء. أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار قال: أخبرنا الحسن بن أبي الحسن بن دوما قال: أخبرنا محمد بن جعفر الباقرحي قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان قال: أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار قال: أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي قال: أخبرنا ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : ظهرت نار بالبادية بين مكة والمدينة، وكانت طوائف من العرب يعبدونها، فقام رجل من عبس يقال له: خالد بن سنان العبسي، فأطفأها ورفع، وقال لأخوته: إني ميت، فإذا مِت فادفنوني في موضعي هذا، فإذا حال الحول فارصدوا قبري، وإذا رأيتم عيراً أبتر مقطوع الذنب عند قبري فاقتلوه وانبشوا قبري، فإني أحدثكم بكل شيء هو كائن. فمات، فدفنوه ثم رصدوا قبره عند الحول، فجاء العير فقتلوه وأرادوا أن ينبشوه، فقال اخوته إن نبشناه كانت سُبة علينا في العرب فتركوه.

فلما بُعث النبي صلي الله علية وسلم قدمت عليه بنت خالد بن سنان بعدما هاجر، فقالت: أنا بنت خالد بن سنان، فقال رسول الله صلي الله علية وسلم: "العبسي" قالت: نعم، فرحَب بها ثم قال لأصحابه إن أباها كان نبياً هلك بين مكة والمدينة، ضيعه قومه، وقص النبي صلي الله علية وسلم قصته وقال لو نبشوه أخبرهم بشأني وشأن هذه الأمة وما يكون منها ".

وبالإسناد عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: انه سُئل عن خالد بن سنان العبسي، أنبياً كان؟ قال: لا، إنما كان ألهم أمراً، لو نبشوه لبشر بالنبي صلي الله علية وسلم، وإنما ألهم الإيمان والهُدى أن غَضب لله، وأطفأ تلك النار لئلا تُعبَدُ. وروى عكرمة ، عن ابن عباس قال: قال خالد بن سنان لقومه: إني ميِّت، فإذا دفنتموني فمر علي ثلاث، فإنه ستجيء عير أبتر، فيقوم على قبري فينهق ثلاث نهقات، فخذوه واذبحوه، وابقروا بطنه، واضربوا به قبري، فإني أخرج إليكم فأحدثكم لما ينفعكم في آخرتكم ودنياكم. فجاء الحمار فنهق فقالوا: انبشوه فقال رهطه: والله لا تنبشوه فيكون علينا سُبّة، قال: وقد كان ذكر لهم أن في عكن امرأته لوحِين إذا أشكل

عليهم أمر، فنظروا فيها فإنهم سيرون ما تسألون عنه، وقال: لا تمسهما حائض. فجاءوا فسألوا امرأته عنهما، فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما، فذكروا أمره لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقال:" نبي ضَيعة قومه ".وروى عبد الرزاق، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاءت ابنة خالد بن سنان العبسي إلى رسول الله صلي الله علية وسلم فقال: "مرحبا بابنة أخي مرحباً بابنة أخي، نبيٍ ضيعه قومه" .

وفي رواية مجاهد، عن ابن عباس قال: خالد في زمن، الفترة.

منهم: جرجيس : هو رجل صالح أدرك بقايا من حواريي عيسى عليه السلام.

روى محمد بن إسحاق ، عن وهب وغيره: أنه كان بالموصل ملك جبار، وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين فكتم إيمانه في عصبة معه يكتمون الإيمان قد أدركوا بقايا من الحواريين، وكان جرجيس كثير المال عظيم الصدقة، فدخل على ملك الموصل وقد نصب صنماً، وأوقد ناراً، وعرض الناس، فمَنْ لم يسجد للصنم ألقاه في النار، فقال له جرجيس: اعلم أنك عبد مملوك ولا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك، وأن فوقك رباً هو الذي يملكك وغيرك، وإنك عمدت إلى خلق من خلقه لا يبصر ولا يسمع فجعلته فتنة للناس، فأمر الملك بخشبة فنصبت، وجُعل عليها أمشاط الحديد، وجُر عليها حتى تقطع لحمه، ونضح بالخل والخردل، فلم يمت، فضُرب في رأسه بمسامير من حديد فلم يمت، فألقاه في لوح من نحاس قد أوقدوا عليه فلم يمت، فقالوا له : ألم تجد ألم هذا العذاب؟ قال: إن ربي حمل عني عذابك وصَبرَني ليحتج عليك، فخَفْهُ على نفسك وملكك . فسجنه وضرب في يديه أوتاداً من حديد، وترك عليه صخرة، فأرسل إليه ملكاً فخلصه من ذلكُ، وقال له: الحق بعدوك وجاهده في الله حق جهاده، فإن اللّه يقول لك اصبر وأبشر، فإني قد ابتليتك بعدوك هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات، وأرد إليك رُوحك، فإذا كانت الرابعة نقلت روحك و أوفيتك أجرك. فلم يشعروا إلا به على رؤوسهم، فقال له الملك: مَنْ أخرجك. قال: أخرجني الذيِ سلطانه فوق سلطانكم . فمدوه بين خشبتين وقطعوه نصفين، ثم قطعوه قطعاً ورموا به إلى أسد ضارية، فلما أدركه الليل جمعه الله عز وجل وردَّ إليه رُوحه، وأرسل الله إليه ملكاً فأطعمه وسقاه وأخرجه، وقال: الحق بعدوك فجاهده، فإذا به على رؤوسهم، فقالوا: هذا ساحر، ثم سألوه آيات فأظهرها، ثم قتلوه فعاد حياً، فآمنت به امرأة الملك وأربعة وثلاثون ألفاً، ثم قتلوه فلم يعد.

منهم: شمشون: قال مؤلف الكتاب : كان في الفترة، وكان رجلاً صالحاً من قرية من قرى

الروم، وكان قومه يعبدون الأوثان. قال وهب بن منبه: كان يغزوهم و يجاهدهم فيقتل ويسبي ويصيب المال ولا يقاتلهم إلا بلحي جمل ، وكان قد أعطي قوة في البطش فلا يوثقه حديد ولا غيره، فلم يقدروا عليه، فدخلوا على امرأته فجعلوا لها جعلاً، فقالت: أنا أوثقه لكم، فأعطوها حبلاً وثيقاً، وقالوا: إذا نام فأوثقي يده إلى عنقه حتى نأتي فنأخذه، ففعلت، فلما هبّ جذبه بيده فوقع من عنقه ، فقال لها: لم فعلت هذا؟ قالت: أجرب به قوتك ، فأرسلت ليهم تخبرهم، فأرسلوا إليه جامعة من حديد فلما نام، جعلتها في عنقه، فلمَّا هَبَ جذبها فوقعت، وقال: لم فعلت، قالت : أجرب قوتك، ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمشون، أما في الأرض شيء يغلبك قال: لا، إلا شيء واحد، قالت: وما هو. قال: ما أنا بمخبرك به، فلم تزل به تسأله حتى قال: ويحك إن أمي جعلتني نذراً، فلا يغلبني شيء ولا يضبطني إلا شعري، قالت: فلمَا نام، أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه فأوثقه ذلك، وبعثت إلى القوم، فأخذوه، فجدعوا أنفه وأذنيه وفقأوا عينه وأوثقوه، للناس بين ظهراني المدينة، ودعا الله أن يسلطه عليهم، فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد

المدينة، كانت المدينة ذات أساطين، فأخذ بالعمودين اللذين عليهما الملك والناس الذين ينظرون إليه فجذبهما، وردّ الله عز وجل إليه بصَرَهُ، وما أصابوا من جسده ووقعت المدينة بالناس والملك فهلكوا. منهم: أصحاب الكهف : قال ابن عباس رضي الله عنه: إنهم قوم هربوا من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فَمّروا براعٍ له كلب يتبعهم على دينهم، فآووا إلى كهف يتعبدون، وكان منهم رجل يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذكرهم الملك، فعوذوا بالله من الفتنة، فضَرب الله على آذانهم وأمر الملك، فسَد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم، وفاة النوم وكلبهم قد غشيه ما غشيهم ثم أن رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه، في البنيان، وقالا: لعل الله عز وجل يطلع عليهم قوماً مؤمنين فيعلمون خبرهم. وقال ابن إسحاق: وألقى الله عز وجل في نفس رجل من أهل البلد أن يهدم ذلك البنيان، فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين يترعان تلك الحجارة، فترعاها، وفتحا باب الكهف، فجلسوا فرحينِ، فسلم بعضهم على بعض، لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئاً يكرهونه، إنما هُم كهيئتهم حين رقدوا، وهم يرون أن، ملكهم في طلبهم فضلوا، وقالوا لتمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاسمع ما يذكرونه، وابتع لنا طعاماً، فوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي يتنكر فيها وخرج، فمر مستخفياً متخوفاً أن يراه أحد، فلما رأى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان فعجب، وخُيل إليه أنها ليستَ المدينة التي يعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، فتعجب، وجعل يقول: لعلي نائم " فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى فقام مسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري لما هذا إلا غشية، أمس لم يكن على وجه الأرض مَنْ يذكر عيسى إلا قتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، و الله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا شيئاً، فقام كالحيوان، وأخرج ورقاً، فأعطاه رجلاً، وقال: بعني طعاماً. فنظر الرجل إلى نقشه فعجب ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم ويتعجبون و يتناقدون وقالوا: إن هذا قد أصاب كتراً ففرق منهم وظنهم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجة لي إليه، فقالوا له: مَنْ أنت يا فتى، والله لقد وجدت كتراً، وأنت تريد أن تخفيه، فشاركنا فيه، وإلا أتينا بك إلى السلطان فيقتلك. فلم يدر ما يقول " فطرحوا كساءه في عنقه وهو يبكي ويقول: فرق بيني وبين أخوتي يا ليتهم يعلمون ما أصبت فأتوا به إلى رجلين كانا يدبران أمر المدينة، فقالا: أين الكز الذي

وجدت؟ .فقال: ما وجدت كتراً، ولكن ما هذه ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني ولا ما أقول لكم . قال مجاهد: وكان ورق أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل فقالوا: منْ أنت، وما اسم أبيك فأخبرهم، فلم يجدوا مَنْ يعرفه، فقال له أحدهما: أتظن أنك تسخر منَا وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار، إني سآمر بك فتعَذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعَرِّف هذا الكتر فقال تمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتم. قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس، قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يُسمَى دقيانوس، وإنما هذا ملك منذ زمان طويل، وهلكت بعده قرون كثرة، فقال: والله ما يصدقني أحد بما أقوله، لقد كنا فتيَة، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهربنا منه عشية أمس، فنمنا، فلما انتبهنا خرجت أشتري لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسار أهل المدينة فكان أصحابه قد ظنوا لإبطائه عليهم أنه قد أخذ، فبينما هم يتخوفون ذلك إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض فسبق تمليخا إليهم وهو يبكي فبكوا معه وسألوه عن شأنه فأخبرهم، وقص عليهم النبأ كله، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله عز وجل، وإنما أوقظوا ليكونوا

آية للناس، وتَصديقاً للبعث، ونظر الناس إلى المسطور الذي فيه أسماؤهم وقصتهم فأرسلوا إلى ملكهم، فجاء واعتنق القوم وبكى، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك، فبينا الملك قائم رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفى الله سبحانه أنفسهم، فأمر الملك أن يجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب، فلما أمسى رآهم في المنام، فقالوا: إنا لم نُخلق من ذهب وفضة، ولكنا خُلقنا من تراب، فاتركنا كما كُنا في الكهف على التراب، حتى يبعثنا اللّه منه، وحجبهم اللّه عز وجلّ حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يؤتى كل سنة .

ومنهم: أصحاب الأخدود: قال مؤلف الكتاب : وهم قوم خُدَت لهم أخاديد، وأوقدت فيها النيران وألقوا فيها. واختلف العلماء في سبب ذلك، فقال قوم: أريدوا على الكفر فلم يفعلوا.

وقال قوم: إن ملكهم وقع على أخته، وأخبر الناس بإباحة ذلك فلم يقبلوا . أخبرنا هبة اللّه بن محمد قال: أخبرنا الحسين بن علي التميمي قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عثمان قال: أخبرنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: "كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني، وحضر أجلي، فادفع إلي غلاماً لأعلَمه السحر، فدفع إليه غلاماً وكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك. فإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك، فشكا ذلك إلى الراهب فقال له، : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك، فقل حبسني الساحر، قال: فبينا هو كذلك إذ أتى ذات يوم على دابة فظيعة عظيمة قد حبست

الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله سبحانه أم الساحر، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كأن أمر الراهب أحب إليك وأرضى لك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورمى بها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلى فإن ابتليت، فلا تدل عليّ، فكان الغلام يبرىء الأكمه وسائر الأدواء ويشفْيهم، وكان للملك جليس فعمي، فسمع به، فأتاه وأتى بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما ها هنا أجمع، قال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فأمن فدعا الله له عز وجل فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان مَنْ رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أنا، قال: لا، ولكن ربي وربك الله قال: أو لك رب غيري قال: نعم، قال: فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فبعث إليه، فقال: أي شيء بلغ من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الأدواء، قال: ما أنا أشفي أحداً، ما يشفي إلا الله، قال: أنا. قال: لا، قال: أو لك ربٌّ غيري. قال: نعم ، ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى الراهب، فقال: ارجع عن دينك. فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للاعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه في الأرض، فقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال لهم: إذا بلغتم فروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه من فوقه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل قال: اكفنيهم اللهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك. قال: كفانيهم الله عز وجل، فبعث به مع نفر في قرقور، وقال: إذا بلغتم أو قال: إذا، لججتم به في البحر، فإن

رجع عن دينه وإلا فأغرقوه. فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم أكفنيهم بما شئت. فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم اللّه عز وجل، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي قال: وما هو؟. قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي ثم قل: بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: بسم اللّه رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على صدغه ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر، فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخددت فيها الأخاديد واضرمت فيه النيران، وقال: مَنْ رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها أبقيت، فتقاعست أن يقع في النار، فقال الصبي: يا أماه أصبري فإنك على الحق .

منهم: جريج العابد : أخبرنا الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرنا وهب بن جرير قال: حدثني أبي قال: سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم قال: وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج، فابتنى صومعة فتعبدَ فيها، قال : فذكر بنو إسرائيل يوماً عبادة جريج، فقالت بغي منهم: لئن شئتم لأفتننه، فقالوا: قد شئنا ذاك،َ قال فأتته ، فتعرضت له، فلم يلتفت إليها فأمكنت نفسها من راعٍ كان يؤوي غنمه إلى أصل صومعة جريج فحملت، فولدت غلاماً، قالوا: ممَنْ، قالت: من جريج، فأتوه فاستنزلوه وشتموه وضربوه وهدموا صومعته، فقال: ما شأنكم. قالوا: إنك زنيت بهذه البغي فولدت غلاماً. قال: وأين هو هذا ؟ قالوا: هو هذا قال: فقام فصلى ودعا، ثم انصرف إلى الغلام فطعنه بإصبعه، فقال: يا غلام، باللّه مَنْ هو أبوك. قال: أنا ابن الراعي، فوثبوا إلى جريج. فجعلوا يقبلونه، وقالوا له: نبني لك صومعتك من ذهب،

قال: لا حاجة لي في ذلك ابنوها من طين كما كانت. قال: وبينما امرأة في حجرها ابن لها ترضعه إذ مر بها راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا. قال: فترك ثديها فأقبل على الراكب، وقال: اللهم لا تجعلني مثله. قال: ثم عاد إلى ثديها. قال أبو هريرة: فكأني أنظر إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يحكي صنع الصبي وضع أصبعه في فيه، فجعل يمصها، ثم مرت بأمة تضرب، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها. قال: فترك ثديها، وأقبل على الأمة وقال: اللهم اجعلني مثلها. قال: فذاك حين تراجعا الحديث، فقالت: حلفي مر الراكب ذو الشارة، فقلت اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومر بهذه الأمة فقلت: لا تجعل ابني مثلها. فقلت: اللهم اجعلني مثلها، فقال: يا أماه، إن الراكب ذا الشارة جبَّار من الجبابرة، وإن هذه الأمة يقولون زنت و لم تزن أو سرقت، و لم تسرق، وهي تقول: حسبي الله .ومنهم: برصيصا : أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي قال: أخبرنا عاصم بن علي قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال: أخبرنا أبو علي بن صفوان قال: أبو بكر بن عبيد، حدَثنا عبد الرحمن بن يونس قال: حدَّثنا سفيان بن عيينة قال: سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي صلي الله علية وسلم قال: "كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية لخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتى بها الراهب، فأبى أن يقبلها، فلم يزالوا حتى قبلها، وكانت عنده، فأتاه الشيطان فزين له حتى وقع عليها، ثم أتاه فقال: الآن تفتضح ويأتيك أهلها فاقتلها، فإن أتوك فقل، ماتت فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم فألقى في قلوبهم أني أحبلتها ثم قتلتها ودفنتها، فأتاه أهلها فسألوه، فقال: ماتت. فأخذوه فأتاه الشيطان فقال: أنا أخذها، وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها وأنا الذي أوقعتك في هذا فأطعني واسجد لي

سجدتين فسجد له سجدتين، فهو الذي قال الله تعالى: "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف اللّه رب العالمين".

قال مؤلف الكتاب: وقد روي هذا الحديث على صفة أخرى أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أحمد بن الحسين بن خيرون قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان قال: أخبرنا أبو علي الطوماري قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء قال: حدثنا عبد المنعم بن إدريس ، عن أبيه قال: ذكر وهب بن منبه أن عابداً كان في بني إسرائيل ، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة أخوة وكانت لهم أخت وكانت بكراً ، ليست لهم أخت غيرها، فخرج البعث عليهم فلم يدروا عند مَنْ يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها ، فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل كان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فأبى ذلك فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زماناً يترل إليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يُرَغّبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلما يزل حتى مشى بطعامها حتى وضعه على باب بيتها، ولا يكلمها. قال: فلبث بذلك زماناً ثم جاءه إبليس فرغَّبه في الخير والأجر وحضَه عليه، وقال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك. قال: فلم يزل حتى مشى إليها بطعامها حتى يضعه في بيتها. قال: فثبت بذلك زمانَا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه: وقال له: لو كنت تكلمها وتحدثها حتى تستأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة قال: فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تترل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس بها، فلم يزل به حتى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدثها وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، قال: فلبثا زماناً يتحادثان، ثم جاءه إبليس فرغَبه في الخير، فقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريباً منها فحدثتها كان انس لها، فلم يزل به حتى فعل فلبثا بذلك زماناً، ثم جاءه إبليس فقال: لو دنوت من باب بيتها، ثم قال: لو دخلت البيت فحدثتها و لم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن، فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهاره كله، فإذا أمسى صعد في صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها، فلم يزل إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها، فولدت غلاماً فجاءه إبليس فقال له: أرأيت إن جاء إخوة هذه الجارية وقد ولدت منك، كيف تصنع؟ فاعمد إلى ولدها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها، ففعل، فقال: أتراها تكتم ما فعلت. خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها، فذبحها كما قلنا، فمكث بذلك ما شاء الله حتى قفل أخوتها من الغزو فجاءوا فسألوه عن أختهم فنعاها لهم وترحَم عليها وبكى، وقال: كانت. خير امرأة وهذا قبرها، فأتى أخوتها القبر، فبكوا أختهم وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أياماً، ثم انصرفوا إلى أهاليهم، فلما جنهم الليل وأخفوا مضاجعهم أتاهم الشيطان في النوم فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وبموتها، فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم انه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه خوفاً منكم فألقاها في حفيرة خلف باب البيت، فأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك، فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لِمَا رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم إلى بعض يقول لقد رأيت عجباً، فأخبر بعضهم بعضاً مما رأى، فقال أكبرهم: هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا، فقال صغيرهم: لا أمضي حتى آتي الموضع

فأنظر فيه، فانطلقوا فبحثوا الموضع فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين، فسألوا عنها العابد، فصدَق قول إبليس فيما صنع بها. قال: فاستعدوا عليهم ملكهم، فأنزل من صومعته وقدموه ليُصلب، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال: قد علمت إني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها، فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلَصتك مما أنت فيه، فكفر العابد بالله سبحانه، فلما كفر خلَّى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ففيه نزلت هذه الآية "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله"، إلى قوله: "جزاء الظالمين" .

ومن ذلك: قصة سبأ :

قال علماء السير: لما ملكت بلقيس جعل قومها يقتتلون على واديهم، فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت ملكها وانطلقت إلى قصرها فنزلته، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها، فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبت، فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك فقال: إنكم لا تطيعوني، وليست لكم عقول، فقالوا: ها إنا نطيعك، فجاءت إلى راديهم، وكانوا إذا أمطروا أتاه السيل من مسيرة ثلاثة أيام، فأمرت به فسد ما بين الجبلين بمسناه، وحبست الماء عمن وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض وبنت لمن دونه بركة، وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدد أنهارهم، فكان الماء يخرج بينهم بالسوية، وكانت لهم جنتان عن يمين واديهم وعن شماله، فأخصبت أرضهم وكثرت فواكههم، وإن كانت المرأة لتمر بين الجنتين والمكتل على رأسها فترجع وقد امتلأ من التمر وما مسَّت بيدها شيئاً منه و لم يكن يرى في بلدهم حية ولا عقرب ولا بعوضة ولا ذباب ولا برغوث، وتمر العرب ببلدهم وفي ثيابهم القمل فتموت القمل لطيب هوائها، وقيل لهم: كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلده طيبة أي هذه بلده طيبة و لم تكن سبخة ولا فيها مما يؤذي، وكانت ثلاث عشرة قرية، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوا الرسل، و لم يقروا بنعم الله، فأرسل الله عليهم سيل العرم و العرم السكر والمساة بعث الله سبحانه جرذاً فنقبه من أسفله وأغرق به جناتهم، وخربت به أرضهم، فتبددوا في البلاد فصارت العرب تتمثل في الفرقة بسبأ .

ومن ذلك: قصة صنعا : قال علماء السير: كان رجل بناحية اليمن ببستان، وكان مؤمناً، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان يأخذ منه قدر قوته ويتصدق بالباقي، فمات عن ثلاثة بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا فعل هذا، إذ كان المال كثيراً والعيال قليلاً، فأما الآن فما نستطيع أن نفعل هذا، فعزموا على حرمان المساكين وتحالفوا بينهم ليغدون قبل خروج الناس فليصر من نخلهم، و لم يقولوا: إن شاء الله، فبعث الله تَعالى بالليل ناراً، فأحرقت، فصارت سوداء، فانطلقوا إلى جنتهم يتشاورون بينهم أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين، فلما رأوها محترقة قال: قد ضللنا طريق جنتنا فليست هذه، ثم علموا أن ذلك عقَوبة، فقَالوا: بل نحن محرومون، قد حرمنا تمر جنتنا، فأخذوا يتلاومون على منع حقوق الفقراء.

ومنهم: أهل الغار: أخبرنا عبد الأول بن عيسى قال: أخبرنا الداوودي قال: أخبرنا ابن أعين السرخسي قال: أخبرنا الفربري قال: حدثنا البخاريِ قال: أخبرنا سعيد بن مريم قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة قال: أخبرنا نافع، عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: بينما ثلاثة نفر يماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار فِي الجبل فدخلوه، فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فأطبقَت عليهم الغار،، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها صالحه فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولى صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وأنه نأى بي السحر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند

رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله تعالى لهم فُرجة حتى رأوا منها السماء. وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها ثمانين ديناراً، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا منها، ففرج لهم فرجة.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرزٍ ، فلفا قضي عمله، قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزال أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها، فجاءني وقال: اتق الله، ولا تظلمني، فأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى تلك البقر وراعيها فخذها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ تلك البقر وراعيها، فأخذها وانطلق بها، قال: كنت تعلم إني فعلت ذلك إبتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي، ففرج الله عنهم .

ومنهم: الكفل : أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرنا أسباط مّال: أخبرنا الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد مولى طلحةَ، عن ابن عمر قال: لقد سمعت عن رسول الله صلى الله علية وسلم حديثاً لم أسمعه لا مرة ولا مرتين، حتى عد سبع مرات، ولكن قد سمعته أكثر من ذلك، قال: كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فمال: ما يبكيك، أكرهتك. قالت: لا، ولكن هذا عمل لم أعمله قط ، وإنما حملني على ذلك الحاجة، قال: فتفعلين هذا و لم تفعليه قط ثم نزل فقال: اذهبي والدنانير لك، ثم قال: واللة لا يعصي اللة الكفل أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه قد غفر اللّه للكفل "

حديث الأبرص و الأقرع والأعمى

أخبرنا عبد الأول بن عيسى قال: أخبرنا ابن طلحة الداوودي قال: أخبرنا ابن أعين السرخسي قال: أخبرنا الفربريِ قال: أخبرنا البخاري قال: حدَثنا أحمد بن إسحاق قال: حدَّثنا عمرو بن عاصم قال: حدًثنا همام قال: حدَّثنا إسحاق بن عبد الله قال: حدٌثني عَبد الرحمن بن أبي عمرو، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحبٌ إليك قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب، فأعطي لوناً حسنأ و جلداً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر شك في ذلك إسحاق في أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر، فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك اللّه لك فيها. وأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا فقد قذرني الناس، قال: فمسحه وذهب وأعطي شعراً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك قال البقر، فأعطاه بقرة حاملًا، قال: يبارك لك فيها. وأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك قال: يرد الله عز وجل بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك، قال: الغنم، فأعطاه شاة والدأ. فينتج هذا وولد هذا، وكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال:

رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ إلا بإذن الله تعالى، ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن بعيراً أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً، فأعطاك الله، فقال لقد ورثت كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ذلك ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله وبك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها، فقال: كنت أعمى فردّ الله علي بصري، وفقيراً، فخذ ما شئت، فو الله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته هو لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، وقد رضي عنك، وسخط على صاحبيك " .

ومن ذلك: حديث العقار. أخبرنا عبد الأول قال: أخبرنا الداوودي قال: أخبرنا ابن أعين قال: حدَثنا الفربري قال: حدثنا البخاري قال: حدَثنا إسحاق بن نصر قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن أمية، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلي الله علية وسلم:

"اشترى رجل من رجل عقاراً، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك، إنما اشتريت منك و لم ابتع ذهباً. وقال له: الذي له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل، فقال: الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارِية. قال: أنكحوا الغلام الجارية، وانفقوا على أنفسهما منَّة وتصدقاً .

ومن ذلك: المستسلف المال: أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدَثني أبي قال: أخبرنا يونس بن محمد قال: حدثنا ليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلي الله علية وسلم "أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار قال: ائتني بشهود أشهدهم. قال: كفى بالله شهيداً. قال: ائتني بكفيل. قال: كفى بالله وكيلاً. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل، فخرج في البحر، فقضى حاجته ثم التمس مركباً يقم عليه لأجل الذي أجله، و لم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبها ثم رجح موضعها، ثم رمى بها في البحر فقال: اللهم إنك قد علمت أني استسلفت من فلان ألف دينار فسألني كفيلَاَ، فقلت كفى باللّه وكيلاً، فرضي بذلك ، وسألني شهيداً، فقلت كفى بالله شهيداً، فرض بك، وإني قد جهدت أني أجد مركباً أبعث إليه بالذي له، فلم أجد مركبا، وإني قد إستودعتها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف. وقال: وهو في ذلك يطلب مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد بماله فإذا الخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلما كسرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار، وقال: والله ما زلى جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل هذا الذي جئت فيه قال: بل كنت بعثت إليّ بشيء، قال: ألم أخبرك بأني لم أجد مركباً قبل هذا الذي جئت فيه فإن الله عز وجل قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة، فانصرف بمالك راشداً ومن ذلك: حديث العجوزتين : أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن خيرون قال أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان قال: أخبرنا أبو علي عيسى بن مد الطوماري قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء قال: أخبرنا عبد المنعم ابن أدريس، عن أبيه قال: ذكر وهب بن منبه قال : قال أبو هريرة: قال النبي صلي الله علية وسلم "كل الأعاجيب كانت في بني إسرائيل، حدثوا

عنهم ولا حرج، فلو حدثتكم حديث العجوزتين لعجبتم، قالوا: حدَّثنا يا رسول الله. قال: كان في بني إسرائيل رجل له امرأة يحبها ومعه أم عجوز كبيرة امرأة صدق، ومع امرأته أم لها عجوز كبيرة امرأة سوء، وكانت تغري ابنتها بأمِ زوجها، وكان زوجها يسمع منها وكان يحبها ، فقالت لزوجها: لا أرضى عنك أبداً، حتى تخرج عني أمك وكلتا العجوزتين، قد ذهب بصرهما، فلم تدعه حتى خرج بأمه فوضعها في فلاة من الأرض، ليس معها طعام ولا شراب ليأكلها السباع، ثم انصرف عنها، فلما أمست غشيتها السباع فجاءها ملك من الملائكة، فقال لها: ما هذه الأصوات التي أسمع حولك قالت: خير، هذه أصوات بقر وإبل وغنم، قال: خيراً فليكن، ثم انصرف عنها وتركها، فلما أصبحت أصبح الوادي ممتلئاً إبلاً وبقراً وغنماً، فقال ابنها: لو جئت أمي فنظرت ما فعلت، فجاء فإذا الوادي ممتليء إبلاً وغنماً و بقراً، قال: أي أماه ما هذا. قالت: أي بُني هذا رزق الله وعطاؤه إذ عققَتني وأطعت امرأتك في، فاحتمل أمه وساق معها ما أعطاها الله تعالى من الإبل والبقر والغنم، فلما رجع بها إلى امرأته وبمالها قالت له امرأته والله لا أرضى عنك أو تذهب بأمي فتضعها حيث وضعت أمك فيصيبها مثل ما أصاب أمك، فانطلق بالعجوز فوضعها حيث وضع أمه، ثم انصرف عنها، فلما أمست غشيها السباع وجاءها الملك الذي أرسله الله إلى العجوز قبلها، فقال: أيتها العجوز ما هذه الأصوات التيِ أسمع حولك؟ قالت:

شر، والله وعُر، هذه أصوات سباع تريد أن تأكلني، قال: شر فليكن، ثم انصرف عنها فأتاها سَبْع فأكلها، فلما أصبح قالت له امرأته: اذهب فانظر ما فعلت أمي، فذهب لينظر فلم يجد منها إلا فضل ما ترك السبع، فرجع إلى امرأته، فأخبرها، فحزنت على أمها حزناً شديداً، وحمل عظامها في كساء حتى وضعها بين يدي ابنتها فماتت كمداً .

حديث العابد والرمانة : أخبرنا محمد بن عمر الأرموي قال: أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي قال: أخبرنا أبو القاسم يحيى بن محمد بن عبد الله بن سلام البزاز قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا الحسن بن علي القطان قال: أخبرنا أبو محفوظ بن أبي توبة قال أخبرنا أبو عبد الله بن صالح قال: حدَثنا سليمان بن هرم القرشيِ، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج إلينا رسول الله صلي الله علية وسلم فقَال: "خرجٍ من عندي خليلي عليه السلام أنفاً. فقال يا محمد والذي بعثك بالحق إن لله عبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية فأخرج الله له عيناً عذبة بعرض الإصبع يبض بماء عذب، وتسفح في أسفل جبل وشجرة رمَّان تخرج له في كل يوم رمانة فتغذيه يومه، فإذا أمسى نزل وأصاب من الوضوء وأخذ من تلك الشجرة الرمانة فأكلها ثم قام إلي الصلاةَ، فسأل ربه عز وجل عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد، ففعل ونحن نمر إذا هبطنا وإذا رجعنا فنجده في العلم يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول الرب تعالى: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بعملي، فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: بل بعملي، فيقول الله تعالي أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعمليِ، فيقول الله تعالى للملائكة قايسوا عبدي بنعمتي كلها فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمس مائة سنة وفي الجسد فضلاً عليه فيقول: أدخلوا عبدي النار قال: فَيُجر إلى النار فيقول: يا رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول ردوا عبدي فيوقف بين يدي الله عز وجل، فيقول عبدي من خلقك و لم تك شيئاً فيقول: أنت يارب فيقول أكان ذلك من قبلك برحمتي، فيقول بل برحمتك، فيقول: من قواك لعبادة خمس مائة سنة، فيقول: أنت يا رب، فيقول من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل يوم رمانة، وإنما يخرج مرة في السنة، وسألتني أن أقبضك ساجداً ففعلت ذلك برحمتي، أدخلوا عبدي الجنة برحمتي،

فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الله الجنة، وقال جبريل عليه السلام إنما الأشياء برحمة الله تعالى يا محمد.

عابد من الرهبان : حدَّثنا المبارك بن علي الصيرفي من لفظه قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عمر السمرقندي قال: أخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا جدي أبو بكر محمد بن جعفر السامري قال: أخبرنا إبراهيم بن الجنيد قال: حدثنا أبن طفر قال: حدثنا سليمان الضبعي، عن عبد الصمد بن معقل بن منبه، عن عمه وهب بن منبه قال: كان عابد من عباد بني إسرائيل يعبد الله دهراً طويلًا في صومعته فعف، وزهد حتى شكته الشياطين إلى إبليس، فقالوا: فلان قد أعيانا لا نصيب منه شيئاً، قال: فانتدب له إبليس بنفسه، فأتاه فضرب ديره، فقال: مَنْ هذا؟ قال: ابن سبيل، افتح لي حتى آوي الليلة في ديرك. قال له العابد: هذه قرى منك غير بعيدة، مل إلى بعضها فائوِ إليها، قال: اتق الله وافتح لي فإني أخاف اللصوص، والسباع، قال: ما أنا بالذي أفتح لك فسكت إبليس، ثم ضرب باب الدير، فقال: افتح لي، قال: مَنْ هذا؟ قال: أنا المسيح قال: إن تكن المسيح فليس لك لي حاجة فقد بلغت رسالات ربك فموعدك الآخرة، فسكت إبليس، ثم ضرب ديره، فقال: افتح لي قال: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: ما أنا بالذي أفتح لك، فقال إبليس: لك ما لله، ولك وجعل يعاهده لا أعمل في مضرة أبداً أفتح ، قال: فترل ففتح له الباب، وصعد إبليس فجلس بين يديه فقال: سلني عما شئت أخبرك، فقال: ما لي إليك حاجة، قال: فقام إبليس فولى فناد أقبل، فقد بدا لي أن أسألك، قال: سل ، قال: أي شيء أهون لكم في هلك ابن آدم؟ قال: السكر، فإنه إذا أسكر ابن آدم لم يمتنع منا من شيء نريده ثم لعبنا به كما يلعب الصبيان بالكرة، قال: وماذا؟ قال: الحدة لو أن ابن آدم بلغ في عبادة الله تعالى، ما يحيي الموتى بإذن الله ما يئسنا أن نصيبه في بعض غضبه قال: وماذا؟ قال: والبخل، قال: يأتي ابن آدم فنقلل نعمة الله عنده، ونكثر ما في أيدي الناس عنده حتى يبخل بحق الله في ماله فيهلك.

عابدان أخوان من بني إسرائيل : أنبأنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان قال: أخبرنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن محمد بن شاذان قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن منجاب قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاكر الريحاني قال: حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: أخبرنا أبو حفص النابلسي قال: أخبرنا أبو معبد قال : سمعت بلال بن سعد يقول: كان أخوان في بني إِسرائيل خرجا يتعبدان، فلما أرادت الطريق أن تفرق بينهما، قال أحدهما لصاحبه: خذ أنت في هذا الطريق وآخذ أنا في هذا الطريق، فإذا كان رأس السنة فهو الموعد بيني وبينك، فخرجا يتعبدان، فلما دنا رأس السنة اجتمعا في ذلك الموضع فقال أحدهما لصاحبه: أي ذنب فيما عملت أعظم؟ قال: بينما أنا أمشي على الطريق إذا بسنبلة فأخذتها فألقيتها في إِحدى الأرضين أرض عن يميني وأرض عن شمالي، فلا أدري هي الأرض التي ألقيتها فيها أم الأخرى، ثم قال المسؤول للسائل: أي ذنب فيما عملت أعظم، قال: كنت أقوم في الصلاة فأميل مرة على هذه الرجل ومرة على هذه الرجل فلا أدري أكنت أعدل بينهما أم لا فسمعهما أبوهما من داخل الدار، فقال: اللهم إن كانا صادقين فأمتهما فخرج فإذا هما قد ماتا.،

ثلاثة من عباد بني إسرائيل : أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي قال: أخبرنا شجاع بن فارس قال: أخبرنا أبو طالب العشاري قال: أخبرنا أحمد بن محمد العلاف قال: أخبرنا صفوان قال: أخبرنا أبو بكر القرشي قال: حدَّثنا أزهر بن مروان قال: أخبرنا جعفر بن سليمان قال: أخبرنا أبو عمران الجنوني، عن عبد الله بن رياح الأنصاري، عن كعب قال: اجتمع ثلاثة عباد من بني إسرائيل، فقالوا: تعالوا نذكر كل واحد منا أعظم ذنب عمله، فقال أحدهم: أما أنا فلا أذكر من ذنب أعظم من أني كنت مع صاحب لي فعرضت

لي شجرة، فخرجت عليه ففزع مني، وقال: الله بيني وبينك. وقال أحدهم: إنا معشر بني إسرائيل إذا أصاب أحدنا بول قطعه، فأصابني بول فقطعته فلم أبالغ في قطعه. وقال أحدهم: كانت لي والدة، فدعتني من قبل شمال الريح فأجبتها و لم تسمع فجاءتني مغضبة فجعلت، ترميني بالحجارة فأخذت عصا وجئت لأقعد بين يديها تضربني بها حتى تترفني ففزعت مني فأصاب وجهها شجرة فشجتها، فهذا أعظم ذنب عملته.

عابد من بني إسرائيل : أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا علي بن إسحاق قال: أخبرنا حسين بن الحسن المروزي،قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا بكار بن عبد الله انه سمع وهب بن منبه يقول: كان رجل من أفضل أهل زمانه، وكان يزار فيعُظهم، فاجتمعوا إليه ذات يوم، فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان، وقد خفت ذلك أن يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا يحب أن يقضى له حاجته، فإن اشترى أحدنا بيعاً أن يقارب لمكان دينه، وإن لقي حق ووقف بمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك، فعجب به الملك فركب إليه ليسلم عليه أو ينظر إليه،، فلما رآه الرجل قيل له هذا الملك: قد أتاك ليسلم عليك، فقال: وما نصنع؟ فقيل: الكلام الذي وعظت به، فسأل رده هل عندك طعام، فقال شيء من تمر الشجر، فما كنت تفطر به وامرأتي معي على مسح فوضع بين يديه فأخذ يأكل منه ، وكان يصوم النهار ولا يفطر، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه خفية، وأقبل على طعامه، يأكله، فقال الملك: فأين الرجل قيل له هو هذا الذي يأكل قال: نعم، قال: فما عند هذا من خير: فأدبر، فقال الرجل: الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك. وفي رواية: إنه قدم له بقل وزيت وحمص فجعل يجمع من البقول والطعام ويطعم اللقمة ويغمسها في الزيت فيأكل أكلًا عنيفاً، فرآه الملك فذهب عنه.

عابد آخر منهم : أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي قال: أخبرنا عبد الله بن حامد الوراق قال: حدثنا أبو حامد بن جعفر قال: حدثنا علي بن محمد بن فهيد قال: حدثنا إسحاق بن رزيق قال: حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل عابد فلبث سبعاً لم يطعم هو وعياله شيئاً. فقالت له امرأته: لو خرجت وطلبت لنا شيئاً. فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال، وصرف اللّه، عنه الرزق، فقال: والله لأعملنّ اليوم مع ربي، فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال ، راكعاً وساجداً، حتى إذا أمسى أتى أهله، فقالت له امرأته: ماذا صنعت، فقال: قد عملتَ مع أستاذي، وقد وعدني أن يعطيني، ثم غدا إلى السوق ، فوقف مع العمال، فاستؤجر العمال وصرف الله، عنه الرزق، و لم يستأجره أحد، فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي، فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل، وما زال راكعاً وساجداً حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله، فقالتَ له امرأته: ماذا صنعت، قال: إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجري، فخاصمته امرأته، وبرزت عليه، فلبث يتقلب ظهراً لبطن وبطناً لظهر، وصبيانه يتضاغون جوعاً، ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال، وصرف عنه الرزق، و لم يستأجره أحد، فقال: والله لأعملن مع ربي، فجاء إلى ساحل البحر، فاغتسل وما زال راكعاً وساجداً، حتى إذا أمسى، قال: أين أمضي، تركت أقواماً يتضاغون جوعاً، ثم تحمل على جهد منه، فلما قرب من داره، سمع ضحكاً وسروراً، وسمع رائحة قديد ورائحة شواء، فأخذ على بصره وقال: أنائم أنا أم يقظان ؟ تركت أقواماً يتضاغون جوعاً، و أشم رائحة قديد ورائحة شواء، وأسمع ضحكاً وسروراً، دنا من الباب فطرق الباب، فخرجت امرأته حاسرة وقد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه، ثم قالت:

يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك بدنانير، ودراهم وكساء، وودك ودقيق، وقال: إذا جاء فلان فأقرئوه السلام وقولوا له: إن أستاذك يقول لك: رأيت عملك فرضيته، فإن أنت زدتني في العمل زدتك في الأجرة.

حديث يرخ : أخبرنا ابن المبارك بن علي الصيرفي قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن طاهر البيع قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثنا ابن رزقويه قال: أخبرنا عثمان بن أحمد قال: أخبرنا ابن البراء قال: حدثني الفضل بن حازم قال: حدثني يوسف بن غزولا اللخمي قال: حدثني مخلد بن ربيعة الربعي ، عن كعب قال: قحطت بنو إسرائيل على عهد موسى، فسألوه أن يستسقي لهم فقال اخرجوا معي إلى الجبل، فخرجوا، فلما صعد الجبل قال موسى: لا يتبعني رجل أصاب ذنباً، قال: فانصرف أكثر من نصف القوم ، ثم قال: الثانية لا يتبعني من أصاب ذنباً، فانصرفوا جميعا إلا رجل أعور، يقال له يرخ العابد، فقال له موسى: ألم تسمع ما قلت. قال: بلى قال: فلم تصب ذنبآ قال: ما أعلمه إلا شيئاً أذكره، فإن كان ذنباً رجعت، قال: ما هو؟ قال: مررت في طريق فرأيت باب حجرة مفتوح، فلمحت بعيني هذه الذاهبة شخصاً لا أعلم ما هو، فقلت لعيني أنت من بين يدي سارعت إلى الخطيئة لا تصحبيني بعدها، فأدخلت إصبعي فيها فقلعتها، فإن كان هذا ذنباً رجعتَ، فقال موسى عليه السلام: ليس هذا ذنباً. ثم قال: إستسق يا يرخ، قال: قدوس قدوس، ما عندك لا ينفد وخزائنك لا تفنى، وأنت بالبخل لا ترضى، فما هذا الذي لا يعرف به اسقنا الغيث الساعة الساعة، قال: فانصرفا يخوضان الوحل.

قال مؤلف الكتاب: وقد روينا نحو هذه الحكاية فيما تقدم وأنها جرت لعيسى ابن مريم عليه السلام.

تائب من بني إسرائيل: أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا محفوظ بن أحمد الفقيه قال: أخبرنا محمد بن الحسين الجازري قال: أخبرنا المعافى بن زكريا قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال: أخبرنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القاضي قال: حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد الحضرمي ، عن كعب الأحبار: إن رجلاً من بني إسرائيل أتى فاحشة، فدخل نهراً يغتسل فيه، فناداه الماء يا فلان ألم تستحي ألم تتب من هذا الذنب، وقلت: إنك لا تعود فيه فخرج من الماء فزعاً وهو يقول: لا أعصي اللّه عز وجل، فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجَلَا يعبدون الله تعالى فلم يزل معهم حتى قحط موضعهم، فنزلوا يطلبون الكلأ، فمروا على ذلك النهر، فقال لهم الرجل: أمَّا أنا فلست بذاهب معكم، قالوا: لم؟ قال: لأن ثم من قد أطلع مني على خطيئه فأنا أستحي منه أن يراني، فتركوه، ومضوا فناداهم النهر، يا أيها العُباد، ما فعل صاحبكم، قالوا: زعم لنا، أن ها هنا من قد، اطلع منه على خطيئة فهو يستحي منه أن يراه، قال: يا سبحان الله، إن بعضكم يغضب على ولده أو على بعض قراباته، فإذا تاب ورجع إلى ما يحب أحبه وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحب، فأنا أحبه، فأتوه فأخبروه واعبدوا الله على شاطىء النهر فأخبروه ، فجاء معهم، فأقاموا يعبدون الله زماناً، ثم إن صاحب الفاحشة توفي، فناداهم النهر: يا أيها العُباد، غسلوه من مائي، وادفنوه على شاطئي حتى يبعث يوم القيامة مِن قربي، ففعلوا ذلك به، وقالوا: نبيت ليلتنا هذه على قبره لنبكي فإذا أصبحنا سرنا، فباتوا على قبره يبكون، فلما جاء وجه السحر غشيهم النعاس، فأصبحوا وقد أثبت اللّه عز وجل على قبره اثنتي عشرة سروة، وكان أول سرو أنبته اللّه عز وجل على وجه الأرض، فقالوا: فما أنبت اللّه هذا الشجر فِي هذا المكان، إلا وقد أحب عبادتنا فيه، فأقاموا يعبدون اللّه على قبره، كلما مات فيهم رجل دفنوه إلى جانبه، حتى ماتوا بأجمعهم. قال كعب: فكانت بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم رحمة الله عليهم.

قصّار من بني إسرائيل : أنبأنا أحمد بن أحمد بن موسى الصيرفي قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الأصفهاني قال: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثني الحسن بن الصباح قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: أخبرنا محمد بن سبط قال: حدثنا بكر بن عبد الله المزني: أن قصاراً ولع بجارية لبعض جيرانه، فأرسلها أهلها إلى حاجة لهم في قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها، فقالت: لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك، ولكني أخاف الله. فقال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع ثانية فأصابه العطش حتى كاد يتقطع عنقه، فإذا هو برسول الله لبعضر بني إسرائيل، فسأله، فقال: ما لك. قال: العطش قال: تعال حتى تدعو، حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال: ما لي عند الله عمل فأدعو قال: فأدعو أنا، وأمِّن أنت. قال: فدعا الرسول وأمَّن هو فأظلتهم سحابة، حتى انتهوا إلى القرية، فأخذ القصار إلى مكان فمالت السحابة عليه، فرجع الرسول فقال: زعمت أن ليس لك، عمل وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت، فأظلتنا سحابة، ثم تبعتك لتخبرني ما أمرك، فأخبره فقال الرسول: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

عابدة من بني إسرائيل يقال لها سارة : أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا أحمد بن علي الثوري قال: أخبرنا عمر بن ثابت قال: أخبرنا علي بن أحمد بن أبي قيس قال: أخبرنا أبو بكر القرشي قال: أخبرنا عبد الله بن رومي قال: أخبرنا إسماعيل بن عبد الكريم، جمن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قال: أتي بامرأة من بني إسرائيل يقال لها سارة وسبعة بنين لها إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الختزير فدعا أكبرهم فقرَّب إليه لحم الخترير، فقال: كُل، فقال: ما كنت لآكل شيئاً حرَّمه الله عز وجل أبداً، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم قطعه عضو عضوآ حتى قتله، ثم دعا بالذي يليه فقال: كُل، فقال: ما كنت لأكل شيئاً حرمه الله تعالى، فأمر بقدر من نحاس فملئت زيتاً ثم أغليت حتى إذا غلت ألقاه فيها، ثم دعا الذي يليه، فمال: كُل، فقال: ما كنت لآكل شيئآ حرمه الله تعالى، فقتله، ثم دعا الذي يليه ، فقال: أنت أذل وأقل وأهولن على الله من أن آكل شيئآ حرمه الله تعالى علي فضحك الملك، ومال: أتدرون ما أراد بشتمه إياي، أراد أن يغضبني، فأعجل في قتله وليخطئه ذلك وأمر به، فجز جلدة عنقه، ثم أمر به أن يسلخ جلدة رأسه ووجهه فسلخوه سلخاً، فلم يزل يقتل كل واحد منهم بلون غير قتل أخيه حتى بقي أصغرهم، فالتفت به إلى أمه، فقال: لقد رثيت لك مما رأيت فانطلقي بابنك هذا فاخلي به وانقذيه على أن يأكل لقمة واحدة فيعيش لك قالت: نعم، فخلت به، فقالت: أي بني إنه كان لي على كل رجل من إخوتك حق، ولي عليك حقان.، وذلك إني أرضعت كل واحد حولين، فمات أبوك وأنت حمل، فأرضعتك لضعفك ورحمتي إياك أربعة أعوام فاسألك بالله وحقي أما صبرت و لم تاكل شيئآ مما حرمه الله عليك ولا تلقين أخوتك يوم القيامة، ولست معهم، فقال: الحمد له الذي أسمعني هذا منك، أما كنت أخاف أن تريديني على أن آكل مما حرمه الله، ، ثم جاءت به إلى الملك فقالت: ها هو ذا قد أردته وعرضت عليه فأمره الملك أن يأكل، فقال: ما كنت لآكل شيئآ حرمه الله علي، فقتله وألحقه بأخوته، وقال لأمهم: إني لأجدني أرثي لك، فما رأيت اليوم، ويحك، فكلي لقمة ثم أصنع بك ما شئت وأعطيك ما أحببت تعيشين به،. قالت: ما أجمع بين ثكل ولدي ومعصية الله عز وجل، فلو حييت بعدهم ما أردت ذلك، وما كنت لآكل شيئآ مما حرمه الله تعالى أبداً فقتلها وألحقها ببنيها.

عقوبة كذاب على موسى عليه السلام : أخبرنا علي بن محمد بن حسنون قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثنا أبو محمد السمسار قال: أخبرنا محمد بن كثير البصري قال: حدثنا عبيد بن واقد القيسي

عن عثمان بن عبد الله ، عن رجل من أهل العلم قال: كان رجل يخدم موسى عليه السلام، ويتعلم منه، قال: فاستأذنه أن يرجع إلى قريته ثم يعود إليه، فأذن له فانطلق، فجعل يقول: حدثني موسى كليم الله بكذا وكذا، وحدثني نجي الله بكذا حتى كثر ماله، وجعل موسى عليه السلام يسأل عنه، ولا يخبر بشيء فبينما موسى عليه السلام قاعد إذ مرَّ به رجل يقود خزراً في عنقه حبل والخزر لإرنب الذكر فقال: يا عبد الله من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من قرية كذا وكذا، من قرية الرجل قال: فتعرف فلاناً؟ قال: نعم، هو الذي في يدي، قال موسى: يأ رب رده إلى حاله حتى أسأله فيما صنعت به هذا، فأوحى الله تعالى إليه لو سألني آدم فمن دونه من النبيين حتى بلغ محمداً صلي الله علية وسلم لم أرده إلى حاله، وإنما صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين.

ذو الرجل : أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني محمد بن المرزبان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثني محمد بن الحسن عن داود بن أبي الرياد، عن أبيه قال: كان راهب يتعبد في صومعة فأشرف منها فرأى امرأة ففتن بها، فأخرج رجله من الصومعة ليترل إليها، فلما أخرج رجله نزلت عليه العصمة وأدركته السعادة فقال: يا لنفس رجل خرجت من الصومعة لتعصي الله يعود إليها ويكون في صومعتي معي، والله لا كان هذا أبداً، قال: فتركها معلقة خارج الصومعة يسقط عليها الثلوج والأمطار وتصيبها الشمس والرياح حتى تقطعت وتناثرت وسقطت ، فشكر الله ذلك من فعله، و نزل في بعض الكتب وذو الرجل يمدحه بذلك.

حديث بغي من بني إسرائيل : أخبرنا عبد الملك بن عبد الله الكروخي قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن علي العميري قال: أخبرنا محمد بن أحمد الفامي قال: أخبرنا محمد بن أحمد المرواني قاد: حدثنا محمد بن المنكدر قال: حدثني الفضل بن عبد الجبار الباهلي قال: أخبرنا إبراهيم بن الأشعث قال: أخبرنا المعمر بن سليمان. قال: سمعت أبا كعب يحدث عن الحسن قال: كانت امرأة بغي لها ثُلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار وإنه أبصرها عابد، فأعجبته فذهب، فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار فجاء فقال: إنك قد أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار، فقالت: ادفعها إلى القهرمان حتى ينقدها ويزنها ففعل فقالت: أنقدت منه مائة دينار، قال: نعم، قالت: ادخل، وكان لها من الجمال والهيئة ما الله أعلم به، وكان، لها بيت مُنَجَّد وسرير من ذهب، فقالت: هلم إلي، فلما جلس منها مجلس الرجل الخائن ذكر مقامه بين يدي الله عز وجل، أخذته رعدة، وماتت شهوته، فقال: اتركيني أخرج ولك مائة دينار، قالت: ما بدا لك، وقد رأيتني كما زعمت فأعجبتك فذهبت وعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينار، فلما قدرت عليَّ فعلت الذي فعلت، قال: فرق من الله ومقامي بين يديه وقد بغضت إلي، قالت: لئن كنت صادقآ ما لي زوج غيرك، قال: ذريني لأخرج. قالت: لا إلا أن تجعل لي عهداً أن تتزوجني قال: لا، حتى أخرج. قالت: خَلِّ عليك، إني أحب أن تتزوجني، قال: لعل، قال: فيقبع بثوبه ثم خرج إلى بلده، وارتحلت الأخرى بدنياها نادمة على ما كان منها، حتى قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومترله، فدُنت عليه، فقيل له: الملكة جاءت تسأل عنك، فلما رآها شهق شهقة فمات، قال: فأسقط في يديها، فقالت: أما هذا فقد فاتني، فهل له من قريب، قيل أخوه فقير، فحضر، قالت: إني أتزوجك بحب أخيك قال: فتزوجته، فولدت له سبعة أبناء.

حديث بغي أخرى : أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي قال: أنبأنا أبو

الحسين الزينبي قال: حدثنا ابن المرزبان قال: حدثني أبو أحمد الخراساني قال: حدثني أحمد بن أبي نصر قال: حدثنا إبراهيم بن خالد قال: حدثني أمية بن شبل عن عبد الله بن وهب قال إبراهيم: لا أراه إلا عن أبيه: إن عابداً من عُباد بني إسرائيل، كان يتعبد في صومعته، فجاء نفر من الغواة إلى امرأة بغي، فقالوا لها: لعلك تزيلينه فجاءته في ليلة مظلمة فنادته فأشرف عليها، فقالت له: يا عبد الله آوني إليك أما ترى الظلمة والمطر فلم تزل به حتى آواها، فاضطجعت قريباً منه، فجعلت تريه محاسن وجهها حتى دعته نفسه إليها فقال: لا والله حتى أنظر كيف صبرك على النار، فتقدم إلى المصباح فوضع إصبعاً من أصابعه فيه حتى احترقت، ثم عاد إلى صلاته، فدعته نفسه أيضاً، وعاود المصباح فوضع إصبعه الأخرى حتى احترقت، فلم تزل نفسه تدعوه وهو يعود إلى المصباح، حتى احترقت أصابعه جميعاً وهي تنظر فضعفت المرأة فماتت .

حديث عفيف منهم عن المعاصي : أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي قال: أخبرنا أبو الحسين الزينبي قال: أخبرنا ابن المرزبان قال: أخبرني أحمد بن حرب قال: حدثني عبد الله بن محمد قال: حدثني أبو عبد الله البلخي: أن شاباً كان في بني إسرائيل لم يُر شاب قط أحسن منه، وكان يبيع القفاف، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل فلما رأته رجعت مبادرة، فقالت لابنة الملك: يا فلانة، إني رأيت شاباً يبيع القفاف، لم أر شيئاً أحسن منه، قالت: أدخليه فخرجت إليه، فقالت: يا فتى أدخل، لنشتر منك، فدخل، فأغلقت الباب دونه، ثم قالت: ادخل، فدخل فأغلقت باباً آخر دونه، ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال لها: اشتري عافاك الله، قالت: إما لم ندعك لهذا، إنما دعوناك لكذا يعني المراودة عن نفسه فقال لها: اتقي اللّه، ّالت له: إنك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك انك إنما دخلت علِي تكابدني على نفسي قال: فأبى ووعظها فأبت فقال: ضعوا لي وضوءآ فقالت: أعليَّ نعلك، يا جارية ضعوا له وضوءآ فوق الجوسق مكان لا يستطيع أن يفرمنه ومن الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعاً، فلما صار إلى أعلى الجوسق، قال: اللهم إني دعيت إلى معصية وأنا أختار أن أضر نفسي فألقيها من هذا الجوسق ولا أركب المعصية ثم قال: بسم الله وألقى نفسه من أعلى الجوسق فأهبط الله له ملك، فأخذ بضبعه فوقع قائماً على رجليه، فلما صار إلى الأرض قال: اللهم إن شئت رزقتني رزقاً يغنيني عن هذا القفاف قال: فأرسل الله إليه جراداً من ذهب فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه قال: اللهم إن كان هذا رزقاً رزقتنيه في الدنيا فبارك لي فيه، وان كان ينقصني مماّ لي عندك من الآخرة فلا حاجه لي فيه فنودي إن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً لصبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق، قال: اللهم لا حاجة لي فيما ينقصني مما عندك في الآخرة قال: فرفع.

خبر ملك متزهد : أخبرنا هبة الله محمد بن الحصين قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا المسعودي، عن سماك حرب، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ، قال: بينما رجل ممن كان قبلكم في مملكته فتفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه، وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة الله، فانساب ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره، فأتى ساحل البحر فكان يضرب اللبن بالأجر، فيأكل ويتصدق بالفضل من قوته، ، فلم يزل كذلك حتى رفع أمره إلى ملكهم، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه فأبى، فعاد إليه الرسول فأبى وقال: ماله وما لي، فركب الملك، فلما رآه الرجل ولّى هارباً، فلما رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يحركه، فناداه: يا عبد الله،

إنه ليس عليك مني بأس، فأقام حتى أدركه، فقال له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا فلان ابن فلان صاحب ملك كذا وكذا، ففكرت في أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع عني، وأنه قد شغلني عن عبادة ربي فتركته وجئت ها هنا أعبد ربي عز وجل، قال: ما أنت، بأحوج إلى ما صنعت مني. ثم نزل عن دابته فأطلقها ثم تبعه، فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل، فدعَوا الله أن يميتهما، فماتا. قال عبد الله: فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبريهما بالنعت الذي نعت لنا رسول صلي الله علية وسلم.

حديث ابن ملك متزهد منهم: أخبرنا محمد بن عبيد الله البضاوي، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين بن أخي ميمي، قال: أ خبرنا أبو علي بن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: أخبر مروان معاوية بن عمرو، قال: أخبرنا أبو بكر العجلي، قال: أخبرنا، أبو عقيل الدورقي، عن بكر بن عبد الله المزني، قال: كان رجل من ملوك بني إسرائيل قد أعطي طول عمر وكثرة مال وكثرة أولاد، وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب، الشعر، ولحق بالجبال، وأكل من الشجر، وساح في الأرض حتى يأتيه الموت، ففعل ذلك جماعتهم حتى تتابع بنوه على ذلك، فأصاب ولداً بعد كبر، فدعا قومه وقال: إني أصبت ولداً بعدما كبرت، وترون شفقتي عليكم، وإني أخاف أن يتبع هذا، سنة إخوته، وأنا أخاف إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي، فبنوا له حائطاً فرسخاً في فرسخ، فكان فيه دهراً من دهر. ثم ركب يوماً فإذا عليه حائط مصمت، فقال: إني أحسب أن خلف هذا الحائط أناساً وعالماً آخر، فأخرجوني أزدد علماً وألقى الناس. فقيل ذلك لأبيه، ففزع وخشي أن يتبع سنة إخوته، فقال: اجمعوا عليه كل لهو ولعب، ففعلوا ذلك. ثم ركب في السنة الثانية، فقال: لا بد من الخروج، فأخبر بذلك الشيخ، فقال: أخرجوه، فحمل على عجلة وكلل بالزبرجد والذهب، وصار حوله حافتان من الناس. فبينا هو يسير إذا هو برجل مبتلى، فقال: ما هذا ؟ قالوا: رجل مبتلى، فقال: أيصيب ناساً دون ناس أو كلَّ خائف له ؟ قالوا: كل خائف له ، قال: وأنا فيما أنا فيه من السلطان؟ قالوا: نعم، قال: أفّ لعيشكم هذا، هذا، عيش كدر. فرجع مغموماً محزوناً ، فقيل لأبيه، فقال: انشروا عليه كل لهو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغمِ. فلبث حولاَ، ثم قال: أخرجوني، فأخرج على مثل حاله الأول، فبينا هو يسير إذا هو برجل قد أصابه الهرم ولعابه يسيل من فيه، فقال: ما هذا. قالوا: رجل قد هرم، قال: يصيب ناساً دون ناس، أو كلَّ خائف له إن هو عُمِّر؟ قالوا: كل خائف له ، قال: أفٍّ لعيشكم هذا، هذا، عيش لا يصفو لأحد، . فأخبر بذلك أبوه، فقال: احشروا عليه كل لهو وباطل. فحشروا عليه. فمكث حولاً ثم ركب على مثل حاله. فبينا هو يسير إذا هو بسرير تحمله الرجال على عواتقها، فقال: ما هذا ؟ قالوا: رجل مات، قال لهم: وما الموت؟ ائتوني به، فأتوه به، فقال: أجلسوه، فقالوا: إنه لا يجلس، قال: كلموه؟ قالوا: إنه لا يتكلم. قال: فأين تذهبون به، قالوا: ندفنه تحت الثرى، قال: فيكون ماذا بعد هذا ؟ قالوا: الحشر، قال: وما الحشر؟ قالوا:

"يوم يقوم الناس لرب العالمين" حفاة عراة مكشفي الرؤوس ، فيجزى كل واحد على قدر حسناته وسيئاته، قال: ولكم دار غير هذه تجازون فيها ؟ قالوا: نعم، فرمى بنفسه من الفرس وجعل يعفر وجهه في التراب وقال لهم: من هذا كنت أخشى، كاد هذا يأتي عليّ ، وأنا لا أعلم به، أمَا وربّ من يعطي ويحشر ويجازي، إن هذا آخر الدهر بيني وبينكم، فلا سبيل لكم عليّ بعد هذا اليوم، فقالوا: لا ندعك حتى نردّك إلى أبيك. قال: فردّوه إلي أبيه، وقد كاد يترف دمه، فقال له: يا بنيَّ، ما هذا الجزع؟ قال: جزعي ليوم يجازى فيه الصغير والكبير على ما عملا من خير وشر. فدعا بثياب من الشعر فلبسها، وقال: إني عازم في الليل أن أخرج. فلما كان في، نصف الليل، أو قريباً منه خرج، فلما خرج من باب القصر، قال: اللهم إني أسألك أمراً ليس لي منه قليل ولا كثير، وقد سبقت

فيه المقادير. إلهي لوددت أن الماء كان في الماء، وأن الطين كان في الطين، و لم أنظر بعيني إلى الدنيا نظرة واحدة. قال بكر بن عبد الله: فهذا رجل خرج من ذنب واحد، لا يعلم ما عليه فيه ، فكيف بمن يذنب وهو يعلم بما عليه، ولا يتحرج ولا يجزع ولا يتوب .

حديث أنطونس السائح: أخبر عبد الله بن علي المقري، قال: أخبرنا طراد بن محمد الزينبي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: حدثنا الحسين بن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: ذكروا أن ملكاً بعد زمان المسيح عاش ثلاثمائة وعشرين سنة، فلما حضرته الوفاة بعث إلى ثلاثة نفر من عظماء أهل، مملكته، فقال لهم: قد نزلتم بي ما ترون وأنتمِ رؤوس أهل مملكتكم، ولا أعرف أحداً أولى بتدبير رعيتكم منكم، وقد كتبت عهداً جعلته إلى ستة نفر من خياركم ليختاروا رجلًا منكم لتدبير مملكتكم، فسلموا ذلك لمن اجتمع عليه ملأكم، وإياكم والاختلاف فتهلكون أنفسكم ورعيتكم، فقالوا: بل يمن الله علينا بطول مدتك، فقال: دعوا هذه المقالة واقبلوا على ما وصفت لكم، فلم تمض غير ليلة حتى هلك، فدب أولئك الثلاثة إلى الستة، فصار كل رجلين من الستة يدعوان إلى رجل من الثلاثة، فلما رأى ذلك حكماؤهم قالوا: قد افترقت كلمتهم وبحضرتكم من لا يتهم في حكمه فمن أشار إليه منكم، سلمتم هذا الأمر له، وكان بحضرتهم رجل سائح يقال له انطونس في غار معروف قد تخلى عن الدنيا، فاجتمعت كلمتهم على الرضا بمن أشار إليه السائح، فوكلوا بالمملكة رجلاً من الستة وانطلق الثلاثة إليه يقصون عليه قصتهم، فقال: ما أرى أني انتفعت باعتزالي عن الناس، ومثلي

كمثل رجل كان في مترل غشيه فيه الذباب، فتحول إلى مترل فغشيه فيه الأسد، فقالوا: وما عليك أن تشير إلى أفضلنا في نفسك؟ قال: ما علمي بأفضلكم وأنتم جميعاً تطلبون أمراً واحداً، وأنتم فيه سواء. فطمع بعضهم إن هو أظهر الكراهية للملك أن يشير إليه، فقال: أما أنا فغير منساح لصاحبيّ هذين في الملك، ، وإن السلامة لدي لفي اعتزال هذا الأمر، قال السائح: ما أظن صاحبيك يكرهان اعتزالك، فأشر إِليَّ بأحدهما وأتركك، قال: بل تختار ما بدا لك، قال: ما أراك إلا قد نزعت عن قولك فصرتم عندي بمترلة واحد غير أني سأعظكم وأضرب لكم أمثال الدنيا وأمثالكم فيها وأنتم أعلم، فأخبروني هل عرفتم غايتكم من العمر؟ قالوا: لا لعل ذلك يكون طرفة عين، قال: فلم تخاطرون بهذه الغرة ؟ قالوا: رجاء طول المدة، قال: كم أتت عليكم سنة ؟ قالوا: أصغرنا ابن خمس وثلاثين، وأكبرنا ابن أربعين، قال: فاجعلوا أطول ما ترجون من العمر مثل سنيكم التي عمرتم ، قالوا: لسنا نطمع في أكثر من ذلك، ولا خير في العمر بعد ذلك، قال: أفلا تبتغون فيما بقي من أعماركم ما ترجون من مُلك لا يبلى، ونعيم لا يتغير، ولذة لا تنقطع، وحياة لا يكدرها الموت، ولا تنغصها الأحزان ولا الهموم ولا الأسقام ؟ قالوا: إنا نرجو أن نصيب ذلك بمغفرة من الله ورحمة، قال: قد كان من أصابه العذاب من القرون الأولى يرجون من الله ما ترجون، و ألا يؤملون ما تؤملون، ويصيعون العمل حتى نزل بهم من العقوبة ما بلغكم يوشك من سلك المفازة بغير ماء أن يهلك عطشاً، أراكم تتكلون على الرجاء في هلاك أبدانكم، ولا تتكلون عليه في صلاح معايشكم، أرأيتك مدائنكم التي بنيتموها واعتقدتم فيها الآيات، لو قيل لكم سيترل عليكم ملك بجيوشه فيعم أهلها بالقتل، وبنيانها بالهدم، هل كنتم تطيبون نفساً بالمقام فيها والبنيان بها؟ قالوا: لا، قال: فو الله إن أمر هؤلاء الآدميين لصائر إلى هذا، قالوا: قد أشربت قلوبنا حب الدنيا، قال: مع الأسفار البعيدة تكون الأرباح الكثيرة، فيا عجبَا للجاهل والعالم كيف استويا في هلاك أنفسهما، ألا أن الذي يسرق ولا يعرف عقوبة السارق أعذر من العارف بعقوبته، وإني أرى هذا العالم يبذلون أنفسهم دون أموالهم، فكأنهم لا يصدقون بما يأتيهم به أنبياؤهم. قالوا: ما سمعنا أحداً من أهل الملك يكذب شيئاً مما جاءت به الأنبياء، قال: من ذلك أشتدّ عجبي من اجتماعهم على التصديق ومخالفتهم في الفعل، قالوا: أخبرنا كيف أول معرفتك للأمور. قال:

منْ قبل الفكر تفكرت في هلاك هذا العالم، فإذا ذلك من قِبل أربعة أشياء جُعلت فيهن اللذات، وهي أربعة أبواب مركبة في الجسد، منها ثلاثة في الرأس: العينان والمنخران والحنك، وواحد في البطن وهو الفرج، فالتمست خفة المؤونة في هذه الأبواب فوجدت أيسرها مؤونة باب المنخرين، ثم التمست الخفة المؤونة الحنك، فإذا هو غذاء لا قوام للجسد إلا به، فإذا صارت تلك المؤونة في الوعاء استقرت، فتناولت ما تيسر من المطعم والمشرب، وصرت بمترلة رجل كان يتخذ الرماد من الخلنج والصندل فثقلت عليه المؤونة، فاتخذ الرماد من الزبل والحطب. ونظرت في مؤونة الفرج فإذا هو والعينان موصلان بالقلب، فلم أجد شيئاً أصلح لهما من العزلة وَبَغض إلى مترلي الذي كان فيه مقامي مع من لا يعقل إلا أمر دنياه، فتخببت هذا المترل فقطعت عني أبواب الخطيئة، وحسمت في نفسي لذات أربعاً وقطعتهن بخصال أربع. قالوا: ما اللذات ؟ قال: المال، والبنون، والأزواج، والسلطان ، فقطعتهن بالهموم والأحزان والخوف وذكر الموت. وقطعت ذلك أجمع بالعزلة، وأي خير في لذة والموت يعقبها، كونوا كرجل خرج مسافراً فغشي مدينته العدو فأصابوا أهلها، فحمد الله على ما صرف عنه ، ولقد عجبت كيف ينتفعون بلذهّا مع همومها وأحزانها وما تجرعهم، من مرارهّا بعد حلاوهّا، واشتد عجبي من أهل العقول، كأنهم يريدون أن يهلكوا كما هلك صاحب الحية، قالوا: أخبرنا كيف كان أمر صاحب الحية؟.

قال: زعموا أن رجلاً كان في داره حية قد عرفوه مكانها، وكانت تلك الحية تبيض كل يوم بيضة من ذهب، فخرجت يوماً فنهشت عتراً لهم حلوباً فهلكت، فجزع الرجل وأهله، وقالوا: الذي نصيب من الحية أفضل من ثمن العتر، فلما كان رأس الحول غدت على حمار فنهشته فقتلته، فجزع الرجل وقال: سنصبر على هذه الآفات ما لم تعدُ البهائم. ثم مر عامان لا تؤذيهم وهم مسرورون بجوارها إذ عدت على عبد الرجل فنهشته فهلك، فجزع وقال: ما آمن أن يلسع بعض أهلي فمكث حزيناً خائفَاَ وقال: أرى سم هذه الحية في مالي وأنا أصيب منها أفضل مما رأيت. فلم يلبث إلا يسيراً حتى نهشت ابن الرجل، فارتاع ودعا بالدرياق وغيره فلم يغن عنه، وهلك الغلام، فاشتد جزع والديه ونسيا كل لذة أصاباها وقالا: لا خير لنا في جوار هذه الحية، والرأي قتلها. فلما سمعت الحيّة ذلك تغيبت عنهم أياماً لا يرونها ولا يصيبون من بيضها، فلما طال ذلك عليهما تاقت أنفسهما إلى ما كانا يصيبان منها، فأقبلا على حجرها وجعلا يقولان: ارجعي ولا تضرينا ولا نضرك، فرجعت فمكثت عامين لا يذكرون منها شيئاً، ثم دنت إلى امرأة الرجل فنهشتها، فصاحت، فثار زوجها يعالجها بالدرياق فلم يغن عنها، وهلكت المرأة، فبقي الرجل كئيباً، وأظهر أمر الحية لإخوانه وأهل وده، فأشاروا عليه بقّتلها، وقالوا: لقد فرطت في أمرها حين تبين لك غدرها، ولقد كنت مخاطراً بنفسك، فعزم على قتلها. فبينا هو يراصدها اطلع في، حجرها، فرأى فيه درة صافية وزنها مثقال، فلزمه الطمع وقال: لقد غير الدهر طبع هذه الحية ولا أحسب سمها إلا قد تغير، فجعل يتعاهد حجرها بالكنس والبخور ورش الماء، وعمد إلى ما كان عنده من الذهب فعمل منه حُقّاً فجعل فيه ذلك الدرر وجعل الحُق تحت رأسه، فبينما هو ذات ليلة نائم ذهبت إليه فنهشته، فجعل يستغيث بصوت عال، فأقبل عليه أهله وجيرانه يلومونه، فأخرج إليهم الحق وأراهم ما فيه، فقالوا: ما أقل غنا هذا عنك اليوم، فهلك، فقالوا: أبعده الله، هو قتل نفسه. قال: ولقدعجبت لأهل العقول يعرفون الأمر الذي ضربنا له هذه الأمثال ولا ينتفعون بالمعرفة ، ويل لهم لو قد أصابهم ما أصاب صاحب الكرم، قالوا: وكيف كان ذلك؟ قال: زعموا أنه كان رجل له كرم واسع كثير العنب، متصل الشجر، فاستأجر لكشح الكرم وقطفه ثلاثة، ووكل كل رجل بناحية، وقال: كلوا من العنب ما شئتم وكفوا عن هذه الثمار. فأخذ أحدهم

على حفظ ما أمر به وقبع يأكل العنب وحده، وفعل الآخر مثل ذلك حيناً ثم تاقت نفسه إلى الثمار فتناولها، وأقبل الثالث على أكل الثمار وترك العمل ففسدت ناحيته، فقدم صاحب الكرم، فحمد الأول وأعطاه فوق أجره، وعاقب الثاني بقدر ذنبه، وبالغ في عقوبة الثالث. فهكذا أعمالكم في الآخرة يوم تجزى كل نفس ما عملت.

قال: ولقد عجبت لأهل الأمل وطمعهم في طول العمر، ووجدت أعدى الناس الأولاد، استكثر الآباء لهم وأتعبوا أنفسهم في إصلاح معايشهم بهلاك أنفسهم كصاحب السفينة، قالوا: كيف كان ذلك؟ قال: زعموا أنه كان رجل نجار يعمل بيده فيصيب كل يوم درهماً، ينفق نصفه على أب له شيخٍ كبير وامرأة له وابن وبنت، ويدخر لنفسه نصفه، فعمل زماناً وعاش بخير، فنظر يوماً فإذا هو قد استفضل مائة دينار، فقال: لو عملت سفينة واشتغلت بتجارة البحر رجوت أن أتمول، فقال له أبوه: لا تفعل، فإن رجلاً من المنجمين أخبرني أيام ولدت أنك تموت غريقَاَ، قال: فما أخبرك أَني أصيب مالًا؟ قال: بلى لذلك نهيتك عن التجارة والتمست لك عملاً تعيش فيه يوماً بيوم، قال: اتجِرُ، وان عشت عشت بخير، وإن مت تركت أولادي بخير، قال: يا ولدي لا يكونن ولدك آثر عندك من نفسك. فعمل سفينة وركب فيها بتجارة فغاب سنة، ثم قدم بمائة قنطار ذهباً، فحمد الله والده وقال: يا بني، إني كنت نذرت لله تعالى إن ردك سالمآَ أن أحرق السفينة، قال: لقد أردت هلاكي، قال: إنما أردت حياتك، فاقبل على الشكر فقد أصبت غنى الدهر، فلم يقبل، وخرج فغاب سنة وبعض أخرى، فقدم بأضعاف ما قدم به أو لمرة، فقال لأبيه: لو كنت أطعتك لم اصب هذا المال، قال: يا بُني إنما أراك تعمل لغيرك وسيجرعك ما ترى غُصة فتتمنى لو كان بينك وبين هذه البلدة جبال المشرق، قال: يا أبت أرجو أن يكون المنجم أصاب في الغنى وأخطأ في الغرق. ثم صنع سفينة أخرى، فبكى أبوه، فرق لذلك وقال: يا أبت، والله لئن ردني الله سالماً لا ركبت بحراً ما عشت، قال: يا بني، اليوم أيقنت تفقدك. فمضى، فلما توسط البحر أصابه موج فضربت إِحدى سفينته الأخرى فانصدعتا فغرقتا، فجعل يتأسف على عصيان أبيه وهلك ومن معه، فبلغ الخبر أباه فكمد حتى هلك، وقسم الميراث على امرأة التاجر وابنه وابنته، فتزوجوا وصار ذلك المال إلى أزواجهن، فكل ما يجمع الأشقياء إلى ذلك يصير. ولقد عجبت للمؤثر على نفسه المؤثر غيره، ويحك ما تبلغ بالكفاف لا تؤثر غيرك فتلقى ما لقي صاحب الحوت، قالوا: ما لقي؟ قال: زعموا أن صياد سمك أصاب في صيده حوتاً عظيماً، فقال: ما حد أحق بأكله مني، ثم بدا له فأهداه إلى جاره، فأهد الجار إلى مقعد مسكين، فجعل الصياد يندم ويقول: حرمته نفسي وصار إلى أعدى الناس لي.

ولقد عجبت لهذا الشغل الذي غرّ العقلاء و الجهال حتى هلكوا جميعاً بالرجاء والطمع كما هلك اليهودي والنصراني، قالوا: وكيف كان ذلك؟ قال: اصطحب يهودي ونصراني إلى أرض فصارا في عمران ومياه إلى أن انتهيا إلى بئر وراءها مفازة مسيرتها أربعة أيام، ومع كل واحد منهما قربته، فملأ اليهودي قربته وأراد النصراني أن يملأ قربته، فقال له اليهودي: تكفينا قربتنا هذه ولا ننقل دوابنا، فقال النصراني: أنا أعلم بالطريق، فقال اليهودي: تريد إِلا أن تشرب الماء كلما عطشت ؟ قال: نعم، فترك النصراني قربته فارغة، فلما توسط المفازة أصاب القربة سهم فنفد ما فيها، فقعدا يتلاومان، فمر بهما رجل معه ماء، فقالا: احتسب علينا شربة من ماء، فقال: هذا طريق ليس فيه حسبه، قالا له: فما دينك؟ قال: فما دينكما أنتما. قالا: فإن أحدنا يهودي والآخر نصراني فقال: اليهودي والنصراني والمسلم إذا لم يعمل بما في كتابه واتكل على الطمع لقي ما لقيتما، فقالا: هذا رجل حازم، قال: ما يغني عنكما حزمي. فينبغي للعاقل أن يأخذ بالحزم في أمر آخرته كما يأخذ بالحزم في أمر دنياه ولا يتكل على الطمع. ولقد عجبت لأهل

الأعمال السيئة، يستترون من الخلق دون الخالق، كيف أمنوا أن يصيبهم ما أصاب صاحب الدير؟. قالوا: كيف كان ذلك. قال: زعموا أن رجلًا كان يبيع العسل والزيت والسمن، يشتريه نقياً ويبيعه مغشوشاً، وكان ذا لحية عظيمة، وكان أكثر من يراه يقول: لو كنت أسقفاً فما صلحت لحيتك إلا للأساقفة، فأقبل على تعلم الإنجيل والمزامير وترهب طلباً للدنيا ، فولوه أمرهم فنقص أرزاقهم، وغير مراتبهم، وتفرغ للذته، فانتدب له سياط، فجعل يلوم الرهبان ويقول: هذا ما عمل بكم حسن نظركم في طول اللحى، ثم آل أمره إلى أن أحرق. ولقد عجبت لأهل المصائب كيف ألا يستعينون بالصبر، وإنه سيأتي على

صاحب المصيبة يوم يتمنى فيه مثل ما يتمنى الأعمى في مصيبته. قالوا: وما. تمنى الأعمى؟ قال: زعموا أن تاجراً دفن مائة دينار في موضع فبصر بها جار له فأخرجها وأخذها، فلما فقدها التاجر جزع، ثم طال به العمر فعمي واحتاج، فلما حضرت جاره الوفاة أوصى برد المال إلى الأعمى، فسر سروراً شديداً إذ رد إليه المال أحوج ما كان إليها، فقال: ليت كل ما لي قبض يومئذ. وكذلك من له عمل صالح. ولقد عجبت من فقد عقولهم، كيف لا يعملون بما يعلمون، كأنهم يريدون أن يهلكوا كما هلك صاحب السيل، قالوا: وكيف كان ذلك.

قال: زعموا أن رجلا نزل بطن مسيل، فقيل له: تحول فهذا منزل خطر، قال: قد علمت، ولكن يعجبني نزهته، فقيل: إنما تطلب الرفق لصلاح نفسك فلم تخاطر بها، فغشيه السيل فذهب به، فقالوا: أبعده الله. قال أنطونس: فلو أخذنا بالحزم كنا كأصحاب أصقولية ، قيل: كيف كان ذلك؟ قال: بعث ملك أصقولية بعثاً إلى أقزوليه ، وكان المسير إليها في البحر ستين ليلة، ولا زاد معهم إلا ما حملوه معهم، وكان مع أصحاب أصقولية كاهنان، فقال أحدهما: أما إن هذا الجيش لأصقولية سيقمون على أقزولية سبعة أيام يرمونها بالمجانيق، وتفتح في اليوم الثامن، فقال الآخر: تقيمون سبعة وتنصرفون، فعمل بعضهم على قول من قال بفتحها فقالوا: لا نعني أنفسنا بحمل الزاد، وقال الآخرون: لا نخاطر، فحملوا للبدأة والرجعة. فلما نزلوها لم تفتح، فرجعوا فهلك من فرط في حمل ا لزاد. فقال النفر لأنطونس: ما أحسن كلامك وأبلغ موعظتك، فقال: أما إن حلاوة موعظتي لا تتجاوز آذانكم إن لم تعلموا أن جميع كتب الأنبياء ، إنما تجزون ما كنتم تعملون، وانظروا في أعمالكم وانصرفوا عني، فاقترعوا بينهم وملكوا أحدهم.

باب ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكرمه

ذكر نسبه : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرة بن كَعبْ بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النّضْر بنِ كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكةَ بن إلْيَاس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنان . ولا يختلف الناسبُون إلى عدنان، .

ثم يختلفون فيما بعده، فبعضهم يقول: عَدْنان بن أُد ّبن أدَد بن الهمْيسع بن حميل بن النَّبت بن قَيذَار بن إسماعيل بن إبراهيم.

وبعضهم يقول: عدنان بن أدد، من غير ذكر: أد.

ومن حديث أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَعَدّ، عَدْنَانَ بنِ أَعَد َبن زنْد بن يَرَى بنِ أعْرَاقِ الثرى .

قالت أم سلمة فزَنْد هو: الهَمَيْسَع، ويَرَى هو: نبت، وأعراق الثرى: هو إسماعيل، كذلك حكى الزبير بن بكار. وحكي أيضآ أن أعَرْاقَ الثرَى: إبراهيم؟ لأنهم لَّما رأوه لم تحرقه النار قالوا: ما هو إلَّا أعْرَاق الثَرىَ. قال مؤلف الكتاب: هكذا ضبطه أبو زيد.

وقد حُدثنا عن أبي أحمد العسكري قال: إنما هو زند بالنون، مثل اسم أبى دلامة.

وقال ابن إسحاق: عَدْنان بن اعُدَ بنِ مُقَوِّم بنِ ناحور بن يَتْرَح بن يَدْرُبْ بن يَشْجُبَ بن أيوب بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم. وقد ذكر بعضهم بين معد وإسماعيل أربعين أباً .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا خالد بن خداش قال: أخبرنا عبد الله بن وهب قال: أخبرنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة قال: ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معدّ بن عدنان . قال عروة: وسمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي، حثْمة يقول: ما وجدنا في علم عالم، ولا شعر شاعر أحدآ يعرفُ ما وراء معدّ بن عدنان بثبت . وقد سبق نسب الخليل إلى آدم عليهما السلام.

فصل بين مولد نبينا محمد و آدم عليهما السلام

وبين مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين آدم عليهما السلام مُدَّة مختلف فيها. فعلى ما روى الواقدي: أربعة آلاف وستمائة سنة، . وقال قوم: ستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة .

وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس: خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة قال : وكان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة. ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة، وثلاث وأربعون .

ومن إبراهيم إِلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة، ومن موسى إلى داوود مائةَ سنة وتسع وسبعون سنة. ومن داوود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة. ومن عيسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة .

ذكر آباء رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: قال مؤلف الكتاب أما عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أصغر ولد أبيه ، وكان عبد الله، و الزبير، وأبو طالب: بنو عبد المطّلب لأم واحدة: واسمها فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم. هكذا قال ابن إسحاق .

وروى هشام بن محمد عن أبيه قال: عبد الله، وأبو طالب واسمه عبد مناف و الزبير، وعبد الكعبة، و عاتكة، و برّة ، و أمَيمة، ولدُ عبد المطلب إخوة لأمّ، أمهم فاطمة المذكورة .

وقال ابن إسحاق: كان عبد المطلب قد نذَر حين لقيَ من قريش عند حفر زمزم ما لَقِيَ لئن ، وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتّى يمنعوه لينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة، فلما تموا عشرة عرف أنهم سيمنعونه، فأخبرهم بنذْره، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قِدْحاً، ثم ليكتب فيه اسمه، ثم ائتوني به. ففعلوا، ثم أتوْه فدخل على هُبَل وقال يعني لقيّم الصنم: اضرب بقداح هؤلاء. وكان عبد الله أصغَر بني أبيه، وكان أحبّهم إلى عبد المطلب. فلمّا أخذها ليضرب بها ، قام عبد المطّلب عند الكعبة يدعو الله، ثم ضرب صاحبُ القِداح، فخرج القِدْح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشَّفْرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة، فقامت إليه قريش من أنديتها، وقالوا: ما تريد أن تصنع؟ قال: أذبحه. قالوا: لا تذبحه أبدآ حتى تُعذِر فيه، انطلق به فآتِ أبه، عَرَّافة لها تابع فسَلْها. فانطلق، فقالت له،: كم الدّية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل. قالت: فارجعوا ثم قربوا صاحبكم، وقرّبوا عشرآ من الإبل، ثم أضربوا عليه وعليها بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضى ربكم، فإنْ خرجتْ على الإبل

فقد رَضِي ونجا صاحبُكم. فقرّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل فخرجت على عبد الله، فزادوا عشرآ فخرجت على عبد الله ، فلم يزالوا على هذا إلى أن جعلوها مائةً، فخرج القدح على الإبل. فقالوا: قد رَضيَ ربك. فقال: لا والله حتى أضرب عليها وعليه ثلاث مرات. ففعل فخرج القِدْح على الإبل، فنُحرت، ثم تُركت لا يُصدّ عنها إنسان و لا سَبُعُ .

ثم انصرف عبد المطلب بابنه فمرَّ على امرأة من بني أسد يقال لها: أم قتال بنت نوفل بن أسد بن عبد العزّى وهي أخت وَرَقَة.

فقالت: يا عبد الله، أين تذهب. قال: مع أبي، فقالت : لك عندي مثل الإبل التي نُحرتْ عنك، وَقعْ عليَّ. فقال إني مع أبي لا أستطيع فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهبَ بن عبد مناف بن زُهْرة، وهو يومئذ سيِّد بني زْهْرة نسباً ، فزوّجه آمنة ، وهي يومئذ أفضلُ امرأة في قُريش نسباً. فدخل عليها ، فوقع عليها مكانه، فحملتْ بنبينا محمد صلى الله علية وسلم، ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التي كانت عرضتْ عليه نفسها، فقال: مالك لا تَعْرِضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضت عليّ بالأمس؟ قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس اليوم، لي بك حاجة. وقد كانت تَسْمع من أخيها ورقةَ بن نَوْفل، وكان قد تنصر واتَّبع الكُتُبَ، فكان فيما ذكر : أنه كائن في هذه الأمة نبيّ من بني إسماعيل. قال مؤلف الكتاب : فإن قال قائل قد ذكرت في هذا الحديث أن عبد الله كان أصغر بني أبيه، وقد صحَّ أن العباس أكبر من رسول الله صلى الله علية وسلم.

فالجواب: انه كان أصغر الموجودين يومئذ من وَلَد عبد المطلب، ثم وُلد العباس بعد ذلك.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قَال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن محمد الكلبي، عن أبي الغيّاض الختعمي قال: مرَّ عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خَثْعَم يقال لها: فاطمة بنت مُرة ، وكانت أجمل، الناس، وأعفَّهم وكانت، قد قرأت الكتب، وكان شباب قريش يتحدثون إليها ، فرأت نور النبوّة في وجه عبد الله بن عبد المطلب، فقالت: يا فتى، مَنْ أنتَ؟ فأخبرها. فقالت: هل لك أن تقع عليَّ وأعطيك مائة من الإبل؟ فنظر إليها وقال:

أمَّا الحرَامُ فالمَماتُ دونَه ... والحِلّ لا حِلّ فأَستَبِينَه

فكيف بِالأمر الذي تبغينَهْ ... يَحْمِي الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ

ثمّ مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب، فكان معها، ثمَّ ذكر الخثعميَّة وجمالها وما عرضت عليه، فأقبل عليها فلم ير منها من الإقبال عليه آخراً، كما رآه منْها أوّلاً، فقال: هل لكِ فيما قُلت لي ؟ فقالت: قد كان ذلك مرّة فاليوم لا، فذهبت مثلاً. ثم قالت: أيَّ شيء صَنعتً بعدي. قال: وقعت على زوجتي آمنة بنت وهب. فقالت: إنّي والله لسْتُ بصاحبة ريبة، ولكني رأيت نور النبوّة في وجهك، فأردتُ أن يكون ذلك فيّ، وأبى الله إلَّا إن يجعله حيث جعله.

وبلغ شباب قريش ما عرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأبيه عليها ، فذكروا ذلك لها، فأنشأت تقول:

إني رَأيْتُ مَخيلَةً عَرَضَتْ ... فتلألأتْ بحناتِم القَطْر

فَلِمَائِهَا نُورٌ يُضِيءُ لَهُ ... ما حَوْلَهُ كإضَاءةِ الفَجْر

ورَأيْتُهُ شَرَفاً أبُوءُ بِهِ ... ما كل قادح زيح زنده يوري

للَّه ما زُهْرِيّةٌ سَلَبَت ... ثوبيك ما استلبت وما تدري

وقالت أيضاً:

بني هاشم قد غادرت من أخيكُم أمينة إذ للباه يعتلجان

كما غادر المصباحَ بَعدَ خَبُوّه فتائل قد ميثت له بدهان

وما كلّ ما يحوي الفتى من تلاده بحزم ولا ما فاته لتوان

فأجْمِلْ إذا طالبَتَ أمراً فإنَّه سيكفيكيه جدان يصطرعان

سَيكفيكَهُ إمّا يَدٌ مُقْفَعلّة وإما يد مبسوطة ببنان

ولَما قَضَتْ منه أمينة ماقَضَتْ نبَا بصري عنه وكَلّ لساني

وأما عبد المطلب: فاسمه: شيبة الحمد، ، سُميَ بذلك لأنه وُلد وفي رأسه شيبة.

أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن عساكر قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي قال: أخبرنا ابن يونس قال: أخبرنا يعقوب بن محمد الزهري قال: حدّثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد اللّه، عن جعفر، عن أبي عون، عن المسور بن مخرمة، عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: قال أبي عبد المطلب : خرجت إلى اليمن في رحلة الشتاء والصيف، فترلتُ على رجل من اليهود يقرأ الزبور. فقال: يا عبد المطلب، ائذن لي فأنظر في بعض جسدك. فقلت : انظر ما لم يكن عورة. فنظر في منخري فقال: أجد في أحد منخريك ملكاً وفي الأخرى نبوه، فهل لك من شَاعَة؟ قلت: وما الشَاعَةُ؟ قال: الزوجة. قلت: أما اليوم فلا. قال: فإذا قدمتَ مكة فتزوج. فقدم فتزوج هالة، فولدت له حمزة، وصفية، وتزوج عبد الله آمنة، فولدت له رسول الله صلي الله علية وسلم، فكانت قريش تقول: فَلَجَ عبد الله على أبيه . قال مؤلف الكتاب : يقول العرب: فلج فلان على خصمه أي: فاز وغلب.

فصل عبد المطلب

قال مؤلف الكتاب : وإنما قيل له عبد المطّلب؟ لأن هاشماً خرج إلى الشام في تجارة، فمر بالمدينة، فرأى سلمى بنت عمر وبعضهم يقول: بنت زيد بن عمرو بن لبيد بن حرام بن خداش بن جندب بن عدي بن النجار فأعجبته، فخطبها إلى أبيها فأنكحها منه ، وشرط عليه أن لا تلد ولدا إلَّا في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهه قَبْل أن يبنيَ بها، ثم انصرف راجعاً من الشام، فبنى بها في أهلها بيثرب، فحملت منه، ثم ارتحل إلى مكة وحملها معه، فلما أثقلت ردَّها إلى أهلها، ومضى إلى الشام فمات بغرة، فولدت له عبد المطلب، فمكثت بيثرب سبع سنين أو ثماني سنين ، ثم أن رجلًا من بني الحارث بن عبد مناة مر بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خَسَقَ قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال له الحارثي: مَنْ أنت؟ قال: أنا شيبة. بن هاشم بن عبد مناف. فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب وهو جالس في الحجر: أيا أبا الحارث، تعلم أنيّ وجدت صبياناً ينتضلون بيثرب، وفيهم غلام إذا خَسَقَ قال: أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء. فقال المطلب : واللّه لا أرجع إلى أهلي حتى آتيَ به. فقال له الحارثي: هذه راحلتي بالفناء فاركبها . فجلس المطّلب عليها، فورد يثرب عشاء، حتى أتى عدي بن النجار، فإذا غلمان يضربون كُرة بين ظهريْ

المدينة، فجلس فعرف ابن أخيه. فقال للقوم: أهذا ابن هاشم؟ قالوا: نعم، هذا ابن أخيك، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمه، فإنها إن علمت لم تدعك وحلنا بينك وبينه. فدعاه فقال: يا ابن أخي أنا عَمّك. وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومك. وأناخ راحلته، فما كذب أن جلس على عَجز الناقة، فانطلق به، و لم تعلم أمه حتى كان الليلُ، فقامت تدعوه فأخبرت أن عمه ذهب به، وقدِم به المطّلب ضحوة، والناس في مجالسهم، فجعلوا يقولون : مَنْ هذا وراءك؟ فيقول: عبد لي ، حتى أدخله مترله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم، فقالت: مَنْ هذا؟ قال: عبد لي. ثم خرج المطّلب حتى أتى الحزورة، فاشترى حُلة فألبسها شيبة، ثم خرج به حتى كان العَشي أتى مجلس بني عبد مناف، فجعل بعد ذلك يطوف في سِكَك مكة في تلك الحُلة. فيقال هذا عبد المطلب، لقوله: هذا عبدي حين سأله قومه، فقال المطّلب: في ذلك :

عَرفْتُ شَيْبَةَ والنجارُقد جعلَت أبناؤُهَا حَوْله بالنبْل تَنْتَضِلِ

قال مؤلف الكتاب: هذا حديث الواقدي، وهشام عن أَبيه. وقد رواه علي بن حرب الموصلي، عن ابن معن عن محمد بن أبي بكر الأنصاري عن مشايخ الأنصار، قالوا: تزوَّج هاشم امرأة من بني عديّ بن النجار ذات شرف، وكانت تشرط على مَنْ خطبها المقام بدار قومها فولدت له شيبة الحمد، فربيَ في أخواله مكرَّماً. فبينا هو يناضل فتيان الأنصار إذ أصاب خصلة، قال: أنا ابن هاشم. وسمعه رجل مجتاز، فلما قدم مكة قال لعمه المطَّلب: قد، مررت بدار بني قيلة فرأيت فتىً من صفته كذا، يناضِل فتيانهم فاعتزى إلى أخيك، وما ينبغي ترك مثله في الغربة . فرحل المطلب حتى ورد المدينة، فأراده على الرحلة . فقال: ذاك إلى الوالدة، فلم يزل بها حتى أذِنَتْ له، فأقبل به قد أرْدفه، فإذا لَقِيَه اللاقي ، وقال: مَنْ هذا يا مطلب. قال: عبدٌ لي فسمي عبد المطلب، فلما قدم مكة وَقَفَه على ملك أبيه، وسلمه إليه .

فصل

وكان إلى عبد المطلب بعد هلاك عمَه، المطلب ما كان إلى مَنْ قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرفادة، وشرُفَ في قومه، وعَظُم خطره، فلم يكن يُعدَل به منهم أحد .وكان إذا أهلَ رمضان دخل حراء فبقي فيه طول الشهر، وكان يُطعم المساكين، ويُعظم الظلم، وُيكثر الطواف بالبيت .

فصل قيل له في منامه احفر زمزم،

وعبد المطلب هو الذي اتيَ في منامه فقيل له: احفر زمزم، قال: وما زمزم . قيل: لا تُنْزَحُ ولا تُذَمّ، تَسْقي الحَجِيجَ الأعْظَم، وهي بين الفَرْث والدم، عن نُقْرة الغراب الأعْصم أوهي شرب لكَ ولولدك، وكان غراب أعْصم لا يبرح عند الذبائح مكان الفرْث والدم، فحفرها ثلاثة أيام فبدا له الطويّ ، فكبَّر، وقال: هذا طوي إسماعيل. فقالت له قريش: أشْرِكنْا فيه فقال: ما أنا بفاعل، هذا شيء خُصِصْتُ به دونكم، فاجعلوا بيني وبيْنكم مَنْ شئْتُم أحاكمْكم إليه ، قالوا: كاهنة بني سعد. فخرجوا إليها، فعطشوا في الطريق حتى أيقنوا بالموت، فقال عبد المطلب: والله إنّ إلقاءنا هكذا بأيدينا لعجز، ألا نضرب في الأرض، فعسى اللّه أن يرزقنا ماء. وقام إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجر من تحت خُفها عين ماء عَذْبٍ ، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه وشربوا . وقالوا:

قد، قَضَى لك الذي سقاك، فو الله لا نخاصمك فيها أبداً. فرجعوا، وخلوا بينه وبين زمزم. وكان عبد المطلب قد وجد في زمزم غزالين من ذهب كانت جرهم دفنتهما فيه حين أخرجت من مكة، وأسيافاً و أدرعاً، فجعل الأسياف باباً للكعبة، وضرب الغزالين صفائح في الباب فكان أول ذهب حليتها الكعبة. وقد روى ابن حبيب في حديث الغزالين شيئاً آخر، قال: كان معين بن عبد القيس مالقاً لشباب قريش يسقون عندى ويشربون وكان عيادة فتاك قريش وحلفاؤهم، منهم: أبو لهب، والحكم بن أبي العاص، والحارث بن عامر بن نوفل وغيرهم، وأقبلت عير من الشام تحمل خمرأ، فقال لهم أبو لهب: ويلكم أما عندكم نفقة. قالوا: لا. قال: فعليكم بغزال الكعبة، فإنما هو غزال أبي، وكان عبد المطلب استخرجه من زمزم ووجد بها سيوفاً والغزال، فحمله للكعبة. فانطلقوا بالليل فحمل أبو مسافع ، والحارث بن عامر على ظهورهما حتى ألقياه على الكعبة، فضرب الغزال فوقع، فتناوله أبو لهب ثم أقبلوا به فكسروه فأخفوا الذهب وعينيه، وكانت من ياقوت، وطرحوا طوقه، وكان على خشب في مترل شيخ من بني عامر، فأخذ أبو لهب العنق والرأس والقرنين، وانطلق فلم تقربهم وذهبوا فاشتروا كل خمر كان معهم وأعطوا الشنف والقرط القسيس، فافتقدت قريش الغزال، فتكلموا فيه، وجد في لبرة عبد الله بن جدعان، فمر العباس، وهو شاب بدُوْرِ بني سهم وهم يغنون ويقولون:

إِن الغزال الذي كلتم وحليته ... يعنونه بخطوب الدهر والعثر

طافت به عصبة من سر قوهم ... أهل العلا و الندا والبيت ذي السُتر

فأخبرَ أبو طالب فجاءوا ابن جدعان وغيرهم فسمعوا الغناء، وأقبلوا من الغد ووجدوا العينين: إحداهما مقرط قرط الغزال والآخرى مشنفة بالمنفد، فهرب الحارث بن عامر، وقطعت يد الرجل، وصولح القوم على خمسين ناقة ففدوا بها الكعبة.

فصل وكانت كنية عبد المطلب

أبا الحارث، كُني بذلك لأن الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث . قال: هشام بن محمد بن السائب: ولد لعبد المطلب عشرة بنين منهم: عبد اللهّ أبو نبينا صلي الله علية وسلم وأبو طالب، والزبير: أمهم فاطمة بنت عمرو مخزومية، والعباس، وضرار: إمهما نتيلة النمرية، و حمزة، و المقوم: أمهما: هالة بنت و هب، و أبو لهب أمه: لبنى خزاعية، والحارث: أمه صفية من بني عامر بن صعصعة، و الغيداق: أمه من خزاعة. وأما هاشم فاسمه عمرو. وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه، وأطعمه. فقال ابن الزِّبَعْرى فيه:

عمرُو العُلا هَشَمَ الثّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... ورِجالُ مَكةَ مُسْنتَمُونَ عِجَافُ

ذلك أن قومه من قريش أصابهم قحْط، فرحل إلى فلسطين، فاشترى الدقيقَ، فقدم به مكَة، فأمر به فخبز له ثم نحر جَزُوراً، ثم اتخذ لقومه مِنْ مرقه ثريدأ لذلك الخبز..

وهو أولُ مَنْ سنَ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف . أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن الحرثة قالت: أخبرنا علي بن الحسن بن الفضل قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن خالد قال: أخبرنا ابن المغيرة الجوهري قال: أخبرنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدَثنا الزبير ابن بكار قال: حدَّثني محمد بن يحيى قال حدَّثني عمران بن عبد العزيز قال : كانت

قريش في الجاهلية تعتقد وكان اعتقادها أن أهل البيت منهم كانوا إذا هلكت أموالهم خرجوا إلى براز من الأرض فضربوا على أنفسهم الأخبية، ثم تناوموا فيها حتى يموتوا من قبل أن يعلم بحالتهم، حتى نشأ هاشم بن عبد مناف، فلما عظم قدره قال: يا معشر قريش، إن العز مع كثرة العدد، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالًا وأعزها نفراً، وإن هذا الاعتقاد قد أتى على كثير منكم، وقد رأيت رأياً. قالوا: رأيك رشد فمُرْنا نأتمر . قال: رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم وأعمد إلى رجل غني فأضم إليه فقيراً أجمع، عيالهُ بعدد عياله، وأذره في الرحلتين، فما كان من مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله، وكان ذلك قاطعاً للأحقاد قالوا: نعم ما رأيت. فألف بين الناس، فلما بعث الله تعالى رسوله عليه السلام، كان فيما أنزل عليه "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" ثم نزلت:" لإيلاف قريش"، أي: لتراحمهم وتواصلهم، وإن كانوا على شرك.

فصل وكان هاشم وعبد شمس أكبر ولد عبد مناف،

وقيل: ولدا توأمين، وإن أحدهما ولد قبل صاحبه وأصبح أحدهما ملتصقة بجبهة صاحبه ، فنحِّيت عنها، فسال من ذلك دم فتُطِير من ذلك . فقيل: يكون بينهما دم. وأخوهما المطلب أصغرهم ، وأم الثلاثة: عاتكة بنت نمرة السلمية، وأخوهم: نوفل، وأمه واقدة، فسادوا كلهم بعد أبيهم عبد مناف، وكان يقال لهم: المجبرون، فلهم يقول القائل:

يا أيها الرجُلُ المُحوِّلُ رَحْلَه — أي نزلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنافِ

وكان أوَل منْ أخذ لقريش العِصَم ، فانتشروا من الحرم، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشيّ الأكبر، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض الشام، وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن فجبر الله لهم قريش فسمُّوا المجبّرين.

فصل وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف السقاية والرفادة،

وأطعم الناس، فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صَنيع هاشم، فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش، فغضب ونال من هاشم، فدعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك، فلم تدعه قريش، واحفظوه، قال: فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، تنحرها ببطن، مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين. فرضيَ بذلك أمية، وجعلا بينهما الكاهنِ الخزاعيّ، فنفَرَ هاشماً عليه، فأخذ هاشم الإبل فنحرها، وأطعمها مَنْ حَضَرهُ، وخرج أميَّة إلى الشام، فأقام بها عشر سنين فكاتَ هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية . أنبأنا يحيى بن الحسن البنا. قال: أخبرنا ابن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدَثني عمر بن أبي بكر الموصلي قال: حدَّثني يزيد بن عبد الملك بن المغيرة، عن نوفل، عن أبيه قال : اصطلحت قريش على أن يولى هاشم بن عبد مناف السّقاية والرَفادة، وذلك أن
عبد شمس كان يسافر قبل ما يقيم بمكة، وكان رجلاً مقلأ، وكان هاشم رجلًا موسراً، وكان إذا حضر الحج قام في قريش، وقال: يا معشر قريش، إنكم جيران للّه، وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم نفار اللّه، يعظمون حُرمة بيته، وهم ضيف اللّه، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم اللّه بذلك، وأكرمكم به، فأكرموا ضيفه، فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد، وقد أوجفوا وثقلوا وأرملوا، فاقروهم وأعينوهم، فكانت قريش ترافد على ذلك حتى إن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم،

وكان هاشم يخرج كل سنة مالًا كثيراً، فكان يأمر بحياض من أدم فيجعل في موضع زمزم قبل أن تحفر، ثم يستقي فيها من الآبار التي بمكة فيشرب الحاج، وكان يطعمهم قبل التروية بيوم بمكة وبمنى وبجمع وبعرَفة، وكان يثرد لهم الخبز والشحم والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء، وكان هاشم أول مَنْ سَنَ الرحلتين: رحلة إلى أرض الحبشة إلى النجاشي ورحلة إلى أرض الشام، وربما دخل على قيصر فيكرمه، فمات بغزة. قال الزبير وحدثني محمد بن حسن عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن قال، : قال ابن عباس: واللّه لقد علمت قريش أن أول مَنْ أخذ لها الإيلاف وأجاز لها العيرات هاشم، والله ما نبذت قريش خيلاً، ولا أناخت بعيراً بحضرٍ إلا لهاشم، والله إن أول مَنْ سقى بمكة ماء عذبَاَ وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري قال: أخبرنا المعافى بن زكريا قال: أخبرنا عبيد الله بن محمد جعفر الأزدى قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدَّثني محمد بن الحسين قال: أخبرنا سليمان بن حرب قال: أخبرنا أبو هلال الراسبي، عن حميد بن هلال قال: تفاخر رجلان من قريش رجل من بني هاشم ورجل من بني أمية، فقال هذا: قومي أسخى من قومك. وقال هذا: قومي أسخى من قومك. فقال: سل في قومك حتى أسأل في قومي. فافترقا على ذلك فسأل الأموي عشرة من قومه فأعطوه مائة ألف، كل واحد منهم، عشرة آلاف. قال: وجاء الهاشمي إلى عبد الله بن عباس فأعطاه مائة ألف، ثم أتى الحسن بن علي فسأله: هل أتيت أحداً قبلي؟ نعم عبد الله بن العباس فأعطاني مائة ألف. قال : فأعطاه الحسن مائة ألف وثلاثين ألفاً، ثم أتى الحسين فسأله، فقال: هل أتيت أحداً قبلي قبل أن تأتيني ؟ قال: نعم، أخاك الحسن، فأعطانِي مائة ألف وثلاثين ألفاً، قال: لو أتيتني قبل أن تأتي أخي أعطيتك أكثر من ذلك ولكن لا أزيد على سيدي قال، : فأعطاه مائة ألف وثلاثين ألفاً. قال: فجاء الأموي بمائة ألف من عشرة. وجاء الهاشمي بثلثمائة ألف وستين ألف من ثلاثة. فقال الأموي: سألت عشرة من قومي فأعطوني مائة ألف. وقال الهاشمي: سألت ثلاثة من قومي فأعطوني ثلاثمائة ألف وستين ألفاً. قال: فعجز الهاشمي على، الأموي، فرجع الأموي إلى قومه فأخبرهم الخبر، وردّ عليهم المال فقبلوه، ورجع الهاشمي إلى قومه فأخبرهم الخبر ورد عليهم المال فأبوا أن يقبلوه، وقالوا: لم نكن لنأخذ شيئاً قد أعطيناه. .

وقد روى هشام عن أشياخ له: أن عبد المطلب بن هاشم وَحَرْبَ بن أميّة رحلا إلى النجاشي الحبشي فأبى أن ينفر بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رباح فقال لحرب: يا أبا عمرو، أتنافر رجلًا هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة وأكثر منك ولداً، فنفره عليه، فقال له حرب: إن من انتكاث الزمان، أن جعلنك حكماً .

وكان أوَّل مَنْ مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم، مات بغزّة من أرض الشام، ثم مات عبد شمس بمكة فقُبر بأجياد، ثم مات نوفل بالسَلْمان من طريق العراق، ثم مات المطّلب بردْمان من أرض اليمن، وكانت الرفادة، والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب .

فصل أبطن قريش

قال هشام بن محمد السائب الكلبي انتهى الشرف من قريش في الجاهلية ووصل في الإسلام إلى عشرة رهط من عشرة أبطن وهم: هاشم، وأمية، ونوفل، وعبد الدار، وأسد، وتيم، ومخزوم، وعدي، وجمح، وسهم. وكان من بنِي هاشم العباس بن عبد المطلب، يسقي الحجيج في الجاهلية، وبقي ذلك له في الإسلام، وكانت له العمادة، وهي أن لا يتكلم أحد في المسجد الحرام برفث ولا

هجر، ولا يُرفع صوت ، كان العباس رضي الله عنه ينهاهم عن ذلك . ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب. كانت عنده العقاب راية قريش، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب، فإن اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب، وإن لم يجتمعوا على أحدٍ رأسوا صاحبها وقدموه. ومن بني نوفل الحارث بن عامر وكانت إليه الرفادة، وهي مال كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطعي الحاج. ومن بني عبد الدار عثمان بن طلحة كان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة، ويقال والندوة في بني عبد الدار. ومن بني أسد يزيد بن ربيعة بن الأسود، وكانت إليه المشورة، وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعون على أمرٍ حتى يعرضوه عليه، فإن وافقه والاهم عليه، وإلاً تخير فكانوا أعواناً، واستشهد مع رسول الله صلى الله علية وسلم بالطائف. ومن بني تيم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كانت إليه في الجاهلية الإساف، وهي الديات والمغرم وكان إذا احتمل شيئأ يسأل فيه قريش سدنة وإحماله من ينظر فيه، وإن أحمله غيره خذلوه. ومن بني مخزوم: خالد بن الوليد كانت إليه القبة والأعنة، فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها، ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة فإنه كان يكون على خيل قريش في الحرب. ومن بني عدي: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كانت إليه السفارة في الجاهلية وذلك إذا وقعت بين قريش وغيرهم حرب، بعثوه سفيراً أو إن نافرهم حي المفاخرة بعثوه مفاخراً، ورضوا به. ومن بني جمح: صفوان بن أمية، وكانت إليه الأيسار، وهي الأزلام كان هو الذي يجري ذلك على يديه.

ومن بني سهم: الحارث بن قيس، وكانت إليه، الحكومة والأموال التي يسمونها لآلهتهم إليه.

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية، وهي السقاية أو العمادة والعقاب والرفادة والحجابة والندوة واللواء والمشورة والإساف، والقبة والأعنة والأيسار والحكومة والأموال المحجرة للآلهة، وكانت إلى هؤلاء العشرة من البطون العشرة، ، وجاء الإسلام فوصل ما يصلح وصله، وكذلك كل شرف من شرف الجاهلية المحركه الإسلام فوصله، وكانوا إذأ كانت حرب اقترعوا بين أهل الرئاسة، فمن خرجت القرعة عليه أحضروه صغيراً كان أو كبيراً، فلما كان يوم الفجار اقترعوا بين بني هاشم، فخرج منهم العباس، وكان صغيراً فأجلسوه على الفرس.

وأما عبد مناف: فاسمه المغيرة، وكان يقال له: القمر من جماله وحسنه، وكان قُصي فيما زعموا يقول: ولد لي أربعة فسميت اثنين بصنميٍّ، وواحداً بداري، وواحداً بنفسي؟ وهم: عبد مناف، وعبد العُزى، وعبد الدار، وعبد قصي، أمهم جميعاً: حُبَّى بنتَ حُليَل بن حُبْشِية الخزاعي. ودفعت ولدها عبد مناف إلى مناف ، وكان أعظم أصنام مكة تديُّناً بذلك، فغلب عليه عبد مناف، وله قيل:

كانَتْ قُرَيش بَيْضَةً فتلَقَتْ ... فالمحُّ خالِصَةٌ لِعَبْد مِنَافِ

وكانت الرياسة في بني عبد مناف، والحجابة في بني عبد الدار، فأراد بنو عبد مناف أن يأخذوا ما بيدي بني عبد الدار، فحالف بنو عبد الدار بني سهم وقالوا لهم: امنعونا من بني عبد مناف، فلما رأت ذلك أم حكيم بنت عبد المطلب عمدت إلى جفنة فملأتها خلوقاً، ثمّ وضعتها في الحجرة وقالت: مَنْ تطيب بهذا فهو منا. فتطيب به بنو عبد مناف، وأسد، وزهرة، وبنو تيم، فسمُوا المطيبين. فلما سمعت بذلك بنو سهم نحروا جزوراً وقالوا: مَنْ أدخل يده في دمها، فهو منها. فأدخلتَ أيديها: بنو عبد الدار، وبنو سهم، وجمح، وعدي، ومخزوم، فلفا فعلوا ذلك وقع الشر، وسُمُوا أحلافاَ. وكان عمر بن الخطاب من الأحلاف، فلما قتل صاحب الصابحة، واشتد الاختلاف فقال ابن عباس: ويحك والمختلف عليهم .

وأما قُصيّ: فله ثلاثة أسماء: زيد، وقصي، ومجمعاً. وفيه يقول الشاعر:

همام له أسماء صدق ثلاثة قصي وزيد ذوا لنهدى ومجمع

فأما اسمه الأصلي فزيد، وإنما قيل له: قصي لأن أباه كلاب بن مرة، وكان قد، تزوج أم قصيّ: فاطمة بنت سعدِ، فولدت لكلاب: زُهرة وزيداً، فهلك كلاب وزيد صغير، وقد شب زهرة وكبر فقدم ربيعة بن حران بن ضِنة فتزوج فاطمة أم زهرة وقصي، وزهرة رجل قد بلغ، وقصي فطيم أو قريب من ذلك فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذره من أشراف الشام، فاحتملت معها قُصياً لصغره، وتخلّف زُهرة في قومه فلم يبرح من مكة، فسمي زيد: قُصياً لبُعد داره عن دار قومه، فبينا قُصي بأرض قُضاعة لا ينتمي إلا إلى ربيعة بن حرام وقع بينه وبين رجل أمن قضاعة، شيء. فقال له ألا تلحق بقومك، فإنك لستَ منّا فرجع قصي إلى أنه فسألها عَمّا قال له ذلك الرجل، . فقالت له، : أنت والله أكرم منه نفساً ووالداً، أنت ابن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وقومك بمكة عند البيت الحرام وحوله. فأجمع قًصيّ الخروج إلى قومه واللحوق بهم، وكره الغربة، فقالت له أمه: لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاج العرب، فإني أخشى عليك أن يُصيبك بعض البأس، فأقام حتى دخل الشهر الحرام، فخرج في حاج العرب من، قضاعة، فقدم مكة فلما فرَغ من الحج أقام بها، فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشة الخزاعي ابنته حُبَّى، فزَوجه وكان خليل يلي أمر مكة، فولدت له: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، فلما انتشر ولده، وكثر ماله، وعظم شرفه هَلَكَ حُلَيْل أبن حُبْشِية، فرأى قصي أنه أوْلَى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة وبني بكر، وأن قريشاً صريح ولد إسماعيل بن إبراهيم، فكلّم رجالاً من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فلما قبلوا منه دعاهم إليه وبايعوه على ذلك، كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة وهو ببلاد قومه يدعوه إلى نصرته والقيام معه، فقام رزاح في قُضاعة، فدعاهم إلى نصر أخيه فأجابوه. وبعض الرواة يقول: إن حليَلاً لما ثقل جعل، ولاية البيت إلى ابنته حبي فقالت: إني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه. قال: فإني أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل. فجعله إلى أبي غُبْشان وهو سليم بن عمرو فاشترى في ولاية البيت منه بزِقّ خمر وبعوْد . وقيل: بل بزق وكبش. فقال الناس: أخسر من صفقة أبي غُبْشان فذهبت مثلاً، قال الشاعر:

أبو غُبشان أظلم من قصي وأظلم من بني فهر خزاعة

فلا تلحوا قصياً في شراة ولوموا شيخكم إن كان باعه

ثم إن قُضياً قاتل خزاعة فجلت عن مكة، فولي قصي البيت وأمر مكة والحكم بها، وجمع قبائل قريش فأنزلهم أبطح مكة، وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس جبال مكة فقسم منازلهم بينهم ، فسُميّ مجمعاً وملّكه قومه عليهم، وفيه قيل:

وزيد أبوكُم كان يُدْعَى مُجمَعاً بهِ جَمَع اللَّهُ القَبَائِلَ مِن فِهْرِ

وبعضهم يقول: إن حليل بن حبشيّة أوصى قصياً حين انتشر له من ابنته الأولاد

وقال: أنت أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة. فلذلك كان طلب قصي ما طلب . وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وإذا أرادوا النَّفْر من منىً أخذت صوفة بناحيتي العقبة ، فحبسوا الناس، وقالوا: أجيزي صوفة. فلم يُجزْ أحد من الناس حتى ينفذوا، فإذا مضت صوفة خلى سبيل الناس بعدهم، والعرب قد عرفت هذا لصوفة من عهد جرهم وخزاعة. فلما كان العام أتى قصي بمَنْ معه من قريش وكنانة وقُضاعة عِند العَقَبة وقالوا: نحن أولى بهذا منكم. فباكرهم فقاتلوه واقتتل الناس، وانهزمت صوفة، وغلبهم قُصيّ

على ذلك. وانحازت خُزاعة وبنو بكر عن قصي، وعرفوا أنه سيمنعهم مثل ما منع صوفة، وأنه سيحُول بينهم وبين الكعبة، وأمْر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم فالتقوا، فاقتتلوا حتى كَثُرت القتلى في الفريقين، ثم انهم تداعوا للصلح، فحكَّموا عمرو بن عوف الكناني، فقضى بأن قُصيّاً أولى بالكعبة وأمْر مكة من خزاعة، وأن كلّ دم أصابه قُصَيٌّ من خُزاعة وبني بكر موضوع، وما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة وقُضاعة ففيه الدّية فوَلِي قُصي البيت وأمرَ مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملّك على قومه وأهل مكة، فملّكوه، فكان قُصيّ أوّل ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرِّفادة والندوةَ واللواء، . فحاز شرف مكة كلّه، وقطع مكة أرباعاً بين قومه، فأنزل كلّ قوم من قريش منازلهم من مكّة التي أصبحوا عليها . ويزعم الناس أن قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قُصيّ بيده، وما كانت تُنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي، ولا يتشاورون في أمر نزل بهم إلا من داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم إلاّ في داره، يعقدها لهم بعض ولده، وكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتَّبع، لا يعمل بغيره تيمناً بأمره، ومعرفة بفضله وشرفه، واتخذ قصي لنفسه دار الندوةَ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي أمورها . وسميت دار الندوة لأنهم كانوا ينتدون فيها أي: يجتمعون للخير والشر، والندى: مجمع القوم. فأقام قصي على شرفه لا ينازع في شيء من أمر مكة، إلا أنه قد أقر للعرب في شأن حَجّهم ما كانوا عليه، وللنَّسأه من بني مالك بن كنانة، إلى أن جاء الإسلام، وهو أوّل من أوقد النار بالمزدلفة، حيث وقف بها حتى يراها من دفع عرفه، فلم تزل توقد في تلك الليلة في الجاهلية، و لم تزل توقد على عهد رسول الله صلي الله علية وسلم وأبي بكر وعمر. قال الواقدي: وهي توقد إلى اليوم.

قالوا: فلما جمع قريشاً إلى الحرم سميت حينئذ لجمعه إياهم وكان يقال لهم قبل ذلك بنو النضر، أنبأنا أبو عبد الله البارع قال: أخبرنا ابن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال : أخبرنا أحمد بن سلمان الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل بن عوف بن الحارث: أن قريشاً شكوا إلى قصي كثرة الشجر، وأنهم لا يستطيعون، أن يبنوا منه واستأذنوه في قطعه، فنهاهم وقال: قد رأيتم مَنْ استخف بأمر الحرم كيف صار أمره فكانوا يبنون دورهم والشجر فيها، وكذلك كانوا يحرمون الصيد في الحرم. قال مؤلف الكتاب: وقد ذكرنا أنه قطع الشجر بيده.

فصل عبد الدار ولد قصي

فلما كبر قُصي ورَقّ عظمه، ولد، كان عبد الدار بِكْره أكبر ولده وكان أضعف ولده، فقال له: والله لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شَرَفُوا عليك، لا يدخل أحد من الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء الحرب إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك ولا تقطع قريش أمراً إلا في دارك. فأعطاه دار الندوة التي لا تقضي قريش أمراً إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسِّقاية والرفادة، وكانت الرِّفادة خرجاً تخرجه قريش فتطعم الحاج على ما سبق ذكره . ومات قصي فدُفن بالحجون فتدافن الناس بعده بالحجون.

وقال الشرقي بن قطامي لأصحابه يوماً: مَنْ منكم يعرف علي بن عبد مناف بن شيبة بن عمرو بن المغيرة بن زيد؟ قالوا: ما نعرفه. قال: هو علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، اسم أبي طالب: عبد مناف، وعبد المطلب: شيبة، وهاشم: عمرو وعبد مناف: المغيرة، وقصي: زيد.

وأما كلاب: فأمه: هند بنت سرير بن ثعلبة، وله أخوان من أبيه، وهما: تَيْم، ويقَظَة: أمهما فيما قال ابن هشام بن الكلبي أسماء بنت عديَ بن حارثة . وفي قول ابن إسحاق: هند بنت حارثة البارقية . قال: ويقال: يَقَظَةْ لهند بنت سرير، أم كلاب.

وأما مرة :فأمه وَحْشية بنت شيبان بن محارب بن فهر، وأخواه لأبيه وأمه : عدي وهُصَيْص.

وأما كعب: فأمه ماوية بنت كعب بن القين، وله أخوان من أبيه وأمه: عامر وسامة، وله أخوان من أبيه، : خزيمة وسعد. أنبأنا يحيى بن الحسين بن الغيا قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سلمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم قال: . كان أول من سمى يوم الجمعة كعب بن لؤي وكان يوم الجمعة يسمى عروبة، فسماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه إلى كعب بن لؤي وخطبته.

قال إبراهيم فحدثني عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أول مَنْ قال: أما بعد، كعب بن لؤي. قال الزبير: كان يقول: أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا، واعلموا ليل ساج، ونهار ضاح، والأرض عماد، ولسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام وليلي يلي ما يهيج، فصِلُوا أرحامكم، والدار أمامكم والظن غير ما تقولون، حرمَكُم زينوه وعظموه، وتمسكوا به، فسيأتي له بناء عظيم، وسيخرج به نبيٍّ كريم، لو كنت ذا سمع وبصرٍ ورجل تنصيت له، تنصتَ الفحل وأرقلت له أرقال الجمل فرحاً بدعوته، جذلًا بصرخته.

وأما لؤي: فأمه: عاتكة بنت يَخْلُد بن النضر بن كنانة، وهي أول العواتك اللائي ولدن، رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قريش،، وله أخوان من أبيه وأمه: تَيْم وقيس.

وأما غالب: فأمه: ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة، وإخوانه من أبيه وأمه: الحارث، ومحارب، ، وأسد، وعوف وجَوْن، وذئب .

وأما فهر: فأمه جَندَلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهميّ كذلك قال هشام .

وقال ابن إسحاق: جندلة بنت الحارث وقال أبو عبيدة: إنها هي سلمى بنت أد بن طابخة.

وقال علماء النسب: وإلى فهر جماع قريش لأنه من لم يكن من ولد فهو لا يُدعى قرشياً، وقيل: بل اسم فهر قريش. أنبأنا يحيى بن الحسين بن البنا قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي، عن جدي عبد الله بن مصعب أنه سمعه يقول: اسم فهر قريش وإنما فهر لقب.

قال الزبير وحدثني الموصلي قال: قال عثمان بن أبي سليمان: اسم فهر قريش.

قال الموصلي: وقال أبو عبيدة بن عبد الله: كذلك قال الزبير.

وحدثني إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا أبو البختري وهب بن وهب، قال: حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن عمه: أن اسم فهر الذي سمته أمه قريش، وإنما نبزته فهراً. قال: وقد اجتمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت عن فهر.

فصل وكان فهر في زمانه رئيس الناس بمكة،

وكان قد أقبل من اليمن حسان بن عبد كلال الحميري يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكة إلى اليمن، ليجعل الناس عنده، فترل بنخلة، فأغار على سَرْح الناس، فخرجت إليه قريش وقبائل كنانة وخزيمة وأسد وجذام، ورئيسهم يومئذ هو فهرم بن مالك. فاقتتلوا قتالا شديدآ فهزمت حمير وأسر حسان، أسره الحارث بن فهر، فأقام في الأسر بمكة ثلاث سنين حتى افتدى نفسه منهم، فأخرج، فمات بين مكة واليمن .

وأما مالك : فقال هشام: أمه عِكْرِشَة بنت عَدْوان.

وقال ابن إسحاق: عاتكة بنت عَدْوان. وقيل: إن عِكْرِشَة لقب عاتكة. وكان له أخوان يقال لأحَدِهما: يخلُد، والآخر: الصلت.

وأما النضْر : فاسمه: قيس، وأمه: بَرَّة بنت مُر بن أد، بن طابخة.

فصل تسمية قريش قريشا

واختلف العلماء في تسمية قريش قريشاً على ستة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر تدعى القرش، فشبه بنو النضر بن كنانة بها لأنها أعظم دواب البحر قوة وأنشدوا:

وقريش هي التي تسكن البحر بها سُميت قريش قريشاً

أنبأنا يحيى بن الحسن بن البنا قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، ومحمد بن الحسن قالا: أخبرنا علي بن جعفر بن محمد قال: حدثني أبو سعيد المحكي عن مَنْ حدَثه : أن عبد اللّه بن عباس دخل على معونة وعنده عمرو بن العاص فقال له عمرو: إن قريشاَ تزعم أنك أعلمها فبم سميت قريش قريشاً؟. قال: بأمرين. قال: فأبن لنا، وهل قال أحد فيه شعراً. قال: نعم، سميت قريش بدابة في البحر تسمى قريشاً، وقد قال المشمرخ بن عمرو الحميري:

وقريش هي التي تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك فيه لدى جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش يأكلون أكلًا حشيشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والحموشا
تملأ الأرض خيله ورجال ينحرون المطي سيرا قميشاً

والثاني: أنها سُمَيت بذلك لأجل فهر، وقد ذكرنا أن اسمه قريش فنسبت إليه، إذ ليس من ولده من لا يسمى قريشاً. قال مؤلف الكتاب: وهذا اختيار الزبير بن بكار.

والثالث: أنها سُمِّيت بذلك لأن النضر كان يسمى قريشاً. أنبأنا يحيى بن الحسن بن البنا قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سلمان الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: قال محمد بن الحسن، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن محمد الشعبي قال: النضر بن كنانه هو قريش وإنما سُمي قريشآ لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجاتهم

فيسد ذلك لماله. والتقريش: هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيزودونهم بما يبلغهم، فسمَّوا بذلك من فعلهم: قريشاً. وقد قال الحارث بن حلزة في بيان القرش: إنه التفتيش حيث يقول :

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو فهل لنا إبقاء

قال الزبير: وحدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة معمر بن مثنى قال: منتهى مَنْ وقع عليه اسم قريش: النضر بن كنانة فولده قريش دون سائر بني كنانة، فأما من ولد كنانة سوى النضر فلا يقال لهم قريش.

والرابع: أنها سُميت بذلك بقريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة. وقيل: هو قريش بن الحارث بن يخلد. وكان قريش هذا دليل بني النضر في أسفارهم، وكان له ابن يُسمى بدراً احتفر بئر بدر.

والخامس: أن النضر خرج يوماً على نادي قومه فقال بعضهم لبعض: انظروا إلى النضر كأنه حمل قريش. ذكره ابن جرير.

والسادس: أنه من الجمع، وذلك أن قُصياً جمع بني النضر في الحرم من تفرقهم، فذلك المتجمع هو التقرش. قاله محمد بن جبير بن مطعم. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لما نزل قُصيّ الحرم فعل أفعالاً جميلة، فقيل له: القرشي، فهو أول من سُمّي به. وأنبأنا يحي بن الحسن الفقيه قال: أخبرنا ابن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سلمان قال: أخبرنا الزبير قال: حدثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: فإنما سمي بنو النضر قريشاً لتجمعهم لأن التقرش هو التجمع.

قال الزبير: ويدل على اضطراب هذا القول أن قريشاً لم يجتمعوا حتى جمعهم قصيّ بن كلاب. وقد حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد الحكم بن سفيان عن أبي نمر قال: إنما سُميت قريش قريشاً لجمع قُصيّ بن كلاب إياهم .

وأما كنانة: فأمه عَوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان. وقيل: بل أمه هند بنت عمرو بن قيس . وأما خزيمة : فأمه: سلمى بنت أسلم بن الحافِ بن قُضاعة .

وأما مدركة : واسمه: عمرو في قول ابن إسحاق. وقال هشام بن محمد: اسمه : عمرو، وأمه: خِنْدِف، وهيِ: ليلى بنت حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة، وأخو مدركة لأبيه وأمه: عامر وهو طابخة وعمير وهو قمعَة ويقال له: أبو خزاعة . قال ابن إسحاق: كان مدركة وطابخة في إبل لهما، فاقتنصا صيداً، فقعدا يطبخانه، وعدتْ عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو: أتدرك الإبل أو تطبخ الصيد فقال عمرو: بل أطبخ الصيد، فلحق عامر الإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما فحدثاه شأنهما قال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو : وأنت طابخة.

وذكر هشام بت محمد بن السائب، : أن إلياس خرج في نجعة له، فنفرت إبله من أرنب، فخرج إليها عمرو فأدركها فسمي: مدركة، وأخذها عامر فطبخها فسُمَي: طابخة، وانقمع عمير في الخباء فلم يخرج فسمي قمعة، وخرجت أمهم تمشي فقال إلياس لها: أين تخندفين؟. فسمَيت خندف، والخندفة: ضرب من المشي. قال إلياس لعمرو ابنه:

إنكَ قد أدْرَكْتَ مَا طَلَبتَا

وقال لعامر:

وأنت قد أنضجت مَا طَبَخْتَا

وقال لعمير:

و أنت قد أسَأتَ و انقمعتا

وقد قال قصي بن كلاب: أمي خندف، وإلياس أبي .

وأما إلياس : فأمه الرباب بنت حَيدَة بن معد. وذى الزبير بن بكار: أن إلياس لما أدرك أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرتهم وكان فضله عليهم، فجمعهم برأيه، وردهم إلى سنن آبائهم ، وهو أول مَنْ أهدى البُدن إلى البيت وفي زمانه وهو أول مَنْ وضع الركن للناس بعد هلاكه، حتى غرق البيت وانهدم فوضعه في زاوية البيت ، و لم تبرح العرب تعظما إلياس تعظيم أهل الحكمة كتعظيمها لقمان، وهو أول مَنْ مات بالنبل فأسفت عليه زوجته خندف أسفاً شديداً، وكانت قد نفرت في مرضه أنه إن هلك لا تقيم في بلد مات فيه أبداً، ولا يظلها أسقف بيت وأن تسيح في الأرض فخرجت سائحة حتى هلكت حزناً.

فصل قمعة بن الياس

قال مؤلف الكتاب: وكان من أولاد إلياس: قمعة، وولد لقمعة لحي، وولد له : عمرو، وهو أولى من غير دين الحنفية دين إبراهيم، وأول من نصب الأوثان حول الكعبة، وجعل البحيرة، والسائبة، والوصاية، والحام، واستخراج إساف ونائلة فنصبهما. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "أريت النار فإذا فيها عمرو ولد لحي يتأذى أهل النار بريحه وهو أول من غير دين إبراهيم ورأيته يجر قصبه في النار". وقال ابن عباس رضي الله عنه: قدم عمرو بن لحي بهبل من الشام فنصبه على الأخشب، وأمر الناس بعبادته، وأخرج إسافاً ونائلة من البيت فنصب إسافا مقابل الركن الأسود وبين زمزيم، ونصب نائلة إليه جانب البيت وتجاه المقام، ونصب بمنى سبعة أصنام، ونصبَ مُناة على ساحل البحر، واتخذ للعزى بنخلة بيتاً يطوفون به كطوافهم بالكعبة، فكانوا إذا طافوا بالبيت لم يحلوا حتى يأتوا العُزى، فيطوفون به.

وأما مُضر : فأمه سودة بنت عك، وأخوه لأبيه وأمه: إياد، ولهما أخوان من أبيهما واسمهما: ربيعة وأنْمار. وقد قال الزبير بن بكار: إن نزار بن معد لما حضرته الوفاة أوصى بنيه، وقسم ماله بينهم، فقال: يا بنيَ، هذه القبة وهي من أدم حمراء وما أشبهها من مالي لمضر، فسُمي مضر الحمراء. وهذا الخِباء الأسود وما أشبهه من مالي لِربيعة فخفَف خيلًا دهُماً ، فسمَي ربيعة الفُرْس . وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد وكانت شمطاء فأخذ البُلْق والنَقَد من غنمه وهذه البدرة، والمجلس لأنمار يجلس فيه ، فأخذ أنمار ما أصابه. وقال: فإن أشكل عليهم في ذلك شيء واختلفتم في القِسْمة فعليكم بالأفْعَى الجُرْهمي. فاختلفوا في القِسمة، فذهبوا إلى الأفعى. فبينما هم في مسيرهم إذ رأى مُضَر كلأ قد رُعِيَ، فقال: إنّ البعير الذي قد رَعى هذا الكلأ لأعور، وقال ربيعة: إنه أزور، وقال إياد: هو أبتر. وقال أنمار: هو شَرْود.

فلم يسيروا إلاَّ قليلاً حتى لقيَهم رجل تُوضِع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مُضَر: هو أعور؟ قال: نعم. وقال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم. وقال إياد: هو أبتر؟. قال: نعم. وقال أنبار: هو شرود؟ قال: نعم، هذه والله صفة بَعِيري، دُلّوني عليه، فحلفوا: ما رأوْه . فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري فساروا جميعاً حتى قدموا نجران، فنزلوا بالأفعى الجُرهمي، فنادى صاحبُ البعير: إن بعيري عند هؤلاء الأقوام لأنهم وَصَفُوا لي صفته. ثم قالوا: لم نرِه. فقال الجُرهمى: كيف وصفتموه و لم تروه ؟ فقال مضر: رأيته

يرعى جانباً ويَدَعَ جانباَ، ، فعرفت أنه أعور. وقال ربيعة رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازورراه. وقال إياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بعده، فلولا ذلك لَمصعِ به. وقال أنمار: عرفت أنه شرود لأنه يرعى بالمكان الملتفّ نبته، ثم يجوزه إلى مكان آخر أرق منه، نبتاً وأخبث . فقال الجرهمى: ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه، ثم سألهم فأخبروه فرحبّ بهم، ثم قال: أتحتاجون إليّ وأنتم كما أرى ثم دعا لهم بطعام فأكلوا وأكل، وشربوا وشرب، فقال مُضَر: لم أر كاليوم خمراً أجود ، لولا أنها نبتت على قَبْر، وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أطيب، لولا أنه رُبي بلبن كلبة. وقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسْرى لولا أنه لغير أبيه الذي يدعى له . وقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا. وسمع الجُرهمي الكلام فتعجب من قولهم وأتى أمه فسألها وهددها ، فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له، وكرهت أن يذهب المُلك، فأمكنتْ رجلًا من نفسها كان نزل بها، فوطئها فحملت به، وسأل القهرمان عن الخمر، فقال: من حَباة غرستُها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم، فقال: شاة أرضعتُها بلبن كلبة، يكن وَلَد في الغنم شاة غيرها. فقيل لمضر: من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر؟ قال لأنه أصابني عليها عطش شديد، وقيل لربيعة: فبم؟. قال: ذكر كلاماً. فأتاهم الجُرهمي فقال: صفوا لي صفتكم. فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم فقضى بالقبة الحمراء والدنانير والإبل وهي حُمر لمضر، وقضى بالخباء الأسود والخيل الدُّهم لربيعة، وقضى بالخادم وكانت شمطاء وبالماشيةَ البُلْق لإياد، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار. أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه أخبرنا أحمد بن معروف قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن قال: أخبرنا خالد بن خداش قال: أخبرنا عبد الله بن وهب قال: أخبرنا سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الله بن خالد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاتَسبوا مُضَر فَإنَهُ كَانَ قَدْ أسْلَمَ" .

وأما نزار: فإنه يكنى: أبا إياد، وقيل: أبا ربيعة، أمه: مُعَانة بنت جَوْشم .

وأما معة : فأمّه: مهدد. أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز: قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوبه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه قال: كان معد مع بخت نصَر حين غزا حُصون اليمن. قال ابن سعد: و لم أر بينهم اختلافاً أن معدًّاً من ولد قيذار بن إسماعيل . أنبأنا الحسن بن عبد الوهاب البارع قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي بن المغيرة قال: لما بلغ بنو معد عشرين رجَلاَ أغاروا على عسكر موسى فدعا عليهم فلم يجب فيهم ثلاث مرات، فقال: يا رب دعوتك على قوم فلم تجبني فيهم بشيء. فقال: يا موسى دعوتني على قوم هم خيرتي في آخر الزمان .

قال: الزبير: وحدثني عبد العزيز بن يحيى بن زيد الباهلي، عن سليمان بن رفاعة، عن مكحول قال: أغار الضحاك بن معد على بني إسرائيل في أربعين رجلاً من بني معد عليهم دراريع الصوف خاطمي خيلهم بحبال الليف، فقتلوا وسبوا وظفروا. فقال بنو إسرائيل: يا موسى، إن بني معد أغاروا علينا وهم قليل، فكيف لو كانوا كثيراً، وأغاروا علينا وأنت نبينا، فادع الله عليهم. فتوضأ موسى وصلى ثم قال: يا رب إن بني معد أغاروا على بني إسرائيل، فقتلوا وسبوا وظفروا، فسألوني أن أدعوك عليهم. قال: فقال الله عز وجل: "يا موسى لا تدع عليهم فإنهم عبادي وإنهم ينتهون عند أول أمري وإن فيهم نبياً أحبه و أحب أمته".

فقال: يا رب ما بلغ من محبتك له ؟.
قال: أغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
قال: يا رب ما بلغ من محبتك لأمته.
قال: يستغفرني مستغفرهم فاغفر له، ويدعوني داعيهم فأستجيب له.
قال: يا رب فاجعلهم من أمتي قال: ثلثهم منهم. قال: رب اجعلني منهم. قال: تقدمته تأخروا.
وأما عدنان : فإليه اتفاق النَسَّابين على ما تقدم، ويختلفون في الأسماء التِي بعده على ما سبق بيانه.

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا أبو محمد النحوي قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام. بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه قال: أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وأمها: بَرة بنت عبد العزىّ بن عثمان بن عبد الدار بن قُصي بن كلاب، وأمها: أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب، وأمُّها: برة بنت عوف بن عَبيد بن عَويج بن عَدي بن كعب بن لؤي، وأمَّها: قلابة بنت الحارث بن مالك بن حباشة، وأمها: أميمة بنت مالك بن غَنْم بن لحيان، وأمها دب بنت ثعلبة بن الحارث بن تميم بن سعد، وأمُّها: عاتكة بنت غاضرة بن حُطيط بن جشم بن ثقيف، وأمّها ليلى بنت عوف. وأمّ وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها : قَيْلَة، ويقال: هند بنت أبي قيلة، وهو وجز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن ملكان، وأمها: سلمى بنت لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وأمها: ماوية بنت كعب، وأم وجْز بن غالب: السّلامة بنت واهب بن البكير، وأمها: بنت قيس بن ربيعة، وأمّ عبد منَاف بن زهرة جُمل بنت مالك، وأم زُهرة بن كلاب أم قُصي، وهي فاطمة بنْت سعْد بن سَيَل . قال محمد بن السائب: كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحآ ولا شيئآ مما كان من أمر الجاهلية .

قال ابن سعد. وأخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن عبد الحميد بن سهيل، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَرَجْتُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ مِنْ نِكَاح غَيْرِ سِفَاح" .

قال الأسلمي: وحدثني محمد بن عبد الله بن مسلم، عن عمه الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خَرَجْتُ مِنْ نِكَاح غَيْرِ سِفَاح " .

أنبأنا الحسن بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سلمان بن داوود قال: حدثأ الزبير بن بكار قال: ولد عبد مناف بن زهرة وهباً، وهو جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو آمنة، وأمه: قيلة بنت قيلة، واسم أبي قيلة: وجز بن غالب بن عامر بن الحارث وهو غبشان،، ووجز هو: أبو كبشة الذي كانت قريش تنسب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم له، لأنه جده من قبل أمه، والعرب تظن أن أحداً لا يعمل شيئآ لا يعرف مترعه شبهه، فلما خالف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم دين قريش قال مشركو قريش ندعوه أبا كبشة لأن أبا كبشة خالف الناس بعبادة الشعرى، وهو أول منْ عبد الشعرى، وكان يقول: إن الشعرى يقطع السماء عرضا ولا أرى في السماء شمساٌ ولا قمرآ ولا نجماً يقطع السماء

عرضاً غيرها، والعرب تسميها: العبور لأنها تعبر السماء عرضاً وكان أبو كبشة سيداً في خزاعة لم يعيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقص كان فيه ، ولكن لما خالف دينهم نسبوه إلى خلاف أبي كبشة، فقالوا: خالف كما خالف.

ذكر الفواطم والعواتك اللائي ولدن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال مؤلف الكتاب : والعاتكة في كلام العرب: الطاهرة.

أخبرنا ابن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن محمد السائب الكلبي، عن أبيه قال: أم عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ، وقد وَلَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، هُضَيْبَة بنت عمرو بن عتُوارة بن عائش بن ظَرِب بن الحارث بن فهر، وأمّها ليلى بنت هلال بن وُهَيْب بن ضبة بن الحَارِث بن فهر وأمّها سَلْمَى بنْت مُحارب بن فهْر، وأمّها عاتِكة بنت يَخْلُد بن النَّضْر بن كنانة، وأم عمرو بن عُتوارة بن عائش بن ظِرب بن الحارث بن فهر عاتكة بنت عمرو بن سعْد بن عوف بن قَسيّ، وأمّها فاطمة بنت بلال بن عمْرو بن ثُمالة من الأزد، وأمّ أسد بن عبْد العزى بن قُصي، وقد وَلَدَ النَّبي صلى الله عليه وسلم الحظيا، وهي رَيْطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مُرة، وأمّ كعب بن سعد بن تيم نُعْمُ بنت ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، وأمّها ناهية بنت الحارث بن منقذ بن عَمْرو بن مَعيص بن عَامر بن لُؤيّ، وأمّها سلمى بنت ربيعة بن وُهَيْب بن ضِباب بن حُجير بن عبد مَعيص بن عامر بن لؤيّ، وأمها خديجة بنت سعد بن سهم، وأمّها عاتِكة بنت عَبدة بن ذكوان بن غاضرة بن صعصعة، وأم ضِباب بن حجير بن عَبْد بن معيص فاطمة بنت عوف بن الحارث بن عبد منَاة بن كنانة، وأمّ عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، وقد وَلَدَ النَبي مَخْشيَّة بنت عمرو بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة، وأمّها الربعة بنت حُبْشية بن كعب بن عمرو، وأمها عاتكة بنت مُدْلِج بن مُرَّة بن عَبد مَناة بن كنانة، فهؤلاء من قِبَل أمّه صلي الله عليه وسلم. وأمّ عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي أقرب الفواطم إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم، وأمها تَخْمر ُبنت عبد بن قُصي، وأمها سَلمى بنت عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر، وأمها عاتكة بنت عبد الله بن واثلة ابن ظَرِب بن عَيَاذَةَ بن عمرو بن قيس، ويقال: عبد الله بن حرب بن وائلة، وأم عبد الله بن وائلة بن ظَرِب فاطمة بنت عامر بن ظَرِب بن عَيَاذة، وأم عمران بن مخزوم سُعدى بنت وهب بن تيم بن غالب، وأمها عاتكة بنت هلال بن وُهيب بن ضبّة، وأم هاشم بن عبد منَاف بن قُصي عاتكة بنت مُرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة. بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان، وهي أقرب العواتك إلى النبي صلي الله عليه وسلم، وأم هلال بن فالج بن ذكوان فاطمة بنت بُجيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة، وأم كلاب بن ربيعة مجد بنت تيم الأدرم بن غالب، وأمّها فاطمة بنت معاوية بن بكر بن هوازن، وأم مُرَّة بن هلال بن فالج عاتكة بنت عدي بن سهم من أسلمَ، وهم إخوة خزاعة، وأمّ وُهيب بن ضبة بن الحارث بن فهْر عاتكة بنت غالب بن فهر، وأم عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رزام بن حَجْوش بن

معاوية بن بكر بن هوازن، وأم معاوية بن بكر بن هوازن عاتكة بنت سعد بن هذيل بن مدركة، وأمّ قُصي بن كلاب فاطمة بنْت سعد بن سَيَل من الجَدَرَة من الأزد، وأم عبد منَاف بن قُصي حُبّى بنت حُليل بن حُبْشية الخزاعي، وأمّها فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن لحي من خزاعة، وأم كعب بن لؤي ماوية بنت كعب بن القين، وهو النعمان بن جَسْر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف قضاعة، وأمّها عاتكة بنت كاهل بن عذرة، وأمّ لؤي بن غالب عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة، وأمّ غالب بن فهْر بن مالك ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، وأمّها سلمى بنت طابخة بن إلياس بن مضر، وأمّها عاتكة بنت الأسد بن الغوث. قال ابن سعد: وأنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ عن أبيه: أنّ عاتكة بنت عامر بن الظرب من أمهات النَبيً صلى الله عليه وسلم، قال: أم برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب أميمة بنت مالك بن غَنَم بن سويد بن حُبْشيّ بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان، وأمها قِلابة بنت الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان، وأمّها دبّ بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأمها لُبْنى بنت الحارث
بن نُمير بن اسيّد بن عمرو بن تميم، وأمها فاطمة بنت عبد الله بن حرب بن وائلة، وأمّها زينب بنت مالك بن ناضرة بن غاضرة بن حُطيط بن جُشَم بن ثقيف، وأمّها عاتكة بنت عامر بن ظَرِب، وأمها شقيقة بنت معْن بن مالك من باهلة، وأمها سَودة بنت أسَيد بن عمرو بن تميم. فهؤلاء العواتك وهن ثلاث عشرة، والفواطم وهن عشر.

ذكر ما جرى لآمنة في زمان حملها لرسول الله

صلى الله عليه وسلم

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدَثني علي بن يزيد بن عبد اللّه بن وهب بن ربيعة، عن أبيه، عن عمته قال: كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول: ما شعرت أنِي حملت به، ولا وجدت له ثقلة كما تجد النساء إلا أني قد أنكرت رفع حيضتي وربما كانت ترفعنِ وتعود، ، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملت ؟ فكأني أقول: ما أدري، فقال: إنك قد حملت بِسيد هذه الأمَّة ونبيها. وذلك يوم الإثنين. قالت: فكان ذلك ممِّا يَقّنَ عندي الحملَ، ثمً أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال: قولي أعيذه بالواحد الصمَد من شر كل حاسد، قالت: فكنتُ أقولُ ذلك. فذكرت ذلك لنسائي فقُلنَ لي: تعلقي حديداً في عَضُدَيْكِ وفي عنقكِ، قالت: ففعلت فلم يكن تُركِ عليّ إلاّ أياماً فأجده قد قُطع، فكنت لا أتعلقه وقال ابن واقد: وحدثني محمد بن عبد اللّه، عن الزهري قال: قالت آمنه: لقد عَلقْتُ به فما وجدتُ مَشَقَةً حتى وضعته .
قال ابن سعد: وأخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي قال: أخبرنا همام بن يحيى، عن إسحاق بن عبد اللّه قال: قالت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قد حملت الأولاد فما حملت سخلة أثقلَ منه .
قال ابن سعد: قال محمد بن عمر الأسلمي: وهذا مما لا يُعرف عندنا ولا عند أهل العلم، لم تلد آمنة ولا عبد الله بن عبد المطلب غير رسول اللّه صلى الله عليه وسلم.

قال الأسلمي: وحدثني قيس مولى عبد الواحد، عن سالم، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: أمِرَتْ آمنه وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمه أحمد .

ذكر وفاة عبد الله

قال مؤلف الكتاب: ولد عبد اللّه لأربع وعشرين سنة مضت منَ ملك كسرى أنوشروان، فبلغ سبع عشرة، ثم تزوّج آمنة فلمَا حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم توفي.

وأخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن خيثمة قال: وأخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدَثني موسى بن عبيدة الرَبَذي، عن محمد بن كعب قال: وأخبرنا سعيد بن أبي زيد، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالا: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في عيرِ من عِيَرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراهم ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة وعبدُ الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عديّ بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن عبد الله، فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار، وهو مريض. قال: فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة، وهو رجل من بني عدي بن النجار، في الدار التي إذا، دخلتها فالدويرة عن يسارك. وأخبره أخواله بمرضه، وبقيامهم عليه ، وما ولوا من أمره، وأهم قبروه، فرجع إلى أبيه فأخبره، فَوَجدَ عليه عبد المطّلب وإخوته وأخواته، وجداّ شديداً، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يومئذ حَمْل، ولعبد الله يوم تُوفي خمس وعشرون سنة .

قال الواقْدي: ترك عبد الله أم أيْمن وخمسة أجمال أوارِك يعني تأكل الأراك وقطعة غنم، فورث ذلك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وكانت أم أيمن تحضنه ، واسمها: بركة .

قال مؤلفه : وقد روينا عن الزهري: أن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله إلى المدينة يمتار له تمراً فمات. والأول أصح . وروي لنا: أن عبد الله توفي بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرين شهراً. وقيل: سبعة أشهر. والأول أصح .

ذكر مولده عليه السلام

قال مؤلف الكتاب : وُلد عليه السلام في يوم الإثنين لعشر خلون من ربيع اللأول عام الفيل .

وقيل: لليلتين خلتا منه . وقيل: لإحدى عشرة ليلة خلت منه . وقال ابن عباس: وُلد يوم الجمعة يوم الفيل ، وكان قدوم الفيل وهلاك أصحابه يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة الجمعة وذلك في عهد كسرى أنوشروان لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملكه. وقد حكى أبو بكر الحيري: أن شيخاً من الصالحين حكى له أنه رأى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في المنام قال: قلت: يا رسول اللّه، بلغني أنك قلت: "ولدتُ في زمن الملك العادل " وإني سألت الحاكم أبا عبد الله الحافظ عن هذا الحديث فقال: هذا كذب لم يقله رسول اللّه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق أبو عبد الله ".

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبري قال: أخبرنا أبو الحسن بن

بشران قال: أخبرنا عمر بن الحسن الشيباني قال: حدَثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: أخبرني محمد بن صالح القرشي قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدَثني ابن أبي سبرة، عن ابن جعفر محمد بن علي قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين لعشر خلون من ربيع الأول، وكان قدوم الفيل للنصف من المحرم، فبين الفيل وبين مولد رسول اللَه عليه الصلاة والسلام خمس وخمسون ليلة وكان بين الفيل والفجار عشرون سنة، وكان بين الفجار وبنيان الكعبة خمس عشرة سنة. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا ابن بشراق قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإثنين لثمان خلون من ربيع الأول يوم العشرين من نيسان. أنبأنا يحيى بن الحسن بن البنا قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سلمان الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدَثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد، عن صالح بن إبراهيم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن حسّان بن ثابت قال: إني لغلام يَفَعة ابن سبع أو ثمان، إذا يهودي بيثرب يصرخ ذات، غداة: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا قالوا: ما لك ويلك، ؟ قال: طَلَع نجم أحمد الذي ولد به هذه الليلة. قال: فأدركه اليهودي و لم يؤمن به . قال ابن جرير: وقيل إنه وُلد عليه السلام في الدار التي تعرف بدار محمد بن يوسف الثقفي. وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يد عقيل حتى توفي، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج فبنى داره التي يقال لها: دار ابن يوسف، وأدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجداً يصلى فيه

ذكر ما جرى عند وضع آمنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

روى عثمان بن أبي العاص قال: حدَثتني أمي أنها شهدت، ولادة آمنه لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم وكان ذلك ليلة ولدته قالت فما شيء أنظر إليه من البيت إلّا نورٌ وإنّي لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني، لأقول: لَيَقَعُنَّ عليَّ .

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا الحسن بن بشران قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء قال: قالت آمنة ولدته جاثياً على رُكْبَتَيْه ينظر إلى السماء، ثم قبض قبضة من الأرض، وأهوى ساجداً، ووُلد وقد قُطعت سراره، فغطين عليه إناء فوجدته قد تفلق الإناء عنه وهو يمص إبهامه يشخب لبناً، وكان بمكة رجل من اليهود حين وُلد، فلما أصبح قال يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود. قالوا: لا نعلمه. قال: وُلد الليلة نبي العرب، به شامة بين منكبيه سوداء ظفراء، فيها شعرات فرجع القوم فسألوا أهليهم . فقيل: ولد الليلة لعبد المطلب غلام. فلقوا اليهودي فأخبروه، فنظر إليه فقال: ذهبت النبوةْ من بني إسرائيل، هذا الذي سر أحبارهم، أفرحتم يا معشر قريش واللّه لَيَسْطُوَنَ بكم سطوةً يخرج نبأها من المشرق إلى المغرب .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا عفان بن مسلم. وقال حدَّثنا حمّاد بن سلمة، عن أيوب، عن عكرمة . أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولدتّه أمه وضعته تحت بُرمَةٍ فانفلقت عنه. قالت: فنظرت إليه فإذا هو قد شقّ بَصَرهُ بنظره إلى السماء . قال

ابن سعد: وأخبرنا سعيد بن منصور قال: حدَّثنا فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رَأت أمّي كَأنّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَام ".

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عمرو بن واقد قال: حدثني علي بن يزيد بن عبد اللّه بن وهب بن زَمْعة، عن أبيه، عن عمّته قالت: لما ولدت آمنة بنت وهبِ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى عبد المطّلب، فجاءه البشير وهو جالسٌ في الحِجْر معه ولده ورجال من قومه، فأخبره أنّ آمنة قد وَلَدَتْ غلاماً فسُرَّ بذلك عبد المطّلب وقام هو ومَنْ معه فدخل عليها فأخبرته بكلّ ما رأت، وما قيل لها وما أمرتْ به، فأخذه عبد المطّلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو اللّه ويشكر ما أعطاه . قال ابن واقدٍ : أخبرت أن عبد المطلب قال يومئذ :

الحَمْدُ للّه الذي أعطاني	هذا الغُلامَ الطيبَ الأردان
قد سادَ في المهدِ على الغلمان	أعيذُهُ بالبيت ذي الأركانِ
حتى أراهُ بالغَ البُنْيَانِ	أعيذُهُ مِنْ شَرَّ ذي شنْآنِ
مِنْ حَاسدٍ مضطَرِبِ العِنَانِ	

ذكر الحوادث التي كانت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن محمد بن فهد العلاف قال: أخبرنا أبو الفرج محمد بن فارس الغوري قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد بن علي بن أبي قيس قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدَّثنا علي بن حرب قال حدَّثنا يعلى بن عمران البجلي قال: حدَّثني مخزوم بن هانىء، عن أبيه وأتت له خمسون ومائة سنةٍ قال: لما كانت الليلةُ التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارْتَجَسَ إيوانُ كِسْرى، وسقَطَتْ منه أربع عشرةَ شرفة ، وغاضت بحيرة سَاوَة، وخمدت نارُ فارس و لم تخمُدْ قبلَ ذلك بألف عام، ورأى الموبِذَان إبلاً صِعَاباً تقود خيلاً عِرَاباً قد قطعت دِجْلةَ وانتشرت في بلادها.

فلما أصبح كسرى أفْزعه ما رأى، فتصبر عليه تَشجُعا، ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومَرَازَبَتِهِ ، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وجمعهم إليه، فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يُخبرنا الملك. قال المصنف رحمه الله : رأى كسرى ارتجاس الإيوان وسقوط الشرف فحسب لا المنام، فالمنام للموبِذان وهو قاضي قضاتهم .

فبينا هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار ، فازداد غماً إلى غمه، فقال الموبذان: وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة. وقص عليه الرؤيا في الإبل، فقال: أي شيءٍ يكون هذا يا مُوْبذان ؟ فقال: حادث يكون من عند العرب. فكتب عند ذلك إلى النعمان بن المنذر: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أما بعد: فوجهْ إلي رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه. فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقَيْلَة الغساني. فلما قدم عليه، قال له: هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال: ليخبرني الملك. قال: فإن كان عندي منه علم أخبرته ، وإلا أخبرته بمن يعلمه، فأخبره بما رأى، فقال: علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارف الشام، يقال له: سَطِيح. قال: فاته فاسأله عما سألتك عنه وائتني بجوابه.

فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح، وقد أشفى على الموت، فسلم عليه. وحياه، فلم يخبر سطيح جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أمْ يَسْمَعُ غِطْريفُ اليَمَنْ | أمْ فاد فَازلم به شَأْوُ العَنن
يا فَاصِلَ الخطَةِ أعْيَتْ مَنْ وَمَن | وَكَاشِفَ الكرْبَةِ عَنْ وَجْهٍ غَضن
أتَاكَ شَيْخُ الحَيَ مِنْ آل سَنَن | وَامه من آل ذِئْبِ بن حَجَن
أزْرَقُ بَهْمُ النَابِ صَوَارُ الأذُن | أبيضُ فَضفَاضُ الرِّدَاءِ والبَدَن
رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْرِي بالرسَن | لا يرهب الرعْدَ ولا رَيْبَ الزَمن

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه وقال: عبد المسيح، على جمل مسيح، إلي سطيح، وقد أوفى على الصريح، بعثك ملك بني ساسان لإرتجاس الأيوان، وخمود النيران، ورؤيا المؤبذَان، رأى إبلًا صِعَاباً، تقود خيلًا عِرَاباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. يا عبد المسيح، إذا كثرت التَلاوة، وظهر صاحبُ الهِرَاوةَ، وفاض وادى السمَاوة، وغَاضَت بُحَيْرة ساوَة، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت. ثم قضى سطيح مكانه، فصار عبد المسيح إلى أهله وهو يقول:

شَمر فَإنَّكَ مَاضِي الهَمَ شِمير | لا يُفْزعَنَك َ تفْرِيقٌ وتَغْيير
إنْ يُمْس مُلْكُ بني ساسان أفْرَطَهُم | فإن ذَلكَ أطْوَار دَهَارير
فَرُبَّما رُبَّمَا أضْحَوْا بِمَنْزِلة | يَهاب صَولَتَهَا الأسْدُ المَهاصير
منهم أخُو الصرْح بَهْرَام وإخْوتُه | والهُرْمُزَان وسَابُور وسَابورُ
والنَاسُ أولاد عَلاَّتٍ فَمَنْ عَلِمُوا | أنْ قد أقَل فَمَحْقُور ومَهْجُور
وَهم بنو الامَ إمَّا إن رَأوْا نَشَباً | فَذَاكَ بالغَيْب مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ
والخيرُ والشَرُّ مقْرُونَانِ من قَرَن | والخيرُ مُتَبعٌ والشَّرُّ مَحْذُورُ

فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور، فملك منهم أربعة عشر، عشرةً في أربع سنين، ومَلَكَ الباقون إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ذكر أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم

روى حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أنا مُحمَدٌ ، وَأحْمَدُ، وَالحَاشِرُ، والمُقفّي، ونَبي الرحْمَة ". وروى جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أنا مُحَمّدٌ ، وَأحْمَدُ، وَالحَا شِرُ، وَالمَاحِي، وَالخَاتِمُ، وَالعَا قِبُ" .

قال مؤلف الكتاب: ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم : نبي التوبة، ونبي الملاحم، والشَاهد، والمبشر، والنذ ير، والضحوك، والقتال، والمتوكل، والفاتح، والأ مين، والخاتم، والمصطفى، والرسول، والنبي الأمي، والقُثم ".

والحاشر: الذي يحشر الناس على قدميه يقدمهم وهم خلفه. والمقفي: آخر الأنبياء وكذلك العاقب. والملاحم: الحروب. والضحوك: اسمه في التوراة وذلك أنه كان طيب النفس فكهاًالقُثَم: من القثم ، وهو الإعطاء، وكان أجود الخلق صلى الله عليه وسلمِ.

ذكر صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أخبرنا هبة الله بن محمد قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدَثنا عبد الله بن أحمد قال: حدَّثني أبي قال: أخبرنا أبو سلمة قال: أخبرنا سليمان بن بلال. قال: حدَثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ينعت رسول الله عليه وسلم. يقول: كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم رَبْعَة من القَوْم، ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، أزْهَرَ ليس بالآدَم ولا الأبيض الأمْهَق ، رَجِلُ الشعر، ليس بالسَّبِطِ ولا بالجَعْدِ القَطَطِ " . أخبرنا عمر بن أبي الحسن البسطاميِ قال: أخبرنا أحمد بن منصور الخليلي قال: أخبرنا علي بن أحمد القداعي قال: أخبرنا الهيثم بن كليب قال: حدَّثنا أبو عيسى، عن يونس، عن عمر بن عبد الله مولى غُفْرة قال: حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: لم يكن بالطويل الممَغَّط ولا بالقصير المتردد، كان رَبْعَّةَ من القوم، لم يكن بالجَعْد القَطَط ولا بالسبْط، كان جُعْداً رَجلَاَ فلم يكن بالمطهم ولا بالمتكلم، وكان في وجهه تدوير، أبيض مُشْرَبَةٍ حمرة، أدعج العينين، أهْدب الأشفار، جليل المشاش والكتِد، أجرد،، ذو مسربه ، شثن الكَفَين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنّما ينحط في صَبَب، وإذا التفت التفت معاً، بين كَتِفَيْه خاتم النبوة، وهو خاتَم النبيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألْينهم عريكةَ، وأكرمهم عِشْرةَ ، مَنْ رآه بديهة هابه، ومَنْ خالطه معرفة أحبه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، صلى الله عليه وسلم . قال الترمني: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي يقول : الممغَّط: الذاهب طولاً.

والمتردد: الداخل بعضه في بعض قِصَراً.

وأما القطط: فشدة الجعودة.

والرَجِلُ : الذي في شعره جعودة أي تثنٍ قليل.

والمطهم: المبدن الكثير اللحم.

والمتكلثم: المدور الوجه.

والمشرب: الذي في بياضه حمرة.

والأدعج: الشديد سواد العين .

والأهدب: الطويل الأشفار.

والكتد: مجتمع الكتفين وهو الكاهل.

والمسربة: الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السُّرة.

والشثن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين.

والتقلع: أن يمشى بقوة. والصبب: الحدور. يقول: انحدرنا في صبب. وقوله: جليل المشاش: يريد رؤوس المناكب.

والعشرة: الصحبة .

والبديهة: المفاجأة.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا جرير بن حازم قال: حدَّثني مَنْ سمع الزهري يحدث: أن يهودياً قال: ما كان بقي شيء، من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إلا رأيته إلا الحلم، فإني أسلفته ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم، وتركته حتى إذا بقي من الأجل يومٌ أتيته فقلتَ: يا محمد، أقضي حقي، فإنكم معاشر بني عبد المطلب مَطْل. فقال عمر: يا يهودى الخبيث، أما واللّه لولا مكانه لضربتُ الذي فيه عيناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أبا حَفْصٍ، نَحْنُ كُنا إلى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أحوج إلى أن تَكُونَ أَمَرْتَنِي بقَضَاءِ ما عَلَيّ، وَهُوَ إلى أنْ تكُونَ أعَنْتَهُ في قَضاءِ حَقه أحْوَجُ" .

قال: فلم يزده جهلي عليه إلاًّ حلماً. قال: "يا يهوديّ، إنَما يَحِلّ حَقكَ غَداً ". ثم قال : " يا أبا حفصٍ اذْهَبْ به إلى الحائطِ الذي كان سَأَلَ أَوّلَ يَوْمٍ، فَإنْ رَضِيَهُ فَأعْطِهِ كذا وكذا صاعاً، وزِدهُ لِما كلت لَهُ كذا وكذا صاعاً، فَإنْ لَم يَرْضَ ذلك فأعْطِهِ مِنْ حائط كذا وكذا".

فأتى به الحائط فرضي تَمْر فأعطاه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمره من،

الزيادة. فلما قبض اليهودي تمره قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأنّه والله ما حملني على مارأيتني صنعتَ يا عمر إلا أني قد كنتُ رأيت في رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته في التوراة كلها إلا الحلم، فاختبرتُ حلمه اليوم فوجدتُه على ما وصف في التوراة، وإني أشهدك أن هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين. قال عمر: أو بعضهم. قال: أو بعضهم، فأسلم أهل بيت اليهودى كلهم إلا شيخاً كان، ابن مائة سنة فعسا على الكفر.

قال ابن سعد: وحدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن موسى بن يعقوب الزَّمَعي، عن سهل مولى عُتيبة: أنه كان نصرانياً، وكان يتيماً في حجر أمه وعمّه، فكان يقرأ الإنجيل، قال: فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة: فأنكرت كتابتها حين مرت بي، ومَسِستُها بيدي، قال: فنظرت، فإذا فُصُولُ الورقة، ملصقة، ففتقْتُها فوجدتُ فيها نعت محمّد صلى الله عليه وسلم: لا قصير ولا طويل، أبيض، ذو ضفيرين بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتبَاء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد. قال: فجاء عمي فرأى الورقة فضربني وقال: مالك وفتح هذه الورقة. فقلت: فيها نعت النبيّ أحمد صلى الله عليه وسلم. وقال: إنه لم يأت بعد .

قال محمد بن سعد: وأخبرنا يزيد بن هارون، وهاشم بن القاسم قالا: حدَثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون قال: أخبرنا هلال، عن عطاء بن يسار وقال: سُئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال: أجل واللّه، إنه موصوف في التوراة بصفته في القرآن "يايهُا النَبيُّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً وَنَذيراً " وهي في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، ، أنت عبدى ورسولي، سميتُك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى اقيم به الملة العَوْجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُماً، وقلوباً غُلْفاً . قال وهب بن منبه: أوحى اللّهّ تعالى إلى شعيا: إني مبعث نبياً أمياً، أفتح به اذانَا صُماً، وقلوباً غُلفاً، وأعيناً عمياً،

مولده بمكة، ومهاجره طيبة، وملكه بالشام، عبدي المتوكل المصطفى، المرفوع الحبيب المجيب، لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، رحيم بالمؤمنين وليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوَال للخنا، أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لباسَه، والبر شعاره، والتقوى ضميره. والحكمة مقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمغفرة، والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملّته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلّف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتّتة وأمم متفرقة. أجعل أمته خير أمةٍ أخرجت للناس تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، توحيداً لي، وإيمانًا بي، وإخلاصاً لي، وتصديقاً لِما جاءت به رسلي وهم دعاة الشمس، طوبى لتلك القلوب .

ذكر الحوادث التي كانت في عام ولادته

صلى الله عليه وسلم

قال مؤلف الكتاب : من أعظم الحوادث في عام ولادته قصة الفيل وقد ذكرناه.

ومن الحوادث عامئذ يوم جَبلة . قال أبوعبيدة : أعظم أيام العرب يوم جبلة، وكان عامَ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان لعامرٍ ، وعبس على، ذبيان، وتميم، وقد قال الرضي في ذلك:

فمن إباءِ الأذى حلت جماجمها على مناطلها عبسٌ وذبيانُ

ومن ذلك: رضاع ثويبة له أياماً ثم قدوم حليمة لرضاعه . أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أياماً، ثم قدمت حليمة بنت أبي ذؤيب واسمه: عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة وزوجها الحارث بن عبد العُزىّ بن رفاعة. واسم إخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث، وجُدامة بنت الحارث، وهي: الشَيْماء غَلب ذلك على اسمها، فلا تعرفُ إلأ به، ويزعمون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها، إذ كان عندهم، وأن الشيماء سُبيت يوم حنين فقالت: أعلموا أني أخت نبيكم. فلما اتي بها عرفها، فأعتقها. وكانت حليمة من بني سعد بن بكر .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدَّثنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدَّثني موسى بن أبي شيبة، عن عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك، عن بَرة بنت تَجْرَاةً قالت: أول مَنْ أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثُويبة بلبن ابن لها، يقال له: مسْرُوح، أياماً قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه،، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي .

وقد ذكرنا أن عبد المطلب تزوج هالة وزوج ابنه عبد الله: آمنة في مجلس واحد فولد حمزة، ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أياماً، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عُرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها: "إنها لا تحل لي، إنها ابنة أخي، أرضعتني وإياه ثويبة " . وأعتق أبو لهب ثويبة وكانت ثويبة تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوَج خديجة فيكرمها النَّبي صلى الله عليه وسلم وتكرمها خديجة، وهي يومئذ أمة، ثم كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر.

قال مؤلفه : ولا نعلم أنها قد أسلمت، بل قد قال أبو نعيم الأصفهاني حكى بعض العلماء أنه قد اختلف في إسلامها. أخبرنا علي بن عبد الله الذغواني قال: أخبرنا عبد الصمد بن علي بن المايون قال: أخبرنا عبيد الله بن محمد بن حبابة قال: أخبرنا يحيى بن صاعد قال: أخبرنا الحسن بن أبي الربيع قال: حدثنا وهب بن حزم قال: حدَثنا أبي، عن النعمان بن راشد، عن الزهري، عن عروة قال : كانت ثويبة لأبي لهب فأعتقها، فأرضعت النبي صلي الله عليه وسلم، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم فقال: ماذا لقيت يا أبا لهب؟ فقال: ما رأيت بعدكم روحاً غير أنى سقت في هذه مني بعتقي ثويبة. وأشار إلى ما بين الإبهام والسبابة.

حديث حليمة أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون قال: أخبرنا محمد بن علي بن عبد الرحمن الحسني وأبو طالب علي بن محمد اليماني قالا: أخبرنا محمد الحسين السلمي قال: أخبرنا عبد الله بن زيدان قال: أخبرنا هارون بن إدريس السلمي قال: أخبرنا عبد الرحمن يعني المحاربي عن محمد بن إسحاق قال: حدَّثني جهم بن أبي جهم الجمحي، عن عبد اللّه بن جعفرعن حليمة ابنة الحارث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته السعدية قالتَ: خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر بن هوازن تلتمس الرضعاء بمكة، فخرجت على أتَانٍ لي قَمْرَاءَ قد أذَمَّتْ بالركب قالت: وخرجنا في سنة شَهْبَاءَ ، لم تبقِ لنا، شيئاً أنا وزوجي الحارث بن عبد العُزىّ، قالت: ومعنا شَارف لنا والله لم تَبِضَ علينا بقَطْرة مِن لبن، ومعي صبي ما ننام ليلنَا من بكائه، وما في ثديّ من لبن يُغْنيه، ولا في شَارِفَنا من لبن يُغَذَيه، إلا أنا نرجو، فلما قدمنا مكة لم يبْق منا امرأة إلأ عُرِض عليها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فَتَأبَاهُ وإنما كُنَا نَرْجُو الكرامة في رضاعة مَنْ نُرضع له من أبي المولود، فكان نبينا صلي الله عليه وسلم، فقلنا: ما عسى أن تَصْنع لنا امُّه ؟ فكُنَا نأبى، حتى لم يبق من صويحباتي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري. قالت: فكرهت أن أرجع و لم آخذ شيئاً، وأخذ صويحباتي، فقلت لزوجي

الحارث: واللّه لأرجعنَ إلى ذلك اليتيم فلآخذنَه. قالت: فأتيته فأخذته، ثم رجعت إلى رحلي. فقال لي زوجي: قد أخذتِه. قالت: قلت: نعم، وذاك أني لم أجد غيره. قال: قد أصبت عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً. قالت: والله ما هو إلا أن وضعته في حجري، فاقبل عليه ثَدياي بما شاء من لبن فَشَرِبَ حتى رَوِي، وشرِبَ أخوه حتى رَوِيَ، وقام زوجي الحارث إلى شارفنا فإذا هي ثَجَّاء فحلب، علينا ما شئنا فشرب حتى روي وشربتَ حتى رويت.

قالت: فمكثنا بخير ليلة شباعاً رواء. قالت: فقال زوجي: والله يا حليمة ما أراك إلا قد أصبت نَسَمَةً مباركةً، قد نام صبياننا، وقد روينا.

قالت: ثم خرجنا فو الله لخرجت أتاني أمام الركب، قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد، حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بنت الحارث، كفيِ عنا، أليست هذه أتَانُكَ التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله، فيقولون: إن لها لشأنا حتى قحمت منازلنا من حاضر منازل بني سعد بن بكر. قالت: فقدمنا على أجدب أرض الله. قالت: فو الذي نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا وأسرح راعي، غنيمتي، وتروح غنمي حُفلاً بطاناً، وتروح أغنامهم جياعاً هلكى، ما بها من لبن فنشرب ما شئنا من اللبن، وما من الحاضر من أحد يحْلب قطرة ولا يجدها. قالت: فيقولون لرعاهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة. فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه، وتروحُ أغنامهم جياعاً ما لها من لبن وتروح غنمي حُفلاً لَبَناً.

قالت: وكان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة. قالت: فبلغ سنتين وهو غلام جَفْر.

قالت: فقدمنا به على أمه، فقلت لها، وقال لها زوجي: دعي ابني فلنرجع به، فإنا نخشى عليه وباء مكة. قالت: ونحن أضن شيء به لما رأينا من بركته صلى الله عليه وسلم. فلم نزل بها حتى قالت: ارجعي به.
قالت: فمكث عندنا شهرين، قالت فبينما هو يلعب يوماً مع إخوته خلف البيت إذ جاء أخوه لم يشتد، فقال لي ولأبيه: أدْركا أخي القرشي فقد جاءه رجلان فأضْجَعاهُ فَشَقا بَطْنَه.
قالت فخرجت وخرج أبوه يشتد نحوه، فانتهينا إليه وهو قائم ممتقع لونه، فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال: مالك يا بني؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني، والله ما أدري ما صنعا. قالت: فاحتملناه ورجعنا به. قالت: يقول زوجي يا حليمة، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب، فانطلقي فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوسْ عليه. قال: فرجعنا به إلى أمه. فقالت: ما ردكما وكنتما حريصين عليه؟ فقلنا: لا والله إلا أنا كفلناه وأدَينا الذي علينا من الحق فيه ثم تخوفنا عليه الأحداث، فقلنا يكون عند أمه. قالت: والله ما ذاك بكما، فأخبراني خبركما وخبره، قالت: والله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره. قالت: أتخوفتما عليه. لا والله إن لابني هذا شأناً لا أخبركما عنه. إني حملت به فلم أحمل حملًا قط هو أخف منه، ولا أعظم بركة منه، ولقد وضعته فلم يقع كما يقع الصبيان، لقد وقع واضعاً يده في الأرض رافعاً رأسه إلى السماء. دعاه والحقا بشأنكما .
ذكرما جرى في السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم قال مؤلف الكتاب: من ذلك شقّ صدره، وقد ذكرناه، وظاهر هذا الحديث أن آمنة حملت غير رسول اللة. وقد قال الواقدي: لا يعرف عنه أهل العلم أن لآمنة وعبد اللة ولداً غيررسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما حليمة: فهي بنت أبي ذويب واسمه: عبد العُزَى بن الحارث بن شجنة بن جابر السعدية، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوجِ خديجة، فشكت إليه جدب البلاد، فكلّم خديجة فأعطتها أربعين شاة، وأعطتها بعيراَ، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت، وأسلم زوجها الحارث بن عبد العُزى .

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد اللّه بن أحمد قال: أخبرني أبِي قال: أخبرنا حيوة. وزيد بن عبد ربه قالا: أخبرنا بقية قال: حدَثني يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن أبي عمرو السلمي، عن عتبة بن عبد السلمي: أنه حدَثهم أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول اللة ؟ قال:" كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بُهم لنا، و لم نأخذ معنا زاداً، فقلت: يا أخي اذهب فاتنا بزادٍ من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فاقبل طائران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه: هو هو؟ قال: نعم. فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني إلى القفا، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين. فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء وثلج فغسلا به، جوفي، ثم قال: ائتني بماء بَرَد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة. فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه . فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة، وقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفأ من أمته في كفة فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخرً علي بعضهم. ثم قال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم.
ثم انطلقا وتركاني وقد فرقت فَرقاً شديداً، ثم انطلقت إلى أمي، فأخبرتها بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون التبس بي فقالت: أعيذك بالله فحملتني على الرحل وركبت خلفي، حتى إذا بلغنا إلى أمي فقالت: أديتُ أمانتي وذمتي، وحدثتها الحديث، فلم يرعها ذلك، وقالت: إني رأيت حين خرج مني نوراً أضاءت منه قصور الشام .

وروي عن، مكحول، عن شداد بن أوس قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ من بني عامر فقال: يا ابن عبد المطلب، إني أنبئت أنك0 تزعم أنك رسول الله إلى الناس، فأنبئني بحقيقة ذلك وبدو شأنك.
" يا أخا بني عامر، إن حقيقة قولي وبدو شأني دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى بن مريم، وإن أمي لما وضعتني كنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبذٌ من أهلي في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان، إذ أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب مليء ثلجاً، فأخفوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هراباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي، ثم أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام؟ فإنه ليس منا، هذا ابن سيد قريش، وهو مسترضع فينا، غلام يتيم ليس له أب، فماذا يرد عليكم قتله؟ فإن كنتم لا بد قاتليه فاختاروا منا أينا شئتم فاقتلوه. فلما رأى الصبيان أن القوم لا يحيرون إليهم جواباً انطلقوا هراباً مسرعين إلى الحي، يستصرخونهم، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق رأسي إلى منتهى عانتي، وأنا أنظر إليه، و لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها ثم قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنح. فنحاه عني، ثم أدخل يده من جَوفي فأخرج قلبي، وأنا أنظر إليه، فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال: قال بيمينه ويساره كأنه يتناول شيئاً فإذا أنا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به، قلبي فامتلأ نوراً، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح فنحاه عني ، فأمر بيده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فانهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً، ثم قال للأول للذي شق بطني: زنه بعشرة من أمته. فوزنني بهم فرجحتهم. ثم قال: زنه بمائة من أمته. فوزنني بهم فرجحتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنني بهم فرجحتهم . فقال: دعوه، فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم.

قال: ثم ضموني إلى صدورهم ، وقبَّلوا رأسي وبين عيني ، ثم قالوا: يا حبيب لم تُرعْ إنك لو تدري ما يراد بك من الخير ولو علمت ما يراد بك، لقرت عيناك. قال: فبينا نحن كذلك إذا أنا بالحي قد جاءوني بحذافيرهم، وإذا أمي وهي ظئري أمام الحي تهتف بأعلى صوتها وهي تقول: يا ضعيفَاَ. فأكبوا عليَّ، وقبّلوا رأسي وما بين عيني، فقالوا: حبذا أنت من ضعيف. ثم قالت ظئري: يا وحيداً. فأكبوا على فضموني وقبّلوا ما بين رأسي وعيني، ثم قالت ظئري: يا يتيماً يا مستضعفآ أنت من بين أصحابك فقتلت لضعفك. ثم ضمتني إلى صدرها، فو الذي نفسي بيده انني لفي حجرها وإن يدي لفي يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم وظننت أن القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرونهم، فقال بعض القوم: إن هذا الغلام قد أصابه لمم أوطائف من الجن، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويداويه فقلت ما بي من، شيء مما يذكر. فقال أبي وهو زوج ظئري: ألا ترون كلامه كلام صحيح ، إني لأرجو أن لا يكون با بني بأس. فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن ذهبوا بي إليه، فقصُوا عليه قصتي، فقال: اسكتوا حتى اسمع من الغلام، فإنه أعلم بأمره منكم. فسألني فقصصت عليه أمري، فوثب إليَّ وضمني إلى صدره، ثم نادى بأعلى صوته: يال العرب، اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه، فو اللات والعزى لئن تركتموه وأدرك ليبدلنّ دينكم. ثم احتملوني فذاك بدو شأني " .
أخبرنا محمد، بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدَثني عبد اللّه بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَرَّاف من هذيل يريه الناسُ صبيانهم. قال: فلما نظر إليه صاح: يا

معشر هذيل، يا معشر العرب، فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم. فقال: اقتلوا هذا الصبي. فانسلت به حليمة، فجعل الناس يقولون: أي صبي. فيقول: هذا الصبي. فلا يرون شيئاً. قد انطلقت به أمه. فيقال له: ما هو ؟ فيقول: رأيت غلاماً، وآلهته، ليقتلن أهل دينكم، وليكسرن آلهتكم، وليظهرن أمره عليكم. فطلب بعكاظ، فلم يوجد ورجعت به حليمة إلى مترلها، وكانت بعد ذلك لا تعرضه لعرافٍ ولا لأحد من الناس .

قال محمد بن عمر: وحدثني زياد بن سعد بن عيسى بن عبد الله بن مالك قال: جعل الشيخ الهُذَلِيّ يصيح: يال العرب، يال هذيل، إن هذا لينتظر أمراً من السماء. وجعل يغري بالنبي لله، فلم يَنْشَبْ أن وَلَهَ وذهب عقله حتى مات كافراً .

قال محمد بن عمر: وحدثني معاذ بن محمد بن أبي رباح، عن ابن عباس قال : خرجت حليمة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته مع أخته، فقالت: في هذا الحر فقالت أخته: يا أماه، ما وجد أخي حراً، رأيت غمامة تُظِل عليه فإذا وقف وقفت، وإذا سار سارت معه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع. وهذا كان في السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه السنة: من مولده صلى الله عليه وسلم وُلد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ذكر ما جرى في السنة الرابعة من مولده صلى الله عليه وسلم قال مؤلف الكتاب: قد ذكرنا أن شق صدره عليه الصلاة والسلام، كان في سنة ثلاث من مولده. وقد، قيل: في سنة أربع.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر، عن أصحابه قال: مكث عندهم سنتين حتى فُطم، وكان ابن أربع سنين فقدموا به على أمه وهم، زائرون لها به، وأخبرها حليمة خبره، وما رأوا من بركته، فقالت آمنة: ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة، فو الله ليكونن له شأن فرجعت به ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البَهْم قريباً من الحي، فأتاه المَلَكان هناك فشقَا بطنه وأستخرجا عَلَقَة سَوْداءَ فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طَست من ذهب، ثم وُزِن بألف من أمته فوزنهم، فترلت به إلى أمه امنة بنت وهب فأخبرها خبره، ثم رجعت به أيضاً ، وكان عندها حولًا أو نحوها لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً، ثم رأت غمامة تظِلّه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، فأفزعها ذلك أيضاً من أمره فقَدِمَتْ به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين، فأضلها في الناس، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب فأخبرته فالتمسه عبد المطلب فلم يجده، فقام عند الكعبة فقال:

لاهم أد راكبي مُحمداَ

أدهِ إليَّ واصْطَنِعْ عِنْدي لَدا

أنت الذي جعلته لي عَضُدَا "

قال مؤلف الكتاب : وقد رُوي لنا أن عبد المطلب بعثه في حاجة له فضاع فقال هذا .

قال: وقد روينا أن حليمة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وقد تزوَّج خديجة، فشكت إليه جدب البلاد وهلاك الماشية، فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خديجة فيها، فأعطتها أربعين شاة وبعيراً موقعاً للظعينة وانصرفت إلى أهلها ثم قدمت عليه بعد الاسلام فاسلمت هي وزوجها وبايعاه .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا عبد اللّه بن نمير قال: أخبرنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن المنكدر قال: استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم كانت أرضعته فلما دخلت عليه قال: "أمّي أمي " وعَمَدَ إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه . وقد روي لنا أنها جاءت إلى أبي بكر فأكرمها. وإلى عمر رضي اللّه عنهما ففعل مثل ذلك .

ذكر الحوادث التي كانت سنة خمس من مولده عليه السلام أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال أخبرنا علي بن محمد، عن محمد بن الفضل، عن أبي حازم قال: قدم كاهن مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس سنين، وقد قدمت به ظئره إلى عبد المطلب، وكانت تأتيه به في، كل عام، فنظر إليه الكاهن مع عبد المطلب فقال: يا معشر قريش، اقتلوا هذا الصبي، فإنه يفرّقكم ويقتلكم فهرب به عبد المطلب، فلم تزل قريش تخشى من أمره ما كان الكاهن حذرهم ، ذكر الحوادث في سنة ست من مولده صلى الله عليه وسلم أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمرو قال: أخبرنا محمد بن عبد الله، عن الزهري قال:

وأخبرنا محمد بن صالح، عن عاصم، عن عمرو بن قتادة قالوا: حدَثنا عبد الرحمن بن عبد العزيزعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدَثنا هاشم بن عاصم الأسلمي عن أبيه عن ابن عباس دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن حاضنته وهم على بعيرين، فترلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً في مقامه ذلك، فلما نظر إلى أطم بني عدى بن النجار وعرفه قال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذه الأطام، وكنت مع غلمان من أخوالي نطير طائراً كان يقع عليه، ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطّلب، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه.

قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله، من كلامه، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب، فقبرها هنالك، فرجعت به أم أيمن إلى مكة، وكانت تحضنه مع أمه، ثم بعد أن ماتت.

فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية بالأبواء قال: " إن الله قد أذن لمحمدٍ في زيارة قبر، أمه" فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقيل له: فقال: " أدركتني رحمة رحمتها فبكيت ".

قال محمد بن سعد: وأخبرنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: لما فتح رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مكة أتى جذم قبر أمه فجلس إليه وجلس الناس حوله، فجعل كهيئة المخاطب، ثم قام وهو يبكي، فاستقبله عمر. وكان من أجْرأ الناس عليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك ؟ قال: "هذا قبر أمي، سألت ربي الزيارة فأذن لي، وسألته الاستغفار فلم يأذن لي، فذكرتها فوقفت فبكيت " فلم يُرَ يوماً، أكثر باكياً من

يومئذ .

قال ابن سعد: هذا غلط ليس قبرها بمكة إنما قبرها بالأبواء. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا عاصم بن الحسين قال: أخبرنا أبو الحسن بن بشران قال: أخبرنا ابن السماك قال: حدَّثنا ابن البراء قال: حدثني الحسين بن جابر وكان من المجاورين بمكة : أنه رفع إلى المأمون أن السيل يدخل قبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم لموضع معروف هناك، فأمر المأمون بإحكامه . قال ابن البراء: وقد وصف لي وأنا بمكة موضعه، فيجوز أن تكون توفيت بالأبواء ثم حملت الى مكة فدفنت بها .

ذكر الحوادث التي كانت سنة سبع من مولده صلى الله عليه وسلم

من ذلك كفالة عبد المطلب له

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال:. أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَثنا محمد بن سعد قال: حدَثنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدَثني محمد بن عبد الله قال: أخبرني الزهري.

قال: وحدثني عبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد بن حمزة، عن عبد اللّه. قال: وحدَثنا هاشم بن عاصم الأسلمي، عن المنذر بن جَهْم قال: وأخبرنا معمر، عن أبي نجيح، عن مجاهد قال: وأخبرنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن ابي الحويرث قال: وأخبرني ابن أبي سبرة، عن سلمان بن سُحيم، عن نافع بن جبير دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورقَ عليه رِقة لم يَرقها على ولده، وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه اذا خلا واذا نام وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك: دعوا ابني، إنه ليُؤنسُ مُلكاً. وقال قوم من مدلج لعبد المطلب: احتفظ به، فإنا لم نَر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه. فقال عبد المطلب لابنه أبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به.

وقال عبد المطلب: لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بركة، لا تغفلي عن ابني، فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة، وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليَ بابني. فيؤتى به إليه. فلمَا حضرت عبد المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله وحياطته .

ومن ذلك خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم عن منام رقيقة

أخبرنا عبد الله بن علي المقرىء، ومحمد بن ناصر الحافظ قالا: أخبرنا طراد بن محمد قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال: أخبرنا الحسن بن صفوان قال: حدثنا عبد الله بن محمد القرشي قال: أخبرنا زكريا بن يحيى الطائي قال: حدَثني زحر بن حصين، عن جده حميد بن منهب قال: قال عمي عروة بن مضرس.

تحدث نخرمة بن نوفل عن أمه رقيقة ابنة صفي بن هاشم وكانت لِده عبد المطلب قالت: تتابعت على قريش سنون أقحلت الضَرْع وأدقًت العظم. فبينا أنا نائمة اللهم أو مهمومة إذا هاتف يصرخ بصوت حَمل يقول: يا معشر قريش، إن هذا النَّبيَّ المبعوث فيكم قد

أظلتكم أيامه، وهذا إبان نجومه فحيهلا بالحَيَا والخصب، ألا فانظروا رجلًا منكم وسيطاً عظاماً جسَاماً، أبيض بَضاً أوطفَ الأهداب، سهل الخدين، أشمَّ العرنين، له فخر يكظم عليه، وسنة تهدي إليه فليَخْلص هو وولده، وليهبط إليه من كل بطن رجل، فليسنوا من الماء، وليمسوا من الطيب، ثم ليستلموا الركن، ثم ليرتقوا أبا قُبيس، فليستسق الرجل، وليؤمِّن القوم، فغِثْتم ما شئتم. فأصبحتُ عَلم الله مذعورة، وقد اقشعر جلدي وولَه عقلي، واقتصصت رؤياي، فو الحرمة والحَرَم ما بقي أبْطحي إلا قال: هذا شَيْبة الحمد.

فتتامَّت إليه رجالات قريش، فهبط إليه من كل بطن رجل، فسنوا ومسُّوا واستلموا، ثم ارتقوا أبا قُبَيس وطبقوا جانبيه فما يَبْلغ سعيهم مُهْلةً، حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبد المطلب، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام قد أيفع أو كَرب، فقال: " اللهم ساد الخلة، وكاشف الكربة، أنت معلم غير مَعلم، ومسؤول غير مبخل، وهؤلاء عبادك وإماؤك بغدرات حرمك يشكون إليك سنتهم، أذهبت الخف والظلف، اللهم فأمطرنا غيثا مغدقاً ممرعاً".

فو الكعبة ما زالوا حتى تفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي بثجيجه، فلسمعت شِيخان قريش وجلتها: عبد الله بن جُدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة، يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك أبا البطحاء. أي: عاش بك أهل البطحاء. وفي ذلك تقول رقيقة:

بشَيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... لما فقدْنا الحيا وأجلوَذ المطرُ

فجاد بالماء جَوْني له سَبَل ... سحاً فعاشتَ به الأنعام والشجر

منّاً من اللة بالميمون طائره ... وخيْر مَنْ بشرت يوماً به مُضر

مَبَارَكُ الأمر يُسْتسقى الغمام به ... ما في الأنام له عِدْلٌ ولا خطر

ومن الحوادث هذه السنة

تهنئة سيف بن ذي يزن بالملك

خروج عبد المطلب لتهنئة سَيْف بن ذي يَزَن بالمُلك، وتبشير سَيْف عبد المطلب بأنه سيظهر رسول الله من نسْله: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد البراء قال: حدثني يزيد بن رجاء الغنوي قال: حدَثني أبو الصهباء أحمد بن محمد العبدي قال: حدثني ابن مزروع الكلبي عن أبيه قال: لما ملك سَيْف بن ذي يَزَن أرض اليمن وقتل الحَبَش وأبادهم، وفدت إليه أشراف العرب ورؤساؤهم ليهنئوه بما ساق الله عز وجل إليه من الظفر، ووفد وفد، قريش وكانوا خمسة من عظمائهم : عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وخويلد بن أسد، ووهب بن عبد مناف بن زهرة . فساروا حتى وافوا مدينة صنعاء، وسَيْف بن ذي يَزَن نازل بقصر يسمى غُمْدَان وكان أحد القصور التي بنتها الشياطين لبلقيس بأمر سليمان، فأناخ عبد المطلب وأصحابه، واستأذنوا على سيف فأذن لهم، فدخلوا وهو جالس على سرير من ذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب وهو متضمخ بالعنبر، وبصيصُ المسك يلوح من مفارق رأسه فحيُّوه بتحية الملك، ووضعت لهم كراسي الذهب، فجلسوا عليها إلا عبد المطلب، فإنه قام ماثلًا بين يديه واستأذنه في الكلام، فقيل له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم.

فقال: أيها الملك، إن الله قد أحلك محلًا رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً منيفاً وأنْبتَك مَنْبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فَرْعه في أطيب مغرس وأعذب منبت، فأنت أيها الملك ربيع العرب الذي إليه الملاذ، وذروتها الذي إلي المعاد، وسلفك لنا خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، لن يهلك مَنْ أنت خلفه، ولن يَخْمل من أنت سلفه، ونحن أيها الملك أهل حَرَم الله وسدنة بيت الله، أوفدنا إليك الذي أبْهَجنا مِن كشف الضر الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة .

فقال سيف: أنتم قريش الأباطح. قالوا: نعم.

قال: مرحباً وأهلاً، وناقة ورَحْلًا ومُناخَاَ سهلاً، وملكاً سَمحلًا يعطي عطاءً جزلًا، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف فضلكم، فأنتم أهل الشرف والحمد والثناء والمجد فلكم الكرامة ما أقمتم، والحباء الواسع إذا انصرفتم. ثم قال لعبد المطلب: أيهم أنت. قال: أنا عبد المطَّلب بن هاشم. قال: إياك أردت، ولك حشدت، فأنت ربيع الأنام، وسيد الأقوام، انطلقوا فانزلوا حتى أدعو بكم . ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم، فأقاموا شهراً لا يدعوهم، حتى انتبه لهم ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب: ائتني وحدَك من بين أصحابك فأتاه فوجده مستخلياً لا أحد عنده، فقربه حتى أجلسه معه على سريره، ثم قال له: يا عبد المطلب، إني أريد أن ألقي إليك من علمي سراً لو غيرك يكون لم أبح به إليه، غير أني رأيتك معدنه، فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله عز وجل فيه بأمره، فإن الله منجز وعده، وبالغ أمره. قال عبد المطلب: أرشدك الله أيها الملك.

قال سيف: أنا أجد في الكتب الصادقة، والعلوم السابقة التي اختزنَاها لأنفسنا، وسترناها عن غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفخر الممات للعرب عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

فقال عبد المطلب: أيها الملك، لقد أبتُ بخير كثير ما آب به وافد، ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته أن يزيدني من سروره إياي سروراً.

فقال سيف: نبي يُبعث من عقبك، ورسول من فرعك، اسمه محمد وأحمد وهذا زمانه الذي يولد فيه، ولعله قد ولد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وباعثه جهاراً، وجاعل له أنصاراً يُعِزُّ بهم أولياءه ويُذل بهم أعداءه، تخمد عند مولده النيران، ويُعبد الواحد الديان، ويزجر الكفر والطغيان، ويكسر اللات والأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب: علا كعبك، ودام فضلك، وطال عمرك، فهل الملك سارى بإفصاح تفسيروإيضاح؟ فقال سيف: والبيت ذي الحُجُب، والآيات والكتب إنك يا عبد المطلب لجده بلا كذب . فخَر عبد المطلب ساجداً فقال: ارفع رأسك، ثلج صدرُك، وطال عمرك وعلا أمرك، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت؟ قال عبد المطلب: نعم أيها الملك، كان لي ولد كنت به، معجباً فزوجه كريمة من كرائم قومي تسمى: آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سميته: محمداً وأحمد مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.

قال: هو هو لله أبوك، فاحذر عليه أعداءه ، وإن كان الله لم يجعل لهم سبيلاً، ولولا علمي بأن الموت مجتاحي قبل ظهوره لسرت بخيلي ورجلي حتى أجعل مدينة يثرب دار ملكي، فإني أجد في كتب آبائي أن بيثرب، استتباب أمره، و أهل دعوته ونصرته، وفيها موضع قبره، ولولا ما أجد من بلوغه الغايات، وأن الآفات، وأن أدفع عنه العاهات، لأظهرت اسمه، وأوطأت العربَ عقِبه وإن أعش فسأصرف ذلك إليه، قم فانصرف ومَنْ معك من أصحابك. ثم أمر لكل رجل منهم بمائتي بعير وعشرة أعبُدٍ من الحبش وعشرة

أرطال من النهب، وحلتين من البرود، وأمرلعبد المطلب بمثل جميع ما أمر لهم، وقال له: يا عبد المطلب، إذا شب محمد وترعرع فأقدم علي بخبره. ثم ودعوه وانصرفوا إلى مكة.
وكان عبد المطلب يقول: لا تغبطوني بكرامة الملك إياي دونكم، وإن كان ذلك جزيلاً، وفضل إحسانه إلي، وأن كان كثيراً، أغبطوني بأمرٍ ألقاه إلي فما فيه شرفٌ لي ولعقبي من بعدي فكانوا يقولون له: ما هو؟ فيقول لهم: ستعرفونه بعد حين.
فمكث سيف باليمن عدة أحوال، وإنه ركب يوماً كنحو ما كان يركب للصيد، وقد كان اتخذ من السودان نفراً يجهزون بين يديه بحرابهم، فعطفوا عليه يوماً فقتلوه، وبلغ كسرى أنوشروان فرد إليها وهرز وأمره أن لا يدع أسود إلا قتله .

قال مؤلف الكتاب: وقد روي لنا أن هذه الوفاة إلى ابن ذي يزن كانت في سنة ثلاث من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، روينا ذلك عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، والرواية التي ذكرنا آنفاً أصح، لأن في الروايتِين يقول عبد المطلب: توفي أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه. وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تمت حتى بلغ ست سنين.
ذكر الحوادث التي كانت في سنة ثمان من مولده صلى الله عليه وسلم

منها موت عبد المطلب

روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال: كان عبد المطلب يوصي برسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب. وذلك أن أبا طالب وعبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا لأمٍ وأب.
قال مؤلف الكتاب: قلت : وقد كان الزبير عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمهما أيضاً لكن كفالة أبي طلب له لسبب فيه ثلاثة أقوال: أحدها: وصية عبد المطلب لأبي طالب.
والثاني: أنهما اقترعا فخرجت القرعة لأبي طالب.
والثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاره.
أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا ابن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال أخبرنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر بن واقد وقال: حدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري قال: وحدثني عبد الله بن جعفر بن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله قال: وأخبرنا هشام بن الأعصم الأسلمي، عن المنذر بن جهم قال: وحدَّثنا معمرعن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: وأخبرنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن أبي الحويرث قال: وأخبرنا ابن أبي سبرة، عن سلمان بن سحيم عن نافع بن جبير دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلي الله عليه وسلم وحياطته، ولما نزل بعبد المطلب الوفاة قال لنسائه ابكينني، وأنا أسمع فبكته كل واحدة منهن بشعر، فلما تسمع قول أميمة وقد أمسك لسانه جعل يحرك رأسه أي قد صدقتِ، وقد كنتُ كذلك وهو قولها:

أعَيْنَي جُودا بدمع درِرَ   عَلى طيبِ الخيم وَالمُعْتَصَرْ
عَلى مَاجِدِ الجَدّ واري الزناد   جميل المُحيا عَظِيم الخَطَر
عَلى شَيْبَة الحَمِدِ ذي المَكرُمَات   وفي المَجدِ والعز والمُفْتَخرْ

وذي الحلم والفضل في النائبات كثيرِ المَكارِمِ جَم الفَخَرْ

له فضلُ مَجْدٍ عَلى قوْمِه مُبِينٍ يَلُوحُ كضَوء القَمَرْ

أَتَتْهُ المَنَايَا فَلَمْ تُشْوِه بصَرْفِ الليالي وَرَيْبِ القَدَر

قال: ومات عبد المطلب وهو يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة.

ويقال: ابن مائة وعشر سنين . وقيل: ابن مائة وعشرين سنة.

وسئل رسول الله صلي الله عليه وسلم أتذكر موت عبد المطلب ؟ قال: " نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين".

قالت أم أيمن: رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يومئذ يبكي خلف سرير عبد المطلب . وقد أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا عثمان بن محمد الدقاق قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء قال: توفي عبد المطلب ورسول الله صلي الله عليه وسلم قد أتى عليه ثمانية وعشرون شهراً. قال وهذا المحفوظ من القول.

قال مؤلف الكتاب : والقول الأول أصح.

وتوفي عبد المطلب في ملك هُرْمز بن أنو شروان، وكان قد مات قبل ذلك أنو شروان وعلى الحيرة قابوس بن المنذر.

ومن الحوادث كفالة أبي طالب رسول الله

صلي الله عليه وسلم

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، مجاهد قال.

وأخبرنا معاذ بن محمد الأنصاري، عن عطاء، عن ابن عباس قال. وأخبرنا محمد بن صالح، وعبد الله بن جعفر، وإبراهيم بن إسماعيل بن حبيبة دخل حديث بعضهم في أحديث، بعض قالوا :

لما تُوفِّي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلي الله عليه وسلم إليه فكان يكون معه وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبَّه ولدَه ، وكان لا ينام إلا جنبه، ويخرج فيخرج معه، وصب به أبو طالب صبابة لم يُصب مثلها بشيء قط، كان يخصه بالطعام، وإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فُرادى لم يشبعوا، وإذا معهم رسول الله صلي الله عليه وسلم شبعوا، فكان إذا أراد أن يُغَذيَهُم قال: كما أنتم حتى يحضُر ابني فيأتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم، وإذا لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنّك لمبارك وكان الصبيان يصبحون رُمْصاً شُعثاً، ويصبح رسول الله صلي الله عليه وسلم دهيناً كحيلًا .

قال محمد بن سعد: وحدَّثنا عثمان بن عمر بن فارس قال: أخبرنا ابن عون، عن عمرو بن سعيد قال: كان أبو طالب تُلقى له وسادة يقعد عليها، فجاء النبي صلي الله عليه وسلم وهو غلام فقعد عليها، فقال أبو طالب: وإله ربيعة، إن ابن أخي ليُحسن بنعيم .

قال محمد بن سعد: وأخبرنا إسحاق الأزرق قال: أخبرنا عبد الله بن عون، عن عمرو بن سعيد: أن أبا طالب قال: كنت بذي المجاز، ومعي ابن أخي يعني النبي صلي الله عليه وسلم فأدركني العطش، فشكوت إليه فقلت: يا ابن أخي قد أدركني العطش. وما

قلت له ذاك، وأنا أدري أن عنده شيئاً إلا الجَزَع، قال: فثنى وَرِكه، ثم نزل فقال: يا عَم أعَطِشْت ؟ قال: قلت: نعم: فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا بالماء فقال: اشْرَبْ يَا عم فشربت .

قال محمد بن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدَّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة، عن حسين بن عبد الله بن العباس، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: حدثتني أم أيمن قالت: كان بُوانة صنمٌ تحضره قريش وتعظمه، وتنسك له النسَائكَ، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل، وذلك يوماً في السنة، فكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد مع قومه، فيأبى رسول الله ذلك، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه،، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن: إنَّا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا، وجعلن يقلن: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا، ولا تكثرلهم جمعا. فلم يزالوا به حتى ذهب عنهم، فغاب ما شاء الله، ثم رجع إلينا مرعوياً فقالت له عماته : ما دهاك ؟ قال: إني أخْشَى أنْ يَكونَ بي لَمم. فقلن: ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت ؟ قال: إني كلما دَنَوْتُ صَنَم منْهَا تَمَثل لي رجُلٌ أبْيَضُ طَويلٌ يصيح بي: وَرَاءَكَ يا مُحَمد، لاتَمسهُ قالت فما عاد إلى عيدٍ لهم حتى تنبأ صلي الله عليه وسلم.

ومن الحوادث هلاك حاتم الطائي

وهو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس، وأمه: غنية بنت عفيف، من طيء، ويكنى: أبا سفانة ؟ وهي ابنته، وأبا عدي.

وسفَّانة هي التي أتت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت: هلك الوالد ومات الوافد .

وكان شاعراً جواداً، إذا سئل أعطى ووهب، واذا غنم انهب، ومر في سفر له على عيره وفيهم أسير، فاستغاث به وما حضره فكاكه. فقال: أسأت إلي حين فوهت باسمي، وما أنا ببلاد قومي وليس عندي ما أفديك به. ثم اشتراه وخلأه، وأقام مكانه في القيد حتى أتي بفدائه.

وقسم ماله بضع عشرة مرة، وكان له قدور عظام بفنائه على الأثافي لا تزل، فإذا أهل رجب نحر كل يوم، وأطعم، فكان أبوه جعله في إبل له وهو غلام، فمر به عبيدة بن الأبرص وبشر بن أبي حازم والنابغة الذبياني يريحون النعمان، فقالوا: هل من قري؟ فقال: تسألون عن القراء وأنتم ترونْ الإبل والعتر فنحر لكل رجل منهم بعيراً و لم يعرفهم، ثم سألهم عن أسمائهم فتسموا له، ففرَّق الإبل فيهم والغنم، وبلغ ذلك أباه فجاءه فقال ما فعلت الإبل ؟ قال: يا أبه طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة. وحدَّثه بما صنع. قال: إذن لا أساكنك. قال إذن لا أبالي، فاعثر له. وقال حاتم يذكر قول ابيه فيه :

واني لعف الصبر مشترك الغنى ... تَرُوك لشكل لايوافقه شكلي

ولي نيقةٌ في البذل والجود لم يكن ... تأنقها فيمنْ مضى أحد قبلي

وما ضرني أن سارسعد بأهلِه ... وخلفني في الدار ليس معي أهلي

فما من كريم غاله الدهرُمرة ... فيذكرها إلا تردد في البذل

وما من بخيل غاله الدهر مَرةً فيذكرها إلا تردد في البخل

أخبرنا عبد الله بن علي المقري، والحسن بن أحمد بن محبوب قالا: أخبرنا طراد بن محمد قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن جعفر الحودي قال: أخبرنا أبو بكر القرشي قال: حدثني عمر بن بكير، عن أبي عبد الرحمن الطائي، عن ملحان بن عركر بن حلبس الطائي، عن أبيه، عن جده وكان أخا عدي بن حاتم لأمه قال: قيل لنوار امرأة حاتم: حدثينا عن حاتم. قالت: كل أمره كان عجباً أصابتنا سنة خصت كل شيء. قال: فاقشعرت لها الأرض، واغبرت لها السماء، وضنَت المراضع على أولدها ، وراحت الإبل ما تبض بقطرة، وأنا لفي ليلة صنبرة بعيدة ما بين الطرفين، إذ تضاغى الصبية من الجوع: عبد الله، وعدي، وسفانة، فو الله إن وجدنا شيئاً نعللهم به فقام إلى أحد الصبيين فحمله، فقمت إلى الصبية فعللتها، فو الله إن سكتا إلا بعد هدأة من الليل، ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعللناه حتى سكت، وما كاد ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خمل فأضجعنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا، ثم أقبل علي يعللني لأنام وعرفت ما يريد، فتناومت. فقال: ما لك، أنمت ؟ فسَكتُ. فقال: ما أراها الا قد نامت وما بي من نوم ، فلما ادلهم الليل، وتهورت النجرم، وهدأت الأصوات، وسكنت الرجل إذا جانب البيت قد رفع، فقال: مَنْ هذا ؟ فولى حتى إذا قلت قد أسحرنا أو كدنا عاد فقال: مَنْ هذا. قالت: جارتك فلانة يا أبا عمي ما وجدت على أحدٍ معولاً غيرك ، أتيتك من عند صبية يعوون عواء الذئب من الجوع. قال: اعجليهم علي قالت: النوار، فوثبت فقلت: ماذا صنعت، فو الله لقد تضاغى أصبيتك فما وجدت ما تعللهم به، فكيف بهذه وبولدها ؟! فقال: اسكتي، والله لأشبعنك وإياهم إن شاء الله قالت: فأقبلت تحمل اثنين وتمشي جنبتيها أربعة، كأنها نعامة حولها رئالها. قالت: فقام إلى فرسه فوجأها بحربته في لبته، ثم قدح زنده وأورى ناره، ثم جاء بمدية فكشط عن جلده، ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال: دونك، ثم قال: ابعثي صبيانك. فبعثتهم، ثم قال: سوءة، أتكلون شيئاً دون أهل الصرِم، فجعل يطيف بهم حتى هبوا، فأقبلوا عليه فقسمه فيهم وأعطانيه، والتفع في ثوبه، ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا لا والله ما ذاق منه مزعة، ولأنه أحوج إليه منهم، ، فأصبحنا وما على الأرض منه إلا عظم أوحافر .

قال أبو عبد الرحمن الصرِم الأبيات العشر أو نحوها يترلون في جانب.

فصل أم حاتم

وكانت أم حاتم لا تدخر شيئاً سخاء وكرماً، وكان اخوتها يمنعونها من ذلك، وتأبى فحبسوها في بيت سنة يرزقونها فيه شيئاً معلوماً، فلما ذاقت طعم البؤس وأخرجوها فأعطوها صرمة من مالها فأتتها امرأة فسألتها، فقالت: دونك الصرمة، فقد والله مسني من الجوع ما آليت معه أن لا أمنع سائلاً .

ومن الحوادث أيضاً في سنة ثمان من مولده صلي الله عليه وسلم

موت كسرى أنو شروان وولاية ابنه هرمز

فإنه مات في سنة ثمان من مولد نبينا صلي الله عليه وسلم، وولي ابنه هرمز فكان يحسن إلى الضعفاء ، ويؤثر العدل، فكان إذا سافر نادى مناديه في الجند: أن تحاموا مواضع الحرث. فكانوا يضبطون دوابهم عن الفساد فيها ، حتى إن ابنه ابرويز كان معه في سفر فعا مركوبه فوقع في حرث، فأفسد، فأمر هرمز أن يجدع أذنيه، ويبتر ذنبه، ويغرم ابنه ما أفسد الفرص. ففعلوا ذلك. ومر بعض أصحابه

بكرم فأخذ عناقيد حصرم، فاستغاث صاحب الكرم، فخاف عقوبة هرمز، فدفع إليه منطقة محلاة ذهباً، ليسكت عنه، ، ورأى قبوله ذلك مِنَةً عليه.

وكان هرمز يميل على أهل الشرف والبيوتات، فقتل منهم ثلاثة عشر ألفاً وستمائة رجل وقصر بالأساصرة، وأسقط كثيراً من العظماء فتغيروا عليه وكان قد عزل يَزَن عن اليمن، واستعمل مكانه المرزوان، فخالفه أهل جبل يقال له الصانع، فامتنعوا من حمل الخراج إليه، فأقبل نحوهم، فإذا خيل لا يطمع في دخوله إلا من باب واحد، يمنع ذلك الباب رجل واحد يصعد جبل يحاذيه، وبين رأس الجبلين قريب إلا أنه لا يطمع فيه، فضرب فرسه فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن، فقالوا: هذا شيطان فقتل وسبا .

ومن الحوادث في سنة تسع من مولده

صلي الله عليه وسلم

انزعاج هرمز بكثرة مَنْ يقصده ويعاديه وفي رواية: أن أبا طالب خرج برسول الله صلي الله عليه وسلم إلى بصرى وهو ابن تسع.

ومن الحوادث في سنة عشر من مولده

صلي الله عليه وسلم

الفجار الأول وكانت الحرب فيه ثلاثة أيام، وكان أول أمر الفجار ابن بدر بن معشر الغفاري كان منيعاً مستطيلاً بمنعته على مَنْ ورد عكاظ فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ، وقعد فيه، وجعل يبذخ على الناس ويقول:

نحن بنو مدركة بن خندف   من يضعوا في عينه لا يطرف

وهو باسط رجله وجعل يقول: أنا أعز العرب، فمَنْ زعم أنه أعز العرب فليضربها بالسيف. فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له الأحمر بن مازن، فضر به بالسيف على ركبته، فأندرها ثم قال:

خذها إليك أيها المخندف

ثم قام رجل من هوازن فقال:

نحن ضربنا ركبة المخندف   اذ مدها في أشهر المعرف

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الأول: وكان سبعه ذلك: أن شباباً من قريش من بني كنانة رأوا امرأة من بني عامرٍ وسيمةً جالسة بسوق عكاظ في درع، فأطافوا بها وسألوها أن تسْفر فأبت، فقام أحدهم فجلس خلفها، وحل طرف درعها وشده إلى ما فوق عجزها بشوكة، فلما قامت انكشف درعها عن دبرها، فضحكوا وقالوا: منعتينا النظر إلى وجهك وَجُدْتِ لنا بالنظر إلى دُبرك. فنادت: يا آل عامر. فتنادوا بالسلاح وحملتْ كناتة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ووقعت بينهم دماء، فتوسطها حرب بن أمية وأرضى بني عامر من مُثلة صاحبتهم.

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار الأول: وكان سببه: أنه كان لرجل من بني جشم بن بكر دين على رجل من بني كنانة. فلواه به، فجرت بينهما خصومة، واجتمع الحيان، فاقتتلوا، وحمل ابن جدعان ذلك من ماله .

ومن الحوادث سنة احدى عشرة من مولده

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

أخبرنا ابن الحصين قال ؟ أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز قال: أخبرنا يونس بن محمد قال: حدثنا معاذ بن محمد بن كعب قال: حدثني أبو محمد بن معاذ بن أبي كعب: أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله، ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى جالساً وقال: لقد سألت أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، فإذا بكلام فوق رأسي، وإذا برجل يقول لرجل: هو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها بخلقٍ قط، وأرواح لم أجدها من خَلق قط، وثياب لم أرها على أحدٍ قط ، فأقبلا إليَّ يمشيان حتى إذا أخذ كل واحدٍ منهما بعضدي، لا أجد لأحدهما مسًّا، فقال أحدهما لصاحبه: اضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه: أفرق صدره فجرى أحدهما إلى صدري، ففرقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كرضة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له: ادخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة، ثم هز أبهام رجلي اليمنى فقال: أغد وأسلم، فرجعت بها أغدو رأفة على الصغير ورحمة الكبير.

ومن الحوادث التي كانت في سنة ثلاث عشرة

من مولده صلي الله عليه وسلم

عزم أبو طالب أن يسافر برسول اللّه صلي الله عليه وسلم معه إلى بصرى وتهيأ لذلك قال مؤلف الكتاب : لما أتت له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب إلى الشام. فروى ابن اسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر قال: لَما تهيأ أبو طالب للخروج إلى الشام أصبَّ به رسول الله صلي الله عليه وسلم فرقّ له أبو طالب، وقال: والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً، فخرج به معه، فلمَا نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بَحيرَا وهو في صومعة له، وكان ذا علم في النصرانيه ، و لم يزل في تلك الصومعة راهباً، إليه يصير علمهم. عن كتاب فيما يزعمون أنهم، يتوارثونه كابراً عن كابرٍ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزازِ قال: أخبرنا الحسين بن علي الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا محمد بن صالحٍ، وعبد الله بن جعفر الزهري.

قال محمد بن عمر: وأخبرنا ابن أبي حبيبة، عن داوود بن الحصين قال: لَما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله صلي الله عليه وسلم في المرة الأولى وهو ابن أثنتي عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى من الشام وبها راهب يقال له بَحَيرا في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون معه في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يحرسونه قال : فلما نزلوا ببحيرَا، وكان كثيراً ما يمرَون به

لا يكلمهم، حتى إذا كان ذلك العام، ونزلوا منزلًا قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً، ثم دعاهم، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله صلي الله عليه وسلم من بين القوم، حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة، واحتضنت أغصان الشجرة على النبي صلي الله عليه وسلم حين استظل تحتها، فلما رأى بَحيَرا ذلك نزل من صومعته، وأمر بذلك الطعام، فاتي به، فأرسل إليهم فقال: إنى قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً، حُرأ ولا عبداً فإن هذا شيء تكرمونني به.

فقال رجَلٌ : إن لك لشأناً يا بَحَيرا، ما كنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم ؟! قال: فإني أحببت أن أكرمكم، ولكم حق.

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلي الله عليه وسلم لحداثة سِنَه ؟ لأنه ليس في القوم أصغر سناً منه في رحالهم تحت الشجرة ، فلمَا نظر بَحَيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحدٍ من القوم، ويراها متخلفة على رأس الشجرة على رسول اللة صلي الله عليه وسلم قال بَحَيرا: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي.

قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سناً في رحالهم. فقال: ادعوه فليحضر طعامي، فما أقبح أن تحضروا طعامي ويتخلف رجل واحد، مع أني أراه من أنفسكم.

فقال القوم: هو أوسطنا نسباً، وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب.

فقال الحارث بن عبد المطلب: والله إن كان بنا للوم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا ثم قام إليه واحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بَحَيرا يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلمّا تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعُزى ألا أخبرتني عمَا أسألك؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :لا تسْأَلْنِي باللات والعُزْى، فَوَالله ما أَبْغَضْتُ شَيْئاً بُغْضَهُما.

قال: فبالله ألا أخبرتني عما أسألك عنه ؟ قال: سَلْني عَمَا بَدَا لكَ. فجعل يسأله عن أشياء، من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النّبوة بين كتفيه على موضع الصفّة التي عنده، فقبل موضَع الخاتم.

فقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً. وجعل أبو طالب لِما يرى من أمر الراهب يخاف على ابن أخيه.

فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك. قال أبو طالب: ابني قال: ما هو بإبنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً قال: فابن أخي، قال: فما فعل أبوه. قال: هلك وأمه حُبلى. قال: فما فعلت أمه ؟ قال: توفيت قريباً. قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنه عَنَتاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، وما روينا عن ابائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً وكان رجال من يهود قد رأو رسول الله ، وعرفوا صفته، وأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا إلى بَحَيرا، فذاكروه أمره ، فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: أتجدون صفته ؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل.

فصدقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه

ذكر الحوادث في سنة أربع عشرة من مولده

منها الفجار الأخير قال مؤلف الكتاب : وكان هذا الفجار بين هوازن وقريش، وحضره رسول الله صلي الله عليه وسلم وله أربع عشرة سنة، وقال: " كنت أَنَبِّل على أعمامي يوم الفجار يعني: كنت أناولهم النبل وقد روي: أن هذه الحرب كانت ولرسول الله صلي الله عليهوسلم عشرون سنة عن عبد الله بن يزيد الهذلي. وإنما سُمَي الفجار لأن بني كنانة وهوازن استحلوا الحرم ففجروا .

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو طاهر عمر بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَثنا الضحاك بن عثمان قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدَّثني الضحاك بن عثمان عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة.

قال: محمد بن عمر: وأخبرنا موسى بن محمد بن عمرو، أخبرنا موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال. وأخبرنا عبد الله بن يزيد الهذلي، عن يعقوب بن عتبة الأخنسي قال: وغير هؤلاء أيضاً قد حدثني ببعض هذا الحديث قالوا : كان سبب حرب الفجار أن النعمان بن المنذر بعث بلطيمة له إلى سوق عكاظ للتجارة، أجارها له الرحال عُروة بن عُتبة بن جعفر بن كلاب، فترلوا على ماء يقال له: أوارة، فوثب البرَّاض بن قيس أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة وكان خليعاً على عروة فقتله، وهرب إلى خيبر واستخفى بها، ولقي بشربن أبي حازم الأسدي الشاعر فأخبره الخبر، وأمره أن يعلم ذلك عبد الله بن جُدعان، وهشام بن المغيرة، وحرب بن أمية، ونوفل بن معاوية، وبلعاء بن قيس، فوافى عكاظ فآخبرهم، فخرجوا مواثلين منكشفين إلى الحرم، وبلغ قيساً الخبر آخر ذلك اليوم، فقال أبو براء: ما كنا من قريش إلا في خدعةٍ ، فخرجوا في آثارهم، فأدركوهم وقد دخلوا الحرم، فناداهم رجل من بني عامرٍ يقال له: الأدرم بأعلى صوته: إن ميعاد ما بيننا وبينكم هذه الليالي من قابل.

و لم يقم تلك السنة سوق عُكاظ فمكثت قريش وغيرها من كنانة وأسد بن خزيمة، ومَنْ لحق بهم من الأحابيش يتاهبون لهذه الحرب، ثم حضروا من قابل ورؤساء قريش: عبد الله بن جدعان، وهشام بن المغيرة وحرب بن أمية، وأبو أحيحة سعيد بن العاص، وعُتبة بن ربيعة، والعاص بن وائل، ومعمر بن حبيب الجمحي، وعكرمة بن عامر ابن هشام، ويقال: بل أمرُهم إلى عبد الله بن جُدعان. وكان في قيس: أبو براء عامر بن مالك بن جعفر، وسبيعُ بن ربيعة ودريد بن الصَمَة ومسعود بن معتِّب، وعوف بن أبي حارثة فهؤلاء الرؤساء.

ويقال: بل أمرهم جميعاً إلى أبي براء، وكانت الراية بيده وهو سوى صفوفهم، فالتقوا وكانت الدبرة أول النهار لقيس على قريش وكنانة ومن انضوى إليهم، ثم صارت الدبرة آخر النهار لقريش وكنانة على قيس، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، حتى نادى عتبة بن ربيعة يومئذ وإِنَّه لشاب ما كملتَ له ثلاثون سنة إلى الصلح، فاصطلحوا على أن عدّوا القتلى وودَت قريش لقيس ما قتلت، وانصرفت قريش.

وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم وذكر الفجار فقال: " قَدْ حَضَرْتُهُ مَعَ عُمُومَتي وَرَمَيْتُ فِيِه بِأَسْهُمٍ وَمَا أحب إنّي لَمْ أكنْ فَعَلْتُ" فكان يوم حضر ابن عشرين سنة .

قال مؤلف الكتاب : هكذا روي لنا، والأول أصح.

ذكر الحوادث في سنة خمس عشرة من مولده

صلي الله عليه وسلم

في هذه السنة: قامت سوق عكاظ، وهي سوق كانوا يبيعون فيها ويشترون. وقد روي أن قس بن ساعده الأيادي كان يقف بسوق عكاظ ويعظ الناس، وكان خطيباً بليغاً، وشاعراً حكيماً. ويقال: انه أول مَنْ علا على شرف وخطب عليه، وأول من قال في كلامه "أما بعد" وأول مَنْ أتكأ عند خطبته على سيف أو عصا، ورآه رسول الله صلي الله عليه وسلم بعكاظ.

وقد روينا من حديثه من طرق، ولكن ليس فيها ما يثبت . فمنها: ما روى أبو صالح عن ابن عباس قال: لَمَّا قدم وفد أيادٍ على رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "ما فعل قس بن ساعدة؟" قالوا: مات. قال: "كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام له حلاوة، ما أجدني أحفظه ". فقال رجل من القوم: أنا أحفظه، سمعته يقول: أيها الناس، احفظوا وعوا مَنْ عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحار تزخر، ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبر وآثام، ومطعم وملبس، ومشرب ومركب، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا، وإله قس ما. على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لِمَنْ أدركه واتبعه، وويل لِمَنْ خالفه، ثم إنه أنشأ وجعل يقول:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بَصائر

لما رأيت مواردًا للم ... وت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يمضي ... الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي إلي ... ولا من الباقين غابر

أيقنت إني لامحالة ... حيث صار القوم صائر

سكنوا البيوت فوطنوا ... إن البيوت هي المقابر

فقال النبي صلي الله عليه وسلم: "يرحم الله قسًا، إني لأرجو أن يبعثه الله يوم القيامة أمة وحده". فقال رجل: يا رسول الله، لقد رأيت من قسٍ عجباً قال: "وما رأيت. قال: بينا أنا بجبل يقال له سمعان في يوم شدديد الحر، إذا أنا بقسٍ تحت ظل شجرة عندها عين ماء وحوله سباعٌ ، كلما زأر سَبْعٌ منها على صاحبه ضربه بيده وقال: كف حتى يشرب الذى وَرَدَ قبلك. ففرِقت، فقال: لا تخف، وإذا بقبرين بينهما مسجد، فقلت له: ما هذان القبران ؟ فقال: هذان قبرا أخوين كانا لي، فاتخذت بينهما مسجداً أعبد اللّه فيه حتى ألحق بهما، ثم ذكر أيامهما ثم أنشأ يقول:

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أجدكما لا تقضيان كراكما

جرى النوم بين الجلد والعظم منكما ... كأن الذي يسقي العقار سقَاكما

ألم تريا أني بسمعان مَنفردٌ ... ومالي فيه من خليلٍ سواكما

أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يُجيبُ صداكما

كأنكما والموت أقرب غاية بجسمي من قبريكما قد أتاكما

فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجُدت بنفسي أن تكون فداكما

سأبكيكما طول الحياة وما الذي يردُّ على ذي عولة إن بكاكما

فقال النبي صلي الله عليه وسلم: "رحم الله قساً " وقد روي أن هذه الأبيات لعيسى بن قدامة الأسدي، وأنه كان له نديمان فماتا، فكان يجلس عند القبرين وهما براوند في موضع يقال له: حراف، ونصب على القبرين حتى يقضي وطره، ثم ينصرف وينشد هذه الأبيات، وفيها زيادة وهي:

خليليَ هبا طال ما قد رقدتما أجدكما ما تقضيان كراكما

ألم تعلما ما لي براوند كلها ولابخراق من صديق سواكما

أقيم علي قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صداكما

جرى النوم مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذي يسقي العقار سقاكما

فأي أخ يجفو أخاً بعد موته فلست الذي من بعد موتٍ جفاكما

أصُبَ على قبريكما من مدامةٍ فإِل أَتذوقا أرومنها ثراكما

لطول منام لاتجيبان داعياً خليليَ ماهذا الذي قددها كما

قضيت بأني لا محالة هالك وأني سيعروني الذي قد عراكما

سأبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على في عول إن بكاكما

ومن الحوادث في سنة ست عشرة

من مولده صلي الله عليه وسلم.

فمن ذلك : تهيؤ الخوارج من كل وجه على هرمز بن كسرى أنو شروان .

ومن الحوادث سنة سبع عشرة

من مولده صلى اللّه عليه وعلى أله وسلم.

قال مؤلفه : خرج في هذه السنة ملك الترك واسمه، شابة على هرمز بن كسرى، حتى صار إلى هراة في ثلاث مائة ألف مقاتل، وخرج ملك الروم عليه فصار إلى الضواحي في ثمانين ألف مقاتل. وخرج ملك الجزر في جمع عظيم.

وخرج رجلان من العرب يقال لأحدهما عباس الآحول والاخر عمرو الأزرق، فنزلا في جمع عظيم من العرب على، شاطىء الفرات، وشنّوا الغارة على أهل السواد، واجترأ أعداء هرمزٍ عليه، وغزوا بلاده، وأرسل شابة ملك الترك إلى هرمز يؤذنه بإقباله،

ويقول: رمُوا القناطر لأجتاز عليها إلى بلادكم، وافعلوا ذلك في الأنهار التي عليها مسلكي من بلادكم، إلى بلاد الروم لأني أريد أن أسير من بلادكم إليها. فاستعظم هرمز ما ورد عليه من ذلك، وشاور فيه، فأجمع رأيه على القصد إلى ملك الترك، فوجه إليه رجلًا يقال له: بهرام في إثني عشر ألف رجل، وعرض هرمز من بحضرته، فكانوا سبعين ألف مقاتل ، فمضى بهرام بمَنْ معه معداً حتى جاز هراة، ونزل بالقرب من ملك الترك وجرت بينهم وسائل وحروب، فقتل بهرام شابة برمية منه واستباح عسكره، ووجّه ابنه أسيراً إلى هرمز مع أموال وجواهر وآنية وأمتعة كانت وَقْرَ مائتي ألف وخمسين ألف بعير، فشكر هرمز بهرام بسبب الغنائم التي صارت إليه، وخاف بهرام وجنوده سطوة هرمز فخلعوا هرمز وأقبلوا نحو المدائن وأظهروا الامتعاض مما كان من هرمز، وأن ابنه أبرويز أصلح للمُلْك منه، وساعدهم على ذلك جماعة ممّن كان بحضرة هرمز، فهرب أبَرْويز بهذا السبب إلى أذربيجان خوفاً من هُرْمز فاجتمع إليه هناك عدة من المرازبة والأضبَهْبَذْين، فأعْطوْه بَيْعَتَهُم، ووثب العظماء والأشراف بالمدائن فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه. وبلغ الخبر أبرويز، فأقبل بمن شايعه من أذربيجان إلى دار الملك مُسابقاً لبهرام، فاستولى على الملك وتحرز من بهرام، والتقى هو وهُو على شاطىء النَّهْروَان، فجرتْ بينهما مناظرةٌ ودعا أَبَرْويزُ بهرامَ إلى أن يؤمَنَهُ، ويرفع مرتَبَتَه، فلم يقبل ذلك، وجرت بينهما حروبٌ شديدة اضطرت أَبَرْوِيز إلى الهرب إلى الروم مستغيثاً بملكها.

ذكر الحوادث في سنة ثمان عشرة

من مولده صلي الله عليه وسلم

وصول أَبَرْوِيز بن هُرْمز إلى ملك الروم مستغيثاً، فقبله وزوَجه ابنته، وكان هرمز حينئذ مخلوعاً مسمول العينين .

من الحوادث في سنة تسع عشرة

من مولده صلي الله عليه وسلم.

هلاك هرْمز بن كسرى، فإنهم قتلوه بعد خلعه، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وسبعة أشهر، وعشرة أيام . وقال هشام بن محمد: كانت ولايته اثنتي عشرة سنة .

وفيها: ولي ابنه أَبَرْويز وكان يُسمى كسرى أيضاً، وكان من أشدّ ملوكهم بطشاً وأنْفذهم رأيَاَ، وأبْعدهم غوْراً، وبلغ من النَّجدة والظَّفَر، وجمْر الأمْوال ما يتهيَّأ لملك أكثر منه، ولذلك سُمي أبرويز، وتفسيرُه بالعربية: "المظفر".

واجتمع له تسعمائة وخمسون فيَلاَ واتري الذكورة على الأناث، ووضعت عنده فيلة وهي لا تتلاقح بالعراق، فكان أحدً الناس قامةً وأبرعهم جمالاً لا يحمله إلا فيل ؟ وكان قد استوحش من أبيه هرمز، وخاف فهرب إلى أذربيجان، فبايعه جماعة ممن كان هناك، ثم وثب قوم علىِ أبيه هرمز فسملوه، فقدم أبرويز، فتولى وتوج بتاج الملك وجلس على سريره وقال: إنَ ملتّنا إيثارَ البرّ، ومن رأينا أن نعمل بالخير ، وأن جدَنا كِسْرى بن قُباذ كان لكم بمنزلة الوالد، وأن هرمز أبانَا كان قاضياً عادلاً، فعليكم بلزوم السمع والطاعة.

فلما كان في اليوم الثالث أتى أباه فسجد له، وقال: عمَرك الله أيها الملك إنك تعلم أنّي بريء مما أتى إليك المنافقون، وأني إنَّما تواريت ولحقت بأذربيجان خوفاً من إقدامك على قتلي. فصدَّقه هرمز، وقال له: إن لي إليك " يا بني حاجتين: إحداهما: أن تنتقم لي ممَن عاون على خلْعي والسَّمْل لعيني، ولا تأخذك فيهم رأفة، والأخرى: أن تُؤْنسِني كلَّ يوم بثلاثة نفر لهم إصابة رأي، وتأذن

لهم في الدخول عليَّ فتواضع له أبَرْويز وقال: عمَّرك الله أيُّها الملك، إن المارق بهرام قد أظلَنا معه النّجده، ولسنا نقدر أن نمدَّ يداً إلى من آتى إليك بما آتى فإن أدالنِي الله على المنافق فأنا خليفتُك، وطوْع يدك.

ثم أقبل بهرام نحو المدائن، فخرج إليه أبرويز فالتقيا، فقال له أبرويز: إنك يا بهرام ركن لمملكتنا وسنادٌ لرعيتنا، وقد رأيْنا أن نخْتار لك يوماً صالحاً لنُولِّيَكَ فيه أصْبَهبذة بلاد الفرس جميعاَ. فقال له بهرام: لكنِّي أختار لك يوماً أصلبك فيه.
فاغتاظ أبرويز، و لم يظهر عليه أثر ذلك، وتفرقّا على الاستجاشة، ثم خاف من بهرام فأحْرَزَ نساءَه، وشَخصَ إلى ملك الروم، فلما خرج بأصحابه من المدائن خافوا من بهرام أن يردّ هرمز إلى الملك ويكتُب إلى ملك الروم، عنه في ردّهم فَيُتْلَفوا، فأعلموا أبَرْوِيز وسألوه الإذن في إتلاف هرمز فلم يحر ْجواباً فانصرفوا فاتلفوه خَنْقَاَ، ثم رجعوا إلى أبرويز وقالوا: سِرْ على خير طائر. فساروا ولحقهم خيلَ بهرام. عند دير، فقال رجل مع أبرويز: أعطني بزتك وأخرج بمَنْ معك، فلبسها واطلع من فوق الدَّير يوهمهم أنه أبرويز، وقال: أنظرونا إلى غدٍ ليصير في أيديكم سلماً. فأمسكوا وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية، وكاتب مَوْريق ملك الروم وسأله نصرته، فأجابه وبعث إليه أخاه في ستين ألف مقاتل.
فاما بهرام فإنه دخل دور الملك بالمدائن، وقعد على سرير الملك وتتوج، وانقاد له الناس خوفاً منه. وأما أبرويز فإنه اجتمع إليه خلق كثير فسار بهم وخرج إليه بهرام، وجرت بينهم حروبٌ شديدة وتبارزوا، فأخذ أبرويز رُمْح بهرام من يده، وضرب به رأسه حتى انقصف، فاضطرب على بَهرام أمره ورحل نحو الترك، وصار أبرويز إلى المدائن، ففرق في جنود الروم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى ملكهم، وأقام بهرام في الترك مكرماً عند ملكهم حتى احتال له أبَرْوِيز بتوجيه رجل يقال له هُرْمز ووجَّهه بجوْهر نفيس وغيره، فاحتال لخاتون امرأة الملك ولاطفها بذلك الجوهر وغيره، حتى دَسَّت لبهرام مَنْ قتله، فعلم الملك فطلَق زوجته ذكر قصة شيرين
وذكر أهل العلم بالسير: أن شيرين وُلدت بالمدائن، وكانت يتيمة في مترل رجل من الأشراف، وكان أبرويز صغيراً يدخل مترل هذا الرجل فيلاعب شيرين ويمازحها وتمازحه، فأخذت في قلبه موضعاً ونهاها الذي هي في مترله عن التعرض لأبرويز، ثم راها يوماً، قد أخذت من أبرويز ختماً كان في إصبعه، فقال: ألم آمرك بترك التعرض لهذا الصبي ، ولا تعرضينا للهلكة. ثم أمر بعض مَنْ يثق به أن يحملها إلى شاطىء الفرات ويغرقها فحملها إلى شاطىء الفرات ليغرقها فقالت له: ما الذي ينفعك من غرقي. فقال لها: إني قد حلفت لمولاي ولا بد فقالت: فما عليك أن تأتي موضعاً من الفرات فيه ماء رقيق فتقذف بي فيه، وتتركني وتمضي، فإن نجوت لم أظهر دمت باقية لم يكَن عليك شيء. قال: أفعل ذلك. فأتى موضعاً فيه الماء إلى الركبة، فزجها فيه وتركها تضطرب، ثم ولى عنها، لا يلتفت. ثم وافى مولاه فأخبره، وحلف له أنه غرقها ثم أنها خلصت من الماء، فأتت بعض الديارات التي على شاطىء الفرات، فآوت إليه، وأعلمت الرُّهبان أنها قد وهبت نفسها لله تعالى، فأحسنوا إليها، فلما استقر الملك لأبرويز بعد أبيه هُرْمز وجَّه برسله إلى قيصر، فاجتاز الرُسُل بالدير، فسألت شيرين عن ذلك، فاعلمت أن القوم رسل أبرويز الملك، ومعهم هدايا إلى قيصر، وأخبروها بملكه وما آل إليه أمرُهُ، فوجهت إلى رئيس الرُّسل متنصحة له تخبره أنها أمة الملك أبرويز، وسألته إيفاد رسول إليه تخبره بمكانها، ووجَّهت معه بذلك الخاتم فأنفذ الرجل رسوله قاصداً إلى الملك يخبر خبر شيرين ومكانها والخاتم، فلمَا وَرَدَ الرسول على أبرويز أمر للرسول بمال عظيم، وجعل له رتبة جليلة ببشارته، ووجه معه بخدم ومراكب وهوادج وكساء وحُليٍّ وطيب ووصائف، حتى أتوه بشيرين، فَوَرَدَ عليه من الفرح ما لم يفرح بشيء مثله، وكانت من أكمل النساء كمالًا وجمالاً وبراعة، وذكر أبرويز أنه ما جامعها

قط إلا وجدها كالعفراء، وكان قد شرط على نفسه أن لا يأتي حرة ولا أمة مرة واحدة إلا أتاها قبل ذلك ، وعهد كل واحد لصاحبه أن لا يجتمع مع أحد لباضعه، فلما هلك أبرويز أرادها شيرويه فأبتْ، وعرّفته العهود فرماها بكل معضلة من الفجور، وبعث الشعراء على ذمَها، فلما لج، و لم يجد عنه محيداً بعد أن غصبها جميع مالها وضياعها، فقالت: افعل ما سألت بعد أن تقضي لي ثلاث حوائج: تردّ عليَ أموالي وضياعي، وتُسلَم لي قتلة زوجي، وتدعو العظماء والأشراف فترقى المنبر فتبرئني مما قُذفت به من الفجور. ففعل ذلك، فقتلت قتلة زوجها بأفحش قتل ووقفت ضياعها، وفرقت مالها في أهل الحاجة فقال لها: هل بقيت لك حاجة ؟ فقالت: نعم، إن الملك أوفى عني وديعة وجعلها أمانة في عنقي إن أنا تزوجت أن أردها إليه، فتأمر بفتح الناووس حتى أدفعها إليه. ففتح لها الناووس ، فدخلت وقلعت فص خاتم في يدها تحته سُمّ ساعةٍ فمصته، ثم اعتنقت أبرويز ولفَت عليه يديها ورجليها حتى ماتتَ، فلما أبطأت على الحواضن والخدم صاحوا بها فلم تجب، فدخلوا فوجدوها ميتة معانقة لأبرويز فأخبروا شرويه فندم ندامة لا توصف، وجعل يأكل أصابعه على صنيعها.

ومن الحوادث في سنة عشرين

من مولده صلي الله عليه وسلم

حرب الفجار الثاني عند بعض الرواة. وقد سبق ذكره.

ومن الحوادث هذه السنة حلف الفضول وحضره رسول الله صلي الله عليه وسلم قاله أبن قتيبة. سببه: أن قريشاً كانت تتظالم في الحرم فقام عبد اللة بن جدعان والزبير بن عبد المطلب ؟ فدعوا إلى التحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابوهما، وتحالفوا في دار ابن جدعان .

أنبأنا يحيى بن الحسين بن البنا قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدَثنِي أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة قَال: كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم فلوى الرجل بحقه، فسأله ماله فأبى عليه، فسأله متاعه، فأبى عليه، فقام على الحجر وجعل يقول :

بال قُصيٍّ لمظلوم بضاعته	ببطن مكة نائي الدار والنَفر
أقائم من بني سهم بذمتهم	أم ذاهب في ضلال ماد مُعْتمر

قال: وقال بعض العلماء: إن قيس بن شبة السلمي باع متَاعاً من ابيّ بن خلف فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بنِي جمح فلم يقم بجواره ، فقال قيس بن شبة :

يال قصيّ كيف هذا فْي الحرم	وحرمة البيت وأخلاقه الكرم
أظلم لايمنع مني من ظلم	

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه، فاجتمعت بطون من قريش في دار عبد اللّه بن جُدْعان فتحالفوا على رد المظالم بمكة وأن لا يُظلم أحد إلا منعوه وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم في دارعبد الله بن جدْعان. فقال رسول اللهصلي الله عليه وسلم : " لقد شهدتُ حلْفاً في دارعبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حُمْر النعم، ولو دعيت به لأجبت".

فقال قوم، من قريش: هذا والله فضْل من الحلف فسمَي حلف الفًضول .

قال الزبير: وقال آخرون: تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جُرْهم في هذا الأمر، أن لا يقروا ظلماً ببطن مكة إلا غيروه، وأسماؤهم: الفضل بن شراعة، والفضل بن بضاعة، والفضل بن قضاعة.

قال مؤلف الكتاب : والله أعلم أي ذلك كان.

قال الزبير: وحدثني عبد العزيز ابن عم العنسي قال: أهل حلف الفضول : بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العُزّى، وبنو زهرة، وبنو تيم ؟ تحالفوا بينهم بالله أن لا يُظلم أحدا إلا كنا حميةً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممَن ظلمه، شريفاً كان أو وضيعاً .

قال الزبير: وحدثني إبراهيم بن حمزة، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه قال: إنما سمَي حلف الفضول: أنه كان فى جُرْهم رجال يردون المظالم يقال لهم: فضيل، وفضال، ومفضل، وفضل، فلذلك سُمَي: حلف الفضول .

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نوفل بن عمارة، عن إسحاق بن الفضل قال: إنَما سمت قريش هذا الحلف حلف الفضول: أن نفرأ من جُرْهم يقال لهم: الفضل، وفضال، والفضيل، تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه القبائل .

قال: وحدثني محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم، عن معروف بن خربوذ قال: تداعت بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد، وتيم فاحتلفوا على أن لا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا إليه مظْلمته أو يُبْلوا في ذلك عفراً، وكره ذلك سائر المطيبين والأحلاف بشرهم وسمّوه حلف الفضولٍ عيبَاَ لهم، وقالوا: هذا من فضول القول، فسُمَي حلف. الفضول .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني الضحاك بن عثمان، عن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: سمعت حكيم بن حزام يقول: كان حلف الفضول منصرف قريش من الفجار ورسول الله صلي الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنه.

وأخبرني غير الضحاك قال: كان الفجار في شوال، وهذا الحلف في في القعدة، وكان أشرف حِلف كان قط، وأول مَنْ دعى إليه الزبير بن عبد المطلب، فاجتمعت بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيم، في دار عبد الله بن جُدْعان، فصنع لهم طعاماً، فتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بَل بحرٌ صوفة، وفي التآسي في المعاش، فسمًت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول . قال محمد بن عمر: فحدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن طلحة بن عبد الله بن عوف، عن عبد الرحمن بن زاهر، عن جبير بن مطعم قال:، قال: رسول الله صلي الله عليه وسلم: "مَا أحب أن لي بحِلْفٍ حَضَرْتُهُ في دَارِ عبد الله بن جُدْعَان حُمْرَ النعَم ولو دُعِيت لَه لأجَبْتُ وَهُوَ حِلْفُ الفُضُول " .

قال محمد بن سعد، قال ابن عمر: ولا يعلم أحد سبق بني هاشم بهذا الحلف . " ومن الحوادث من هذه السنة أنبأنا عبد الوهاب بن

المبارك قال: أخبرنا عاصم بن الحسين قال: أخبرنا أبو الحسن بن بشران قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء قال: سأل عبد اللة بن الزبير عبيد بن عمير عن مبعث النبي صلي الله عليه وسلم قال: أحدثك عن أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وآله وأزواجه رضي اللّه عنهم:

أن رسول الله صلي الله عليه وسلم شكى وهو يومئذٍ ابن عشرين سنة إلى عمه أبي طالب فقال: "إني منذ ليالٍ يأتيني آتٍ معه صاحبان فينظرون إلي ويقولون: هو هو ولَم يأن له. فإذا كان رأيك لرجل منهم ساكت فقد هالني ذلك ".

فقال: يا بن أخي، ليس بشيء حلمت ثم رجع إليه بعد ذلك، فقال: " يا عم، سطا بي الرَّجُل الذي ذكرت لك، فأدخل يده في جوفي حتي إني لأجد برْدها" فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبب بمكة، فحدَثه، وقال: عالجه. فصوب به، وصعَّد وكشف عن قدميه، وكشف بين كتفيه، وقال: يا عبد مناف، ابنك هذا طيبٌ طيبٌ ، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الذي يرى من الشيطان، ولكنه من النواميس الذين يتجسسون القلوب للنبوة.

فرجع فقال رسول اللة صلي الله عليه وسلم : " فما أحسست حساً ما شاء الله، حتى رأيت في منامي رجلاً وضع يده على منكبي، ثم دخل يده فأخرج قلبي، ثم قال: قلب طيب في جسدٍ طيب. ثم رده، فاستيقظت " قال: "ثم رأيت وأنا نائم سقف البيت الذي أنا فيه نُزعت منه خشبة، وأدخل سلم فِضة، ونزل منه رجلان، أحدهما جانباً والآخر الى جنبي، فترع ضلع جنبي، ثم استخرج قلبي، فقال: نعم القلبُ قلبه، قلب رجل صالح، ونبي مُبلغ، ثم ردا قلبي إلى مكانه وضلعي، ثم صعدا والسقف على حاله، فشكوت إلى خديجة فقالت: لا يصنع الله بك إلا خيراً.

قال مؤلف الكتاب: وسنة إحدى، واثنتين، وثلاث وأربع لم يجُز ما يكتب فاسقطته .

ذكر الحوادث التي كانت في سنة خمس وعشرين

من مولده صلي الله عليه وسلم

فمن ذلك خروجه إلى الشام في المرة الثانية في تجارة لخديجة وتزويجه بها رضي الله عنها:.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف الخشَاب قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني موسى بن شَيْبَة، عن عميرة بنت عُبيد الله بن كعب بن مالك، عن أمّ سعْد بنت سعْد بن الرَّبيع، عن نفيسة بنت مُنية أخت يعلى بن مُنية قالت: لما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل فقير لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا، وهذه عِير قومك قد حضَر خروجُها إلى الشام، وخديجة بنت خُوَيْلد تبعث رجالأ من قومك في عيَراها ، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له، فأرسلت إليه في ذلك، وقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك.

فقال له أبو طالب: هذا رزق قد ساقه الله إليك، فخرج مع غلامها ميسَرَة، وجَعَل عُمُومَتُه يُوصُونَ به أهْلَ العِير حتى قَدِما بُصْرَى من أرض الشام، فترلا في ظل شجرة فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه قط إلا نبيّ؟ ثم قال لَمِيْسَرَة: أفي عينيه حُمْرَة ؟ فقال: نعم، لا تفارقه. قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء. ثم باع سلعته، فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ فقال له: احلف باللات والعزى. فقال له

رسول الله صلي الله عليه وسلم : "مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَط. وإنّي لأمُر فَأُعْرِض عنهما " فقال الرجل: القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاَ في كتبهم، وكان مَيْسَرَة إذا كانت الهاجرة، واشتَدّ الحر يرى مَلَكَين يُظلاَّنِ رسول الله صلي الله عليه وسلم من الشمس، فوعى ذلك كله مَيْسَرَة، وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون، ودخل مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة في عُلّية لها فرأت رسول الله صلي الله عليه وسلم، وهو على بعيره، وملكان يظَلاَّن عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم، فخبرها بما ربحوا في تجارتهم ووجههم، فسُرت بذلك، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال الراهب نسطور، وبما قال الاخر الذي خالفه في البيع.

وكانت خديجة امرأةً حازمة جادة شريفة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، وكل قومهما كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوا ذلك وبذلوا الأموال، فأرسلتني دَسيساً إلى محمد صلي الله عليه وسلم بعد أن رجع من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تَزوَج ؟. قال: مَا بِيَدي مَا أَتَزَوَّجُ به. قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلي الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال: فَمَنْ هيَ؟ قلت: خديجة. قال: وكَيْفَ لي بِذَلِكَ. قال: قلت: علي قال: أَفْعَلُ، فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن أتت الساعة كذا وكذا. فأرسلت إلى عمَّها عمرو بن أسد ليزوجها. فحضر ودخل رسول الله صلي الله عليه وسلم في عمومته، فتزوَجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذٍ بنت أربعين سنة .
وقد روى قوم : أن خديجة سقت أباها الخمر فلما صحا ندم.
قال الواقدي: هذا غلط والصحيح عندنا المحفوظ عند أهل العلم أن عمها زوَّجها، وأن أباها مات قبل الفجار. وذكر ابن فارس: أن أبا طالب خطب يومئذ فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضىء معد، وعنصر مُضر، وجعلنا حضنة بيته، وسوَاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد اللّه لا يوزن به رجل إلا رجح به، وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل، وأمرٌ حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل.
فتزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكانت خديجة قد ذُكرت أول ما ذكرت للازواج لورقة بن نوفل، فلم يُقْضَ بينهما نكاح، فتزوجها أبو هالة، واسمه: هند، وقيل: مالك بن النباش فولدت له هند وهالة وهما، ذكران، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائد المخزومي، فولدت له جارية اسمها: هند. وبعضهم يقدم عتيقاً على أبي هالة ثم تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: فولدت له ولده كلهم إلا إبراهيم: زينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، والقاسم وبه كان يُكنى، والطاهر، والطيب. وهلك هؤلاء الذكور في الجاهلية، وأدرك الإناث الإسلام فأسلمن وهاجرن معه. وقال غيره : الطيب والطاهر: لقبان لعبد الله، وولد في الإسلام. وأما منزل خديجة فإنه يعرف بها اليوم، اشتراه معاوية فيما ذكر، فجعله مسجداً يُصلي فيه الناس وبناه على الذي هوعليه اليوم، و لم يغيره.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان أول ولد ولد لرسول الله صلي الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة : القاسم، وبه كان يُكنى، ثم وُلد له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الإسلام عبدا لله فسُمَي

الطيب والطاهر، وأمهم جميعاً خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وكان أول من ماتَ من ولده: القاسم، ثم مات عبد الله بمكة، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله عز وجل " إن شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ" .

قال محمد بن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: مات القاسم وهو ابن سنتين . وقال محمد بن عمر: وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تُقَبل خديجة في ولادها ، وكانت تعق عن كل غلام شاتين، وعن الجارية شاة وكان، بين كل وَلَدَيْن لها سنة، وكانت تسترضع لهم، وتُعِد ذلك قبل ولادها.

ذكر الحوادث في سنة إثنتين وثلاثين

من مولده صلي الله عليه وسلم

فيها: خلعت الروم ملكها واسمه موريق، وملكَوا مكانه فوقا، ثم قتلوه، وأبادوا ورثته سوى ابن له هرب إلى كسرى فآواه، وتوجه. وملكه على الروم، ووجه معه ثلاثة نفر من قواده من جنود كثيفة ، أمَا أحدهم فكان يقال له : رُميوزان، ووجهه إلى بلاد الشام فدوَخها حتى انتهى إلى أرض فلَسْطين وورد مدينة بيْت المقدس وأخذ أسقُفَها ومَنْ كان فيها من القِسِّيسين وسائر النصارى بخشبة الصليب، وكانت قد دُفنت في بستان في تابوت من ذهب، وزُرِعَ فَوْقها مبقلة، فدلُّوه عليها، فحفر فاستخرجها، وبعث بها إلى كِسْرى في سنة أربع وعشرين من ملكه وأما القائد الآخر: فكان يقال له شاهين، فسار حتى احتوى على مصر و الإسكندرية وبلادِ النُوبة، وبعث إلى كسرى بمفاتيح مدينهْ، إسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه.

وأما القائد الثالث فكان يقال له: فَرهان، فإنَه قصد القسطنطينية حتى أناخ على ضَفًة الخليج القريب منها وخيم هنالك، فأمره كسرى فخرب بلاد الروم غضباً مما انتهكوا من موريق وانتقاماً له منهم، ولم يخضع لابن موريق من الروم أحد، غير أنَهم قتلوا فوقا، وملَّكوا عليهم رجلاً يقال له: هِرَقْل. فلما رأى هِرَقْل ما فيه الروم من تَخْريب فارس بلادهم ، وقتلهم إياهم، وسبيهم لهم، تضرع إلى الله تعالى وسأله أن يُنْقذه وأهل مملكته من جنود فارس، فرأى من منامه رجلًا ضخم الجثة عليه بزة، قائماً في ناحية، فدخل عليهما داخل، فألقى ذلك الرجل عن مجلسه، وقال لهرقل: إني قدْ أسلمته في يدك. فلم يقصُص رؤْياه تلك في يقظته على أحدٍ ، فرأى الثانية في منامه أن الرجل الذي رآه في نومه جالساً في مجلس رفيع، وأن الرجل الداخل عليهما أتاه وبيده سلسلة طويلة فألقاها في عُنُق صاحب المجلس وأمكنه منْه ، وقال له: ها أنذا قد دفعتُ إليك كِسْرى برمَته فأغْزُه فإن شئت فإنك مدال عليه، ونائل أمْنيتك في غَزَاتك فلما تتابعت عليه هذه الأحلام قصها على عظماء الروم وذوي الرأي منهم فأشاروا عليه أن يغزوَه، فاستعد هِرَقْل واستخلف ابناً له على مدينة قسطنطينية ، فسار حتى أوغل في بلاد أرمينية ونزل نَصيبين بعد سنة ، فلما بلغ كسرى نزول هِرَقْل في جنوده بنصيبين وجَّه لمحاربته رجلًا من قواده يقال له: راهزار في اثني عشر ألف فارس، وأمره أن يقيم بنِينَوَى في مدينة الموصل على شاطيء دجلة، ويَمنَعَ الروم أن تجوزها، فنفذ راهزار لأمْر كسرى وعسكر حيث أمره، فقطع هِرَقْل دِجْلة في موضع آخر إلى الناحية التي كان فيها جند فارس ، فأذْكى راهزار عليه العيون، وأخبروه أنه في سبعين ألفاَ وأيقن بالعجز عنه، فكتب إلى كسرى يخبره بعجزه، وكتب كسرى: إنكم إن عجزتم عن الروم لم تعجزوا عن بذل دمائكم في طاعتي، فناهَضَ الروم، فقتل ومعه

ستة آلاف رجل وانهزم الباقون، فبلغ ذلك كسرى فتهيأ وتحصن بالمدائن لعجزه، وسار هرقل حتى قارب المدائن، فلما استعد كسرى لقتاله انصرف إلى أرض الروم .

قال عكرمة : كانت في فارس امرأة لا تَلِدُ إلا الأبطال، فدعاها كسرى، فقال: إني أريد أن أبْعَثَ إلى الروم جيشاً وأستعْمِل عليهم رجلًا من بنيك فأشِيري علي أيهم أستعمل. فقالت: هذا فَرخان أنفذُ من سِنان، وهذا شَهْرَبَراز أحْلم من كذا. قال: فإني قد استعملت الحليم، فاستعمل شَهْرَبَراز، فسار إلى الروم بأرض فارس وظهر عليهم، فقتَّلَهَم وخَرب مدائِنهُم، وقطع زيتونَهم.

فلمَّا ظهرت فارس على الروم، جلس فَرخان يشرب، فقال لأصحابه: رأيتُ كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كِسْرى فكتب إلى شَهْرَبراز إذا أتاك كتابي هذا فابعث إلي برأس فَرخان. فكتب إليه: أيها الملك إنك لن تجد مثل فَرخان، إن له نكايةً وصوْتاً في العدو فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارس خَلَفاً منه، فعجل علي برأسه. فراجعه، فغضب كِسْرى و لم يجِبْه، وبعث بريداً إلى أهْل فارس: إني قد نزعت عنكم شَهْرَبَراز، واستعملتُ عليكم فَرُّخان. ثم دفع إلى البريد صحيفةً أخرى صغيرة، وقال: إذا ولي فَرخان الملك وانقادَ له أخوه، فأعطِه هذه الصحيفة . فلما قرأ شَهْرَبراز الكتاب، قال: سمعاً وطاعةً، ونزل عن سريره وجلس فَرخان، فدفع الصحيفة إليه فقال: ائتوني بشَهْرَبَراز فقدمه ليضرب عُنُقُه. فقال: لا تعجل عليَّ حتى أكتب وصِيَّتي، قال: نعم. فدعا بالسفَط فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعتُ فيكَ الملك، وأنت أردتَ أن تقتلني بكتاب واحد ، فرد المُلْكَ إلى أخيه، وكتب شَهْرَبَراز إلى قيْصر ملك الرُّوم: إن لي إليك حَاجةً لا تحملها البُرُد، ولا تبلّغها الصحف، فالقَني، ولا تلقني إلا في خمسين فارساً، فإني ألقاك في خمسين فارسياً. فأقبل قيْصَرُ في خمسمائة ألف رومي وجعل يَضعُ العُيون بين يديْه في الطريق، وخاف أن يكون قد مَكَرَ به، حتى أتته عُيُونه أنه ليْس معه إلا خمسون رجلًا، ثم بُسِط لهما والتقيا في قُبَّه ديباج ضُربت لهما مع كل واحد منهما سكين، فدعا تُرْجُماناً بينهما، فقال شَهْرَبراز: إن الذين خربوا مدائِنَك أنا وأخي بكيْدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أنْ أقتل أخي، فأبَيْتُ، ثم أمر أخِي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً، فنحنُ نقاتله معك. قال: قد أصبتُما، ثم أسر أحدهما إلى صاحبه: أن السِّر بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فَشَا. قال: أجَلْ، فقتلا الترْجمان جميعاً بسكينيهما، فكان هذا أحد أسباب هلاك كسرى .

ذكر الحوادث سنة خمس وثلاثين

من مولده صلي الله عليه وسلم

في هذه السنة هدمت قريش الكعبة قال ابن اسحاق: كانت الكعبة رَضْماً فوق القامة، فأرادت قريش رفعها وتسقيفها، وكان نفر من قريش وغيرهم قد سرقوا كنز الكعبة، وكان يكون في بئر في جوف الكعبة، فهدموها لذلك، وذلك في سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وروى هشام بن محمد عن أبيه قال: كان إبراهيم وابنه اسماعيل يليان البيت، وبعد إسماعيل ابنه نبت، ثم مات نبت و لم يكثر ولد إسماعيل فغلبت جرْهم على ولاية البيت، فقال عمرو بن الحارث بن مضاض من ذلك :

وكنا ولاةَ البيت من بَعْد نابت ... نطوفُ بذاك البيت والخيرُ ظاهر

وكان أوَل مَنْ ولي البيت من جُرْهم مضاض، ثم وليه بعده بنوه كابراً عن كابرٍ ، حتى بغت جُرْهم بمكة واستحلوا حرمتها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى إليها، وظلموا مَنْ دخل مكة، ثم لم يتناهوا حتى جعل الرجل منهم، إذا لم يجد مكاناً يزني فيه دخل الكعبة فزنا.

فزعموا أن إسافاً بغى بنائلة في جوف الكعبة فمُسِخا حجرين، وكانت مكة في الجاهلية لا ظلم فيها ولا بغي، ولا يستحل حرمتها ملك إلا هَلَك مكانه ، فكانت تسمى: الباسة، وتسمى: بكة، كانت تبُك أعناق الجبابرة الذين يبغون فيها، ولما لم تنته جرْهم عن بغيها، وتفرق أولاد عمرو بن عامر عن اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو قاطنو تهامة، فسميت خزاعة، لأنهم انخزعوا، وبعث الله عز وجل على جُرْهم الرعاف والنمل، فأفناهم، فاجتمعت خزاعة ليجلوا من بقي، ورئيسهم يومئذٍ عمرو بن ربيعة بن حارثة، وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض، ، فاقتتلوا، فلما أحسق عامر بالهزيمة خرج بغزَالي الكعبة وحجر الركن ، وجعل يلتمس التوبة، فلم تقبل توبته، فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم، وخرج مَنْ بقي مِنْ جُرْهم إلى أرض الحبشة . فجاءهم سيل فذهب بهم . وولي البيت عمرو بن ربيعة.

وقيل: بل وليه عمرو بن الحارث الغساني. فقال عمرو بن الحارث في ذلك:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يَسْمُر بمكة سامر

بلى نحن كُنَّا أهلها فأزالنا ... صُروفُ الليالي والجُدود العَوائر

وقال عمرو أيضاً:

يا أيها الناس سيروا إن قَصرْكم ... أن تُصبحوا ذات يوم لا تَسيرونا

حَثّوا المطي وأرْخوا من أزمتها ... قبلَ الممات وَقَضوا ما تقضونا

كُنا أناساً كما كنتم فغيرنا ... دهر فأنتم كما كنا تكونونا.

وكان يقول: اعملوا لآخرتكم، وأفرغوا من حوائجكم في الدنيا. فوليت خزاعة البيت، غير أنه كان في قبائل مُضر ثلاث خلال : الإجارة بالحج للناس من عرفة، وكان ذلك إلى الغوث بن مُر، وهو صوفة، فكانت إذا كانت الإجارة قالت العربُ: أجيري صوفة .

والثانية: الإفاضة من جمع غداة النحر إلى منى، فكان ذلك إلى بني زيد بن غزوان، فكان آخر مَنْ ولي ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش بن زيد.

والثالثة النسيء للشهور الحُرم، وكان ذلك إلى القلمس، وهو حذيفة بن فقيم بن عدي من بني مالك بن كنانة، ثم في بيته حتى صار ذلك إلى جُرْهم أبي ثمامة، وهو جنادة بن عوف بن أمية بن فلخ بن حذيفة فقام عليه الإسلام فلما، كثرت معه تفرقت .

وأما قريش: فلم يفارقوا مكة، فلما حفر عبد المطلب زمزم وجد غزالي الكعبة اللذين كانت جُرْهم دفنتهما فيه، فاستخرجهما قال ابن اسحاق: وكان الذي وجد عنده كتر الكعبة دويك مولى لبني ملج من خزاعة، فقطعت قريش يده، وكان البحر قد رمى سفينة إلى جدة، فتحطمت " فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار، وكانت حيَّة تخرج من بئر الكعبة التي يُطْرح فيها ما يُهدى لها كل يوم، فتتشرَق على جدار الكعبة ، وكانوا يهابونها، ذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلتْ وكَشَتْ وفتحت فاها، فبينا هي يوماً تتشرق على جدار الكعبة، بعث الله عليها طائراً فاختطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن

يكون اللَهُ قد رضي ما أردنا عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية . وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلي الله عليه وسلم عامئذ ابن خمس وثلاثين سنة.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وَهْب بن عَمْرُو بن عمير بن عائد بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر، قريش، لا تدخلوا في بنائها من كَسْبكم إلا طَيباً، ولا تدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع رباً، ولا، مظلمة أحد من الناس. قال: والناس يَبخلَون هذا الكلام للوليد بن المغيرة، وأبي وهب خال أبيرسول الله صلي الله عليه وسلم.

ثم إن الناس هابوا هَدْمها وفَرقُوا منه. فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأ في هَدْمها فأخذ المِعولَ، ثم قّام عليها وهو يقول: اللهم لا تُرَعْ اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنَيْن فتربص الناسُ به تّلك اللَيلةَ، وقالوا: ننظر، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئاً، ورددْناها كما كانت، وإنْ لم يُصبْه شيء ، فقد رضي اللة عز وجل ما صنعناه. فأصبح الوليد غادياً على عمله، فهدم والناس معه، وتحرك حجر فانتقضت مكة بأسرها وما زالوا حتى انتهى الهدم إلى الأساس، فأفضوا إلى حجارة خُضْر كأنها أسنمة ثم بنوا، حتى إذا بلِغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه كل قبيلة تُريد أن ترفعه، حتى تواعدوا للقتال، وقرَبت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً، وأدخلوا أيديهم في الدم، وتعاقدوا على الموت، فسُموا لعْقَة الدم، فمكثوا أربع ليال أوخمس ليالٍ كذلك، ثم تشاروا وكان أبو أمية بن المغيرة أمير قريش حيئذٍ فقال: اجعلوا بينكم أول مَنْ يدخل من باب هذا المسجد، فكان أوَل مَنْ دخل عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا به، هذا محمد، فلما انتهى إلهم وأخبروه الخبر قال: "هلم إليّ ثوباً. فاتي به، فأخذ الركن فوَضَعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم قال: ارفعوه جميعاً، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده، ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي رسول اللة صلي الله عليه وسلم قبل أن يترل الوحي: الأمين .

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد. قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدثني عبد الله بن يزيد الهذلي، عن أبيه، وعبد الله بن يزيد الهذلي، عن أبي غطفان، عن ابن عباس قال: وحدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: كانت الجُرْف مطلة على مكة، وكان السيل يدخل من أعلاها حتى يدخل البيت، فانصدع فخافوا أن ينهدم، وسرق منه حليه وغزال من ذهب كان عليه در وجوهر، وكان موضوعاً بالأرض، فأقبلت سفينة في البحر فيهما روم، ورأسهم باقوم، وكان بانياً فجنحتها الرّيح إلى الشّعَيْبة، وكانت مرسى السفن قبل جدة فتحطمت السفينة، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها وكلموا الرومي باقومَ، فقدم معهم، وقالوا: لو بنينا بيتَ ربّنا. فأمروا بالحجارة تُجمع، فبينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ينقل معهم وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة وكانوا يضعون أُزْرهم على عواتقهم، ويحملون الحجارة، ففعل ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فلُبط به ونودي: عورتك فكان ذلك أول ما نودي. فقال أبو طالب: يا ابن أخي، اجعل إزارك على رأسك، قال: ما أصابني ما أصابني إلا في تعديَ، فما رويت لرسول الله صلي الله عليه وسلم عورة بعد ذلك، فلما اجمعوا على هدمها قال بعضهم: لا تُدخلوا في بنائها من كسبكم الأ طيباً ما لم تقطعوا فيه رحماً، و لم تظلموا فيه أحداً، فبدأ الوليد بن المغيرة بهدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها يطرح الحجارة وهو يقول: اللّهم اللهم لا تُرع إنما نريد الخير، فهدم

وهدمت معه قريش، ثم أخفوا في بنائها وميزوا البيت واقترعوا عليه، فوقع لعبد مناف وزُهرة ما بين الركن الأسود إلى ركن الحِجر وجهُ البيت، ووقع لبني أسد بن عبد العُزى وبني عبد الدار ما بين ركن الحجر إلى ركن الحجر الأخر، ووقع لتيم ومخزوم ما بين ركن الحجر إلى الركن، الركن اليماني. ووقع لسهم وجُمح وعدى وعامر بن لؤي ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود فبنوا، ولما انتهوا إلى حيث يُوضع الركن من البيت. قالت كل قبيلة: نحن أحق بوضعه، فاختلفوا حتى خافوا القتال، ثم جعلوا بينهم أول مَنْ يدخل من باب بني شَيْبَة، فيكون هو الذي يضعه قالوا: رضينا وسلمنا . فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم أوًل مَنْ دخل من باب بني شَيْبة ، فلما رأوه قالوا: هذا هو الأمين قد رضينا بما قضى بيننا ، ثم أخبروه ، فوضع رسول الله صلي الله عليه وسلم رداءه وبسطه في الأرض، ثمَّ وضع الركن فيه ، ثُمَ قال: ليأت من كل رُبع من أرباع قريش رجل ، وكان في ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة، وكان في الربع الثاني: أبو زمعة ، وكان من الربع الثالث : أبو حذيفة بن المغيرة ، وكان فى الربع الرابع: قيس بن عدي، ثم قال رسول اللّه صلي الله عليه وسلم: " ليَأخُذْ كُل رَجُلٍ مِنْكُمْ بِزَاوِيَة من زَوَايَا الثّوْب، ثُم ارْفَعُوهُ جَميعاً". فرفعوه، ثم وضعه رسول اللّه صلي الله عليه وسلم بيده في موضعه ذلك، فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي صلي الله عليه وسلم حجراً يشد به الركن فقال العباس بن عبد المطلب: لا، وناول العباس حجراً فشد به الركن فغضب النجدي حين نُحِّي، فقال رسول الله صلي الله عليه سلم : " إنهُ لَيْسَ يَبْني مَعَنَا في البَيْتِ إلا مِنا، ثم بنوا حتى انتهوا إلى موضع السقف وسقفو البيت وبنوه على ستة أعمدة واخرجوا الحجر من البيت ."

قال محمد بن عمر: وأخبرنا ابن جريج عن الوليد بن عطاء عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللّه صلي الله عليه وسلم : " إن قَوْمَك اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الكَعْبَة، ولوْلا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بالشِّرْكِ أعَدْتُ فيهِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ فإنْ بَدَا لَقوْمِكِ مِنْ، بَعْدي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلمي أُرِيكِ مَا تَرَكُوا منه" فأراها قريباً من سبع أذرع في الحجر. قالت: وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديثه: "وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَينِ مَوْضُوعَيْنِ في الأرْض شَرْقياً وغَرْبياً أتدْرينَ لِمَ كَانَ قَوْمُك رَفَعُوا بَابَها ؟ فقلت: لا أدري، فقال: " تعَززاً الأ يَدْخُلهَا إلأ مَنْ أرادُوا " وكان الرجل إذا كرهوا أن يدخل تركوه حتى إذا كاد يدخل دفعوه حتّى يسقط . أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبري قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا عمر بن الحسين الشيباني قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: أخبرني محمد بن صالح القرشي قال: حدثنا محمد بن عمر قال: حدثني ابن أبي سُبرة، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بنيت الكعبة ورسول اللة صلي الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة .

فصل في هذه السنة وُلدَتْ فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم وفيها: مات زيد بن عمرو بن نفيل، وكان يَطْلُب الذَين وقدم الشام فسأل اليهود النصارى عن الدين والعلم، فلم يُعْجِبْه دينهم فقال له رجل من النصارى: أنت تلتمس دين إبراهيم. فقال زيد : وما دين إبراهيم ؟ قال: كان حنيفاً لا يَعْبُدُ الأ اللَهَ وحده لا شريك له، كان يُعادي مَنْ عَبَدَ من دون الله شيئاً، ولا يأكل ما ذُبح على الأصنام. فقال زيد: هذا الذي أعرف، وأنا على هذا الدين، فأما عبادة حجر أو خشبة أنْحِتُها بيدي فهذا ليس بشيء.

فرجع زيد إلى مكه، وهو على دين إبراهيم، وكان يقول: هذه الشاة خلقها الله ، وأنزل من السماء ماء فأنبت لها الأرض ثم تذبحونها على غير اسمه ينكر عليهم ذلك ولقي رسول الله صلي الله عليه وسلم فَقدَمً إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم . سُفرةً فيها لحم فقال: إني لا آكل مما تذبحون على أصنامكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم

قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني علي بن عيسى الحكمي، عن أبيه، عن عامر بن ربيعة قال: كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدِّين، وكره النصرانية واليهودية، وعبادة الأوثان. والحجارة، وأظهر خلاف قومه واعتزل آلهتهم، وما كان يعبد آباؤهم ولا يأكل ذبائحهم. فقال لي: يا عامر، إني خالفت قومي واتبعت ملَّة إبراهيم، وما كان يعبد ولده إسماعيل من بعده. فقال: وكانوا يصلون إلى هذه القبلة، وأنا انتظر نبياً من ولد إسماعيل يُبْعَثُ، ولا أراني أدْركه، فأنا أُؤمن به، وأصَدقه، وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيته، فأقْرِئْهُ منَي السلام.

قال عامر: فلما تنبأ رسول الله صلي الله عليه وسلم أسلمت وأخبرته بقول زيد وأقْرأتُه منه السلام، فرد عليه رسول الله السلام، وترحم عليه، وقال: " قد رأيتُه في الجنة يسْحَبُ ذُيولاً " .

أنبأنا علي بن عبيد الله الفقيه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن النقور قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن هارون الضبي قال: أخبرنا أبو بكر بن محمد بن محمد بن بكر التمار وقال: أخبرنا أبو داوود سليمان بن الأشعث قال: حدثنا وهب بن بقية، عن خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أسامة بن زيد قال:

خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو مرد في خلفه، فلقيه زيد بن عمرو بن نفيل فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ما لي أرى قومك قد سبقوك ؟ " قال : لأني أراهم على ضلال، فخرجت أبتغي الدين، فأتيت على أحبار يثرب فوجدهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي فخرجت حتى أحبار الشام، فوجدهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا الذي ابتغي من الدين فخرجت ، حتى قدمت على أحبار وائلة فوجدهم كذلك، فقال لي حبرُ من أحبار أهل الشام: إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخاً بالحيرة أفقدمت عليه، فقال: إنك لتسأل عن دين هو دين الله عز وجل ودين ملائكته، وإنه خرج في زمانك نبي أو خارج قد خرج نجمه، ارجع فصدقه وآمِنْ به. فرجعت.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لزيد : " يأتي يوم القيامة أمةً وحده " قال أبو داود: وحدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا الحجاج بن محمد قال: أخبرنا المسعودي، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد، عن جده قال: خرج زيد بن عمرو وورقة بن نوفل يطلبان الدين، حتى أتيا الشام فتنصر ورقة، ومضى زيد حتى انتهى إلى الموصل، فمر على راهب فقال له الراهب: من أين أقبل صاحب البعير؟ قال : من بني إبراهيم. قال: وما الذي تطلبُ؟ قال: الدين. قال ؟ الذي تطلب يوشك أن يظهر بأرضك، فعاد فسجد نحو الكعبة.

قال أبو داوود : وأخبرنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد قال: أخبرنا هشام بن عروة، عن عروة: أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا نحو الشام في الجاهلية يلتمسان الدين، فأتيا على راهب فسألاه عن الدين فقال: إن الدين الذي تطلبان لم يجيء بعد وهذا زمانه، فإن الدين يخرج من قبل تيماء، فرجعا، فقال ورقة: أما أنا قائم على نصرانيتي حتى يبعث هذا الدين وقال زيد: أما أنا فأعبد رب هذا البيت حتى يبعث هذا الدين . ومات زيد فرثاه ورقة فقال

رشدت وانعمت ابن عمرو وإنما	تجنبت تنُوراً من النار حامياً
دعاءك رباً ليس رب كمثلِه	وتركَك أوثان الطواغي كما هيا

قال أبو داوود: وحدثنا محمد بن العلاء قال: أخبرنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، ما منكم اليوم أحد، على دين إبراهيم غيري. وكان يحيي الموْءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مهلاً لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها. فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها.

ومن شعرزيد بن عمرو بن نفيل حيث يقول :

وأنت الذي من فضل مَن ورحمة — بعثت إلى موسى رسولاً مناديا

فقلت له: فاذهب وهارون فادعُوا — إلى اللّه فرعون الذي كان طاغيا

وقولا له: آأنت أمسكت هذه — بلا عمد أكرم بمَنْ كان بانيا

وقولا له آأنت سوَّيت هذه — بلا وتدٍ حتى استقرت كما هيا

وقولا له من ينبت الحب في الثرا — فتصبح منه البقل تهتز رابيا

ومن شعره:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت — له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما رآها استوت — على الماء أرسى عليها الجبال

وأسلمت وجهي لمن أسلمت — له الريح تصرف حالاً فحالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت — له المزن تحمل عذباً زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة — أناخت فصبت عليها سجالا

ومن الحوادث في سنة ثمان وثلاثين

من مولده صلي الله عليه وسلم

قال مؤلف الكتاب : في هذه السنة رأى الضوء والنور، وكان يَسْمع الصوت ولا يدري ما هو.

أخبرنا الحصين قال أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أخبرنا أبو كامل قال: حدثنا حماد قال: أخبرنا عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس قال: أقام النبي صلي الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضوء والنور، ويسمع الصوت، وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً.

و لم يقع سنة تسع و ثلاثين، ما يُكتب.

ذكر الحوادث في سنة أربعين

من مولده صلي الله عليه وسلم

فيها: قتل كسرى أبرويز النعمان بن المنذر: فإنه غضب عليه فقتله قبل المبعث بتسعة أشهر.

وكان السبب: أنه كان عند ملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، وكانوا يبعثون بتلك الصفة إلى الأرضين، غير أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك، فبدا للملك أن يطلب النساء، فكتب بتلك الصفة إلى الأرضين فقال زيد بن عدي لأبرويز: عند عبدك النعمان بن المنذر بنات عمه وأهل بيته أكثرمن عشرين امرأة على هذه الصفة. قال: فتكتب فيهن.

قال: لا تفعل أيها الملك، فإن شر شيء في العرب أنهم يتكرمون في نفسهم عن العجم، فأنا كره أن يغيبهنَ. فبعث به إليه، فقال: إن الملك قد احتاج إلى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك. فقال: أما في عين السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم ؟ ويعني بالعين: البقر، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملك ليس عندي ، فسكت كسرى على ذلك شهراً، والنعمان يتوقع ويستعد، حتى أتاه كتاب كسرى أن أقبل فللملك إليك حاجة، فحمل سلاحه وما قدرعليه ، فلحق بجبل طيء فأبت طيء أن تمنعه، وقالوا: لا حاجة لنا بمعاداة كسرى و لم يقبله غير بني رواحة بن عبس، فترل بطن في قار، ثم رأى أنه لا طاقة له بكسرى فرحل إليه، فلما بلغ كسرى مجيئهُ قال: اجعلوا على طريقه ألف جارية عذراء في قمص رقاق وغيبوا عنهن الناس إلا الخصيان، فأقبل ينظر إليهن حتى وقف بين يدي كسرى وبينهما ستر رقيق، فقال: إن الذي بلغك عني باطل: فقال كسرى ؟ حسبي ما سمع به الناس. ثم أمر به فقُيد وبُعث إلى خانقين، فلم يزل في السجن حتى وقع طاعون فمات به . وقيل: بل رماه بين يدي الفيلة فداسته حتى هلك . فقال الشاعر فيه:

لهفي على النعمان من هالك   لم نستطع تعداد ما فيه

لم تبكه هندٌ ولا أختها   حرقة واستعجم ناعيه

بين فُيول الهند يخبطنه   مختبطاً تدني نواحيه

وروى عبد الله بن عبد الحميد الدمشقي قال : كان للنعمان بن المنذر يومان : يوم بؤس ويومُ كرمٍ، وكان لا يأخذ أحداً يوم بؤسِهِ إلا قتله، فأتي برجل يوم بؤسِهِ، فقال له ؟ أما علمت أن هذا يوم بؤسي ؟ قال: بلى. قال : فما حملك على ذلك وأنت تعلم أني أقتلك ؟. قال: أيها الملك إن لي ابنة عم ميعادي وإياها اليوم، فعرضت على نفسي أن أتخلف مع الحياة، أو أخرج فأنال حاجتي وأقتل فاختارت الخروج مع القتل. قال النعمان: فاذهبوا به فاضربوا عنقه. فقال الرجل: أيها الملك دعني أذهب فأنال حاجتي وشأنك والقتل. قال: ومنْ يضمن لي أن ترجع إلي . فالتفت إلى كاتب النعمان فقال: هذا يضمنني. قال: أتضمنه قال: نعم.

قال: إن لم، يجيء قتلتك. قال: نعم. فضرب له النعمان أجلًا وخلى سبيله ، ثم إن الرجل أتى بعد ذلك فقال له النعمان: ما حملك على المجيء وأنت تعلم أني أقتلك ؟ قال ؟ خفت أن يقال ذهب الوفاء. فالتفت إلى كاتبه وقال له: ما حملك على أن تضمن مَنْ لا تعرف وأنت تعلم أنه إن لم يعد قتلتك . قال: أيها الملك، خفت أن يقال ذهب الكرم. قال النعمان: وأنا أيضاً أخاف أن يقال: ذهب العفو، خلوا سبيله.

أخبرنا سعيد بن أحمد بن الحسن البناء قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: حدثنا الحسين بن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر القرشي قال: حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن قرِيب الأصمعي قال: أخبرنا عمي قال: أخبرنا عامر بن عبد الملك قال: خرج زياد حتى أتى حُرقة ابنة النعمان بن المنذر، وقد لبست المسوح، فقال: حدثيني عن أهلك، فقالت: أصبحنا وما في العرب أحد إلا يرجونا أو يخافنا، وأمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا.

قال القرشي: وحدثني أحمد بن الوليد قال: أخبرنا أحمد بن زيد قال: أخبرنا علي بن حرملة، عن مالك بن مغول، عن الشعبي، عن إسحاق بن طلحة قال: دخلت على حرقة بنت النعمان، وقد ترهبت في دير لها بالحيرة، وهي في ثلاثين جارية لم يُر مثل حسنهن. فقلت: يا حُرقة، كيف رأيت عثرات الملك ؟. قالت : الذي نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه أمس ، وأنشدت تقول:

وبتنا نسوسُ الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نتنصّف.

فأفٍ لدُنْيَا لا يدوم نعيمهما تقلب أحياناً بنا وتصرف.

وذلك أنه لما هلك النعمان بن المنذر قيل لكسرى: إن ماله وبيته عند هانىء بن مسعود البكري، فكتب إِليه كسرى ليبعث ذلك إليه فأرسل إليه: ليس عندي مال . فأعاد الرسول : قد بلغني أنه عندك. فقال: إن كان الذي بلغك كاذباً فلا تأخذ بالكذب، وإن كان صادقاً فذلك عندي أمانة، والحُر لا يُسَلِّم أمانته. فعبر كسرى الفرات ودعا إياس بن قبيصة الطائي، وكان قد أطعمه ثمانين قرية على شط الفرات، فشاوره فقال: ما ترى ؟ فقال: إن تطعني فلا يعلم أحد لأي شيء عبرت، وقطعت الفرات، فيرون أن شيئاً من أمر العرب قد كرثك ولكن ترجع فتعرض عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى منهم غفلة، ثم ترسل قبيلة من العجم فيها بعض القبائل التي تلتهم من أعدائهم فيوقعون بهم.

فقال له كسرى : قد بلغني أنهم أخوالك وأنت لا تألوهم نصحاً.

فقال إياس: رأي الملك أفضل. فبعث الهرمزان في ألفين من خيول الأعاجم، وبعث ألفاً من إياد، وألفاً من بهزى عليهم خالد البهزاني، فلما بلغ بكر بن وائل خبر القوم أرسلوا إلى قيس بن مسعود بن هانىء بن مسعود ، فقدم ليلًا، فأتى مكاناً خفياً من بطن في قار فنزله، وأرسل إلى هانىء فقال: إنه قد حضر من الأمر ما ترى. فقال له : أرسل إلي الحلقة وهي عشرة آلاف سكة، وانثرها في بني شيبان. فقال له هانىء إنها أمانة فقال قيس : إنكم إِن هلكتم فسيأخذون الحلقة وغيرها، وإن ظهرتم فما أقدرك على أن تأخذها من قومك فأخرجها فنثرها، وأمرهم فنزلوا من بطن في قار بين الجهتين فقدمت الأعاجم عليهم، وهم مستعدون، فاقتتلوا ساعة فانهزمت الأعاجم. وقيل: إن حديث في قار كان في سنة سبع من الهجرة، والله أعلم .

ومن الحوادث في هذه السنة ما أخبرنا به محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدثنا محمد بن عمر قال: حدئني محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه قال: كنا جلوساً، عند صنم بِبُوانة قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر نحرنا جُزوراً فإذا بصائح يصيح من جوف واحدة : اسمعوا إلى العجب ، ذهب استراقُ السمع ونُرمى بالشهب لنبي بمكة اسمه أحمد ، مهاجره إلى يثرب، قال: فأمسكنا وعجبنا، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب ذكر أمارات النبوة

قال مؤلف الكتاب: ما زالت الأنبياء قبل ظهور نبينا صلى الله عليه وسلم وعُلماء الكُتُب تَعِد بِه ، حتى كانوا يقولون: قد قرب زمانه، وفي هذا الزمان يظهر.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني ابي

قال: حدثني يعقوب قال: أخبرنا أبي، عن ابن إسحق قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل قال : فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بيسير، حتى وقف على مجلس ، بني عبد الأشهل قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً علي بردة مضطجع فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار. فقال: ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون أن البعث كائناً، بعد الموت. فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائناً بأن الناس يبعثون بعد موقم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها، بأعمالهم ؟ قال: نعم، والذي نحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا تحدونه ثم تدخلونه إياه، فتطبقونه عليه، وأن تنجوا من بين تلك، النار غداً. قالوا له: ويحك وما آيةُ ذلك ؟ قال : نبي يُبعثُ من نحو هذه البلاد. وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا : ومتى نراه ؟ قال: فنظر إِلي وأنا أحدثهم سناً فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمرُه يدركه. قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو حيَ بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً. فقلنا: ويلك يا فلان، ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال: بلى وليس به .

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا عاصم بن الحسين قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء قال أخبرنا الفضل بن غانم قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحق، عن عاصم بن عمر بن قتاده، عن رجل من قومه قال: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة إيانا وهداه لما كُنا نسمع من يهود، كُنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله عز وجل رسوله أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتواعدونا، فبادرناهم إليه، وآمنا به، وكفروا، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات "ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم " إلى قوله "ولعنة الله على الكافرين".

وعن عاصم عن شيخ من بني قريظة قال: قال لي: هل تدرون عما كان إسلام ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد، وأسد بن عبيد، نفر من بني ذهل أخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداهم في الإسلام. قال قلت: لا أدري، قال: فإن رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له: ابن الهيبان، قم علينا قبل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قط كان يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: أخرج يابن الهيبان فاستسق لنا. فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له: كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر أو مدَين من شعير. قال: فيخرج ذلك ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا، فو الله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويُسقىَ، قد فعل ذلك غير مرةٍ ، ولا مرتين، ولا ثلاثاً. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال ؟ يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض الجوع والبؤس ؟ قال: قلنا: أنت أعلم. قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظلكم زمانه، هذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا يسبقنكم أحد إليه يا معشر اليهود، فإنه يبعث يسفك الدماء، ويسبي الذراري والنساء ، ممَّنْ خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه. فلما بعث الله رسوله وحاصر بني قريظة قالا هؤلاء الفتية وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قريظة، والله إنه النبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهيبان قالوا: ليس به. قالوا: بلى والله إنه لهو بصفته. فترلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم.

ومن الأمارات رجفة عظيمة أصابت الشام قال مؤلف الكتاب : كان الرهبان يعدُونها لعلامة ظهوره، وكانوا يقولون إنه شاب قد دخل في الكهولة يجتنب المحارم والمظالم، ويصل الرحم، ويأمر بصلتها، وهو متوسط في العشيرة صلى الله عليه. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا عبد المحسن بن علي قال: أخبرنا عبد الكريم بن محمد بن أحمد المحاملي قال: أخبرنا الدار قطني قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سالم المخزومي قال: أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني قال: أخبرنا إسحاق العدوي قال: حدثني عثمان بن الضحاك الحزامي قال: حدثني أبي، عن مخرمة بن سليمان، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، عن أبيه قال: قال طلحة بن عبد الله : حضرت سوق بصرى، فإذا براهب في صومعته يقول: اسألوا أهل الموسم، هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟ قال طلحة: فقلت نعم أنا. قال لي: هل ظهر بمكة بعْد أحمد ؟ قلت: وما أحمد ؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال الراهب، فخرجت حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حدث ؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبأ، وتابعه ابن أبي قحافة. فخرجت حتى أتيت أبا بكر فأخبرته وقلت له: هل تابعت الرجل قال: نعم، فانطلق فبايعه، فإنه يدعو إلى الحق، فذهب أبو بكر رضي الله عنه معه قال طلحة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبر الراهب وما قال لي.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الحسين بن علي الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال: حدثني سلمان بن داود بن الحصين، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب قال: لما قدم تبع المدينة ونزل بقناة بعث إلى أحبار يهودٍ وقال: إني مُخرب هذا البلد حتى لا يقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين، العرب. قال: فقال له سامول اليهودي وهو يومئذ أعلمهم : أيها الملك، إن هذا بلد يكون إليه مهاجرة نبي من بني إسماعيل ، مولده بمكة، إسمه أحمد، وهذه دار هجرته، وإن مترلك هذا الذي أنت به يكون، من القتلى والجراح أمر كثير في أصحابه وفي عدوهم قال تبع : ومَنْ يقاتله يومئذٍ وهو نبي كما تزعمون ؟ قال: يسير إليه قومه فيقتتلون ها هنا. قال: فأين قبره ؟ قال: بهذا البلد، قال: فإذا قوبل فلمن تكون الدبرة ؟ قال: تكون له مرة وعليه مرة، وبهذا المكان الذيِ أنت به يكون عليه، ويقتل به أصحابه مقتلة لم يقتلوا في موطنٍ ، ثم يكون له العاقبة، ويظهر ولا ينازعه هذا الأمر من أحدٍ . قال: وما صفته ؟ قال: رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حُمرة، يركب البعير، ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه، لا يبالي مَنْ لاقى من أخ، أو ابن عم، أوعم ، حتى يظهر أمره. قال تبع: ما إلى هذه البلدة من سبيل، وما كان ليكون خرابها إلا على يدي. فخرج تبع منصرفاً إلى اليمن .

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه قال كان الزبير بن باطا أعلم اليهود ، يقول: إني وجدت سِفراً كان يختمه علي فيه ذكر أحمد، نبي يخرج بأرض القَرَظ، صفته كذا وكذا، فتحدث به الزبير بن باطا بعد أبيه، والذي يومئذٍ ، لم يُبعث فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة حتى عمد الى ذلك السفر فمحاه، وكتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته، وقال: ليس قال محمد بن عمر: وحدثني الضحاك بن عثمان ، عن مَخْرَمَة بن سليمان، عن كريب، عن ابن عباس قال: كانت يهود قُريظة، والنضير، وفدك، وخيبر، يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، قبيل أن يُبعث وأن دار هجرته المدينة. فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار اليهود: وُلد أحمد الليلة، هذا الكوكب قد طلع، فلما تنبأ قالوا: تنبأ أحمد، قد

طلع الكوكب، كانوا يعرفون ذلك ويُقرون به ويصفونه، وما منعهم من اتباعه إلا الحَسَد والبغي .

قال محمد بن عمر: وحدثني ابن أبي ذئب، عن مسلم بن حبيب عن النضر بن سفياق الهذلي، عن أبيه قال: خرجنا في عير لنا إلى الشام، فلما كنا بين الزرقاء ومعان، وقد عرسنا من الليل إذا بفارس يقول : أيها النيام هبوا فليس هذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد، وطُردت الجن كل مُطَرد، ففزعنا ونحن رفقة أجرًارة، كلهم قد سمع هذا ، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش بنبي خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد .

قال محمد بن سعد : وأخبرنا علي بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات، فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال في مجلس من مجالس قريش: هل فيكم من مولود ولد هذه الليلة. قالوا ؟ لا نعلمه، قال: انظروا يا معشر قريش وأحْصُوا ما أقول لكم: ولد الليلة نبيَ هذه الأمة : أحمد، به شامة بين كتفيه فيها شعرات. فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم وذكروا لأهاليهم، فقيل لبعضهم: وُلد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام سماه محمداً فأتوا اليهودي في منزله، فقالوا: أعلمت أنه وُلد فينا مولود ؟ فقال: بعد خبري أم قبله ؟ قالوا: قبله، واسمه أحمد. قال: فاذهبوا بنا إليه فخرجوا معه حتى دخلوا على أمه فأخرجته إليهم، فرأى شامة في ظهره، فغشي على اليهودي، ثم أفاق فقالوا: مالك ؟ قال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، وخرج الكتاب منهم، وهذا مكتوب يقتلهم ويبز أخبارهم، فازت العرب بالنبوَة ، أفرحتم يا معشر قريش ؟ أما والله ليَسطَون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب .

قال: وأخبرنا علي بن محمد بن سلمة بن عثمان، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكهّان أن نبئاً يُبعث من العرب اسمه محمد، فسمَّى من بلغه ذلك من العرب ولده محمداً، طمعاً في النبوة .

أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي قال: أخبرنا القاضي أبو محمد همام بن محمد بن الحسن الأيلي قال: حدثنا أبو عبد الله الحسن بن علي بن مهدي قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن الحسين بن شعبة قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن حسان الأنصاري قال: حدثنا بشر بن حجر الشامي قال: أخبرنا علي بن منصور الأنباري، عن غياث بن عبد الرحمن الرقاشي عن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر بن الخطاب قاعد في المسجد إذ مرً به رجل في مؤخر المسجد فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، أتعرفُ المارَّ ؟ قال: فمن هو؟ قال: سواد بن قارب، وهو رجل من أهل اليمن له فيهم شرف وموضع، وهو الذي أتاه رية بظهور النبي صلى الله عليه وسلم . فقال عمر: علي به. فدعى به، فقال ؟ أنت سواد بن قارب ؟، قال: نعم. قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك. فغضب غضباً شديداً وقال: يا أمير المؤمنين، ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت. فقال عمر: يا سبحان الله، والله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، أخبرني بإشارات أتتك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم. قال: نعم، يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة، بين النائم واليقظان إذ أتاني آتٍ ، فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فافهم، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى اللة عز وجل وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني، يقول:

عجبتُ للجن وتَجْساسها وشدها العيسَ بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى | مَا خير الجن كأرجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم | واسمُ بعينيك إلى راسها

قال: فلم أرفع لقوله رأساً، وقلت: دعني أنام، فإني أمسيت ناعساً، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب قم فافهم، واعقل ان كنت تعقل، قد بعث نبي من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني، يقول:

أعجبت للجن وتطلابها | وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى | ما صادق الجن ككذا بها
فارحل إلى الصفوة من هاشم | ليس قداماها كأذنابها

قال: فلم أرفع بقوله رأساً. فقلت: دعني أنام فإني أمسيت ناعساً، فلما كان الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب، قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بُعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وأخبارها | وشدها العيس بأكراها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى | ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم | بين روابيها واحجارها

قال: فوقع في قلبي حُب الإسلام، ورغبت فيه، فلما أصبحت شددت علي راحلتي وانطلقت متوجهاً إلى مكة، فلمَا كنت ببعض الطريق أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة، فقدمت المدينة ، فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم . فقيل لي: في المسجد، فأتيت إلى المسجد فعقلت ناقتي، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله، فقلت: تسمع مقالتي يا رسول الله. فقال لأبي بكر: أدنه أدنه، فلم يزل بِي حتى صرت بين يديه، فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هات، فأخبرني بإتيانك رئيك. فقلت:

أتاني نجي بعد هدء ورَقْدة | ولم أك فيما قد بلوتُ بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة | أتاك رسولٌ من لؤيَ بن غالب
فشمرتُ عن ذيلي الإزار ووسطت | بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره | وإنك مأمونَ على كل غائب
وأنك أدْنى المرسلين وسيلة | إلى الله يابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مُرسل | وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة | سواك لمغن عن سواد بن قارب

قال: ففرح رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بإسلامي فرحاً شديداً وأصحابه حتى رئي الفرح في وجوههم. قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالتزمه وقال: قد كنت أحب أن أسمع هذا منك .أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدَّثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن قريشاً أتوا كاهنة، فقالوا: أخبرينا بأقربنا شبهاً بصاحب هذا المقام. فقالت : إِن أنتم جررتم كساء على هذه السهلة، ثم مشيتم عليها نبأتكم. فجروا، ثم مشى الناس عليها، فأبصرت أثر محمد صلى الله عليه وسلم فقالت: هذا أقربكم شبهآ به، فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو قريبآ من عشرين سنة أو ما شاء الله، ثم بعث صلى الله عليه وسلم .

باب ذكر الحوادث الكائنة في زمان نبينا

ذكر ما جرى في السنة الأولى من زمان النبوة

قال مؤلف الكتاب : لما تمت له صلى الله عليه وسلم أربعون سنة، ودخل في سنة إحدى وأربعين يوم واحدٌ أوحى الله عز وجل إليه ولد في سنة عشرين من ملك كسرى، أبرويز، وكان قد حبب إليه الخلوة، وكان ينفرد في جبل حراء يتعبد .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا أحمد بن معررف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قَعْنَب قال: حدَثنا سليمان بن بلال، وأخبرنا معن، عن مالك بن أنس جميعآ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك يقول : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة .

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال : أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا محمد بن أحمد البراء قال: بَعَثَ الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله يومئذ أربعون سنة ويوم، فأتاه جبريل عليه السلام ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بحراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن به نزل: " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " فقط.

ثم فحص بعقبه الأرض، فنبع منها ماء فعلمه الوضوء والصلاة. ركعتين.

وروى أبو قتادة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: " ذاك يوم وُلدت فيه، ويوم بعثت فيه " .

قال مؤلف الكتاب : واختلفوا أي الاثنين كان على أربعة أقوال : أحدها: لسبع عشرة خلت ، من رمضان، وقد ذكرناه عن ابن البراء.

وأخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا الحارث قال: أخبرنا ابن سعد قال: أخبرنا الوادي قال: حدَّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي جعفر قال: نزل المَلَك على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان .

والقول الثاني: أن القرآن نزل لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان. رواه قتادة عن أبي الجلد.

والثالث : لثمان عشرة خلت من رمضان. رواه أيوب، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي.

والقول الرابع : أنه كان في رجب.

أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصاري قال: أخبرنا عبد الله بن علي الأبنوسي قال: أخبرنا عبد الملك بن عمر الرزاز قال: أخبرنا أبو

حفص بن شاهين قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله لبزار قال أخبرنا علي بن سعيد الرقي قال: أخبرنا ضمرة بن أبي شوذب، عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال : مَنْ صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة أول يوم هبط فيه.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا أبو علي بن المذهب قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: حدَثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري قال: أخبرني عروة، عن عائشة أنها قالت: أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده بمثلها حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء فجاءه المَلَك فيه فقال: اقرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارىء قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان " حتى بلغ "ما لم يعلم" فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة فقال: "زملوني زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال : أيا خديجة مالي وأخبرها الخبر ، قال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلاَّ أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرَّحم، وتُصدق الحديث، وتَحْمل الكَلَّ، وتَقْري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم،. اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: يا بن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة: هذا الناموس الأكبر الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو مخرِجيَ هم ؟. قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، فإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزَراً. ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفي.
وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنَاَ غَدَا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق ، الجبال فكلما أوْفى بذروة جبل كي، يلقي نفسه منه تبدَى له جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد، إنك لرسول الله حقاً. فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا بمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة تبدى له جبريل فقال مثل، ذلك . أخبرنا عبد الأول بن عيسى قال: أخبرنا أبو المظفر قال: أخبرنا ابن أعين قال: أخبرنا الفربري قال: حدَثنا البخاري قاله: حدَثنا يحيى بن بكر قال: أخبرنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه:، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه رعباً، فرجعت فقلت: زملوني زملوني لم فدثروني فأنزل اللّه عز وجل "يأيها المدثر" . قال مؤلف الكتاب : هذا حديث متفق على صحته، والذي قبله.
وقد روي ابن إسحاق، عن إسماعيل إبن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدَّث عن خديجة انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما يثبته فيما أكرمه الله عزً وجل به من نبوته يا بن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل فقال: يا خديجة، هذا جبريل. قالت: فقم فاجلس على فخني اليسرى فقام فجلس

فقالت: هل تراه ؟ قال: نعم قالت: فتحول إلى فخذي اليمنى فتحول فقالت: هل تراه ؟ قال نعم. قالت: فتحول فاجلس في حجري. فجلس فقالت: هل تراه ؟ قال: نعم، فألقت خمارها وقالت: هل تراه ؟ قال: لا. قالت: يا بن عم اثبت وأبشر، فوالله إنه لَمَلك وما هو بشيطان . أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: أخبرنا حمَّاد بن سلمة قال: حدَثنا علي بن زيد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالحجون وهو مكتئب حزين، فقال: " اللهم أرني

اليوم " آية لا ابالي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا مِنْ قَوْمي " فإذا شجرة من قبل عقبة المدينة فناداها فجاءت تشق الأرض حتى انتهت إليه، فسلمت عليه، ثم أمرها فرجعت فقال: "ما أبالي مَنْ كذَبني بعدها من قومي " .

أخبرنا علي بن عبد العزيز السماك قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الطيب قال: أخبرنا عثمان بن يوسف العلاف: أخبرنا أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد قال: أخبرنا عبد الملك بن محمد قال: حدثني عبيد الله بن محمد وابو ربيعة وداود بن شبيب قالوا: أخبرنا حماد بن زيد، عن علي بن زيد بن رافع، عن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فقال: اللَهم أرني آية لا ابالي مَنْ كذَّبني بَعْدَهَا من قريش، فقيل له: ادع هذه الشجرة فدعاها فأقبلت تجر عروقها تقطعها، ثم أقبلت تجز الأرض حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالت: ما تشاء ؟ ما تريد ؟ قال: ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها، فقَال: والله ما أبالي مَنْ كَذَبني مِن قريش.

فصل قرين رسول الله من الملائكة قال مؤلف الكتاب : وقد اختلف الناس فيمن كان قرين رسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة مدة نبوته. فأخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا يعلى بن أسيد قال: حدَثنا وهيب بن خالد، عن داوود بن أبي هند، عن عامر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنَةَ فكان معه إسرافيل ثلاث سنين . ثم عزل عن إسرافيل وقرن به جبريل عليه السلام عشر سنين بمكة، وعشر سنين مهاجره بالمدينة.

قال ابن سعد: فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم فإن علماءهم وأهل الستر منهم، يقولون: لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه بالوحي إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم .

فأما صفة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم فأخبرنا عبد الأول قال: أخبرنا المظفر قال: أخبرنا ابن أعين قال: أخبرنا الفربري قال: أخبرنا البخاري قال: أخبرنا عبد اللّه بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل النبي صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يَأتيني في مِثْل صَلْصَلَةِ الجَرَس وَهُوَأشدهُ عليَ فيفْصُم عَنّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وأحْياناً يَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ رجلًا فَيُكَلمُني فأعي مَا يَقُولُ".

قالت عائشة : ولقد رأيته يترل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً .قال مؤلفه : أخرجاه في الصحيحين.

وفيهما: من حديث يعلى بن أمية: أنه كان يقول لعمر رضي الله عنه : ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يترل عليه الوحي، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم و بالجعرانة جماءه رجل فسأله عن شيء فجاءه الوحي، فأشارعمر إلى يعلى أن تعال، فجاء يعلَى فأدخل رأسه، فإذا هو محمرّ الوجه يغطّ كذلك ساعة، ثم سُري عنه .

وقد، أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرنا أبو النضر قال: أخبرنا عبد الحميد قال: أخبرنا شهر قال: حدَثني عبد الله بن عباس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مر به عثمان بن مظعون. فتكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : ألا تجلس، قال: بلى قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله، فبينا هو يحدثه إذ شَخَصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، وأخذ ينفض راسه كأنه يستفقه، ما يقول له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شَخَصَ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة ، فاتبعه بصره حتى توارى في السماء ، فاقبل عثمان بجلسته الأولى فقال : يا محمد، فيما كنت أجالسك وآتيك. وما رأيتك تفعل كفعلك الغداة قاله: "وما رأيتني فعلت ؟ " قال: رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيت وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني، فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك. قال: "وفطنت لذلك ؟ " قال عثمان: نعم. قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم :" أتاني رسوِل الله آنفَاَ وأنت جالس قال: رسول الله ؟ قال: نعم قال: فما قال لك ؟ قال: "إِنَ اللّه يأمُر بالعَدْل والإحسان وإيتاء ذِي القًربىَ ويَنْهى عن الفَحْشَاء والُمْنكر والبَغْي يعِظكم لعلكم تذكَرون " .

قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم .أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال أخبرنا باسناده . وقال أبو أرْوَى النوسي: رأيت الوحي يترل على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأنه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها ينفصم، فربما بركت وربما قامت مُؤَتدة يديها، حتى يسرى من ثقل الوحي ، وإنه لينحدر منه مثل الجمان. رواه ابن سعد . قال: وأخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة قال: كان إذا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وُقذ لذلك ساعة كهيئة السكران .

فصل وكان من الحوادث في مبعثه صلى الله عليه وسلم

رمي الشياطين بالشهب

بعد عشرين يوما من المبعث

أخبرنا عبد الأول بإسناده ، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم ؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن. قالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا، " إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا " وأنزل الله على نبيه : "قل أوحي إليَ أنه استمع نفر من الجن ".

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر بإسناد له، عن، محمد بن سعد، بإسناده عن ابن عباس قال: لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم زُجر الجن ورُمُوا بالكواكب، وكانوا قبل ذلك يستمعون، لكل قبيلٍ من الجن مُقْعد يستمعون فيه، فأول من فزع لذلك أهل الطائف، فجعلوا يذبحون لآلهتهم، من كان له إبل وغنم كل يوم، حتى كادت أموالهم تذهب، ثم تناهوا، فقال بعضهم لبعض : ألا ترون معالم السماء كما هي، لم يذهب منها شيء. وقال: إبليس: هذا أمر قد حدث في الأرض ائتوني من كل أرض بتربة. فكان يؤتى بالتربة فيشمها ويلقيها حتى أتي بتربة تهامة فشمها وقال: ها هنا الحدث .

قال محمد بن سعد: وأخبرنا علي بن محمد، عن يحيى بن معين، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال: إن أول العرب فزع لرمي النجوم ثقيف، فأتوا عمرو ابن أمية قالوا ألم تر ما حدث. قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يُهْتَدى بها ويُعْرَف بها أنواء الصيف والشتاء انتثرت، فهو طَي الدنيا، وذهاب هذا الخَلْق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرها فأمرُ أراد اللة بهذا الخلق، ونبي يُبعث في العرب، فقد تحدِّث بذلك. قال: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدَّثني عبد اللّه بن يزيد الهذلي، عن سعيد بن عمرو الهذلي ، عن أبيه قال: حضرت مع رجال من قومي صنم سُوَاع وقد سقنا إليه الذبائح، فكنت أول مَنْ قَرب له بقرة سمينة فذبحتها على الصنم، فسمعنا صوتاً من جوفها: العجب كل العجب خروج نبي بين الأخاشب يحرم الزنا ويحوم الذبائح للأصنام، وحُرست السماء، ورُمينا بالشهُب. فتفرقنا وقدمنا مكة فسألنا، فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لقيفا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فقلنا : يا أبا بكر، أخرج أحد بمكَة يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد؟ فقال: وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر. فقال: نعم هذا رسول الله، ثم دعانا إلى الإسلام فقلنا: حتى ننظر ما يصنع الناس ويا ليت أنا أسلمنا يومئذ، فأسلمنا بعده.

فصل أول من أسلم

واختلف العلماء في أوَّل مَنْ أسلم، فالمشهور: أنه أبو بكر، وقيل: علي، وقيل: خديجة. وقيل: زيد، رضي الله عنهم. وقيل: أول مَنْ أسلم من الرجال: أبو بكر، ومن الصبيان: علي، ومن النساء: خديجة، ومن الموالي: زيد، ثم أسلم بلال، والزبير، وعثمان، وابن عروة، وسعد، وطلحة. أخبرنا ابن الحصين بإسناد له،، عن حية العوفي قال : رأيت علياً عليه السلام ضحك على المنبر لم أره ضحك ضحكاً قط أكثر منه، حتى بدت نواجذه ، ثم قال: ذكرت قول أبي طالب ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نصلي ببطن نخلة، فقال: ماذا تصنعان بابن أخي ؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال: ما بالذي تصنعان من باس أو ما بالذي تقولان بأس ولكني لا والله لا تعلوني اسيّ أبداً، وضحك تعجباً بقول أبيه، ثم قال: لا أعرف أن عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ثلاث مرات لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعاً.

وقال أحمد: حدَثنا يعقوب، حدَثنا أبي، عن ابن. اسحاق، وحدثنا يحيى بن أبي الأشعث، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي، عن أبيه، عن جده قال: كنت امرءاً تاجرأ فقدمت الحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرأ تاجراً، قال: فو الله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباءٍ قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رأها قام يصلي ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي.

ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام بعد يصلي، قال: فقلت للعباس: يا عباس، ما هذا ؟ قال: هذا محمد بن عبد الله

بن عبد المطلب ابن أخي قال: قلت: مَنْ هذه المرأة ؟ قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد ،. فقلت: مَنْ هذا الفتى ، قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه. قلت: فما الذى يصنع. قال يصلي، وهو يزعم أنه نبي، و لم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه يفتح عليه كنوز كسرى أو قيصر. قال: فكان عفيف وهو ابن عم للأشعث بن قيس يقول: وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه لوكان الله رزقني الإسلام، يومئذ فأكون ثانياً مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فصل

وكان من الحوادث عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تغير أحوال كسرى المسمى أبرويز

وكانت دجلة تجري قديماً في أرض كوجى في مسالك محفوظة إلى أن تصب في بحر فارس، ثم غوِّرت وجرت صَوْب واسط فأنفق الأكاسرة على سدها وإعادها إلى مجراها القديم، فغرم على ذلك أموالأ كثيرة، و لم يثبت السد. فلمَا ولي قباذ بن فيروز انبثق في أسافل كسكر بثق عظيم، وغلب الماء فأغرق عمارات كثيرة، فلما ولي أنو شروان بنى مُسَنَّيات ، فعاد بعض تلك العمارة، وبقيت على ذلك إلى ملك أبرويز بن هُرْمز بن أنو شروان، وكان من أشد القوم بطشاً، وتهيأ له ما لم يتهيأ لغيره، فسكر دجلة العوراء، وأنفق عليها ما لا يُحصى، وبنى طاق مجلسه، وكان يعلق فيه تاجه ويجلس والتاج فوق رأسه معلق من غير أن يكون له على رأسه ثقل .

قال وهب بن منبه: وكان عنده ثلثمائة وستون رجلًا من الحزاة وهم العلماء من بين كاهن وساحر ومنجم، وكان فيهم رجل من العرب يقال له: السائب يعتاف اعتياف العرب قلما يخطىء، بعث به إليه باذان من اليمن فكان كسرى إذا حزبه أمر جمع كُهَّانه وسحرته ومنجميه فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو. فلما أن بعَث الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فًي أصبح كسرى ذات غداة قد انفصمت طاق من وسطها وانخرقت على دجلة العوراء شاه بشكست يقول: الملك انكسر. ثم دعا كهانه وسحرته ومنجميه ودعا السائب معهم، فأخبرهم بذلك، وقال: انظروا في هذا الأمر فنظروا، فأظلمت عليهم الأرض فتسكعوا في عملهم، فلم يمض لساحرٍ سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا لمنجم علم نجومه.

وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرفق برقاً نشأ من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه، فإذا روضة خضراء. فقال فيما يعتاف: لئن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخْصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله.

فلما اجتمع الحزاة قال بعضهم لبعض: والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمرٍ جاء من السماء وإنه لنبي قد بُعث، أوهو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره، وإن نعيتم إلى كسرى ملكه ليقتلنكم، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه فجاءوا كسرى فقالوا له: قد نظرنا هذا الأمر فوجدنا حسابك الذين وضعت على حِسابهم طاق ملكك وسكرت دجلة العوراء، ووضعوه على النحوس وإنا سنحسُب لك حساباً، تضع بنيانك فلا يزول، قال: فاحسبوا. فحسبوا له ثم قالوا: ابنه، فبناه. فعمل في دجلة ثمانية أشهر، وانفق فيها من

الأموال ما لا يدرى ما هو، حتى إذا فرغ قال لهم:، أجلس على سورها،. قالوا: نعم فأمر بالبسط والفرش والرياحين. فوضعت عليها وأمر بالمرازبة فجمعوا له، وجمع اللعّابون وخرج حتى جلس عليها، فبينا هو هنالك انشقت دجلة وانهار البنيان من تحته، فلم يستخرج إلا بآخر رمق، فلما أخرج قتل من الحزاة قريباً من مائة، وقال تلعبون بي ؟ قالوا: أيها الملك، أخطأنا كما أخطأ مَنْ كان قبلنا ولكنا سنحسب لك حساباً حتى تضعها على الوفاق من السعود.

قال: انظروا ما تقولون. قالوا: فإنا نفعل، فحسبوا له، ثم قالوا له : ابنه فبنى وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو ثمانية أشهر، ثم قال: أفأخرج فأقعد ؟ قالوا: نعم. فركب برذوناً له وخرج يسير عليها إذ انشقت دجلة بالبنيان ، فلم يدرك إلا بآخر رمقٍ، فدعاهم فقال ؟ والله لأمرنَ على آخركم، ولأترعن أكتافكم، ولأطرحنّكم تحت أيديَ الفيلة أو لتَصْدُقني ما هذا الأمر الذي تلفقون به علي؟.

قالوا : لا نكذبك، أيها الملك أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة وانفصمت طاق مجلسك أن ننظر في عملنا فنظرنا، فأظلمت علينا الأرض وأخذ علينا بأقطار السماء ، فلم يستقم منا لعالم علمه، فعلمنا أن هذا لأمرٍ حدث من السماء، وأنه قد بُعث نبي وهو مبعوث، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا، فخشينا إن نَعَيْنَا إليك مُلْكك أن تقتلنا، فعللناك عن أنفسنا بما رأيت، فتركهم ولهى عنهم وعن دجلة حتى غلبته . أنبأنا بهذا الحديث: أبو البركات عبد الوهاب الأنماطي بإسناد له عن أبي بكر بن أبي الدنيا. حدَثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدَّثنا إبراهيم بن سعد قال: قال: ابن إسحاق: كان من حديث كسرى قبل أن يأتيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلمِ فيما بلغني أنه كان سَكَر دجلة العوراء ، فألقى فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو وذكر الحديث بعينه .

وقال ابن اسحاق: وحدَّثني من لا أتّهم، عن الحسن البصري: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كسرى فيك ؟ قال: بعث اللة عز وجل إليه ملكاً فأخرج يده من سور جدار بيته الذي هو فيه تلألأ نوراً ، فلما رآها فزع فقال: لم ترع يا كسرى، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك. قال: سأنظر .روى ابن اسحاق، عن عبد اللة بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: بعَث الله عز وجل إلى كسرى وهو في بيت من بعض، بيوت إيوانه الن!ي لا يدخل عليه فيه، فلم يرعه إلا به قائماً على رأسه في يده عصا بالهاجرة في ساعته التي كان يقيل فيها، فقال: يا كسرى، أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال: بَهَلَ َ بَهَل.

فانصرف عنه فدعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، وقال : مَنْ أدخل هذا الرجل عليَ. قالوا: ما دخل عليك أحد ولا رأيناه. حتى إذا كان العام القابل أتاه في الساعة التي أتاه فيها، فقال له كما قال له، ثم قال له: أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال: بَهَل بَهَل ، فخرج عنه فدعا كسرى حجابه وبوابيه، فتغيظ عليهم، وقال لهم كما قال لهم في النوبة الأولى . فقالوا: ما رأينا أحداً دخل عليك. حتى إذا كان في العام الثالث أتاه في الساعة التي جاءه فيها، وقال له كما قال، ثم قال: أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بَهَل بَهَل. فكسر العصا، ثم خرج، فلم يكن إلا تهور ملكه، وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه .

قال الزهري: حدثت عمر بن عبد العزيز بهذا الحديث بهذا الإسناد، عن أبي سلمة فقال: ذكرى لي أن الملك إنما دخل عليه بقارورتين في يده، ثم قال : أسلم، فلم يفعل، فضرب أحدهما على الأخرى فرضّهما، ثم خرج فكان من هلاكه ما كان . أنبأنا عبد الوهاب بإسناد له عن ابن أبي الدنيا قال: حدَّثني أبو صالح المروزي قال: سمعت حاتم بن عطاء قال: سمعت خالد بن ويدة وكان

رأساً في المجوسية فأسلم قال: كان كسرى إذا ركب ركب أمامه رجلان، فيقَولان له ساعةً بساعة : أنت عبد ولستَ برب فيشير برأسه: أي نعم، قال: فركب يوماً فقالا له ذلك، فلم يشر برأسه، فشكيا ذلك إلى صاحب شرطته فركب صاحب ، شرطته ليعاتبه، وكان كسرى قد نام، فلما وقع صوت حافر الدواب في سمعه استيقظ ، فدخل عليه صاحب شرطته فقال: أيقظتموني و لم تدعوني أنام، إني رأيت أنه رقي بي فوق سبع سموات فوقفت بين يدي الله تعالى ، وإذا رجل بين يديه عليه إزار ورداء ، فقال لي: سلم مفاتيح خزائن أرضي إلى هذا ، ألست المأمور كذا ؟ فلم يغير فإلى إن أردت أن أقول استردها منه فايقظتموني. قال: وصاحب الإزار والرداء، يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الحوادث في السنة الرابعة من النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر النبوة ويدعو إلى الإسلام سراً، وكان أبو بكر رضي الله عنه، يدعو أيضاً مَنْ يثق به من قومه ممن يغشاه، ويجلس إليه، فلما مضت من النبوة ثلاث سنين نزل قوله عز وجل: "فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين"، فأظهر الدعوة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر بإسناده إلى محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدَّثنا حارثة بن أبي عمران، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه قال: أمر رسول الله صلى عليه وسلم أن يصدع بما جاءه من عند الله، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعوهمِ إلى الله سبحانه وتعالى، وكان يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً، إلى أن أمر بظهور الدعاء.

قال محمد بن عمر: وحدثني معمر، عن الزهري، قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سراً وجهراً، فاستجاب لله من شاء من أحداثِ الرجال وضعفاء الناس، حتى كثر مَنْ آمن به، وكفار قريش غير مكترثين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يقولون: إن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء. فكان كذلك حتى عاب آلهتهم التي يعبدونها دون اللّه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فَشَنِفوا لرسول الله عند ذلك وعادَوْه.

قال محمد بن عمر: وحدثني ابن موهب عن يعقوب بن عتبة قال: لما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام ومَنْ معه فشي أمرهم بمكة، ودعا بعضهم بعضاً وكان أبو بكر يدعو ناحية سرّاً، وكان سعيد بن زيد، مثل ذلك، وكان عثمان مثل ذلك، وكان عمر بن الخطاب يدعو علانية، وحمزة بن عبد المطلب وأبو عبيدة بن الجراح، فغضبت قريش، وظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحسدُ والبغي.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت بين شر جَارَيْنِ: بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي، فيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: "يا بني عبد مناف، أي جوار هذا!".

ثم يلقيه بالطريق. أو كما قالت.

أخبرنا عبد الحق بإسناد له، عن طارق بن عبد الله المحاربي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين: "مرةً بسوق في المجاز وأنا في بياعة لي، فمر وعليه حلة حمراء، وهو ينادي بأعلى صوته: "يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا" ورَجُل يتبعه

بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه، فإنه كذاب. قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: غلام بني عبد المطلب. قلت: فمن هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى وهو أبو لهب فلما ظهر الإسلام، وقدم المدينة أقبلنا في ركب من الربذة حتى نزلنا قريباً من المدينة، ومعنا ظعينة لنا قال: فبينا نحن قعودُ إذ أتانا رجل عليه ثوبان أبيضان فسلم. فرددنا عليه، فقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة. قال: ومعنا جمل أحمر. قال: تبيعوني جملكم؟ قلنا: نعم. قال: بكم. قلنا: بكذا وكذا صاعاً من تمر. قال: فما استوضعنا شيئاً، وقال: قد أخذته، ثم أخذ برأس الجمل حتى دخل المدينة فتوارى عنا قليلاً فتلاومنا بيننا فقلنا: أعطيتم جملكم مَنْ لا تعرفونه، فقالت الظعينة: لا تتلاوموا، فقد رأيت وجه رجل ما كان ليحقركم، ما رأيت وجه رجل أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، فلما كان العشاء أتانا رجل فقال: السلام عليكم، أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم، فإنه أمركم أن تأكلوا من هذا حتى تشبعوا وتكتالوا حتى تستوفوا. قال: فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا، فلما كان من الغد دخلنا المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: "يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول ابنك وأباك وأختك وأخاك وأدناك وأدناك".

وروى سعي بن جبير، عن ابن عباس قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا فقال: "يا صباحاه" فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ قال: أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ألا تصدقوني؟ قالوا: بلى. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد: قال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ فأنزل الله تعالى "تبت يدا أبي لهب وتب" إلى آخر السورة.

وروى ابن عباس، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: لما أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم "وانذر عشيرتك الأقربين" دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: "يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت حتى أتاني جبريل فقال: يا محمد، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك الله فاصنع لهم صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرتُ به. ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت له، فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: "خذوا باسم الله" فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده، إن كان الرجل منهم، ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: "إسق القوم" فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم، بدره أبو لهب الكلام، فقال: سحركم صاحبكم – فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت، ثم أجمعهم لي". ففعلت وجمعتهم فأكلوا وشربوا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي" فأحجم القوم، فقلت وأنا أحدثهم سناً: أنا يا نبي الله. فقام القوم يضحكون.

وذكر ابن جرير: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب واستخفوا من قومهم، فبينا سعد

بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فذاكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فاقتتلوا فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحْي جمل فشجه فكان أول دم أهريق في الإسلام.

قال ابن اسحاق: ولما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام لم يردوا عليه كل الرد، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك نادوه واجتمعوا على خلافه، ومنعه عمه أبو طالب فمضى إلى أبي طالب رجال من أشرافهم: كعتبة، وشيبة، وأبي جهل، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم سرى الأمر بينه وبينهم، حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، فأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها، وحض بعضهم بعضاً عليه، ثم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: يا أبا طالب، إن لك نسباً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا وسفه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى نكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ولا خذلانه، إلا أنه قال له: يا بن أخي، إن قومك جاؤني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله ومسلمة، وأنه قد ضعف عن نصرته، فقال: "والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام، فلمَّا ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي. فاقبل فقال: اذهب فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء، أبداً.

وقال السدي: بعثوا رجلاً إلى أبي طالب فقال له: هؤلاء مشيخة قومك يستأذنون عليك. فقال: أدخلهم. فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، ومُره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه. فبعث إليه أبو طالب، فلما جاء قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم، وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك فقال: "يا عم، أو لا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها"؟ قال: وإلى ما تدعوهم؟ قال: "أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم" فقال أبو جهل: ما هي وأبيك لنعطيكهما وعشر أمثالها؟ قال: "يقولون لا إله إلا الله" قال: فتفرقوا وقالوا سلنا غير هذه فقال: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي، ما أسألكم غيرها" فغضبوا وقاموا من عنده، وقالوا: لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا. ونزل قوله تعالى "وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم".

قال ابن إسحاق: فلما عرفت قريش أن أبا طالب لا يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أبهى فتى في قريش وأجمله، فخذه فاتخذه ولداً، وسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفَه أحلامهم، فنقتله فإنما رجل كرجل فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبداً. فقال مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً. فقال أبو طالب لمطعم: والله ما أنصفوني

ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك. قال: فجنت الحرب حينئذ وتنابذ القوم ووثب كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم لعمه أبي طالب، وقام أبو طالب في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه فأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا ما كان من أبي لهب، فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جدهم وحدهم عليه جعل يذكر فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه فيهم ليسدد لهم رأيهم.

ومن الحوادث العجيبة أن أكثم بن صيفي الحكيم لما سمع بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يأتيه فمنعه قومه.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد بإسناده عن علي بن عبد الملك بن عمير، عن أبيه قال:

بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يَدَعوهْ، وقالوا: أنت كبيرنا لم يكن لتخف إِليه. قال: فليأت مَنْ يبلغه عني ويبلغني عنه، فانتدب رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك مَنْ أنت، وما أنت، وبماذا أجبت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم هذه الآية: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"، قالا: وفد علينا هذا القول، فردده عليهم حتى حفظوه قال: فلما أتيا أكثم قالا: قد سألناه عن نسبه فوجدناه واسط النسب في مضر وقد رمى إلينا كلمات حفظناهن فلما سمعهن أكثم قال: يا قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا أذناباً، وكونوا فيه أولاً ولا تكونوا فيه أخراً، و لم يلبث أن حضرته الوفاة، فأوصى فقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإنها لا يبلى عليها أصل، ولا يهيض عليها فرع، وإياكم ونكاح الحمقى، واعلموا أن سوء جهل الغني يورث سرحاً، وأن سوء جهل الفقير يضع الشرف، وأن العدم عدم العقل لا عدم المال، واعلموا أنه لن يهلك امرؤ عرف قدره، واعلموا أن مقتل الرجل بين لحييه، وأن قول الحق لم يترك لي صديقاً.

وذكر أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: أن أكثم بن صيفي سمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه مع ابنه حبيش: باسمك اللهم، من العبد إلى العبد، أما بعد: فبلغنا ما بلغك الله، فقد بلغنا عنك خير، فإن كنت أريت فأرنا، وإن كنت علمت فعلمنا وأشركنا في خيرك والسلام.

فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم: "من محمد رسول الله إلى أكثم بن صيفي، أحمد الله إليك، إن الله أمرني أن أقول لا إله إلا الله وليقر بها الناس، والخلق خلق الله، والأمر كله لله، وهو خلقهم وأماتهم، وهو ينشرهم وإليه المصير. بادابه المرسلين ولتسلن عن النبأ العظيم، ولتعلمن نبأه بعد حين".

فقال لابنه: ما رأيت منه، قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها. فجمع أكثم بني تميم، وقال: لا تحقرن سفيهاً، فإن مَنْ يسمع يخل، وإن مَنْ يخل ينظر وإن السفيه واهي الرأي وإن كان قوي البدن، ولا خير فيمن عجز رأيه ونقص عقله. فلما اجتمعوا دعاهم إلى إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام مالك بن عروة اليربوعي مع نفر من بني يربوع فقال: خرف شيخكم، إنه ليدعوكم إلى الغبار، ويعرضكم للبلاء، وأن تجيبوه تفرق جماعتكم وتظهر أضغاثكم، ويذلل عزكم، مهلا مهلًا. فقال أكثم بن صيفي: ويل للشجي من الخلي، يا لهف نفسي على أمر لم أدركه و لم يَفُتْني ما آسَى عليك بل على العامة، يا مالك إن الحق إذا قام دفع باطل وصرع صرعى قياماً، فتبعه مائة من عمرو وحنظلة، وخرج إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان في بعض

الطريق، عمد حبيش إلى رواحلهم فنحرها وشق ما كان معهم من مزادة وهرب، فأجهد أكثم العطش فمات، وأوصى مَنْ معه بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأشهدهم أنه أسلم. فأنزل فيه: "ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى اللّه ورسوله ثم يدركه الموت، فقد وقع أجره على اللّه".

فهاتان الروايتان تدلان على أن أكثم بن صيفي أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روينا أنه مات قبل ذلك.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: كان أكثم بن صيفي من كبار الحكماء، وعاش مائتي سنة، وله كلام مستحسن.

فمنه: من عتب على الدهر طالت معتبته، ومن رضي بالقسم طابت معيشته، والدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك، والحسد داء ليس له شفاء، من يصحب الزمان يرى الهوان، ولم يفت من لم يمت، وكل ما هو آت قريب ومن أمنه يؤتى الحذر، دخل الطريق لمن لا يضيق لوسع يجدأ ودع البر ينحو عليه العدو" كفوا ألسنتكم، فإن مقتل الرجل بين فكيه، وفي طلب المعالي تكون العزة، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه، ولم يهلك من مالك ما وعظك، لا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير، وألزموا النساء المهنة، وأكرموا الخيل، ونعم لهو الحرة المغزل، وحيلة من لا حيلة له الصبر، المكثار حاطب ليل، أشد الناس مؤونة أشرافهم، ومن التواني والعجز أنتجت الهلكة، وأحوج الناس إلى الغنى من لم يصلحه إلا الغناء، وحب المدح رأس الضياع، ورضى الناس لا يدرك، فتحر الخير بجهدك، ولا تكره سخط من رضاه الجور، معالجة العفاف مشقة، فنعوذ بالصبر وآخر الغضب، فإن القدرة من ورائك غي، الصمت خير من عي المنطق، خير القرناء المرأة الصالحة، ليس للمختال في حسن الثناء نصيب، ولا تمام لشيء من العجب، ومن أتى المكروه إلى أحد فبنفسه بدأ، وأقل الناس راحة الحسود، يا بني سودوا أعقلكم، فإن أمر مسير القوم إذا لم يك عاقلا كان آفة لمن دونه، والتفاضل من فعل الكرام، والصدق في بعض المواطن عجز، والمن يذهب للصنيعة، ومَنْ سلك الجدد أمن العثار، ومَنْ شدد تفر، ولقاء الأحبة مسلاة للهم، ومَنْ ظلم يتيماً ظلم أولاده، من سل سيف البغي أغمد في رأسه.

وممن توفي في هذه السنة ورقة بن نوفل بن عبد العزي بن قصي كان قد كره عبادة الأوثان، فطلب الدين في الآفاق وفي الكتب، وكانت خديجة تسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لها: ما أراه إلا نبي هذه الأمة الذي بَشَر به موسى وعيسى. نبأنا الحسين بن محمد البارع بإسناد له عن ابن شهاب عن عروة قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فيما بلغنا، فقال: "لقد رأيته في المنام عليه ثياب بيض، وقد أظن أنه لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض".

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله، عن الضحاك، عن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال عروة: كان بلال لجازية من بني جمح بن عمر، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء ليشرك بالله، فيقول: أحد أحد، فيمر عليه ورقة وهو على ذلك فيقول: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لاتخذنه حناناً يعني لأتسمَحنَ به.

قال: وقال ورقة في ذلك شعراً وهو:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركُمُ أحد

لا تعبدن إلهاً غير خالقكم	فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحانا نعود له	رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحاناً نعود له	وقبل سبحه الجودي والحمد
مسخرٌ كلّ ما تحت السماء له	لا ينبغي أن يساوي ملكه أحد
لاشيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب	لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ذكر الحوادث التي كانت سنة خمس من النبوة

من ذلك: الهجرة إلى أرض الحبشة لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة لم تنكر عليه قريش، فلما سب آلهتها أنكروا عليه، وبالغوا في إيذاء المسلمين فأمرهم رسول الله بالخروج إلى أرض الحبشة، فخرج قوم وستر القوم الباقون إسلامهم، فكانت أرض الحبشة متجر قريش، فخرج في الهجرة الأولى أحد عشر رجلاً وأربع نسوة سِراً، فصادف وصولهم إلى البحر سفينتين للتجارة فحملوهم فيهما إلى أرض الحبشة، وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة من حين تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرجت قريش في آثارهم فقاتلوهم، وهذه تسميتهم:

عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأبو حذيفة بن عتبة، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، والزبير بن العوام. ومصعب بن عمير. وعبد الرحمن بن عوف. وأبو سلمة بن عبد الأسد، ومعه امرأته سلمة بنت أبي أمية. وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، ومعه امرأته ليلى بنت أبي حيثمة. وأبو سَبرة بن أبي رهم. وحاطب بن عمرو بن عبد شمس. وسهيل بن بيضاء. وعبد الله بن بيضاء. وعبد الله بن مسعود.

فأقاموا عند النجاشي آمنين، فلما نزلت سورة النجم، وسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد معه المشركون، فبلغ ذلك أهل الحبشة فقالوا: إذا كانوا قد آمنوا فلنرجع إلى عشائرنا. وكانوا قد خرجوا في رجب، فأقاموا شعبان ورمضان، وقدموا في شوال فلقيهم ركب فسألوهم، فقالوا: ذكر محمد آلهتهم فتابعوه، ثم عاد عن ذكرها فعادوا له بالشر، فلم يدخل أحد منهم مكة إلا عبد الله بن مسعود فإنه مكث قليلاً ثم رجع إلى أرض الحبشة فسطت بهم عشائرهم وآذوهم، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج مرة أخرى إلى أرض الحبشة، فخرج خلق كثير وهذه تسميتهم: أسماؤهم على حروف المعجم: الأسود بن نوفل. أسماء بنت عميس. بركة بن يسار. تميم بن الحارث، ويقال: بن نمير، وانفرد ابن إسحاق فقال: بشر. جابر بن سفيان بن معمر. جعفر بن أبي طالب، جنادة بن سفيان. جهم بن قيس. الحارث بن حاطب. الحارث بن خالد التميمي. الحارث بن عبد قيس بن عامر. حاطب بن الحارث، ومات بالحبشة. حاطب بن عمرو. الحجاج بن الحارث السهمي. حرملة بنت عبد الأسود. حطاب بن

الحارث، ومات بالحبشة. حسنة أم شرحبيل. خالد بن سفيان الجمحي. خالد بن سعيد بن العاص. خالد بن حرام بن خويلد. خزيمة بن جهم. خنيس بن جذامة. ربيعة بن هلال. رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. رملة بنت أبي عوف. ريطة بنت الحارث. الزبير بن العوام. السائب بن الحارث. السائب بن عثمان بن مظعون. سعيد بن خولة. سعيد بن الحارث بن قيس. سعيد بن عبد قيس الفهري. سعيد بن عمرو التميمي، ويقال: اسمه معيد. سفيان بن معمر الجمحي. السكران بن عمرو. سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي. سليط بن عمرو العامري. سويبط العبدري. سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. سهل بن بيضاء. سهلة بنت سهيل. شرحبيل بن حسنة. شماس بن عثمان. طليب بن أزهر. طليب بن عمير. عامر بن ربيعة. عامر بن أبي وقاص. عامر بن عبد الله. أبو عبيدة بن الجراح. عبد الله بن جحش. عبد الله بن الحارث بن قيس. عبد الله بن حذافة السهمي. عبد الله بن سفيان. عبد الله بن سهيل بن عمرو. عبد الله بن شهاب. عبد الله بن عبد الأسد. أبو سلمة عبد الله بن قيس بن موسى. عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى. عبد الله بن مسعود. عبد الرحمن بن عوف. عبد الله بن مظعون. عتبة بن غزوان. عبيد بن مسعود. عثمان بن عفان. عثمان بن مظعون. عثمان بن ربيعة بن وهبان. عثمان بن عبد غنم الفهري. عدي بن نضلة. عروة بن أبي أثابة. عمار بن ياسر. عمر بن رباب. عمرو بن أمية بن الحارث. عمرو بن جهم. عمرو بن الحارث بن زهير. عمرو بن سعيد بن العاص. عمرو بن عثمان بن كعب التيمي. عمرو بن أبي سرح، وقيل: اسمه معمر. عمير بن رباب السهمي. عميرة بنت السعدي. عياض بن زهير. عياش بن أبي ربيعة. فاطمة بنت صفوان بن أمية. فاطمة بنت المجلل. وقيل: المحلل. فراس بن النضر بن الحارث. فكيهة بنت يسار. قدامة بن مظعون. قيس بن حذافة السهمي. قيس بن عبد الله. من بني أسد بن خزيمة. ليلى بنت أبي خيثمة. مالك بن ربيعة. محمد بن حاطب. محمُية بنت جزء السهمي. مصعب بن عمير. المطلب بن أزهر. معبد بن الحارث السهمي، ويقال: ابن معمر. معتب بن عوف. معمر بن عبد الله بن نضلة. ومعيقيب بن أبي فاطمة. المقداد بن الأسود. نبيه بن عثمان بن ربيعة. هاشم أبي حذيفة المخزومي. هبار بن سفيان. هشام بن أبي العاص بن وائل، هاشم عتبة بن ربيعة. هُمينة بنت خلف، ويقال: أمينة. هند بنت أبي أمية. يزيد بن زمعة الأسود. أبو الروم بن عمير. أبو سبرة بن أبي رهم. أبو قليهة. أبو قيس بن الحارث. كلثوم بنت سهيل بن عمرو. فهؤلاء جملة الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى والآخرة على خلاف في بعضهم.

ذكر من وُلد بالحبشة للمسلمين

عبد الله، وعوف، ومحمد: أولاد جعفر بن أبي طالب. سعيد وأمه: ابنا خالد سعيد بن العاص. عبد الله بن المطلب، محمد بن أبي جعفر، محمد بن حاطب زينب بنت أبي سلمة، موسى، وعائشة، وزينب: أولاد الحارث بن خالد.

قال محمد بن إسحاق: كان جميع مَنْ لحق بأرض الحبشة من المسلمين سواء أبناؤهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها نيفاً وثمانين رجلاً إن كان عمار منهم وابن إسحاق يشك في عمار. وذكر الواقدي أنهم كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً، النساء إحدى عشرة قرشية، وسبع غرائب، فلما سمعوا بمهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً، وثمان نسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس منهم سبعة، وشهد بدراً منهم أربعة وعشرون رجلاً.

فصل

قال مؤلف الكتاب : ولما خرج المسلمون إلى الحبشة ومنع الله تعالى نبيه عليه السلام بعمه أبي طالب، ورأت قريش أن لا سبيل لهم عليه رموه بالسحر والكهانة والجنون، وقالوا: شاعر، ثم بالغوا في أذاه.

فما فعلوه: ما روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حضرت قريشاً وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صرنا إليه من هذا الرجل، قد سفه أحلامنا، وشتم آباءنا وعاب آلهتنا وقيل: ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى أستلم الركن، ثم مر طائفاً بالبيت، فلما مر غمزوه ببعض القول، قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله، ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف فقال: "ألا تسمعون يا معاشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذَّبْح".

قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما بينهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، وحتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليلقاه بأحسن ما كان يجد من القول حتى أنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فو الله ما كنت جهولاً.

فانصرف رسول الله حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر، وأنا معهم.

فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان، يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم أنا الذي أقول ذلك" فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ مجمع ردائه، وقام أبو بكر دونه وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم انصرفوا عنه.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر بن أبي خيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: هؤلاء الملأ من قريش من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو رأوك قاموا إليك يقتلونك، فليس معهم رجل إلا قد عرف نصيبه من بدنك. فقال: "يا بنية أرني وضوءاً" فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هو هذا، هو هذا. فخفضوا أبصارهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم، و لم يقم منهم رجل فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها. وقال: "شاهت الوجوه" فما أصاب رجل منهم حصاة إلا قتل يوم بدرٍ كافراً".

قال أحمد: وحدثنا علي بن عبد الله هو ابن المديني قال: أخبرنا الوليد بن مسلم قال: حدثني الأوزاعي قال: حدثني يحيى بن أبي كثير قال: حدثني محمد بن إبراهيم التيمي قال: حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول صلى الله عليه وسلم. قال: بينا رسول الله بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى به في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربي اللّه، وقد جاءكم بالبينات من ربكم".

قال أحمد: وحدثنا وهب بن جرير قال: أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسلا جزورٍ قريب منهم فقالوا: مَنْ يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره؟ فقال عقبة بن أبي معيط: أنا. فأخذه فألقاه على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم عليك بالملأِ من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة. اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك بأبي بن خلف" أو أمية بن خلف .

فقال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي أو أمية فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع. أخرجه البخاري ومسلم.

وانفرد بالذي قبله البخاري رحمه الله.

فصل

قال مؤلف الكتاب : فلما كثرت أنواع الأذى التي لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين استتر في دار الأرقم بن أبي الأرقم وهي التي تسمى الآن دار الخيزران.

فصل

قال مؤلف الكتاب : فلما استقر قرار المهاجرين إلى الحبشة اجتهد المشركون في كيدهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي بهدايا ليسلمهم إليهم.

أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن علي قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرني يعقوب قال: حدّثنا أبي عن ابن إسحاق قال: حدثني ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة قالت:

لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى، فلما بلغ ذلك قريشَاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا له هداياهما يستطرف من متاع مكة وأمروهم أمرهم وكان أعجب ما يأتيهم منها الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً، و لم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وأمروهم أمرهم ، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، فخرجا فقدما على النجاشي فدفعا إلى كل بطريق هديته وقالا لهم: إنه قد صبأ إلى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردوهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه تسليمهم إلينا ولا نكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيباً. فقالوا: نعم. ثم قربا هداياهم إلى النجاشي، فقبلها منهم تكلما، فقالا له: إنه قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لنردهم إليهم، فهم أعلى بهم وأعلم بما عابوا عليهم. فقال بطارقته: صدقوا فأسلمهم إليهما. فغضب النجاشي وقال: لا وأيم الله، إذن لا أسلمهم

إليهما ولا أكاد قوماً جاوريي ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني. ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم، فلما أن جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ فقالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه وقد دعى النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم، فقال: ما هذا الدين الذيِ فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا في ديني ولا في دين اخر من هذه الأمم؟ قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب. فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، وكنا على ذلك حتى بعَثَ الله تعالى إلينا رسولاً منا نعرف صدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن: الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا: أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاءنا به فعبدنا الله عز وجل وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن يستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال لهم النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله عز وجل؟ فقال له جعفر: نعم: قال: فاقرأه عليَ فقرأ عليه صدراً من "كهيعص"، فبكى النجاشي حتى خضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى، ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فو الله لا أسلمكم إليهما أبداً. قالت: فلما خرجنا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده بما أستأصل به خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً. قال: فو الله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فاسألهم عمَّا يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم، فسألهم عنه؟ قالت: و لم يزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟

قالوا: نقول والله فيه ما قال الله عز وجل، وما جاء به نبينا، كائن في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم. قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم: "هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول" قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود. ثم قال: إذهبوا فأنتم سيوم بأرضي والسيوم الآمنون من سلمِ عزم، من سلم عزم، من سلم عزم، ما أحب أن أدير ذهباً وإني أذيت منكم رجلاً. والدير بلسان الحبشة: الحبل، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين، مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار وخير جار.

قالت: فو الله إنا على ذلك فأنزل به من ينازعه في ملكه.

قالت: فو الله ما علمنا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك الملك على النجاشي فلا يعرف من حقنا ما

كان يعرفه.

قال: فسار النجاشي وبينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير: أنا قالت: وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله عز وجل للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده، فاستوثق له أمر الحبشة. فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة.

فصل وفي هذه السنة توفيت سمية بنت خياط

مولاة حذيفة بن المغيرة، وهي أم عمار بن ياسر، أسلمت بمكة قديماً، وكانت ممن يعذب في الله عز وجل لترجع عن دينها فلم تفعل، فمر بها أبو جهل فطعنها في قلبها فماتت وكانت عجوزاً كبيرة، فهي أول شهيدة في الإسلام. ومن الحوادث في سنة ست من النبوة فمن ذلك: إسلام حمزة وعمر: وقيل إن ذلك في سنة خمس.

وأما سبب إسلام حمزة: فروى ابن إسحاق: أن أبا جهل مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الصفا، فأذأه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مولاة لعبد اللّه بن جدعان في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة، فلما مر بالمولاة قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفاً من أبي الحكم بن هشام وجده ها هنا جالساً فسبه وأذاه وبلغ منه، فلم يكلمه محمد، فاحتمل حمزة الغضب، فخرج سريعاً، فدخل المسجد، فرأى أبا جهل جالساً في القوم فضربه بالقوس ضربة شجه بها شجة منكرة وقال له: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فرد ذلك علي إن استطعت. وتم حمزة على إسلامه، فعرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز، وأن عمه حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون وأما سبب إسلام عمر: ففيه ثلاثة أقوال، سنذكرها في باب خلافة عمر رضي اللّه ومن الحوادث في سنة سبع من النبوة

وقعة بعاث: وكانت بين الأوس والخزرج.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي البزاز قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الهثيم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن قال: قال زيد بن ثابت: كانت وقعة بعاث ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، قد تنبأ، ودعا إلى الإسلام، ثم هاجر بعدها بست سنين إلى المدينة، وكان حضير أبو أسيد بن حضير رئيس الأوس يوم بعاث، وقد قيل إنها كانت، قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا أبو علي بن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرنا أبي، عن إسحاق قال: حدثني حسين بن عبد الرحمن عن محمود بن لبيد قال: لما قدم أبو الجليس أنس بن نافع ومعه فتية من بني عبد الأشهل منهم: إياس معاذ يلتمس الحلف من قريش على قومهم من الخزرج،

فسمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: "هل لكم إلى خير مما جئتم له"؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: "أنا رسول الله، بعثني الله إلى العباد، أدعوهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئاً، وأنزل علي كتاب كريم ثم ذكر الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الجليس حفنة من البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرفوا إلى المدينة.

وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، فلم يلبث إياس بن معاذ أن هلك.

قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَنْ حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره، ويحمده، ويسبحه حتى مات، وما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً لقد كان يستشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر ما جرى من الحوادث في السنة الثامنة من النبوة

قال مؤلف الكتاب: فيها نزل قول الله تعالى: "غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون"، وكانت بين فارس والروم حروب قد أشرنا إليها فيما تقدم.

قال يحيى بن يعمر: بعث قيصر رجلاً يدعى قطمه بجيش من الروم وبعث كسرى بشهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى وهما أدنى الشام إليكم فلقيت فارس الروم، فغلبتهم فارس، ففرح بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون فأنزل الله تعالى "غلبت الروم في أدنى الأرض" الآيات.وقال علماء السير: وقد فرح المشركون وشق على المسلمين لأن فارس لم يكن لهم كتاب، وكانوا يجحدون البعث، ويعبدون الأصنام، وكان الروم أصحاب كتاب، فقال المشركون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، فإن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فنزلت هذه الآية، فخرج بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، فقال: الله أنزل هذا فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، فقال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فقالوا: الوسط من ذلك ست، فوضعوا الرهان وذلك قبل أن يُحرم الرهان وكان الرهن عشر قلائص إلى عشر قلائص، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم، فلاموه، وقالوا: هلا أقررتها كما أقرها الله لو شاء أن يقول ستاً، فخرج أبو بكر: أزيدكم في الخطر وأزيدكم في الأجل إلى تسع سنين. فقهرهم أبو بكر وأخذ رهانهم، فظهرت الروم على فارس بعد سبع سنين، ووافق التقاؤهم يوم بدر.

ومن الحوادث في هذه السنة

أنه لما أسلم حمزة وعمر رضي الله عنهما، وحمى النجاشي من عنده من المسلمين، وحامى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب فشا الإسلام في القبائل، واجتهد المشركون في إخفاء ذلك النور، "ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره" واجتمعت قريش واستمرت بينها أن يكتبوا كتاباً يتعاهدون فيه على أن لا ينكحوا لبني هاشم وبني عبد المطلب ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فكتبوا بذلك صحيفة، وتوافقوا عليها، وعلّقوها فِي جوف الكعبة، توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم، فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، وخرج من هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهر المشركين، فأقاموا على ذلك ثلاث سنين.

وروى الواقدي عن أشياخه أنهم حصروهم في أول سنة سبع من النبوة وقطعوا عنهم الميرة والمارة، فكانوا لا يخرجون إلا من هو

منهم، حتى بلغهم الجهد، وسُمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب، فمن قريش مَنْ سره ذلك، ومنهم مَنْ ساءه، وكان خروجهم في السنة العاشرة، وكان هشام بن عمرو بن ربيعة أفضل قريش لبني هاشم حين حصروا في الشعب، أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعام، فعلمت بذلك قريش، فمشوا إليه، فكلموه في ذلك، فقال: إني عائد بشي بخالفكم، ثم عاد الثانية، فأدخل حملاً أو حملين ليلاً فغالظته قريش وهموا به، فقال أبو سفيان بن حرب، دعوه رجل وصل رحمه أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل، كان أجمل بنا ثم أن هشاماً أسلم يوم الفتح.

واختلف العلماء في سبب نقض حكم الصحيفة

على قولين

أحدهما: أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صحيفتهم، وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم، وبقي ما كان فيها، من ذكر الله تعالى، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب، فقال أبو طالب: أحق ما تخبرني به يا ابن أخي. قال: نعم والله. فذكر ذلك أبو طالب لأخوته وقال: والله ما كذبني قط. قالوا: فما ترى؟ قال: أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم، وتخرجوا إلى قريش، فتذكروا ذلك لهم من قبل أن يبلغهم الخبر. فخرجوا حتى دخلوا المسجد، فقال أبو طالب: إنَا قد جئنا لأمر فأجيبونا فيه. قالوا: مرحباً بكم وأهلاً. قال: إن ابن أخي قد أخبرني – و لم يكذبني قط – أن اللّه عز وجل قد سلَّط على صحيفتكم الأرَضة، فلحست كل ما فيها من جَوْر أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي فيها كل ما ذُكر به اللّه ، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه واستحييتموه إن شئتم. قالوا: قد أنصفت. فأرسلوا إلى الصحيفة، فلما فتحوها إذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقط في أيدي القوم، ثم نكسوا على رؤوسهم. فقال أبو طالب: هل تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة؟ فلم يراجعْهُ أحد منهم، ثم انصرفوا. رواه محمد بن سعد عن أشياخ له.

والثاني: أن هشام بن عمرو بن الحارث العامري. مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت، لا يباعون، ولا يُبْتَاع منهم، ولا ينكِحون ولا ينكَح إليهم، أما إِني أحلِفُ بالله: لو كان أخوك أبو الحكَم بن هشام ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك منهم أبداً. قال: ويحك يا هشام، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجلٌ واحد، والله لو كان معي آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلاً. قال: مَنْ هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثاً. فذهب إلى المُطعم بن عدي فقال: يا مطعم، أَقَدْ رَضيت أن يهلِك بَطْنَان من بني عبد مناف وأنت موافق لقريش في ذلك؟ قال: ويحك، ماذا أصنعِ؟ إنما أنَا رجلٌ واحد. قال: قد وجدت ثانياً. قال: مَنْ هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثاً. قال: قد وجدت. قال: مَنْ هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال: أبغنا رابعاً. فذهب إلى أبي البختري بن هشام. فقال له نحواً مما قال لمطعم بن عدي. فقال: فهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نعم. قال: مَنْ هو؟ قال: زهير، والمطعم، وأنا معك، قال: أبغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود، فكلمه وذكر له قرابتهم. فقال: وهل لك معين؟ قال: نعم. فسمى له القومَ، فاتعدوا خَطْم الحَجون التي بأعلى مكة، واجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضُوها. فقال زهير: أنا أبدؤكم. فلما أصبحوا غَدوْا إلى أنْديتهم ، وكانت قريش قد تجاوزت الكعبة، فكان شق البيت لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود واليماني لبني مخزوم وتيم

وقبائل من قريش ضموا إليهم، وكان ظهر البيت لبني جمح وبني سهم، وكان شق الحجر - وهو الحطيم - لبني عبد الدار، ولبني أسد بن عبد العزى، وبني عدي بن كعب، فغدا زهير فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، إنّا نأكل الطعام، ونشرب الشراب، ونلبس الثيَابَ، وبنو هاشم هَلْكى، لا يباعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظَّالمة. فقال أبو جهل: كذبتَ، والله لا تُشقّ. فقال زمعَة بن الأسود: أنت والله أكذبُ، ما رَضينا كتابتها حين كتبت. فقال أبو البختري: صَدَقَ زمعَةُ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرّ به: فقال المطعم: صدقْتُما وكذب مَنْ قال غيرَ ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كُتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمرٌ قُضِيَ بليل وتُشُووِرَ فيه بغير هذا المكان، فقام المُطعم إلى الصحيفة ليشقَها، فوجد الأرَضة قد أكلتها، إلا ما كان من "باسمك اللهم".

وقد كتبها منصور بن عِكرمة بن هاشمُ، فشلت يده.

هذا قول ابن إسحاق.

فصل ضماد الأزدي وقدم على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ضماد الأزدي.

أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصاري، قال: أخبرنا علي بن عبد اللّه النيسابوري، قال: أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، قال: أخبرنا محمد بن عيسى ابن عمرويه الجلودي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج قال: أخبرنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: أخبرنا داوود، عن عمرو بن سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة، وكان يُرقِي من هذه، الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله، أن يشفيه على يدي. قال: فأتيته فقلت: يا محمد إني أرقي من الريح، وإن الله عز وجل يشفي على يدي مَنْ يشاء، فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله نحمده ونستعينه، مَنْ هداه اللّه فلا مضل له، ومَنْ يضلل اللة فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد".

قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء.

فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام. فبايعه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعلى قومك؟ قال: وعلى قومي.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، فمروا بقومه، فقال صاحب الجيش: هل أصبتم عن هؤلاء شيئاً؟.

فقال رجل منهم: أصبت مطهرة.

فقال: ردوها، فإن هؤلاء قوم ضماد..

ذكر الحوادث في السنة العاشرة من النبوة

وفاة أبي طالب منها: موت أبي طالب، فإنه توفي للنصف من شوال في هذه السنة، وهو ابن بضع وثمانين سنة.

ولما مرض أبو طالب دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام.

فأخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدثني معمر بن راشد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده عبد الله بن أبي أمية وأبا جهل بن هشام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عم، قل: لا إِلَهَ إلا اللّهُ، كَلِمَة أشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللّه".

فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟.

قال: فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويقول: "يَا عَم، قُلْ: لا إِلَهَ إلا اللّه، أشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله." ويقولان له: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ حتى قال آخر كلمة تكلّم بها: أنا على ملة عبد المطلب. ثم مات.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "لأسْتَغْفِرَن لَكَ مَا لَمْ أنْهَ عنك".

فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حتى نزلت هذه الأية: "مَا كَان لِلنبيَ والَذينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكينَ وَلَوْ كَانُوا أولِي قُرْبَىَ مِنْ بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أصْحَابُ الجَحِيم".

قال محمد بن عمر: وحدثني محمد عبد الله بن أخي الزهري، عن أبيه، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العُذريّ آلا، قال: قال أبو طالب: با ابن أخي، واللّه لولا رَهْبَة أن تقول قريش: وهرني الجَزَع، فتكون سبة عليك وعلى بني أبيك لفعلت الذي تقول، وأقررتُ عينك لما أرى من شكرك ووجْدك ونصيحتك لي.

ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد أوما اتبعتم، أمره، فاتبعوه وأعينوه تَرْشُدوا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لِمَ تأمرهم بها وَتَدَعهَا لِنفسك؟" فقال أبو طالب: أما إنك لو سألتني الكلمة وأنا صحيح لتابعتُك على الذي تقول، ولكني أكره أن أجزع عند الموت، فترى قريش أني أخذتُها جزَعاً ورددتُها في صحتي.

قال محمد بن عمر: وحدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بموت أبي طالب فبكى ثم قال:" اذْهَبْ فَاغْسِلْهُ وَكَفِّنْهُ وَوَارِه، غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَرَحِمَهُ".

قال ففعلت. قال، وجعل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يستغفر له أيّاماً ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية: "مَا كَان لِلنبِيَ وَالذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أولِي قرْبَى".

قال علي: وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت.

قال محمد: وأخبرنا الفضل بن دُكَين قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب، عن علي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن عمك الشيخ الضالّ قد مات.

قال: اذهب فَوَاره وَلاَ تُحَدثن شَيْئَاً حَتًى تأتِيَنِي.

فأتيته، فقلت له، فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني ما عُوِّضَ بِهنّ من شيء.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرنا إبراهيم ابن أبي العباس قال: أخبرنا الحسن بن يزيد الأصم، قال: سمعت إسماعيل السُدي يذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال: لما توفي أبو طالب أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن عمك الشيخ قد مات.

قال: "اذهب فواره، ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني" قال: فاغتسلت ثم أتيته، فدعا لي بدعوات ما يسرني أني لي، بها حمر النعم وسودها.

قال: وكان علي رضي الله عنه إذا غسل الميت، اغتسل وقال ابن عباس: عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب وقال: "وصلت رحمك، جزاك الله خيراً يا عم".

وفاة خديجة رضي اللّه عنها ومن الحوادث: وفاة خديجة رضي اللة عنها، بعد أبي طالب بأيام.

أخبرنا ابن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أمامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: حدثنا محمد بن عمر بن واقد، عن محمد بن صالح بن دينار، وعبد الرحمن بن عبد العزيز، والمنذر بن عبد الله عن بعض أصحابه، عن حكيم بن حزام، قال: وحدثنا محمد بن عبد الله عن أبيه، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر قال: لما توفي أبو طالب وخديجة، وكان بينهما شهر وخمسة أيام، اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان، فلزم بيته، وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به، فبلغ ذلك أبا لهب، فجاءه فقال: يا محمد، امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالبِ حياً فاصنعه، لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت. وسب ابنُ العيطلة النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبَل عليه أبو لهب، فنال منه، فولى وهو يصيح: يا معشر قريش، صبأ أبو عتبة.

فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب، فقال: ما فارقت دين عبد المطب، ولكني أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد.

فقالوا: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم. فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياماً يذهب ويأتي، لا يعترض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب، إلى أن جاء عُقبة بن أبي مُعيط وأبو جهل إلى أبي لهبٍ فقالا له: أخبرك ابن أخيك، أين مدخل أبيك؟ فقال له أبو لهب: يا محمد، أين مدخل عبد المطلب؟ قال: "مَعَ قَوْمِه".

قال: فخرج إليهما أبو لهب وقال: قد سألته، فقال مَعَ قَوْمِه.

فقالا: إنه يزعم أنه في النار. فقال: يا محمد، أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نَعَمْ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى مِثْل مَا مَاتَ عَلَيْه عَبْدُ المُطَلب دَخَل النار.

فقال أبو لهب: واللّه لا برحتُ لك عدوّاً أبداً، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النَار، فاشتد عليه هو وسائر قريش.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن أبي الحُويرث، عن محمد بن خبير بن مطعم قال: لما توفي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج حينئذ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة في ليال بقين من شوّال سنة عشر. قال محمد بن عمر - بغير هذا الإسناد -: فأقام بالطائف عشرة أيام.

وقال غيره: شهراً لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم فقالوا: يا محمد، اخرج من بلدنا والحقْ لُمجابك من الأرض، وَأغْروْا به سفهاءهم. فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجليه لَتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُج في فأسه شجاجاً. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً، إلى مكة وهو محزون، فلما نزل نخلة قام يصلّي، فصُرف إليه نفر من الجن سبعة من أهل نَصيبين، فاستمعوا وأقاموا بنخلة أياماً فقال له زيد: كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك؟ فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي أدخُل في جوارك، قال: نعم.

قال محمد بن كعب القرظي: لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عَمَد إلى نفرٍ من ثَقيف - وهم قادة ثقيف وأشرافهم يومئذ - وهم أخوة ثلاثة: عَبْد يا لَيْل، ومسعود، وحَبيب أولاد عمرو بن عُمير، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله عز وجل،

وكلمهم بما جاء له من نُصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؟ فقال أحدهم: هو يَمرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال آخر: أما وجد الله أحداً يُرسله غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمةً أبداً، لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرُدّ عليك الكلام، ولئن كنتَ تكذب على اللّه ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من نصر ثقيف، وأغرَوا به سفهاءهم يسبونه ويَصيحون به، حتى اجتمع إليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعُتبة بن ربيعة وشَيْبَة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثَقيف مَنْ كان يتبعه، فَعَمَد إلى ظلّ حَبَلة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويَرَيَان ما لقي من سُفهاء ثقيف، فلما اطمأن قال فيما ذكر لي: "اللهم إليك أشْكو ضَعْف قُوتي، وقِلّة حيلتي، وهَواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربي، إلى مَنْ تَكِلُني، إلى بعيد فيجهّمني، أم إلى عدوٍ ملَكْتَه أمري، فإن لم يكن بك عليّ غَضَب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وَجْهك الذي أشرقتْ له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخره من أنْ تنزل بي غضَبك، أو تحلّ عليً سُخْطك، لك الرضى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك".

فلما رأى ابنا ربيعة – عُتْبة وشَيْبة – ما لَقي؟ تحركت له رحمُهما، فَدَعوا غلاماً لهما نَصرانياً يقال له: عِدَاس، وقالا له: خذ قِطْفاً من هذا العنب وَضَعه في ذلك الطَّبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه – ففعل ثم أقبل به حتى وَضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال: "بسم الله" ثم أكل.

فنظر عدَاس إلى وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومِنْ أي البلاد أنت، وما دينك؟" قال: أنا نَصْراني، وأنا رجل من أهل نِينوى.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يُونُس بن متى"؟.

قال له: وما يُدْريك ما يونسُ بن متى؟.

قال: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي.

فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقبل رأسَه ويَدَيْه ورجليه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما قالا له: ويلك يا عداس، ما لك تقبل رأسَ هذا الرجل ويدَيه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني، بأمر لا يعلمه إلا نبي.

رجوعه من الطائف ومن الحوادث: أنه لما رجع من الطائف لم يمكنه دخول مكة إلا بجوار، وذلك أنه لما دنا من مكة علم أن قومه أشد عليه مما كانوا، فأرسل بعض أهل مكة إلى الأخنس بن شريق فقال له: "هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالة ربي"؟.

فقال له الأخنس: إن الحليف لا يجير على الصريح.

قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: تعود؟ قال: نعم. قال: فأت سُهَيْل بن عمرو فقل له: إن محمداً يقول لك: هل أنت مجيري حتى أبلِّغ رسالات ربي؟ فقال له ذلك، فقال: إن بني عامر بن لؤيّ لا تجير على بني كعب. فرجع إلى النبي صلى الله عليه

وسلم فأخبره. قال: تعود؟ قال: نعم. قال: إئت المطعم بن عدي فقل له: إن محمداً يقول لك: هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالات ربي؟ قال: نعم فليدخل.

فرجع فأخبره وأصبح المطعم بن عدي قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه، فدخلوا المسجد فلما رآه أبو جهل قال أمجير أم متابع؟ قال: بل مجير، قال: أجرنا مَنْ أجرت؟ فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وأقام بها، وكان يقف بالموسم على القبائل فيقول: "يا بني فلان، إني رسولُ الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً" فكان يمشي خلفه أبو لهب فيقول: لا تطيعوه.

وأتى رسول اللّه كندة في منازلهم فدعاهم إلى الله عز وجل، فأبوا، وأتى كلباً في منازلهم فلم يقبلوا منه، وأتى بني حَنيفة في منازلهم، فردوا عليه أقبح رد، وأتى بني عامر بن صعصعة، وكان لا يسمع بقادم من العرب له اسم وشرف إلا دعاه وعرض عليه ما عنده.

وقال جابر بن عبد اللّه: مكث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ، ومَجَنَة وفي المواسم يقول: "مَنْ يؤويني، مَنْ ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟" حتى بعثنا الله إليه فأويناه وصدقناه.

تزويج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها ومن الحوادث في هذه السنة: تزويج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عائشة وسودة. وكانت عائشة بنت ست سنين حينئذ.

أخبرنا هبة الله بن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا محمد بن بشير قال: أخبرنا محمد بن عمرو قال: أخبرنا أبو سلمة ويحيى قالا: لما هلكت خديجة رضي الله عنها جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول اللّه، ألا تتزوج؟ قال: "مَنْ؟" قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً. قال: "مَنْ البكر؟" قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك عائشة، بنت أبي بكر.

قال: "وَمَنْ الثيب"؟ قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول. قال: "فاذهبي فاذكريهما علي".

فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل اللّه عز وجل، عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟. قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة. قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي. فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك. قال: "ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي". فرجعت، فذكرت ذلك له، فقال: انتظري. وخرج.

قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه، فوالله ما وعد وعداً قط فأخلفه تعني أبا بكر.

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى، فقالت: يا ابن أبي قحافة، لعلك مُصْبي صاحبنا ومدخله في دينك الذي أنت عليه أن تزوج إليك. قال أبو بكر للمطعم بن عدي: أبقَوْل هذه تقول قال: إنها تقول ذلك؟ فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التي وعده، فرجع فقال لخول: ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته، فزوجها إياه وعائشة يومئذٍ، بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة وقالت: ماذا أدخل الله عز وجل عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه. قالت: ودِدت، ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن.

قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه، فحيته بتحية الجاهلية، فقال: مَنْ هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة. قال: كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك. قال: ادعيها لي. فدعوتها، فقال: يا بنية، إن هذه تزعم أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك، وهو كفؤ كريم، أتحبين أن أزوجكه ؟ قالت: نعم. قال: ادعيه لي. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه.

ذكر مَنْ توفي في هذه السنة من الأكابر

خديجة بنت خويلد

بن أسد بن عبد العزى بن قصي وتكنى أم هند

أخبرنا يحيى بن علي بن المدبر قال: أخبرنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبري قال: أخبرنا أبو أحمد: عبيد الله بن محمد القرشي قال: حدثنا جعفر بن محمد الكالدي قال: حدثني محمد بن أحمد السجستاني قال: أخبرنا عمرو بن إسماعيل بن مجالد قال: أخبرني، أبي، عن مجالد، عن الشعبي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوماً من الأيام، فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟. قالت: فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: "لا والله، ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء" .

قالت: فقلت: بيني وبين أنفسي: لا أذكرها بسوء، أبداً.

أنبأنا يحيى بن الحسين البنا قال: أخبرنا أبو جعفر قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الألوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن حسن، عن علي بن المغيرة، عن ابن أبي داوود قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد وهي في مرضها الذي توفيت فيه، فقال لها: "يا لكره مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى، وآسيا امرأة فرعون".

قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: "نعم " قالت: بالرُفاء والبنين.

قال مؤلف الكتاب: توفيت خديجة في هذه السنة وهي بنت خمس وستين. ودفنت بالحجون، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها، و لم يكن يومئذ سُنّة الجنازة الصلاة عليها.

السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود: أسلم، قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته سودة بنت زمعة، فمات في هذه السنة بأرض الحبشة.

وقيل: بمكة، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة.

عبد مناف، أبو طالب: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكره.

ذكر الحوادث سنة إحدى عشرة من النبوة

بدء إسلام الأنصار مِن ذلك: خرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم في المَوْسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع في كَل مَوْسم، فبينا هو عند العقبة لَقِي رهطاً من الخزرج فقال: "مَنْ أنتم؟" قالوا: من الخزرج. قال: "أفلا تجلسون أكلمكم؟ ". قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعَرَض عليهم الإسلامَ، وتلى عليهم القرآن، وكان أولئك يسمعون من اليهود أنه قد أظل زمان نبيٍّ يبعثُ، فلما كلمهم قال بعضهم لبعض: والله إنه النبي الذي يعدكم به يهود، فلا تسبُقنكم إليه. فأجابوه وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا، وكانوا سِتةً وهم: أسعدُ بن زُرارة، وعوفُ بن الحارث - وهو ابن عَفْراء - ورافعُ بن مالك بن العجلان ، وقُطْبةُ بن عامر بن حَديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رئاب.

فلما قدموا، المدينة إلى قومهم ذكَروا لهم رسول الله، ودعوهم إلى الإسلام حتى أفشا، فيهم، فلم تبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري قال: أخبرنا أبو العسكري قال: أخبرنا صالح بن أحمد بن أبي مقاتل البغدادي قال: أخبرنا عبد الجبار بن كثير بن سيار التميمي قال: حدَّثنا محمد بن بشران، الصنعاني أخبرنا أبان بن عبد الله البجلي، عن إبان بن ثعلب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: حدثنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أمر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، وأبو بكر، حتى دفعنا إلى مجلسٍ من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر فسلم ووقفت أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال علي: وكان أبو بكر مقدماً في كل خير، وكان رجلاً نسابة، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم؟ قالوا: ذُهل الأكبر. قال أبو بكر: هامتها أو مِن لهازمها؟ قالوا: بل من هامتها العظمى. قال: فمنكم عوف الذي يقال له لا حُر بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا لا قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفُسَهَا؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قال: لا. قال: فمنكم أخوال الملوك من كِنْدة قالوا: لا. قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال: فلستم من، ذهل الأكبر، أنتم من، ذهل الأصغر. فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له: فيَ دغْفَل حين بقل عارضه، فقال:

إن على سائلنا أن نسأله ... والعَبْو لا تعرفه أو تحمله

يا هذا، إنك قد سألتنا، فأخبرناك، و لم نكتمك شيئاً، فممَنْ الرجل؟ فقال أبو بكو: من قريش. فقال الفتى: بَخ بَخ أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة. فقال الفتى: أمكنت والله الرامي من سواء النقرة، فمنكم قصي، الذي جمع القبائل من فهر، فكان يدعى في قريش مجمعاً. قال: لا.

قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه فقيل فيه: بيت

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

قال: لا. قال: فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب، مطعم طير السماء الذي كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء. قال: لا. قال: أفمن الندوة أنت قال: لا. قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الإفاضة بالناس أنت؟ قال: لا.

وزاد غيره: قال: فأنت إذاً من زمعات قريش.

قال: فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الغلام:

صادف در السيل دراً يدفعه　　　يهيضه حيناً وحيناً يصدعه

أما والله لوثبت. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال علي رضي الله عنه: فقلت: يا أبا بكر، لقد وقعت من الأعرابي على باقعة قال: أجل يا أبا الحسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء مُوَكل بالمنطق.

قال: فدُفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم ودنا فقال: مَمنْ القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة.

فقال: يا رسول الله ما وراء هؤلاء من قومهم شيء، هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. قال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال مفروق: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألفٌ من قلة. فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال: علينا الجهد ولكل قوم جهد. قال: كيف الحرب بينكم؟ قال: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من الله عز وجل يُديلنا مرةً ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش. قال أبو بكر، رضي الله عنه: وقد بلغكم أنه رسول الله فها هوذا. قال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلى ما يدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس، وقام أبو بكر يظله بثوبه، فقال: "أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله وإلى تؤوني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسله، وامتنعت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد.

فقال مفروق: وإلى ما تدعونا أيضاً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حرمَ رَبُكُمْ عَلَيْكُمْ ألا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً" الآية.

فقال مفروق: إلى ما تدعونا أيضاً؟ فوالله ما سمعت كلاماً هو أجمل من هذا، ولو كان من كلام أهل الأرض لفهمناه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِن اللَهَ يَأمُرُ بِالْعَدْل وَالإحسَانِ" الآية.

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك، وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا.

فقال ابن قبيصةُ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا واتباعنا إياك، ولكن نرجع وترجع، وننظر وتنظرُ، وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا.

فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب جوابُ هانئ بن قبيصة، وإنا إنما نزلنا بين صَرْيَيٍّ اليمامة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما هاَتان الصريان؟ ".

قال: مياه العرب ما كان منها مما يلي أنهار كسرى فَذَنبُ صَاحِبِهِ غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخذه كسرى علينا، أن لا نحدث حدثاً، ولا نؤوي مُحدثاً، فأنا أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه تكرهه الملوك، فإن شئت نؤويك، وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإذ دين الله تعالى لن ينصره إلا مَنْ أحاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ ".

فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذلك.

فتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنه وَسِرَاجاً منِيراً". ثم نهض قابضاً على يد أبي بكر وهو يقول: "أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، يدفع الله بها بأس بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم".

فما برحنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا صدقاً صبراً.

ذكر الحوادث في سنة اثنتي عشرة من النبوة

الإسراء والمعراج فمن ذلك: المعراج.

قال الواقدي: كان المَسْرَى في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشرة من النبوة، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً.

وروي عن أشياخ أخر قالوا: أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبعة عشر من شهر ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة.

وقال مؤلف الكتاب: ويقال إنه كان ليلة سبع وعشرين من رجب.

أخبرنا هبة الله بن محمد قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا عفان قال: أخبرنا همام بن يحيى قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك: أن مالك بن صعصعة حدثه: أن نبي اللّه صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرِي به، قال: "بينما أنا في الحَطِيم – وربما قال قتادة: في الحجر – مضطجع إذ أتاني آتٍ فجعل يقول لصاحبه: الأوسط بين الثلاثة. قال: فأتاني فقدَّ – وسمعت قتادة يقول: فشق – ما بين هذه إلى هذه".

قال قتادة: فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني؟ قال: من ثغرة نَحْره إلى شعرته. وقد سمعته يقول: من قصته، إلى شعرته.

قال: فاستخرج قلبي قال: "فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، وحكمة، فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل، وفوق الحمار، أبيض. قال: فقال للجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم يقع خطوُه عند أقصى طرفِه.

قال: "فحُمِلت عليه، فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمدٌ . قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. فقيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء.

قال: "ففتح لنا، فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام. فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، فقيل له: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، قال: ففتح. قال: فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، فقال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما. قال: فسلمت عليهما فردا السلام، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة، فاستفتح، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال:

نعم. قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء".

قال: "ففتح، فلما خلصت، إذا يوسف. قال: هذا يوسف فسلم عليه. فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح. فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء.

قال: ففتح، فلما خلصت إذا إدريس قال هذا إدريس، فسلم عليه. فسلمت عليه فرد السلام قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال: "ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد. قيل أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل، مرحباً به، ونعم المجيء جاء".

قال: "ففتح، فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال: "ثم صعد حتى أتى إلى السماء السادسة، فاستفتح. قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء".

قال: ففتح، فلما خلصت، فإذا أنا بموسى. قال: هذا موسى فسلم عليه. فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال: "فلما تجاوزت بكى، فقيل له: ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها أمتي.

قال: "ثم صعد حتى أتى إلى السماء سابعة، فاستفتح. فقيل: مَنْ هَذا؟ قال: جبريل. قيل: وَمَنْ معك؟ قال: محمد. قيل أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به، ونعم المجيء جاء.

قال: ففتح، فلما خصلت فإذا إبراهيم. فقال: هذا أبوك، إبراهيم فسلم عليه. قال: فسلمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

قال: "ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. فقال: هذه سدرة المنتهى.

قال: "وإذا أربعة أنهار: نهران بأطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذا يا جبريل؟" قال: أما الباطنان: فنهران في الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات.

قال: "ثم رفع إلى البيت المعمور".

قال قتادة: وحدثنا الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه رأى البيت

المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون منه.

ثم رجع إلى حديث أنس، قال: ثم أتيت بإناء من خمرٍ، وإناء من لبن، وإناء من عسل! قال: فأخذت اللبن.

قال: هذه الفطرة أنت عليها وأمتك،.

قال: "ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة".

قال: "فرجعت، فمررت على موسى، فقال: بِمَ أمرتَ؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم وليلة. فقال: إن أمتك لا تستطيع

خمسين صلاة كل يوم، وإني قد خبرتُ الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل، أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك.

قال: "فرجعت، ، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: أمرت بأربعين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم، فإني جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك

قال: "فرجعت، فوضع عني عشراً أخر، فرجعت إلى موسى، فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: بثلاثين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع لثلاثين صلاة كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ".

قال: "فرجعت، فوضع عني عشراً أخر، فرجعت إلى موسى، فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: أمرت بعشرين صلاة كل يوم. فقال: إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف ".

قال: فرجعت، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: بعشر صلوات كل يوم. فقال: إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك عز وجل فسله التخفيف لأمتك ".

قال: فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك".

قال: قلت: قد سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم. فلما نفذت نادى منادٍ : قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ".

أخرجاه في الصحيحين.

وبالإسناد قال أحمد : وأخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرنا عوف، عن زُرَارَة بن أوفى، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة فظِعْت بأمري وعرفت أن الناس مُكَذَبي ".

قال: فقعد معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم".

قال: وما هو؟ قال: "إني أسري بي الليلة" قال: إلى أين؟.

قال: "إلى بيت المقدس".

قال: ثم أصبحت بين ظَهْرَانَيْنَا؟.

قال: "نعم".

قال: فلم يُرِ أن يُكذَبه مَخَافَةَ أن يَجْحَدَ الحديثَ إن دعى قومه إليه.

قال: أرأيت إن دعوت قومك، أتحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم".

فقال: يا معشر بني كعب بن لؤي.

حتى انتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما. قال: حدث قومكَ بما حدثتني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أسريَ بي الليلة".

قالوا: إلى أين؟ قال: "إلى بيت المقدس ".

قالوا: ثم أصبحت بين ظَهْرَانَيْنَا؟! قال: "نعم".

قال: فمن بين مُصَفقٍ، وواضع يده على رأسه متعجباً للكذب زَعَم.

قالوا: أو تستطيع أن تنعت لنا المسجدَ – وفي القوم مَنْ قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذهبت أنعت، فما زلت أنعتُ حتى التبس علي بعضُ النعتِ ".

قال: "فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضِعَ دُون دارِ عُقَيْل – أو عِقَال – فنعتُّه وأنا أنظر إليه".

قال: وكان مع هذا نعت لم أحفظه، فقال قوم: أما النعُت فوالّله لقد أصاب.

ذكر العقبة الأولى ومن الحوادث في هذه السنة: خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامئذ إلى الموسم وقد قدم وفد من الأنصار اثني

عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، وهم: أسعدُ بن زرارة، وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة، ورافع بن مالك بن العجلان، وذكوان بن عبد قَيْس بن خَلَدة، وعُبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة بن خَزَمة ، وعباس بن عُبادة بن نَضَلة، وعقبةً بن عامر بن نابئ، وقُطْبة بن عامر بن حَديدة، وأبو الهيثم بن التَيهان واسمه: مالك، وعُوَيم بن ساعدة.

فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فروى عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى ونحن اثنا عشر رجلاً أنا أحدهم، فبايعناه على بَيْعة النساء، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نَسْرق، ولا نَزْني. ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نَفْتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف وذلك قبل أن تُفْرَضَ الحربُ.

قال: فإن وَفَيتم بذلك فلكم الجنة، وإن غَشيتم شيئاً فأمركم إلى الله، إن شاء غَفَر، وإن شاء عذب.

فلما انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث معهم مُصعب بن عُمير إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن، فترل على أسعد بن زرارة – وكان يُسمى بالمدينة: المقرئَ – فقال سعد بن معاذ يوماً السيد بن جدير: ائت أسعد بن زرارة فازجره عنَا، فإنه قد بلغني أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب معه ليُسفهَ ضعفاءنا.

فذهب أسَيْد بن حُضير إلى أسعد وقال: ما لنا ومالك، تأتينا بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا.

فقال: أو تجلسُ فتسمع، فإن رضيتَ أمراً قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره؟ فقال: أنصفتم. فجلس فكلّمه مصعب وعرض عليه الإسلام، وتلى عليه القرآن، فقال: ما أحسن هذا وأجمله، كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قالا له: تتطهر، وتطهر ثيابك، وتشهد بشهادة الحق. ففعل وخرج، وجاء سعد بن معاذ، فعرض عليه مصعب الإسلام فأسلم، ثم جاء حتى وقف على بني عبد الأشهل فقال: أي رجل تعلموني؟ قالوا: نعلمك والله خيرنا وأفضلنا، قال: فإنَ كلامَ نسائكم ورجالِكم علي حرامٌ حتى تؤمنوا باللّه وحده وتصدقوا محمداً. فوالله أمسى في دار بني عَبْدِ الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً، ولم يزل مصعب يدعو الناس إلى الإسلام حتى كثر المسلمون وشاع الإسلام، ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية.

ذكر الحوادث التي كانت في سنة ثلاث عشرة من النبوة من ذلك: ذكر العقبة الثانية خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

الموسم، فلقيه جماعة من الأنصار، فواعدوه بالعقبة من أوسط أيام التشريق، فاجتمعوا فبايعوه.

قال كعب بن مالك : خرجنا في حُجاج قومنا حتى قَدمنا مكة وواعَدْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعَقَبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا إلى الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حزام: أبو جابر، وكنا نكتم مَنْ معنا من المشركين من قومنا أمَرنا، فقلنا: يا أبا جابرة إنك سيد من ساداتنا وشريفٌ من أشرافنا، وإنَا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطباً للنار غداً.

ثم دَعَوْناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة، فأسلم وشهد معنا العَقبة. وكان نقيباً، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رِحالنا، حتى إذا مضَى ثلثُ الليل خَرجْنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نَتَسلَلُ تَسَلل القَطا، حتى اجتمعنا في الشعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نُسَيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدي وهي: أم منيع، فاجتمعا بالشِّعب نَنتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له.

فلما جلس كان أول مَنْ تكلم العباس، فقال: يا معشر الخزرج – وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها – إن محمداً منَا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممَنْ هو على مثل رأينا فيه، وهو في عز من قومه ومَنعةٍ في بلده، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممَنْ خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلموه وخاذِلوه بعد الخروج إليكم، فمِن الآن فدَعُوه، فإنه في عزٍّ ومَنعةٍ مِن قومه وبلده.

قال: فقلنا: إنَا قد سَمِعنا ما قلت: فتكلمْ يا رسول الله وخُذْ لنفسك وربك ما أحببتَ.

قال: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلا القرآن ودعى إلى الله تبارك وتعالى، ورَغب في الإسلام، ثم قال: "أبايعكم على أن تَمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ".

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: والذي بعثك بالحق، لنمنعَنك مما نمنع منه أزرَنَا ، فبايعْنَا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحَلْقة، ورثناها كابراً عن كابرٍ .

قال: فاعترض القولَ، والبَراءُ يكلَم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الهيثم بن التيِّهَان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس حبالاً ونحن قاطعوها – يعني: اليهود – فهل عسيتَ إن نحن فَعَلْنا ذلك ثم أظهرك اللهُ أن ترجع إلى قومك وتدَعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "بل الدم الدم، والهَدْم الهَدْم ، أنتم مني وأنا منكم، أحارب مَنْ حاربتم، وأسالم مَنْ سالمتم".

وقال: أخرجوا إِلَيَ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم ".

فأخرجوا اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وقال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزام: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: للنقباء: "أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء كَكَفالة الحوارييِّن لعيسى بن مَرْيم وأنا كفيل على قومي"، قالوا: نعم.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبَيْعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال العباس بن عُبادة بن نَضْلة: يا معشر الخزرج، هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تبايعونه على حَرْبِ الأحمر والأسود من

الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكَتْ أموالُكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسْلَمتموه، فمن الآن، فهو والله خزْي الدنيا والآخرة إن فعلتم، وإن كنتم تَروْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكة الأموال، وقَتْل الأشراف، فخذُوه، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة.
قالوا: فإنَا نأخُذه على مُصيبة الأموال، وقَتْل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله، إن نحن وفَّينا؟ قال: "الجنَة". قالوا: ابسط يدَك. فبَسط يدَه، فبايعوه.

فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال: والله ما قال العباس ذلك إلا ليَشدَّ بالعقدِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم.

وأما عبد الله بن أبي بكر فقال: والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخَر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبيّ بن سلَول، فيكون أقوى لأمر القوم. والله يعلم أي ذلك كان.

فبنُو النجار يزعُمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أوَل من ضرب على يَديه، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهَيْثم بن التَيهان.

وقال كعب بن مالك: كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البَراءُ بن مَعْرور، ثم بايع القوم.

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العَقَبة، بأنفذ صوت سمعتُه قطُّ: يا أهل الجَباجب ، هل لكم في مُذَمَم، والصباة معه قد اجتمعوا على حَرْبكم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يقول عدو الله، هذا أزبّ العقبة، اسمع أي عدو اللّه، أما واللّه لأفرغَنّ لك ".

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارفضّوا إلى رحالكم " فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق، لئن شئت لنميلن غداً على أهل مِنَىَ بأسْيافنا؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم تُؤْمَر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم"!.

فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جِلة قُرَيش، حتى جاؤونا في مَنازلنا، فقالوا: يا معشر الخَزْرج، إنَا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتُبايعونه على حَرْبنا، وإنه والله ما مِن حيّ أبْغَضَ إلينا، أن تَنشَب الحرب بيننا وبينهم، منكم.

قال: فانبعث مَنْ هناك من مُشْركي قَوْمنا يَحْلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء، وما عَلِمْناه. قال: وصدَقوا لم يَعْلَموا. قال: وبعضُنا ينظر إلى بعضٍ.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد اللّه بن أبي بكر بن حرام: أن قريشاً أتوا عبد الله بن أبي بن سَلول، وذكروا له ما قد سمعوا من أصحابه، فقال: إن هذا الأمر جَسيم، وما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل ذلك، وما علِمته. فانصرفوا عنه.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن الحسين قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي قال: أخبرنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم قال: حدثني جدي محمد بن عبد الكريم قال: أخبرنا الهيثم بن عدي قال: أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس قال: تفاخرت الأوس والخزرج، فقال الأوس. منا أربعة ليس فيكم مثلهم: منا مَنْ اهتز عرش الرحمن لموته: سعد بن معاذ، ومنا غسيل الملائكة: حنظلة بن أبي عامر، ومنا مَنْ حمت لحمه الدبر: عاصم بن أبي ثابت، ومنا من جعلت شهادته شهادة رجلين: خزيمة بن ثابت.

فقالت الخزرج: منا أربعة كلهم جمع كتاب الله الذي ارتضاه لنفسه وأنزله على نبيه و لم يجمعه رجل منكم: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء.

ذكر أهل العقبة وهي العقبة الثانية. قال مؤلف الكتاب: ذكرهم على حروف المعجم: أبي بن كعب أسعد بن زرارة، أسيد بن حُضير، أوس بن ثابت، أوس بن يزيد، البراء بن معرور، بشير بن البراء، بشير بن سعد أبو النعمان، بهز بن الهيثم، ثابت بن الجذْع، ثعلبة بن عبد ثعلبة بن غنمة، جابر بن عبد الله بن عمرو، جُبار بن صخر، الحارث بن قيس، خالد بن زيد أبو أيوب، خالد بن عمرو بن أبي بن كعب، خالد بن عمرو بن عدي. شهد العقبة في قول الواقدي وحده. خالد بن قيط بن مالك، و لم يذكره أبو معشر وابن عقبة. خارجه بن زيد، خديج بن سالم، خديج بن سلامة، خلاد بن سويد، ذكوان بن عبد قيس، رافع بن مالك، رفاعة بن رافع، رفاعة بن المنذر، رفاعة بن عمرو، زياد بن لبيد، زياد بن سهيل أبو طلحة، سعد بن زيد الأشهلي، ذكره الواقدي وحده، سعد بن خيثمة، سعد بن الربيع، سعد بن عبادة، سلمة بن سلامة، سليم بن عمرو، سنان بن صَيفي، سهل بن عتيك، شمر بن سعد، صَيْفي بن سَواد، الضحاك بن حارثة، الضحاك بن زيد، الطفيل بن النعمان، الطفيل بن مالك، عُبادة بن الصامت، عباد بن قيس، العباس بن عبادة، عبدُ الله بن أنيس، عبد الله بن جبير، عبد الله بن الربيع، عبد الله بن رواحة، عبد الله بن زيد، عبد الله بن عمرو بن حزام، عبس بن عامر، عبيد بن التيهان، وبعضهم يقول: عتيك، عقبة بن عمرو، أبو مسعود، عقبة بن وهب، عمارة بن حزم، عمرو بن الحارث، عمرو بن غزية، عمرو بن عمير، عمير بن الحارث، عوف بن الحارث، ويعرف بابن عفراء، عويمر بن ساعدة، فروة بن عمرو بن ودقة، قتادة بن النعمان، و لم يذكره ابن إسحاق، قطبة بن عامر بن حديدة، قيس بن عامر، قيس بن صَعْصَعة، كعب بن عمرو، كعب بن مالك، مالك بن التيهان أبو الهيثم، مالك بن عبد الله بن خثيم، مسعود بن يزيد، معاذُ بن جبل، معاذ بن عفراء، معاذُ بن عمرو بن الجَموح، معقل بن المُنذر، معن بن عدي، مسعود بن الحارث بن عفراء، ذكره ابن إسحاق وحده. المنذر بن عمرو، النعمان بن حارثة. النعمان بن عمرو، ذكره ابن إسحاق وحده. هانئ بن نِيار، يزيد بن ثعلبة، يزيد بن جذام، و لم يذكره ابن عقبة والواقدي، يزيد بن عامر بن حديدة، يزيد بن المنذر، أبو يسار بن صيفي أبو عبد الرحمن بن يزيد، وشهدها امرأتان: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي.

قال مؤلف الكتاب: وقد ذكرناهما في حديث كعب بن مالك.

وقال ابن إسحاق: لُسيبة- باللام- وأختها ابنتا كعب.

قال: وإنما شهدها سبعون رجلاً وهاتان الإمرأتان.

قال: وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: ونَفَر الناسُ من مِنَىَ، فتبطن القوم الخبر، فوجدوه قد كان، فخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سَعْد بن عُبادة بالحاجر، والمنذر بن عمرو، وكلاهما كان نقيباً، وأما المنذر فأعجزَ القومَ، وأما سَعد فأخَذوه ورَبطوا يَدَيْه إلى عُنقه بِنِسْع رحلِهِ، ثم أقْبَلوا به حتى أدْخلوه مكَة يَضْربونه، وَيجْذبونه بجمَته، وكان ذا شعرٍ كثير.

قال سعد: فوالله إني لفي أيْديهم إذ طَلَع علي نَفرٌ من قُرَيش فيهم رجل أبيضُ وَضِيء شَعْشَاع حُلو من الرجال.

قال: قلت: إنْ يكن عند أحدٍ من القوم خَير، فعند هذا؟ فلما دنا مني رفع يدَه فَلَكمَني لكمةً شديدة. قال: قلت في نفسي: والله ما عندهم بعد هذا خَيْر. قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ ولّى رجل منهم، مِمَّنْ معهم فقال: وَيحك، أما بينك وبين أحد من

قُرَيش جوار ولا عَهْد؟ قال: قلت: بلى والله، لقد كنت أجيراً لجبير بن مطعِم بتجارته، وأمنعه ممن أراد ظلمه ببلادي، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس. قال: ويحك، فاهتف باسم الرجلين فاذكر ما بينك وبينهما. قال: فعلت، وخرجِ ذلك الرجلُ إليهما، فوجَدهما في المسجد، عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلاً من الخَزْرج الآن يُضْرَب بالأبطَح، وأنه لَيَهْتِف بكما، يذكر أن بينه وبينكما جواراً. قالا: ومَنْ هو؟ قال: سعد بن عُبادة. قالا: صدق والله، إن كان ليجير تجَارتنا، ويمنع أن يُكْلِمُونا ببلده.

فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لَكَمَ سعداً: سُهَيلُ بن عمرو، فلما قدم أهل العقبة المدينة أظهروا الإسلام بها، وبقي أشياخ على شركهم، منهم: عمرو بن الجَمُوح، وكان ابنه مُعاذٌ قد آمن وَشَهِدَ العقبة.

قال ابن إسحاق: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا إرسالاً، فكان أول مَنْ هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش: أبو سلمة، كان هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً.

ثم كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة، ثم عبد الله بن جحش، ثم تتابعت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إرسالاً، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له في الهجرة و لم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا أخذ وحُبس أو فُتن، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً" فيطمع أبو بكر أن يكون هو فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد صارت له منعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، وعرفوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منعةً، فحددوا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحق بهم، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره صلى الله عليه وسلم.

الجزء الثالث

باب ذكر ما جرى في سني الهجرة

ذكر ما جرى في السنة الأولى من الهجرة

هي سنة أربع عشرة من البعثة، وهي سنة أربع وثلاثين من ملك كسرى أبرويز، وسنة تسع لهرقل.
وأول هذه السنة المحرم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً في المحرم بمكة لم يخرج منها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا إرسالاً في المحرم وقد كان جماعة خرجوا في ذي الحجة وصدروا المشركين يحتسبون بالاهتمام بأمره والتحيل له، فاجتمعوا في دار الندوة – وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها – يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه.

قال ابن إسحاق: فحدثني ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك واتعَدوا أن يدخلوا دار الندوة يتشاورون فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ غَدوا في اليوم الذي اتعدوا له، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فوقف على باب الدار، فلما رأوه قالوا: مَن الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجدٍ سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يُعْدمكم منه رأي ونصح. قالوا: ادخل.
فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش كلهم من كل قبيلة، من بني عبد شمس: عُتْبة، وشَيْبة ابنا ربيعة. ومن بني أمية: أبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي، وجُبير بن مُطعم، والحارث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار وقصي: النضر بن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البَخْتري بن هشام، وزَمْعة بن الأسود، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام ومن بني سهم، نبيه ومنبه ابنا الحجاج. ومن بني جُمح: أمية بن خلف. ومن كان معهم، ومن غيرهم ممن لا يُعَدُ من قريش.
فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد كان نأمَنهُ على الوثوب علينا فيمَنْ قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً.
فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد، واغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين قبله: كزهَير، والنابغة، من الموت.
فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه، فوثبوا عليكم، فانتزعوه من بين أيديكم.
فقال قائل: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلدنا.
فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسْنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ واللّه لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل بحي من أحياء العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى

يَطأكم بهم في بلادكم.

فقال أبو جهل: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فيكم، ثم يُعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رَجلٍ واحد ، فيقتلونه، فنستريح، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دَمُهُ في القبائل كلها، فلم يقدر بنو عبد منافٍ على حرب قومهم جميعاً، ورضوا منا بالعَقْل فعقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال هذا الرجل، هذا الرأي لا أرى لكم غيره.

فتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون له، فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا تبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلمَا كانت العَتْمة، اجتمعوا على بابه ثم ترصَدوه متى ينام فيثبون عليه: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، "نمْ على فراشي وتَسج ببُرْدي الحضرمي الأخضر فَنَمْ فيه، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم"، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في بُرده ذلك إذا نام.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قالَ: أخبرنا أبو بكر بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر قال: أخبرني عثمان الجزري: أن مِقْسماً مولى ابن عباس أخبره، عن ابن عباس: في قوله تعالى: "وَإِذْ يمكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثبِتُوكَ أوْ يَقْتُلُوكَ".

قال: تَشَاورتْ قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فاثبِتُوه بالوَثَاق يريدون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك، فبات علي رضي اللّه عنه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغارة فبات المشركون يحرسُون علياً، يحسبونه النبي عليه السلام، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقتصوا أثره.

وقال محمد بن كعب القرظي : اجتمعوا على بابه، فقالوا: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتُم بعد موتكم، فجُعل لكم جنانٌ كجنان الأرض، فإن لم تفعلوا ذلك كان لكم فيه، ذبح، ثم بُعثتم بعد موتكم، فجعلت لكم نارٌ تُحرقون فيها.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حَفْنة من تراب، ثم قال: "نعم أنا أقول ذلك" فنثر التراب على رؤوسهم، و لم يروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ: يس إلى قوله: "وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ". ثم انصرف إلى حيث أراد، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمداً. قال: لقد واللّه خرج عليكم محمد ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته. فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فَيَروْن علياً رضي الله عنه، على الفراش متسجيًّا ببُرْدة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقولون: "إن هذا لمحمد نائم عليه بُرده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عن الفراش، فقالوا: واللّه لقد صدقنا الذي كان حدثنا.

وروى الواقدي عن أشياخه: أن الذين كانوا ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من المشركين: أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي مُعيط، والنضر بن الحارث، وأميّة بن خلف، وابن العيطلة، وزمعة بن الأسود، وطعيمة بن عديّ، وأبو

لهب، وأبيّ بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

فلما أصبحوا قام علي رضي الله عنه عن الفراش، فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لاعلم لي به.

وحكى جرير أنهم ضربوا علياً وحبسوه ساعة، ثم تركوه.

ذكر صفة خروج رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي اللّه عنه إلى الغار.

أخبرنا عبد الأول قال: أخبرنا ابن المظفر الداوودي قال: أخبرنا ابن أعين قال: حدثنا الفربري قال: أخبرنا البخاري قال: حدثنا يحيى بن أبي بكر قال: أخبرنا الليث، عن عُقيل قال: قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن، عائشة رضي الله عنها قالت: بينا نحن جلوس في بيت أبي بكر في نَحْرِ الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً متقنعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها. فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمْرٌ .

قالت: فجاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأْذَن، فَأَذِنَ له، فَدَخَلَ فقال لأبي بكر: اخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ. فقال أبو بكر: إنما هم أَهْلُكَ بأبي أنت يا رسول الله. قال: "فإني قد أذنَ لي في الخروج" قال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. قال: نعم قال: فَخُذْ إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بالثمَن" . قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، ووضعنا لهما سُفرة من جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، ثم ربطت به فم الجِّراب - ولذلك سميت ذات النطاقين - قالت: ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر - وهو غلام شاب ثَقِفٌ لقِن - فيَدلج من عندهما بِسَحَرٍ، فيصبح مع قريش كبائت، فلا يسمع أمرٍ يُكادُ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فَهَيْرة مولى أبي بكر مِنْحَة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْلٍ- وهو لبنُ منحتهما - حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بِغَلسٍ، يفعل هذا كل يوم وليلة من الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وَوَاعده غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما.

قال مؤلف الكتاب: وقد روينا عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر لما أراد الخروج، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غارٍ في جبل ثور.

وروى الواقدي عن أشياخه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمترل أبي بكر إلى الليل، ثم خرجا إلى الغار، وكان خروجهما وقد بقي من صفر ثلاث ليالٍ.

قالت أسماء بنت أبي بكر: لما خرجا أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجتُ إليهم فقالوا: أين أبوك؟ فقلت: لا أدري واللّه أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً - فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي ثم انصرفوا.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثت يعقوب قال: أخبرنا أبي، عن

ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير: أن أباه حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر مالَه كله معه – – خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم – وانطلق بها معه.

قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: إني واللّه لأراه قد فجعكمِ بماله مع نفسِه. قالت: قلت: كلا إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوّة في البيت كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: أيا أبت ضَعْ يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إن كان تَرك لكم هذا فقد أحْسَن، وفي هذا لكم بلاغ. قالت: لا واللّه ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

ذكر إقامتهما في الغار وما جرى لهما فيه أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عفان قال: أخبرنا هَمَّام، قال: أخبرنا ثابت، عن أنس: أن أبا بكرٍ حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. قال: "أيا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما"؟.

أخرجاه في الصحيحين.

أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: أخبرنا محمد بن العباس بن أيوب قال: أخبرنا أحمد بن محمد المؤدب قال: حدثنا أبو معاوية قال: أخبرنا هلال بن عبد الرحمن قال: أخبرنا عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله، دعني لأدخل قبلك. قال: "ادخل ".

فدخل أبو بكر، فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جُحراً قال بثوبه فشقه، ثم ألقمه الجُحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جحر، فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أين ثوبك يا أبا بكر؟ " فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال: "اللهم اجعل أبا بكرٍ معي في درجتي في الجنة" أو قال: "يوم القيامة" فأوحى الله عز وجل إليه أن قد استجاب لك.

وقال الواقدي عن أشياخه: طلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب، حتى انتهت إلى باب الغار، فقال بعضهم: إن عليه عنكبوتاً قبل ميلاد محمدٍ، فانصرفوا.

قالت أسماء بنت أبي بكر: و لم ندر بالحال حتى أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة، يغني بأبياب من الشعر من غناء العرب، والناس يتبعونه يسمعون صوته وما يَرَوْنه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جَزَى الله رَب الناس خَيْرَ جَزائهِ — رَفِيقَيْن حلا خَيْمَتَيْ أَمَ مَعْبَدِ

قال مؤلف الكتاب: وسيأتي ذكر الأبيات والقصة إن شاء الله تعالى.

قال أبو الحسن بن البراء : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع الأول.

ذكر ما جرى في طريقه إلى المدينة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وعامر بن فهيرة

ووليهم عبد الله أريقط الليثي، وكان على دين قومه، فأخذ بهم طريق السواحل.
أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا أبو الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا عمرو بن محمد العنقري قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً. قال: فقال: مُر البراء فليحمله إلى منزلي. قال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حين، هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه؟
قال فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فأحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فضربت ببصري، هل أرى ظلاً نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها، فإذا بقيةُ ظلها، فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروْة، وقلت: اضطجع يا رسول الله فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب، فإذا براعي غنم فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش. فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قال، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم. قال: فأمرته، فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعي إداوة على فمها خرقة، فحلب لي كثبة، من اللبن، فصببته على القدح حتى برد أسفَلُهُ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ فقلت: إشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل أتى الرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم إلا سُراقة بن مالك بن جعُشم على فرسٍ له.
فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد بلغنا . فقال: "لا تحزن إن اللّه معنا" حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين – أو قال: رمحين أو ثلاثة – قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد بلغنا. وبكيت. قال: " لم تبكي؟" قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. قال: فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم أكفنا بما شئت" فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صَلْد، ووثب عنها وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فو الله لأعمينَ على مَنْ ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً، فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حاجة لي فيها"، قال: ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق فرجع إلى أصحابه.
أخبرنا عبد الأول قال: أخبرنا ابن المظفر قال: أخبرنا ابن أعين قال: حدثنا الفربري قال: أخبرنا البخاري قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير قال: أخبرنا الليث، عن عقيل، قال ابن شهاب: أخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي: أنه سمع سُراقة يقول: جَاءَنا رُسُل كفّار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر دِيَة كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني قد رأيْت آنفاً أسْوِدة بالساحل، أراها محمداً وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم لَيْسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقوا بأعيننا.
ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت، فدخلت بيتي، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة، فتحبسها علي، فأخذت رمحي وخرجت به من ظهر البيت، فَخَطَطْتُ بزُجهِ الأرض، وخفضت عالية الرمح، حتى أتيت فرسي فركبتها، فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها، الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره ألا أضرهم، فركبت فرسي وعصيت الأزلام، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت و لم تكَدْ تُخرِجُ يديها، فلما استوت قائمةً، إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره؟ فناديتهم بالأمان

فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يرزآني و لم يسألاني، إلا أن قالا: أخفِ عنا. فسألته أن يكتب لي كتابَ أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما جرى لهم أنه لقيهم بريدة بن الحُصَيب: أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو بكر البيهقي قال: أخبرنا أبو عبد اللّه الحاكم قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن سورة قال: أخبرنا أحمد بن إسماعيل السكري قال: أخبرنا أحمد بن زهير قال: حدثنا علي بن مهران، عن الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير وكان يتفاءل، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل فيمن يأخذ نبي اللّه فيرده عليهم حين توجه إلى المدينة، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم فتلقى نبي الله، فقال نبي الله: "من أنت؟ " قال: أنا بريدة. فالتفت إلى أبي بكر الصديق فقال: "يا أبا بكر، بَرَدَ أمرُنا وصلح" ثم قال: "وممن أنت؟" قال: من بني أسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "سلمنا" قال:، ممن أنت؟" قال: من بني سهم. قال: "خرج سهمك ". فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ أنت؟ قال: "محمد بن عبد اللّه رسول الله" فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول الله. فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً.

فلما أصبح قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء. فحل عمامته، ثم شدها في رمح، ثم شدها بين يديه، فقال: يا نبي اللّه، تَنْزل علي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ناقتي هذه مأمورة" قال بريدة: الحمد للّه الذي أسلمت بنو سَهْم طائعين غير مكرهين.

وقال عروة: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، الزبير في ركب كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياباً بيضاء.

ومما جرى لهم في الطريق أنهم مروا بخيمتي أم معبد: أخبرنا محمد بن طاهر قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث ابن أبي أسامة قال: حدثت محمد بن سعد قال: حدثني محمد بن سعد وغيره، قالوا: أخبرنا بشير بن محمد الواسطي، قال: أخبرنا عبد الملك بن وهب المذحجي، عن الحُرّ بن الصيّاح، عن أبي معبدٍ الخزاعي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فُهيرة ودليلهم عبد اللّه بن أُريقط، فمروا بخَيْمَتي أم معبد الخزاعيّة، وكانت امرأة جَلْدَةً بَرْزَة تحتبي وتقعد بفناء الخمية. ثم تسقي وتُطْعِم، فسألوها تمراً أو لحماً يشترون. فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، فإذا القوم مُرْمِلُون مُسْنِتُون، فقالت: واللّه لو كان عندنا شيء ما أعْوَزكم القِرَى.

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كِسْر الخيمة، فقال: "مَا هَذِه الشاةُ يا أم مَعْبَد؟" قالت: هذه شاة خلَّفها الجَهْدُ عن الغنم. قال: "هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟" قالت: هي أجهد من ذلك. قال: "أتأذَنِينَ لِي أنْ أحْلُبَهَا؟" قالت: نعم بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حَلَباً.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة، فمسح ضرعها وذكر اسم الله تعالى، وقال: "اللَهُمَّ بَارِكْ لَهَا فِي شَاتِهَا".

قالت: فتفاجت ودَرتْ واجْتَّرتْ وأحلبت، فدعا بإناء لها يُرْبض الرهط فحلب فيه ثجّاً حتى غلبه الثُّمالُ، فسقاها فشربت حتى

رَويت وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرَهم، وقال: "سَاقي القوْم آخرهُمْ شرباً" فشربوا جميعاً عَلَلاً بعد نَهَلٍ حتى أراضوا، ثُمَّ حلب فيه ثانياً عوداً على بدء، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها، فقلَّما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حُيلاً عجافاً هَزْلى ما تَسَاوَقُ، مُخّهنَ قليل لا نِقْيَ بهن، فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين لكم هذا، والشاة عازبة ولا حَلُوبَة في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مُبارَكٌ كان من حديثه كَيْتَ وكَيْتَ. قال: والله إني، لأراه صاحبَ قريشٍ الذي تطلب، صِفيه لي يا أمَ معبد. قالت: رأيتُ رجُلاً ظاهر الوضاءة متبلج الوجه، حسن الخَلْق، لم تَعِبْه ثُجْلة، و لم تُزْرِ بِهِ صَعْلة، قَسِيمٌ وسيم، في عينيه دَعَج، وفي أسفاره وَطَفٌ، وفي صوته

صَحَل، أحْوَر أكحل أزجُ، أقرن شديد سواد الشعر، في عنقه سَطَع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه وقار، وإذا تكلم سَما وعلاه البهاء، كأنَّ مَنْطقه خرزاتٌ نظمٍ يتحدَرْن، حلو المَنطق، فصل، لا نزرٌ به ولا هَذَر ، أجْهَر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تَشْنؤه عين من طُول، ولا تقتحمه عين من قِصر، غُصْنٌ بَيْن غُصنين، وهو أنضر الثلاثة منظر وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفُون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، مَحْفُود محمود مَحْشُود، لا عابس ولا مُفْند.

قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذكر، ولو كنت وافقته يا أم معبد، لالتمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وأصبح صوتٌ بمكة عالياً بين السماء والأرض، يسمعون ولا يرون مَنْ يقوله، وهو يقول:

جَزَى اللهُ رب النَاس خير َجزائه ... رفيقَينَ حلا خيمتَيَ أم مَعْبَدِ

هما نَزَلا بالبِر وارتحلا به ... فأفْلَح مَنْ أمْسَى رفيقَ محمدِ

فيالَ قصَيٍّ ما زوَى اللَّهُ عنكم ... به من فِعال لا تُجَازَى وسؤدد

سَلُوا أختكم عن شاتِهَا وإنائها ... فإنكمُ إنْ تَسْألوا الشاة تَشْهد

دعاها بشاةٍ حائل فتحلَبَتْ ... له بصريح ضَرة الشاةِ مُزْبِد

فغادَره رَهناً لديها لحالب ... يَدِرُ بها في مَصْدرٍ ثم مَوْرِدِ

وأصبح القوم قد فقدوا نبيهم وأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم قال : فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال:

لقد خاب قومٌ غاب عنهم نَبِيُهم ... وقُدس من يَسْري إليه ويَغْتدي

ترحل عن قوم فزالت عقولُهم ... وحل على قوم بنورٍ مجَددِ

وهل يَسْتوي ضُلال قوم تسفهوا ... عمًى وهداةٌ يهتدون بمهتدِ؟

نبي يرى ما لا يَرى النَاسُ حولَه ... ويتلو كتابَ الله في كل مَشْهَد

وإنْ قال في يوم مقالةَ غائبٍ ... فتصديقها في ضحوةِ اليوم أوغدِ

لِتَهْنِ أبا بكر سعادة جَده ... بصُحبته مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

قال مؤلف الكتاب: البرزة: الكبيرة.

والمرملون: الذين قد نفد زادهم. والمُسْنتون: من السَّنَة، وهي الجَدْب. وكِسْر الخيمة: جانبها.

والجهد: المشقة. وتفاجت: فتحت ما بين رجليها للحلب. ويُرْبض الرهط: يثقلهم فيربضوا.

والثمال: الرغوة. والعَلَلَ: مرة بعد أخرى. وأراضوا: أي رووا. والحيل: اللاتي لَسْنَ بحوامل.

والعازب: البعيد في المرعى. والمتبلج: المُشرق. والثجلة: عظم البطن واسترخاء أسفله.

والصُعلة: صغر الرأس. والوسيم: الحسن وكذلك القسيم. والدعج: سواد العين.

والوطف: الطول. والصَحَل: كالبحة. والأحور: الشديد سواد أصول الأهداب خِلقة. والسطع: الطول. وقولها: إذا تكلم سما: أي علا برأسه ويده. وقولها: لا تقتحمه عين: أي تحتقره.

والمُقْب: الهَرِم. والصريح: الخالص. والضرة: لحم الضرع.

وأنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي قال: أنبأنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: حدّثنا الحسن بن الفهم قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر، عن حرام بن هشام، عن أبيه، عن أم معبد قالت: طلع علينا أربعة على راحلتين فنزلوا بي، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة أريد أن أذبحها، فإذا هي ذات در، فأدنيتها منه، فلمس ضرعها فقال: "لا تذبحيها" فأرسلتها فجئت بأخرى فذبحتها فطحنت لهم، فأكل هو وأصحابه، فتغدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وملأت سُفْرهم منها ما وسعت سفرهم، وبقي عندنا لحمها أو أكثره، وبقيت الشاة التي لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر، وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة.

قالت: وكنا نحلبها صَبُوحاً وغَبُوقاً وما في الأرض قليل ولا كثير. وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم.

ذكر تلقي أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إياها

أخبرنا عبد الأول بن عيسى قال: أخبرنا الداوودي قال: أخبرنا ابن أعين قال: أخبرنا الفربري قال: حدثنا البخاري قال: أخبرنا عيسى بن بكر قال: أخبرنا الليث عن عقيل قال: قال ابن شهاب: أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتِ المسلمون بالمدينة بمَخْرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فكانوا يَغدون كل غَدَاة إلى الحَرَّة ينتظرونه حتى يردهم حَرُ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوْفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه، فبَصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مُبْيضِين يزول بهم السراب. فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْر الحَرَّة، فَعَدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف. فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً.

قال مؤلف الكتاب: بنو عمرو هم أهل قباء، وعليهم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن إسحاق: فنزل على كلثوم بن الهَدْم أخي بني عمرو بن عوف.
وقيل: بل نزل على سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزبَاً لا أهل له.
قال الزهري : فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلْت من ربيع الأول.
وروى حنش الصنعاني عن ابن عباس قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين، واستنبي يوم الاثنين، وَرَفَع الحَجَر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقُبِض يوم الاثنين.
أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عمرو بن محمد العنقري قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى قدمنا المدينة، فتلقاه الناس، فخرجوا في الطريق وعلى الأجاجير، فاشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر، جاء رسول الله، جاء محمد.
قال؟ وتنازع القوم أيُّهم ينزل عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم ذلك ".
فلما أصبح غدا حيث أمِر. أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني أبو القاسم الأزهري قال: حدثنا محمد بن المظفر قال: حدثنا موسى بن أنيس بن خالد قال: أخبرنا نصر بن علي قال: أخبرنا عبد الأعلى، عن عوف، عن ثمامة، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجوارٍ من الأنصار وهن يغنين: نحن جوارٍ من بني النجار وحبذا محمد من جار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله يعلم أني أحبكن".
ذكر المكان الذي نزل به حين قدم المدينة صلى الله عليه وسلم قال مؤلف الكتاب: قد ذكرنا أنه بات عند بني النجار أخوال عبد المطلب.
وبيان الخؤولة: أن هاشماً تزوج امرأة من بني عدي بن النجار، فولدت له عبد المطلب.
ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم ومن الحوادث: أنه لما قدم صلى الله عليه وسلم لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً.
أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدَّثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم لقدومه فرحاً بذلك .
قال ابن إسحاق: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما يذكرون – على كلثوم بن الهدم.
ويقال: على سعد بن خيثمة.
ونزل أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه على خبَيْب بن إساف بالسنح. وقيل: نزل على خارجة بن زيد.
وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم.

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسَس

مسجدهم، ثم خرج عنهم يوم الجمعة. وقيل: مكث فيهم بضعة عشر يوماً.
قال محمد بن حبيب القاسمي: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، فترل قباء، وكان نزوله على كلثوم بن الهدم، وكان يتحدث في مترل سعد بن خيثمة. وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم قباء قد بنوا مسجداً يصلون فيه، فصلى بهم فيه، ولم يحدث في المسجد شيئاً، فأقام صلى الله عليه وسلم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وركب من قباء يوم الجمعة إلى المدينة، فجمع في بني سالم، فكانت أول جمعة جمعها في الإسلام، وخطب يومئذ.

ذكر تلك الخطبة

روى أبو جعفر ابن جرير قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن سعيد بن عبد الرحمن الجُمحي: أنه بلغه عن خطبة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في أوّل جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف: الحمد للّه، أحمَده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحدَه لا شريك له، وان محمَداً عبدهُ ورسوله، أرسله بالهُدى والنور والموعظة، على فَتْرة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالةٍ من النَاس، وانقطاع عن الزمان، ودنو من الساعة، وقُرْبِ من الأجَل؟ مَنْ يطعِ اللّه وَرَسُولَهُ فَقَد رَشَدَ، ومَنْ يَعْص اللّه ورسوله فقد غَوَى وفرطَ، وضل ضلالاً بَعيداً، وأوصيكم بتقوى اللّه، فإنه خيرُ ما أوصَى به المسلمُ المسلمَ أن يَحُضّه على الآخرة، وأن يأمَره بتقوى اللّه، فاحذروا ما حذَركم اللّه من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً؟ وإن تقوى اللّه لمن عَمِلَ به على وَجلٍ ومخافة من ربّه، عوْنُ صدقٍ على ما تَبْغُون من أمر، الآخرة، ومَن يصلِح الذي بينه وبين اللّه من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجَه اللّه يكن له ذكراَ في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك، يَوَد لَوْ أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسَه، واللّه رؤوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز وَعْده، لا خُلفَ لذلك، فإنَه يقول: "مَا يُبدلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أنَا بظَلامٍ للْعَبيد" فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه مَنْ يتقِ الله يكفر عن سَيّئاته، وُيعْظم له أجْراً، ومَنْ يتَّقِ الله فقد فاز فَوْزاً عظيماً، وإنّ تقوى الله يُوَقّي مقته، وعقوبته، وسَخَطه، ويُبيض الوجوه، ويرْضي الربَّ، ويرفع الدرجة.
خذوا، بحظَكم، ولا تفرّطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيلَه، ليعلَم الذٌين صدقوا وليعلَم الكاذبين. فَأحْسنوا كما أحْسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، هو اجتباكم وسفَاكم المُسلمين ليهْلكَ مَنْ هلك عن بينة، ويحيا من حَي عن بيَنة، ولا قوة إلا بالله، فأكثِرُوا ذكْرَ الله، واعلموا أنه خير الدنيا وما فيها، واعملوا لما بعد الموت، فإنه مَنْ يُصلح ما بينه وبين اللهّ يَكْفه اللهّ ما بينه وبين النَاس، ذلك بأنَّ اللّه يقضِي الحق على الناس ولا يقضُون، ويملِكُ من الناس ولا يملكون منه، الله أكبرُ ولا قوةَ إلاَ باللّه العلي العظيم.
قال ابن إسحاق : وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته، وأرخى الزمام، فجعلت لا تمر بدارٍ من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى الترول عندهم، وقالوا له: هلم يا رسول اللّه إلى العدد والعدة والمنعة.
فيقول لهم صلى الله عليه وسلم: "خلُّوا زمامها فإنها مأمورة".

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مَرْبد لغلامين يتيمين من بني النجار في حجر معاذ بن

عفراء يقال لأحدهما: سهل، والآخر: سهيل ابنا عمرو بن عباد، فلم يترل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها ثم رجعت إلى مترلها أول مرة، فبركت فيه ووضعت جرانَها، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فاحتمل أبو أيوب رَحْلَه، فوضعه في بيته، فدعته الأنصار إلى الترول عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرءُ مع رَحْلِه ".

فترل على أبي أيوب خالد بن زيد، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المربد: لَمنْ هو؟ فأخبره معاذ وقال: هو ليتيمين لي وسأرضيهما.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجداً، وأقام عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه.

أخبرنا عبد الأول قال: أخبرنا الداوودي قال: أخبرنا يحيى بن زكريا قال: أخبرنا الليث، عن عقيل قال؟ قال ابن شهاب: أخبرني عروة، عن عائشة قالت: لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسِّسَ على التقوى، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناسُ حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت: "هذا إن شاء اللّه. المترل" ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً. فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجداً، وطفق ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول:

هذا الحِمال لا حِمَال خَيْبر ... هذا أبر رَبَّنَا وأظْهَر

ويقول:

اللهم إن الخيرَ خيرُ الآخرة ... فارحم الأنصار والمُهَاجرة

قال مؤلف الكتاب: انفرد بإخراجه البخاري .

وفيه دليل على أن مسجد قباء بُنِيَ قبل مسجد المدينة.

تكلم الذئب خارج المدينة ينذر برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة: تكلم ذئب خارج المدينة ينذر برسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن أشعب بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال جاء ذئب إلى راعي غنم، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، فصعد الذئب على تلٍ، فأقعى واستذفر، فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله انتزعته مني. فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم. قال الذئب: أعجب من هذا، رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن عندكم.

وكان الرجل يهودياً، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره، وصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده".

الزيادة في صلاة الحضر

وفي هذه السنة: زيد في صلاة الحضر – وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين – وذلك بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر، في ربيع الآخر لمضي اثنتي عشرة ليلة. قال الواقدي: لا يختلف أهل الحجاز في ذلك.

بناؤه صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها

وفي هذه السنة: بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها في شوال.

وقَد قيل: في السنة الثانية. والأول أصح.

وكان تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين.

وقيل: كان البناء بها يوم الأربعاء في مترل أبي بكر رضي اللّه عنه بالسنح.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى بناته وزوجته

وفي هذه السنة: بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى بناته وزوجته سودة بنت زمعة زيد بن حارثة وأبا رافع، فحملاهن من مكة إلى المدينة، ولما رجع عبد الله بن أريقط إلى مكة أخبر عبد اللّه بن أبي بكر بمكان أبيه أبي بكر، فخرج عبد اللّه بعيال أبيه إليه، وصحبهم طلحة بن عبيد ومعهم أم رومان – أم عائشة – وعبد الرحمن حتى قدموا المدينة.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وفي هذه السنة: آخى بين المهاجرين والأنصار.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو محمد بن العباس قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن أنس بن مالك.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنس.

قال ابن سعد : وحدثنا محمد بن عمر، عن أشياخه قالوا: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمؤاساة، يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً: خمسة وأربعون رجلاً من المهاجرين، وخمسة وأربعون من الأنصار.

ويقال: كانوا مائة، خمسون من المهاجرين، وخمسة وأربعون من الأنصار.

وكان ذلك قبل بدر، فلما كانت وقعة بدر، وأنزل الله عز وجل: "وَأولُوا الأرحام بعضُهُمْ أوْلى بِبَعْض فِي كِتَابِ الله".

نسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطعت المؤاخاة في الميراث، ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه.

قال مؤلف الكتاب: وهذه تسمية الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها على حروف المعجم: واعتبرت الاسم الأول فقط: حرف الألف: آخى بين أبي بن كعب وطلحة بن عبيد الله. وقيل: بين أبي وسعيد بن زيد.

آخى بين إِياس بن البكير والحارثة بن خزيمة.

آخى بين الأرقم بن أبي الأرقم، وأبي طلحة زيد بن سهل.

حرت الباء: آخى بين بشر بن خالد بن البراء، وواقد بن عبد الله.

آخى بين بلال بن رباح، وبين عبيدة بن الحارث. وقيل: بين بلال، وأبي رويحة الخثعمي. وقيل: بين بلال، وأبي ذر.

حرف التاء: آخى بين تميم مولى خداش بن الصمة، وحيان مولى عتبة بن غزوان.

حرف الثاء: آخى بين ثابت بن قيس، وعامر بن البكير.

آخى بين ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن الحمراء.

حرف الجيم: آخى بين جعفر بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل.

آخى بين جرير بن عتيك، وخباب بن الأرت.

حرف الحاء: آخى بين حاطب بن أبي بلتعة، ورحيلة بن خالد، وقيل: بين حاطب وعويمر بن ساعدة. وقيل: بين حاطب، وكعب بن مالك.

آخى بين حارثة بن سراقة، والسائب بن عثمان بن مظعون.

آخى بين الحصين بن الحارث، ورافع بن عنجدة. وقيل: بين الحصين، وعبد بن جبير حرف الخاء: آخى بين خالد بن البكير، وزيد بن الدثية. وقيل: بين خالد، وثابت بن قيس بن شماس آخى بين خنيس بن حذافة، وأبي حبيش بن جبير. وقيل: بين خنيس، والمنذر أبو محمد بن عقبة.

حرف الذال: آخى بين ذي الشمالين، ويزيد بن الحارث بن فسحم. وقتلا جميعاً ببدر.

آخى بين ذكوان بن عبد قيس، ومصعب بن عمير.

حرف الراء: آخى بين رافع بن مالك، وسعيد بن زيد بن عمرو حرف الزاي: آخى بين الزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود.

وقيل:، بين الزبير، وبين طلحة. وقيل: بين الزبير، وكعب بن مالك. وقيل: بين الزبير، وسلمة بن سلامة بن وقش.

آخى بين زيد بن حارثة، وحمزة بن عبد المطلب. وقيل: بين زيد، وأسيد بن حضير.

آخى بين زيد بن الخطاب، ومعن بن عدي.

حرف السين: آخى بين سعد بن أبي وقاص، ومصعب بن عمير. وقيل: بين سعد، وعبد الرحمن بن عوف وقيل: بين سعد، وعمار بن ياسر. وقيل: بين سعد، ومحمد بن مسلمة.

آخى بين سالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن ماعص.

آخى بين سعد بن عوف بن الربيع، وبين عبد الرحمن بن عوف.

آخى بين سعد بن خيثمة، وأبي سلمة.

آخى بين سلمة بن سلامة، وأبي سبرة بن أبي رهم.

آخى بين سلمان الفارسي، وأبي الدرداء. وقيل: بين سلمان، وحذيفة.

آخى بين سويبط بن سعد، وعابد بن ماعص.

حرف الشين: آخى بين شجاع بن وهب، وأوس بن خولي.

آخى بين شماس بن عثمان، وحنظلة بن الراهب.

حرف الصاد: آخى بين صهيب، والحارث بن الصمة.

آخى بين صفوان بين بيضاء، وبين رافع بن المعلى.

حرف الطاء: آخى بين طلحة، وسعد بن زيد. وقيل: بين طلحة، وكعب بن مالك. وقيل،: بين طلحة، وأبي أيوب.

وآخى بين الطفيل بن الحارث، والمنذر بن محمد. وقيل: بين الطفيل، وسفيان بن بشر.

وآخى بين طليب بن عمرو، والمنذر بن عمرو.

حرف العين: آخى بين أبي بكر الصديق واسمه: عبد الله، وبين عمر. وقيل: بين أبي بكر، وبين خارجة.

آخى بين عمر، وأبي بكر. وقيل: بين عمر وبين عويمر بن ساعدة. وقيل: بين عمر، وعتبان بن مالك.

آخى بين عثمان بن عفان، وبين عبد الرحمن بن عوف. وقيل: بين عثمان، وأوس بن ثابت.

آخى بين علي بن أبي طالب، وبين نفسه صلى الله عليه وسلم. وقيل: بين علي وبين الزبير. وقيل: بين علي، وسهل بن حنيف.

آخى بين العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث.

آخى بين أبي عبيدة، وبين سالم مولى أبي حذيفة. وقيل: بين أبي عبيدة، وسعد بن معاذ. وقيل: بين أبي عبيدة، ومحمد بن مسلمة.

آخى بين عبد اللهّ بن مسعود، ومعاذ بن جبل.

آخى بين عبد الله بن مظعون، وسهل بن عبيد بن المعلى.

آخى بين عبد الله بن جحش، وعاصم بن ثابت.

آخى بين عمير بن أبي وقاص، وعمرو بن معاذ.

آخى بين عمار، وحذيفة. وقيل: بين عمار، وثابت بن قيس.

آخى بين عثمان بن مظعون، وأبي الهيثم بن التيهان. وقيل: بين عثمان، والعباس بن عبادة بن نضلة. وقيل: بين عثمان، وأوس بن ثابت.

آخى بين عتبة بن غزوان، وأبي دجانة. وقيل: بين عتبة، ومعاذ بن ماعص.

آخى بين عكاشة، والمجذر بن زناد.

آخى بين عاقل بن أبي البكير، وبشر بن عبد المنذر، وقيل: بين عاقل، ومجذر بن زياد.

آخى بين عامر، والحارث بن الصمة.

آخى بين عمرو بن سراقة، وسعيد بن زيد.

آخى بين عبيدة بن الحارث، وعمير بن الحمام.

آخى بين عبادة، وعامر بن ربيعة.

آخى بين عوف بن مالك، وأبي الدرداء.

حرف الفاء: آخى بين فروة بن عمرو البياضي، وعبد الله بن مخرمة.

حرف القاف: آخى بين قطبة بن عامر، وعبد الله بن مظعون.

حرف الكاف: آخى بين كناز بن الحصين، وعبادة بن الصامت.

حرف الميم: آخى بين مصعب بن عمير، وأبي أيوب.

آخى بين مرثد بن أبي مرثد، وأوس بن الصامت.

آخى بين مسطح، وزيد بن المزين.

آخى بين معاذ بن عفراء، ومعمر بن الحارث.

آخى بين محرز بن نضلة، وعمارة بن جرير.

آخى بين مسعود بن الربيع، وعبيد بن التيهان.

آخى بين المقداد، جَبار بن صخر، وقيل: بين المقداد، وابن رواحة.

آخى بين المنذر بن عمرو، وأبي ذر.

آخى بين مهجع، والحارث بن سراقة. وقيل: بين مهجع، وسراقة.

حرف الهاء: آخى بين هشيم بن عتبة، وعباد بن بشر.

حرف الواو: آخى بين وهب بن سعد، وسويدا بن عمرو. وقيل: وهب، وسراقة.

حرف الياء: آخى بين يزيد بن المنذر، وعامر بن ربيعة.

أمره صلى الله عليه وسلم بصيام عاشوراء

وفي هذه السنة: وجد اليهود تصوم عاشوراء.

أخبرنا أبو الحسن الأنصاري قال: أخبرنا علي بن عبد الله النيسابوري قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان قال: أخبرنا مسلم بن الحجاج قال: حدثنا ابن أبي سفيان، عن أيوب، عن عبد الله بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: "ما هذا اليوم الذي تصومونه؟" قالوا: هذا يوم عظيم، نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون، وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فنحن أحق وأولى بموسى منكم" فصامه وأمر بصيامه.

أخرجاه في الصحيحين .

إسلام عبد الله بن سلام

وفي هذه السنة: أسلم عبد الله بن سلام.

أخبرنا موهوب بن أحمد قال: أخبرنا علي بن أحمد بن السري قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت قال: أخبرنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال: أخبرنا، محمد بن عبد الله بن يزيد المقري قال: حدَثني أبي، عن عوف بن أبي جميلة، عن زرارة بن أوفى، عن

عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن أتى، فلما رأيت وجهه عرفت أنه وجه غير كذاب، فسمعته يقول: "أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.
قال مؤلف الكتاب: وسيأتي شرح حاله في إسلامه عند ذكر وفاته.

رؤية عبد الله بن زيد الآذان في منامه

وفيها رأى عبد الله بن زيد الآذان فعلمه بلالاً.

أخبرنا هبة الله بن محمد قال: أخبرنا الحسن بن علي قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد قال: حدَثني أبي قال: أخبرنا يعقوب قال: أخبرنا أبي، عن ابن إسحاق قال: ذكر محمد بن مسلم الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه قال: لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب بالناقوس لجمع الناس للصلاة – وهو له كاره لموافقة النصارى – طاف بي من الليل طائف وأنا نائم: رجل عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس يحمله.
قال: فقلت له: يا عبد الله، أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ فقلت: بلى. قال: تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا اللّه، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله.
قال: ثم استأخر غير بعيدٍ ، قال: ثم تقول إذا قمت للصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.
قال: فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت، فقال: "إن هذه لرؤيا حق إن شاء اللّه" ثم أمر بالتأذين، فكان بلال يؤذن بذلك ويدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، فجاءه ذات غداة إلى الفجر ، فقيل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم، فصرخ بلال بأعى صوته: الصلاة خيرٌ من النوم.
قال سعيد بن المسيب: فأدخلت هذه الكلمة في التأذين إلى صلاة الفجر، فكان بلال يؤذن بذلك.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا سليمان القاري، عن سليمان بن سُحيم، عن نافع بن جبير.
قال محمد بن عمر: وأخبرنا عبد الحميد بن جعفر، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير.
قال: وأخبرنا هشام بن سعيد، عن زيد بن أسلم.
قال: وأخبرنا معمر بن راشد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب. قالوا: كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم – قبل أن يؤمر بالآذان – ينادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة. فيجتمع الناس، فلما صُرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالآذان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهمه أمر الآذان، وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم:

البوق. وقال بعضهم: الناقوس، فبينما هم على ذلك بات عبد الله بن زيد الخزرجي فأري في النوم أن رجلاً عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس.

قال: فقلتَ: أتبيع الناقوس؟ فقال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس. قال: أحدثكم بخير لكم من ذلك، تقول: الله أكبر الله أكبر – فذكر الآذان.

فأتى عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال له: "قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك فليؤذن بذلك" ففعل، وجاء عمر فقال: لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلله الحمد".

قال مؤلف الكتاب: فعلى هذه الرواية يكون الأذان قد وقع في السنة الثانية من الهجرة، لأنه ذكر ذلك بعد أن صرفت القبلة. وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً.

ذكر سراياه صلى الله عليه وسلم في هذه السنة

سرية حمزة بن عبد المطلب وفي هذه السنة: عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة بن عبد المطلب لواء أَبيض – وهو أول لواء عقده – وكان الذي يحمله أبو مرثد كَناز بن الحُصين حليف حمزة، وذلك في رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره، وبعث معه ثلاثين رجلاً من المهاجرين، و لم يبعث أحداً من الأنصار، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم، فخرج حمزة ليعترض عيراً لقريش، فلقي حمزة أبا جهل في ثلاثمائة رجل، فالتقوا فاصطفوا للقتال، فحجز بينهم مَجْديَ بن عمرو الجهني، وكان حليفاً للفريقين، فلم يقع قتال، ورجع أبو جهل إلى مكة وحمزة إلى المدينة.

سرية عبيدة بن الحارث ثم عقد في هذه السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجره لواء أبيض لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ، وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة، فخرج في ستين راكباً من المهاجرين، فالتقى بأبي سفيان على ماء، وكان بينهم الرميُ و لم يسلوا السيوف، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم، فكان أول مَنْ رمى به في الإسلام. وانصرف الفريقان، وفَر من المشركين إلى المؤمنين – أو قال: المسلمين وهو الأصح – المِقْداد، وعتبة بن غزوان، وكانا مسلمين، لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار إلى المسلمين. هذا قول الواقدي.

وقال ابن إسحاق: إنما كانت هذه الغزاة في السنة الثانية.

سرية سعد بن أبي وقاص بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَار في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجره، وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو، وبعثه في عشرين من المهاجرين يعترض عيراً لقريش، وعهد إليه أن لا يجاوز الخَرّار، وهي أبيات عن يسار الجحفة، حين تروح من الجحفة إلى مكة.

قال سعد : فخرجنا على أقدامنا، فكنا نكمن النهار ونسير بالليل حتى صبحناها صبح خمس، فَنجد العِيرَ قد مرًت بالأمس، ثم انصرفنا.

ومما جرى في هذه السنة

ما أخبرنا به أبو طاهر قال: أخبرنا أبو بكر بن طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا عمر بن حَيْوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا علي بن محمد بن علي بن مجاهد، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن علي بن حسين قال: كانت امرأة من بني النجار يقال لها فاطمة بنت النعمان لها تابعٌ من الجن، فكان يأتيها حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فانقض على الحائط فقالت: مالك لم تأت كما كنت؟ فقال: قد جاء النبي الذي حرم الزَنا والخمر.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسعد بن زرارة، أبو أمامة خرج إلى مكة هو وذكوان بن عبد قيس يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فسمعا برسول الله صلى الله عليه وسلم – فأتياه، فعرض عليهما الإسلام فأسلما، و لم يقربا عتبة ورجعا إلى المدينة، فكانا أول من قدم بالإسلام المدينة.
وكان أسعد أحد النقباء الاثني عشر، وهو الذي أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقال: أيها الناس، هل تدرون على ما تبايعُون محمداً؟ إنكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب والعجم، والجن والإنس. فقالوا: نحن حرب لمن حارب، وسلم لمن سالم.
ولما خرج مصعب بن عمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهاجر معه كان أسعد يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم في موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
مات أسعد بالذُّبحَة قبل أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناء مسجده، ودُفن بالبقيع. والأنصار يقولون: هو أول من دفن به. والمهاجرون يقولون: عثمان بن مظعون.
قال ابن إسحاق: والذي حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه لما مات أسعد بن زرارة، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو أمامة نقيبهم، فقالوا: يا رسول الله إن هذا الرجل قد كان منا بحيث قد علمت، فاجعل منا رجلاً مكانه يقيم من أمورنا مما كان يقيمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنتم أخوالي وأنا منكم، أنا نقيبكم" أن يخص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بني النجار الذي بعد قومهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقيبهم.
وأخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أنبأنا البرمكي قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الرجال قال: مات أسعد بن زرارة في شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى، وذلك قبل بدر، فجاءَت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد مات نقيبنا، فَنَقبْ علينا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا نقيبكم".
البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان
شهد العقبة، وكان أول من تكلم ليلة العقبة حين لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم السبعون من الأنصار فبايعوه وأخذ منهم النقباء، وكان هو أحد النقباء، فحمد الله، فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وحبانا به، وكنا أول من أجاب فاجبنا الله ورسوله، وسمعنا وأطعنا، يا معشر الأوس والخزرج، قد أكرمكم الله بدينه، فإن أخذتم السمع والطاعة والمؤازرة بالشكر، فأطيعوا الله ورسوله. ثم جلس، وقدم المدينة قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتوفي قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر، فلما

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق بأصحابه، فصلى على قبره، وقال: "اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه" وقد فعلت. وهو أول من مات من النقباء.

كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث كان شريفاً، كبير السن، أسلم قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه، ونزل عليه جماعة منهم: أبو عبيدة، والمقداد، وخباب في آخرين.

وتوفي قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بيسير، وكان رجلاً صالحاً.

ذكر من توفي من المشركين وفي هذه السنة ماتَ من المشركين: العاص بن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي قال: أخبرنا محمد بن هبة الطبري قال: أخبرنا أبو أعلى بن صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد القرشي قال: أخبرنا أبو كريب قال: أخبرنا محمد بن الصلت، عن ابن أبي زائدة، عن مجالد، عن الشعبي قال: لما حضر الوليد بن المغيرة جزع، فقال له أبو جهل: يا عم، ما يجزعك؟ قال: والله ما بي جزع من الموت، ولكني أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة، فقال أبو سفيان: يا عم، لا تخف فأنا ضامن أن لا يظهر.

ذكر ما جرى في السنة الثانية من الهجرة

ثم دخلت سنة اثنتين من الهجرة. فمن الحوادث فيها:

زواج علي بن أبي طالب بفاطمة رضي الله عنهما

أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تزوج فاطمة رضيِ الله عنها في صفر لليال بقين منه، وبنى بها في ذي الحجة.

وقد روي أنه تزوجها في رجب بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بخمسة أشهر وبنى بها بعد، مرجعه من بدر. والأول أصح.

وكانت فاطمة يوم بنى بها بنت ثمان عشرة سنة، وأهديت في بُردين وعليها دملوجان من فضة، وكان معها خمِيلةٌ ومرفقة من أدَمٍ حَشوُها ليفٌ، ومنخل، وقدح، ورحى، وجرتان.

أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروفٍ قال: أخبرنا الحسين بن الفهم.

قال: وحدثنا محمد بن سعيد قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: أخبرنا المنذر بن ثعلبة قال: أخبرنا علباء بن أحمر اليشكري: أن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: "انتظر بها القضاء" فجاء عمر إلى أبي بكر وأخبره، فقال: لله درك يا أبا بكر. ثم إن أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فخطبها فقال له مثل ما قال لأبي بكر: "انتظر بها القضاء" فجاء إلى أبي بكر فأخبره فقال: للّه درك يا عمر. ثم إن أهل علي قالوا لعلي: اخطب فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: بعد أبي بكر وعمر؟! فذكروا له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطبها فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم، فباع عليٌ بعيراً له وبعض متاعهِ، فبلغ أربعمائة وثمانين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "اجعل ثلثين في الطيب وثلثا في المتاع".

قال محمد بن سعد: وأخبرنا وكيع، عن عباد بن منصور قال: سمعت عطاء يقول: خطب عليَ فاطمة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن علياً يذكرك فسكتت، فزوجها".

قال: وحدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا جرير بن حازم قال: أخبرنا أيوب، عن عكرمة.

أن علياً خطب فاطمة رضي الله عنهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما تصدقها؟" قال: ما عندي ما أصدقها. قال: "فأين درعك الحطمية؟" قال: عندي. قال: "صدقها إياها وتزوجها".

قال: وأخبرنا مالك بن سعيد النهدي قال: أخبرنا عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي، عن عبد الكريم بن سليط ابن بريدة، عن أبيه قال:

أتى عليّ كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلَّم عليه، فقال: "ما حاجة ابن أبي طالب؟" قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد. قال: "مرحباً وأهلاً" لم يزده عليها. فخرجِ علي على رجال من الأنصار فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً. قال: يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما؟ أعطاك الأهل وأعطاك المرحب.

فلما كان بعد أن زوَجه قال: يا علي إنه لا بد للعروس من وليمة. فقال سعد: عندي كبشان. وجمع له رهط من الأنصار آصُعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: "لأتحدث شيئاً حتى تلقاني". فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء فتوضأ قيه، أفرغه على علي، ثم قال: "اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما".

قال: وأخبرنا أبو أسامة، عن مجالد، عن عامر قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار، ومالي ولها خادم غيرها.

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: وحدثني إبراهيم بن شعيب، عن يحيى بن شبل، عن أبي جعفر قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على أبي أيوب، فلما تزوج علي بفاطمة قال لعلي: اطلب مترلاً. فطلب عليٌ مترلاً فأصابه مستأخراً عن رسول الله قليلاً، فبنى بها فيه، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهما فقال: "إني أريد أن أحولك إلي فقال: يا رسول الله، فكلم حارثة بن النعمان أن يتحول عني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد، تحول حارثة عنا حتى قد استحييت منه" فبلغ ذلك حارثة فتحول، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك، وهذه منازلي وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال، الذي تأخذ مني، أحب إليّ من الذي تدع، فقال: "صدقت، بارك الله عليك" فحولها رسول الله إلى بيت حارثة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار قال: أخبرنا ابن حيويه قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعدٍ قال: أخبرنا علي بن محمد قال: حدثنا خباب بن موسى العبدي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قال علي رضي الله عنه.

بتنا ليلة بغير عشاء، فأصبحت فخرجت، ثم رجعت إلى فاطمة وهي محزونة، فقلت: مالك؟ قالت: لم نتعش البارحة، و لم نتغد اليوم، وليس عندنا عشاء، فخرجت فالتمست فأصبت ما اشتريت طعاماً أو لحماً، ثم أتيتها به، فخبزت وطحنت، فلما فرغت من إنضاج القدر قالت: لو أتيت أبي فدعوته. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع في المسجد وهو يقول: "أعوذ بالله من الجوع

ضجيعاً". قلت: بأبي وأمي يا رسول الله، عندنا طعام، فهلم. فتوكأ عليَ حتى دخل والقدر تفور، فقال: "غرفي لعائشة" فغرفت في صحفة، ثم قال: "اغرفي لحفصة" فغرفت في صحفة، حتى غرفت لجميع نسائه التسع، ثم قال: "اغرفي لابنك وزوجك" فغرفت، ثم رفعت القدر وإنها لتفيض، فأكلنا ما شاء الله.

غزوة الأبواء

وفي هذه السنة كانت غزاة الأبواء.
قال مؤلف الكتاب: وهي أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلمِ بنفسه، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة، وخرج في المهاجرين فقط حتى بلغ الأبواء، يعترض لعير قريش حتى بلغ ودان - ولذلك يقال لها أيضاً غزاة ودان - و لم يلقَ كيداً، فوادع مخشي بن عمرو الضمري - وهو سيد بني ضمرة - على أن لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يعينوا عليه، فكتب بذلك بينهم وبينه كتاباً - وضمرة من بني كنانة - ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

غزاة بواط

وفيها كانت غزاة بواط.
خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، وحمل لواءه سعد بن معاذ، وخرج في مائتين من الصحابة يعترض عير قريش، وكان فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بُواط -وهي جبال جُهينة من ناحية رضوى وهو قريب من ذي خُشب مما يلي طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو من أربعة برد - فلم يلق كيداً، فرجع إلى المدينة .

غزوة طلب كرز بن جابر الفهري

فلم يمض إلا ليالٍ حتى أغار كرز بن رجاء الفهري على سَرْح المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه، واستخلف زيد بن حارثة على المدينة، ومضى حتى بلغ سفَوان وهو واد، وفاته كرز، فرجع إلى المدينة.
وفيها: ولد النعمان بن بشير بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً في ربيع الآخر.

غزاة ذي العشيرة

وفي هذه السنة كانت غزاة ذي العشيرة في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين ومائة راكب - وقيل: في مائتين - من المهاجرين، و لم يكره أحداً على الخروج، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، ومضى يعترض لعير قريش، وكانوا قد بعثوا فيها أموالهم، فبلغ ذا العشيرة - وهي لبني مُدْلِج بناحية يَنبُع، وبينها وبين المدينة تسعة بُرُد، ففاتته العير، وهي العير التي رجعت من الشام، فخرج لطلبها، وخرجت قريش تمنعها، فكانت وقعة بدر، وبذي العشيرة كَنَى علياً: أبا تراب، لأنه رآه نائماً على التراب فقال: "اجلس أبا تراب".

وقد روي أن ذلك كان بالمدينة، رآه نائماً في المسجد على التراب.

وفي غزاة ذي العشيرة وادع مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع و لم يلق كيداً.

سرية عبد الله بن جحش الأسدي

وفي هذه السنة كانت سرية عبد الله بن جَحْش الأسدي إلى نخلة، في رجب على رأس سبْعَة عشر شهراً من الهجرة، بعثه في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين يعتقبان بعيراً إلى بطن نخلة، وأمره أن يرصد بها عيرَ قريش، فوردت عليه، فهابهم أهل العير، فحلق عُكاشة بن محصن رأسه، فاطمأن القوم، وقالوا: هم عُمار، وشَكوا في ذلك اليوم، هل هو من الشهر الحرام أم لا؟ ثم قاتلوهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي فقتله، وشد المسلمون عليهم، فاستأسر عثمان بن عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان، وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة، واستاقوا العير، وكان فيها خمر وأدَم وزبيب جاءوا به من الطائف، فقدموا بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقفه وحبس الأسيرين، وكان الذي أسر الحكم بن كيسان المقدادُ بن عمرو، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم وقتل ببئر معونة شهيداً.

وكان سعد بن أبي وقاص زميل عتبة بن غزوان على بعير لعتبة في هذه السرية، فضل البعير بحران – وهي ناحية معدن بني سليم – فأقاما عليه يومين يبغيانه، ومضى أصحابهم إلى نخلة فلم يشهدها سعد وعتبة، وقدما المدينة بعدهم بأيام.

ويقال: إن عبد الله بن جحش لما رجع من نخلة خمس ما غنم، وقسم بين أصحابه سائر الغنائم، فكان أول خمس خمس في الإسلام.

ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر، فقسمها مع غنائم بدر، وأعطى كل قوم حقهم.

وفي هذه السرية سمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين.

وقال عروة: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جحش كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، ويمضي ولا يستكره أحداً من أصحابه فلما سار يومين نظر فيه، فإذا فيه: وإذا نظرت في كتابي هذا، فَسِرْ حتى تنزل بطن نخلة، فترصَّدْ بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم وأخبر أصحابه، فمضوا معه، و لم يتخلَّف منهم أحد، فنزل نخلة، فمرت بهم عِير لقريش تحمل زَبيباً وأدَماً وتجارة من تجارة قريش فيها منهم عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان، فتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب.

وفي رواية عن جندب بن عبد الله قال: لم يدروا ذلك اليوم من رجب أو جمادى الآخرة.

ثم اجمعوا على الإقدام عليهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم، فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم، وأفلت نوفل، وقدموا بالأسيرين والعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام" فسقط في أيديهم، وعنَفهم المسلمون، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام. فأنزل اللّه تعالى: "يسألونَكَ عَنِ الشَهْرِ الحَرَام قِتَالٍ فيهِ..." الآية.

تحويل القبلة إلى الكعبة

ومن الحوادث في هذه السنة: تحويل القبلة إلى الكعبة.

قال محمد بن حبيب الهاشمي: حُوِّلَتْ في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان.

زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فتغدى وأصحابه وجاءت الظهر، فصلى بأصحابه في مجلس القبلتين بركعتين من الظهر إلى الشام، ثم أمر أن يستقبل القبلة وهو راكع في الركعة الثانية، فاستدار إلى الكعبة ودارت الصفوف خلفه، ثم أتموا الصلاة، فسُمَيَ مسجد القبلتين.

قال الواقدي: كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب، على رأس سبعة عشر شهراً.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا الفضل بن دُكَين قال: حدثنا زهير، عن أبي إسحاق عن البراء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يُعْجبه أن تكون قِبلته قِبَلَ البيت، وأنه صفَى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل مكَة، فداروا كما هم قِبَل البيت.

قال ابن سعد: وأخبرنا يزيد بن هارون، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهراً، ثم حُوِّل إلى الكعبة قبل بدرٍ بشهرين.

وروى السُدي عن أشياخه: أن القبلة حولت على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره.

وكذلك قال ابن إسحاق، والواقدي، والجمهور.

بناء مسجد قباء

ومن الحوادث: بناء مسجد قباء.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعدٍ قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا ربيعة بن عثمان، عن عمران بن أبي أنس، عن سهل بن سعد.

قال: وحدَّثنا عبد العزيز بن محمد، وسلمان بن بلال، عن إسحاق بن المُسْتَوْرِد، عن محمد بن عمر بن حارثة. عن أبي غُزية.

قال وحدثنا عبد الله بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبي سعيد الخدري قال: لما صرفت القبلة إلى الكعبة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد إلى موضعه اليوم. وأسَسه بيده، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحجارة لبنائه، وكان يأتيه كل سبت ماشياً، وقال: "مَنْ تَوَضأ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثَم جَاءَ مَسْجِدَ قبَاءَ فَصًلى فِيهِ كَانَ لَهُ أجْرُ عُمْرَةٍ".

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس، وقال: لو كان بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل.

وكان أبو أيوب الأنصاري يقول: هو المسجد الذي أسس على التقوى.

وكان أبي بن كعب وغيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: هو مسجد رسول الله.

ومن الحوادث: نزول فريضة رمضان في شعبان من هذه السنة، والأمر بزكاة الفطر.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الجُمحي، عن الزهري، عن عُروة، عن عائشة رضي الله عنها.

قال: وأخبرنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر.

قال: وأخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن رُبيح بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جده، قالوا: نزل فرض شهر رمضان بعد ما صُرفت القبلة إلى الكعبة بشهرٍ، في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السنة بزكاة الفطر، وذلك قبل أن تفرض الزكاة في الأموال، وأن تخرج عن الصغير والكبير، والحُرِّ والعبد، والذكر والأنثى: صاع من شعير أو صاع من زبيب، أو مدان من، بُر، وكان يخطب صلى الله عليه وسلم قبل الفطر بيومين فيأمر بإخراجها قبل أن يغْدُو إلى المصلى.

ومن الحوادث: أنه خرج صلى الله عليه وسلم يوم العيد، فصلى بالناس صلاة العيد، وحملت بين يديه العَنَزَةُ إلى المصلى، فصلى إليها، وكانت هذه الحربة للنجاشي، فوهبها للزبير بن العوام، وكانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأعياد.

وفي هذه السنة: وُلدَ عبد الله بن الزبير بن العوام بعد الهجرة بعشرين شهراً، وهو أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون قد تحدثوا بينهم أن اليهود قد سحرتهم، فلا يولد لهم، وكان تكبيره صلى الله عليه وسلم، سروراً بذلك.

وقيل: إن أسماء بنت أبي بكر هاجرت إلى المدينة وهي حامل به.

غزوة بدر

ومن الحوادث في هذه السنة: غزاة بدر، وكانت في صبيحة سبعة عشر يوماً من رمضان يوم الجمعة. وقيل: تسعة عشر. والأول أصح.

قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: أخبرنا ابن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا زكريا، عن عامر: أن بدراً إنما كانت لرجل يدعى بدراً يعني: بئراً.

قال: وقال الواقدي وأصحابنا من أهل المدينة ومَنْ يروي السيرة يقولون: بدر اسم الموضع.

وكان الذي هاج هذه الوقعة وغيرها من الحروب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين قتل عمرو بن الحضرمي.

فتحين رسول الله صلى الله عليه وسلم انصراف العير التي طلبها بذي العُشيرة، فبعث طلحة، وسعيد بن زيد يتحسسان خبرها، فلما رجعا وجدا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج، وكان قد ندب أصحابه وأخبرهم بما مع أبي سفيان من المال مع قلة عدده فخرج أقوام منهم لطلب الغنيمة، وقعد آخرون لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً فلم يلمهم، لأنه لم يخرج لقتال،

وكان خروجه يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل لثلاثٍ خلون من رمضان – على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، واستخلف على المدينة عمرو بن أم مكتوم، وخرجت معه الأنصار و لم يكن غزا بأحدٍ منهم قبلها، وضرب عسكره ببئر أبي عتبة على ميل من المدينة يعرضُ أصحابه، وردَ مَنْ استصغر، وخلف عثمان على رقية وكانت مريضة، وبعث طلحة وسعيداً على ما ذكر، فقدما وقد فاتت بدر، وخلَّف أبا لبابة بن عبد المنذر على المدينة، وعاصم بن عدي على أهل العالية، والحارث بن حاطب رَدَّه من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الضفة كُسر بالروحاء. وخوات بن جبير كُسر أيضاً، وكل هؤلاء ضربَ له سَهْمَهُ وأجره، وكانت الإبل مَعهُ سبعين، يتعاقب النفير على البعير، وكانت الخيل فَرَسَين: فرس للمقداد، وفرس لمرثد بن أبي مرثد. وفي رواية: وفرس للزبير.

وقد روى زر عن ابن مسعودٍ قال: كنا يوم بدرٍ كل ثلاثة على بعير، وكان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالا: اركب حتى نمشيٍ عنك. فيقول: "ما أنتما بأقوى مني على المشي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما".

قال العلماء: وقَدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين له إلى المشركين: بَسبَس بن عمرو، وعدي بن أبي الزَغباء. وجعل على الساقة: قيس بن أبي صعصعة، فلما بلغ أبا سفيان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ ما معَهُ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة ليستنفر قريشاً لأجل أموالهم، فخرج ضمضم سريعاً.

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها، فأخبرت بها أخاها العباس وأمرته أن يكتم ذلك. قالت: رأيت راكباً على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفروا يا أهل غُدَر لمصارعكم في ثلاث. فاجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينا هم حوله مُثل به بعيره على ظهر الكعبة يصرخ بأعلى صوته: انفروا يا أهل غُدرَ لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلت منها فلقة.

فقال لها العباس: اكتميها. ثم لقي الوليد بن عتبة – وكان صديقاً له – فذكرها له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

فقال العباس: فلقيني أبو جهل فقال: يا أبا الفضل، متى حدثت فيكم هذه النبوة؟ قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة. قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن تتنبى رجالكم حتى تتنبى نساؤكم؟! وقد زعمت عاتكة أنه قال: انفروا في ثلاث فنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون، وإن مضى الثلاث، و لم يكن من ذلك شيء فنكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فجحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً، ثم تفرقنا، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة لما قد سمعت؟ فقلت: قد والله فعلت ذلك، وأيم الله لأتعرضن له، فإن عاد لأكفيتكموه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا مغضب أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه، فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرض له ليعود لبعض ما قال، فأقع فيه، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، فقلت في نفسي: ما له لعنه الله؟ أكُل

هذا فَرقاً من أن أشاتمه، وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جُدع بعيره، وشُق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

قال: فشغلني عنه، وشغله عني ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً وقالوا: يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك.

وكانوا بين رجلين: إما خارج، وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبت قريش و لم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهبٍ بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكان أمية بن خلف شيخاً ثقيلاً فأجمع القعوَد، فأتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار، فوضعها بين يديه، ثم قال له: استجمر فإنما أنت من النساء، قال: قَبحَك الله وقبح ما جئت به. ثم تجهز وخرج مع الناس، فلما أجمعوا السير ذكروا ما بينهم وبين كنانة، فقالوا: نخشى أن يأتونا من خلفنا. فتبدى لهم إبليس في صورة مالك بن جعشم، وكان من أشراف كنانة، فخرجوا سراعاً معهم القيان والدفوف، وكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً، وكانت خيلهم مائة فرس.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد فقال: امض يا رسول الله لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون" ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة – لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً.

قال ابن إسحاق: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس، أشيروا علي" وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم قالوا حين بايعوه بالعقبة: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع به نساءنا وأبناءنا.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: "أجل" قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهودنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقربه عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى.

فسُر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعدٍ ونشطه ذلك، ثم قال: "سيروا على بركة الله، وأبشروا فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ".

ثم سار حتى نزل قريباً من بدر، فنزل هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؟ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أخبرتنا أخبرناك" فقال: وذاك بذاك؟ فقال: "نعم". قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا – للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم – وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان

الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا – للمكان الذي به قريش – فلما خبَّوه قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن من ماء" وانصرف.

قال مؤلف الكتاب: أوهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من العراق، وكان العراق يسمى: ماء، وإنما أراد به: خُلق من نطفة ماء.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا راوية لقريش فيها: أسلم غلام بني الحجاج، وعرباص أبو سيار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي فسألوهما، فقالوا: نحن سقاة قريش، بعثوا بنا لنسقيهم من الماء. فرجى القوم أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فقالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش، أخبراني: أين قريش؟ قالوا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب العقنقل. قال: كم القوم؟ " قالا: كثير. قال: كم عدتهم؟ قالا لا ندري. قال: أكم ينحرون؟! قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال: القوم ما بين التسعمائة إلى الألف قال: فمن منهم من أشراف قريش؟ " قالا: عتبة، وشيبة، وأبو البختري، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها".

وأما أبو سفيان فإنه أسرع بالعير على طريق الساحل، وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، أو أني بين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة، وشيبة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية، وفلان وفلان – فعدَّ رجالاً ممن قُتِلَ يومئذ من أشراف قريش – ورأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

ولما رأى أبو سفيان أنه، قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: أنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم، وقد نجاها الله فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً – ركان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام – فنقيم عليه ثلاثاً، وننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا.

فقال الأخنس بن شريق: يا بني زهرة، قد نجا الله أموالكم فارجعوا ولا تسمعوا ما يقول هذا فرجعوا و لم يشهدها زهريٌ .

وبلغ أبا سفيان قول أبي جهل فقال: واقوماه، هذا عمل عمرو بن هشام – يعني أبا جهل – ثم لحق المشركين، فمضى معهم فجُرِحَ يوم بدرٍ جراحات، وأفلت هارباً على قدميه، ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل، وبعث الله عز وجل السماء، وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لبد لهم الأرض و لم يمنعهم المسير، وأصاب قريش منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبَادِرُهُمْ إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

فحُدثت عن رجال من بني سلمة: أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر قال؟ يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره، أم هو الرأي في الحرب؟ قال: "بلْ هو الرأي بالحرب" فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما سواه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

فنزل جبريل فقال: الرأي ما أشار به الحباب. فنهض ومَنْ معه حتى أتى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه، وأمر بالقلب فَغُورَتْ، وبنى حوضاً على القليب الذي كان عليه، ثم، قذفوا فيه الأنية.

فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن سعد بن مُعَاذ قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه، وتُعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمَنْ وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حُباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله تعالى بهم، يناصحونك ويجاهدون معك.

فدعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، وبُنِيَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه، ثم أقبلت قريش، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحاربك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني".

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام على فرس له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوهم". فما شرب منهم رجل إلا أسر أو قتل إلا حكيم بن حزام، فإنه نجا على فرس له، ثم أسلم، فكان يقول إذا حلف: لا والذي نجاني يوم بدر.

فلما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهبٍ اللخمي فقالوا: أحرز لنا أصحاب محمد، فجال بفرسه نحو العسكر، ثم رجع فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر القوم كمين، فضرب في الوادي حتى أبعده فلم ير شيئاً، فرجع فقال: ما رأيت شيئاً، ولكني قد رأيت يا معشر قريش الولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجالاً، فإذا أصابوا أعدادهم فما خير في العيش بعد ذلك، فردوا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى إلى عتبة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها، هل لك في أن لا تزال تذكر بخير أ إلى آخر، الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرْجع بالنَاس وتَحْمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلتُ.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمامة بن عمرو السهمي، عن مسور بن عبد الملك اليربوعي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن حكيم بن حزام قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها، وهي: زهرة، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة، فجئت عتبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمدٍ إلا دم الحضرمي وهو حليفك، فتحمل بديته، وترجع بالناس.، فقال لي: فأنت وذاك، فأنا أتحمل بدية حليفي، فاذهب إلى ابن الحَنْظلية - يعني: أبا جهل - فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو بجماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول: فسخت عقدي من بني عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة: هل لك أن ترجع بالناس عن ابن عمك؟ قال:

أما وجد رسولاً غيرك؟ فخرجت أبادر إلى عتبة، وعتبةُ متكئ على إيماء بن رَحَصة؟ وقد أهْدَى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سَحْرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فسَل أبو جهل سيفَه، فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رخصة: بئس الفأل هذا فعند ذلك قامت الحربُ.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: حدَّثني أبي قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت حارثة بن مضرب يحدث عن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما منا إنسان إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح، وما كان منا فارسٌ يوم بدر غير المقداد بن الأسود.

قال ابن إسحاق: وقام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، فوالله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله، أو رجالاً من عشيرته، فارجعوا أو خلُوا بينِ محمد وسائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، فإن كان غير ذلك ألفاكم و لم تَعَرَضُوا منه لما تريدون.

قال حكيم: وجئت إلى أبي جهل فوجدته قد نَثَل دِرْعاً له من جرابها، فهو يهيئها، فقلت: إن عتبة أرسلني بكذا وكذا، فقال: انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، لكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلَةَ جَزور، وفيهم ابنه فقد تَخوفكم عليه – يعني أبا حذيفة بن عتبة وكان قد أسلم – ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له: هذا حَليفُك، يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد مقتل أخيك.

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: واعَمْراه فحميت الحرب، وطلب عتبة بَيْضَة يدخلها رأسه فما وجد في الجيش بيضة تمنعه من عظم رأسه، فاعتَجَز ببُرْدٍ له.

وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية، فكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعظم، لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، وجعل شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله. وقيل: كان شعار الكل: يا منصور أمت.

وكان مع المشركين ثلاثة ألويةٍ: لواء مع أبي عزيز بن عمير، ولواء مع النضر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة، كلهم من بني عبد الدار.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى بدرٍ عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان.

فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، فقال: أعاهد الله لأشْرَبن من حَوْضِهم، ولأهْدِمنه، أو لأمُوتن دونه. فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فضربه في ساقه فوقع على ظهره تَشْخُبُ رجله دماً، ثم حَبَا إلى الحوض حتى اقتحم، يريد أن يُبر يمينَه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله.

ثم خرج بعده عتبة وأخوه شيبة، وابنه الوليد، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار عوف ومعوذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخْرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قم يا علي" فقالوا: أكفاء كرام، فبارز عبيدة – وهو

أسن القوم – عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فقتل حمزة شيبة، وقتل علي الوليد، واختلف عبيدة وعتبة ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة، فجاءا به إلى أصحابه، وقد قطعت رجله، فمُخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألست شهيداً يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: "بلى" فقال عبيدة: لو كان أبو طلحة حياً لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول:

ونُسْلِمُهُ حتى نصرَع حَوْلَه ... ونَذْهَل عن أبنائنا والحَلائِل

ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: "إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل" ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر ليس معه غيره.

وذكر ابن إسحاق عن أشياخه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوفَ أصحابه يوم بدرٍ وفي يده قِدْحٌ يعدل به القوم، فمر بسَوَاد بن غَزية وهو مستنتل من الصف، فطعن في صدره بالقدح، وقال: اسْتَوِيا سوادًا فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوجعْتَني وقد بعثك الله بالحق، فأقدني. فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: "استقدْ" فاعتنقَه وقبل بطنه فقال: "ما حملك على هذا يا سَواد. فقال: حضَرَ ما ترى، فلم آمن القتْل، فأردتُ أن يكونَ آخر العهد بك أن يصدقَ جلدي جلدَي. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم عدل الصفوفَ، ورجعٍ إلى العريش يناشد ربه وما وعده من النصر، فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش خفقة ثم انتبه فقال: يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النَقع".

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يحرضهم ونفل كل امرئ منهم ما أصاب، وقال: "والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتَلُ صابراً مُحتسباً، مُقْبِلاً غير مُدْبِر؟ إلا أدخله الله الجنة.

فقال عُمَيرُ بن الحُمام – وفي يده تَمَرات يأكلهن: بَخْ بَخْ، فما بيني وبين أن أدخل، الجنة إلا أن يقْتلَني هؤلاء! ثم قذف التمَراتِ من يده، وأخذ سيفَه، فقاتل القوم حتى قُتِل، وهو يقول:

رَكضاً إلى اللهِ بِغَيْر زاد ... إلا التقَى وَعَمل المَعادِ

وَالصبْر فِي الله ِعَلَى الجهاد ... وكل زَادٍ عُرْضَةُ النفَادِ

غَيْرُ التُّقى والبر والرشَادِ

فلما التقى النَّاس، قال أبو جهل: اللهم أقْطَعَنَا للرَّحم، وآتنا بما لا يُعرف، فأحِنْه الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنة من الحَصْباء، فاستقبل بها قريشاً، ثم قال: "شاهت الوُجوه" ثم نفخهم بها، وقال لأصحابه: شُدُوا، فكانت الهزيمة، فقتل الله مَنْ قُتِلَ مِنْ صناديد قريش، وأسر مَنْ أسر منهم، فلما وضع القوم أيديَهم يأسرون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، وسعد بنُ معاذ قائم على باب العريش متوشحاً السيف، في نفر من الأنصار يحرسُون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كَرَّةَ العدوَ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد الكَرَاهية لَمَا يصنع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لكأنك يا سعد تكره ما يصنع الناس"، فقال: أجلْ والله يا رسول الله صلى الله عليه

وسلم، كانت أول وقعة أوقَعها الله بالمشركين، فكان الإثْخَانُ في القتل أعَجَبَ إلي من استبقاء الرجال.

قتلى وأسرى المشركين وقتل من المشركين سبعون، وأسر سبعون، فممن قتل: عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، والعاص بن سعيد، وأبو جهل، وأبو البَخْتَري، وحنظلة بن أبي سفيان، والحارث ابن عامر، وطعيمة بن عدي، وَزَمْعة بن الأسود، ونوفل بن خويلد، والنضر بن الحارث، وعُقْبة بن أبي مُعيط، والعاص بن هشام خال عُمر، وأمية بن خلف، وعليُ بن أمية، ومنبه، بن الحجاج، ومعبد بن وهب.

وممن أسر: نوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، وأبو العاص بن الوبيع، وعدي بن الحباب، وأبو عزيز بن عمير، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعبد الله بن أبي بن خلف، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي الشاعر، ووهب بن عمير، وأبو وداعة بن ضبيرة، وسهيل بن عمرو.

وكان فداء الأسارى كل رجل منهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف، إلا قوما لا مال لهم من عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو عزة الجمحي.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: أخبرنا إسرائيل، عن جابر، عن عامر قال: أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيراً، فكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون، وكان أهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه.

وفي رواية الشعبي: وكان زيد بن ثابت ممن علم.

قال ابن عباس: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يومئذ: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهاً.

فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: نقتل آباءنا أو أبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه السيف، فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول لعمر بن الخطاب يا أبا حفص، أما تسمع قول أبي حذيفة يقول أضرب وجه عم رسول الله بالسيف، فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضربن عنقه بالسيف فوالله لقد نافق.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً.

وإنما نهى رسول الله عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، كان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان فيمن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب.

وقال ابن عباس: وكان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو، فقال رسول الله: "كيف أسرته"؟ قال: أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، قال: "لقد أعانك عليه ملك كريم"، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلة، فقال أصحابه: ما لك لا تنام، فقال: "سمعت صوت تضور العباس في وثاقه"، فقاموا إلى العباس، فأطلقوه، فنام رسول الله.

وقد روى ابن إسحاق عن أشياخه، أن عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف صديقاً لي بمكة، فلما كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي آخذاً بيده، ومعي أدراع قد استلبتها، فقال: يا عبد الله، هل لك في، فأنا خير لك من هذه الأدراع؟ فطرحت الأدراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يمشي ويقول: ما رأيت كاليوم قط.

ثم قال لي: من الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: حمزة، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال، وهو الذي كان يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام يخرجه إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد، فقال بلال حين رآه: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قلت: أي بلال، أسيري، قال: لا نجوت إن نجوا فقلت تسمع يا ابن السوداء، فقال: لا نجوت إن نجوا، ثم صرخ بأعلا صوته: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا فأحاطوا بنا ثم جعلونا في المسكة وأنا أذب عنه، فضرب رجل ابنه فوقع، فصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط، فقلت: انج بنفسك، فوالله ما أغني عنك شيئاً. فضربوهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما.

فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالاً، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: حدثنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا أبو نوح قراد، قال: أخبرنا عكرمة بن عمار، قال: حدثنا سماك الحنفي أبو زميل، قال: حدثني ابن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه يدعو وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: "اللهم أين ما وعدتني"؟ اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض أبداً"، قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي اللهكفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. وأنزل الله تعالى: "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين" فلما كان يومئذ التقوا، هزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً.

فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر رضي الله عنهم،، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ترى يا ابن الخطاب"؟ فقلت: والله ما أرى مثل ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأضرب عنقه، وأرى إن تمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان ابن أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله سبحانه أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، و لم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد، قال عمر: غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر و إذا هما يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "للذي عرض علي أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة". لشجرة قريبة، وأنزل الله عز وجل: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض" إلى

قوله: "لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم" من الفداء ثم أجل الله الغنائم "عذاب عظيم".

فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم من الفداء فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله عز وجل: "أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم" بأخذكم الفداء انفراد بإخراجه مسلم.

وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال وهو في قبته يوم بدر: اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك وهو ثبت في الدراع، فخرج وهو يقول: "سيهزم الجمع ويولون الدبر".

ذكر مقتل أبي جهل أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداوودي، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: أخبرنا الفربري، قال: حدثنا البخاري، قال: أخبرنا مسدد، قال: حدثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن، أنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار. حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: بلغني أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لئن رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فتعجبت لذلك ثم لم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت لهما: ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، فقال: "أيكما قتله؟" فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: "مسحتما سيفيكما؟" قالا: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيفين، فقال: "كلاكما قتله، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح"وهما معاذ بن عمرو، ومعاذ بن عفراء.

قال مؤلف الكتاب: أخرجاه في الصحيحين.

وفي رواية ابن مسعود: أن معاذ بن عفراء ضرب أبا جهل هر وأخوه عوف بن الحارث، حتى أثبتاه، فعطف عليهما فقتلهما، ثم وقع صريعاً فوقف عليه معوذ.

وفي رواية، عن معاذ بن عمرو بن الجموح، قال: ضربت أبا جهل بن هشام ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي فقاتلت عليه يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما أذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت بها حتى طرحتها. وعاش معاذ إلى زمان عثمان. قال: ثم مر بأبي جهل – وهو عقير – معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل، فمر به عبد الله بن مسعود، فوضع رجله على عينيه، فقال: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً، فقال: لمن الدائرة؟ فقال: لله ولرسوله، ثم احتز رأسه، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا وكيع، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله.

انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر، وقد ضربت رجله، وهو صريع، وهو يذب الناس عنه بسيف له، فقلت: الحمد لله الذي أخزاك يا

عدو الله، فقال: هل هو إلا رجل قتله قومه؟ قال: فجعلت أتناولة بسيف لي غير طائل، فأصبت يده، فندر سيفه، فأخذته فضربته به، حتى قتلته، قال: ثم خرجت حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنما أقل من الأرض، فأخبرته، فقال: "الحمد لله الذي لا إله غيره" فرددها ثلاثاً قال: قلت الله الذي لا إله إلا هو، قال، فخرج يمشي معي حتى قام عليه، فقال: "الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله، هذا كان فرعون هذه الأمة".

وقتل أبو جهل لعنه الله وهو ابن سبعين سنة.

ذكر نزول الملائكة قال علماء السير: جاءت يوم بدر ريح لم يروا مثلها ثم ذهبت، ثم جاءت ريح أخرى، فكانت الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثانية ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان سماء الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر من نور، والصوف في نواصي خيلهم، وكانت خيلاً بلقاء.

وقاتلت الملائكة يوم بدر ولم تقاتل في غير ذلك اليوم، كانت تحضر ولا تقاتل.

وقال ابن عباس: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا الجبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة، فننهب مع من ينهب. فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي فراع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.

قال ابن حبعب الهاشمي: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: "من القائل أقدم حيزوم؟" فقال جبريل: ما كل أهل السماء أعرف.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا يزيد، قال: قال محمد بن إسحاق، حدثني أبي، عن رجل من بني مازن، عن أبي داود، وكان شهد بدراً، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن قد قتله غيري.

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف، قال لي أبي: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال عكرمة: كان يومئذ يبدر رأس الرجل لا يدرى من ضربه، أو تبدر يد الرجل لا يدرى من ضربه.

وقال عطية بن قيس: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتال بدر، جاءه جبريل عليه السلام على فرس أنثى حمراء عليه درعه ومعه رمحه قد عصم ثنيتيه الغبار، فقال: يا محمد إن الله تعالى بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت؟ قال: "نعم قد رضيت" فانصرف.

ذكر إلقاء رؤسائهم في القليب أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداوودي، قال: أخبرنا الفربري، قال: أخبرنا البخاري، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، أنه سمع روح بن عبادة، قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنس بن مالك، عن أبي طلحة:

أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه

أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: "يا فلان. بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا"؟ فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم".

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً. أخرجاه في الصحيحين.

وروى ابن إسحاق: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يلقوا في القليب، أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: "يا حذيفة لعلك دخلك من شأن أبيك شيء" قال: لا والله يا نبي الله، ولكن كنت أعرف من أبي رأيا وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمر بما في العسكر فجمع، فقال من جمعه: هو لنا، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب، وقال الذين قاتلوا: لولا نحن ما أصبتموه نحن أحق به، وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنتم بأحق منا.

قال عبادة ه بن الصامت: فلما اختلفنا في النفل نزعه الله عز وجل من أيدينا، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين على السواء.

قال ابن حبيب: وتنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار، وكان لنبيه بن الحجاج، وغنم جمل أبي جهل، فكان يغزو عليه وكان يضرب في لقاحه.

فصل

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أو على المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة.

قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوينا التراب، على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفني عليها مع عثمان.

فأتيت أبي وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس، وهو يقول: قتل عتبة، وشيبة، وأبو جهل، وأبو البختري، وأمية بن خلف، ونبيه، ومنبه ابنا الحجاج، فقلت: يا أبه أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بني.

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة: فاحتمل معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن زيد بن عوف ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مضيق الصفراء، نزل على كثيب في طريقه، فقسم النفل.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه المسلمون بالروحاء يهنئونه بما فتح الله عليه، فقال رجل: وما الذي تهنئون به، فوالله إن لقينا إلا عجائز ضلعاً كالبدن المعقلة، فنحرناها، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "لا يا ابن أخي أولئك الملأ".

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسارى من المشركين، وهم أربعة وأربعون.

فلما كان بالصفراء أمر علياً بقتل النضر بن الحارث، حتى إذا كان بعرق الظبية، قتل عقبة بن أبي معيط، فقال حين أمر به أن يقتل: فمن للصبية يا محمد، قال: النار، قال: فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قبل الأسرى بيوم، وقال: "استوصوا بالأسرى خيرا". فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم، أخو مصعب بن عمير، فقال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال له: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها أن تفتديه منك. وكنت في رهط من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية سول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا، ما يقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها فيردها علي ما يمسها.

فصل أول من قدم مكة بمصاب قريش قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله بن إياس الخزاعي.

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم، إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق. فلما جاء الخبر عن مصاب أهل بدر من قريش وجدنا في أنفسنا قوة وعزاً، فوالله إني لجالس في حجرة زمزم أنحت القداح، وعندي أم لفضل جالسة، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر، فجلس، فأقبل أبو سفيان بن الحارث، فقال له أبو لهب: هلم إلي يا ابن أخي، فعندك الخبر، فأقبل فجلس إليه، فقال: أخبرني كيف كان أمر الناس، قال: لا شيء؟ والله إن كان إلا لقيناهم، فمنحناهم أكتافنا، يقتلون ويأسرون كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بين السماء والأرض، ما تليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فقلت: فتلك الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته، فاحتملني، فضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته به ضربة شجته، وقالت: تستضعفه إن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى مات.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد، عن أبيه، قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفحلوا ذلك فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا، ولا تبعثوا في فداء الأسارى حتى تستأنوا بهم لئلا يشتط عليكم في الفداء.

وكان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة، وعقيل، والحارث، وكان يحب أن يبكي على بنيه، فسمع نائحة في الليل، فقال لغلامه: انظر هل أحل النحيب؟ هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي على زمعة، فإن جوفي قد احترق. فقال الغلام: إنما هي امرأة على بعير لها قد أضلته.

وخرج مطلب بن وداعة بفداء أبيه، فأخذه بأربعة آلاف درهم.

ثم خرج مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو، فلما انتهى إلى رضاهم في الفداء، قالوا: هات، قال: ضعوا رجلي مكانه وخلوا سبيله يبعث إليكم بالفداء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: افد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن

عمرو، فإنك ذو مال. فقال: يا رسول الله إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني، فقال: الله أعلم بإسلامك إن يكن ما ذكرت حقاً فالله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، وكان معه عشرون أوقية حين أخذ، فقال: احسبها لي في فدائي، قال: لا، ذاك شيء أعطاناه الله عز وجل منك، قال: فليس لي مال، قال: فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجت من عند أم الفضل، ليس معكما أحد. ثم قلت لها: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا وكذا، ولعبد الله كذا وكذا، ولقثم كذا وكذا، ولعبيد الله كذا وكذا، قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيري وغيرها، وإني أعلم أنك رسول الله حقاً، ففدى نفسه وابني أخيه وحليفه.

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع، زوج زينب، وكانت زينب قد آمنت برسول الله، فأقام أبو العاص على شركه معها، فخرج يوم بدر فأسر، فبعثت زينب في فدائه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، حين بنى بها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم لها رقة شديدة، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها ذلك.

وكان قد شرط لرسول الله أن يخلي سبيل زينب إليه، فقدم أبو العاص مكة، وأمر زينب باللحوق برسول الله، فتجهزت وقدم إليها حموها كنانة بن الربيع وزوجها بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، وخرج بها نهاراً يقود بها، وهي في الهودج، فتحدث بذلك رجال قريش، فخرجوا في طلبها فأدركوها بذي طوى، فأول من سبق إليها هبار بن الأسود بالرمح، وكانت حاملاً، فألقت حملها، ونزل حموها فنثر كنانته، وقال، والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فرجع الناس عنه، فجاء أبو سفيان، فقال ويحك قد عرفت مصيبتنا ثم خرجت بالمرأة علانية، فيظن الناس إن ذلك عن ذل منا، ولعمري ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها، ولكن ردها، فإذا هدأ الصوت، وتحدث الناس أنا قد رددناها، فسلها سراً فألحقها بأبيها، ففعل وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة، وزينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، قد فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح، خرج أبو العاص تاجراً، فلما لحقته سرية لرسول الله، فأصابوا ما معه وهرب، فأقبل تحت الليل حتى دخل على زينب فاستجار بها، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح صاحت زينب: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل عليهم، فقال: هل سمعتم ما سمعت، قالوا: نعم، قال: والذي نفسي بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجيرعلى المسلمين أدناهم. ثم دخل على ابنته، فقال: أي بنية أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك، فإنك لا تحلين له.

وقال للسرية التي أصابت ماله: إن تحسنوا قيدوا عليه، وإن أبيتم فهو فيء، وأنتم أحق به، قالوا: بل نرده فردوه.

ثم ذهب إلى مكة فرد ما للناس عنده من مال، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال، قالوا: لا، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام إلا خوفاً أن تظنوا إني إنما أردت أن آكل أموالكم، ثم خرج فقدم على رسول الله.

قال ابن عباس: فرد رسول الله زينب بالنكاح الأول، لم يحدث شيئاً بعد ست سنين.

وفي رواية أخرى ردها بنكاح جديد.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، قال: جلس عمير بن وهب الجمحي صر صفوان بن أمية بعد

مصاب أهل بدر من قريش بيسير، وهو في الحجر وكان عمير شيطاناً من شياطين قريش، وكان يؤذي رسول الله وأصحابه، وكان ابنه وهيب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله إن ليس في العيش خير بعدهم، فقال له عمير: صدقت والله أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهن الضيعة لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة ابني أسير في أيديهم.

فقال صفوان: فعلي دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أسوهم ما بقوا، قال عمير: فاكتم عني شأني وشأنك، قال افعل.

ثم إن عميراً أمر بسيف فشحذ له وسم، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فرآه عمر قد أناخ بعيره على باب المسجد متوشحاً السيف، فقال: هذا عدو الله عمير ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا، وحزرنا للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله، فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير، قد جاء متوشحاً، قال: فأدخله علي.

قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: أرسله يا عمر، أدن، يا عمير، فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد أكرمنا الله بتحية خيراً من تحيتك يا عمير، بالسلام، تحية أهل الجنة، ما جاء بك يا عمير"؟ قال: جئت لفداء الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف في عنقك قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً، قال: أصدقني بالذي جئت له، قال: ما جئت له، قال: ما جئت إلا لذلك، قال: بلى، قعدت أنت وصاحبك صفوان بن أمية في الحجر، فذكرت ما أصاب أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعلي عيال لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله عز وجل حائل بيني وبينك.

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا نكذبك، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق. ثم تشهد شهادة الحق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا له أسيره.

ففعلوا، ثم قال يا رسول الله، إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، لعل الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم.

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً، فلما قدم مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه، فأسلم على يديه ناس كثير.

ذكر فضل من شهد بدراً أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداوودي، قال: أخبرنا السرخسي، قال: أخبرنا الفربري قال: أخبرنا البخاري، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه – وكان أبوه من أهل بدر، قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قالوا: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة.

انفرد بإخراجه البخاري.

وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر،

فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

ذكر عدد أهل بدر أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أبي، وسفيان، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: كنا نتحدث أن عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يوم بدر على عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وبضعة عشر، الذين جازوا معه النهر، ولم يجاوز معه النهر إلا مؤمن.

انفرد بإخراجه البخاري، وبه قال أحمد.

وأخبرنا ابن دياب، قال: أخبرنا الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، أنه قال: أهل بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وكان المهاجرون ستة وسبعين، وكان هزيمة يوم بدر لسبع عشرة مضين من رمضان.

وفي رواية أخرى عن مقسم، عن ابن عباس، قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً، والأنصار مائتي وستة وثلاثين.

وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وكان صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة.

أخبرنا أبو بكر محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو محمد بن حيويه، قال: أخبر أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: أخبرنا هشام بن حسان، قال: حدثنا محمد بن سيرين، قال: حدثنا عبيدة، قال: كان عدة أصحاب بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر: سبعون ومائتان من الأنصار، وبقيتهم من سائر الناس.

قال محمد بن سعد: جميع من شهد بدراً من المهاجرين الأولين من قريش وحلفائهم ومواليهم في عدد ابن إسحاق ثلاثة وثمانون، وفي عدد الواقدي: خمسة وثمانون.

وجميع من شهد بدراً من الأوس ومن ضرب له بسهمه وأجره في عدد موسى بن عقبة والواقدي ثلاثة وستون، وفي عدد ابن إسحاق وأبي معشر أحد وستون. وجميع من شهدها من الخزرج في عدد الواقدي مائة وخمسة وسبعون. وفي عدد ابن إسحاق وأبي معشر مائة وسبعون.

فجميع من شهدها من المهاجرين والأنصار ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره في عدد ابن إسحاق ثلاثمائة وأربعة عشر، وفي عدد أبي معشر والواقدي ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي عدد موسى بن عقبة ثلاثمائة وستة عشر.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر قوم زيادة على هذا العدد، وأنا أذكر ما صح من ذلك على حروف المعجم، وقد استقصيت أنسابهم والخلاف فيهم في كتاب التلقيح، والله الموفق.

حرف الألف:

أبي بن كعب، أبي بن ثابت، الأرقم بن أبي الأرقم، أربد بن حمير، أسعد بن يزيد بن الفاكه، أسير بن عمرو، أنس بن قتادة، أنس بن معاذ، أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوس بن الصامت، أوس بن ثابت، أوس بن خولي، إياس بن البكير.

حرف الباء: بجير، بحاث، بسبس، بشر بن البراء، بشير بن سعد، بلال بن رباح.

حرف التاء: تميم بن يعار، تميم مولى خداش، تميم مولى بني غنم.

حرت الثاء: ثابت بن أقرم، ثابت بن ثعلبة، ثابت بن خالد، ثابت بن هزال، ثعلبة بن حاطب، ثعلبة بن عمرو، ثعلبة بن غنمة،

ثقيف بن عمرو.

حرف الجيم: جابر بن خالد، جابر بن عبد الله بن رئاب، جبار بن صخر، جبر بن عتيك، جبير بن إياس.

حرف الحاء: الحارث بن أنس، الحارث بن أوس، الحارث بن حرمة، الحارث بن ظالم، الحارث بن قيس بن خالد، الحارث بن النعمان بن أمية، حارثة بن النعمان بن رافع، حارثة بن النعمان بن نفيع، حارثة بن سراقة، حاطب بن أبي بلتعة، حاطب بن عمرو، الحباب بن المنذر، حبيب بن الأسود، حرام بن ملحان، حريث بن زيد، حصين ابن الحارث، حمزة بن عبد المطلب، حارثة بن الحمير، وقيل: حمرة.

حرف الخاء: خالد بن البكير، خالد أبو أيوب الأنصاري، خالد بن قيس، خارجة بن زيد، خباب بن الأرت، خباب مولى عتبة بن غزوان، خبيب بن يسار، خداش بن الصمة، خلاد بن رافع، خلاد بن سويد، خلاد بن عمرو، خليد بن قيس بن نعمان، خليفة بن عدي، خنيس بن حذافة، خولي بن أبي خولي.

حرف الدال: وليس في حرف الدال أحد.

حرف الذال: ذكوان بن عبد قيس، ذو الشمالين.

حرف الراء: رافع بن الحارث، رافع بن عنجدة، رافع بن المعلى، الربيع بن إياس، ربيعة بن أكثم ربعي بن رافع، رجيلة بن ثعلبة، رفاعة بن رافع رفاعة بن عبد المنذر، رفاعة بن عمره.

حرف الزاي: الزبير بن العوام، زيد بن أسلم، زيد بن حارثة، زيد بن الخطاب، زيد بن سهل أبو طلحة، زيد بن وديعة، زياد بن كعب، زياد بن لبيد.

حرت السين: سالم بن عمير، سالم مولى أبي حذيفة، السائب بن عثمان بن مظعون، سبيع بن قيس، سراقة بن عمرو، سراقة بن كعب، سعد بن خولة، سعد بن خيثمة، سعد بن الربيع، سعد بن سهيل، سعد بن عثمان الزرقي، سعد بن عمير أبو زيد، سعد بن أبي وقاص، سعد بن معاذ، سعيد بن قيس، سفيان بن بشر، سلمة بن أسلم، سلمة بن ثابت، سلمة بن سلامة، سليم بن الحارث، سليم بن عمرو، سليم بن قيس، سليم بن ملحان، سليم أبو كبشة، سليط بن قيس، سماك أبو دجانة، سماك بن سعد، سنان بن صيفي، سنان بن أبي سناق، سواد بن رزن، سواد بن غزية، سويبط، سهل بن حنيف، سهل بن عتيك، سهل بن عدي، سهل بن قيس، سهل بن رافع، سهيل بن بيضاء.

حرف الشين: شجاع بن وهب، شماس بن عثمان.

حرف الصاد: صالح وهو شقران، صفوان بن بيضاء.

حرف الضاد: الضحاك بن عبد عمرو، ضمرة بن عمرو.

حرف الطاء: الطفيل بن الحارث، الطفيل بن مالك، الطفيل بن النعمان.

حرف العين:

عاصم بن ثابت، عاصم بن البكير، عاصم بن قيس، عاقل بن البكير، عامر بن أميه، عامر بن ربيعة، عامر بن سلمة، عامر أبو عبيدة الجراح، عامر بن فهيرة، عامر بن مخلد، عائذ بن ماعص، عباد بن بشر، عباد بن قيس، عبادة بن الخشخاش، عبادة بن قيس بن عبسة، عبد الله بن أنيس، عبد الله بن ثعلبة، عبد الله بن جبير، عبد الله بن جحش، عبد الله بن الجد بن قيس، عبد الله بن الربيع،

عبد الله بن رواحة، عبد الله بن زيد، عبد الله بن سراقة، عبد الله بن سلمة، عبد الله بن سهل، عبد الله بن سهيل بن عمرو، عبد الله بن طارق، عبد الله بن عبد الله بن أبي، عبد الله هو أبو سلمة، عبد الله بن عبد مناف، عبد الله بن عبس، عبد الله أبو بكر الصديق، عبد الله بن عرفطة، عبد الله بن عمرو بن حرام، عبد الله بن عمر، عبد الله بن قيس بن صخر، عبد الله بن قيس بن خالد، عبد الله بن مخرمة، عبد الله بن مسعي، عبد الله بن مظعون، عبد الله بن النعمان، عبد الرحمن بن جبير، عبد الرحمن بن عبد الله، عبد الرحمن بن عوف، عبد رب الأنصاري، عبيد بن أوس، عبد بن زيد، عتبة بن غزوان، عتبة بن عبد الله، عتيك بن التيهان، عثمان بن مظعون، عدي بن أبي الزغباء، عصمة حليف الأنصار من بني أسد، عصيمة حليف لهم من أشجع، عقبة بن عامر، عقبة بن وهب بن كلدة، عقبة بن وهب بن ربيعة، عكاشة بن محصن، علي بن أبي طالب، عمارة بن حزم، عمار بن ياسر، عمر بن الخطاب، عمرو بن إياس، عمرو بن ثعلبة، عمرو بن سراقة، عمرو بن طلق، عمرو بن معاذ، عمرو بن أبي سرح ويقال معمر، عمير بن الحارث، عمير بن الحمام، عمير بن عامر، عمير بن عوف ويقال عمرو، عمير بن أبي وقاص، عمير بن معبد وقيل عمر، عمرة بن عمرو، عوف بن أثاثة وهو مسطح، عوف بن عفراء، عويمر بن ساعدة، عياض بن زهير.

حرف الغين: غنام بن أوس.

حرف الفاء: الفاكه بن بشر، فروة بن عمرو.

حرف الكاف: كعب بن جماز، كعب بن زيد، كعب أبو اليسر، كناز بن الحصين.

حرف الميم: مالك بن التيهان، مالك بن نميلة، مالك بن الدخشم، مالك بن ربيعة أبو أسيد، مالك أخو...، مالك أبو حبة، مالك بن أبي خولي، مالك بن قدامة، مالك بن مسعود، ميسرة بن عبد المنذر، المجذر بن زياد، محرز بن عامر، محرز بن نضلة، محمد بن مسلمة، مدلاج، مرثد، مسعود بن أوس، مسعود بن خالد، مسعود بن الربيع، مسعود بن سعد الحارثي، مسعود بن سعد الزرقي، مصعب بن عمير، معاذ بن جبل، معاذ بن عفراء، معاذ بن عمرو، معاذ بن ماعص، معبد بن عبادة، معبد بن قيس، معتب بن عبدة، معتب بن حمراء، معتب بن قشير، معقل بن المنذر، معمر بن الحارث، معن بن عدي، معوذ بن عفراء، معوذ بن عمرو، المقداد، مليك بن وبره، المنذر بن عمرو، المنذر بن قدامة، المنذر بن محمد، مهجع.

حرف النون: نصر بن الحارث، النعمان بن ثابت، النعمان بن سنان، النعمان بن عبد عمرو، النعمان بن عمرو، النعمان بن عصر، النعمان بن مالك، النعمان بن أبي حلقة، نوفل بن عبد الله.

حرف الهاء: هاني بن نيار، هشام بن عتبة، هلال بن المعلى.

حرف الواو: واقد بن عبد الله، وديعة بن عمرو، وذفة، وهب بن سعد، وهب بن محصن.

حرف الياء: يزيد بن الحارث، يزيد بن رقيش، يزيد بن عامر، يزيد بن المنذر يزيد بن المزين.

وممن يعرف بكنيته ممن شهدها أبو الحمراء، أبو خزيمة، أبو سبرة، أبو مليك.

وامتنع من شهودها ثمانية لأعذار، فضرب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بسهامهم وأجورهم، فكانوا كمن شهدها، وهم: عثمان بن عفان، وطلحة، وسعيد، والحارث بن حاطب، والحارث بن الصمة، وخوات، وعاصم بن عدي، وأبو لبابة.

فصل التقاء فارس بالروم،

ولما التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين يوم بدر، فنصر عليهم، وافق ذلك اليوم التقاء فارس بالروم، فنصرت الروم، ففرح المسلمون بالفتحين.
قال مؤلف الكتاب: وإنما فرحوا لأن الروم أصحاب كتاب، وفارس لا كتاب لهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا أبو الفضل بن خيرون، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، قال: أخبرنا أحمد بن كامل، قال: حدثني محمد بن سعد العوفي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس في قوله: يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، كان ذلك في أهل فارس والروم، كانت فارس قد غلبتهم - يعني الروم - بعد ذلك، ولقي نبي الله صلى الله عليه وسلم مشركي العرب يوم التقت الروم وفارس، فنصر الله النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم، ففرح المؤمنون بنصر الله أتاهم، فذلك قوله: "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله".

سرية عمير بن عدي

ومن الحوادث في هذه السنة: سرية عمير بن عدي بن خرشة إلى عصماء بنت مروان، لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة.
وكانت عصماء تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول الشعر. فجاءها عمير في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ترضعه في صدرها، فنحى الصبي عنها ووضع سيفه في صدرها حتى أنفذه من ظهرها. وصلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقتلت ابنة مروان؟"، قال: نعم قال: "لا ينتطح فيها عنزان". فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سرية سالم بن عمير

ومن الحوادث: سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة. وكان أبو عفك شيخاً كبيراً يهودياً قد بلغ مائة وعشرين سنة، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الشعر. فقتله سالم بن عمير.

غزوة بني قينقاع

ومن الحوادث: غزوة بني قينقاع، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وادع حين قدم المدينة يهودها على أن لا يعينوا عليه أحداً، وإنه إذا دهمه بها عدو نصروه. فلما انصرف من بدر أظهروا له الحسد والبغي، وقالوا: لم يلق محمداً من يحسن القتال، ولو لاقيناه لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد، ثم أظهروا له نقض العهد.
قال ابن إسحاق: فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع، وكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: "يا معشر اليهود، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل"، فقالوا: يا محمد، إنك ترى أنا كقومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن

حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس.

فخرج للنصف من شوال، وحمل لواءه يومئذ حمزة، واستخلف على المدينة أبا لبابة، فتحصنوا في حصوهُم، فحاصرهم خمسة عشر ليلة، فترلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتفوا وهو يريد قتلهم، فكلمه فيهم عبد الله بن أبي، فقال: يا محمد، أحسن في موالي – وكانوا حلفاء الخزرج – فأعرض عنه فأعاد السؤال، فأعرض عنه فأدخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله، أحسن، قال: "ويحك أرسلني"، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي، أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع وقد منعوني من الأسود والأحمر، تحصدهم في غداة واحدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم لك".

ثم أمر بإجلائهم، وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما كان لهم من مال، فكان أول مال خمس في الإسلام بعد بدر، ثم انصرف إلى المدينة.

وبعض العلماء يرى أن غزاة بني قينقاع كانت في سنة ثلاث، وكانت قبلها غزوات.

ومن الحوادث في هذه السنة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فصلى صلاة العيد وضحى هو والأغنياء من أصحابه، وهو أول عيد ضحى رآه المسلمون يومئذ، وكان ذلك في سنة ثلاث من هجرته صلى الله عليه وسلم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر.

حارثة بن سراقة أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداوودي، قال: أخبرنا ابن أعين، أخبرنا الفربري، قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله، قال: أخبرنا حسين بن محمد، قال: أخبرنا شيبان، عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك:

أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت وأحسنت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. فقال: "يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى".

أخرجه البخاري.

قال مؤلف الكتاب: قتل حارثة يوم بدر حبان بن العرقة، رماه بسهم فأصاب حنجرته، فقتله.

رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد شهد بدراً، فقتله عكرمة بن أبي جهل.

رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله عليه: "تبت يدا أبي لهب وتب"، قال له أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته. ففارقها و لم يكن دخل بها.

قال مؤلف الكتاب: وهذا وأخوه معتب ابنا أبي لهب أسلما وثبتا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر، وبايعت رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها عثمان، وهاجرت معه الهجرتين إحداهما إلى أرض الحبشة، وكانت قد أسقطت من عثمان سقطاً، ثم ولدت له بعد ذلك ابناً فسماه عبد الله، وكان يكنى به في الإسلام، ومرضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى بدر، فخلف عليها عثمان، فتوفيت في رمضان ورسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل المدينة وقد سوي عليها التراب.

سعد بن خيثمة أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كان

سعد بن خيثمة أحد نقباء الأنصار الاثني عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين ولما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى غزاة بدر، قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك، فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة لآثرتك بها، إني لأرجو الشهادة في وجهي. فاستهما فخرج سهم سعد، فخرج فقتل ببدر.

سعد بن مالك بن خلف بن ثعلبة بن حارثة تجهز ليخرج إلى بدر فمرض فمات، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره صفوان بن بيضاء قتل يوم بدر، قال الواقدي: وقد روي لنا أنه لم يقتل ببدر، وأنه شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في سنة ثمان وثلاثين.

عاقل بن أبي البكير بن عبد يا ليل بن ناشب كذلك كان يقول أبو معشر، والواقدي. وقال موسى بن عقبة: عاقل بن البكير.

أسلم في دار الأرقم، وخرج بنو البكير كلهم من مكة للهجرة، فأوعبوا رجالهم ونساؤهم، حتى غلقت أبوابهم.

قال مؤلف الكتاب: قتل عاقل يوم بدر شهيداً، وهو ابن أربع وثلاثين سنة. قتله مالك بن زهير الجشمي.

عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا الحارث: كان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، وأسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين بلال. وأول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم المدينة لحمزة ثم لعبيدة. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستين راكباً، فلقوا أبا سفيان، و لم يكن بينهم إلا الرمي.

وقتل عبيدة يوم بدر، قتله شيبة بن ربيعة، فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء، وكان ابن ثلاث وستين سنة.

عمير بن الحمام آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبيدة بن الحارث، وقتلا جميعاً ببدر.

وكان عمير أول من قتل من الأنصار يومئذ. قتله خالد بن الأعلم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عفان، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عكرمة.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في قبة يوم بدر، فقال: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين". فقال عمير بن الحمام: بخ بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم تبخبخ" قال: رجا، أن أكون من أهلها، قال: "فإنك من أهلها"، قال: فانتثل تمرات من قرنه فجعل يلوكهن، ثم قال: والله لئن بقيت حتى ألوكهن إنها لحياه طويلة. فنبذهن وقاتل حتى قتل.

عمير بن عبد عمرو بن نضلة، ذو الشمالين من خزاعة، يكنى أبا محمد: كان يعمل بعمل يديه، ويقال فيه: ذو الشمالين، وذو اليدين، إلا أن الصحيح أنهما اثنان.

قدم إلى مكة، قتل يوم بدر وهو ابن بضع وثلاثين سنة.

عمير بن أبي وقاص، أخو سعد وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوبة، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن فهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد عن أبيه، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج إلى بدر يتوارى،

فقلت: ما لك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة. قال: فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره، فقال: "ارجع"، فبكى عمير فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال سعد: وكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ود.

عوف بن عفراء استشهد يوم بدر.

معوذ بن عفراء قتل ببدر.

مبشر بن عبد المنذر بن رفاعة شهد بدراً، وقتل يومئذ شهيداً.

مهجع مولى عمر بن الخطاب كان من المهاجرين، وهو أول قتيل قتل يوم بدر، قتله عامر بن الحضرمي.

هلال بن المعلى قتل ببدر.

يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك شهد بدراً وقتل يومئذ.

فصل وفي هذه السنة مات جماعة من رؤساء الكفار منهم

أمية بن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن عوف، كان أمية قد قرأ الكتب المتقدمة، ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر أن نبياً قد أظل زمانه، وأنه سيخرج، وكان يؤمل أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر به حسداً له، ولما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره، قال: "آمن لسانه وكفر قلبه".

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو عبد الله، هبة الله بن أحمد بن محمد الموصلي، قال: حدثنا أبو القاسم بن عبد الملك بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد قال: أحمد بن يحيى بن ثعلب، قال: أخبرنا عبد الله بن شبيب، قال: حدثني محمد بن مسلمة بن إبراهيم بن هشام المخزومي، قال: حدثني إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن مروان بن الحكم، عن معاوية بن أبي سفيان، عن أبي سفيان بن حرب، قال: خرجت أنا وأمية بن أبي الصلت تجاراً إلى الشام، قال: فكلما نزلنا منزلاً أخرج أمية سفراً يقرأه علينا، فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى فرأوه وعرفوه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيعهم، ثم رجع في وسط النهار ففرح ثوبيه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما، ثم قال: يا أبا سفيان، هل لك في عالم من علماء النصارى إليه تناهى علم الكتب تسأله عما بدا لك؟ قلت: لا، فمضى هو وجاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح، فأصبح كئيباً حزيناً ما يكلمنا ولا نكلمه، فسرنا ليلتين على ما به من الهم، فقلت له: ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك؟ قال: لمنقلبي، قلت: هل لك من منقلب؟ قال: أي والله لأموتن ولأحاسبن، قلت: فهل أنت قابل أماني على، ما قلت على أنك لا تبعث ولا تحاسب، فضحك، وقال: بلى والله لتبعثن ولتحاسبن وليدخلن فريق في الجنة وفريق في النار، قلت: ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك؟ قال: لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه، فكنا في ذلك ليلنا يعجب منا ونضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق.

فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى، فلما رأوه جاءوه، وأهدوا له، وذهب معهم إلى بيعهم حتى

جاءنا مع نصف الليل، فلبس ثوبيه الأسودين، فذهب حتى جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبه ثم رمى بنفسه على فراشه، فوالله ما نام ولا قام فأصبح مبثوثاً حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه.

فرحلنا فسرنا ليالي، ثم قال: يا صخر حدثني عن عتبة بن ربيعة، أيجتنب المحارم والمظالم؟ قلت: إي والله، قال: ويصل الرحم ويأمر بصلتها؟ قلت: إي والله، قال: فهل تعلم قريشاً أشرف منه؟ قلت: لا، قال: أو محوج هو؟ قلت: لا بل هو ذو مال كثير، قال: كم أتى عليه من السن؟ قلت: هو ابن سبعين سنة قد قاربها، قال: والسن والشرف أزريا به؟ قلت: لا والله بل زاده خيراً، قال: هو ذاك، قال: إن الذي رأيت بي البارحة، إني جئت هذا العالم فسألته عن هذا الذي ننتظر، فقال: هو رجل من العرب من أهل بيت تحجه العرب، قال: هو من إخوانكم ومن جيرانكم من قريش، فأصابني شيء ما أصابني مثله، إذ خرج من يدي فوز الدنيا والآخرة، وكنت أرجو أن أكون أنا هو، فقلت: فصفه لي، فقال: رجل شاب حين دخل في الكهولة بدو أمره، إنه يجتنب المحارم والمظالم، ويصل الرحم ويأمر بصلتها، وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشيرة، وأكثر جنده من الملائكة، قلت: وما آية ذلك؟ قال: رجفت الشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثمانين رجفة، كلها فيها مصيبة، وبقيت رجفة عامة فيها مصيبة يخرج على أثرها، فقلت: هذا هو الباطل، لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه إلا منا شريفاً. قال أمية: والذي يحلف به إنه لهكذا، فخرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا، فإذا هو يقول: أصابت الشام بعدكم رجفة، دمرت أهلها فيها وأصابهم مصائب عظيمة، فقال أمية: كيف ترى يا أبا سفيان؟ فقلت: والله ما أظن صاحبك إلا صادقاً.

وقدمنا مكة، ثم انطلقت حتى جئت أرض الحبشة تاجراً، فمكثت بها خمسة أشهر، ثم قدمت مكة فجاءني الناس يسلمون علي وفي آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهند تلاعب صبيانها، فسلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقدمي ثم انطلق. فقلت: والله إن هذا الفتى لعجب، ما جاءني أحد من قريش له معي بضاعة إلا سألني عنها وما بلغت، والله إن له معي بضاعة ما هو أغناهم عنها وما سألني عنها، فقالت هند: أو ما علمت شأنه، فقلت وقد فزعت: وما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله، فذكرت قول النصراني ووجمت، فخرجت فلقيته، فقلت: إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا، فأرسل فخذها فلست آخذ منك ما آخذ من قومك. فأبى وأرسل فأخذها وأخذت منه ما كنت آخذ من غيره، فلم أنشب أن خرجت تاجراً إلى اليمن، فقدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبي الصلت، فقلت: يا أبا عثمان، هل تذكر حديث النصراني؟ قال: نعم، قلت: فقد كان ما قال، قال: ومن؟ قلت: محمد بن عبد الله، قال: عبد المطلب؟ قلت: ابن عبد المطلب، فتصبب عرقاً، قال: وقال: إن ظهر وأنا حي لأطلبن من الله في نصره عذراً، فعدت من اليمن فنزلت على أمية بالطائف، فقلت: قد كان من أمر الرجل ما بلغك فأين أنت منه؟ قال: والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً، فأقبلت إلى مكة فوجدت أصحابه يضربون ويقهرون، فقلت: فأين جنده من الملائكة ودخلني ما يدخل الناس من النفاسة.

وروى الزهري أن أمية بن أبي الصلت كان يقول:

ألا رسول لنا منا يخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس مجرانا

قال: ثم خرج أمية إلى البحرين، فأقام بالبحرين ثمان سنين، ثم قدم الطائف فقال لهم: ما يقول محمد بن عبد الله؟ قالوا: يزعم أنه نبي؟ فهو الذي كنت تتمنى، فخرج حتى قدم عليه مكة فلقيه، فقال: يا ابن عبد المطلب، ما هذا الذي تقول؟ قال: "أقول أني رسول

الله، وأن لا إله إلا الله"، قال: فإني أريد أن أكلمك، فعدني غداً، قال: "فوعدك غدا"، قال: أفتحب أن آتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي، وتأتي وحدك أو في جماعة من أصحابك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي ذلك شئت"، قال: إني آتيك في جماعة.

قال: فلما كان من الغد غداً أمية في جماعة من قريش، وغداً رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل البيت، قال: فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى إذا فرغ، قال: أجبني يا ابن عبد المطلب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين" حتى إذا فرغ منها وثب أمية يجر برجليه إلى راحلته. قال: وتبعته قريش تقول: ما تقول يا أمية؟ قال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ قال: حتى أنظر في أمره.

ثم خرج أمية إلى الشام، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فلما قتل أهل بدر، أقبل من الشام حتى نزل بدراً. ثم ترجل يريد رسول الله، فتصور له إبليس، فقال له: يا أبا الصلت ما تريد؟ قال: أريد محمداً، قال: تدري من في القليب؟ قال: فيه عتبة بن ربيعة وشيبة، ابنا الخالة، فجدع أذني ناقته وقطع ذنبها، ثم وقف على القليب يقول:

ماذا ببدر فالعقن ... قل من مرازبة جحاجح

قال: ورجع إلى مكة وترك الإسلام، فخرج حتى قدم الطائف فقدم على أخته، فقال: دعيني أنام، فوضع رأسه، قالت أخته: فإني انظر فانشقت ناحية من سقف البيت، فإذا طائران أبيضان، فوقع أحدهما على بطن أمية فنقر صدره نقرة فشقته، فأخرج قلبه، فقال له الطائر الأعلى: أوعى، قال: وعى، قال: أقبل، قال: أبى، قال: ثم رد قلبه وطار، فاتبعهما أمية ببصره، فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا مال يغنيني ولا عشيرة تحميني.

فأقبل الطائران حتى وقع أحدهما على بطنه فنقر صدره فأخرج في ثم شق قلبه، فقال الطائر الأعلى: أوعى، قال: وعي، قال: أقبل، قال: أبى، قال: فرده ثم طار، فاتبعهما أمية ببصره، فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا بريء فأعتذر ولا ذو عشيرة فأنتصر.

فأقبل الطائر فوقع على صدره فنقر نقرة فأخرج قلبه فشقه، فقال الطائر الأعلى: أوعى، قال: وعى، قال: أفقبل، قال: أبى، فرده ثم طار، فاتبعهما أمية ببصره، فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما بالنعم محمود وبالذنب محصود.

فأقبل الطائر فوقع على صدره فنقر صدره نقرة شقته ثم أخرج قلبه، فقال: الطائر الأعلى: أوعى، قال: وعى، قال: أقبل، قال: أبى، فرده ثم طار، فاتبعهما أمية ببصره، فقال:

لبيكما لبيكما ... ها أنا ذا لديكما

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما

واستوى السقف، فاستوى أمية جالساً، فقالت أخته: يا أخي هل تجد شيئاً، قال: لا إلا حراً في صدري، وجعل يمسح صدره، وأنشأ يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

فاجعل الموت بين عينيك واحذر ... غولة الدهر إن للدهر غولاه

ثم خرج من عندها حتى إذا كان بين بيتها وبيته أدركه الموت. قال: ففيه نزق قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها".

وروى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله، عزا ابن عباس: إن وازعة بنت أبي الصلت الثقفي جاءته فسألها عن قصة أخيها أمية، فقالت: قدم أخي من سفر، فوثب على سريري، فأقبل طائران فسقط أحدهما على صدره، فشق ما بين صدره إلى ثنيته فانتبه، فقلت: يا أخي هل تجد شيئاً؟ قال: لا والله إلا توصيباً.

قال مؤلف الكتاب: ومعنى قولها: وثب على سريري اتكئ، أي نام، وهي لغة حميرية يقال: وثب الرجل إذا قعد. والتوصيب يجده الإنسان في نفسه.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أبو عبد الله الموصلي، قال: أخبرنا أبو القاسم بن بشران، قال: حدثنا أبو سهل بن زيد، قال: أخبرنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك، قال: حدثني محمد بن إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي، عن أبيه، عن جد أبيه قال: شهدت أمية من أبي الصلت حين حضرته الوفاة فأغمي عليه طويلاً فرفع رأسه ونظر إلى باب البيت فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا قوي فأنفر ولا بريء فأعتذر.

ثم أغمي عليه طويلاً ثم أفاق، فرفع رأسه ونظر إلى باب البيت فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا عشيرتي تحميني ولا ذو مال يفديني.

ثم أغمي عليه طويلاً ثم أفاق فرفع رأسه، فقال:

كل حي وإن تطاول دهر ... صائر مرة إلى أن يزولا

ولا ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

ثم فاضت نفسه.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسين بن محمد الخلال، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدني خالي إبراهيم بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن فرج المقرئ، قال: حدثني يعقوب بن السائب، قال: كان أمية بن أبي الصلت جالسا يشرب، فجاء غراب فنعب نعبة، فقال له أمية: لفيك التراب، ثم نغب أخرى، فقال له: بفيك التراب، ثم أقبل على أصحابه، فقال: تدرون ما قال هذا الغراب، زعم أني أشرب هذا الكاس ثم أتكئ، فأموت، ثم نعب النعبة الأخرى، فقال: يقول: وآية ذلك أني أقع على هذه المزبلة، فأبتلع عظماً ثم أقع فأموت. قال: فوقع الغراب على المزبلة فابتلع عظما فمات. فقال أمية: أما هذا فقد صدقني عن نفسه، ولكن لا نظرت أيصدقني عن نفسي، قال: ثم شرب الكأس، ثم اتكأ فمات.

أخبرنا علي بن عبد الله الزاغوني، قال: أخبرنا عبد الصمد بن المأمون، قال: أخبرنا ابن جبانة، قال: أخبرنا يحيى بن صاعد، قال: أخبرنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: أخبرنا حاتم بن أبي صعيرة، عن سماك بن حرب، عن عمرو بن نافع، عن الشريد الهمذاني، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فبينما أنا أمشي ذات يوم إذ وقع ناقة خلني، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "الشريد"، قلت: نعم، قال: "ألا أحملك"، قلت: بلى، وما في إعياء ولا

لغوب ولكني أردت البركة في ركوبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأناخ فحملني، فقال: أمعك من سفر أمية بن أبي الصلت؟ قلت: نعم، قال: "هات"، فأنشدته، قال: أظنه مائة بيت، قال: وقال: عند الله علم أمية بن أبي الصلت، عند الله علم أمية بن أبي الصلت.

وأخبرنا عمر بن أبي الحسن البسطامي، قال: أخبرنا أحمد بن أبي المنصور، قال: أخبرنا علي بن أحمد الخزاعي، قال: أخبرنا الهيثم بن كليب، فال. أخبرنا الترمذي، قال: أخبرنا أحمد بن منيع، قال: أخبرنا مروان بن معاوية، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عمر بن الشريد، عن أبيه، قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته مائة بيت من شعر أمية بن أبي الصلت، كلما أنشدته بيتاً قال: "هيه " حتى أنشدته مائة – يعني بيتاً – فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن كاد ليسلم".

انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه.

وذكر أبو الحسين بن المنادي في كتاب صفايا حكم الأشعار، قال: قد صح بين علماء الناس بالشعر وأيام العرب، أن مما أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر أمية بن أبي الصلت قوله:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا

وقوله:

سبحان من سبحت طير السماء له

وقوله:

إله محمد حقاً إلهي

وغير ذلك، قال: وكان أمية يحكي آثار قدرة الله تعالى وما ينتهي إليه أمر الدنيا من الزوال والمعاد، وإلى الخلود في الجنة والنار، وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك على ما كان قد قرأه في الكتب المتقدمة، وكان يتوهم أن نبيا سيبعث فيكون هو ذلك، فلما بلغه خروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انقمع وحسده.

قال أبو الحسين: فأخبرني جماعة منهم: أبو عبد الله محمد بن موسى الفراء، وجعفر بن موسى النحوي، وغيرهما عمن حدثهما عن أبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وغيرهما قالوا: إن أمية بن أبي الصلت، قال هذه القصيدة في أول المبعث يذكر فيها دين الإسلام ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ... ولا شيء أعلى منك جداً وأمجد

مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تضوي الوجوه وتسجد

عليه حجاب النور والنور حوله ... وأنهار نور فوقه تتوقد

فلا بصر يسمو إليه بطرفه ... ودون حجاب النور خلق مؤيد

ملائكة أقدامهم تحت أرضه ... وأعناقهم فوق السماوات تسجد

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ... بكفيه لولا الله كلوا وبلدا

قيام على الأقدام عانون تحته … فرائصهم من شدة الخوف ترعد

وبسط صفوف ينظرون قضاءه … مصيخون بالأسماع للوحي ركد

أميناه روح القدس جبريل فيهم … وميكال ذو الروح القوي المسدد

وحراس أبواب السموات دونهم … قيام عليها بالمقاليد

فنعم العباد المصطفون لأمره … ومن دونهم جند كثيف مجند

ملائكة لا يفتروا عن عبادة … كروبية منهم ركوع وسجد

فساجدهم لا يرفع الدهر رأسه … يعظم رباً فوقه ويمجد

وراكعهم يحنو له الظهر خاشعاً … يردد آلاء الإله ويحمد

ومنهم ملف في جناحيه رأسه … يكاد بذكر ربه يتفصد

من الخوف لاذو سامة من عبادة … ولا هو من طول التعبد يحمد

وساكن أقطار بأرجاء مصعد … وذو الغيب والأرواح كل معبد

ودون كثيف الماء في غامض الهوا … ملائكة تنحط فيها وتقصد

وبين طباق الأرض تحت بطونها … ملائكة بالأمر فيها تردد

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره … ومن هو فوق العرش فرد موحد

ومن لم ينازعه الخلائق ملكه … وإن لم يفرده العباد يفرد

مليك السموات الشداد وأرضها … وليس بشيء عن هواد تأود

وسبحان ربي خالق النور لم يلد … ولم يك مولوداً بذلك أشهد

وسبحانه من كل إفك وباطل … ولا والد ذو العرش أم كيف يولد

هو الله باري الخلق والخلق كلهم … إماء له طوعاً جميعاً وأعبد

هو الصمد الحي الذي لم يكن له … من الخلق كفؤ قد يضاهيه مضدد

وأنى يكون الخلق كالخالق الذي … يدوم ويبقى والخليقة تنفد

وليس بمخلوق على الدهر جده … ومن ذا على مر الحوادث يخلد

ويفني ولا يبقى سوى القاهر الذي … يميت ويحمي دائبا ليس يمهد

تسبحه الطير الحوائج في الخفا … وإذ هي في جو السماء تصعد

ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا … وسبحه الأشجار والوحش أبد

وسبحه البنيان والبحر زاخر ... وما ضم من شيء وما هو متلد

ألا أيها القلب المقيم على الهوى ... إلى أي حين منك هذا التمرد

عن الحق كالأعمى المحيط عن الهوى ... وقد جاءك النجد النبي محمد

بنور على نور من الحق واضح ... دليل على طرق الهدى ليس يخمد

ترى فيه أبناء القرون التي خلت ... وأخبار غيب في القيامة توجد

وحالات دنيا لا تدوم لأهلها ... وفيها منون ريبها متردد

ألا إنما الدنيا بلاغ وبلغة ... وبينا الفتى فيها مهيب مسود

إذ انقلبت عنه وزال نعيمها ... فأصبح من ترب القبور يوسد

وفارق روحاً كان بين حياته ... وجاور موتى ما لهم متبدد

فأي فتى قبلي رأيت مخلداً ... له في قديم الدهر ما يتورد

ومن يبتليه الدهر منه بعثرة ... فيبكو لها والنائبات تردد

لمن تسلم الدنيا وإن ظن أهلها ... نصيحتها والدهر قد يتجدد

ليوم وأقوام قد انكفأت بهم ... دهور وأيام ترافد عود

ألست ترى فيما مضى لك عبرة ... فمه لا تكن يا قلب أعمى تلدد

وقد جاء ما لا شك فيه من الهدى ... وليس يرد الحق إلا مفند

وكن خائفاً للموت والبعث بعده ... ولا تك ممن غره اليوم والغد

فإنك في الدنيا غرور لأهلها ... وفيها عدو كاشح الصدر يوقد

من الحقد نيران العداوة بيننا ... لئن قال ربي للملائكة اسجدوا

لآدم لما أكمل الله خلقه ... فخروا له طوعاً سجوداً وركد

فقال عدو الله للكبر والشقا ... أطين على نار السموم يسود

فأخرجه العصيان من خير منزل ... فذاك الذي في سالف الدهر يحقد

علينا ولا يألو خبالاً وحيلة ... ليوردنا منها الذي يتورد

جحيماً تلظى لا تفتر ساعة ... ولا الحر منها آخر الدهر يبرد

فما لك في الشيطان والناس أسوة ... إذا ما صليت النار بل أنت أبعد

هو القائد الداعي إلى النار جاهداً ... ليوردنا منها الذي يتورد

وما لك من عذر بطاعة فاسق ... ولا بلظى نار عملت لها يد

وقال أيضاً أمية:

إله محمد حقاً إلهي ... وديني دينه غير انتحال
إله العالمين وكل أرض ... ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شداداً ... بلا عمد يزين ولا دجال
وسواها وزينها بنور ... من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلألأ في دجاها ... مراميها أشد من النضال
وأنشا المزن تدلج بالروايا ... خلال الرعد مرسلة الغوال
ليسقي الحرث والأنعام منها ... سجال الماء حالاً بعد حال
وشق الأرض فانبجست عيونًا ... وأنهاراً من العذب الزلال
وبارك في نواحيها وزكا ... بها ما كان من حرث ومال
وأجرى الفلك في تيار موج ... تفيض على المداليج الثقال
وكل معمر لا بد يوماً ... وذي دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جدته ويبلى ... سوى الباقي المقدس ذي الجلال
كأنا لم نعش إلا قليلاً ... إذا كنا من الهام البوالي
وصرنا في مضاجعنا رميماً ... إلى يوم القيامة ذي الوبال
ونادى مسمع الموتى فجئنا ... من الأجداث كالشنن العجال
وأعطى كل إنسان كتاباً ... مبينا باليمين وبالشمال
ليقرأ ما تقارف ثم يكفا ... حسابًا نفسه قبل السؤال
وقام القسط بالميزان عدلاً ... كما بان الخصيم من الجدال
فلا إنسان بين الناس يرجى ... ولا رحم تمت إلى وصال
سوى التقوى ولا موت يرجى ... سوى الرب الرحيم من الموالي
وسيق المجرمون وهم عراة ... إلى دار المقامع والنكال
إلى نار تحش بصم صخر ... وما الأوصال من أهل الضلال
إذا نضجت جلودهم أعيدت ... كما كانت وعادا في سفال
ونادوا ويلنا ويلاً طويلاً ... على ما فاتنا أخرى الليالي

فهم متلاعنون إذا تلاقوا بها لعناً أشد من القتال
ونادوا مالكاً ودعوا ثبوراً وعجوا من سلاسلها الطوال
إذا استسقوا هناك سقوا حميماً على ما في البطون من الأكال
شرابهم مع الزقوم فيها ضريع يجتلي عقد الخبال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم لحر النار صالي
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال
ظلال بين أعناب ونخل وبنيان من الفردوس عالي
لهم ما يشتهون وما تمنوا من اللذات فيها والجمال
ومن إستبرق يكسون فيها عطايا جمة من ذي المعالي
ومن خدم بها يسقون منها كدر خالص الألوان غالي
وأشربة من العسل المصفى ومن لبن ومن ماء السجال
وكأس لذة لا غول فيها من الخمر المشعشعة الحلال
على سرر مقابلة عوال معارجها أذل من البغال

صفوف متكون لدى عظيم بكفيه الجزيل من النوال

قال مؤلف الكتاب: وله أشعار كثيرة اقتصرنا على هذا منها، وكان له ولد يقال له القاسم، وتعاطى الشعر الجيد.

ومن مات في هذه السنة من الكفار

المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، أبو وهب وكان من أشراف قريش، وكان أقلهم أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من الطائف، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف، فلما عاد منعوه دخول مكة، فبعث إلى المطعم: "أدخل في جوارك" قال: نعم، فأجاره فدخل.

ومات المطعم بمكة في صفر هذه السنة كافراً، ودفن بالحجون وهو ابن بضع وتسعين سنة، أقيم النوح سنة عليه.

فلما كانت غزاة بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: "لو كان المطعم حياً لوهبت له هؤلاء السبي".

وفي هذه السنة مات أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وكان حين ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: إنه ليكلم من السماء، حتى أتاه النضر بن الحارث، فقال: بلغني أنك تحسن القول في محمد، فكيف ذاك وهو يسب الآلهة، ويزعم أن آباءنا في النار، ويتوعد من لا يتبعه بالعذاب؟ فأظهر أبو أحيحة عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذمه وعيب ما جاء به، فقويت بذلك نفوس المشركين.

وكان أبو أحيحة كبيراً في القوم عظيم الشرف، كان إذا اعتم لم يعتم أحد بمكة، أو يعتم على غير لون عمامته، إعظاما له، وكان يدعى ذا التاج، ومات بالطائف في هذه السنة وله تسعون سنة.

ثم دخلت سنة ثلاث من الهجرة

غزوة قرقرة الكدر

فمن الحوادث فيها: غزوة قرقرة الكدر، والكدر ماء من مياه بني سليم، وكانت للنصف من المحرم.
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من سليم وغطفان، فسار إليهم فلم يجد أحداً، فوجد رعاء فيهم غلام يقال له يسار، فسأله عن الناس، فقال: لا علم لي بهم، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعم، وكانت خمسمائة بعير، وصار يسار في سهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأعتقه وكانت غيبته خمس عشرة ليلة. هذا قول الواقدي.
وأما ابن إسحاق، فإنه يقول: هذه الغزاة كانت في شوال سنة اثنتين من الهجرة.

غزوة السويق

ومن الحوادث في هذه السنة: غزوة السويق. وذلك أن أبا سفيان حرم الدهن بعد بدر حتى يثأر من محمد وأصحابه، فخرج في مائتي راكب إلى أن بقي بينه وبين المدينة ثلاثة أميال، فقتل رجلاً من الأنصار وأجيراً له، وحرق أبياتاً هناك وتبناً، ورأى أن يمينه قد حلت ثم ولى هاربا.
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج في أثره في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار، واستخلف أبا لبابة بن عبد المنذر على المدينة، فجعل أبو سفيان، وأصحابه يتخففون للهرب فيلقون جرب السويق، وكانت عامة أزوادهم، فأخذها المسلمون، فسميت غزاة السويق فلم يلحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف إلى المدينة، وكانت غيبته خمسة أيام.

غزوة غطفان بذي أمر

ومن الحوادث في هذه السنة: غزوة غطفان، وهي ذو أمر، ويقال لها: غزوة. أنمار.

وذلك أن رسول الله لما بلغه أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا شيئاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فندب المسلمين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلاً، واستخلف عثمان بن عفان، فأصابوا رجلاً من المشركين بذي القصة يقال له حبار، من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم، وقال: لن يلاقوك إذ سمعوا بمسيرك هوبوا في رؤوس الجبال، فأسلم حبار، و لم يلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً غير أنه ينظر إليهم في رؤوس الجبال، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر، فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه وألقاهما على شجرة ليجفا وأضطجع، فجاء رجل من العدو، يقال له دعثور بن الحارث

ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: من يمنعك مني اليوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله"، ودفع جبريل عليه السلام في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "من يمنعك مني"؟ قال لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم أتى قومه، فجعل يدعوهم إلى الإسلام، ونزلت: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم" ورجعوا إلى المدينة، و لم يلقوا كيداً وكانت غيبتهم إحدى عشرة ليلة.

قال مؤلف الكتاب: هكذا ذكر ابن سعد وغيره أن هذا كان في هذه السنة.

وذكروا أن اسم الرجل دعثور، وقد روي في الصحيح أن اسمه عورب، وروي أن هذا كان في سنة خمس من الهجرة.

سرية قتل كعب بن الأشرف

ومن الحواث في هذا الشهر من هذه السنة: سرية قتل كعب بن الأشرف وذلك لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، وكان سبب قتله أنه كان شاعراً، فهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وشبب بنسائهم، وبكى على قتلى بدر، وحرض المشركين بالشعر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لي بابن الأشرف؟ فقال له محمد بن مسلمة: أنا فاجتمع هو وأبو نائلة سلكان بن سلامة، والحارث بن أوس، وأبو عبس، وكان أبو نائلة أخا كعب من الرضاعة، فجاءه، فقال له: إن قدوم هذا الرجل كان علينا من البلاء، حاربتنا العرب فرمتنا عن قوس واحدة، ونحن نريد التنحي عنه، ومعي رجال من قومي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، فنبتاع منك طعاماً وتمراً، ونرهنك ما يكون لك فيه، ثقة، فقال: جئ بهم متى شئت، فاجتمعوا وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى معهم حتى أتى البقيع، ثم وجههم وقال: امضوا على بركة الله، فمضوا حتى انتهوا إلى حصنه، فخرج إليهم فقتلوه، وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم.

زواج عثمان بن عفان أم كلثوم

ومن الحوادث في هذا الشهر من هذه السنة: تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدخلت عليه في جمادى الآخرة.

غزوة بني سليم

وفي هذه السنة: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني سليم، وذلك لست ليال خلون من جمادى الأولى. على رأس سبع وعشرين شهراً من مهاجرته، ببحران، وهو بناحية الفرع، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد.

وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من بني سليم، فخرج في ثلاثمائة واستخلف ابن أم مكتوم فوجدهم تفرقوا، فرجع و لم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال.

سرية زيد بن الحارث

وفيها: كانت سرية زيد بن حارثة إلى القردة، لهلال جمادى الآخرة، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً.

والقردة ماء من مياه نجد بين الربذة وغمرة. بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعترض عيرا لقريش، فمضى زيد في مائة راكب،

فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم، وقدموا بالعير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وأسر فرات بن حيان، وأسلم.

زواجه صلى الله عليه وسلم حفصة

وفيها: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة في شعبان، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي في الجاهلية، فتوفي عنها مقدم سول الله صلى الله عليه وسلم من بدر، فعرضها عمر على أبي بكر فلم يجبه بشيء، ثم على عثمان فلم يجبه بشيء، فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله عرضت على عثمان حفصة فأعرض عني، فقال: إن الله قد زوج عثمان خيراً من ابنتك، وزوج ابنتك خيراً من عثمان وكان ذلك متوفى رقية، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان، على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة قبل أحد، ثم طلقها فأتاها خالاها عثمان وقدامة، فبكت وقالت: والله ما طلقني رسول الله عن شبع، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها، فجلست، فقال: إن جبريل أتاني فقال لي: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة.

قال مؤلف الكتاب: وفي رواية إنه هم بطلاقها.

زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت خزيمة

وفيها: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة، وكانت تسمى في الجاهلية أم المساكين، وكانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب فطلقها، فتزوجها أخوه عبيدة ابن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيداً، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، في رمضان هذه السنة. وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشاً، فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت.

وفيها: ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن ثابت، قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهري، قال: أخبرنا محمد بن المظفر قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن علي ابن الحسن بن شعيب المدائني، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله الدرقي قال: الحسن بن علي يقال انه ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

وفيها: حملت جميلة بنت عبد الله بن أبي بعبد الله بن حنظلة بن أبي عامر في شوال.

وفيها ولد أبو الطفيل عامر بن وائلة، ومات بعد المائة.

غزوة أحد

ومن الحوادث في هذه السنة: غزاة أحد. وكانت يوم السبت لسبع خلون من شوال، وكان سببها أنه لما رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان موقوفة في دار الندوة، فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان، فقالوا: نحن طيبو الأنفس بأن تجهز بربح هذه العير جيشاً إلى محمد، فقال أبو سفيان: أنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد مناف معي،

فباعوها فصارت ذهباً، وكانت ألف بعير، وكان المال خمسين ألف دينار، فسلم إلى أهل العير رؤوس أموالهم، وعزلت الأرباح، وبعثوا الرسل إلى العرت يستنصرونهم، وأجمعوا على إخراج الظعن معهم ليذكرهم قتلى بدر فيحفظنهم فيكون أجد لهم في القتال. وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت قريش ومعهم أبو عامر الراهب، وكان عددهم ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس وثلاثة ألاف بعير، وكانت الظعن خمسة عشرة امرأة، فساروا حتى نزلوا ذا الحلمة فأقاموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وبات سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة من الناس، وحرست المدينة، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه في درع حصينة، وكأن سيفه ذا الفقار قد انفصم، وكأن بقراً تذبح، وكأنه مردف كبشا، فأولها فقال: أما الدرع فالمدينة، والبقر قتل في أصحابي، وانفط سيفي مصيبة في نفسي، والكبش كبش الكتيبة نقتله إن شاء الله، وكان رأيه صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج من المدينة، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحابه، وطلب فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً أن يخرجوا حرصاً على الشهادة فغلبوا على الأمر، فصلى الجمعة ثم وعظمهم وأمرهم بالجد والجهاد، ثم صلى العصر، ثم دخل بيته ومعه أبو بكر، وعمر فعمماه ولبساه وصف الناس له، فخرج صلى الله عليه وسلم قد لبس لأمته وأظهر الدرع، وحزم وسطها بمنطقة من أدم واعتم، وتقلد السيف، وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعاً على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك، فقال: صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه فامضوا على اسم الله، فلكم النصر إن صبرتم.

فعقد ثلاثة ألوية، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ولواء الخزرج إلى الحباب، وقيل: إلى سعد بن عبادة، ولواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: إلى مصعب بن عمير، واستخلف عبد الله بن أم مكتوم على المدينة، ثم ركب صلى الله عليه وسلم فرسه، وتقلد قوسه، وأخذ قناة في يده، وفي المسلمين مائة دارع، وخرج السعدان أمامة: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، والناس على يمينه وشماله، وعرض من عرض، ورد من رد، وكان فيمن رد: ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وعرابة بن أوس، وهو الذي قال فيه الشماخ حيث يقول:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وأذن بلال المغرب، فصلى بأصحابه واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر. وبات بالشيخين اطمأن في طرق المدينة، وكان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما فسميا بالشيخين لذلك، وأدلج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السحر، فصلى بأصحابه الصبح وانخزل ابن أبي في ثلاثمائة وكان رأيه أن لا يخرج من المدينة فقال: عصاني وأطاع الولدان، فبقي رسول الله في سبعمائة، وأقبل يسوي الصفوف، وجعل أحداً وراء ظهره واستقبل المدينة، وجعل عينين – جبلا بقناة – عن يساره، وجعل عليه خمسين من الرماة، عليهم ابن جبير، واستعمل المشركون على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وعلى الخيل صفوان بن أمية، وقيل عمرو بن العاص، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة، وكانوا مائة رام، وقال أبو سفيان بن حرب لبني عبد الدار يومئذ: إنكم أضعتم اللواء يوم بدر، فأصابنا ما رأيتم، فادفعوا إلينا اللواء نكفيكم، وإنما

أراد تحريضهم على الثبات، فغضبوا وأغلظوا له القول، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة، وحضرت الملائكة و لم تقاتل، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً، وقال: "من يأخذ هذا السيف بحقه" قال أبو دجانة: وما حقه؟ قال: أن تضرب به في العدو حتى ينحني، قال: أنا فأخذه وجعل يتبختر في الصفين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن".

وكان أول من أنشب الحرب أبو عامر الراهب، طلع في خمسين من قومه فنادى: أنا أبو عامر فقال المسلمون: لا مرحباً بك، فتراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر، وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف والأكبار، ويحرضن ويقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

فصاح طلحة من يبارز، فبرز إليه علي بن أبي طالب فضربه على رأسه حتى فلق هامته - وهو كبش الكتيبة - فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون، ثم شدوا على المشركين، وحمل لواءهم أخوه عثمان بن أبي طلحة، فضربه حمزة بالسيف، فقطع يده، ثم حمله أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فقتله، فحمله مسافع بن طلحة فرماه عاصم فقتله، ثم حمله الحارث بن طلحة فرماه عاصم فقتله ثم حمله كلاب بن طلحة فقتله الزبير، ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله، ثم حمله أرطأة بن شرحبيل فقتله علي رضي الله عنه، ثم حمله شرحبيل بن فارط، فقتله بعض المسلمين، ثم حمله صؤاب غلام لهم، فقتله بعض المسلمين.

فلما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح، ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون الغنائم. فلما رأى الرماة ذلك أقبل جماعة منهم وخلوا الجبل، فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل، وتبعه عكرمة فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم، وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير وانتقضت صفوف المسلمين، ونادى إبليس: قتل محمد، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصابة من الصحابة أربعة عشر فيهم أبو بكر فأصيبت رباعيته وكلم في وجهه.

وفي الذي فعل به ذلك قولان: أحدها أنه عتبة بن أبي وقاص، قال سعد بن أبي وقاص: كنت حريصاً على قتل عتبة، فكفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله".

الثاني: أنه ابن قميئة فإنه علا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، فضربه على شقة الأيمن فاتقاها طلحة بيده فشلت يده.

قال السدي: وابن قميئة هو الذي رمى وجه رسول الله بحجر، فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني الضحاك بن عثمان، عن ضمرة بن سعيد، عن أبي بشر المازني، قال: حضرت يوم أحد وأنا غلام فرأيت ابن قميئة علا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، فرأيت رسول الله وقع

على كتفيه في حفرة أمامه حتى توارى، فجعلت أصيح وأنا غلام حين رأيت الناس ثابوا إليه، فأنظر إلى طلحة بن عبيد الله، أخذ يحضنه حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا إبراهيم بن مخلد، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم الحكيمي، قال: حدثنا الفتح ابن سخرف، قال: سمعت محمد بن خلف العسقلاني، قال: سمعت محمد بن يوسف الفريابي يقول: لقد بلغني أن الذين كسروا رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم صبي فثبت له رباعية.

قال علماء السير: وترس أبو دجانة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، وكانت النبل تقع في ظهره وهو منحن عليه.

ومر أنس بن النضر على عمر وطلحة في رجال من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله، قال: فما تصنعون بالحياة قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

قال المصنف رحمه الله وكان أربعة نفر قد تحالفوا وتعاقدوا يوم أحد: لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنه أو ليقتلن دونه عمرو بن قميئة، وأبي بن خلف، وعبد الله بن شهاب، وعتبة بن أبي وقاص.

وكان أبي قد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لأقتلنك، فلما طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن صاح الشيطان: قتل محمد، رآه أبي، فقال: لا نجوت إن نجوت، فقالت الصحابة: أيعطف عليه أحدنا، فقال: دعوه، فرماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجربة، فكسرت ضلعاً من أضلاعه.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن داوود الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: قتل أمية بن خلف ببدر، وكان أخوه أبي بن خلف قد أسر يومئذ، فلما فدو، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن عندي فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذره أقتلك عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتلك عليه إن شاء الله، فلما كان يوم أحد وانحاز المسلمون إلى شعب أحد بصر أبي بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل عليه فشد عليه الزبير بن العوام، ومع الزبير الحربة، فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للزبير: دعه وشد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه بها، فدق ترقوته، وخر صريعاً، وأدركه المشركون، فارتثوه وله خوار، فجعلوا يقولون: ما بك بأس، فيقول: أليس قد قال: أنا أقتلك، فحملوه حتى مات بمر الظهران على أميال من مكة.

قال مؤلف الكتاب: وعلى هذا جميع أهل التاريخ أن الذي قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف، وأن أمية بن خلف قتل يوم بدر.

وقد روى البخاري في صحيحه: أن سعد بن معاذ قال لأمية بن خلف: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنه قاتلك" فقال: والله ما يكذب محمد، فلما سار الناس إلى بدر أراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسر يوماً أو يومين، فسار حتى قتله الله ببدر. فيحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أمية يوم بدر، وقتل أبي يوم أحد، ويحتمل أن يكون بمعنى قوله: "إنه قاتلك" أي بقتلك أصحابه. والله أعلم، وقد ذكرنا كيف قتله الصحابة.

قال علماء السير: كان اللواء مع مصعب بن عمير، فقتل فأخذ اللواء ملك في صورته.

فأخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن

الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني الزبير بن سعد النوفلي، عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، قال: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير اللواء يوم أحد، فقتل مصعب، فأخذه ملك في صورة مصعب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له في آخر النهار: "تقدم" يا مصعب، فالتفت إليه الملك، فقال: لست بمصعب، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ملك أيد به.

قال علماء السير: قتل يومئذ حمزة، وأصيبت عين قتادة بن النعمان، فوقدت على وجنته، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها بيده، فكانت أحسن عينيه.

قال مؤلف الكتاب: وكان ممن جرح فقاتل حميئة، ومات وهو معدود من المنافقين.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا ابن جعفر، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: جعل رسول الله على الرماة يوم أحد – وكانوا خمسين رجلاً – عبد الله بن جبير، قال: ووضعهم موضعاً وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، قال: فهزموهم، قال: وأنا والله رأيت النساء يشتددن على الخيل وقد بدت أسواقهن وخلاخيلهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذلك قوله تعالى: "والرسول يدعوكم في أخراكم". فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين رجلاً.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وسبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ ثلاثاً، قال: فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددتهم لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسؤك فقال: يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها و لم تسؤني، ثم أخذ يرتجز ويقول: اعل هبل، اعل هبل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا تجيبوه"، فقالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل" قال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا تجيبوه، قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: "قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم".

قال علماء السير: وقامت هند في نسوة معها يمثلن بالقتلى، يجدعن الأنوف والأذان حتى اتخذت هند من ذلك خدماً وقلائد، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

فلما أراد أبو سفيان أن ينصرف، نادى: موعدكم بدر العام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه: "قل نعم بيننا موعد"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "أخرج في آثار القوم، فإن اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل: فإنهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأنا جزنهم".

قال علي رضي الله عنه: فخرجت في آثار القوم، فاجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل وتوجهوا إلى مكة.

فصل ثم أقبل المسلمون على قتلاهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ فمضى رجل

فوجده جريحاً بين القتلى وبه رمق، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت، أم في الأموات؟ فقال: أنا في الأموات، أبلغ رسول الله عني السلام، وقل له: يقول لك سعد بن الربيع: جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك السلام عني، وقل لهم لا عذر لكم عند الله، إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف أم مات.

وخرج رسول الله يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي، وقد بقر بطنه عن كبده ومثل به، فقال: لو لا أن تحزن صفية أو تكون سنة من بعدي، لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير، ولئن أنا أظهرني الله على قريش، لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم، فقال المسلمون: والله لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله عز وجل: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به". وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير: القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها، فلقيها، فقال لها: يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، فقالت: و لم، وقد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله قليل، فلاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، فجاءت إليه واستغفرت له.
فصل قتلى المسلمين يوم أحد قال مؤلف الكتاب: قتل من المسلمين يوم أحد حمزة قتله وحشي، وعبد الله بن جحش قتله أبو الحكم بن الأخنس، ومصعب بن عمير قتله ابن قميئة، وشماس بن عثمان قتله أبي بن خلف، وعبد الله وعبد الرحمن ابنا الهبيب، ووهب بن قابوس، وابن أخيه الحارث بن عقبة.
وقتل من الأنصار سبعون، وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون منهم.
ولما أراد المسلمون دفن قتلاهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احفروا وأعمقوا وقدموا أكثرهم قرآنا".
قال المؤلف للكتاب: واختلف الناس، هل صلى على شهداء أحد أم لا على قولين.
وممن دفن في قبر واحد، عبد الله بن عمرو، وعمرو بن الجموح، وسعد بن الربيع، وخارجة بن زيد، والنعمان بن مالك، وعبدة بن الحسحاس، وكان الناس قد حملوا قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم في نواحيها، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ردو القتلى إلى مضاجعهم"، فأدرك المنادي رجلاً ثم يكن دفن، وهو شماس بن عثمان المخزومي.
أخبرنا أبو غلاب محمد بن الحسن الماوردي، قال: أخبرنا المطهر بن عبد الواحد المراي، قال: أخبرنا جعفر، قال: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزباني، قال: حدثنا إبراهيم بن يحيى بن الحكم الحروري، قال: أخبرنا لوين، قال: أخبرنا شريك، عن الأسود بن قيس، عن نبيح، عن جابر بن عبد الله قال: قتل أبي وخالي يوم أحد فحملتهما أمي على بعير فأتت بهما المدينة، فنادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ردوا القتلى إلى مصارعهم".
قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله بدفن القتلى، قال: "انظروا عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام. فالهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد، فلما احتفر معاوية القناة أخرجا وهما ينثيان كأنما دفنا بالأمس".
ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش فنعي لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن زوج المرأة منها لبمكان"، لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.

أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا أحمد بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن حميد، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن معين، قال: حدثنا الفضل بن فضالة، عن ليث، عن أنس، قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة وقالوا: قتل محمد حتى كبرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار، فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها، لا أدري بأيهم استقبلت أولاً، فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك، قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: أمامك، حتى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبالي إذ سلمت من عطب.

قال مؤلف الكتاب: ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه فاطمة، فقال: "اغسلي عن هذا دمه يا بنية".

غزوة حمراء الأسد

وفي هذه السنة: كان غزاة حمراء الأسد.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة، فلما كان الغد وهو يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطنب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فكلمه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله: إن أبي كان خلفني على أخوات لي، فأذن لي بالخروج معك و لم يخرج معه ممن لم يشهد القتال غيره. وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو ليبلغهم أنه قد خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وإن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم، فخرج حتى انتهى إلى حمراء الأسد، ودفع لواءه وهو معقود لم يحل إلى علي بن أبي طالب، وقيل: إلى أبي بكر رضي الله عنهما، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخرج وهو مجروح مشجوج مكسور الرباعية وشفته العليا قد كلمت في باطنها وهو متوهن المنكب الأيمن من ضربة ابن قميئة، ونزل إليه أهل العوالي، فبعث ثلاثة نفر من أسلم روحة في آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد، وهي من المدينة على عشرة أميال، وقيل: ثمانية وللقوم رجل وهم يأتمرون بالرجوع وصفوان بن أمية ينهاهم، فبصروا بالرجلين، فرجعوا إليهما فقتلوهما، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، فدفن الرجلان في قبر واحد، وأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار فذهب صوت معسكرهم ونارهم في كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عزة فقتله صبراً، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وكانت غيبته خمس ليال.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أبا عزة الشاعر واسمه عمرو، وكان ذا بنات، فقال له: دعني لبناتي، فرحمه فأطلقه وأخذ عليه أن لا يكثر عليه بعدها، فلما جمعت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلوا إليه وكلمه صفوان بن أمية، وسأله أن يخرج إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهم حلفاء قريش يسألهم النصر فأبى،

وقال: إن محمداً قد أمن علي وأعطيته أن لا أكثر عليه، فلم يزل صفوان يكلمه حتى خرج إلى بني الحارث، فحرضهم على الخروج مع قريش والنصر لهم، فقال في ذلك:

أنتم بنو الحارث والناس الهام ... أنتم بنو عبد مناة الردم

أنتم حماة وأبوكم حام ... لا تعدوا ناصركم بعد العام

لا تسلمونا لا يحل إسلام

فلما انصرفت قريش عن أحد تبعهم رسول الله حتى بلغ حمراء الأسد فأصاب بها عمراً فقال له: يا محمد عفوك، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تمسح لحيتك بمكة وتقول، خدعت صمداً مرتين".

قال الزبير وحدثني محمد بن الضحاك، عن أبيه ومحمد بن سلام، عن أبي جعدية والأبرص أبو عزة الجمحي فكانت قريش لا تواكله ولا تجالسه، فقال: الموت خير من هذا، فأخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة، فطعن بها في موضع مغده والمغد موضع عقص الراكب من الدابة فمادت الحديدة بين الجلد والصفاق فسال منه ماء أصفر وبرئ فقال:

اللهم رب وائل ونهد ... والتهمات والجبال الجرد

ورب من يوعى بياض نجد ... أصبحت عبداً لك وابن عبد

أبرأتني من وضح بجلدي ... من بعد ما طعنت في مغدي

وفي ذي القعدة من هذه السنة: علقت فاطمة بابنها الحسين رضي الله عنهما، وكان بين ولادتها الحسن وعلوقها بالحسين خمسين ليلة.

وفي هذه السنة: ولد السائب بن يزيد ابن أخت النمر.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام عم أنس بن مالك شهد أحداً، ورأى جولة المسلمين فقاتل حتى قتل.

أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداودي، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: أخبرنا الفربري، قال: أخبرنا البخاري، قال: أخبرنا حسان بن حسان، قال: حدثنا محمد بن طلحة، حدثنا حميد عن أنس، أن عمه غاب عن بدر، فقال: غبت عن أول قتال قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لئن أشهدني الله مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا ليرين الله ما أفعل، فلقي يوم أحد فهزم الناس، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني المسلمين – وأبرأ إليك مما جاء به المشركون. فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ، فقال: إلى أين يا سعد؟ فقال: إني لأجد ريح الجنة دون أحد. فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانة وبه بضع وثمانون من بين طعنة وضربة ورمية سهم.

أنيس بن قتادة بن ربيعة قال مؤلف الكتاب: كذا سماه ابن إسحاق والواقدي. وقال أبو معشر: أنس، وقال ابن عقبة: إلياس. وهو زوج خنساء بنت خذام، شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

ثابت بن الدحداح قال مؤلفه: ويقال: ابن الدحداحة - بن نعيم بن غنم بن إياس، ويكنى أبا الدحداح: أخبرنا يحيى بن علي المدبر، قال: أخبرنا أبو الحسن المهتدي، قال: أخبرنا الحسين بن محمد الكاتب، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله صاحب أبي صخر، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، قال: أخبرنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت هذه الآية: "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له". قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: "نعم يا أبا الدحداح" قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، قال: فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي، قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل - وفي رواية أخرى: فعمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وعض ما في أكمامهم.

وحضر ثابت يوم أحد فتفرق الناس فصاح: إلي يا معشر الأنصار. إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم. فنهض إليه نفر من الأنصار وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنفذه فوقع ميتاً وقتل من كان معه.

وقد قيل: انه برأ من جراحاته ومات على فراشه، مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبع جنازته.

ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ شهيداً.

جندع بن ضمرة الضمري أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدثنا ابن الفهم قال؟ حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عفان، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط: أن جندع بن ضمرة كان بمكة فمرض فقال لبنيه: أخرجوني من مكة فإنه قد قتلني غمها، فقالوا: إلى أين؟ فأومأ بيده: إلى ها هنا، نحو المدينة، يريد الهجرة، فخرجوا به فلما بلغوا اضاة بني عفان مات، فأنزل الله تعالى فيه: "ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيماً الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان أبو أوس شهد بدراً، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف، وأصابه بعض أصحابه تلك الليلة بسيفه وهم يضربون كعباً فجرحه فنزف الدم، فاحتمله أصحابه حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد بعد ذلك أحداً، وقتل يومئذ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة.

الحارث بن أنس قال مؤلف الكتاب: وأنس هو أبو الحسن بن رافع: شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

الحارث بن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية

شهد أحداً، وروى محمد بن سعد، عن أشياخه، قالوا: كان سويد قد قتل زياداً أبا مجذر في وقعة التقوا فيها، فلما كان بعد ذلك لقي مجذر سويداً خالياً في مكان وهو سكران ولا سلاح معه، فقال له: قد أمكن الله منك، قال: وما تريد؟ قال: قتلك، قال: فارفع عن الطغام، واخفض عن الدماغ وإذا رجعت إلى أمك فقل: قد قتلت سويد بن الصامت، فقتله فهيج قتله وقعة بعاث - وذلك قبل الإسلام - فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحارث بن سويد، ومجذر بن زياد، فجعل الحارث يطلب مجذرا ليقتله بأبيه فلا يقدر عليه - فلما كان يوم أحد وجال الناس الجونة أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه، فلما رجع النبي صلى الله عليه

وسلم أتاه جبريل فأخبره أن الحارث قتل مجذراً غيلة، وأمره أن يقتله به، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء في ذلك اليوم وهو يوم حار، فدخل مسجد قباء فصلى فيه، وسمعت به الأنصار فجاءت تسلم عليه، وأنكروا إتيانه في تلك الساعة حتى طلع الحارث بن سويد في ملحفة مورسة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى عويم بن ساعدة، فقال: قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله غيلة، فقال الحارث: قد والله قتلته وما كان قتلي إياه رجوعاً عن الإسلام ولا ارتياباً فيه، ولكنه حمية الشيطان، وأمر وكلت فيه إلى نفسي، فإني أتوب إلى الله وإلى رسوله، وجعل يمسك بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركاب ورجل في الأرض، وبنو مجذر حضور لا يقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فلما استوعب كلامه، قال: "قدمه يا عويم فاضرب عنقه"، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه عويم فضرب عنقه، فقال حسان بن ثابت:

يا حار في سنة من يوم أو لكم ... أم كنت ويحك مغتراً بجبريل

حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وكان له من الولد يعلى، وبه كان يكنى وعامر، وعماره وقد كان يكنى به أيضاً، وأمامة التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد، وكان ليعلى أولاد درجوا فلم يبق لحمزة عقب.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار: أن حمزة سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه جبريل عليه السلام في صورته، فقال: "إنك لا تستطيع أن تراه"، قال: بلى، قال: "فاقعد مكانك"، فنزل جبريل على خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها إذا طافوا في البيت، فقال: ارفع طرفك فانظر، فنظر فإذا قدماه مثل الزبرجد الأخضر، فخر مغشياً عليه.

قال علماء السير: أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة، وآخى بينه وبين زيد بن حارثة، وإليه أوصى حمزة حين حضر القتال يوم أحد وقتله وحشي يومئذ وشق بطنه وأخذ كبده وجاء بها إلى هند بنت عتبة، فمضغتها ثم لفظتها، ثم جاءت فمثلت بحمزة، وجعلت من ذلك مسكتين ومعضدتين وخدمتين حتى قدمت بذلك مكة.

ودفن حمزة وعبد الله بن جحش في قبر واحد، وحمزة خال عبد الله، ونزل في قبر حمزة أبو بكر وعمر وعلي والزبير، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على حفرته.

أخبرنا يحيى بن علي المدبر، قال: أخبرنا عبد الصمد بن المأمون، قال: أخبرنا الدارقطني، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن حمدون، قال: أخبرنا محمد بن يحيى الأزدي، قال: أخبرنا جحش بن المثنى، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار، عن جعفر بن عمرو الضمري، قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار إلى الشام فلما قدمنا حمص، قال لي عبيد الله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشي يسكن حمص، فجئنا حتى وقفنا عليه فسلمنا فرد السلام وعبيد الله معتمر بعمامته ما يرى منه إلا عيناه ورجلاه، فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ فنظر إليه ثم قال: لا والله إلا أني

أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلاما فاسترضعته فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فكأني نظرت إلى قدميه، فكشف عبيد الله وجهه، ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ فقال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي ببدر، فقال لي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، فلما خرج الناس عام عينين – قال: وعينين جبل تحت أحد – بينه وبينه واد – فخرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة، فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحارب الله ورسوله، ثم شد عليه وكان كأمس الذاهب، وكمنت لحمزة تحت صخرة حتى مر علي، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعتها في ثنيته حتى دخلت بين وركيه، وكان ذلك آخر العهد به، فلما رجع الناس إلى مكة رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، فقالوا: إنه لا يهيج الرسل. قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآني قال: "أنت وحشي"؟ قلت: نعم، قال: "أنت قتلت حمزة؟" قلت: قد كان من الأمر ما بلغك يا رسول الله، قال: "أما تستطيع أن تغيب وجهك عني".

قال: فرجعت، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، فخرجت مع الناس وكان من أمرهم ما كان. قال: وإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر رأسه. قال:فأرميه بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ودب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال عبيد الله بن الفضل، فأخبرني سليمان بن يسار، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود.

انفرد بإخراجه البخاري.

أخبرنا هبة الله بن محمد الكاتب، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام، عن عروة، قال: أخبرني أبي الزبير: أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى قال: فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تراهم، فقال: المرأة المرأة، قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، فخرجت إسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فلزمت في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك لا أم لك، قال: فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم عليك، قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما، قال: فجئت بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل قد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الله بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الحسن بن المهتدي، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن الفضل بن المأمون، قال: حدثنا أبو بكر الأنباري، قال: أخبرنا أحمد بن الهيثم بن خالد، قال: أخبرنا إبراهيم بن المهتدي، أخبرنا يحيى بن زكريا، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير، قال: لما انصرف المشركون يوم أحد وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ناحية القتلى، فجاءت

امرأة تؤم القتلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرأة المرأة، فدنوت منها فتوسمتها فإذا هي صفية، فقلت لها: يا أماه ارجعي

فلزمت صدري وقالت: لا أم لك، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزم عليك، فأخرجت ثوبين وقالت: كفنوا أخي في هذين الثوبين، فنظرنا إلى جانب حمزة رجلاً من الأنصار وليس له كفن، فرأينا غضاضة علينا أن نكفن حمزة في ثوبين والأنصاري ليس له كفن، وكان أحد الثوبين أوسع من الآخر، فأقرعنا بينهما وكفنا كل واحد في الثوب الذي صار له.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن يزيد، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: لما قتل حمزة يوم أحد أقبلت صفية تطلبه لا تدري ما صنع، فلقيت علياً والزبير، فقال علي للزبير: اذكر لأمك، قال الزبير: لا بل اذكر أنت لعمتك، قالت: ما فعل حمزة؟ قال: فأرياها أنهما لا يدريان، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "إني أخاف على عقلها" فوضع يده على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت، ثم جاء فقام عليه وقد مثل به، فقال: "لو لا جزع النساء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع" قال: ثم أمر بالقتلى فجعل يصلي عليهم، قال: فيضع تسعة وحمزة فيكبر عليهم ثم يرفعون ويترك حمزة، ثم يجاء بغيرهم حتى فرغ منهم.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عبد الله بن نمير، قال: أخبرنا زياد بن المنذر، عن أبي جعفر، قال: كانت فاطمة تأتي قبر حمزة فترمه وتصلحه.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، ويحيى بن الحسن، وأحمد بن محمد الطوسي في آخرين، قالوا: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، حدثنا عيسى بن علي، أخبرنا البغوي، حدثنا محمد بن جعفر الوركاني، حدثنا سعيد بن ميسرة، عن أنس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعا، وإنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة.

أخبرنا القزاز، أخبرنا عبد العزيز بن علي الحربي، حدثنا المخلص، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا بشر بن الوليد الكندي، حدثنا صالح المري، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد فنظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه، ونظر إليه قد مثل به، فقال: رحمة الله عليك، فإنك كنت ما علمت فعولاً للخيرات وصولاً للرحم، ولو لا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى، أما والله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم واقف يعد خواتيم النحل: "إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به..." إلى آخر السورة، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم وأمسك عما أراد.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا شهاب بن عباد، حدثنا عبد الجبار بن ورد، عن الزبير، عن جابر، قال: لما أراد معاوية أن يجري عينه التي بأحد كتبوا إليه: إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء، فكتب: انبشوهم، فقال: فرأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابت المسحاة طرف رجل حمزة، فانبعثت دماً.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا البغوي، قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد، قال: سمعت أبا الزبير يقول: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجري عيناً إلى أحد، فكتب إليه عامله: إنها لا تجري إلا على قبور الشهداء، قال: فكتب إليه أن أنفذها، قال: فسمع جابر بن عبد الله يقول: فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً.

حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة

وجروة هو الذي يقال له اليمان، لأنه حالف اليمانية، وحسيل أبو حذيفة، خرج هو وحذيفة يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل غزاة بدر فلقيهما المشركون فقالوا: إنكما تريدان محمداً، فقالا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا عليهما عهد الله وميثاقه أن لا يقاتلا مع محمد، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، وقالا: إن شئت قاتلنا معك، فقال: بل نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم، وشهدا غزاة أحد، فالتقت سيوف المسلمين على حسيل وهم لا يعرفونه، فجعل حذيفة يقول: أبي أبي، فلم يفهموا حتى قتل، فتصدق حذيفة بدمه على المسلمين.

حنظلة بن أبي عامر، واسمه عبد عمرو، وهو الراهب ابن صيفي بن النعمان بن مالك: قال خزيمة بن ثابت: ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم منه، كان يألف اليهود ويسألهم عن الدين فيخبرونه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم، وإن هذه دار هجرته، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفته فرجع وهو يقول: أنا على دين الحنيفية، فأقام مترهباً ولبس المسوح، وزعم انه على دين إبراهيم يتوكف خروج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حينئذ حسده وبغى ونافق، وقال: يا محمد أنت تخلط الحنيفية بغيرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتيت بها بيضاء نقية، أين ما كان يخبرك الأحبار من صفتي؟ " قال: لست بالذي وصفوا لي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت"، قال: ما كذبت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكاذب أماته الله طريداً وحيداً" فقال: آمين.

ثم خرج إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم، وترك الترهب، ثم حضر أحداً معهم كافراً ثم انصرف معهم كافراً، فلما كان يوم الفتح ورأى الإسلام قد ضرب بجرانه خرج هارباً إلى قيصر فمات هناك طريداً. فقضى قيصر بميراثه لكنانة بن عبد يا ليل، وقال: أنت وهو من أهل المدر، وكان ابنه حنظلة لما أسلم قال: يا رسول الله أقتل أبي؟ قال: لا.

وتزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، فأدخلت عليه في الليلة فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمال إليها فأجنب وأراد الخروج، فأرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدت عليه أنه دخل بها، فقيل لها بعد: لم أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة وعلقت بعبد الله.

وخرج حنظلة فقاتل واعترض أبا سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه، فوقع أبو سفيان وجعل يصيح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان بن حرب، فعاد الأسود بن عبد يغوث فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه، فمر عليه أبوه وهو إلى جانب حمزة وعبد الله بن جحش، فقال: إن كنت لأحذرك هذا الرجل من قبل هذا المصرع، والله إن كنت لبراً بالوالد، شريف الخلق، وإن مماتك لمع سراة أصحابك، فإن جزى الله هذا القتيل – يعني حمزة – أو أحداً من أصحاب محمد خيراً فجزاك الله خيراً. ثم نادى: يا معشر قريش، حنظلة لا بمثل به، وإن كان خالفني فإنه لم يأل بنفسه فيما يرى خيراً فقال أبو سفيان: حنظلة بحنظلة – يعني حنظلة بن أبي سفيان. وكان قتل يوم بدر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن"، فأرسل إلى امرأته فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فولده يقال لهم بنو غسيل الملائكة.

خارجة بن زيد بن أبي زهير، يكنى أبا زيد وله من الولد زيد، وهو الذي تكلم بعد موته في زمن عثمان، وحبيبة بنت خارجة،

تزوجها أبو بكر الصديق وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خارجة وأبي بكر وشهد بدراً وأحداً وقتل يومئذ.

خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد يكنى أبا حذافة أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانيه، وكان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب، فتوفي ودفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع إلى جانب قبر عثمان بن مظعون.

خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب أبو سعد بن خيثمة

كان أراد الخروج إلى بدر، فقال لابنه سعد: لا بد لي أو لك من أن يقيم أحدنا في أهله ونسائه، فقال ابنه: يا أبه لو كان غير الجنة لآثرتك به، ولكن ساهمني، فأينا خرج سهمه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، وأقام الآخر. فاستهما فخرج سهم سعد فخرت فاستشهد يومئذ، وكان أحد النقباء.

وأقام خيثمة فلما كان يوم أحد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل شهيداً.

ذكوان بن قيس بن خلدة كان قد خرج إلى مكة هو وأسعد بن زرارة يتنافران فسمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما ورجعا إلى المدينة، وكان مهاجرياً أنصارياً، وكذلك زياد بن لبيد جرى له مثل هذا. وشهد ذكوان بدراً وأحداً وقتل يومئذ، قتله أبو الحكم بن الأخنس، فشد علي بن أبي طالب على أبي الحكم بن الأخنس فقتله.

رافع بن مالك بن العجلان أبو مالك وقيل إنه هو ومعاذ بن عفراء أول من لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من الأنصار، فأسلما وقدما بالإسلام المدينة، وشهد العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء الاثني عشر، و لم يشهد بدراً وشهد أحداً فقتل يومئذ.

رافع بن يزيد بن كرز شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

رفاعة بن عبد المنذر شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً وقتل يومئذ.

رفاعة بن عمرو بن زيد، أبو الوليد شهد العقبة أيضاً مع السبعين وبدراً وأحداً، وقتلى يومئذ.

سهيل بن قيس بن أبي كعب بن القين شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ، وقبره معروف بأحد.

سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير شهد العقبة، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة أمه ليلى بنت اليمان أخت حذيفة، شهد بدراً وأحداً، وقتله يومئذ أبو سفيان.

سليم بن الحارث بن ثعلبة شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

سليم بن عمرو بن حديدة شهد العقبة مع السبعين، وشهد بدراً وأحداً وقتل يومئذ.

شماس بن عثمان بن الشريد كان اسم شماس عثمان، فسمي شماساً لوضاءته، يقول: كأنه شمس، فغلب على اسمه، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية في بعض الأقوال.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، عن عمر بن عثمان، عن عبد الملك بن عبيد، عن سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، قالا: شهد شماس بن عثمان بدراً وأحداً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما وجدت لشماس بن عثمان شبيها إلا الجنة". مما يقاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، يعني يوم أحد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرمي يصره يميناً ولا شمالاً إلا رأى شماساً في ذلك الوجه يذب بسيفه حتى غشي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترس بنفسه

دونه حتى قتل. فحمل إلى المدينة وبه رمق، فأدخل على عائشة، فقالت أم سلمة: ابن عمي يدخل على غيري؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احملوه إلى أم سلمة" فحمل إليها فمات عندها؟ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد إلى أحد فيدفن هناك كما هو في ثيابه التي مات فيها. وقد مكث يوماً وليلة لم يذق شيئاً، و لم يصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يغسله، وكان يوم قتلى ابن أربع وثلاثين سنة، وليس له عقب. رحمه الله.

عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على الرماة، فلما انكشفوا يطلبون الغنيمة لم يبق معه إلا نحو من عشرة فرمى حتى نفذ نبله، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر وقاتل حتى قتل، ومثلوا به أقبح المثل.

قال خوات بن جبير: أخذت بضبعيه وأخذ أبو حية برجليه وقد شددت جرحه بعمامتي، فبينا نحن نحمله والمشركون ناحية إلى أن سقطت عمامتي من جرحه فخرجت حشوته، ففزع صاحبي وجعل يتلفت وراءه يظن أنه العدو، فضحكت في مكان ما ضحك فيه عدو. وكان الذي قتله عكرمة بن أبي جهل.

عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة، ويكنى أبا محمد:

وأمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نخلة، وفيها تسمى بأمير المؤمنين، وهو أول من دعي بذلك، وأول لواء عقد في الإسلام لواؤه. وأول مغنم قسم في الإسلام ما جاء به.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عفان بن مسلم، وموسى بن إسماعيل، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش يقول قبل أحد بيوم: اللهم إنا لاقو هؤلاء غداً فإني أقسم عليك لما يقتلوني ويبقرون بطني ويجدعون أنفي، فإذا قلت لي: لم فعل بك هذا؟ فأقول: اللهم فيك.

فلما التقوا فعل ذلك به، فقال الرجل الذي سمعه: أما هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا، وأنا أرجو أن أعطى ما سأل في الآخرة.

عبد الله بن عمرو بن حزام، أبو جابر شهد العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عفان، قال: أخبرنا شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينهاني، وجعلت عمتي فاطمة بنت عمرو تبكي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بكيه أو لا تبكيه"، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه".

عبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث شهد بدراً وأحداً، وقتله عبد الله بن الزبعرى.

عبيد بن التيهان أخو أبي الهشم ربما سماه بعضهم عتيكاً شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً، وقتله يومئذ عكرمة بن أبي جهل.

عامر بن مخلد بن الحارث شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

عمرو بن قيس بن زيد بن سواد شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة أمه ليلى أخت حذيفة بن اليمان، عن له أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فأسلم وأخذ سيفه ثم خرج حتى دخل في القوم فقاتل حتى أثبت فدنوا منه وهو في آخر رمق، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ قال: الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك من أهل الجنة" وكان أبو هريرة يقول: أخبروني برجل يدخل الجنة لم يصل لله تعالى سجدة قط، فسكتوا، فقال: عمرو بن ثابت.

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة، يكنى أبا السائب: كان قد حرم الخمر في الجاهلية، وقال: لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد.

وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي قبل أن يسلم، وأسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم.

وكان كثير التعبد، ولما هاجر إلى المدينة هاجر آل مظعون كلهم رجالهم ونساؤهم حتى غلقت دورهم.

وشهد عثمان بن مظعون بدراً وتوفي في شعبان من هذه السنة، وهو أول من دفن بالبقيع، والأنصار تقول: بل أسعد بن زرارة.

أخبرنا يحيى بن علي المدبر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي، قال: أخبرنا عمرو بن شاهين، قال: حدثنا البغوي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواهب الحارثي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن حميد بن عمير، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم، عن عائشة، قالت: لما مات عثمان بن مظعون كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه، ثم بكى طويلاً، فلما رفع على السرير قال: "طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا و لم تلبسها".

عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام كان له صنم اسمه مناف، فأخذوه فكسروه ثم ربطوه مع كلب في بئر، فأسلم وجعل يرتجز ويقول:

الحمد لله العلي ذي المنن	الواهب الرازق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن	أكون في ظلمة قبر مرتهن
والله لو كنت إلهاً لم تكن	أنت وكلب وسط بئر في القرن
والآن فتشناك عن شر الغبن	

وكان عمرو أعرج فلم يشهد بدراً، فلما حضر أحداً أراد الخروج فمنعه بنوه.

وقالوا: قد عذرك اللّه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج، والله إني أرجوأن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال: أما أنت فقد عذرك الله " وقال لبنيه: لا عليكم أن تمنعوه لعل اللّه أن يرزقه الشهاثة، فتركوه.

قالت امرأته هند: كأني أنظر إليه مولياً قد أخذ رقبته، وهويقول: اللهم لا تردني إلى أهل حزبي وهي منازل بني سلمة.

فقتل هو وابنه خلاد جميعاً، ودفن هو وعبد اللّه بن عمر وأبو جابر في قبر واحد.

عمرو بن معاذ بن النعمان، أخو سعد شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة.

قرمان بن الحارث بن بني عبس كان من المنافقين، فلما كانت غزاة أحد عيره نساء بني ظفر، وقلن: قد خرج الرجال وبقيتَ، استحي مما صنعت، ما أنت إلا امرأة، فخرج في الصف الأول، وكان أول من رمى بسهم، ثم استل السيف ففعل الأفاعيل، فلما انكشف المسلمون كسر جفن السيف وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار يا آل أوس، قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثل ما أصنع، وجعل يدخل وسط المشركين حتى يقال قد قتل، ثم يطلع وهو يقول: أنا الغلام الظفري حتى قتل سبعة، وكثرت جراحاته، فمر به قتادة بن النعمان، فقال: هنيئاً لك الشهادة، فقال: أي واللّه ما قاتلت على دين ما قاتلت إلا على الحفاظ لئلا تشير قريش إلينا حتى تطأ سعفنا، وأذته الجراحة فقتل نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، أبو أبي سعيد الخدري: شهد أحداً، فلما نزعت حلقتا المغفر من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد جعل الدم يسرب، فجعل يأخذه بفيه ويزدرده، وقتل مالك يومئذ، قتله غراب بن سفيان الكناني، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد تلقاه أبو سعيد الخدري، فعزاه النبي صلى الله عليه وسلم بأبيه.

مالك بن نميلة وهي أمه، وأبوه ثابت، وهومن مزينة، شهد بدراً وأحداً، وقتل يومئذ.

مالك بن عمرو النجاري توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الخروج إلى أحد، فصلى عليه، ثم ركب إلى أحد.

مالك ونعمان ابنا خلف بن عوف كانا طليعتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فقتلا جميعاً يومئذ ودفنا في قبر واحد.

مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، ويكنى أبا محمد: تزوج حمنة بنت جحش فولدت له زينب. وكان شاباً جميلًا عطرأحسن الكسوة،وكانا أبواه ينعمانه، فبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس في دار الأرقم، فدخل فاسلم وكتم إسلامه من قومه وأمه، وكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سراً، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبرأمه وقومه، فأخفوه فحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين، وأقبل يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه قطعة من نَمِرَةٍ قد وصلها بإهاب، فنكس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوسهم رحمة له، وليس عندهم ما يغيِّرون عليه، فسلم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام، وقال: " لقد رأيت هذا وما بمكة فتى من قريش، أنعم عند أبويه منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله".

ثم هاجر إلى المدينة أول من هاجر، وذلك أن الأنصار كتبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابعث لنا رجلاً يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير، فنزل على أسعد بن زرارة وكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام، وأظهر الإسلام في دور الأنصار، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن أن يجمع بهم في دار ابن خيثمة، وكانوا يومئذ اثني عشر رجلاً، وهو أول من جمع في الإسلام يوم الجمعة.

وقد قيل: إن أول من جمع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة.

ثم خرج مصعب بن عمير من المدينة مع السبعين الذين وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الثانية، فقدم مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يقرب منزله، فجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسراع الأنصار إلى الإسلام فسر بذلك..

وبعثت إليه أمه: يا عاق، أتقدم بلداً أنا به ولا تبدأ بي، فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما لقي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى أمه فأرادت حبسه، فقال: إن حبستني لأحرضن على قتل من يتعرض لي، فبكت وقالت: اذهب لشأنك، فقال: يا أماه، إني لك ناصح وعليك شفيق، فأسلمي، قالت: والثواقب لا أدخل في دينك.

وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وقدم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً لهلال ربيع الأول قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتي عشر ليلة.

وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعظم لواء المهاجرين يوم بدر معه ويوم أحد.

ولما جال المسلمون ثبت به وأقبل ابن قميئة وهو فارس فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل. فأخذ اللواء بيده اليسرى، وحنا عليه فضرب يدهاليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، وهو يقول: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" الآية. ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء، فابتدره رجلان من بني عبد الدار: سويبط بن سعد، وأبو الروم بن عمير، فأخذه أبو الروم و لم يزل في يديه حتى دخل به المدينة.

قال محمد بن عمر: قال إبراهيم بن محمد، عن أبيه: ما نزلت هذه الآية: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" يومئذ حتى قي نزلت بعد ذلك.

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير، فقرأ: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر".

وقتل وهو ابن أربعي سنة أو يزيد شيئاً.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا أبو معاوية، قال: أخبرنا الأعمش، عن شقيق، عن خباب بن الأرت، قال: هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى و لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إجعلوها فيما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر". ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها.

النعمان بن مالك بن ثعلبة قال مؤلف الكتاب: وثعلبة هو الذي يسمى قوقل، كان يقول للخائف: قوقل حيث شئت فإنك آمن. شهد بدراً وأحداً وقتل يومئذ، قتله صفوان بن أمية.

نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان شهد بدراً وأحداً وقتل يومئذ.

وهب بن قابوس المزني

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أقبل وهب بن قابوس ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بغنم لهما من جبل مزينة، فوجدا المدينة خالية، فسألا: أين الناس؟ فقالوا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين، فقالا: لا نسأل أثراً بعد عين، فأسلما، ثم خرجا فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم بأحد، فإذا الدولة للمسلمين، فأغارا مع المسلمين في النهب، وقاتلا أشد القتال. وكانت قد افترقت

فرقة من المشركين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من لهذه الفرقة؟" فقال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجع فانفرقت أخرى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من لهذه؟" فقال المزني: أنا، فذبها بالسيف حتى ولوا ورجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى، فقال: "من يقوم لها؟"، فقال المزني: أنا فقال: "قم وأبشر بالجنة"، فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف حتى يخرج من أقصاهم حتى قتلوه ومثلوا به، ثم قام ابن أخيه الحارث فقاتل نحو قتاله حتى قتل، فوقف عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما مقتولان فقال: "رضي الله عنك فإني عنك راض". ثم قام على قدميه وقد نال ما نال من الجراح، فلم يزل قائماً حتى وضع المزني في لحده. وكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حال نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله عز وجل على حال المزني.

ثم دخلت سنة أربع من الهجرة

فمن الحوادث فيها:

سرية أبي سلمة بن عبد الأسد

إلى قطن – وهو جبل – في هلال المحرم، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طليحة، وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا أبا سلمة، وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلاً، وقال: سر حتى تنزل أرض بني أسد، فأغار عليهم قبل أن تلاقى عليك خيولهم، فخرج فأغذ السير عن سنن الطريق وانتهى إلى أدنى قطن، فأغار على سرح لهم، وأخذوا رعاء ثلاثة، وأفلت سائرهم، فجاؤوا فحذروا أصحابهم، فتفرقوا في كل ناحية، ففرق سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلب النعم والشاء، فآبوا سالمين قد أصابوا إبلاً وشاء ولم يلقوا أحداً، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة.

ثم كانت:

سرية عبد الله بن أنيس

في يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي بعرنة، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سفيان بن خالد قد جمع الجموع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث عبد الله بن أنيس ليقتله، فقال: صفه لي يا رسول الله، فقال: "إذا رأيته هبته وفرقت منه وذكرت الشيطان"، قال: وكنت لا أهاب الرجال، واستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول فأذن لي، فأخذت سيفي وخرجت أعتزي إلى خزاعة حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشي ووراءه الأحابيش، فعرفته بنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففال: من الرجل؟ فقلت: رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك، قال: أجل إني لأجمع له، فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي حتى انتهى إلى خبائه، وتفرق عنه أصحابه حتى إذا نام الناس اغتررته فقتلته وأخذت رأسه، ثم دخلت غاراً في الجبل فضربت العنكبوت علي، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئاً فرجعوا، ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى بالنهار حتى قدمت المدينة، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فلما رآني قال: "أفلح الوجه"، قلت:

أفلح وجهك يا رسول الله، فوضعت رأسه بين يديه، وأخبرته خبري، فدفع إلي عصا، وقال "تخصر بهذه في الجنة"، فكانت عنده فلما حضرته الوفاة أوصى إلى أهله أن يدرجوها في كفنه ففعلوا.

وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم.

قال مؤلف الكتاب وقد ذكر محمد بن حبيب هذا كان في سنة خمس.

ثم كانت:

سرية المنذر بن عمرو الساعدي إلى بئر معونة

في صفر، وذلك انه لما قدم عامر بن مالك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى له فلم يقبل منه، وعرض عليه الإسلام فلم يسلم، وقال: لو بعثت معي رجالاً من أصحابك

لرجوت أن يجيب قومي دعوتك، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال: أنا لهم جار إن يعرض لهم أحد، فبعث معه صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً من الأنصار شببة يسمون القراء، وأمر عليهم المنذر، فلما نزلوا ببئر معونة – وهو ماء من مياه بني سليم – نزلوا بها وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل، فوثب على حرام فقتله واستصرخ عليهم بني عامر فأبوا، وقالوا: لا يخفر جوار أبي براء فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلاً وذكوان، فنفروا معه، واستبطأ المسلمون حراماً، فأقبلوا في إثره فلقيهم القوم، فأحاطوا بهم فكاثروهم، فلما أحيط بهم، خبرنا فأخبره قالوا: اللهم إنا لا نجد من يبلغ رسولك منا السلام غيرك، فأقرئه منا السلام، وأخبره جبريل عليه السلام، فقال: "وعليهم السلام" وكان معهم عمرو بن أمية الضمري، فقال عامر ابن الطفيل قد كان على أمي نسمة فأنت حر عنها ثم جز ناصيته.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال. أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا عبد الصمد، قال: أخبرنا همام، قال: أخبرنا إسحاق، عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث حراماً خاله أخاً أم أنس، وهي أم سليم في سبعين رجلاً فقتلوا يوم بئر معونة، وكان رئيس المشركين يومئذ عامر بن الطفيل، وكان هو قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اختر مني ثلاث خصال يكون لك أهل السهل، ويكون لي أهل الوبر، أو أكون خليفة من بعدك، أو أغزوك بغطفان ألف أشقر وألف شقراء، قال: فطعن في بيت امرأة من بني فلان، فقال غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني فلان ائتوني بفرسي، فأتي به فركبه فمات وهو على ظهره، فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه: رجل من بني أمية، ورجل أعرج، فقال: كونوا قريباً مني حتى آتيهم، فإن آمنوني وإلا كنتم قريباً فإن قتلوني أعلمتم أصحابي بكم قال: فأتاهم حرام فقال: أتؤمنوني أبلغكم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: نعم، فجعل يحدثهم، فأومأوا إلى رجل منهم من خلفه، فطعنه حتى أنفذه بالرمح، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، قال: ثم قتلوهم كلهم غير الأعرج، كان في رأس جبل، قال أنس: وأنزل علينا وكان مما يقرأ فنسخ أن بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أربعين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله.

أخرجه البخاري.

ثم كانت:

سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع في صفر

روى ابن إسحاق عن أشياخه: أن قوماً من المشركين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهونا ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام، فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عشرة منهم: عاصم بن ثابت، ومرثد بن أبي مرثد، وعبد الله بن طارق، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وخالد بن أبي البكير، ومعتب بن عبيد.

وفيمن أمره عليهم، قولان: أحدهما: مرثد، والآخر عاصم.

فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع وهو ماء لهذيل، غدروا بالقوم واستصرخوا عليهم هذيلاً، فخرجوا بني لحيان فلم يرع القوم إلا الرجال بأيديهم السيوف، فأخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيوف بأيديهم، فقالوا للمشركين: إنا والله ما نريد إلا أن نصيب بكم ثمناً من أهل مكة، ولكم العهد والميثاق ألا نقتلكم.

فأما عاصم، ومرثد، وخالد، ومعتب فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً، فقاتلوهم حتى قتلوا.

وأما زيد، وخبيب، وابن طارق فاستأسروا وأعطوا بأيديهم، وأرادوا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد – وكانت نذرت أن تشرب في قحفه الخمر – لأنه قتل ابنيها يوم أحد فحمته الدبر، فلم يقدروا عليه، فقال: امهلوه حتى يمسي فتذهب عنه، فبعث الله الوادي فاحتملته وخرجوا بالنفر الثلاثة، حتى إذا كانوا بمر الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده منهم، وأخذ سيفه، واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بمر الظهران، وقدموا بخبيب وزيد إلى مكة فابتاع حجير بن أبي أهاب خبيباً لابن أخته عقبة بن الحارث ليقتله بابنه وابتاع صفوان بن أمية زيداً ليقتله بأبيه، فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم، ثم أخرجوهما إلى التنعيم فقتلوهما.

وقال قائل لزيد عند قتله: أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمداً عندنا مكانك، فقال: والله ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه بشوكة وإني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: والله ما رأيت من قوم قط أشد حباً لصاحبهم من أصحاب محمد له.

أخبرنا أبو الوقت، قال: أخبرنا ابن طلحة، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: أخبرنا محمد بن يوسف، قال: أخبرنا البخاري قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل، قال: أخبرنا إبراهيم، قال: أخبرنا ابن شهاب، قال: أخبرني عمرو بن أسيد بن حارثة الثقفي، عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عيناً وافر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في مترل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً، فقال عاصم: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك صلى الله عليه وسلم، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً في سبعة من أصحابه ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب، وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم، أطلقوا أوتار قسيهم، فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة يريد القتلى، فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه.

وانطلقوا بخبيب، وزيد حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً، وكان خبيب هو الذي قتل

الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها للقتل فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وأنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، فكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الجبل، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين، وقال: والله لو لا أن تحسبوا أن ما بي جزع. لزدت، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً، وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً … على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشا … يبارك في أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة.

قال مؤلف الكتاب: ثم أسلم أبو سروعة، وروى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخرج له البخاري في صحيحه ثلاثة أحاديث.

ثم كانت:

غزاة بني النضير في ربيع الأول

وكانت منازلهم بناحية الغرس وما والاها، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم السبت، فصلى في مسجد قباء، ومعه نفر من أصحابه، ثم أتى بني النضير فكلمهم أن يعينوه في دية رجلين، كان قد أمنهما، فقتلهما عمرو بن أمية وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وهموا بالغدر به، فقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فنهض سريعاً فتوجه إلى المدينة فلحقه أصحابه فقالوا: أقمت و لم نشعر؟ فقال: "همت يهود بالغدر فأخبرني الله عز وجل بذلك فقمت"، وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إن اخرجوا من بلدي ولا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجلتكم عشراً فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا أياماً يتجهزون، وتكاروا من ناس إبلاً فأرسل إليهم ابن أبي لا تخرجوا وأقيموا فإن معي ألفين وغيرهم يدخلون حصونكم فيموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حي فيما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكبر المسلمون لتكبيره، وقال: "حاربتنا اليهود"، فسار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه، فصلى العصر بفناء بني النضير، وعلي رضي الله عنه يحمل رايته، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما رأوا رسول الله في على حصونهم معهم النبل والحجارة، واعتزلهم قريظة، وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادكم، فأجلاهم عن المدينة، وولى إخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "اخرجوا ولكم دماؤكم، وما حملت الإبل إلا الحلقه" فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحلقة، فوجد من الحلقة خمسين درعاً

وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً، وكان بنو النضير صفياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة له حبساً لنوائبه، ولم يخمسها ولم يسهم منها لأحد، وقد أعطى ناساً منها.

وفي هذه السنة: ولد الحسين بن علي، لثلاث ليال خلون من شعبان.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا محمد بن المظفر، قال: حدثنا أحمد بن علي بن شعيب المدائني، قال: أخبرنا أبو بكر البوقي، قال: ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما في ليال خلون من شعبان من سنة أربع من الهجرة.

ثم كانت غزاة بدر الموعد لهلال ذي القعدة

وذلك أن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف يوم أحد: نادى الموعد بينا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي بها فنقتتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: "قل نعم إن شاء الله". فافترق الناس على ذلك، وتهيأت قريش للخروج، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة، فقال له أبو سفيان: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عام جدب، وإنما يصلحنا عام خصب، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيجترئ علينا فنجعل لك عشرين فريضة يضمنها لك سهيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتخذل أصحاب محمد، قال: نعم. ففعلوا وحملوه على بعير، فأسرع السير، وقدم المدينة فأخبرهم بجمع أبي سفيان لهم وما معه من العدة والسلاح.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد". واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رواحة، وحمل لواءه، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسار معه ألف وخمسمائة، والخيل عشرة أفراس، وخرجوا ببضائع لهم وتجارات، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً يجتمع فيه الرب وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه، ثم يتفرق الناس إلى بلادهم، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقامت السوق صبيحة الهلال، فأقاموا بها ثمانية أيام وباعوا تجاراتهم وربحوا للدرهم درهماً، وانصرفوا وقد سمع الناس بمسيرهم، وخرج أبو سفيان من مكة في قريش وهم ألفان ومعه خمسون فرساً، حتى انتهوا إلى مجنة - وهي وراء الظهران - ثم قال: ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصب نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وهذا عام جدب، فسمى أهل مكة ذلك الجيش جيش السويق، يقولون: خرجوا يشربون السويق، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد نهيتك أن تعد القوم، وقد اجترأوا علينا ورأونا قد أخلفناهم، ثم أخذوا في الكيد والتهيؤ لغزاة الخندق.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسين بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا حجاج بن محمد، عن ابن جريح، عن مجاهد: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً". قال: هذا أبو سفيان قال يوم أحد: يا محمد موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فقال محمد صلى الله عليه وسلم فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزلوا بدراً، فوافقوا السوق فذلك قوله تعالى: "فانقلبوا بنعمة من الله وفضل" والفضل ما أصابوا من التجارة، وهي غزاة بدر الصغرى.

وفي هذه السنة: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود، وقال: "إني لا آمنهم أن يبدلوا كتابي"،

فتعلمه في خمس عشرة ليلة.

وفيها: رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي واليهودية في ذي القعدة، ونزل قوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون".

وفيها ذكر ما فعل ابن أبيرق

وذلك أن طعمة بن أبيرق سرق درعاً لعبادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق يتنثر من خرق في الجراب، ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف ما لي بها علم، فنظروا في أثر الدقيق، فانتهوا إلى مترل اليهودي، فقالوا له، فقال: دفعها إلي طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنجادل عن صاحبنا، فهم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، فترل قوله: "ولا تكن للخائنين خصيماً".

زواجه صلى الله عليه وسلم أم سلمة

وفي هذه السنة: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة في شوال.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقري، وعبد الله بن محمد القاضي، ويحيى بن علي المدبر قالوا: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، قال: أخبرنا ابن حبابة، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثنا هدبة، قال: أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، قال: حدثني بن أم سلمة أن أبا سلمة جاء إلى أم سلمة فقال: لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً أحب إلي من كذا وكذا لا أدري ما عدل به، سمعت رسول الله يقول: "لا يصيب أحداً صيبة فيسترجع عند ذلك" ويقول: اللهم عندك احتسب مصيبتي، اللهم اخلفني فيها خيراً منها إلا أعطاه الله عز وجل قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة، قلت اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، ولم تطب نفسي أن أقول اللهم أخلفني فيها خيراً منها ثم قالت: من خير من أبيسلمة، ثم قالت ذلك، فلما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت أرسل إليها عمر يخطبها، فأبت، ثم أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها، فقالت: مرحباً برسول الله، إن في خلالاً ثلاثاً، أنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مصبية، وأنا مرأة ليس لي ها هنا أحد من أولياي يزوجني، فغضب عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما غضب لنفسه حين ردته، فأتاها عمر فقال: أنت التي تردين رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تردينه، فقالت: يا ابن الخطاب في كذا وكذا، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أما ما ذكرت من غيرتك، فأنا أدعوا الله عز وجل يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من صبيتك، فإن الله عز وجل سيكفيكهم، وأما ما ذكرت أنه ليس أحد من أوليائك شاهد فليس من أوليائك شاهد ولا غائب يكرهني، وقال: لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه، فقال: يا رسول الله أما أني لا أنقصك مما أعطيت فلانة، قال ثابت: قلت لابن أم سلمة: ما أعطى فلانة، قال: أعطاها جرتين تضع فيهما حاجتها، ورحاء، ووسادة من أدم حشوها ليف، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رأته وضعت زينب أصغر ولدها في حجرها، فلما رأها انصرف، وأقبل عمار مسرعاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتزعها من حجرها، وقال: هاتي هذه المشومة التي قد منعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم يرها في

حجرها قال أين زناب؟ قالت: أخذها عمار، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله، قال: وكانت في النساء كأنها ليست فيهن لا تجد ما تجدن من الغيرة.

قال مؤلف الكتاب: وقد روينا أنه لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلها إلى بيت زينب بنت خزيمة بعد موتها، فدخلت فرأت جرة فيها شعير، ورحاء، وبرمة، فطحنته ثم عقدته في البرمة، وأدمته بإهالة، فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أهله ليلة عرسه، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ثم أراد أن يدور، فأخذت بثوبه، فقال: إن شئت أن أزيدك ثم قاصصتك به بعد اليوم.

أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حموية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن هند بنت الحارث الفراسية، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لعائشة مني شعبة ما نزلها مني أحد"، فلما تزوج أم سلمة سئل، فقيل: يا رسول الله ما فعلت الشعبة؟ فسكت، فعرف أن أم سلمة قد نزلت عنده.

قال محمد بن عمر: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما تزوج رسول الله عمرو أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكر الناس جمالها، فتلطفت حتى رأيتها فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن والجمال، فذكرت ذلك لحفصة، وكانتا يداً واحدة، فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة، ما هي كما تقولين، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها، فقالت: والله ها هي كما تقولين ولا قريب، وإنها لجميلة، قالت: فرأيتها بعد فكانت كما قالت حفصة، ولكن كنت غيرى.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك، أبو سعد

خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فلما كان بالروحاء كسر فرده النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدها. وشهد أحداً فثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت، وقتل يوم بئر معونة شهيداً.

حرام بن ملحان، واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً.

الحكم بن كيسان، مولى لبني مخزوم وكان في عير قريش التي أصابها عبد الله بن جحش بنخلة، فأسره المقداد، وأراد عبد الله بن جحش ضرب عنقه، فقال له المقداد: دعه حتى نقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدموا به جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام وأطال دعاءه، فقال عمر: علام تكلم هذا يا رسول الله؟ والله لا يسلم هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه، ويقدم إلى أمه الهاوية، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتفت إلى عمر وأسلم الحكم، وجاهد وقتل ببئر معونة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راض عنه.

خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن حججبا شهد أحداً مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان فيمن بعثه مع بني لحيان فأسروه هو وزيد بن الدثنة، فنال من قريش فحبسوه عند رجل يقال له موهب، فقال: يا موهب، أطلب إليك ثلاثاً: أن تسقيني

العذب، وأن تجنبني ما ذبح على النصب، وأن تؤذني إذا أرادوا قتلي – ثم أخرجوه ليقتلوه، فصلى ركعتين عند القتل ودعا عليهم، فقال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً.

قال معاوية بن أبي سفيان: فلقد رأيت أبا سفيان يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب. وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع زالت عنه الدعوة.

قال مؤلف الكتاب: وقد ذكرتا كيفية قتل خبيب في الحوادث.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا ابن جعفر، قال: حدثت عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله بن أبي شيبة بالكوفة، قال: حدثنا جعفر بن عون، عن إبراهيم بن إسماعيل، قال: أخبرنا جعفر بن عمرو بن أمية، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحده عيناً إلى قريش. قال: فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف من العيون فرقيت فيها فحللت خبيباً فوقع إلى الأرض، فانتبذت غير بعيد ثم التفت فلم أر خبيباً ولكأنما ابتلعته الأرض، فلم ير لخبيب أثر حتى الساعة.

خالد بن أبي البكير شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم الرجيع في صفر هذه السنة، وكان له يوم قتل أربع وثلاثون.

زينب بنت خزيمة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثلاث، وتوفيت آخر ربيع الآخر من هذه السنة، وكان لها من العمر نحواً من ثلاثين سنة.

سليم بن ملحان شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة.

عبد الله بن عثمان بن عفان من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولد في الإسلام فاكتنى به عثمان، فبلغ ست سنين، فنقره ديك في عينيه فمرض فمات في جمادى الأولى فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل في حفرته عثمان.

عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو سلمة: وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم، وكان له من الولد سلمة، وعمر، وزينب، ودرة. وأمهم أم سلمة.

أسلم أبو سلمة قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ومعه امرأته أم سلمة، وقدم إلى المدينة مهاجراً قبل جميع من هاجر. وشهد بدراً وأحداً، وجرحه أبو أسامة الجشمي في عضده، فمكث شهراً يداويه فبرأ واندمل على فساد، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ثم عاد فانتقض الجرح فمات في جمادى الآخرة من هذه السنة وأغمضه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عبد الله بن طارق بن عمرو شهد بدراً وكان فيمن خرج في غزاة الرجيع، وقد ذكرنا كيف قتل بمر الظهران.

عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يكنى أبا عمرو شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة وهو ابن أربعين سنة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدثنا الحسين بن محمد بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا ابن عمر، قال: حدثني معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت:

كان عامر بن فهيرة للطفيل بن الحارث أخي عائشة لأمها أم رومان، فأسلم عامر فاشتراه أبو بكر فاعتقه، وكان يرعى منيحة من غنم له.

قال محمد بن سعد: أسلم عامر بن فهيرة قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها.

وقال عروة بن الزبير: كان عامر بن فهيرة من المستضعفين من المؤمنين، وكان ممن يعذب بمكة ليرجع عن دينه.

قال محمد بن عمر، عمن سمى من رجاله: إن جبار بن سلمى الكلبي طعن عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فأنفذه، فقال عامر: فزت ورب الكعبة. قال: وذهب بعامر علواً في السماء حتى ما أراه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين" وسأل جبار بن سلمى لما رأى من أمر عامر: ما قوله فزت والله؟ قالوا: الجنة. وأسلم جبار لما رأى من أمر عامر، وحسن إسلامه.

قال أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، عن الطفيل، قال: كان يقول من رجل منهم لما قتل رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه، قالوا: هو عامر بن فهيرة.

عاصم بن ثابت بن قيس، يكنى أبا سليمان شهد بدراً وأحداً وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حين ولى الناس، وبايعه على الموت، وكان من الرماة المذكورين، وقتل يوم أحد من أصحاب ألوية المشركين: مسافعاً، والحارث. فنذرت أمهما سلافة بنت سعد أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقة، فقدم ناس من بني هذيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يوجه معهم من يعلمهم، فوجه عاصماً في جماعة، فقال لهم المشركون: استأسروا فإنا لا نريد قتلكم وإنما نريد أن ندخلكم مكة فنصيب بكم ثمناً، فقال عاصم: لا أقبل جوار مشرك، فجعل يقاتلهم حتى فنيت نبله، ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، فقال: اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لي لحمي آخره، فجرح رجلين وقتل واحداً، فقتلوه وأرادوا أن يحتزوا رأسه، فبعث الله الدبر فحمته، ثم بعث الله سيلاً في الليل فحمله، وذلك يوم الرجيع.

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أسلمت وكانت صالحة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل في بيتها.

توفيت هذه السنة فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها إياه.

قال علي بن أبي طالب: قلت لأمي فاطمة بنت أسد: اكفي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل؟ الطحن والعجين مرثد بن أبي مرثد الغنوي شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم الرجيع – وكان أمير هذه السرية – وذلك في صفر هذه السنة.

معاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة شهيداً، رضي الله عنه.

معتب بن عبيد بن إياس وقيل: معتب بن عبدة، شهد بدراً وأحداً وقتل يوم الرجيع بمر الظهران.

المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح ويكنى أبا عبده شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً.

المنذر بن عمرو بن خنيسي بن لوذان شهد العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد بدراً وأحداً، ويوم بئر معونة.

ثم دخلت سنة خمس من الهجرة

فمن الحوادث فيها:

غزاة ذات الرقاع

وكانت في المحرم، وإنما سميت ذات الرقاع، لأنها كانت عند جبل فيه سواد وبياض وحمرة، فسميت بذلك.
وكان سببها، أن قادماً قدم المدينة بجلب له، فأخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناراً وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، وخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمائة، وقيل: في سبعمائة، فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع – وهو جبل – فلم يجد إلا نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، فهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، وكان أول ما صلاها.

وانصرف راجعاً إلى المدينة، فابتاع من جابر بن عبد الله جمله وناقته، وشرط له ظهره إلى المدينة وسأله عن دين أبيه فأخبره، فقال: إذا قدمت المدينة فأردت أن تجد نخلك فأذني، واستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جابر في تلك الليلة خمساً وعشرين مره، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة، وبعث جعال بن سراقة بشيراً إلى المدينة بالسلامة.

ومن الحوادث في هذه السنة غزاة دومة الجندل

في ربيع الأول، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً، وأنهم يظلمون من مر بهم، وكان بين دومة الجندل وبين المدينة مسيرة خمس عشرة ليلة، أو ست عشرة، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، واستخلف ابن عرفطة، وخرج لخمس ليال بقين من ربيع الأول في ألف من المسلمين، وكان يسير الليل ويكمن النهار، ودليله يقال له مذكور، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم وأصاب من أصاب وهرب من هرب، وتفرق أهل دومة الجندل، و لم يجد بساحتهم أحداً، وأخذ منهم رجلاً فسأله عنهم، فقال: هربوا حين سمعوا أنك أخذت نعمهم، فعرض عليه الإسلام فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر ليال بقين من ربيع الأخر، و لم يلق كيداً.
وفي هذه السنة: وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن، وذلك أن بلاد عيينة أجدبت فوادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يرعى في أماكن معلومة.
وفي جمادى الآخرة من هذه السنة: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مشركي قريش بمال، وكان قد بلغه أن سنة شديدة قد أصابتهم.

وفد سعد بن بكر

وفي هذه السنة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد سعد بن بكر.
أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسين بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا يعقوب، قال: حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، قال حدثني محمد بن الوليد بن نويفع، عن كريب، عن عبد الله بن عباس، قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

فلما عرفه، قال: إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك. قال: "لا أجد في نفسي، فسل عن ما بدا لك" قال: أنشدك الله إلهك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا تعبد من دون الله، قال: "اللهم نعم"، قال: وأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس، قال: "اللهم نعم"، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها، يناشده عند كل فريضة، كما يناشد في التي قبلها، حتى إذا فرغ، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض، واجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف راجعاً إلى بعيره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى: "إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة". قال: فأتى إلى بعيره وأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، وكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى، فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون، قال: ويلكم إنهما والله ما يضران ولا ينفعان، فإن الله تعالى قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس رحمة الله عليهما: ما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

قال مؤلف الكتاب: وقد روى هذا الحديث شريك بن عبد الله، عن كريب، فقال فيه: بعثت بنو سعد بن بكر ضماماً في رجب سنة خمس، أخرجه البخاري في صحيحه مختصراً من حديث شريك، عن أنس. وأخرجه مسلم من حديث ثابت، عن أنس على اختصار و اختلاف ألفاظ.

وفي هذه السنة وفد وفد مزينة

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد، قال: أخبرنا كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، قال: كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة، وذلك في رجب سنة خمس، فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم، وقال: "أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم"، فرجعوا إلى بلادهم.

وروى ابن سعد، عن أشياخه أنه كان فيهم خزاعي بن عبد نهم، وأنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه من مزينة، فلما مضى إليهم لم يجدهم كما ظن، فأقام ثم أنهم أسلموا، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مزينة يوم الفتح إلى خزاعي، وكانوا ألف رجل وهو أخو المغفل بن عبد الله بن المغفل، وأخو عبد الله ذي البجادين.

غزوة المريسيع

وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع في شعبان، وذلك أن بني المصطلق كانوا يترلون على بئر لهم يقال لها: المريسيع، وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار، فسار في قومه ومن قدر عليه فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه، وتهيأوا للمسير معه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث بريدة بن الحصيب ليعلم علم ذلك، فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إليهم فأسرعوا الخروج ومعهم ثلاثون فرساً، وخرج معهم جماعة من المنافقين، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة، زيد بن حارثة، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، وبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه قد قتل عينه الذي كان يأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيء بذلك فخاف وتفرق من معه من العرب، وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المريسيع، فضرب عليه قبته ومعه عائشة وأم سلمة، فتهيأوا للقتال، وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بن الصديق وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، فحملوا حملة رجل واحد، فقتل من العدو عشرة وأسر الباقون، وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء، فكانت الإبل ألفي بعير، والشاء خمسة آلاف، والسبي مائتي أهل بيت، و لم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد.

وقد روى ابن عمر أنه كان حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار عليهم وهم غارون ونعمهم يسقى على الماء.

قال مؤلف الكتاب: والأول أصح.

ولما رجع المسلمون بالسبي قدم أهاليهم فافتدوهم، وجعلت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس وابن عم له فكاتباها، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها فأدى عنها وتزوجها وسماها برة، قيل: إنه جعل صداقها عتق أربعين من قومها.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا نضلة الطائي بشيراً إلى المدينة بفتح المريسيع.

أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا عبد الله بن يزيد بن قسيط، عن أبيه، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عائشة قالت: أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني المصطلق، فأخرج الخمس منه، ثم قسمه بين الناس، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهماً، فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس، وكاتبها ثابت بن قبس على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد أحد يراها إلا أخذت بنفسه، فبينا النبي صلى الله عليه وسلم عندي إذ دخلت عليه جويرية، فسألته في كتابتها فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه وسلم وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من

الأمر ما قد علمت، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبني على تسع أواق فأعني في فكاكي، فقال: "أو خير من ذلك" قالت: ما هو يا رسول الله، قال: "أودي عنك كتابتك وأتزوجك" قالت: نعم يا رسول الله. قال: "قد فعلت" وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترقون، فأعتقوا ما كان في أيديهم من نساء المصطلق، فبلغ عتقهم إلى مائة بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

نزول آية التيمم

وفي هذه الغزاة: سقط عقد عائشة رضي الله عنها فترلت آية التيمم.

أنبأنا زاهر، وأخبرنا عنه محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو سعيد بن محمد الحيري، قال: أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا مصعب بن عبد الله، قال: حدثني مالك بن أنس، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، عن عائشة، قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء وبذات الجيش، انقطع عقدي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله عز وجل آية التيمم، فتيمموا.

فقال أسيد بن حضير، وهو أحد النقباء: ما هذا بأول بركتكم يا آل بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

وفي هذه الغزاة كان حديث الإفك

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسين بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير بن أبي وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله عز وجل، وكلهم حدثني بطائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، ذكروا: أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفراً، أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه.

قالت عائشة فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد أن نزل الحجاب، وأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل ودنونا من المدينة آذن بالرحيل، فقمت حين أذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شاني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي، فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون إني فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلهن و لم يغشهن اللحم، إنما يأكلن المحلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثه السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت بها منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت مترلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي.

فبينا أنا جالسة في مترلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش، فأدلج فأصبح

عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمت المدينة، فاشتكيت حين قدمنا شهراً والناس يفيضون في قول الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أعرف منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم فيقول: كيف تيكم، فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع، وهو مبرزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئسما قلت تسبين رجلاً قد شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "كيف تيكم"؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلها، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أماه ما يتحدث الناس، فقالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، لها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: قلت: سبحان الله، أو قد تحدث الناس بهذا، قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي ليستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد، فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم من نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عز وجل عليك والنساء سواها كثير، وأن تسأل الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فيأكله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أبي، فقال وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا لي رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وكان لا يدخل على أهلي إلا معيا، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكنه احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لتقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فثار الحيان: الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي.

قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، فبينا نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: "أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه".

قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته، فاض دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: والله ما أدري مما أقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: والله ما أدري ما أقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيراً من القرآن، وإني والله قد عرفت إنكم قد سمعتم هذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم، ولئن قلت لكم إني بريئة والله عز وجل يعلم أني بريئة، فلا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة فلا تصدقوني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: "صبر جميل والله المستعان على ما تصفون".

قال: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله عز وجل مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن يترل في شأني وحي ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله عز وجل بها، قالت: فوالله ما رأم رسول الله مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكان أول كلمة لكلم بها أن قال: "أبشري يا عائشة، أما والله عز وجل فقد برأك" فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله عز وجل: "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم" عشر آيات، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات براءتي.

فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً، بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله عز وجل: "ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة" إلى قوله: "ألا تحبون أن يغفر الله لكم".

قال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله عز وجل لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ومال: لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة رضي الله عنها: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري، وما علمت أو ما رأيت أو ما سمعت أو ما بلغك، قالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله عز وجل بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلكت.

قال ابن شهاب: وهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط، أخرجاه في الصحيحين.
وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة ثمانية عشر يوماً، وقدم لهلال رمضان

زواجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش

وفي هذه السنة: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب، أمها أميمة بنت عبد المطلب، وكانت فيمن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت امرأة جميلة، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد، فقالت: لا أرضاه لنفسي، قال: "فإني قد رضيته لك" فتزوجها زيد بن حارثة، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلال ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة.
أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي، عن محمد بن يحيى بن حيان، قال:
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة، فيقول: "أين زيد"؟ فجاء مترله يطلبه فلم يجده، وتقوم إليه زوجته زينب بنت جحش، فضل، فأعرض رسول الله عنها، فقالت: يا رسول الله ليس هو ها هنا فادخل بأبي أنت وأمي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل، وإنما عجلت زينب أن تلبس لما قيل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالباب، فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وهو يهمهم بشيء، لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن منه: "سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب"، فجاء زيد إلى مترله فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مترله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عوضت عليه ذلك فأبى، قال: فسمعت منه شيئاً؟ قالت: سمعته حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه وسمعته يقول: "سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب". فجاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، بلغني انك جئت مترلي فهلا دخلت؟ بأبي أنت وأمي لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك"، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم فيأتي إلى رسول الله فيخبره، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك"، فيقول: يا رسول الله أفارقها. فيقول: "أحبس عليك زوجك"، ففارقها زيد واعتزلها وحلت.
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة أخذته غشية فسري عنه وهو يبتسم ويقول: "من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله عز وجل قد زوجنيها من السماء؟" وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإذ يقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك وأتق الله. القصة كلها، قالت عائشة: وأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها زوجها الله من السماء وقالت: هي تفخر علينا بهذا، قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتد، فحدثتها بذلك أعطتها أوضاحاً عليها.
وفي أفراد مسلم من حديث ثابت، عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي، فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت: يا زينب، أرسلني إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عليها بلا إذن فلقد رأيتنا أطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبز واللحم حتى امتد النهار.

وفي سبب زينب نزلت آية الحجاب أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداوودي، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: أخبرنا الفربري، قال: أخبرنا البخاري، قال: أخبرنا يحيى بن بكير، عن عقيل عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك.

أنه كان ابن عشر سنين يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكن أمهاتي يواطئنني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخدمته عشر سنين، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عريساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم خرجوا، فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب إذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب.

أخرجاه في الصحيحين.

وفي هذه السنة كانت غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

قال مؤلف الكتاب: كانت في ذي القعدة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجلى

بني النضير ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة، فالتقوا قريشاً ودعوهم إلى الخروج، واجتمعوا معهم على قتاله، وواعدوهم لذلك موعداً، ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسليم ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان ووافتهم بنو سليم بمر الظهران، وهم سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد وخرجت فزارة وهم ألف، يقودهم عقبة بن حصين، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة، وخرجت بنو مرة، وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف.

وروى الزهري أن الحارث رجع ببني مرة ت فلم يشهد الخندق منهم أحد، والأول أثبت.

وكان جميع من وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر، والجملة بيد أبي سفيان فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصولهم من مكة، ندب الناس، وأخبرهم خبرهم وشاورهم، فأشار سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين وعسكر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سفح سلع، وجعل سلعاً خلف ظهره، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. ثم خندق على المدينة، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بيده لينشطرا، ففرغوا منه في ستة أيام.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن أحمد

بن الحسن، قال: حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي، قال: أخبرنا هوذة بن خليفة، قال: أخبرنا عوف، عن ميمون، قال: حدثني البراء بن عازب، قال: لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكينا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها ألقى ثوبه وأخذ المعول وقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة، فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة.

قال علماء السير: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثماني ليال مضين من ذي القعدة، وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة، ودس أبو سفيان بن حرب حيي بن أخطب إلى بني قريطة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكونوا معهم عليه، فامتنعوا ثم أجابوا، وبلغ ذلك رسول الله، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وفشل الناس وعظم البلاء واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: "إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبالغت القلوب الحناجر".

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه، وكتبوا الكتاب و لم

تقع الشهادة، وإنما كانت مراوضة ومراجعة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ، وابن عبادة فأخبرهما بذلك فقالا: هذا شيء تحبه أو شيء، أمرك الله به، قال: لا بل أصنعه لأجلكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فقالا: قد كنا نحن وهم على الشرك، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة، فحين أذن الله بالإسلام نفعل هذا ما لنا إلى هذا حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا قال: فأنتم وذاك، فتناول سعد الصحيفة التي كتبوها فمحاها، وقال ليجهدوا علينا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وجاه العدو لا يزولون غير أنهم يعتقبون خندقهم ويحرسونه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وكانوا يخافون على الذراري من بني قريظة وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عشرة من الأنصار يحرسونه كل ليلة، فكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب يوماً، فلا يزالون يجيلون خيلهم ويتفرقون مرة ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدمون رماقم فيرمون فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحله، فقال: خذها وأنا ابن العرقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عرق الله وجهك في النار"، ويقال: الذي رماه أبو أسامة الجشمي.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد أخبرنا يزيد بن هارون.

وأخبرنا عاليا بن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال:

أخبرت يزيد بن هارون، قال أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده، عن عائشة، قالت: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض من ورائي – يعني حس الأرض – فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل رمحه، فجلست إلى الأرض، فمر سعد وهو يرتجز، ويقول:

لبث قليلاً يدرك الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل .

قالت: وعليه درع قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له – تعني المغفر – قالت فقال لي عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون تحوز أو بلاء؟ قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها، قالت: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه، فإذا طلحة بن عبيد الله، فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز وأين الفرار إلا إلى الله؟ قالت: ويرمي سعداً رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم، فقال: خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله، فدعا الله عز وجل سعد، فقال: اللهم لا تمتني حتى تشفيني من قريظ – وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية – قالت: فرقأ كلمه وبعث الله تعالى الريح على المشركين، "فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً".

قال مؤلف الكتاب: العرقة أم حبان بن عبد مناف بن منقد بن عمر وسميت العرقة لطيب ريحها.

قال علماء السير: لما حام الأحزاب حول الخندق أياماً أجمع رؤساؤهم أن يغدوا يوماً، فغدوا جميعاً، وطلبوا مضيقاً من الخندق يقحمون فيه خيلهم فلم يجدوا، فقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها، فقيل لهم: إن معه رجلاً فارسياً فهو أشار عليه بذلك فصاروا إلى مكان ضيق فعبر عكرمة ونوفل وضرار وهبيرة، وعمرو بن عبد ود، فجعل عمرو يدعو إلى البراز، وهو ابن تسعين سنة، فقال علي رضي الله عنه: أنا أبارزه، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه، وقال: "اللهم أعنه عليه"، فضربه علي فقتله، وولى أصحابه هاربين، وحمل الزبير على نوفل فقتله.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا ابن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سلمان بن داوود، قال: أخبرنا الزبير بن بكار، قال: عمرو بن عبد ود، وضرار بن الخطاب، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة هم الذين طفروا الخندق يوم الأحزاب، وفي ذلك يقول الشاعر:

عمرو بن ود كان أول فارس ... جزع المزاد وكان فارس يليل

قال مؤلف الكتاب: المزاد، موضع من الخندق فيه حفر، ويليل، واد قريب من بدر.

ولما جزع عمرو بن عبد المزاد دعى البراز، وقال يرتجز:

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم :هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجا ... ع بموقف البطل المناجز

إني كذلك لم أزل ... متسرعاً نحو الهزاهز

إن الشجاعة والسم ... احة في الفتى خير الغرائز

فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم أجابه يقول:

لا تعجلن فقد أتا ... ك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز

إني لأرجو أن أقي ... م عليك نائحة الجنائز

من ضربة فوهاء يب ... قى ذكرها عند الهزاهز

ثم دعاه أن يبارزه، فقال له علي: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لقريش لا يدعوك رجل إلى خلتين إلا أخذت إحداهما، قال عمرو: نعم، قال علي رضي الله عنه: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، فقال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى مبارزة. قال: يا ابن أخي، والله ما أحب أن أقتلك، فقال له علي: لكني والله أنا أحب أن أقتلك فحمي عمرو واقتحم عن فرسه وعرقبه، ثم أقبل فتناورا وتجاولا وثارت عليهما غبرة سترهما عن المسلمين، فلم يرع المسلمين إلا التكبير، فعرفوا أن علياً رضي الله عنه قتله، فانجلت الغبرة وعلي على صدره يذبحه.

قال علماء السير: لما قتل عمرو رثته أمه، فقالت:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يقال به ... من كان يدعى أبوه بيضة البلد

ثم تواعدا أن يأتوا من الغد، فباتوا يعبئون أصحابهم ونحوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم يومهم ذلك إلى هوي من الليل ما يقدرون أن يزولوا عن مكانهم، ولا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ظهراً ولا عصراً حتى كشفهم الله عز وجل، فرجعوا منهزمين، فلم يكن لهم بعد ذلك قتال – يعني انصرفوا – إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة، فمال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم الذي فاتته الصلاة فيه: "شغلونا عن الصلاه الوسطى".

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا أبو معاوية، قال: أخبرنا الأعمش، عن مسلم بن صبيح، عن شتير بن شكل، عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة، العصر، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً"، ثم صلاها بين العشاءين، المغرب والعشاء. أخرجاه في الصحيحين.

وحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بضع عشرة ليلة، وقيل: أربعا وعشرين ليلة حتى خلص إلى كل أمر منهم الكرب. ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الأحزاب. ويروى في مسجد الفتح.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا أبو عامر، قال: أخبرنا كثير بن زيد، قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: حدنا جابر: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثاً: يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرف البشر في وجهه. قال جابر: فلم يترل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة، فأدعو فيها فأعرف الإجابة.

قالوا: وكان نعم بن مسعود الأشجعي قد أسلم وحسن إسلامه، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان فخذل بينهم.

فأنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسن بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر.

وبه قال أخبرنا عبد الله بن عاصم الأشجعي، عن أبيه، قال: قال نعيم بن مسعود: لما سارت الأحزاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرت مع قومي وأنا على ديني، فقذف الله في قلبي الإسلام، فكتمت ذلك قومي، وأخرج حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فأجده يصلي، فلما رآني جلس، وقال: "ما جاء بك يا نعيم"؟ وكان بي عارفاً، قلت: إني جئت أصدقك، وأشهد أن ما جئت به حق، فمرني بما شئت، قال: أما استطت أن تخذل عنا الناس فخذل قلت: أفعل، ولكن يا رسول الله أقول، قال: "قل ما بدا لك فأنت في حل" قال: فذهبت إلى قريظة، فقلت: اكتموا علي، قالوا: نفعل، فقلت: إن قريشاً وغطفان على الانصراف عن محمد صلى الله عليه وسلم إن أصابوا فرصة انتهزوها وإلا انصرفوا إلى بلادهم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناء، قالوا: أشرت علينا والنصح لنا، ثم خرجت إلى أبي سفيان بن حرب، فقلت قد جئتك بنصيحة فاكتم علي، قال: أفعل، قلت: تعلم أن قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد، صلى الله عليه وسلم وأرادوا إصلاحه ومراجعته، فأرسلوا إليه وأنا عندهم إنا سنأخذ من قريش وغطفان سبعين رجلاً من أشرافهم نسلمهم إليك، تضرب أعناقهم ونكون معك على قريش وغطفان حتى، نردهم عنك وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم – يعني بني النضير – فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهناً فلا تدفعوا إليهم أحداً واحذروهم، ثم أتى غطفان، فقال لهم مثل ذلك، وكان رجلاً منهم فصدقوه، وأرسلت قريظة إلى قريش: إنا والله ما نخرج فنقاتل محمداً صلى الله عليه وسلم حتى تعطونا رهناً منكم يكونون عندنا، فإنا نتخوف أن تنكشفوا وتدعونا ومحمداً، فقال أبو سفيان: صدق نعيم. وأرسلوا إلى غطفان بمثل ما أرسلوا إلى قريش، فقالوا لهم مثل ذلك، وقالوا جميعاً: إنا والله ما نعطيكم رهناً ولكن أخرجوا فقاتلوا معنا. فقالت اليهود: نحلف بالتوراة أن الخبر الذي قال نعيم لحق، وجعلت قريش وغطفان يقولون: الخبر ما قال نعيم، ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء، وهؤلاء من نصر هؤلاء. واختلف أمرهم وتفرقوا في كل وجه، وكان نعيم يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره.

قال علماء السير: فلما استوحش كل فريق من صاحبه، اعتلت قريظة بالسبت، فقالوا: لا نقاتل، وهبت ليلة السبت ريح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والحافر، وأجدب الجناب وأخلفتنا بنو قريظة، ولقد لقينا من الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بحضرته أحد من العساكر قد انقشعوا، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة لينظر ما فعل القوم.

فروى مسلم في أفراده من حديث إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة" فسكتنا فلم يجبه أحد، ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة" فسكتنا ولم يقم قائم، فقال: "قم يا حذيفة" فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي إلا أن أقوم، قال: "اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي"، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تذعرهم علي" فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته أخبرته خبر القوم وفرعت وقررت، فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، قال صلى الله عليه وسلم: "قم يا نومان".

وقد رواه ابن إسحاق عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبتموه، قال: نعم يا ابن أخي، قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، فقال الفتى: والله لو أدركناه ماتركناه يمشي على وجه الأرض ولحملناه على أعناقنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي؟ والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق يصلي هوياً من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع" وشرط له انه إذا رجع أدخله الله الجنة، فما قام رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوياً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثل ذلك، ثم قال: "أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة". فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام، فقال: "يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون". فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله، تفعل بهم ما تفعل فلا تترك قدراً ولا ناراً، ولا بناء. فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ جليسه، فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم، والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل. فرجعت، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: لم يقتل يوم الخندق من المسلمين إلا ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة.

ومن الحوادث في هذه السنة كانت غزاة بني قريظة

وذلك في ذي القعدة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق جاءه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل حصونهم.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا عفان، قال: أخبرنا حماد يعني ابن سلمة، عن هشام بن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل فجاءه جبريل، فقال: أوقد وضعتم السلاح ما وضعنا أسلحتنا بعد انهض إلى بني قريظة، قالت عائشة: كأني أنظر إلى جبريل من خلال الباب قد عصب رأسه من الغبار.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن بكر قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدثنا محمد بن محمد المطرز، قال: أخبرنا بشر بن المعمري، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، فبينا هو عندي إذ دق الباب فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووثب وثبة منكرة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فخرجت في أثره فإذا رجل على دابة والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه، فرجعت فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم قلت: من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه؟ قال: ورأيته؟ قلت: نعم، قال: "ومن تشبهينه"؟

قلت: بدحية بن خليفة الكلبي، قال: ذاك جبريل عليه السلام، أمرني أن أمضي إلى بني قريظة.
قال علماء السير: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه، فدفع إليه لواءه، وبعث بلالاً فنادى في الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم سار في ثلاثة آلاف، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً، وذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر. يوماً، وقيل: خمساً وعشرين ليلة أشد الحصار ورموا بالنبل والحجر، فلم يطلع منهم أحد.
فلما اشتد الحصار عليهم أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسل إلينا أبا لبابة بن
عبد المنذر، فأرسله إليهم فشاوروه في أمرهم، فأشار إليهم بيده أنه الذبح، ثم ندم فاسترجع فقال: خنت الله ورسوله، فانصرف فارتبط في المسجد ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله توبته، ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فكتفوا ونحوا ناحية. وأخرج النساء والذرية فكانوا ناحية، وجمع أمتعتهم فكانوا ألفاً، وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفي رمح، وألفاً وخمسمائة ترس وحجفة، وجمالاً كانت نواضح وماشية كثيرة.
وكان لهم خمر فأريق، وكلمت الأوس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهبهم لهم، وكانوا حلفاءهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم إلى سعد بن معاد، فحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه الموسى وتسبى النساء والذراري، وتقسم الأموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة س".
ونزل ثعلبة وأسيد ابنا شعبة، وأسد بن عبيد ابن عمهم، فقالوا: إنكم لتعلمون أنه نبي، وان صفته عندنا فأسلموا، فدفع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهليهم وأموالهم. وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة، وأمر بهم فأدخلوا المدينة، وحفر لهم أخدوداً في السوق وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أصحابه، وأخرجوا إليه فضرب أعناقهم، وكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت عمرو لنفسه، فأسلمت وبقيت في ماله حتى توفي عنها، وأمر بالغنائم فجمعت فأخرج الخمس، وأمر بالباقي فبيع فيمن يزيد، وقسمه بين المسلمين وكانت السهمان على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً، للفرس سهمان ولصاحبه سهم.
وفي هذه الغزاة: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين الأم وولدها.
وفي ذي الحجة: ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرساً إلى الغابة فسقط عنه، فخدش فخذه الأيمن فأقام في البيت خمساً يصلي قاعداً.
في هذا الشهر: رجفت المدينة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله مستعتبكم فاعتبوا" وفيها: دفت دافة من بني عامر بن صعصعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يبقى من ضحاياكم بعد ثالثة شيء".

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

ثعلبة بن غنمة بن عدي بن سنان بن نابئ شهد العقبة مع السبعين، وبدراً والخندق، وقتل يومئذ.
جليبيب أخبرنا هبة الله بن الحصين، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل،، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة.

وأخبرنا محمد بن عبد الباقي – واللفظ له – قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عارم، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا ثابت، عن كنانة بن نعيم، عن أبي برزة الأسلمي: أن جليبيباً كان امرأً من الأنصار، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم ألرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لرجل من الأنصار: "يا فلان زوجني ابنتك" قال: نعم ونعم عين، قال: "إني لست أريدها لنفسي"، قال: فلمن، قال: "لجليبيب" قال: حتى أستأمر أمها، فلما أتاها، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك، قالت: نعم ونعمة عين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنه ليس لنفسه يريدها، قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب، قالت: لا نعم، والله لا أزوج جليبيباً. فلما قام أبوها ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم، قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني إليكما؟ قالا: رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: أو تردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره، ادفعوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يضيعني. فذهب أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: شانك بها. فزوجها جليبيباً.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وما دعا لها به؟ قال: قال: "اللهم صب عليها الخير صباً صباً ولا تجعل عيشها كداً كداً". قال ثابت: فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغزى له، قال: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: نفقد فلاناً ونفقد فلاناً، ثم قال: "هل تفقدون من أحد؟ قالوا نفقد فلاناً ثم قال: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: لا، قال: لكني أفقد جليبيباً فاطلبوه في القتلى، فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه أقتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه". فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه، ثم حفروا له ما له سرير إلا ساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعه في قبره. قال ثابت: فما في الأنصار أيم أنفق منها.

خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة شهد بدراً والعقبة والخندق ويوم بني قريظة، وقتل يومئذ شهيداً، دلت عليه بنانة امرأة من بني قريظة رحى فشدخت رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "له أجر شهيدين"، وقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: إنها لعندي تتحدث ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم إذ هتف هاتف باسمها، قالت: أنا والله، قلت: ويلك ما لك، أقتل، قلت: و لم قالت: حدث أحدثته فانطلق بها فضربت عنقها فما أنسى منها أطيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل.

وجاءت أم خلاد وقد قيل لها: قتل خلاد وهي منقبة، فقيل لها: قتل خلاد وأنت منقبة، قالت: إن كنت رزئت خلاداً فلا أرزأ حياتي.

سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، ويكنى أبا عمرو: وأمه كبشة بنت رافع، وهي من المبايعات، وكان لسعد من الولد، عمرو، وعبد الله وأمهما قيل: كبشة، وليس ذلك، وإنما الأصح أنها هند بنت سماك بن عتيك من المبايعات خلف عليها سعد بعد أخيه أوس، وهي عمة أسيد بن حصير.

وكان إسلام سعد على يدي مصعب بن عمير، وكان مصعب قد قدم المدينة قبل العقبة الآخرة يدعو الناس إلى الإسلام، ويقرئهم القرآن، فلما أسلم سعد لم يبق أحد في بني عبد الأشهل إلا أسلم يومئذ، وكانت دار بني عبد الأشهل أول دار من دور الأنصار أسلموا جميعاً رجالهم ونساؤهم، وحول سعد بن معاذ مصعب بن عمير، وأسعد بن زرارة إلى داره، فكانا يدعوان الناس إلى الإسلام في داره، وكان سعد وأسعد ابني خالة، وكان سعد وأسيد بن حضير يكسران أصنام بني عبد الأشهل، وكان لواء الأوس يوم بدر مع سعد بن معاذ، وشهد يوم أحد وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى الناس. وأصيب يوم الخندق في أكحله.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر الحمى، فقال: "من كانت به فهو حظه من النار"، فسألها سعد بن معاذ فلم تفارقه حتى فارق الدنيا.

وأصيب يوم الخندق في أكحله، فضرب عليه رسول الله قبة في المسجد ليعوده من قريب.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: حدثنا أبو الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون.

وأخبرناه عالياً بن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا القطيعي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده، عن عائشة، قالت: رمى سعداً رجل من المشركين يقال له ابن العرقة بسهم له يوم الخندق فقال خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله، فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تمتني حتى تشفيني من قريظة – وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية – قالت: فرقأ كلمه، فبعث الله عز وجل، الريح على المشركين "فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً، فلحق أبو سفيان بمن معه بتهامة، ولحق عيينة بمن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فأمر بقبة

فضربت على سعد بن معاذ في المسجد، قالت: فجاءه جبريل وعلى ثناياه النقع، فقال: أو قد وضعت السلاح فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم. قالت: فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، وأذن في الناس بالرحيل. قالت: فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني غنم وهم جيران المسجد، فقال لهم: "من مر بكم؟" قالوا: مر بنا دحية الكلبي – وكان دحية تشبه لحيته وسنة وجهه بجبريل عليه السلام، فقالت: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم أو اشتد البلاء عليهم، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح، فقالوا: نتزل على حكم سعد بن معاذ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انزلوا على حكم سعد بن معاذ"، فتزلوا على حكم سعد بن معاذ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ فحمل على حمار عليه إكاف من ليف، وحف به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت، ولا يرجع إليهم شيئاً، حتى إذا دنى من دورهم التفت إلى قومه، فقال: قد أنى لي أن لا أبالي في الله لومة لائم، فلما طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "قوموا إلى سيدكم". فأنزلوه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احكم فيهم"، فقال: فإني أحكم فيهم بقتل مقاتليهم، وسبي ذراريهم، وتقسيم أموالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله". قالت: ثم دعا الله سعد، فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. قالت:. فانفجر كلمه، وقد كان برأ حتى ما يرى منه شيء إلا مثل الخرم، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم، قالت: فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل: "رحماء بينهم". قال: فقلت: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع. فقالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو أخذ بلحيته.

قال محمد بن سعد: حدثنا عفان، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ من رميته.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا وهب بن جرير، قال: أخبرنا أبي، قال: سمعت الحسن يقول: لما مات سعد بن معاذ – وكان رجلاً جسيماً جزلاً – جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون: لم نر كاليوم رجلاً أخف، وقالوا: أتدرون لم ذاك؟ ذاك لحكمه في بني قريظة، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "والذي نفسي بيده لقد كانت الملائكة تحمل سريره".

أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا ابن المظفر، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: أخبرنا البخاري، قال: أخبرنا محمد بن المثنى، قال: أخبرنا فضل بن مساور، قال: حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ".

أخرجاه في الصحيحين.

وفيهما من حديث البراء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بثوب حرير فجعل يتعجب من حسنه ولينه، فقال: "لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل – أو خير – من هذا".

وقد روى سلمة بن أسلم الأشهلي، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وما فيه إلا سعد مسجى، فرأيته يتخطاه، فوقف فأومأ إلي: "قف"، فوقفت ورددت من ورائي، وجلس ساعة ثم خرج، فقلت: يا رسول الله، ما رأيت أحداً وقد رأيتك تتخطاه، فقال: "ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه" فجلست ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "هنيئاً لك يا أبا عمرو" ثلاث مرات.

قال سعد بن إبراهيم: حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغسل، فقبض ركبتيه، وقال: دخل ملك فلم يكن له مكان فأوسعت له. وغسله أسيد بن حضير وسلمة بن سلام بن وقش ونزلا في قبره ومعهما الحارث بن أوس وأبو نائلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على القبر. وكانت أمه تبكي وتقول:

ويل أم سعد سعداً ... براعة ونجداً

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل البواكي يكذبن إلا أم سعد". وجاءت أم سعد تنظر لم في اللحد فردها الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوها". فنظرت إليه قبل أن يبنى عليه اللبن، فقالت: احتسبك عند الله وعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره، وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سوي على قبره ورش عليه الماء، ثم جاء فوقف عليه فدعا له وانصرف.

وكان سعد رجلاً أبيض طوالاً جميلاً، وتوفي ابن سبع وثلاثين سنة، ودفن بالبقيع، وأخذ من تراب قبره فإذا هو مسك.

وروى ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم يترلوا الأرض قبل ذلك، ولقد ضم ضمة ثم أفرج عنه" يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: حدثنا ابن حيويه، قال: حدثنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: أخبرنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن الفضيل بن غزوان، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر سعد فاحتبس، فلما خرج قيل له: يا رسول الله، ما حبسك؟ قال: "ضم سعد في القبر ضمة" فدعوت الله أن يكشف عنه.

عبد الله بن سهل بن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم أمه الصعبة بنت التيهان، أخت أبي الهيثم بن التيهان، وهو أخو رافع بن سهل، وهما اللذان خرجا إلى حمراء الأسد، وهما جريحان يحمل أحدهما صاحبه و لم يكن لهما ظهر.

شهد عبد الله بدراً وأحداً والخندق، وقتل يومئذ شهيداً.

عمرة بنت مسعود، أم سعد بن عبادة توفيت بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب في دومة الجندل ومعه سعد، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قبرها فصلى عليها وسأله سعد عن نذر كان عليها فقال: "اقضه عنها".

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا روح بن عبادة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: اخبرني يعلى أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس، يقول: أنبأنا ابن عباس.

أن سعد بن عبادة ماتت أمه وهو غائب عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: "نعم"، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها.

كعب بن مالك بن قيس بن مالك شهد بدراً وأحداً والخندق وقتل يومئذ.

ثم دخلت سنة ست من الهجرة

فمما حدث فيها: سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من المحرم سنة ست في ثلاثين راكباً إلى القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب، وأمره أن يشن عليهم الغارة، فسار الليل وكمن النهار وأغار عليهم فقتل نفراً منهم وأخذ ثمامة بن أثال الحنفي وهرب سائرهم واستاق نعماً وشاء و لم يعرضن للظعن، وانحدر إلى المدينة، فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء به وفض على أصحابه ما بقي، وكانت النعم مائة وخمسين بعيراً، والغنم ثلاثة آلاف شاة، وغاب تسع عشرة ليلة، وقدم لليلة بقيت من المحرم.

وفيها: قدم مسعود بن رخيلة الأشجعي في سبعمائة من قومه، فترلوا بسلع في صفر فوادعوا رسول الله ووادعهم وفيهم نزلت: "إذ جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا".

ثم كانت غزاة بني لحيان

وكانوا بناحية عسفان في ربيع الأول سنة ست، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً - وكانوا قتلوا في غزاة الرجيع - فأظهر أنه يريد الشام، وعسكر لغرة هلال ربيع الأول في مائتي رجل، ومعهم عشرون رجلاً، واستخلف عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران - وبينها وبين عسفان خمسة أميال - حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدروا منهم على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا الغميم، ثم رجعوا و لم يلقوا أحداً، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وغاب أربع عشرة ليلة، وقال في رجوعه: آيبون تائبون لربنا حامدون فكان أول من قالها.

وفي هذه الغزوة جاز على قبر أمه صلى الله عليه وسلم أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: أخبرنا علي بن أحمد الحمامي، قال. أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الحريري، قال: أخبرنا موسى بن إسحاق الأنصاري، قال: أخبرنا أبو إبراهيم الترجماني، قال: حدثنا المشمعل بن ملحان، عن صالح بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ وقف على عسفان، فنظر يميناً وشمالاً فأبصر قبر أمه آمنة فورد الماء، فتوضأ ثم صلى ركعتين فلم يفاجئنا إلا ببكائه، فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف إلينا فقال: "ما الذي أبكاكم؟ قالوا: بكيت فبكينا يا رسول الله وقال "وما ظننتم؟" قالوا: ظننا أن العذاب نازل علينا، قال: "لم يكن من ذلك شيء"، قالوا: فظننا أن أمتك كلفوا من الأعمال ما لا يطيقون، قال: "لم يكن من ذلك شيء ولكني مررت بقبر أمي، فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين، واستأذنت ربي أن أستغفر لها، فزجرت زجراً، فعلا بكائي" ثم دعى براحلته فركبها فما سارت إلا هينة حتى قامت الناقة بثقل الوحي، فأنزل الله تعالى: "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستنفروا للمشركين..." إلى آخر الآيتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أشهدكم أني بريء من آمنة كما تبرأ إبراهيم من أبيه".

ثم كانت غزوة الغابة

وهي على بريد من المدينة على طريق الشام في ربيع الأول.

قالوا: كانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهي، عشرون لقحة - ترعى بالغابة وكان أبو ذر فيها، فأغار عليها عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً، فاستاقوها وقتلوا راعيها، وجاء الصريخ فنادى: الفزع الفزع، فنودي: يا خيل الله اركبي، فكان أول ما نودي بها، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج غداة الأربعاء في الحديد مقنعاً، فوقف، فكان أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو، وعليه الدرع واليه كفر، شاهراً سيفه، فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء في رمحه، وقال: "امض حتى تلحقك الخيول، إنا على أثرك"، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة.

قال المقداد: فخرجت فأدركت أخريات العدو وقد قتل أبو قتادة مسعدة، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه، وقتل عكاشة بن محصن أثار بن عمرو بن أثار، وقتل المقداد بن عمرو: حبيب بن عيينة بن حصن، وقرفة بن مالك بن حذيفة بن

بدر.

وقتل من المسلمين محرز بن نضلة، قتله مسعدة. وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يراميهم بالنبل، ويقول:

خذها وأنا ابن الأكوع   اليوم يوم الرضع

حتى انتهى بهم إلى ذي قرد ناحية خيبر مما يلي المستناخ.

قال سلمة: فلحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس والخيول عشاء، فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ملكت فأسجح"، ثم قال: "إنهم الآن ليقرون في غطفان". وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد، فاستنقذوا عشر لقائح، وأفلت القوم بما بقي وهي عشر، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف، وأقام به يوماً وليلة يتحسس الخبر، وقسم في كل من أصحابه جزوراً ينحروها - وكانوا خمسمائة، ويقال سبعمائة - وبعث إليه سعد عبادة بأحمال تمر وبعشر جزائر، فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد، والثبت عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر على هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي، ولكن الناس نسبوها إلى المقداد لقول حسان بن ثابت:

غداة فوارس المقداد

فعاتبه سعد بن زيد، فقال: اضطرني الروي إلى المقداد.

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الاثنين، وقد غاب خمس ليال.

ثم كانت سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر غمر مرزوق

وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد طريق الأول إلى المدينة وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد: وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً يغذ السير، ونذر به القوم فهربوا فنزلوا علياء بلادهم ووجدوا دارهم خالية، فبعث شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر النعم فتحملوا فأصابوا ربيئة لهم، فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم له، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير، فأرسلوا الرجل وحدروا النعم إلى المدينة. وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يلقوا كيداً.

ثم كانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة، وبني عوال من ثعلبة - وهم بذي القصة وبينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً طريق الربذة - في عشرة نفر، فوردوا عليهم ليلاً فأحدق به القوم، وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم، فوقع محمد بن مسلمة جريحاً فضرب كعبه فلا يتحرك، وجردوهم من الثياب.

ومر بمحمد بن مسلمة رجل من المسلمين فحمله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارعهم فلم يجدوا أحداً ووجدوا نعماً وشاء فساقه ورجع.

ثم كانت سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة أيضا

في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم.

قالوا: أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار، ووقعت سحابة بالمراض إلى تغلمين – والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة – فسارت بنو محاربة وثعلبة وأنمار إلى تلك السحاب، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفا – موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلوا المغرب، فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح، فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم فتركه، وأخذ نعماً من نعمهم، فاستاقه ورثة من متاعهم، وقدم بذلك المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم.

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم

في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى بني سليم فسار حتى ورد الجموم ناحية بطن نخل عن يسارها – وبطن نخل من المدينة على أربعة برد – فأصابوا عليه امرأة من مزينة، يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا في تلك المحلة نعماً وشاء وأسرى. وكان فيهم زوج حليمة المزنية، فلما قفل زيد بن حارثة، بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة نفسها وزوجها، فقال بلال بن الحارث المزني في ذلك شعراً:

لعمرك ما أخنى المسول ولا ونت　　　حليمة حتى راح ركبهما معاً

ثم كانت سرية زيد بن حارثة أيضا إلى العيص

وبينها وبين المدينة أربع ليال في جمادى الأولى سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد: لما بلغ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكباً يتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة وكانت لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم إلى المدينة، فاستجار أبو العاص بن الربيع بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر: إني أجرت أبا العاص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما علمت بشيء من هذا وقد أجرنا من أجرت"، ورد عليه ما أخذ منه.

ثم كانت سرية زيد بن حارثة أيضا إلى الطرف

في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
روى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة إلى الطرف - وهو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق النقرة على المحجة، فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فأصاب نعماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، و لم يلق كيداً، وغاب أربع ليال، وكان شعارهم: "أمت أمت".

ثم كانت سرية زيد بن حارثة أيضا في هذا الشهر إلى حسمى

وهي وراء وادي القرى في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ذكر ابن سعد أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر وقد أجازه وكساه، فلقيه الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد، في ناس من جذام بحسمى، فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا عليه إلا سمل ثوب، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا إليهم فاستنقذوا لدحية متاعه، وقدم دحية على النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل، ورد معه دحية، وكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم، فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة، ومن السبي مائة من النساء والصبيان. فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم، وقال: يا رسول الله، لا تحرم علينا حلالاً ولا تحل لنا حراماً، فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقال أبو يزيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول من كان حياً ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صدق أبو يزيد"، فبعث معهم علياً رضي الله عنه إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فتوجه علي رضي الله عنه فلقي رافع بن مكيث الجهني بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم، فردها علي على القوم، ولقي زيداً بالفحلتين، وهي بين المدينة، وذي المروة، فأبلغه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردوا إلى الناس كل ما كان أخذ منهم.

ثم كانت سرية زيد بن الحارث أيضا إلى وادي القرى

في رجب سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث زيداً أميراً سنة ست.

ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن عوف، فأقعده بين يديه وعممه بيده، وقال: "اغز بسم الله وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليداً" وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، فقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة

ملكهم. فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً وكان رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ، فقدم بها إلى المدينة، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن.

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بفدك

في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فبعث إليهم علياً رضي الله عنه قي مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج – وهو ما بين خيبر وفدك، وبين فدث والمدينة ست ليال – فوجدوا به رجلاً فسألوه عن القوم، فقال: أخبركم على أنكم تؤمنوني فآمنوه فدلهم فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بن عليم، فعزل علي رضي الله عنه صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوحاً تدعى الحفذة، ثم عزل الخمس وقسم سائر الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة و لم يلق كيداً.

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بوادي القرى

على سبع ليال من المدينة في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر ابن سعد، أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان دون وادي القرى لقيه قوم من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه، وأخذوا ما كان معهم. ثم استبل زيد وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إليهم، فكمنوا النهار وساروا الليل أو نذرت بهم بنو بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه فكبروا وأحاطوا بالحاضر وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر، وكان الذي أخذ الجارية مسلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لحزن بن أبي وهب.

وعمد قيس بن المحسر إلى أم قرفة – وهي عجوز كبيرة – فقتلها قتلاً عنيفاً؛ ربط بين رجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها. وقتل النعمان وعبيد الله ابني مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر. وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم، فقام إليه عرياناً يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسايله فأخبره بما ظفره الله عز وجل به.

ثم كانت سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري

بخيبر في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر ابن سعد أنه كان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث النبي الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبا قتادة، والأسود بن خزاعى، ومسعود بن سنان. وأمرهم بقتله.

فذهبوا إلى خيبر، فكمنوا، فلما هدأت الرجل جاؤوا إلى محله فصعدوا درجة له، فقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له امرأته، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح، فأشار إليها بالسيف، فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه كأنه قبطية، فعلوه بأسيافهم.

قال ابن أنيس: وكنت رجلاً أعشى لا أبصر، فاتكأت بسيفي على بطنه حتى سمعت خسه في الفراش، وعرفت أنه قد قضي عليه، وجعل القوم يضربونه جميعاً، ثم نزلوا فصاحت امرأته فتصايح أهل الدار، واختبأ القوم في بعض مناهر خيبر، وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران، فلم يروهم فرجعوا.

ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن الطلب، ثم خرجوا مقبلين إلى المدينة كلهم يدعي قتله، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أفلحت الوجوه" فقالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، وأخبروه خبرهم فأخذ أسيافهم فنظر إليها فإذا أثر الطعام في ذباب سيف عبد الله بن أنيس، فقال عليه الصلاة والسلام: "هذا قتله".

ثم كانت سرية عبد الله بن رواحة

إلى أسير بن زارم اليهودي بخيبر

في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد: لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، أمرت يهود عليهم أسير بن زارم، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سراً فسأل عن خبره وغرته، فأخبر بذلك، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بذلك، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحه، فقدموا على أسير، فقالوا: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له، قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك؟ فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرخ إليه، فيستعملك على خيبر، ويحسن إليك، فطمع في ذلك، فخرج وخرج معه ثلاثون من يهود مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كنا بقرقرة ثبار ندم أسير، فقال عبد الله بن أنيس وكان في السرية: وأهوى بيده إلى سيفي ففطنت له ودفعت بعيري وقلت: غدراً أي عدو الله أفعل ذلك مرتين فترلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير، فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه، وسقط عن بعيره وبيده مخرش من شوحط فضربني فشجني مأمومة، وملنا على أصحابه، فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شداً ولم يصب من المسلمين أحد ثم أقبلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث فقال: "قد نجاكم الله من القوم الظالمين".

ثم كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين في شوال

قالوا: قدم نفر من عرينة ثمانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلموا واستوبأوا المدينة، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه وكانت على ستة أميال من المدينة، وكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا فاستاقوها وقتلوا الراعي وقطعوا يده ورجله، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فبعث في أثرهم عشرين فارساً، واستعمل

عليهم كرزاً فأدركوهم، وأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم حتى قدموا بهم المدينة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وصلبوا هناك، وكانت اللقاح خمس عشرة لقحة فردوها إلا واحدة نحروها.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: أسلم ناس من عرينة، فاجتووا المدينة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو خرجتم إلى ذود لنا فشربتم من ألبانها"، قال حميد: وقال قتادة، عن أنس: "وأبوالها"، ففعلوا، فلما صحوا كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمناً أو مسلماً، وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم وهربوا محاربين، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا.

أخرجاه في الصحيحين.

ثم كانت سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بمكة

وكان سبب ذلك أن أبا سفيان قال لنفر من قريش: ألا رجل يغتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق، فقال له رجل من العرب: إن قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر، فأعطاه بعيراً ونفقة، فخرج ليلاً، فسار على راحلته خمساً وصبح ظهر الحرة صبح سادسة، وأقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن هذا ليريد غدراً"، فذهب ليجني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره، فإذا بالخنجر فسقط في يديه، وقال: دمي دمي، فأخذ أسيد بلبته فدعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصدقني"، فأخبره الخبر وأسلم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه، فدخلا مكة فمضى عمرو يطوف بمكة ليلاً فرآه معاوية فعرفه، فأخبر قريشاً بمكانه فطلبوه وكان فاتكاً في الجاهلية – فهرب هو وسلمة، فلقي عمرو بن عبيد الله بن مالك فقتله، وقتل آخر من بني الديل سمعه يقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً ... ولست أدين دين المسلمين

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما، وأسر الآخر فقدم به المدينة وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك.

هذا قول محمد بن سعد، كاتب الواقدي.

وذكر ابن إسحاق عن أشياخه: إن هذا كان في سنة أربع، وأن عمرو بن أمية قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل خبيب وأصحابه، وبعث معي رجلاً من الأنصار، فقال: ائتيا أبا سفيان فاقتلاه فخرجنا وليس مع صاحبي بعير، فلما وصلنا عقلت بعيري، وقلت لصاحبي إني أريد أن أقتل أبا سفيان فإن أصبت شيئاً فالحق ببعيري فاركبه والحق بالمدينة فأخبر رسول الله صلى الله

عليه وسلم. فلما دخلنا مكة قال لي صاحبي هل لك أن تطوف، فقلت: أنا أعلم بأهل مكة منك، فلم يزل بي حتى طفنا، فمررنا بمجلس فعرفني رجل منهم، فصاح بأعلى صوته: هذا عمرو بن أمية الضمري، فتبادر أهل مكة، قالوا: والله ما جاء عمرو لخير، فقاموا في طلبي، فقلت لصاحبي: النجاء، فهذا الذي كنت أخاف، وليس إلى الرجل سبيل فانج بنفسك، فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في الجبل، فدخلنا غاراً فبتنا فيه ليلتنا فأعجزناهم فرجعوا، فإذا عثمان بن مالك التميمي قد وقف بباب الغار، فخرجت إليه فوجأته بخنجر معي فصاح صيحة أسمع أهل مكة، فأتوا إليه، ورجعت إلى مكاني، فجاؤوه وبه رمق، فقالوا: ويلك من قال: عمرو بن أمية، ثم مات و لم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، فقالوا: والله لقد علمنا أنه ما جاء لخير، فاشتغلوا بصاحبهم، فأقمنا في الغار يومين، ثم خرجنا إلى التنعيم فإذا خشبة خبيب وحوله من يحرسه، فقلت للأنصاري: إن خشيت فخذ الطريق إلى جملي فاركبه، والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر واشتددت إلى خشبته فاحتللته واحتملته على ظهري، فوالله ما مشيت به إلا نحو ذراعين حتى نذروا بي فطرحته فما أنسى وجبته حين سقط فاشتدوا في أثري فأخذت طريق الصفراء، فرجعوا وانطلق صاحبي فركب بعيري ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر، وأقبلت أمشي حتى أشرفت على ضجنان، فدخلت غاراً، فدخل علي رجل من بني الديل، فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني بكر، قال: وأنا من بني بكر، ثم اضطجع معي، ثم رفع عقيرته يتغنى، ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً ... ولست أدين دين المسلمين

فقلت: سوف تعلم، فنام فقمت فقتلته شر قتلة، وخرجت فلقيت رجلين من قريش يتحسسان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: استأسرا، فقالا: أنحن نستأسر لك، فرمت أحدهما بسهم فقتلته، ثم قلت للآخر: استأسر، فاستأسر فأوثقته، فقدمت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شددت إبهامه بوتر قوسي، فنظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ودعا لي بخير.

وفي هذه السنة كانت غزوة الحديبية

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج للعمرة في ذي القعدة سنة ست، فاستنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج معه، فأسرعوا وتهيأوا، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فاغتسل ولبس ثوبين، وركب راحلته القصواء، وخرج في يوم الاثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، و لم يخرج بسلاح إلا السيوف في القرب، وساق بدناً، وساق أصحابه أيضاً بدناً، فصلى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبدن التي ساق فجللت ثم أشعرها في الشق الأيمن وقلدها وأشعر أصحابه أيضاً، وهي سبعون بدنة فيها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر ليغيظ المشركين. بذلك، وأحرم ولبى، وقدم عباد بن بشر أمامه طليعة في عشرين فرساً من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه من المسلمين ألف وستمائة، ويقال: ألف وأربعمائة، ويقال: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً، وأخرج معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها، وبلغ المشركين خروجه فأجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح وقدموا مائتي فارس إلى كراع الغميم، وعليهم خالد بن الوليد، ويقال: عكرمة بن أبي جهل، ودخل بسر بن سفيان الخزاعي مكة فسمع كلامهم وعرف رأيهم، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه بغدير الأشطاط من وراء عسفان فأخبره بذلك.
ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في خيله فأقام بإزائه وصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة

الخوف، وسار حتى دنا من الحديبية – وهي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة – فوقفت به راحلته على ثنية تهبط على غائط القوم فبركت. فقال المسلمون: حل حل، يزجرونها، فأبت، فقالوا: خلأت القصواء؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل، أما والله لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها" ثم زجرها، فقامت فولى راجعاً عوده على بدئه حتى نزل بالناس على ثمد من أثماد الحديبية قليل الماء، فانتزع سهماً من كنانته فغرزه فيها فجاشت لهم بالرواء حتى اغترفوا بآنيتهم جلوساً على شفير البئر.

ومطر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية مراراً، وكثرت المياه. وجاءه بديل بن ورقاء وركب معه فسلموا وقالوا: جئناك من عند قومك: كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، معهم العوذ والمطافيل والنساء والصبيان يقسمون يخلون بينه وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم نأت لقتال وإنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قتلناه".

فرجع بديل فأخبر بذلك قريشاً، فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك، فأخبر قريشاً، فقالوا: نرده عن البيت في عامنا ويرجع من قابل فيدخل مكة ويطوف بالبيت.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش خراش بن أمية ليخبرهم بما جاء له فأرادو فمنعه من هناك من قومه، فأرسل عثمان بن عفان، فقال: اذهب إلى قريش فأخبر لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته، معنا الهدي وننصرف، فأتاهم وأخبرهم، فقالوا: لا كان هذا أبداً ولا يدخلها العام.

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل، فذلك حين دعا المسلمين إلى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة وبايع لعثمان فضرب بشماله على يمينه لعثمان، إنه ذهب في حاجة الله ورسوله. وجعلت الرسل تختلف بينهم، فأجمعوا على الصلح فبعثوا سهيل بن عمرو في عدة رجالهم فصالحه على ذلك، وكتبوا بينهم: "وهذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، واصطلحا على الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلالاً ولا إغلال وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وإليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا قابلاً في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب.

شهد أبو بكر وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف، وابن أبي وقاص وعثمان وأبو عبيدة، وابن مسلمة، وحويطب، ومكرز.

وكتب علي صدر هذا الكتاب فكان هذا الكتاب عند النبي صلى الله عليه وسلم، ونسخته عند سهيل بن عمرو.

وخرج أبو جندل بن سهيل من مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يرسف في الحديد، فقال سهيل: هذا أول ما أقاضيك عليه، فرده النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: يا أبا جندل، قد تم الصلح بيننا فاصبر حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً.

ووثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر، فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها، فلما فرغوا من الكتاب انطلق سهيل وأصحابه ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هديه وحلق رأسه، حلقه خراش بن أمية الخزاعي ونحر أصحابه، وحلق عامتهم وقصر الآخرون.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم، "رحم الله المحلقين" ثلاثاً. قيل: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: "والمقصرين فأقام صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة وعشرين يوماً"، وقيل: عشرين ليلة، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم، فلما كان بضجنان نزل عليه: "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً". فقال: جبريل عليه السلام يهنئك يا رسول الله، وهنأه المسلمون.

فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه أبو بصير، رجل من قريش وقد أسلم، فبعثوا رجلين في طلبه فرده معهما، فقتل أحدهما في الطريق، وهرب الآخر، فقدم أبو بصير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: وفيت بذمتك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "ويل أمه مسعر حرب"، ففهم أنه سيرده، فذهب إلى ساحل البحر فجلس في طريق قريش، وخرج إليه جماعة ممن كان محبوساً بمكة، منهم: أبو جندل. فصاروا نحواً من سبعين، وكانوا يعترضون أموال قريش، فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشدونه أن يرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدموا المدينة.

وفي هذه الهدنة: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط - وكانت قد أسلمت وبايعت بمكة - فخرجت في زمن الهدنة، وهي أول من هاجر من النساء، فخرجت وحدها وصاحبت رجلاً - من خزاعة حتى قدمت المدينة. فخرج في أثرها أخواها: الوليد، وعمارة ابنا عقبة، حتى قدما المدينة، فقالا: يا محمد فلنا بشرطنا، فقالت أم كلثوم: يا رسول الله، أنا امرأة وحال النساء في الضعف ما قد علمت، فتردني إلى الكفار فيفتنوني عن ديني ولا صبر لي؟ فنقض الله العهد في النساء في صلح الحديبية وأنزل فيهن المحنة وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم، ونزل في أم كلثوم: "فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن". فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامتحن النساء بعدها، يقول: "والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام، ما خرجتن لزوج ولا مال" فإذا قلن ذلك تركن ولم يرددن إلى أهليهن.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة.

قال مؤلف الكتاب: وكذلك قول معقل بن يسار، وجابر في العدد. وقال جابر في رواية: كنا ألفاً وخمسمائة. وقال عبد الله بن أبي أوفى: كنا يومئذ ألفاً وثلاثمائة.

وفي أفراد مسلم حديث ابن الأكوع، قال: قدمت الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة ما نرويها، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها فإما دعا وإما بزق، فجاشت، فسقينا واستقينا.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا ابن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن طارق، قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون، فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها.

قال سعيد: إن كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم، فأنتم أعلم.

قال ابن سعد: وأخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: أخبرنا عبد الله بن عوف، عن نافع، قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها: شجرة الرضوان، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

وفي عمرة الحديبية: أصاب كعب بن عجرة الأذى في رأسه، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب هديه واسمه ناجية بما عطب من الهدي أن ينحره، وأن يغمس نعله في دمه.

وفيها: صاد أبو قتادة حمار وحش.

وفيها: مطر الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصبح الناس رجلان: مؤمن بالله كافر بالكواكب، وكافر بالله مؤمن بالكواكب".

وفيها: هبط قوم ليغتالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي إفراد مسلم من حديث أنس، قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون من أهل مكة في السلاح من قبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا عليهم فأخذوا، ونزلت: "وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة".

وفي هذه السنة: ذبح عويم بن أشقر أضحيته قبل أن يغدو، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيد.

قال أبو الحسن المدائني: ووقع في هذه السنة طاعون، وهو أول طاعون كان.

وفى هذه السنة: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل؛ ستة نفر، فخرجوا مصطحبين في ذي الحجة: حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى، وعمرو بن أمية إلى النجاشي، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وسنيط بن عمر و العامري إلى هوذة بن علي الحنفي.

وفي هذه السنة اتخذ الخاتم، وذلك أنه قيل له: إن الملوك لا تقرأ كتاباً إلا مختوماً فاتخذ الخاتم.

ذكر ما جرى من هؤلاء الملوك حين بعث إليهم

قال مؤلف الكتاب: أما المقوقس فإنه لما وصل إليه حاطب بن أبي بلتعة أكرمه وأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب في جوابه: "قد علمت أن نبياً قد بقي، وقد أكرمت رسولك"، وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار، منهن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحماراً يقال له: عفير، وبغلة يقال لها: الدلدل، و لم يسلم.

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته، وقال: ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه". واصطفى مارية لنفسه، وأما الحمار فنفق في منصرفة من حجة الوداع، وأما البغلة فبقيت إلى زمن معاوية.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية، وكتب إليه معه كتاباً يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأ الكتاب قال له خيراً، وأخذ الكتاب – وكان مختوماً – فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم جواب كتابه و لم يسلم وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال مؤلف الكتاب: إلا أن هذه الهدية وصلت في سنة سبع، وسنذكر هذا.

وأما قيصر وهو هرقل ملك الروم

فإنه كان قد ظهر على من كان بأرضه من فارس؛ وأخرجهم منها، وانتزع له منهم صليبه الأعظم، وكانوا قد استلبوه إياه، فخرج من حمص يمشي على قدميه. شكراً لله حين رد عليه ما رد تبسط له البسط، وتلقى عليها الرياحين حتى انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته، وأنه أصبح يوماً مهموماً يقلب طرفه في السماء، فقالت له بطارقته: لقد أصبحت أيها الملك مهموماً، قال: أجل أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر، قالوا: ما تعلم أمة تختتن إلا يهود؛ وهم في سلطانك وتحت يدك؛ فابعث إلى من لك عليه سلطان في بلادك، فمره أن يضرب أعناق من تحت يده من يهود، واسترح من هذا الهم، فبينما هم في ذلك من رأيهم أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده، فقال: أيها الملك إن هذا من العرب يحدث عن أمر يحدث ببلاده عجب، قال هرقل لترجمانه: سله ما هذا الحدث الذي كان ببلاده؟ فسأله فقال: خرج من بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي فاتبعه ناس وخالفه آخرون، وكانت بينهم ملاحم فتركتهم على ذلك، فقال: جردوه، فجردوه، فإذا هو مختون، فقال هرقل: هذا والله الذي رأيت، أعطوه ثوبه، انطلق عنا ثم دعى صاحب شرطته، فقال: قلب لي الشام ظهراً وبطناً حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل – يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو سفيان: وكنت قد خرجت في تجارة في زمان الهدنة، فهجم علينا صاحب شرطته، فقال: أنتم قوم هذا الرجل؟ قلنا: نعم فدعانا.

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يعقوب، قال: أخبرنا ابن أخي الزهري، عن الزهري، قال: أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى، وكان قيصر لما كشف الله عز وجل عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيليا، على الزرابي تبسط له.

قال عبد الله بن عباس: فلما جاء قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين قرأه: التمسوا لي من قومه من أسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عباس: فأخبرني أبو سفيان صخر بن حرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجاراً وذلك في المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش.

فقال أبو سفيان: فأتى رسول قيصر، فانطلق بي وبأصحابي، حتى قدمنا إيليا فأدلجنا عليه فإذا هو جالس في مجلس ملكه، عليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابتك منه؟ قال: قلت: هو ابن عمي.

قال أبو سفيان: وليس في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري. قال: فقال قيصر: أدنوه مني، ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه.

قال أبو سفيان: فوالله لو لا استحيائي يومئذ أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته حين سألني، ولكني استحييت أن يأثروا عني الكذب، فصدقته عنه، ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول

منكم أحد قط قبله؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قال: قلت: لا، قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت بل ضعفاؤهم، قال: فيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت لا، ونحن الآن منه في مدة، ونحن نخاف ذلك.

قال: قال أبو سفيان: و لم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً أنتقصه به غيرها، لا أخاف أن أثروا عني. قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قال: قلت: نعم. قال: كيف كانت حربكم وحربه؟ قال: قلت: كانت دولا سجالاً أتدال عليه المرة، ويدال علينا، الأخرى، قال: فبم يأمركم؟ قال: قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة قال: فقال لترجمانه حين قلت له ذلك: قل له إني سألتك عن نسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال هذا القول أحد منكم قط قبله فزعمت أن لا. فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله قلت: رجل يأتم بقول قيل قبله، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله تعالى، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب لا يسخطه أحد، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل، وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه يكون دولاً يدال عليكم المر الدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى ويكون لها العاقبة، وسألتك بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله عز وجل وحده لا تشركوا به شيئاً وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصدق والصلاة، والعفاف، والوفاء، بالعهد، وأداء الأمانة، وهذه صفة نبي قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، فإن يكن ما قلت فيه حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، والله لو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.
قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به، فقرئ فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل، عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد. فإني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين – يعني الأكارة "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".
قال أبو سفيان، فلما قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من علماء الروم، وكثر لغطهم فلا أدري ماذا قالوا. وأمر بنا فأخرجنا.
قال أبو سفيان: فلما خرجت مع أصحابي وخلصت قلت لهم: أمر أمر ابن أبي كبشة، هذا ملك بني الأصفر يخافه.
قال أبو سفيان: فوالله ما زلت ذليلاً مستيقناً أن أمره سيظهر، حتى أدخل الله عز وجل قلبي الإسلام وأنا كاره.
قال مؤلف الكتاب: وروينا عن الزهري، قال: حدثني أسقف النصارى: أن هرقل قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعله بين فخذيه وخاصرته. ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرؤونه يخبره بما جاء إليه صاحب رومية: إنه للنبي الذي كنا ننتظر؛ لا شك فيه؛ فاتبعه وصدقه.
فأمر ببطارقة الروم؛ فجمعوا له في دسكرة، فأشرجت أبوابها عليهم، ثم اطلع عليهم من علية له، وقد خافهم على نفسه، وقال: يا

معشر الروم، إنه قد أتاني هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله للنبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا، فهلموا فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا.

فنخروا نخرة رجل واحد؛ ثم ابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها قد أغلقت، فقال: ردوهم، ثم قال: يا معشر الروم، إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم، وقد رأيت منكم الذي أسر به، فوقعوا له سجوداً؟ وانطلقوا.

وروى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، أن هرقل قال لدحية: والله إني لأعلم إن صاحبك نبي مرسل، وإنه الذي كنا ننتظره، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولو لا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى فلان الأسقف فاذكر له أمر صاحبك، فهو والله أعظم في الروم مني.

فجاءه دحية، فأخبره، فقال له: صاحبك والله نبي مرسل نعرفه. ثم دخل فألقى ثياباً سوداً كانت عليه، ولبس ثياباً بيضاء، ثم خرج، فقال: قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله عز وجل، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله.

فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فضربوه حتى قتلوه. فرجع دحية فأخبر هرقل، فقال: قد قلت ذلك، إنا نخافهم على أنفسنا.

وذكر ابن إسحاق، عن خالد بن يسار، عن رجل من قدماء أهل الروم، قال: لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية، لما بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الروم، وقال: إني عارض عليكم أموراً؛ فانظروا فيم قد أردتها قالوا: وما هي؟ قال: تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده في كتبنا ونعرفه بصفته، فهلم نتبعه. فقالوا: نكون تحت أيدي العرب، قال: فأعطيه الجزية كل سنة، اكسروا عني شوكته وأستريح من حربه، قالوا: نعطي العرب الذل والصغار، لا والله، قال: فأعطيه أرض سورية – وهي فلسطين، والأردن، ودمشق، وحمص، وما دون الدرب – قالوا: لا نفعل، قال: أما والله لترون أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم. ثم جلس على بغل له، فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام، فقال: السلام عليك أرض سورية سلام الوداع، ثم ركض يطلب القسطنطينية.

وأما كسرى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه بكتاب مع عبد الله بن حذافة.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا سليمان بن داود، قال: أخبرنا إبراهيم بن سعد، قال حدثني صالح بن كيسان وابن أخي ابن شهاب، كلاهما عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى خرقه. قال ابن شهاب: فحسبت ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن، يمزقوا كل ممزق.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: أخبرنا عبد الواحد بن علي بن محمد بن فهير، قال: أخبرنا أبو الفرج محمد بن فارس الغوري، قال: أخبرنا علي بن أحمد بن أبي قبيس، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أيوب، قال: أخبرنا إبراهيم بن سعد، بن محمد بن إسحاق، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن قيس إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بداعية الله عز وجل، فإني أنا رسول

الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت؟ فإن إثم المجوس عليك".
فلما قرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شققه، وقال: يكتب إلي بهذا الكتاب وهو عبدي. فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مزق ملكه حين بلغه أنه شقق كتابه.

ثم كتب كسرى إلى باذان؟ وهو على اليمن، أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين، فليأتياني به؟ فبعث باذان قهرمانه، وهو ابن بابويه – وكان كاتباً حاسباً – وبعث معه برجل من الفرس يقال له: خرخسره، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، وقال لبابويه: ويلك انظر ما الرجل؟ وكلمه وأتي بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف، فسألا عنه، فقالوا هو بالمدينة واستبشروا، وقالوا: قد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه بابويه، وقال له: إن شاهانشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك بأمره أن يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك، ومخرب ديارك. وكانا قد دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وقال: "ويلكما، من أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا بهذا ربنا – يعنيان كسرى – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي". ثم قال لهما: "ارجعا حتى تأتياني غداً". وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء: أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه؟ فقتله في شهر كذا وكذا من ليلة كذا وكذا من الليل.
فلما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: "إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل، سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، فقالا: هل تدري ما تقول، إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا، فنكتب بها عنك، ونخبر الملك. قال: "نعم أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر"، قولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء، ثم أعطى خرخسره منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك.
فخرجا من عنده حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول ولتنظرن ما قد قال ولئن كان ما قد قال حقاً ما في كلام إنه لنبي مرسل وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا. فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد، فإني قد قتلت أبي كسرى، و لم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجميرهم في ثغورهم؟ فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.
فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان، قال: إن هذا الرجل لرسول الله، فأسلم الأبناء من فارس من كان منهم باليمن.
قال القرشي: وأخبرنا لحي بن الجعد، قال: أخبرنا أبو معشر، عن المقبري، قال: جاء فيروز الديلمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن كسرى كتب إلى باذان: بلغني أن في أرضك رجلاً نبياً فاربطه وابعثه إلي، فقال: إن ربي غضب على ربك فقتله ودمه يثخن الساعة، فخرج من عنده، فسمع الخبر فأسلم وحسن إسلامه.
قال علماء السير: كان أبرويز قد جمع من الأموال ما لم يجمعه أحد، ومن الجواهر والأمتعة والكرع، وافتتح من بلاد أعدائه، وبلغت

حيله القسطنطينية وإفريقية، وكان شديد الفطنة، قوي الذكاء، بعث الإصبهبذ مرة إلى الروم فأخذ خزائن الروم وبعثها إلى كسرى، فخاف كسرى أن يتغير عليه الإصبهبذ لما قد نال من الظفر، فبعث من يقتله، فجاء إليه الرجل، فرأى من عقله وتدبيره، فقال: مثل هذا لا يقتل، فأخبره بما جاء لأجله، فبعث إلى قيصر: إني أريد أن ألقاك.

فالتقيا فقال له: إن الخبيث قد هم بقتلي، وإني أريد إهلاكه، فاجعل لي من نفسك ما اطمأن إليه، وأعطيك من بيوت أمواله مثل ما أصبت منك. فأعطاه المواثيق. فسار قيصر في أربعين ألفاً فترل بكسرى فعلم كسرى كيف جرت الحال، فدعا قساً نصرانياً، فقال: إني كاتب معك كتاباً لطيفاً لتبلغه إلى الإصبهبذ ولا تطلعن على ذلك أحداً، فأعطاه ألف دينار، وقد علم كسرى أن القس يوصل كتابه إلى قيصر لأنه لا يحب هلاك الروم، وكان في الكتاب: إن الله قد أمكن منهم بتدبيرك فلا عدمت صواب الرأي، وأنا ممهل قيصر حتى يقرب من المدائن، ثم أغافله في يوم كذا فأغير على من قبلك فإنه استئصالهم، فخرج القس بالكتاب فأوصله إلى قيصر، فقال قيصر: ما أراد إلا هلاكنا. فالهزم واتبعه كسرى فنجى في شرذمة، وبلغ من فطنة كسرى أن منجميه قالوا: إنك ستقتل، فقال: لأقتلن من يقتلني.

فلما بعث ابنه إليه ليقتله قال للرجل: إني أدلك على شيء فيه غناك الصندوق الفلاني. فذهب إلى شيرويه فأخبره، فأخرج الصندوق وفيه حق وفي الحق حب، وهناك مكتوب: من أخذ منه حبة افتض عشرة أبكار، فأخذه شيرويه وأعطى الرجل مالاً، ثم أخذ منه حبة، فكان فيها هلاكه.

فكان كسرى أول ميت أخذ بثأره من حي.

قالوا: كان كسرى يشتي بالمدائن، ويصيف ما بينها وبين همذان، وكانت له اثنا عشر ألف امرأة وجارية.

وقال بعض العلماء: كان في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطؤهن، وألوف جواري اتخذهن للخدمة والغناء، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته، وثمانية آلاف وخمسمائة دابة لمراكبه، واثني عشر ألف بغلاً لثقله، وكان له خمسون ألف دابة، وألف فيل إلا واحداً.

وبعضهم يقول: سبعمائة وستون فيلاً، وبنى بيوت النيران، وأقام فيها اثني عشر ألف موبذ للزمزمة، وأحصي ما جبي من خراج بلاده وغير ذلك من المال المرتفع في سنة ثمان عشرة من ملكه، فكان أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرين ألف ألف مثقال من الورق.

ثم حسد الناس على ما في أيديهم من المال وولي جباية الخراج من يظلم، واحتقر الأشراف، وأمر بقتل من في السجون وكانوا ستة وثلاثين ألفاً، فتعلل المأمور وذهب الناس من العظماء إلى بابل وفيه شيرويه ابنه فأقبلوا به فلزموه ودخلوا به المدائن ليلاً، فأطلق الأشراف، ودخل دار المملكة، واجتمع إليه الوجوه فملكوه، وأرسل إلى أبيه يقرعه بما كان منه.

واسم شيرويه قباذ بن أبرويز، فلما ملك وحبس أباه دخل عليه عظماء الفرس، فقالوا له: إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان، فإما أن تقتل كسرى ونحن راجعون لك بالطاعة، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة على ما كنا عليه، فكسرته هذه المعادلة، وأمر بتحويل كسرى من دار المملكة إلى دار رجل يقال له مارسفند، فحمل كسرى على برذون، وقنع رأسه، وسير به إلى تلك الدار ومعه ناس من الجند، فمروا به على إسكاف جالس في حانوت على الطريق، فعرفه فحذفه بقالب، فعطف إليه رجل من الجند فضرب عنقه.

وقال شيرويه لرجل: انطلق إلى الملك أبينا فقل له: إنا لم نكن للبلية التي أصبحت حيها ولا أحد من رعيتنا سبباً، ولكن الله قضاها عليك جزاء لسيئ عملك وفتكك بأبيك هرمز، وإزالتك الملك عنه، وسملك عينيه، وقتلك إياه شر قتلة، ومنها سوء صنيعك إلى

أبنائك، ولقد حظرت علينا مجالسة الأخيار، وكل من لنا فيه دعة وغبطة. ومنها إساءتك إلى أهل السجون فلقوا الشدائد، ومنها حبسك النساء لنفسك مكرهات مع ترك العطف عليهن، ومنها ما انتهكت من رعيتك في أمر الخراج وجمعك الأموال من وجوه المضار، وعدد عليه من هذا الفن، ثم قال: فإن كانت لك حجة فاذكرها، وإلا فتب إلى الله تعالى حتى نأمر فيك بأمرنا.
فمضى الرجل، فاستأذن عليه الحاجب، فقال كسرى: إن كان له إذن فليس لشيرويه ملك، وإن كان لشيرويه ملك فلا إذن لنا معه. فدخل الرجل فبلغ الرسالة، وكانت بيد أبرويز سفرجلة فتدحرجت وتلوثت بالتراب، فقال كسرى: الأمر إذا أدبر فاتت الحيلة في إقباله، وإذا أقبل أعيت الحيلة في إدباره، فإن هذه السفرجله سقطت من علو ثم لم تلبث أن تلطخت بالتراب، وفي ذلك دليل على سلب الملك، فإنه لا يلبث في أيدي عقبنا حتى يصير إلى من ليس من أهل المملكة.

فلما سمع الرسالة، قال: بلغ عني شيرويه القصير العمر أنه لا ينبغي الذي عقل أن يبث من أحد الصغير من الذنب، ولا اليسير من السيئة إلا بعد تحقق ذلك عنده، ثم أخذ يعتذر عن ما نسب إليه.
فعاد بالجواب، فعاد عظماء الفرس تقول: لا يستقيم لنا ملكان، فأمر شيرويه بقتل كسرى، فانتدب لقتله رجال كان وترهم كسرى، فلما دخلوا عليه شتمهم فلم يقدموا على قتله، فتقدم منهم شاب كان كسرى قد قطع يد أبيه، فضربه بطبرزين على عاتقه فلم يحك فيه، ففتش كسرى، فإذا به قد شد على عضده خرزة لا يحبك السيف في من علقت عليه، فنحيت عنه، ثم ضربه أخرى فهلك.
وبلغ شيرويه فخرق جيبه وبكى منتحباً، وأمر بحمل جثته إلى الناس، وشيعها العظماء، وأمر بقتل قاتل كسرى.
وكان ملك كسرى ثمانياً وثلاثين سنة، وخلف في بيت المال يوم قتل من الورق أربعمائة ألف بدرة، سوى الكنوز والذخائر والجواهر وآلات الملوك، فلما ملك شيرويه لم يتمتع بشيء من اللذات، بل جزع وبكى وعاش مهموماً حزيناً، ثم مات بعد ثمانية أشهر، ويقال: ستة أشهر.
أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن خيرون، قال أخبرنا الحسن بن الحسين بن دوما، قال: أخبرنا جدي لأبي إسحاق بن محمد الثعالبي، قال أخبرنا عبد الله بن إسحاق المدائني، قال: أخبرنا قعنب بن المحور قال أخبرنا بكار قال حدثنا عوف، عن غالب بن عجرد، قال: وجدنا صرة من حنطة في كنوز كسرى بن هرمز بن زياد، فإذا كل حبة مثل النواة ووجدنا فيها كتاباً: هذا ما كانت تنبت الأرض حين كان يعمل فيها بالصلاح زمن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام.
وأما النجاشي فقال ابن إسحاق: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاة في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة، فحملت بعيسى، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى".
فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام.

أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً؛ إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله فإن شئت أن آتيك يا رسول الله فعلت، وإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال ابن إسحاق: وذكر أنه بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة حتى إذا توسطوا البحر غرقتهم سفينتهم فهلكوا.

وقال الواقدي عن أشياخه: إن أول رسول بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية إلى النجاشي، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره وجلس على الأرض متواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب.

وفي الكتاب الآخر يأمره، أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي، متنصر هناك ومات، وأمره صلى الله عليه وسلم في الكتاب أن يبعث لمن قبله من أصحابه وعلمهم، ففعل ذلك.

قال مؤلف الكتاب: وهذه الأخبار دالة على أن النجاشي هو الذي كانت الهجرة إلى أرضه.

وقد أخبرنا محمد بن عبيد الله، قال: أخبرنا نصر بن الحسن، قال: أخبرنا عبد الغافر بن محمد، قال: أخبرنا أبو أحمد الجلودي، قال: أخبرنا ابراهيم بن محمد بن سفيان، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثني يوسف بن حماد، قال: أخبرنا عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال مؤلف الكتاب: فعلى هذا يحتمل أن يكون كتب إلى آخر من ملوك الحبشة بعد أن كتب إلى ذاك.

وأما الحارث بن أبي شمر الغساني فروى الواقدي عن أشياخه، قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، قال شجاع: فأتيت إليه وهو بغوطة دمشق، وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطاف لقيصر، وهو جاء من حمص إلى إيلياء، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، فقال: لا تصل إليه حيث يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه – وكان رومياً – يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه، فيرق حتى يغلبه البكاء، ويقول: إني قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه، فأنا أؤمن به وأصدقه، وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي. وخرج الحارث يوماً فجلس ووضع التاج على رأسه، فأذن لي، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأه ثم رمى به، وقال: من ينتزع مني ملكي، أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته. علي بالناس. فلم يزل يعرض حتى قام، وأمر بالخيول تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى.

وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر ألا تسير إليه وأله عنه ووافني بإيلياء؛ فلما جاء جواب كتابه دعاني فقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهب، ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة، وقال: أقرئ على

رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته فقال: "باد ملكه". ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح.

وأما هوذة بن علي الحنفي قال مؤلف الكتاب: كان من الملوك العقلاء، إلا أن التوفيق عزيز، دخل على كسرى أبرويز، فقال له: أي أولادك أحب إليك، قال: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والمريض حتى يبرأ، فقال: ما غذاؤك؟ قال: الخبز، فقال كسرى: هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر. وكان من يأكل الخبز عندهم ممدوحاً.

وروى الواقدي عن أشياخه، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً فقدم عليه فأنزله وحباه، وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب إليه وقال: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليط بن عمرو جائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره عنه بما كان وما قال، وقرأ كتابه، وقال: "لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه". فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جاءه جبريل عليه السلام، وأخبره أنه قد مات.

وفي هذه السنة: أهدى ابن أخي عيينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة يقال لها السمراء، فأثابه ثلاثاً، فسخط وقال: "لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي، أو ثقفي، أو دوسي".

وفي هذه السنة: أجدبت الأرض فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في رمضان.

وفيها: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الإبل، فسبقت القصواء، وسبق بالخيل فسبق فرس أبي بكر.

وفيها: استجار أبو العاص بن الربيع بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجارته.

قال مؤلف الكتاب: وردها إليه على ما أشرنا إليه في ذكر غزوة بدر، وقد ذكرنا فيما تقدم أنه استجار بها، فلعله أشير إلى هذه الحالة.

وفيها: جاءت خولة بنت ثعلبة، وكان زوجها أوس بن الصامت، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ظاهر منها.

وفيها: تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه جميلة بنت ثابت، فولدت له عاصماً، طلقها عمر.

وفيها: وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمواله بثمغ.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أم رومان بنت عامر بن عويمر تزوجها الحارث بن سخبرة، فولدت له الطفيل ثم مات فتزوجها أبو بكر، وأسلمت بمكة قديماً، وبايعت. وولدت لأبي بكر رضي الله عنه: عبد الرحمن وعائشة، وهاجرت إلى المدينة وكانت صالحة، وتوفيت في ذي الحجة من هذه السنة.

أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم

بن محمد، قال: لما دليت أم رومان في قبرها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان"، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها.

عتبة بن أسيد بن جابر، أبو بصير وكان حليفاً لبني زهرة، أسلم بمكة قديماً فحبسه المشركون عن الهجرة، وذلك قبل عام الحديبية، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية، وقاضى قريشاً على ما قاضاهم عليه وقدم المدينة أفلت أبو بصير من قومه فسار على قدميه سعياً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب الأخنس بن شريق، وأزهر بن عبد عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه أن يرده إليهم على ما اصطلحوا عليه، وبعثاه مع خنيس بن جابر، فخرج خنيس ومعه مولاه كوثر فدفعه إليهما فخرجا به، فلما كانا بذي الحليفة عدى أبو بصير على خنيس فقتله، وهرب كوثر حتى قدم المدينة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فرجع أبو بصير فقال: وفت ذمتك يا رسول الله، دفعتني إليهم فخشيت أن يفتنوني عن ديني فامتنعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذه فاذهب به"، فقال: إني أخاف أن يقتلني، فتركه ورجع إلى مكة، فأخبر قريشاً بما كان. وخرج أبو بصير إلى العيص فنزل ناحية على طريق قريش إلى الشام، فجعل من بمكة من المحتبسين يتسللون إلى أبي بصير، فاجتمع عنده منهم قريب من سبعين، فجعلوا لا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا بعير لهم إلا اقتطعوها فكتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه بأرحامهم ألا أدخل أبا بصير وأصحابه إليه فلا حاجة لنا بهم، فكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير أن يقدم عليه مع أصحابه، فجاءه الكتاب وهو يموت، فجعل يقرأه ويقبله ويضعه على عينيه، فمات وهو في يديه، فغسله أصحابه وصلوا عليه ودفنوه هناك وبنوا عند قبره مسجداً، ثم ورموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فترحم عليه.

ثم دخلت سنة سبع من الهجرة

فمن الحوادث فيها:

غزوة خيبر

في جمادى الأولى، وخيبر على ثمانية برد من المدينة. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتهيؤ لغزوة خيبر، وخرج واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، وأخرج معه أم سلمة زوجته، فلما نزل بساحتهم أصبحوا وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم، وغدوا إلى أعمالهم معهم المساحي والكرازين والمكاتل، فلما نظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: محمد والخميس – يعنون بالخميس الجيش – فولو هاربين إلى حصونهم، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين". ووعظ الناس وفرق عليهم الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر إنما كانت الألوية، فكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم السوداء من بحرد لعائشة رضي الله عنها تدعى العقاب، ولواؤه أبيض ودفعه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عبادة، وكان شعارهم: يا منصور أمت.

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا فرس، فقاتل المشركين وقاتلوه أشد قتال، وقتلوا من أصحابه، وقتل منهم، وفتحها حصناً حصناً، وهي حصون ذوات عدد، منها: النطاة، ومنها حصن الصعب بن معاذ، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق

وبه حصون، منها: حصن أبي، وحصن النزار، وحصون الكتيبة، منها: القموص والوطيح وسلالم، وهو حصن ابن أبي الحقيق، وأخذ كنز آل أبي الحقيق - وكانوا قد غيبوه في خربة - فدله الله عليه فاستخرجه وقتل منهم ثلاثة وتسعين رجلاً من يهود، منهم: الحارث أبو زينب، ومرحب، وأسير، وياسر، وعامر، وكنانة بن أبي الحقيق، وأخوه.

واستشهد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر أبو ضياح بن النعمان في خمسة عشر رجلاً، وأمر بالغنائم فجمعت واستعمل عليها فروة بن عمر البياضي، ثم أمر بذلك فجزئ خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، وأمر ببيع الأربعة أخماس في من يزيد، فباعها فروة وقسم ذلك بين أصحابه. وكان الذي ولي إحصاء الناس زيد بن ثابت فأحصاهم ألفاً وأربعمائة، والخيل مائتي فرس، وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة، وقدم الأشعريون ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فلحقوه بها، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا، وقدم جعفر بن أبي طالب وأهل السفينتين من عند النجاشي بعد فتح خيبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أدري بأيهما أسر: بقدوم جعفر، أو بفتح خيبر"؟ وكانت صفية بنت حيي ممن سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأعتقها وتزوجها.

قال ابن عمر: قاتلهم حتى ألجأهم إلى قصرهم وغلبهم على الأرض والنخل، فصالحهم على أن تحقن دماءهم ولهم ما حملت ركابهم، وللنبي صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء والسلاح ويخرجهم، وشرطوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فلما وجد المال الذي غيبوه في مسك الجمل سبى نساءهم، وغلبهم على الأرض والنخل ودفعها إليهم على الشطر، فكان ابن رواحة يخرصها عليهم ويضمنهم الشطر.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب، قال حدثنا الحارس بن أسامة، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: حدثنا هاشم بن القاسم، قال: أخبرنا عكرمة بن عمار، قال: أخبرنا إياس بن سلمة بن الأكوع، قال: أخبرني أبي، قال: بارز عمي يوم خيبر مرحب اليهودي، فقال مرحب:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال عمي:

قد علمت خيبر أني عامر شاك السلاح بطل مغاور

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فوقع السيف على ساقه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه، فقال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: بطل عمل عامر قتل نفسه. قال سلمة: فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل عامر؟ قال: "ومن قال ذاك"، قلت: ناس أصحابك، قال: "كذب من قال ذاك، بل له أجره مرتين"، إنه حين خرج إلى خيبر جعل يرتجز بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم النبي صلى الله عليه وسلم يسوق الركاب وهو يقول:

تالله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

والكافرون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا

وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من هذا"؟ قالوا: عامر، قال: "غفر لك ربك"، قال: وما استغفر لإنسان قط يخصه إلا استشهد، فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: يا رسول الله، لو لا متعتنا بعامر، فتقدم فاستشهد.

قال سلمة: ثم إن نبي الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إلى علي، وقال: "لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فجئت به أقوده أرمد، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ثم أعطاه الراية، فخرج مرحب يخطر بسيفه، فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي رضي الله عنه مجيباً:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره

أو فيهم بالصاع كيل السندره

ففلق رأس مرحب، وكان الفتح على يديه.

قال ابن سعد: وروي عن ابن عباس، قال. لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج من خيبر، قال القوم: الآن نعلم أسرية صفية أم امرأة، فإن كانت امرأة فإنه سيحجبها، وإلا فهي سرية، فلما خرج أمر بستر يستر دونها، الناس أنها امرأة، فلما أرادت أن تركب أدنى فخذه منها لتركب عليها، فأبت ووضعت ركبتها على فخذه ثم حملها، فلما كان الليل نزل فدخل الفسطاط ودخلت معه، وجاء أبو أيوب فبات عند الفسطاط، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الحركة، فقال: "من هذا"؟ فقال: أنا أبو أيوب، فقال: "ما شأنك"؟ قال: يا رسول الله جارية شابة حديثة عهد بعرس، وقد صنعت بزوجها ما صنعت، فلم آمنها، قلت إن تحركت كنت قريباً منك. فقال: "رحمك الله يا أبا أيوب" مرتين.

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا ثابت، عن أنس، قال: وقعت صفية في سهم دحية – وكانت جارية جميلة – فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ودفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمتها التمر والأقط أو السمن، قال: ففحصت الأرض أفاحيص وجيء بالأنطاع فوضعت فيها ثم جيء بالأقط والسمن والتمر، فشبع الناس.

قال ابن سعد: قال أنس: كان في ذلك السبي صفية بنت حيي، فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت بعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها ثم تزوجها، وجعل عتقها صداقها. قال محمد بن حبيب: في هذه الغزاة أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان سهماً، وأسهم لمن غزا معه من اليهود.

وفيها: سم رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمته زينب امرأة سلام بن مشكم، أهدت له شاة مسمومة، فأكل منها، فدعاها رسول الله، فاعترفت فقتلها، ويقال: بل عفى عنها.

غزوة وادي القرى

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر ذهب إلى وادي القرى، وهي غزاة أيضاً.

وبعضهم يعدها مع خيبر واحدة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعد إلى مترله، ولما نزل بوادي القرى حط رحله غلام له أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي، فأتاه سهم غرب، فقتله، فقالت الصحابة: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلا والذي نفسي بيده إن شملته الآن لتلتهب عليه ناراً". وكان غلها يوم خيبر.

وفيها: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس حين أحد على وادي القرى.

وعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزاة خيبر سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى أعرس، وقال لبلال: أكلأنا الليلة، فصلى بلال ما قد رآه، ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أي بلال ما هذا؟ قال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: اقتادوا، فاقتادوا رواحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة، قال: "من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله عز وجل قال: "وأقم الصلاة لذكري".

ومن الحوادث في هذه السنة أن رسول الله كتب إلى النجاشي أن يزوجه أم حبيبة

وكانت قد خرجت مهاجرة إلى الحبشة، وأن يبعث إليه من بقي من أصحابه من الذين هاجروا إلى الحبشة، ففعل فقدموا المدينة، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر، فكلم المسلمون أن يدخلوهم في سهامهم، ففعلوا.

ومن الحوادث في هذه السنة قتل شيرويه أباه كسرى

إن شيرويه قتل أباه كسرى على ما سبق ذكره. قال الواقدي: كان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة، سنة سبع لست ساعات مضت من الليل.

ومن الحوادث في هذه السنة هلاك شيرويه

فإنه لما أمر بقتل أبيه قتل معه سبعة عشر أخاً له ذوي أدب وشجاعة، فابتلي بالأسقام، وجزع بعد قتلهم جزعاً شديدًا، إذا دخلت عليه أختاه: بوران، وآزرميدخت، فأغلظتا له، وقالتا: حملك الحرص على ملك لا يتم لك على قتل أبيك وجميع أخوتك، فبكى بكاء شديداً، ورمى بالتاج عن رأسه، و لم يزل مدنفاً، وفشى الطاعون في أيامه، فهلك أكثر الناس.

ومن الحوادث في هذه السنة

وصول هدية المقوقس

فإنها وصلت في سنة سبع، وهي: مارية، وسيرين، ويعفور، والدلدل. وكانت بيضاء، فاتخذ لنفسه مارية، ووهب سيرين لحسان بن ثابت.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، قال: بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية وأختها سيرين، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً ليناً، وبغلته الدلدل، وحماره يعفور: وقال يعقوب: ومعهم خصي يقال له: مابور شيخ كبير كان أخا مارية، وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة، فعرض حاطب على مارية الإسلام ورغبها فيه، فأسلمت وأسلمت أختها وأقام الخصي على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجباً بأم إبراهيم وكانت بيضاء جميلة، فأنزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العالية في المال الذي يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إليها هناك وضرب عليها الحجاب، وكان يطأها بملك اليمين، فلما حملت ووضعت هناك وقبلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبراهيم فوهب له عبداً، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان، وتنافست الأنصار في إبراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من هواه فيها.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، عن الزهري، عن أنس بن مالك، قال: كانت أم إبراهيم في مشربتها، وكان قبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء والحطب، فقال الناس في ذلك: علج يدخل على علجة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجده على نخلة، فلما رأى السيف وقع في نفسه فألقى الكساء الذي كان عليه وتكشف فإذا هو مجبوب، فرجع علي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت إذا أمرت أحدنا بالأمر ثم رأى غير ذلك أيراجعك؟ قال: نعم، فأخبره بما رأى من القبطي.

قال مؤلف هذا الكتاب: فإن قال قائل: ظاهر هذا الحديث يدل على أن علياً رضي الله عنه أراد قتله، وقد روي في حديث آخر صريحاً، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "يا علي، خذ السيف فإن وجدته عندها فاقتله". فكيف يجوز القتل على التهمة؟ فقد أجاب عنه ابن جرير الطبري، وقال: من الجائز أن يكون قد كان من أهل العهد وأنه لم يسلم، وقد كان تقدم إليه بالنهي عن الدخول إلى مارية، فلم يقبل فأمر قتله لنقض العهد.

ومن الحوادث سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة في شعبان

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر رضي الله عنه في ثلاثين رجلاً إلى عجز هوازن بتربة – وهي بناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران – وخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر رضي الله عنه محالهم فلم يلق كيداً، فانصرف راجعاً إلى مكة.

ومن الحوادث سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد ناحية ضرية

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار يرفعه عن محمد بن سعد، قال: أخبرنا هاشم بن القاسم، قال: أخبرنا عكرمة بن عمار، حدثنا إياس بن سلمة الأكوع، عن أبيه، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة، وخرجت معه حتى إذا ما دنونا من الماء عرس أبو بكر حتى إذا ما صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء، فقتل أبو بكر من فتل ونحن معه – وكان شعارنا أمت أمت – فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين، ورأيت عنقاً من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم قاموا، فإذا امرأة من فزارة فيهم عليها قشع من أدم، معها ابنتها من أحسن العرب،، فجئت أسوقهم إلى أبي بكر فنفلني ابنتها فلم أكشف لها ثوباً حتى قدمت المدينة، ثم باتت عندي فلم أكشف لها ثوباً حتى لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق، فقال: "يا سلمة هب لي المرأة" فقلت: يا نبي الله، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً فسكت حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق و لم أكشف لها ثوباً، فقال: "يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك" قال: فقلت: هي لك يا رسول الله. فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين.

ومن الحوادث سرية بشير بن سعد الأنصاري

إلى فدك في شعبان

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفدك، فخرج يلقى رعاء الشاة، فسأل عن الناس، فقيل: في بواديهم، فاستاق النعم والشاء وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه الدهم منهم عند الليل، فأتوا يراموهم بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المريون عليهم فأصابوا أصحاب بشير، وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه فقيل قد مات، ورجعوا بنعمهم وشائهم. وقدم علبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدم من بعده بشير بن سعد.

ومن الحوادث سرية غالب بن عبد الله الليثي

إلى الميفعة في رمضان

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الميفعة – وهي وراء بطن نخل إلى النقرة قليلاً بناحية نجد وبينها وبين المدينة ثمانية برد – في مائة وثلاثين رجلاً، ودليلهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهجموا عليهم جميعاً ووقعوا وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاء فحدروه إلى المدينة و لم يأسروا أحداً.

ومن الحوادث في هذه السرية: قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: "ألا شققت عن قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب "؟ فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله.

ويروى أن قتل أسامة هذا الرجل كان في غير هذه السرية.

ومن الحوادث سرية بشير بن سعد الأنصاري

إلى يمن وجبار في شوال

وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من غطفان بالجناب قد واعدهم عيينة بن حصن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلىالله عليه وسلم بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل، فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا إلى يمن وجبار، فدنوا من القوم فأصابوا لهم نعماً كثيراً وتفرق الرعاء، فحذروا الجمع فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم، وخرج بشير في أصحابه حتى أتى محالهم فيجدها وليس فيها أحد، فرجع بالنعم وأصاب منهم رجلين فأسروهما وقدم بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلما فأرسلهما.

وفي هذه السنة قدم وفد الأشعريين

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد عن أشياخه، قالوا: قدم وفد الأشعريين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم خمسون رجلاً فيهم أبو موسى الأشعري، وأخوة لهم ومعهم رجلان من عك، وقدموا في سفن في البحر، وخرجوا بجدة، فلما دنوا في المدينة جعلوا يقولون: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه، ثم قدموا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره، بخيبر، ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوا وأسلموا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأشعرون في الناس كصرة فيها مسك".

وفي هذه السنة قدم الدوسيون

قالوا: ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي دعا قومه فأسلموا، وقدم معه منهم المدينة سبعون أو ثمانون أهل بيت، وفيهم: أبو هريرة، وعبد الله بن إزيهر الدوسي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فساروا إليه فلقوه هناك، ثم قدموا معه المدينة، فقال أبو هريرة في هجرته حين خرج من دار قومه:

يا طولها من ليلة وعناءها ... على أنها من بلدة الكفر نجت

ومن الحوادث عمرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم القضية

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه حين رأوا هلال ذي القعدة أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية، وأن لا يتخلف أحد شهد الحديبية، فلم يتخلف منهم أحد إلا من استشهد بخيبر ومن مات.

وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين عماراً، فكانوا في عمرة القضية ألفين، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين بدنة، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسلمي، وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح البيض والدروع والرماح، وقاد مائة فرس، وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال وأخلوا مكة، ودخل

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية التي تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه وعبد الله بن رواحة يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله　　خلوا فكل الخمر مع رسوله

نحن ضربناكم على تأويله　　كما ضربناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخليل عن خليله

يا رب إني مؤمن بقيله

أخبرنا عمرو بن أبي حسن لبسطامي، أخبرنا أحمد بن منصور، أخبرنا علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، قال: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: أخبرنا عبد الرزاق؛ قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، قال: حدثنا ثابت، عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله　　اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول شعراً، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: "خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل". وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن على ضهر الكعبة، وأقام بمكة ثلاثاً، فلما كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو؛ وحاطب بن عبد العزى، فقالا: قد انقضى أجلك فاخرج عنا، فأمر أبا رافع فنادى بالرحيل، وقال: "لا يمسين بها أحد من المسلمين". وخرجت بنت حمزة فاختصم فيها علي وجعفر وزيد، فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر لأن خالتها أسماء بنت عميس عنده.

وركب رسول الله عنه حتى نزل بسرف – وهي على عشرة أميال من مكة – فتزوج ميمونة بنت الحارث، زوجه إياها العباس وكان يلي أمرها، وهي أخت أم ولده، وكانت آخر امرأة تزوجها وبنى بها في سرف.

ومن الحوادث في هذه السنة

سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم

في ذي الحجة

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابن أبي العرجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم، فخرج وتقدمه عين لهم كان معه فحذرهم فجمعوا، فأتاهم وهم معدون له، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا فتراموا بالنبل، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً، وقدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بشر بن البراء بن معرور بن صخر شهد العقبة وكان من الرماة المذكورين، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر. وأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة فمات مكانه، ويقال: بل بقي سنة مريضاً ومات.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سيدكم يا بني سلمة؟". قالوا: الجد بن قيس على أنه رجل فيه بخل. قال: "وأي داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور".

ثقيف بن عمر، ويقال بقاف شهد بدراً وتوفي في هذه السنة.

ثويبة، مولاة أبي لهب أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حليمة. وذكر أبو نعيم الأصفهاني أن بعض العلماء اختلف في إسلامها.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، عن غير واحد من أهل العلم، قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل ثويبة وهو بمكة، وكانت خديجة رضي الله عنها تكرمها وهي يومئذ مملوكة، وطلبت إلى أبي لهب أن تبتاعها منه لتعتقها فأبى أبو لهب، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أعتقها أبو لهب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بصلة وكسوة، حتى جاءه خبرها أنها قد توفيت سنة سبع مرجعه من خيبر، فقال: "ما فعل ابنها مسروح"؟ فقيل: مات قبلها و لم يبق من قرابتها أحد.

الحارث بن حاطب بن عمرو رده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروحاء حين توجه إلى بدر إلى بني عمرو بن عوف في حاجة له، فضرب له بسهمه وأجره، وكان كمن شهدها، وشهد أحداً والخندق والحديبية وخيبر، وقتل يومئذ شهيداً، رماه رجل من فوق الحصن فدمغه.

ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز يكنى أبا يزيد شهد بدراً وهو ابن ثلاثين سنة، وشهد أحداً والخندق والحديبية، وقتل بخيبر شهيداً.

رفاعة بن مسروح قتل بخيبر.

سليم بن ثابت بن رقش أمه ليلى أخت حذيفة بن اليمان، شهد أحداً والخندق والحديبية وخيبر، وقتل يومئذ شهيداً.

عامر بن الأكوع أصاب نفسه بسيفه فمات على ما سبق ذكره.

عبد الله بن أبي لهب بن وهب قتل بخيبر.

عدي بن مرة بن سراقة قتل بخيبر.

عمارة بن عقبة قتل بخيبر.

قباذ بن كسرى وهو الذي يقال له: شيرويه، قتل أباه، فأخذته الأسقام والحزن، فبقي بعده ثمانية أشهر، ويقال: ستة أشهر ثم مات.

محمود بن مسلمة بن سلمة بن خالد شهد أحداً والخندق والحديبية وخيبر، ودليت عليه يومئذ رحى فأصابت رأسه فمكث ثلاثاً ثم مات، وقبر هو وعامر بن الأكوع في قبر واحد في غار هناك.

الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم خرج مع قومه إلى بدر وهو على دينهم، فأسره عبد الله بن جحش، فقدم فدائه أخواه: خالد، وهشام، ففتداه بأربعة آلاف، وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفديه بشكة أبيه، وكانت درعاً فضفاضة

وسيفاً وبيضة، فأقيم ذلك مائة دينار. فلما قبض ذلك خرجا بالوليد حتى بلغا ذا الحليفة فأفلت منهما فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال خالد: هلا كان هذا قبل أن تفتدى وتخرج مأثرة أبينا من أيدينا، قال: ما كنت لأسلم حتى أفتدى، ولا تقول قريش: إنما اتبع محمداً فراراً من الفداء.

فلما دخل مكة حبسوه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة"، ثم أفلت الوليد فقدم المدينة، وبها توفي هذه السنة، فقالت أم سلمة:

يا عين بكي للوليد	بن الوليد بن المغيرة
كان الوليد بن الوليد	أبو الوليد فتى العشيرة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقولي هكهذا"، ولكن قولي: "وجاءت سكرة الموت بالحق.

يسار الحبشي 1 أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا عمرو بن حيويه، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا ابن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، قال:. كان يسار عبداً لعامر اليهودي يرعى غنماً له، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقع الإسلام بقلبه فأقبل بغنمه يسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: "إلى الإسلام، تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله" قال: فما لي؟ قال: "الجنة إن ثبت على ذلك". فأسلم وقال: إن غنمي وديعة، فقال: "أخرجها من العسكر ثم صح بها وارميها بحصيات فإن الله سيؤدي عنك أمانتك"، ففعل فخرجت الغنم إلى سيدها، فعلم اليهودي أن غلامه قد أسلم. وخرج علي رضي الله عنه بالراية، وتبعه العبد الأسود فقاتل حتى قتل. فاحتمل فادخل خباء من أخبية العسكر، فاطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخباء، فقال: "لقد أكرم الله هذا العبد الأسود وساقه إلى خير، قد رأب زوجتين من الحور العين عند رأسه.

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

فمن الحوادث فيها:

ملك أردشير بن شيرويه

وكان له سبع سنين لأنه لم يكن هناك محتنك من أهل بيت المملكة، وكان شهر براز الذي ذكرنا أن أبرويز استعمله في قتال هرقل قد احتقر أردشير، فأقبل إليه فحاصره وخدع بعض حرسه، ففتح له المدينة فقتل خلقاً من الرؤساء واستصفى أموالهم وفضح نساءهم، وقتل أردشير، وملك. وامتعض قوم من قتله أردشير فتحالفوا على قتله، فقتلوه وجروه بحبل.

ومن الحوادث ملك بوران بنت كسرى أبرويز

أنهم ملكوا بعده بوران بنت كسرى، فقالت يوم ملكت: البر أوثر، وبالعدل آمر، واستوزرت فسفروخ وأحسنت السيرة وبسطت العدل، ورممت القناطر، ووضعت بقايا من الخراج، وكتبت إلى الناس تعلمهم ما هي عليه من الإحسان إليهم، وأنهم سيعرفون

بمكايدها أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد، ولا بمكايدهم ينال الظفر، وإنما ذلك بعون الله، وردت خشبة الصليب على ملك الروم، وكان ملكها سنة وأربعة أشهر. ولما بلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لن يفلح قوم يملكهم امرأة".

ملك جشنسدة

ثم ملك من بعد بوران رجل يقال له جشنسدة من بني عم ابرويز، وكان ملكه أقل من شهر.

ملك آزر ميدخت بنت كسرى

ثم ملكت آزر ميدخت بنت كسرى قالت: حين ملكت: منهاجنا منهاج أبينا كسرى، وكان عظيم فارس يومئذ فزخهرمز فأرسل إليها فسألها أن يتزوجها، فأرسلت إليه: إن التزويج للملكة غير جائز، ولكن صر إلي ليلة ذا وكذا، فإن مرادك قضاء الشهوة، وتقدمت إلى صاحب حرسها بقتله، فجاء فقتل ورمي في رحبة المملكة، فبلغ الخبر إلى ولده رستم، فأقبل في جند عظيم وسمل عيني إزر ميدخت، ثم قتلها، وكان ملكها ستة أشهر.

كسرى بن مهراجشنس

ثم أتي برجل من عقب أردشير بن بابك، فملكوه ثم قتل بعد أيام، ثم ولوا غيره وقتل.

ملك يزدجر بن شهريار بن أبرويز

ثم ولي يزدجرد بن شهريار بن أبرويز وكان المنجمون قد قالوا: سيولد لبعض ولدك غلام يكون ذهاب هذا الملك على يديه، وعلامته نقص في بعض بدنه فمنع ولده من النساء، فمكثوا حيناً لا يصلون إلى امرأة فشكى شهريار إلى شيرين الشبق وسألها أن تدخل إليه امرأة وإلا قتل نفسه، وكانت شيرين قد تبنت شهريار، فأرسلت إليه: إني لا أقدر على إدخال امرأة إليك إلا أن تكون لا يؤبه لها، ولا يجمل بك أن تمسها فقال: أنا لست أبالي ما كانت، فأرسلت إليه بجارية كانت تحجم، وكانت فيما يزعمون من بنات أشرافهم إلا أن شيرين كانت غضبت عليها، فأسلمتها في الحجامين فلما دخلت عليه وثب عليها، فحملت بيزدجرد، فأمرت بها شيرين فقصرت حتى ولدت، وكتمت أمر الولد خمس سنين، ثم إنها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر فقالت له: هل يسرك أيها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان فيه من المكروه فقال لا أبالي، فأمرت بيزدجرد فطيب وحلي وأدخلته عليه، وقالت: هذا يزدجرد بن شهريار. فأجلسه في حجره وقبله وعطف عليه وأحبه حباً شديداً، وكان يبيته معه، فبينما هو يلعب ذات يوم بين يديه، إذ ذكر ما قيل له، فعراه عن ثيابه فاستبان النقص في إحدى وركيه، فاستشاط غضباً وحمله ليجلد به الأرض، فتعلقت به شيرين وناشدته الله ألا يقتله، وقالت له: إن يكن أمر قد حضر في هذا الملك فليس له مرد. فقال: إن هذا المشؤوم الذي أخبرت عنه المنجمون فأخرجيه فلا أنظر إليه، فأمرت به فحمل إلى سجستان.

وقيل: بل كان في السواد عند ظؤورته. وقيل: لما قتل شيرويه أخوته هرب يزدجرد إلى إصطخر ثم آل الأمر إلى أن ملك، وقتل في زمان خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وانقضى ملك الفرس.

ومن الحوادث في هذه السنة إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة.

فقدموا المدينة في صفر، وكان عمرو لما رأى ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى النجاشي، فرأى النجاشي يدعو إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج قاصداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه خالد بن الوليد وهو على تلك النية فأسلموا.

قال مؤلف الكتاب: وقصتهم ستأتي في أخبار عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما.

وفي هذه السنة

تزوج رسول الله فاطمة بنت الضحاك الكلابية

فاستعاذت منه

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن عبد الملك، حدثنا علي بن عمر الدارقطني، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا الوليد، عن الأوزاعي، قال: حدثني الزهري وسألته: أي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم استعاذت منه؟ فقال: أخبرني عروة عن عائشة: أن ابنة الجون الكلابية لما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنا منها فقالت: أعوذ بالله منك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عذت بعظيم الحقي بأهلك".

ومن الحوادث سرية غالب بن عبد الله الليثي

إلى بني الملوح بالكديد في صفر

قال جندب بن مكيث الجهني: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في سرية وكنت فيهم، فأمرهم أن يشنوا الغارة على بني الملوح. فخرجنا حتى إذا كنا بالكديد لقينا الحارث بن البرصاء الليثي،، فأخذناه فقال: إنما جئت أريد الإسلام، قلنا إن تكن مسلماً فلا يضرك رباطنا يوماً وليلة. فشددناه وثاقاً وخلفنا عليه رويجلا منا أسود وقلنا: إن ناوشك فجز رأسه، فسرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، وكمنا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئة لهم، فخرجت حتى آتي مشرفاً على الحاضر يطلعني عليهم إذ خرج رجل فقال لامرأته: إني لأرى على هذا الجبل سواداً ما رأيته أول من يومي هذا فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً، فنظرت فقالت: لا، فقال: فناوليني قوسي وسهمي، فأرسل سهما فوالله ما أخطأ بين عيني، فانتزعته وثبت مكاني، ثم أرسل آخر فوضعه في منكبي فانتزعته ووضعته وثبت مكاني، فقال: والله لو كان ربيئة لقد تحرك. ثم دخل وراحت الماشية، فلما احتلبوا وعطنوا واطمأنوا فناموا شننا عليهم الغارة واستقنا النعم. فخرج صريخ القوم في قومهم فجاء ما لا قبل لنا به، فخرجنا بها نحدرها حتى مررنا بابن البرصاء فاحتملناه وأدركنا القوم ما بيننا وبينهم إلا الوادي، إذ جاء الله بالوادي من حيث شاء، والله ما رأينا سحاباً يومئذ فامتلأ جنباه ماء، ولقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا.

وفيها سرية غالب أيضا إلى مصاب

أصحاب بشير من سعد بفدك في صفر

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب، أخبرنا الحارث بن أبي إسامة، أخبرنا، محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، قال: هيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام، وقال له: "سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم" وهيأ معهم مائتي رجل، وعقد لواء، فقدم غالب بن عبد الله الليثي من سريته من الكديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: "اجلس"، وبعث غالب في مائتي رجل، وخرج أسامة بن زيد فيها حتى انتهى إلى مصاب أصحاب بشير وخرج معه علبة بن زيد فيها، فأصابوا نعماً وقتلوا منهم قتلى.

وفيها سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر

في ربيع الأول

قال عمر بن الحكم: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم وهم غارون، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء واستاقوا ذلك، وغابوا خمس عشرة ليلة:

ومن الحوادث سرية كعب بن عمير

الغفاري إلى ذات أطلاح

وهي من وراء وادي القرى - في شهر ربيع الأول. قال الزهري: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، فوجدوا جمعاً فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا ورموهم بالنبل فقاتل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلوا وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فتحامل حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فشق عليه.

ومن الحوادث اتخاذ المنبر لرسول الله

صلى الله عليه وسلم

وقيل: في سنة سبع، والأول أصح.

أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه، عن جابر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة، قال: فقالت امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار: يا رسول الله، إن لي غلاماً نجاراً أفلا آمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: بلى. قال: فاتخذ له منبراً، قال: فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، قال: فأن الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئن الصبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا بكى لما فقد من الذكر".

رواه أحمد في المسند، وأخرجاه في الصحيحين.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار، حدثنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي، قال: أخبرنا عبيد الله بن عمرو، عن ابن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً، فكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتسمعهم خطبتك؟ قال: نعم. فصنع له ثلاث درجات هن اللاتي على المنبر أعلى المنبر، فلما صنع المنبر ووضع في موضعه، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر فمر إليه، خار الجذع حتى تصدع وانشق فترل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، وكان إذا صلى صلى إلى ذلك الجذع، فلما هدم المسجد وغير، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب، فكان عنده في داره حتى بلي وأكلته الأرضة وعاد رفاتاً.

وفي هذه السنة سرية مؤتة

وهي بأدنى البلقاء دون دمشق في جمادى الأولى سنة ثمان.

قال علماء السير: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمرو الأزدي أحد بني لهب إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف، وهم ثلاثة آلاف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلاً، وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم، وأمرهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا قاتلوهم.

فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم وقام فيهم، شرحبيل فجمع أكثر من مائة ألف، فمضوا إلى مؤته ووافاهم المشركون بما لا قبل لهم به، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل، ثم أخذه جعفر فقاتل حتى قتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين، فوجد في أحد نصفيه أحد وثلاثون جرحاً، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ اللواء، وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل ثمانية ممن يعرف من المسلمين، ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم. فلما أخذ اللواء خالد بن الوليد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الآن حمي الوطيس". فلما سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقوهم بالجرف، فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب، ويقولون: يا فرار، أفررتم في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليسوا بفرار ولكنهم كرار إن شاء الله تعالى".

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير، قال: لما تجهز الناس وتهيأوا للخروج إلى مؤتة، قال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي في مائة ألف منهم، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره بعدد عدونا، فسمع عبد الله بن رواحة، فقال: والله يا قوم إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدة ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور؛ وإما شهادة، فقال الناس: والله صدق ابن رواحة. فمضى الناس.

أخبرنا محمد بن ناصر، وعلي بن أبي عمر، قال: أخبرنا رزق الله وطراد، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن رشدان، أخبرنا ابن صفوان، حدثني أبو بكر القرشي، قال: حدثني أبي حدثنا عبد القدوس بن عبد الواحد الأنصاري، قال: حدثني الحكم بن عبد السلام بن النعمان بن بشير: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتل، دعى الناس: يا عبد الله بن رواحة، وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينهشه و لم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنت مع الدنيا ثم تقدم فقاتل ثم أصيبت إصبعه، فارتجز وجعل يقول:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقت

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذي حياض الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت إن تفعلي فعلها هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

ثم قال: يا نفس أي شيء تتوقين؟ إلى فلانة؟ فهي طالق ثلاثاً، وإلى فلان وفلان – عبيد له – فهم أحرار، وإلى معجف – حائط له – فهي لله ورسوله، ثم ارتجز وقال:

يا نفس ما لك تكرهين الجنه أقسمت بالله لتنزلنه

طائعة أو لتكرهنه قد طال ما قد كنت مطمئنه

هل أنت إلا نطفة في شنه قد أجلب الناس شدو الرنه

ومن الحوادث سرية عمرو بن العاص

إلى ذات السلاسل

وهي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام في جمادى الآخرة سنة ثمان.

قال علماء السير: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن جماعة من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف النبي صلى الله عليه

وسلم، فدعا صلى الله عليه وسلم، عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً، فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت علي مدداً وأنا الأمير، فأطاعه ثم لقي جمعاً فهربوا ثم قفل.

وفي هذه السرية: أجنب عمرو فصلى بأصحابه وهو جنب.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا حسن بن موسى، قال: حدثنا ابن لهيعة، قال: أخبرنا يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه قال: لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل، قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك. فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له، فقال: "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب" قال: قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله عز وجل: "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يقل شيئاً.

ومن الحوادث سرية الخبط

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار، وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رجب إلى حي من جهينة بالقبلية مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليال، فأصابهم في الطريق جوع شديد، فأكلوا الخبط، وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً، فأكلوا منه وانصرفوا و لم يلقوا كيداً.

أخبرنا يحيى بن علي المدبر، أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن محمد السمناني، أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن عبد الله بن مهدي، حدثنا عثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي، حدثنا أحمد بن شيبان، حدثنا سفيان، سمع عمر، وجابر ابن عبد الله يقول: بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح في طلب عير قريش، فأقمنا على الساحل حتى فني زادنا وأكلنا الخبط، ثم أن البحر ألقى إلينا دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منها نصف شهر حتى صلحت أجسامنا، وأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعها فنصبها ونظر إلى أطول بعير في الجيش وأطول رجل، فحمله عليه فجاز تحته. وقد كان رجل يجر ثلاث حرائر، ثم نهاه عنه أبو عبيدة. وكانوا يرونه قيس بن سعد.

قال المصنف: هو قيس بن سعد بلا شك، وله في ذلك قصة قد ذكرتها في ترجمته.

ومن الحوادث سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة

وهي أرض محارب بنجد في شعبان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا قتادة ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان، وأمره أن يشن عليهم الغارة، فسار الليل وكمن النهار، فهجم على حاضر منهم عظيم فأحاط بهم وقاتل منهم رجال، فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا النعم، فكانت، الإبل مائتي بعير، والغنم ألفي شاة، وسبوا سبياً كثيراً، وجمعوا الغنائم، فأخرجوا الخمس فعزلوه "وقسموا ما بقي على أهل السرية، فأصاب كل رجل اثنا عشر بعيراً، فصار في سهم أبي قتادة جارية وضيئة فاستوهبها منه رسول الله، فوهبها لي، فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لمحمية بن جزء. وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة.

ومن الحوادث سرية أبي قتادة الأنصاري

إلى بطن أضم في رمضان

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم – وبينها وبين المدينة ثلاثة برد – ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية وتذهب بذلك الأخبار، وكان في السرية محلم بن جثامة، فمر عامر بن الأضبط فسلم بتحية الإسلام، فأمسك عنه القوم، وحمل عليه مسلم، فقتله وأخذ سلبه، فلما لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فيهم القرآن: "يا أيها الذين أمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً". و لم يلقوا جمعاً فانصرفوا فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إلى مكة فلقوه بالسقيا.

ومن الحوادث غزاة الفتح وكانت في رمضان

قال علماء السير: لما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية كلمت بنو نفاثة – وهم من بني بكر – أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح، وعدوهم ووافوهم بالوتير متنكرين فيهم صفوان بن أمية، وحويطب، ومكرز فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارون، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم ندمت قريش على ما صنعت وعلموا أن هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه، فقام وهو يجر رداءه، ويقول: "لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي". وقدم أبو سفيان بن حرب فسأله أن يجدد العهد فأبى فانصرف فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخفى أمره، وقال: "اللهم خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغتة"، فلما أجمع السير كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بذلك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً والمقداد فأخذا كتابه ورسوله.

أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا سفيان، عن عمرو، قال: أخبرني حسن بن محمد بن علي، قال: أخبرني عبيد الله بن أبي رافع، وقال مرة: إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد، فقال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها". فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب

فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بمتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا حاطب ما هذا؟" قال: لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، و لم أكن من أنفسهم، وكان من كان، معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه قد صدقكم". فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "إنه شهد بدراً". وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

رواه أحمد وأخرجاه في الصحيحين.

قال العلماء في السير: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من العرب فجلهم أسلم وغفار ومزينة، وجهينة وأشجع وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه في الطريق وكان المسلمون في غزاة الفتح عشرة آلاف، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخرج يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر، وقد أقام الزبير في مائتين وعقد الألوية والرايات بقديد، ونزل مر الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف ناراً، و لم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان يتحسس الأخبار، وقالوا: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً.

فخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فلما رأوا العسكر أفزعهم، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم على الحرس تلك الليلة عمر بن الخطاب، فسمع العباس بن عبد المطلب صوت أبي سفيان، فقال: أبا حنظلة، فقال: لبيك. قال: فما وراءك؟

قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف، فأسلم ثكلتك أمك وعشيرتك، فأجاره وخرج به وبصاحبيه حتى أدخلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلموا وجعل لأبي سفيان أن من دخل داره فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير، فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال: ويحك إنه ليس بملك ولكنها نبوة، قال: نعم.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة أن يدخل من كداء، والزبير أن يدخل من

كدى، وخالد بن الوليد من الليط، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر، ونهى عن القتال غير أنه أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة: عكرمة بن أبي جهل فهرب ثم استأمنت له امرأته أم حكيم بنت الحارث فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهبار بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح فاستأمن له عثمان وكان أخاه من الرضاعة، ومقيس بن ضبابة قتله نميلة بن عبد الله الليثي، والحويرث بن نفيل بن قصي قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله ابن هلال بن حطل قتله أبو برزة وقيل سعيد بن حريث، وهند بنت عتبة فأسلمت، وسارة مولاة عمرو بن هاشم قتلت، وقريبة قتلت، وفرتنا أومنت حتى ماتت في خلافة عثمان. وكل الجنود لم يلقوا جمعاً غير خالد فإنه لقيه صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، وعكرمة في جمع من قريش بالخندمة، فمنعوه من الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم فقتل أربعة وعشرين رجلاً من قريش وأربعة أنفر من هذيل، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية أذاخر رأى البارقه فقال: "ألم أنه عن القتال؟" فقيل: خالد قوتل فقاتل. وقتل من المسلمين رجلان أخطآ الطريق: كرز بن جابر، وخالد الأشقر.

وضربت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة بالحجون، ودخل مكة عنوة، فأسلم الناس طائعين وكارهين، وطاف بالبيت على راحلته، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب في يده ويقول: "جاء الحق وزهق الباطل" فيقع الصنم لوجهه، وكان أعظمها هبل وهو وجاه الكعبة، فجاء إلى المقام وهو لاصق بالكعبة فصلى خلفه ركعتين ثم جلس ناحية من المسجد وأرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة أن يأتي بمفتاح الكعبة فجاء به عثمان فقبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح الباب ودخل الكعبة فصلى فيها ركعتين، وخرج يدعي عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح، وقال: "خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا يترعها منكم إلا ظالم". ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب، وأذن بلال بالظهر فوق الكعبة، وكسرت الأصنام، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى يومئذ ثمان ركعات.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبن أبي ليلى، قال: ما أخبرني أحد أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ، فإنها حدثته: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات ما رأته صلى صلاة قط أخف منها، غير أنه كان يتم الركوع والسجود.

أخرجاه في الصحيحين.

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني، فقال: "إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض..".

وخطب على الصفا، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا يبايع الناس على الإسلام، ثم بايع النساء، فجاءت هند متنكرة فبايعت، وجعلت تكسر صنمها وتقول: كنا منك في غرور.

وما صافح امرأة في البيعة، وإنما كان يقول بلسانه، وقال يوم الفتح: "لا هجرة ولكن جهاد ونية".

أخبرنا ابن الحصين بإسناد له عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "لا هجرة ولكن جهاد ونية" وجلس على الصفا.

أخبرنا عبد الحق، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد، أخبرنا محمد بن عبد الملك، حدثنا علي بن عمر الدارقطني، أخبرنا أبو القاسم بن منيع، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا سلام بن مسكين، عن ثابت، عن عبد الله بن رباح، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى مكة ليفتحها صعد الصفا، فخطب الناس، فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما ا الرجل فأخذته الرأفة بقومه والرغبة في قربته، فأنزل الله تعالى الوحي بما قالت الأنصار، فقال: "يا معشر الأنصار، تقولون أما الرجل فقد أدركته الرأفة بقومه والرغبة في قربته، فمن أنا إذن، كلا والله إني عبد الله ورسوله حقاً المحيا محياكم والممات مماتكم" قالوا: والله يا رسول الله ما قلنا ذلك إلا مخافة أن تفارقنا، قال: "أنتم صادقون عند الله وعند رسوله". قال: والله ما فيهم إلا من أبحر بالدموع.

وهرب يومئذ عبد الله بن الزبعرى، ثم عاد فأسلم، وهرب هبيرة بن أبي وهب وأقام كافراً.

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان فأقام بها خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ثم خرج إلى حنين، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلي بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر و حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي

أسامة، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح من أعلى مكة، وخرج من أسفل مكة.

ومن الحوادث في رمضان هذه السنة

سرية خالد بن الوليد إلى العزى

لخمس ليال بقين من رمضان

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى العزى ليهدمها، فخرج حتى انتهى إليها ثلاثين رجلاً فهدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "هل رأيت شيئاً؟" قال: لا، قال: "فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها" فرجع متغيظاً فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجز لها باثنتين ورجع فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "تلك العزى وقد أيست أن تعبد ببلادكم أبداً. وكانت بنخلة، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شيبان. قال مؤلف الكتاب: وقد اختلف العلماء في العزى على قولين؟ أحدهما: أنها شجرة كانت لغطفان يعبدونها. قاله مجاهد. والثاني: صنم. قاله الضحاك.

وفي رمضان أيضا كانت سرية عمرو بن العاص إلى سواع

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين فتح مكة إلى سواع، وهو صنم لهذيل، ليهدمه، قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه، قال: لا تقدر على هدمه، قلت: و لم؟ قال: تمنع، قلت: ويحك هل يسمع أو يبصر، فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته وقلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله عز وجل.

ومن الحوادث سرية سعد بن زيد الأشهلي

في رمضان أيضا إلى مناة بالمشلل

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة إلى مناة ليهدمها، وكانت المشلل للأوس والخزرج وغسان، فخرج في عشرين، فقال السادن: ما تريد؟ قال: هدمها، قال: أنت وذاك؟! فأقبل سعد يمشي إليها وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل الثبور وتضرب صدرها، فبصر بها سعد فقتلها وهدموا الصنم.
قال مؤلف الكتاب: وسعد هذا قد شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الحوادث

سرية خالد بن الوليد المخزومي إلى بني جديمة

بن كنانة وكان أسفل مكة على ليلة ناحية يلملم

وذلك أن خالداً لما رجع من هدم العزى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام، و لم يبعثه مقاتلاً، وذلك في شوال، فخرج في ثلاثمائة وخمسين، فلما وصل إليهم قال لهم: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا، وأذنا فيها قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا معهم، قال: فضعوا السلاح، فوضعوه، فقال: استأسروا، فاستأسروا، فأمر بعضهم يكتف بعضاً وفرقهم في أصحابه، فلما كان السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليجهز عليه بالسيف؟ فأما بنو سليم من أصحابه فقتلوا من كان معهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد". وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه فودى قتلاهم.

وفيها: أسلم أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وهشام بن الأسود، وحويطب بن عبد العزى، وشيبة بن عثمان، والنضر بن الحارث.

ومن الحوادث غزوة حنين

وحنين واد بينه وبين مكة ثلاث ليال وهي غزوة هوازن

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى
بعض وحشدوا وبغوا. وجمع أمرهم مالك بن عوف النصري، فأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأمهاتهم حتى نزلوا بأوطاس، وجعلت الأمداد تأتيهم، وأخرجوا معهم دريد بن الصمة وهو أعمى ابن سبعين ومائة سنة يقاد وهو في شجار، وهو مركب من أعواد يهيأ للنساء، فقال: بأي وادهم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم، مجال الخيل، لا حزن ضرس، ولا سهل دهس – أي لين – ما لي أسمع رغاء الإبل ويعار الشاء، قيل له: ساق مالك بن عوف مع الناس الظعن والأموال، فقال: ما هذا يا مالك؟ قال: أردت أن أحفظ الناس – يعني أذمرهم من الحفيظة أن يقاتلوا عن أهاليهم وأموالهم فانقض به – أي صفق بيده – وقال: راعي الضأن ماله وللحرب، وقال: أنت محل بقومك وفاضح عورتك – أي قد أبحت شرفهم – لو تركت الظعن في بلادهم والنعم في مراتعها، ولقيت القوم بالرجال على متون الخيل، والرجال بين أضعاف الخيل، ومقدمة ذرية، أما الخيل كان الرأي، والذرية مقدمة الخيل.
فأجمع القوم السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من المسلمين من أهل المدينة، وألفان من المسلمين من أهل مكة. فقال رجل: لا نغلب اليوم من قلة. وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المشركين كثر؛ منهم: صفوان ابن أمية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار منه مائة درع بأداها، فانتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال، فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب.
ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدرد، فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم، فلما كان من الليل عمد مالك إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين، فأوعز إليم أن يحملوا على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حملة واحدة، وعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في السحر وصفهم صفوفاً ووضع الألوية والرايات في أصحابه، فمع المهاجرين لواء حمله علي بن أبي طالب، وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب، ولواء الخزرج يحمله حباب بن المنذر، ولواء الأوس مع

أسيد بن حضير، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء التي تسمى الدلدل، ولبس درعين والمغفر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن شيء لم يروا مثله قط من الكثرة، وذلك في غبش الصبح، وحملوا حملة واحدة، فانهزم الناس، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله". ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العسكر وثاب إليه من انهزم، وثبت معه يومئذ علي، والفضل والعباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد في ناس من أهل بيته وأصحابه.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني كثير بن عباس بن عبد المطلب، عن أبيه العباس، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً قال: لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطب، فلزمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه وهو على بغلة شهباء، – وربما قال معمر: بيضاء – أهداها له فروة بن نعامة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار.

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها، وهو لا يألو ما أسرع

نحو المشركين، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بغرز رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عباس، ناد يا أصحاب السمرة". قال: وكنت رجلاً صيتاً، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البكر على أولادها. فقالوا: يا لبيك يا لبيك. يا لبيك، ووافاهم المسلمون فاقتتلوا هم والكفار، فنادت الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار. ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنادوا: يا بني الحارث بن الخزرج. قال: فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا حين حمي الوطيس". قال: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا ورب الكعبة، انهزموا ورب الكعبة". قال: فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله. قال: وكأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته.

قال أحمد: وحدثنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا يعلى بن عطاء، عن عبد الله بن سيار، عن أبي عبد الرحمن الفهري، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر، فنزلنا تحت ظلال شجرة، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي، فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاطه، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، حان الرواح، فقال: "أجل يا بلال" فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر، فقال: لبيك وسعديك وأنا فداؤك، فقال: "أسرج لي فرسي"، فأخرج سرجاً دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر، شال: فأسرج فركب وركبنا، فصادفناهم عشيتنا وليلتنا، فتشامت الخيلان فولى المسلمون مدبرين، كما قال الله عز وجل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله". ثم قال: "يا معشر المهاجرين، أنا عبد الله ورسوله" قال: ثم اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه فأخذ كفاً من تراب، فأخبرني الذي كان أدق إليه مني أنه ضرب به وجوههم، وقال: "شاهت الوجوه"، فهزمهم الله عز وجل.

قال يعلى بن عطاء: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً، وسمعنا صلصلة بين السماء والأرض كإمرار الحديد على الطست الحديد.

قال أحمد: وأخبرنا عارم، حدثنا معتمر بن سليمان التميمي قال سمعت أبي يقول: حدثنا السميط السدوسي، عن أنس بن مالك قال: لما فتحنا مكة غزونا حنيناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، فصف الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت، الغنم، ثم صفت النعم، قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد، قال: فجعلت خيولنا تلوذ خلف ظهورنا، قال: فلم تلبث أن انكشفت خيولنا وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس، قال: فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا للمهاجرين يا للمهاجرين"، ثم قال: "يا للأنصار يا للأنصار". قال أنس: هذا حديث عمه، قال: قلنا: لبيك يا رسول الله، قال،: فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة.

قال علماء السير: لما انهزموا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه منهم فحنق المسلمون عليهم فجعلوا يقتلونهم حتى قتلوا الذرية، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية، وكان سيماء الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أسدلوها بين أكتافهم. وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي عامر الأشعري لواء ووجهه في طلبهم، فمنهم من ذهب إلى الطائف ومنهم من ذهب إلى نخلة، وقتل أبو عامر ممن لحق تسعة ثم قتل، واستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري، فقاتلهم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف من سلك طريق نخلة قوماً فلقي منهم ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة، فقال له: ما تريد؟ قال: قتلك، ثم ضربه ربيعة فلم يغن شيئاً، فقال دريد: بئسما سلحتك أمك، خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإني كنت كذلك أقتل الرجال، فإذا أتيت أمك فقل: قتلت دريد بن الصمة، فقتله.

وكان في تلك الغزوة أم سليم معها خنجر.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا أبو أسامة، عن سليمان بن المضرة، عن ثابت، عن أنس، قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أم سليم، قال: يا رسول الله، ألم تر إلى أم سليم معها خنجر، فقال لها، رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تصنعين به يا أم سليم؟" قالت: أردت إن دنا مني أحد منهم طعنته به.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل فانتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلاً، وأحرم بعمرة ودخل مكة وطاف وسعى وحلق رأسه، ثم رجع إلى الجعرانة من ليله كبايت، ثم انصرف يوم الخميس إلى المدينة.

وجاء وفد هوازن فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عبد الله بن عمرو: سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمنن علينا، فقام رجل منهم من بني سعد بن بكر بن هوازن – وبنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقال له: زهير بن صرد: لو أنا سألنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ورجونا عطفه، ثم أنشد يقول:

أمنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وندخر

في أبيات أخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما أحب إليكم أبناؤكم ونساؤكم أم أموالكم"، فقالوا: نساؤنا وأبناؤنا، فقال: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فإذا أناصليت بالناس، فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم وأسأل لكم"، فقاموا وقالوا، فقال: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم"، فقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله، وقال الأنصار كذلك، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقال بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أمسك حقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم".

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد عن عبد الله بن جعفر، وابن أبي ميسرة وغيرهم، قالوا: قدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة بعد ما قسم الغنائم، وفي الوفد عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أبو برقان، فقال يومئذ: يا رسول إنما في هذه الحظائر من كان يكلأوك من عماتك وخالاتك وحواضنك، قد حضناك في حجورنا وأرضعناك ثدينا، ولقد رأيتك مرضعاً فما رأيت خيراً منك، ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ورأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير، ونحن مع ذلك أهلك وعشيرتك، فامنن علينا من الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون" وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السبي، وجرت فيه السهمان، وقدم عليه أربعة عشر رجلاً من هوازن مسلمين، وجاءوا بإسلام من وراءهم من قومهم، وكان رأس القوم والمتكلم أبو صرد زهير بن صرد، فقال يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك يا رسول الله، إنما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك، ولو ملحنا للحارث بن شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزلا منا مثل الذي نزلت به رجونا عطفهما علينا وأنت خير المكفولين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن خير الحديث أصدقه، وعندي من ترون من المسلمين، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟" قالوا: ما كنا نعدل بالأنساب شيئاً، فرد علينا أبناءنا ونساءنا، فقال: "أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وأسأل لكم الناس، فإذا صليت الظهر بالناس فقولوا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله، وإني سأقول لكم ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وسأطلب لكم إلى الناس".

فلما صلى الظهر قاموا فتكلموا بما قال لهم، فرد عليهم: "ما كان لي ولبني عبد المطلب" ورد المهاجرون ورد الأنصار، وسأل قبائل العرب فاتفقوا على قول واحد بتسليمهم برضاهم، ودفع ما كان بأيديهم من السبي إلا قوم تمسكوا بما في أيديهم فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إبلاً عوضاً عن ذلك.

قال علماء السير: وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد هوازن عن مالك بن عوف، فقالوا: هو بالطائف، فقال: "إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل" فبلغه فأتى وأسلم، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمله على

قومه وعلى من أسلم من حول الطائف.

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد السبي ركب وتبعه الناس يقولون: اقسم علينا الإبل والغنم حتى ألجأوه إلى شجرة فخطفت رداءه، فقال: "ردوا علي ردائي، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعماً لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً". ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجمعت، فكان السبي ستة آلاف رأس.

وقال مؤلف الكتاب: وقد ذكرنا أنه رد ذلك، وكانت الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم، وأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية، ومائة من الإبل، قال: ابني يزيد، قال: "أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل"، قال: ابني معاوية، قال: "أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل"، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه، أو أعطى النضر بن الحارث مائة من الإبل، وكذلك أسيد بن حارثة، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وقيس بن عدي، وحويطب، والأقرع بن حابس، وعيينة، ومالك بن عوف. وأعطى العلاء بن حارثة خمسين بعيراً، وكذلك مخرمة بن نوفل، وعثمان بن وهب، وسعيد بن يربوع، وهشام بن عمرو، وذلك كله من الخمس، وأعطى العباس بن مرداس أباعر، فلم يرض وقال:

أتجعل نهبي ونهب العـ ... نيد بين عيينة والأقرع

والعنيد اسم فرسه فزاده حتى رضي.

وكانت هذه القسمة بالجعرانة، وحينئذ تكلمت الأنصار، وقالوا: أما عند، القتال فنحن، وحينئذ قام ذو الخويصرة فقال: أعدل فإنك لم تعدل.

روى جابر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وهو يقسم الغنائم والتبر وهو في حجر بلال، فقام رجل فقال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا في أصحاب له، وإن أصحاباً لهذا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية".

قال مؤلف الكتاب: وهذا الرجل يعرف بذي الخويصرة.

ومن الحوادث

بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي بالبحرين يدعوه إلى الإسلام

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الجعوانة بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي وهو بالبحرين يدعوه إلى الإسلام، وكتب له كتاباً، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه: إني قد قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أعجبه الإسلام ودخل فيه ومنهم من كرهه، وما رضي يهود ومجوس، فأحدث إلي في ذلك أمرك. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية".

ومن الحوادث سرية الطفيل بن عمرو

السدوسي إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد المسير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف، فخرج فهدم ذا الكفين، وأخذ من قومه أربعمائة فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثعلبة فأجارهم.

ومن الحوادث في شوال غزوة الطائف

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من حنين يوم الطائف، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وقد كانت ثقيف رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، وتهيأوا للقتال. وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل حتى أصيب ناس من المسلمين، ورمي عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ فاندمل الجرح ثم انتقض به بعد ذلك فمات منه، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر". فخرج بضعة عشر رجلاً فيهم أبو بكرة فترل في بكرة، فقيل أبو بكرة و لم يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف، فأذن بالرحيل، فقال المسلمون: نرحل و لم يؤذن بفتح لنا، قال: "فاغدوا على القتال"، فقاتلوا وأصابتهم جراحات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا قافلون" فسروا بذلك.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن صعد، أخبرنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن ثور عن مكحول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً.

ومما جرى في هذا الحصار

ما أخبرنا به عبد الله بن علي المقري، ومحمد بن ناصر الحافظ، قالا: أخبرنا طراد بن محمد، أخبرنا أبو الحسن بن بشران، أخبرنا ابن صفوان، حدثنا أبو بكر القرشي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً في بيت أم سلمة وعنده مخنث جالس، فقالا لعبد الله بن أبي أمية أخي أم سلمة: يا عبد الله، إن فتح الله عليكم الطائف غداً أدلك على بنت غيلان امرأة من ثقيف تقبل بأربع وتدبر بثمان - يعني عكناها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل هذا عليكن".

قال مؤلف الكتاب: اسم هذا المخنث هيت وقيل: ماتع. وكان المخنثون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماتع، وهدر، وهيت.

إسلام عروة بن مسعود الثقفي.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمير الأسلمي، عن عبد الله بن أبي يحيى الأسلمي، عن من أخبره، قالوا: لم يحضر عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة حصار الطائف، كانا بجرش يتعلمان صنعة العرادات والمنجنيق والدبابات، فقدما وقد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف، فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات، واعتدا للقتال، ثم ألقى الله في قلب عروة بن مسعود الإسلام وغيره عما كان عليه، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذن في الخروج إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فقال: إنهم إذا قاتلوك؟ قال: لا أنا أحب إليهم من أبكار أولادهم، ثم استأذنه الثانية ثم الثالثة، فقال: إن شئت فاخرج.

فخرج إلى الطائف فقدم عشاء فدخل مترله فجاء قومه فحيوه بتحية الشرك، فقال: عليكم بتحية أهل الجنة السلام، ثم دعاهم إلى الإسلام، فخرجوا من عنده يأتمرون به، فلما طلع الفجر أوفى على غرفة له فأذن بالصلاة، فخرجت ثقيف من كل ناحية، فرماه رجل من بني مالك، يقال له أوس بن عوف فأصاب أكحله فلم يروا دمه، وقام غيلان بن سلمة وكنانة بن عبد يا ليل، والحكم بن عمرو، ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وساروا، فلما رأى ذلك عروة، قال: قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم، وهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي، ادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات فدفنوه معهم، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم، فقال: "قتله كقتل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله فقتلوه".

ومما جرى في مسير رسول إلى الطائف

أنهم مروا بقبر أبي رغال

أخبرنا محمد بن عمر الأرموي، قال: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر السكري، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن إسماعيل بن أمية بن أبي بكير يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف، فمررنا بقبر، فقال: "هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف، كان من ثمود، وكان هذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب، فإن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه". فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن.

وفي هذه السنة:

طلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق سودة، فجعلت يومها لعائشة فراجعها. كذا قال ابن حبيب الهاشمي.

وقال غيره: أراد طلاقها، فقالت: دعني أحشر في نسائك، واجعل يومي لعائشة.

وفيها: سال بطحان سيلاً عظيماً لم يسل في الجاهلية ولا الإسلام مثله.

وفيها: غلا السعر، فقالوا: سعر لنا.

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا سريج، ويونس بن محمد، قالا: أخبرنا حماد بن سلمة، عن قتادة وثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، لو سعرت لنا؟ قال: "إن الله هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال"

وفي هذه السنة ولد إبراهيم ابن رسول

الله صلى الله عليه وسلم من مارية وذلك في ذي الحجة

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا أبو الحسين بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا يعقوب بن محمد بن أبي صعصعه، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، قالوا: ولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاماً، فجاء أبو رافع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره، فوهب له عبداً وسماه إبراهيم، وعق عنه بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن في الأرض، وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد، وزوجها البراء بن أوس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي أم بردة فيقيل عندها ويرى إبراهيم. وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليهن حين رزق منها الولد.

قال محمد بن عمر حدثني ابن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله، عن أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجب مارية، وكانت قد ثقلت على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرن عليها ولا مثل عائشة.

قال محمد بن عمر وحدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن أنس، قال: لما ولد إبراهيم جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

قال محمد بن سعد: وحدثنا عفان، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت البناني، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولد لي الليلة غلام فسميته بأبي إبراهيم". قال: ثم دفعه إلى أم سيف – امرأة لصبي بالمدينة يقال له أبو سيف، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعته حتى انتهينا إلى أبي سيف، وهو ينفخ بكيره وقد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت في المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهينا إلى أبي سيف، فقلت: يا أبا سيف أمسك فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمسك ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبي فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول.

قال محمد بن عمر: وحدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي فقال: "انظري إلى شبهه بي" فقلت: ما أرى شبهاً، فقال: "ألا ترين إلى بياضه ولحمه"، فقلت: إنه من قصر عليه اللقاح أبيض وسمن.

وقال محمد بن سعد قال محمد بن عمر: وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة غنم تروح عليه ولبن لقاح له.

جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ومعه زوجته أسماء بنت عميس، فولدت له هناك عبد الله، ومحمداً، وعوناً، ولم يزل بالحبشة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر، فالتزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه، وقال: "ما أدري بأيهما أفرح، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر".

وقال له: "أشبهت خلقي وخلقي".

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر زيداً يوم مؤتة، وقال: "إن قتل فجعفر"، فقتل زيد فتقدم جعفر فقاتل حتى قتل، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأمهل آل عفر ثلاثاً، قال: "لا تبكوا على أخي بعد اليوم" وقال "إن له جناحين يطير بهما حيث شاء من الجنة".

الحويرث بن عبد الله بن خلف بن مالك بن عبد الله، وهو الملقب بأبي اللحم وكان قد أبى أكل ما ذبح على الأصنام، وقتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين.

زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس، يقال له الدفي وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية، فمروا على أبيات بني معن، فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرض للبيع، فاشتراه حكيم بن حرام لعمته خديجة بأربع مائة درهم، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له، وكان أبو حارثة حين فقد قال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً ... أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل

وإن هبت الأرياح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه ويا وجل

سأعمل نص العيش في الأرض جاهداً ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي علي منيتي ... وكل امرئ فإن وإن غره الأمل

وأوصي به قيساً وعمراً كليهما ... وأوصي يزيداً ثم من بعدهم جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه، فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفوا زيداً وعرفوه، فقال: بلغوا أهلي عني هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي، فقال:

ألكني إلى قومي وإن كنت نائياً ... بأني قطين البيت عند المشاعر

فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر

فانطلقوا فأعلموا أباه فخوج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، فقدما به مكة فسألا. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل هو في المسجد، فدخلا إليه فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه فإنا سنرفع لك في الفداء، قال: "من هو؟"، قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهلا غير ذلك؟" قالوا: ما هو، قال: "دعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً"، قالوا: قد زدتنا على النصفة وأحسنت، فدعاه فقال: "هل تعرف هؤلاء؟" قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: "فأنا من قد علمت ورأيت محبتي لك، فاخترني أو اخترهما"، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً أنت مني بمكان الأب والعم، قالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك، قال: نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال: "يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني"، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا، فدعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام، وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، فلما طلقها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلم الناس في ذلك، وقالوا: تزوج امرأة ابنه، فأنزلت: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" الآية، وقال: "ادعوهم لآباءهم"، فدعي يومئذ زيد بن حارثة.

قال مؤلف الكتاب: أخبرنا بهذا كله أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه، قال: أخبرنا أبو الحسين بن معروف، قال: أخبرنا الحسن بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد.

وقال محمد بن سعد: وأخبرنا الواقدي، قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين زيد عشر سنين، رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منه، وكان زيد رجلاً قصيراً آدم شديد الأدمة في أنفه فطس، وكان يكنى أبا أسامة.

وقال الزهري: أول من أسلم زيد.

قال أهل السير: وشهد بدراً وأحداً، والخندق والحديبية وخيبر، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى المريسيع، وخرج أميراً في سبع سرايا، و لم يسم أحد في القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه غيره، وكان له من الولد زيد – هلك صغيراً – ورقية، أمهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأسامة أمه أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقتل في غزاة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة.

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت أكبر بناته وأول من تزوج منهن، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع، فولدت له علياً، وأمامة. وأسلمت زينب وهاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبى أبو العاص أن يسلم، ثم أسر في بعض المشاهد فدخل عليها فاستجار بها فأجارته، ثم بعث بفدائه ثم أسلم، فردها إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنكاح جديد، وفي رواية: بنكاحها الأول.

توفيت زينب في أول هذه السنة، فغسلتها أم أيمن، وسودة، وأم سلمة.

سراقة بن عمرو بن عطية شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضية، وقتل يوم مؤتة.

شهر براز قتل أردشير بن شيرويه وملك مكانه أربعين يوماً ثم قتل.

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة، أبو محمد شهد العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء الإثني عشر، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضية. واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى غزاة بدر الموعد.

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة في عمرة القضية كان آخذاً بزمام ناقته عند الكعبة، وهو يقول:

خلو بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تأويله

وسبقت الأبيات: أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا ثابت بن بندار، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد، أخبرنا أبو سعيد السيرافي، قال: حدثني محمد بن منصور بن مزيد النحوي، حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني خالد بن وضاح، عن أبي الحصيب عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان يقول كثيراً: ما سمعت بأحد أجرأ ولا أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة، يوم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له: قل شعراً، أسمعنيه الساعة ثم أنده بصره، فانبعث ابن رواحة مكانه يقول:

إني تفرست فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر

يثبت الله ما أتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة". قال هشام: فثبته الله أحسن الثبات.

قتل شهيداً وفتحت له الجنة ودخلها.

استشهد ابن رواحة بمؤتة، وكان ذلك في سنة ثمان.

قال مؤلف الكتاب: وقد ذكرنا بعض أخباره في الحوادث.

عبادة بن قيس بن عبسة، عم أبي الدرداء شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر، وقتل يوم مؤتة وله أربعون سنة.

عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقتل يوم الطائف شهيداً.

ثم دخلت سنة تسع من الهجرة

فمن الحوادث فيها:

سرية عيينة بن حصن الفزاري

إلى بني تميم في المحرم

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عيينة في خمسين فارساً ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري. فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء فدخلوا وسرحوا مواشيهم فهربوا، وأخذ منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين

صبياً فحبسوا بالمدينة، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم منهم: عطاود بن حاجب، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس.

فلما رأوهم بكى إليهم النساء والذراري، فعجلوا فجاءوا إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم، فنادوا: يا محمد أخرج إلينا، فترل فيهم: "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون" فرد عليهم الأسراء والسبي.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا، أبو عمرو بن حيويه، قال: حدثنا أبو الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن سعيد بن عمرو، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر بن سفيان ويقال: النحام على صدقات بني كعب،

فاستكبر ذلك بنو تميم وشهروا السيوف، فقدم الصدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: من هؤلاء القوم، فانتدب لهم عيينة فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين فارساً من الحرب لير فيهم مهاجري ولا أنصاري، فأغار عليهم فأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً، فجلبهم إلى المدينة فقدم فيهم عدة من رؤساء بني تميم: عطارد بن حاجب، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن عاصم بن الحارث، ونعيم بن سعد، والأقرع بن حابس، ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين، فدخلوا المسجد وقد أذن بلال الظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجلوا واستبطأوا فنادوه: يا محمد أخرج إلينا، فخرج فأقام بلال الصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاه الظهر ثم أتوه، فقال الأقرع: ائذن لي فوالله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت ذاك الله تعالى". ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فخطب خطيبهم وهو عطارد بن حاجب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس: أجبه، فأجابه ثم قالوا: يا محمد ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فأنشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: أجبه، فأجابه بمثل شعره، فقالوا والله لخطيبه أبلغ من خطيبنا ولشاعره أبلغ من شاعرنا، ولهم أحلم منا، فترل فيهم: "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم: "هذا سيد أهل الوبر"، ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي، وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفود.

وفي هذه السنة تتابعت الوفود

قدوم وفد فزارة أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عمر الجمحي، عن أبي وجزة السعدي، قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك – وكانت سنة تسع – قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً – فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس – أو قيل الجد بن قيس – بن حصن – على ركاب عجاف، فجاءوا مقرين بالإسلام، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم، فقال أحده: يا رسول الله أسنتت بلادنا، وهلكت مواشينا، وأجدب جنابنا، وغرث عيالنا، فادع لنا ربك، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، ودعا فقال: "اللهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً مطبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير

ضار، اللهم اسقنا سقيا رحمة لا سقيا عذاب، ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء". فمطرت فما رأوا السماء ستاً، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فدعا، فقال: "اللهم حوالينا ولا علينا، على الآكام، والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر". قال: فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب.

وفد تجيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبالإسناد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا عبد الله بن عمرو بن زهير، عن أبي الحويرث، قال: قدم وفد تجيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "مرحباً بكم" وأكرم مترلتهم وحياهم، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم، وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد، وقال: "هل بقي منكم أحد؟" قالوا: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً قال: "أرسلوه إلينا"، فأقبل الغلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني امرؤ من بني أبناء الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي، قال: "ما حاجتك؟"، قال: أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي، فقال: "اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه" ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم بمنى سنة عشر، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلام، فقالوا: ما رأينا مثله أقنع منه بما رزقه الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو أن نموت جميعاً".

وفيها قدم وفد بني أسد وقالوا: أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء، و لم تبعث لنا بعثاً، فترلت فيهم: "يمنون عليك أن أسلموا".

وفيها قدم وفد كلاب فيهم لبيد بن ربيعة، وجبار بن سلمى، قالوا: إن الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله وبسنتك التي أمرته، ودعانا إلى الله عز وجل فاستجبنا لله ولرسوله وإنه أخذ الصدقة من أغنيائنا فردها على فقرائنا.

وفيها قدم وفد بلي في ربيع الأول، فترلوا على رويفع بن ثابت البلوي.

وفيها قدم وفد عروة بن مسعود الثقفي فأسلم، وقد سبق خبره فيما ذكرنا.

وفيها قدم وفد الداريين من لخم وهم عشر: هانئ بن حبيب، والفاكه بن النعمان وجبلة بن مالك، وأبو هند بن ذر، وأخوه الطيب سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتميم بن أوس، ونعيم بن أوس، ويزيد بن قيس، وعزيز بن مالك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، وأخوه مرة.

وفيها قدم وفد الطائف مع عبد يا ليل بن عمرو، فأسلموا، وذلك في رمضان.

وفيها قدم وفد بهراء ثلاثة عشر رجلاً، ونزلوا على المقداد بن عمرو.

وفيها قدم وفد البكاء وفيها قدم وفد طيء ووفد سعد هزيم وهم من أهل اليمن. أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا ابن رزق، حدثنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا محمد بن عباد بن موسى، عن هشام بن الكلبي عن فروة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب، عن أبيه، عن جده، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه وفد أهل اليمن، فقالوا: يا رسول الله، لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس، فقال: "وما هما؟"، قالوا: أقبلنا نريدك إذا كنا بموضع كذا وكذا أخطأنا الماء، فكنا لا نقدر عليه، فانتهينا إلى موضع طلح وسمر، فانطلق كل رجل منا إلى أصل شجرة ليموت في ظلها، فبينا نحن في آخر رمق إذا راكب قد أقبل، فلما رآه بعضنا تمثل بهذه الأبيات:

ولما رأت أن الشريعة همها   وأن البياض في فرائضها دامي

تيممت العين التي عند ضارج   يفيء عليهما الظل عرمضها طامي

فقال الراكب: من يقول هذا الشعر؟ فقال بعضنا: امرؤ القيس، فقال: هذه والله ضارج أمامكم، وقد رأى ما بنا من الجهد، فرجعنا إليها فإذا بيننا وبينها نحو من خمسين ذراعاً، وإذا هي كما وصف امرؤ القيس: عليها العرمض يفيء عليها الظل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك رجل مشهور في الدنيا خامل في الآخرة، مذكور في الدنيا منسي في الآخرة، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار".

وفيها بعث رسول الله الوليد بن عقبة

بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم

وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد، فلما سمعوا بدنوه خرج منهم عشرون يتلقونه بالجزر والغنم فرحاً به، فلما رآهم ولى راجعاً إلى المدينة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح، فهم أن يبعث من يغزوهم، فقدموا لما بلغ الخبر، ونزلت: "إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا...". وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عباد بن بشر يأخذ صدقاتهم.

وروي عن ضرار الخزاعي، قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، ارجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً لا تأت كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الأبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخط من الله ورسوله، فدعى بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتاً يرسل رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت فانطلقوا فنأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث، وأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وقد فصل من المدينة، فلقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال: إلى من بعثتم؟ قالوا إليك، قال: و لم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني.

فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "منعت الزكاة وأردت قتل رسولي قال: والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ولا أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن تكون قد كانت سخطة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فنزلت: "يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة..." الآية.

وفيها سرية قطبة بن عامر بن حديدة

إلى خثعم في صفر

روى كعب بن مالك، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بناحية تبالة، وأمره أن يشن الغارة عليهم، فانتهوا إلى الحاضر وقد ناموا وهدأوا، فكبروا وشنوا الغارة، فوثب القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجراح في الفريقين جميعاً وكسرهم أصحاب قطبة فقتلوا من قتلوا وساقوا النعم والشاء إلى المدينة، فأخرج منه الخمس، ثم كانت سهامهم بعد ذلك أربعه أبعرة لكل رجل، والبعير يعدل بعشر من الغنم. وكانت هذه السرية في صفر سنة تسع. قال ابن سعد: قال أبو معشر: رمى قطبة بن عامر يوم بدر بحجر بين الضفين، ثم قال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر، وبقي قطبة حتى توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وليس له عقب.

وفيها سرية الضحاك بن سفيان الكلابي

إلى بني كلاب في ربيع الأول

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً إلى القرطاء عليهم الضحاك بن سفيان يدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم.

وفيها سرية علقمة بن مجزز المدلجي

إلى الحبشة في ربيع الآخر.

وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناساً من الحبشة قد أتاهم أمل جدة، فبعث إليهم علقمة في ثلاثمائة فهربوا منه، فتعجل بعض القوم: إلى أهلهم، وكان فيمن تعجل عبد الله بن حذافة، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من تعجل، وكانت فيه دعابة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً فقال: عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار، فهم بعضهم بذلك، فقال: أنا كنت أضحك معكم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "من أمركم بمعصية فلا تطيعوه".

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، قال: فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: اجمعوا حطباً، ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها. قال: فهم القوم بدخولها. قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. قال: فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال لهم: "لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنما الطاعة بالمعروف".

قال مؤلف الكتاب: أخرجاه في الصحيحين، وهذا الأمير الذي قال لهم عبد الله بن حذافة، وقول الراوي رجل من الأنصار غلط، إنما هو من بني سهم.

وفيها سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفلس وهو صنم طيء ليهدمه

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علياً في خمسين ومائة من الأنصار في مائة بعير وخمسين فرساً إلى صنم طيء ليهدمه في ربيع الآخر، وبعث معه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة وخربوا الفلس، وأخذوا سيفين كانوا في بيت الصنم، وملأوا أيديهم من السبي والنعم، وكان في السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام وروى محمد بن إسحاق، عن شيبان بن سعد الطائي، قال: كان عدي بن حاتم يقول: ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني أما أنا فكنت نصرانياً، وكنت شريفاً في قومي، فلما سمعت بجيوش محمد احتملت أهلي وولدي لألحق بأهل ديني من النصارى وخلفت ابنة حاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبي طيء، فجعلت في حظيرة بباب المسجد كانت تحبس بها السبايا، فلما مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت إليه، فقالت: هلك الوالد، وغاب الوافد، فأمنن علي من الله عليك، قال: "فمن وافدك؟" قالت: عدي بن حاتم، قال: "الفار من الله ورسوله"، ثم مضى، ثم عاد من الغد، فقالت مثل ذلك، فقال: "قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك"، فلما رأت ثقة أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكساها وحملها وأعطاها نفقة، فقدمت على عدي فجعلت تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك، قال: والله مالي عذر، ما ترين في هذا الرجل، قالت: أرى والله أن تلحق به، فأتيته فقال: "من الرجل؟" فقلت: عدي بن حاتم، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فوقف لها طويلاً، فقلت: ما هذا بملك. ثم مضى حتى دخل بيته، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إلي وجلس على الأرض، فقلت: ما هذا بأمر ملك، فأسلمت.

ومن الحوادث سرية عكاشة بن محصن الأسدي

إلى الجناب

أرض عذرة وبلي وذلك في ربيع الآخر.

وفيها هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

وقال: ما أنا بداخل عليكن شهراً. قال مؤلف الكتاب: وفي سبب ذلك قولان: أحدهما: أنه حين حرم أم إبراهيم أخبر بذلك حفصة واستكتمها، فأخبرت بذلك.

والثاني: أنه ذبح ذبحاً فقسمته عائشة بين أزواجه، فأرسلت إلى زينب بنت جحش بنصيبها، فردته، فقال: زيدوها، فزادوها ثلاثاً كل ذلك ترده، فقال: "لا أرضى عليكن شهراً". فاعتزل في مشربة له، ثم نزل لتسع وعشرين، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله، كنت أقسمت ألا تدخل علينا شهراً، وإنما أصبحت من تسع وعشرين أعدها عداً، فقال: "لم الشهر تسع وعشرون" وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين.

وفي هذه السنة كانت غزوة تبوك

وذلك في رجب

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت جموعاً كبيرة، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب ليستنفرهم، وذلك في حر شديد، وخلف علي بن أبي طالب على أهله، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، وجاء البكاؤون يستحملونه.

واختلف في عددهم وأسماءهم؟ فروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: هم ستة: عبد الله بن معقل، وصخر بن سلمان. وعبيد الله بن كعب، وعلية بن زيد، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة.

وذكر محمد بن مسلمة مكان صخر بن سلمان، سلمة بن صخر، ومكان ثعلبة بن غنمة، عمرو بن غنمة، قال: وقيل منهم معقل بن يسار.

وروى ابن إسحاق عن أشياخ له: أن البكائين سبعة من الأنصار: سالم بن عمير، وعلية بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحمام، وعبد الله بن معقل، وبعض الناس تقول عبد الله بن عمرو المؤني، وعرباض بن سارية، وهرمي بن عبد الله.

وقال مجاهد: نزلت في بني مقرن، وهم سبعة وقد ذكرهم محمد بن سعد، فقال: النعمان بن عمرو بن مقرن، وسنان بن مقرن، وعقيل بن مقرن، وعبد الرحمن بن مقرن، وعبد الرحمن بن عقيل بن مقرن، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا أجد ما أحملكم عليه" فولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً.

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف من غير علة فأذن لهم وهم بضعة وثمانون رجلاً، وجاء المعذرون من الأعراب، فاعتذروا فلم يعذرهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً، وكان عبد الله بن أبي قد عسكر في حلفائه من اليهود والمنافقين على ثنية الوداع، واستخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة محمد بن مسلمة، وجاء واثلة بن الأسقع فبايعه ثم لحق به، فلما سار تخلف عبد الله، بن أبي ومن معه، وبقي نفر من المسلمين، منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة السالمي، وأبو ذر الغفاري فقدم تبوكاً في ثلاثين ألفاً من الناس، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، وكان على حرسه عباد بن بشير، ولقوا في الطريق شدة.

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدثنا عن ساعة العسرة، قال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فترلن مترلاً أصابنا فيه عطش شديد ظننا أن رقابنا ستقطع حتى أن الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تتقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال: "تحب ذلك"، قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعها حتى قالت السماء فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

وفي هذه السفرة: اشتد بهم العطش ومعهم أداوة فيها ماء فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في إناء ففاضت حتى روي العسكر

وهم ثلاثون ألفاً، والإبل اثنا عشر ألفاً، والخيل عشرة آلاف.

وفيها: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر من أرض ثمود، واستقى الناس من أبيارهم فنهاهم.

قال ابن عمر: إن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ثمود الحجر فاستسقوا من أبيارها وعجنوا به، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا من أبيارها وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من النهر التي كانت ترده الناقة.

أخرجاه في الصحيحين.

فصل قال علماء السير: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين ليلة، ولحقه أبو خيثمة وأبو ذر، وكان أبو خيثمة قد رجع من بعض الطريق، فوجد امرأتين له، قد هيأت كل واحدة منهما عريشاً وبردت فيه ماء وهيأت طعاماً، فوقف فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح وأبو خيثمة في ظلال وماء بارد، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم. فلحقه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يلق كيداً، وكان هرقل يومئذ بحمص.

فصل

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربع مائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وكان أكيدر قد ملكهم وكان نصرانياً، فانتهى إليه خالد بن الوليد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان، فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر، وامتنع أخوه حسان فقاتل حتى قتل وهرب من كان معه، فدخل الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح، فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفياً خالصاً، ثم قسم الغنائم، فأخرج الخمس ثم قسم ما بقي فقدم به وبأخيه على النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم أكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له هدية وصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما وكتب لهما كتاباً فيه أمانهم.

وفي طريق رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من تبوك قال من قال من المنافقين: إنما كنا نخوض ونلعب.

وروى صالح عن ابن عباس: أن جد بن قيس، ووديعة بن خدام والجهير بن حمير كانوا يسيرون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك، فجعل رجلان منهم يستهزئان برسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث يضحك مما يقولان ولا يتكلم بشيء، فترل جبريل فأخبره بما يستهزئون به ويضحكون منه، فقال لعمار بن ياسر: "إذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه، وقل لهم أحرقكهم الله" ولما سألهم وقال لهم: أحرقكم الله، وعلموا أنه قد نزل فيهم قرآن، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الجهير: والله ما تكلمت بشيء وإنما ضحكت تعجباً من قولهم، فترل قوله: "لا تعتذروا" – يعني جد بن قيس ووديعة – أن نعف عن طائفة منكم – يعني الجهير – نعذب طائفة" – يعني الجد ووديعة.

وفي طريق رجوعه من تبوك، قال: إن بالمدينة أقواماً.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: حدثنا الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسن بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثنا حميد الطويل، عن أنس، قال: رجعنا من غزاة تبوك فلما دنونا من المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بالمدينة أقواماً ما سرتم

مسيرا ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم"، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: "نعم حبسهم العذر".

فصل فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في رمضان، وجاءه من تخلف فعذرهم واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه حتى نزلت توبتهم وجعل الناس يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم، وقال: "لا تزال طائفة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الرجال".

فأما قصة كعب وصاحبيه

أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله، عن عمه محمد بن مسلم الزهري، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث بحديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فقال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر و لم يعاتب أحد تخلف عنها لأنه إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أشهر في الناس منها وأذكر، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك لأني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزاة يغزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزاة، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمره ليتأهبوا أهبة عدوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان، فقال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم يترل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل، وأما النهار أصغر، فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معه فأرجع و لم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل كذلك يتمادى بي حتى شمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه، و لم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد ما فصلوا لأتجهز، فرجعت و لم أقض شيئاً من جهازي، ثم غدوت فرجعت و لم أقض شيئاً من جهازي، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارض الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم، وليت أني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفت فيهم يحزنني أن لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذره الله، و لم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك"، قال رجل من بني سلمة: حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك

حضرني بثي فطفقت أتفكر الكذب وأقول.بماذا أخرج من سخطه، غداً أستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي: "تعال"، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلفك؟ ألم تكن قد استمر ظهرك؟ قال: فقلت: يا رسول الله، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني أخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً ولكنه والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم، بكذب ترضى به عني ليوشكن الله تبارك وتعالى يسخطك علي، ولئن حدثتك اليوم بصدق تجد علي فيه إني لأرجو قرة عيني عفواً من الله تعالى، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله تبارك وتعالى فيك".

فقمت وبادرت رجالاً من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون، لقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، ثم قال: والله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي. قال،: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: فقلت لهما: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فقلت: لي فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي، قال: ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، قال: وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكنا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه بعد الصلاة فأسلم فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا، ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا أطال على ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله، قال: فسكت، قال: فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي ونزلت حتى تسورت الحائط.

فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا بنبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك. قال: فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاء، فدفع إلي كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً، فإذا فيه: أما بعد،. فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك و لم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

قال فقلت حين قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء. قال: فتيممت بها التنور فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها فلا تقربها. قال: وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله إن هلالاً شيخ ضائر ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا ولكن لا يقربنك" قالت: فإنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما يزال يبكي من لدن أن كان من أمرك ما كان إلى يومه

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أدري ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل شاب.

قال فلبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تبارك وتعالى منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت الأرض بما رحبت، سمعت صارخاً أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي يبشرون، وركض إلي رجل راكب فرساً، وسعى ساع من أسلم وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشارته، ووالله ما أملك غيرهما يومئذ، فأستعرت ثوبين، فلبستهما فانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنؤني بالتوبة يقولون يهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره.

قال فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال وهو يبرق وجهه من السرور: !"أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك" قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله، قال: "لا بل من عند الله". قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أتخلع من مالي صدقة إلى الله تعالى، وإلى رسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك بعض مالك فهو خير لك". قال: فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله إنما نجاني الله تعالى بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت. قال: فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تبارك وتعالى، والله ما تعمدت كذباً منذ قلت ذلك لرسول الله: إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: وأنزل الله تبارك وتعالى: "لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين".

قال كعب: فوالله ما أنعم الله تبارك وتعالى علي من نعمة قط بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين كذبوه، فإن الله تبارك وتعالى قال للذين كذبوه حين

أنزل الوحي شر ما يقال لأحد، فقال الله تعالى: "سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى على القوم الفاسقين".
قال: وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم فأرجئ رسول الله أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه، فبذلك قال الله تعالى: "وعلى الثلاثة الذين خلفوا" وليس تخليفه إيانا، وإرجاءه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.
قال مؤلف الكتاب: أخرجاه في الصحيحين.
وقوله: "تفارض الغزو"، أي: تقدم وتباعد، وربما قرأه من لا يعرف، فقال: "العدو" وأطل بالطاء ومعناه دنا، وقوله: "رجلين شهدا بدراً"، وهم من الزهري، فإنهما لم يشهدا بدراً.

ومن الحوادث إسلام خريم بن أوس

ومن الحوادث بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إسلام خريم بن أوس وامتداح العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبياته المعروفة.
أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدثني أبو الشيخ الأصبهاني، حدثنا زكريا بن يحيى بن عمر بن حصين، قال: حدثني عم أبي زحر بن حصين، عن جده حميد بن شهاب، قال: قال خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدمت عليه منصرفه من تبوك، فأسلمت، وسمعت العباس يقول: يا رسول الله. إني أريد أن أمتدحك "فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل لا يفضض الله فاك"، فأنشأ العباس رضي الله عنه يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى انتهى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك المضيا وفي ... النور لسبل الرشاد نخترق

ومن الحوادث فيها بعد مقدمه من تبوك

قدم عليه كتاب ملوك حمير بإسلامهم

فروى بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر؛ وبعث إليه زرعه بن ذي يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر أما بعد، فإني أحمد الله إليكم الله، الذي لا إله إلا هو، فإنه وقع إلينا رسولكم مقفلنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم وخبر ما قلتم، وأنبأنا بإسلامكم وإسلام من قبلكم من المشركين، وأن الله قد هداكم بهدايته، إن أصلحتم وأطعمتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس الله، وخمس نبيه وصفيه، وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة، ومن كان على يهوديته ونصرانيته فإنه لا يغير عنها وعليه الجزية.

أما بعد فإن رسول الله محمداً أرسل إلى زرعة بن ذي يزن أن إذا أتتكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن مالك، وأميرهم معاذ بن جبل، فلا يتقلبن إلا راضياً، ثم إن مالك بن مرة حدثني أنك قد، أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيراً.

وفي هذه السنة حج أبو بكر رضي الله عنه

بالناس في ذي الحجة

قاله محمد، وقال مجاهد: وافقت حجة أبي بكر ذي القعدة، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام القابل في ذي الحجة، وذلك حين قال: "إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض" وذلك أن العرب كانوا يستعملون النسيء فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، ثم كذلك حتى تتدافع الشهور فيستدير التحريم على السنة كلها، فوافقت حجة أبي بكر ذي القعدة.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله على الحج، فحج في ثلاثمائة رجل، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بدنة، فلما كان بالعرج لحقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقته القصواء، فقال أبو بكر: استعملك رسول الله على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده، فمضى أبو بكر فحج بالناس،. وقرأ علي رضي الله عنه براءة، وقال: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم رجعا قافلين إلى المدينة.

روى أبو سعيد الخدري، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الموسم، وبعث بسورة براءة وأربع كلمات إلى الناس، فلحقه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في الطريق، فأخذ علي رضي الله عنه السورة والكلمات وكان يبلغ وأبو بكر على الموسم، فإذا قرأ السورة نادى: لا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى مدته.

فلما رجعا قال أبو بكر رضي الله عنه: ما لي هل نزل في شيء؟ قال: لا إلا خيراً، قال: وما ذاك؟ قال: إن علياً رضي الله عنه لحق بي فأخذ مني السورة والكلمات،. قال: أجل لم يكن يبلغها إلا أنا أو رجل مني.

وفيها أمر رسول الله بهدم مسجد الضرار

وذاك أنه لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فيه حسدهم أخوتهم بنو غنم بن عوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي فيه وليصلي أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، فأخبر الله عز وجل رسوله فأمر بهدمه وإحراقه.

وفيها رجم الغامدية

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن المهاجر، قال: حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: إني كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من غامد، فقالت: يا نبي الله، إني قد زنيت وأنا أريد أن تطهرني، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "ارجعي". فلما أن كان من الغد أتته أيضاً فاعترفت عنده بالزنا، فقالت: يا رسول الله، إني زنيت وأنا أريد أن تطهرني، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "ارجعي"، فلما أن كان من الغد أتته أيضاً فاعترفت عنده بالزنا، فقالت: يا نبي الله، طهرني فلعلك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك، فوالله إني لحبلى، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "ارجعي حتى تلدي".

فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله، فقالت: يا نبي الله، ها قد ولدت، قال: "فاذهبي فارضعيه حتى تفطميه"، فلما فطمته جاءت بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: يا نبي الله، ها قد فطمته، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبي فدفعه إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفيره فجعلت فيها إلى صدرها، ثم أمر الناس أن يرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجنة خالد فسبها، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبه إياها، فقال: "مهلاً يا خالد بن الوليد، لا تسبها، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له" فأمر بها فصلي عليها ودفنت.

وفيها لاعن رسول الله بين عويمر بن الحارث وبين امرأته

بعد العصر في مسجد النبي وكان قد قذفها بشريك بن سحماء

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

النجاشي واسمه أصحمة وهو الذي هاجر إليه المسلمون وأسلم وله الأفعال الحميدة، والإعانة للمسلمين، وهو الذي أمهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته أم حبيبة، وتوفي في رجب هذه السنة.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا يحيى، عن مالك، قال: حدثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المصلى، فصف أصحابه خلفه وكبر عليه أربعاً.

وروى أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة فلما نزلت: "تبت يدا أبي لهب "، قال أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته، ففارقها و لم يكن دخل بها. فلم تزل بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت،

فلما توفيت رقية خلف عليها عثمان بن عفان في ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة، وأدخلت عليه في جمادى الآخرة، فماتت عنده في شعبان هذه السنة، فغلستها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب، وأم عطية، ونزل في حفرتها أبو طلحة.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، قال: أخبرنا أبو الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني فليح، عن هلال بن أسامة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالساً على قبرها، ورأيت عينيه تدمعان، فقال: "فيكم أحد لم يقارف الليلة"؟ فقال أبو طلحة: أنا يا رسول الله، قال: "إنزل".

سهيل بن بيضاء قال المصنف: هي أمه، واسمها دعد بنت جحدم، وأبوه وهب بن ربيعة بن هلال، ويكنى أبا موسى.

شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك وهو ابن أربعين سنة، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد.

وكان أسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وسهيل بن بيضاء.

عبد الله بن عبد نهم بن عفيف، ذو النجادين أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسن بن معروف، قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، عن أشياخه، قال: كان ذو النجادين يتيماً لا مال له، مات أبوه و لم يورثه شيئاً، فكفله عمه حتى أيسر، وكان له إبل وغنم ورقيق، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه لأجل عمه حتى مضت السنون والمشاهد، فقال لعمه: يا عم، إني انتظرت إسلامك فلم أرك تريد محمداً، فأذن لي في الإسلام، فقال: والله لئن اتبعت محمداً لا أترك بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلا نزعته منك حتى ثوبيك، فقال: فأنا والله متبع محمداً وتارك عبادة الحجر والوثن، وهذا ما بيدي فخذه. فأخذ كل ما أعطاه حتى جرده من إزاره، فأتى أمه فقطعت له نجاداً لها باثنين، فأترز بواحدة، وارتدى الآخر، ثم أقبل إلى المدينة، وكان بروقان – وهو جبل من جبال مزينة – فاضطجع في المسجد في السحر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، وكان يتصفح وجوه الناس إذا انصرف من الصبح، فنظر إليه فأنكره، فقال: "من أنت؟ "فانتسب له، وكان اسمه عبد العزى، فقال: "أنت عبد الله ذو النجادين"، ثم قال: "انزل مني قريباً. فكان في أضيافه، ويعلمه القرآن حتى قرأ قرآناً كثيراً، وكان رجلاً صيتاً، فكان يقوم في المسجد فيرفع صوته بالقراءة، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن، قد منع الناس القراءة، فقال: "دعه يا عمر فإنه خرج مهاجراً إلى الله وإلى رسوله". ثم خرجوا إلى تبوك، قال ذو النجادين: يا رسول الله أدع الله لي بالشهادة أبغني لحا سمرة، فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عضده، وقال: "اللهم إني أحرم دمه على الكفار"، قال: يا رسول الله، ليس هذا أردت، قال: "إنك إذا خرجت غازياً في سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد، أو وقصتك دابتك فأنت شهيد ولا تبالي بأية كان".

فلما نزلوا بتبوك أقاموا بها أياماً، فتوفي عبد الله، وكان بلال بن الحارث يقول: حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر، وإذا أبو بكر وعمر يدليانه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "أدنيا إلي أخاكما"، فلما هيأه لشقه في اللحد، قال: "اللهم قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه"، فقال ابن مسعود: يا ليتني صاحب هذا القبر.

عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد، وهو ابن سلول وسلول امرأة من خزاعة، وهي أم أبي بن مالك. كان عبد الله سيد الخزرج في جاهليتهم، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد جمعوا له خرزاً ليتوجوه فحسد ابن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونافق، فاتضع شرفه وهو ابن خالة أبي عامر الراهب.

وكان لعبد الله من الولد، عبد الله، فأسلم وشهد بدراً، وكان معه خال أبيه وتثقل عليه صحبة المنافقين مرض عبد الله بن أبي عشرين يوماً بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، ومات في ذي القعدة، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهده وصلى عليه ووقف على قبره وعزى ابنه عبد الله عليه.

معاوية بن معاوية الليثي، ويقال المزني

أخبرنا ابن أبي طاهر، عن الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا الحسن بن معروف، قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفي، قال: سمعت أنس بن مالك، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت به فيما مضى، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا جبريل ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت به فيما مضى؟"، قال: ذاك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: "وفيما ذاك؟" قال: كان يكثر قراءة: "قل هو الله أحد" بالليل والنهار وفي ممشاه أو قائماً أو قاعداً، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض حتى تصلي عليه؟ قال: "نعم". قال: فصلى عليه ثم رجع.

ثم دخلت سنة عشر من الهجرة

فمن الحوادث فيها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب

فروى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربيع الآخر – أو في جمادى الأولى – في سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا لك فاقبل منهم، وعلمهم كتاب الله وسنة رسوله، ومعالم الإسلام، فإن لم يقبلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون الناس إلى الإسلام، ويقولون: يا أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم إليه، وأقام خالد فيهم وعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة رسوله، ثم كتب خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام فإن أسلموا قبلت منهم، وإني قدمت عليهم ودعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، وبثثت فيهم ركباناً: يا بني الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا وأنا مقيم أعلمهم معالم الإسلام.

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البسملة: "إلى خالد بن الوليد السلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، فبشرهم وأنذرهم، واقبل منهم وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته".

فأقبل خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب وفيهم: قيس بن الحصين، فسلموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله"، وأمر عليهم قيساً، فلم يمكثوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني الحارث بن كعب بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حرام الأنصاري يفقههم ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم.

قال الواقدي: فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حرام عامله على نجران.

وفيها قدم وفد سلامان في شوال على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأخبرنا محمد بن الباقي، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن سهل بن أبي حثمة، قال: وجدت في كتب أبي أن حبيب بن عمرو السلاماني كان يحدث، قال: قدمنا وفد سلامان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعة، فصادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها، فقلنا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: "وعليكم، من أنتم؟"، قلنا: نحن من سلامان، قدمنا لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا، فالتفت إلى ثوبان غلامه، فقال: "أنزل هؤلاء الوفد حيث يترل الولد"، فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته، فتقدمنا إليه فسألناه عن أمر الصلاة وشرائع الإسلام، وعن الرقى وأسلمنا، وأعطى كل رجل منا خمس أواق، ورجعنا إلى بلادنا، وذلك في شوال سنة عشر.

وفيها قدم وفد محارب في حجة الوداع على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن الباقي، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن صالح، عن أبي وجزة السعدي، قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر: سواء بن الحارث، وابنه خزيمة بن سواء، فأسلموا و لم يكن أحد قط أفظ ولا أغلظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في الوفد رجل منهم يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه القلوب بيد الله" ومسح وجه خزيمة بن سواء، فصارت له غرة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفد وانصرفوا.

وفيها قدم وفد الأزد

رأسهم صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر.

روى ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد بن عبد الله فأسلم فأمره على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.

وفيها قدم وفد غسان ووفد عاملة

كلاهما في رمضان.

وفيها قدوم وفد زبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لإسلامهم

فروى ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: قدم عمرو بن معدي كرب في أناس من بني زبيد فأسلموا، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو ثم عاد إلى الإسلام.

وفيها قدوم وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو في وفد عبد القيس، وكان نصرانياً فأسلموا.

وفيها قدم الأشعث بن قيس في وفد كندة

فأسلموا.

وفيها قدم وفد بني حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض علمائنا: أن بني حنيفة أتت بمسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ومعه عسيب من سعف النخل، في رأسه خوصات، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك".

وروى ابن إسحاق، عن شيخ من بني حنيفة، قال: كان حديث مسيلمة على غير هذا: أتى وفد بني حنيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، وقالوا: إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا يحفظها لنا، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به القوم، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وادعى النبوة.

قال مؤلف الكتاب: وسيأتي خبره إن شاء الله تعالى.

وفيها قدم وفد بجيلة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا الحسن بن معروف، قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: قدم جرير بن عبد الله البجلي سنة عشر ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً، فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك". فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا.
قال جرير: فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعني وقال: "على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتنصح للمسلمين، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً" فقال: نعم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عما وراءه، فقال: يا رسول الله، قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الله الإسلام، والآذان في مساجدهم وساحاتهم وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد، قال: "فما فعل ذو الخلصة؟" قال: هو على حاله، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هدم ذي الخلصة وعقد له لواء، فقال: إني لا أثبت على الخيل، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: "اللهم اجعله هادياً مهدياً" فخرج في قومه وهم زهاء مائتين، فما أطال الغيبة حتى رجع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أهدمته؟" قال: نعم، والذي بعثك بالحق، وأحرقته بالنار، فتركته كما يسوء أهله، فبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على خيل أحمس ورجالها.

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

وفي سنة عشر من الهجرة

أيضاً قدم العاقب والسيد من نجران وكتب لهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كتاب صلح. وفيها قدم وفد خولان وهم عشرة. وفيها قدم وفد الرهاويين ووفد تغلب قال ابن حبيب الهاشمي: وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه، وأمر أصحابه بذلك. وفيها قدم وفد بني، عامر بن صعصعة روي عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر فيهم: عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وحيان بن سليم، وهؤلاء الثلاثة رؤساء القوم، وقد كان قال لعامر قومه: أسلم فإن الناس قد أسلموا، قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى، ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فأنا أشغل وجهه عنك، فأعله بالسيف. فلما قدموا على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، جعل عامر يكلم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وينتظر من أربد ما أمره به، فلم يحر شيئاً، فقال له: واللّه لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجلاً مرداً، فلما ولى، قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "اللهم اكفني عامر بن الطفيل "، فقال عامر لأربد: ويلك، أين ما أوصيتك به؟ قال: واللّه ما هممت بالذي أمرتني إلا دخلت بيني وبين الرجل "حتى ما أرى غيرك " أفأضربك بالسيف.

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، فبعث اللّه الطاعون على عامر في بعض طريقهم فقتله اللّه في بيت امرأة من بني، سلول، فجعل يقول: أغدة كغدة البعير، وأرسل على أربد صاعقة فأحرقته، وكان أربد أخا لبيد بن ربيعة من أمه.

وروى الزبير بن بكار بإسناده ، أن عامر بن الطفيل أتى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة، وقال له: "أسلم يا عامر" قال: على أن لي الوبر ولك المدر، فأبى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقام عامر مغضباً وقال: واللّه لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو أسلم وأسلمت بنو عامر لراحمت قريشاً في منابرها". ثم عاد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وقال: "لا يا قوم آمنوا "، ثم قال:" اللهم اهد بني عامر. واشغل عني عامر بن الطفيل كيف وأنّى شئت "، فخرج فأخذته غدة مثل غدة البعير في بيت سلولية، فقال: يا موت ابرز لي، وأقبل يشتد ويترو إلى السماء، ويقول: غده كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

قال الحسن بن علي الحوماري: كان الطفيل بن مالك بن جعفر يكنى أبا علي، وكان من أشهر فرسان العرب بأساً ونجمة وأبعدها اسماً حتى بلغ به ذلك أن قيصر كان قدم عليه قادم من العرب، قال له: ما بينك وبين عامر بن الطفيل، فإن ذكر نسباً عظم به عنده. ولما مات عامر منصرفه عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم نصب عليه بنو عامر نصاباً ميلاً في ميل حمي على قبره ولا تسير فيه

راعية ولا ترعى ولا يسلكه راكب ولا ماشٍ.
وفيها: كان قد خرج ابن أبي مارية مولى العاص بن وائل في تجارة إلى الشام وصحبه تميم الداري، وعدي بن بدا، وهما على النصرانية، فمرض ابن أبي مارية وقد كتب وصيته وجعلها في ماله، فقدموا بالمال والوصية، ففقدوا جاماً أخفه تميم وعدي فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العصر ثم ظهر عليه فحلف عبد اللّه بن عمرو بن العاص والمطلب بن وداعة واستحقا.

وفيها سرية علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن في رمضان

بعثه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وعقد له لواء وعممه بيده، وقال: "امض ولا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ". فخرج في ثلاثمائة فارس، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال، ودعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة، فصف أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي، ثم حمل عليهم بأصحابه فقتلوا عشرين ثم أسلموا.

وفيها كانت حجة الوداع

قال المؤلف : لما عزم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على الحج أذن بالناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير ليأتموا برسول اللّه صلى الله عليه وسلم في حجته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مغتسلاً مدهناً مترجلاً متجرداً في ثوبين إزار ورداء، وذلك في يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، فصلى الظهر بذي الحُليفة ركعتين، وأخرج معه نساءه كلهن هوادج، وأشعر هديه وقلده، ثم ركب ناقته، فلما استوى بالبيداء أحرم من يومه ذلك وكان يوم الاثنين بمر الظهران فغربت له الشمس بسَرِف، ثم أصبح واغتسل ودخل مكة نهاراً وهو على راحلته، فدخل من أعلى مكة من كداء حتى انتهى إلى باب بني شيبة، فلما رأى البيت رفع يديه، وقال: " اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد مَنْ عَظَمَه ممن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً ومهابة وتعظيماً وبراً ".
ثم بدأ فطاف بالبيت، ورَمَل ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر وهو مضطبع بردائه، ثم صلى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من فوره ذلك.
وخطب بمكة خطباً في أيام حجه.
قال المؤلف

ومما جرى بعد حجه صلى الله عليه وسلم

أن باذام والي اليمن مات، ففرق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عمالها بين شهر بن باذام وعامر بن شهر الهمداني، وأبي موسى الأشعريِ، وخالد بن سعيد بن العاص، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وزياد بن لبيد البياضي على حضرموت، وعكاشة بن ثور على السكاسك والسكون.
وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين: اليمن وحضرموت، وقال له: "يا معاذ إنك تقدم على قوم أهل كتاب وإنهم سائلوك عن مفاتح الجنة فأخبرهم أن مفاتح الجنة لا إله إلا اللّه، وأنها تخرق كل شيء حتى تنتهي إلى اللّه عز وجل، لا تحجب دونه، من جاء بها

يوم القيامة مخلصاً رجحت بكل ذنب" فقال: أرأيت ما سئلت عنه واختصم إلي فيه مما ليس في كتاب اللّه و لم أسمع منك سنة ؟ فقال: "تواضع لله يرفعك، ولا تقضين إلا بعلم، فإن أشكل عليك أمر فسل ولا تستحي، واستشر ثم اجتهد، فإن اللّه إن يعلم منك الصدق يوفقك، فإن التبس عليك فقف حتى تتبينه أو تكتب إليَّ فيه، واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار وعليك بالرفق".

وروى الإمام أحمد في المسند، ، قال: أن معاذ بن جبل لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته، فلما فرغ، قال: "يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري، فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفتَ وأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال:، إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا". وروي عن عبيد بن صخر، قال: أمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عمال اليمن جميعاً، فقال: تعاهدوا الناس بالتذكرة واتبعوا الموعظة فإنها أقوى للعاملين على العمل بما يحب اللّه.
وفيها كتب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلى الإسلام فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية ثم لم يزل مسلماً حتى كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فارتد. قال المؤلف: سنذكر قصته عند ذكر موته سنة ثلاث وخمسين من الهجرة.

وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي كلاع

بن باكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع فأسلم وأسلمت امرأته ضريبة بت ابرهة بن الصباح، واسم ذي الكلاع سميفع بن حوشب.
أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا علي بن أحمد بن السري، عن أبي عبد الله بن بطة، حدثنا أبو بكر الأنباري، أخبرنا أبو الحسن بن البراء قال: حدَّثني أبو عبد اللّه الوصافي، حدَّثنا سليمان بن معبد أبو داود المروزي، حدَّثنا سعيد بن عفير، حدَّثنا، علوان بن داود، عن رجل من قومه، قال: بعثني قومي بهدية إلى ذي الكلاع في الجاهلية، قال: فمكثت سنة لا أصل إليه، ثم إنه أشرف بعد ذلك من القصر فلم يره أحد إلا خر له ساجداً، ثم رأيته بعد ذلك في الإسلام قد اشترى لحماً بدرهم، فسمطه على فرسه، وأنشأ يقول:

أف للدنيا إذا كانت كذا ... أنا منها كل يوم في أذى
ولقد كنت إذا ما قيل من ... أنعم الناس معاشاً قيل ذا
ثم أبدلت بعيشي شقوة ... حبذا هذا شقاء حبذا

وروى الرياشي عن الأصمعي، قال: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الكلاع من ملوك الطوائف على يد جرير بن عبد الله يدعوه إلى الإسلام، وكان قد استعلى أمره حتى دعى إلى الربوبية فأطيع، ومات النبي صلى الله عليه وسلم قبل عود جرير، وأقام ذو الكلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر بن الخطاب، ثم رغب في الإسلام، فوفد على عمر رضي اللّه عنه ومعه ثمانية آلاف عبد، فأسلم على يديه وأعتق من عبيده أربعة آلاف، فقال عمر رضي اللّه عنه: يا ذا الكلاع بعني ما بقي من عبيدك حتى أعطيك ثلث

أثمانهم ها هنا، وثلثاً باليمن، وثلثاً بالشام، قال: أجلني يومي هذا حتى أفكر فيما قلت. ومضى إلى مترله فأعتقهم جميعاً، فلما غدا على عمر قال له: ما رأيك فيما قلت لك في عبيدك؟ قال: قد اختار اللّه لي ولهم خيراً مما رأيت، قال: وما هو؟ قال: هم أحرار لوجه اللّه، قال: أصبت يا ذا الكلاع، قال: يا أمير المؤمنين لي ذنب ما أظن الله يغفره لي، قال: ما هو؟ قال: تواريت مرة عن من يتعبد لي ثم أشرفت عليهم من مكان عال، فسجد لي زهاء عن مائة ألف إنسان، فقال عمر: التوبة بإخلاص، والإنابة بإقلاع يرجى معها رأفة اللّه عز وجل والغفران.

وقال يزيد بن هارون: أعتق ذو الكلاع اثني عشر ألف بيت.

وفيها أسلم فروة الجذامي

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: حدِّثنا علي بن محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الزهري، عن واصل بن عمرو الجذامي، قال : كان فروة بن عمرو الجذامي عاملَاَ للروم فأسلم، فكتب إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بإسلامه، وبعث به رجلاً من قومه يقال له مسعود بن سعيد، وبعث إليه ببغلة بيضاء وفرس وحمار وأثواب وقباء سندس مخوص بالذهب، فكتب إليه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : "أمن محمد رسول اللّه إلى فروة بن عمرو، أما بعد فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما أرسلت به وخبر عما قبلكم وأتانا بإسلامك وإن الله هداك بهداه"، وأمر بلالاً فأعطى رسوله اثني عشر أوقية ونشا. وبلغ ملك الروم إسلام فروة فدعاه فقال له: ارجع عن دينك نملكك، فقالي: لا أفارق دين محمد وإنك تعلم أن عيسى قد، بشر به، ولكنك تضن بملكك، فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه.

وفي هذه السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص بعد رجوعه من الحج لأيام بقين من ذي الحجة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان يدعوهما إلى الإسلام . وكتب معه كتاباً إليهما وختم الكتاب، قال عمرو: فلما قدمت عمان عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً، فقلت: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك، فقال أخي، المقدم بالسرّ والملك: وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك، فمكثت أياماً ببابه ثم إنه دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختوماً ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى إلى أخرة، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه، إلا أني رأيتَ أخاه أرق منه فقال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غدا، فلما كان الغد رجعت إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، قلت: فإني خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي أصبح فأرسل إليّ فدخلت عليه، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عوناً على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم، فرددها في فقرائهم ، و لم أزل مقيماً بينهم حتى بلغنا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر الواقدي إن هذا كان في سنة ثمان.

قال المؤلف : وما ذكرناه أصح. وقال ابن مسعود: هذا آخر بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم ابن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ولد في ذي الحجة من سنة ثمان، وتوفي في ربيع الأول غرة سنة عشر، ودفن بالبقيع.

روى جابر بن عبد اللّه، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: أخذ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بيدي فانطلق بي إلى النخل الذي فيه إبراهيم، فوضعه في حجره وهو يجود بنفسه، فذرفت عيناه، فقلت له: أتبكي يا رسول اللّه، أو لم تنه عن البكاء؟ فقال: لا إنما نهيت عن النوح، وعن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان " .

وقال ابن نمير في حديثه: "إنما هذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وإنها سبيل مأتية، وإن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب ".

قال محمد بن سعد: حدثني إسماعيل بن إبراهيم الأسدي، عن أيوب عن عمرو بن سعيد، قال: لما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة ".

وروى محمد بن سعد، عن وكيع بن الجراح، وهشام بن عبد الملك أبو أيوب الطيالسي، ويحيى بن عباد، عن شعبة، قال: سمعتّ عدي بن ثابت عن البراء بن عازب، قال: "لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : "أما إن له مرضعاً في الجنة.

وروى ابن سعد، عن البراء أيضَا، قال: صلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً وقال: "إن له لظئراً تتم رضاعه في الجنة وهو صديق .

وروى ابن سعد، عن جابر، عن عامر، قال: توفي إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً قال مؤلف الكتاب : وفي يوم موت، إبراهيم كسفت الشمس.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا عبد اللّه بن موسى، أخبرنا إسرائيل، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة، قال : انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : "إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه، ولا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما فعليكم بالدعاء حتى يُكشفا".

وروى محمد بن سعد، عن محمد بن عمر قال: حدَّثني أسامة بن زيد الليثي، عن المنذر بن عبيد، ، عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن أمه، سيرين، قالت: حضرت موت إبراهيم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صحت أنا وأختي ما ينهانا، فلما مات نهانا عن الصياح، وغسله الفضل بن العباس ورسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس جالسان، ثم حمل فرأيت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على شفير القبر والعباس جالس إلى جنبه، ونزل في حفرته الفضل بن عباس وأسامة بن زيد، وأنا أبكي عند قبره ما ينهاني أحد، وخسفت الشمس ذلك اليوم، فقال الناس ذلك، لموت إبراهيم، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ::إنها لا تخسف لموت أحد ولا لحياته ". ورأى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فرجة في اللَبن، فأمر بها أن تسد، فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: "أما إنها لا تضر ولا تنفع، ولكن تقرعين الحيِ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب اللّه عز وجل أن يتقنه ".

ومات يوم الثلاثاء لعشر ليال، خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر.

باذام ملك اليمن كان أسلم وأسلم أهل اليمن، فجمع له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اليمن كلها فتوفي في هذه السنة.

عبد اللّه بن، عمرو بن صيفي، أبو عامر الراهب كان قد ترهب وانتظر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج حسده وجحد نبوته، وقاتل يوم أحد، فلما فتَحت مكة هرب إلى قيصر، فمات هناك في هذه السنة.

قال مؤلف الكتاب : وقد ذكرنا طرفًا من أخباره في قصة ولده حنظلة في سنة ثلاث من الهجرة.

ثم دخلت سنة احدى عشرة

فمن الحوادث فيها أنه قدم على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وفد النخع من اليمن للنصف من المحرم وهم مائتا رجل مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن.

قال الواقدي : وهم آخر من قدم على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من الوفود.

ومن الحوادث

استغفار رسول الله لأهل البقيع

أنبأنا الحسين بن أحمد بن عبد الوهاب، وإسماعيل بن أبي بكر المصرف، وعلي بن عبد اللّه الزاغوني، وعبد الرحمن بن محمد القزاز، ومحمد بن الحسن الماوردي، وأحمد بن محمد الطوسي، حدَّثنا أبو الحسن بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يوسف السختياني، حدَثنا السري بن يحيى، حدَّثنا شعيب بن إبراهيم التيمي، حدَثنا سيف بن عمر، عن مبشر بن الفضل، عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، قال: أهبني رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم مرجعه من حجته وما أدري ما مضى من الليل أكثر أو ما بقي فقال: "انطلق، فإني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع"، فخرجت معه فاستغفر لهم طويلاً، ثم. قال: "ليهنكم ما أصبحتم فيه، أقبلت الفتن مثل قطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى، يا أبا مويهبة إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك والجنة وبين لقاء ربي والجنة"، فقلت: بأبي أنت وأمي خذ خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: "لا واللّه يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربِي والجنة".

ورجع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم واشتكى بعد ذلك بأيام.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدَّثنا الأهيم، حدَّثنا العباس بن محمد الدوري، حدًثنا هاشم بن القاسم، حدَثنا أكثم بن فضيل، حدَّثنا يعلى بن عطاء، عن عبيد بن جبير، ، عن أبي مويهبة مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، قال:

أمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن يصلي على أهل البقيع فصلى عليهم في ليلة ثلاث مرات، فلما كانت الليلة الثالثة، قال: "يا أبا مويهبة أسرج لي دابتي "، حتى انتهى إليهم، فلما انتهى إليهم نزل عن دابته وأمسكت الدابة ووقفت ووقف عليهم ثم قال: ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس، أتت الفتن كقطع الليل المظلم، يركب بعضها بعضاَ، الآخرة شر من الأولى، فليهنكم ما أنتم فيه " ثم رجع وقال: "يا أبا مويهبة إني أعطيت أو خيرت بين مفاتيح ما يفتح على أمتي من بعدي والجنة أو لقاء ربي قال: قلت: بأبي وأمي يا رسول الله فاخترنا، قال: لا "لأن ترد على عقبها ما شاء الله فاخترت لقاء ربي ".

فما لبث بعد ذلك الاستغفار إلا سبعاً أو ثمانياً حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

ومن الحوادث سرية أسامه بن زيد بن حارثة إلى أهل أبْنى، وهي أرض السراة ناحية البلقاء .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم في يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، فلما كان من الغدا دعا أسامة بن زيد، فقال: "سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل ابْنَى وحَرِّقْ عليهم، فإن أظفرك اللّه فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك.

فلما كان يوم الأربعاء بدىء برسول اللّه صلى الله عليه وسلم فحُمَّ وصُدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءً بيده، ثم قال: "اغز بسم اللّه في سبيل اللّه، فقاتل من كفر بالله ". فخرج وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزاة، فيهم أبو بكر الصديق، وعمر، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة، وقتادة بن النعمان، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً، فخرج وقد عصب رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، فلئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في تأميري من قبله، وأيم اللّه إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أُحب الناس إلي، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم ".

ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر ليال خلون من ربيع الأول، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ويمضون إلى العسكر بالجرف، وثقل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فلما كان يوم الأحد اشتد برسول اللّه صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور- وهو اليوم الذي لدوه فيه- فطأطأ أسامة فقبله رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء، ثم يضعها على أسامة. قال: فعرفت أنه يدعو لي، ورجع إلى معسكره، ثم دخل إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، فقال له: اغد على بركة الله، فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل.

فبينما هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول: إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يموت، فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة، فانتهوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو يموت، فتوفي عليه السلام حين زالت الشمس يوم الإثنين، فدخل المسلمون الذين عسكروا إلى المدينة، وكان لواء أسامة مع بريدة بن الخصيب، فدخل بريدة بلواء أسامة حتى غرزه عند باب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فلما بويع لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى أسامة ليمضي لوجهه، فمضى بريدة، إلى معسكرهم الأول، فلما ارتدت العرب كُلِّم أبو بكر في حبس أسامة فأبى، وكلم أبو بكر أسامة في عمر أن يأذن له في التخلف ففعل، فلما كان هلال ربيع الآخر سنة احدى عشر خرج أسامة فسار إلى أهل أبنى عشرين ليلة، فشن عليهم الغارة فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليه وقتل قاتل أبيه ورجع إلى المدينة، فخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة، يتلقونهم سروراً بسلامتهم .

ومن الحوادث في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

مجيء الخبر بظهور مسيلمة والعنسي

قد ذكرنا أن مسيلمة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أسلم ثم ارتد لما رجع إلى بلده، وكتب إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول اللّه. وكان يستغوي أهل بلدته، وكذلك العنسي إلا أنه لم يظهر أمرهما إلا في حالة مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قد لحقه مرض بعد عوده من الحج ثم عوفي ثم عاد فمرض مرض الموت.

قال أبو مويهبة مولى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : لما رجع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من حجه طارت الأخبار بأنه قد اشتكى، فوثب الأسود باليمن، ومسيلمة باليمامة، فجاء الخبر عنهما إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعدما أفاق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم .

روى سيف بن عمر بإسناده عن عليّ وابن عباس رضي الله عنهما : أول ردة كانت على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأول من ارتد الأسود العنسي، في مذحج، ومسيلمة في بني حنيفة وطليحة في بني أسد.

وقال الشعبي : قدم على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم خبر مسيلمة والعنسي الكذابين بعدما ضرب على الناس بعث أسامة بن زيد.

من الحوادث في مرضه صلى الله عليه وسلم

أنه رأى في منامه سوارين من ذهب، فخرج فحدث. فروى عكرمة عن ابن عباس، قال: خرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عاصبَاَ رأسه من الصداع، فقال لا إني رأيت البارحة فيما يرى النائم أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين. الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن،.

ذكر أخبار الأسود العنسي ومسيلمة وسجاح وطليحة

أما الأسود فاسمه عَبْهَلة بن كعب، يقال له: ذو الخمار، لقب بذلك لأنه كان يقول: يأتيني ذو خمار. وكان الأسود كاهنا، مشعبذاً ويريهم الأعاجيب، ويسبي بمنطقه قلب من يسمعه، وكان أول خروجه بعد حجة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فكاتبته مذحج وواعدته بحران، فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم، وخالد بن سعيد بن العاص، وأنزلوه مترلهما، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد، فأجلاه ونزل مترله، فلم يلبث عَبْهلة بحران أن سار إلى صنعاء فآخذها، وكتب فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره، ولحق بفروة من بقي على إسلامه من مذحج و لم يكاتب الأسود رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يرسل إليه لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه، وصفا له ملك اليمن وقوي أمره . واعترض على الأسود وكاثره عامر بن شهر الهمداني في ناحيته وفيروز وداذَوَيه في ناحيتهما، ثم تتابع الذين كتب إليهم على ما أمروا به.

ثم خرج الأسود في سبعمائة فارس إلى شَعُوب فخرج إليه شهر بن باذام وذلك لعشرين ليلة من خروجه، فقتل شهراً، وهزم الأبناء، وغلب على صنعاء لخمس وعشرين ليلة من خروجه وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى مر بأبي موسى وهو بمأرب ، فاقتحما حضرموت، فترل معاذ السكون، ونزل أبو موسى السكاسك، ورجع عمرو وخالد إلى المدينة، وغلب الأسود وطابقت عليه اليمن

وجعل أمره يستطير إستطارة الحريق. ودانت له سواحل البحر، وعامله المسلمون بالتقية.
وكان خليفته في مذحج عمرو بن معدي كرب، وكان قد أسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث، وأمر الأبناء إلى فيروز وداذويه. ثم استخف بهم وتزوج امرأة شهر، وهي ابنة عم فيروز، فأرسل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم نفر من الأبناء رسولاً وكتب إليهم أن يحاولوا الآسود إما غيلة وإما مصادمة، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً سماهم لهم ممن خرجوا حولهم من حمير وهمدان، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم، فدعوا قيس بن عبد يغوث حين رأوا الأسود قد تغير عليه، فحدثوه الحديث وأبلغوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجاب ودخلوا على زوجته، فقالوا: هذا قتل أباك. فما عندك قالت: هو أبغض خلق اللّه إليّ وهو متحرز والحرس يحيطون بقصره إلا هذا البيت، فانقبوا عليه فنقبوا ودخل فيروز فخالطه فأخذ برأسه فقتله، فخار كأسد خوار ثور، فابتدر الحرس الباب، فقالوا: ما هذا؟ قالت المرأة: النبي يوحى إليه فإليكم ثم خمد.

وقد كان يجيء إليه شيطان فيوسوس له فيغط ويعمل بما قال له، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم الذي بينهم، ثم بالأذان، وقالوا فيه: نشهد أن محمداً رسول اللّه وأن عبهلة كذاب، وشنوها غارة. وتراجع أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم، وكتبوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالخبر فسبق خبر السماء إليه، فخرج قبل موته بيوم أو بليلة، فأخبر الناس بذلك، ثم ورد الكتاب، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم قد مات، إلى أبي بكر، وكان من أول خروج الأسود إلى أن قتل أربعة أشهر.
أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الحاجي، وإسماعيل بن أحمد السمرقندي، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد اللّه بن سيف بن سعد، أخبرنا السري بن يحيى، حدَثنا شعيب بن إبراهيم التيمي، حدَّثنا سيف بن عمر، عن أبي القاسم الشَّنَويّ، عن العلاء بن زياد عن ابن عمر، قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي فخرج ليبشرنا، فقال: "قتل العنسي الأسود البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين "، قيل: ومن هو قال: "فيروز، فاز فيروز".
ذكر أخبار مسيلمة قد ذكرنا أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني حنيفة، فلما عاد الوفد ارتد، وكان فيه دهاء فكذب لهم وادعى النبوة، وتسمى برحمان اليمامة، لأنه كان يقول: الذي يأتيني اسمه رحمان، وخاف أن لا يتم له مراده لأن قومه شاغبوه، فقال: هو كما يقولون إلا أنني قد أشركت معه، فشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي، وادعى أنه قد أشرك معه في النبوة، وجعل يسجع لهم ويضاهي القرآن، فمن قوله: سبح اسم ربك الأعلى الذي يستر على الحبلى فأخرج منها نسمة تسعى من بين أضلاع وحشي. يا ضفدعة بنت الضفدعين نقي ما تنقين وسبحي فحسن ما تسبحين للطين تغني سنين والماء تلبسين، ثم لا تكدرين ولا تفسدين فسبحي لنا فيما تسبحين. وكانوا قد سمعوا منه.
ومن قوله لعنه الله: والليل الأطحم ، والذئب الأدلم والجذع الأزلم ما انتهكت أسيد من محرم. وكان يقصد بذلك نصرة أسيد على خصوم لهم.
وقال: والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس.
وقال: والشاة وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق، ما لكم لا تمجعون.

وكان يقول: والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه.

وأتته امرأة، فقالت: ادع اللّه لنخلنا ولمائنا فإن محمداً دعا لقوم فجاشت آبارهم فقال: وكيف فعل محمد؟ قالت: دعى بسَجْلٍ، فدعا لهم فيه ثم تمضمض ومجه فيه، فأفرغوه في تلك الآبار، ففعل هو كذلك فغارت تلك المياه.

وقال له رجل: برك على ولدي، فإن محمداً يبرك على أولاد أصحابه، فلم يؤت بصبي مسح على رأسه أو حنكه إلا لثغ وقرع .

وتوضأ في حائط فصب وضوءه فيه فلم ينبت.

وكانوا إذا سمعوا سجعه، قالوا: نشهد أنك نبي، ثم وضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ونحو ذلك، فأصفقت معه بنو حنيفة إلا القليل وغلب على حجر اليمامة وأخرج ثمامة بن أثال، فكتب ثمامة إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يخبره- وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمامة وانحاز ثمامة بمن معه من المسلمين، وكتب مسيلمة إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول اللّه إلىِ محمد رسول اللّه، أما بعد، فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاَ قوم لا يعدلون ويعتدون.

وبعث الكتاب مع رجلين: عبد اللّه بن النواحة، وحجير بن عمير، فقال لهما رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: أتشهدان أني رسول الله؟ " قالا: نعم، قال: "أتشهدان أن مسيلمة رسول اللّه؟ قالا: نعم قد أشرك معك، فقال: لولا أن الرسول لا يقتل لضربت أعناقكما. ثم كتب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "من محمد رسول اللّه إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد: فإن الأرض للّه يورثها من يشاء، والعاقبة للمتقين، وقد أهلكت أهل حجر، أقادك اللّه ومن صوب معك ".

ذكر أخبار سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية

كانت قد تنَبّت في الردة بعد موت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالجزيرة في بني تغلب فاستجاب لها الهُذيّل وترك التنصر وأقبل معها جماعة فقصدت قتال أبي بكر فراسلت مالك بن نويرة فأجابها ومنعها من قصد أبي بكر وحملها على أحياء من بني تميم، فأجابت فقالت: أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب، فذهبو فكانت بينهم مقتلة، ثم قصدت اليمامة فهابها مسيلمة، وخاف أن يتشاغل بحربها فيغلبه ثمامة بن أثال وشرحبيل بن حسنة، ، فأهدى لها واستأمنها فجاء إليها.

وفي رواية أخرى أنه قال لأصحابه : اضربوا لها قبة وجمروها لعلها تذكر الباه، ففعلوا فلما أتته قالت له: اعرض ما عندك، فقال لها: إني أريد أن أخلو معك حتى نتدارس، فلما خلت معه قالت: اقرأ عليّ ما يأتيك به جبريل، فقال لها: انكن معشر النساء خلقتن أفواجاً، وجعلتن لنا أزواجاً نولجه فيكن إيلاجاً، ثم نخرجه منكن إخراجاً، فتلدن لنا أولاداً ثجاجاً فقالت: صدقت، أشهد أنك نبي، فقال لها: هل لك أن أتزوجك فيقال نبي تزوج طبية. فقالت: نعم، فقال:

ألا قومي إلى المخدع ... فقد هيّي لك المضجع

فإن شئت على اثنين ... وإن شئت على أربع

وإن شئت ففي البيت ... وإن شئت ففي المخدع

وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

فقالت: بل به أجمع فهو أجمعِ للشمل، فضربت العرب بها المثل، فقالت: "أغلم من سجاحٍ". فأقامت معه ثلاثاً وخرجتَ إلى قومها، فقالت: إني قد سألته فوجدت نبوته حقاَ، وإني قد تزوجته فقالوا: مثلك لا يتزوج بغير مهر، فقال مسيلمة: مهرها أني قد رفعت عنكم صلاة الفجر والعتمة .

ثم صالحته على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة وخلفت من يقبض ذلك، فلم يفجأهم إلا دنو خالد منهم، فارفضوا.

وبعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة بن أثال ومن يجتمع معه أن يجادلوا مسيلمة وأمره أن يستنجد رجالاً قد سماهم ممن حولهم من تميم وقيس، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوه، وكانت بنو حنيفة فريقين: فرقة مع مسيلمة وهم أهل حجر، وفرقة مع ثمامة. وانهم التقوا فهزمهم مسيلمة، ولم تزل سجاح في بني تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة في زمانه، فأسلمت وحسن إسلامها.

ذكر أخبار طليحة بن خويلد خرج طليحة بعد الأسود فادعى النبوة وتبعه عوام ونزل بسميراء، وقوي أمره، فكتب بخبره إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سنان بن أبي سنان، وبعث طلحة خبالاً ابن أخيه إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يخبره خبره، ويدعوه إلى الموادعة وتسمى بذي النون يقول إن الذي يأتيه يقال له ذو النون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرسوله: "قتلك اللّه " ورده كما جاء، فقتل خبال في الردة، وأرسل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى عوف أحد بني نوفل بن ورقاء، وإلى سنان بن أبي سنان وقضاعا أن يجادلوا طليحة، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً قد سماهم لهم من تميم وقيس، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم، ففعلوا ذلك ولم يشغل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن مسيلمة وطليحة غير مرضه، وأن جماعة من المسلمين حاربوا طليحة وضربه مخنف ابن السليل يوماً بسيف فلم يهلك، لكنه غشي عليه، فقال قوم: إن السلاح لا يحيك في طليحة، فصار ذلك فتنة، وما زال في نقصان والمسلمون في زيادة إلى أن جاءت وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فتناقص أمر المسلمين وانفض جماعة إلى طليحة مع عيينة بن حصن، وتراجع المسلمون إلى أبي بكر فأخبروه الخبر وهو يسمع ولا يكترث.

وكان من كلام طليحة: إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم ولا فتح أدباركم شيئاً، فاذكروا اللّه قياماً.

ومن كلامه: والحمام واليمام. والصرد الصوام، قد ضمن من قبلكم أعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام، واللّه لانسحب ولا نزال نضرب حتى نفتح يثرب.

وخرج إلى بزاخة وجاء خالد بن الوليد فنازله، فجاء عيينة إلى طليحة فقال: ويلك، جاءك الملك؟ قال: لا فارجع فقاتل فرجع، فقاتل، ثم عاد فقال: جاءك الملك؟ قال: لا فعاد فقال: جاءك الملك. قال: نعم قال ما قال، قال: إن لك حديثاً لا تنساه، فصاح عيينة: الرجل والله كذاب، فانصرف الناس منهزمين، وهرب طليحة إلى الشام فنزل على كلب فبلغه إن أسداً وغطفان وعامر قد أسلموا فأسلم.

وخرج نحو مكة معتمراً في إمارة أبي بكر، فمر بجنبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة، قال: ما أصنع به خلوا عنه فقد أسلم وقد صح إسلامه وقاتل حتى قتل في نهاوند.

وكان مما جرى في مرض رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أواخر صفر قال الواقدي: لليلتين بقيتا منه، وقال غيره: لليلة، وقيل: بل في مفتتح ربيع.

قالت عائشة بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأوه وهو في بيت ميمونة فاشتد وجعه، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له فخرج إلى بيتها تخط رجلاه.

أخبرنا أبو القوت، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن أعين، حدَثنا الفربري، حدَثنا البخاري حدَّثنا إسماعيل حدَثنا سليمان بن بلال، قال: قال هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي، عن عائشة: أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: أين أنا غدا؟ " يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها.

أخرجه البخاري .

ومن الحوادث أن أبا بكر طلب أن يمرضه صلى الله عليه وسلم أخبرنا إسماعيل بن أحمد، أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أبو بكر بن يوسف، حدَثنا السري، عن يحيى، حدَّثنا شعيب بن إبراهيم التيمي، حدَّثنا سيف بن عمر، عن مبشر بن الفضل عن سالم، عن أبيه، قال: جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول اللّه ائذن لي فأمرضك وأكون الذي أقوم عليك، فقال: "يا أبا بكر إني إن لم أحتمل أزواجي وبناتي وأهل بيتي علاجي ازدادت مصيبتِ عليهم عظماً، وقد وقع أجرك على اللّه تعالى" وقد اختلف في مدة مرضه، فذكرنا ثلاث عشرة ليلة، وقيل اثنتي عشرة ليلة.

ومن الحوادث أن في مرضه صلى الله عليه وسلم الوجع اشتد عليه قالت عائشة: جعل يشتكي ويتقلب على فراشه، فقلت له: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه، فقال: "إن المؤمنين يشدد عليهم، إنه لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها إلا رفع اللّه بها درجة وحط عنه بها خطيئة،.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا قبيصة، حدَثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة، قالت:ما رأيت أحداً اشتد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد: وأخبرنا عبيد الله بن موسى بن عبيدة الربذي، عن زيد بن أسلم، عن أبي سعيد الخدري، قال: جئنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا عليه صالبٌ من الحمى ما تكاد تَقَرَيَدُ أحدنا عليه من شدة الحمى، فجعلنا نسبح، فقال لنا: "ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء، كما يشدد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر".

ومن الحوادث أنهم لدوه صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، أخبرنا محمد بن سعد، قال: حدَّثنا محمد بن الصباح، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أبي زناد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة فاشتد به جداً، فأخذته يوماً فأغمي عليه حتى ظننا أنه قد هلك، فلددناه فلما أفاق عرف أنا قد لددناه، فقال: كنتم ترون أن اللّهّ كان مسلطاً علي ذات الجنب؟ ما كان الله ليجعل لها علي سلطاناَ، واللّهّ لا يبقى في البيت أحد إلا لددتموه إلا عمي العباس " قالت: فما بقي في البيت أحد إلا لُدَّ، فإذا امرأة من بعض نسائه تقول: أنا

صائمة، قالوا: ترين أنا ندعك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى أحد في البيت إلا لُد فلددناها وهي صائمة.

ومن الحوادث أنه صلى الله عليه وسلم قال أهريقوا علي الماء

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدَثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا أحمد بن الحجاج، قال: حدَثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني عبد اللّه بن عبد اللّه، ، أن عائشة قالت: لما ثقل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اشتد عليه، وجعه فقال: أهريقوا عليَّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس فأجلسناه في مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه حتى جعل يشير علينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم.

ومن الحوادث أنه خرج عاصباً رأسه فقام على المنبر وقال: إن عبداً خيره اللّه فبكى أبو بكر رضي اللّه عنه أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن مالك، حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا فليح، عن سالم بن أبي النضر، عن بسر بن سعيد، ، عن أبي سعيد الخدري، قال: خطب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الناس، فقال: "إن اللّه عز وجل خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند اللّه عز وجل قال،: فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه أن خبر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن عبد خير، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المخير وكان أبو بكر أعلمنا به.

ومن الحوادث أنه خرج صلى الله عليه وسلم فاقتص من نفسه أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا أبو طالب محمد بن غيلان، أخبرنا أبو بكر بن عبد اللّه بن إبراهيم الشافعي، حدَّثنا معاذ بن المثنى، حدَّثنا علي بن المديني، حدَّثنا معن بن عيسى، حدَّثنا الحارث بن عبد الملك الليثي، عن القاسم بن يزيد، عن عبد اللّهّ بن قسيط، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس، عن أخيه، الفضل بن العباس قال:جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه، فقال: "خذ بيدي فضل، ، فأخذت بيده فانطلق حتى جلس على المنبر، ثم قال: "ناد في الناس فلما اجتمعوا إليه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:، أما بعد، أيها الناس، فإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، من كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقدْ منه، ومنْ كنتُ أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذه ، ومنْ كنتُ شتمتُ له عِرْضاً فهذا عرضي، فليستقدْ منه ولا يقولن أحد إني أخشى الشحناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليَ مَنْ أخذ شيئاً كان له أوحللني فلقيت اللّه وأنا طيب النفس وإني أرى أن هذا غير مُغْن عني، حتى أقوم فيكم مراراً ".

ثم نزل فصلى الظهر، ثم جلس على المنبر فعاد لمقالته الأولى في الشحناء وغيرها، فقام رجل فقال: إذن واللّه لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: "أما أنا لا نكذب قائلاً ولا نستحلف، فبم كانت لك عندي؟ " فقال: يا رسول اللّه، تذكر يوم مر بك المسكين فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم ، قال: أعطه يا فضل، فأمر به فجلس ثم قال: لا أيها الناس من كان عليه شيء فليؤده فلا يقولن رجل فضوح الدنيا، فإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة، فقام رجل فقال: يا رسول اللّهّ عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله، قال: "و لم غللتها؟ " قال: كنت محتاجاً، قال: "خذها منه يا فضل "، ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس، من خشي من نفسه شيئاً فليقم فلندع له" فقام رجل فقال: واللّه يا رسول اللّه إني لكذاب إني لفاحش، وإني لنوام ، فقال: "اللهم ارزقه صدقاً وأذهب عنه النوم إذا أراد".

ثم قام آخر، فقال: واللّه يا رسول الله إني لكذاب وإني لمنافق، وما من شيء من الأشياء إلا وقد جنيته، قال عمر: فضحت نفسك

أيها الرجل، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "يا بن الخطاب فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة"، ثم قال: "اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً، وصيِّرْ أمره إلى خير" قال: فتكلم عمر رضيِ اللّه عنه بكلام فضحك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقال: "عمر معي وأنا مع عمر، والحقّ مع عمر حيث كان".

قال مؤلف الكتاب: في هذا الحديث إشكال، والمحدثون يروونه ولا يعرف أكثرهم معناه، وهو قوله عليه السلام: "من كنت جلدت له ظهراً فليستقد".

وقد أجمع الفقهاء أن الضرب لا يجري فيه قصاص، وإنما أراد أن يعرف الناس أن من فعل ذلك ظلماً فينبغي تأديته، وإلا فهو متره عن الظلم.

ومن الحوادث أنه صلى الله عليه وسلم

كان يصلي بالناس في مدة مرضه

وإنما انقطع ثلاثة أيام، وقيل: سبع عشرة صلاة، فلما أذن بالصلاة في أول ما امتنع قال: "مروا أبا بكر أن يصلي بالناس".

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدَّثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت :لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه بلال ليؤذنه بالصلاة، فقال: "مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت: فقلت: يا رسول الله " إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس "، قالت: فقلت لحفصة: قولي له ، فقالت له حفصة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى، يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: "إنكن صويحبات يوسف"، مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فقام يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل في المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب ليتأخر، فأومأ إليه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن قم كما أنت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس قاعداً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والناس يقتدون بصلاة أبي بكر.

أخرجاه في الصحيحين.

"ومنها أن وجعه اشتد به يوم الخميس فأراد أن يكتب كتاباً، أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدَثني أبي، حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، عن ابن أبي مليكة، ، عن عائشة، قالت: لما ثقل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: "إئتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه "، فذهب عبد الرحمن ليقوم، قال: أبى اللّه والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر.

رواه الإمام أحمد في المسند، وأخرجاه في الصحيحين .

ومنها أنه أخرج شيئاً من المال كان عنده أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدَثنا

الحارث بن أبي أسامة، حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا سعيد بن منصور، قال: حدَّثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير وضعها عند عائشة، فلما كان في مرضه قال: "يا عائشة ابعثي بالذهب إلى عليّ"، ثم أغمي عليه، وشغل عائشة ما به، فبعثت به إلى عليّ فتصدق به، ثم أمسى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين في جديد الموت، فأرسلت عائشة إلى امرأة من النساء بمصباحها، فقالت: اقطري لنا في مصباحنا من عكتك السمن، فإن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أمسى في جديد الموت .

قال ابن سعد: وحدَثنا عبد اللّه بن مسلمة بن قعنب، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو، ، عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب: أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة وهي مسندته إلى صدرها: "يا عائشة، ما فَعَلتْ تلك الذهب؟ " قالتَ: هي عندي، قال: "فأنفقيها" ثم غشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صدرها فلما أفاق قال: "أنفقتيه يا عائشة؟". قالت: لا. قالت: فدعى بها فوضعها في كفه فعدها فإذا هي ستة، فقال: "ما ظن محمد بربه إن لو لقي اللّه وهذه عنده" فأنفقها كلها ومات من ذلك اليوم صلى الله عليه وسلم.

ومن الحوادث أنه صلى الله عليه وسلم أعتق في مرضه جماعة من العبيد أخبرنا علي بن عبد اللّه، قال: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا ابن المخلص، حدَّثنا أحمد بن عبد السجستاني، حدَّثنا السري بن يحيى، حدَثنا شعيب بن إبراهيم التيمي، حدثنا سيف بن عمر، عن سهل بن حنيف، ، عن أبيه، عن جده قال: اعتق النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه أربعين نفساً.

ومن الحوادث في مرضه أنه صلى الله عليه وسلم جمع أصحابه فأوصاهم

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة، حدَثنا محمد بن سعد، قال: أخبرني محمد بن عمر، قال: حدَّثني عبد الله بن جعفر، عن ابن أبي عون، عن ابن مسعود، قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة وتشدد لنا، فقال: "مرحباً بكم حياكم اللّه بالسلام ، رحمكم اللّه، حفظكم الله، جبركم اللّه، رزقكم اللّه، رفعكم اللّه، نفعكم اللّه، أحلكم اللّه، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله وأوصي اللّه بكم وأستخلفه عليكم وأحذركم اللّه إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي: ولكم "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين" القصص 83 وقال: "أليس في جهنم مثوى للمتكبرين" الزمر 60 قلنا: يا رسول اللّه متى أجلك؟ قال: "دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى وإلى سدرة المنتهى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش الهني " قلنا: يا رسول الله، مَنْ يَغْسلك، فقال: "رجال من أهلي الأدنى فالأدنى" قلنا: يا رسول الله، ففيم نكفنك؟ قال:، في ثيابي هذه إن شئتم أو ثياب مصْرَ أو في حلة يمانية"، قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك؟ وبكينا وبكى، فقال: "مهلاً رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري في بيتي هذا، ثم أخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليَ حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنود من الملائكة بأجمعهم، ثم ادخلوا فوجاً فوجاً. فصلوا عليَ وسلموا تسليماً ولا تؤذوني بتزكية ولا برَنَّة، وليبتدىء بالصلاة علي رجال أهلي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد، واقْرَؤا السلام على من غاب من أصحابي، واقرؤا السلام على من تبعني كل ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة لما قلنا: يا رسول اللّه، فمن يدخلك في قبرك؟ قال أهلي مع ملائكة كثير يرونكم ولا ترونهم.

ومن الحوادث أنه صلى الله عليه وسلم خير عند موته أخبرنا هبة اللّه بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة أ، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا وكيع، وروح بن عبادة، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عروة، عن عائشة، قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، قالت: فأصاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بحة شديدة في مرضه، فسمعته يقول: "مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" النساء 69. فظننت أنه خير.

من الحوادث في مرضه صلى الله عليه وسلم ما جرى له مع ابنته فاطمة رضي اللّه عنها.

أخبرنا هبة اللّه بن الحصين، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، ، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال "مرحباً بابنتي" ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أنه أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: استخصك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حديثه ثم تبكين. ثم انه أسر إليها حديثاً، فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، حتى إذا قبض النبي صلى الله عليه وسلم، سألتها، فقالت: إنه أسر إلي فقال: "إن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك، ثم قال: "ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين، قالت: فضحكت لذلك.

أخرجاه في الصحيحين .

ومن الحوادث في مرضه صلى الله عليه وسلم تردد جبريل عليه السلام إليه ثلاثة أيام قبل أن يموت برسالة من الله عز وجل يقول له: كيف تجدك، وكان ذلك في يوم السبت والأحد والإثنين،، واستئذان ملك الموت عليه في يوم الإثنين.

أخبرنا محمد بن عمر الأرموي، حدَثنا أبو الحسين بن المهتدي، أخبرنا أبو أحمد الفرضي، أخبرنا علي بن محمد الرياحي، حدًثنا أبي، حدَّثنا أبو أحمد بن الجون، حدَّثنا رشدين، حدَّثنا يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه، فقال: إن اللّه عز وجل يقرئك السلام ويقول كيف تجدك؟. قال: لا أجدني وجعاً يا أمين اللّه ". ثم جاء من الغد، ه فقال: يا محمد، إن اللّهّ يقرئك السلام، ويقول: كيف تجدك؟ قال: "أجدني يا أمين الله وجعا" ثم جاءه اليوم الثالث ومعه ملك الموت، فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: كيف تجدك. قال: "أجدني يا أمين اللّه وجعاً، من هذا معك؟" لما قال: هذا ملك الموت، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، وآخر عهدك بها، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبداً، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم سكرة الموت وعنده قدح فيه ماء، فكلما وجد سكرة الموت أخذ من ذلك الماء فمسح به وجهه ويقول: "اللهم أعني على سكرة الموت".

أخبرنا ابن عبد الباقي، بإسناده عن محمد بن سعد، قال: أخبرنا أنس بن عياض أبو ضمرة الليثي، قال: حدثونا، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: لما بقي من أجل رسول اللّهّ صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل جبريل مغموماَ ، فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً لك، وخاصة بك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك: كيف تجدك؟. قال: أجدني يا جبريل مغموماً،

وأجدني يا جبريل مكروباً". فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل، فقال: يا أحمد، إن اللّه أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة بك يسألك عما هو أعلمِ به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: "أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباَ". فلما كان اليوم الثالث نزل عليه جبريل، وهبط معه ملك الموت، ونزل، معه ملك يقال له إسماعيل يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط و لم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف ملك ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبريل، فقال: يا أحمد، إن اللّه أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك، وخاصة بك، يسألك عما هو أعلم به منك، ويقول لك: كيف تجدك. قال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروبأ، ثم إستأذن ملك الموت، فقال جبريل: يا أحمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك و لم يستأذن على آدمي كان قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: "ائذن له "، فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله يا أحمد، إن اللّه أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، قال: "وتفعل يا ملك الموت؟ " قال: أمرت بذلك أن أطيعك في كل ما تأمرني به، فقال جبريل: "يا أحمد، إن الله قد اشتاق إليك، قال: "فامض يا ملك الموت لما أمرت به "، قال جبريل: "السلام عليك يا رسول اللّه، هذا آخر مواطئي الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا.

فتوفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة اللّه وبركاته، "كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة" آل عمران 185 ، في الله عزاءً عن كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، إنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

ومن الحوادث استعماله للسواك قبل موته صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا عبد الأول، أخبرنا ابن المظفر، أخبرنا ابن أعين. حدَثنا الفربري، حدَثنا البخاري، قال: حدَثني محمد بن عبيد، قال: حدَثنا عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيد، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن أبا عمرو ذكر، أن مولى عائشة أخبره، أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي، وفي يومي وبين سحري ونحري، وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل عليّ عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فرأيته ينظر إليه، فعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ وأشار برأسه أن نعم، فناولته فاشتد عليه، فقلت: ألينه لك فأشار برأسه أن نعم، فلينته وأخذه فأمره وبين يديه ركوة،- أو علبة يشك عمرو- فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: "لا إله إلا اللّه، إن للموت سكرات " ، ثم يصب يده فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى "، حتى قبض ومالت يده.

ومن ذلك أنه عاتب نفسه على كراهة الموت.

أخبرنا ابن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال حدثني الحكم بن القاسم، عن أبي الحويرث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشتك شكوى إلا سأل الله العافية حتى كان في مرضه الذي توفي فيه، فإنه لم يكن يدعو بالشفاء، وجعل يقول: "يا نفس مالك تَلوذين كل ملاذ".

ومن الحوادث عند موته صلى الله عليه وسلم وصيته بالصلاة أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد، حدِّثنا القاضي أبو يعلى محمد بن

الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن أخي سمي، حدَّثنا البغوي، حدَّثنا أبو روح البلدي، حدَّثنا أبو شهاب الخيّاط، عن سليمان التيمي عن قتادة، عن أنس، قال: كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت: "الصلاة وما ملكت أيمانكم" حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها في صدره، وما يفيض بها لسانه.

ومن الحوادث في مرضه صلى الله عليه وسلم أنه كشف الستر يوم الاثنين وقت صلاة الفجر فنظر إلى الناس وهم يصلون أخبرنا عبد الأول بإسناده عن البخاري ، قال: أخبرنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك : أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي بهم في وجع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف، في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم، كان وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم فضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبية ليصل الصف، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، فأرخى الستر فتوفي من يومه.

ذكر وقت موته صلى الله عليه وسلم

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين نصف النهار، وربما قيل عند اشتداد الضحى لاثنتي عشرة خلتَ من ربيع الأول سنة احدى عشرة.

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدَثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، حدَّثنا موسى بن داود، حدَثنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس، قال: ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين، واستنبيء يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثَنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين " .

وقال غيره: بعث يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين.

ذكر الثياب التي توفي فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أخبرنا هبة اللّه بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، حدَّثنا إسماعيل، حدَثنا أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي يرده، قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا، وإزاراً غليظاً، فقالتَ: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين.

أخرجاه الصحيحين.

ومن الحوادث اختلاف أصحابه صلى الله عليه وسلم هل مات أو لا فأعلمهم بموته أبو بكر والعباس رضي اللّه عنهما

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، بن سعد، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، ، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس، قال: لما توفي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بكى الناس بكاءً شديداً ، فقام عمر بن الخطاب في المسجد خطيباً، فقال: لا أسمعن أحداً يقول إن محمداً قد مات، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران. فلبث عن قومه أربعين ليلة، واللّه إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات .

وقال عكرمة: ما زال عمر رضي اللّهّ عنه يتكلم ويوعد المنافقين حتى أزبد شدقاه، فقال له العباس: إن رسول اللّهّ صلى الله عليه

وسلم يأسن كما يأسن البشر، وإنه قد مات، فادفنوا صاحبكم، أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين؟ هو أكرم على الله من ذلك، فإن كان كما يقولون فليس على اللّه بعزيز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله .

أخبرنا أبو الوقت، قال: أخبرنا ابن المظفر، أخبرنا ابن أعين، قال: أخبرنا الفربري، قال: حدَّثنا البخاري، قال: حدَثنا يحيى بن بكير، قال: حدَثنا الليث، عن عقيل عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة، أن عائشة أخبرته: أن أبا بكر رضي اللّه عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس أحداً حتى في دخل على عائشة فتيمم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوبٍ حِبْرَة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى. ثمِ قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فَقَدْ مِتَهَا.

وحدثني أبو سلمة، عن عبد اللّه بن عباس : أن أبا بكر رضي اللّه عنه خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر رضي الله عنه، فقال أبو بكر: "أما بعد، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت، قال الله: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي اللّه الشاكرين" آل عمران 144 قال: واللّه لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر. فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشراً إلا يتلوها. وأخبر سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب، قال: واللّه ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض، و عرفت حين سمعته تلاها أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قد مات.

ذكر سنّه يوم مات صلى الله عليه وسلم أخبرنا الكروخي، أخبرنا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر التبوذجي، قال: أخبرنا الجراحي، حدّثنا المحبوبي، حدَّثنا الترمذي، حدَّثنا محمد بن إسماعيل، حدَّثنا محمد بن بشار، حدَّثنا ابن أبِي عدي، عن هشام بن حسان، عن عكرمةَ، عن ابن عباس، قال: توفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وهو ابن ثلاث وستين.

أخرجاه في الصحيحين .

وقد روي خمس وستين، وروي ستين، والأول أصح، ذكر غسله وتكفينه صلى الله عليه وسلم أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، عن ابن إسحاق، قال: حدَّثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، ، عن ابن عباس، قال: لما اجتمع القوم لغسل رسول اللّهّ صلى الله عليه وسلم وليس في البيت إلا أهله: عمه بن أبي عبد المطلب، ، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زبد بن حارثة؟ وصالح مولاه، فلما اجتَمعوا لغسله ناس من وراء الباب أوس بن خولي الأنصاريِ ثم أحد بني عوف بن الخزرج، ، وكان بدرياً- عليِ بن أبي طالب، فقال له: يا علي، نشدتك الله، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فقال له علي: ادخل، فدخل فحضر غسل رسول اللّهّ صلى الله عليه وسلم و لم يل من غسله شيئاً؟ قال: فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه مع علي، وكان أسامة وصالح يصبان الماء، وجعل علي يغسله، و لم يَرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئأ مما يرى من الميت ، وهو يقول: بأبي وأمي ما أطيبك حياَ وميتَاَ. حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يغسل بالماء والسدر، جففوه، ثم صنع به يصنع بالميت، ثم أدرج في ثلاثة أثواب، ثوبين أبِيضين، وبرد

حبرة، ثم دعا العباس رجلين فقال: ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان أبو عبيدة يَصْرَحُ لأهل مكة وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة.

قال: ثم قال العباس لهما حين سَرحَهما: اللهم خِرْ لرسولك قال: فذهبا، فلم يجد صاحب أبي عبيدة أبا عبيدة، ووجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، اخبرنا أبو منصور محمد بن محمد العكبري، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا عمر بن الحسن الشيباني، حدَّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدَثنا إسحاق بن إسماعيل، حدَّثنا سفيان بن عيينة، ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: غسل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم علي، والفضل، والعباس، وأسامة بن زيد، وغسل ثلاث غسلات بماء وسدر من بئر لسعد بن خيثمة كان يشرب منها.

قال أبو بكر: وحدثنا أبو خيثمة، قال: حدَّثنا عبد اللّه بن إدريس، قال: حدَثنا هشام بن عروة، عن أبيه، ، عن عائشة، قالت: كفن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا يعقوب، قال: حدَّثنا أبي، عن أبي إسحاق، قال: حدَّثني يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري ما نصنع؟ أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ قالت،: فلما اختلفوا أرسل اللّه عليهم السنة، حتى واللّه ما من القوم من رجل إلا ذقنه في صدره نائماً.

قالت: ثم كلمهم من ناحية البيت لا يدرون من هو، فقال: اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه. قالت: فثاروا إليه فغسلوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو في قميصه يفاض عليه الماء والسدر، وتدلكه الرجال بالقميص. وكانت تقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه .

قال أحمد: وحدَّثنا يحيى بن يمان، عن حسن بن صالح، عن جعفر بن محمد قال: كان الماء يستبقع في جفون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي يحسوه.

ذكر الصلاة عليه عليه السلام أخبرنا إسماعيل بن أحمد، أخبرنا أبو منصور العكبري، أخبرنا ابن بشران، أخبرنا عمر بن الحسن، حدثنا أبو بكر القرشي، حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل، حدَّثنا سفيان بن عيينه لملأ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: صلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام، يدخل عليه المسلمون زمراً فيصلون عليه ويخرجون، فلما صلي عليه نادى عمر رضي الله عنه: خلوا الجنازة وأهلها .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن سعد، ! أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني أَبَيُ بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده قال: لما توفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وضع في أكفانه، ثم وضع على سريره، فكان الناس يصلون رفقاً رفقاً ولا يؤمهم عليه أحد، دخل الرجال فصلوا عليه ثم النساء.

ذكر قبره صلى الله عليه وسلم

أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني أبي. أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدروا أين يقبرون النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لم يقبر نبي إلا حيث يموت" فأخروا فراشه وحفروا له تحت فراشه.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، حدَثنا أبو منصور محمد بن محمد العكبري، أخبرنا أبو الحسين بن شران، أخبرنا عمر بن الحسن الشيباني، حدَثنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني محمد بن سهل التميمي، حدَثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، ، عن عائشة، قالت: لما مات النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: أين ندفنه؟ فقال أبو بكر: في الموضع الذي مات فيه. قال أبو بكر: وحدَّثنا شجاع بن مخلد، حدَّثنا هشيم عن منصور، ، عن الحسن، قال: جعل في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء كان أصابها يوم خيبر، قال: جعلوها لأن المدينة أرض سبخة.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدَّثنا محمد بن سعد، حدَّثنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه: أن نزل في حفرة النبي صلى الله عليه وسلم هو وعباس وعقيل بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولي، وهم الذين ولوا كفنه .

قال محمد بن عمر: وحدَّثني عمر بن صالح، عن صالح مولى التوأمة، ، عن ابن عباس، قال: نزل في حفرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والفضل، وشقران .

وقال محمد بن عمر: وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد اللّه بن أبي بكر عن أبيه، عن عمرة، ، عن عائشة، قالت: ما علمنا بدفن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء في السحر.

قال محمد بن عمر: وحدثني عبد اللّه بن جعفر، عن ابن أبي عون، عن أبي عتيق، عن جابر بن عبد الله، قال: رش على قبر النبي صلى الله عليه وسلم الماء.

ندب فاطمة رضي اللّه عنها أخبرنا عبد الأول، أخبرنا ابن المظفر، أخبرنا ابن أعين، حدَّثنا الفربري، حدَثنا البخاري، حدَثنا سليمان بن حرب، حدَّثنا حماد، عن ثابت، ، عن أنس، قال: لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها،: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم،، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وسلم التراب. أخرجاه في الصحيحين .

ندب أبي بكر رضي اللّه عنه أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا أبن حيوية، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدَثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: حدَّثنا حماد بن أبي سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن يزيد بن بَابَنُوس، عن عائشة، قالت: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو بكر فدخل عليه، ورفع الحجاب فكشف الثوب عن وجهه فاسترجع، فقال: مات واللّه رسول الله، ثم تحول من قِبَل رأسه، فقال: وانبياه، "ثم حدر فمه فقبل وجهه، ثم رفع رأسه فقال:

واخليلاه، ، ثم حدر فمه فقبل جبهته ثم رفع رأسه، فقال: واصفياه، ثم حدر فمه فقبل جبهته ثم سجاه بالثوب ثم خرج.

ندب حسان بن ثابت روى السكري، عن ابن حبيب، ان حسان قال يرثي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بهذه الأبيات:

ما بال عيني لا تنام كأنها ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً ... يا خير ما وطىء الحصى لا تبعد

جنبي يقيك الترب لهفي ليتني ... غيبت قبلك في بقيع الغرقد

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم؟ ... يا لهف نفسي ليتني لم أولد

بأبي وأمي من شهدت وفاته ... في يوم الاثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متلدداً ... يا ليتني أسقيت سم الأسود

يا بكر آمنة المبارك ذكره ... ولدتك محصنة بسعد الأسعد

نوراً أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتد

والله أسمع ما حييت بهالك ... إلا بكيت على النبي محمد

صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على النبي محمد

وقال أيضاً:

أمسى نساؤك عطلن البيوت فما ... يضربن فوق قفا ستر بأوتاد

مثل الرواهب يلبسن المسرح وقد ... أيقن بالبوس بعد النعمة البادي

ذكر ما جرى من الخلاف في المبايعة يوم موته

صلى الله عليه وسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الحاجي، وأبو القاسم بن أحمد السمرقندي، قالا: أخبرنا أبو الحسن بن النقور، حدَثنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد اللّه بن سيف السجستاني، حدَثنا السري بن يحيى، قال: حدَّثنا شعيب بن إبراهيم التيمي، قال: حدَّثنا سيف بن عامر، عن سهل بن يوسف، عن عمرو بن يحيى بن خليفة المازني، عن الضحاك بن خليفة، قال: لما توفى اللّه عز وجل رسولَهُ صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر الظهر بلغ المهاجرين أن لأنصار قد أقعدوا سعد بن عبادة وبايعوه بالخلافة، فدخل المهاجرين من ذلك وحشة، وأطاف كل بني أب برجل منهم وأبو بكر رضي الله عنه جالس لا يشعر حتى خرج العباس رضي اللّه عنه على الناس، فقال: إنه بلغني أن سعد بن عبادة بنيت له وسادة، ودعى إلى نفسه وأجابه من أجابه نقضاً لعهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، انهض يا أبا بكر إلى هؤلاء القوم، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين دعا القبائل ووعدهم الظهور، قالوا: لمن الخلافة بعدك، فإذا قال لقريش تركوه، وكان أول من أجابه إلى ذلك الأنصار.

حدَّثنا سيف، عن المثنى بن عبد الرحمن، عن ميمون بن مهران، ، عن ابن عباس، قال: صلى أبو بكر رضي الله عنه الظهر للناس يوم توفى اللّه نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد جاء عويم بن ساعدة إلى العباس، فأخبره أن الأنصار قد أمرت سعد بن عبادة، ولما انصرف الناس من الظهر تخلفوا وأقبل العباس حتى قام عليهم ، فقال: يا أيها الناس ما لي أراكم عزين، إن مخبراً أخبرني وأخبرهم الخبر، فانهض إليهم يا أبا بكر، فقالوا: إنه ليدلنا على صدق الذي أتاك يا أبا الفضل أنه لم يصل معنا منهم أحد.

قال مؤلف الكتاب : وسيأتي حديث السقيفة في بيعة أبي بكر رضي اللّه عنه إن شاء الله.

ذكر خلافة أبي بكر الصديق وأحواله

ذكر اسمه ونسبه اسمه عبد الله بن أبي قحافة، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، ويكنى أبا بكر. وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمر.

قال أبو الحسن بن البراء وُلدَ أبو بكر بمنى.

وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال: أحدهما: ما أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف أخبرنا ابن الفهم حدثنا محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة عن معاوية بن إسحاق عن أبي عائشة: أنها سئلت: لم سمي أبو بكر رضي الله عنه عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هذا عتيق الله من النار" قال محمد بن سعيد: وحدثنا سعيد بن منصور حدثنا صالح بن موسى الطلحي حدثنا معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: إنني لفي بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفناء وبيني وبينهم الستر إذ أقبل أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا " قالت وإن اسمه الذي سماه به أهله عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو لكن غلب عليه عتيق.

والثاني: أنه اسمه، سمته به أمه. قاله موسى بن طلحة.

والثالث: أنه سمي به لجمال وجهه. قاله الليث بن سعد. وقال ابن قتيبة: لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لجمال وجهه.

وسماه النبي صلى الله عليه وسلم صديقاً، قال: "يكون بعدي اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلاً".

وكان علي بن أبي طالب يحلف باللّه أن اللّه أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا ابن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أبو معشر، حدَثنا، أبو وهب مولى أبي هريرة، عن أبي هريرة: أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسرى به لجبريل: "إن قومي لا يصدقوني"، فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق.

ذكر صفته رضي اللّه عنه كان أبو بكر رضي الله عنه نحيفاً أبيض، حسن القامة، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتيء الجبهة، أجْنَا لا يَسْتَمْسِكُ إزاره يسترخي عن حَقْويه، عاري الأشاجع ، يخضب بالحناء والكتم، وكان كريماً عالماً بأنساب العرب.

أخبرنا موهوب بن أحمد، أخبرنا علي بن أحمد العنبري، أخبرنا أبو طاهر المخلص. حدثنا، أحمد بن نصر بن بجير، حدَثنا علي بن

عثمان بن نفيل، حدثنا المعافى بن عمران، حدَثنا القاسم بن معن، عن حميد، ، عن أنس، قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يخضب بالحناء والكتم..

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسن بن الفهم، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا عمرو بن الهيثم، حدَثنا الربيع عن حيان الصائغ، قال: كان، نقش خاتم أبي بكر رضي الله عنه "نعم القادر الله ".

قال ابن سعد: "وأخبرنا معن، حدِّثنا سليمان بن بلال"، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه تختم في اليسار.

ذكر تقدم إسلامه رضي اللّه عنه قد روينا، عن حسان بن ثابت، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وإبراهيم النخعي ومحمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، ويعقوب بن الماجشون، وعثمان بن محمد الأخنسي، كلهم قالوا: أول القوم إسلاماً أبو بكر.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال. حدَّثني أبو معمر، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول من صلى أبو بكر رضي الله عنه، ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلا النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

ذكر أزواجه وأولاده رضي اللّه عنه تزوج في الجاهلية امرأتين إحداهما: قتيلة بنت عبد العزى، فولدت له عبد الله وأسماء ذات النطاقين. والثانية: أم رومان بنت عامر، وولدت له عبد الرحمن وعائشة. وتزوج في الإسلام امرأتين إحداهما: أسماء بنت عميس، فولدت له محمداً، وكانت عند جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قبله، فولدت له محمداً، وتزوجها بعد أبي بكر عليٌّ رضي اللّه عنهما، فذكر أنها ولدت منه ولداً اسمه محمد، فكان يقال لها أم المحمدين.

والزوجة الثانية: حبيبة بنت خارجة بن زيد، فولدت له أم كلثوم بعد وفاته: وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على أبيها خارجة بن زيد فتزوجها.

ذكر أفعاله الجميلة في الإسلام وفضائله ونفقته رضي اللّه عنه قد بينا أنه أول من أسلم وشهد بدراً والمشاهد كلها.

أخبرنا المحمدان ابن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا أحمد بن أحمد، حدَثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدَثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبا بكر، قالت: أتى الصريخ إلى أبي رضي الله عنه،، فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له غدائر فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم، قال: فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبلوا على أبي بكر فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمير شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا سمعت الزهري يقول

أخبرنا أبو القاسم الحريري، أخبرنا أبو إسحاق البرمكي، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أبو محمد، المدائني حدَّثنا أبو بكر بن أبي النضر،

حدَّثنا شبابة، قال: حدَّثني أبو العطوف قال سمعت الزهري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: "هل قلت في أبي بكر شيئاً؟ " فقال: نعم، فقال: قل وأنا أسمع "، فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وَقَدْ طَافَ العَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الجَبَلاَ

وكان ردف رسول الله قَدْ عَلِموا مِنَ البَرِيَّةِ لَمْ يعدل بِهِ رَجُلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، ثم قال: "صدقت يا حسان، هو كما قلت".

أخبرنا المحمدان أن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدَّثنا سليمان بن أحمد، حدَثنا علي بن عبد العزيز، ، حدثنا عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق وقد وافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: ثم جئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت لأهلك. " قلت: مثله. وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما أبقيت لأهلك؟ " قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلتَ: لا أسابقك إلى شيء أبداً. أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، حدَّثنا أبو معاوية ، حدَثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر" فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول اللّه .

أخبرنا هبة الله بن الحصين، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر بن حمدان بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَثنا فليح، عن سا لم أبي النضر، عن يسر بن سعيداً ، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب فقال: "إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقى باب في المسجد إلا سد إلا باب أبي بكر".

أخرجاه في الصحيحين .

وفي إفراد البخاري من حديث أبي الدرداء، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في أمر جرى بين أبي بكر وعمر: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذب، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركَو لي صاحبي مرتين ".

ومن أعظم فضائل أبي بكر رضي الله عنه فتواه في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن أعين، حدَّثنا الفربري، حدَّثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن ابن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة، ، عن أبي قتادة، قال: خرجنا مع رسول صلى الله عليه وسلم عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً، من المشركين علا رجلاً، فاستدرت له حتى أتيته من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقة، فأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقلت: ما بال الناس؟ قال أمر الله ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست ثم قال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه. فقمت، فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ، ثم قال الثالثة مثله فقمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك يا أبا قتادة؟ فاقتصصت عليه القصة، فقال رجل: صديق يا رسول الله وسلبه عندي فأرفضه

عني فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا ها الله إذاً لا تعمد إلي من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله نعطيك سلبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق فأعطه"

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر،قال: حدَثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَثني أبي، قال: حدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد بن زيد، قال: حدَثنا أبوحازم، عن سهل بن سعد، قال: كان قتال بين بني عمرو بن عوف، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم، فقال: "يا بلال إن حضرت الصلاة و لم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس قال، : فلما حضرت العصر أقام بلال الصلاة، ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم، وجاء رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعدما دخل أبو بكر في الصلاة، فلما رأوه صفحوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر، قال،: وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت، فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه، التفت فرأى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن امضه، فقام أبو بكر كهيئته فحمد الله على ذلك ثم مشى القهقرى، قال، . فتقدم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس، فلما قضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم صلاته قال: يا أبا بكر، ما منعك إذ أومأت إليك أن، لا تكون مضيت، قال: فقال أبو بكر: لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم رسول اللّه فقال للناس: "إذا نابكم في صلاتكم شيء، فليسبح الرجال وليصفح النساء".

أخرجاه في الصحيحين .

أخبرنا أبو القاسم الجريري، أخبرنا أبو طالب العشري، أخبرنا أبو الحسين بن شمعون، حدَثنا عثمان بن أحمد بن يزيد، حدَّثنا محمد بن موسى القرشي، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدَثنا أبو إسحاق الفزاري، حدَّثنا سفيان بن سعيد، عن آدم بن علي، ، عن ابن عمر، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر رضي اللّه عنه وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال، فترل عليه جبريل، فقال: يا محمد، ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: "يا جبريل، أنفق ماله عليّ قبل الفتح " ، فقال: إن اللّه عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: قل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكر، إن اللّه يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أ أسخط عن ربي، أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف ، حدَّثنا الحسين بن الفهم، حدَثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان أبو بكر رضي الله عنه معروفاً بالتجارة، ولقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم عنده أربعون ألف درهم، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة.

قال علماء السير: لم يفته مشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حضر يوم بدر، ويوم أحد ودفع إليه رايته العظمى يوم تبوك، واشترى بلالاً فأعتقه، وأول من جمع القرآن وأسلم على يده من العشرة خمسة: عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن، و لم يشرب مسكرا لا في جاهلية ولا إسلام.

ذكر ورعه رضي اللّه عنه أخبرنا المحمدان ابن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدًثنا الحسن بن سفيان، حدَثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا عمرو بن منصور البصري، حدَثنا عبد الواحد بن

زيد بن أسلم الكوفي، عن مرة الطيب، ، عن زيد بن أرقم، قال: كان لأبي بكر الصديق مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك لا تسألني كل ليلة و لم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا. قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني، فلما كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم، فاعطوني، فقال: إن لك، كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك اللّه، كل هذا من أجل هذه اللقمة، قال: لو لا تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به". فخشيتّ أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة.

روى المؤلف باسناده عن إبراهيم النخلي قال: كان أبو بكر يسمى الأواهَ لرأفته ورحمته.

ذكر خوفه وزهده رضي اللّه عنه أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهريِ، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدَّثنا الحسين بن الفهم، حدَثنا محمد بن سعد، أخبرنا سعيد بن محمد الثقفي، عن كثير النواء، عن أبي سريحة، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب. قال محمد بن سعد: وأخبرنا عفان ، حدُّثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا الحسن بن عبد الله، قال: حدثنا، إبراهيم النخعي، قال: كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته.

وقال قيس: رأيت أبا بكر رضي الله عنه آخذأ بطرف لسانه وهو يقول: هذا أوردني الموارد.

قال الحسن: قال أبو بكر الصديق: ليتّني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل.

وقال أبو عمران الجوني: قال أبو بكر: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن.

ذكر فضله على جميع، الصحابة رضي اللّه عنهم أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداودي، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: حدثنا الفربري: قال حدثنا البخاري، قال: حدَثنا ابن أبي كثير ، قال: حدُّثنا سفيان، قال حدثنا جامع بن أبي راشد، قال: حدثنا أبو يعلى، عن محمد بن الحنفيةّ، قال :قلت أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من؟ فيقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي أخبرنا أبو بكر بن أبي الدنيا أخبرنا خالد بن خداش أخبرنا حماد بن زيد، عن يحيى بن عتيق، عن الحسن بن أبي الحسن، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: وددت أني في الجنة حيث أرى أبا بكر رضي اللّه عنه.

ذكر بيعة أبي بكر رضي اللّه عنه ذكر الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر رضي الله عنه بويع يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن إسحاق: بويع أبو بكر رضي الله عنه يوم الثلاثاء من الغد الذي قبض فيه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة. أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدَثنا عبد اللّه بن أحمد، حدَثني أبي، قال: حدَثنا إسحاق بن عيسى الطباع، قال: حدَثنا مالك بن أنس، قال: حدَّثني ابن شهاب، عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود، ، عن ابن عباس، قال: قال عمر بن الخطاب، كان من خبرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة رضي اللّه عنها، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخلفت عن الأنصار بأجمعهم في

سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقلت له: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان، فذكرا لنا الذي صنع القوم، وقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم، لا تقربوهم، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين. فقلت: والله لنأتينهم.

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزمَل فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ وجع. فلما جلسنا قام خطيبهم، فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله، وقال: أما فنحن أنصار الله عز وجل وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم تريدون أن تخزِلونا من أصلنا، وتحضُنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورْت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر رضي الله عنه، وقد كنت أداري منه بعض الحد ، وهو كان أحلم مني وأوقر،

فقال أبو بكر رضي الله عنه: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، وكان أحلم مني وأوقر، والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل، حتى سكت: قال: أما بعد، فما ذكرتم من خير فأنتم له أهلٌ، و لم تعرف العرب هذا الأمر إلا من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم أبو بكر رضي اللّه عنه، إلا أن تغر نفسي عند الموت، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعُذَيْقها المرخب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش قال فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى خشيت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوام، عن إبراهيم التيمي، قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: ابسط يدك فلأبايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان محمد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال أبو عبيدة لعمر: ما رأت لك فَهة قبلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين؟ .

قال ابن سعد: أخبرنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن الحسن، قال: قال علي رضي الله عنه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي عليه السلام قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فقدمنا أبا بكر.

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدَثنا، ابن عون، عن محمد. أن أبا بكر قال لعمر: ابسط يدك نبايع لك، فقال له عمر: أنت أفضل مني، قال له أبو بكر: أنت أقوى مني، فقال له عمر: إن قوتي بك مع فضلك.

وقال ابن إسحاق: بايع أبا بكر المهاجرون والأنصار كلهم غير سعد بن عبادة.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، أخبرنا ابن النقور، أخبرنا ابن المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن سيف، حدَثنا السرير بن يحيى، حدَثنا شعيب بن إبراهيم، حدَّثنا سيف بن عمر، عن ميسر، عن جابر، قال: قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر: إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة، وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة، فقال: أما لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ولكنا أجبرناك على الجماعة فلا إقالة لها، لأن نزعت يداً من طاعة، أو فرقت جماعة لأضربن الذي فيه عيناك.

روى سيف، عن ثابت بن معاذ الزيات، عن الزهري، عن يزيد بن معن، السلمي، قال: قدم سعد بن عبادة يوم السقيفة فبايع، فقال له أبو بكر: لئن اجتمع إليك مثلها رجلان لأقتلنك.

وحدثنا سيف عن يحيى بن سعد عن سعيد بن المسيب قال: أول من بايع أبا بكر المهاجرون إلى الظهر ثم الأنصار في دورهم إلى العصر ثم رجع إلى المسجد. فبايعه البقايا، وجاء أهل الجرف فيما بين ذلك إلى الصباح.

قال ابن إسحاق: بايع أبا بكر المهاجرون والأنصار كلهم غير سعد بن عبادة، لأن الأنصار كانت قد أرادت أن تجعل البيعة له، فقال له عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال له بشير بن سعد أبو النعمان وكان أول من صفق على يدي أبي بكر: إنه قد لج وليس بمبايعكم أو يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فإن تركه بضاركم، إنما هو واحد، فقبل أبو بكر نصيحة بشير ومشورته، وكف عن سعد، فكان سعد لا يصلي بصلاقم، ولا يصوم بصيامهم، وإذا حجِ لم يفض بافاضتهمِ، فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج مجاهداً، إلى الشام فمات بحوران في أول خلافة عمر، ولم يبايع أحداً.

ذكر طرف من خطب أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه في خلافته

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبيد اللّه بن موسى، قال: أخبرنا هشام، بن عروة قال عبيد اللّه: أظنه عن أبيه قال: لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم فَعَلَّمَنَا فَعَلِمْنَا، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني .

قال ابن سعد: وأخبرنا وهب بن جرير، قال: حدَثنا أبي، قال: سمعت، الحسن قال: لما بويع أبو بكر قام خطيباً، ولا واللّه ما خطب خطبته أحد بعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني وليت هذا الأمر، وأنا له كاره، والله لوددت أن بعضكم كفانيه، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم مثل عمل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لم أقم به، كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عبداً أكرمه اللّه بالوحي، وعصمه، الا وإنما أنا بشر ولستَ بخير من أحدكم، فراعوني فإن رأيتموني استقمت فاتبعوني، وإذا رأيتموني، زغتَ فقوموني. واعلموا أن لي شيطانا يعتريني ، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، أخبرنا رزق اللّه، أخبرنا أبو علي بن شاذان، أخبرنا أبو جعفر بن برية، حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني شريح بن يونس، حدَثنا الوليد بن مسلم، حدَّثنا الأوزاعي، قال: حدَّثني يحيى، بن أبي كثير. أن أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه كان يقول في خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم المجبون بشبابهم. أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب، قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور، الوحا الوحا، النجا النجا.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا إبراهيم بن البرمكي، أخبرنا أبو بكر بن نجيب، حدَثنا أبو جعفر بن فريح، حدَّثنا هناد بن السري، حدَّثنا محمد بن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن حكيم، قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه، فقال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبةَ وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله تعالى أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: "إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً

ورهبأ وكانوا لنا خاشعين" الأنبياء 90 ثم اعلموا عباد الله أن الله قد إرتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله وانتصحوا قوله واستضيئوا منه ليوم الظلمة، وإنما خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم أعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل اللّه فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردُّكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهمِ ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا، النجا النجا، إن وراءكم طالباَ حثيثاً أمره سريع.

أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي، أخبرنا محمد بن الحسن بن المأمون، حدَثنا أبو بكر بن الأنباري حدَثنا التيهان بن الهيثم حدَثنا عفان، حدَّثنا حماد بن سلمة، حدَّثنا، هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الحسين بن علي ، فصعد المنبر، وقال: انزل عن منبر أبي، فقال له أبو بكر: منبر أبيك لا منبر أبي، منبر أبيك لا منبر أبي، فقال علي رضي الله عنه وهو في ناحية القوم: إن كانت لعن غير أمري.

ذكر أسماء قضاته وعماله على الصدقات

لما ولي قال له عمر: أنا أكفيك القضاء، فجعله قاضياً فمكث سنة لا يخاصم إليه أحد، وكان يكتب له زيد بن ثابت، وفي بعض الأوقات عثمان بن عفان رضي اللّه عنه ومن حضر.

وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن لبيد، وعلى خولان يعلى بن أمية، وعلى الجند معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي، وبعث جماعة من الصحابة في أعمال، وأمَرَ أبا عبيدة، وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد، وشرحبيل بن حسنة.

ومن الحوادث التي كانت حين استخلف أبو بكر رضي الله عنه من ذلك أنه خرج عقيب ولايته ليتجر في السوق على عادته أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدَّثنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا هشام الدستوائي، قال: حدثنا، عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه، أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة ابن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ فقال: من أين أطعم عيالي؟ قالا له :انطلق حتى نفرض لك شيئاً فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة.

قال ابن سعد: وحدثنا عفان، قال: حدَثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: لما ولِي أبو بكر رضي الله عنه قال أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يغنيه، قالوا: نعم، بُرْدَاهٌ إذا اخْلَقَهما وضعهما واخذ مثلهما، وظهره إذا سافر، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف، قال أبو بكر: رضيت.

قال ابن سعد: وحدَّثنا روح بن عبادة، قال: حدَّثنا ابن عون، عن عمر بن إسحاق: أن رجلأ رأى على عنق أبي بكر الصديق عباءة، فقال: ما هذا؟ هاتها أكفيكها، فقال: إليك عني لا تغيرني أنت وابن الخطاب عن عيالي .

قال محمد بن سعد: وأخبرنا أحمد بن عبد اللّه بن يونس، قال: حدَثنا أبو بكر بن عياش، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، قال: لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين، فقال: زيدوني فإن لي عيالًا وقد شغلتموني عن التجارة، قال: فزادوه خمسمائة.

قال : وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا مناتح دارنا، فسمعها أبو بكر، فقال: بلى لعمري، لأحلبنها لكم ، وأني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم.

وروى الواقدي عن أشياخه، قال : كان مترل أبي بكر بالسنْح عند زوجته حبيبة بنت خارجة، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحول إلى مترله بالمدينة، فأقام بالسنح بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى مترله بالمدينة، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء ممشق فيوافي المدينة فيصلى الصلوات بالناس، فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح، وكان إذا لم يحضر صلى بهم عمر، وكان يقيم يوم الجمعة صدر النهار بالسنح، يصبغ رأسه ولحيته، ثم يروح إلى الجمعة.

وكان رجلاً تاجراً، وكان كل يوم يغدو إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو بنفسه فيها، أو كان يحلب للحي أغنامهم، ، وانه نزل المدينة، وقال: ما يصلح أمر الناس والتجارة، واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه أو يصلح عياله، يوماً بيوم، وكان الذي فرضوا له في السنة ستة آلاف درهم، فلما حضرته الوفاة، قال: أرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم، فدفع ذلك إلى عمر، ولقوح، وعبد صيقل، وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم، فقال عمر: لقد أتْعَبْ مَنْ بعده.

وفي رواية أخرى أنه قال: انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه، فنظر عمر فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف في ولايته.

ومن ذلك أنه أنفذ جيش أسامة بن زيد وارتد من ارتد

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قال: حدَثنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال حدَثنا أحمد بن عبد الله، قال: حدَّثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا بن إبراهيم، قال: حدِّثنا سيف بن عمر، عن أبي ضمرة عن أبيه، عن عاصم بن عدي، قال : نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من يوم توفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف وقام في الناس، فحمد اللّه وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس، إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق؟ إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات.

وحدَثنا سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما بويع أبو بكر وجمع الأنصار على الأمر الذي افترقوا عنه، قام ليتم بعث أسامة وقد ارتدت العرب، ونجم النفاق، واشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقلتهم وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن هؤلاء جُلّ المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، ، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

فلما فصل أسامة ارتدت العرب وتروخي عن مسيلمة وطليحة، فاستغلظ أمرهما وارتدت غطفان إلا ما كان من أشجع وخواص من الأفناء، وقدمت هوازن رجلاً وأخرت أخرى، أمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف، وارتدت خواص من سليم، وكذلك سائر الناس بكل مكان، وقدمت رسل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد، فكان أول من صادم أبو بكر عبساً وذبيان، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة. قال ربيعة الأسدي: قدمت وفود أسد وغطفان وهوازن وطيء فعرضوا الصلاة على أن يعفوا من الزكاة، واجتمع جماعة من المسلمين على قبول ذلك منهم، فأتوا أبا بكر فأبى إلا ما كان رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ، وأجلهم يوماً وليلة، فتطايروا إلى عشائرهم.

قال الشعبي: قال أبو بكر لعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد وأمثالهم: أترون ذلك يعني قبول الصلاة

منهم دون الزكاة- قالوا: نعم حتى تسكن الناس وترجع الجنود، فقام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: لو منعوني عقالاً مما أعطوه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ما قبلت منهم ألا برئت الذمة من رجل من هؤلاء الوفود وجد بعد يومه وليلته، فتواثبوا يتخطون رقاب الناس، ثم أمر علياً رضي الله عنه بالقيام على نقب من أنقاب المدينة، وأمر الزبير بالقيام على نقب، وأمر طلحة بالقيام على نقب آخر، وأمر عبد اللّه بن مسعود بالعسيس بالليل وجد في أمره وقام على رجل.

وقال إبراهيم النخعي: أول ما ولي أبو بكر ولى عمر القضاء وأمر ابن مسعود بعسس المدينة.

قال علماء السير : وجاء المشركون فطرقوا المدينة بعد ثلاث، فوافقوا أنقاب المدينة محروسة فبهتوهم، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفشَّ العدو فاتبعهم المسلمون فإذا للمشركين رد بأنحاء قد نفخوها، ثم دهدوها بأرجلهم في وجوه الإبل، فنفرت بالمسلمين وهم عليها حتى دخلت بهم المدينة، فلم يصرع مسلم و لم يصب.

وبات أبو بكر ليلتئذ يتهيأ، فعبى الناس، وخرج على تعبيته في آخر الناس يمشي، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب؟ فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا المسلمين حساً حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذَرّ قَرْن الشَّمس حتى ولى المشركون الأدبار. واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة، ونزل بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة فدك بها المشركون، فوثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين، فقتلوهم.

وقدم أسامة بعد أن غاب شهرين وأياماً، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وأرعوا ظهوركم. ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصة، والذين كانوا على الأنقاب، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول اللّه أن تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً، فإن أصيب أمرت آخر، فقال: والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبيته إلى ذي القصة، فترلها وهي على بريد من المدينة فقطع فيها الجنود.

فلما أراح أسامة وجنده ظهرهم وحَمُوا قطع أبو بكر البعوث، وبلغ عقد الألوية، أحد عشر لواء على أحد عشر جندا، وأمر أمير كل جند باستنفار من مر به من المسلمين من أصل القوة، فعقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة، وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة، وللمهاجربن أبي أمية وأمره بجنود العنسي، ومعونة الأبناء على قيس بن المشكوح، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت. ولخالد بن سعيد بن العاص إلى الشام، ولعمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث؟ وما زال يعين لكل أمير قوماً يقصدهم .

وقال ابن إسحاق: ارتدت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة العرب، فأشار الناس على أبي بكر رضي الله عنه بالكف عنهم، وأن يقبل منهم أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة، وقالوا: نخاف أن تلج العرب كلها في الرجوع عن الإسلام، فقال: والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، ووالله لو كان الناس كلهم كذلك لقاتلتهم بنفسي حتى تذهب أو يكون الدين للّه.

قال عمر بن الخطاب: ما بقي أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أنا ولا غيري إلا وقد داخله فشل وطابت نفسه على ترك الزكاة لمن منعها غير أبي بكر، فو الله ما هو إلا أن رأيت ما شرح الله صدر أبي بكرمن القيام بأمر الله، فعرفت أنه الحق.

وقال ابن إسحاق: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الزبرقان بن بدر السعدي على صدقات قومه بني سعد بن زيد مناة،

وبعث مالك بن نويرة الحنظلي على صدقات بني حنظلة وبعث بن حاتم على صدقات طيء، فبلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانوا قبضوا الصدقات.

فأما مالك بن نويرة فإنه ردها إلى قومه، وأما عدي والزبرتان فإن قومهما سألوهما أن يرداها عليهم فأبيا وقالا: لا نرى إلا أنه سيقوم بهذا الأمر قائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان ذلك دفعناها إليه، وإن كان غير ذلك فأموالكم في أيديكم.

فأمسكا الصدقة حتى قدما أبي بكر، فلم يزل لهما بذلك شرف على من سواهما من أهل نجد، وكانت تلك الصدقة مما قوي بها أبو بكر على قتال أهل الردة.

فلما أراد أن يتجهز لحرب أهل الردة خرج بالناس حتى نزل بذي القصة، فعبأ هنالك جنوده، فبعث خالد بن الوليد في المهاجرين والأنصار، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار وأمره إلى خالد، وأمره أن يصمد لطليحة وعيينة، وكانا على بزاخة وهي ماء فسار خالد حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم وكان طليحة وأخوه مسلمة قد خرجا ليستخبرا، فإذا هما بعكاشة وثابت، فقتلاهما فلما مر بهما خالد مقتولين اشتد ذلك على المسلمين، وقالوا: سيدان من سادات المسلمين وفرسانهم.

فمال خالد إلى طيء فاستعان بهم على الحرب، فسار حتى أتى بزاخة، وبها عيينة في بني فزارة وطليحة في بني أسد، وكانت بنو عامر في ناحية ينتظرون الدبرة على من تكون وكان طليحة متلففاً في كساء له قد غطى وجهه ليجيئه الوحي زعم، وعيينة في الحرب، فكان إذا أضجرته الحرب جاء إلى طليحة فيقول: هل جاءك جبريل. فيقول: لا إلى أن قال عيينة: يا بنِي فزارة، إن هذا كذاب فاجتنبوه، فتفرقوا عنه، فقال له قومه: ما تأمرنا، فقال طليحة: اصنعوا مثل ما أصنع، ثم جال في متن فرسه، وحمل امرأته ثم مضى هارباً إلى الشام، فشد خالد بمن معه على بني فزارة فقتل من قتل منهم، وأخذ عيينة أسيراً، ثم كر على بني عامر ففضهم، وأخذ قرة بن هبيرة أسيراً، فأوثقه مع عيينة، ثم بعث بهما إلى أبي بكر، ومضى طليحة وأصحابه إلى الشام فأصابهم في طريقهم عطش شديد، فقالوا: يا عامر، هلكنا عطشاَ فما بقي من كهانتك، فقال لرجل منهم: يا مخراق اركب فرساً وييالا، ثم شن عليه إقبالا، فإنك سترى فارات طوالا، ثم تجد عندها حلالا فركب مخراق فرأى الفارات وعندها عين، فشربوا وسقوا دوابهم، ثم مضى إلى الشام، فلما علم من هناك من المسلمين بطليحة أخذوه فأوثقوه ثم وجهوا به إلى أبي بكر، فتوفي أبو بكر وطليحة في الطريق، فقدم به على عمر فأسلم وحسن إسلامه.

فصل في ذكر قصة البطاح

فلما فرغ خالد من أسد وغطفان وهوازن سار إلى البطاح وعليها مالك بن نويرة فلم يجد هناك أحداً، ووجد مالكاً قد فرقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع، وذلك حين تردد على مالك أمره، فبث خالد السرايا وأمرهم أن يأتوه بكل من لم يجب، فإن امتنع قتلوه. وكان مما أوصى به أبو بكر: إذا نزلتم فأذنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم، وإلا فالغارة، وإن أجابوا إلى الإسلام فسائلوهم، فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم، وإن أبوا فالغارة، فجاءت الخيل إلى خالد بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع، فاختلف أصحاب خالد فيهم، فشهد أبو قتادة بن ربعي الأنصاري عند خالد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا.

وقال بعض الناس: لم نسمع منهم آذاناً ولا رأيناهم صلوا. فراجع مالك خالداً في كلام، فقال فيه مالك: قد كان صاحبكم يقول

ذلك يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد: يا عدو الله وما تعده لك صاحباً، فضرب عنقه وقتل أصحابه، وكانت له امرأة يقال لها: أم تميم بنت المنهال من أجمل الناس والنساء فتوجها خالد. وكان يقول الذي قتل مالكاً بيده عبد بن الأزور الأسدي، أخو ضرار، فقال متمم يرثي أخاه:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت ... نحو الكنيف فقتلك ابن الأزور

ومعنى تناوحت جاءت من كل موضع.

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف، أخبرنا السري بن يحيى، حدَثنا شعيب بن إبراهيم، حدَّثنا سيف بن عمر، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير وغيره: أن خالداً لما نزل البطاح بث السرايا فأتي بمالك وكان في السرية التي أصابتهم أبو قتادة فاختلف فيهم الناس، وكان أبو قتادة شهد أن لا سبيل عليه ولا على أصحابه، وشهد الأعراب أنهم لم يؤذنوا و لم يقيموا و لم يصلوا، وجاءت أم تميم كاشفة وجهها حتى أكبت على مالك، وكانت أجمل الناس، فقال لها: إليك عني فقد والله قتلتيني، فأمر بضرب أعناقهم، فقام إليه أبو قتادة فناشده ونهاه، فلم يلتفت إليه، فركب أبو قتادة ولحق بأبي بكر وحلف لا يسير في جيش تحت لواء خالد، فأخبره الخبر، وقال: ترك قولي وأخذ بشهادة الأعراب الذين فَتَنَتْهم الغنائم، فقال عمر رضي الله عنه: إن في صيف خالد رهقاً، وإن يكن هذا حقاَ فعليك أن تَقِيدَه، فسكت عنه أبو بكر، وكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه أن يقدم لينظر فيما فعل بمالك بن نويرة.

قصة أهل اليمامة

قال المصنف، : ولما فرغ خالد من البطاح أقبل إلى المدينة فدخل المسجد وعليه ثياب عليها صدأ الحديد، وعليه عمامة قد غرز فيها ثلاثة أسهم، فلما رآه عمر رضي الله عنه قال: أرثاء يا عدو الله، عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ثم تزوجت امرأته، لئن أمكنني الله منك لأرجمنك، ثم تناول الأسهم فكسرها وخالد ساكت لا يرد عليه شيئاً يظن أن ذلك عن رأي أبي بكر، فلما دخل على أبي بكر أخبره الخبر واعتذر إليه فصدقه وقبل عذره، وكان عمر يحرض أبا بكر على عزله، وأن يقيد منه، فقال أبو بكر: مه يا عمر، ما هو بأول من أخطأ، فارفع لسانك عن خالد، ثم ودى مالكاً وأمر خالداً أن يتجهز للخروج إلى مسيلمة الكذاب، ووجه معه المهاجرين والأنصار، وكان ثمامة بن أثال الحنفي قد كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه يخبره أن أمر مسيلمة قد استغلظ. فبعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل واتبعه شرحبيل بن حسنة، وقال: الحق بعكرمة فاجتمعا على قتال مسيلمة وهو عليك، فإن فرغتم فانصرفا إلى قضاعة، وأنت عليه، فلما أحس عكرمة بذلك أغذَ السير فقدم على ثمامة فأنهضه، فقال ثمامة: لا تفعل فإن أمر الرجل مستكثف وقد بلغني إن خلفك جنداً فيتلاحقون، فأبى عكرمة وعاجلهم مسيلمة فالتقوا فاقتتلوا فأصيب من المسلمين، فبعث أبو بكر إلى عكرمة فصرفه إلى وجه آخر. فلما قدم خالد من البطاح أمره أبو بكر بالسير إلى مسيلمة، فخرج حتى إذا كان قريباً من اليمامة تقدمت خيل المسلمين، فإذا هم بمجاعة بن مرارة الحنفي في ستة نفر من بني حنيفة، فجاءوا بهم إلى خالد، فقال لهم: يا بني حنيفة ما تقولون؟ فقالوا: منا نبي ومنكم نبي، فعرضهم على السيف، فبقي منهم مجاعة ورجل يقال له: سارية بن عامر. فلما قدم سارية ليقتل قال لخالد: إن كنت تريد بأهل هذه القرية خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل يعني مجاعة، ففعل ذلك، وأوثقه في الحديد ثم

دفعه إلى امرأته، وقال: استوصي به خيراً، ثم مضى حتى نزل منزلاً من اليمامة، فعسكر به، فخرج إليه مسيلمة، وكان عدد بني حنيفة أربعين ألف مقاتل، وقدم مسيلمة أمامه الرَّحَال بن عُنْفوة، وقد كان الرحَّال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقرأ سورة البقرة.

فلما رجع إلى مسيلمة شهد له في جماعة من بني حنيفة أنه سمع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الأمر، وأنه قد أعطي النبوة كما أعطيها، وكان قوله أشد على أهل اليمامة من فتنة مسيلمة.

قال أبو هريرة : جلست في رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار مثل أحد". فهلك القوم وبقيت أنا والرحال فكنت متخوفاً لها حتى خرج الرحال مع مسيلمة، فشهد له بالنبوة قالوا: الرجال.

فخرج يومئذ في مقدمة مسيلمة ومعه محكم اليمامة، وهو محكم بن طفيل، والتقى الناس، فكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، فقالوا له: انظر كيف تكون؟ إياك أن تفر، قال: بئس حامل القرآن أنا إذن، فقاتل حتى قتل. وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالأفعال، وحمل فأنفذهم حينئذ وقتل،.

وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، واقتتل الناس قتالًا شديداً، فقتل الرحال ومحكم اليمامة؟ أما الرحال فقتله زيد بن الخطاب، وأما محكم فقتله عبد الرحمن بن أبي بكر، وثبت مسيلمة، ثم جال المسلمون حوله فتراجعوا، فدخلت بنو حنيفة في فسطاط خالد فرعلوه بسيوفهم، وحمل رجل منهم على أم تميم بالسيف، فألقى مجاعة عليها رداءه، وقال: إنها في جواري فنعم الحرة ما علمت، فأصيب من المسلمين ألف ومائتا رجل، وانكشف باقيهم. فلما رأى ذلك ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، قال: يا معشر المسلمين، بئس ما عودتم أنفسكم، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء يعني المشركين وأعتذر إليك مما فعل هؤلاء يعني المسلمين ثم قاتل وجالد بسيفه حتى قتل. وكان قد ضرب فقطعت رجله فرمى بها قاتله. فقتله. وقاتل زيد بن الخطاب أخو عمر حتى قتل. فلما رجع عبد الله بن عمر، فقال له: هلا هلكت قبل زيد، فقال: قد عرضت على ذلك ولكن اللّه كرمه بالشهادة. وفي رواية أخرى أنه قال له: ما جاء بك وقد هلك زيد، ألا واريت وجهك عني.

وكان البراء بن مالك أخو أنس إذا حضر الحرب أخذته العدواء يعني الرعدة حتى يقعد عليه الرجال، ثم ينهم ى لأسد، فلما رأى ما أصاب الناس أخذه ما كان يأخذه، فثاب إليه ناس من المسلمين، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى انحازت بنو حنيفة واتبعهم المسلمون حتى أصاروهم إلى حديقة فدخلوها ثم أغلقوا عليهم، فقال البراء: احملوني والقوني إليهم، فألقوه إليهم ففتح الباب للمسلمين وقد قتل عشرة، فقتل في هذه الحديقة وفي هذه المعركة بضعة عشر ألف مقاتل. وكانت بنو حنيفة تقول لمسيلمة حين رأت خذلانها: أين ما كنت تعدنا؟ فيقول: قاتلوا عن أحسابكم. وقتل الله عز وجل مسيلمة، اشترك في قتله رجلان: رجل من الأنصار، ووحشي مولى جبير بن مطعم. وكان وحشي يقول: وقعت فيه حربتي وضربه الأنصاري والله يعلم أينا قتله. وكان يقول: قتلت خير الناس وشر الناس؟ حمزة ومسيلمة. وكانوا يقولون: قتله العبد الأسود، فأما الأنصاري فلا شك أن أبا دجانة سماك بن خرشة قتله.

فلما أخبر خالد بقتل مسيلمة خرج بمجاعة يرسفُ في حديده ليدله على مسيلمة، فمر بمحكم بن الطفيل، فقال خالد: هذا صاحبكم؟ قال: لا هدا والله خير منه وأكرم، ثم دخل الحديقة، فإذا رُوَيْجل أُصَيْفر أخَيْنس ، فقال له مجاعة: هذا صاحبكم قد

فرغتم منه، ، فقال خالد: هذا فعل بكم ما فعل، قال: قد كان ذلك يا خالد، وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس ، وإن جماهير الناس لفي الحصون. قال: ويلك ما تقول؟ قال: هو والله الحق، فهلم لأصالحك على قومي. فدعني حتى آتيهم وأصالحهم عنك، فإنهم يسمعون مني، ودخل الحصن، فأمر الصبيان والنساء فلبسوا السلاح ثم اشرفوا عليه وخالد يظنهم رجالاً، فلما نظر إليهم وقد قتل أكثر أصحابه صالح مجاعة عنهم الربع من السبي والحمراء والبيضاء والحلقة، ثم علم بعد ذلك أنهم كانوا صبياناً ونساء، فقال لمجاعة: خدعتني، فقال: قومي أفنتهم الحرب، فلا تلمني فيهم. فلما فرغ من صلحهم إذا كتاب من أبي بكر رضي الله عنه قَد جاءه أن يقتل منهم كل من أنبت، فجاءه الكتاب بعد الصلح، فمضى عليهم الصلح، فلم يقتلوا، ثم خطب خالد إلى مجاعة ابنته، فقال له: مهلاً أيها الرجل إنه قاطع ظهري وظهرك عن صاحبك تزوج النساء وحول أطنابك دماء ألف ومائتي رجل من المسلمين، فقال: زوجني لا أبالك، فزوجه فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه، فكتب إليه: لعمري يا ابن أم خالد، إنك لفارغ حين تتزوج النساء وحول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد، فإذا جاءك كتابي فالحق بمن معك من جموعنا بأهل الشام، واجعل طريقك على العراق، فقال وهو يقرأ الكتاب: هذا عمل الأعَيْسر يعني عمر بن الخطاب.

قال علماء السير: قتل من المسلمين يوم اليمامة أكثر من ألف، وقتل من المشركين نحو عشرين ألفاً، وكانت حرب اليمامة سنة إحدى عشرة في قول جماعة منهم أبو معشر. فأما ابن إسحاق فإنه قال: فتح اليمامة واليمن والبحرين، وبعث الجنود إلى الشام في سنة اثنتي عشرة.

قصة أهل البحرين

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث على أهل البحرين المنذر بن ساوي، واشتكى هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر واحد، ومات المنذر بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بقليل. وإرتد أهل البحرين فأما عبد القيس ففاءت، وأما بكر فتمت على ردها، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن عمرو حتى فاءوا.

وذلك أنهم قالوا: لو كان محمد نبياً ما مات، فقال الجارود : تعلمون أنه كان قبله أنبياء. قالوا: نعم، قال: فما فعلوا. قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً قد مات كما ماتوا، فعادوا إلى الإسلام.

فلما فرغ خالد من اليمامة بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي إلى البحرين في ستة عشر فارساً، فقال ابن عبد القيس: إن لم يرتدوا فهم جندك فسار مع العلاء حتى بلغه عبد القيس، فكتب الجارود إلى العلاء: إن بيني وبينك أسود النهار وضباع الليل، ففهم فبعث العلاء جنوده تحت الليل فقتلوهم وسار وأمده ثمامة بقومه، فتزل العلاء بأصحابه ليلة فنفرت الإبل فما بقي عندهم لا زاد ولا مزاد، وأوصى بعضهم إلى بعض فصلى بهم العلاء الفجر وجثى فدعا فلاح لهم ماء، فذهبوا إليه فشربوا، فإذا الإبل تكرد من كل وجه، ، فقام كل رجل منهمِ إلى ظهره، فما فقدوا سلكاً، وخندق المسلمون وتراجعوا وتراوحوا القتال شهراَ، ثم كر المرتدون، فتحصن المسلمون، منهمِ بحصن بالبحرين يقال له: جواثا حتى كادوا يهلكون جوعاً، فتزل بعض المسلمين ليلاَ، فجال في عسكر القوم ثم عاد فقال: إن القوم سكارى، فخرج إليهم العلاء وأصحابه، فوضعوا فيهم السيوف، وأخذوا غنائمهم.

ولما فرغ العلاء من البحرين سار إلى هجر فافتتحها صلحاً وكان فيها راهب، فقيل له: ما دعاك إلى الإسلام فقال: ثلاثة أشياء

خشيت أن يمسخني اللّه بعدها إن لم أسلم: فَيْضٌ في الرمال، وتمهيد أثباج البحار، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء من السحر، قالوا: اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع ليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، والحي، الذي لا يموت، وخالق ما يُرَى وما لا يُرَى، وكل يوم أنت في شأن، علمت اللهم كل شيء بغير تَعَلُّم، فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر اللّه. فكان أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يسمعون من، ذلك الهجري بعد. ثم سار العلاء إلى الحطم، ووجه بعض أصحابه فافتتحوها عنوة، وندب الناس إلى دارين، فأتى ساحل البحر، فدعا اللّه واقتحموا، فأجازوه كأنهم يمشون على مثل رَمْلة مَيْثَاءَ، فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وكان بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر، فالتقوا واقتتلوا وسبوا الذراري واستاقوا الأموال، فبلغ نفل الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين، ثم رجعوا عودهم على بدئهم كما عبروا. وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر :

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللَّه ذَلَّلَ بَحْرهُ … وأنْزلَ بِالْكُفَّار إحْدَى الجَلائِل

دَعوْنَا الَّذِي شَقَ البِحَارَ فَجَاءَنَا … بِأعْجَب مِنْ فَلْقِ البِحَار الأوَائِل

ولما قفل العلاء بالناس مروا على ماء لبني قيس بن ثعلبة فرأوا على ثمامة بن أثال خميصة الحُطَمْ، فقالوا: هذه خميصة الحطم وأنت قتلته، قال: لست قاتله لكن اشتريتها من الفيء فقتلوه.

ذكر قصة أهل عمان ومهرة واليمن

قال علماء السير : نبغ بعمان لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسمى في الجاهلية الجُلَنْدَى، فادعى ما ادعاه من تنبأ، وغلب على عمان مرتداً، وارتد أهل عمان، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن إلى عمان وعرفجة البارقي إلى مهرة وأمرهما أن يبدءا بعمان، وكان أبو بكر قد بعث عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة، واستعجل قبل أن يلحقه المدد، فقاتل وأصيب جماعة من المسلمين، فكت إليه أبو بكر يعنفه على سرعته، ويقول: لا أرَيَنّك، ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء، والحق بعمان حتى تقاتل أهل عمان وتعين حذيفة وعرفجة، فإذا فرغتم فامض إلى مهرة، ثم ليكن وجهك منها إلى اليمن، فأوطيء ما بين عمان واليمن ممن ارتد، وَلْيَبْلُغني بلاؤك. فلما اجتمعوا جمع لقيط فاقتتلوا، فرأى المسلمون في أنفسهم خللاً فإذا مواد قد أقبلت إليهم من عبد القيس وغيرهم، فوهن اللّه الشرك، وقتل من المشركين في المعركة عشرة آلاف فأثخنوا فيهم وسبوا الذراري وقسموا ذلك على المسلمين وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر رضي اللّه عنه مع عرفجة.

ذكر ردة مهرة

ولما فرغ عكرمة وعرفجة وحذيفة من ردة عمان خرج عكرمة في جنده نحو مهرة، واستنصر مَنْ حول عمان وأهل عمان، وسار حتى أتى مهرة والتقوا، فكشف اللّه جنود المرتدين، وقتل رئيسهم، وركبهم المسلمون، فقتلوا ما شاءوا، فخمس عكرمة الفيء، فبعث بالأخماس إلى أبي بكر، وقسم الأربعة أخماس على المسلمين.

ذكر خبر ردة اليمن

كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قد ولى المهاجر بن أمية صنعاء، وزياد بن لبيد حضرموت، فتوفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهما على عملهما، فانتقضت كندة على زياد بن لبيد إلا طائفة منهم ثبتوا معه، فقيل له: إن بني عمرو بن معاوية قد جمعوا لك فعاجلهم فثبتهم وحاز غنائمهم ثم أقبل بها راجعاً، فمر بالأشعث بن قيس، فخرج الأشعث في قومه يعترض لزياد، فأصيب ناس من المسلمين وانحاز زياد ثم كتب إلى أبي بكر رضي اللّه عنه يخبره ذلك، وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى المهاجر بصنعاء أن يمد زياداً بنفسه، فسار إليه المهاجر، ثم أنهما جمعا ولقوا المشركين، فأثخنوهم. ووجه أبو بكر رضي اللّه عنه عكرمة بن أبي جهل في خمسمائة مدداُ لزياد، فقدموا عليه وقد قتل أولئك وغنم أموالهم فأشركهم في الغنيمة. وتحصنت ملوك كندة ومن بقي معهم في النجير وأغلقوا عليهم فجثم عليهم زياد والمهاجر وعكرمة، وكان في الحصن الأشعث بن قيس، فلما طال الحصار، قال الأشعث: أنا أفتح لكم باب الحصن وأمكنكم ممن فيه على أن تؤمنوا لي عشرة، فأعطوه ذلك، ففتح باب الحصن، ثم عزل عشرة أنفس و لم يعد فيهم نفسه وهو يرى أنهم لا يحسبون به في العشرة، فقالوا: إنما صالحناك على عشرة، فنحن نعفو عن هؤلاء ونقتلك لأنك لم تعد نفسك فيهم، فقال لهم: وإن ظنكم ليدلكم على أني أصالح عن غيري وأخرج بغير أمان، فجادلهم وجادلوه، فقالوا: نرد أمرك إلى أبي بكر رضي اللّه عنه فيرى فيك رأيه، وأمر زياد بكل من في الحصن أن يقتلوا فقتلوا، وكانوا سبعمائة، وسبى نساءهم وذراريهم، وحمل الأشعث إلى أبي بكر رضي اللّه عنه، فزعم أنه قد تاب ودخل في الإسلام، وقال: منَ علي وزوجني أختك، فإني قد أسلمت، فزوجه أبو بكر رضي الله عنه أم فروة بنت أبي قحافة، فولدت له محمداً، وإسحاق، وإسماعيل، فأقام بالمدينة، ثم خرج إلى الشام في خلافة عمر رضي اللّه عنه، وكانت ردة اليمن سنة إحدى عشرة. روى المؤلف بإسناده عن أبي رجاء العطاردي، قال: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلًا يقبل رأس رجل وهو يقول: أنا فداؤك، لولا أنت لهلكنا، فقلت: من المُقَبِّل ومن المُقَبَّل، قالوا: ذاك عمر يقبل رأس أبي بكر رضي اللّه عنهما في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين.

وفي هذه السنة كتب معاذ بن جبل وعمال اليمن إلى أبي بكر يستأذنونه في القدوم، فكتب إليهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعثكم لما بعثكم له من أمره، فمن كان أنفذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاء أن يرجع فليرجع وليستخلف على عمله، ومن شاء أن يقيم فليقم، فرجعوا. فلما قدم معاذ لقي عمر بن الخطاب فاعتنقا وعزا كل واحد منهما صاحبه برسول اللّه صلى الله عليه وسلم. وكان مع معاذ الخراج، وكان معه وصفاء قد عزلهم، فقال عمر: ما هؤلاء؟ قال: أهدوا لي، فقال عمر: أطعني وائت بهم أبا بكر فليطيبهم لك، قال معاذ: لا لعمري آتي أبا بكر بمالي يطيبه لي، فقال عمر: إنه ليس لك. فلما كان الليل وأصبح أتاه فقال له: لقد رأيتني البارحة كأني أدنو إلى النار، وأنت آخذ بحجزتي، أني وجدت الأمر كما قلت. فأتى أبا بكر فاستحلها فأحلهم. فبينما معاذ قائم يصلي رأى رقيقه يصلون كلهم، فقال لهم: ما تصنعون؟ قالوا: نصلي، قال: لمن؟ قالوا: لله عز وجل، أقال : فاذهبوا فأنتم لله، فأعتقهم.

وفي هذه السنة حج بالناس عمر بن الخطاب، وقيل: بل عبد الرحمن بن عوف، وقيل: عتاب بن أسيد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

ثابت بن أقرن بن ثعلبة بن عدي: شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة، فبعثه مع عكاشة فقتلا.

ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن أمرىء القيس: شهد أحداً، والخندق، والمشاهد بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان خطيباً جهير الصوت. أنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا البرمكي، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَّثنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا عفان، حدَثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن أنس: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين تكفن فيهما، وقد انهزم القوم، فقال: اللهم أني أبرأ إليك مما جاءه هؤلاء يعني المشركين وأعتذر إليك مما جاء به هؤلاء يعني المسلمين، ثم قال: بئس ما عودتم أقرانكم منذ اليوم، خلوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل فقاتل حتى قتل.

ثابت بن هزال بن عمرو: شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم اليمامة.

ثمامة بن أثال: قتل في هذه السنة.

حبيب بن يزيد مولى عمارة: كان يقول له مسيلمة: أتشهد أني رسول اللّه، فيسكت، فيقول: أتشهد أن محمداً رسول اللّه، فيقول: نعم، فقطعه أعضاء.

حزن بن آي وهب: قتل يوم اليمامة.

زيد بن الخطاب، أخو عمر، كان أسن من عمر، وأسلم قبل عمر، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر رضي الله عنه: سبقني زيد الإسلام والشهادة، وما هبت الصبا قط إلا أتتني بريح زيد.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَثنا الحسين بن الفهم، حدَثنا محمد بن سعد، أخبرنا خالد بن مخلد البجلي، حدَثنا عبد الله بن عمر العمري، عن نافع، ، عن ابن عمر، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأخيه زيد يوم أحد: أقسمت عليك إلا لبست درعي، فلبسها ثم نزعها، فقال له عمر: ما لك؟ قال: إني أريد لنفسي ما تريد لنفسك. قال ابن سعد: وحدَثنا محمد بن عمر، حدَثني الحجاف بن عبد الرحمن من ولد زيد بن الخطاب، عن أبيه، قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، وقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرِّجال، فجعل زيد يقول: أما الرجال فلا رجال، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الرايِة، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة.

سالم مولى أبي حذيفة: قال ابن سعد: كان لثُبَيْتَةَ بنت يعار الأنصارية، وكانت تحت أبي حذيفة بن عتبة فأعتقته، فتولى أبا حذيفة، وتبناه أبو حذيفة. وقال الخطيب: اسم الذي أعتقته سلمى بنت يعار. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن سالماً شديد الحب لله". وكان سالم يؤم المهاجرين من مكة حين، قدموا، وكان أقرأهم وفيهم أبو بكر وعمر، وكان اللواء يوم اليمامة بيد زيد بن الخطاب، فلما قتل أخذه سالم، فقالوا له: إنا نخاف أن نؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي، فقطعت يمينه، فتناولها بشماله فقطعت، فاعتنق اللواء وجعل يقول: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" آل عمران 144 ووقف بالراية حتى قتل، فعرض ميراثه على مولاته، فأبت وقالت: أنا سيبته للّه تعالى. فجعل عمر ميراثه في بيت المال.

سماك بن خرشة، أبو دجانة: شهد بدراً وأحداً، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، وبايعه على الموت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: "من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقال: أنا، فأخذه ففلق به هام المشركين.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَّثنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، عن عبد اللّه بن جعفر الرقبي، قال: حدَثنا أبو المليح، عن ميمون بن مهران، قال: لما انصرفوا يوم أحد قال علي لفاطمة: خذي السيف غير ذميم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه الحارث بن الصمة وأبو دجانة" قال ابن سعد: وأخبرنا معن بن عيسى، قال: حدَثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، قال: إنه دخل على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل: ما لوجهك يتهلل. فقال: ما من عملي شيء أوثق من اثنتين، أما إحداهما، فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً. قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: شهد أبو دجانه اليمامة، وهو فيمن شرك في قتل مسيلمة الكذاب وقتل أبو دجانة يومئذ شهيداً.

السائب بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى: شهد أحداً والخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة.

سليط بن عمرو بن عبد شمس بن : قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم إلى المدينة، وشهد أحداً وما بعدها، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وجهه بكتاب إلى هوذة بن علي الحنفي، وقتل سليط يوم اليمامة.

شجاع بن وهب: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة.

عبد اللّه بن أبي بكر الصديق: أمه قتيلة، أسلم قديماً ولم يسمع له بمشهد الا يوم الطائف، فإنه شهد مع رسول اللّه صلى الله عليه وسام فرماه أبو محجن بسهم فبقي منه جريحاً مدة، ثم اندمل ثم انتقض به في شوال سنة إحدى عشرة في خلافة أبيه فمات، ونزل في حفرته عبد الرحمن بن أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما.

عبد اللّه بن سهيل بن عمرو : هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدم مكة أخذه أبوه فأوثقه وفتنه. أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا ابن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، قال: قال محمد بن عمر: حدَّثني عطاء بن محمد بن عمرو بن عطاء، عن أبيه، قال: خرج عبد اللّه بن سهيل إلى نفيربدرمع المشركين وهو مع أبيه سهيل في نفقته وحملانه، ولا يشك أبوه أنه رجع إلى دينه، فلما التقوا انحازعبد اللّه بن سهيل إلى المسلمين حتى جاء رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قبل القتال، فشهد بدراً مسلماً وهو ابن سبع وعشرين سنة، فغاظ ذلك أباه غيظاً شديداً. قال عبد اللّه: فجعل اللّه عز وجل لي وله في ذلك خيراً كثيراً. وشهد عبد اللّه أحداً والخندق والمشاهد كلها، وقتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما حج أبو بكرالصديق في خلافته أتاه سهيل بن عمرو فعزاه أبو بكر بعبد اللّه ، فقال سهيل: لقد بلغني أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قال: يشفع الشهيد لسبعين من أهله، فأنا أرجو ألا يبدأ ابني بأحد قبلي.

عبد اللّه بن مخرمة بن عبد العزى، أبو محمد : هاجر إلى الحبشة الهجرتين، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم اليمامة شهيداَ.

عباد بن بشر بن وقش بن زغبة، أبو بشر: أسلم بالمدينة على يديِ مصعب بن عمير، وشهد بدراً، وكان ممن قتل كعب بن

الأشرف، وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقاسم حنين، واستعمله على حرسه بتبوك مدة إقامته هناك، وكانت اقامته عشرين يوماً، وشهد يوم اليمامة فقتل شهيداً وهو ابن خمس وأربعين سنة.

عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة، أبو عقيل : شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة. أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا ابن جوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَثنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا الواقدي، حدَّثنا، جعفر بن عبد الله بن أسلم، قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال، كان أول من خرج أبو عقيل، رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم، ووهن له شقه الأيسر في أول النهار وجر إلى الرحل، فلما حمِي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي يصيح: يا للأنصار، الله الله والكرة على عدوكم. قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما فيك قتال، قال: قد نوه المنادي باسمي. قال ابن عمر فقلت: إنما يقول يا للأنصار، ولا يعني الجرحى، قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً، ، ثم جعل ينادي: يا للأنصار كرة كيوم حنين. فاجتمعوا رحمهم الله جميعاً، يقدمون المسلمين دُرْبَةً دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم. قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت بالأرض، وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: أبا عقيل، فقال: لبيك بلسان مُلْتَاث، لمن الدبرة؟ قال: قلت: أبشر قد قتل عدو الله، فرفع اصبعه إلى السماء فحمد الله، ومات رحمه الله. قال ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره كله، فقال: رحمه الله، ما زال يطلب الشهادة ويطلبها، وإن كان ما علمت من خيار أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم وقديم إسلامهم.

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، ومرضت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضًا شديداً، فقالت لأسماء بنتَ عميس: ألا ترين ما قد بلغت فأحمل على سرير ظاهر، فقالت: لا لعمري ولكن نعشاً كما يصنع الحبشة، فقالت: فأرينيه، فأرسلت إلي جرائد رطبة، فقطعت ثم جعلتها على السرير نعشًا، فتبسمت فاطمة عليها السلام وما رئيت متبسمة إلا يومئذ، وتوفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان هذه السنة وهي بنت تسع وعشرين سنة، وصلى عليها العباس، ونزل في حفرتها هو، وعلي، والفضل. وقال ابن عباس، وعروة: صلى عليها علي رضي الله عنه. وقال الشعبي وإبراهيم: صلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت ليلاً.

معن بن عدي بن العجلان: شهد العقبة مع السبعين، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن الخطاب، فقتلا جميعاً يوم اليمامة. شهد معن بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى الناس وقالوا: وددنا أنا متنا قبله، نخشى أن نفتن بعد، فقال معن: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً.

نعمان بن عصر بن عبيد بن وائلة: كذا قال الأكثرون: عصر بكسر العين. وقال هشام بن الكلبي: عصر بفتح العين والصاد. قال ابن عمارة: اسمه لقيط بن عصر. شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم اليمامة.

هشام بن عتبة بن ربيعة، أبو حذيفة، وقيل هشيم: شهد بدراً والمشاهد كلها، وقتل يوم الميامة.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة

فمن الحوادث فيها:

مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة

لما فرغ خالد من أمر اليمامة كتب إليه أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه وهو مقيم باليمامة: إني قد وليتك حرب العراق، فاجسر على من ثبت على إسلامه، وقاتل أهل الردة، ممن بينك وبين العراق من تميم وأسد وقيس وعبد القيس، وبكر بن وائل، ثم سر نحو فارس فادخل بهم العراق من أسفلها، فابدأ بفرج الهند، وهي يومئذ الأبلَّة، وكان صاحبها بساحل أهل السند والهند في البحر، وبساحل العرب في البر، فسار في المحرم إلى أرض الكوفة وفيها المثنى بن حارثة الشيباني، وجعل طريقه البصرة، وفيها قطبة بن قتادة السدوسي. قال الواقدي: من الناس من يقول: مضى خالد من اليمامة إلى العراق، ومنهم من يقول: رجع من اليمامة فقدم المدينة ثم سار إلى العراق، فمر على طريق الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة. وروى ابن إسحاق، عن صالح بن كيسان : أن أبا بكر رضي اللّه عنه كتب إلى خالد يأمره أن يسير إلى العراق، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقُريات من السواد، يقال لها:، بانقْيا وبارُوسْما وألَيْس، فصالحه أهلها، وكان الذي صالحه عليها ابن صَلوبا، وذلك في سنة اثنتي عشرة، فقبل منهم خالد الجزية، وكتب لهم كتاباً فيه: "بسم اللّه الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد لابن صلوبا السَّواديّ ومنزله بشاطىء الفرات إنك آمن بأمان اللّه إذ حقن دمه بإعطاء الجزية وقد أعطيت عن نفسك وعن أهلك خَرْجك وجزيرتك ومن كان في قريتك ألف درهم فقبلتها منك ورضي من معي من المسلمين بها منك، ولك ذمة اللّه وذمة محمد صلى الله عليه وسلم وذمة المسلمين على ذلك. وشهد هشام بن الوليد. ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس الطائي، وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر، فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى اللّه وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، فنجاهدكم حتى يحكم اللّه بيننا وبينكم. فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية، ، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هي والقريات التي صالح عليها ابن صلوبا.

وقال هشام بن الكلبي : إنما كتب أبو بكر إلى خالد وهو باليمامة أن يسير إلى الشام، وأمره أن يبدأ بالعراق فيمر بها، فأقبل خالد يسير حتى نزل النِّباج. قال: وقال أبو مخنف: حدثني حمزة بن علي، عن رجل من بكر بن وائل، أن المثنى بن حارثة سار حتى قدم على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: أمَرْني على مَنْ قِبَلي من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس وأكفيك ناحيتي، ففعل ذلك فأقبل يجمع قومه وأخذ يغير ناحية كسكر مرة، وفي أسفل الفرات مرة، ونزل خالد بن الوليد النباج والمثَّنى بن حارثة بخَفَانَ، معسكرة فكتب إليه خالد بن الوليد ليأتيه، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر رضي اللّه عنه يأمره فيه بطاعته، فانقض إليه جواداً، حتى لحق به. فأقبل خالد يسير، فعرض له جابان صاحب ألّيْس ، فبعث إليه المثنى بن حارثة، فقاتله فهزمه، وقتل جُل أصحابه، إلى جانب نهر، فدعي نهر دم لتلك الوقعة، وصالح أهل ألَّيْس، وأقبل حتى دنا من الحيرة، فخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب، فلقوهم بمجتمع الأنهار، فتوجه إليهم المثنى بن حارثة، فهزمهم الله. ولما رأى ذلك أهل الحيرة

خرجوا يستقبلونه ة فيهم عبد المسيح بن عمرو بن

بُقيلة، وهاني بن قبيصة، فقال خالد لعبد المسيح: من أثَرُك. قال: من ظهر أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: ويحك على أي شيء أنت. قال: على الأرض، قال: ويلك في أي شيء أنت. قال: في ثيابي، قال: ويحك، تعقل. قال: نعم وأقيِّد، قال: إنما أسألك، قال: وأنا أجيبك، قال: أسلم أنت أم حرب. قال: بل سلم، قال: فما هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه، قال خالد: إني أدعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم قاتلتكم، قالوا: لا حاجة لنا في حربك، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم، فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق. وفي رواية أخرى: أن عبد المسيح لما حضر عند خالد وجد معه شيئاً يقلبه في كفه، فقال: ما هذا؟ قال: سم، قال: وما تصنع به؟ قال: إن كان عندك ما يوافق قومي حمدت الله وقبلته، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ذلاً أشربه وأستريح من الحياة، قال: هاته. فأخذه خالد، وقال: بسم اللهّ، وباللّه رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء، ثم أكله فجللته غشية، ثم ضرب بذقنه صدره طويلاً ثم عرق وأفاق كأنما نشط من عقال، فرجع ابن بُقَيلة إلى قومه، فقال: جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره فصانعوا القوم وادرؤوهم عنكم فإنهم مصنوع لهم، فصالحوهم على مائة ألف درهم. قال مؤلف الكتاب: وهذا عبد المسيح هو ابن عمرو بن قيس بن حبان بن بقيلة، واسم بقيلة ثعلبة، وقيل: الحارث، وإنما سمي بقيلة، لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين، فقالوا: ما أنت إلا بقيلة. وعاش عبد المسيح ثلاثمائة وخمسين سنة، وكان نصرانياً، وخرج بعض أهل الحيرة يخط ديراً في ظهرها، فلما حفر وأمعن وجد كهيئة البيت، ووجد رجلاً على سرير من زجاج وعند رأسه كتابة: أنا عبد المسيح بن بقيلة ومكتوب بعده:

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلتَ من المنى فوق المزيد
وكافحتَ الأمور وكافحتني ولم أجعل بمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلود

روى مجالد، عن الشعبي : أقرأني بنو بقيلة كتاب خالد إلى أهل المدائن: من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فالحمد لله الذي سلب ملككم، ووهن كيدكم، وإنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم الذي له مالنا وعليه ما علينا أما بعد، فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرهُن، بالتي هي أحسن، واعتقدوا مني الذمة، وإلا فو الذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة. فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون، وذلك في سنة اثنتي عشرة. قال الشعبي : ولما فرغ خالد من اليمامة، كتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: إن اللّه فتح عليك فعارق حتى تلقى عياضاً. وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين النباج والحجاز: أن سر حتى تأتي المصَيَخَ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالداً. واذَنا لمن شاء بالرجوع، ولا تستفتحا بمتكاره.

فلما أذنا للناس ارفضوا، فاستمد خالد أبا بكر رضي الله عنه، فأمده بالقعقاع بن عمرو التميمي وحده، فقيل أتمده برجل واحد، فقال: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا، فأمد عياضاً بعبد بن عمرو الحميري، وكتب إليهما أن استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي، فلم يشهد الأيام مرتد.

فقدم خالد الأبلة وحشر من بينه وبين العراق، فلقي هرمز في ثمانية عشر ألفاً، وكتب خالد إلى هرمز: أما بعد، وأسلم تسلم، واعقد

لنفسك ولقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة. وقال المغيرة بن عيينة وهو قاضي الكوفة: فرق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، و لم يحملهم على طريق واحدة، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدي بن حاتم، وعاصم بن عمرو ودليلهما مالك، بن عباد، وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج ودليله رافع، فوعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادفوا عدوهم، وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأناً وأشده شوكة، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر. ولما قدم كتاب خالد على هرمز، كتب بالخبر إلى شيري بن كسرى، وإلى أردشير بن شيري، وجمع جموعه وتعجل وجعل على مجنبتيه قباز والنوشجان، ونزلوا على الماء، فجاء خالد، فقال لأصحابه: جالدوهم على الماء، فليصيرن الماء لأصبر الفريقين، وتنازل هرمز وخالد وانهزم أهل فارس وأفلت قباز والنوشجان. وأول ملوك فارس قاتله المسلمون شيري بن كسرى، وبعث خالد بالنفل إلى أبي بكر رضي اللّه عنه ومعه فيل، فكان يطاف به في المدينة، وكان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف، وكان هرمز قد تم شرفه فنفل أبو بكر رضي الله عنه خالداً قلنسوته، وكانت مفصصة بالجوهر.

وقعة المذار

وبعث شيري إلى هرمز قارن بن قريانس مدداً له، فلما انتهى إلى المذار بلغته هزيمة القوم، فعسكر هنالك واستعمل على مجنبته قباذ والنوشجان، وقتل من فارس ثلاثون ألفاً سوى من غرق وأعطى خالد الأسلاب من سلبها، وقسم الفيء وبعث ببقية الأخماس مع سعيد بن النعمان، وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة.

ذكر وقعة الولجة

وأتى الخبر أردشير، فبعث الأندر في خلق كثير، فلقوا خالداً فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان لخالد كمين، فخرج على القوم من وجهين، فانهزمت صفوف الأعاجم، وأخذوا عن بين أيديهم ومن خلفهم، ومضى الأندر منهزماً فمات عطشاَ.

ذكر خبر أليس وهي على صلب الفرات

ثم إن النصارى وفارس اجتمعوا بأليس وقد وضعوا الأطعمة يأكلون، فقال: كلوا ولا تحفلوا بهم، فعالجهم خالد فقاتلهم، وقال: اللهم إن لك عليَّ إن منحتني أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم. فمنحه اللّهَ أكتافهم، فأمر مناديه: الأسر الأسر، ولا تقتلوا إلا من امتنع، فضرب أعناقهم في النهر، فقيل: لو قتل أهل الأرض لم تجر دماؤهم، إن الدم لا تزيد على أن تترقرق أرسل عليه الماء تبر يمينك. وكان قد صد الماء عن النهر، فأعاده، فجرى دماً عبيطاً، فسمي نهر الدم لذلك إلى اليوم. وكانت على الماء أرحاء، فطحنت قوت العسكر ثلاثة أيام بالماء الأحمر، وبلغ القتلى سبعين ألفاً. ووقف خالد على طعامهم، فقال لأصحابه: قد نفلتكم الطعام، فكان من لا يعرف خبز الرقاق يقول: ما هذه الرقاع البيض، وجعل من يعرفها يقول: هل سمعتم برقيق العيش؟ هو هذا.

حديث أمغيشيا

ونفذ خالد إلى أبي بكر رضي الله عنه بفتح أليس، فلما فرغ خالد من وقعة أليس جاء إلى أمغيشيا، وقد جلا أهلها فأمر بهدمها، وكانت مصراً كالحيرة فأصابوا منها ما لم يصيبوا مثله قط، بلغ سهم الفارس ألف وخمسمائة سوى النفل التي نفله أهل البلاء.

حديث يوم المقر وفم فرات بادقلي

ثم خرج آزاذبه وابنه نحو خالد في عسكر كبير، فقتلهم خالد حتى أتى منهم، وهرب آزاذبه، ثم قصد خالد الحيرة وسار حتى نزل الخَورْنَق والنَّجَف، وأدخل خالد الحيرة الخيل، وأمر كل قائد من قواده بمحاصرة قصر من قصورها، فكان ضرار بن الأزور محاصراً للقصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدَسيّين وفيه عدي بن عدي، وكان ضرار بن مقرن المازني محاصراً قصر بني مازن وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقيلة، وفيه عمرو بن عبد المسيح، فدعوهم جميعاً، وأجلوهم يوماً، فأبى أهل الحيرة ولجُّوا، ، فناوشهم المسلمون. فكان أول القواد أنشب القتال ضرار بن الأزور، وصبح كل أمير ثغره، فأكثروا فيهم القتل، وصاحوا: كفوا عنا حتى تبلغونا إلى خالد، وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح وهو بقيلة. فلما وصل الرؤساء إلى خالد، قال: اختاروا واحدة من ثلاث: أما أن تدخلوا في ديننا، وأما الجزية، وأما المناجزة، فقد واللّه أتيتكم بأقوام أحرص على الموت منكم على الحياة، قالوا: بل الجزية، فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفاً في كل سنة. فبعث بالهدايا والفتح إلى أبي بكر رضي اللّه عنه، فقبلها أبو بكر رضي اللّه عنه، وكتب إلى خالد: احسب لهم هداياهم من الجزية، وصالحهم خالد في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة. ثم أنهم كفروا بعد موت أبي بكر رضي اللّه عنه فحاربهم المثنى ثم عادوا فكفروا فقتلهم سعد.

فصل خبر ما بعد الحيرة

ولما فتح خالد الحيرة قام شويل، فقلاك: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يذكر فتح الحيرة، فسألته كرامة بنت عبد المسيح، فقال: "هي لك إذا فتحت عنوة". وشهد له بذلك، وعلى ذلك صالحهم، ، فدفعها إليه، وكان يهزأ، بها دهرا، فاشتد ذلك على أهلها، فقالت: ما تخافون على امرأة قد بلغت ثمانين سنة، وإنما هذا رجل أحمق رآني في شبيبتي، فظن أن الشباب يدوم، فلما أخذها قالت: ما أربك إلى عجوز كما ترى، فَادِني، فقال: لست لأمٍّ شوي إن نَقَصْتُك، من ألف درهم، فاستكثرت ذلك لتخدعه ثم أتته بها. فلما سمع الناس ذلك عنفوه، فقال: ما كنت أرى عدداً يزيد على ألف. ولما صالح خالد أهل الحيرة خرج إليه صلوبا صاحب قُسِّ النَّاطف، فصالحه على بانِقْيا وَبَسْما على ألوف في كل سنة. وبعث خالد بن الوليد عماله وبعث آخرين على ثغور، ثم إن خالداً كتب إلى أهل فارس وهم في المدائن مختلفون لموت أردشير، وكتب كتابين: كتاباً إلى الخاصة، وكتاباً إلى العامة، وقال لرجل: ما اسمك؟ قال: مُرّة قال: خذ هذا الكتاب فأت به أهل فارس، لعل اللّهّ أن يُمِرَّ عليهم غيشهم، وقال لآخر: ما اسمك؟ قال: هرقيل، قال: خذ هذا الكتاب؟ وقال،: اللهم أرهق نفوسهم، وكان في أحد الكتابين: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس، أما بعد، فالحمد للّه الذي حلّ نظامكم، ووهَن كيدكم، وفرق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة".

وكان في الكتاب الآخر : "بسم اللهّ الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس أما بعد فالحمد لله الذي فرق كلمتكم، وفلّ حدّكم، وكسر شوكتكم، فاسلموا تسلموا، وإلا فأدوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون الخمر".

وكان أهل فارس لموت أردشير مختلفين في الملك، وكانوا بذلك سنة، والمسلمون يمخرون ما دون دجلة وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر وأمر خالد رسوليه أن يأتياه بالخبر، وأقام في عمله سنة، ومنزله الحيرة، ويصعد ويصوب، وأهل فارس يخلعون ويملكون، وذلك أن شيري بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير، وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كل مَنْ بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جور، فبقوا لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه. واستقام لخالد من أسفل الفلاليج إلى أسفل السواد، وفرق سواد الحيرة على جماعة من أصحابه، وفرق سواد الأُبُلَّة على جماعة من أصحابه.

فصل حديث الأنبار

قدم خالد إلى الأنبار، فطاف بخندقهم، وأنشب القتال، وكان قليل الصبر عن القتال، وتقدم إلى رماته، فقال: إني أرى أقواماً لا علم لهم بالقتال، فارموا عيونهم فرموا رشقاً واحداً، ففقئت ألف عين، فسميت تلك الوقعة ذات العيون، فأتى خالد أضيق مكان في الخندق برذايا، الجيش، فرماهم فيها، فأفعمه، ثم اقتحم الخندق، فقهرهم. وسميت الأنبار لأنه كان فيها أنابير الحنطة والشعير، والقت والتبن، وكان كسرى بن هرمز يرزق أصحابه منها، وكان يسميها الأهراء في زمان يزدجرد بن سابور، ثم صالح خالد من حولهم، وبعث إليهم أهل كلواذى، وكاتبهم على عيبته من وراء دجلة.

فصل خبر عين التمر

ولما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزَبَرْقان بن بدر، وقصد عين التمر، وكان بها مهران بن بهرام في جمع عظيم، وعقة بن أبي عقة في جمعِ عظيم من العرب، ، فقال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً ، فقال: صدقتم أنتم أعلم، فخدعه واتقى به، فقالت الأعاجم: ما حملك على هذا، فقال: إن كانت له فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى قمنوا، فنقاتلهم وقد ضعفوا. فالتقيا فحمل خالد، فأخذ عقة أسيراً وأسر أصحابه وهرب بعضهم، فلما سمع مهران هرب بجنده وترك الحصن، فاعتصم به قلال العرب، فحاصرهم خالد حتى استنزلهم وضرب أعناقهم وعنق عقة، وسبى منهم سبياً كثيراً، ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل عليهم باب مغلق، فكسره عنهم، وقسمهم، في أهل البلاء منهم أبو زياد مولى ثقيف، ونصير أبو موسى بن نصير، وأبو عمرو جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، وسيرين أبو محمد بن سيرين، وحمران مولى عثمان، ومنهم ابن أخت النَّمِر، ويسار مولى قيس بن مخرمة.

فصل خبر دومة الجندل

ولما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عويمر بن الكاهن الأسلمي، وخرج فلما بلغ دومة الجندل، وكان عليها رئيسان أكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة، فاختلفا، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا يرى وجهه أحد إلا انهزم، فصالحوا، فأبوا، فقال:

لن أمائكم على حربه وخرج فعارضه جند خالد، فأخذوه فقتل ونجا خالد، فنزل على دومة الجندل، فخرج الجودي، فقتل وتحصن أقوام بالحصن فلم يحملهم، فقتل من تخلف، وقلع باب الحصن، فقتل، وسبى خالد بنت الجودي، وكانت موصوفة بالجمال، وأقام خالد على دومة الجندل، ورد الأقرع بن حابس إلى الأنبار، فتحركت الأعاجم، فكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة، فخرج زَرْمهْر ومعه رُوزبه يريدان الأنبار، وأتَّعدا حُصيداً والخنافس، فكتب الزبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي، وأمره بالحصيد، وبعث عروة بن الجعد البارقي ، وأمره بالخنافس، فقتل زرمهر، وروذبه، وقتل من العجم مقتلة عظيمة، وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة ت وأرز فلال حصيد إلى الخنافس فقصدهم ابن فدكي، فهربوا إلى المُصَيخ. قال عدي بن حاتم : فبلغ الخبر خالداً فقصدهم فقتلهم على المُصَيَّخ، وإذا رجل يقال له: حُرْقوص بن النعمان من عين النَمِر، وإذا حوله بنوه وامرأته، وإذا بينهم جفنة من خمر وهم عكوف يقولون له: ومن يشرب هذه الساعة، فقال: اشربوا شرب وداع، فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها، هذا خالد بالعين، وجنوده بحصيد، فسبق إليه بعض الخيل، فضربوا رأسه، فإذا هو في جفنته، وأخذنا بناته وقتلنا بنيه.

الثني والزميل

ثم خرج خالد من المصيخ، فبدأ بالثنيّ، فبيت أهله وسبى، وبعث بخمس اللّه إلى أبي بكر، فاشترى عليَ بن أبي طالب رضي اللّه عنه الصهباء ابنة ربيعة بن بجير، فاتخذها فولدت له عمرو ورقية. وكان خالد قد بعث بالمثنى إلى العراق، فأغار على سوق فيها جمع لقضاعة،

وهي مكان بغداد اليوم وطعن خالد في البر، وأراد أن يمضي من قراقر إلى سواء، وهما ماءان لكلب، فخاف الضلال، فدلوه على رافع بن عمرو الطائي، وكان هادياً، فقال لخالد: إن الراكب المنفرد ليخاف على نفسه في هذه المفازة، وما يسلكها إلا مغرور، وأنت معك أثقال، فقال: لا بد أن أسلكها، فقال رافعِ: من استطاعِ منكم أن يصير أذن راحلته على ماء فليفعل، ثم قال: ابغني عشرين جزوراً عظاماً سماناَ، فأتى بها فأظمأهن حتى أجهدهن عطشاَ، ثم سقاهن من الماء حتى أرواهن، ثم قطع مشافرهن، ثم جمعهن حتى لا يجترزن فيفسد الماء في أجوافهن، ثم قال لخالد: سر، فسار فكلما فزلوا نحر من تلك الجزور أربعاً فأخذ ما في بطونهن من الماء فسقاه الخيل وشرب الناس مما تزودوا، حتى إذا كان صبيحة اليوم السادس نحر الجزر كلها قال خالد لرافع: ويحك ما عندك؟ قال: أدركت الري إن شاء اللّه.

وكان رافع يومئذ أرمد، فقال: انظروا، هل ترون شجر عوسج على ظهر الطريق. قالوا: لا، قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، قد واللّه إذن هلكت وأهلكت، لا أبالكم انظروا، فما زالوا يطلبونها حتى رأوها، فقال: التمسوا قربها ماء، فنظروا فوجدوا عيناً فشربوا وارتووا، فقال رافع: ما سلكتها قط إلا مع أبي وأنا غلام، فقال بعض المسلمين في ذلك ارتجازاً:

لله در خالد أنى اهتدى

في زمن قراقر إلى سوى

خمساً إذا ما ساره الجيش بكى

ما سارها قبلك إنسان أرى

عند الصباح يحمد القوم السرى

قال: فأغار خالد على ناس من ثعلب وبهرا وعلى غسان.

فصل حديث الفراض

ثم قصد الفراض، فحميت الروم واغتاظت واستعانوا بمن يليهم من مشايخ أهل فارس، واستمدوا تغلباً وإياداً والنمر فأمدوهم ثم ناهدوا خالداً حتى إذا صار الفراض بينهم، قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، قال خالد: بل اعبروا إلينا، قالوا: فتنحوا حتى نعبر، فقال خالد: لا نفعل ولكن اعبروا اسفل منا، وذلك للنصف من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة، فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض: احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل عن دين، واللّه لينصرن ولنخذلن، فعبروا، فقالت الروم: امتازوا حتى نعرف الحسن والقبيح من أينا يجيء، ففعلوا فقاتلوا قتالاً طويلاً، ثم هزمهم اللّه، وقال خالد للمسلمين: ألحُّوا عليهم ولا ترفهوا عنهم. فقتل يوم الفرار مائة ألف، وأقام هناك بعد الوقعة عشراً، ثم أذن في القفول إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة ة وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم، وأمر شجرة بن الأغر أن يسوقهم، وأظهر خالد أنه في الساقة.

حجة خالد

وخرج خالد حاجاً من الفراض متكتماً بحجه، يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت له بدليل، وصار طريقاَ من طرق أهل الحيرة، فلما علم أبو بكر بذلك عتب عليه، وكانت عقوبته له أن صرفه إلى الشام، وكتب إليه: سر حتى تأتي بجموع المسلمين باليرموك، وإياك أن تعود لما فعلت، وأتم يتم اللّه لك ولا يدخلك عجب فتخسر، وإياك أن تُدِلّ بعملك فإن الله له المن، وهو ولي الجزاء. وهذا كله كان في سنة اثنتي عشرة.

ومن الحوادث في هذه السنة عمرة أبي بكر رضي اللّه عنه في رجب إن أبا بكر اعتمر في رجب، فدخل مكة ضحوة، فأتى مترله وأبو قحافة جالس على باب داره ومعه فتيان يحدثهم، فقيل له: هذا ابنك، فنهض قائماً وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته فترل عنها وهي قائمة، فجعل يقول: يا أبه لا تقم، ثم التزمه وقبل بين عينيه وهو يبكي فرحاً بقدومه، وجاء إلى مكة عتاب بن أسيد، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، فسلموا عليه: سلام عليك يا خليفة رسول اللّه، وصافحوه جميعاً، فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وسلموا على أبي قحافة، فقال أبو قحافة: يا عتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم، فقال أبو بكر: يا أبه لا حول ولا قوة إلا بالله، طوقت عظيماً من الأمر لا قوة لي به ولا يدان إلا باللّه، وقال: هل أحد يشتكي ظلامة، فما أتاه أحد. وأثنى الناس على واليهم.

وفي هذه السنة تزوج عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

وفيها: تزوج علي عليه السلام أمامة بنت أبي العاص بن الربيع.

وفيها: اشترى عمر أسلم مولاه.

وفي هذه السنة: حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بشير بن سعد بن ثعلبة: شهد العقبة مع السبعين، وبدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عله وسلم. وبعثه سرية إلى بني مرة بفدك، وقتل يوم عين التمر مع خالد بن الوليد. ثمامة بن حبيب، أبو مروان، وهو مسيلمة الكذاب: وقد سبقت أخباره.
السائب بن عثمان بن مظعون: هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكان من الرماة المذكورين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وأصابه سهم يوم اليمامة، فمات منه وهو ابن بضع وثلاثين سنة. عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي مالك: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يغمه أمر أبيه، وهو الذي قال له: والله لا تدخل المدينة حتى تقر أنك أذل ورسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز. واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله فلم يأذن له، فمات أبوه، فشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على قبره، وعزا ابنه عنه. وقتل عبد الله بن عبد اللّه يوم جواثا في هذه السنة.
عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة، يكنى أبا محصن: شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، أو بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بسرية إلى الغمر في أربعين رجلاً، وقتل ببزاخة في هذه السنة، وهو ابن خمس وأربعين سنة.
كناز بن الحصين بن يربوع بن طريف، أبو مرثد الغنوي: حليف حمزة بن عبد المطلب، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وتوفي في هذه السنة وهو ابن ست وستين سنة.
مهشم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو العاص: وأمه هالة بنت خويلد، وخالته خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. تزوج زينب ابنة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، فولدت له علياً وأمامة. فتوفي علي صغيراً، وبقيت أمامة، فتزوجها علي رضي الله عنه بعد موت فاطمة عليها السلام.
وكانت زينب قد أسلمت وهاجرت وأَبَى أبو العاص أن يسلم، فشهد بدراً مع المشركين، فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان، فقدم في فدائه أخوه عمر بن الربيع، وبعثت زينب بنت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بمكة بقلادة لها كانت لخديجة من جزع ظفار، وظفار جبل باليمن، وكانت خديجة أدخلتها على أبي العاص بتلك القلادة، فلما بعثت بها في فداء زوجها عرفها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ورق لها وذكر خديجة وترحم عليها، وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها متاعها فعلتم "، فأطلقوه وردوا القلادة، وأخذ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على أبي العاص أن يخلي سبيلها ففعل. وفي رواية أن أبا العاص كان في عير لقريش، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جماعة فأخذوها وأسروا أبا العاص، فدخل أبو العاص على زينب امرأته واستجار بها فاجارته، وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليه ما أخذ منه، ورجعِ إلى مكة فأدى ما عليه من الحقوق، ثم أسلم ورجع إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مسلماً مهاجراَ، فرد إليه زينب وتوفي أبو العاص في ذي الحجة من هذه السنة، وأوصى إلى الزبير.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

فمن الحوادث فيها تجهيز أبي بكر رضي اللّه عنه الجيوش إلى الشام بعد منصرفه من حجه أن أبا بكر رضي الله عنه جهز الجيوش إلى الشام بعد منصرفه من حجه، فبعث عمرو بن العاص قِبَلَ فلسطين، وبعث أبا عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام . وأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاص، ثم عزله قبل أن يسير، وولى يزيد بن أبي سفيان، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام، وخرجوا في سبعة آلاف. أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا عبد الصمد بن المأمون، أخبرنا ابن حيوية، حدثنا البغوي، حدَثنا أبو نصر بن الثمار، حدَّثنا ابن الحكم، عن نافع، عن ابن عمر قال: بعث أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ومشى معهم نحواً من ميلين، فقيل: يا خليفة رسول اللّه، لو انصرفت، فقال: لا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أغبرت قدماه في سبيل اللّه حرمها اللّه على النار".

ثم بدا له الانصراف، فقام في الجيش، فقال: أوصيكم بتقوى اللّه، لا تعصوا، ولا تغلوا، ولا تجبنوا، ولا تهدموا بيعة، ولا تعرقوا نخلاً، ولا تحرقوا زرعاً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم للذي حبسوا أنفسهم له فذروهم وما حبسوا أنفسهم له، وستردون بلداً يغدو عليكم ويروح فيه ألوان الطعام فلا يأتيكم لون إلا ذكرتم اسم اللّه عليه.

فصل في سبب عزل خالد بن سعيد

وكان سبب عزل أبي بكر رضي اللّه عنه خالد بن سعيد ما روى ابن اسحاق عن عبد اللّه بن أبي بكر، قال: قدم خالد بن سعيد من ليمن بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فتربص ببيعة أبي بكر شهرين، ولقي علي بن أبي طالب، وعثمان رضي اللّه عنهما، فقال: يا بني عبد مناف، لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم، فأما أبو بكر فلم يجعلها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه. فلما أمره قال عمر: أتؤمره وقد صنعِ ما صنع، وقال ما قال، فلم يزل به حتى عزله، وأمَّر يزيد بن أبي سفيان . ثم جعله ردَاً بتيماء، فأطاع عمر في بعض أمره، وعصاه في بعض، وقال له: انزل بتيماء ولا تبرح، وادع من حولك بالانضمام إليك، ولا تقاتل إلا من قاتلك حتى يأتيك أمري. فاجتمع إليه جموع كثيرة وبلغ الروم عظم ذلك العسكر، فضربوا على العرب البعوث، فكتب بالخبر إلى أبي بكر رضي اللّه عنه، فكتب إليه، أقدم تحجم، واستنصر اللّه، فسار إليهم خالد فتفرقوا وأعروا منزلهم فنزله، ودخل عامة من كان يجمع له في الإسلام، فسار بمن معه فأقبل إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان فهزمه وقتل جنده، وكتب بذلك إلى أبي بكر الصديق واستمده.

ولما بلغ الخبر الروم وأحوال الأمراء المبعوثين كتبوا إلى هرقل، فقال لأصحابه: أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم، وأن تصالحوهم، فلم يقبلوا منه، خرج هرقل حتى نزل بحمص، فعبى لهم العساكر، وبعث إلى تَذَارِق، خرج في تسعين ألفاً، فنزلوا على فلسطين، وبعث جَرَجة بن وذار نحو يزيد ابن أبي سفيان فعسكر بإزائه، وبعث إليه الدّراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة، وبعث الفِيقار بن نَسْطُوس في ستين ألفَاَ نحو أبي عبيدة، فهابهم المسلمون، وكتب المسلمون إلى أبي بكر وإلى عمر: ما الرأي؟ فكتب عمر: الرأي الاجتماع، فاتعدوا باليرموك، وجاء كتاب إلى أبي بكر رضي الله عنه بمثل رأي عمر واجتمعوا باليرموك، فتكونوا عسكراً واحداً، ولن يؤتى مثلكم من قلة، الله ناصر من نصره، وليصل كل رجل منكم بأصحابه. فبلغ ذلك هرقل، فكتب إلى بطارقته:

اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العَطَنُ، واسع المطَّرَد، ضيّق المهرَب، وعلى الناس التَذارق، وعلى المقدمة جرَجَه، وعلى مجنَّبتيْه باهان والدراقص، وعلى العرب الفيقار. ففعلوا ونزلوا الواقوصة، وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقاً لهم، ونزل المسلمون بحذائهم على طريقهم، وليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: أبشروا حُصِرت الروم، وقلما حاصر قوم قوماً إلا ظفروا بهم، وأقاموا بذلك صفر من سنة ثلاث عشرة، وشهري ربيع لا يقدرون من الروم على شيء، ولا يخلصون إليهم ولا يخْرج الروم خرجه إلا أديل المسلمون، عليهم.

وكتب أبو بكر إلى خالد أن يلحق بهم، وأمره أن يخلف على العراق المثنى، فوافاهم في ربيع، وأمد هرقل الروم بباهان، فطلع عليهم وقد قدم قدامه الشمامسة والرهبان والقسيسين يحضونهم على القتال، فوافى قدومهم قدوم خالد، فقاتل خالد باهان، وقاتل الأمراء من يليهم، فهزم باهان، وتتابعت الروم على الهزيمة، فاقتحموا خندقهم. وكان المشركون مائتي ألف وأربعين ألفاً منهم ثمانون ألف مقيد، وأربعون ألفاً مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربَّطُون بالعمائم للموت، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل. وكان المسلمون سبعة وعشرين ألفاً إلى أن قدم خالد في تسعة آلاف، فصاروا ستة وثلاثين ألفاً. وقيل: ستة وأربعين ألفاً، فمرض أبو بكر رضي اللّه عنه، وتوفي قبل الفتح بعشر ليال.

ذكر خبر اليرموك

لما اجتمع القوم باليرموك أخذ الرهبان يحرضونهم وينعون إليهم النصرانية، فخرجوا للقتال في جمادى الآخرة، فقام خالد في الناس، فقال: اجتمعوا وهلموا فلنتعاور الإمارةَ، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم، ودعوني اليوم ألي أمركم، فإنا إن رددنا القوم إلى خندقهم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها.

فأمروه، فخرجت الروم في تعبية لم ير الراءون مثلها، وخرج خالد في ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين، فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان على كردوس من كراديس العراق القعقاع بن عمرو، وعلى كردوس مذعور بن عدي، وعياض بن غنم على كردوس، وهاشم بن عتبة على كردوس، وزياد بن حنظلة على كردوس، وخالد في كردوسٍ. وعلى فالَة خالد بن سعيد دحية بن خليفة على كردوس، وأبو عبيدة في كردوس، وسعيد بن خالد على كردوس، وأبو الأعور بن سفيان على كردوس، وابن ذي الخمار على كردوس؟ وفي الميمنة عمارة بن مخشي بن خويلد على كردوس وشرحبيل على كردوس ومعه خالد بن سعيد، وعبد اللّه بن قيس على كردوس، وعمرو بن عبسة على كردوس، والسمط بن الأسود على كردوس، وذو الكلاع على كردوس، ومعاوية بن جديج على كردوس، وجندب بن عمرو بن حُمَمَة على كردوس، وعلى هذا بقية، الكراديس.

وكان قاضي القوم أبا الدرداء، وكان القاص فيهم أبو سفيان بن حرب، يسير فيهم فيقف على الكراديس فيقول اللّه الله، إنكم أنصار الإسلام، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم انزل نصرك على عبادك. وكان على الطلائع قباث بن أشيم، وعلى الأقباض عبد اللّه بن مسود. فشهد اليرموك ألف من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فيهم نحو مائة من أهل بدر.

ونشب القتال ، والتحم الناس، وتطارد الفرسان، فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة، وهو محمية بن زُنَيم، فأخذته الخيول،

وسألوه الخبر، فلم يخبرهم ، لا بسلامة وأخبرهم عن أمدادة وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة، فأبلغوه خالداً، فأسر إليه خبر أبي بكر رضي الله عنه، فأخبره بما قال للجند، فقال: أحسنت، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته؟ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر عليه أمر الخيل، فوقف محمية بن زُنَيم مع خالد.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدَثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدَثني أبي، قال: حدَّثنا محمد بن جعفر، قال: حدَّثنا شعبة، عن سماك، قال: سمعت، عياض الأشعري، قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض وليس عياض هذا بالذي حدث سماكاً عنه قال: وقال عمر رضي الله عنه: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه: إنه قد جاش إلينا الموت واستمدناه. فكتب إلينا: إنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً اللّه عز وجل، فاستنصروه، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني.

قال: فقتلناهم فهزمناهم، وقتلناهم أربع فراسخ. قال: وأصبنا أموالا، فتشاوروا، فأشار علينا عياض: أن نعطى عن كل رأس عشرة، قال: وقال أبو عبيدة: من يراهني؟. فقال شاب: أنا إن لم تغضب. قال: فسبقه، فرأيت عقيصتيِ أبي عبيدة تنفران وهو خلفه على فرس عربي .

قال علماء السير: وخرج جرَجة، حتى كان بين الصفين، ونادى: ليخرج إليَّ خالد، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه، فوافقه بين الصفين، حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمن أحدهما صاحبه، فقال جرجة: يا خالد، أصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل باللّه، هل أنزل اللّه على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه. فلا تسله على أحد إلا هزمتهم. قال: لا، قال: فبم سميت سيف اللّه. قال: إن اللّه عز وجل بعث فينا نبيه، فدعانا فنفرنا منه ، ونأينا عنه، ثم بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وقاتله، ثم إن اللّه تعالى أخذ بقلوبنا فهدانا به، فتابعناه . فقال: "أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين لا، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف اللّه بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال: صدقتني يا خالد، أخبرنِ إلامَ تدعون؟ قال: إلى شهادةة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند اللّه، قال: فمن لم يُجبْكم؟ قال: فالجزية، قال: فإن لم يجبكم ويعطها، قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله، قال: فما مترلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: مترلتنا واحدة، قال: هل لمن دخل فيه اليوم مثل ما لكم من الأجر. قال: نعم، قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه، قال: إنا دخلنا في هذا الأمر ونبينا حي بين أظهرنا يأتيه خبر السماء، وحق لمن رأى ما رأينا أن يسلم ويتابع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رآينا، و لم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحُجَج فمن دخل في هذا الأمر بنية حقيقية كان أفضل، فقال له: صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، فشن عليه ماء، ثم صلى به ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد، وهم يرون أنها منه حيلة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة والحارث بن هشام.

وركب خالد ومعه جرجة لم وتراجعت الروم إلى مواقفهم فزحف خالد حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة، و لم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما،

وصلى الناس الظهر والعصر إيماء، وتضعضع الروم، ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم وهربوا، فانفرج المسلمون لهم، فذهبوا في البلاد، وأقبل المسلمون على الرّجْل ففضوهم، فاقتحموا في خندقهم، فتهافت عشرون ومائة ألف، وكان الفيقار قد بعث رجلاً عربياَ، فقال: ادخل في هؤلاء القوم يوماً وليلة، ثم ائتني بخبرهم، فجاء فقال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنا رجم لإقامة الحق فيهم، فقال: لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، فلما أقبلوا تجلجل الفيقار وأشراف من الروم برانسهم، ثم جلسوا وقالوا: لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية فأصيبوا في تزملهم.

وقال عرمة بن أبي جهل يومئذ : قاتلت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في كل موطن، وأفرُ منكم اليوم، ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدّام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً. وأتى خالد بعد ما أصبحوا، بعكرمة جريحاً، فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطر في حلوقهما الماء، ويقول: كلا، زعم ابن الحنتمة أنا لا نستشهد.

وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان، فأخرج السهم من عينه أبو حثمة. وقاتل النساء يومئذ منهن جويرية بنت أبي سفيان .

وقتل الله أخا هِرَقْل، وأخذ التَّذارق ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حِمْص، فارتحل فجعل مدينة حمص بينه وبينهم .كانت وقعة اليرموك في سنة ثلاث عشرة، وكانت أول فتح فتح على عمر بعد عشرين ليلة من متوفى أبي بكر رضي اللّه عنه.

وأما الواقدي فإنه يقول في سنة خمس عشرة. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا ابن المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَثنا أحمد بن عبيد، ، عن ابن الأعرابي، قال: استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى، فتدافعوه حتى ماتوا و لم يذوقوه. أتي عكرمة بالماء، فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدأوا بذا، فنظر سهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه، فقال: ابدأوا بذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد، فقال: بنفسي أنتم. كذا في هذه الرواية عن ابن الأعرابي. فأما عكرمة فاستشهد، وأما الحارث وسهيل فاستشهدا بعد ذلك بزمان. قال علماء السير: وأتى خالد دمشق فجمع له صاحب بصرى، فسار إليه هو وأبو عبيدة، فظفروا بالعدو، وطلب العدو الصلح فصولحوا على كل رأس دينار في كل عام، وجريب حنطة، ثم رجع العدو على المسلمين، فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، فظهر المسلمون على المشركين، وقتل خليفة هرقل في رجب.

وكان من الحوادث في هذه السنة وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام، أنه استقام أمر فارس على شَهْرَبَراز بن أردشير بن شهريار، فوجه إلى المثنى الذي استخلفه خالد على العراق جنداً عظيماً عليهم هُرْمُز بن جاذوَيْه في عشرة آلاف، ومعه فيل، وكتب مسالح المثنى إليه بإقبال العدو، فخرج المثنى من الحيرة نحوه، وضم إليه المسالِح وأقام ببابل، وأقبل هرمز بن جاذوية، وكتب إلى المثنى: إني قد بعثت إليك جنداً من وخش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، فلست أقاتلكم إلا بهم. فأجابه المثنى: إن الذي يدل عليه الرأي أنكم اضطررتم إلى ذلك، فالحمد للّه الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير. فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا:

جرأت علينا عدونا. فالتقوا ببابل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم أن ناساً من المسلمين قصدوا الفيل وقتلوه، فانهزم أهل فارس، واتبعتهم المسلمون يقتلونهم، ومات شهربراز حين انهزم هرمز بن جاذوية. ثم اجتمع أهل فارس على دُخْت زنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمرٌ فَخُلِعَتْ. ومُلِّكَ سابور بن شهربراز ، وقام بأمره الفَرُّ خزاذ بن البِنْدوان، فسأله أن يزوجه آزَرْمِيدُخْت بنت كسرى، ففعل فغضبت من ذلك، وقالت: يا ابن عم أتزوجني عبدي. فقال: استحي من هذا الكلام ولا تعيديه، ، فإنه زوجك. فشكت إليه الذي تخاف، فقال لها: قولي له، ليقل له فليأتك فأنا أكفيكه. فلما كانت ليلة العرس أقبل الفرخزاذ حتى دخل، فثار به سياوَخْش، فقتله ومن معه، ثم نهد بها إلى سابور فحضرته ثم دخلوا عليه فقتلوه. وملكت آزر ميدختَ بنت كسرى، وأبطأ خبر المسلمين على أبي بكر رضي اللّه عنه، فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية، فخرج إلى أبو بكر رضي اللّه عنه ليخبره خبر المسلمين والمشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبته وندمه من أهل الردة، فقدم المدينة وأبو بكر رضي اللّه عنه مريض، فقال لعمر: إني أرجو أن أموت من يومي هذا، فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس معه، ولا تشغلنكم مصيبة عن دينكم، وقد رأيتني متوفى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وما صنعت. فمات أبو بكر رضي اللّه عنه وندب عمر الناس مع المثنى.

ومن الحوادث في هذه السنة مرض أبي بكر رضي اللّه عنه وحدث في مرضه أنه عقد الخلافة من بعده لعمر رضي الله عنهما. ولما أراد ذلك دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب، ، فقال: هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن، فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذاك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه، ثم دعا عثمان ابن عفان، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به، فقال: على ذلك يا أبا عبد اللّه، فقال عثمان، اللهم علمي به، أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر رضي اللّه عنه: أيرحمك الله، واللّه، لو تركته ما عَدَوْتُكَ.

ثم قال له : اكتب: بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، ، إني استخلفت عليكم. ثم أغشي عليه، فكتب عثمان: إني استخلف عليكم عمر بن الخطاب. فلما أفاق أبو بكر قال: إقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر وقال: أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن أفلتت نفسي في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرها أبو بكر رضي اللّه عنه، وأمره فخرج على الناس بالكتاب، فبايعوه لمن فيه، قد علموا أنه عمر، ودخل عليه قوم، فقالوا: ما تقول لربك إذا سألك عن استخلافك عمر وأنت ترى غلظته، فقال: أجلسوني، تخوفوني، خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك. ثم دعا عمر وأوصاه.
أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبد اللّه بن نمير، قال: حدَّثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة، قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي، فإني قد كنت استصلحته جهدي، وكنت أصيب من الودك نحوا مما كنت أصيب في التجارة، قالت عائشة: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، قالت: فأخبرني حربي يعني رسولي أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتْعَبَ مَنْ بَعْده تَعَبَاً شَدِيداً. قال محمد، بن سعد: وأخبرنا عاصم بن عمر الكلابي، قال:

حدَّثنا سلمان بن المغيرة، عن ثابت، ، عن أنس، قال: أطفنا بغرفة أبي بكر الصديق في مرضه الذي قبض فيه ، فقلنا له: كيف أصبح أو كيف أمسى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فاطَّلع علينا اطلاعة، فقال: ألستم ترضون بما أصنع. قلنا: بلى قد رضينا، قال: وكانت عائشة هي تمرضه، قال، فقال: أما إني قد كنت حريصاً على أن أوَفَر َللمسلمين فيئهم مع أني قد كنت أصبت من اللحم واللبن، فانظروا إذا رجعتم ما كان عندنا فأبلغوه عمر. قال: فذاك حين عرفوا أنه استخلف عمر. قال: وما كان عنده دينار ولا درهم، ما كان إلا خادم ولقْحة ومِحْلَب، فلما رأى ذلك عمر يُحمَلُ إليه، قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتْعَبَ مَنْ بَعدَه.

قال، ابن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمد قال: توفي أبو بكر رضي اللّه عنه وعليه ستة آلاف درهم كان، أخذها من بيت المال، فلما حضرته الوفاة، قال: إن عمر لم يَدَعْني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حائطي الذي بمكان كذا وكذا فيها، فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالاً، وأنا والي الأمر من بعده وقد رددتها عليكم. قال ابن سعد: وأخبرنا عمرو بن عاصم، قال: حدثنا همام، عن يحيى، عن قتادة، قال: قال أبو بكر: لي من مالي ما رضي ربي من الغنيمة ، فأوصى بالخمس. قال ابن سعد: وأخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدَّثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما حضرت أبا بكر الوفاة جلس فتشهد ثم قال: أما بعد يا بنية، فإن أحب الناس غِنَى إليَّ بعدي أنت، وإن أعز الناس عليَ فقراً بعدي أنت، وإني كنت نَحَلْتُكِ جداد عشرين وسقاً من مالي فوددت واللّه أنك حزتيه وأخذتيه، فإنما هو مال الوارث، وهما أخواك وأختاك. قالت: قلت: هذان أخواي فمن أختاي؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة فإني أظنها جارية . قال، ابن سعد: وأخبرنا وكيع، قال: حدَثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما ترك أبو بكر ديناراً ولا درهماً ضرب اللّه سكتة. قال محمد بن سعد: وأخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدَّثنا مالك بن المغول، عن أبي السفر، قال: مرض أبو بكر، فقالوا: ألا تدعو الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال إني فعال لما أريد .

ذكر موت أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال مؤلف الكتاب، في سبب موته قولان:

أحدهما: أن اليهود سمته في حريرة ، أكل منها هو والحارث بن كلدة، فأخذ منها الحارث لقمة ثم قال: كف فقد أكلت طعاماً مسموماً سم سنة فماتا جميعاً للسنة يوم مات أبو بكر. وروى ابن سعد عن عبد العزيز بن عبد اللّه الأويسي، عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن ابن شهاب: أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لأبي بكر، فقال الحارث: ارفع يدك يا خليفة رسول اللّه، واللّه إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد. فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انتهاء السنة.

والقول الثاني: ذكره الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر رضي اللّه عنه اغتسل في يوم بارد فَحُمّ خمسة عشر يوماً، فكان لا يخرج إلى الصلاة، وأمر عمر أن يصلي بالناس، وكان عثمان الزمهم له في مرضه.

روى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: دخلتَ على أبي فأثبت الموت فيه فبكيت ثم قلت:

مَنْ لا يَزَالُ دَمْعُه مقنّعاً   فَإِنَه لاَ بُد مَرةً مَدْفُونُ

فقال أبو بكر رضي الله عنه، : ليس كما قلت، بل: "وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ". قال: أي يوم هذا. قلت يوم الإثنين، قال: فإني أرجو من الله فيما بيني وبين الليل، فلم يتوف حتى أمسى من تلك الليلة. قالت: ثم دفن قبل أن يصبح.

قالت: ثم قال: في كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: في ثلاثة أثواب بيض يمانية. قالت فنظر إلى ثوب كان عليه يمرض فيه، فيه درع زعفران أو مشق، فقال: اغسلوا هذا وزيدوا عليه ثوبين وكفنوني، قلت: إن هذا خلق، قال: إن الحي أحق بالجديد، وإنما هو للمُهْلة يعني الصديد. قالت: فغسلناه وكفناه فيه. توفي أبو بكر في مساء ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء، ودفن ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال. وقال أبو معشر: أربعة أشهر إلا أربع ليال، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وغسلته امرأته أسماء بنت عميس، أوصاها بذلك، فقالت: لا أطيق، فقال: يعينك عبد الرحمن. ولما توفي حمل على السرير الذي حمل عليه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه عمر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والمنبر، وكبر عليه أربعاً، ودخل قبره عمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد أوصى أن يدفن إلى جنب، رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فحفر له، فجعل رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألصقوا اللحد باللحد. قال، محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَثني ربيعة بن عثمان، عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير، قال: رأس أبي بكر عند كتفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ورأس عمر عند حقوي أبي بكر. ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه نعي إلى أبيه أبي قحافة فقال: رَزْءٌ جليل، وورث أبو قحافة السدس من ماله، وقال: قد رددت ذلك على ولد أبي بكر رضي اللّه عنه.

ومن الحوادث في هذه السنة خلافة عمر رضي اللّه عنه باب خلافة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ذكر نسبه هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح لم بن عبد اللّه بن قرط رزاح بن عدي بن كعب، ويكنى أبا حفص. وأمه حنتمة بن هاشم بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم. وكانت إليه السفارة في الجاهلية والمنافرة، إن وقعت حرب من قريش أو من غيرهم بعثوه سفيراً، وإن فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً ورضوا به.

ذكر صفته كان أبيض طوالأ، تعلوه حمرة، أصلع أشب يخضب بالحناء والكتم، وكان نقش خاتمه: "كفى بالموت واعظاً يا عمر".

ذكر أزواجه وأولاده كان له من الولد عبد اللّه، وعبد الرحمن، وحفصة، وأمهم زينب بنت مظعون بن جبيب. وزيد الأكبر، ورقية، وأمهم أم كلثوم بنت علي بت أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وزيد الأصغر، وعبيد الله وأمهما أم كلثوم بنت جرول.

وفرق الإسلام بين عمر وبين أم كلثوم أبنت جرول،، وعاصم وأمه جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلج، وعبد الرحمن الأوسط وهو أبو المجبر وأمه لهَيَّة أم ولد، وعبد الرحمن الأصغر، وأمه أم ولد، وفاطمة وأمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وزينب وأمها فكيهة أم ولد، وعياض بن عمر، وأمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف إجازة، وحدَّثنا عنه محمد بن عبد اللّه بن الحارث، حدَّثنا عبد اللّه بن محمد، حدَّثنا الحكم بن موسى، حدَّثنا يحيى بن حمزة، عن زيد بن واقد، قال: حدَّثني، بشير بن عبد اللّه، قال: كانت تحت عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه امرأة تسمى عاصية، فسماها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم جميلة، وكانت امرأة جميلة، وكان عمر يحبها، وكان عمر إذا خرج إلى الصلاة مشيت معه من فراشها إلى الباب، فإذا أراد الخروج قبلته ثم مضى فرجعت إلى فراشها.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا أبو الحسن بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: حدَّثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، قال: حدَّثنا القاسم بن عثمان البصري، ، عن أنس بن مالك، قال: خرج عمر متقلداً بسيفه- أو قال: بالسيف فلقيه رجل من بني زهرة، فقال: إلى أين تعمد يا عمر. قال: أريد أن، أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً. قال: فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب. قال: فلما سمع خباب، حس عمر توارى في البيت فدخل، فقال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم. وكانوا يقرأون طه، فقالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما. قال: فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك. قال: فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك اشهد أن لا إله إلا اللّه واشهد أن محمداً رسول اللّه.

فلما يئس عمر، قال: اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه قال: وكان عمر يقرأ الكتب فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل وتوضأ. قال: فقام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ: "طه..." و حتى انتهى إلى قوله: "إنني أنا اللّه لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري" طه 1-14 . قال: فقال عمر: دلوني على محمد. فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر، ؟فإني أرجو أن تكون دعوة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس: لا اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام ". قال: ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل الصفا.

فانطلق عمر حتى أتى الدار، قال: وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فلما رأى حمزة وَجَلَ القوم من عمر، قال حمزة: نعم فهذا عمر، فإن يرد اللّه بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً. قال: والنبي صلى الله عليه وسلم داخلٌ يوحى إليه، قال: فخرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: "ما أنت منتهياً يا عمر حتى يترل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة." اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ". قال:، فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، فأسلم وقال: اخرج يا رسول اللّه . قال محمد بن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، قال: وحدثني معمر، عن الزهري، قالا: أسلم عمر بعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وبعد أربعين أو نيف وأربعين من رجال ونساء قد أسلموا قبله. وقد كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال بالأمس: اللهم أيد الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام؟ فلما أسلم عمر نزل جبريل فقال: يا محمد، لقد، استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

قال محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن، عمر، قال: وحدَثنا محمد بن عبد اللّه، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة، فما هو إلا أن أسلم عمر فظهر الإسلام بمكة. قال محمد بن عمر: وحدَّثني علي بن محمد، عن عبيد الله بن سلمان الأغر عن أبيه ، عن صهيب بن سنان، قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حِلَقاً وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، وردنا عليه بعض ما يأتي به. قال علماء السير: أسلم عمر في السنة السادسة من النبوة، وهو ابن ست وعشرين سنة، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بكر، وقيل بينه وبين عويم بن ساعدة.

ذكر ولايته الخلافة

لما ولي الخلافة، قال: ورب الكعبة لأحملنهم على الطريق. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، حدَّثنا أحمد بن عبد الله، حدَّثنا شعيب، عن محمد بن عبد اللّه، عن أبي عثمان، بن مكنف، قال: سُلم على عمر في صدر إمارته: يا خليفة خليفة رسول اللّه، فجمع الناس بعد، وقال: إني أراكم لمن بعدكم خير من رأيهم لأنفسهم، وإني أخاف أن يلحدوا في هذا الاسم، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقبلت.

ذكر وصيته لعماله وتعاهده إياهم

قال صالح بن كيسان: أول كتاب كتبه عمر حين ولي إلى أبي عبيدة يوليه على، جند خالد: أوصيك بتقوى اللّه الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور. وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق عليك، ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تترلهم مترلاً قبل أن تستزيده لهم؟ وتعلم كيف مألاه، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك اللّه بي وأبلاني بك، فغمض بصرك عن الدنيا، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، أخبرنا السري بن يحيى، أخبرنا شعيب، حدَّثنا سيف، عن عبدة بن معتب، ، عن إبراهيم النخعي، قال: لما ولي عمر رضي اللّه عنه قال لعلي رضي اللّه عنه: اقض بين الناس، وتجرد للحرب. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، وحدَّثنا سيف، عن محمد بن عبد اللّه ، عن أبي عثمان، قال: كتب عمر إلى القضاة مع أول قيامه: أن لا تبتوا القضاء إلا عن ملأ، فإن رأي الواحد يقصر إذا استبد، ويبلغ إذا استشار، والصواب مع المشورة. وقال: يا معشر العرب إنكم كنتم أذل أمة وأشقاها حتى أعزكم اللّه بالإسلام، فكنتم خير أمة أخرجت للناس، فلا تطلبوا العزة بغيره فتذلوا. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد الله، حدَّثنا السري بن يحيى، حدَّثنا شعيب، عن الربيع، وأبي عثمان وأبي الحارثة وأبي المجالد بإسنادهم، قالوا: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عماله يشترط عليهم: أن لا تتخذوا على المجالس التي تجلسون فيها للناس باباً، ولا تركبوا البراذين، ولا تلبسوا الثياب الرقاق، ولا تأكلوا النقي، ولا تغيبوا عن صلاة الجماعة، ولا تطمعوا فيكم السعاة. فمر يوماً في طريق من طرق المدينة وفي ناحية منها رجل يسأل، فقال: يا عمر تستعمل العمال وتعهد إليهم عهدك، ثم ترى أن ذلك قد أجزاك، كلا واللّه إنك لمأخوذ بذا لم تعاهدهم، قال: وما ذلك. قال: عياض بن غنم يلبس اللين، ويفعل ويفعل، فقال: أساع؟ قال: بل مؤدي الذي عليه فبعث إلى محمد بن مسلمة أن الحق بعياض بن غنم فآتني به كما

تجده، فانتهى إلى بابه وإذا عليه بواب، فقال له: قل لعياض على الباب رجل يريد أن يلقاك، قال: ما تقول. قال: قل له ما أقول لك. فذهب كالمتعجب، فأخبره، فعرف عياض انه أمر حدث، فخرج فإذا محمد بن مسلمة، فرحب به وقال: ادخل، وإذا عليه قميص رقيق لين، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن لا يفارق سوادي سوادك حتى أذهب بك كما أجدك، ونظر في أمره فوجد الأمر كما حدثه السائل. فلما قدم به على عمر وأخبره، دعا بدراعة وكساء وحذاء وعصا، وقال: أخرجوه من ثيابه، فأخرج منها وألبسه ذلك، ثم قال: انطلق بهذه الغنم فأحسن رعيتها وسقيها والقيام عليها، واشرب من ألبانها، واجتز من أصوافها، وارفق بها، فإن فضل شيء فأردده علينا. فلما مضى رده، وقال: أفهمت؟ قال: نعم، والموت أهون من هذا، قال: كذبت، ولكن ترك الفجور أهون من هذا. ثم قال له: أرأيت لو رددتك أتراه يكون فيك خير؟ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين، ولا يبلغنك عني شيء بعد هذا، فرده و لم يبلغه عنه شيء إلا ما أحب حتى مات. وحدثنا سيف، عن عبد الملك، عن عاصم، قال: مات عياض بن غنم بعد أبي عبيدة، فأمر عمر على عمله سعيد بن عامر بن جذيم، فمات سعيد فأمر عمر مكانه عمير بن سعيد الأنصاري. أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف أخبرنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا، محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَثني عاصم بن عبد الله بن أسعد الجهني، عن عمران بن سويد، عن ابن المسيب، عن عمر، أنه قال: أيما عامل لي ظلم أحداً، فبلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته.

قال محمد بن سعد: كان علي بن فضلة قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة ومات هناك أول من مات ممن هاجر، وأول من ورث في الإسلام، ورثه ابنه النعمان، وكان عمر قد استعمل النعمان على ميسان، وكان يقول الشعر، فقال:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... ورقاصة يحثو على كل ميسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

فلما بلغ عمر قوله قال: نعم والله إنه ليسوؤني، من لقيه فليخبره أني قد عزلته.

فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله، فقدمِ على عمر، فقال: والله ما صنعت شيئاً مه قلت، ولكن كنت امرأً شاعراً وجدت فضلاً من قول فقلت فيه الشعرم ، فقال عمر: واللّه لا تعمل على عمل ما بقيت وقد قلت ما قلت. أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود، حدَّثنا الزبير بن بكار، قال حدَثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي، عن أبيه، قال: لما بلغ عمر بن الخطاب هذا الشعر كتب إلى النعمان بن فضلة: بسم الله الرحمن الرحيم، حم تتريل الكتاب من اللّه العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب في الطول لا إله إلا هو إليه المصير. أما بعد، فقد بلغني قولك:

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

وأيم اللّه إنه ليسوؤني، وعزله، فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما شربتها قط، وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني، فقال عمر: أظن ذلك ولكن لا تعمل لي على عمل أبداً.

ذكر ورعه وزهده وخوفه

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، قال: حدَّثنا السري بن يحيى، حدَّثنا شعيب، حدَّثنا سيف عن أشياخه، قالوا: نزل ملك الروم القرو، وكاتب عمر رضي اللّه عنه وقاربه وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله، فكتب إليه: أحب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لها تجمع لك الحكمة كلها، وبعث إليه بقارورة، قوال: املأ لي هذه القارورة من كل شيء فملأها ماء. وبعث أم كلثوم بنتَ علي إلى ملكة الروم بطيب وأحفاش من أحفاش النساء، ودسته إلى البريد فأبلغه لها، فجمعت امرأة هرقل نساءها وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب، وبنت نبيهم، فكاتبيها وكافئيها، وأهدت لها فيما أهدت عقداً فاخراً، فلما جاء به البريد أُمره عمر بإمساكه، ودعا بالصلاة جامعة، فصلى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرم من غير شورى، فقولوا لي في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها، وقال آخرون: قد كنا نهدي لنستثيب، فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم، والمسلمون عظموها في صدرها، فأمر بردها في بيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدَثنا الحسين بن الفهم، حدَثنا محمد بن سعد أخبرنا الفضل بن دكين، وعبد الوهاب بن عطاء، قالا: أخبرنا عبد اللّه العمري، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة في الحج ثم رجعنا فما ضرب فسطاطاً، ولا كان له بناء يستظل به ، إنما كان يلقي نطعاً أو كساء على سحره فيستظل تحته. قال محمد بن سعد: وحدَّثنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني عثمان بن عبد اللّه بن زياد، عن أيوب بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، ، قال: مكث عمر زماناً لا يأكل من بيت المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، وأرسل إلى أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فاستشارهم، فقال: قد شغلتُ نفسي في هذا الأمر، فما يصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، قال: وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل،، وقال لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، قال: فأخذ عمر بذلك . قال محمد بن عمر: وحدَّثني الجحاف بن عبد الرحمن، عن عيسى، بن معمر قال: نظر عمر بن الخطاب عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده، فقال: بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، تأكل الفاكهة وأمَّة محمد هَزْلَى؟ فخرج الصبي هارباً وبكى، فأسكت عمر بعد ما سأل عن ذلك، فقالوا: اشتراها بكف من نوى.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عفان، قال: حدَّثنا مهدي بن ميمون، قال: حدَثنا سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، قال: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت عليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة بعضها بأديم أحمر.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا شعبة، عن عاصم بن عبد الله بن عاصم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، ، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً. قال محمد بن سعد: حدَثنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني عاصم بن عمر، عن محمد بن

عمر، وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أبيه، عن عمر، قال: لو مات جمل ضائعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني اللّه عز وجل عنه.

قال ابن سعد: وأخبرنا المعلى بن أسد، قال: حدَّثنا وهيب بن خالد، عن يحيى بن سعيد، عن سالم بن عبد اللّه: ان عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دبر البعير ويقول: إني لخائف أن أسأل عما بك.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عمرو بن عاصم الطلابي، قال: حدَّثنا سليمان بن المغيرة، قال: حدَّثنا حميد بن هلال، قال: حدَّثنا زهير بن حيان، قال: قال، ابن عباس: دعاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأتيته، فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور، فقال: هلم فاقسم هذا بين قومك، فاللّه أعلم حيث زوى هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وأعطانيه لخير أعانيه أم لشر. قال: فأكببتَ عليه أقسمه، فسمعت البكاء فإذا صوت عمر يبكي ويقول في بكائه: والذي نفسي بيده ما حبسه عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه، إرادة الشر بهما، وأعطاه عمر إرادة الخير.

فصل ومن أول الحوادث في ولاية عمر رضي الله عنه

اليرموك

وكانت بداية أمر اليرموك في حياة أبي بكر رضي اللّه عنه، ثم ان المسلمين ذهبوا بعد اليرموك إلى أجنادين.

ذكر وقعة فحل

ويقال: فِحْل. ولما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن وقد اجتمع فيها جماعة من الروم قد نزلوا بيسان بين فلسطين والأردن، وتبعوا أنهارها وهي أرض سبخة، وكانت وحلاً، فوحلت خيول المسلمين إلا أن اللّه تعالى سلمهم، ونهضوا إلى الروم بفحل، فاقتتلوا، فهزمت الروم ودخل المسلمون فحل، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة على ستة أشهر من خلافة عمر رضي اللّه عنه. وأقام تلك الحجة للناس عبد الرحمن بن عوف.

ذكر فتح دمشق

كان عمر رضي الله عنه قد عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس، فالتقى المسلمون والروم حول دمشق فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم هزم الله الروم، فدخلوا دمشق فتحصنوا بها فرابطهم المسلمون ستة أشهر حتى فتحوا دمشق وأعطوا الجزية، وكان الصلح على يدي خالد، وكان قد قدم على أبي عبيدة كتاب بتوليته وعزل خالد، واستحى أبو عبيدة أن يقرئه الكتاب. فلما فتحت أظهر أبو عبيدة ذلك، وكان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب، وكان حصارها ستة أشهر. وقال ابن إسحاق: بل كانت في سنة ثلاث عشرة.

وروى سيف عن أشياخه : أن أبا عبيدة استخلف على اليرموك بشير بن كعب، وخرج حتى نزل بالصُّفَر يريد اتباع الفالَّة، فأتاه خبرهم أنهم أرَزوا إلى فِحْل. وأتاه الخبر أن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص، فلم يدر أيبدأ بدمشق أم بفحل، فكتب بذلك إلى

عمر، ولما جاء فتح اليرموك إلى عمر أقر الأمراء على ما استعملهم عليه أبو بكر رضي اللّه عنه إلا خالد بن الوليد فإنه ضمه إلى أبي عبيدة، وعمرو بن العاص فإنه أمره بمعونة الناس، حتى يصير الحرب إلى فلسطين ثم يتولى حربها. وكتب إلى أبي عبيدة: ابدأوا بدمشق فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تَكون بإزائهم. فحاصروا دمشق نحوا من سبعين ليلة حصاراً شديداً، وقاتلوهم بالمجانيق، فكان أبو عبيدة على ناحية، ويزيد على ناحية، وعمرو على ناحية. وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع، وكان بين دمشق وحمص، وهرقل يومئذ بحمص، وقد استمدوه، وجاءت خيل هرقل مغيثة لأهل الشام، فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع. فأيقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إليهم، فأبلسوا، فصعد قوم من أصحاب خالد بالأوهاق إلى السور فكبروا. وجاء المسلمون إلى الباب، وقتل خالد البوابين ودخل عنوة ودخل غير مصالحاً، وكان صلح دمشق على المقاسمة في الدينار والعقار، ودينار عن، كل رأس، وبعثوا بالبشائر إلى عمر. وقال ابن إسحاق: كانت وقعة فحل قبل دمشق، وكانت في سنة ثلاث عشرة ذي القعدة.

ذكر فتح بيسان

لما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نَهَد في الناس ومعه عمرو إلى أهل، بيسان، فنزلوا عليهم فحاصروهم أياماً، ثم أنهم خرجوا عليهم فقاتلوهم، فأناموا من خرج إليهم، وصالحوا بقية أهلها، فقبل ذلك على صلح دمشق.

ذكر طبرية

وبلغ أهل طبرية الخبر، فصالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل، ففعل فصالحوهم على صلح دمشق، وتم صلح الأردن، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقراها، وكتب إلى عمر بالفتح.

ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

قد ذكرنا أن عمر أول ما ولي ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر، من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي اللّه عنه، ثم أصبح فبايع الناس، وعاد فندب الناس إلى فارس، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم، لشدة سلطانهم وشوكتهم، وقهرهم الأمم. فلما كان اليوم الرابع، عاد فندب الناس إلى العراق، فقال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك، سيروا في الأرض التي وعدكم اللّه في الكتاب أن يورثكموها فإنه قال: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه"، الفتح 28 واللّه مظهر دينه، ومعز ناصره ، ومولي أهله مواريث الأمم. أين عباد اللّه الصالحون.
وكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، ثم ثنى سعد بن عبيد ويقال: سليط بن قيس وتكلم المثنى بن حارثة، فقال: أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبحبحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، ولها إن شاء الله ما بعدها.
فلما اجتمع البعث قيل لعمر: أمر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار، فقال: لا واللّه لا أفعل، إن اللّه إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا كرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من أجاب، لا أؤمر عليهم إلا أولهم إنتداباً. وانتخب عمر

ألف رجل، ثم دعا أبا عبيد فأمره على الخيل، ثم قال له: اسمع من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر، فإن الحرب لا يصلحها إلا الرجل الذي يعرف الفرصة والكف، فقال أبو عبيد: أنا لها، فكان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن، وأمره بإجلاء أهل نجران، لوصية رسول صلى الله عليه وسلم في مرضه بذلك، ولوصية أبي بكر رضي اللّه عنه بذلك في مرضه. ثم ندب أهل الردة فأقبلوا سراعاً من كل أوب فرمى بهم الشام والعراف، وكتب إلى أهل اليرموك بأن عليكم أبا عبيد، وكان أول فتح أتاه اليرموك.

خبر النمارق

فخرج أبو عبيد، ومعه سعد بن عبيد، وسليط بن قيس، والمثنى بن حارثة، فقدم أبو عبيد والرأس شيري، والعدل بين الناس بوران فإنها كانت تصلح الأمور، وهو الوالي حينئذ، فقدم المثنى الحيرة من المدينة في عشر، ولحقه أبو عبيد بعد شهر، وكان أهل فارس قد جعلوا الحرب على رستم وتوجوه، فبعث إلى دهاقين السودان أن يثوروا بالمسلمين، وبعث جنداً لمصادمة المثنى. وخرج أبو عبيد، فجعل المثنى على الخيل، وعلى ميمنته والق بن جيدارة، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم، واقتتلوا، فهزم اللّه أهل فارس، وأسرجابان، وكان الأمير من قبل رستم، فخدع الذي أسره بشيء فخلى عنه، فأخذه المسلمون فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه الملك، وأشاروا بقتله، فقال: إني أخاف اللّه أن أقتله وقد آمنه مسلم.

السقاطية بكسكر

ولما انهزمت فارس أخذوا، نحو كسكر ليلحقوا نرسي وهو ابن خالة كسرى وكانت كسكر قطيعة له، نادى أبو عبيد بالرحيل، وقال للمجردة: اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي، أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق إلى دُرْتا. ومضى أبو عبيد حتى نزل على نرسي بكسكر، وعلى مجنبة نرسي إبنا خال كسرى بندويه وتيرويه، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان، فعاجل أبو عبيد، فالتقوا أسفل كسكر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهزم الله فارس، وهرب نرسي وغلب على عسكره، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر، وجمع الغنائم، وأخذ خزائن نرسي. وأقام أبو عبيد، وسرح المثنى إلى باروسما، وبعث والقاً إلى الزوابي، وعاصماً إلى نهر جوبرة فهزموا من كان تجمع، وأخربوا وسبوا، وكان مما أخرب المثنى وسبى أهل زندورد. وجاءوا إلى أبي عبيد بطعام أكرموه به، فقال: أكرمتم الجند كلهم بمثل هذا؟ قالوا: لا، قال: بئس المرء أبو عبيد، إن صحب قوماً فاستأثر عليهم، لا والله لا نأكل إلا مثل ما يأكل أوساطهم.

وقعة القرقس

ثم جاء بهمن جاذويه ومعه راية كسرى والفيل، فقال لأبي عبيد: إما أن تعبروا إلينّا، وإما أن تدعونا نعبر إليكم، فقال الناس: لا تعبر أبا عبيد، فقال: لا يكونوا أجرأ على الموت منا، بل نعبر، فعبروا إليهم واقتتلوا وأبو عبيد فيما بين الستة والعشرة وكانت الخيول إذا نظرت إلى الفيلة عليها الحلية والخيل عليها التجافيف لم تقدم خيولهم، وإذا حملوا على المسلمين فرقوهم ورموهم بالنشاب. فترجل

أبو عبيد والناس، ثم قال للناس: أقصدوا الفيلة، وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطانه فقطعه، وفعل القوم مثل ذلك، فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله، وقتلوا أصحابه، وقتل من المشركين ستة آلاف في المعركة، و لم ينتظروا غير الهزيمة، فأهوى أبو عبيد، فنفخ مِشْفَر الفيل بالسيف، فخبطه الفيل. وكان أبو عبيد لما رأى الفيل، قال: ما هذا؟ و لم يكن رآه قط، فقالوا: هذا الفيل، فارتجز وقال:

يا لك من ذي أربع ما أكبرك — يا لك من يوم وغى ما أمكنك

إني لغال بالحسام مشفرك — و هالك وفي الهلاك لي درك

ثم ضربه على خرطومه فقطعه ووقع عليه الفيل فقتله. فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل ضعفت نفوسهم، ثم حاربوا الفيل حتى تنحى عنه فاجتروه إلى المسلمين، وجال المسلمون، فركبهم أهل فارس، وأخذ اللواء سبعة من المسلمين، كلهم يقتل فبادر عبد الله بن مرثد الثقفي الجسر فقطعه وانتهى الناس إليه والسيوف تأخذهم، فتهافتوا في الفرات، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف من بين غريق وقتيل، وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف، وحمى المثنى الناس وعاصم والكلج الضبي ومذعور حتى عقدوا الجسر وعبروهم ثم عبروا في آثارهم، وخرج الحماة كلهم. فبينما أهل فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أن الناس بالمدائن قد ثاروا برستم، ونقضوا الذي بينهم وبينه وبلغ عمر الخبر فاشتد عليه، وقال: لو أن أبا عبيد انحاز إليّ لكنت له فئة. وقال للمنهزمين: أنا فئتكم. وكان بين وقعة اليرموك والجسر أربعون ليلة، فكانت اليرموك في جمادى الآخرة، والجسر في شعبان.

قصة البويب

ثم أن المثنى خرج في آثار القوم، فأسر منهم وقتل، وبعث إلى من يليه فاجتمع إليه جمع عظيم، فبلغ ذلك رستم والفَيْرُزان، فبعثا إليه مهران الهمذاني، وبلغ المثنى الخبر، ، فجمع الناس بالبويب، فعبر مهران فنزل على شاطىء الفرات، فنادى المثنى في الناس: اهدوا لعدوكم، قم قال: إني مكبر ثلاثاً فتهيأوا، ثم احملوا مع الرابعة. فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم فارس فخالطوهم وركدت الحرب، وهزمتَ فارس، وهلك مهران، وتمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة، فمخروها، لا يخافون كيداً، وانتقضت مسالح العجم، واعتصموا بساباط، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة. وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة، وكانت تحزر عظام القتلى بمائة ألف.

ذكر قصة الخنافس

ولما غزا المثنى السواد دل على سوق تجتمع فيه ربيعة وقضاعة والناس يقال له الخنافس، فأغار عليها يوم سوقها.

ذكر قصة بغداد

جاء رجل من أهل الحيرة إلى المثنى، فقال له: هل أدلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى والسواد ومعهم الأموال، وهذه أيام سوقهم، فإن أغرت عليهم وهم لا يشعرون أصبت فيها مالاً يكون غنى للمسلمين، يقوون به على عدوهم دهرهم؟. قال: وكم بينها وبين مدائن كسرى؟ قال: بعض يوم. فأخذ الأدلاء وصبحهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيف، فقتل وأخذ، ثم رجع إلى نهر

السليحين بالأنبار، وما زال هو وأصحابه يغيرون على الأطراف. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: كانت ببغداد في أيام مملكة العجم قرية يجتمع رأس كل سنة التجار، ويقوم بها للفرس سوق عظيمة، فلما توجه المسلمون إلى العراق، وفتح أول السواد، ذكر للمثنى بن حارثة الشيباني أمر سوق بغداد. فأخبرنا محمد بن أحمد بن رزق البزار، أخبرنا محمد بن الحسن الصواف، حدثنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، أخبرنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة، قال: قال، ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله أن أهل الحيرة، قالوا للمثنى: ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد، وتجتمع بها كل سنة من أموال الناس مثل خراج العراق، وهذه أيام سوقهم التي يجتمعون فيها، فإن أنت قدرت على أن تغير عليهم وهم لا يشعرون، أصبت بها مالاً يكون منه عز للمسلمين، وقوة على عدوهم، وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم، فقال لهم: وكيف لي بها. فقالوا له: إن أردتها فخذ طريق البر حتى تنتهي إلى الأنبار، ثم تأخذ رؤوس الدهاقين فيبعثون معك الأدلاء، فتسير سواد ليلة من الأنبار حتى تأتيهم ضحى. قال: فخرج من الغد ومعه أدلاء أهل الحيرة حتى دخل الأنبار، فترل بصاحبها فتحصن منه، فأرسل إليه: انزل فإنك آمن على دينك وقريتك، وترجع سالماً إلى حصنك، فتوثق عليه، ثم نزل فقال: إني أريد أن تبعث معي دليلاً يدلني على بغداد، فإني أريد أن أعبر منها إلى المدائن، قال: أنا أجيء معك، قال المثنى لا أريد أن تجيء معي، ولكن ابعث معي من يعرف الطريق، ففعل وأمر لهم بعلف وطعام وزاد، وبعث معهم دليلاً، فأقبل حتى بلغ المنصف قال له المثنى: كم بيننا وبين هذه القرية؟ قال: أربع فراسخ أو خمسة، وقد بقي عليك ليل، فقال لأصحابه: انزلوا واقصموا واطعموا وابعثوا الطلائع، فلا تلقون أحداً إلا حبستموه، ثم سار بهم فصبحهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيف، فقتل وأخذ الأموال وقال لأصحابه: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ومن المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته، وهرب الناس وتركوا أمتعتهم، وملأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء، ثم رجع حتى نزل نهر السليحين، فقال للمسلمين: احمدوا اللّه الذي سلمكم وأغنمكم، انزلوا فاعلفوا خيلكم من هذا القصب وعلقوا عليها وأصيبوا من أزوادكم، ثم سار حتى انتهى إلى الأنبار. وهذا المثنى هو أول من حارب الفرس في أيام أبي بكر رضي الله عنه.

ذكر ما هيج أمر القادسية

اجتمع أهل فارس إلى رستم والفيرزان، فقالوا: قد وهنتما أهل فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم، وما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن، واللّه لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت. فقال رستم والفيرزان لبوران بنت كسرى: اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه، ونساء

آل كسرى وسراريهم. ففعلت، فأرسلوا في طلبهن، فاجتمعن فسألوهن عن ذكر من أبناء كسرى، فلم يوجد عندهن، فقال بعضهن: لم يبق إلا غلام يدعى يَزْدَجرْد من ولد شَهْريار بن كسرى، وأمه من أهل بادوريا. وكانت في أيام شيري حين قتل الذكور، دلَته في زَبيل إلى أخواله، فجاءوا به فملكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة،، واطمأنت فارس واستوثقت، فكتب بذلك إلى عمر رضي اللّه عنه، فكتب عمر إلى عمال العرب وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلى الحج أن لا تدعوا أحداَ له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه، ثم وجهتم إلي، والعجل العجل. وحج بالناس عامئذ عبد الرحمن بن عوف، وكان عامل عمر في هذه السنة على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى بن، وعلى عمان

واليمامة حذيفة بن مِحْصَن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى فرج الكوفة وما فتح من أرضها المثنى بن حارثة، وكان على القضاء علي بن أبي طالب.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الأخنس بن شريق: واسمه أبي بن، شريق بن عمرو بن وهب، وكان اسمه أبي، فلما أشار على بني زهرة بالرجوع إلى مكة حين توجهوا في النفير إلى بدر يمنعوا العير فقبلوا منه، قيل: خنس بهم، فسمي الأخنس يومئذ. أسلم يوم فتح مكة، وشهد مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حنينا، فأعطاه مع المؤلفة قلوبهم. وتوفي في أول خلافة عمر رضي اللّه عنه. خولي بن أبي خولي واسم أبي خولي عمرو بن زهير بن خيثمة: شهد بدراً، والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وتوفي في هذه السنة.

شيرين بن أردشير: مات في هذه السنة.

سليم، أبو كبشة، مولى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: من مولدي أرض دوس، شهد بدراً، والمشاهد كلها، وتوفي يوم استخلف عمر، وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة.

عمرو بن الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم: كان أبوه ورد على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمكة. أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني عبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد بن أبي عون الدوسي، قال: كان الطفيل الدوسي رجلًا شريفاً شاعراً كثير الضيافة، فقدم مكة، فلقيه رجال من قريش، فقالوا: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين أخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا منه، فلا تكلمه ولا، تسمع منه. قال: فواللّه ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذني قطناً، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، فكان يقال لي: ذو القطنتين. قال: فغدوت يوماً إلى المسجد، فإذا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه فسمعت بعض قوله، فقلصَ في نفسي: واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبِيح، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل، ، فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاَ تركته. فمكثت حتى انصرف إلى بيته، فدخلت معه، فقلت: إن قومك قالوا لي كذا وكذا، فاعرض عليَّ أمرك، فعرض عليَ الإسلام، وتلا القران، فقلت: لا واللّه ما سمعت قولًا قط أحسن من هذا ولا أعدل منه، فأسلمت، فقلت: يا نبي اللّه إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع اللّه أن يكون لي عوناً عليهم، فقال: "اللهم اجعل له آية". فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا بي مُثْلَةَ وقعتَ في وجهي لفراق دينهم، فتحول النور فوقع في رأس سوطي، فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، فأتاني أبي فقلت له: إليك عني فإنك لست من ديني، ولست منك، قال: و لم يا بني؟ قلت: إني أسلمت واتبعت دين محمد، قال: يا بني ديني دينك. قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ففعل فجاء فعرضت عليه الإسلام، ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني، قالت: و لم بأبي أنت. قلت: فرق

بيني وبينك الإسلام، إني أسلمت واتبعت دين محمد، فقالت: ديني دينك، فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليَّ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: قد غلبتني دوس فادع الله عليهم، فقال: "اللهم اهد دوساً". وقال لي: "أخرج إلى قومك فادعهم وارفق بهم ".

فخرجت أدعوهم حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضت بدر وأحد والخندق، ثم قدمت بمن أسلم من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ولحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين، وقلنا: يا رسول اللّه اجعلنا في ميمنتك، واجعل شعارنا مبرور، ففعل.

فلم أزل مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى فتح مكة، فقلت: ابعثني يا رسول اللّه إلى في الكفين صنم عمرو بن حممة أحرقه، فبعثه إليه فحرقه ة فلما أحرقه بان لمن تمسك به أنه ليس على شيء ، فأسلموا جميعاً، ورجع الطفيل، فكان مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات.

فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فجاهد، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو، فقتل الطفيل باليمامة، وقطعت يد ابنه، ثم استبل وصحت يده. فبينا هو عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ أتي بطعام فتنحى عنه، فقال عمر: مالك لعلك تنحيت لمكان يدك؟ قال: أجل، قال: واللّه لا أذوقه حتى تسوطه بيدك، فواللّه ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك. ثم خرج عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتل شهيداً.

عبد اللّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه: وقد سبق ذكر موته، توفي في هذه السنة.

عكرمة بن أبي جهل، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم:

أخبرنا ابن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَثني أبو بكر بن عبد اللّه بن أبي سبرة، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير عن عبد اللّه بن الزبير، قال: لما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن، وخاف أن يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت زوجته إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وكانت امرأته أم حليم بنت الحارث بن هشام امرأة لها عقل، وكانتَ قد اتبعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقالت له: إن ابن عمي عكرمة قد هرب منك إلى اليمن أ، وخاف أن تقتله فأمنه، قال: "قد أمنته بأمان الله، فمن لقيه فلا يعرض له" فخرجت في طلبه، فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر، فجعلت تلوح إليه وتقول: يا بن عم، جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك فأمنك، فقال: أنت فعلت ذلك. قالت: نعم، أنا كلمته لأمنك، فرجع معها، فلما دنا من مكة قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت ".

قال: فقدم عكرمة فانتهى إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته معه متنقبة، قال: فاستأذنت على رسول الله فدخلت فأخبرت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بقدوم عكرمة، فاستبشر ووثب قائماً على رجليه وما على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم رداء فرحاً بعكرمة، وقال: أدخليه، فدخل، فقال: يا محمد، إن هذه أخبرتني أنك أمنتني، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "صدقت وأنت آمن "، قال عكرمة: فقلت أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأنك عبده، ورسوله، وقلت: أنت أبر الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس، أقول ذلك وأني لمطأطىء الرأس استحياء منه ثم قلت: يا رسول اللّه، استغفر لي كل عداوة

عاديتكها أو مركب أو ضعت فيه أريد به إظهار الشرك، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم "اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، أو نطق بها أو مركب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك "، فقلت: يا رسول اللّه، مرني بخير ما تعلم فأعمله، قال: "قل أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً عبده ورسوله، وجاهد في سبيله " ثم قال عكرمة: أما واللّه يا رسول اللّه لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل اللّه ولا قتالاً كنت أقاتل في صد عن سبيل اللّه إلّا أبليت ضعفه في سبيل اللّه ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيداً يوم أجنادين في خلافة أبي بكر الصديق، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم استعمله عام حج على هوازن بصدقتها.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عارم بن الفضل، قال: حدَّثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هارباً يَجُب بهم البحر، فجعلت الصواري يدعون اللّه عز وجل ويوحدونه، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا اللّه عز وجل، قال: فهذا إله محمد الذي يدعونا إليه، فارجعوا بنا، فرجع فأسلم. وكانت امرأته أسلمت قبله وكانا على نكاحهما.

قال ابن سعد: وأخبرنا موسى بن مسعود أبو حذيفة النهدي، قال: حدَّثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد، عن عكرمة بن أبي جهل، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يوم جئته: "مرحباً بالراكب المهاجر، مرحباً بالراكب المهاجر"، قلت: يا رسول الله، لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا أنفقت مثلها في سبيل الله. قال ابن سعد: وأخبرنا أبو سهل، قال: حدَّثنا داود، عن هشام بن يحيى، المخزومي، قال: قال شيخ لنا: لما قدم عكرمة المدينة جعل الناس يتنادون: هذا ابن أبي جهل، هذا ابن أبي جهل، فانطلق موايلا حتى دخل على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت له: ما شأنك؟ قال: ما شأني، لا أخرج إلى طريق ولا سوق إلا ينادى بي: هذا ابن أبي جهل، فدخل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في خلال ذلك، فذكرت له أم سلمة ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته: "ما بال أقوام يؤذون الأحياء بشتم الأموات، ألا لا تؤذوا الأحياء بشتم الأموات ".

قال ابن سعد: وأخبرنا سليمان، قال: حدَّثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة: أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا أجهد اليمين، قال: لا والذي نجاني يوم بدر، وكان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتاب ربي كتاب ربي.

عتاب بن أسيد: ولاه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفي بها يوم مات أبو بكر بالمدينة وكانا قد سُمَّا جميعاً.

نعيم النحام بن عبد اللّه بن أسيد بن عبد عوف: أسلم بعد عشرة، وكان يكتم إسلامه، وإنما سمي النحام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دخلت الجنة فسمعت نَحْمَة من نعيم ".

و لم يزل بمكة يحوطه قومه لشرفه فيهم. فلما هاجر المسلمون إلى المدينة أراد لهجرة، فتعلق به قومه، فقالوا:، دِنْ بأي دين شئت وأقم عندنا. فأقام بمكة، إلى سنة ست، فقدم مهاجراً إلى المدينة ومعه أربعون من أهله، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقه وقبّله.

وشهد مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ما بعد الحديبية، وقتل يوم اليرموك شهيداً، في هذه السنة.

هشام بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم: أسلم بمكة قديماً، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم قدم مكة حين بلغه

مهاجرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يريد اللحاق به، فحبسه أبوه وقومه بمكة حتى قدم المدينة بعد الخندق على النبي صلى الله عليه وسلم، فشهد ما بعد ذلك من المشاهد، وكان أصغر سناً من أخيه عمرو بن العاص، وكان عمرو يقول: عرضنا أنفسنا على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقبله وتركني.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني مخرمة بن بكير، عن أم بكر بنتَ، المسور بين مخرمة، قالت: كان هشام بن العاص رجلاً صالحاً، لما كان يوم أجنادين رأى من المسلمين بعض النكوص عن عدوهم، فألقى المغفر عن وجهه وجعل يتقدم في نحر العدو، وهو يصيح: يا معشر المسلمين إليَ إليَ، أنا هشام بن العاص، أمن الجنة تفرون؟. حتى قتل. روى محمد بن عمر: وحدثني ثور بن يزيد، عن خلف، بن معدان، قال: لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان إنسان، فجعلت الروم تقاتل عليه وقد تقدموه وعبروه، وتقدم هشام بن العاص بن وائل، فقاتلهم عليه حتى قتل، ووقع على تلك الثلمة فسدها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيل، فقال عمرو بن العاص: أيها الناس، إن اللّه قد استشهده ورفع روحه، وإنما هو جثة، فأوطئوه الخيل، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه، فلما انتهت الهزيمة ورجع المسلمون إلى العسكر، كرّ إليه عمرو بن العاص، فجعل يجمع لحمه وأعضاءه وعظامه، ثم حمله في نطع فواراه. وكانت وقعة أجنادين أول وقعة بين المسلمين والروم، وكانت في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان على الناس يومئذ عمرو بن العاص.

واقد بن عبد اللّه بن عبد مناف بن عزيز : أسلم قبل دخول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وشهد مع عبد الله بن جحش سريته إلى نخلة، وقتل يومئذ عمرو بن الحضرمي. وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس له عقب.

ثم دخلت سنة أربع عشرة

فمن الحوادث فيها قصة القادسية وذلك أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه خرج في أول يوم من، المحرم من سنة أربع عشرة، فنزل على ماء يدعى صراراَ، فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد، أيسير أم يقيم؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف، ب وكان عثمان يدعى في زمان عمر رديفاً، وكانوا إذا لم يقدر هذان على شيء مما يريدون ثلثوا بالعباس، قال: فقال عثمان لعمر: ما بلغك. ما الذي تريد. فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فأخبرهم الخبر الذي اقتصصناه في ذكر ما هيج أمر القادسية من اجتماع الناس على يزدجرد، وقصد فارس إهلاك العرب فقال عامة الناس: سر وسر بنا، فقال: استعدوا فإني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من هذا. ثم بعث إلى أهل الرأي، فاجتمع إليه، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب، فقال: أحضروني الرأي، فاجتمع ملؤهم على أن يبعث رجلًا من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ويقيم، ويرميه بالجنود، فإن كان الذي يشتهي من الفتح، فهو الذي يريد، وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر.

فأرسل إلى عليّ رضي الله عنه، وكان قد استخلفه على المدينة، وإلى طلحة، وكان قد بعثه على المقدمة، وجعل على المجنبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف، فقال له عبد الرحمن: أقم وابعث جنداً، فليس انهزام جندك كهزيمتك، فقال: إني كنت عزمت على

الخروج، فقد رأيت أني أقيم وأبعث رجلاً، فمن تَرونه؟ فقالوا: سعد بن مالك، وكان سعد على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر أن ينتخب ذوي الرأي والنجدة، فانتخب ألف فارس ثم أرسل إليه، فقدم. وكتب عمر إلى المثنى : تنح إلى البر، وأقم من الأعاجم قريباً على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمري. وعاجلتهم الأعاجم، فخرج المثنى بالناس حتى نزل العراق، ففرق الناس في مسالحه، وكانوا كالأسد ينازعون فرائسهم، وكانت فارس مترعجة. ولما قدم سعد ولاه عمر حرب العراق، وقال: يا سعد لا يغرنك إن قِيل: خال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وصاحبه، فإنه ليس بين أحد وبين الله نسب إلا الطاعة، وإنك تقدم على أمر شديد، فالصبر الصبر على ما أصابك. ثم سرحه فيمن اجتمع معه، فخرج قاصداً إلى العراق في أربعة آلاف، ثم أمده عمر بثلاثة آلاف. وكتب إلى جرير بن عبد اللّه والمثنى أن يجتمعا إلى سعد، وأمره عليهما، فمات المثنى من جراحة كان قد جرحها. وبعض الناس يقول: كان أهل القادسية ثمانية آلاف وبعضهم يقول: تسعة آلاف، وبعضهم يقول: اثني عشر ألفاً. وخرج سعد في ثمانية آلاف، ثم أضيف إليه خلق، فشهد القادسية مع سعد بضعة وثلاثون ألفاَ. وكتب عمر إلى سعد: إذا جاءك كتابي هذا، فعشر الناس وأمر على أجنادهم، وواعد الناس القادسية، واكتب إليَّ بما يستقر أمر الناس عليه. فجاءه الكتاب وهو بشراف، ثم كتب إليه: أما بعد، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين، وتوكل على الله، واستعن به على أمرك كله؟ واعلم أنَّك تقدم على قوم علاهم كثير، وبأسهم شديد، فبادروهم بالضرب ولا يخدعنكم، فإنهم خدعة مكرة، ، وإذا انتهيت إلى القادسية، والقادسية باب فارس في الجاهلية، وهو منزل حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة، فلتكن مسالحك على انقابها، فإنهم إذا أحسوك رموك بجمعهم فإن أنتم صبرتم لعدوكم ونويتم الأمانة، رجوت أن تنصروا عليهم، وإن تكن الأخرى انصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم حتى يرد الله لكم الكرة.

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر: أما بعد، فتعاهد قلبك، وحادث جندك بالموعظة والصبر الصبر، فإن المعونة تأتَي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحِسْبَة، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، وصف لي منازل المسلمين كأني أنظر إليها وقد ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم، فإن منحك اللّه أكتافهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن، فإنها خرابها إن شاء الله. ومضى سعد حتى نزل القادسية وأصاب المسلمون في طريقهم غنائم من أهل فارس عارضوها في طريقهم، وجاء الخبر إلى سعد أن الملك قد ولى رستم الأرمَنّي حربه، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: لا يكربنَّك ما يأتيك عنهم، واستعن بالله وتوكل عليه. فعسكر رستم بساباط دون المدائن، وزحف بالخيول والفيول، وبعثوا إلى

سعد أنه لا بد لكم منا، ولا سلاح معكم، فما جاء بكم؟ وكانوا يضحكون منهم ومن نبلهم، ويقولون هذه مغازل. فلما أبوا أن يرجعوا عن حربهم، قالوا لهم: ابعثوا لنا رجا منكم عاقلاً يبين لنا ما جاء بكم، فقال المغيرة بن شعبة: أنا، فعبر إليهم، فقعد مع رستم على السرير، فصاحوا عليه، فقال: إن هذا لم يزدني رفعة و لم ينقص صاحبكم، فقال رستم: صدق، ثم قال: ما جاء بكم. فقال: إنا كنا قوماً في ضلالة، فبعث اللّه فينا نبي فهدانا اللّه به، فإن قتلتمونا دخلنا الجنة، وإن قتلنتم دخلتم النار، فقال: أو ماذا؟ قال: أو تؤدون الجزيِة، فلما سمعوا نخروا وصاحوا، وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم. فقال رستم: بل نعبر إليكم، فاستأخر المسلمون حتى عبر منهم من عبر فحملوا عليهم فهزموهم، فأصاب المسلمون فيما أصابوا جراباً و من كافور فحسبوه ملحاً فألقوا منه في الطبيخ، فلما ذاقوه قالوا: لا خير في هذا. وانهزم القوم حتى انتهوا إلى الصَّراةَ، فطلبوهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن، ثم انهزموا حتى أتوا شاطيء دجلة ، فمنهم من عبر من كَلْواذىَ، ومنهم من عبر من أسفل المدائن، فحاصروهم

حتى ما يجدون طعاماً يأكلونه إلا كلابهم وسنانيرهم، فخرجوا ليلاً فلحقوا بجلولاء، فأتاهم المسلمون، وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة، وهي الوقعة التي كانت، فهزم المشركون حتى ألحقهم سعد بنهاوند. وبعث سعد بجماعة من المسلمين إلى يزدجرد يدعونه إلى الإسلام، فلما دخلوا عليه، قال: ما الذي دعاكمِ إلى غزونا، والولوع ببلادنا، فقال له النعمان بن مقرن: إن الله تعالى أرسل إلينا رسولاَ يدلنا على الخير، فأمرنا أن ندعو الناس إلى الإنصاف، ونحن ندعوكم إلى ديننا، فإن أبيتم فالمناجزة، فقال يزدجرد: إني لا أعلم في الأرض أمة أشقى منكم، فقال المغيرة بن زرارة الأسير: اختر إن شئت الجزية عن يدِ وأنت صاغر، وإن شئت السيف، أو تسلم، فقال: أتستقبلني بمثل هذا؟ فقال: ما استقبلتَ إِلا من كلمني، فقال: لولا أن الرسل لاً تقتل لقتلتك لا شيء لكم عندي، ثم قال: ائتوني بوقر من تراب واحملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، ارجعوا إلى صاحبكم فاعلموه أني مرسل إليهم رستم حتى، يدفنه وجنده في خندق القادسية، ثم أورده بلادكم، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور. ثم قال: من أشرفكم. فسكت القوم ، فقال عاصم بن عمرو: أنا، فحملنيه فحمله على عنقه، فأتى به سعداً، فقال: ملكنا اللّه أرضهم تفاؤلاً بأخذ التراب. وأقام سعد بالقادسية شهرين وشيئاً حتى ظفر وعج أهل السواد إلى يزدجرد، وقالوا: العرب قد نزلوا القادسية فلم يبقوا على شيء، وأخربوا ما بينهم وبين الفرات، و لم يبق إلا أن يستترلونا، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا. فبعث إليهم رستم، وجاء الخبر إلى سعد، فكتب بذلك إلى عمر، وكان من رأي رستم المدافعة والمناهلة، فأبى عليه الملك إلا الخروج، وقال له: إن لم تسر أنت سرت بنفسي، فخرج حتى نزل بساباط، وجمعِ أداة الحرب، وبعث على مقدمته الجالنوس في أربعين ألفاً، وخرج في ستين ألفاَ، واستعمل على ميمنته الهرمزان. وعلى ميسرته مهران بن بهرام، وعلى ساقته النبدوان في عشرين ألفاً ولهم أتباع، فكانوا بأتباعهم أكثر من مائتي ألف.

فلما فصل رستم من ساباط أخذ له رجل من أصحاب سعد، فقال له: ما جئتم تطلبون؟ قال: جئنا نطلب موعود اللهّ، قال: وما هو؟ قال: أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إذ أبيتم أن تَسلموا، قال: فإن قتلتم قبل ذلك؟ قال: في موعود اللهّ أن من قتل منا قبل ذلك دخل الجنة، وينجز لمن بقي منا ما قلت لك، فقتله. ثم خرج حتى نزل ببُرس، فغصب أصحابه الناس أموالهم، ووقعوا على النساء، وشربوا الخمور، فقام إلى الناس، فقال: إن اللهّ كان ينصركم على عدوكم لحسن السيرة، وكف الظلم والوفاء بالعهد، فأما إذا تحولتم عن هذه الأعمال فلا أرى اللّه إلا مغيراً ما بكم. ثم نزل مما يلي الفرات، ودعا أهل الحيرة، فقال: فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا، وكنتم عوناً لهم علينا، وقويتموهم بالأموال، فقالوا: واللهّ ما فرحنا بمجيئهم، وما هم على ديننا، وأما قولك: كنتم عوناً لهم، فما يحوجهم إلى ذلك وقد هرب أصحابكم منهم وخلّوا لهم القرى، وقولك: "قويناهم بالأموال "، فإنا صانعنا هم بالأموال عن أنفسنا. فارتحل رستم فترل النجف، وكان بين خروجه من المدائن إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر لا يُقدِم ولا يقاتل، رجاء أن يضجروا بمكانهم، وأن يجهدوا فينصرفوا، وكره قتالهم، فطاولهم والملك يستعجله، وعهد عمر إلى سعد والمسلمين أن يترلوا على حدود أرضهم وأن يطاولهم، فترلوا القادسية، وقد وطنوا أنفسهم على الصبر والمطاولة، فكانوا يغيرون على السواد، فانتسفوا ما حولهم وأعدوه للمطاولة. وكان عمر يمدهم، وقال بعض الناس لسعد: قد ضاف بنا المكان فأقدم، فزبره وقال: إذا كفيتم الرأي فلا تكلفوه، وخرج سواد وحُمْيضة في مائة مائة فأغاروا على النهرين، وقد كان سعد نهاهما أن يُمعِنا، وبلغ ذلك رستم، فبعث خيلاً، فبعث سعد إليهم قوماً فغنموا وسلموا. ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم، وبات فيه يحرسه وينتظر. فلما أدبر الليل أتى أفضل

من توسم في ناحية العسكر، فإذا فرس لهم لم ير في خيل القوم مثله، فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس ثم ضمه إلى مقود فرسه ثم حرك فرسه، فخرج يعدو، ونذر به الرجل والقوم، فركبوا الصعب والذلول وخرجوا في طلبه، فلحقه فارس، فعدل إليه طليحة فقصم ظهره بالرمح، ثم لحق به آخر، ففعل به مثل ذلك، ثم لحق به آخر فكر عليه طليحة ودعاه إلى الأسار فاستأسر، فجاء به إلى سعد فأخبره الخبر، فقال للأسير: تكلم، فقال: قد باشرت الحروب وغشيتها، وسمعت بالأبطال ولقيتها، ما رأيت ولا سمعت بمثل هذا؟ أن رجلاً قطع عسكرين لا يجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً، فلم يرض أن يخرج حتى سلب فارس الجند، وهتك أطناب بيته، فطلبناه فأدركه الأول، وهو فارس الناس، يعدل بألف فارس فقتله، ثم أدركه الثاني وهو نظيره فقتله، ثم أدركته ولا أظنني خلفت بعدي من يعدلني، فرأيت الموت فاستأسرت. ثم أخبرهم بأن الجند عشرون ومائة ألف، وأن الأتباع مثلهم خدام لهم، وأسلم الرجل وسماه سعد مسلماً، وعاد إلى طليحة وقال: واللّه لا يهزمون على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح، لا حاجة لي في صحبة فارس، فكان من أهل البلاء يومئذ.

وقال سعد لقيس بن هبيرة: أخرج حتى تأتيني بخبر القوم، فخرج وسرح عمرو بن معدي كرب، وطليحة، فإذا خيل القوم، فأنشب قيسٌ القتال وطاردهم، فكانت هزيمتهم، وأصاب منهم اثني عشر رجلاَ وثلاثة أسراء وأسلاباً، فأتوا بالغنيمة سعداً. فلما أصبح رستم تقدم حتى انتهى إلى العتيق فتباسر حتى إذا كان بحيال قديس خندق خندقاً بحيال عسكر سعد، وكان رستم منجماً، فكان يبكي مما يرى من أسباب تدل على غلبة المسلمين إياهم، ومما رأى أن عمر دخل عسكر فارس ومعه ملك، فختم على سلاحهم ثم حزمه ودفعه إلى عمر. وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلَاَ، في القلب ثمانية عشر، وفي المجنبتين خمسة عشر فيلاً، منها فيل سابور الأبيض، وكان أعظم الفيلة. فلما أصبح رستم من ليلته التي بات بها في العتيق، ركب في خيله، فنظر إلى المسلمين، ثم صعد نحو القنطرة وحرز الناس ، وراسل زُهرة، فخرج إليه وأراد أن يصالحهم، وجعل يقول: إنكم جيراننا، وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا، فكنا نحسن جوارهم، ونكف الأذى عنهم، ونوليهم المرافق، الكثيرة، فنرعيهم مراعينا، ونميرهم من بلادنا وإنما يريد بذلك الصلح ولا يصرح، فقال زهرة: ليس أمرنا أمر أولئك إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبنا الآخرة، كنا نضرع إليكم فنطلب ما في أيديكم، فبعث الله إلينا رسولاً فأجبناه إلى دين الحق. فدعا رستم رجال أهل فارس، فذكر لهم ذلك، فأنفوا، فقال: أبعدكم اللّه فمال الرُّفَيل إلى زهرة فأسلم وأسلم. وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة، وبسر بن أبي رهم، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، وربعي بن عامر، وقرفة بن زاهر التيمي، ومذعور بن عدي العجلي، والمضارب بن يزيد العجلي، ، ومعبد بن مرة العجلي،، وكان من دهاة العرب، فقال: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم؟. قالوا جميعاً:، نتبع ما تأمرنا به، وننتهي إليه، فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس، فكلمناهم به. فقال سعد: هذا فعل الحَزَمة، إذهبوا فتهيَّئوا. فقال ربعي بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء وآداب، متى ما نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا لهم، فلا تزيد على رجل، فسرحوني. فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره، فاحتبسه الذين على القنطرة، وأرسل إلى رستم بمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون، أنتهاون أم نباهي. قالوا: نباهي، فأظهروا الزبرجد، وبسطوا البسط والنمارق، ووضع لرستم سرير ذهب، عليه الوسائد المنسوجة بالذهب. وأقبل ربعي وغمد سيفه لفافة ثوب خلق، ورمحه معلوب بقدّ، معه حَجَفة من جلود البقر، فجاء حتى جلس على الأرض، وقال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم، فكلمه وقال: ما جاء بكم. قال: اللّه جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّه، من

جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ومن أبى قاتلناه حتى نُفْضِيَ إلى موعود اللّه. قال: وما هو موعود اللّهّ. قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظَفَر لمن بقي.

فقال رستم : هل لكم أن تؤخروا هذا الأمر لننظر فيه وتنظروا، قال: إنا لا نؤجل أكثر من ثلاث. فخلص رستم برؤساء أهل فارس، وقال: ما ترون، هل رأيتم قط كلاماً أوضح وأعز من كلام هذا؟ قالوا: معاذ اللّه أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب،

أما ترى إلى ثيابه، فقال: ويحكم لا تنظرون إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب. فرجع ربعي إلى أن ينظروا في الأجل، فلما كان في الغد بعثوا أن، ابعث إلينا ذلك الرجل، فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن، فلما جاء إلى البساط قالوا: انزل، قال: ذاك لو جئتكم في حاجتي، الحاجة لكم لا لي، فجاء حتى وقف ورستم على سريره، فقال له: انزل، قال: لا أفعل، فقال: ما بالك و لم يجيء صاحبنا بالأمس. قال: أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء، وهذه نوبتي، فتكلم بنحو ما تكلم به ربعي، ورجع. فلما كان من الغد أرسلوا: ابعث لنا رجلًا، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة، فجاء حتى جلس مع رستم على سريره فترتروه وأنزلوه ومغثوه، فقال: كانت تبلغنا عنكمِ الأحلام، ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنا معشر العرب سواء، لا يستعبد بعضنا بعضاً، فظننت أنكَم تواسون قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، فقال رستم: لم نزل متمكنين من الأرض والبلاد، ظاهرين على الأعداء، ننصر على الناس، ولا ينصرون علينا، و لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم، ولا نراكم شيئاً ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم استعنتم بأرضنا، فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير، ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكل رجل منكم بوقرتي تمر وثوبين، وتنصرفون عنا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم. فتكلم المغيرة، فحمد اللّهّ وأثنى عليه، وقال: لسنا ننكر ما وصفت به نفسك وأهل بلادك من التمكن في البلاد، وسوء حالنا، غير أن الأمر غير ما تذهبون إليه، إن اللّه تعالى بعث فينا رسولًا فذكر نحو كلام ربعي إلى أن قال: فكن لنا عبداً تؤدي الجزية وأنت صاغر، وإلا السيف إن أبيت، فنخر نخرة، واستشاط غضباً، ثم حلف بالشمس: لا يِّرتفع الضحى غداً حتى أقتلكم أجمعين.

فانصرف المغيرة، وخلص رستم بأشراف فارس، فقال: إني أرى للّه فيكم نقمة لا تستطيعون ردها عن أنفسكم، ثم قال رستم للمسلمين: أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم. فقالوا: لا بل أعبر إلينا، فأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم، فأراد المشركون العبور على القنطرة، فأرسل إليهم سعد ولا كرامة، متى قد غلبناكم عليها لن نردها عليكم تكلفوا معبراً غير القناطر، فباتوا يسكرون العتيق والقصب حتى الصباح بأمتعتهم، فجعلوه طريقاً.

يوم أرماث

أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن سيف، قال: أخبرنا السري بن يحيى، قال: أخبرنا شعيب بن إبراهيم، قال: حدَّثنا سيف، عن الأعمش، قال: لما كان يوم السَّكْر، لبس رستم درعين ومغفراً، وأخذ سلاحه وأتى بفرسه فوثب، فإذا هو عليه، و لم يضع رجله في الركاب، ثم قال: غداً ندقّهم دقاً، فقال له رجل: إن

شاء اللّه، فقال: وإن لم يشأ.

قالوا : ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم، وجلس رستم، على سريره، وعبَّى في القلب ثمانية عشر فيلًاَ، عليها الصناديق والرجال، وفي المجنبتين ثمانية وسبعة، عليها الصناديق والرجال. وكان يَزْدَجرْد قد أقام رجلًا على باب إيوانه، يبلغه أخبار رستم، وآخر في الدار، وآخر خارج الدار، وكذلك إلى عند رستم، فكلما حدث أمر تكلم به الأول فيبلغه الثاني إلى الثالث، كذلك إلى يزدجرد. أخذ المسلمون مصافهم، وكان سعد يومئذ به دماميل، لا يستطيع أن يركب ولا يجلس، إنما هو على وجهه في صدره وسادة، وهو مكب عليها، مشرف على الناس، يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عُرْفُطة. وأن سعداً خطب من يليه، يوم الاثنين في المحرم سنة أربع عشرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن اللّه عز وجل يقول: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" الأنبياء 105. هذا ميراثكم وموعود ربكم، فأنتم منذ ثلاث حجج تطعمون منه، وتقتلون أهله فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة يجمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك أحد إلى أجله، وإن تفشلوا وتضعفوا تذهب ريحكم، وتوبقوا آخرتكم. وقام عاصم بن عمرو في المجردة، فقال: هذه بلاد قد أحل اللّه لكم، أهلها، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلون واللّه معكم إن صبرتم فالضرب والطعن ولكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم، ولئن فشلتم لم يبق هذا الجمع منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك، اللّه الله، اجعلوا همكم الآخرة. وخطب كل أمير أصحابه، وتحاضوا على الطاعة. وأذن مؤذن سعد لصلاة الظهر، وقال رستم: أكل عمر كبدي أحرق الله كبده، علَّم هؤلاء حتى علموا.
وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأي الناس ونجدتهم مثل: المغيرة، وحذيفة، وعاصم بن عمرو. ومن أهل النجدة: طليحة، وقيس الأسدي، وغالب، وعمرو بن معدي كرب. ومن الشعراء الشَّمَاخ، والحُطَيْئَة، وأوس بن مَغْراء، وعبدة بن الطبيب، وقال: انطلقوا فقوموا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال. فقال عاصم: يا معشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم لأعيان العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثن اليوم أمراً يكون شيئأ على العرب غداً.

وقام كل واحد بنحو هذا الكلام، وتواثق الناس وتعاهدوا، وفعل أهل فارس مثل ذلك، واقترنوا بالسلاسل، وكان المقترنون ثلاثين ألفاً. وقال سعد: الزموا مواقفكم، لا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا، واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم، وإنما أعطيتموه تأييداً لكم. ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا، ولتُستَتِم عُدّتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطارعوا، فإذا كبرت الرابعة فارجفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا باللّه.

فلما كبر ثلاث مرات خرج غالب بن عبد اللّه الأسدي، فبرز إليه هرمز، فأسره غالب، وجاء به إلى سعد، وخرج طليحة إلى عظيم منهم فقتله، وقام بنو أسد فبالغوا في جهاد الفيلة ودفعها، فكبر سعد الرابعة فزحف إليهم المسلمون، وحملت الفيلة على الميمنة، والميسرة على الخيول. وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة، فقطعوا خراطيمها، فارتفع عواؤها، واقتتلوا حتى غربت الشمس، وحتى ذهب هدة من الليل، ثم تراجعوا، وأصيب في تلك العشية خمسمائة رجل، وهذا يومها الأول، وهو يوم أرماث.

ثم أصبح القوم من الغد على تعبية وقد وكل سعد رجالًا بنقل الشهداء إلى العُذيْب، وأسلم الرثيث إلى النساء يقمن عليهم، ودفن الشهداء، فبينا هم كذلك إذ طلعت نواصي الخيل من قبل الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر وذلك أنه قدم كتاب عمر إلى أبي عبيدة بصرف أهل العراق أصحاب خالد، فصرفهم، فلما جاءوا سمي هذا اليوم يوم أغواث، وأكثر المسلمون القتل في الأعاجم، و لم تقاتل الأعاجم يومئذ على فيل، لأن أنيابها كانت قد تكسرت، وحمل المسلمون رجالاً على إبل قد ألبسوها، فهي مجللة مبرقعة يتشبهون بالفيلة، فلقي أهل فارس يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرماث، وجعل رجل من المسلمين يقال له: سواد يتعرض بالشهادة فأبطأت عليه، فتعرض لرستم يريده، فقتل دونه، وحمل القعقاع بن عمر يومئذ ثلاثين حملة، قتل في كل حملة رجل، وكان آخر من قتل بُزُرْجُمهر الهَمذانيّ.

وروى مجالد، عن الشعبي، قال: كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القادسية، فقالت لبنيها: إنكم أسلمتم فلم تبدلوا، وهاجرتم فلم تثوبوا، و لم تَنْبُ بكم البلاد، و لم تقحمكم السنة، ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس ث واللّه إنكم لبنوا رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره، فاقبلوا يشتدون فلما غابوا عنها رفعت يديها قِبَل السماء وقالت: اللهم ادفع عن بني، فرجعوا إليها وقد أحسنوا القتال، ما كُلِم منهم رجل كَلْماً، فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفاً ألفاً من العطاء ثم يأتون أمهم فيلقونه في حجرها، فترده عليهم وتقسمه فيهم على ما يرضيهم. وقد رويتَ لنا هذه الحكاية أتم من هذا.

أخبرنا المحمدان ابن أبي منصور، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن علِي الثوري، قال: أخبرنا محمد بن عبد اللّه الدقاق، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدَثني أحمد بن حميد الأنصاري، أنه حدث عن عبد الرحمن بن مغراء الدوسي، عن رجل من خزاعة، قال: لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة، فقالت: يا بنيّ، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم، واللّه ما نبت بكم الدار ولا أقحمتكم السنة، ولا أرداكم الطمع، واللّه الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا عموت نسبكم، ولا أوطأت حريمكم، ولا أبحت حماكم، فإذا كان غداً إن شاء اللّه، فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين اللّه مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها، وقد ضربتَ رواقها فتيمموا وطيسها، وجالدوا خميسها، تظفروا بالمغنم والسلامة والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة. فانصرف الفتية من عندها وهم لأمرها طائعون، وبنصحها عارفون، فلما لقوا العدو شد أولهم، وهو يرتجز يقول:

يا إخوتا إن العجوز الناصحه ... قد أشربتنا إذ دعتنا البارحه نصيحة

ذات بيان واضحه ... فباكروا الحرب الضروس الكالحه

فإنما تلقون عند الصائحه ... من آل ساسان كلاباً نابحه

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه ... فأنتم بين حياة صالحه

أو منية تورث غنماً رابحا

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا — قد أمرتنا حدباً وعطفا

منها وبراً صادقاً ولطفا — فباكروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلفوا آل كسرى لفا — وتكشفوهم عن حماكم كشفا

إنا نرى التقصير عنهم ضعفا — والقتل فيهم نجدة وعرفا

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخرم — ولا لعمرو ذي السناء الأقدم

إن لم نذر في آل جمع الأعجم — جمع أبي ساسان جمع رستم

بكل محمود اللقاء ضيغم — ماض على الهول خصيم خضرم

أما لقهر عاجل أو مغنم — أو لحياة في السبيل الأكرم

نفوز فيها بالنصيب الأعظم

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلد — والنظر الأوفق والرأي السدد

قد أمرتنا بالصواب والرشد — نصيحة منها وبراً بالولد

فباكروا الحرب نماء في العدد — أما لقهر واختيار للبلد

أو منية تورث خلداً للأبد — في جنة الفردوس في عيش رغد

فقاتلوا جميعاً حتى فتح الله للمسلمين، وكانوا يأخذون أعطيتهم ألفين ألفين، فيجيئون بها فيصبون في حجرها، فتقسم ذلك بينهم حفنة بحفنة، فما يغادر واحد عن عطائه درهماً.

يوم عماس

وأصبح القوم في اليوم الثالث ويسمى يوم عماس وقد قتل من المسلمين ألفان من ميت ورثيث ومن المشركين عشرة آلاف من ميت ورثيث، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين الأولين، فأما اليوم الثالث فكان شديداً على العرب والعجم وقدم هاشم بن عتبة من الشام في سبعمائة بعد فتح دمشق، وكان القعقاع، وكان عامّةُ جُنَن الناس البراذع، براذع الرحال. فلما أمسى الناس في يومهم ذلك، وطعنوا في الليل اشتد القتال وصبر الفريقان، وقامت فيها الحرب إلى الصباح لا ينطقون، كلامهم الهرير، فسميت ليلة الهرير. وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلما كان وجه الصبح، انتهى الناس، واستدل بذلك على أنهم الأعلون، وأن الغلبة لهم.

فأصبحوا صبيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية والناس حَسْرَى لم يغمضوا ليلتهم كلها، ثم اقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة، وهبت ريح عاصف الغبار على المشركين، فانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم، وقد قام عنه، فاستظل في ظل بغل عليه مال، فضرب هلال بن عُلَّفة الحِمْل الذي رستم تحته، فقطع حباله، ووقع عليه احدى العِدْلين، فأزال من ظهره فقاراً، ومضى رستم نحو العتيق فرمى نفسه فيه، واقتحمه هلال فأخذ برجله ثم خرج به، فقتله ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال، وصعد السرير، ثم ناس: قتلت رستم ورب الكعبة إليّ إليّ، فأطافوا به، فانهزم المشركون وتهافتوا في العتيق، فقتل المسلمون منهم ثلاثين ألفاً، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتل قبل ذلك وكان المسلم يدعو الكافر فيأتي إليه فيقتله، وثبت جماعة من المشركين استحياء من الفرار، فقتل المسلمون. وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية من المسلمين ستة آلاف .

ولما انهزموا أمر سعد زُهرة بن الحوِية باتباعهم، فتبعهم والجالنوس يحميهم، فقتله زهرة وقتل خلقاً كثيراً منهم، ثم رجع بأصحابه فبات بالقادسية، واستكثر سعد سلب الجالنوس، فكتب إلى عمر، فكف إليه: إني قد نفَّلت مَنْ قتل رجلًا سلبه، فأعطاه إياه، فباعه بسبعين ألفاً، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع مثله. وكان أهل فارس قد خرجوا بأموالهم ليردوا بها إلى المدينة ليغزوا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، فقضى اللّه بها للمسلمين. وكان مع رستم ستمائة ألف ألف، وأصاب صاحب الفرسين يومئذ سبعاً وعشرين ألفاً، و لم يعبأوا بالكافور لأنهم ما عرفوه، فباعوه من قوم مروا بهم كيلًا من الكافور بكيل من الملح الطيب، وقالوا: ذاك ملح مرّ. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، قال: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدَّثنا محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي، قال: حدَّثني جدي، قال: حدثنا ابراهيم بن إسماعيل، قال: حدَّثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن حبيب بن صهبان، قال: شهدت القادسية، قال: فانهزموا حتى أتوا المدائن، قال: وسبقناهم فانتهيا إليها ،هي تطفح، فأقحم رجل منا فرسه وقرأ: "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللّه كتاباً مؤجلًا" آل عمران 145. قال: فعبر ثم تبعوه الناس أجمعون، فعبروا فما فقدوا عقالاً ما خلا رجلاً منهم انقطع منه قدح كان معلقاً بسرجه، فرأيته يدور في الماء. قال: فلما رأونا انهزموا من غير قتال. قال: فبلغ سهم الرجل ثلاث عشرة دابة، وأصابوا من الجامات الذهب والفضة. قال: فكان الرجل منا يعرض الصحفة الذهب يبدلها بصحفة من فضة يعجبه بياضها فيقول: من يأخذ صفراء ببيضاء.

قال علماء السير: وخرج صبيان العسكر في القتلى ومعهم الأداوي يسقون من به رمق من المسلمين، ويقتلون من به رمق من المشركين، ثم إن الفرس قصدوا المدائن يريدون نهاوند، فاحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والسلاح وبنات كسرى، وخلوا ما سوى ذلك، واتبعهم سعد بالطلب، فبعث خالد بن عرفطة، وعياض بن غنم في آخرين، فلما صلح مرض سعد اتبعهم بمن بقي معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة على بَهُرَسِير، فطلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها،، فدلهم رجل من أهل المدائن على مخاضة بقَطْرَبَّلَ، فخاضوا ثم ساروا حتى أتوا جلولاء ، فكانت بها وقعة هزم اللّه فيها الفرس، وأصاب المسلمون بها من الفيء أفضل ما أصابوا بالقادسية، ثم كتب سعد إلى عمر بالفتح، فكتب إليه عمر: قف مكانك ولا تتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد، ولا تجعلن بيني وبين المسلمين بحراً، فنزل الأنبار فاجتواها، فنزل موضع الكوفة اليوم، وخط مسجدها، وخط فيه الخِطَط

للناس. وقيل: إن بقيلة قال له: ألا أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة، فدله على موضع الكوفة اليوم. وقيل: كان ذلك في سنة خمس عشرة.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد السمرقندي، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أحمد بن سيف، أخبرنا السري بن يحيى، أخبرنا شعيب بن إبراهيم، حدثنا سيف بن عمر، ، عن مجالد بن سعيد، قال: لما أتى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه الخبر بنزول رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف، النهار، ثم يرجع إلى أهله، فلما لقيه البشير سأله: من أين جاء؟ فأخبره، قال: يا عبد اللّه، أخبرني، قال: هزم اللّه العدو، وعمر يحث معه ويستخبره، والبشير يسير يحث ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال الرجل: فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين، فجعل عمر رضي الله عنه يقول: لا عليك يا أخي. وهذه وقعة القادسية قد ذكرنا أنها كانت سنة أربع عشرة. وقال ابن إسحاق : كانت سنة خمس عشرة، وقال الواقدي: سنة ست عشرة. قال ابن جرير: وهو الثبت عندنا .

وفي هذه السنة، أعني سنة أربع عشرة . أمر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بالقيام في المساجد في شهر رمضان، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت، أخبرنا محمد بن مخلد، حدثنا الحسين بن السميدع، حدثنا عبيد بن جناد، حدثنا عبد اللّه بن عمر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الزهري، أن عروة بن الزبير، حدثه أن عبد الرحمن بن عبد القاري، أخبره: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج ذات ليلة في رمضان ومعه عبد الرحمن بن عبد القاري، فرأى الناس يصلون متفرقين أوزاعاً في المسجد، فقال عمر: لو جمعناهم على رجل واحد كان أمثل، فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرج وهم يصلون خلف أبي بن كعب جميعاً، ، فقال: نعمت البدعة والتي ينامون عنها أفضل، وهي آخر الليل، وكتب بها إلى الأمصار. أخبرنا المبارك بن علي، أخبرنا أحمد بن الحسين بن طاهر، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة، حدثنا الفضل بن العباس الهروي، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا عبد اللّه بن أبي زياد القطواني، حدثنا سنان بن حاتمة، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا قطر يعني ابن كعب القطيعي، عن أبي إسحاق الهمذاني، قال: خرج علي بن أبي طالب في أول ليلة من شهر رمضان، فسمع القراءة في المساجد، ورأى القناديل تزهر، فقال: نور اللّه لعمر بن الخطاب قبره كما نور مساجد اللّه تعالى بالقرآن.

وفي هذه السنة اختط البصرة وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة، وأمره بنزولها بمن معه، وقيل: كان ذلك في سنة خمس عشرة، وكذلك دخول سعد الكوفة.

وقد زعم سيف أن البصرة مصرت في سنة ست عشرة، وأن عتبة بن غزوان خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت، وجهه أيليها سعد بأمر عمر. والأول أثبت، وعليه الجمهور. وقال عمر لعتبة: إني أريد أن أوجهك إلى أرض الهند- وكانت البصرة تدعى أرض الهند، فيها حجارة بيض خشنة لتمنع أهلها أن يمدوا إخوان فارس، فنزلها في ربيع الأول سنة أربع عشرة، وفيها سبع دساكر، فكتب إليه عمر: اجمع الناس موضعاً واحداً وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مكايدة للعدو، فإذا قدم عليك فاستشره، وادع إلى اللّه، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية وإلا السيف، واتق

مصارع الظالمين. وفي رواية : أن عمر قال له: انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب، وأدنى أرض العجم فأقيموا. فترلوا موضع البصرة.

فأقام شهراً ، ثم خرج إليه أهل الأبلّة، فناهضهم عتبة، فمنحه اللّه أكتافهم وانهزموا، فأصاب المسلمون رحلًا كثيراً، وفتح اللّه الفتح على يد أبي بكرة في خمسة أنفس، وشهد فتح الأبلة مائتان وسبعون. أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن أحمد القادر بن يوسف، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر، قال: أخبرنا أبو غياث أحمد بن الحسن بن أيوب، قال: أخبرنا أبو روق أحمد بن محمد، قال: حدَّثنا القاسم بن محمد بن عباد المهلبي، قال: حدَثنا موسى بن المثنى بن سلمة بن. المحبَّق الهذلي، عن أبيه، عن جده قال: شهدت فتح الأبلة وأميرنا قطبة بن قتادة السدوسي، فاقتسمت الغنائم، فدفعت إلي قدر من نحاس، فلما صارت في يدي تبين لي أنها ذهب، وعرف ذلك المسلمون فنازعوني إلى أميرنا، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يخبره بذلك، فكتب إليه عمر: صر إلى يمينه أنه لم يعلم أنها ذهب إلا بعدما صارت إليه، فإن حلف فادفعها إليه، وإن أبى فاقسمها بين المسلمين، فحلف فدفعها إليه،، وكان فيها أربعون ألف مثقال. قال جدي: فمنها أموالنا التي نتوارثها إلى اليوم. قال علماء السير: ولما فرغ عتبة من الأبلة جمع له المرزبان دَسْت مَيْسان، فسار إليه عتبة، وقيل لصاحب الفرات: إن ها هنا قوماً يريدونك، فأقبل في أربعة آلاف أسوار. قال المدائني : كتب قطبة بن قتادة وهو أول من أغار على السواد من ناحية البصرة إلى عمر أنه لو كان معه عدد ظفر بمن في ناحيته من العجم، فبعث عمر عتبة بن غزوان أحد بني مازن بن منصور في ثلاثمائة، وانضاف إليه في طريقه نحو من مائتي رجل، فترل أقصى البر حيث سمع نقيق الضفادع، وكان عمر قد تقدم إليه أن يترل في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فكتب إلى عمر: إنا نزلنا في أرض فيها حجارة خشن بيض، فقال عمر: إلزموها فإنها أرض بصرة، فسميت بذلك، ثم سار إلى الأبلة فخرج إليه مرزبانها في خمسمائة أسوار، فهزمهم عتبة، ودخل الأبلة في شعبان سنة أربع عشرة، وأصاب المسلمون سلاحاً ومتاعاً وطعاماً، وكانوا يأكلون الخبز وينظرون إلى أبدانهم عل سمنوا. وأصابوا براني فيها جوز، فظنوه حجارة، فلما ذاقوه استطابوه، ووجدوا صحناة، فقالوا: ما كنا نظن أن العجم يدخرون العذرة، وأصاب رجل سراويل، فلم يحسن لبسها فرمى بها، وقال: أخزاك اللّه من ثوب، فما تركك أهلك لخير، فجرى ذلك مثلًا، ثم قيل: من شرما ألقاك أهلك. وأصابوا أرزاً في قشره، فلم يمكنهم أكله، وظنوه سماً، فقالت بنت الحارث بن

كلدة: إن أبي كان يقول إن النار إذا أصابت السم ذهبت غائلته، فطبخوه فتعلق فلم يمكنهم أكله، فجاء من نقاه لهم فجعلوا يأكلونه ويقدرون أعناقهم ويقولون: قد سمنًا، وبعث عتبة إلى عمر بالخمس مع رافع بن الحارث، ثم قاتل عتبة أهل دست ميسان فظفر بهم، واستأذن عمر في الحج فأذن له. فلما حج ردَّه إلى البصرة حتى إذا كان بالفرع رفسته ناقته فمات وقيل وقصته، فولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة، فرمي بالزنا فعزله وولى أبا موسى. وقال علماء السير: إن عمر كتب إلى العلاء بن الحضرمي، وهو بالبحرين: أن سر إلى عتبة فقد وليتك عمله، واعلم أنك تقدم على رجل من المهاجرين الأولين الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى، لم أعزله إلا لظني أنك أعنى عن المسلمين في تلك الناحية منه، فاعرف له حقه، ووفد عتبة إلى عمر، وأمر المغيرة أن يصلي بالناس حتى قدم مجاشع من الفرات، فإذا قدم فهو الأمير، فظفر مجاشع بأهل الفرات ورجع إلى البصرة. وجمع بعض عظماء فارس للمسلمين، فخرج إليه المغيرة بن شعبة فظفر به، وأمر عتبة أن يرجع إلى عمله، فمات عتبة في الطريق. وكانت ولايته ستة أشهر. قال الواقدي: ورأيت من عندنا يقول: إنما كان عتبة مع سعد بن أبي وقاص، فوجه به إلى البصرة بكتاب عمر، وما زالت البصرة تعظم وتذكر

فضائلها، وأهل البصرة يقولون لنا: الثلاثة عن الثلاثة؟ الرياشي والسجستاني والأخفش عن أبي زيد، وأبي عبيدة والأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب.

وفي هذه السنة، أعني سنة أربع عشرة حج بالناس عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، وكان على مكة عتاب بن أسيد، وعلى اليمن يعلى بن منبه، وعلى الكوفة سعد، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص وقيل: بل العلاء بن الحضرمي، وعلى عمان حذيفة بن محصن.

وفي هذه السنة ضرب عمر أبا محجن الثقفي سبع مرات في الخمر، وضرب معه ربيعة بن أمية بن خلف في شراب شربوه في ذلك، وضرب ابنه عبد الرحمن في ذلك. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أحمد بن محمد بن رزق، والحسن بن أبي بكر قالا: أخبرنا محمد بن عبد اللّه أبو عبد اللّه الهروي، حدَّثنا علي بن محمد بن عيسى الحكاني، حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سالم بن عبد اللّه، أن عبد اللّه بن عمر قال: شرب عبد الرحمن بن عمر، وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث، ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب، فسكرا، فلما أصبحوا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فقالا: أطهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه.

قال عبد اللّه بن عمر: و لم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص. قال: فذكروا أخي أنه قد سكر، فقلت له: ادخل الدار أطهرك، فآذنني أنه حدثَ الأمير. فقال عبد اللّه بن عمر: فقلت: واللّٰه لا يحلق اليوم على رؤوس الناس، ادخل أحلقك وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد، فدخل معي الدار، فحلقت أخي بيدي، ثم جلدهما عمرو بن العاص فسمع عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إلى عمرو: أن ابعث إليّ بعبد الرحمن بن عمر على قتب، ففعل ذلك عمرو، فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله، فلبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره، فتحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر و لم يمت من جلده. قال المؤلف ولا ينبغي أن يظن بعبد الرحمن أنه شرب الخمر، إنما شرب النبيذ متأولاً، فظن أن ما شرب منه لا يسكر وكذلك أبو سروعة، فلما خرج الأمر بهما إلى السكر طلبا التطهير بالحد، وقد كان يكفيهما مجرد الندم، غير أنهما غضبا للّه تعالى على أنفسهما المفرطة، فأسلماها إلى إقامة الحد. وأما إعادة عمر الضرب فإنما ضربه تأديباً لا حداً.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر، أبو خالد : شهد العقبة مع السبعين، وبدراً، والمشاهد كلها مع رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد، فجرح يومئذ واندمل، ثم انتقض به فمات، فهو يعد من شهداء اليمامة .

زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي: شهد العقبة مع السبعين، وكان لما أسلم يكسر أصنام بني بياضة. وخرج زياد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأقام معه بمكة وهاجر معه إلى المدينة، فهو مهاجري أنصاري، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم . وتوفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وهو عامله على حضرموت، ووليِ قتال أهل الردة باليمن حين ارتد أهل البحرين مع الأشعث بن قيس فظفر بهم فقتل من قتل وأسر من أسر، وبعث بالأشعث بن قيس إلى أبي بكر في وثاق.

سلمة بن أسلم: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وقتل بالعراق يوم جسر أبي عبيد الثقفي وهو ابن

ثلاث وستين سنة.

سلمة بن هشام بن المغيرة: أسلم بمكة قديماً، وهاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة فحبسه أبو هل وضربه وأجاعه، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم و له في صلاته، يقول: "للهم انج سلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والوليد بن الوليد وضعَفَة المسلمين. أفلت سلمة فلحق برسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، فلما بعث أبو بكر رضي اللّه عنه الجنود لجهاد الروم قتل سلمة بمَرْج الصُفَر شهيداً في محرم هذه السنة.

سليط بن قيس بن عمرو بن عبيد: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم جسر أبي عبيد.

عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب، أبو قحافة: أبو أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أسلم يوم الفتح. أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَثنا الحسين بن الفهم، وحدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن محمد بن إسحاق، قال: حدَّثني يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما دخل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن وجلس في المسجد أتاه أبو بكر بأبي قحافة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا بكر، ألا تركت الشيخ حتى أكون أنا الذي أمشي إليه". فقال: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه. فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ووضع يده على قلبه، ثم قال: "يا أبا قحافة، أسلم تسلم ". قال: فأسلم وشهد شهادة الحق. قال: وأدخل عليه ورأسه ولحيته كأنها ثغامة، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "غيروا هذا الشيب، وجنبوه السواد". أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا الأزهري، أخبرنا حمد بن العباس الخزاز، أخبرنا إبراهيم بن محمد العبدي، حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، قال: مات أبو قحافة بمكة سنة أربع عشرة. قال علماء السير: توفي أبو قحافة بمكة في محرم سنة أربع عشرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة بعد موت أبي بكر رضي اللّه عنه بستة أشهر وأيام.

عفراء بنت عبيد بن ثعلبة: أسلمت وبايعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ورزقها اللّه سبع بنين شهدوا كلهم بدراً مسلمين، وذلك أنها تزوجت الحارث بن رفاعة، فولدت له معاذاً ومعوذا، ثم طلقها فقدمت مكة فتزوجها بكر بن عبد ياليل، فولدت له خالداً، وإياساً، وعاقلًا، وعامراً، ثم رجعت إلى المدينة فراجعها الحارث بن رفاعة فولدت له عوفاً، فشهدوا كلهم بدراً مسلمين. واستشهد معاذ ومعوذ وعاقل ببدر، وخالد يوم الرجيع، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة، والبقية منهم لعوف. وتوفيت عفراء في هذه السنة.

فروة بن عمرو بن وذَفَة بن عبيد: شهد العقبة مع السبعين، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم واستعمله على المغانم يوم خيبر، وكان يبعثه خارصاً بالمدينة وتوفي في هذه السنة، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم: وكان له ولد اسمه عبد اللّه يشبه برسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو أول من ولي قضاء المدينة في خلافة معاوية، وولد آخر اسمه سعد، وكان فقيهاً. أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا ابن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا هشام ابن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، قال: لما أخرج المشركون من كان بمكة من بني هاشم إلى بدر كرهاً كان فيهم نوفل، فأنشأ يقول:

حَرَام علَيَّ حَرْبُ أَحْمَدَ إِنَّنِي ... أرَى أَحْمَداً مِنِّي قَرِيباً أوَاصِرُه

قال المصنف : ثم أسر نوفل ببدر، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "افد نفسك برماحك التي بجدة"، قال: أشهد أنك رسول اللّه، ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح، وكان أسن من حمزة والعباس. ورجع إلى مكة، ثم هاجر هو والعباس إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أيام الخندق، وشهد فتح مكة والطائف، وثبت مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأعان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يومئذ بثلاثة آلاف رمح، وتوفي بعد أن استخلف عمر بسنة وثلاثة أشهر فصلى عليه عمر، وتبعه إلى البقيع حتى دفن هناك.

أم عمارة، واسمها نسيبة، بفتح النون وكسر السين، بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية.

أسلمت وحضرت العقبة، وبايعت وشهدت أحداً والحديبية وخيبر وحنيناً وعمرة القضاء ويوم اليمامة. وروى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم، أنه قال: "ما التفت يوم أحد يميناً وشمالَاَ إلا وأراها تقاتل دوني". قال الواقدي: قاتلت يوم أحد، وجرحت اثنتي عشرة جراحة، وداوت جرحاً في عنقها سنة، ثم نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلى حمر الأسد، فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم، وخرجت مع المسلمين في قتال أهل الردة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل اللّه مسيلمة، ورجعتَ وبها عشر جراحات من طعنة وضربة .

أم سليط بنت عبيد بن زياد الأنصارية: أسلمت وبايعتَ وشهدت أحداً وخيبر وحنيناً، وتوفيت في هذه السنة. أخبرنا عبد الأول، أخبرنا ابن المظفر، أخبرنا ابن أعين، حدَّثنا الفربري، حدَّثنا البخاري، حدَّثنا يحيى بن بكير، حدَّثنا الليث، عن ابن شهاب قال: قال ثعلبة بن أبي مالك: أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قسم مروطاً بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، اعط هذا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك يريدون أم كلثوم، فقال: أم سليط أحق به، فإنها ممن بايعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وكانت تزفر لنا القرب يوم أحد.

ثم دخلت سنة خمس عشرة

فمن الحوادث فيها وقعة مرج راهط وذلك أن أبا عبيدة بن الجراح خرج بجنوده ومعه خالد بن الوليد فنزل بمرج الروم، فبلغ الخبر هرقل، فبعث توذرا البطريق، ثم أمده بشنس مدداً له، فنزل في جبل على جدة، ثم رحل فتبعه خالد، فاستقبله يزيد بن أبي سفيان، فاقتتلوا، ولحق بهم خالد فأخذهم من خلفهم، فأبادهم فلم يفلت إلا الشريد، وقسموا غنائمهم بين أصحاب يزيد وخالد، وقتل توذرا، وانصرف يزيد إلى دمشق، وخالد إلى أبي عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا وشنس، فاقتتلوا بمرج الروم، فقتل شنس وخلق عظيم من أصحابه حتى امتلأ المرج من قتلاهم، فأنتنت الأرض، وهرب من هرب منهم، فركب أكتافهم إلى حمص.

وفيها كانت وقعة حمص الأولى أقبل أبو عبيدة فنزل على حمص، وأقبل بعده خالد فنزل عليها، فلقوا من الحصار أمرأ عظيماً، وكان البرد شديداً، ولقي المسلمون شدة وكان أهل حمص يقولون عن المسلمين إنهم حفاة فصابروهم ليقطع البرد أقدامهم، وأن المسلمين كبروا تكبيرة، فاتفق معها زلزلة فصدعت المدينة والحيطان، ثم كبروا الثانية، فتهافتت منها دور كثيرة، فأشرفوا على الهلاك، فنادوهم: الصلح الصلح، فأجابوهم، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بالفتح.

وفيها وقعة قنسرين بعث أبو عبيدة خالداً إلى قنسرين، فزحف لهم الروم وعليهم ميناس، وهو أعظم الروم بعد هرقل، ، فالتقوا

فاقتتلوا فقتل ميناس ومن معه و لم يبق منهم أحد، وتحصن أهل قنسرين، ثم ذكروا ما جرى لأهل حمص فصالحوه على صلح حمص، فأبى إلا على إخراب المدينة، فأخربها، ثم إن هرقل خرج نحو القسطنطينية في هذه السنة على قول ابن إسحاق. وقال سيف: إنما كان خروجه سنة ست عشرة. وقد سبق أن هرقل سأل عن المسلمين، فقال له رجل: هم فرسان بالنهار، ورهبان بالليل، فقال: إن كنت صدقتني فليرثن ما تحت قدمي هاتين. وقال هرقل: عليك السلام أيها البلاد، سلاماً لا اجتماع بعده. ومضى حتى نزل قسطنطينية.

وفي هذه السنة ولي معاوية قيسارية وحرب أهلها.

وفيها أمر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه عمرو بن العاص مناجزة صاحب إيليا وقال علماء السير: لما انصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد إلى حمص نزل عمرو وشرحبيل على أهل بيسان فافتتحاها وصالحه أهل الأردن، فاجتمع عسكر الروم بأجنادين وبيسان وغزة، وكتبوا إلى عمر بتفرقهم فكتب إلى يزيد: كن في ظهورهم، وسرح معاوية إلى قيسارية، وكتب إلى عمرو يصدم الأرطبون، وإلى علقمة يصدم الفيقار. فسار معاوية إلى قيسارية، فهزم أهلها وحصرهم فيها، فجعلوا كلما خرجوا إليه هزمهم وردهم إلى حصنهم، ثم قاتلوا فبلغت قتلاهم ثمانين ألفاً، وكملت في هزيمتهم بمائة ألف. وانطلق علقمة، فحصر الفيقار بغزة، وصمد عمرو إلى الأرطبون ومن بإزائه، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته، فنزل على الروم بأجنادين والروم في حصونهم، وعليهم الأرطبون، وكان أدهى الروم وأبعدهم غوراً، وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً، فأقام عمرو على أجنادين لا يقد من الأرطبون على شيء، فوليه بنفسه ودخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصنه، فقال الأرطبون في نفسه: هذا عمرو، ثم دعا حَرسِيا، فقال: أخرج، فأقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله، وفطن له عمرو، فقال: قد سمعت مني وسمعت منك، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر مع هذا الوالي، فأرجع فآتيك بهم، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى، وإلا رددتم إلى مأمنهم. فقال: نعم، ثم قال لرجل كان هناك: إذهب إلى فلان فرده إلي، ثم بان له أن عمر وقد خدعه، فبلغ الخبر إلى عمر، فقال: للّه در عمرو، ثم التقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالًا شديداً حتى كثرت القتلى بينهم، وانهزم أرطبون، فأوى إلى إيلياء، ونزل عمرو بأجنادين، فكتب إليه أرطبون: واللّه لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع لا تَغْن، وإنما صاحب الفتح رجل إسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب إلى عمر يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب، فقال له علي: أين تخرج بنفسك؟ فقال: أبادر لجهاد العدو موت العباس؟ إنكم لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض أول الحبل. فمات العباس لست خلون من إمارة عثمان، وانتقض بالناس الشر. وخرج حتى نزل بالجابية، وكتب إلى أمراء الأجناد أن يستخلفوا على أعمالهم ويوافوه بالجابية، فكان أول من لقيه يزيد، ثم أبو عبيدة، ثم خالد. ودخل الجابية فقال رجل من يهود دمشق: السلام عليك يا فاروق، أنت والله صاحب أيلة، لا والله لا ترجع حتى تفتح إيلياء، فجاء أهل السير، فصالحوه على الجزية، وفتحوها له. وقد ذكر قوم أن ذلك كان سنة أربع عشرة، وجميع خرجات عمر أربع، فأما الأولى فإنه خرج على فرس، والثانية على بعير، وفي الثالثة قصر عنها لأجل الطاعون دخلها فاستخلف عليها، وخرج، في الرابعة على حمار. فلما كتب لأهل إيلياء كتاب أمان فرق فلسطين بين رجلين، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة، وجعل علقمة بن محمد على نصفها وأنزله إيلياء. وقيل: كان فتح فلسطين في سنة ست عشرة.

ثم شخص عمر من الجابية إلى بيت المقدس، فرأى فرسه يتوجى ، فترل عنه وأتى ببرذون فركبه فهزه، فترل فضرب وجهه بردائه، ثم قال: فتح اللّه من علمك هذا، ثم دعا بفرسه فركبه، فانتهى إلى بيت المقدس، ولحق أرطبون والتذارق بمصر حينئذ، فقدم عمر الجابية، ثم قتل أرطبون بعد ذلك، وأقام عمر بإيلياء، ودخل المسجد، ومضى نحو محراب داود، وقرأ سجدة داود فسجد. وبعث عمرو بن العاص إلى مصر، وبعث في أثره الزبير مدداً، وبعث أبا عبيدة إلى الرمادة.

ومن الحوادث في سنة خمس عشرة فرض العطاء، وعمل الدواوين، أن عمر فرض الفروض، ودون الدواوين، وأعطى العطاء على مقدار السابقة في الإسلام، فكلمه صفوان بن أمية، وسهيل، والحارث بن هشام في تقليل عطائهم، فقال: إنما أعطيكم على السابقة في الإسلام لا على الأحساب، فقالوا: فنعم إذاً، وأخذوا، ثم أعطى سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام أربعة آلاف معونة على جهادهما، فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك الحروب. وقال ابن إسحاق: إنما ماتا في طاعون عمواس. وقيل: بل دون الدواوين في سنة عشرين. ولما كتب عمر الدواوين قال له عبد الرحمن وعثمان وعلي: إبدأ بنفسك، فقال: لا بل أبدأ بعم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ثم الأقرب فالأقرب من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فبدأ بالعباس، ففرض له خمسة وعشرين ألفاً، وقيل: اثني عشر ألفَاَ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف، وأدخل في أهل بدر من غير أهلها الحسن والحسين فأبا ذر وسلمان.

ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ولمن ولي الأيام قبل القادسية وأصحاب اليرموك ألفين ألفين، ثم فرض لأهل البلاء البارع ألف وخمسمائة ألف وخمسمائة، وللروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك ألفاً ألفَاَ، ثم لمن ردف الروادف خمسمائة خمسمائة، ثم لمن ردف أولئك ثلاثمائة ثلاثمائة، وسوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل، قويهم وضعيفهم، عربهم وعجمهم، ثم فرض لمن ردف أولئك خمسين ومائتين، ولمن ردفهم مائتين، وكان آخر من فرض له أهل هجر على مائتين. وفرض لأزواج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف، ووصل عائشة بألفين فأبت، فقال: هذا بفضل مترلتك عند رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فإذا أخذتيها فشأنك. وجعل نساء أهل بدر على خمسمائة خمسمائة، ونساء ما بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة، ونساء ما بعد ذلك على ثلاثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين. والصبيان من أهل بدر وغيرهم مائة. وقال قائل : يا أمير المؤمنين، لو تركت في بيوت الأموال عدة تكون لحادث، فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك، وقاني اللّه عز وجل شرها، وهي فتنة لمن بعدي، بل أعد لهم طاعة اللّه عز وجل وطاعة رسوله، فهما عدتنا التي أفضينا بها إلى ما ترون، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم. أخبرنا محمد بن ناصر، قال: حدَّثنا طراد بن محمد، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثنا أبو خيثمة، قال: حدَّثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أنه قدم على عمر رضي اللّه عنه من البحرين قال: فغدوت عليه فصليت العشاء معه ، فلما رآني سلمت عليه، فقال: ما قدمت به؟ قلت: قدمت بخمسمائة ألف، قال: أتدري ما تقول؟ قلت: مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف حتى عددت له خمساً، قال: إنك ناعس ارجع إلى بيتك فنم ثم اغد عليَ، قال:

فغدوت عليه، فقال: بماذا جئت؟ قلت: خمسمائة ألف، قال: أطيب؟ قلت: نعم، لا أعلم إلا ذلك، فقال للناس: إنه قد قدم علي مال كثير، فإن شئتم أن نعده لكم عدداً، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلًا، فقال له رجلًا: يا أمير المؤمنين، إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً، لم فدون الدواوين، ففرض للمهاجرين في خمسة آلاف، والأنصار في أربعة آلاف، وفرض لأزواج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في إثني عشر ألفاً. أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، حدَّثنا أحمد بن معروف، حدَّثنا ابن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، حدَّثنا الحسن بن موسى، حدَّثنا زهير، حدَّثنا أبو إسحاق، ، عن مصعب بن سعد: أن عمر رضي اللّه عنه فرض لأهل بدر والمهاجرين والأنصار ستة آلاف ستة آلاف، وفرض لأزواج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ففضل عليهن عائشة، ففرض لها في اثني عشر أ ألفاً، ولسائرهن في عشرة آلاف غير جويرية وصفية، فرض لهما في ستة آلاف، وفرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس، وأسماء بنت أبي بكر، وأم عبد أم ابن مسعود ألفَاَ ألفاً. أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه بن سيف، حدَّثنا السري بن يحيى، حدَثنا شعيب، عن سيف، عن محمد، والمهلب، وعمرو، وطلحة، وسعيد، قالوا: لما فتح اللّه على المسلمين وقتل رستم، وقدمت على عمر رضي اللّه عنه فتوح من الشبام، جمع المسلمين وقال: ما يحل للوالي من هذا المال فقالوا: أما لخاصته فقوته وقوت عياله، لا وكس ولا شطط، وكسوته وكَسوتهم للشتاء والصيف، ودابتان لجهاده وحوائجه وحملانه إلى حجه وعمرته والقسم بالسوية، وأن يعطي أهل البلاء على قدر بلائهم ويرم أمور المسلمين بعده، ويتعاهدهم في الشدائد والنوازل حتى تنكشف، ويبدأ بأهل الفيء.
وعن سيف، عن محمد بن عبد، وعبد اللّه بن عمر، عن نافع، ، عن ابن عمر، قال:
جمعِ عمر الناس بالمدينة حتى انتهى إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنت امرأً تاجراَ يغني اللّه عز وجل عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فماذا ترون أنه يحل لي من هذا المال. فأكثر القوم وعلي رضي اللّه عنه ساكت، فقال: يا علي، ما تقول؟ فقال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من الأمر غيره، فقال: القول ما قال علي بن أبي طالب. وعن سيف، عن مبشر بن الفضيل، ، عن سالم بن عبد الله، قال: لما ولي عمر رضي اللّه عنه قعد على رزق أبي بكر رضي اللّه عنه الذي كانوا فرضوا له، فكان بذلك فاشتدت حاجته، فاجتمع نفر من المهاجرين فيهم عثمان وعلي وطلحة والزبير، فقال الزبير: لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إياه في رزقه، فقال علي: وددنا أنه فعل ذلك فانطلقوا بنا، فقال عثمان: إنه عمر، فهلموا فلنستبرىء ما عنده من ورائه، نأتي حفصة فنكلمها ونستكتمها أسماءنا، فدخلوا عليها وسألوها أن تخبر و بالخبر عن نفر لا تسمي له أحداً إلا أن يقبل، وخرجوا من عندها، فلقيت عمر في ذلك، فعرفت الغضب في وجهه، فقال: من هؤلاء؟ قال: لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم ما رأيك، فقال: لو علمت من هم لسؤت وجوههم، أنت بيني وبينهم، أناشدك باللّه ما أفضل ما اقتنى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشقين، كان يلبسهما للوفد، ويخطب فيهما الجمع، قال: وأي طعام ناله من عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خبزة شعير، فصببت عليها وهي حارة أسفل عُكَّة ، فجعلناها دسماً حلوة، فأكل منها. قال: وأي مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء لنا ثخين كنا نربعه في الصيف، فنجعله تحتنا، فإذا كان الشتاء ابتسطنا نصفه وتدثرنا نصفه، قال: يا حفصة، فأبلغيهم عني أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها، وتبلغ بالتَّزجية ، وإني قدرت، فواللّه لأضعن الفضول مواضعها، ولأتبلغن بالتزجية وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة نفر سلكوا طريقاً، فمضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه، فأفضى إليه، ثم اتبعهما الثالث، فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وكان معهما، وإن سلك

غير طريقهما لم يجامعهما أبداً.

وفي هذه السنة حج بالناس عمر بن الخطاب، وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف يعلى بن أمية وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص، وعلى قضائها أبو قرة، وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ثعلبة، أبو ثابت الخزرجي: كان يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلًا، وكان يحسن العوم والرمي، وكان من اجتمع له ذلك يسمى الكامل، وكان سعد بن عبادة وعدَة من آباء له قبله في الجاهلية ينادى على أطمهمِ: من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة، وكان ينادى على أطم أبيه أيضاَ. أخبرنا عبد اللّه بن علي المقري بإسناده عن محمد، بن سيرين، قال: كان أهل الصفة إذا أمسوا ينطلق الرجل بالرجل، والرجل بالرجلين، والرجل بالخمسة، فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة. أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد غيلان، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد اللّه الشافعي، حدَثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدَّثنا مسدد، حدَثنا حماد، عن هشام، عن ابن سيرين: أن سعد بن عبادة كان يبسط ثوبه ويقول: اللهم وسع عليَّ، فإنه لا يسعني إلا الكثير. قال الحربي: وحدَثنا أبو بكر، حدَّثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه: أن سعد بن عبادة كان يدعو: اللهم هب لي حمداً ومجداً، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه. قال الحربي: وحدَّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا عيسى، عن الأوزاعي، عن يحيى يعني ابن أبي كثير، قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم من سعد كل يوم جفنة تدور معه حيث دار، وكان يقول: اللهم ارزقني مالًا فلا يصلح الفعال إلا بمال. قال علماء السير: أسلم سعد وشهد العقبة مع السبعين، وكان أحد النقباء الإثني

عشر، وتهيأ للخروج إلى بدر فنهش فأقام، وشهد أحداً والمشاهد بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما توفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار فأمروه، فلما بويع لأبي بكر لم يبايعه سعد، ولا بايع عمر، وخرج إلى الشام، ومات بحَوْران. وكان سبب موته أنه جلس يبول في نفق، فاقتتل من ساعته، ووجدوه قد اخضر جلده، وسمع غلمان بالمدينة قائلًا يقول من بئر فقال:

نَحْن قَتَلْنَا سَيْدَ الخَزْرَجِ　　سعدَ بنُ عَباده .

ورَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ　　فَلَمْ تُخْطِ فُؤادهُ

فذعر الغلمان فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعد بحوران .

عبد اللّه بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم الساعدي: كان يهجو أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ويحرض المشركين على المسلمين في شعره، ويهاجي حسان بن ثابت وغيره من شعراء المسلمين، ويسير مع قريش حيث سارت لحرب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فلما دخل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح هرب حتى انتهى إلى نجران، فدخل حصنها، وقال لأهلها: أما قريش فقد قتلت ودخل محمد مكة، ونحن نرى أن محمداً سائر إلى حصنكم. فجعلوا يصلحون ما رثَّ من حصنهم، ويجمعون ماشيته، ثم انحدر ابن الزبعري إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال يعتذر إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:

يا رسول المليكِ إنَ لِسَاني رَاتِق مَا فَتَقتُ إذْ أنَا بورً

إذ أجاري الشيطان في سنن الغ ى ومن مال ميله مثبور

يشهد السمع والفؤاد بما قل ت ونفسي الشهيد وهي الخبير

إن ما جئتنا به حق صدق ساطع نوره مضيء منير

جئتنا باليقين والصدق والبر وفي الصدق والسرور السرور

أذهب الله ظلمة الجهل عنا وأتانا الرخاء والميسور

وقال أيضاً يعتذر إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لامني فيه فبت كأنني محموم

يا خير من حملت على أوصالها غير أنه سرح اليدين غشوم

إني لمعتذر إليك من الذي أسديت أذنا في الضلال أهيم

أيام تأمرني بأسوأ خطة سهم وتأمرني بها مخزوم

وأمد أسباب الردى ويقودني أمر الغواة وأمرهم مشؤوم

معنت العداوة وانقضت أسبابها وأتت أواصر بيننا وحلوم

فاغفر فدى لك والديَ كلاهما وارحم فإنك راحم مرحوم

وعليك من سمة المليك علامة فوز أعز وخاتم مختوم

أعطاك بعد محبة برهانه شرفاً، وبرهان الاله عظيم

المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب أبو سفيان : كان أخا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أرضعته حليمة أياماً، وكان يألف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ويشبه به فلما بعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عاداه وهجاه وهجا أصحابه. وكان شاعراً، فمكث عشرين سنة عدواً لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ولا يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فلما تحرك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم للخروج إلى غزاة الفتح ألقى اللّه في قلبه الإسلام، فجاء إلى زوجته وولده فقال: تهيأوا للخروج فقد أظل قدوم محمد، فقالوا له: آن لك أن تنصر العرب والعجم قد تبعت محمداً وأنت موضع في عداوته، وكنت أولى الناس بنصرته، فخرج يريد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قد نذر دمه، فلقي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحول إلى الجانب الآخر فأعرض عنه، فقال: أنا مقتول لا محالة، فأسلم وخرج معه حتى شهد فتح مكة وحنيناً. قال: فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صُلتاً واللّه يعلم أني أريد الموت دونه، وهو ينظر إليَّ، فقال العباس: يا رسول اللّه، هو أخوك وابن عمك أبو سفيان بن

الحارث فارض عنه، قال: "قد فعلت "، فغفر اللّه له كل عداوة عدانيها، ثم التفت إليّ فقال: أخي، لعمري، فقبلت رجله في الركاب، وقلت: لا تثريب، قال: لا تثريب. حج أبو سفيان في هذه السنة، فحلقه الحلاق بمنى وفي رأسه ثُؤْلولٌ فقطعه، فكان سبب موته. أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا الفضيل بن دُكين، قال: حدَثنا سفيان، عن أبي إسحاق، قال: لما حضر أبا سفيان بن الحارث الوفاة قال لأهله: لا تبكوا عليَّ فإني لم أَتَنَطَّفْ بخطيئة منذ أسلمت. قال علماء السير: مات أبو سفيان بالمدينة في هذه السنة. وقيل: بل مات في سنة عشرين، وحفر قبر نفسه قبل موته بثلاثة أيام، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.

ثم دخلت سنة ست عشرة

فمن الحوادث فيها فتح مدينة بهرسير أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال : والمدائن على جانبي دجلة شرقاً وغرباً، ودجلة تشق بينهما، وتسمى المدينة الشرقية العتيقة، وفيها القصر الأبيض القديم الذي لا يدرى من بناه، ويتصل بها المدينة التي كانت الملوك تنزلها، وفيها الإيوان وتعرف بأسبانير. وأما المدينة الغربية فتسمى بَهُرسير، وكان الإسكندر قد بنى بالمغرب الاسكندرية، وبخراسان العليا سمرقند ومدينة الصُغد، وبخراسان السفلى مرو، وهراة، وجال في الأرض، فلم يختر منزلًا سوى المدائن فنزلها. وبنى بها مدينة عظيمة، وجعل عليها سوراً أثره باقٍ إلى الآن، وهي المدينة التي تسمى الرومية في جانب دجلة الشرقي، وأقام الإسكندر بها ومات، فحمل منها إلى الاسكندرية لمكان أمه. وكل الملوك اختاروا المدائن، وإنما سميت المدائن لكثرة من بنى بها من الملوك الأكاسرة. والذي بنى الإيوان هو شابور بن هرمز المعروف بذي الأكتاف، وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة.

قال علماء السير: أمر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه سعد بن أبي وقاص بعد القادسية بالمسير إلى المدائن، وعهد إلية أن يخلف النساء والعيال بالعتيق، ويجعل معهم من يحرسهم من الجند ويسهم لأولئك الجند من المغنم ما داموا يحفظون عيال المسلمين، فأقام سعد بعد الفتح شهرين بالقادسية، ثم ارتحل بعد الفراغ من أمرها لأيام بقين من شوال، ولقي جماعة من أصحابه جموعاً من فارس يوم برس فهزموهم إلى بابل، فلحقوهم فقتلوا منهم.

وأقام سعد ببابل أياماَ ثم جاء إلى كوثى، وأتى المكان الذي حبس فيه إبراهيم عليه السلام، وقدم سعد زهرة بن الحوية إلى بهرسير، فتلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتأدية الجزية، فبعثه إلى سعد، ولحق سعد بزهرة فنزلوا بهرسير، وبث سعد الخيل فأغارت ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات، فأصابوا مائة ألف فلاح، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب عمر: إذا كان الفلاحون مقيمون لم يعينوا عليكم فهو أمانهم، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به. فخلى سبيلهم، وتحصنت العجم بيهرسير، ونصب عليهم سعدُ عشرين منجنيقاً. وحصروهم شهرين حتى أكلوا الكلاب والسنانير، وربما خرج الأعاجم يمشون على المُسَنَّيات المشرفة على دجلة لقتال المسلمين فلا يقومون لهم، ثم تجردوا يوماً للحرب، فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم، فنزلوا، ووقع سهم في زهير بن الحوية، فقال زهرة: أخرجوه، فقال: دعوني فإن نفسي معي ما دام فيّ لعلي أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة، فمضى نحو العدو، فضرب بسيفه شهربراز فقتله، ثم أحيط به فقتل. كل هذا وملكهم متحصن في مدينته، فبعث إلى المسلمين رسولًا يقول لهم: إن الملك يقول لكم هل لكم في المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع اللّه

بطونكم. فكلمه الأسود بن قطبة بكلمات فولى فقيل له: ما قلت له؟ قال: واللّه ما أدري وإنما هي كلمات جرت على لساني. فخرج من القوم رجل يستأمن، فأمنوه، فقال: واللّه ما بقي في المدينة أحد فما يمنعكم، فتسورها الرجال وقالوا له: لأي شيء هربوا؟ فقال: بعث الملك يعرض عليكم الصلح فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينك صلح حتى نأكل من عسل أفريذين بأترج كوثى. فلما دخل سعد والمسلمون بهرسير وهي المدينة الدنيا طلبوا السفن ليعبروا إلى المدينة القصوى، وهي المدائن، فلم يقدروا على شيء ووجدوا القوم قد ضموا السفن ولاح للمسلمين الأبيض ، فكبروا وقالوا: هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله. فأقاموا ببهرسير أياماً من صفر، ثم جاء أعلاج، فدلوهم على مخاضة، فتردد سعد في ذلك، ثم فاجأهم المدّ، فرأى رؤيا، أن خيول المسلمين قد اقتحمت، فعبرت، فقال للناس: إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا: عزم اللّه لنا ولك على الرشد، فافعل. وأتى بعض العلوج فقال لسعد: إن أقمت ثلاثاً ذهب يزدجرد بكل شيء من المدائن، فهيجه على العبور.

فقال سعد: من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج. فانتدب له عاصم بن عمرو أول الناس، وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات، فسار فيهم عاصم حتى وقف على شاطىء دجلة، ثم اقتحموا. فجاءت الأعاجم فقال عاصم: الرماح، فطعنوا القوم فلحقوهم فقتلوا عامتهم. فحينئذ أذن سعد للناس في الاقتحام، فاقتحموا دجلة، وإنها لترمى بالزَّبد، وإن الناس ليتحدثون في عومهم كما يتحدثون على وجه الأرض، فكان الفرس يقوم براكبه، فربما لم يبلغ الماء الحزام، وربما أعيا الفرس فتظهر له تلعة فيستريح عليها.

وكان سعد يقول في عومه: حسبنا اللّه ونعم الوكيل، وسلمان يحادثه في عومه حتى خرجوا فلم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق إلا رجل وقع من فرسه في الماء، فعاد إليه رجل، فأخذ بيده فعبر. ووقع من رجل قدح، فأخذه آخر، فجاء به إلى العسكر فعرفه صاحبه. فلما رأى العدو ذلك هربوا لا يلوون على شيء، وجعلوا يقولون: إنما تقاتلون الجن لا الإنس، وتركوا جمهور أموالهم، وكان في بيوت الأموال ثلاثة ألف ألف، فأخذوا نصف ذلك وهربوا وتركوا الباقي، وخرجوا من المتاع بما يقدرون عليه، وتركوا من الثياب والمتاع والأواني، وما أعدوا للحصار من البقر والغنم والطعام ما لا يحصى قيمته. وكان يزدجرد قد أخرج عياله إلى حلوان، فلحق بعياله، فدخل المسلمون المدائن وليس فيها أحد إلا أنه قد بقي في القصر الأبيض قوم قد تحصنوا به، فعرض عليهم المسلمون الإسلام أو الجزية أو القتل، فاختاروا الجزية. ونزل سعد القصر الأبيض، واتخذ الإيوان مصلى وجعل يقرأ: "كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنات . وَعُيُون . وَزُرُوع وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً أخَرِين" الدخان 25-28. وأتم الصلاة، ثم دخلها لأنه كان على نية الإقامة، وصلى الجمعة، وكانت أول جمعة جمعت بالعراق جمعة المدائن. أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا الحسين بن عمر بن برهان، وعلي بن محمد المعدل، قالا: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا أبو عوف البزوري، حدَّثنا عمرو بن حماد يعني بن طلحة القناد، حدَثنا أسباط، عن سماك، عن جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ليفتتحن رهط من المسلمين كتر كسرى الني في الأبيض ". فكنت أنا وأبي منهم، فأصبنا من ذلك ألفي درهم. أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا ابن رزق، حدّثنا إبراهيم بن محمد المزكي، أخبرنا محمد بن إسحاق السراج، حدَّثنا سعدان بن نصر حدَّثنا شبابة بن سوار، حدَّثنا أيوب بن طهمان: أنه رأى علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه حين دخل الإيوان بالمدائن أمر بالتماثيل التي في القبلة فقطع رؤوسها ثم صلى فيها.

قال علماء السير: وقسم سعد الفيء بعدما خمسه، فأصاب الفارس إثنا عشر ألفاً، وقسم دور المدائن بين الناس، وبعث إلى العيالات فأنزلوهم إياها، وأقاموا بالمدائن حين فرغوا من جلولاء وحلوان وتكريت والموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة بعدُ. وبعث سعد في آثار القوم زهرة في جماعة، وأمره أن يبلغ جسر النهروان، فبلغوا هناك ثم رجعوا، ومضى المشركون نحو حلوان. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه بن سيف، أخبرنا السري بن يحيى، حدَثنا شعيب بن إبراهيم، حدَثنا سيف بن عمر، عن النضر بن السري، عن ابن الرفيل، عن أبيه الرفيل، قال: خرج زهرة يتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان وهم عليه، فازدحموا عليه، فوقع بغل في الماء، فكلبوا عليه، فقال زهرة: إني أقسم باللّه أن لهذا البغل لشأناً، وإلا ما كان القوم كلبوا عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلا لشيء بعدما أرادوا تركه ، وإذا الذي عليه حلية كسرى وثيابه وخرزاته ووشاحه، ودرعه التي كان فيه الجوهر، وكان يجلس فيها للمباهاة، وترجل زهرة يومئذ حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه، فأخرجوه فجاءوا بما عليه حتى ردوه إلى الأقباض، ما يدرون ما عليه. وعن سيف، عن الأعمش، ، عن حبيب بن صهبان، قال: دخلنا المدائن فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالًا مختمة بالرصاص، فما حسبناها إلا طعاماً، فإذا هي آنية الذهب والفضة، فقسمت بعد في الناس. وقال حبيب، لا: وقد رأيت الرجل يطوف ويقول: من معه بيضاء بصفراء. وأتينا على كافور كثير، فما حسبناه إلا ملحاً، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز. قال: وحدَّثنا سيف، عن عبدة بن معتب، عن رجل من بني الحارث بن طريف، عن عصمة بن الحارث الضبي، قال:

خرجت فيمن خرج يطلب، فإذا حمار معه حمار، فلما رآني حثه حتى لحق بآخر قدامه، فحثا حماريهما، فانتهيا إلى جدول قد كسر جسره، فأتيتهما فقتلت واحداً منهما وأفلت الآخر، فرجعت إلى الحمارين، فأتيت بهما صاحب الأقباض، فنظر ما عليهما فإذا على أحدهما سفطان في أحدهما فرس من ذهب مسرج بسرج فضة، على ثغره ولببه الياقوت والزمرد منظوم على الفضة، ولجام كذلك، وفارس من فضة مكلل بالجوهر، وإذا في الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب، ولها زمام من ذهب، وكل ذلك منظوم بالياقوت، وإذا عليها رجلٌ من ذهب مكلل بالجوهر كان كسرى يضعهما على أسطوانة التاج.

قال: وحدَّثنا سيف، عن هبيرة بن الأشعث، عن أبي عبيدة العنبري، قال: لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحُقّ معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذي معه ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا له: هل أخذت منه شيئاً، فقال: أما واللّه، لولا اللّه ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأناً، فقالوا: من أنت. فقال: واللّه ما أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد اللّه وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلًا حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس.

قال: وحدَّثنا سيف، عن مبشر بن الفضيل، عن جابر بن عبد اللّه، قال: والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية، أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كما هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معدي كرب، وقيس بن المكشوح. قال: وحدَّثنا سيف، عن مخلد بن قيس العجلي، عن أبيه، قال: لما قدم بسيف كسرى ومِنْطقته على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة، فقال علي رضي الله عنه: إنك عففت فعفت الرعية. وقال: وحدّثنا سيف، عن محمد وطلحة وزياد والمهلب، قالوا : جمع سعد الخمس، وأُدخل فيه كل شيء أراد أن

يعجب به عمر، من ثياب كسرى وحليه وسيفه ونحو ذلك، وفضل بعد القسم بين الناس، وأخرج خمس القطف، وهو بساط، فلم تعتدل قيمته، فقال للمسلمين: هل لكم في أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماس، ونبعثه إلى عمر فيضعه حيث يرى، قالوا: نعم، فبعث به وكان ستين ذراعاً في ستين ذراعاً، فيه طرق كالأنهار، وقصور كالدور، وفي حافاته كالأرض المزروعة المبقلة بالنبات، في الربيع.
فلما قدم على عمر رضي اللّه عنه، قال: أشيروا عليّ فيه، قالوا: قد جعل ذلك لك فَر رأيك، إلا ما كان من علي رضي الله عنه، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، الأمر كما قالوا، و لم يبق إلا التروية إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له، فقال: صدقتني، فقطعه بينهم. قال: وحدَّثنا سيف، عن عبد الملك بن عمير، قال: أصاب المسلمون يوم المدائن بَهار كسرى، وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين، فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه، فكأنهم في رياض وكان بساط واحد ستين ذراعاً في ستين، أرضه مذهب، ووشيه بفصوص، ومموه بجوهر، وورقه بحرير وماؤه ذهب، وكانت العرب تسميه القطف، فلما قسم سعد فيهم فضل عنهم و لم يتفق قسمه، فجمع سعد المسلمين، فقال: إن اللّه تعالى قد ملأ أيديكم وقد عسر قسم هذا البساط، ولا يقوى على شرائه أحد، فأرى أن تطيبوا به أنفسنا لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء، ففعلوا. فلما قدم على عمر المدينة جمع الناس فاستشارهم في البساط، فمن بين مشير بقبضه، وآخر مفوض إليه، وآخر مرقق، فقام علي رضي الله عنه، فقال: لم تجعل علمك جهلاً، ويقينك شكاً، إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيتَ، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفنيت، فقال: صدقتني، فقطعه فقسمه بين الناس، فأصاب علياً رضي الله عنه قطعة منه فباعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القطع.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدَثنا أبو العباس المبرد، قال: أخبرني، القاسم بن سهل النوشجاني:
إن ستر باب الإيوان أخرقه المسلمون لما افتتحوا المدائن فأخرجوا منه ألف ألف مثقال ذهباً، فبيع المثقال بعشرة دراهم، فبلغ عشرة آلاف ألف ألف، درهم. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد بن عبد اللّه المعدل، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي، قال: حدَّثنا عبد اللّه بن محمد بن أبي الدنيا، قال: حدَثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: أبو بكر بن عياش: لما خرج علي بن أبي طالب إلى صفين مر بخراب، فتمثل رجل من أصحابه:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
إذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاذ

فقال علي رضي اللّه عنه: لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال اللّه عز وجل: "كم تركوا من جنات وعيون وزورع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناهم، قوماً آخرين". الدخان 26 إن هؤلاء القوم، كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، وإن هؤلاء القوم، استحلوا الحرام فحلت بهم النقم فلا تستحلوا الحرام فتحل بكم النقم.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد بن عبد اللّه المعدل، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدَّثنا محمد بن أحمد بن البراء أخبرنا القاسم بن أبي شيبة، حدَّثنا حفص بن غياث، عن الشيباني، عن أبي عون، عن السائب بن الأقرع: أنه كان جالساً في إيوان كسرى ، فنظر إلى تمثال يشير بأصبعه إلى موضع قال: فوقع في روعي أنه يشير إلى كتر، قال: فاحتفرت ذلك الموضع، فاستخرجت كتراً عظيماً، فكتبت إلى عمر أخبره، فكتب إن هذا شيء أفاءه الله عليه

دون المسلمين. قال فكتب إليه عمر: إنك أمير من أمراء المسلمين، فاقسمه بين المسلمين. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني، قال: حدَّثنا أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحسيني، قال: حدثني أحمد بن إسماعيل، قال: لما صارت الخلافة إلى المنصور هَم بنقض إيوان المدائن، فاستشار جماعة من أصحابه، فكلهم أشار بمثل ما همَّ به، وكان معه كاتب من الفرس، فاستشاره في ذلك، فقال له: يا أمير المؤمنين، أتعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من تلك القرية، وكان له بها مثل ذلك المترل ولأصحابه مثل تلك الحجر، فخرج أصحاب ذلك الرسول حتى جاءوا مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان مع عزته وصعوبة أمره، فغلبوه وأخذوه من يده قسراً، ثم قتلوه فيجيء الجائي من أقاصي الأرض، فينظر إلى تلك المدينة وإلى هذا الأيوان، ويعلم أن صاحبها قهر صاحب هذا الإيوان،، فلا يشك أنه بأمر اللّه، وأنه هو الذي أيده وكان معه ومع أصحابه، وفي تركه فخر لكم. فاستغشه المنصور واتهمه لقرابته من القوم، ثم بعث في نقض الإيوان، فنقض منه الشيء اليسير، ثم كتب إليه: إننا نغرم في نقضه أكثر مما نسترجع منه، إن هذا تلف الأموال وذهابها. فدعا الكاتب فاستشاره فيما كتب إليه به، فقال: لقد كنت أشرت بشيء لم تقبل مني، فأما الآن فإني آنف لكم أن يكونوا أولئك يبنون بناء تعجزون أنتم عن هدمه، والصواب أن تبلغ به الماء، ففكر المنصور فعلم أنه قد صدق، فإذا هدمه يتلف الأموال، فأمر بالأمساك عنه.

ومن الحوادث في هذه السنة، وقعة جلولاء لما توطن المسلمون المدائن، وبعثوا إلى عمر بالأخماس، أتاهم الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء وخندق، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت. فكتب سعد بذلك إلى عمر رضي اللّه عنه، فكتب إليه: أن سرح هاشم بن عتبة إلى جَلُولاء في اثني عشر ألفاً، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى ميمنته سعد بن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة، وعلى ساقته عمرو بن مرة الجهني. وكان الأعاجم لما هربوا من المدائن إلى جلولاء، قالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً، فهلموا فلنجتمع للعرب ولنقاتلهم، فإن كانت لنا فهو الذي نريد، وإن كانت علينا كنا قد قضينا الذي علينا، فاحتفروا الخندق واجتمعوا على مهران الرازي، ونفذ يزدجرد إلى حلوان فترل بها، ورماهم بالرجال والأموال. ففصل هاشم بن عتبة بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة في اثني عشر ألفاً، فيهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب فقدم جلولاء فحاصرهم فخرجوا، على المسلمين، فاقتتلوا، وبعث اللّه عز وجل عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد، فتهافتت فرسانهم في الخندق، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً لم ير مثله وانهزموا، واتبعهم المسلمون وقتل منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال، وما بين يديهما حوله، فسميت جلولاء لما جللها من قتلاهم. وطلبهم القعقاع حتى بلغ خانقين، فأدرك مهران فقتله، ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبل، واقتسم في جلولاء على كل فارس سبعة آلاف وتسعة من الدواب. أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي، وإسماعيل بن أحمد السمرقندي، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه بن سيف، أخبرنا السري بن يحيى، أخبرنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر التميمي، عن مجالد، عن الشعبي، قال: اقتسم الناس في جلولاء على ثلاثين ألف ألف، وكان الخمس ستة آلاف ألف. وحدَثنا سيف، عن زهرة، ومحمد، عن أبي سلمة، قال: لما قدم على عمر بالأخماس من جلولاء، قال عمر: والله لا يُجنّه سقف بيت حتى أقسمه. فباتَ عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه في المسجد، فلما أصبح عمر جاء فكشف عنه الأنطاع، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده ولؤلؤه وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، والله إن

هذا لموطن شكر، فقال عمر: واللّه ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى اللّه هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم. أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: حدَثنا محمد بن زكريا، قال: حدَثنا عبد اللّه بن سلمان، قال: حدَّثنا محمد بن يحيى الحنيني، قال: حدَّثنا أبو أسامة، عن الصلتَ، قال: حدَثني جميع بن عمير الليثي، قال: سمعت، عبد الله بن عمر، يقول: شهدت جلولاء وابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً، فقدمت بها إلى المدينة على عمر، فقال: ما هذا؟ فقلت: ابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً، فقال: يا عبد الله، لو انطلق بي إلى الناس كنت مفتدى، قلت: نعم بكل شيء أملك، قال: فإني مخاصم وكأني بك تبابع والناس بجلولاء يقولون: هذا عبد الله بن عمر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه، وأن يرخصوا عليك كذا وكذا درهماً أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش. ثم أتى باب صفية بنت أبي عبيد، فقال: يا بنت أبي عبيد، اقتسمت عليك أن تخرجي من بيتك شيئاً أو تخرجن منه، وإن كان عنق ظبية، فقالت: يا أمير المؤمنين لك ذلك. ثم تركني سبعة أيام، ثم دعى التجار ثم قال: يا عبد اللّه بن عمر إني مسؤول، قال: فباع من التجار متاعاً بأربعمائة ألف، فأعطاني ثمانين ألفاً، وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفاً إلى سعد، فقال: اقسم هذا المال في من شهد الوقعة، وإن كان أحدهم مات فابعث نصيبه إلى ورثته. وكان فتح جلولاء في ذي القعدة سنة ست عشرة، وبينها وبين المدائن تسعة أشهر.

وكان من الحوادث في هذه السنة يوم حلوان

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين، وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه بن سيف، أخبرنا السري بن يحيى، أخبرنا شعيب بن إبراهيم، حدَّثنا سيف بن عمر، ، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، وسعيد، قالوا: كان عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد: إن فتح اللّه عليكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى يترل بحلوان، فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز اللّه لكم سوادكم. فلما هزم اللّه عز وجل أهل جلولاء، أقام هاشم بن عتبة بجلولاء، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين فأدرك سبيَاً من سبيهم، وقتل مهران وخلقا وأفلت الفيرزان، ولما بلغ يزدجرد هزيمة أهل جلولاء ومصاب مهران، خرج من حلوان سائراً نحو الري، وخلف بحلوان خيلاً عليها خسْرَوْ شُنُوم، فأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج إليه خُسْرَوْ شُنُوم، وقدم دهقان حلوان، فلقيه القعقاع فاقتتلوا على القصر فقتل الدهقان، وهرب خُسْرَوْ شُنُوم واستولى المسلمون على حلوان، ولم يزل القعقاع على الثغر إلى أن تحول سعد عن المدائن إلى الكوفة فلحق به.

ومن الحوادث في هذه السنة يوم تكريت وكان في جمادى. قهر المسلمون أهلها وقسموا، وقسموا للفارس ثلاثة آلاف، وللرجال ألفاً.

ذكر فتح ما سَبَذان وقهروا أهل، ما سَبَذان، وأخذوها عنوة، فتطاير أهلها في الجبال، ثم استجابوا للمسلمين.

ذكر فتح قرقيسياء ثم أخذ المسلمون قرقيسياء عنوة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، وهي الرميصاء: واختلفوا في اسمها، فروى البغوي عن علي بن المديني، قال: اسمها مليكة، ولقبها الرميصاء. وقال غيره: اسمها سهيلة ، وقيل: رُمَيْلة، وقيل: رميثة، وقيل: أنيفة. تزوجها مالك بن النضر، فولدت له أنس بن مالك، ثم لقيه عدو فقتله، فخطبها أبو طلحة. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن سلمان، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الأصبهاني، قال: حدَّثنا سليمان بن أحمد، قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدَثنا عبد الرزاق، قال: حدَّثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم، فقالت أما أني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلم أبو طلحة فتزوجها. أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، حدَّثنا أبو أسامة، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من أم سليم، فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى أم سليم معها خنجر، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "ما تصنعين يا أم سليم " قالت: أردت إن دنا مني أحد منهم طعنته. أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري أخبرنا ابن حيوية أخبرنا ابن معروف، حدَثنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن الفضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن حسين بن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، ، قال: زار رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أم سليم فصلى في بيتها تطوعاً، وقال: "يا أم سليم، إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان اللّه عشراً، والحمد للّه عشراً، واللّه أكبر عشراً، ثم سلي اللّه ما شئت، فإنه يقال لك نعم نعم نعم ". أخبرنا أبو الفتح بن عبد الباقي، أخبرنا أبو الفضل بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، حدَّثنا سليمان، حدَّثنا علي بن سعيد الرازي، حدَثنا محمد بن سلم بن دارة، حدَّثنا محمد بن سعد بن سابق، حدَثنا عمرو بن أبي قيس، عن سعيد بن مسروق، عن عباية بن رفاعة، عن أم سليم، قالت: توفي ابن لي وزوجي غائب، فقمت فسجيته في ناحية من البيت، فقدم زوجي، فتطيبت له، فوقع عليّ، ثم أتيته بطعام، فجعل يأكل، فقلت: ألا أعجبك من جيراننا، قال: وما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا، قال: بئس ما صنعوا، فقلت: هو ابنك، فقال: لا جرم، لا تغلبيني على الصبر الليلة، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "بتما عروسين وهو إلى جانبكما"، اللهم بارك

لهم في ليلتهم " فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن.

سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس وهو الذي يقال له سعد القاري، ويكنى أبا زيد: ويروي الكوفيون أنه ممن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. ابنه عمر بن سعد، ولاه عمر على بعض الشام. وقتل سعد شهيداً يوم القادسية وهو ابن أربع وستين سنة .

مارية القبطية أهداها المقوقس إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فوطئها بملك اليمين فولدت منه إبراهيم، ومات رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر رضي اللّه عنه ينفق عليها حتى توفي، ثم أنفق عليها عمر رضي الله عنها فتوفيت في محرم هذه السنة، فجمع عمر الناس لشهود جنازتها، وصلى عليها، وقبرها بالبقيع.

ثم دخلت سنة سبع عشرة

فمن الحوادث فيها اختطاط الكوفة وتحول سعد بن أبي وقاص إليها وقد كان مكان الكوفة معروفاً أخبرنا أبو المناقب حيدرة بن عمر بن إبراهيم بن محمد بن حمزة الكوفي، أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون، أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن علي بن عبد الرحمن الحسني، أخبرنا محمد بن الحسين بن جعفر السلمي، أخبرنا عبد اللّه بن زيدان العجلي ، أخبرنا إبراهيم بن قتيبة، عن عمرو بن شبيب، عن صدقة، بن المثنى النخعي، قال: إن إبراهيم خليل الرحمن خرج من كوثي مهاجراً إلى اللّهّ عز وجل على حمار، ومعه ابن أخيه لوط يسوق غنماً ويحمل دلواً على عنقه حتى نزل بانقيا، وكان بها قرية طولها اثنا عشر فرسخاً، وكانوا يزلزلون كل ليلة، فلما بات بها إبراهيم لم يزلزلوا تلك الليلة، فمشى بعضهم إلى بعض، فقالوا: بتم بمثل هذه الليلة قط؟ فقالوا: لا، فقال صاحب منزل إبراهيم عليه السلام: إن كان دفع عنكم بشيء فبشيخ بات عندي البارحة لم يزل يصلي حتى أصبح، فأتوه فقالوا: إنما خرجت لطلب المعيشة، فأقم فينا ونقاسمك شطر أموالنا فتكون أكثر الناس مالًا، قال: ليس لذلك خرجت، إنما خرجت مهاجراً إلى الله، فخرج حتى نزل القادسية، فأتته عجوز، فقالت: إني أراك شيخاً حسن الهيئة وأراك شعثاً، فهل لك أن آتيك بغسول تغسل به رأسك ولحيتك. قال: ما شئت، فأتته بغسول، فغسل رأسه ولحيته، فأفاض عليه من الماء وأخذ فضل ما بقي من الإناء فابعد وقال: كوني مقدسة للقادسية منك يخرج وفد الله، وفيك موضع رحالهم، فسمت بدعوة إبراهيم القادسية. ثم خرج نحو الشام فمر بالنجف فرأى فيه علامات وكان يقرأها في الكتب، فقال: لمن هذا الجبل؟ فقالوا: لأهل القرية التي بت فيها يعنون بانقيا فأتاهم إبراهيم فظنوا أنه أتاهم للذي عرضوا عليه، فقال: بيعوني أرضكم هذه يعني ظهر الكوفة فقالوا هي لك، ما ملكنا أرضاً هي أقل خيراً منها، ما تنبت رعياً، ولا لنا فيها منفعة، فاشتراها منهم بغنمه. قال أبو عبد الله الحسني: وحدَّثنا محمد بن عبد اللّه الجعفي، قال: أخبرنا أحمد بن سعيد إجازة، قال: حدَّثنا علي بن الحسن البجلي، قال: حدَّثنا محمد بن عيسى العيسي، عن عيسى بن عبد اللّه، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي رضي اللّه عنه، قال: من مسجد الكوفة فار التنور، وكان بيت نوح عليه السلام ومسجده، ثم جاء إبراهيم خليل الرحمن إلى كوثى وبها ابن أخيه، فأقام عنده غير كثير ثم خرج حتى جاء

إلى مسجد الكوفة، فكلم ملكاً كان عليها، وقال له: إني أحب أن تبيعني هذا المكان لمسجد الكوفة وكان ذلك الملك تزلزل به كل ليلة الأرض،، فلما صار إبراهيم إليه كف اللّهّ عز وجل تلك الزلزلة، فقال: الملك يدعو لك، فقال: ما أريد أخذه إلا بثمن، قال: فاشتره بما شئت، قال: فإني آخذه بأتاني هذه وشاتي، قال: أما الشاة فليس معك زاد إلا لبنها تشربه، وأما الأتان فهلمها نحن نأخذها، فاشتراها بالأتان. فبدأ أساس نوح، وبناه بناء لاطياً على نحو من ذراع أو ذراعين، ثم سار هو ولوط إلى الشام. قال أبو عبد اللّه: حدَّثنا محمد بن العباس الحذاء، قال: حدَثنا أحمد بن محمد، قال: أخبرنا الحسين بن حميد، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: لما نزل المسلمون المدائن إصفرت ألوانهم، وعظمت بطونهم، ودقت عظامهم، وذلك لما اجتووها، فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يطلبوا منزلاً غيره، فنزلوا الكوفة، فوفدنا إلى عمر، فقال: إني لأعرف فضل منزلكم هذا على الآخر فصفوه لي، فقلنا: هي آخر السواد في العرب، وهي أرض برية بحرية، أرض شيح وقيصوم، وأرض ضب وحوت. قال حسين بن حميد: وحدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدَّثنا قبيصة، عن سفيان، قال: أول من بنى الكوفة بالآجر خباب بن الأرت، وعبد اللّه بن مسعود. قال لي أبو عبد الله: وحدَّثنا أبو الحسين محمد بن علي بن عامر الكندي، قال: حدَّثنا علي بن الحسن بن إسماعيل البزار، قال: حدَّثنا، بشر بن عبد الوهاب، ذكر أنه قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً، وثلثي ميل، وذكر أن فيها خمسة آلاف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة عشر ألف دار لسائر العرب، وستة وثلاثين ألف دار لليمنيين.

أخبرني بذلك في سنة أربع وستين ومائتين. قال أبو عبد الله: وأخبرنا زيد بن مروان إجازة، قال: حدَّثنا علي بن محمد، قال: حدَّثنا إبراهيم بن إسماعيل الطلحي، قال: حدَثنا أبي، قال: رأيت بالكوفة في مسجد الجامع مائة حلقة فقه. أخبرنا محمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، حدَثنا السري بن يحيى، حدَثنا شعيب بن إبراهيم، حدَثنا سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا: لما جاء فتح جلولاء وحلوان ونزل القعقاع بن عمرو بحلوان فيمن معه، وجاء فتح تكريت والحصنين، وقدمت الوفود بذلك على عمر، قال لهم: ما غيركم، قالوا: وُخومة البلاد، فنظر في حوائجهم، وعجل سراحهم. وكتب عمر إلى سعد : أنبئني ما الذي غير لون العرب ولحومهم؟ فكتب إليه: وخومة المدائن ودجلة، فكتب إلية: إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائداً وحذيفة فليرتادا منزلاً برياً بحرياً، ليس بيني وبينكم بحر ولا جسر. فبعث حذيفة وسلمان، فخرج سلمان فسار لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وخرج حذيفة حتى أتى الكوفة، وفيها ديرات ثلاثة، فأعجبتهما البقعة، فنزلا فصليا، وقالا: اللهم بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزل ثبات، ورجعا إلى سعد بالخبر، فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة في محرم سنة سبع عشرة، وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة أحد عشر شهراً. فكتب سعد إلى عمر: إني قد نزلت بكوفة منزلًا بين الحيرة والفرات بريَاَ بحرياً ينبت الجلي والنِّصِيّ ، وخيرت المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقام فيها تركته كالمسلحة. وحدَثنا سيف، عن يحيى التيمي، عن أبي ماجد، قال: قال عمر رضي اللّه عنه: الكوفة رمح الإسلام، وقبة الإسلام، وحجة العرب، يكفون ثغورهم ويمدون الأمصار. أخبرنا سيف، عن سعد، عن الأصبغ، عن علي رضي الله عنه انه قال: إن الكوفة لقبة الإسلام، وليأتين عليها زمان لا يبقى مؤمن إلا أتاها أو حن إليها، واللّه لينصرن الله بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط.

وفي هذه السنة إعانة أهل حمص من المسلمين في المحرم روى محمد بن الحسين، بإسناده عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعد، قالوا: خرجت الروم وقد تكاتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص، فضم أبو عبيدة إليه مسالحه، فعسكر بفناء مدينة حمص، وأقبل خالد من قنسرين حتى انضم إليه، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة والتحصن إلى مجيء الغِياث، فكان خالد يأمره أن يناجزهم، وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصن ويكتب إلى عمر، فأطاعهم وعصى خالداً، وكتب عمر إلى سعد: أندب الناس مع القعقاع بن عمرو، وسرحهم في يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وتقدم إليهم في الجد والحث. وكتب إليه أيضاً: أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند، وليأت الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص. فمضى القعقاع في أربعة آلاف نحو حمص، وخرج عمر من المدينة مغيثاً لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية، وخرج أبو عبيدة ففتح اللّه عليه، وانقض العدو، وقدم القعقاع بعد ثلاث من يوم الوقعة، وكتب إلى عمر بالفتح وهو بالجابية، فكتب عمر: أشركوهم فإهم نفروا إليكم، وتفرق بهم عدوكم.

وانتهى سهيل بن عدي إلى أهل الرقة، وقد ارفض أهل الجزيرة فحاصرهم فصالحوه، وخرج عبد الله بن عبد اللّه بن عتبان إلى نصيبين فصالحوه كما فعل أهل الرقة، وسار عياض مع سهيل وعبد الله إلى حران، فأخذ ما دونها، فلما انتهى إليها اتقوه بالجزية فقتل منهم. ومضى سهيل وعبد اللّه إلى الرهاء فأجابوه بالجزية، واستعمل عمر حبيب بن سلمة على عجم الجزيرة وحربها، واستعمل الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة. وقد ذكرنا أن عمر أتى الشام أربع مرات مرتين في سنة ستة عشر، ومرتين في سنة

سبعة عشر، فأما هذه المرة فإنه لم يدخلها لأجل الطاعون، والخرجة الرابعة أذن له. بلال حين حضرت الصلاة، فبكى الناس عند ذكر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فكان أشدهم بكاء عمر رضي الله عنه. أخبرنا عبد الأول، قال: أخبرنا الداودي، قال: أخبرنا ابن أعين، قال: أخبرنا الفربري، قال: حدَّثنا البخاريَ، قال: حدَّثنا عبد اللّه بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد اللّه بن عبد اللّه بن الحارث بن نوفل، عن عبد اللّه بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان، يَسْرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيده بن الجراح وأصحابه فأخبره أن الوباء قد وقع بالشام، قال ابن عباس: قال لي عمر: أدع لي المهاجرين الأولين. فدعوهم، فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: أدع لي الأنصار، فدعوهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرار من قدر اللّه؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر اللّه إلى قدر اللّه، أرأيت إن كان لك إبل، هبطت وادياً له عدوتان: إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ". قال فحمد اللّه عمر، ثم انصرف أخرجاه في الصحيحين.

وخطب عمر خطبة بليغة بالجابية

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن الباقلاوي، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، قال: حدَّثنا دعلج، قال: أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن علي بن زيد الصائغ، قال: حدَّثنا سعيد بن منصور، قال: حدَّثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، قال: حدَّثنا موسى بن عقبة، قال: هذه خطبة عمر بن الخطاب الناس يوم الجابية، فقال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي بطاعته يكرم أولياؤه، وبمعصيته يضل أعداؤه، فإنه ليس لهالك هلك معذرة في تعمد ضلالة حسبها هدى، ولا في ترك حق حسبه ضلالة، وإن أحق ما تعاهد الراعي من رعيته أن يتعاهدهم بالذي للّه عليهم من وظائف دينهم الذي هداهم اللّه له، وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وننهاكم عما نهاكم اللّه عنه من معصيته، وأن نقيم فيكم أمر اللّه عز وجل في قريب الناس وبعيدهم، ثم ولا نبالي على من مال الحق، وقد علمت أن أقواماً يتمنون في دينهم فيقولون: نحن نصلي مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين، وننتحل الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوام لا يحملونه بحقه، وإن الإيمان ليس بالتحلي، وإن للصلاة وقتاً اشترطه اللّه فلا مصلح إلا به، فوقت صلاة الفجر حين يزايل المرء ليله، ويحرم على الصائم طعامه وشرابه.. فذكر أوقات الصلوات، قال: ويقول الرجل: قد هاجرت و لم يهاجر، وإن المهاجرين الذين هجروا السيئات، ويقول أقوام: جاهدنا، وإن الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو واجتناب الحرام، فإن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة فيحمي، فأفهموا ما توعظون به، فإن الجرب من جرب دينه، وإن السعيد من وعظ بغيره، وإن الشقي من شقي في بطن أمه، وإن شر الأمور مبتدعاتها، وإن الإقتصاد في سنة خير من الإجتهاد في بدعة، وإن للناس نفرة من سلطانهم، فعائذ باللّه أن تحركني، فإياكم وضغائن مجبولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة، عليكم بهذا القرآن

فإن فيه نوراً وشفاء، فقد قضيت الذي علي فيما ولاني اللّه عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم، وقد أمرنا لكم بأرزاقكم، فلا حجة لكم على الله عز وجل، بل الحجة له عليكم، أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم.

وفي هذه السنة حمى عمر رضي اللّه عنه الربدة لخيل المسلمين، وقيل: في سنة ست عشرة.

وفيها اتخذ عمر دار الدقيق، فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزيت، وما يحتاج إليه المنقطع والضيف الذين يترلون بعمر، ووضع عمر في طريق السبيل ما بين مكة والمدينة ما يصلح لمن ينقطع به ويحمل من ماء إلى ماء.

ومن الحوادث في هذه السنة أن عمر رضي اللّه عنه كتب التاريخ وذلك في سنة خمس من ولايته، وسنذكر سبب ذلك. قال الشعبي: لما هبط آدم من الجنة، وانتشر ولده أرخ بنو آدم من هبوط آدم، فكان التأريخ حتى بعث اللّه نوحا، فأرخوا من مبعث نوح حتى كان الغرق، وكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم، فلما كثر ولد إسماعيل افترقوا، فأرخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى مبعث يوسف، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى، ومن مبعث عيسى إلى أن بعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. وأرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم إلى بناء البيت، ومن بناء البيت حتى تفرقت معد، وكانت للعرب أيام وأعلام يعدونها، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي إلى الفيل، وكلان التأريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة. وإنما أرخ عمر بعد سبع عشرة من مهاجرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. قال: فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم: أرخ لمبعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: أرخ لمهاجر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل. وقال ميمون بن مهران: رفع إلى عمر صك محله في شعبان، فقال عمر: أي شعبان؟ الذي هوآت أو الذي نحن فيه؟ قال: ثم قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ضعوا للناس شيئاَ يعرفونه، فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الروم، فقيل: إنهم يكتبون من عهد في القرنين، فهذا يطول. وقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الفرس، فقيل: إن الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فوجدوا عشر سنين، فكتب التاريخ من هجرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سيرين: قام رجل إلى عمر فقال: أرخوا، فقال عمر: ما أرخوا. قال: شيء تفعله الأعاجم، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا، قال عمر: حسن فأرخوا، فقال: من أي السنين نبدأ. فقالوا: من مبعثه، وقالوا: من وفاته، ثم أجمعوا على الهجرة، ثم قال: فبأي الشهور نبدأ، فقالوا: من رمضان، ثم قالوا: المحرم فإنه منصرف الناس من حجهم، وهو شهر حرام، فأجمعوا على المحرم.

وقال سعيد بن المسيب : جمع عمر الناس فسألهم فقال: من أي يوم نكتب.

فقال علي رضي اللّه عنه: من يوم هاجر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وترك أرض الشرك. ففعله عمر رضي اللّه عنه. وقال عثمان رضي اللّه عنه: أرخوا المحرم أول السنة.

قال مؤلف الكتاب : فقد قدموا التأريخ شهرين وبعض الآخر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول. وقد قيل: إنما كتب عمر التاريخ في سنة ست عشرة. وقال قدامة بن جعفر الكاتب: تاريخ كل شيء آخره، وهو في الوقت غايته والموضع الذي انتهى إليه، يقال: فلان تاريخ قومه، أي إليه انتهى شرفهم. ويقال: ورخت الكتاب توريخاً، وأرخته

تأريخاً، اللغة الأولى لتميم، والأخرى لقيس، ولكل مملكة وأهل ملة تأريخ، وقد كان الروم أرخوا على حسب ما وقع من الأحداث إلى أن استقر تأريخهم على وفاة ذي القرنين، وكانت الفرس تؤرخ بأعدل ملك لها إلى أن استقر تأريخها على هلاك يزدجرد الذي كان آخر ملوكهم، وكانت العرب تؤرخ بتفرق ولد إسماعيل وخروجهم عن مكة، ثم أرخوا بعام العذرة، وقال: إن ملكاً من ملوك حمير وجه إلى الكعبة بكسوة وطيب، فاعترض قوم من بني يربوع بن حنظلة الرسل فقتلوهم، فانتهبوا ذلك، وكانوا لا يفعلون ذلك في الأشهر الحرم، فسمي عام العذرة. ثم أرخوا بعام الفيل، وكان في اليوم الثاني عشر من شباط سنة ثمانمائة واثنين وثمانين لذي القرنين، ثم أرخ بسني الهجرة، ابتدأ بذلك عمر بن الخطاب.

والتواريخ العربية إنما هي على الليالي، وسائر تواريخ الأمم على الأيام لأن سنيهم تجري على أمر الشمس، وهي نهارية، وسنو العرب يعمل فيها على القمر، وابتداء رؤيتنا له الليل، فيقال في أول ليلة مستهل، ولا يقال ذلك في النهار، ويقال في آخر الشهر يوم كذا: انسلاخ شهر كذا، لأن الشهر يبتدىء بابتداء الليل وينقضي بانقضاء النهار، وما قبل الخامس عشر يعرف بالليالي المواضي، وإذا كان بعده عرف بالليالي البواقي.

ومن الحوادث في هذه السنة أن عمر عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة لأن قوماً من بني أسد من أهل الكوفة تكلموا على سعد وقالوا: اعفنا منه، فبعث عمر من يسأل أهل الكوفة عنه، فقالوا: لا نعلم عنه إلا خيراً، وسكت قوم فلم ينطقوا بشيء. وقال رجل يقال له أسامة: انه لا يقسم بالسوية. وقيل: إنما عزله في سنة عشرين، وقيل: بل في سنة اثنتين وعشرين، فعزله وأمّر أبا موسى الأشعري، فشكوا منه، فصرفه إلى البصرة، وأمّر عليهم المغيرة. أخبرنا عبد الأول، أخبرنا الداودي، أخبرنا ابن أعين، حدَّثنا الفربري، حدَثنا البخاري، حدَّثنا موسى بن إسماعيل، حدَّثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: شكى أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا: لا يحسن أن يصلي، فذكر عمر له ذلك، فقال: أما صلاة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقد كنت أصلي بهم أركد في الاولتين وأحذف في الآخرين، فقال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا يسأل عنه أهل الكوفة، و لم يدع مسجد إلا سأل عنه ويقنون عنه معروفاً حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة، فقال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسوية، ولا يعدل في القضية، فقال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعة فأطل عمره وأطل فقره، وعرضه للفتن، فكان بعد ذلك أسامة إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهن.

وفي هذه السنة حج بالناس عمر، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت، وكان عامله في هذه السنة على مكة عتاب بن السائب، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى بن منبه، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى عُمان حذيفة بن محصن، وعلى الشام كلها أبو عبيدة بن الجراح، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص فلما عزله عمر قيل له: من خليفتك يا سعد على الكوفة، فقال: عبد اللّه بن عبد الله بن عتبان.

وفي هذه السنة أعزل خالد بن الوليد، خرج خالد بن الوليد وعياض بن غنم فسارا في دروب المشركين فأصابا أموالاً عظيمة، فلما قفل خالد انتجعه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف، وكان عمر لا يخفى عليه من عماله شيء، فكتب إليه بما يجري، فدعا

البريد وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من أين إجازة الأشعث، أمن ماله، أم من إصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد باء بجناية، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف،، فاعزله على كل حال.
فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه، فجمع له أناس وجلس لهم على المنبر، وتكلم البريد فقال: يا خالد، أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه، فقام بلال فقال: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا، وتناول عمامته فنفضها، ووضع قلنسوته ثم عقله بعمامته، وقال: ما تقول، أمن مالك أم من إصابة.، قال: لا بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده.
فخرج خالد حتى قدم على عمر، فقال عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسُّهمان، فقال عمر: لا تغلبني بعد اليوم، وكتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا عن خيانة، ولكن الناس قد فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه، فأحببت أن يعلموا أن اللّه عز وجل هو الصانع.

ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه

وفي هذه السنة اعتمر عمر وخلف على المدينة زيد بن ثابت، وبنى المسجد الحرام ووسع
فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وتزوج في مكة ابنة حفص بن المغيرة، فأخبر أنها عاقر فطلقها قبل أن يدخل بها فرجعت إلى زوجها الأول. وفي هذه العمرة: أمر بتجديد أنصاب الحرم، وأمر بذلك مخرمة بن نوفل، وأزهر بن عبد، عوف، وحويطب بن عبد العزى، وسعيد بن يربوع. ومر عمر في طريقه فكلمه أهل المياه أن يبتنوا منازك بين مكة والمدينة، فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء.

عزل المغيرة عن البصرة، وولاية أبي موسى الأشعري

وفي هذه السنة ولى عمر أبا موسى الأشعري البصرة، وأمره أن يشخص إليه المغيرة لأجل الحدث الذي قيل عنه. قال علماء السير: كان المغيرة يختلف إلى أم جميل امرأة من بني هلال وليس لها زوج، فأعظم ذلك أهل البصرة، فدخل عليها يوماً وقد وضعوا له الرصد، فكشفوا الستر فرأوه قد واقعها، فركب أبو بكرة إلى عمر رضي الله عنه، فقص عليه القصة، وكان معه نافع بن كلدة، وزياد، وشبل بن معبد، وهم الذين شهدوا على المغيرة. فقال المغيرة: هؤلاء الأعبد كيف رأوني؟ إن كان استقبلوني فكيف لم أستتر، أو استدبروني فبأي شيء استحلوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي، والله ما أتيت إلا امرأتي وكانت تشبهها فشهد أبو بكرة أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة، وشهد شبل مثل ذلك، وشهد نافع مثل ذلك، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم، وإنما قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة، ورأيت قدمين مخضوبتين تخفقان، واستين مكشوفين، وسمعت حفزاناً شديداً، فقال له: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا، قال: فهل تعرف المرأة. قال: لا، ولكن أشبهها، قال: فتنح، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد. وقرأ: "فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بالشَّهَدَاءِ فَأولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الكَاذِبون" النور 33. وقد قيل إن هذا كان في سنة خمس عشرة. قال مؤلف الكتاب: من الجائز أن يكون قد تزوجها ولم يُعْلِمْ أحداً، وقد كانت تشبه زوجته. قال ابن عقيل: للفقهاء تأويلات فقد كانت المتعة عقداً في الشرع، وكان نكاح السر عند قوم زنا، ولا يجوز أن ينسب إلى الصحابي ما لا يجوز لأنه جهل بمقدار الضرر في ذلك.

وفيها فتحت سوق الأهواز ومنافر ونهر تيري وبعضهم يقول: إنما كان ذلك في سنة ست عشرة.

وفيها فتحت تستر وبعضهم يقول: في سنة تسع عشرة.

وفيها كان فتح رامهرمز والسوس وفيها أسر الهرمزان أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل، قالا: أبرنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدَّثنا شعيب، قال حدَّثنا سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، قالوا : لم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفاً على ما خرج منهم، فكتب إليهم وهو بمرو ويذكرهم الأحفاد ويؤنبهم، أن قد رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأهواز. ثم لم يرضوا بذلك حتى يوردوكم في بلادكم وعقر داركم، فتحركوا، وتكاتب أهل فارس وأهل الأهواز وتعاهدوا وتواثقوا على أهل البصرة، فكتب إلى عمر بذلك، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن، وعجل وابعث معه سويد بن مقرن، وجرير بن عبد الله، فليترلوا بإزاء الهرمزان حتى يتبينوا أمره. وكتب إلى أبي موسى: أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً، وأمِّر عليهم سهل بن عدي، وابعث معه البراء بن مالك في جماعة سماهم، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبا سبرة بن أبي رهم، فكل من أتاه فمدد له.

وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة، فأخذ واسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان، ثم أخذ البر إلى الأهواز، فانتهى إلى نهر تيري فجازها، ثم جاز منافر، ثم جاز سوق الأهواز، ثم سار نحو الهرمزان والهرمزان يومئذ برامَهُرمز ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره، فالتقيا فاقتتلا قتالاً شديداً، ثم أن اللّه تعالى هزم الهرمزان فلحق بتستر. وسار النعمان حتى نزل برامهرمز، وكان الهرمزان قد صالح المسلمين، ثم نكث، فحاصره المسلمون فأكثروا فيهم القتل. وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارزة، وزاحفهم المسلمون في أيام تستر ثمانين مرة في حصارهم، حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال، قال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك ليهزمنهم لنا، فقال: اللهم اهزمهم لنا واستشهدني، فهزموهم حتى أدخلوهم في خنادقهم، ثم اقتحموها عليهم، وأرزوا إلى مدينتهم وأحاطوا بها. فبيناهم على، ذلك خرج إلى، النعمان، رجل فاستأمنه على أن يدله على مدخل يؤتون منة، فآمنه فدلهم، فأقبلوا إلى ذلك المكان، فأناموا كل مقاتل، وأرزأوا الهرمزان إلى القلعة، وأطافوا به، فقال: معي مائة نشابة، واللّه لا تصلون إليَ ما دامت معي منها واحدة، قالوا: تريد ماذا، قال: أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما يشاء، قالوا: فلك ذلك، فرمى قوسه فأمكنهم من نفسه، فشدوه وثاقاً، واقتسموا ما آفاء اللّه عليهم، وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف، والراجل ألفاً. وخرج من تستر فل فقصدوا السوس، فاتبعهم أبو سبرة، وخرج معه بالنعمان وأبي موسى والهرمزان، فلما أحاطوا به كتبوا بذلك إلى عمر، ووفد أبو سبرة وفداً إلى عمر فيهم أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، وأرسل الهرمزان معهم، فلما دخلوا المدينة هيئوا الهرمزان في هيئته، فألبسوه كسوته، ووضعوا على رأسه التاج، فوجدوا عمر نائماً في جانب المسجد، فقال الهرمزان: أين عمر؟ قالوا: ها هو ذا، قال: أين حراسه وحجابه، قالوا: ليمس له حارس ولا حاجب، قال: فينبغي أن يكون نبياً، قالوا: بل يعمل عمل الأنبياء. واستيقظ عمر، فقال: الهرمزان، قالوا: نعم هذا ملك الأهواز فكلمه، فقال: لا حتى لا يبقى من حليه شيء، فرموا ما عليه وألبسوه ثوباً صفيقاً، فقال عمر: يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر؟ فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا. فقال عمر: ما عذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك، قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء فأتي به في قدح

غليظ، فقال: لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا، فأتي به في إناء يرضاه، فجعلت يده ترعد، وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه، فقال عمر: أعيدوا عليه، ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال له عمر: إني قاتلك، قال: قد آمنتني، قال: كذبت، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد آمنته، قال: ويحك يا أنس، أنا أؤمّن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك، والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنّك، قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك، فأقبل على الهرمزان، وقال: تخدعني، والله لا أنخدع إلا أن تسلم فأسلم. ففرض له على ألفين، وأنزله المدينة.

فصل

وقال الأحنف لعمر: يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حيّ بين أظهرهم، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، فلا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فنسيح في بلادهم حتى نزيله عن فارس، ونخرجه من مملكته، ونقتله أو نلجئه إلى غير مملكته، وغير أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس، فقال: صدقتني والله وشرحت لي الأمر. ثم نظر في حوائجهم وسرحهم. وقدم على عمر الكتاب باجتماع أهل نهاوند.

ذكر فتح السوس

وأقام أبو سبرة على السوس يحاصرهم، فأشرف عليهم الرهبان، فقالوا: يا معشر العرب، إن مما عهد إلينا علماؤنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم معهم الدجال، وكان ابن صياد مع المسلمين، فأتى باب السوس فدفعه برجله، وقال: انفتح، فتقطعت السلاسل وتفتحت الأبواب، ودخل المسلمون، فألقى المشركون بأيديهم، وقالوا: الصلح الصلح، فأجابوهم واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افترقوا. وقيل لأبي سبرة : هذا جسد دانيال عليه السلام في هذه المدينة، قال: وما علمي به، وكان دانيال قد مات بالسوس، أو كانوا يستسقون بجسده، فلما ولى أبو سبرة إلى جنديسابور أقام أبو موسى بالسوس، ، وكتب إلى عمر رضي اللّه عنه في أمر دانيال عليه السلام، فكتب إليه يأمره أن يواريه، فكفنه ودفنه المسلمون. وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم فهو عندنا، فكتب إليه أن تختمه، وفي فصه نقش رجل بين أسدين.

ولما ذهب أبو سبرة إلى جند يسابور، أقام إلى أن رمى إليهم بالأمان من عسكر المسلمين، ففتحوا الأبواب، وخرج السرح، فقال المسلمون: ما لكم. قالوا: رميتم إلينا بالسلام فقبلناه، وأقررنا لكم بالجزية، قالوا: ما فعلنا. فسأل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبد يدعى مكنفاً كان أصله منها هو الذي كتب لهم. فقالوا: إنما هو عبد، وكتبوا بذلك إلى عمر، فأجاز ذلك وانصرفوا عنهم.

فصل: ثم أن عمر رضي الله عنه أذن في الانسياج في بلاد فارس في هذه السنة، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف بن قيس الذي قدمنا ذكره، فأمر الأمراء وبعث إليهم الألوية ليخرجوا إلى الكور، فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشرة، وأمدهم عمر، وكان يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو يومئذ ملك أهل فارس لما انهزم أهل جلولاء خرج يريد الريّ، ثم خرج إلى أصبهان، ثم

إلى خرسان، فترل مرو، وبنى للنار بيتاً، واتخذ بستاناً، وبنى فرسخين من مرو إلى البستان، واطمأن في نفسه، وأمن أن يؤتى، وكاتب من بقي من الأعاجم مما لم يفتحه المسلمون، فدانوا له.

وفي هذه السنة تزوج عمر رضي اللّه عنه أم كلثوم بنت علي رضي اللّه عنه وهي ابنة فاطمة رضي اللّٰه عنها، وكان قد خطبها إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين إنها صبية، فقال: إنك واللّٰه ما بك ذلك، ولكن قد علمنا ما بك فأمر علي بها فصنعت، ثم أمر ببرد فطواه، ثم قال: انطلقي بهذا إلى أمير المؤمنين فقولي: أرسلني أبي إليك وهو يقرئك السلام ويقول إن رضيت البرد فأمسكه، وإن سخطته فرده، فلما أتت عمر قال: بارك اللّه فيك وفي أبيك قد رضينا. قالت: فرجعت إلى أبيها، فقالت: ما نشر البرد وما نظر إلا إلِّي، فزوجها إياه، و لم تكن قد بلغت، فدخل بها في ذي القعدة، ثم ولدت له زيداً.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان، قال: حدَثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدَّثني جعفر بن محمد بن كزال، قال: حدَثنا إسحاق بن المنذر، قال: حدَّثنا محمد بن عبد الملك الأنصاري، قال: حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد اللّٰه، قال: تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على أربعين ألف درهم.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بإسناده، عن الزبير بن بكار، قال: كان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه خطب أم كلثوم إلى علي بن أبي طالب، فقال له علي،: إنها صغيرة، فقال له عمر: زوجنيها يا أبا الحسن، فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصد أحد، فقال له علي: أنا أبعثها إليك، فإن رضيتها زوجتكها، فبعثها إليه ببرد، وقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلت لك، فقالت ذلك لعمر، فقال: قولي قد رضيته رضي اللّه عنك، وضع يده على ساقها وكشفها، فقالت له: أتفعل هذا، لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم خرجت حتى جاءت أباها، فأخبرته الخبر وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء، فقال: مهلاَ يا بنية، فإنه زوجك، فجاء عمر بن الخطاب إلى مجلس المهاجرين في الروضة، وكان يجلس فيه المهاجرون الأولون، فجلس إليهم، فقال لهم: رقيوني، فقالوا: لماذا يا أمير المؤمنين، قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وصهري، فكان لي به السبب والنسب، وأردت أن أجمع إليه الصهر فرقأوه رضي اللّه عنهم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام: أمه أم سليم بنت ملحان، وهو أخو أنس لأبويه، شهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وكان شجاعاً ذا نكاية في الحروب، وكان عمر يكتب: لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين، إنه مهلكه، يقدم بهم، وإنه ركب فرسه يوم اليمامة، وقال: يا أيها الناس، إنها واللّه الجنة وما إلى المدينة من سبيل، فمضغ فرسه مضغات ، ثم كبس وكبس الناس معه، فهزم اللّه المشركين، وكانت في مدينتهم ثلمة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا البرمكي، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا ابن الفهم، أخبرنا محمد بن سعد، قال: حدَّثنا حجاج بن محمد، قال: أخبرنا السري بن يحيى، ، عن محمد بن سيرين: أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه

رجال من المشركين، فقعد البراء بن مالك على ترس وقال: ارفعوني برماحكم فالقوني إليهم، ففعلوا فأدركوه وقد قتل منهم خمسة عشر .

أخبرنا أبو البركات ابن علي البزاز، أخبرنا أحمد بن علي الطرثيثي، أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، حدَّثنا عبد اللّه بن محمد بن زياد، حدَثنا محمد بن عزيز، قال: حدَّثني سلامة بن روح، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على اللّه لأبره، منهم البراء بن مالك ".

وأن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجف المشركون في المسلمين، فقالوا: يا براء إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال إنك لو أقسمت على اللّه لأبرك، فاقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، فمنحوا أكتافهم. ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجفوا في المسلمين، فقالوا: اقسم يا براء على ربك، فقال: أقسمت عليك يا ربي، لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيي صلى الله عليه وسلم، فمنحوا أكتافهم، وقتل شهيداً. قال مؤلف الكتاب: قد ذكرنا آنفاً أنه قتل يوم تستر.

حدير: جاء في الحديث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قسم في بعض الأيام قسماً ونسي حديراً، فنزل جبريل فقال: يا محمد نسيت حديراً، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه، قال الذي ذهب في طلبه: فأدركته وهو يقول: سبحان الله، والحمد للّه ولا إله إلا الله واللّه أكبر، فقلت: يا هذا ارجع إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقد عوتب فيك، فقال: يا من لم تنس حديراً اجعل حديراً لا ينساك.

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزجي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجي، حدَّثنا عبد العزيز بن جعفر، حدَّثنا أبو بكر الجلال، حدَّثنا أحمد بن يحيى بن عطاء بن مسلم الباهلي، حدَّثنا المغيرة، حدَثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشَاَ فيهم رجل يقال له حدير، وكانت تلك السنة قد أصابتهم شدة من قلة الطعام، فزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسي أن يزود حديراً، فخرج حدير صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان اللّه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب، فهو يرددها وهو في آخر الركب. قال: فجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً، وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا اللّه، والله أكبر، والحمد للّه، وسبحان اللّه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه، ويقول: نعم الزاد هو يا رب. قال: وكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض فابعث إليه بزاد، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا فدفع إليه الزاد، حفظ عليه ما يقول، ويقول له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ورحمة الله، ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إلي جبريل يذكرني بك، فذكره جبريل وأعلمه مكانك. قال: فانتهى إليه وهو يقول: لا إله إلا اللّه، واللّه أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا باللّه، ويقول: نعم الزاد هذا يا رب. قال: فدنا منه ثم قال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ورحمة الله، وقد أرسلني إليك بزاد ويقول: إنما نسيتك فأرسل إلي جبريل من السماء يذكرني بك. قال: فحمد اللّه وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: الحمد للّه رب العالمين ذكرني ربي من فوق سبعٍ سموات وفوق عرشه ورحم جوعي وضعفي، يا رب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا

ينساك. قال: فحفظ ما قال فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما سمع منه حين أتاه، وبما قال حين أخبره، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض " الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام، أبو عمرو: وهو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بالمكان الذي نزل فيه، فقال جبريل: الرأي ما أشار به الحباب، وشهد بدراَ وثبتَ مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وبايعه على الموت، وشهد المشاهد كلها معه، وهو القائل يوم السقيفة: أنَا جذيلها المحكَك وعُذَيْقُهَا المُرَجب، منا أمير ومنكم أمير.

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو أروى: وكان من أولاده صبي استرضع له في هذيل فقتله بنو ليث بن بكر في حرب كانت بينهم، وكان حينئذ يحبو أمام البيوت، فرموه بحجر فرضخ رأسه، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: ألا إن كل دم في الجاهلية فهو تحتَ قدمي، وأول دم اضَعُهُ دم ابن، ربيعة بن الحارث ". وقد اختلفوا في اسم هذا الصبي، فقال بعضهم: تمام، وقال بعضهم: إياس، وقال بعضهم: آدم، وكان غلط من هؤلاء لأنهم رأوا في الكتاب دم ابن ربيعة، فزادوا ألفاً. وكان ربيعة أسن من عمه العباس بسنتين. ولما خرج المشركون إلى بدر كان ربيعة غائباً بالشام، فلم يشهدها معهم، فلما خرج العباس ونوفل إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سبقهما ربيعة بن الحارث إلى الأبواء، ثم أراد الرجوع إلى مكة، فقالا: أين ترجع. إلى دار الشرك يقاتلون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ويكذبونه، وقد عزّ وكثرت أصحابه، ارجع. فرجع معهما حتى قدموا على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مسلمين، فشهد ربيعة مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فتح مكة والطائف وحنين، وثبت معه يومئذ، وتوفي في خلافة عمر رضي اللّه عنه بعد أخويه نوفل وأبي سفيان.

العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي عبد الله بن ضماد بن سلمى: من حضرموت من اليمن، وأخوه ميمون بن الحضرمي صاحب البئر التي بأعلى مكة، يقال لها: بئر ميمون، مشهورة على طريق العراق، وكان حفرها في الجاهلية. وأسلم العلاء قديماً، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الجعرانة إلى المنذر بن ساوي العبدي بالبحرين، وكتب معه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولّى العلاء البحرين ثم عزله عنها، وبعث أبا سعيد عاملا عليها فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فأقبل إلى المدينة وترك العمل، فبعث أبو بكر العلاء.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا علي بن محمد بن عبد اللّه بن أبي سيف، عن أبي إسماعيل الهمداني، وغيره، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين: أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله، واعلم أنك تقدم على رجل من المهاجرين الأولين الذين قد سبقت لهم من الله ورسوله الحسنى، لم أعزله أن لا يكون عفيفاً صليباً شديد البأس، ولكني ظننت أنك أغنى عن المسلمين في تلك الناحية منه، فاعرف له حقه، وقد وليت قبلك رجلًا فمات قبل أن يصل، فإن يرد اللّه أن يلي عتبة فالخلق والأمر للّه رب العالمين. واعلم أن أمر اللّه محفوظ بحفظه الذي أنزله، فانظر إلى الذي خلقت له، فاكدح له ودع ما سواه فإن الدنيا أمد والآخرة أبد، ولا يشغلنك شيء مدبر خيره عن شيء باق خيره، واهرب إلى اللّه عز وجل من سخطه، فإن الله عز وجل يجمع لمن شاء الفضيلة في حكمه وعلمه، نسأل الله لنا ولك العون على طاعته والنجاة من عذابه.

قال: فخرج العلاء من البحرين، وقدم البصرة في رهط منهم أبو هريرة وأبو بكرة، فلما كانوا قريباً من أرض تميم مات العلاء، فرجع أبو هريرة إلى البحرين، وأبو بكرة قدم البصرة، فكان أبو هريرة يقول: رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبداً: رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم من المدينة يريد البحرين، فلما كنا بالدهناء فقد ماؤهم، فدعا اللّه عز وجل فنبع لهم ماء من تحت رمله، فارتووا وارتحلوا، ونسي رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه و لم يجد الماء. وخرجت معه من البحرين إلى البصرة فمات ونحن على غير ماء فأبدى اللّه لنا سحابة، فمطرنا فغسلناه وحفرنا له بسيوفنا و لم نلحد له، فدفناه ومضينا، فقلنا: رجل من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم دفناه و لم نلحد له، فرجعنا فلم نجد موضع قبره.

عمرو بن عنبسة بن خالد بن حذيفة، أبو نجيح السلمي: قديم الإسلام، كان يقول: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأيت أنها باطلة، فلقيت رجلًا من أهل الكتاب، فقلت: إني امرؤ ممن يعبد الحجارة فيترل الحيّ ليسِ معهمِ إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أخيْرها إلهاَ يعبده، ثم لعله يجد أحسن منه فيتركه ثم يأخذ غيره، فرأيت أن هذا باطل فدلني على خير من هذا، فقال: يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه، فإذا رأيت ذلك فاتبعه فإنه يأتي بأفضل الدين، فلم يكن لي همة إلا مكة، فآتي فأسأل: هل حدث بها حدث؟ فيقال: لا ثم قدمت مرة فسألت فقالوا: حدث، رجل يرغب عن آلهة قومه، فسألت عنه فوجدته مستخفياً، ووجدت قريشاً عليه أشدّاء، فتلطفت حتى دخلت عليه، فسألته، فقلت: أي شيء أنت؟ قال: نبي، قلت: ومن أرسلك؟ قال: اللّه، قلت: وبما أرسلك. قال: بعبادة اللّه وحده لا شريك له، وبحقن الدماء، وبكسر الأوثان، وصلة الرحم، وأمان السبيل. قلت: نعم ما أرسلك به، قد آمنت بك وصدقتك، فمن تبعك. قال: حرّ وعبد، وليس معه إلا أبو بكر وبلال، فلقد رأيتني وأنا رابع الإسلام، ثم قلت: أتأمرني أن أمكَث معك أو أنصرف، فقال: ألا ترى كراهية الناس لما جئت به، فلا تستطيع أن تمكث، كن في أهلك، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني، فمكثت في أهلي حتى إذا خرج إلى المدينة سرت إليه، فقدمت المدينة، فقلت: يا نبي اللّه، أتعرفني؟ قال: أنت السلمي الذي أتيتني بمكة، فسألتني عن كذا، فقلت لك: كذا، فقلت: أي الليل أسمع. قال: الثلث الأخير. قال الواقدي: كان عمرو بن عنبسة يترل صفنة وحادة، وهي من أرض بني سليم، فلم يزل مقيماً هناك حتى مضت بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر، ثم قدم بعد ذلك على رسول اللّهّ صلى الله عليه وسلم.
عتبة بن غزوان بن جابر المازني: وقد تقدم خبره بمسيرة إلى فَرْج الهند ، ويكنى أبا عبد الله. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً، واستعمله عمر على البصرة، وهو الذي مصرها واختطها، ثم قدم على عمر فرده إلى البصرة والياً، فمات في الطريق في هذه السنة. وقيل: في سنة خمس عشرة، وهو ابن سبع وخمسين، وقيل: خمس وخمسين.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الأزهري، حدَّثنا أحمد بن إبراهيم البزار، حدَّثنا جعفر بن أحمد المروزي، حدَّثنا السري بن يحيى، حدَّثنا شعيب بن إبراهيم، حدَّثنا سيف بن عمر، عن محمد وطلحة والمهلب وزياد وعمرو، قالوا: مصّر المسلمون المدائن وأوطنوها، حتى إذا فرغوا من جلولاء وتكريت، وأخذوا الحصنين، كتب عمر إلى سعد: أن ابعث عتبة بن غزوان إلى فَرْج الهند فليرتد مترلاً يُمصّره، وابعث معه سبعين من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فخرج عتبة بن غزوان في سبعمائة من المدائن، فسار حتى نزل شاطيء دجلة، وتبوأ دار مقامه.

أخبرنا هبة اللّه بن محمد بن الحصين، أخبرنا أبو علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثَنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، حدَّثنا بهز بن أسد، حدَّثنا سليمان بن المغيرة، حدَثنا حميد بن هلال، عن مخالد بن عمير، قال: خطب عتبة بن غزوان فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بِصُرْمٍ وولت حَذَاءَ، و لم يبق منها إلا صُبَابة كَصُبابَةِ الإناء يَتَصابُها صاحبها، وأنتم منتقلون بعدها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شقة جهنم، فيهوى فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً، واللّه لَتُمْلأن، أفَعَجِبْتُمْ، واللّه لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ بالزحام، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، وإني التقطت بُرْدة فشققتها بيني وبين سعد فاتزر بنصفها، واتزرت بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبحِ أمير مصر من الأمصار، وإني أعوذ باللّه أن أكون في نفسي عظيماً وعند اللّه صغيراَ، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخرها مُلْكاً فَسَتَخْبُرُونَ وتُجَرِّبُونَ الأمراء بعدنا. انفرد بإخراجه مسلم، وليس لعتبة في الصحيح غيره . رواه أحمد بن حنبل، قال: حدَّثنا بهز بن راشد، قال: حدَثنا سليمان بن المغيرة، قال: حدَّثنا حميد يعني ابن هلال عن خالد بن عمير، قال: خطب عتبة بن غز وان.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابتَ، أخبرنا ابن بشران، أخبرنا ابن صفوان، حدَّثنا ابن أبي الدنيا، حدَّثنا محمد بن سعد، حدَثنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني عبد اللّه وإبراهيم بن عبد اللّه من ولد عتبة بن غزوان، قالا: قدم عتبة المدينة في الهجرة وهو ابن أربعين سنة، وتوفي وهو ابن خمس وسبعين سنة، وكان طوالاً جميلاً، يكنى أبا عبد اللّه، ومات سنة سبع عشرة بطريق البصرة عاملاً لعمر بن الخطاب عليها. قال ابن سعد: وأخبرني الهيثم بن عدي قال: كانت كنيته أبا غزوان. قال الواقدي: يقال: كان عتبة مع سعد بن أبي وقاص، فوجهه إلى البصرة بكتاب عمر إليه يأمره بذلك، فوليها ستة أشهر، ثم خرج على عمر. وقد قال خليفة بن خياط: توفي سنة أربع عشرة. وقال أبو حسان الزيادي: سنة خمس عشرة. وقيل: ستة عشرين. وسبع عشرة أصح فتحت لأن المدائن فتحت سنة ست عشرة، ثم مصرت البصرة بعد ذلك.

مالك بن قيس بن ثعلبة بن العجلان، أبو خيثمة: شهد أحداً والمشاهد بعدها مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وتخلف عن تبوك عشرة أيام، فدخل يوماً على امرأتين له في يوم حار، فوجدهما في عريشين لهما قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له ماء وهيأت له طعاماً، فقال: سبحان اللّه، رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في الضح والريح والحر وأبو خيثمة في ظلال بارعة وطعام مهيأ وامرأتين حسناوين، واللّه لا أدخل عريش واحدة منكما ولا أكلمكما حتى ألحق برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فخرج إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال له: أولى لك يا أبا خيثمة، فأخبر النبي صلى اللّه عليه وسلم خبره، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خيراً ودعا له.

أم عطية الأنصارية، واسمها نسيبة بضم النون وفتح السين بنت كعب: أسلمت وبايعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وغزت معه سبع غزوات، وكانت تخلفهم في الرجال، وتصنع لهم الطعام، وتقوم على المرضى، وتداوي الجرحى.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

فمن الحوادث فيها طاعون عمواس تفانى فيه الناس، ومات فيه خمسة وعشرون ألفاً.

قال سيف: إنما كان في سنة سبع عشرة. أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، ، عن شهر بن حوشب الأشعري، عن رابة رجل من قومه، وكان قد خلف على أمه بعد أبيه، كان شهد طاعون عمواس- قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيباً، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل اللّه أن يقسم له منه حظه، قال: فطعن فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه، قال: فطعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثم قام فدعا ربه لنفسه فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه، ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا. فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام فينا خطيباً، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتجبلوا منه في الجبال، فقال له وائلة الهذلي: كذبت، واللّه لقد صحبت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأنت شر من حماري هذا، قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وأيم اللّه لا نقيم عليه. ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا، ورفعه اللّه عنهم، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو، فواللّه ما كرهه.

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، أخبرنا محمد بن عبد اللّه بن أخي سمي، حدَّثنا جعفر بن محمد بن نصير، حدَّثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدَّثنا الزبير بن بكار، وحدَّثنا يحيى بن المقداد، عن عمه موسى بن يعقوب، عن عمه يزيد بن عبد اللّه، قال: علق عمرو بن العاص بعمود خبائه سبعين سيفاً كلها ورثه عن كلالة عام طاعون عمواس، و لم يكن أحد يقول لأحد: كيف أصبحت ولا كيف أمسيت حين كثر فيهم الموت.

وقد ذكر الواقدي أن الرقة والرها وحران فتحت في هذه السنة على يدي عياض بن غنم، وأن عين وردة فتحت على يدي عمير بن سعد، وقد ذكرنا الخلاف في هذا فيما تقدم.

أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن عبد اللّه بن أحمد السمرقندي، قال: حدَّثنا أبو محمد بن عبد العزيز بن أحمد الكناني، حدَّثنا أبو الحسين عبد الوهاب بن جعفر بن علي بن جعفر الميداني، حدَّثنا أبو حفص محمد بن علي العتكي، قال: حدَّثني محمد بن الوراق حدَّثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان، قال: حدَّثني علي بن أبي عبد اللّه، ، عن الهيثم بن عدي، قال: افتتح غار بجبل لبنان فإذا فيه رجل مسجى على سرير من ذهب، وإلى جانبه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية: أنا سابا بن بوناس بن سابا، خدمت عيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرب الأكبر، وعشت بعده دهراً طويلًا، ورأيت عجباً كثيراً، فلم أر أعجب من غافل عن الموت وقد عاين مصارع آبائه، ووقف على قبور أحبائه، وعلم أنه صائر إلى الموت لا محالة، والذي بعد الموت من حساب الديان أعظم، ورد حق المظلومين أعظم من الموت حقّاَ، حفرت قبري هذا قبل أن أصل إليه بمائة وخمسين عاماً، ووضعت سريري هذا فيه أغدو وأروح، وقد علمت أن الحفاة الأجلاف الجاهلية يخرجوني من غاري هذا ويترلوني عن سريري وهم يومئذ مقرون بربوبية الديان الأعظم، وعند ذلك يتغير الزمان، ويتأمر الصبيان، ويكثر الحدثان، ويظهر البهتان، فمن أثرك ذلك الزمان عاش قليلاً، ومات ذليلاً، وبكى كثيراً، ولا بد مما هو كائن أن يكون، والعاقبة للمتقين، وقد رأيت الثلج والبرد في تموز مراراً، فإن رأيتم ذلك فلا تعجبوا.

ومن الحوادث في هذه السنة

أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب، فكتب أبو عبيدة إلى عمر، كتاباً وذكر فيه: إنا سألناهم فتأولوا، وقالوا: خيرنا فاخترنا، قال: "فهل أنتم منهون" المائدة 91. فكتب إليه عمر رضي اللّه عنه إن المراد فانتهوا. فادعهم، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة، فسألهم فقالوا: حرام، فجلدهم ثمانين ثمانين، فندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث، فحدثت الرمادة في هذه السنة. وذلك أن الناس أصابهم جدب وقحط وجوع شديد حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة، وكان الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وإنه لمعسر. فآلى عمر ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيى الناس، وإن غلاماً لعمر اشترى عكة من سمن ورطباً من لبن بأربعين، ثم أتى بهما عمر، فقال عمر رضي اللّه عنه: تصدق بهما فإني أكره أن آكل إسرافاً، كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسهم.

ومن الحوادث أن عمر رضي الله عنه استسقى للناس أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، حدثنا أحمد بن عبد اللّه، حدثنا السري بن يحيى، حدثنا سيف، عن سهل بن يوسف، عن عبد الرحمن بن كعب، قال: أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر رضي اللّه عنه، فقال: أنا رسول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إليك، يقول لك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : "لقد عهدتك كيساً، وما زلت على رِجْل فما شأنك؟ فقال: متى رأيت هذا؟ فقال: البارحة، فخرج فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فصلى بهم ركعتين، ثم قام، فقال: أيها الناس، أنشدكم باللّه هل تعلمون مني أمراً غيره خيرٌ منه؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإن بلال بن الحارث يزعم ذَيّة وذَيّة، فقالوا: صدق بلال، فاستغث الله تعالى والمسلمون، فقال عمر: اللّه أكبر، بلغ البلاء مدته فانكشف، ما أذن اللّه لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم البلاء، فكتب إلى أمراء الأمصار: أن أغيثوا أهل المدينة ومن حولها، وأخرج الناس إلى الاستسقاء، خرج وخرج معه بالعباس ماشياً، فخطب فأوجز، ثم صلى، ثم جثا لركبتيه، وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنّا. ثم انصرف، فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران.

وحدَّثنا سيف، عن محمد بن عبيد الله، قال: خرج عمر رضي اللّه عنه بالناس إلى الاستسقاء، وخرج بالعباس وبعبد اللّه، فخطب، وصلى بالناس ركعتين، فلما قضى صلاته تأخر حتى كان بين العباس وعبد اللّه، ثم أخذ بعضديهما، وقال: اللهم هذا عم نبيك نتقرب إليك به، فما بلغوا بيوتهم حتى خاضوا الماء، وإنه لبين العباس وعبد اللّه. وحدَّثنا سيف، عن ابن شبرمة، ومجالد، عن الشعبي، قال: صعد عمر رضي اللّه عنه المنبر سنة الاستسقاء بعدما صلى ركعتين تطوعاً بالناس، وقال: استغفروا ربكم، إنه كان غفاراً، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، ثم نزل و لم يذكر: اسقنا، فقالوا: لم لم تستسق يا أمير المؤمنين، فقال: لقد دعوت بمخارج السماء التي نسقى بها المطر الاستغفار.

ومن الحوادث أن عمر رضي اللّه عنه كتب في عام الرمادة إلى أمراء الأمصار يستمدهم

خبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، حدَّثنا أحمد بن عبد الله، حدَّثنا السري بن يحيى، حدَّثنا شعيب، حدثنا، سيف، عن أشياخه، قالوا: كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح في أربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فلما فرغ ورجع إلى

المدينة أمر له بأربعة آلاف درهم، فقال: لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين؟ إنما أردت اللّه وما قبله، فلا تدخل عليَ الدنيا، فقال: خذها فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه، فأبى، فقال: خذها فإني وقد وليت لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم مثل هذا فقال لي مثل ما قلت لك، فقلت له كما قلت لي فأعطاني. فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز، وأحيوا مع أول الحيا. وجاء كتاب عمرو بن العاص إلى عمر: إن البحر الشامي حفر لمبعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، حفيراً، فصب في بحر العرب، فسده الروم والقبط، فإن أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعر مصر، حفرت لهم نهراً وبنيت لهم قناطر، فكتب له عمر: أن افعل، وعجل ذلك، فقال له أهل مصر: خراجك زاج، وأمرك راض، وإن تم هذا انكسر الخراج، فكتب إلى عمر بذلك، فذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها. فكتب إليه عمر: اعمل فيه وعجل، أخرب اللّه خراج مصر في عمران المدينة وصلاحها، فعالجه عمرو وهو القلزم، وكان سعر المدينة كسعر مصر، و لم يزد مصر ذلك إلا رخاء. وكان عمر إذا بلغه عن ناحية من نواحي المسلمين غلاء حط نفسه على قدر ما يبلغه، ويقول: كيف يكونون مني على بال إذا لم يمسسني ما مسهم، وإنه غلظ على نفسه وأقبل على خبز الشعير فقرقر في بطنه يوماَ، فقال: هو ما ترى حتى يحيى أهل مدينة كذا.

ومن الحوادث في هذه السنة فتح جرجان وقد قيل: إنما سميت جرجان لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح. ولما قتل النعمان بن مقرن، ولى أخاه سويد بن مقرن، وكاتب ملك جرجان، ثم سار إليها ففتحها وصالحوه على أخذ الجزية منهم. ومن الناس من يقول: كان فتحها في سنة اثنتين وعشرين. وقال المدائني: إنما فتحت في زمان عثمان سنة ثلاثين.

وفيها فتح أذربيجان على يدي عتبة وكتب لهم كتاب أمان، وهذا في رواية سيف. وقال أبو معشر: كانت أذربيجان في سنة اثنتين وعشرين. وفي هذه الغزاة: بعث عتبة إلى عمر رضي اللّه عنه بخبيص أهداه إليه. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، حدَّثنا أحمد بن عبد اللّه، حدَثنا السري بن يحيى، حدَّثنا شعيب، حدّثنا سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس أو عامر، عن عتبة بن فرقد، قال: قدمت على عمر رضي الله عنه بسلال من خبيص، فشهدت غداه، فأتى بجفنة من ثريد، فأخذ وأخذنا، فجعلت أرى عليه الشيء أحسبه سناماً، فإذا لكته وجدته علياً، فأتطلب غفلته حتى أجعله بين الخوان والقصعة ففعلت ذلك مراراً، وكففت. ثم دعى بعس من عساس العرب فيه نبيذ شديد، فشرب ثم ناولني فلم أطقه، ثم قال: نأكل من هذا اللحم، ونشرب عليه من هذا النبيذ الشديد فيقطعه في بطوننا، إنا لننحر للمسلمين الجزور فنطعم المسلمين أطايبها، ويأكل عمر وآل عمر عنقها، فقلت له: إنك مشغول بحوائج المسلمين وقد أهديت لك طعاماً يعصمك ويقويك، قال: فاعرضه علي، قال: فأديت له تلك السلال وكشفت له عنها، فقال: أقسمت عليك، لما لم تدع أحداً من المسلمين إلا أهديت له مثل هذا، فقلت: يا أمير المؤمنين، واللّه لو جمع مال قيس بن عيلان ما وسع لذاك، فقال: ضم هديتك إليك، فإنه لا حاجة لي في شيء لا يشبع المسلمين.

وفي هذه السنة فتح طبرستان وقيل: إنه كان في سنة اثنتين وعشرين.

وفيها: استقضى عمر شريح بن الحارث الكندي على الكوفة. وعلى البصرة كعب بن سور الأزدي.

وفي هذه السنة حج عمر بالناس وكانت ولاته على الأمصار الولاة الذين كانوا في سبع عشرة. وفيها: حول عمر المقام في ذي الحجة إلى موضعه اليوم، وكان ملصقاً بالبيت قبل ذلك.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

قد ذكرنا أنه توفي في طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفاً، ونذكر من كبارهم من له خبر.

أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني: وقيل: هو أويس بن أنس، وقيل: أويس بن الخليص. كان من الزهد على غاية، كان يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويأكل بعضها ويتصدق ببعضها، وعرى حتى جلس في قوصره. أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا أبو علي بن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي قال: حدَّثني عبد اللّه بن عمر القواريري، قال: حدَّثنا معاذ بن هشام، قال: حدَثني أبي، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى عن أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه إذا أتت عليه أمداد أهل اليمن سألهم: هل فيكم أويس بن عامر بن مراد؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر بن مراد قال: نعم، قال: كان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم، قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فاستغفر لي. فاستغفر له، فقال عمر رضي اللّه عنه: أين تريد. قال: الكوفة فقال: ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصي بك، فقال: لأن أكون في غبراء الناس أحب إليِّ، قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر فسأله عن أويس كيف تركته. قال: تركته رث البيت، قليل المتاع، فقال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ، لو أقسم على اللّه لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل". فلما قدم الكوفة أتى أويساً، فقال: استغفر لي، فقال: أنت أحدث عهداً بِسَفْرٍ صالحٍ فاستغفر، لقيت عمر. قال: نعم، فاستغفر له. ففطن له الناس فانطلق على وجهه، قال أسير: وكسوته برداً، فكان إذا رآه إنسان عليه قال: من أين لأويس هذا البرد.

أخبرنا أحمد بن منصور الصوفي، أخبرنا المعتمر بن أحمد، أخبرنا أحمد بن محمد الثعالبي، أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان، حدَّثنا الحسين بن أحمد بن صدقة، حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة، حدَّثنا موسى بن إسماعيل، حدَّثنا حماد، عن الجريري، عن أسير بن جابر: أن أويساً القرني كان إذا حدث يقع حديثه في قلوبنا موقعاً لا يقع حديث غيره.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، أخبرنا حمد بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، حدَّثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن محمد، حدَثنا عبد اللّه بن عبد الكريم، حدَثنا سعيد بن أسد بن موسى، حدَّثنا ضمرة بن ربيعة، عن أصبغ بن زيد: قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح، وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل والثياب، ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، أخبرنا حمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، حدَّثنا أبو بكر بن مالك، حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، حدَّثنا زكريا بن يحيى بن حموية، حدَثنا الهيثم بن عدي، حدَّثنا عبد اللّه بن عمرو بن مرة، عن أبيه، ، عن عبد الله بن سلمة،

قال: غزونا أذربيجان زمان عمر بن الخطاب رضيِ اللّه عنه ومعنا أويس القرني، فلما رجعنا مرض علينا فحملنا فلم يستمسك فمات، فترلت فإذا قبر محفور، وماء مسكوب، وكفن وحنوط، فغسلناه، وكفناه، وصلينا عليه، فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلمنا قبره، فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر. وقد روي أنه عاش بعد ذلك طويلًا حتى قتل مع علي رضي الله عنه يوم صفين. والأول أثبت.

الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، أبو عبد الرحمن المخزومي القرشي: أمه أسماء بنت مخرمة. لم يزل مقيماً على كفره إلى يوم الفتح، فدخل على أم هانئ فأجارته، ثم لقي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأسلم، وشهد معه حنيناً، فأعطاه من غنائمها مائة من الإبل، ثم لم يزل مقيماً بمكة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما جاء كتاب أبي بكر يستنفر المسلمين إلى غزو الروم قدم المدينة، ثم خرج غازياً إلى الشام، فشهد فحل وأجنادين. وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: أنبأنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن الحداد، أخبرنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن ميمون الحافظ، أن الحاكم أبا أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الحافظ أخبره، أخبرنا أبو يوسف محمد بن سفيان الصفار، حدثنا سعيد بن رحمة بن نعيم الأصبحي، قال: سمعت ابن المبارك، عن الأسود بن شيبان السدوسي، عن أبي نوفل بن أبي عقرب، قال: خرج الحارث بن هشام من مكة فجزع أهل مكة جزعاً شديداً، فلم يبق أحد لِطعم إلا خرج يشيعه حتى إذا كان بأعلى البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك، فوقف ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأى جزع الناس، قال: يا أيها الناس، إني، واللّه ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم ولا اختيار بلد على بلدكم، ولكن كان الأمر، فخرجت فيه رجال من قريش، واللّه ما كانوا من ذوي أنساها ولا في بيوتاها، فأصبحنا ولو أن جبال مكة ذهب فأنفقناها في سبيل اللّه ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمسن أن نشاركهم في الآخرة، فاتقى اللّه امرؤ فتوجه غازياً إلى الشام، واتبعه ثقله، فأصيب شهيداً. وفي رواية: إنه مات في طاعون عمواس من هذه السنة.

سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، أبو زيد: كان من أشراف قومه ، والمنظور إليه منهم، شهد مع المشركين بدراً، فأسره مالك بن الدخشم، ثم انه أفلت، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه، وقال: "من وجده فليقتله" فوجده رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأمر به فربطت يده إلى عنقه، ثم قرنه إلى راحلته، فلم يركب حتى ورد المدينة، ثم قدم في فدائه مكرز بن حفص، فبذل أربعة آلاف، فقالوا: هات المال، قال: نعم، اجعلوني في مكانه رهناً حتى يرسل إليكم، فخلي سبيل سهيل، وحبسوا مكرزاً، فبعث سهيل بالمال. وسهيل هو الذي خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية، وكتب القضية على أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك العام، ويعود من قابل، فأقام على دينه إلى زمان الفتح .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه، قال: قال سهيل بن عمرو: لما دخل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة اقتحمت بيتي وغلقت عليّ بابي،

وأرسلت إلى ابني عبد الله وكان عبد اللّه قد أسلم وشهد بدراً: اطلب لي جواراً من محمد فإني لا آمن أن أقتل، فذهب عبد اللّهّ إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول اللّهّ، أبي تؤمنه؟ فقال: "نعم هو آمن بأمان الله عز وجل فليظهر". ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لمن حوله: "من لقي سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه، فلعمري أن سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل. جهل الإسلام "، فخرج عبد الله بن سهيل إلى أبيه فخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سهيل: كان والله براً صغيراً وكبيراً، فكان سهيل يقبل ويدبر آمنَا، وخرج إلى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة، فأعطاه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل. قال محمد بن عمر: حدَّثني ابن قماذين، قال: لم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة أكثر صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا أقبل على ما يعينه من أمر الآخرة من سهيل بن عمرو، حتى إن كان لقد شحب وتغير لونه، وكان يكثر البكاء رقيقاً عند سماع القرآن. ولقد رؤي يختلف إلى معاذ بن جبل يقرئه القرآن، وهو بمكة حتى خرج معاذ من مكة، وحتى قال له ضرار بن الخطاب: يا أبا يزيد، يختلف إليّ هذا الخزرجي يقرئك القرآن، ألا يكون اختلافك إلى رجل من قومك، فقال: يا ضرار، إن هذا الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كل السبق، إني لعمري أختلف إليه، فقد وضع الإسلام أمر الجاهلية، ورفع أقواماً بالإسلام كانوا في الجاهلية كانوا لا يذكرون، فليتنا كنا، مع أولئك فتقدمنا وإني لأذكر ما قسم اللّه لي في تقدم إسلام أهل بيتي الرجال والنساء ومولاي عمير بن عوف فأسر به وأحمد اللّه عليه، وأرجو أن يكون اللّه ينفعني بدعائهم أن لا أكون مت أو قتلت على ما مات نظرائي أو قتلوا، قد شهدت مواطن كلها أنا فيها معاند للحق: يوم بدر، ويوم أحد، والخندق. وأنا وليت أمر الكتاب يوم الحديبية، يا ضرار إني لأذكر مراجعتي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يومئذ، وما كنت ألظ به من الباطل، فأستحي من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأنا بمكة وهو بالمدينة، ولكن ما كان فينا من الشرك أعظم من ذلك. ولقد رأيتني يوم بدر وأنا في حيز المشركين وأنا أنظر إلى ابني عبد الله ومولاي عمير بن عوف قد فرّا مني فصارا في حيز محمد صلى الله عليه وسلم، وما عمي علي يومئذ من الحق لما أنا فيه من الجهالة، وما أرادهما اللّه به من الخير، ثم قتل ابني عبد اللّهّ بن سهيل يوم اليمامة شهيداً، فعزاني أبو بكر رضي اللّه عنه وقال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "إن الشهيد ليشفع لسبعين، من أهل بيته "، فأنا أرجوأن أكون أول من يشفع له. قال محمد بن عمر: وأخبرنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، عن زياد بن مينا، عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري، قال: اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو إلى الشام ليالي أغزانا أبو بكر الصديق، فسمعت سهيلاً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير من عمله عمره في أهله "، قال سهيل: وأنا أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة أبداً. فلم يزل بالشام حتى مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، أخبرنا أبو علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن حمدان، حدَثنا عبد اللّه بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، حدَّثنا عفان، حدَّثنا جرير بن حازم، قال: سمعت، الحسن قال: حضر باب عمر بن الخطاب سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وأبو سفيان بن

حرب، ونفر من تلك الرؤوس، وصهيب، وبلال، وتلك الموالي الذين شهدوا بدراً، فخرج أذن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فأذن لهم وترك هؤلاء، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا، فقال سهيل بن عمرو وكان رجلًا عاقَلًا: أيها القوم إني واللّه قد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم، أما واللّه لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا ترون أشد عليكم قوتَاَ من بابكم هذا

الذي تنافسونهم عليه. قال: ونفض ثوبه وانطلق. قال الحسن: وصدق واللّه سهيل، لا يجعل اللّه عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

شرحبيل بن حسنة: وهي أمه، وهو ابن عبد اللّه بن المطاع بن عمرو، ويكنى أبا عبد اللّه: هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات، وهو أحد الأمراء الذين عقد لهم أبو بكر الصديق إلى الشام، وتوفي في هذه السنة بالشام وهو ابن سبع وستين سنة.

عامر بن عبد اللّه بن الجراح، أبو عبيدة الفهري: منسوب إلى فهر قريش، وكذلك حبيب بن مسلمة الفهري، وقد ينسب قوم إلى فهر الأنصار، منهم عبادة، وأوس ابنا الصامت. كان أبو عبيدة نحيف البدن، معروق الوجه، خفيف اللحية طوالاً، أحنى أثرم الثنيتين. أسلم قبل دخول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة في بعض الروايات، ثم إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً، وثبت يومئذ مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين انهزم الناس، وبعثه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سرية في ثلاثمائة وبضعة عشر، وألقى لهم البحر حوتاً يقال له العنبر، فأكلوا منه. وأقام ضلعاً من أضلاعه، ورحَل بعيرٌ بأجازه تحته.

وقدم أهل اليمن على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يبعث معهم رجلًا يعلمهم السنة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة وقال: هذا أمين هذه الأمة. أخبرنا ابن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَثني إسحاق بن يحيى، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، قالت: سمعت أبا بكر رضي اللّه عنه يقول: لما كان يوم أحد ورمي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في وجهه حتى دخلت في وجنته حلقتان من المغفر، فأقبلت أسعى إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وإنسان قد أقبل يطير طيراناً، فقلت: اللهم اجعله طلحة حتى توافينا إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فإذا أبو عبيدة بن الجراح بدرني فقال: أسألك باللّه يا أبا بكر ألا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتركته فأخذ بثنيته أحد حلقتي المغفر فترعها فسقط على ظهره، وسقطت ثنية أبي عبيدة. ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى، فسقطت فكان أبو عبيدة في الناس أثرم. توفي أبو عبيدة في طاعون عمواس، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

العاص بن سهيل بن عمرو، ويكنى أبا جندل: أسلم قديماً بمكة فقيده أبوه، فلما نزل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الحديبية أقبل يرسف في قيده، فقال سهيل: هذا أول ما أقاضيك عليه، فرده فأفلت ومضى إلى أبي بصير بالعيص، فكانوا يتعرضون عير قريش، فمات أبو بصير، فقدم أبو جندل فلم يغز مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى توفي ثم خرج إلى الشام فجاهد فتوفي في طاعون عمواس.

عتبة بن مسعود بن حبيب، أخو عبد اللّه بن مسعود لأبيه وأمه: وكان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثم قدم فشهد أحداً والمشاهد بعدها، ومات في خلافة عمر، وصلى عليه.

عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن حطمة، وهو عمير القاري: وكان قديم الإسلام ضرير البصر، وكانت عصماء بنت مروان تؤذي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه وتعيب الإسلام وتقول في ذلك الشعر، فلما غاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ببدر نذر عمير إن اللّه رَدَّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سالماً أن يقتل عصماء، فلما رجع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من بدر أتاها عمير في جوف الليل فقتلها، ثم أتى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "لا ينتطح فيها عتزان ". وكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ثم لم قال: إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر اللّه ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي ". وكان عمير يؤذن لقومه.

الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو محمد: أمه أم الفضل، وهي لبابة الكبرى، وهو أسن ولد العباس، غزا مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة وحنيناً وثبت معه يومئذ حين انهزم الناس فيمن ثبت معه من أهل بيته، وشهد معه حجة الوداع، وأردفه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وراءه وكان من جملة من حضر غسل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وتولى دفنه، ثم خرج بعد ذلك إلى الشام مجاهداً، فمات في ناحية الأردن في هذه السنة.

عدي بن أبي الزغباء واسم أبي الزغباء سنان بن سُبيع: بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع بَسْبَس بن عمرو الجُهَني طليعة يتجسسان خبر العير، فوردا بدراً فوجدا العير قد مرت وفاتتهما فرجعا فأخبرا النبي صلى الله عليه وسلم. وشهد عدي بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وليس له عقب.

عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان، يكنى أبا عبد الرحمن : ويروى أنه كان في الثمانية الذين لقوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من الأنصار بمكة فأسلموا. وشهد العقبتين، وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة .

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب، أبو عبد الرحمن: كان طولاً أبيض حسن الثغر، براق الثنايا، عظيم العينين، مجموع الحاجبين، جعداً قططاً. شهد العقبة مع السبعين. وآخى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بينه وبين ابن مسعود، وشهد بدراً وهو ابن عشرين سنة، أو إحدى وعشرين، وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وشيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاه بحسن الخلق، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على اليمن، ولما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل فأخذه الطاعون، فجعل يقول وهو يغمى عليه: وعزتك إنك لتعلم أني أحبك جزعني ما أردت.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَّثنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا عبيد اللّه بن موسى عن شيبان، عن الأعمش، عن شهر بن حوشب، ، عن الحارث بن عميرة، قال: إني لجالس عند معاذ وهو يموت فهو يغمى عليه مرة، ويفيق مرة، فسمعته يقول عند إفاقته: اخنُق خَنِقَك، فوعزتك إني أحبك.

قال ابن سعد: وأخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، قال: سمعت، شهر بن حوشب يقول: قال عمر بن الخطاب: لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته فسألني عنه ربي لقلت: رب سمعت نبيك يقول: "إن العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم قَذْفَةَ حَجَر".

أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الأنماطي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي، أخبرنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم، حدَّثنا الهيثم بن علي، حدَّثنا محمد بن راشد الخزاعي، عن محفوظ بن علقمة، عن أبيه: أن معاذا كان يأكل تفاحاً ومعه امرأة له وغلام، فأكلت امرأته نصف تفاحة ثم ناولت الغلام نصفها، فأوجعها ضرباً. ورأى امرأته تطلع من كوة فأوجعها ضرباً. توفي معاذ في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. وقيل: ثلاث وثلاثين سنة.

محلم بن جثامة بن قيس: أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدَّثنا ابن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَثنا يزيد بن قسيط، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبي حدرد الأسلمي عن أبيه، قال: لما وجهنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مع أبي قتادة الأنصاري إلى بطن أطم، فبينا نحن ننظر أطم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلمِ علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله وسلبه بعيره ومتاعاَ ووطياً من لبن، فلما لحقنا النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيه القرآن: "يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللّه فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً" النساء: 94.

قال محمد بن عمر : وحدَّثنا غير عبد الله بن يزيد، قال: لما كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بحنين صلى يوماً الظهر ثم تنحى إلى شجرة فقام إليه عيينة بن بدر وهو سيد قيص يطلب دم عامر بن الأضبط، فقام الأقرع بن حابس يدفع عن محلم لمكان خندف، فاختصما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يأخذ الدية". فأبى عيينة، فلم يزل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى قبلوها، فقال الناس لمحلم: إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك، فقام وعليه حُلّة قد تهيأ فيها للقصاص حتى جلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان، فقال: يا رسول اللّه، قد كان من الأمر ما بلغك، وإني أتوب إلى اللّه فاستغفر لي، فقال: ما اسمك. قال: محلم بن جثامة، قال: قتلته بسلاحك في غيرة الإسلام، اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة، بصوت عال أنفذ به الناس، فعاد فقال: قد كان الذي بلغك، وإني أتوب إلى اللّه فاستغفر لي، فعاد النبي صلى الله عليه وسلم بصوت عال: "اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة" ثلاثَاَ. فقام من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى دموعه بفضل ردائه. فقال ضمرة الأسلمي: كنا نتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرك شفتيه بالاستغفار، ولكنه أراد أن يعلم الناس قدر الدم عند الله، وكان ضمرة قد شهد ذلك اليوم. وقال الحسن البصري: لما مات محلم بن جثامة لفظته الأرض بعد دفنه، ثم دفنوه فلفظته الأرض، فطرحوه فأكلته السباع. وقال الحسن: إنها لتقبل ممن هو شر منه، ولكن اللّه أحب أن يريكم. قال الواقدي: نزل محلم حمص وتوفي بها.

ثم دخلت سنة تسع عشرة

فمن الحوادث فيها وقعة نهاوند قال ابن إسحاق: كانت في سنة إحدى وعشرين، وقال غيره: في سنة ثماني وكان من حديث نهاوند أن النعمان بن مقرن كتب إلى عمر يخبره أن سعد بن

أبي وقاص استعمله على جباية الخراج وأنه قد أحب الجهاد، فكتب عمر إلى سعد. ابعث به إلى نهاوند، ثم كتب عمر إلى النعمان: أما بعد، فقد بلغني أن جموعاً كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله وبنصر الله، بمن معك من المسلمين. كذا في رواية. وأصح من هذا ما أخبرنا به أبو محمد يحيى بن علي المدبر، أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن المأمون، قال: أخبرنا علي بن عمر الدارقطني، قال: قرىء على أبي محمد يحيى بن محمد بن صاعد وأنا أسمع: حدثكم يعقوب بن إبراهيم، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن علقمة بن عبد اللّه المزني، عن معقل بن يسار: أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه شاور الهرمزان، فقال: ما ترى؟ أن أبدأ بفارس أو بأذربيجان أو بأصبهان. قال: إن فارس وأذربيجان الجناحان، والرأس أصبهان، فإن قطعت أحد الجناحين يأتي الرأس بالجناح الآخر، وإن قطعت الرأس وقع

الجناحان، فأبدأ بالرأس أصبهان. فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلي، فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال: إني أريد أن أستعملك، قال: أما جابياً فلا، ولكن غازياً، قال: وأنت غازٍ . فوجهه إلى أصبهان، وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه. فأتاهم العدو وبينه وبينهم النهر، فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة فأتاهم، فقيل لملكهم وكان يقال له ذو الجناحين : إن رسول العرب على الباب، فشاور أصحابه، فقال: ما ترون. أقعد له في بهجة الملك، وهيئة الملك أو أقعد له في، هيئة الحرب؟ فقالوا أقعد له في هيئة الملك، فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه، وقعد أبناء الملوك نحو السماطين، عليهم القرط وأسورة الذهب وثياب الديباج، ثم أذن له، فدخل ومعه رمحه وفرسه، فجعل يطعن برمحه في بسطهم ليتطيروا، وقد أخذ بضبعيه رجلان، فقام بين يديه؟ فتكلم ملكهم فقال: إنكم معشر العرب أصابتكم مجاعة وجهد فإن شئتم أمرناكم ورجعتم، فتكلم المغيرة فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنا معشر العرب كنا نأكل الجيف والميتة، ويطأونا الناس ولا نطأوهم، وأن اللّه ابتعث منا نبياً صلى الله عليه وسلم كان أوسطنا نسباً، وأصدقنا حديثاً فذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما هو أهله وأنه وعدنا أشياء وجدناها كما قال، وانلا وعدنا فيما وعدنا أنَّا سنظهر عليكم ونغلب على ما ها هنا، وأني أرى عليكم بزة وهيئة، وما أرى من خلفي يذهبون حتى يصيبوها، قال: ثم قالت لي نفسي: لو جمعت جراميزك فوثبت وثبة فقعدت جمع العلج على سريره حتى يتطير. قال: فوجدت غفلة، فوثبت، فإذا أنا معه على سريره. قال: فأخذوه فجعلوا يتوجأونه ويطأونه بأرجلهم، قال: قلت: هكذا تفعلون بالرسل، إنا لا نفعل هذا برسلكم، إن كنت أسأت أو أخطأت فإن الرسل لا يفعل بهم هذا، قال الملك: إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئتم قطعنا إليكم. قال: قلت: بل نقطع إليكم، فقطعنا إليهم، فتسلسلوا كل عشرة في سلسلة، وكل خمسة، وكل ثلاثة، قال: فصاففناهم، فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال يعني النعمان: إني هازٌ لوائي ثلاث هزات، فأما الهزة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شِسعه فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد، فإن قتل النعمان فلا يلوين عليه أحد، وإني داع اللّه بدعوة، فعزمت على كل أمرىء منكم لما أمَّنَ عليها، اللهم اعط النعمان اليوم الشهادة في نصر المسلمين، وفتح عليهم، فهز لواؤه أول مرة، ثم هزه الثانية، ثم هزه الثالثة، ثم تمثل درعه، ثم حمل فكان أول صريع رحمه الله. قال معقل: فأتيت عليه فذكرت عزيمته، فجعلته علماً، ثم ذهبت، فكنا إذا قتلنا

رجلاً شغل عنا أصحابه، ووقع ذو الجناحين عن بغلته فانشق بطنه. قال: فهزمهم اللّه. ثم جئت إلى النعمان ومعي إداوة فيها ماء، فغسلت عن وجهه، فقال: من أنت؟ قال: قلت: معقل بن يسار، فقال: ما فعل الناس؟ قلت: فتح اللّه عليهم، قال: الحمد للّه، اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضتَ نفسه رحمه اللّه. قال: واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس، وفيهم ابن عمر وابن الزبير أو الزبير وعمرو بن معدي كرب وحذيفة، فبعثوا إلى أم ولده، فقالوا: ما عهد إليك عهداً، فقالت: ها هنا سفط فيه كتاب، فأخذوه، وكان فيه: فإن قتل النعمان ففلان فإن قتل فلان ففلان. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل، قالا: أخبرنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، قال: حدَّثنا السري، قال: حدَّثنا شعيب، قال: حدَّثنا سيف، عن محمد، وطلحة، وعمرو، وسعيد، قالوا: كان سبب نهاوند في زمان سعد بن أبي وقاص، واجتماع الأعاجم إليها خروج، بعوث المسلمين نحوهم، وكانت الوقعة مع عزله، وقد أقر عمر رضي اللّه عنه على الكوفة خليفته عبد اللّه بن عتبان، وكانت الوقعة والفتح في إمارة عبد الله، وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزدجرد الملك، فتوافوا إلى نهاوند، فتوافى إليها من بين خراسان إلى حلوان ومن بين الباب إلى حلوان، ومن بين سجستان إلى حلوان، فاجتمعت حَلْبة فارس والفَهْلوج أهل الجبال من، بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل؟ ومن بين

خراسان إلى حلوان ستون ألف مقاتل، ومن بين سجستان إلى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل واجتمعوا على الفيرزان. قالوا: إن عمر قد تناولكم وأتى أهل فارس في عقر دارهم، وهو آتيكم إن لم تأتوه، وقد أخرب بيت مملكتكم، وليس بمنتبه إلا أن تخرجوا من في بلادكم من جنوده، وتقلعوا هذين المِصْرين، ثم تشغلوه في بلاده وقراره، فتعاهدوا على ذلك وكتبوا بينهم كتاباً. فكتب عبد اللّه إلى عمر أنه قد اجتمع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل، ، فإن جاءونا قبل أن نبدأهم ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلناهم كان ذلك لنا. وقدم بالكتاب قريب بن ظفر العبدي، فقال له عمر: ما أسمك؟ قال: قريب، قال: ابن من. قال: ابن ظفر، فتفاءل بذلك وقال: ظفر قريب إن شاء اللّه، ولا قوة إلا بالله، ونودي في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، ووافاه سعد فتفاءل بمجيء سعد، ثم قام عمر خطيباً، وأخبر الناس الخبر واستشارهم، وآل الأمر إلى أن ولى النعمان بن مقرن. فلما التقوا سار في الناس، فجعل يقف على كل راية، فيحمد اللّه ويثني عليه ويقول: قد علمتم ما أعزكم اللّه به من هذا الذين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هَوادِيَ ما وعدكم وإنما بقيت أعجازه وأكارعه، واللّه منجز وعده، ولا يكونن على دنياهم أحق منكم على دينكم، وإنكم تنتظرون إحدى الحسنيين: من بين شهيد حيّ مرزوقَ، أو فتح قريب، فاستعدوا، فإني مكبر ثلاثاً، فإذا كبرت التكبيرة الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ، فإذا كبرت الثانية فليشد سلاحه وليتأهب للنهوض فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معاً، اللهم أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد. فلما كبر وحمل حمل الناس، فاقتتلوا قتالاً لم يسمع السامعون بمثله، فزلق فرس النعمان به في الدماء فصرعه، وأصيب النعمان حينئذ، فتناول الراية منه نعيم بن مقرن، وسجى النعمان بثوب، وأتى حذيفة فأقام اللواء، وقال المغيرة: اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع اللّه فينا وفيهم لكيلا يَهِنَ الناس، فاقتتلوا حتى إذا أظلم الليل، انكشف المشركون، والمسلمون ملظُّون بهم، فتهافتوا في الحفر الذي نزلوا دونه، فمات منهم مائة ألف أو يزيدون، سوى من قتل في المعركة، ولم يفلت إلا الشَريد، ونجا الفيرزان، فهرب نحو همذان، فأتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع قدامه، فأدركه حتى انتهى إلى ثنية همذان، والثنية مشحونة بين بغال وحمير موقرة عسلاً، فحبسته الدواب على أجَله، فقتله على الثنية. وقال المسلمون: إن للّه جنوداً من عسل، واستاقوا العسل، ومضى الفُلال حتى انتهوا إلى همذان والخيل في آثارهم، فدخلوها، فترل المسلمون عليهم، وحووا ما حولها، فلما رأى ذلك خُسْرَوْشُنُوم استأمنهم. على أن يضمن لهم همذان ودَسْتَبي. ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتووا ما فيها وما حولها. فبينما هم

يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمذان، أقبل الهربذ على أمان، فقال لحذيفة: أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم؟ قال: نعم، قال: إن النَخيْرَجان وضع عندي ذخيرة لكسرى، فأنا مخرجها لك على أماني وأمان من شئت، فأعطاه ذلك، فأخرج له جوهر كسرى كان، أعده لنوائب الزمان، فنظروا في ذلك فأجمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر وجعله له، فبعثوا به. وقسم حذيفة بين المسلمين غنائمهم، فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين. وكان عمر يتململ في الليالي التي قدر أنهم يلتقون فيها، فبينا رجل من المسلمين قد دخل المدينة ليلاً لحق به راكب، فقال: يا عبد اللّه، من أين أقبلت؟ قال: من نهاوند، قال: ما الخبر. قال: الخبر خير، فتح اللّه على النعمان، واستشهد، وقسم المسلمون الفيء فأصاب الفارس ستة آلاف، فدخل الرجل، فأصبح يتحدث، فبلغ عمر الخبر، فأرسل إليه يسأله، فأخبره، فقال: صدقت هذا بريد الجن ثم جاء الخبر والأخماس والذخيرة فرد الذخيرة إلى حذيفة، وقال: أقسمها على ما أفاءها الله عليه. قال المصنف: وقد روي لنا فتح نهاوند من طريق آخر: أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، قال:

أخبرنا أبو الفتح عبد الكريم بن محمد بن أحمد المحاملي، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: حدَّثنا شعيب بن أيوب، قال: حدَّثنا أبو يحيى الحماني، قال: حدَّثنا أبو بكر الهذلي، عن الحسن، قال: كانت عظماء الأعاجم من أهل قومس وأهل الري وأهل همذان وأهل نهاوند قد تكاتبوا وتعاهدوا على أن يخرجوا العرب من بلادهم ويغزوهم، فبلغ ذلك أهل الكوفة ففزعوا فيه إلى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، فلما قدموا عليه نادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، ثم صعد المنبر، فقال: أيها الناس، إن الشيطان قد جمع جموعاً، فأقبل بها ليطفئوا نور اللّه، ألا إن أهل قومس وأهل الري وأهل همذان وأهل نهاوند قد تعاهدوا على أن يخرجوا العرب من بلادهم، ويغزوكم في بلادكم فأشيروا عليّ. فقام طلحة فقال: أنت ولي هذا الأمر، وقد أحكمت التجارب، فادعنا نجب ومرنا نطع، فأنت مبارك الأمر ميمون النقيبة، ثم جلس. فقال عمر: تكلموا، فقام عثمان فقال: أرى أن تكتب إلى أهل الشام فيسيرون من شأمهم، ولَكتب إلى أهل اليمن فيسيرون من يمنهم، وتسير أنت بنفسك من هذين الحرمين إلى هذين المصرين، من أهل الكوفة والبصرة، فتلقى جموع المشركين في جموع المسلمين. ثم قام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه فقال: إنك إن أشخصت أهل الشام سارت الروم إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت أهل اليمن سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك متى شخصت من هذين الحرمين انتقضت عليك الأرض من أقطارها حتى تكون ما تخلف خلفك من العورات أهم إليك مما بين يديك، ولكن أرى أن تكتب إلى أهل البصرة فيفترقون ففرقة تقيم في أهاليها، وفرقة يسيرون إلى إخوانهم بالكوفة، واما ما ذكرت من كثرة القوم فإنا لم نكن نقاتلهم فيما خلا بالكثرة ولكنا نقاتلهم بالنصر. فقال عمر رضي اللّه عنه: صدقت يا أبا الحسن، هذا رأي ولئن شخصت من البلدة، لتنقضن عليّ الأرض من أقطارها، وليمدنهم من لم يكن يمدهم، فأشيروا عليّ برجل أوليه ذلك الثغر، قالوا: أنت أفضلنا رأيا، قال: أشيروا عليّ به، واجعلوه عراقياً، قالوا: أنت أعلم بأهل العراق، قال: لأولّينّ ذلك الثغر رجلاً يكون قتيلاً في أول سنة، قالوا: ومن هو؟ قال: النعمان بن مقرن ثم كتب إلى أهل البصرة بما أشار به علي رضي اللّه عنه، ثم كتب إلى أهل الكوفة إني استعملت عليكم النعمان بن مقرن المزني، فإن قتل فعليكم حذيفة بن اليمان، فإن قتل عليكم جرير بن عبد الله البجلي، فإن قتل فعليكم المغيرة بن شعبة، فإن قتل فعليكم الأشعث بن قيس. وكتب إلى النعمان: أما بعد، فإن معك في جندك عمرو بن معدي كرب المذحجي، وطليحة بن خويلد الأسدي، فاحضرهما الناس، وشاورهما في الحرب، ولا توهلما عملاً، ثم دعا السائب بن الأقرع، فدفع إليه الكتاب وقال: انطلق فاقرأ كتابي على الناس، وانظر ذلك الجيش، فإن اللّه أعزهم ونصرهم كنت أنت الذي تلي مغانمهم ومقاسمهم، ولا ترفعن إليّ باطلاً، ولا تنقص أحداً شيئاً هو له، وإن ذلك الجيش ذهب فاذهب في الأرض، ولا أراك بواحدة من عيني ما بقيت أبداً، فسار السائب حتى قدم الكوفة، وبعث إلى أهل البصرة بكتابهم، ففعلوا ما أراد، وسار الناس وأقبلت الأعاجم بمجموعها حتى نزلوا نهاوند، وسار النعمان بن مقرن بالناس حتى إذا كان ببعض الطريق بعث بكير بن شداخ الليثي وطليحة بن خويلد الأسدي، فأما بكير فرجع، فقيل له: ما وراءك؟ قال: أرض الأعاجم وأنا بها جاهل، فخشيت أن يؤخذ عليّ بمضايق الجبال، ونفذ طليحة حتى علم الخبر، وسار الناس حتى نزلوا نهاوند، فأقاموا ثلاثة أيام ولياليهن، فاجمعوا أنفسهم ودوابهم، ثم غدوا يوم الأربعاء في الحديد فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتلى في الفريقين والجراحات حتى حجز بينهم الليل، فرجع الفريقان إلى معسكرهم، فبات المسلمون يعصبون بالخرق، وتوقد لهم النيران، وبات المشركون في المعازف والخمور حتى أصبحوا، ثم غدوا يوم الخميس على البراذين وأقبية الديباج والسيوف المحلاة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتلى في الفريقين والجراحات، وحجز بينهم الليل فرجع الفريقان إلى معسكرهم، فبات المسلمون يعصبون وتوقد لهم النيران، وبات

المشركون في المعازف والخمور. ثم غدوا يوم الجمعة فركب النعمان بن مقرن وكان رجلاً قصيراً آدم فرساً أبيض، وعليه قباء أبيض

وعمامة بيضاء، ورفعت الرايات، ثم قال: أيهما الناس، إنكم باب بين العرب والعجم، فإن كسر ذلك الباب دخل على المسلمين من ذلك أمر عظيم، فليشغل كل رجل منكم قرينه، ألا إني أهز الراية هزة فليتعاهد الرجل حزامه وسلاحه، ثم إني هاز الثانية فلينظر الرجل إلى مصوب رمحه وموضع سلاحه ووجه مقاتله، ثم إني هاز الثالثة فمكبر فكبروا، وحامل فاحملوا، ومستنصر الله برحمته فاستنصروا اللّه، فقال رجل: قد فهمنا ما أمرت أيها الأمير، ونحن واقفون عند رأيك، ومنتهون إلى أمرك، وأي النهار تريد، أوله أم آخره. فقال: لا أريد أوله ولكن أريد آخره، فإن فيه تهب الرياح ويترل النصر من السماء لمواقيت الصلاة، فلما زالت الشمس هز الراية فتعاهد الناس حزم ثوابهم وخيولهم، ثم مكث حتى مالت الشمس عن كبد السماء هزها الثانية وصلى بالناس ركعتين خفيفتين، ثم وثب الرجال على متون الخيل، فوضع كل رجل رمحه بين أذني فرسه، وشدت الرجال مناطقها وأقبيتها على ظهورها وحسروا عن شمائلهم وأخذوا السيوف بأيمانهم، ثم كبر الثالثة وهز الراية ثم صوبها كأنها جناح طائر، ثم حمل وحمل المسلمون، فكان النعمان أول قتيل، وأتى عليه أخوه وهو قتيل، فطرح عليه ثوبه لئلا يعرف، ورفع الراية فإذا هي تنضح بالدماء، وهزم الله العدو، واتبعهم المسلمون، فأتى السائب بن الأقرع بالغنائم مثل الأكام، ثم

أتاه دهقان، فقال له: أنت السائب بن الأقرع. قال: نعم، قال: أنت صاحب غنائم العرب. قال: نعم، قال: فهل لك أن تؤمنني على دمي وعلى دم ذوي قرابتي وأدلك على كتر النخَيْرَجان. قال: ويحك إنك تسألني الأمان على دماء قوم لا أدري لعلهم يكونون أمة كثيرة ولا أدري ما كترك، قال: هو كتر النخيرجان، أنه كان له امرأة ينتابها العالم، وان كسرى كان يختلف إليها يزورها ومعه وصائف عليهن المناطق المفضضة وأقبية الديباج، وكان لكسرى تاج ياقوت، وذلك التاج والحليّ مدفون لم يطلع عليه غيري، فانطلق حتى أدلك عليه ليكون لعمر لا حق فيه لأحد لأنه دفن دفنوه و لم يجلبوا عليه في الحرب، فأخذ السائب المعول ثم خرج، فانطلق بهم حتى أدخلهم قلعة، فإذا هم بصخرة، فقال: اقلعوها فقلعوها فإذا تحتها سفطان ففتحهما، فرأى فيهما السائب شيئاً لم ير مثله، وخواتيم من ذهب. قال السائب: فكتمته الناس، وأسرعت به السير إلى عمر حتى قدمت به عليه، فلما راني ناداني من بعيد: ويحك ما وراءك، فوالله ما بت هذه الليلة، وما أتت ليلة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أعظم عليَّ منها. قال السائب: فقلت: أبشر بفتح الله ونصره، التقينا بنهاوند وقص عليه القصة إلى قتل النعمان. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، يرحم الله النعمان، يرحم الله النعمان، قلت: يا أمير المؤمنين: ما قتل بعده رجل فعرف وجهه، فقال: هؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفهم عمر، وما معرفة عمر، وما معرفة عمر لكن الله يعرفهم، الذي رزقهم الشهادة، وساقهم إليها فهو خير لهم من معرفة عمر، ثم وضع يده على صدره، فبكى طويلاً ثم أقبل إليّ، فقال: أعطيت ابشارهم أم دفنتموهم، فقلت: لا بل دفناهم، ثم قام عمر فأخذت بثوبه فقلت. إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ فجلس فأريته ذلك، وأخبرته خبر الدهقان فدعا علياً، وابن مسعود، وعبد اللّه بن أرقم صاحب الخزانة، فقال: ضعوا على هذه خواتيمكم، ووضع خاتمه ثم قال لعبد اللّه بن أرقم: ارفع هذا عندك، ثم انصرف السائب حتى قدم الكوفة، فأتاه بريد عمر يدعوه، مستعجلًا، فأتاه، فلما رآه ناداه قبل أن يصل إليه: أخبرني خبر السفطين، فقال: واللّه لئن رددت عليك حديثهما فزدت حرفَاَ أو نقصت حرفاً لأكذبتك، قال: ويحك، إنه لما فارقتني وأخذت مضجعي من الليل لمنامي أتاني ملائكة فأوقدوا سفطيك على جمرة، ثم جعلوا يدفعونها في نحري، وأنا أنكب وأعاهد اللّه لأردنهما

على ما أفاء الله عليه، وكاد ابن الخطاب يحترق بالنار، فانطلق بهذين السفطين فضعهما في مسجد الكوفة، فإن وجدت بهما عطاء المقاتلة والذرية فبعهما واقسمهما على ما أفاء الله عليه، فإن لم تجد بهما إلا نصف عطاء المقاتلة والذرية فبعهما. فوضعتهما في مسجد الكوفة، فمر بنا عمرو بن حريث فاشتراهما بعطاء المقاتلة والذرية، فباع أحد السفطين من أهل الحيرة، ثم اشتراهما به، وبقي الآخر ربحاً، وكان أول قريش عقد بالكوفة مالاً. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: حدَّثنا أبو طاهر أحمد بن الحسين بن أحمد، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، قال: أخبرنا دعلج بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن علي بن زيد الصائغ، قال: حدَثنا سعد بن منصور، قال: حدَّثنا شهر بن حوشب، عن الحجاج بن دينار، عن منصور بن المعتمر، قال: حدَثني شقيق بن سلمة الأسدي، عن الرسول الذي جرى بين عمر وسلمة بن قيس الأشجعي، قال: ندب عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه الناس مع سلمة بن قيس الأشجعي بالحرة إلى بعض أهل فارس، فقال: انطلقوا بسم الله وفي سبيل اللّه تقاتلون من كفر باللّه، لا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا صبياً ولا شيخاً هرماً، وإذا انتهيت إلى القوم فادعهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فاقبل منهم واعلمهم أنه لا نصيب لهم في الفيء، فإن أبوا فادعهم إلى الجزية، فإن قبلوا فضع عليهم بقدر طاقتهم، وضع فيهم جيشاً يقاتل من وراءهم، وخلهم وما وضعته عليهم، فإن أبوا فقاتلهم، وإن دعوكم إلى أن تعطوهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعطوهم ذمة الله ولا ذمة محمد، ولكن اعطوهم ذمة أنفسكم ثم وفوا لهم فإن أبوا عليكم فقاتلوهم، فإن اللّه ناصركم عليهم. فلما قدمنا البلاد دعوناهم إلى كل ما أمرنا به، فأبوا، فلما مسهم الحصر نادوا: أعطونا ذمة اللّه وذمة

محمد، فقلنا: لا، ولكن نعطيكم ذمة أنفسنا ثم نفي لكم، فأبوا فقاتلناهم فأصيب رجل من المسلمين، ثم إن اللّه فتح علينا فملأ المسلمون أيديهم من متاع ورقيق ورقة ما شاءوا، ثم إن سلمة بن قيس أمير القوم دخل، فجعل يتخطى بيوت نارهم، فإذا سفطين معلقين بأعلى البيت، فقال: ما هذان السفطان، فقالوا: شيء كانت تعظم بها الملوك بيوت نارهم، قال: اهبطوهما إلي، فإذا عليهما طوابع الملوك بعد الملوك، قال: ما أحسبهم طبعوا إلا على أمر نفيس، علي بالمسلمين، فلما جاءوا أخبرهم خبر السفطين، فقال: أردت أن أفضهما بمحضر منكم، ففضهما فإذ هما مملوءان جوهراً لم ير مثله أو قال: لم أر مثله- فأقبل بوجهه على المسلمين، فقال: يا معشر المسلمين قد علمتم ما أبلاكم اللّه في وجهكم هذا، فهل لكم أن تطيبوا بهذين السفطين أنفساً لأمير المؤمنين لحوائجه وأموره وما ينتابه، فأجابوه بصوت رجل واحد: إنا نشهد الله أنا قد قبلنا وطابت أنفسنا لأمير المؤمنين، فدعاني فقال: قد عهدت أمير المؤمنين يوم الحرة وما أوصانا به وما اتبعنا من وصيته، وأمر السفطين وطيب أنفس المسلمين له بهما، فقد علمت به، فامض بهما إليه، وأصدقه الخبر ثم ارجع اليّ بما يقول لك، فقلت ما لي بد من صاحب، فقال: خذ بيدك من أحببت، فأخذت بيد رجل من القوم وانطلقنا بالسفطين حتى قدمنا بهما المدينة، فأجلست صاحبي مع السفطين وانطلقت في طلب أمير المؤمنين عمر، فإذا به يغدي الناس وهو يتوكأ على عكاز وهو يقول: يا برقي ضع ها هنا. فجلست في عرض القوم لا آكل شيئاً، فمر بي فقال: ألا تصيب من الطعام، فقلت: لا حاجة لي إليه، فرآني الناس وهو قائم يدور فيهم فقال: يا برقي خذ خوانك وقصاعك، ثم أدبر فاتبعته فجعل يتخلل طرق المدينة حتى انتهى إلى دار قوراء عظيمة، فدخلها فدخلت في أثره، ثم انتهى إلى حجرة من الدار فدخلها فقمت ملياً حتى ظننت أن أمير المؤمنين قد تمكن من مجلسه، فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك السلام، ادخل، فدخلت فإذا هو جالس على وسادة مرتفقاً أخرى، فلما رآني نبذ إلى التي كان مرتفقاً، فجلست عليها فإذا هي تعرى، وإذا حشوها ليف، قال: يا جارية أطعمينا، فجاءت بقصعة فيها قدر من خبز يابس، فصب عليها زيتاً ما فيه ملح ولا خل، فقال: أما أنها لو كانت راضية لأطعمتنا

أطيب من هذا، فقال لي: ادن، فدنوت، قال: فذهبتَ أتناول منها قدره، فلا والله لا استطيع أن أجيزها، فجعلت ألوكها مرة من ذا الجانب ومرة من ذا الجانب فلم أقدر على أن أسيغها، وأكل هو أحسن الناس أكلاً لم يتعلق له طعام بثوب أو شعر، حتى رأيته يلطع جوانب القصعة، ثم قال: يا جارية اسقنا، فجاءت بسويق سلت، فقال: اعطه، فناولتنيه، فجعلت إذا أنا حركته ثار له غبار، فلما رآني قد بشعت ضحك، فقال: ما لك، أرنيه إن شئتَ، فناولته، فشرب حتى وضع على جبهته هكذا، ثم قال: الحمد للّه الذي أطعمنا وسقانا فأروانا وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قلت: قد أكل أمير المؤمنين فشبع وروي، حاجتي جعلني اللّه فداك، قال: لله أبوك، فمن أنت. قلت: رسول سلمة بن قيس، قال: فبالله، لكأنما خرجت من بطنه تحفّفاً عليَ وحباً، ثم قال: لتخبرني عن من جئت من هذه، وجعل يقول وهو يزحف إليّ: للّه أبوك، كيف تركت سلمة بن قيس؟ كيف المسلمون؟ ما صنعتم؟ كيف حالكم؟ قلتَ: ما تحب يا أُمير المؤمنين، وقصصت عليه الخبر على أنهم ناصبونا القتال، فاصيب رجل من المسلمين، فاسترجع وبلغ منه ما شاء اللّه، وترحم عليه أعني على الرجل طويلاً، قلتَ: ثم إن اللّه فتح علينا يا أمير المؤمنين فتحاً عظيماً، فملأ المسلمون أيديهم من متاع ورقيق ورفه ما شاءوا، قال: ويحك، كيف اللحم بها فإنها شجرة العرب لا تصلح العرب إلا بشجرتها ، قلت: الشاة بدرهمين، فقال: اللّه أكبر، ثم قال: ويحك هل أصيب من المسلمين غير ذلك الرجل؟ قلت: لا، قال: ما يسرني، إنما يسركم أضعف لكم، وإنه أصيب من المسلمين رجل آخر.

قال: وجئت إلى ذكر السفطين فأخبرته خبرهما، فباللّه الذي لا إله إلا هو لكأنما أرسلتَ عليه الأفاعي والأساود والأراقم، ثم أقبل عليَّ بوجهه آخذاً بحقويه، وقال: للّه أبوك وعلى ما يكونان لعمر، واللّه ليستقبلن المسلمون الظمأ والجوع في نحور العدو، وعمر يغدو بين أهله ويروح إليهم يتبع إماء المدينة، ارجع بما جئت به فلا حاجة لي فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه أبدع بي وبصاحبي، فاحملنا، فقال: لا ولا كرامة للآخر، ما جئت بما أسبر به فأحملك، قلت: يا لعباد اللّه أيترك رجل بين أرضين، قال: أما لولا أن قلتها قلت، يا برقي انطلق به فاحمله وصاحبه على ناقتين ظهيرتين من إبل الصدقة ثم انخس بهما حتى تخرجهما من الحرة، ثم التفت إلي فقال: أما لئن شتا المسلمون في مشتاهم قبل أن يقتسما بينهم لأعذرن منك ومن صويحبك، ثم قال: إذا انتهيت إلى البلاد فانظر أحوج من ترى من المسلمين فادفع إليه الناقتين. ثم خرجنا من عند عمر، وسرنا حتى آتينا سلمة بن قيس، فأخبرناه الخبر، فقال: ادع لي المسلمين، فلما جاءوا قال لهم: إن أمير المؤمنين قد وفر عليكم سفطيكم ، ورآكم أحق بهما منه، فاقتسموا على بركة اللّه، فقالوا: أصلحك الله أيها الأمير، إنه ينبغي لهما نظر وتقويم وقسمة . فقال: والله لا تبرحون وأنتم تطالبوني منها بحجر واحد . فعد القوم وعد الحجارة، فربما طرحوا إلى الرجل الحجرين، وفلقوا الحجر بين اثنين. أنبأنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، حدَّثنا السري بن يحيى، حدَّثنا شعيب، حدَّثنا سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: لما قدم بغنائم نهاوند على عمر بكى، فقال عبد الرحمن بن عوف: ليس هذا مكان حزن ولا بكاء ، ولكن بشرى، فافرح واحمد الله، فقال: ويحك يا ابن عوف، والله ما كثرت الصفراء والبيضاء في قوم قط إلا فتنوا فتقاتلوا وتدابروا حتى يدمر اللّه عليهم. قال: وجعل أبو لؤلؤة لا يلقى من السبي صغيراً إلا مسح رأسه وبكى، وقال: أكل عمر كبدي، ولا يلقى أيضاً براً إلا بكى إليه وأسعده، وكان نهاونديَاَ فأسرته الروم أيام فارس. وافتتحت نهاوند في أول سنة تسع عشرة. وقد ذكر أبو معشر أن فتح جلولاء وقيسارية كان في سنة تسع عشرة. قال: وكان الأمير على فتح قيسارية معاوية بن أبي سفيان. وذكر ابن إسحاق أن

فتح الحيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين كان في سنة تسع عشرة.

وفي هذه السنة بنى عمر رضي اللّه عنه مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وزاد في مقدمه إلى موضع المقصورة، وزاد في ناحية دار مروان، وعمل بالجريد سقفه، وجعل عمده الخشب، وقال: هذا باب للنساء.

وفي هذه السنة فتح الجزيرة أمر سعد بن أبي وقاص، فبعث عياض بن غنم إلى الجزيرة، فترل بجنده على الرها، فصالحه أهلها على الجزية، وصالحت حران حين صالحت الرها، ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين، وسار سعد يتبعه إلى دارا فافتتحها. وفتح أبا موسى نصيبين. ثم وجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية، فكان هناك قتال أصيب فيه صفوان بن المعطل واستشهد، ثم صالحه أهلها على كل أهل بيت دينار.

وفيها سالت حرة ليلى ناراً. فيما ذكر الواقدي ، فأراد عمر الخروج إليها بالرجال، ثم أمرهم بالصدقة، فجاء عثمان وعبد الرحمن وغيرهما بأموال، فقام عمر يقسمها فانطفأت. وقال ابن حبيب: هذه النار خرجت بخيبر.

وفيها حج عمر رضي اللّه عنه بالناس وكان عماله على الأمصار وقضاته الذين كانوا في سنة ثمان عشرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن جشم: عمر في الجاهلية طويلاً، وأدرك الإسلام، فحسن إسلامه، وهاجر، ثم كان ممن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، فاستشهد في وقعة نهاوند، فقبره هناك مع قبور الشهداء، وهو أول من رجز الأراجيز، وكان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قد كتب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: أن استنشد من قبلَك من الشعراء ما قالوه في الإسلام، فقال لبيد: أبدلني اللّه سورة البقرة مكان الشعر، وجاء الأغلب بن المغيرة، فقال:

أرجزاً تريد أم قصيدا   لقد سألت هيناً موجوداً

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد، فكتب الأغلب إلى عمر: أتنقص عطائي إن أطعتك، فرد عليه خمسمائة وأقرها في عطاء لبيد. صفوان بن المعطل بن رخيصة أبو عمرو الذكواني السلمي: أسلم قبل غزوة المريسيع، وشهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد الخندق والمشاهد بعدها، قتل يوم أرمينية، وقيل: مات بشميشاط سنة ستين.

طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان: وكان طليحة يعد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره بالحرب. وفد طليحة على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في سنة تسع في جماعة فأسلموا، ثم ارتدوا، وادعى النبوة على ما سبق شرحه فلما أوقع بهم خالد بن الوليد ببزاخة هرب طليحة حتى قدم الشام، فأقام حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه، ثم خرج محرماً بالحج، وقدم مكة، فلما رآه عمر قال: يا طليحة، لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين: عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم وكانا طليعتين لخالد بن الوليد فلقيهما طليحة وأخوه سلمة فقتلاهما فقال طليحة: يا أمير المؤمنين، رجلان أكرمهما الله بيدي و لم يهني بأيديهما. فأسلم إسلاماً صحيحاً، وشهد القادسية ونهاوند، وكتب عمر رضي اللّه عنه: شاوروا طليحة في حربكم ولا تولوه شيئاً، وقتل بنهاوند.

عمرو بن معدي كرب بن عبيد اللّه بن عمرو بن عُصَم بن عمرو بن زبيد، أبو ثور الزبيدي: كان فارساً شجاعاً شاعراً، له في الجاهلية الغارات العظيمة والوقائع العجيبة، وكان على سيفه مكتوب:

ذكر على ذكر يصول بصمارم — ذكر يمان في يمين يماني

كان عمرو لقي حُييّ الكندية بذي المجاز وهي سوق عرفات فأعجبه جمالها وعقلها، فعرض عليها نفسه وقال: هل لك في كفوء كريم ضروب لهام الرجال غشوم موات لك طيب الجسم من سعد العشيرة في الصميم، قالت: أمن سعد العشيرة. قال: من سعد العشيرة في أرومة محتدها وعزها المنيرة إن كنت بالفرصة بصيرة، قالت: إن لي بعلاً يصدق اللقاء، ويخيف الأعداء، ويجزل العطاء، قال: لو علمت أن لك بعلاً ما سمتك نفسك ولا عرضت نفسي عليك، فكيف أنت إن قتلته. قالت: لا أصيف عنك ولا أعدك بك ولا أقصر دونك، وإياك أن يغرك قولي فتعرض نفسك للقتل، فإني أراك مفرداً من الناصر والأهل، وصاحبي في عزة من الأهل وكثرة المال، فانصرف عنها عمرو، وجعل يتبعها وهي لا تعلم، فلما قدمت على زوجها سألها عما رأت في طريقها، فقالت: رأيت رجلاً مخيلاً للناس يتعرض للقتال، ويخطب حلائل الرجال، فعرض نفسه عليَّ فوصفتك له. فقال زوجها: ذاك عمرو، ولدتني أمه إن لم أتك به مقروناً مجنوناً إلى حمل صعب المراس غير ذلول. فلما سمع عمرو كلامه دخل عليه بغتة فقتله، ووقع عليها، فلما قضى وطره منها قال لها: إني لِم أقع على امرأة قط في جماعي إلا حملت، ولا أراك إلا قد فعلت، فإن رزقت غلاماً فسميته الخزر، وإن رزقت جارية فسميها عكرشة، وجعل ذلك بينهما امارة، ثم مضى لطيبه، ثم خرج يوماً يتعرض للقتال، فإذا هو برجل على فرس شاكي السلاح، فدعاه عمرو للمبارزة، فلما اتحدا صرع الفتى عمراً وجلس على صدره يريد ذبحه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا عمرو، فقام الفتى عن صدره وقال: أنا ابنك الخزر، فقال له عمرو: سر إلى صنعاء ولا تنافني في بلد، فلم يلبث أن ساد من هو بين ظهريه، فاستنفروه وأمروه بقتال أبيه، وشكوا. إليه غارات عمرو عليهم، فالتقيا فقتله عمرو.

وروى عباس بن هشام بن محمد الكلبي، قال: حدَّثني، أبو المنذر، عن أبيه، قال: لما انتهى خبر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن معدي كرب قال لقيس بن مكشوح: يا قيس إنك سيد قومك، وقد ذكر لي أمر هذا القرشي الظاهر بالحجاز الذي يزعم أنه نبيّ فانطلق بنا إليه فلنعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول لم يخف علينا أمره، فأبى قيس وسفه رأيه، فركب عمرو راحلته مع وفد من بني زبيد، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمرو: فوافيته قافلاً من غزوة تبوك، فذهبت أتقدم إليه فمنعت من ذلك حتى أذن لي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقال: خلوا سبيل الرجل، فأقبلت حتى دنوت منه، فقلت له: أنعم صباحاً أبيت اللعن، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "يا عمرو، إن لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون، فآمن باللّه ورسوله يؤمنك اللّه يوم الفزع الأكبر". قال عمرو: ما الفزع. فإني لا أفزع من شيء، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "إنه ليس بما ترى وتحسب، إنه إذا كان يوم الفزع الأكبر صيح بالناس صيحة لا يبقى ذو روح إلا مات، ولا ميت إلا نشر، وما شاء اللّه من ذلك، وتلج تلك الصيحة حتى تدور منها الأرض، وتخر منها الجبال، وتنشق منها السماء، وتبرز النار لها "لسانان ترمِي بشرر مثل أفلاق الجبال، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه، فأين أنت من الفزع يا عمرو". قال عمرو: لا أين يا رسول اللّه. قال: "فأسلم إذن " قال عمرو: فأسلمت. قال علماء السير: أسلم عمرو، وسمع من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وروى عنه، ثم ارتد

بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ثم عاد إلى الإسلام، وبعثه عمر إلى سعد بن أبي وقاص بالقادسية، وكتب إليه: قد أمددتك بألفي رجل: عمرو بن معدي كرب، وطليحة بن خويلد، فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً، فأبلى عمرو يومئذ بلاءً حسناً. قال عمرو: وكانت خيل المسلمين تنفر من الفيلة يوم القادسية وخيل الفرس لا تنفر، فأمرت رجلاً فترس عني ثم دنوت من الفيل وضربت خطمه فقطعته، فنفر ونفرت الفيلة فحطمت العسكر، وألح المسلمون عليهم حتى انهزموا، وكان لعمرو يومئذ من العمر ثلاثين ومائة سنة. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عمرو بن معدي كرب عن أشياء، فسأله عن الحرب، فقال: مرة المذاق إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف فيها تلف. وسأله عن السلاح، فقال: ما تقول في الرمح؟. فقال: أخوك وربما خانك، قال: فالنبل. قال: منايا تخطىء وتصيب، قال: فالدرع. قال: مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنه لحصن حصين، قال: فالترس. قال: هو المجن عليه تدور الدوائر، قال: فالسيف؟ قال: عندها فارقتك أمك عن الثكل، فقال له عمر: بل أمك، قال: بل أمي والحمى أضرعتني لك، وهذا مثل معناه: أن الإسلام أدلني ولو كنت في الجاهلية لم تجسر أن ترد عليَّ. وقال له يوماً: حدَّثني عن أشجع من لقيت، وأجبن من لقيت. فقال ما. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أبو بكر بن خلف، وحدَّثنا عنه محمد بن حريث، أخبرنا القاسم بن الحسن، أخبرنا العمري، أخبرنا الهيثم بن عدي، عن عبد اللّه بن عياش، عن مجالد، عن الشعبي، قال: دخل عمرو بن معدي كرب يوماً على عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، فقال له: يا عمرو أخبرني عن أشجع من لقيت، وأحيل من لقيت، وأجبن من لقيت، قال: نعم يا أمير المؤمنين.

خرجت مرة أريد الغارة، فبينما أنا أسير إذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز، وإذا رجل جالس، وإذا، هو كأعظم ما يكون من الرجال خلقة، وهو محتب بسيف، فقلت له: خذ حذرك فإني قاتلك، فقال: من أنت؟ فقلت: أنا عمرو بن معدي كرب، فشهق شهقة فمات، فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين. وخرجت يوماً آخر حتى انتهيت إلى حيّ، فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته، فقلت لي: خذ حذرك فإني قاتلك، قال: من أنت. قلت: أنا عمرو بن معدي كرب، فقال: يا أبا ثور ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك، وأنا في بئر، فاعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري، فأعطيته عهداً ألا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه، ثم احتبى بسيفه وجلس، فقلت: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك، فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت. ثم إني خرجت يوماً آخر حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه، فلم أر أحداً فأجريت فرسي يميناً وشمالاً، فإذا أنا بفارس، فلما دنا مني إذا هو غلام وجهه من أجمل من رأيت من الفتيان وأحسنهم، وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة، فلما قرب مني سلم، فرددت عليه وقلت: من الفتى؟ فقال: الحارث بن سعد فارس الشهباء، فقلت له: خذ حذرك فإني قاتلك، فمضى و لم يلتفت إليّ فقلت له: يا فتى خذ حذرك فإني قاتلك. قال: الويل لك، من أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معدي كرب، قال: الحقير الذليل، واللّه ما يمنعني من قتلك إلا استصغارك، قال: فتصاغرت نفسي إليّ وعظم عندي ما استقبلني به، فقلت له: خذ حذرك، فوالله لا ينصرف إلا أحدنا، قال: أغرب ثكلتك أمك فإني من أهل بيت ما نكلنا عن فارس قط، فقلت: هو الذي نسمع، فاختر لنفسك، فقال: إما أن تطرد لي أو أطرد لك، فاغتممتها منه فقلت: أطرد لي، فأطرد وحملت عليه حتى إذا قلت إني قد وضعت الرمح بين كتفيه إذا هو قد صار حزاماً لفرسه ثم اتبعني فقرع بالقناة رأسي وقال:

يا عمرو خذها إليك واحدة، فواللّه لولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك، فتصاغرت إلي نفسي وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحب إلي مما رأيت، فقلت: واللّه لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اختر لنفسك، فقلت: أطرد لي فأطرد، فظننت أني قد تمكنت منه، فاتبعته حتى إذا ظننتَ أني قد وضعت الرمح بين كتفيه، فإذا هو قد صار لبباً لفرسه، ثم اتبعني فقرع رأسي بالقناة وقال: يا عمرو خذها إليك اثنتين فتصاغرت إلي نفسي فقلت: والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اختر لنفسك، فقلت: أطرد لي، فأطرد حتى إذا قلتَ وضعت الرمح بين كتفيه، وثب عن فرسه، فإذا هو على الأرض فأخطأته ومضيت فاستوى على فرسه فاتبعني فقرع رأسي بالقناة، وقال: يا عمرو خذها إليك ثلاثاً، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك، فقلت له: اقتلني أحب إلي مما أرى بنفسي وأن يسمع فتيان العرب هذا، فقال لي: يا عمرو، إنما العفو ثلاث مرات، إني إن استمكنت منك الرابعة قتلتك، وأنشأ يرتجز ويقول:

وكدت أغلاظا من الإيمان إن عدت يا عمرو إلى الطغيان

لتوجزن لهب الشبان وإلا فلست من بني شيبان

فلما قال هذا هِبْته هَيْبَة شديدة، وقلت له إن بي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قلت: أكون لك صاحباً، ورضيت بذلك يا أمير المؤمنين، قال: لسست من أصحابي، وكان ذلك والله أشد وأعظم مما صنع، فلم أزل أطلب إليه حتى قال : ويحك وهل تدري أين أريد؟ قلت: لا، قال: أريد الموت عياناً، فقلت: رضيت بالموت معك، قال: امض بنا فسرنا جميعاً يوماً حتى جننا الليل وذهب شطره، فوردنا على حي من أحياء العرب، فقال لي: يا عمرو، في هذا الحيّ الموت، وأومأ إلى قبة في الحي، فقال: وفي تلك القبة الموت الأحمر، فإما أن تمسك علي فرسي فأنزل فآتي بحاجتي، وإما أن أمسك عليك فرسك وتأتيني بحاجتي، فقلت: لا بل انزل، فأنت أعرف بموضِع حاجتك، فرمى إلي بعنان فرسه ونزل، ورضيت واللّه يا أمير المؤمنين أن أكون له سايساَ، ثم مضى حتى دخل القبة فاستخرج منها جارية لم تر عيناي قط مثلها حسناً وجمالًا، فحملها على ناقة ثم قال لي: يا عمرو، قلت: لبيك، قال: إما أن تحميني وأقود أنا وإما أن أحميك وتقود أنت، قلت: لا بل تحميني وأقود أنا، فرمى إليَّ بزمام ناقته ثم سرنا بين يديه وهو خلفنا حتى إذا أصبحنا قال لي: يا عمرو، قلت: لبيك ما تشاء، قال: التفت فانظر هل ترى أحداً؟ فالتفت فقلت: أرى جمالاً، قال: اغذذ السير، ثم قال لي: يا عمرو، قلت: لبيك، قال: انظر فإن كان القوم قليلاً فالجلد والقوة وهو الموت، وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء، قال: فالتفت فقلت: هم أربعة وخمسة، قال: أغذ السير، ففعلت وسمع وقع الخيل عن قرب، فقال لي: يا عمرو، كن عن يمين الطريق وقف وحول وجوه دوابنا إلى الطريق، ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة، ووقف هو عن يسارها، ودنا القوم منا فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ كبير، وهو أبو الجارية، وأخواها غلامان شابان، فسلموا فرددنا السلام ووقفوا عن يسار الطريق، فقال الشيخ: خل عن الجارية يا ابن أخي، فقال: ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها، فقال لأصغر ابنيه: اخرج إليه، فخرج وهو يجر رمحه، وحمل عليه الحارث وهو يرتجز ويقول:

من دون ما ترجوه خضب الذابل من فارس مستكتم مقاتل

ينمي إلى شيبان خير وابل ما كان سيري نحوها بباطل

ثم شد عليه فطعنه طعنة دق منها صلبه فسقط ميتاً. فقال الشيخ لابنه الآخر: اخرج إليه يا بني فلا خير في الحياة على الذل، فخرج إليه فأقبل الحارث يرتجز ويقول:

لقد رأيت كيف كانت طعنتي — والطعن، للقرن شديد بهمتي
والموت خير من فراق خلتي — فقتلي اليوم ولا مذلتي

ثم شد عليه فطعنه طعنة سقط منها ميتاً، فقال له الشيخ: حل عن الظعينة يا ابن أخي، فإني لست كمن رأيت، قال: ما كنت لأخليها ولا لهذا قصدت، فقال الشيخ: اختر يا ابن أخي، فإن شئت طاردتك، وإن شئت نازلتك، قال: فاغتنمها الفتى فقال: نازلني، ثم نزل ونزل الشيخ وهو يرتجز ويقول:

ما أرتجي عند فناء عمري — سَأَجْعَلُ السنين مثل الشهر
شيخ يحامي دون بيض الخدر — إن استباح البيض قصم الظهر
سوف ترى كيف يكون صبري

فأقبل إليه الحارث وهو يرتجز ويقول:

بعد ارتحالي وطويل سفري — وقد ظفرت وشفيت صدري
والموت خير من لباس الغدر — والعار أهديه لحيّ بكر

ثم دنا فقال له الشيخ: يا ابن أخي إن شئت ضربتك، فإن بقيت فيك قوة ضربتني، وإن شئت فاضربني فإن بقيت فيّ قوة ضربتك، فاغتنمها الفتى فقال: أنا أبدأ أول، قال: هات، فرفع الحارث السيف، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ضرب بطنه ضربة قدّ منها أمعاءه، ووقعت ضربة الحارث في رأسه فسقطا ميتين، فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف، ثم أقبلت إلى الناقة، فقدت أعنة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها، فقالت لي الجارية: يا عمرو، إلى أين ولست لي بصاحب ولست كمن رأيت، ولو كنت صاحبي لسلكت سبيلهم، فقلت: اسكتي، قالت: فإن كنت صادقاً فاعطني رمحاً أو سيفاً فإن غلبتني فأنا لك وإن غلبتك قتلتك، فقلت لها: ما أنا بمعطيك ذلك وقد عرفت أصلك وجرأة قومك وشجاعتهم، فرمت بنفسها عن البعير ثم أقبلت إلي وهي ترتجز وتقول:

أبعد شيخي وبعد أخوتي — أطلب عيشاً بعدهم في لذتي
هلا يكون قبل ذا منيتي

ثم أهوت إلى الرمح وكادت تنتزعه من يدي، فلما رأيت ذلك منها خفت إن هي ظفرت بي أن تقتلني فقتلتها. فهذا أشد ما رأيت يا أمير المؤمنين، فقال عمر: صدقت. قال علماء السير: قتل النعمان وطليحة وعمرو بن معدي كرب يوم نهاوند وقبورهم هناك.
وقال بعض العلماء: دفن عمرو بن معدي كرب برُوذة وهي بين قم والري، وهناك مات. ورثته امرأة فقالت:

لقد غادر الركب الذين تحملوا — بروذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غمرا

فقل لزبيد بل لمذحج كلها فقدتم أبا ثور سبابتكم عمرا

وإن تجزعوا لم تغن ذلك مغره ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبراً

وقيل: إنه بقي إلى خلافة عثمان. وقيل: أدرك خلافة معاوية، والأول أصح.

عياش بن أبي، ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم : أمه أسماء بنت مخرمة، أم أبي جهل فهو أخو أبي جهل لأمه. أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشه الهجرة الثانية، ثم قدم مكة، ثم هاجر إلى المدينة وصاحب عمر بن الخطاب، فلما نزل قباء قدم عليه أخواه لأمه، أبو جهل والحارث ابنا هشام، فلم يزالا به حتى رداه إلى مكة فأوثقاه وحبساه، ثم أفلت فقدم المدينة، فلم يزل بها. فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الشام مجاهداً، ثم عاد إلى مكة، فتوفي بها رحمه الله.

النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن عمرو: شهد الخندق مع النبي صلى الله عليه وسلم في ستة أخوة له النعمان، وسويد، وسنان، ومعقل، وعقيل، وعبد الرحمن. وكان النعمان يحمل أحد ألوية مزينة الثلاثة يوم الفتح، وكان أمير الناس يوم نهاوند، وعلى ميمنته الأشعث بن قيس، وعلى ميسرته المغيرة بن شعبة. وكان النعمان أول قتيل قتل يومئذ، على ما سبق ذكره.

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر ابن إسحاق أن فتح قيسارية، وهرب هرقل، وفتح مصر كان في سنة عشرين. وقد ذكرنا عن أبي معشر أن قيسارية فُتحت في سنة عشر. وقال سيف: فتحت مصر وقيسارية في سنة ست عشرة، وقال أبو معشر: فتحت إسكندرية في سنة عشرين. قال الواقدي: ومصر أيضَاَ. وقال يزيد بن أبي حبيب: فتحت مصر يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين. وقال سيف: فتحتا سنة ست وعشرين. وقال زياد بن جراء الزبيدي: فتحتا في سنة إحدى وعشرين، أو اثنتين وعشرين.

ذكر الخبر عن فتح مصر والإسكندرية

قال ابن إسحاق: لما فرغ عمر من الشام كلها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر، فخرج حتى افتتح باب البون في سنة عشرين، ثم افتتح القرى، فأرسل صاحب الاسكندرية إلى عمرو بن العاص: "قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إليَّ منكم: فارس والروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم سبايا أرضي فعلت ". فبعث إليه عمرو بن العاص: "إن ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه ". فقال: نعم، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: "اعرض على صاحب الاسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تُخَيِّرُوا مَنْ في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين، ومن اختار دين قومه أدَّى الجزية كقومه، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب، فبلغ مكة والمدينة واليمن، فإنه لا يقدر على ردّهم ". فقال صاحب الإسكندرية: قد فعلت، ثم فتحت لنا الإسكندرية، فدخلناها.

وقال أبو عمر محمد بن يوسف التجيبي: قال سعيد بن عفير عن أشياخه: :لما جاز المسلمون الحصن يعني حصن مصر أجمع عمرو على المسير إلى الإسكندرية، فسار إليها في ربيع الأول سنة عشرين، وأمر بفسطاطه أن يقوَّض، فإذا بحمامة وقد باضت في أعلاه

فقال: لقد تحرمت بجوارنا، أقرّوها الفسطاط حتى تطير فراخها. فأقروا الفسطاط، ووكل به أن لا تهاج حتى تشتد فراخها، فبذلك سُميت الفسطاط فسطاطاً. أخبرنا محمد بن الحسين وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص أحمد بن عبد اللّه، حدِّثنا السري بن يحيى، أخبرنا شعيب، حدَثنا سيف، حدَّثنا أبو عثمان، عن خالد وعبادة قالا: خرج عمرو إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة، حتى انتهى إلى باب مصر، واتبعه الزبير، فاجتمعا، فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق مصر، ومعه الأسقف الذي بعثّه المقوقس لمنع بلادهم، فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجلوا لنقدر إليكم وتروا رأيكم بعد فكفوا أصحابكم. وأرسل إليهم عمرو، فإني بارز فليبرز إليَّ أبو مريم وأبو مرياهم. فأجابوه إلى ذلك، وأمن بعضهم بعضاً، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه المدينة فاسمعا: إنَّ اللّه عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، وأمره به، فأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم، وأدَّى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه ، وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الاعتذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه قبلناه، ومن لم يجبنا إليه عرضنا عليه الجزية، وقد أعلمنا أننا مفتتحوكم، وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم، فإن لكم إن أجبتمونا إلى ذلك ذمة إلى ذمّة، ومما عهد إلينا أميرنا "استوصوا بالقبطيين خيراً" فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني بالقبطيين خيراً، لأن لهم رحماً وذمة. فقالا: قرابة بعيدة، فلا يصل مثلها إلا الأنبياء وأتباع الأنبياء معروفة شريفة، كانت بنت ملكنا، فصارت إلى إبراهيم، مرحباً بك وأهلاً، أمّنا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إن مثلي لا يُخدع، ولكني أؤجلكما ثلاثا لتنظرا أو لينظر قومكما، وإلا ناجزتكم. فقالا: زدنا. فزادهما يوماً . قالا: زدنا. فزادهما يوماً، فرجعا إلى المقوقس فهم، فأبى أرطبون ن يجيبهما، وأمر بمناجزتهم، فركب المسلمون أكتافهم، وقال أهل الفسطاط يعني مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم قد قتلوا كسرى وقيصر، وغلبوهم على بلادهم، صالح القوم. وكان صلحهم: هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصليبهم، وعليهم أن يُعطوا الجزية، ومَنْ دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم، ومَنْ أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، فدخل في ذلك أهل مصر، وقبلوا الصلح. فمصَّر عمرو الفسطاط وتركه المسلمون، وأمَّره عمر رضي اللّه عنه عليها، فأقام بها، ووضع مسالح مصر على السواحل وغزة، وكان داعية ذلك أن قيصر غزا مصر والشام في البحر، ونهد لأهل حمص بنفسه.

ذكر زوال السنة السيئة التي كانت في نيل مصر

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن عمير بن النحاس قال: أخبرنا محمد بن حفص الحضرمي قال: حدِّثنا حسن بن عرفة الأنصاري قال: حدَثني هانيء بن المتوكل قال: حدَّثنا ابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج قال: لما فتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إذا دخلت ثنتا عشرة ليلة من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أباها، وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في النيل. قال لهم: إن هذا لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما كان قبله. فأقاموا بؤونة، وأبيب، ومسرى لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلاء عنها ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى عمر رضي اللّه عنه بذلك، فكتب إليه عمر: "إنك قد أصبت لأن الإسلام يهدم

ما كان قبله " وكتب بطاقة داخل كتابه، وكتب إلى عمرو: "إني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة، فإذا فيها: "من عبد اللّه أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد: فإن كنت تجري من قِبَلك فلا تجر، وإن كان اللّه الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل اللّه الواحد القهار أن يجريك " فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج، لأنه لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل. فلما ألقى البطاقة أصبحوا، يوم الصليب وقد أجراه اللّه ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، فقطع الله تلك السُّنَّة السوء عن أهل مصر إلى اليوم.

وفي هذه السنة: غزا أبو بَحْرِية الكندي عبد الله بن قيس أرض الروم، وهو أول من دخلها فيما قيل. وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي، فسلم وغنم .

وفي هذه السنة: زلزلت المدينة. أخبرنا أحمد بن علي المجلي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قالت: أخبرنا أبو الحسن بن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: أخبرنا عبد الله بن محمد القرشي قال: حدَّثني عبد الرحمن بن عبد اللّه الباهلي قال: حدَثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن صفية قالت: زلزلت المدينة على عهد عمر رضي اللّه عنه، فقال: أيها الناس ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا أساكنكم فيها.

وفي هذه السنة: عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين وحده في شراب شربه، واستعمل عمر أبا هريرة وقيل: أبا بكرة على اليمامة والبحرين .

وفيها: قسم عمر خيبر بين المسلمين وأجلى منها اليهود لأنهم قد بدَعوا أبداً ابن عمر .

وفيها: بعث أبا حبيبة إلى أهل فدك، فأعطاهم نصف الأرض، ومضى إلى وادي القرى فقسمها وفيها: بعث عمر علقمة بن محرز المدلجي إلى الحبشة في مائتي رجل، حملهم في أربع مراكب، فأصيبوا فنجا منهم، فحلف عمر لا يحمل فيه أحداً أبداً. وفيها: حج عمر رضي اللّه عنه بالناس .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسيد بن حُضير بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس. كان أبوه شريفاً في الجاهلية، رئيس الأوس يوم بعاث، وكان أسيد بعد أبيه شريفاً في قومه، يُعد من ذوي العقول والأراء، وكان يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، وكان في الجاهلية يُسَمُّون مَنْ جُمع فيه هذه الخصال: "الكامل ". وأسلم هو وسعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير في يوم واحد، وشهد أسيد العقبة الأخيرة مع السبعين، وكان أحد النقباء الاثني عشر، و لم يشهد بدراً لأنه لم يظن أنه يجري قتال، وشهد أحداً وثبت يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرح بسبع جراحات، وشهد الخندق والمشاهد بعده.

أخبرنا ابن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا ابن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا يزيد بن هارون، وعفان، وسليمان بن حرب قالوا: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: كان أسيد بن خضير وعباد بن بشر عند رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة حِنْدِسٍ، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا، فمشيا في ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه، فمشى في ضوئها. أخرجه

البخاري. توفي أسيد بن خصيرم في شعبان في هذه السنة، فصلى عليه عمر بالبقيع.

بلال بن رباح، مولى أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، ويكنى أبا عبد اللّه. من مولدي السراة، واسم أمه حمامة، وكان أدم شديد الأدمة، نحيف، طوَالًا، أحنى، أشفر، له شعر كثير خفيف العارضين، به سُمَطٌ كثير لا يُغَيَّرُ.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا ابن معروف قال: أخبرنا ابن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدَّثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي مزود، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: كان بلال بن رباح من المستضعفين، وكان يعذب حين أسلم ليرجع عن دينه فما أعطاه قط كلمة مما يريدون، وكان الذي يعذبه أمية بن خلف. قال محمد بن سعد: وأخبرنا عثمان بن عمر، ومحمد بن عبد اللّه الأنصاري قالا: حدَثنا، عون بن عمير بن إسحاق قال: كان بلال إذا اشتدوا عليه في العذاب قال: أحد أحدٌ . قال: فيقولون له: قل كما نقول. فيقول: إن لساني لا يحسنه. قال ابن سعد: وأخبرنا جرير، عن منصور، عن مجاهد قال: أول مَنْ أظهر الإسلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمَار، وسمية، وأم عمار . فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه عمر، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فأعطوهم ما سألوا، فجاء إلى كل رجل منهم قومه بأنطاع الأدم، فيها الماء، فألقوهم فيه، وحملوا جوانبه إلا بلالاً، فلما كان العشاء جاء أبو جهل، فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها فقتلها، فهي أول شهيد استشهد في الإسلام. وأما بلال فإنه هانت عليه نفسه في اللّه. حتى ملُّوه، فجعلوا في عنقه حبلاً، ثم أمروا صبيانهم أن يشتدُوا به بين أخْشَبَيْ مكَة، فجعل يقول: أَحَدٌ أَحَدٌ. قال ابن سعد: وأخبرنا عامر بن الفضل قال: حدَثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد: أن بلالاً ألقوه في البطحاء وجلدوا ظهره ، فجعلوا يقولون: ربك اللات والعزة. فيقول: أحد أحد. فأتى عليه أبو بكر فقال: علام تعذبون هذا الانسان. فاشتراه بسبع أواق فأعتقه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "الشركة يا أبا بكر" قال: قد أعتقته يا رسول اللّه .

قال ابن سعد: أنبأنا الحميدي قال: حدَثنا سفيان بن عيينة، عن إسماعيل، عن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً بخمس أواقٍ. وأخبرنا الفضل بن دكين قال: حدَثنا عبد العزيز بن عبد اللّه بن أبي سلمة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله: أن عمر رضي اللّه عنه كان يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا يعني بلالاً. قال علماء السير: شهد بلالٌ بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وأمره رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأذَّن يوم الفتح على ظهر الكعبة والحارث بن هشام وصفوان بن أمية قاعدان، فقال: أحدهما للآخر: أنظر إلى هذا الحبشي فقال الآخر: إن يَكْرَهْهُ اللَّهُ يُغَيِّرْه. ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلال يؤذَن، فإذا قال "أشهد أن محمداً رسول الله" انتحب الناس، فلما دفن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر: أذن. فقال له: إن كنت إنما اعتقتني لأن أكون معك، فسبيل ذلك، وإن كنت أعتقتني للّه فخلني ومن أعتقتني له. فقال: ما اعتقتك إلا للّه. قال: فإني لا أؤذن لأحد بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. قال: فذاك إليك. قال: فأقام حتى خرجت بعوث الشام، فسار معهم. وقيل: إنما أقام حياة أبي بكر، فلما ولي عمر رحل إلى، الشام، فمات هناك في هذه السنة. وهو ابن بضع وستين سنة.

خويلد بن مرة، أبو خراش الهذلي شاعر مُجيد من شعراء هذيل، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم، و لم أر أحداً ذكره في الصحابة، وعاش بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى مات في خلافة عمر، نهشته أفعى فمات، وكان إذا عدا سبق الخيل. قال الأصمعي:

حدَّثني رجل من هذيل قال: دخل أبو خراش الهذلي مكة وللوليد بن المغيرة فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي إن سبقتهما. قال: إن فعلت ذلك فهما لك. فأرسلا وعدا بينهما فسبقهما وأخذهما.

زينب بنتَ جحش. تزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها، فتزوجها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في سنة أربع، وبسببها نزلت أية الحجاب، وكانت تفخر على النساء فتقول: زوجكن أهاليكن، وزوَّجني اللّه من فوق سبع سموات، ولما نزل قوله عز وجل: "زوجناكها" دخل عليها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بلا إذن، وكانت تعمل بيدها وتتصدق. أخبرنا عبد اللّه بن علي المقرىء، ومحمد بن ناصر الحافظ قالا: أخبرنا طراد بن محمد، أخبرنا علي بن محمد بن بشران، حدَثنا ابن صفوان، حدَّثنا أبو بكر القرشي قال: حدَثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن عمر قال: حدَّثني يزيد بن خصيفة، عن عبد اللّه بن رافع، عن برزة بنت رافع قالت: لما جاء العطاء بعث عمر رضي الله عنه إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر اللّه لعمر، لغيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لك. فقالت: سبحان الله. واستترت دونه بثوب وقالت: صبّوهُ واطرحوا عليه ثوباً. وقالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلى فلان وإلى فلان من أيتامها وذوي رحمها، فقسمته حتى بقِيت منه بقية فقالت لها برزة: غفر اللّه لك، واللّه لقد كان لنا في هذا حظ، قالت: فلكم ما تحت الثوب. قالت: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يديها فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا، فماتت قبل الحول. أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني محمد بن عبد اللّه، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع نسائه: "أطولكن باعاً، أسرعكن لحوقاً بي " فكن يتطاولن إلى الشيء إنما عنى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بذلك الصدقة.

وكانت زينب امرأ صيعاً، وكانت تتصدق به، وكانت أسرع نسائه به لحوقاً. قال محمد بن عمر: وحدَّثني موسى بن عمران، عن عاصم بن عبد اللّه، عن عبد اللّه بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه صلى على زينب بنت جحش سنة عشرين، في يوم صائف، ورأيت ثوباً مُدَّ على قبرها وعمر قائم، والأكابر من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قيام، فأمر عمر محمد بن عبد اللّه بن جحش، وأسامة بن زيد، وعبد اللّه بن أبي أحمد بن جحش، ومحمد بن طلحة وهو ابن أختها فنزلوا من قبرها. قالوا: وتوفيت بنت ثلاث وخمسين سنة.

سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان. أسلم قبل خيبر، وشهدها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وما بعدها. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا ابن الفهم قال: حدَّثنا ابن سعد قال: حدَّثنا مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي قال: حدَّثنا مسعود بن سعد الجعفي قال: حدَّثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن سابط قال: أرسل عمر إلى سعيد بن عامر فقال: إنا مستعملوك على هؤلاء تسير بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم. فقال: يا عمر، لا تفتني، فقال عمر: واللّه لا أدعكم، جعلتموها في عنقي ثم تخليتم مني، إنما أبعثك على قوم لست بأفضلهم، ولست أبعثك لتضرب أبشارهم ولا تنتهك أعراضهم، ولكن تجاهد بهم عدوهم وتقسم بينهم فيهم. فقال: اتق الله يا عمر، أحب لأهل الإسلام ما تحب لنفسك، وحض العمرات إلى الحق حيث علمته، ولا تخش، من اللّه لومة لائم. فقال عمر: ويحك يا سعيد، ومن يطق هذا؟ فقال: من وضع اللّه في عنقه مثل الذي وضع في عنقك، إنما عليك أن تأمر فيُطاع أمرك، أو تترك فيكون لك الحجة. فقال عمر: إنا

سنجعل لك رزقاً. قال: لقد أعطيت ما يكفيني دونه يعني عطاءه وما أنا بمزداد من مال المسلمين شيئاً. قال: وكان إذا خرج عطاؤه نظر إلى قوت أهله من طعامهم وكسوتهم وما يصلحهم فيعزله، وينظر إلى بقيته فيتصدق به، فيقول أهله: أين بقية المال؟ فيقول: أقرضته. قال: فأتاه نفر من قومه، فقالوا: لولا أن لأهلك عليك حقاً وإن لأصهارك عليك حقاً، وإن لقومك عليك حقاً. فقال: ما استأثر عليهم أن يرى لمع أيديهم، وما أنا بطالب أو ملتمس رضى أحد من الناس بطلبي الحور العين، الذي لو اطلعت واحدة منهن لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس، وما أنا بمستخلف عن العتق الأول بعد أن سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "يجيء فقراء المهاجرين يزفون كما يزف الحمام، قال: فيقال لهم: قفوا للحساب. فيقولون: واللّه ما تركنا شيئاً يحاسب به. فيقول اللّه عز وجل: صدق عبادي. فيدخلون الجنة أقبل الناس، بسبعين عاماً".

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الأصبهاني، حدَّثنا محمد بن عبد اللّه، حدَثنا الحسن بن علي الطوسي، حدَّثنا محمد بن عبد الكريم العبدي، حدَّثنا الهيثم بن علي، حدَّثنا ثور بن يزيد، حدَثنا خالد بن معدان، قال: استعمل عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حذيم، فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لحمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا: فشكوا أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: أعظم بها. قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بالليل . قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغبط الغبطة بين الأيام أي تأخذه موتة قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم لا يُقبل رأي فيه اليوم، ما تشكون منه. قال: ولا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار.

قال: واللّه إن كنت لأكره ذكره ليس لي ولأهلي خادم فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشكون منه؟ فقالوا: لا يجيب أحداً بالليل. قال: ما يقولون. قال: إن كنت لأكره ذكره إني جعلت النهار لهم والليل للّه عز وجل. قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما يقولون. قال: ليس لي، خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغبط الغبطة بين الأيام. قال: ما يقولون. قال: شهدت مصرع حبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جدعهِ، فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، وأن محمداً أشيك بشوكة. ثم نادى: يا محمد، ما ذكرت ذلك اليوم، وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن باللّه العظيم إلا ظننتَ أن اللّه لا يغفر لي ذلك الذنب أبداً، فتصيبني تلك الغبطة. فقال عمر: الحمد للّه الذي لم يقبل فراستي. فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على أمرك. فقالت امرأته: الحمد للّه الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك ندفعها إلى مَنْ يأتينا بها أحوج ما يكون إليها. قالت: نعم. فدعى رجلاً من أهله يثق به، فصرَّرها صُرراً، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهيبة، فقال: انفقي هذه. ثم عاد إلى عمله. فقالت: ألا تشتري لنا خادماً، ما فعل ذلك المال؟! قال: سيأتيك أحوج ما تكونين. توفي سعيد في هذه السنة.

عياض بن غنم بن زهير الفهري. شهد الحديبية مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وحضر فتح المدائن مع سعد بن أبي وقاص، وفتح فتوحاً كثيرة ببلاد الشام، ونواحي الجزيرة، ولما احتضر أبو عبيدة بالشام ولى عياض بن غنم عمله، فأقره عمر بن الخطاب

رضي الله عنه وبعثه سعد إلى الجزيرة، فنزل بجنده على الرها، فصالحه أهلها على الجزية، وصالحت حران حيث صالحت الرها، فكان فتح الجزيرة، والرها، وحران، والرقة على يده في سنة ثمان عشرة وكتب لهم كتاباً، وكان جوداً، فقيل لعمر: إنه يبذر المال. فقال: إن سماحه في ذات يده، فإذا بلغ مال اللّه لم يعط منه شيئاً، فلا أعزل مَنْ ولاّ أبو عبيدة.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: حدّثني الأزهري، حدَثنا أحمد بن إبراهيم حدَّثنا أحمد بن سليمان الطوسي، حدَّثنا الزبير بن بكار قال: كان عياض بن غنم شريفاً، وله فتوح بنواحي الجزيرة. في زمان عمر، وهو أول من أجاز الدرب إلى أرض الروم. أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدَّثني أبو بكر بن عبد اللّه، ، عن موسى بن عقبة قال: لما ولي عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته، فلقيهم بالبشر وأنزلهم وأكرمهم، فأقاموا أياماً، ثم كلموه في الصلة، وأخبروه بما لقوه من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير، وكانوا خمسة، فردّوها وتسخطوا ونالوا منه، فقال: أي بني عم، واللّه ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بعد شقتكم، ولكن واللّه ما خلصت إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وبيع ما لا غنى لي عنه فاعذروا. قالوا: واللّه ما عذرك الله فإنك والي نصف الشام، وتعطي الرجل منا ما جهده يبلغه إلى أهله. قال: فتأمرونني أن أسرق مال اللّه، فواللّه لئن أشق بالمنشار أحبّ إليّ من أن أخون فلساً أو أتعدى. قالوا: عذرناك في ذات يدك، فَوَلّنا أعمالاً من أعمالك نؤدي ما يؤدي الناس إليك، ونصيب من المنفعة ما يصيبون، فأنت تعرف حالنا، وأنا ليس نعدو ما جعلت لنا. قال: والله لأني أعرفكم بالفضل والخير، ولكن يبلغ عمر أني ولَيت نفراً من قومي فيلومني. قالوا: فقد ولَّاك أبو عبيدة وأنت منه في القرابة بحيث أنت فانفذ ذلك عمر، فلو وليتنا أنفذه. قال: إني لست عند عمر كأبي عبيدة. فمضوا لائمين له. ومات ولا مال له، ولا عليه دين لأحدٍ ، سنة عشرين، وهو ابن ستين سنة.

مالك بن التيهان أبو الهيثم كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة، وكان أول من أسلم من الأنصار الذين لقوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم شهد العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وبعثه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى خيبر خارصاً. وتوفي بالمدينة في هذه السنة.

هرقل ملك الروم. وقد سبقت أخباره ومكاتبة الرسول صلى الله عليه وسلم إياه، وغير ذلك. ماتَ في هذه السنة، وولي مكانه ابنه قسطنطين.

أم ورقة بنت الحارث أسلمت وبايعتَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وكانت قد جمعت القرآن، وأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تَؤُمَّ أهل دارها، فكانت تَؤُمهم. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن سليمان قال: أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الحافظ، قال: حدَّثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن قال: حدَّثنا إسحاق الحربي قال: حدَّثنا أبو نعيم قال: حدَّثنا الوليد بن جميع قال: حدَّثتني جدتي عن أمها أم ورقة بنت عبد اللهّ بن الحارث الأنصارية وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين غزا بدراً قالت له: ائذن لي فأخرج معك وأداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله، يهدي لي الشهادة. قال: إن اللّه عز وجل مهدٍ لك الشهادة حتى عدى عليها جارية

وغلام لها كانت قد دبّرتهما فقتلاها في إمارة عمر رضي الله عنه، فقال عمر: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة.

ثم دخلت سنة احدى وعشرين

فمن الحوادث فيها: أن عمر أمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس، فبعث بعضهم إلى كرمان، وأصبهان، وقد قيل: إنما كان ذلك في سنة ثمان عشرة. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا المخلص قال: حدَّثنا السري بن يحيى قال: حدَّثنا شعيب قال: حدَثنا سيف، عن محمد، والمهلب، وطلحة، وعمرو، وسعيد قالوا: لما رأى عمر رضي اللّه عنه يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً، وقيل لا يزال على هذا الدأب حتى يخرج من مملكته أذن للناس في الانسياح في أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يد كسرى، فوجه الأمراء من أهل البصرة عند عمر، فمنها: أبو النعيم بن مقرن وأمره بالمسير إلى همدان، وقد كان أهلها كفروا بعد الصلح، وقالوا له: إن فتح الله عليك والي ما وراءك كذلك إلى خراسان، وبعث عتبة بن فرقد، وبكير بن عبد الله، وعقد لهما على أذربيجان، وبعث إلى عبد الله بلواء وأمره أن يسير إلى أصبهان، وأمده بأبي موسى من البصرة، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق أصبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أهل أصبهان، وصالحوا.
وفي هذه السنة: ولى عمر عمَاراً الكوفة، وابن مسعود بيت مالها، وعثمان بن حنيف مساحة الأرض. أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال.

أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا وكيع بن الجراح، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مصرف قال: قرىء علينا كتاب عمر بن الخطاب: أما بعد، فإني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وجعلتَ أبن مسعود على بيت مالكم، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أهل بدر، فاسمعوا لهما، وأطيعوا، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بابن أم عبدٍ على نفسي، وبعثت عثمان بن حنيف على السواد ورزقتهما كل يوم شاة، فاجعلوا شطرها وبطنها لعمار وفي رواية أخرى: ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى أذربيجان، فاجعلوا الشطر الثاني بين هؤلاء الثلاثة. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: بعث عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه عثمان بن حنيف إلى العراق عاملاً، وأمره بمساحة سقي الفرات، فمسح الكور والطساسيج بالجانب الغربي من دجلة، وكان كور فيروز وهي طسوج الأنبار وكان أول السواد شرباً من الفرات، ثم طسوج مسكن، وهو أول حدود السواد في الجانب الغربي من دجلة وشربه من دجيل، ويتلوه طسوج قطربل وشربه أيضاً من دجيل، ثم طسوج بادرويا، وهو طسوج مدينة السلام، وكان أجل طساسيج السواد جميعاً، وكان كل طسوج يتقلده فيما يقدم عامل واحد سوى طسوج بادرويا، فإنه كان يتقلده عاملان لجلالته وكثرة ارتفاعه، و لم يزل خطيراً عند الفرس ومقدماً على ما سواه، وورد عثمان بن حنيف المدائن في حال ولايته أخبرنا عبد الرحمن بن القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا عبد اللّه بن إسحاق البصري، أخبرنا علي بن عبد العزيز، حدَّثنا أبو عبد اللّه، حدَثنا الأنصاري محمد بن عبد الله، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي مجلز: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث عمار بن ياسر إلى أهل الكوفة

على صلاتهم وجيوشهم، وعبد الله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم، عثمان بن حنيف على مساحة الأرض، ثم فرض لهم في كل يوم شاة، شطرها وسواقطها لعمار، والشطر الآخر بين هذين الرجلين، ثم قال: ما أوى قرية يؤخذ منها كل يوم شاة إلا سريعاً في خرابها. قال: ومسح عثمان بن حنيف الأرض فجعل على جريب الكرم عشرة دراهم، وعلى جريب النخل خمسة دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب البر أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهمين. قال أبو عبيد: وحدَّثنا إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، عن الشعبي: أن عمر رضي اللّه عنه بعث عثمان بن حنيف فمسحِ السواد، فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب، فوضع على كل جريب درهماً وقفيزاَ. قال أبو عبيد: وأرى هذا الحديث هو المحفوظ. ويقال إن حد السواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماداً من الماء إلى ساحل البحرين من بلاد عبادان وشرقي دجلة هذا طوله. وأما عرضه: فحده منقطع الجبل من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، فهذا حدود السواد، وعليها الخراج وقع. وفي رواية أبي مجلز قال: بعث عمر بن الخطاب عثمان بن حنيف على خراج السواد، ورزقه كل يوم ربع شاة وخمسة دراهم، وأمره أن يمسح السواد عامره وغامره، ولا يمسح سبخه ولا تلاله ولا أجده ولا مستنقع ماء، وما لا يبلغه الماء، فمسح كل شيء دون الجبل يعني جبل حلوان إلى أرض العرب وهو أسفل الفرات، وكتب إلى عمر:

إني وجدت كل شيء بلغه الماء من عامر وغامر ستة وثلاثين ألف ألف جريب، وكان ذراع عمر الذي مسح به السواد ذراعاً وقبضة والإبهام مضجعة. وكتب إليه عمر: أن أفرض على كل جريب عامر أو غامر، عمله صاحبه أو لم يعمله درهماً وقفيزاً، وفرض على الكروم كل جريب عشرة دراهم، وعلى الرطاب خمسة دراهم، وأطعمهم النخل والشجر فقال: هذا قوة لهمِ على عمارة بلادهم، وفرض على رقاب أهل الذمة على الموسر ثمانية وأربعين درهماَ، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين، وعلى من لا يجد اثني عشر درهماً، فحمل من خراج سواد الكوفة إلى عمر في أول سنة ستة وثمانون ألف ألف درهم، وحمل من قابل عشرون ومائة ألف ألف درهم، فلم يزل على ذلك. قال المؤلف : وقد ذكرنا أن مقدار هذا الطول مائة وخمسة وعشرون فرسخاً، وقدو العرض ثمانون فرسخاً، فجبى السواد مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف، وجباه عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف درهم وأربعة، وعشرون ألف ألف درهم بعد أن جباه الحجاج بظلمه وعسفه مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف درهم، وكان الحجاج قد منع ذبح البقر ليكثر الحرث. فقال الشاعر:

شكونا إليهِ خراب السوادِ فحرَّم فينا لحُومَ البَقر

وقد كان هذا السواد يجبي في زمان الأكاسرة مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم، وكان خراج مصر في أيام فرعون ستة وتسعين ألف ألف دينار، فجباها عبد اللّه بن الحبحاب في أيام بني أمية ألفي ألف وسبع مائة ألف وثلاثة وعشرين ألفاً وثمانمائة وسبع دنانير، وحمل منها عيسى بن موسى في أيام بني العباس ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار. وإنما سمي سواداً لأن العرب حين جاءوا نظروا إلى مثل الليل من النخل والشجر والماء فسمُوه سواداً. وذكر بعض أهل العلم أن الفرس كانت تجبي خراج فارس أربعين ألف ألف مثقال لأنها بلاد ضيقة، وتجبي كرمان لكثرة عيونها وقنبها ستين ألف ألف مثقال، لأنها كثيرة العيون، وتجبي خوزستان خمسين ألف ألف درهم، والسواد مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم، والجبل والري إلى حلوان ثلاثين ألف ألف سوى خراسان، ويخففون الخراج على الأطراف. وذكر بعض العلماء أنه كان خراج مصر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، وخراج

قنسرين والعواصم أربعمائة ألف دينار، وخراج الموصل أربعة آلاف ألف دينار وثلاثة وعشرين ألف دينار.

وفي هذه السنة: ضربت الدراهم على نقش الكسروية، وعلى تلك السكك بأعيانها، إلا أنه جعل فيها اسم الله، فبعضها كتب فيه الحمد لله وبعضها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضها إلا إله إلا الله وبعضها عمر.

وفيها: سار عمرو بن العاص إلى طرابلس وهي برقة وصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار.

وفيها: حج عمر بن الخطاب بالناس وخلف على المدينة زيد بن ثابت .

وفيها: ولد الحسن البصري، وعامر الشعبي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر.

جعال بن سراقة الضمري. ويقال: جُعيل، وغير النبي صلى الله عليه وسلم إسمه فسمَاهُ عمر. وكان دميماً قبيح الخلق، إلا أنه كان رجلًا صالحاً، أسلم قديماً، وشهد أحداً والمشاهد بعدها، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيراً إلى المدينة بسلامتهم في غزاة ذات الرقاع، ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمِ حنين قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول اللّه، أعطيت الأقرع، وعيينة وتركت جعيلاَ؟! فقال: "والذي نفسي بيده، لجعيل خير من طلاع الأرض كلها مثل عيينة والأقرع، ولكني تألفتهما ليسلما، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه" حممه. أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قالت: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: قال حميد بن عبد الرحمن، كان رجل يقال له حممة من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصبهان غازيَا، وفتحت في خلافة عمر، فقال: اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان صادقاً فاعزم عليه بصدقه، وإن كان كاذباً فاعزم له عليه، وإن كره، اللهم لا تردّ حممة في سفره هذا. فمات بأصبهان، فقام أبو موسى فقال: ألا إنا واللّه ما سمعنا من نبيكم، وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد. رحمه اللّه.

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، أبو سليمان. رضي اللّه عنه .

وأمه عصماء، وهي لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب، وهي أخت أم الفضل بنت الحارث بن عبد المطلب أم بني العباس بن عبد المطلب رضي اللّه عنه. أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد. قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدَّثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث قال: سمعت أبي يحدث قال: قال خالد بن الوليد، : لما أراد اللّه بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حًبّ الإسلام، وحضرني رشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، وليس موطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى في نفسي إلى موضع في عريني، وأن محمداَ سيظهر، ودافعته قريش بالرماح يوم الحديبية، وقلت: أين أذهب. وقلت: أخرج إلى هرقل، ثم قلت: أخرج من ديني إلى نصرانية أو إلى يهودية، فأقيم مع العجم تابعاَ لها مع عيب ذلك عليّ، ودخل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة عام القضية فتغيبت، فكتب إليَ أخي: لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقله عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد، وقد سألني رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عنك، فقال: أين خالد؟ فقلتَ: يأتي الله به . فقال: "ما مثل خالد جهل الإسلام" فاستدرك يا أخي ما فاتك. فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرتني مقالة النبي صلى الله عليه وسلم،

وأرى في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة، فخرجت إلى بلد أخضر واسع فقلت: إن هذه لرؤيا، فذكرت بعد لأبي بكر فقال لي: هو مخرجك الذي هداك اللهّ فيه إلى الإسلام، والضيق: الشرك. فأجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبت مَنْ أصاحب، فلقيت عثمان بن طلحة، فذكرت له الذي أريد، فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعاً، فأدلجنا سحراً فلما كنا بالهدة إذا عمرو بن العاص، فقال: مرحباً بالقوم، فقلنا: وبك. قال: أين مسيركم؟ فأخبرناه، وأخبرنا أنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَّل يوم

من صفر سنة ثمان، فلما طلعت على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سلَّمت عليه بالنبوة، فردّ علي السلام بوجه طلق، فأسلمت، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "قد كنت أرى لك عقلًا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير" وبايعت رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم وقلت: استغفر اللّه لي كلما أوضعت فيه من صَدٍّ عن سبيل اللهّ تعالى. فقال: "إن الإسلام يجُب ما قبله " ثم استغفر لي، وتقدم عمرو، وعثمان بن طلحة فأسلما، فواللّه ما كان رسولَ اللهّ صلى الله عليه وسلم من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يَجْزيه. قال محمد بن عمر: وحدَّثني إسماعيل بن مصعب، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت قال: لما كان يوم مؤتة، وقتل الأمراء، أخذ اللواء ثابت بن أقرم، وجعل يصيح: يال الانصار. فجعل الناس يثبون إليه، فنظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان. فقال: لا آخذه، أنت أحق به، لك سن، وقد شهدت بدرأ. قال ثابت: خذه أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك، وقال ثابت للناس: اصطلحتم على خالد؟. فقالوا: نعم. فأخذ خالد اللواء، فحمله. قال محمد بن سعد: وأخبرنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفحة ثمانية. قال علماء السير: دخل خالد بن الوليد، يوم الفتح من الليط، فوجد جمعاً من قريش يمنعونه الدخول، فقاتلهم فقال رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم: "ألم أنه عن القتال؟ لما فقيل: خالد قوتل فقاتل. فقال رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم: "قضاء اللّه خير". وخرج خالد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، وإلى تبوك، ثم بعثه إلى أكيدر دومة، وخرج معه في حجة الوداع، فلما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه أعطاه ناصيته، فكانت في مقدمة قلنسوته، فكان لا يلقى أحداً إلا هزمه. وسمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، "سيف الله ". وقد سبق ذكر أحواله في المجاهدات، وكان شجاعاً، فكان يقول: لا أدري من أي يوميّ أفرّ، من يوم أراد اللّه أن يهدي لي فيه شهادة، أو من يوم أراد أن يهدي لي فيه كرامة. أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه قال: حدَثنا السري بن يحيى قال: حدَّثنا شعيب قال: حدَّثنا سيف، عن مبشر عن سالم قال: حج عمر، واشتكى خالد بعده وهو خارج من المدينة زائراً لأمه، فقال لها: احذروني إلى مهاجرتي، فقدمت به المدينة ومرضته، فلما ثقل وأطل عمر لقيه لاقٍ على مسيرة ثلاث، صادراً عن حجه، فقال له عمر: مَهْيَم. فقال: خالد بن الوليد. لما به. فطوى ثلاثاً في ليلة، فأدركه حين قضى، فرق عليه واسترجع، وجلس ببابه حتى جُهز، وبكته البواكي، فقيل لعمر: ألا تسمع؟! ألا تنهاهن؟ فقال: وما على قريش أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة-النقع: الشق. واللقلقة: الصوت- فلما أخرج بجنازته رأى عمر امرأة محترمة تبكيه وتقول:

أنتَ خيرٌ من ألف ألفٍ من الناس ... إذا ما كبت وجُوه الرجال

أشجاع فأنت أشجع من ليث ... عرين جهم أبي أشبال

أجواد فأنت أجود من سيل ... دياس يسيل بين الجبال

فقال عمر: مَنْ هذه. فقيل: أمه. فقال: أمه والهاً له – ثلاثاً– هل قامت النساء عن مثل خالد.

وكان عمر يتمثل في طيّه تلك الثلاث في ليلة وبعد ما قدم:

تبكي ما وصلت به الندامى ... ولا تبكي فوارس كالجبال

أولئك إن بكيتَ أشد فقد ... أمن إلا ذهاب والفكر الحلال

تمنى بعدهم قوم مداهم ... فلم يدنو الأسباب الكمال

وهذا الحديث يدل على أنه مات بالمدينة. وقال الواقدي: مات بحمص، ودفن في قرية على ميل من حمص. قالوا: ووصَّى إلى عمر، فقدم عليه بالوصيّة فقبلها. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل بن الضراب قال: أخبرنا أبي قال: حدَّثنا أحمد بن مروان المالكي قال: حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: حدَثنا الواقدي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد: أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى وقال: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت العير، فلا نامت عين الجبناء.

عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس. فأما أبوه فشهد بدراً، ويقال له: سعد القارىء. ويروي الكوفيون أنه أبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. وقتل سعد بالقادسية شهيداً. وأما عمير فصحب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وولَّاه عمر حمص، وكان يقال له: نسيج وحده. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي قال: أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: حدَّثنا سليمان بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن المرزبان قال: حدَّثنا محمد بن حكيم الرازي قال: حدَّثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة قال: حدَّثني أبي، عن جدي، عن عمير بن سعد قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملاً على حمص، فمكث حولاً لا يأتيه خبره، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير، فواللّه ما أراه إلا قد خاننا: "إذا جاءك كتابي هذا فاقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا". قال: فأخذ عمير جرابه، فجعل فيه زاده وقصعته، وعلق أدواته، فأخذ عنزته، ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة، وقد شحب لونه، وأغبر وجهه، وطال شعره، فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه. قال عمر: ما شأنك. فقال عمير: ما ترى من شأني، أليس تراني صحيح البدن ، ظاهر الدَّم، معي الدنيا أجرها بقرنها. قال: وما معك. فظن عمر أنه قد جاء بمال. فقال: معي جرابي، أجعل فيه زادي وقصعتي، آكل فيها، وأغسل فيها رأسي وثيابي وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعنزتي أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدواَ إن عرض لي، فواللّه ما الدنيا إلا نفع لمتاعي، قال عمر: فجئت تمشي. قال: نعم، قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها. قال: ما فعلوه، وما سألتهم ذلك. فقال عمر: بئس المسلمين خرجت من عندهم. فقال عمير: اتق الله يا عمر، قد نهاك اللّه عن الغيبة، وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة. قال عمر: بعثتك وأي شيء صنعت. فقال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين. فقال: سبحان اللّه. فقال عمير: أما أني لولا إني أخشى أن أعمل ما أي تك بعثتني حتى أتيت البلد، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه، ولو نالك منه

شيء لأتيتك به. قال. فما جئتنا بشيء. قال: لا. قال: جددوا لعمير عهداً. قالت: إن ذلك لشيء لا عملته لك ولا لأحدٍ بعدك، واللّه ما سلمت، بل لم أسلم. قلت: لنصراني. أخزاك اللّه، هذا ما عرضتني له، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك. ثم استأذنه، فأذن له، فرجع إلى مترله، وبينه وبين المدينة أميال، فقال عمر حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا. فبعث رجلاً يقال له الحارث، وأعطاه مائة دينار، وقال: انطلق إلى عمير حتى تترل به كأنك ضيف، فإن رأيت أثر شيء فأقبل وإن رأيت حالًا شديداً فادفع إليه هذه المائة دينار. فانطلق الحارث، فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصاً إلى جنب الحائط، فسلم

عليه الرجل، فقال له عمير: انزل رحمك اللّه. فترل ثم سأله فقال: من أين جئت؟ فقال: من المدينة. قال: فكيف تركت أمير المؤمنين؟ قال: صالحاً. قال: فكيف تركت المسلمين. قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى، ضرب ابناً له على فاحشة فمات من ضربه. قال عمير: اللهم أعن عمر، فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك. قال: فترل به ثلاثة أيام، وليس لهم إلا قرص من شعير كانوا يَخُصُّونه به، ويطوون حتى أتاهم الجهْد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا، فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل. قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه، فقال: بعث لك أمير المؤمنين، فاستعن بها. قال: فصاح وقال: لا حاجة لي فيها، رُدّها. فقالت له امرأته: إن احتجت إليها، وإلا فضعها في مواضعها فقال عمير: واللّه ما لي شيء أجعلها فيه. فشقت المرأة أسفل درعها، فأعطته خرقة، فجعلها فيها، ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء، ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً. فقال له عمير: أقرىء مني أمير المؤمنين السلام. فرجع الحارث إلى عمر فقال: ما رأيتَ؟ قال: رأيت حالاً شديداً. قال: فما صنع بالدنانير. قال: لا أدري. قال: فكتب إليه عمر: "إذا جاءك كتابي فلا تضعه من يدك حتى تقبل" فأقبل إلى عمر، فدخل عليه، فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ فقال: صنعت ما صنعت، وما سؤالك عنها. قال: أنشدك اللّه إلا ما أخبرتني ما صنعت بها؟ قال: قدمتها لنفسي. قال: رحمك اللّه. فأمر له بوسقٍ من طعام وثوبين، فقال: ما الطعام فلا حاجة لي فيه، قد تركت في المترل صاعين من شعير، إلى أن آكل ذلك قد جاء اللّه بالرزق. ولم يأخذ الطعام. وأما الثوبان فإن أم فلان عارية . فأخذهما ورجع إلى مترله، فلم يلبث أن هلك- رحمه اللّه- فبلغ ذلك عمر، فشق عليه، وترحم عليه، وخرج يمشي معه، ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد، فقال لأصحابه: ليتمنَّ كل منكم أمنية. فقال رجل: وددت يا أمير المؤمنين أن عندي مالاً فأعتق لوجه اللّه كذا وكذا. وقال آخر: وددت أن عندي مالاً فأنفق في سبيل اللّه. وقال آخر: وددت أن لي قوة فأنضح بدلوٍ من زمزم لحجاج بيت اللّه. فقال عمر: وعدت أن لي رجلًا مثل عمير استعين به في أعمال المسلمين.

عويم بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان. شهد أحداً مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ولما قدم من تبوك رمى امرأته بشريك بن سحماء، فلاعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بينهما فِي مسجده بعد العصر، قائمين عند المنبر، وذلك من شعبان سنة تسع، فلما ولدت جاءت به أشبه الناس بشريك من سحماء، وكان قوم عويم قد لاموه فيما قال، فلما رأوه يشبه شريكاً عذروه فيما قال. وعاش المولود سنتين ثم مات، وعاشت أمه بعده يسيراً، وكان شريك عند الناس بحال سوء بعد، وقد شهد شريك أحداً أيضاً.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

فمن الحوادث فيها: أن معاوية غزا الصائفة، ودخل بلاد الروم في عشرة آلاف من المسلمين .

أنبأنا أبو القاسم زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا: أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الحاكم قال: حدَّثني أبو بكر محمد بن الفضل الفقيه قال: حدَّثنا أبو نعيم عبد الملك بن علي قال: حدَّثنا صالح بن علي النوفلي قال: حدَّثنا عبد اللّه بن محمد بن ربيعة القُدَاميّ قال: حدثّنا عمر بن المغيرة، عن عطاء بن العجلان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أسرت الروم عبد اللّه بن حذافة السهمي صاحب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال له الطاغية: تنصَرْ، وإلا قتلتلك أو ألقيتك في النقرة النحاس. قال: ما أفعل. فدعى بنقرة نحاس فملئت زيتاً وأغليت، ودعى رجلًا من المسلمين، فعرض عليه النصرانية فأبى، فألقاه في النقرة، فإذا بعظامه تلوح. فقال لعبد اللّه بن حذافة: تنصر وإلا ألقيتك. قال: ما أفعل. فأمر به أن يلقى في النقرة، فكتفوه فبكى، فقالوا: قد جزع وبكى. قال: ردُّوه. قال: فقال: لا تظن أني بكيت جزعاً، ولكن بكيت إذ ليس بي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في سبيل اللّه عز وجل، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيَ، ثم تُسلط عليَّ فتفعل بي هذا. قال: فأعجب به، وأحب أن يطلقه، فقال: قبّل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل. قال: تنصَّر وأزوجك ابنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل. قال: قبّل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين. فقال: أما هذا فنعم. فقبل رأسه فأطلقه وثمانين معه. فلما قدموا على عمر قام إليه عمر فقبَّل رأسه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبد اللّه فيقولون: قبل رأس العلج .

ومن الحوادث في هذه السنة: أن عمر رضي الله عنه كتب إلى نعمي بن مقرن: أن سر حتى تأتي همدان، وابعث على مقدمتك سويد بن مقرن، وعلى مجنبتك ربعي بن عامر، ومهلهل بن زيد الطائي، فخرج حتى نزل ثنية العسل وسُميَت ثنية العسل لأجل العسل الذي أصابوا فيها عند وقعة نهاوند ثم انحدر نعيم من الثنية حتى نزل على مدينة همدان، وقد تحصنوا فيها، فحاصرهم واستولى علي بلاد همدان كلها، فلما رأى ذلك أهل همدان سألوه الصلح فأجابهم، وقبل منهم الجزية. وقال ربيعة بن عثمان: كان فتح همذان في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر، وجيوشه عليها .

ومنها: فتح الري: قالوا: وخرج نعيم بن مقرن إلى الري، فبعث مَنْ دخل عليهما من حيث لا يشعرون، ثم قاتلهم وأخرب مدينتهم. قال الواقدي: إنما فتح همدان والري في سنة ثلاث وعشرين.

ومنها: فتحِ قومس: وكتب عمر إلى نعيم أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس، فذهب وأخذها سلماَ، وكتب لهم كتاب أمانٍ .

ومنها: أن عمر أمر عبد الرحمن بن ربيعة أن يغزو الترك، فقصدهم، فحال اللّه بينهم وبين الخروج عليه، وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت، فتحصنوا وهربوا، فرجع بالغنم والظفر في إمارة عمر. ثم غزاهم غزوات في زمن عثمان حتى قتل في بعض مغازيه إياهم، فهم يستسقون بجسده .

وفي هذه السنة: حج عمر بن الخطاب بالناس.

وفيها: ولد يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان وقيل: إنما ولد يزيد في سنة خمس وعشرين.

وفي هذه السنة: خرج الأحنف بن قيس إلى خراسان، فحارب يزدجرد. وبعضهم يقول: كان ذلك في سنة ثمان عشرة. وقد ذكرنا أن الأحنف أشار على عمر بقصد يزدجرد، وأن عمر عقد الألوية، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، ففتتح هراة عنوة، ثم

سار نحو مرو، وأرسل إلى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير وكتب يزدجرد وهو بمرو إلى خاقان يستمده، وإلى ملك الصغد يستمده، وإلى ملك الصين يستعين به ، ولحقت بالأحنف أمداد أهل الكوفة، فسار إلى موضع، فبلغ يزدجرد، فخرج إلى بلخ، فسار أهل الكوفة إلى بلخ، فالتقوا بيزدجرد، فهزمه اللّه تَعالى، فعبر النهر، ولحق الأحنف بأهل الكوفة، وفتح الله عليهم، وعاد الأحنف إلى مَرْو الروذ، فنزلها، ثم أقبل يزدجرد ومعه خاقان إلى مَرْو الروذ، فخرج الأحنف ليلاً في عساكره يتسمع، هل يسمع برأي ينتفع به.
فمرَّ برجلين يقول أحدهما للآخر: لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا أمنّا أن يأتونا من خلفنا، ورجونا أن ينصرنا اللّه تعالى. فارتحل، فأسندهم إلى الجبل، ثم خرج الأحنف ليلة فرأى كبيراً منهم فقتله ثم آخر ثم آخر، وانصرف إلى عسكره و لم يعلم به أحد، فخرجوا فرأوا أولئك مقتولين، فقال خاقان: ما لنا في قتال هؤلاء خير.
فانصرف بأصحابه إلى بلخ، فقال يزدجرد: إني أريد أن اتبع خاقان فأكون معه. فقالوا: أتدع قومك وأرضك وتأتي قوماً في مملكتهم، عُد بنا إلى هؤلاء القوم أنصالحهم فإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا من عدوٍ يلينا في بلاده، . فأبى عليهم، وأبوا عليه إلى أن قالوا له: فدع خزائننا نردها إلى بلادنا. فأبى عليهم وأبوا عليه. فقالوا: إنا لا ندعك. فاعتزلوا وتركوه في حاشيته، وقاتلوه فهزموه، وأخذوا الخزائن، واستولوا عليها وركبوه، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر، ومضى يزدجرد بالأثقال إلى فرغانة والترك، فلم يزل مقيماً زمان عمر كله، فأقبل أهل فارس إلى الأحنف بن قيس، وصالحوه، وعاقدوه، ودفعوا إليه الخزائن والأموال، ورجعوا إلى بلادهم واموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة، وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية.
ولما رجع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزدجرد حتى نزل قم، واختلف هو ومَنْ معه، فقُتل ورُمي في النهر.
وما عرفنا أحداً من الأكابر توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

فمن الحوادث فيها:

فتح إصطخر وتوج

قال أبو معشر: كانت فارس الأولى، وإصطخر الآخرة سنة ثلاث وعشرين وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين. وفي سنة ثلاث وعشرين وقعة فَسا ودار بِجَرْدَ. أخبرنا محمد بن الحسين وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدَّثنا السري بن يحيى قال: حدَثنا شعيب قال: حدَّثنا سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا: قصد سارية بن زُنَيم فَسا وَدارَا بجرْد فحاصرهم، فتجمعت إليه أكراد فارس، فَدَهَمَ المسلمين أمر عظيم، ورأى عمر في ليلةٍ فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعةٍ من النهار، فنادى من الغد: الصلاة جامعة. حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان أرِيهم والمسلمون، بصحراء، إن أقاموا ها أحيط هم، وإن أرَزُوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجهٍ واحد، فقام فقال: أيها الناس، إني أريت هذين الجمعين– وأخبر بحالهما– ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل،. ففعلوا، وقاتلوا القوم من وجهٍ واحد، فهزمهم الله عز وجل، وكتبوا بذلك إلى عمر. وحدَّثنا سيف، عن أبي عمر دثار بن أبي شبيب، عن عثمان وأبي عمرو

بن العلاء، عن رجل من بني مازن قال كان عمر قد بعث سارية بن زنيم إلى فَسا ودارا بجَرْد، فحاصرهم ، ثم انهم تداعَوْا فأصحروا وأتوه من كل جانب، فقال عمر وهو يخطب في يوم جمعةٍ : يا سارية بن زُنيم، الجبل الجبل. ولما كان ذلك اليوم و، إلى جنب المسلمين جبل، إن لجأوا إليه لم يؤتوا إلا من وجهٍ واحد، فلجأوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم فهزموهم، وأصاب مغانمهم، وأصاب في المغانم سَفَطاً فيه جوهر، فاستوهبه من المسلمين لعمر، فوهبوه له، فبعث به مع، رجل وبالفتح. وكان الرسل والوفد يُجازون وتُقضى لهم حوائجهم. فقال له سارية: استقرض ما تُبلّغ به وتُخلَفه لأهلك على جائزتك. ففعل، ثم خرج فقدم على عمر، فوجده يطعم لناس ومعه عصاه التي يزجر بها بعيره، فقال: اجلس. فجلس حتى إذا أكل القوم، انصرف عمر، وقام فاتبعه، فظن عمر أنه لم يشبع، فقال حين انتهى إلى باب داره: ادخُل. فلما جلس في البيت أتى بغَدائه: خبز وزيت وملح جريش: فوضع فقال: ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ قالت: إني لأسمع حسَّ رجلٍ، فقال: أجل. فقالت: لو أردت أن، أبرز للرجال، لاشتريت لي غير هذه الكسوة فقال: أو ما ترضَيْنْ أن يقال: أم كلثوم بنت عليّ وامرأة عمر! فقالت: ما أقل غَناء ذلك عني! ثم قال للرجل: ادنُ فكلْ. فلما أكلا وفرغا قال: أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين. قال: مرحباً وأهلاً. فأدناه حتى مست ركبتُهُ ركبَتَه ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن، سارية بن زنيم، فأخبره بقصّة الدُّرْج ، فنظر إليه ثم صاح به: لا، ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم. فطرده.
فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد أنضيتُ إبلي، واستقرضت على جائزتي، فأعطني ما أتبلَّغ به، فما زال به، حتى أبدله بعيراً ببعيره من إبل الصدقة، وأخذ بعيره فأدخله في إبل الصدقة، ورجع الرسول محروماً حتى دخل البصرة، قد سأله أهل المدينة عن سارية، وعن الفتح، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة فقال: نعم، سمعنا يا سارية الجبل وقد كدنا نهلك فألجأنا إليه، ففتح اللّه علينا. أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسن بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدَّثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه وأبي سليمان، عن يعقوب قالا،:
خرج عمر بن الخطاب يوم الجمعة إلى الصلاة، فصعد إلى المنبر، ثم صاح: يا سارية بن زنيم، الجبل. يا سارية بن زنيم، الجبل، ظلم من استرعى الذئب الغنم. ثم خطب حتى فرغ فجاء كتاب سارية بن زنيم إلى عمر أن الله فتح علينا يوم الجمعة لساعة كذا وكذا- لتلك الساعة التي خرج فيها عمر، فتكلم على المنبر- قال سارية: سمعت صوتاً "يا سارية بن زنيم الجبل، ظلم من استرعى الذئب الغنم، فعلوت بأصحابي الجبل، ونحن قبل ذلك في بطن وادي ونحن محاصرو العدو، وفتح الله علينا. فقيل لعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: ما ذلك الكلام؟ فقال: والله ما ألقيت له إلا بشيء أتى على لساني.
وفي هذه السنة: كان فتح كَرْمَان ، وغنم المسلمون منها ما شاءوا من الشاة والبعير.

وفيها: فتحت سِجسْتَان، وصالح أهلها المسلمين.
وفيها: فتحت مكران وبَيْرُوذ .
وفيها: غزا معاوية أرض الروم حتى بلغ عمورية، وكان في ذلك أبو أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، وأبو ذر، وشداد بن أوس.
وفي هذه السنة: فتح معاوية عسقلان على صلح.
وفي هذه السنة: حج عمر بأزواج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وهي آخر حجة حجها بالناس. أخبرنا محمد بن الحسين،

وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّٰه قال: حدثنا السري بن يحيى قال: حدَثنا شعيب، عن أبي عثمان، وأبي حارثة، والربيع بإسنادهم قالوا: حج عمر بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم معهن أولياءهن ممَنْ، لا تحتجبن منه، وجعل في مقدم قطارهن: عبد الرحمن بن عوف، وفي مؤخره: عثمان بن عفان، فلما ردَهن شخص بهما وبالعباس، وخلفنا علياً عليه السلام على الناس، ثم أسرع حتى قدم الجابية يوم الوقعة، فأتاه الفتح بها، وركب عمر رضي اللّه عنه مع الجابية يريد الأردن، ووقف له المسلمون وأهل الذمة، فخرج عليهم على حمار وأمامه العباس على فرس، فلما رآه أهل الكتاب سجدوا، فقال: لا تسجدوا للبشر، واسجدوا لله. ومضى، فقال القسيسون والرهابن: ما رأينا أحداً أشبه بما يوصف من الحواريين من هذا الرجل. ثم دخل الأردن على بعير، فلما انتهى إلى الأردن أتى على فيض ماء، فأخذت الخيول يمنةً ويسرةً، فترل عن بعيره فأخاضه وأخاض، فدنا منه أبو عبيدة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك في بلاد الأعاجم، وقد ساءني ما رأيت من ابتذالك خشية أن يجري ذلك البطارقة علينا، فسكت حتى دخل، فعمد إلى المنبر، فأطاف به الناس، فدعا أبا عبيدة، فأقامه أسفل منه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إن اللّه رفعكم وأعزَكم بدينه، فاطلبوا العزّ بالدين والكرم تعزوا وتتبعكم الدنيا، ولا تطلبوا العزّ بغير الدين فتذلوا، واللّهِ لو كنت تقدمت إليك من قبل الآن لنكّلت بك. ورجع عمر إلى المدينة في المحرم سنة سبع عشرة- هكذا من رواية سيف.

وغيره يقول: كان ذلك في سنة ثلاث وعشرين. أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا أبو الحسين بن المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبد الله الأنماطي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم، حدَثنا الهيثم بن علي، أخبرنا عبد الله بن عمر، عن نافع، عن أسلم مولى عمر قال: صنع أرخنُ الجابية لعمر بن الخطاب طعاماً في الكنيسة، فطعم عمر، ثم حضرت الصلاة، فصلى عمر بأصحابه في الكنيسة.

وفي هذه السنة- أعني سنة ثلاث وعشرين- كان عامل عمر على مكة نافع بن عبد الله الخزاعي- وقيل: ابن عبد الحارث، وهو الأصح -وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن أمية، وعلى حمص عُمير بن سعد، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبو موسى، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحرين وما حولها عثمان .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عمر بن الخطاب. جرحه أبو لؤلؤة- واسمه: فيروز: فبقي ثلاثاً يصلي في ثيابه التي جرح فيها، وتوفي فصلى عليه صهيب. ووُلدَ لعلي بن أبي طالب ليلة مات عمر رضي الله وَلَد فسمَّاه عمر. وولد لعثمان تلك الليلة ولد فسمَاه عمر. وولد لعبيد اللّه بن معمر التيمي ولد فسمَّاه عمر. أخبرنا الأول قال: أخبرنا ابن المظفر قال: أخبرنا ابن أعين قال: حدَّثنا الفربري

قال: حدَثنا البخاري قال: حدَّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدَّثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون قال: إني، لقائم ما بيني وبين عمر إلا ابن عباس غداة أصيب، فكان إذا مر بين الصفين قال: استووا. حتى إذا لم ير فيهن ظلاً تقدم، فكبروا، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو: أكلني الكلبُ حينَ طعَنَه، فطارَ العِلجُ بِسكَينٍ ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً ولا شمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهمِ سبعة.

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طَرَحَ عليه بُرنساً، فلما ظَنَّ العِلجُ أنه مأخوذ نحَر نفسَه. وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقَدَمه، فمن يلي عمر، فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، سبحان اللّه. فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر مَنْ قتلني؟ فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصَّنَع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرتُ به معروفاً، الحمد لله الذي لم يَجْعَلْ ميتتي بيدِ رجل يدعي الإسلام. قال: فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبةٌ قبلَ يومئذ . فقائل يقول: لا بأس وقائل يقول: أخاف عليه. فأُتيَ بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتيَ بلبن فشربه فخرج من جُرْحِهِ ، فعلموا أنه مَيِّت. فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا، يُثنونَ عليه . وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببُشْرَى اللّه لك، من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقدَمٍ في الإسلام ما قد علمت، ثم وليتَ فعدَلتَ، ثم شهادة. قال: وَعِدْت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي. فلما أدبر إذا إزارُه يَمَسُ الأرض، قال: رُدوا عليَّ الغُلامَ. قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك ، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربِّك. يا عبد اللّه بن عمر، انظُرْ ما عليَ من الدَّين. فحسَبوهُ فوجدوهُ ستةَ وثمانين ألفاً أو نحوه. قال: إن وَفى لهُ مالُ آل عمرَ فأدَهِ من أموالهم، وإلَّا فسَلْ في بني عَدي بن كعب، فإن لم تَفِ أموالُهم فسَل في قُرَيْش، ولا تَعْدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لَها: إن عمر يقرأ عليك السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني اليوم لست للمؤمنين أميراً وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفَنَ مع صاحبيه. فمضى ، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: عمر يقرأ عليك السلام ويستأذنُ أن يُدفَنَ مع صاحبَيه فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد اللّه بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني. فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، إنها قد أذنت. قال: الحمد لله، ما كان من، شيء أهُم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذنُ عمر بن الخطاب، فإن أذنَتْ لي فأدخلوني، وإن ردّتني رُدُوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تَسير ُمعها، فلما رأيناها قمنا، فوَلجَت عليه فبكَتْ عندَه ساعة، واستأذن الرجال، فوَلَجتْ داخلًا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استَخْلِف. قال: ما أجدُ أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفرِ- أو الرهطِ- الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ. فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن، وقال: يَشهَدُكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء- كهيئة التعزية له،- فإن أصابت الإمرةُ سعداً فهو ذاك، وإلا فلْيَسْتَعِنْ به أيُكم ما أُمِّر، فإني لم أعزِلْه عن عجر ولا خيانة. وقال: أوصِي الخليفةَ من بعدِي بالمهاجرينَ الأولين، أن يعرِفَ لهم حقّهم، ويَحفَظَ لهم حرمتَهم. وأوصِيه بالأنصار خيراً، الذينَ تبَؤاوا الدارَ والإيمانَ من قَبلِهم، أن يَقبَلَ من مُحسنهم، وأن يجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصَار خيراً، فإنهم ردْءِ الإسلام، وجُباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلّاَ فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خَيراً، فإنهم أصلُ العرب، ومادة الإسلام، أن يُؤخذ من حَواشي أموالهم، ويُرَدَّ عَلَى فُقَرائهم. وأوصيهِ بذَمّة اللّه وذمةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يُوفيَ لهم

بعهدهم. وأن يُقاتل من ورائهم، ولا يُكلفوا إلاَ طاقَتَهم. فلما قُبِضَ خرَجنا به فانطلَقْنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر، قال: يَستأذنُ عمر بن الخطاب. قالت: أدخلوه، فاه دخِل، فوُضِعَ هنالك مع صاحبَيه. فلما فُرِغَ من دَفنه اجتمعَ هؤلاء الرهط. فقال عبد الرحمن: اجعَلوا أمرَكم إلى ثلاثةٍ منكم. فقال الزُبَيرُ: قد جعلتُ أمري إلى عليّ. فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيُّكما تَبرأ من هذا الأمر فنجعلهُ إليه، واللّهُ عليه والإسلامُ لَينظرَنّ

أفضلَهم في نفسه . فأسكتَ الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونَهُ إليَ واللَهُ عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم. فأخذَ بيدِ أحدهما فقال: لكَ قرَابةٌ من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم والقدَم في الإسلام ما قد علمتَ، فاللَهُ عليكَ لَئن أمَّرْتُكَ لتَعدلنَّ، ولَئن أمَّرتُ عثمانَ لَتسمعنَّ ولَتُطيعنَّ. ثُم خَلا بالآخَرِ فقال مثلَ ذلك. فلما أخذَ الميثاقَ قال: ارفعْ يَدَكَ يا عثمانُ، فبايَعَهُ، فبايَعَ لهُ علي، وولَجً أهلُ الدَّارِ فبايَعوهُ. أخرجه البخاري.

ولما مات عمر قدم الطعام بين أيدي الناس على عادتهم فامتنعوا لموضع حزنهم، فابتدأ العباس أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن غيلان قال: أخبرنا أبو بكر الشافعي قال: حدثنا موسى بن يونس بن موسى قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: إن قريشاً رؤساء الناس، لا يدخلون باباً إلا فتح الله عليهم منه خيراً. فلما مات عمر واستخلف صهيب على إطعام الناس، وحضر الناس وفيهم العباس، فأمسك الناس بأيديهم عن الأكل، فحسر عن ذراعيه وقال: يا أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فأكلنا، وإن أبا بكر مات فأكلنا، وإنه لا بد من الأكل. فضرب بيده، وضرب القوم بأيديهم. فعرف قول عمر: إن قريشاً رؤساء الناس، .

قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، أبو عبد اللّه الأنصاري رضي اللّه عنه. شهد بدراً وأحداً، وأصيبت عينه يومئذ، فسالت على وجنتيه، فأتى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول اللّه، إن عندي امرأة أحبها، وإن هي رأت عيني خشيت أن تقذرني فرَدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فاستوت ورجعتَ، وكانت أقوى عينيه وأصحهما بعد أن كبر. وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت معه راية بني ظفر يوم الفتح. وتوفي في هذه السنة، وهو ابن خمس وستين سنة، وصلى عليه عمر، ونزل في قبره أخوه لأمه أبو سعيد الخدري. رضي اللّه عنهم أجمعين.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

فمن الحوادث فيها: استخلاف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

باب ذكر خلافة عثمان رضي الله عنه

ذكر نسبه هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. يكنى أبا عمرو، ويقال: أبا عبد اللّه. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. وأمها أم حكيم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. كان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولد في الإسلام من رقية عبد اللّه اكتنى به، فبلغ ست سنين، فنقره ديك في عينه، فمرض، فمات.

ذكر صفته كان عثمان حسن الوجه، رقيق البشرة، بوجهه نكتات من جدري، ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحية عظيمها، أسمر اللون، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، أصلع، وكان نقش خاتمه: آمن عثمان بالله العظيم.

ذكر إسلامه قال الواقدي: أسلم عثمان قديماً قبل دخول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين معه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا ابن معروف قال: حدَثنا الحسين بن الفهم قال: حدَثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال:، حدَّثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه قال: لما أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبي العاص، فأوثقه رباطاً وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث. والله لا أخليك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين. فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه. فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه. قال علماء السير: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر خلف عثمان على ابنته رقية، وكانت مريضة فماتت يوم قدم زيد بن حارثة بشيراً بما فتح الله على رسول اللهّ ببدر. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان، بسهمه وأجره في بدر فكان كمن شهدها، وزوَّجه أم كلثوم بعد رقية، فماتت فقال: "لو كانت عندي ثالثة لزوَجت عثمان ". واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع، وفي غزوته إلى غطفان.

ذكر أولاده ولدت له رقية: عبد الله.

وولدت له فاختة بنت غزوان: عبد الله الأصغر.

وولدت له أم عمرو بنت جندب: عمراً، وخالد اً، وأباناً، وعمر، ومريم.

وولدت له فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس: الوليد، وسعيد، وأم سعيد.

وولدت أم البنين بنت عيينة بن حصن: عبد الملك.

وولدت له رملة بنت شيبة بن ربيعة: عائشة، وأم أبان، وأم عمرو.

وولدت له نائلة بنت الفرافصة: مريم.

وقُتل وعنده: رملة، ونائلة، وأم البنين، وفاختة.

وقال بعضهم: طلق أم البنين وهو محصور.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: حدَثنا المخلص قال: حدَثنا أحمد بن عبد الله قال: حدَثنا السري بن يحيى قال: حدَثنا شعيب قال: حدَثنا سيف، عن معشر عن جابر: أن عمر قال قبل موته: إن هذا الأمر لا يزال فيكم ما طلبتم به وجه الله والدار الآخرة، فإذا طلبتم به الدنيا وتنازعتم سلبكموه الله ونقله عنكم، ثم لا يرده عليكم أبداً، هل تعلمون أن أحداً، أحق بهذا الأمر من هؤلاء الستة نفر الذين مات رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ؟ قالوا: لا. فلما مات قال عبد الرحمن: أيكم يكفينا النظر ويخرج نفسه؟ فلم يجبه أحد. فقال: أنا أخرج نفسي وابن عمي سعد بن أبي وقاص، فأنظر لكم. قالوا: نعم. فخرج عبد الرحمن بن عوف، فلم يدع أحداً بالمدينة من المهاجرين السابقين والأنصار إلا استشاره، وكلهم قال عثمان. فنام، فرأى في المنام أن أقرأ قرآنهم فإن استووا فأفقههم، فإن استووا فأسنَّهم، فانتبه، فقال: هل تعلمون هذا اجتمع في أحد منكم غير عثمان؟ فبايعوه.

وحدَّثنا سيف، عن بدر، بن عثمان، عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى منبر النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنكم في دار قُلْعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فقد أتيتم صُبِّحتم أو مسيتم ألا إن الدنيا طويت على الغرور "فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" لقمان واعتبروا بمن مضى، ثم شدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها

ومُتعُوا بها طويلا. ألم تلفظهم؟، ارموا بالدنيا حيث رمى، الله بها، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب مثلها فقال: "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح، وكان اللّه على كل شيء، مقتدرا" الكهف 54 .

أخبرنا ابن الحسن، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد قال: حدَّثني سفيان بن وكيع، حدَّثنا قبيصة، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً؟ قال: ما ذنبي. قد بدأت بعدي فقلت: أبايعك على كتاب اللّه وسنة رسوله، وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: فيما استطعت، ثم عرضتها على عثمان فقبلها.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه قال: حدَّثنا السري بن يحيى قال: حدَثنا شعيب قال: حدَّثنا سيف، عن عمرو، عن الشعبي قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم، وقد دخل وقت العصر، وقد أذّن ضهيب، واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس، فزاد الناس كآبة، ووفد أهل الأمصار.

أخبرنا ابن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: حدَّثنا محمد بن عمر قال: أخبرنا أبو بكر بن إسماعيل، عن عثمان بن محمد الأخنسي وأخبرنا أبو بكر بن أبي سبرة، عن يعقوب بن زيد، عن أبيه قال: بويع عثمان يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فاستقبل بخلافته المحرم من سنة أربع وعشرين.

ذكر طرف من سيرته من ذلك أنه أقر عمال عمر سنة، وولى زيد بن ثابت القضاء، ورزقه على ذلك ستين درهماً، وضمه إلى علي بن أبي طالب حين كثر الناس، وكان أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله: "أما بعد: فإن اللّه تعالى أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، و لم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، و لم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة، ولا يصيروا رعاة، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين".

قال عمرو بن شعيب: أوَل من منع الحمام الطيارة والجلامقات عثمان حين ظهرت بالمدينة فأمر عليها عثمان رجلاً فمنعهم منها.

أخبرنا عبد الرحمن بن القزاز، أخبرنا عبد الصمد بن علي بن المأمون، أخبرنا ابن حيوية، حدَثنا البغوي، حدَثنا عمي مسلم، حدَّثنا مبارك، عن الحسن قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: حدَثنا الحارث بن أسامة، عن علي بن مسعدة، عن عبد اللّه الرومي، قال: كان عثمان يلي وضوء الليل بنفسه. قال: فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفوك. فقال: لهم الليل يستريحون فيه.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا هشام، عن محمد بن سيرين: أن عثمان كان يحيي الليل، فيختم القرآن في ركعة.

ومن الحوادث في هذه السنة: أنه لما قتل عمر أهم ابنه عبيد الله: الهرمزان وجفينة فقتلهما، وكان الهرمزان قد أسلم، وجفينة نصراني.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا المخلص قال: حدَثنا أحمد بن عبد الله قال: حدَثنا السري بن يحيى قال: حدَثنا شعيب قال: حدَّثنا سيف، عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب: أن عبد الرحمن بن أبي بكر غداة طعن عمر رضي اللّه عنه قال: مررت على أبي لؤلؤة عشاء أمس ومعه جفينة والهرمزان، وهما نجي، فلما رهقتهم ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قُتل؟ فجاء قاتل أبي لؤلؤة بالخنجر الني وصف عبد الرحمن، فسمع بذلك عبيد الله، فأمسك حتى مات عمر، ثم اشتمل على السيف، فأتى الهرمزان فقتله، فلما عضَه السيف قال: لا إله إلا اللّه، ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظئراً لسعد بن مالك، أقدمه المدينة للمَّلح الذي بينه وبينه، وليعلم بالمدينة الكتابة فلما علاه بالسيف قبص من عينيه، وتلقى ذلك صهيباً، فبعث إليه عمرو بن العاص، فلم يزل به حتى ناوله السيف، وثاوره سعد، فأخذ بشعره، وجاءوا إلى صهيب.

وحدَّثنا سيف، عن ابن الشهيد الحجي، عن ابن سابط قال: لما بويع عثمان قال: قولوا فيما أحدث عبيد الله بن عمر. فقالوا: القود القود. ونادى جمهور الناس لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه، اللّه الله أبعد اللّهّ الهرمزان وجفينة. قال سيف: وفي رواية أخرى: فقال عثمان لابن الهرمزان: هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب به فاقتله. قال: فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أهم يطلبون إليّ فيه، فقلت لهم: إليّ قتله. قالوا: نعم. فقلت: ألكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا. فتركته للّه عز وجل فاحتملوني، فواللّه ما بلغت المترل إلا على رؤوس الرجال وأكُفهم. واختلف فيمن حج بالناس هذه السنة، فقال أبو معشر والواقدي: حج بهم عبد الرحمن بأمر عثمان، وقال آخرون: بل حج عثمان رضي اللّه عنه.

ذكر من توفي من هذه السنة من الأكابر

بركة، أم أيمن. مولاة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وحاضنته.

ورثها من أبيه، وكانت سوداء، فأعتقها حين تزوج خديجة رضي اللّه عنها، فتزوجها عبد الله بن زيد، فولدت له: أيمن، وتزوجت بعده زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنه.

أنبأنا محمد بن الملك بن خيرون قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري: قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا أبو أسامة يعني حماد بن أسامة عن جرير بن حازم قال: سمعت، عثمان بن القاسم يحدث قال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت، فدلي عليها من السماء دلو ماء برشاء أبيض، فأخذته فشربته حتى رويت، فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، وإني كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش.

قال ابن سعد: وأخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثني أبو معشر، عن محمد بن قيس قال: جاءت أم أيمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: احملني فقال: "أحملك على ولد الناقة" فقالت: يا رسول اللّهّ، إنه لا يطيقني ولا أريده. قال: "لا أحملك إلا على ولد الناقة". يعني: كان يمازحها، وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً، والإبل كلها ولد النوق. قال علماء السير: حضرت أم أيمن أحداً،

وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت وقالت: إنما أبكي على خبر السماء، كيف انقطع، ولما قتل عمر بكت وقالت: اليوم وهى الإسلام. وتوفيت في أول خلافة عثمان وقيل: في خلافة أبي بكر.
سراقة بن مالك بن جعشم. هو الذي لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الغار، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "اللهم أكفناه" فساخت قوائم فرسه، فقال: اكتب لي كتاباً بالأمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له كتاب أمن، فلما كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بين الطائف والجعرانة أتاه بالكتاب فقال: يا رسول اللّه، هذا يوم وفاء. فأسلم. وتوفي في هذه السنة.
عثمان بن قيس بن أبي العاص بن قيس بن عدي بن سهم. ذكر في الصحابة، وشهد الفتح بمصر، وهو أول من ولي القضاء بمصر، وكان صاحب ضيافة، فقال يزيد بن أبي حبيب: كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: أن أفرض لكل من قبلك ممن بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء، وابلغ ذلك بنفسك بإمارتك، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته، وافرض لعثمان بن قيس في الشرف لضيافته.
لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن. وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة، تزوجها العباس، فولدت له: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبداً، وقثم، وعبد الرحمن، وأم حبيب.
وفيها يقول عبد الله بن يزيد ارتجالاً:

ما ولدت نجيبة من فحل كستّةٍ من بطن أم الفضل
أكرم بها من كهلةٍ وكهل .

وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل في بيتها، وكانت تصوم يوم، الاثنين والخميس رحمها الله تعالى.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

فمن الحوادث فيها: التغيير على جماعةٍ من الولاة، فإن عمر كان قد أوصى أن يقرّ عماله سنة، فلما ولي عثمان أقرهم، وأقرّ المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة، ثم عزله، واستعمل سعد بن أبي وقاص، فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى، وأقرّ أبا موسى سنوات، وضم حمص، وقنسرين إلى معاوية. وتوفي عبد الرحمن بن علقمة الكناني- وكان على فلسطين- فضم عثمان عمله إلى معاوية.
ومرض عمير بن سعد فاستعفى، فضم عمله إلى معاوية، فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من إمارة عثمان، ثم بعث عثمان على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، فصالح من لم يجب الأحنف، وأمر الناس بعبور النهر، فصالحه من وراء النهر، فجرى ذلك واستقرَّ.
فمن الحوادث في هذه السنة: أن أهل الإسكندرية نقضوا عهدهم فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم.
وفيها: كتب عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح يستأذن عثمان في الغزو إلى إفريقية، فأذن له.
أنبأنا الحسن بن محمد بن عبد الوهاب البارع قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن

سليمان بن داود الطوسي قال: حدَثنا الزبير بن بكار قال، حدَثني عمي مصعب بن عبد الله قال: غزا عبد اللّه بن الزبير أفريقية مع عبد اللّهّ بن سعد بن أبي السرح، فحدثني الزبير بن حبيب قال: قال عبد للّه بن الزبير: هجم علينا جُرْجير في عسكرنا في مائة وعشرين ألفاً، فاختلطوا بنا في كل مكان، وسقط في أيدي المسلمين، ونحن في عشرين ألفاً من المسلمين واختلف الناس على ابن أبي السرح، فدخل فسطاطاً له فخلا فيه، ورأيت غُرة من جُرْجير، بصرت به خلف عساكره على بِرْذَون أشهب، معه جاريتان تظلان عليه بريش الطواويس، بينه وبين جنده أرض بيضاء ليس فيها أحد، فخرجت أطلب ابن أبي سرح، فقيل: قد خلا في فسطاطه، فأتيت حاجبه، فأبى أن يأذن لي عليه، فدُرْت من كسر الفسطاط فدخلت عليه فوجدته مستلقياً على ظهره، فلما دخلت فرع واستوى جالساً، فقال: ما أدخلك عليَّ يا ابن الزبير؟ قلت: إني رأيت عورة من العدو فأخرج فاندب لي الناس. قال: وما هي؟ فأخبرته فخرج معي سريعاً، فقال: يا أيها الناس، انتدبوا مع ابن الزبير، فاخترت ثلاثين فارساً، وقلت لسائرهم: اثبتوا على مصافكم. وحملت في الوجه الذي رأيت فيه جرجير، وقلت لأصحابي: احموا لي ظهري، فواللّه ما نشبت أن خرقت الصفً إليه، فخرجت صامداً له، وما يحسب هؤلاء أصحابه إلا أني رسول إليه حتى دنوت منه، فعرف الشر، فثنى برذونه مولياً، فأدركته فطعنته، فسقط وسقطت الجاريتان عليه، وأهويت إليه مبادراً فدققت عليه بالسيف، وأصبت يد إحدى الجاريتين فقطعتها، ثم احترزت رأسه فنصبته في رمحي، وكبَّرت، وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه، وأرفض العدو في كل وجه، ومنح اللّهّ المسلمين أكتافهم، فلما أراد ابن أبي سرح أن يوجّه بشيراً إلى عثمان قال: أنت أولى مَنْ ها هنا بذلك. فانطلق إلى أمير المؤمنين فقدمت على عثمان فأخبرته بفتح اللّه ونصره، ووصفت له أمرنا كيف كان، فلما فرغت من ذلك قال: هل تستطيع أن تؤدي هذا إلى الناس؟ قلت: وما يمنعني من ذلك؟ قال: فاخرج إلى الناس فأخبرهم، فخرجت حتى جئت المنبر، فاستقبلت الناس، فتلقاني وجه أبي الزبير بن العوام، فدخلتني منه، هيبة، فعرفها أبي فيّ، فقبض قبضة من حصا، وجمع وجهه في وجهي، وهمَّ أن يحصبني، فاعتزمت فتكلمت، فزعموا أن الزبير قال: واللّه لكأني سمعت كلام أبي بكر الصديق "من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها، فإنما تأتيه بأحدهما".

وفيها: " غزا الوليد بن عتبة أذربيجان وأرمينية لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أيام عمر، هذا في رواية أبي مخنف، وقال غيره: إنما كان ذلك في سنة ست وعشرين، ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم، وهو الصلح الذي صالحو عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة، ثم حبسوها عند وفاة عمر. فلما ولي عثمان وولى الوليد الكوفة سار حتى وطئهم بالجيش، ثم بعث سلمان بن ربيعة إلى أرمينية في اثني عشر ألفاً، فقتل وسبى، وغنم. وقيل: كان هذا في سنة أربع وعشرين.

وفيها: جاشت الروم، وجمعت جموعاً كبيرة، فكتب عثمان إلى الوليد: إذ معاوية كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على جموع عظيمة، وقد رأيت أن تمدهم من أهل الكوفة بثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف. فبعث سلمان بن ربيعة في ثمانية آلاف، فشنُّوا الغارات على أرض الروم، وفتحوا حصوناً كثيرة، وملأوا أيديهم من الغنم.

وفيها: حج بالناس عثمان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جندب بن جنادة، أبو ذر. وفي اسمه ونسبه خلاف قد ذكرته في كتاب التلقيح. كان طويلاً أدم، وكان يشهد أن لا إله إلا اللّه وكان يتعبد قبل الإسلام. وقيل له: أين كنت تتوجه. قال: أين وجهني اللّه عز وجل، ولقي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمكة فأسلم، وخرج يصرخ بالشهادة فضربوه، فأكبَّ عليه العباس وقال لقريش: أنتم تجتازون بهم وطريقكم، على غفار. فتركوه ورجع إلى قومه. وكان يعرض لعيرات قريش فيقتطعها ويقول: لا أرد لكم منها شيئاً حتى تشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه. فإن فعلوا ردَ ما أخذ منهم، وإن أبوا لم يرد عليهم شيئَا، فبقي على ذلك إلى أن هاجر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ومضت بدر واحد، ثم قدم فأقام بالمدينة ثم مضى إلى الشام، فاختلف هو ومعاوية في قوله تعالى: "الذين يكترون الذهب والفضة" التوبة :34 فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب. وقال أبو ذر: نزلت فينا وفيهم. فدار بينهما كلام، فكتب معاوية إلى عثمان يشكوه، فكتب إليه أن أقدم، فقدم المدينة، فاجتمع الناس عليه، فذكر ذلك لعثمان، فقال له: إن شئت تنحيت قريباً، فخرج إلى الربذة، فمات بها.

ذكر وفاته

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قيل: أنبأكم أبو إسحاق البرمكي قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: حدثنا الحسين بن الفهم قال: أخبرنا إسحاق بن إسرائيل قال: أخبرنا يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن إبراهيم بن الأشتر، عن أبيه، أنه لما حضر أبا ذر الموت بكت امرأته فقال ها: ما يبكيك؟ قالت: أبكي لأنه لا بد أن لي بنعشك وليس لي ثوب من ثيابي يسعك كفناً، وليس لك ثوب يَسعُك. قال: لا تبكي، فإني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: "ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين " وليس من أولئك النفر رجل إلا قد مات في قرية وجماعة من المسلمين، وأنا الذي أموت بفلاة، والله، ما كذب ولا كذبت، فابصري الطريق، فقالت: أني وقد انقطع الحاج، وتقطعت الطرق. وكانت تشتد إلى كثيب تقوم عليه تنظر ثم ترجع إليه فتمرضه ثم ترجع إلى الكثيب. فبينا هي كذلك إذا هي بنفر تخب بهم رواحلهم كأنهم الرَّخَم، فلاحت بثوبها، فأقبلوا حتى وقفوا عليها. قالوا: مالك. قالت: امرؤ من المسلمين تكفنونه أو قال: امرؤ من المسلمين يموت فتكفنونه، وهو الأصح – قالوا: ومَنْ هوَ؟ قالت: أبو ذر. ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليه، حتى جاءوا فقال: أبشروا، فحدَّثهم الحديث الذي قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة، فيحتسبان ويصبران فيريان النار، أتسمعون لو كان لي ثوب يَسَعُني كفناً لم أكفن به إلا في ثوب هو لي أو لامرأتي ثوب يسعني كفناً إلا في ثوبها، فأنشدكم الله والإسلام أن يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو نقيباً أو بريداً، فكل القوم قد كان قارف بعض ذلك إلا فتيً من الأنصار قال: أنا أكفنك، فإني لم أصب مما ذكرت شيئاً، أكفنك في ردائي هذا الذي عليً، وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي حاكتهما لي. قال: أنت، فكفّني. قال: فكفَنه الأنصاري والنفر الذين شهدوه، فيهم جحش بن الأدبر، ومالك بن الأشتر في نفر كلهم يمان .

وذكر ابن إسحاق أن ابن مسعود صلى عليه منصرفه من الكوفة.

عبد اللّه بن قيس بن زيادة بن الأصم. وأمه عاتكة، وهي: أم مكتوم بنت عبد اللّه بن عتيكة بن عامر. أسلم ابن أم مكتوم بمكة قديماً، وكان ضرير البصر، ذهبت عيناه وهو غلام،

وقدم المدينة مهاجراً. قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب، ثم ابن أم مكتوم، فكان يؤذَن للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مع بلال، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة.

أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا أبو معاوية قال: حدَّثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع رجال من قريش، فيهم عتبة بن ربيعة وناس من وجوه قريش وهو يقول لهم: أليس حسناً إن جئت بكذا فيقولون: بلى. فجاء ابن أم مكتوم وهو مشتغل بهم، فسأله عن شيء فأعرض، فأنزل اللّه تعالى: "عبس وتولى أن جاءه الأعمى" يعني: ابن أم مكتوم "أما من استغنى" يعني: عتبة وأصحابه "فأنت له تصدى، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى" يعني ابن أم مكتوم.

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان بن مسلم قال: حدَثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نزلت: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللّه" فقال عبد اللّه بن أم مكتوم: أي رب أنزل عذري، أين عذري؟ فأنزل اللّه: "غير أولي الضرر" فجعلت بينهما، وكان بعد ذلك يغزو فيقول: ادفعوا إلي اللواء، فإني أعمى لا أستطيع أن أفر، وأقيموني بين الصفين. قال عفان: وحدَثنا يزيد بن زريع قال: حدَّثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن عبد اللّه بن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية له سوداء وعليه درع.

عمرو بن عتبة بن فرقد بن حبيب السلمي. كان أبوه عتبة من الصحابة، كان يتولى الولايات ويجتهد بابنه عمرو أن يعينه على ذلك، فلا يفعل زهداً في الدنيا.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد قالا: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي قال: أخبرنا أبو بكر بن نجيب قال: حدَّثنا أبو جعفر بن ذريح قال: حدَّثنا هناد قال: حدَثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد اللّه بن الربيعة قال: كنت جالساً مع عتبة بن فرقد ومعضد العجلي، وعمرو بن عتبة قال: يا عبد اللّه بن الربيعة، ألا تعينني على ابن اختك يعينني على ما أنا فيه من عملي؟ فقال عبد الله: يا عمرو، أطع أباك. قال: فنظر عمرو إلى معضد فقال له: "لا تطعه واسجد واقترب" فقال عمرو: يا أبي، إنما أنا رجل أعمل في فكاك رقبتي. فبكى عتبة ثم قال: يا بني، أحبك حبين: حب للّه، وحب الوالد لولده، . فقال عمرو: يا أبت، إنك قد كنتَ أثبتني بمال بلغ سبعين ألفاً، فإن كنت سائلي عنه فهو هذا، فخذه وإلا فدعني أمضه. قال: يا بني، أمضه. فأمضاه حتى ما بقي عنده درهم.

أخبرنا علي بن محمد بن حسنون قال: أخبرنا أبو محمد بن عثمان قال: أخبرنا أبو القاسم بن المنذر قال: حدَّثنا الحسن بن صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد اللّه قال: حدَّثنا أبي، عن شيخ من قريش قال: قال مولى لعمرو، بن عتبة وأنا مع رجل وهو يقع في آخر، فقال لي: ويلك- و لم يقلها لي قبلها ولا بعدها- نزِّه سمعك عن استماع الخنا كما تتزه لسانك عن القول، فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى ما سُدً في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو ردَت كلمة سفيه في فيه لسعد بها رادُّها كما شقي بها قائلها.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: أخبرنا الحسن بن علي قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: حدَثنا عبد اللّه بن أحمد قال: حدَّثني أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا عنبسة بن سعيد القرشي قال: حدَّثني ابن المبارك، عن عيسى بن عمر قال: كان عمرو بن عتبة يخرج على فرسه ليلاً فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور، قد طويت الصحف، ورفعت الأعمال. ثم يبكي، ثم يصف قدميه حتى يصبح، فيرجع فيشهد صلاة الصبح.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصبهاني قال: حدَّثنا أبو محمد بن حيان قال: حدَثنا أحمد بن الحسين الحذاء قال: حدَّثنا أحمد الدروقي قال: حدَّثنا علي بن إسحاق قال: أخبرنا ابن المبارك قال: حدَّثنا الحسن بن عمر الفرواي قال: حدَّثني مولى لعمرو، بن عتبة قال: استيقظنا يوماً حاراً في ساعة حارة ، فطلبنا عمرو بن عتبة، فوجدناه في جبل وهو ساجد وغمامة تظله، وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس لكثرة صلاته، فرأيته ليلةً يصلي، فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يُصلي لم ينصرف، فقلنا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إني لأستحي من اللّه أن أخاف شيئاً سواه.

أخبرنا أحمد بن أبي القاسم بإسناده عن أحمد قال: حدَثنا أبو معاوية قال: حدَّثنا الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: خرجنا في جيش فيهم علقمة ويزيد بن معاوية النخعي، وعمرو بن عتبة، ومعضد قال: فخرج عمرو بن عتبة عليه جبة جديدة بيضاء، فقال: ما أحسن الدم ينحدر على هذه. فخرج فتعرض للقوم، فأصابه حجر فشجه فتحدر عليها الدم، ثم مات منها فدفناه، ولما أصابه الحجر فَشجهُ جعل يلمسها بيده ويقول: إنها لصغيرة ، وإن الله ليبارك في الصغير.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدَّثنا أبو بكر بن مالك، حدَّثنا عبد الله بن أحمد قال: حدَّثني أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدَّثنا علي بن إسحاق قال: حدَّثنا ابن المبارك قال: أخبرنا عيسى بن عمر، عن السدي قال: حدثنا ابن عم لعمرو بن عتبة قال: نزلنا في مرج حسن، فقال عمرو بن عتبة: ما أحسن هذا المرج، ما أحسن الآن لو أن منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي. فخرج رجل فكان أوَل من لقي فأصيب، ثم جيء به فدفن في هذا المرج . قال: فما كان بأسرع من أن نادى مناد: يا خيل الله اركبي. فخرج عمرو في سرعان الناس في أول من خرج، فأتى عتبة فأخبر بذلك فقال: عليَّ عمراً. فأرسل في طلبه، فما أدرك حتى أصيب. قال: فما أراه دفن إلا في مركز رمحه، وعتبة يومئذ على الناس. قال المؤلف: وهذه الغزاة التي استشهد فيها عمرو، و لم تذكر هي غزاة أذربيجان، وكانت في خلافة عثمان رضي الله عنه.

عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَحَ.

كان قد شهد بدراً مع المشركين، وبعثوه طليعة ليحرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل، وكان حريصاً على ردَ قريش عن لقاء، رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدرٍ ، فلما التقوا أسر أبوه وهب، أسره رفاعة بن رافع، فرجع إلى مكة، فقال له صفوان بن أمية: دينك عليّ، وعيالك أمونهم ما عشت، واجعل كذا وكذا إن أنت خرجت إلى محمد حتى تغتاله. فخرج حتى أتى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فيخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما جاء به وما جرى له مع صفوان أبن أمية، ، فأسلم وشهد أحداً مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وبقي إلى خلافة عثمان رضي اللّه عنه.

عروة بن حزام بن مهاجر .

شاعر إسلامي، أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى. أخبرتنا شهدة بنتَ أحمد الكاتبة قالت: أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج قال: نقلت من خط أبي عمرو بن حيوية، حدَّثنا أبو بكر بن المرزبان قال: حدَّثني أبو العباس فضل بن محمد بن النويري، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: أخبرنا لقيط، بن بكير المحاربي: أن عروة بن حزام، وعفراء ابنة مالك العذريين- وهما بطن من عذرة يقال لهم بنو هند بن حزام بن ضبة بن عبد بن بكير بن عذرة- ويقال إنهما نشآ جميعاً، فعلقا علاقة الصبا، وكان عروة يتيماً في حجر عمه حتى بلغ، وكان يسأل عمّه أن يزوجه عفراء فيُسَوِّفُهُ إلى أن خرجت عير لأهله إلى الشام، وخرج عروة إليها، ووفد

على عمه ابن عمّ له من البلقاء يريد الحج، فخطبها فزوَّجه إياها، فحملها وأقبل عروة في عيره تلك حتى إذا كان بتبوك نظر إلى رفقة مقبلة من نحو المدينة فيها امرأة على جمل أحمر، فقال لأصحابه: واللّه لكأنها شمائل عفراء: فقالوا: ويحك، ما تترك ذكر عفراء لشيء. قال: وجاء القوم فلما دنوا منه وتبيَّن الأمر يبس قائماً لا يتحرك ولا يحير جواباً، حتى بعُد القوم، فذلك حين يقول:

وإني لعروني لذكراك رعدة ... لها بين جلدي والعظام دبيب

فما هو إلا أن أراها فُجاءَةً ... فأبهت حتى ما أكاد أجيب

وقلت لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن داويتني لطبيب

فما بي من حُمَى وما بي جنة ... ولكن عمي الحميري كذوب

ثم إن عروة انصرف إلى أهله وأخذه البكاء والهلاس حتى نحل، فلم يبق منه شيء، فقال بعض الناس: هو مسحور وقال قوم: به جنة، وقال آخرون: بل هو موسوس، وان بالحاضر من اليمامة لطبيباً له تابع من الجن، وهو أطب الناس، فلو أتيتموه فلعل اللّه يشفيه.

فساروا إليه من أرض بني عذرة حتى داواه، فجعل يسقيه وينشر عنه، وهو يزداد سقماً، فقال له عروة: هل عندك للحب دواء أورقية، فقال: لا واللّه. فانصرفوا حتى مروا بطبيب بحجر، فعالجه وصنع به مثل ذلك، فقال له عروة: واللّه ما دائي ولا دوائي إلا شخص بالبلقاء مقيم، فهو دائي وعنده دوائي. فانصرفوا به، فأنشأ عند ذلك وجعل يقول عند انصرافهم به:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا نعم يشفى من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران

فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا سلوة إلا وقد سقياني

فقال شفاك اللّه واللّه ما لنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان

فلما قدم على أهله، وكان له أخوات أربع ووالدة وخالة، فمرضنه دهراً، فقال لهن يوماً: اعلمن أني لو نظرت إلى عفراء نظرة ذهب وجعي، فذهبوا به حتى نزلوا البلقاء مستخفين، وكان لا يزال يلم بعفراء وينظر إليها، وكانت عند رجل كريم كثير المال والحاشية، فبينا عروة بسوق البلقاء لقيه رجل من بني عذرة فسأله عن حاله ومقدمه فأخبره، فقال: واللّه لقد سمعت أنك مريض وأراك قد صححت، فلما أمسى دخل الرجل على زوج عفراء، فقال: متى قدم هذا الكلب عليكم الذي فضحكم، قال زوج عفراء: أي كلب هو. قال: عروة، قال: وقد قدم؟ قال: نعم، قال: أنت أولى بها من أن تكون كلباً، ما علمت بقدومه، ولو علمت لضممته إليَّ.

فلما أصبح غدا يستدل عليه حتى جاءه، فقال: قدمت هذا البلد و لم تنزل بنا، و لم ترَ أن تعلمنا بمكانك فيكون منزلك عندنا عليَ، وعليَّ إن كان لك منزل إلا عندي، قال: نعم نتحول إليك الليلة أو في غد. فلما ولى قال عروة لأهله: قد كان ما ترون، وإن أنتم لم تخرجوا معي لأركبن رأسي ولألحقن بقومكم فليس عليَّ بأس. فارتحلوا وركبوا طريقهم ونكس عروة و لم يزل مدنفاً حتى نزلوا وادي القرى.

وفي رواية أخرى: أن حزاماً هلك وترك ابنه عروة صغيراً في حجر عمه عقال بن مهاصر، وكانت عفراء ترباً لعروة يلعبان جميعاً ويكونان معاً حتى ألف كل واحد منهما، الفاً شديداً، وكان عقال يقول لعروة لما يرى من الفهما: أبشر، فإن عفراء امرأتك إن شاء الله، وكانا كذلك حتى بلغا، فأتى عروة عمة له يقال لها هند بنت مهاصر، فشكى إليها ما به من حب عفراء، وقال لها: يا عمة إني لأكلمك وأنا مستحي منك، و لم أفعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما أنا فيه، فذهبت عمته إلى أخيها، فقالت: يا أخي قد أتيتك في حاجة أحب أن تحسن قضاءها، فإن الله يؤجرك بصلة رحمك، قال: إن تسأليني لا أردك فيها، قالتَ: تزوج عروة ابن أخيك بابنتك عفراء، فقال: ما عنه مذهب، ولا بنا عنه رغبة، ولكنه ليس بذي مال، وليست عليه عجلة، فسكت عروة بعض السكوت، وكانت أمها لا تريد إلا ذا مال، فعرف عروة ان رجلاً ذا مال قد خطبها، فأتى عمه، فقال: يا عم، قد عرفت حقي وقرابتي، وإني ربيت في حجرك، وقد بلغني أن رجلاً يخطب عفراء فإن أسعفته بطلبتي قتلتني وسفكت دمي، فأنشدك الله ورحمي وحقي، فرق له، وقال: يا بني، أنت معدم وأمها قد أبت أن تخرجها إلا بمهر غال، فاضطرب واسترزق الله. فجاء إلى أمها ولاطفها وداراها فأبت إلا بما تحتكم من المهر، فعمل على قصد

ابن عم له موسر باليمن، فجاء إلى عمه وامرأته فأخبرهما بقصده وعزمه، فصوباه ووعداه ألا يحدثا حدثاً حتى يعود. وودع عفراء والحي، وصحبه فتيان كانا يألفانه، وكان طول سفره ساهياً حتى قدم على ابن عمه فعرفه حاله، فوصله وكساه وأعطاه مائة من الإبل، فانصرف بها، وقد كان رجل من أهل الشام قد نزل في حيّ عفراء، فنحر وأطعم ورأى عفراء فأعجبته، فخطبها إلى أبيها فاعتذر إليه وقال: قد سميتها باسم ابن أخي، فما لغيره إليها سبيل، فقال له: إني أرغبك في المهر، فقال: لا حاجة لي في ذلك، فعدل إلى أمها فوافق عندها قبولاً ورغبة في المال، فجاءت إلى زوجها، فقالت: وأي خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه، والله ما تدريَ أعروة حيّ أم ميت، وهل ينقلب إليك بخير أم لا، فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً، فلم تزل به حتى قال: إن عاودني خاطبها أجبته، فوجهت إليه: أعد غداً خاطباً، فنحر جزوراً وأطعم ووهب وجمع الحي على طعامه وفيهم أبو عفراء، وأعاد الخطبة فزوجه وحولت عفراء إليه، فقال قبل أن يدخل بها: يا عروة إن الحيّ قد نقضوا عهد الله وحاولوا الغدران.

ثم دخل بها زوجها وأقام فيهم ثلاثاً ثم ارتحل إلى الشام، وعمد أبوها إلى قبر عتيق، فجدده وسواه، وسأل أهل الحي كتمان أمرها، وقدم عروةَ بعد أيام، فنعاها أبوها إليه وذهب به إلى ذلك القبر، وكان يختلف إليها أياماً حتى أخبرته جارية من الحي الخبر، فركب بعض إبله فدخل الشام فنزل على الرجل وهو لا يعرفه، فأكرمه، فقال لجارية لهم: هل لك في يد توليينيها؟ قالت: نعم، قال: تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك، فقالت: سوء لك، أما تستحي من هذا القول، فأمسك ثم أعاد عليها، وقال: ويحك هي واللّه بنت عمي، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحها فإن أنكرت عليك فقولي: اصطبح ضيفنا قبلك ولعله سقط منه، فرقت الأمة وفعلت، فلما رأت عفراء الخاتم قالت: أصدقيني فأصدقتها، فلما جاء زوجها قالت: أتدري من ضيفك؟ إنه عروة بن حزام، وقد كتم نفسه حياء منك، فبعث إليه وعاتبه على كتمانه نفسه، وقال له: بالرحب والسعة نشدتك الله إن رمت هذا المكان أبداً، وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان، وأوصى خادماً له بالاستماع عليهما وإعادة ما يسمعه منهما. فلما خليا تشاكيا ما وجدا من الفراق وطالت الشكوى وهو يبكي أحرّ بكاء، ثم أتته بشراب وسألته أن يشربه، فقال: والله ما دخل جوفي حرام قط، ولا ارتكبته منذ كنت، ولو استحللت حراماً كنت قد استحللته منك وأنت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني وذهبت منك فما أعيش بعدك، وقد أجمل هذا الرجل الكرم وأحسن، وأنا أستحي منه، ووالله لا أقيم بعد علمه بمكاني، وإني لعالم أني أرحل إلى منيتي. فبكت وبكى وانصرف.

فلماء جاء زوجها أخبره الخادم بما جرى بينهما، فقال: يا عفراء، امنعي ابن عمك من الخروج، فقالت: لا يمتنع، وهو واللهّ أكرم وأشد حياء أن يقيم بعد ما جرى بينكما، فدعاه وقال: يا أخي: اتق اللهّ في نفسك فقد عرفت خبرك وأنك إن رحلت تلفت، وواللهّ ما أمنعك من الاجتماع معها أبداً، وإن شئت لأنزلن لك عنها. فجزاه خيراً وأثنى عليه، وقال: إنما كان الطمع فيها، والآن فقد يئست وحملت نفسي على الصبر، ولي أمور لا بد من الرجوع إليها، وإن وجدتَ بي قوة، وإلا عدت إليكم وزرتكم. فزودوه وشبعوه، وانصرف، فأصابه غشي وخفقان، فكان كلما أغمي عليه ألقى على وجهه خماراً كانت عفراء قد زودته إياه فيفيق، فلقيه في طريقه عراف اليمامة ابن مكحول، فسأله عما به وهل به خبل، فقال:

وما بيَ من خبل وما بيَ جنة	ولكن عمي يا أخيً كذوب
أقول لعراف اليمامة داوني	فإنك إن داويتني لطبيب
فواكبدي أمست رفاتاً كأنما	يلذعها بالموقدان لهيب
عشية لا عفراء منك بعيدة	فتسلو ولا عفراء منك قريب
فواللهّ ما أنساك ما هبت الصبا	وما عقبتها في الرياح جنوب
وإني ليغشاني لذكراك روعة	لها بين جلدي والعظام دبيب

وقال يخاطب رفيقيه:

خليلي من عليا هلال بن عامر	بصنعاء عوجا اليوم فانتظراني
فلا تزهدا في الذخر عندي وأجملا	فإنكما بي اليوم مبتليان
ألِما على عفراء إنكما غداً	بوشك النوى والبين مفترقان
فيا واشيي عفراء ويحكما بمن	ومن وإلى من حيثما تشياني
بمن لو رآه غائباً لفديته	ومن لو رآني غائباً لفداني
متى تكشفا عني القميص تبيّنا	بي الضرّ من عفراء يا فتيان
فقد تركتني لا أعي لمحدثٍ	حديثاً وإن ناجيته ونجاني
جعلت لعراف اليمامة حكمه	وعراف حجران هما شفياني
فما تركا من حيلة يعلمانها	ولا شربة إلا بها سقياني
ورشا على وجهي من الماء ساعة	وقاما مع العواد يبتدران
وقالا شفاك الله واللهّ ما لنا	بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويلي على عفراء ويل كأنه	على الصدر والأحشاء وخز سنان
إذا رام قلبي هجرها حال دونه	شفيعان من قلبي لها خذلاني

إذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا جميعاً على الرأي الذي تريانِي
تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان
فيا رب أنت المستعان على الذي تحملت من عفراء منذ زماني
كأن قطاة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان

وفي رواية أنه لم يعلمه بتزويجها حتى لقي الرفقة التي هي فيها، وأنه كان توجه إلى ابن عم له بالشام لا باليمن، فلما رآها وقف دهشاَ، ثم قال:

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى لا أكاد أجيب
وأصدف عن رأيي الذي كنت أرتئي وأنسى الذي أزمعت حين تغيب
ويظهر قلبي عذرها ويعينها علي فمالي في الفؤاد نصيب
وقد علمت نفسي مكان شفائها وهل ما لا ينال قريب
حلفت برب الساجدين لربهم خشوعاً وفوق الساجدين رقيب
لئن كان برد الماء حران صادياً إلي حبيباً إنها لحبيب

ثم عاد إلى أهله وقد نحل وضنى، وكان له أخوان وخالة وجدة، فجعلن يعالجن أمره فلا ينفع، وكان يأتي حياض الماء التي كانت عفراء تردها، فيلصق صدره بها ويقول:

بي البأس أو داء الهيام سقيته فإياك عني لا يكن بك ما بِيَا

وفي رواية أنه لم يرجع إلى حيّه، وإن مات قبل منزله بثلاث ليال، وبلغ عفراء وفاته فجزعت جزعاً شديداً.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد اللّه الأنماطي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم المروزي، قال: حدَثني جدي محمد بن عبد الكريم، حدَّثنا الهيثم بن عدي، أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن النعمان بن بشير، قال: استعملني عمر بن الخطاب– أو عثمان بن عفان، شك الهيثم– على صدقات سعد بن هذيم، وهم عذرة، وسلامان، والحارث، وهم من قضاعة، فلما قبضتَ الصدقة وقسمتها بين أهلها، وأقبلت بالسهمين الباقيين إلى عمر– أو إلى عثمان– فلما كنت في بلاد عدي في حيّ يقال لهم بنو هند، إذا أنا ببيت جرير، فملت إليه، فإذا عجوز جالسة عند كسر البيت، وإذا شاب نائم في ظل البيت، فلما دنوت سلمت، فترنم بصوت له ضعيف:

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف حجران هما شفياني

فذكر الأبيات، فشهق شهقة خفيفة، فنظرته فإذا هو قد مات، فقلت: أيها العجوز، ما أظن هذا النائم بفناء بيتك إلا قد مات، قالت: واللّه إني لأظن ذلك، فقامت فنظرت إليه، فقالت: فاض ورب محمد، فقلت: يا أمة الله، من هذا؟ قالت: عروة بن حزام وأنا أمه، قلت: فما صيره إلى هذا؟ قالت: العشق، ولا والله ما سمعت له أنه منذ سنة إلا في صدره وفي يومنا هذا، فإني سمعته يقول:

من كان من أمهاتي باكياً أبداً فاليوم إني أراني اليوم مقبوضآ

تستمعيه فإني غير سامعةإذا علوت رقاب القوم معروضأ

قال النعمان: فأقمت والله عليه حتى غسل وكفن وحنط، وصلي عليه، ودفن. قال: قلت للنعمان: فما دعاك إلى ذلك؟ قال: احتساب الأجر فيه واللّه.

وقد ذكر أبو داود في كتاب الزهرة: ان عروة بن حزام لما مات مر به ركب فعرفوه، فلما انتهوا إلى مترل عفراء صاح بعضهم، فقال:

ألا أيها القصر المعقل أهلها بحقٍ نعينا عروة بن حزام

فأجابته فقالت:

ألا أيها الركب المخبون ويحكم بحقٍ نعيتم عروة بن حزام

فأجابوها:

نعم قد تركناه بأرض بعيدة مقيماً بها في دكدك وأكام

فقالت لهم:

فإن كان حقاً ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

فلا لقي الفتيان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام

ولا وضعت أنثى تماماً بمثله ولا فرحت من بعده بغلام

ولا لا بلغتم حيث وجهتمُ له ونغصتمُ لذات كل طعام

ثم سألتهم: أين دفنوه؟ فأخبروها، فسارت إلى قبره، فلما قربوا من موضع قبره، قالت: إني أريد قضاء حاجة، فأنزلوها فانسلت إلى قبره فانكبت عليه، فما راعهم إلا صوتها، فلما سمعوها بادروا إليها، فإذا هي ممدودة على القبر قد خرجت نفسها فدفنوها إلى جانبه.

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، حدَّثنا علي بن أيوب القمي، حدَّثنا محمد بن عمران، حدَّثنا عبد اللّه بن محمد بن أبي سعيد، قال: حدَثني إسحاق بن محمد النخعي، حدَّثنا، معاذ بن يحيى الصنعاني، قال: خرجت من مكة إلى صنعاء، فلما كان بيننا وبين صنعاء خمس رأيت الناس يترلون عن محاملهم ويركبون دوابهم، قلت: أين تريدون؟ قالوا: نريد أن ننظر قبر عروة وعفراء، فترلت عن محملي وركبت حماري واتصلت بهم، فانتهيت إلى قبرين متلاصقين قد خرج من هذا القبر ساق شجرة، ومن هذا ساق شجرة، حتى إذا صارا على قامة التفا، وكان الناس يقولون: تآلفا في الحياة وفي الموت.

وقد روي لنا أن هذه القصة كانت في عهد عمر بن الخطاب، فروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو أدركت عروة وعفراء لجمعت بينهما. وروينا عن معاوية أنه قال: "لوعلمت بهذين الشريفين لجمعت بينهما".

ثم دخلت سنة ست وعشرين

فمن الحوادث فيها: أن عثمان أمر بتجديد أنصاب الحرم، وزاد في المسجد الحرام، ووسعه، وابتاع من قوم، وأبى آخرون فهدم عليهم، ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا على عثمان، فأمر بهم إلى الحبس، وقال: أتدرون ما جرَّأكم عليَّ. ما جرأكم عليَّ إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر، فلم تصيحوا به. ثم كلَّمه فيهم عبد اللّه بن خالد بن أسيد، فأخرجوا.

وفي هذه السنة: جرت خصومة بين سعد وابن مسعود، فعزل عثمان سعداً. وقيل: كان ذلك في سنة خمس وعشرين. وقيل: في سنة ثلاث وعشرين.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه قال: حدَّثنا السري بن يحيى قال: حدَّثنا شعيب قال: حدَّثنا سيف بن عمر، عن الشعبي قال: كان أول ما نزع الشيطان من أهل الكوفة وهو أول مصر أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالًا، فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينهما الكلام.

وحدَّثنا سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: كنت جالساً عند سعد، فأتى ابن مسعود فقال لسعد: أدّ المال الذي قِبلك. فقال له سعد: هل أنت إلا عبد من هذيل. قال: وأنت ابن حمينة. فطرح سعد عوداً في يده، وكانت فيه حدة، ورفع يديه وقال: اللهم رب السموات والأرض. فقال عبد اللّه: قل خيراً ولا تلعن. فقال سعد: أما والله لولا اتقاء اللّه عليك لدعوت عليك دعوة لا تخطئك. فولى الآخر سريعآ، فخرج.

وحدِّثنا سيف، عن القاسم بن الوليد، عن المسيب بن عبد خير بن عبد اللّه بن حكيم قال: لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام غضب عليهما عثمان، وانتزعها من سعد وعزله، وأقرّ عبد اللهّ، واستعمل الوليد بن عقبة، فقدم الكوفة، فلم يتخذ لداره بابآ حتى خرج من الكوفة.

وفي هذه السنة: حج بالناس عثمان رضي اللهّ عنه .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حبيب بن يساف بن عتبة تأخّر إسلامه حتى خرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى بدر، فلحقه فأسلم وشهد أحداً والخندق. وتوفي في خلافة عثمان رضي اللّه عنه.

ثم دخلت

سنة سبع وعشرين

فمن الحوادث فيها:

فتح الأندلس

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه قال: حدَّثنا السري بن يحيى قال: حدَّثنا شعيب قال: حدَّثنا سيف، عن محمد، وطلحة قالا: أرسل عثمان عبد اللّه بن الحصين، وعبد اللّه بن عبد القيس إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر، وكتب إليهم: "أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن فتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام ". فخرجوا ومعهم البربر فأتوها من برها وبحرها، ففتحها اللّه على المسلمين.

قال يزيد بن أبي حبيب: نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عبد الله بن سعد، فكتب عبد اللّه بن سعد إلى عثمان: إن عمراً كسر الخراج، وكتب عمرو إن عبد الله كسر على مكيدة الحرب، فكتب عثمان إلى عمرو: انصرف، وولى عبد الله بن سعد الخراج والجند، فقدم عمرو مغضباً، فدخل على عثمان وعليه جَبّة له يمانية محشوة قطناً. فقال له عثمان: ما حشو جبتك هذه. قال: عمرو: فقال عثمان: لم أرد هذا، إنما سألت أقطناً هو أم غيره.

قال الواقدي: وفي هذه السنة كان فتح اصطخر الثاني على يد عثمان بن أبي العاص.

وفيها: غزا معاوية قنسرين.

وفيها: حج بالناس عثمان بن عفان .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد اللّه بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول، أبو الحارث .

شهد بدراً، وكان عامل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على المغانم، وشهد المشاهد كلها النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

فمن الحوادث فيها:

فتح قبرس

على يد معاوية، غزاها بأمر عثمان. هذا قول الواقدي. وقال أبو معشر: كان ذلك في سنة تسع وعشرين، كان عمر بن الخطاب يمنع من الغزو في البحر شفقة بالمسلمين، واستأذنه معاوية، فلم يأذن له، فلما ولي عثمان استأذنه فأذن له، وقال: من اختار الغزو معك طائعاً فاحمله. فغزا قبرس، فصالح أهلها، وهو أول من غزا الروم. أخبرنا أحمد بن علي المجلي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر عبد اللّه بن محمد القريشي قال: حدَّثنا مجاهد بن موسى قال: حدَّثنا الوليد بن موسى قال: حدَّثنا ثور، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نصر قال: لما افتتح المسلمون قبرس فرق بين أهلها فجعل بعضهم يبكي إلى بعض، فبكى أبو الدرداء فقال له: ما يبكيك في يوم أعز اللّه فيه الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله؟ قال: دعنا منك يا جبير، ما أهون الخلق على اللّه إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة قادرة، تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى. وفي رواية أخرى: تركوا أمر الله فسلط الله عليهم السباء، وإذا سلط السباءُ على القوم فليس له فيهم حاجة .

وفي هذه السنة: غزا حبيب بن سلمة سورية من أرض الروم.

وفيها: تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص العربية. وكانت نصرانية، فتحنثت قبل أن يدخل بها، وكانت محلتها سماوة كلب. قال ابن الكلبي: كل اسم في المغرب فرافصة بضم الفاء، إلا نائلة بنت الفرافصة، فإنها بفتح الفاء.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا علي بن أحمد بن البسري، عن أبي عبد اللّه بن بطة قال: حدَثنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم قال: حدَّثنا أبو عبيدة قال: لَّما تزوّج عثمان بن عفان نائلة بنت الفرافصة اهتداها فبعث بها أبوها إليه مع أخيها ضب، فلما فصلت من السماوة إلى المدينة خرجت من فراق أهلها وبلادها فقالت:

أحقاً تراه اليوم يا ضب انني ... مصاحبة نحو المدينة أركبا

أما كان في فتيان حصن بن ضمضم ... لك الويل ما يغني الخباء المحجبا

قضى اللّه حقاً أن تموتي غريبة ... بيثرب لا تلقين أماً ولا أبا

قال ابن بطة: وحدَثني أبو صالح، حدَثنا أبو الأحوص، حدَّثنا نعيم بن حماد، وحدَثنا ابن المبارك، أخبرنا إسحاق بن طلحة، عن مولى لطلحة: أن عثمان رضي اللّه عنه استعمل الوليد بن عقبة على صدقات كليب، فزوجه نائلة بنت الفرافصة الكلبي، فلما قدم قال: إني زوجتك نائلة بنت الفرافصة. فقال: زوجتني نصرانية؟ قال: إنها إذا قدمت إليك أسلمت. فلما قدمت دخل عليها عثمان بن عفان، فصلى ركعتين، ثم قال: يا هذه، تأتينا أو نأتيك؟ قالت: بك نأتيك ونعمة العين، فقد تجشمت المسير إليك من أبعد ما بيني وبينك من البيت، فقامت حتى جلست إلى عثمان بن عفان، فقال لها عثمان: إنك لعلك ترين شيباً وتقلباً في السن، فإن وراء ذلك غلالة من شباب. فقالت: إن أحب الخلطاء إليَّ لمن ذهبت عنه ميْعة الشباب، واجتمع حلمه، ووثق برأيه. فلما خرج قال له الناس: يا أمير المؤمنين، كيف رأيتَ أهلك. قال: رأيت أوفى عقلاً من الداخلة عليَّ.

وفي رواية: أن سعيد بن العاص كان على الكوفة، فتزوج هند بنت الفرافصة، فبلغ ذلك عثمان، فكتب إليه: بلغني أنك تزوجت امرأة، فاكتب إليَّ بنسبها وجمالها. فكتب إليه إن كانت لها أخت فزوجنيها، فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان، فأمر الفرافصة ابنه ضبّاً فزوجها إياه، وكان ضب مسلماً، والفرافصة نصرانياً، فلما أرادوا نقلها قال لها أبوها: إنك تقدمين على نساء من نساء قريش، مَنْ أقدر على الطيّب منك، فاحفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيي بالماء حتى تكون ريحك ريح شنّ أصابه مطر. فلما جُمَلت كربت لكربه، وحزنت لفراق أهلها، وأنشدت:

ألست ترى باللّه يا ضب أنني ... مصاحبة نحو المدينة أركبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم ... لك الويل مانعَ الحياء المحجبا

فلما قدمتَ على عثمان وضع عمامته فبدا الصلع، فقال: لا يهولنك ما ترين من صلعي، فإن وراءه ما تحبين. فسكتت. فقال: إما أن تقومي إليَّ وإما أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن السادة الصلع، وأما قولك: إن تقومي أو أقوم، فوالله لما تجشمتَ من حَسْبات السماوة أبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك. فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة، ثم قال: اطرحي عنك رداءك. فطرحته، ثم قال: حلي إزارك. فقالت: ذاك إليك. فحلّ إزارها، وكانت من أحظى نسائه عنده.

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا ابن المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني أحمد بن حرب قال: أخبرني الزبير بن أبي بكر قال: حدثني يحيى بن محمد بن عبد اللّه بن موبان قال: نظرت نائلة بنت الفرافصة، امرأة عثمان بن عفان رضي . الله عنه، في المرآة، فأعجبها ثغرها، فأخذت فهراً فكسرت ثناياها، وقالت: والله لا يجب لك أحد بعد عثمان وفي هذه السنة: كان فتح اصطخر الأخير وفيها: حج بالناس عثمان بن عفان

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عمرو بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن أداة بن رباح . شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتوفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الجزء الخامس

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

فمن الحوادث فيها:

عزل أبي موسى عن البصرة

أن عثمان رضي الله عنه عزل أبا موسى عن البصرة، وولى عبد الله بن عامر بن كرز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا السري بن يحيى، أخبرنا شعيب، حدثنا سيف، عن محمد وطلحة، قالا:

لما ولي عثمان بن عفان أقر أبا موسى على البصرة ثلاث سنين، وعزله في الرابعة، وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثي، فأثخن فيها إلى كابل، وأثخن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها؛ وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمي، فأثخن فيها حتى بلغ النهر. وبعث إلى كرمان عبد الرحمن بن غُبَيس؛ وبعث إلى فارس والأهواز نفراً، وضم سواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحرّ، ثم عزل عبد الله بن عمير، واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله، و استعمل عاصم بن عمرو، وعزل عبد الرحمن بن غبيس، وأعاد عدي بن سهيل بن عدي.

فلما كان في السنة الثالثة كفر أهل إيذج والأكراد، فنادى أبو موسى في الناس، وحضهم وندبهم، وذكر من فضل الجهاد في الرجلة حتى حمل رجال على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رُجالاً. وقال آخرون: لا والله لا نعجل بشيء حتى ننظر ما صنيعه؟ فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل أصحابنا.

فلما كان يوم خرج أخرج ثَقَلَة من قصره على أربعين بغلاً، فتعلقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرجلة فيما رغبتنا فيه، فقنع القوم حتى تركوا دابته ومضوا، فأتوا عثمان بن عفان، فاستعفوه منه وقالوا: "ما كل ما نعلم نحب أن نقوله"، فأبدلنا به، فقال: من تحبون. فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا ننفك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعريين؟ ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمرت علينا صغيراً كان فيه عوض منه، أو مهتراً كان فيه عوض منه؟ ومن بين ذلك من جميع الناس خير منه.

فدعا عبد الله بن عامر، فأمره على البصرة، وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس، واستعمل على عمله عمير بن عثمان بن سعد، فجاشت فارس، وانتقضت بعبيد الله، فاجتمعوا له بإصطخر، فالتقوا على باب إصطخر، فقتل عبيد الله وهزم جنده؛ وبلغ الخبرعبد الله بن عامر، فاستنفر أهل البصرة؟ وخرج معه بالناس وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص، فالتقى هو وهم بإصطخر، فقتل منهم مقتلة لم يزالوا منها في ذل، وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه.

وفي هذه السنة رجم عثمان امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت له في ستة أشهر، فدخل عليه علي فقال: إن الله يقول: "وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثونَ شَهْراً" . فأرسل في أثرها فإذا قد رجمت. قاله محمد بن حبيب.

وفي هذه السنة ضاق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس، فوسعه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الأول، وكانت القصة تحمل إلى عثمان من بطن نخل، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة فيها رصاص، وسقفه ساجاً، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه على ما كانت على عهد عمر رضي الله عنه ستة أبواب.

ورأيت لأبي الوفا بن عقيل فِي ذكر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كلاماً حسناً، قال في قوله: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام " قال: هذا يتعلق بمسجد الرسول الذي في زمانه لا بما زيد فيه بعده.

وفي هذه السنة حج عثمان بالناس وضرب بمنى فسطاطاً، وأتم الصلاة بها وبعرفة، قال: إني إتخذت بمكة أهلاً فصرت من أهلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سلمان بن ربيعة الباهلي شهد يوم القادسية، وحدث عن عمر رضي الله عنه، وولاه قضاء المدائن، وهو أول من ولي قضاء الكوفة ثم عزله عمر، فخرج غازياً للترك ثم انصرف فاستشهد بالجر من بلاد أرمينية في خلافة عثمان رضي الله عنه في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاثين، وقيل في سنة إحدى وثلاثين.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، أخبرنا محمد بن جعفر التميمي، حدثنا أبو القاسم بن المهدي، حدثنا أبو جعفر محمد بن زيد، حدَّثنا إبراهيم بن محمد الثقفي، حدثنا أبو إسماعيل حفص بن عمر البصري، حدَّثنا صالح بن مسلم، عن أبي وائل، قال: رأيت سلمان بن ربيعة جالساً بالمدائن على قضائها، واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعين يوماً، فما رأيت بين يديه رجلين يختصمان، فقلنا لأبي وائل: فمم ذاك؟ قال: من انتصاف الناس منهم.

ثم دخلت

سنة ثلاثين

فمن الحوادث فيها: أن قوماً شهدوا على الوليد بن عقبة أنه شرب الخمر، فعزله عثمان رضي الله عنه، وولى سعيد بن العاص بن أبي أحيحة.

وفي هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان

وذلك أنه خرج من الكوفة يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير. وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان، ففعل كل واحد منهما فعلاً حسناً في البلاد من قتل وصلح.

وفي هذه السنة سقط خاتم رسول الله

صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر أريس

وهي بئر على ميلين من المدينة؟ جلس عليها عثمان فجعل يعبث بالخاتم فوقع في البئر، وكانت من أقل الآبار ماءً فنزحت و لم يوجد.

وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزهراء

وهي دار له بناها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان في خلافته وكثر الناس أمر عثمان رضي اللّه عنه يوم الجمعة بالآذان الثالث، فأذن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك.

فإن قيل: كيف صار ثلاثاً؟ قلنا: بالإقامة.

وفي هذه السنة هرب يزدجرد من فارس

إلى خراسان في قول بعض الرواة

قال: وذلك أن ابن عامر خرج إلى فارس، فهرب يزدجرد، فوجه ابن عامر في أثره من تبعه إلى كرمان، فهرب إلى خراسان.

وفي هذه السنة حج بالناس عثمان رضي الله عنه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أبي بن كعب بن قيس بن عبد المنذر شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يكتب له الوحي، وهو أحد الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر، وأمر الله عز وجل نبيه أن يقرأ عليه القرآن، وقال عمر في حقه: هذا سيد المسلمين.

أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسين بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: سمعت قتادة يحدث، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: "إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك: "لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب" قال: وسماني لك؟ قال: نعم، فبكى.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي، حدثنا سفيان الثوري، عن ابن أبجر، عن الشعبي، عن مسروق، قال: سألت أبي بن كعب رضي الله عنه عن مسألة، فقال: أكان هذا؟ قلت: لا، قال: فأجمنا حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.

أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، أخو حسان، وهو أبو شداد بن أوس: شهد أوس العقبة مع السبعين، وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أوس بن خولي بن عبد الله: شهد بدراً والمشاهد كلها، وحضر وقت غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.

جبار بن صخر بن خنساء بن عبيد، أبو عبد الله: شهد العقبة مع السبعين، وبدراً والمشاهد كلها وتوفي في هذه السنة.

حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، يكَنى أبا محمد: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثه بكتاب، إلى

المقوقس صاحب الإسكندرية. قال حاطب: فأنزلني المقوقس وأقمت عند بابه ليالي ثم أرسل إلي فقال: إني أسألك فأجبني عني، قلت: هلم، قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبياً؟ قلت: بلى قال: فما له لم يدع الله على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قلت: فعيسى بن مريم عليه السلام أتشهد أنه رسول الله؟ قال: نعم، قلت: فما له أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه و لم يدع عليهم فيهلكوا حتى رفعه الله إليه؟ فقال: أنت حكيم جاء من حكيم، هذه هدايا ابعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك ببذرقة يبذرقونك إلى مأمنك، فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جواري منهن مارية أم إبراهيم، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت.

وكان حاطب من الرماة المذكورين، وكان خفيف اللحية أجنأ، إلى القصر ما هو، شثن الأصابع، وتوفي بالمدينة في هذه السنة وهو ابن خمس وستين، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

عبد الله بن مظعون بن حبيب بن وهب: أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي وهو ابن ثمانين سنة.

عياض بن زهير بن أبي، شداد بن ربيعة بن هلال، يكنى أبا سعد: هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس له عقب.

مسعود بن الربيع، وقيل: ابن ربيعة بن عمرو بن سعد حليف بني عبد مناف بن زهرة، يكنى أبا عمير: أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات في هذه السنة، وقد زاد على الستين، وليس له عقب.

معمر بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال، يكنى أبا سعد: وبعضهم يسميه عمرو، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

فمن الحوادث فيها غزاة المسلمين الروم التي يقال لها غزاة الصواري في قول الواقدي، وقال أبو معشر: كانت سنةأربع وثلاثين.

شرح القصة أن المسلمين لما أصابوا من الروم بإفريقية خرج الروم في جمع لم يجمع مثله قط، خرجوا في خمسمائة مركب عليهم قسطنطين بن هرقل، فباتوا يضربون النواقيس، وبات المسلمون يصلون ويدعون، ثم أصبحوا فقال المسلمون: إن شئتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم، وإن شئتم فالبحر. قال فنخروا نخرة واحدة وقالوا: الماء. والسفن بعضها إلى بعض، واقتتلوا أشد القتال، ووثب الرجال على الرجال يضربون بالسيوف على السفن، ويتواجئون بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً حتى صارت كالخبال العظيم عند الساحل، وقتل من الفريقين خلق كثير، ثم نصر الله المسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج منهم إلا الشريد، وانهزم قسطنطين. وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم، ثم أقبل راجعاً.

وفي هذه السنة: تكلم قوم في عثمان رضي الله عنه، وكان محمد بن أبي حذيفة يقول بعد غزاة الروم: والله لقد تركنا الجهاد خلفنا،

فيقال له: وأي جهاد؟ فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا حتى أفسد الناس، فقدموا وقد أظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به، وتكلم معه محمد بن أبي بكر وذكر ما خلف به أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد، فقال: لا تركبا معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين.

وفي هذه السنة: فتحت أرمينية على يدي حبيب بن مسلمة الفهري في قول الواقدي.

وفي هذه السنة: قتل يزدجرد ملك فارس: وقيل قتل في سنة ثلاثين.

قال ابن إسحاق: هرب يزدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل مرزبانها مالاً فمنعه، فخافوا على أنفسهم، فأرسلوا إلى الترك، فأتوه فبيتوه، فقتلوا أصحابه، وهرب حتى أتى مترل رجل ينقر الأرحاء على شط المرغاب، فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله.

وقال غيره: بيته أهل مرو و لم يستجيشوا عليه الترك، فقتلوا أصحابه، وخرج هاربًا على رجليه معه منطقته وسيفه وتاجه، حتى أتى مترل نقار على شط المرغاب، فلما غفل يزدجرد قتله النقار وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب، وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره، حتى خفي عليهم عند مترل النقار، فأخذوه، فأقر لهم بقتله وأخرج متاعه فقتلوا النقار وأهل بيته، وأخذوا متاعه ومتاع يزدجرد، وأخرجوه من المرغاب، فجعلوه في تابوت من خشب.

فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى إصطخر، فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين. وقيل: عمل له بعض النصارى فاروشاً بمرو، فحمل جثته فدفنها فيه.

وكان ملك يزدجرد عشرين سنة؛ منها أربع سنين في دعة، وست عشرة في تعب من محاربة العرب إياه، وكان آخر مَلِك مَلَكَ من آل أردشير، وصفا الملك بعده للعرب..

فصل

وقد كان أول ملوك فارس دارا، ملك نحواً من مائتي سنة، ثم ملك بعده أردشير بن بابك، ثم سابور بن أردشير ثلاثين سنة، ثم هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام، ثم بهرام أربعة أشهر، ثم فرسي بن بهرام تسع سنين، ثم هرمز بن نرسي سبع سنين، ثم سابور بن هرمز؛ وهو سابور ذو الأكتاف اثنتين وسبعين سنة، ثم أخوه أردشير بن هرمز أربع سنين، ثم سابور بن سابور خمس سنين، ثم بهرام بن سابور إحدى عشرة سنة، ثم يزدجرد بن سابور إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وأياماً، ثم بهرام بن يزدجرد؛ وهو بهرام جور سنتين وعشرة أشهر، ثم يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة وقتل وكل من قتله مات على فراشه، ثم ملك بعده بلاش بن فيروز أربع سنين، ثم قباذ بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة، ثم كسرى أنو شروان سبعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، ثم ابنه هرمز اثنتي عشرة سنة وقتل، ثم كسرى بن هرمز ثلاثينَ سنة وقتل، ثم ابنه شيرويه ثمانية أشهر، ثم ابنه أردشير سنة ثم قتل، ثم ملك بعده شهريار أربعين سنة ثم قتل، ثم بعده بوران بنت كسرى سنة وأربعة أشهر ثم قتلت، وبعدها آزر ميدخت أختها ستة أشهر وماتت، ثم بعدها يزدجرد عشرين سنة، ثم بطل ملك فارس.

وقد كان يزدجرد هذا قد وطيء امرأة فولدت له غلاماً ذاهب الشق- وذلك بعدما قتل يزدجرد- فسمي المخدع، فولد له أولاد بخراسان، فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها جاريتين، فقيل له: إنهما من ولد المخدع، فبعث بهما- أو بإحداهما- إلى الحجاج

بن يوسف، فبعث بهما إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص.

شخوص عبد اللّه بن عامر إلى خراسان وفي هذه السنة: أعني سنة إحدى وثلاثين، خرج عبد الله بن عامر إلى خراسان، ففتح طوس وغيرها حتى بلغ سرخس، وصالح أهل مرو على ألفي ألف ومائتي ألف.

وقد أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا أبو بكر البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحاكم، قال: حدثني علي بن أحمد الجرجاني، قال: أخبرني أحمد بن عمرو بن فضالة الكندي، قال: أخبرني عمي العباس بن مصعب بن بشر، قال: حدثني أبو حامد محمد بن إبراهيم، قال: حدثني سليمان بن صالح الليثي، قال: أخبرني الهيثم بن سعد، عن المصعب بن أبي الزهراء: أن كنازاً صاحب نيسابور كتب إلى سعيد بن العاص وهو والي الكوفة، وإلى عبد الله بن عامر بن كرز وهو والي البصرة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه يدعوهما إلى خراسان، ويخبرهما أن أهل مرو قتلوا يزدجرد، وانتدب سعيد بن العاص وعبد اللّه بن عامر، وابتدرا أيهما يسبق إليها؟ وفي جند سعيد بن العاص الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما مجاهداً، وعبد الله بن الزبير، فأتى ابن عامر دهقان، فقال له: ما تجعل لي أن سبقت بك، قال: لك خراجك وخراج أهل بيتك إلى يوم القيامة، فأخذ به في الطريق الذي أخذ فيه زياد بن زرارة أيام أبي مسلم، فأخذ به على قومس، فقدم جوين من نيسابور، ونزل إزاذوار فصالحوه، وقاتل أهل نيسابور تسعة أشهر ثم ثلمها وفتحها.

وفي رواية: أن عثمان كتب إلى عبد الله بن عامر، وإلى سعيد بن العاص: أيكما سبق إلى خراسان فهو أمين عليها ، فقدم ابن عامر نيسابور، وجاء سعيد حتى بلغ الريّ. وكانت فتوح خراسان على يدي ابن عامر، فقال له الناس: ما فتح الله عز وجل لأحد ما فتح الله عليك فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان، فقال: لا جرم، لأجعلن شكري لله عز وجل أن أخرج من موضعي محرماً، فأحرم من نيسابور، فلما قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنه لامه على ما صنع وقال: ليتك تضبط من الوقت الذي يحرم منه الناس.

وكناز المذكور كان ملك تلك الديار في زمان كسرى، وهو مجوسي من عبدة النار، وكأنه أحس بغلبة المسلمين فدعاهم إليه، فلما غلبوا تقبل البلدة منهم وصالحهم على ما يؤديه.

وفي هذه السنة: حج بالناس عثمان رضي الله عنه

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عويمر بن عامر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية، أبو الدرداء:

كان آخر أهل داره إسلاماً، وكان متمسكاً بصنم له، وكان عبد الله بن رواحة مؤاخياً له في الجاهلية، وأسلم ابن رواحة ودعاه فأبى وتجنبه. وجاءه يوماً فلما خرج من بيته دخل ابن رواحة فضرب الصنم بقدومه فقطعه، فقالت زوجته: أهلكتني يا ابن رواحة. فخرج، وجاء أبو الدرداء فوجد المرأة تبكي خوفاً منه، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك ابن رواحة دخل إلى الصنم فصنع به ما ترى، فغضب غضباً شديداً، ثم فكر في نفسه، فقال: لو كان عنده خير لدفع عن نفسه. فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم. واختلفوا: هل شهد أحداً أم لا؟ وقد شهد بعد ذلك مشاهد كثيرة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال حدثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن خثيمة، عن أبي الدرداء، قال: كنت

تاجراً قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث محمد زاولت التجارة والعبادة فلم تجتمعا، فاخترت العبادة وتركت التجارة.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا موسى بن مسعود النهدي، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، عن أبي قدامة محمد بن عبيد الحنفي، عن أم الدرداء، قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلاثمائة خليل في الله عز وجل يدعو لهم في الصلاة، قالت: فقلت له في ذلك، فقال: إنه ليس رجل يدعو لأخيه الغيب إلا وكل الله به ملكين يقولان: فلك مثل ذلك، أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة.

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، قال: استعمل أبو الدرداء على القضاء فأصبح الناس يهنونه، فقال: أتهنوني بالقضاء وقد جعلت على رأس مهواة مترلتها أبعد من عدن، ولو علم الناس ما في القضاء لأخفوه بالدول رغبة عنه وكراهية له، ولو يعلم الناس مما في الآذان لأخذوه بالدول رغبة فيه وحرصاً عليه.

قال ابن سعد: وأخبرنا يحيى بن عباد، قال حدثنا فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء: أنه كان يشتري العصافير من الصبيان ويرسلهن، ويقول: اذهبن فعشن.

قال ابن سعد: وأخبرنا عبد الله بن نمير، قال: حدَثنا عمرو بن ميمون بن مهران، عن أبيه، قال: قالت أم الدرداء لأبي الدرداء: إن احتجت بعدك آكل الصدقة؟ قال: لا، اعملي وكلي، قالت: فإن ضعفت عن العمل؟ قال: التقطي السنبل ولا تأكلي الصدقة. قال: وأخبرنا. مسلمة بن إبراهيم، قال: حدثنا الضحاك بن سيار، قال: حدثنا أبو عثمان النهدي، أن أبا الدرداء كان يقول: لولا ثلاث لم أبال متى مت: لولا أن أظمأ بالهواجر، ولولا أن أعفر وجهي بالتراب، ولولا أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.

قال: وأخبرنا عفان، قال: حدثنا أبو هلال، قال: حدثنا معاوية بن قرة: أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: يا أبا الدرداء، ما تشتكي؟ قَال: أشتكي ذنوبي، قالوا: وما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني.

توفي أبو الدرداء بالشام في هذه السنة.

وقيل: في سنة اثنتين وثلاثين.

نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف من أشجع: وهو الذي خذل بين الأحزاب حتى تفرقوا، وهاجر وسكن المدينة، وكان يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد تبوكاً ليتنصر الناس،، وتوفي في زمان عثمان.

يزدجرد: وتوفي يزدجرد الملك في هذه السنة على ما سبق شرحه،.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

فمن الحوادث فيها: غزوة معاوية بن أبي سفيان المضيق: مضيق القسطنطينية، ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة.

وفيها: غزا عبد الرحمن بن أبي ربيعة بَلَنْجَر: فحصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات، فجعل لا يدنو منها أحد إلا هلك، فقتل معْضَد في تلك الأيام، ثم اجتمع أهل بلنجر والترك معهم، وأصيب عبد الرحمن، وأخذ القوم جسده، فجعلوه في سفط، فهم يستسقون به ويستنصرون، وانهزم المسلمون وفيهم سلمان، الفارسي وأبو هريرة.

وفيها: فتح ابن عامر مرو الروذ وجوزجان.

الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف: شهد بحراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في هذه السنة.

سلمان الفارسي، يكنى أبا عبد اللّه:

من أهل مدينة أصبهان. ويقال: من أهل رامهرمز، أسلم في السنة الأولى من الهجرة، وأول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، وإنما منعه من حضور ما قبل لك أنه كان مسترقاً لقوم من اليهود فكاتبوه وأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته وعتق، و لم يزل بالمدينة حتى غزا المسلمون العراق فخرج معهم وحضر فتح المدائن، وولاه إياها عمر، فترلها حتى مات بها، وقبره الآن ظاهر.

أخبرنا هبة الله بن الحصين، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثَّني أبي، قال: حدثنا يعقوب، عن ابن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن محمود بن لبيد، عن عبد الله بن عباس، قال: حدثَني سلمان الفارسي، قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قرية يقال لها جَي، وكان أبي دِهْقانَ قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما حبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها، لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكان لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني إني قد شغلت ببنائي هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إيايِ في بيته، فلما مررت بهم سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون.

قال: فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فواللّه ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين. قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت. قال: قلت: يا أبه، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجاراً من النصارى فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أ أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فجئته فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فدخلت معه.

قال: وكان رجل سَوْءٍ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئاً اكتتره لنفسه و لم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتترها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئاً قالوا: وما علمك بذلك؟

قلت: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه ثم رجموه بالحجارة.

ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه.

قال: فأحببته حباً لم أحبه أحداً من قبله، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه أحداً من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره. قال: فقال لي: أقم عندي. قال: فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين، وهو فلان فالحق به.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئت فأخبرته خبري وما أمرني صاحبي. قال: فأقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضره قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي إليك فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فاته فإنه على أمرنا. قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند رجل على هدى أصحابه وأمرهم، واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله عز وجل، فلما احتضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصاني فلان إليك، فإلى من توصي بي وما تأمرني. قال: أي بني، والله ما أعلم أنه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حَرَّتَينَ بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوةَ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كَلْبٍ تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذهَ؟ قالوا: نعم، فأعطيتموها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود، فكنت عنده، ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي و لم يحق لي في نفسي. فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له بالمدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق. ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس غدق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال له فلان: قاتل الله بني قَيْلَة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي. قال: فلما سمعتها أخذتني العُرَواء حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، ونزلت من النخلة فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي، فلكمني

لكمة شديدة ثم قال: ما لك ولهذا أقبل على عملك، قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال. وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "كلوا"، وأمسك يده فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه عليه شملتان وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدبرت أنظر إلى ظهره هل

أرى الخاتم الذي وصف لي، فأتيته وهو جالس، فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحول" فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأحداً.

قال: ثم قال: "كاتب يا سلمان" فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "أعينوا أخاكم". فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدية، والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشرة، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة وَدِية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذهب يا سلمان فَفقرْ لها فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي".

قال: ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فحرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فجعلنا نقرب له الوداي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟" قال: فدعيت له فقال: "خذ هذه فَأد بها ما عليك يا سلمان" قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: "خذها فإن الله سيؤدي بها عنك".

قال: فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية، فأوفيتهم وعتقت. فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا أبو الحسن بن البراء، قال: حدثنا الفضل بن غانم، قال: حدَّثني سلمة، قال: حدثني إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن رجل من عبد القيس، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لما قلت: وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله، أخذها رسول صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ثم قال: "خذ فأوفهم منها"، فأوفيتهم منها حقهم.

وفي الصحيح عن سلمان أنه قال: تداولني بضعة عشر من رب إلى رب لي كله أربعين أوقية.

وروى أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سلمان سابق الفرس ".

ولما خط الخندق قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سلمان منا أهل البيت".

قال الحسن البصري : كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان أميراً على ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس فإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سَفِيف يديه.

وقال عبادة بن نُسَيّ: كان لسلمان خباء من عباءٍ وهو أمير الناس.

أخبرنا محمد بن ناصر أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، أخبرنا أبو بكر بن نجيب، حدثنا أبو جعفر بن ذريح، حدثنا هناد، حدثنا وكيع، عن جعفر بن برقان، عن حبيب بن أبي مرزوق، عن ميمون بن مهران، عن رجل من عبد القيس قال: رأيت سلمان في سرية هو أميرها، على حمار عليه سراويل وقدماه تذبذبان، والجند يقولون: قد جاء الأمير، فقال سلمان: إنما الخير والشر بعد اليوم.

ذكر أولاد سلمان: تزوج امرأة يقال لها بُقَيْرة. وقال أبو بكر بن أبي داود: لسلمان ثلاث بنات، بنت بأصبهان، وابنتان بمصر.

ذكر وفاته: أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا البرمكي، قال: أخبرنا أبو بكر بن بخيت، قال: حدَّثنا أبو جعفر بن ذريح، قال حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أشياخه، قال: دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده، فبكى سلمان فقال سعد: ما يبكيك أبا عبد الله؟ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، وترد عليه الحوض، قال: فقال كان سلمان رضي الله عنه: أما إني ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال: ليكن بلغَةُ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب" وحولي هذه الأساور. قال: وإنما حوله إجانة وجَفْنَة وَمَطْهَرة. قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد نأخذه بعدك، فقال: يا سعد، اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت.

ولما اشتد مرض سلمان وكان قد أصاب صُرة مسك يوم جلولاء، فقال لامرأته هاتها، فمرسها في ماء، ثم قال: انضحيها حولي، فإنه يأتيني زوار الآن يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، فلم يمكث إلا قليلاً حتى مات.

عاش سلمان مائتين وخمسين سنة لا يشكون في هذا وبعضهم يقول: ثلاثمائة وخمسين.

وقيل انه أدرك وحي عيسى عليه السلام، والظاهر أنه توفي في زمان عثمان في سنة اثنتين وثلاثين، وقد قيل في سنة ست وثلاثين، فعلى هذا تكون وفاته في زمان علي رضي الله عنه، والأول أصح.

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان: لم يزل على الشرك يقود الجموع لقتال النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن أسلم يوم فتح مكة، وكان الإيمان في قلبه متزلزلاً؟ فعد في المؤلفة قلوبهم،، ثم استقر إيمانه وقوي يقينه، وكان قد كف عن القتال بعد الخندق، وبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية من تمر عجوة، وكتب إليه يستهديه أدماً، فقبل هديته وأهدى إليه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري،، قال: أخبرنا ابن حيوية، قالط: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن جعفر، قال: سمعت يعقوب بن عتبة يخبر عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس

بن عبد المطلب: واصباح قريش إن دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة. قال العباس: فأخذت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وقلت: ألتمس حطاباً أو إنساناً أبعثه إلى قريش، فوالله إني لفي الأراك إذا أنا بأبي سفيان بن حرب، فقلت: يا أبا حنظلة، قال: لبيك أبا الفضل، وعرف صوتي، فقال: ما لك فداك أبي وأمي، قلت: ويلك هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف، فقال: بأبي وأمي ما تأمرني، هل من حيلة؟ قلت: نعم، تركب عجز هذه البغلة فأذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه إن ظفر بك دونه قتلت، قال: وأنا والله أرى ذلك. ثم ركب خلفي وتوجهت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرآه عمر بن الخطاب فعرفه وأراد قتله وقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان آخذ بلا عهد ولا عقد، قال: فقلت: إني قد أجرته، وجرى بين العباس وعمر في ذلك الكلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك، قد كان يقع في نفسي أنه لو كان مع الله إله لقد أغنى عني شيئاً، قال: "يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك، أما هذا فوالله إن في نفسي منها أشياء بعد، فقال العباس: ويحك اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تقتل. قال: فشهد شهادة الحق وقال: اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فقال العباس: يا نبي الله إنك قد عرفت أبا سفيان وحبه للشرف والفخر فاجعل له شيئاً، قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق داره فهو آمن.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: حدثنا ثابت البناني، قال: إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"؟ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أؤذي وهو بمكة فدخل دار أبي سفيان أمِن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ".

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عبيد، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق السبيعي: إن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً، فقال في نفسه: لو جمعت لمحمد جمعاً. قال: إنه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بين كتفيه وقال: "إذن أخزاك الله" قال: فرفع رأسه فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم على رأسه، فقال: ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة إن كنت لأحدث نفسي بذلك.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: وشهد أبو سفيان الطائف مع رسول الله ورمي يومئذ فذهبت إحدى عينيه. وشهد يوم حنين وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية، وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية، فقال له أبو سفيان: والله إنك لكريم، فداك أبي وأمي لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت، فجزاك الله خيراً. قال أنس بن مالك: ثم عمي أبو سفيان بعد ذلك.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: حدثني عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، عن ابن المسيب، عن مبشر بن الحويرث، قال: حضرت يوم اليرموك المعركة فلا أسمع للناس كلمة ولا صوتاً إلا نقف الحديد بعضه بعضاً، إلا أني قد سمعت صائحاً يقول: يا معشر المسلمين، يوم من أيام الله أبلوا لله فيه بلاء حسناً، وإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد.

قال محمد بن عمر: نزل أبو سفيان المدينة في آخر عمره، ومات بها سنة اثنتين وثلاثين في آخر خلافة عثمان، وهو يوم مات ابن ثمان وثمانين سنة.

الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في هذه السنة وهو ابن سبعين سنة.

عبد اللّه بن مسعود بن غافل- ويقال: عاقل- بن حبيب بن شمخ، أبو عبد الرحمن: ذكر محمد بن سعد نسبه فقال: ابن غافل بالغين والفاء. وذكره خليفة بن خياط، فقال: عاقل بالعين والقاف. وذكره محمد بن إسحاق صاحب المغازي فقال: عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ، و لم يذكر ما بين ذلك من الأسماء.

وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سواء بن قريم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأمها هند بنت عبد بن الحارث بن زهرة.

أسلم بمكة قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، قال: حدثنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن ذر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي مُعيط، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد فرا من المشركين، فقالا: يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟ فقلت: إني مؤتمن ولست بسامتكما، فقال النبي ص: "هل عندك من جَذعَةٍ لم يَترُ عليها الفحل؟ " قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ثم مسح الضرْع ودعا فَجَفَلَ الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فاحتلب فيها، فشرب أبو بكر ثم شربت، ثم قال للضرع: اقلص، فقلص. قال: فأتيته بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول، قال: "إنك غلام فتعلم"، فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد.

هاجر ابن مسعود إلى الحبشة الهجرتين، ثم إلى المدينة، وشهد بدراً، وضرب عنق أبي جهل بعد أن اثبته ابنا عفراء، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب سره ووساده وسواكه ونعليه وطهوره في السفر، كان يلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه، ثم يمشي أمامه بالعصا حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه. وكان يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسلِ، ويوقظه إذا نام، ويمشي معه في الأرض، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذْنُكَ عَليَّ أنْ تَرْفع الحِجَابَ وَأنْ تَسْمع سِوَادي حتى أَنْهَاك ". وكان يشبه برسول الله في هديه وسمته، وكان خفيف اللحم قصيراً شديد الأدمة، وكان من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً، كان يعرف بالليل بريح الطيب، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يقرأ القران كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد".

وقال فيه عمر رضي الله عنه: كنيف مُلىء علماً.

وبعثه إلى أهل الكوفة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الأحكام، وكتب إليه: إني والله الذي لا إله إلا هو آثرتكم به على نفسي فخذوا منه، فبث فيهم الفقه.

وكان من كبار أصحابه: الأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، والربيع بن خثيم، وزيد بن وهب، والحارث بن قيس، وأبو وائل، وزر بن حبيش وغيرهم.

وكان أبو موسى يقول: لا تسألوني عن شيء وهذا الخير فيكم. وولي قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر وصدراً من خلافة عثمان، رضي الله عنهما، ثم صار إلى المدينة فمات بها في هذه السنة، ودفن بالبقيع.

أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرني أبي، قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني، قال: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، قال: أخبرني عبد الله بن زيدان، قال: أخبرنا محمد بن طريف، قال: حدَثنا جابر بن نوح، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت وألم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تناله المطي لأتيته.

أخبرنا ابن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدثنا ابن الفهم حدثنا محمد بن سعد، قال: حدَثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن عامر، عن مسروق، عن عبد الله قال: حدث يوماً حديثاً، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أرعد وأرعدت ثيابه، ثم قال: أو نحو ذا أو شبه ذا.

قال ابن سعد: وأخبرنا الفضل بن دكين، قال: أخبرنا قيس بن الربيع، عن عاصم، عن ذر عن عبد الله: أنه كان يصوم يوم الاثنين والخميس.

قال الفضل: وحدَّثنا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: ما رأيت فقيهاً أقل صوماً من عبد الله، فقيل له: لم لا تصوم؟ فقال: إني أختار الصلاة عن الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة.

قال المصنف: أوصى ابن مسعود إلى الزبير وابنه عبد الله أن يكفن في حلة بمائتي درهم، وقال: ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، واختلفوا فيمن صلى عليه على ثلاثة أقوال: أحدها: عثمان، والثاني: عمار؛ ذكرهما الواقدي، والثالث الزبير، ذكره خليفة بن خياط، والأول أصح.

عبد اللّه بن حذافة بن قيس بن عديّ بن سهم السهمي، أخو خنيس: قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى كسرى، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ليدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فقرأه وحرقه. واختلفوا هل شهد بدراً أم لا، وشهد فتح مصر، وتوفي بها، وقبره في مقبرتها.

عبد اللّه بن ضلة، أبو برزة الأسلمي: وقال قوم: نضلة بن عبد الله. أسلم قديماً وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة، وقتل عبد الله بن خطل، ولم يزل يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض، فتحول فنزل البصرة حين نزلها المسلمون، ثم غزا خراسان فمات بها رضي الله عنه.

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة: وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل عبد الكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين أسلم عبد الرحمن، ويكنى أبا محمد، وأمه الشفاءُ بنت عوف بن عبد الحارث. ولد عبد الرحمن بعد الفيل بعشر سنين، وكان طويلاً، حسن الوجه، رقيق البشرة، مشرباً حمره، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا ثابت وحميد، عن أنس بن مالك:

أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة، فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد: أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلُوني على السوق، فدلوه على السوق، فاشترى وباع وربح، فجاء بشيء من أقط وسمن، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث، فجاء وعليه رَدْع من زعفران، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَهْيَمْ "، فقال: يا رسول الله، تزوجت امرأة، قال: "فما أصدقتها؟" قال: "وزن نواة من ذهب، قال: "أو لم ولو بشاة" قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً رجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: إن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة من الأنصار على ثلاثين ألفا.

قال علماء السير: شهد عبد الرحمن بدراً والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل، وعممه بيده.

وكان له من الولد عشرين ذكراً، وثمان بنات، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك فأم الناس وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق معه ركعة ثم قضى الثانية، وقال :"ما قبض نبي قط يصلي خلف رجل صالح من أمته" .

وكان عبد الرحمن كثير الصدقة فباع أرضاً له بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك في فقراء بني زهرة، وفي ذوي الحاجة من الناس، وفي أمهات المؤمنين، فلما بعث إلى عائشة بنصيبها، قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يَحْنُو عَلَيْكُن بعدي إلا الصابرون، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

قال محمد بن سعد: وحدثنا محمد بن كثير العبدي، قال: حدثنا سليمان بن كثير، عن الزهري، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قال: أغمي على عبد الرحمن بن عوف ثم أفاق فقال: إنه أتاني ملكان أو رجلان فيهما فظاظة وغلظة، فانطلقا بي، ثم أتاني رجلان أو ملكان هما أرفق منهما وأرحم، فقالا: أين تريدان به؟ قالا: نريد به العزيز الأمين، قالا: خليا عنه فإنه ممن كتب له السعادة وهو في بطن أمه.

توفي عبد الرحمن في هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة. وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس، وترك ذهباً قطع بالفؤوس حتى مجِلَتْ أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة، فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفاً، وأوصى في السبيل بخمسين ألف دينار.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسين بن الحسن العالي، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن علي اليقطيني، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب المخزومي، قال: حدثنا سلمة بن حفص السعدي، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا مسعر.

وأخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، حدثنا أبو علي الحسين بن محمد بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا شعبة؛ كلاهما عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، قال: رأيت سعد بن مالك عند قائمتي سرير عبد الرحمن بن عوف وهو يقول: واخلاه.

عبد الله بن زيد بن عبد ربه، أبو محمد: شهد العقبة مع السبعين، وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت معه راية بني الحارث بن الخزرج في غزاة الفتح، وهو الذي رأى الآذان.

توفي بالمدينة في هذه السنة وهو ابن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه عثمان رضي الله عنه.

العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل:

واسم أمه نُتَيْلة بنتَ جَناب بن كليب. ولد قبل ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، وكان له من الولد الفضل وهو أكبر ولده، وعبد الله وهو الحبر، وعبيد الله الجواد، وعبد الرحمن، وقثم، ومعبد، وأم حبيبة، وأم الكل لبابة بنت الحارث، وكان له من غيرها كثير، وتمام، والحارث. وكان يضرب المثل بعبد الله في العلم، وبعبيد الله في الجود أنبأنا يحيى بن الحسن، قال: أخبرنا ابن المسلمة، قال: حدثنا المخلص، قال: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، عن أبيه، قال: دخل أعرابي دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وفي جانبها عبد الله بن عباس يفتي ولا يرجع في شيء يسأل عنه، وفي الجانب الآخر عبيد الله يطعم كل من دخل، فقال الأعرابي: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس، هذا يفتي ويفقه الناس، وهذا يطعم الطعام. وكان يضرب المثل ببعد ما بين قبور بني العباس، فإن عبد الله دفن بالطائف، وعبيد الله بالمدينة، والفضل بالشام، وقثم بسمرقند، ومعبد بإفريقية.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا علي بن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن عمه إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: إن قريشاً لما نفروا إلى بدر فكانوا بمر الظهران هب أبو جهل من نومه، فقال: يا معشر قريش، ألا تباً لرأيكم ماذا صنعتم، خلفتم بني هاشم وراءكم، فإن ظفر بكم محمد كانوا من ذلك بنجوة، وإن ظفرتم بمحمد أخذوا ثأره منكم من قريب من أولادكم وأهليكم، فلا تذروهم في بيضتكم ونسائكم، ولكن أخرجوهم معكم وإن لم يكن عندهم غَنَاءٌ ، فرجعوا إليهم فأخرجوا العباس بن عبد المطلب ونوفلاً وطالباً وعقيلاً كرهاً.

قال ابن سعد: وأخبرنا رويم بن يزيد المقرىء، قال: حدثنا هارون بن أبي عيسى الشامي، عن ابن إسحاق، قال: حدثني حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن عكرمة، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، فكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال متفرق في قومه، فخرج معهم إلى بدر، وهو على ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا، عن القاسم، عن ابن عباس، قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر، وكان رجلاً مجموعاً، وكان العباس جسيماً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أسرته؟ فقال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أعانك عليه ملك كريم".

قال ابن سعد: وأخبرنا كثير بن هشام، قال: حدثنا جعفر بن برقان، قال: حدثنا يزيد بن الأصم، قال: لما كانت أسارى بدر كان فيهم العباس رضي الله عنه، فسهر النبي صلى الله عليه وسلم ليلته، فقال له بعض أصحابه: ما أسهرك يا نبي الله؟ قال: "أنين العباس". فقام رجل فأرخى وثاقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما لي لا أسمع أنين العباس؟ فقال رجل: إني أرخيت من وثاقه شيئاً، قال: "فافعل ذلك بالأسارى كلهم".

أنبأنا الحسين بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سلمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن الفضالة، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، قال: لقد جاء الله

بالإسلام وإن جفنة العباس لتدور على فقراء بني هاشم، وإن سوطه وقيده لمعد لسفهائهم.

قال: وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في ولايتهما لايلقى العباس واحد منهما وهو راكب إلا نزل عن دابته وقادها ومشى مع العباس حتى يبلغ مترله أو مجلسه فيفارقه.

توفي العباس يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب هذه السنة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وغسله علي بن أبي طالب، وصلى عليه عثمان، ودفن بالبقيع.

فطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد، أبو زيد:

شهد العقبتين، وذكر في الستة الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار، وكان من الرماة المذكورين. وشهد بدراً، ورمى حجراً بين الصفين، ثم قال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر.

وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت معه راية بني سلمة في غزوة الفتح، وجرح يوم أحد تسع جراحات، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم، فقاتلوه وغنم.

توفي قطبة في هذه السنة، ولم يعقِبْ.

كعب الأحبار بن ماتع، أبو إسحاق: كان يهودياً فأسلم وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص، فتوفي بها في هذه السنة.

وقد أسند الحديث إلى عمرو، وصهيب، وعائشة.

معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، من الأزد: أسلم بمكة قديماً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فشهدها، وكان عمر رضي الله عنه يأكل معه ويقول: لوكان غيرك ما آكلني في صحفة، ولكان بيني وبينه قدر رمح. وكان إذا شرب من الإناء وضع عمر فمه موضع فمه فيشرب، وكان قد أسرع فيه الجذام، وكان عمر يطلب له الطب، فقدم رجلان من أهل اليمن، فقال لهما: هل عندكما من طب لهذا الرجل الصالح؟ فقالا: ما شيء يذهبه ولا يقدر عليه، ولكنا سنداويه دواء يوقفه، فقال عمر: عافية عظيمة أن يقف، قالا: هل ينبت بأرضك الحنظل؟ قال: نعم، قالا: فاجمع لنا منه، فجمع منه مكتلان، فعمدا إلى كل حنظلة فشقاها شقين، ثم أضجعا معيقيباً، ثم أخذ كل رجل منهما بإحدى قدميه، ثم جعلا يدلكان بطون قدميه بالحنظلة حتى إذا أمحقت أخذا الأخرى، وجعل معيقيباً يتنخم أخضر مراً، ثم أرسلاه، فقالا لعمر: لا يزيد وجعه. فما زال متماسكاً حتى مات رضي الله عنه.

معضد بن يزيد، أبو زياد العجلي: كان كثير التعبد، واستشهد في غزاة بلنجر في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فمن الحوادث فيها: غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية مَلْطَية، في قول الواقدي.

وفيها: غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد.

وفيها: قدم عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان حين انتقض أهلها، ونبعه ابن عامر، وفتح عليهم.

وفيها سير عثمان رضي اللّه عنه من أهل العراق من سير إلى الشام فسير جماعة من أهل الكوفة كانوا يذكرون عثمان ويسبون سعداً، فكتب سعد بن أبي وقاص إِلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه ابعثهم إلى معاوية، فلما ذهبوا إليه رأى منهم ما لا يصلح،

فأبعدهم عنه، فرجعوا إلى الكوفة، فضج أهل الكوفة منهم فسيروا إلى حمص، ومن القوم مالك بن الحارث الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد، وزيد بن صوحان، وجندب بن زهير، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق.

وسير جماعة من أهل البصرة إلى الشام أيضاً، منهم حمران بن أبان، وكان قد تزوج امرأة في عدتها، فنكل به عثمان وفرق بينهما وسيره إلى أهل البصرة.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل، قالا: أخبرنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدَّثنا شعيب، قال: حدثنا سيف، عن محمد، وطلحة:

أن عثمان سير حمران بن أبان حين تزوج امرأة في عدتها وفرق بينهما وضربه وسيره إلى البصرة ثم أذن له فقدم عليه المدينة؛ وقدم معه قوم سعوا بعامر بن عبد قيس؛ أنه لا يرى التزويج، ولا يأكل اللحم، ولا يشهد الجمعة، وكان عامر منقبضاً، وعمله كله مستعبر، فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك، فألحقه بمعاوية. فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة، فأكل أكلاً غريباً، فعرف أن الرجل مكذوب عليه، فقال: يا هذا، هل تدري فيما أخرجت؟ قال: لا، قال: أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم وقد عرفت أنك مكذوب عليك، وأنك لا ترى التزويج ولا تشهد الجمعة. قال: أما الجمعة فإني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس، وأما التزويج، فإني خرجت وأنا يخطب عليَّ، وأما اللحم فقد رأيت، ولكني كنت امرأ لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصاباً يجر شاة إلى مذبحها، ثم وضع السكين على حلقها، وما زال يقول: النفاق النَّفاق حتى وجبت. قال: فارجع، قال: لا أرجع إلى بلد استحل أهله مني ما استحلوا، ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي. وكان يكون في السواحل، وكان يلقى معاوية فيقول له: حاجتك؟ فيقول: لا حاجة لي، فلما أكثر عليه قال: ترد علي من حَر البصرة لعل الصوم أن يشتد علي شيئاً، فإنه يخف علي في بلادكم.

وفي هذه السنة: حج عثمان بالناس، وولد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم: أسلم عند إسلام أبيه، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مكة، وانتقل إلى البصرة ونزلها وتوفي بها.

المقداد بن الأسود، واسم أبيه عمرو بن ثعلبة بن مالك، أبو معبد: كان حليفاً للأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية، فتبناه، وكان يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزل قوله تعالى: "ادعوهم لأبائهم" فقيل: المقداد بن عمرو.

وكان طويلاً، أدم، ذا بطن، كثير شعر الرأس، يصفر لحيته، مقرون الحواجب أقنأ.

وهاجر المقداد إلى الحبشة الهجرة الثانية في قول ابن إسحاق والواقدي، ولم يذكره موسى بن عقبة، ولا أبو معشر، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً والمشاهد كلها.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أبو الحسن بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، حدَّثنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عبيد، والفضل بن دكين، قالا: حدثنا المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: أول من عدا به فرسه في سبيل الله عز وجل المقداد بن الأسود.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل، عن مخارق، عن طارق، عن عبد الله، قال: شهدت من المقداد

مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عُدِل به، إنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين، فقال: يا رسول الله، إنا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى: "فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون"، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك وجهه وسره ذلك. شرب المقداد دهن الخروع فمات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع بالمدينة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان ابن سبعين سنة أو نحوها.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

فمن الحوادث فيها: اجتماع المنحرفين على عثمان

أن المنحرفين عن عثمان تكاتبوا للاجتماع لمناظرته فيما نقموا عليه، وتذاكر قوم أعمال عثمان، فأجمعوا رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلمه ويخبره بأحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد قيس، فدخل عليه، فقال: إن ناساً من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أموراً عظاماً فاتق الله وانزع عنها، فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإلى سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عامر، فجمعهم فشاورهم في أمره، فقال عبد الله بن عامر: إني أرى أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، فلا يهم أحدهم إلا نفسه. وقال ابن أبي سرح: أعطهم المال تعطف عليك قلوبهم. وقال معاوية: تأمر أجنادك يكفيك كل منهم من قبله. وقال عمرو بن العاص: اعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً، فردهم عثمان إلى أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على مَنْ قبلهم، وتجمير الناس في البعوث، ورد سعيد بن العاص أميراً على الكوفة، فخرج أهل الكوفة فردوه؛ وهم يزيد بن قيس، والأشتر، وذلك يوم الجَرَعة، والجرعة مكان مشرف قرب القادسية وهناك تلقاه أهل الكوفة.

فرجع إلى عثمان، وضرب الأشتر عنق غلام كان مع سعيد، فقال عثمان لسعيد: ما يريدون؟ قال: البدل، قال: فمن يريدون؟ قال: أبا موسى، فجعله عليهم.

وروى الواقدي عن أشياخه: أن جماعة اجتمعوا فكلموا علي بن أبي طالب في أمر عثمان، فدخل عليه وقال: الناس من ورائي وقد كلموني فيك، وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمرٍ لا تعرفه، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب. وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماً، وقد نلت من صهره ما لم ينالا. فقال عثمان: والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا عبت عليك إن وصلت رحماً، وسددتَ خَلة، أنشدك الله يا علي، أتعلم أن عمر ولى المغيرة أو ليس ذلك؟ قال: بلى، قال: فلم تلومني إن وليت ابن عامر في رَحِمه وقرابته؟ قال: سأخبرك، إن عمر كان كل من ولي فإنما يطأ على صِماخه، إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى غاية أنت لا تفعل رفقة بأقربائك، قال عثمان: فهل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها؟ قال: نعم، قال علي: فهل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من غلامه يَرْفَأ؟ قال: نعم فهو يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها، فيبلغك ولا تغير عليه.

ثم خرج علي، فخرج عثمان فجلس على المنبر، ثم قال: لقد عبتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه فدنِتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولنت لكم، وأوطأت لكم كنفي، وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي، فكفوا عليكم ألسنتكم، وطعنكم على ولاتكم، وما لي لا أصنع في فضل المال ما أريد، فلم كنت إماماً.

فقام مروان بن الحكم، فقال: إن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف. فقال عثمان: اسكت لا سكت، دعني وأصحابي، ثم نزل عثمان.

وفي هذه السنة: حج بالناس عثمان، وحج أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معه كما فعل عمر رضي الله عنهما.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

زيد بن سهل بن الأسود، أبو طلحة الأنصاري: شهد العقبة مع السبعين، والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عفان، قال: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، والنبي صلى الله عليه وسلم خلفه يتترس به، وكان رامياً، وكان إذا ما رفع رأسه ينظر أين يقع سهمه فيرفع أبو طلحة رأسه ويقول: هكذا بأبي أنت وأمي لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك.

قال: وسَرَدَ الصوم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى أو في مرض.

وقرأ هذه الآية: "انفِرُوا خِفَافاً وَثقالاً" فقال: جهزوني، فقال بنوه: قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ونحن نغزو عنك، فقال: جهزوني. فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه بها و لم يتغير.

وقيل: مات بالمدينة. وصلى عليه عثمان وهو ابن سبعين سنة.

سويد بن شعبة اليربوعي، من بني تميم: أخبرنا عبد الوهاب أبن المبارك الأنماطي، أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، أخبره أحمد بن علي التوزي، أخبره عمر بن ثابت، أخبرنا علي بن أبي قيس، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا الهيثم بن جميل، وأحمد بن يونس يزيد أحدهما على صاحبه، عن ابن شهاب، عن أبي حيان التيمي، عن أبيه، قال: دخلت على سويد بن شعبة، وكان من أصحاب الخطط الذين خط لهم عمر بالكوفة، فإذ هو منكب على وجهه مسجى بثوب، فلولا أن امرأته قالت: أهلي فداؤك، ما نطعمك، ما نسقيك، ما ظننت أن تحت الثوب شيئاً. فلما رآني قال: يا ابن أخي دَبِرَت الحراقفُ والصلب، فما من ضجعة غير ما ترى، والله ما أحب أني نقصت منه قلامَةَ ظُفر.

قال الأصمعي: الحرقفة، مجتمع رأس الورك ورأس الفخذين.

عبد الرحمن بن جبر بن عمرو، أبو عبس: كان هو وأبو بردة بن نيار حين أسلما يكسران أصنام بني حارثة. وشهد أبو عبس بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف، وكان عمر وعثمان يبعثانه يصدق الناس.

وتوفي في هذه السنة بالمدينة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ودفن بالبقيع وهو ابن سبعين سنة.

عبادة بن الصامت: أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدَثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، قال: سمعت سفيان بن عيينة يسمي النقباء، فسمى عبادة بن الصامت فيهم.

قال سفيان: عبادة عقبي، أحدي، بدري، شجري، وهو نقيب، توفي بالرملة بالشام في هذه السنة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

عوف بن أثاثة بن عبادة بن المطلب بن عبد مناف، ويكنى أبا عباد، ويلقب مسطحاً: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في هذه السنة وهو ابن ست وخمسين سنة.

كلثوم بن الحصين، أبو رهم الغفاري: أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أسلم أبو رهم بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وشهد معه أحداً، فرمي يومئذ بسهم فوقع في نحره، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليه فبرأ، وكان يسمى المنحور.

قال: وقال محمد بن عمرو: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير من الطائف إلى الجعرانة وأبو رهم إلى جنبه على ناقة له، وفي رجليه نعلان غليظان إذ زحمت ناقته ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو رهم: فوقع حرف نعلي على ساقه فأوجعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوجعتني أخر رجلك" وقرع رجلي بالسوط، فأخذني ما تقدم من أمري وما تأخر، وخشيت أن يترل في قرآن عظيم مما صنعت، فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظهر وما هو يومي فرقاً أن يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم رسول يطلبني، فلما روحت الركاب سألت، فقالوا: طلبك النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: إحداهن والله، فجئته وأنا أترقب، فقال: " إنك أوجعتني برجلك فقرعتك بالسوط وأوجعتك فخذ هذه الغنم عوضاً من ضربتي " قال: فرضاه عني كان أحب إلي من الدنيا وما فيها. قال: وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومة يستنفرهم حين أراد تبوكاً.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

فمن الحوادث فيها خروج أهل مصر ومن وافقهم على عثمان رضي اللّه عنه أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب، قال: حدثنا سيف، عن عطية، عن يزيد الفَقْعَسي، قال: كان ابن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم بالشام، فلم يقدر على ما يريد، فأخرجوه حتى أتى مصر، فغمز عثمان بن عفان، وأظهر الأمر بالمعروف، وكان عمار بمصر فاستماله ابن السوداء وأصحابه، ودعوه إلى خلع عثمان فقدم المدينة.

وحدثنا سيف عن مبشر بن الفضيل، وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم عمار من مصر وأبي شاكٍ فبلغه فبعثني إليه أدعوه، فلما دخل على سعد، قال: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير، فما الذي بلغني من سعيك في فساد بين المسلمين والتأليب على أمير المؤمنين، أمعك عقلك أم لا؟ فأهوى عمار إلى عمامته وغضب فترعها وقال: خلعت عثمان كما خلعت هذه، فقال سعد: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك، خلعت ربقة الإسلام من عنقك، فقام عمار مغضباً وأقبل سعد يبكي له، وقال، من يأمن الفتنة يا بني لا يخرجن منك ما سمعت منه.

وحدثنا سيف عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: جعل أهل مصر يكتبون إلى الأمصار، قال سيف: كاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أهمم يأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء، فاجتمع المصريون

والكوفيون بالمدينة، فخطبهم عثمان وقال: إن هؤلاء قالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تتم، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي فأتممت، قالوا: وَحَمَيْتُ حمى، وإني والله ما حميت إلا ما حمي قبلي. وقالوا: إني رددت الحكم وقد سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ثم رده. وقالوا: استعملت الأحداث و لم أستعمل إلا مجتمعاً مرضياً، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أسامة أشد ما قيل لي. وقالوا: أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه، وإني إنما نفلته خمس الخمس، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر، فلما كره الجند ذلك رددته، وقالوا: إني أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي فإنه لم يمل معي على جور، وإنما أعطيهم من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس وما تبلغت من مال الله عز وجل بفلس فما فوقه.

وحدَّثنا سيف عن محمد وطلحة وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: لما كان شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربعة رفاق على أربعة أمراء، المقلل يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عُدَيس البكري، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروة بن شبيم، الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسواد بن رومان الأصبحي، وزرع بن يشكر اليافعي، وقتيرة السكوني، وسودان بن حمران السكوني. وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي، و لم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب؛ وإنما خرجوا كالحُجاج، ومعهم ابن السوداء. وخرج أهل الكوفة في أربعة رفاق، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم، وعددهم كعدد أهل مصر، وخرج أهل البصرة في أربعة رفاق، وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح بن الحطم القيسي، وابن محرش بن عبد عمرو الحنفي، وعددهم كعدد أهل مصر، وأميرهم جميعاً حُرقوص بن زهير السعدي، سوى من تلاحق بهم من الناس فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير. فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم أناس من أهل البصرة، فترلوا ذا خُشُب، وأناس من أهل الكوفة فترلوا الأعوص، وجاءهم أناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذي المرْوة. ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم، وقالا: لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد.

فدخل الرجلان، فلقيا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلحة والزبير وعلياً، وقالا: إنما نؤم هذا البيت، ونستعفي من هذا الوالي من بعض عمالنا، ما جئنا إلا لذلك، فاستأذنوهم للناس في الدخول، فكلهم أبى ونهى، فرجعا فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً رضي الله عنه، ومن البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، وقال كل فريق منهم: إن بايعوا صَاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم، ثم نبغتهم. فأتى المصريون علياً رضي الله عنه وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع عند عثمان، فعرضوا له، فصاح بهم فطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فارجعوا لا صحبكم الله.

وأتى البصريون طلحة وقد أرسل بنيه إلى عثمان، فعرضوا له، فصاح بهم وطردهم وقال مثل قول علي.

وأتى الكوفيون الزبير وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان، فعرضوا له فصاح بهم وطردهم، وقال مثل طلحة.

خرج القوم وأروْهم أنهم يرجعون؛ فانفشوا عن ذي خشب والأعوص حتى أتوا إلى عساكرهم، وهي ثلاث مراحل كي يفترق أهل المدينة، ثم يكرون فافترق أهل المدينة لخروجهم، فكروا فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فأحاطوا بعثمان وقالوا:

من كف يده فهو آمن. وأتاهم الناس فكلموهم وفيهم علي، فقال علي: ما ردكم بعد ذهابكم؟ فقالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا هذا وعثمان يصلي بالناس وهم يصلون خلفه ويقولون، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم، فخرجوا على الصعب والذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح معاوية بن خديج، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو. ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم خرج عثمان رضي الله عنه فصلى بالناس، ثم قام على المنبر، فقال: يا هؤلاء، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطايا بالصواب.

فقام محمد بن مسلمة: إنا نشهد بذلك، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: ابغني الكتاب، فثار إليه محمد بن أب قتيرة فأقعده، وثار القوم بأجمعهم، فحصبوهم حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فاحتمل فأدخل داره، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر، فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، وعمار بن ياسر؛ وشمر أناس من الناس فاستقتلوا منهم سعد بن مالك، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، والحسن بن علي بن أبي طالب، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا. ودخل علي وطلحة والزبير على عثمان يعودونه من صرعته، فصلى بهم عثمان بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً ثم منعوه الصلاة، فصلى بالناس أميرهم الغافقي، دان له المصريون والكوفيون والبصريون، وتفرق أهل المدينة إلى حيطانهم، ولزموا بيوتهم، لا يخرج أحد، ولا يجلس أحد إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهق القوم، وكان الحصار أربعين يوماً، وفيها كان القتل، ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفون عن الناس، ويحتملون منهم الكلام.

ولما رأى زيد وزياد وعمرو الأصم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عثمان، وأنهم لا يجيئونهم رجعوا من بين أهل الكوفة، وأعاد عثمان الكتاب إلى الأمراء: إن أمر هؤلاء قد بان، وأنهم جاولوا الإسلام، ومنعوا الصلاة، وحالوا بيني وبين المسجد، ولما لم يجدوا خرجاً، قالوا: لا نرضى إلا بأن يعتزلنا، فأدركوا الفتنة قبل تدفقها، فحرض العمال أهل بلادهم، وجاء سعد، وزيد، وأبو هريرة للقتال، فقال عثمان: إن كنتم ترون الطاعة، فاغمدوا أسيافكم وانصرفوا.

وجاء كثير بن الصلت، فقال لعثمان: لو أريت الناس وجهك، فقد انكسر الناس، فقال: يا كثير، رأيتني البارحة وكأني دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: قد صبرت فلن يدركك المسلمون حتى تقتل، فارجع فإنك مفطر عندي يوم كذا وكذا، ولن تغيب الشمس والله يوم كذا وكذا، إلا وأنا من أهل الآخرة، فقالوا: نستقيل، فقال: اخرجوا عني.

ولما رأى القوم أن الناس قد ثابوا إلى عثمان وضعوا على علي بن أبي طالب رقيباً في نفر فلازمه، ورقيبه خالد بن ملجم، وعلى طلحة رقيباً فلازمه، ورقيبه سودان بن حمران، وعلى الزبير رقيباً فلازمه، ورقيبه قتيرة وعلى نفر بالمدينة، وقالوا لهم: إن تحركوا فاقتلوهم، فلما لم يستطع هؤلاء النفر غشيان عثمان بعثوا أبناءهم إلى عثمان، فأقبل الحسن بن علي، فقال له: مرنا بأمرك، فقال: يا ابن أخي، أوصيك بما أوصي به نفسي، واصبر وما صبرك إلا بالله، وجاء ابن الزبير، فقال له مثل ذلك، وجاء محمد بن طلحة فقال له مثل ذلك. وأشرف عثمان، فقال: يا أهل المدينة إني أستودعكم الله فارجعوا، ولزم عثمان الدار أربعين ليلة، فلما مضت من

الأربعين ثماني عشرة ليلة قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشام، ومعاوية من مصر، والقعقاع بن عمرو من الكوفة، ومجاشع من البصرة، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان؛ ومنعوه من كل شيء حتى الماء، فبعث إلى علي رضي الله عنه بأنهم قد منعونا الماء، وإلى طلح والزبيب وعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء إليهم علي فقال: إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فإن الروم لتأسِرُ فتطعم وتسقي، فقالوا: لا والله ولا نعمة عين، لا نتركه يأكل وليشرب، فرجع.

وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة، مشتملة على أداة، فقالت لهم: إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله كيلا تهلك أموال اليتامى، فقالوا: كاذبة، وقطعوا حبل بغلتها بالسيف، فنذرت فتلقاها الناس.

وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة.

وحج بالناس تلك السنة عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور.

فلما علم المصريون أنهم مقصودان، قالوا: لا ينجينا إلا قتل هذا الرجل، فراموا الباب، فمنعهم الحسن، وابن الزبيب، ومحمد بن طلح، ومران، وسعيد بن العاصي، وكانوا مقيمين على الباب، فناداهم عثمان: الله، أنتم في حل من نصرتي، فأبوا، ففتح الباب، وخرج ومعه الترس والسيف، فبارز المصريون، وركبهم هؤلاء فتراجعوا، وأقسم على أصحابه ليدخلن إذ أبوا أن ينصرفوا، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، واتخذ عثمان القرآن تلك الأيام نَجياً، يصلي وعنده المصحف، فإذا أعها فقرأ فيه.

فجاء المصريون بنار فأحرقوا الباب، وعثمان في الصلاة قد افتتح طه، فما أترثه ما سمع، وما تتعتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه. وبارز مران يومئذ فاختلف هو ورجل منهم ضربتين، فاجتر هذا أصحابه وهذا أصحابه، وَاقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملأاها ولا يشعر الذين بالباب، فقال رجل: اخلعها وندعك، فقال: لست خالعاً قميصاً كسانيه الله، فخرج ودخل آخر فلم يقتله، وجاء ابن سلام ينهاهم، فقالوا: يا ابن اليهودية، ما أنت وهذا. فأتاه الغافي وبيده حديد فضرب بها رأسه فشجها فقطر دمه على المصحف، وضرب المصحف برجله، ثم تعاونوا عليه، فضربه سودان بن حمران، فوثبت نائلة بنت الفرافصة فصاحت وألقت نفسها عليه وأخذت السيف بيدها، فتعمدها، فقطع أصابع يدها وقتله، فوثب غلام لعثمان فقتل سودان، فقتل قتيرة الغلام، فوثب غلام آخر وقتل قتيرة، ورموا بهما فأكلتهما الكلاب. و لم يغسل عثمان ولا غلاماه لكونهم شهداء، ودفنا إلى جنب عثمان بالبيت وانتهبوا متاع البيت، ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف، فضرب رأسه برجا ونحاه عن المصحف، وتنادوا في الدار: أدركوا بيت المال، لا تُسبَقوا إليه، فأتوه فانتهبوه.

وقتل عثمان يوم الجمعة قبل غروب الشمس لثماني عشرة من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يوسف الصياد، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد، قال: حدثنا الحارث بن محمد، قال: حدثنا يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثنا الوليد، قال حدثنا الأوزاعي، عن محمد بن عبد الملك، عن المغيرة بن شعبة، أنه قال لعثمان حين حصر:

إنه قد نزل من الأمر ما ترى، فاختر واحدة من ثلاث: إن شئت أن نفتح لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة فلن يستحلوك بها، وإن شئت أن تلحق الشام وفيها معاوية، وإن شئت خرجت بمن معك فقاتلناهم فإنا على الحق وهم على الباطل. فقال عثمان: أما قولك آتي إلى مكة؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يلحد بمكة رجل من قريش

عليه نصف عذاب الأمة" فلن أكونه. وأما أن آتي إلى الشام، فلن أكون لأدع دار هجرتي ومجاورة نبي الله صلى الله عليه وسلم وآتي الشام. وأما قولك إني أخرج بمن معي أقاتلهم فلن أكون أول من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بإراقة محجمة دم.

وروى الواقدي، عن أشياخ له، عن محمد بن مسلمة، قال: خرجت في نفر من قومي إلى المصريين، فعظمت حق عثمان وما في رقابهم من البيعة، وخوفتهم الفتنة، وأنه يترع عن هذه الأمة الخصال التي نقمتم عليه، وأنا ضامن لذلك. قال القوم: فإن لم يترع؟ قلت: فأمركم إليكم.

فانصرف القوم وهم راضون، ورجعت إلى عثمان، فقلت: أخلني، فأخلاني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك، إن هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دمك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك، فأعطاني الرضا وجزاني خيراً.

ثم خرجت من عنده، فأقمت ما شاء الله فيهم، فعادوا له فقال لي: ارجع إليهم فأرددهم، قلت: لا والله، لأني ضمنت لهم أموراً تترع عنها فلم تترع عن حرف واحد منها. فقال له: الله المستعان. وجاءني ابن عديس وسودان، فقالا: ألم تعلم أنك زعمت أن صاحبنا نازع عما نكره؟ قلت: بلى فأخرجوا صحيفة صغيرة، وإذا قصبة من رصاص، فقالوا: وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان، ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذا الكتاب: أما بعد؛ فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة جلدة، واحلق رأسه ولحيته وأطل حبسه حتى يأتيك أمري، وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان مثل ذلك، وعروة مثل ذلك.

قلت: وما يدريكم أن عثمان كتب هذا؟ قالوا: فيفتات مروان على عثمان بهذا، فهذا أشر، فيخرج نفسه من هذا الأمر. ودخل علي على عثمان فأخبره بما وجدوا في الكتاب، فجعل يقسم بالله ما كتب به ولا علم ولا شور.

قال ابن مسلمة: إنه لصادق، ولكن هذا عمل مروان، فقال علي: أدخلهم إليك واعتذر إليهم، فدخلوا فما سلموا عليه بالخلافة، بل قالوا: سلام عليكم، فقلنا: وعليكم السلام، فقدموا في كلامهم ابن عديس، فذكر له أشياء من فعله، وقالوا: قد رحلنا نريد دمك فردنا علي، ومحمد بن مسلمة، وضمن لنا ابن مسلمة التروع عما نقمناه، فرجعنا إلى بلادنا، فوجدنا غلامك وكتابك وخاتمك إلى عاملك بجلد ظهورنا والمثل بنا، فقال عثمان: والله ما كتبت ولا أمرت ولا شورت، قالوا: أيكتب مثل هذا غيرك؟ فليس مثلك يلي، اخلع نفسك، فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عز وجل. فخرج الكل فحاصروه.

ذكر من كان يصلي بالناس وعثمان محصور اختلف الناس في ذلك، فروى الواقدي، عن ربيعة بن عثمان، عن يزيد بن رومان: أنه لما حصر عثمان جاء المؤذن. سعد القرظ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: من يصلي بالناس؟ فقال: ناد خالد بن يزيد، فقام فصلى بالناس.

قال الواقدي حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: جاء المؤذن إلى عثمان فأذن بالصلاة، فقال: لا أنزل، اذهب إلى من يصلي، فجاء إلى علي بن أبي طالب، وأمر سهل بن حنيف فصلى اليوم الذي حصر فيه الحصر الأخير، وهو ليلة رأى هلال في الحجة، فصلى بهم حتى إذا كان يوم العيد صلى علي العيد، ثم صلى بهم حتى قتل.

وقد روينا أن ابن عديس صلى بهم، وكنانة بن بشر خليفته.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، حدَّثنا أبو بكر الأنباري، حدثنا محمد بن يونس، حدَّثنا حفص بن عمر النميري، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن حميد بن هلال، قال: خرج عبد الله بن سلام إلى الناس يوم الدلج، وقال: يا قوم، والله ما قتلت أمة نبياً إلا قتل منها سبعون ألفاً، ولا قتلت

أمة خليفة إلا قتل منها مكانه خمسة وثلاثون ألفاً، فأحرقوا الباب، فقال عثمان: ما عندهم بعد هذا بقية، ثم دخلوا عليه فقتلوه.

ذكر من وليه بعد موته وصفة دفنه

ذكر سيف بن عمر أن عثمان قتل يوم الجمعة، ودفن ليلة السبت في جوف الليل. قال أبو بشر العابدي: نبذ عثمان ثلاثة أيام لا يدفن، ثم إن حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلما عليّا في أن يأذن لهما في دفنه ففعل، فلما سُمِعَ بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، فأرسل إليهم علي يعزم عليهم لَيَكفّن عنه ففعلوا.

وقال غيره: دفن بين المغرب والعتمة، و لم يشهد جنازته إلا مروان وثلاثة من مواليه، وابنته الخامسة.

وقال الشعبي: صلى عليه مروان.

قال الواقدي: الثبت عندنا أنه صلى عليه جبير بن مطعم، وقال صالح بن كيسان: خرج حكيم بن حرام في اثني عشر رجلاً منهم الزبير.

وروى الواقدي: أنهم لما قتلوه أرادوا جز رأسه، فوقعت عليه نائلة وأم البنين، فمنعنهم، وصحن، وضربن الوجوه، وخرقن ثيابهن، فقال ابن عديس: اتركوه، فأخرج و لم يغسل إلى البقيع، فأقبل عمير بن ضابىء، فنَزَا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنت ضابئاً حتى مات في السجن.

وكان عمر عثمان اثنتين وثمانين سنة وأشهراً. وقيل ثلاثاً وثماثين وقيل: ستاً وثمانين. وقيل ثمانياً وثمانين.

وقتل وعامله على مكة عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن أمية، وعلى الجند عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كرز، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم غلب محمد بن أبي حذيفة على مصر فأخرج ابن سعد، وعلى الكوفة: على صلاتها أبو موسى، وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس، وعلى همذان النُّسَير، وعلى الري سعيد بن قيس، وعلى أَصفهان السائب بن الأقرع، وعلى ماسبذان حبيش، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان.

وعمال معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور بن سفيان، وعلى القضاء أبو الدرداء، وعلى قضاء عثمان زيد بن ثابت.

فصل

ولما قتل عثمان رضي الله عنه انتهبت داره ودار غيره، وانتهبت دار أبي هريرة.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدَّثنا يونس، قال: حدَّثنا حماد بن زيد، عن المهاجر، عن أبي العالية، عن أبي هريرة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بتمرات، فقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة، قال: فصفهن بين يديه ثم دعا، فقال لي: اجعلهن في مزودك وادخل يدك ولا تنثره. قال: فجعلت منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله، وآكل وأطعم، وكان لا يفارق حقوي. فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع عن حقوي وسقط.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا عبد الصمد بن المأمون، قال: أخبرنا ابن حبابة، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثنا عبيد بن

محمد العيشي، قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، قال: حدثنا يزيد بن أبي منصور، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: أصبت بثلاث .بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وذا يد منه، وبقتل عثمان والمزود. قالوا: وما المزود؟ قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابت الناس مخمصة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أبا هريرة، هل من شيء؟" قلت: نعم، شيء من تمر في مزود، قال: "فآتني به"، فأتيته به فأدخل يده وأخرج قبضة، فبسطها، ثم قال: ادع لي عشرة، فدعوت له عشرة فأكلوا حتى شبعوا، ثم أدخل يده فأخرج قبضة فبسطها، ثم قال: ادع لي عشرة، فدعوت له عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، فما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كله وشبعوا، ثم قال لي: "خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض ولا تكبه " قال أبو هريرة: فقبضت على أكثر مما جئت به. قال أبو هريرة: ألا أحدثكم عما أكلت، أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر وأطعمت، وحياة عمر وأطعمت، وحياة عثمان وأطعمت، فلما قتل عثمان انتهبت بيتي وذهب المزود.

وفي رواية: لقد جهزت منه خمسين وسقاً فِي سبيل الله.

فصل

ولما ضرب عثمان بالسيف اتقت نائلة بنت الفرافصة بيدها، فقطعت إصبعان من أصابعها، فلما قتل كتبت إلى معاوية: من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد. فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأبعدكم عن الكفر، وأنشدكم الله فأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه، وأن أمير المؤمنين بُغِي عليه وكنت مشاهدة أمره، إن أهل المدينة حصروه يحرسونه ليلهم ونهارهم قياماً على أبوابه بسلاحهم حتى منعوه الماء، ثم إنه رُمي بالنبل والحجارة، ثم أحرقوا باب الدار، ثم دخلوا عليه وأخفوا بلحيته وضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، وقد أرسلت إليكم بثوبه، فحلف رجال من الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم.

فصل

وقد كان أمير المؤمنين علي يقول: إنما وهنت يوم قتل عثمان.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأنا أبو الفتح أحمد بن محمد الحداد، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن إبراهيم بن منجويه، أن الحاكم أبا أحمد محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ، أخبرهم قال: أخبرنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا الحسين بن عرفة، قال: حدثنا عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، عن مجالد بن سعيد، عن عمير بن زودي، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: هل تدرون إنما مثلي ومثلكم وقتل عثمان، كمثل ثلاثة أثوار كن في أجمة: ثور أبيض، وثور أسود، وثور أحمر ومعهم فيها أسد، فكان الأسد لا يقدر منها على شيء لاجتماعهم عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: إنه لا يدل علينا في أجمتنا هذه إلا الثور الأبيض فإنه مشهور اللون، فلو تركتماني فأكلته، وصفت لي ولكما الأجمة وعشنا فيها، فقالا له: دونك وما تريد، فأكله، ثم لبث غير كثير، فقال للثور الأحمر: إنه لا يدل علينا في أجمتنا هذه إلا الثور الأسود فإنه مشهور اللون، وإن لوني ولونك لا يشتهران، فلو تركتني لآكله صفت لي ولك الأجمة وعشنا فيها، فقال له: دونك، فأكله. ثم لبث غير كثير فقال للثور

الأحمر: إني آكلك، قال: دعني حتى أنادي ثلاثة أصوات، قال: ناد، فقال: ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ألا إني أَكلت يوم أكل الثور الأبيض، ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض، قال: يقول علي رضي الله عنه ألا وإني إنما وُهنت يوم قتل عثمان رضي الله عنه.

ومن الحوادث في هذه السنة أعني سنة خمس وثلاثين من الهجرة خلافة علي عليه السلام أخبرنا أبو منصور، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان، قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، قال: أنبأنا يعقوب بن سفيان، قال: سمعت، سليمان بن حرب، قال: شهد علي بدراً وهو ابن عشرين سنة، وشهد الفتح وهو ابن ثمان وعشرين سنة.

روى القزاز بإسناده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كنت ذات يوم جالساً بين يدي أبي، فجاءت طائفة من الكوفيين فذكروا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان بن عفان، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب، فزادوا وأطالوا، فرفع رأسه إليهم وقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في علي والخلافة، وإن الخلافة لم تزين علياً بل علي زينها.

قال السياري: فحدثت بهذا بعض الشيعة، فقال: قد أخرجت نصف ما كان في قلبي على أحمد بن حنبل من البغض.

باب خلافة علي رضوان الله عليه

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: كنت مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه، فقام فدخل مترله، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقةً، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك؟ قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون إلا عن رضا المسلمين. فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس.

وقيل: أول من بايعه طلح.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: حدثنا الحسين بن علي الطناجيري، قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن شاهين، قال: حدَّثنا محمد بن سليمان، قال: حدَثنا وهب بن بقية، قال: أخبرنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، قال:

رأى أعرابي طلحة يبايع علياً رضي الله عنه، قال: يد شلاء وأمر لا يتم.

وقال الزهري: أرسل إلى طلحة والزبير فدعاهما إلى البيعة فتلكأ طلحة، فقال الأشتر وسل سيفه: والله لتبايعن أو لأضربن به بين عينيك، فقال طلحة: وأين المذهب عنه، فبايعه وبايعه الزبير. وهرب قوم إلى الشام فلم يبايعوه، و لم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة.

قال حبيب بن محمد الهاشمي: تربص سبعة فلم يبايعوه: سعد، وابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سلام بن وقش، وأسامة بن زيد.

وذكر محمد بن سعد أنه بويع لعلي رضي الله عنه بالمدينة، غداة قتل عثمان، بايعه طلحة والزبير وسعد وسعيد، وجميع من كان

بالمدينة، ثم ذكر طلحة والزبير أنهما بايعا كارهين، فخرجا إلى مكة وبها عائشة رضي الله عنها، ثم خرجوا إلى البصرة يطالبون بدم عثمان.

أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: أخبرنا السري بن يحيى، قال: حدَّثنا شعيب قال: حدثنا سيف بن عمر، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن سواد، وطلحة بن الأعلم، وأبو حارثة، وأبو عثمان، قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقي يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، يأتي المصريون علياً فيختبيء منهم ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً فباعدهم وتبرأ منهم، ويطلب البصريون طلحة فإذا لقوه باعدهم وتبرأ من مقالتهم مرة بعد مرة، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهوَوْن، فلما لم يجدوا ممالِئاً ولا مجيباً جمعهم الشر على أول من أجابهم، وقالوا: لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص، فقالوا: إنك من أهل الشورى، ورأينا فيك مجتمع، فأقدم نبايعك، فبعث إليهم: إني وابن عمي خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال؛ وتمثل:

لا تَخلطَنَّ خَبيثَاتٍ بِطيبَةٍ ... واخلع ثيابك منها وانجُ عُريانا

ثم وجودا سعداً والزبير خارجين من المدينة، وطلحة في حائط له، وبني أمية قد هربوا إلا من لم يطق الهرب، وكان الوليد وسعيد ومروان قد لحقوا بمكة.

ثم إنهم لقوا عبد الله بن عمر، فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقاماً، والله لا أتعرض له، فالتمسوا غيري. فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون.

وحدثنا سيف، عن محمد وطلحة، قالا: قالوا: يا أهل المدينة قد أَجلناكم يومكم، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً، فغشي الناس علياً، فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام، فقال: دعوني والتمسوا غيري، فقالوا: ننشدك الله إلا ما فعلت، فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم.

فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد، وجاء علي حتى صعد المنبر، وجاءوا بطلحة فقالوا: بايع، فقال: إني إنما أبايع كرهاً، فبايع أول الناس، وكان به شلل، فقال رجل يعتاف: إنا لله وإنا إليه راجعون، أول يد بايعت أمير المؤمنين يد شلاء، لا يتم هذا الأمر. ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك، ثم بايع. ثم جيء بقوم كانوا قد تخلفوا، فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد، والعزيز والذليل، فبايعهم، ثم قام العامة فبايعوه.

وبويع علي رضي الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أحمد بن علي بن عمر المقرىء، أخبرنا علي بن أحمد بن أبي قيس، حدَّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدثنا عياش بن هشام، عن أبيه، قال: بويع علي رضي الله عنه بالمدينة يوم الجمعة حين قتل عثمان، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، فاستقبل المحرم سنة ست وثلاثين.

قال غير عياش: كانت بيعته في دار عمرو بن محصن الأنصاري، ثم أحد بني عمرو بن مبذول يوم الجمعة، ثم بويع بيعته العامة من

الغد يوم السبت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر اسمه ونسبه

هو علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنى أبا الحسن، وأبا تراب. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وعلي عليه السلام أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم، وشهد المشاهد معه و لم يتخلف عن مشهد، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك، فقال: أتخلفني في النساء والصبيان، فقال: "ألا ترضى أن تكون مني بمترلة هارون من موسى".

ولما آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس آخا بينه صلى الله عليه وسلم، وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر صفته

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما قلت: ما كانت صفة علي؟ رضي عنه؟ قال: رجل شديد الأدمة، ثقيل العينين، ذو بطن، أصلع، إلى القصر أقرب.

قال ابن سعد: أخبرنا أبو عمر بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: رأيت علياً رضي الله عنه وكان عريض اللحية، وقد أخذت ما بين منكَبيه، أصلع على رأسه زُغَيْبَات.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا وهب بن جرير بن حازم، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت أبا حازم يقول: رأيت علياً أصلع، كثير الشعر، كأنما اجتاب إهاب شاة.

أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك، أخبرنا عاصم بن الحسن، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا عفان بن أحمد الدقاق، حدثنا أبو الحسن بن البراء، قال: كان نقش خاتم علي رضي الله عنه "الله الملك".

ذكر تقدم إسلامه أخبرنا عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن القاسم بن الحسن الشاهد، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن محمد بن البختري، قال: أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غَرزة، قال: حدَّثنا علي بن قادم، قال: أخبرنا علي بن عابس، عن مسلم، عن أنس، قال: استنبىء النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: حدَّثنا محمد بن علي الصلْحي، قال: أخبرنا أحمد بن يعقوب الجرجاني، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن معاذ الهروي ، قال: حدثنا أبو داود سلمان بن معبد السبخي، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعليّ ابن سبع سنين.

قال مؤلف الكتاب: وفي رواية أخرى أنه كان ابن ثمان سنين.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهمِ، حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس، قال: حدَثني أبي، عن الحسن بن زيد: أن علياً حين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام كان ابن تسع سنين.

قال الحسن بن زيد: ويقال: عون تسع سنين، و لم يعبد الأوثان قط لصغره.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: وأصحابنا مجمعون أن أول أهل القبلة الذي استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد، ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر؛ أيهم أسلم أولاً، في أبي بكر، وعلي، وزيد بن حارثة، وما نجد إسلام علي صحيحاً إلا وهو ابن إحدى عشرة سنة.

ذكر غزارة علمه كان أبو بكر وعمر يشاورانه ويرجعان إلى رأيه، وكان كل الصحابة مفتقراً إلى علمه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن.

ذكر أولاده

كان لعلي من الولد أربعة عشر ذكراً، وتسع عشرة أنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى؛ أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومحمد الأكبر، وهو ابن الحنفية، وأمه خولة بنت جعفر، وعبيد الله؛ قتله المختار، وأبو بكر قتل مع الحسين، أمهما ليلى بنت مسعود. والعباس الأكبر، وعثمان، وجعفر، وعبد الله، قتلوا الحسين، أمهم أم البنين بنت حرام بن خالد، ومحمد الأصغر، قتل مع الحسين، أمه أم ولد. ويحيى وعون، أمهما أسماء بنت عميس. وعمر الأكبر، ورقية، أمهما الصهباء سبية. ومحمد الأوسط، أمه أمامة بنت أبي العاص. وأم الحسن، ورملة الكبرى، أمهما أم سعيد بنت عروة. وأم هانىء، ميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة، وهن لأمهات شتى. وابنة أخرى لم يذكر اسمها هلكت وهي صغيرة. فهؤلاء الذين عرفوا من أولاد علي رضي الله عنه.

ذكر طرف من سيرته وحاله أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا الجر بن جرموز، عن أبيه، قال: رأيت علياً رضي الله عنه وهو يخرج من القص وعليه قطريتان إزار إلى نصف الساق، ورداءه مشمر، ومعه درة يمشي بها في الأسواق ويأمرهم بتقوى اللّه وحسن البيع، أوفوا الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللحم.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، وأبو القاسم التنوخي، قالا: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا محمد بن علي المدائني، قال: حدثنا أبو الفضل الربعي، قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه العطار، قال: حدثنا حسين الأشقر، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه رضي الله عنهما قال: كان علي رضي الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباء قطوافي، وقد شق وسطه وكفت حاشيتاه، يقول: يا أيها التجار، خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله صلى الله عليه وسلم، لأسألنك فإن أجبتني وإلا جَعَفْتُكَ بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله. قال: أما ثباته فالورع، وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت، قص فمثلك من يقص.

ومن الحوادث عند خلافته أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل، قالا: أخبرنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد، قال: حدَّثنا السري، قال: حدثنا شعيب، قال: حدَّثنا سيف، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن علي بن الحسين، قال: اجتمع الناس، إلى علي رضي الله عنه، فقالوا: يا علي، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، فإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضع القدرة على شيء فما ترون. قالوا:

لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه أبداً إن شاء الله.

وحدَّثنا سيف، عن أبي حمزة، عن رجل، قال: قال طلحة لعلي: دعني فآتي البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك. وقال الزبير: دعني آتي الكوفه فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك. وسمع المغيرة بن شعبة بذلك، فدخل عليه فقال: إن لك حق الطاعة والنصيحة، أقرر معاوية على عمُله، وابن عامر والعمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت. فقال: حتى أنظر.

فخرج من عنده وعاد إليه من الغد، فقال: إني أشرت عليك بالأمس برأي، وإن الرأي أن تعاجلهم بالتروع، فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك، ثم خرج وتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل، فلما انتهى إلى علي، قال: رأيت المغيرة خرج من عندك ففيم جاءك؟ قال: جاءني أمس بكذا واليوم بكذا، فقال: أما أمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشك، قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج حين قتل الرجل أو قبله، فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق بابك، فإن كانت العرب جائلة مضطربة في أثرك لا تجد غيرك، فأما اليوم فإن بني أمية يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر، ويشبهون على الناس.

وروى الواقدي، قال: حدَّثني ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج، فأقمت للناس الحج وقرأت عليهم كتاب عثمان إِليهم، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي، فأتيته في داره، فوجدت عنده المغيرة بن شعبة مستخلياً به، فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت له: ماذا قال لك؟ قال لي مرة قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر ومعاوية وعمال عثمان، بعهودهم وأقرهم على أعمالهم ويبايعون لك الناس، فأبيت هذا عليه، وقلت: لا وليت هؤلاء أبداً ولا مثلهم يولى، ثم انصرف وأنا أعرف أنه يراني مخطئاً، ثم عاد إلي الآن، فقال: رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به.

فقلت: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما الأخرى فقد غشك، لأنك إذا عزلتهم يقولون هو قتل صاحبنا، ويؤلبون عليك، فقال: والله لا أولي منهم أحداً أبداً؛ فإن أقبلوا فذلك خيرٌ لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف. ثم قال لي: سر إلى الشام فقد وليتكهَا، فقلت: ما هذا برأي؛ معاوية رجل من بني أمية، وهو ابن عم عثمان، وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عُنقي بعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي، ولكن أكتب إلى معاوية فمنَه وعِده فأبى علي، وقال: والله لا كان ذلك أبداً.

ومن الحوادث في هذه السنة مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين أنه سار قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين، فسلط الله عليهم قَاصِفاً من الريح فغرقهم، ونجا قسطنطين، فأتى صقلية، فصنعوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه؟ وقالوا: قتلت رجالنا.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد سبق ذكر مقتله.

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدثنا عثمان بن أحمد، قال: حدَّثنا أبو الحسن بن البراء، قال: بلغ عثمان رضي الله عنه من العمر اثنتين وثمانين سنة، وترك قيمة ألف ألف درهم.

عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر، أبو عبد اللّه: كان حليفاً للخطاب بن نفيل، وتبناه الخطاب، فلما نزل قوله تعالى: "ادعوهم لآبائهم" رجع عامر إلى نسبه.

وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ومعه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة العَدويْة، وهاجر إلى المدينة فلم يقدمها قبله إلا أبو سلمة، وزوجته أول ظعينة قدمت المدينة.

وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، وخالد بن مخلد البجلي، قالا: حدثنا سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، قال: أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل، وذلك حين نشب الناس في الطعن على عثمان، فصلى من الليل ثم نام، فأتي في المنام فقيل له: قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالح عباده. فقام فصلى ثم اشتكى، فما أخرج إلا جنازة.

قال ابن سعد: وقال محمد بن عمر: كان موت عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام، وكان قد لزم بيته فلم يشعر الناس إلا بجنازته وقد أخرجت.

معاذ بن عفراء، أمه نسب إليها، وأبوه الحارث بن رفاعة: شهد معاذ العقبتين، وبدراً. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث إلى أهل بدر حللاً، فيبعث إليه ويشتري لها رقالاً فيعتقهم.

أخبرنا محمد بن عبد الله البيضاوي، أخبرنا أبو الحسين الطيوري، أخبرنا أبو طالب العشاري، حدثنا علي بن الحسين بن سكينة، حدثنا محمد بن القاسم بن مهدي، حدثنا علي بن أحمد بن أبي قيس، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدَّثني محمد بن قدامة الجوهري، قال: حدَّثنا أبو أسامة، قال: حدَّثني بعض أصحابنا، عن رقية بن مصقلة، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان معاذ بن عفراء لا يدع شيئاً إلا تصدق به، فلما ولد له استشفعت عليه امرأته أخواله، فكلموه وقالوا له: إنك قد أعلت، فلو جمعت لولدك، قال: أبت نفسي إلا أن أستتر بكل شيء أجده من النار، فلما مات ترك أرضاً إلى جنب أرض لرجل. قال عبد الرحمن: وعليه ملاءة صفراء ما تساوي ثلاثة دراهم، ما تسترني الأرض بملآتي هذه، فامتنع ولي الصبيان واحتاج إليها جار الأرض، فباعها بثلاثمائة ألف.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

فمن الحوادث فيها تفريق علي رضي اللّه عنه عماله في الأمصار أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين، وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد، قالا: أخبرنا ابن النقور، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب، عن محمد وطلحة، قالا: بعث علي رضي الله عنه عماله على الأمصار؛ بعث عثمان بن حنيف على لبصرة، وعمارة بن حسان بن شهاب على الكوفة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام.

فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل قالوا: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء. قال: على الشام، قالوا: إن

كان عثمان بعثكم فحيَّهلاً بك، وإن كان بعثك غيره فارجع، قال: أو ما سمعتم بالذي كان، قالوا: بلى، فرجع إلى علي. وأما قيس بن سعد، فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: من قالة عثمان، فأنا أطلب من آوي إليه وأنتصر به، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض، فمضى حتى دخل مصر، فافترق أهل مصر فرقاً؟ فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه، وفرقة وقفت واعتزلت، وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا فنحن على جديلتنا، وفرقة قالوا: نحن مع علي ما لم يُقِدْ إخواننا، فكتب قيس إلى علي بذلك.

وأما عثمان بن حنيف، فسار فلم يرده أحد عن دخول البصرة، و لم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب، فافترق الناس فاتبعت فرقة القوم، ودخلت فرقة في الجماعة، وفرقة قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا.

وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بزبالة رد وانطلق عبيد الله إلى اليمن، ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام دعا طلحة والزبير، فقال: إن الذي كنت أحدثكم قد وقع، وسأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكي.

وكتب علي إلى أبي موسى ومعاوية، فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، وبين الكاره منهم والراضي، وكان الرسول إلى أبي موسى معبد الأسلمي. وكان الرسول إلى معاوية سبرة الجهني، فلما قدم على معاوية لم يكتب معه شيء و لم يجبه، حتى إذا كان في الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، دعا معاوية برجل من بني عبس يُدْعَى قبيصة، فدفع إليه طُوماراً مختوماً، عنوانه: من معاوية إلى علي، فقال له إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول، وسرح رسول عليّ معه، فخرجا فقدما المدينة في غرة ربيع الأول، فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره، وخرج الناس ينظرون إليه، فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض، ومضى الرسول حتى دخل على عليّ رضي الله عنه، فدفع إليه الطومار، ففض خاتمه فلم يجد في جوفه كتابة، فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم، إن الرسل آمنة لا تقتل؟ قال: ورائي أني تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود، قال: ممن؟ قال من نفسك، وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر دمشق، فقال: أمني يطلبون عثمان، ألست موتوراً أكره قتل عثمان، اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، اخرج، قال: وأنا آمن؟ قال: وأنت آمن، فخرج العبسي، فصاحت السبئِية: هذا الكلب وافد الكلاب، اقتلوه، فنادى: يا آل مضر، إني أحلف بالله ليردنها عليكم أربعة آلاف خَصي، فانظروا كم الفحولة والركاب فمنعته مضر.

وحدَّثنا سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالا: أتى معاوية الخبر بحصر عثمان، فأرسل إلى حبيب بن مسلمة الفهري، فقال: إن عثمان قد حصر، فأشر عليّ برجل ينفذ لأمري ولا يقصر، قال: ما أعرف ذلك غيري، قال: أنت لها، فأشر علي برجل أبعثه على مقدمتك لا تتهم نصيحته، قال: يزيد بن شجعة الحميري، فدعا بهما فقال: النجاء، سيرا فأعينا أمير المؤمنين، وتعجل أنت يا يزيد فإن قدمت يا حبيب وعثمان حي فالأمر أمره، فانفذ لما يأمرك به، وإن وجدته قد قتل فلا تدعن أحداً أشار إليه أو أعان عليه إلا قتلته. وبعث مع يزيد ألف فارس، فسار بعض الطريق، فبلغه الخبر، ثم لقيه النعمان بن بشير ومعه القميص الذي قتل فيه عثمان مخضب بالدماء وأصابع امرأته، فأمضى حبيب إلى معاوية وأقام فأتاه برأيه فرجع حتى قدم دمشق. ولما قدم النعمان بن بشير على معاوية أخرج القميص وأصابع نائلة بنت الفرافصة إصبعان قد قطعتا ببراجمهما وشيء من الكف، وإصبعان مقطوعتان من أصلهما مفترقتان، ونصف الإبهام- فوضع معاوية القميص على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد، وثاب إليه الناس وبكوا سنة وهو على المنبر

والأصابع معلقة فيه، والرجال من أهل الشام لا يأتون النساء، ولا يمسهم الغسل إلا من الاحتلام، ولا ينامون على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن عرض دونهم بشيء أو يفني أرواحهم، فمكثوا يبكون حول القميص سنة، والقميص موضوع كل يوم، وفي أردافه أصابع نائلة معلقة.

استئذان طلحة والزبير عليّاً وحدثنا سيف، عن محمد وطلحة قالا: استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة، فأذن لهما، فلحقا بمكة؛ وأحدث أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في معاوية ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أيجسر عليه أو ينكل عنه، وقد بلغم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس، فدسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي – وكان منقطعاً إلى علي – فدخل عليه فجلس إليه ساعة ثم قال له علي: يا زياد، تيسر؛ فقال: لأي شيء؟ فقال: لغزو الشام، فقال زياد: الأناة والرفق أمثل، وقال هذا البيت:

ومَنْ لايُصانِعْ في أموركثيرةٍ يُضَرسْ بأنياب ويوطأ بمنْسِمِ

فتمثل عليّ وكأنه لا يريده يقول:

متى تَجمَع القلبَ الذكي وصارِماً وأنْفاً حَمِياً تَجْتَنبْكَ المظَالِمُ

فخرج زياد على الناس، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: السيف يا قوم، فعرفوا ما هو فاعل، ودعا علي محمد بن الحنفية، فدفع إليه اللواء، وولى عبد الله بن عباس ميمنة، وعمرو بن أبي سلمة – أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد – ولاه ميسرته، ودعا أبا ليلى بن عمرو بن الجراح؛ ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح، فجعله على مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن عباس، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام، وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى مثل ذلك، وأصر على التهيؤ والتجهز، وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة، وقال: انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق أو تقضوا الذي عليكم.

فبينا هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر، فقام فيهم فقال: ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالأوا على سخط إمارتي، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم.

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح، فتعبى للخروج نحوهم، فاشتد على أهل المدينة الأمر، فتثاقلوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر كُميْلا النَخَعِي، فجاء به فقال: انهض معي، فقال: أنا مع أهل المدينة، إنما أنا رجل منهم، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد، فرجع عبد الله إلى أهل المدينة وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر.

فخرجٍ من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم بنت عليً بالذي سمع من أهل المدينة، وأنه يخرج معتمرا مقيماً على طاعة علي ما خلا النهوض؟ وكان صدوقاً فاستقر ذلك عندها، وأصبح علي رضي الله عنه فقيل له: البارحة حدث حدثٌ وهو أشد عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين معاوية، قال: وما ذلك؟ فقال: خرج ابن عمر إلى الشام فأتى على السوق، ودعا بالظهر فحمل الرجال وأعد لكل طريق طُلاباً. وماج أهل المدينة، وسمعت أم كلثوم بالذي هو فيه، فأتت علياً فقالت: ما لك لا تَزَند من هذا الرجل؟ وحدثته

حديثه وقالت: أنا ضامنة له، فطابت نفسه وقال: انصرفوا، إنه عندي ثقة فانصرفوا.

وكانت عائشة مقيمة بالمدينة تريد عمرة المحرم، فلما قضت عمرتها وخرجت سمعت بما جرى فانصرفت إلى مكة وهي لا تقول شيئاً، فترلت على باب المسجد وقصدت الحجر فسُتِرَتْ فيه، واجتمع الناس إليها، فقالت: إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس، فبادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، فاجتماعكم عليهم ينكل بهم غيرهم، ويشرد بهم من بعدهم، فقال عبد الله بن عامر الحضرمي: ها أنا لها أول طالب، فكان أول منتدب.

وحدثنا سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: خرجت عائشة نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان، فلقيها رجل من أخوالها، فقالت: ما وراءك. قال: قتل عثمان واجتمع الناس على علي رضي الله عنه، والأمر أمر الغوغاء. قالت: ما أظن ذلك تاماً، ردوني، فانصرفت راجعة إلى مكة حتى إذا دخلتها أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي- وكان أمير عثمان عليها- فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام.

فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم، وقام معهم سعيد بن العاص، والوليد بن عقبة وسائر بني أمية. وقد قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة، ويعلى بن أمية من اليمن، وطلحة والزبير من المدينة، واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمورهم على البصرة، وقالت عائشة في مقام آخر: يا أيها الناس، إن هذا حدث عظيم وأمر منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله عز وجل أن يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم.

وحدثنا سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: كان أول من أجاب إلى ذلك عبد الله بن عامر وبنو أمية، ثم قدم يعلى بن أمية ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف، فأناخ بالأبطح معسكراً، وقدم عليهم طلحة والزبير، فلقيا عائشة رضي الله عنها، فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: إنَّا تحملنا هُراباً من المدينة من غوغاء وأعراب، وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً، فائتمر القوم بالشام. فقال عبد الله بن عامر: قد كفاكم الشام من يستمر في حوزته، فقال له طلحة والزبير: فأين؟ قال: البصرة، فإن لي بها صنائع، ولهم في طلحة هوى، فقالوا: يا أم المؤمنين، دعي المدينة واشخصي معنا إلى البصرة فتنهضيهم كما أنهضت أهل مكة، فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر بجهدنا، قالت: نعم.

فانطلقوا إلى حفصة، فقالت: رأي تبعٌ لرأي عائشة، حتى إذا لم يبقَ إلا الخروج، قالوا: كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس؟ فقال يعلى بن أمية: معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها، فقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهزوا بها.

فنادى المنادي: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ولم يكن عنده مركب، ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب- وكانوا جميعاً ألفاً- وتجهزوا بالمال، ونادوا بالرحيل، واستقلوا ذاهبين.

وأرادت حفصة الخروج، فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت، وبعثت إلى عائشة تقول: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر الله لعبد الله.

وخرج المغيرة بن شعبة، وسعيد بن العاص معهم مرحلة من مكة، فقال سعيد للمغيرة: ما الرأي؟ قال: الرأي والله الاعتزال؟ فإنهم ما يفلح أمرهم، فإن أظفره الله أتيناه فقلنا: كان صغونا معك، فجلسا.

وأخبرنا سيف، عن محمد بن قيس، عن الأغر، قال: لما اجتمع إلى مكة بنو أمية ويعلى بن أمية، وطلحة والزبير، ائتمروا أمرهم، واجتمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا، وأمرهم عائشة بالخروج إلى المدينة، واجتمع القوم على البصرة وردوها عن رأيها، وأمرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، فكان يصلي بهم.

وحدثنا سيف، عن سعيد بن عبد الله، عن، ابن أبي مليكة، قال: سمعت عائشة بخبر عثمان في الطريق، فرجعت فقالت: ألا إن عثمان عدت عليه الغوغاء، وضعف عنه أصحابه، فقتلوه مظلوماً، وإن علياً رضي الله عنه بويع فلم يقو عليهم، ولا ينبغي له أن يقيم معهم، فاطلبوا بدم عثمان، فخرجت لتنهض الناس وترجع.

خروج علي رضي اللّه عنه إلى الربذة يريد البصرة وحدَثنا سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: جاء علياً الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين، فأمر على المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكة قُثَم بن العباس، وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، فاستبان له بالربذة أن قد فاتوه.

وحدثنا سيف، عن محمد وطلحة، قالا: خرج عليّ رضي الله عنه على تعبيته التي تعبى بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في تسعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج.

وحدثنا سيف، عن خالد بن مهران البجلي، عن مروان بن عبد الرحمن الخُميسي، عن طارق بن شهاب، قال: خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتانا قتل عثمان رضي الله عنه، فلما انتهيا إلى الربذة إذا الرفاق يحدو بعضهم بعضاً، فقلت: ما هذا؟ قالوا: أمير المؤمنين، فأتيته، فلما انصرف من الصلاة أتاه ابنه الحسن، فجلس فقال: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك. قال علي رضي الله عنه: لا تزال تَخِنّ خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود العرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله، فقال: أي بني أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان؟ فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به. وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار؛ فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر. أما قولك: حين خرج طلحة والزبير فإن ذلك كان وهناً على أهل الاسلام، ولا والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي. وأما قولك: اجلس في بيتك؛ فكيف لي بما قد لزمني، وإذا لم أنظر فيما قد لزمني من هذا الأمر فمن ينظر فيه. فكف يا بني.

وحدثنا سيف، عن سعيد بن عبد الله، عن ابن أبي مليكة، قال: قيل لعلي بالربذة، يا أمير المؤمنين، ما فكرتك في هذا الأمر، إن البصرة لفي يديك، وإن الكوفة لفي يديك، فقال: ويحكم ابتليت بثلاثة ما رمي بمثلهم أحد قط، ابتليت بفتى العرب وأجودهم طلحة، وبفارس العرب وأحربهم الزبير، وبأم المؤمنين أطوع الناس في الناس.

دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف وحدثنا سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما كان الناس بفناء البصرة لقيهم عمير بن عبد الله التميمي، فقال: يا أم المؤمنين، أنشدك الله أن تقدمي اليوم على قوم لم تراسلي منهم أحداً، فأرسلت ابن عامر وكتبت إلى رجال من أهل البصرة وإلى الأحنف بن قيس، فدعا عثمان بن حنيف عمران بن الحصين وألزه بأبي الأسود الدؤلي،

فقال: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها. فخرجا فانتهيا إليها، فاستأذنا فأذن لهما، فقالا: إن أميرنا بعثنا إليك يسألك عن مسيرك، فهل أنت مخبرتنا؟ فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا.

فخرجا من عندها فأتيا طلحة، فقالا: ما أقدمك؟ قال: الطلب بدم عثمان، قالا: ألم تبايع علياً؟ قال: بلى، واللج على عنقي، وما أستقيل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان، ثم أتيا الزبير فقالا له مثل ما قالا لطلحة، فقال مثل ذلك. فنادى عثمان بن حنيف في الناس وأمرهم بلبس السلاح، وقام رجل فقال للناس: يا أيها الناس، إن هؤلاء القوم إن كانوا جاءوا خائفين فقد جاءوا من المكان الذي يأمن به الطير، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان. أطيعوني، وردوهم. فقال الأسود بن سريع: إنما فزعوا إلينا ليستعينوا بنا على قتلة عثمان، فحصبه الناس.

فتكلم طلحة فدعا إلى الطلب بدم عثمان، فتحاصب الناس، فتكلمت عائشة وقالت: ينبغي أخذ قتلة عثمان، فتحاصب القوم. وأقبل حكيم بن جبلة، فأنشب القتال، وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، فغدا حكيم بن جبلة يُبَرْبر وفي يده الرمح، فقال له رجل من عبد القيس: من الذي تسب؟ قال: عائشة، قال: يا بن الخبيثة، ألأم المؤمنين تقول هذا، فوضع حكيم السنان بين ثدييه فقتله. ثم اقتتلوا قتالاً شديداً، ومنادي عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون، فقالت عائشة: لا تقتلوا إلا من قاتلكم، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان فليكفف عنا، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان، فأنشب حكيم القتال، فاقتتلوا أشد قتال. وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخرة سنة ست وثلاثين.

فلما نزل علي رضي الله عنه على الثعلبية أتاه الخبر بما لقي عثمان بن حنيف ثم أتاه ما لقي حكيم بن جبلة، ولما انتهوا إلى ذي قار انتهى إليه فيها عثمان بن حنيف، وليس في وجهه شعرة. وأتاه الخبر بما لقيت ربيعة، وخروج عبد القيس، وخرج إلى علي خلق كثير من أهل الكوفة، فدعا على القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة، وقال: الق هذين الرجلين فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظم عليهما الفرقة، فخرج القعقاع حتى أتى البصرة، فبدأ بعائشة فسلم عليها، فقال: أي أماه، ما أشخصك وما أقدمك على هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما، فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها فقالت: الإصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما، أمتابعين أم مخالفين؟ قالا: متابعين، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح، فوالله لئن عرفناه لنصلحن، ولئن أنكرناه لا يصلح، قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن أعمل به كان إحياء للقرآن، فقال: قد قتلتما قتلة أمير المؤمنين من أهل البصرة، قتلتم ستمائة إلا رجلاً، قالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا. قال: أقول إن هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير، ودَرَكٌ يثأر هذا الرجل، وسلامة لهذه الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة الشر، فكونوا مفاتيح الخير، فقالوا له: قد أحسنت فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر، فرجع إلى علي، فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، وأقبلت وفودَ اَلبصرة نحو عليّ.

وجاءت وفود تميم وبكر، فجمع علي الناس وقام، فذكر إنعام الله تعالى على هذه الأمة بالاجتماع إلى أن قال: ثم حدث هذا

الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، وحسدوا من أفاءها الله عليه، ألا وإني راحل غداً، فارتحلوا، ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسهم.

فاجتمع نفر، منهم عِلْباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة القيسي، وشريح بن أوفى بن ضبيعة، والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان، ورضي مسير من سار، وجاء معهم المصريون: ابن السوداء، وخالد بن ملجم، وتشاوروا، فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي وهو أبصر الناس بكتاب الله، وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، فكيف به إذا شام القوم وشامّوه، ورأوا قتلنا، وقتلنا في كثرتهم، إياكم والله ترادون. فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأيُ الناس فينا واحد، وإن يصطلحوا على دمائنا فهلموا نتواثب على علي فنلحقه بعثمان؛ فتعود فتنة يُرضَى منا فيها بالسكوت. فقال عبد الله بن السوداء: بئس الرأي رأيت، نحن نحو
من ستمائة، وهذا ابن الحنظلية وأصحابه في خمسة آلاف بالأسواق، إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً.

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم وارجعوا، فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به، وامتنعوا من الناس. قال ابن السوداء: بئس ما رأيت، ودّ والله الناس أنكم على جديلة ، و لم تكونوا مع أقوام براء، ولو كان الذي تقول لتخطفكم كل شيء. وقال ابن السوداء: إذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تدعوهم يفرغون للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع؛ فيشغل الله علياً وطلحة والزبير، ومن رأى رأيهم عما تكرهون فتفرقوا على مثل ذلك والناس لا يشعرون.

وأصبح عليّ رضي الله عنه على ظهر، فمضى ومضى الناس، وقام علي فخطبهم وقال: يا أيها الناس، كفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم فإنهم إخوانكم، ومضى حتى أطل على القوم، فبعث إليهم حكيم بن سلامة، ومالك بن حبيب، فقال: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا وأقرونا نترل وننظر في هذا الأمر، فقال له الأحنف بن قيس: إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم ستقتل رجالهم وتسبي نساءهم. فقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر، وهم قوم مسلمون، فهل أنت مغن عني قومك. قال: نعم، فاختر مني واحدة من اثنتين؛ إما أن آتيك فأكون معك بنفسي، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف.

فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود وارتحل حتى نزل بحذاء القوم والناس لا يشكون في الصلح، ومع عائشة ثلاثون ألفاً، ومع علي عشرون ألفاً، فلما نزل الناس واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتواقفوا، وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع وطلحة والزبير إلى عسكرهما.

أمر القتالَ وبعث عليّ من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثاهما من العشي محمد بن طلحة إلى عليّ، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم، فلما أمسوا، أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذين هضبوا على عثمان، فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه، والتروع عمَّا اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط،، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن لهم، فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم أحد غير جيرانهم، فخرج مُضَريهم إلى مضريِّهم، ورَبعيهم إلى رَبعيِّهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، حتى وضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم وخرج الزبير وطلحة فبعثا إلى الميمنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإلى

الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وثبتا في القلب، وقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: قد علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء، ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة.

فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضعوا رجلاً قريباً من عليّ ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فاجئنا إلا وقوم منهم قد بيتونا، فرددناهم من حيث جاءوا، فوجدنا القوم على رِجْل فركبونا، وثار الناس، وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، ولصاحب ميسرته ائت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء، ونادى عليٌ في الناس: كفوا، فكان رأيهم جميعاً ألا يقتتلوا حتى يبدءوا.

وأقبل كعب بن سعد حتى أتى عائشة رضي الله عنهما، فقال: أدركي، فقد أبى القوم إلا القتال، لعل الله يصلح بك. فركبت، وألبسوا هودجها الأدراع، ثم بعثوا جملها، فلما برزت- وكانت بحيث تسمع الغوغاء- وقفت، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر، قالت: بخير أم بشر؟ قالوا: بشر. قالت: وأي الفريقين كانت منهم هذه للضجة فهم المهزومون. فما فجئها إلا الهزيمة، فمضى الزبير في وجهه، فسلك وادي السباع، وجاء طلحة سهم غَرْب يخُل ركبتَه بصفحة الفرس، فلما امتلأ مَوْزَجه دماً وثقل قال لغلامه: ابغني مكاناً أنزل فيه، وتمثل بهذا يقول:

نَدمتُ نَدَامةَ الكُسَعِي لمَا شَرَبت رِضىَا بني سَهْم برغمي
أطعتهم بفُرْقةِ آل لأي فَألْقوا للسباع دمي ولَحْمِي

واقتتل الناس وأقبلوا في هزيمتهم يريدون البصرة، فلما رأوا الجمل طافت به مضر، فقالت عائشة: خل يا كعب عن البعير وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً. وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، فرشقوه رشقا واحداً، فقتلوه، ثم رموا أم المؤمنين في هودجها، فجعلت تنادي: يا بَنِي البقية البقية- ويعلو صوتها- اذكروا الله والحساب، ويأبون إلا إقداماً، فقالت: أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، فضجوا بالدعاء، فسمع علي، فقال: ما هذه الضجة؟ قالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل يدعو ويقول: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم. وأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث: اثبتا مكانكما، فاجتلدوا قدام الجمل، والمجنبتان على حالهما.

وكان القتال الأول يتسحر إلى انتصاف النهار، وأصيب فيه طلحة رضي الله عنه، وذهب فيه الزبير، فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال، ولم يريدوا إلا عائشة، اقتتلوا حتى تحاجزوا بعد الظهر، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة، وتزاحف الناس، فهزمت يمن البصرة يمن الكوفة، وربيعة البصرة ربيعة الكوفة، ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة.

واقتتلت المجنبتان حين تزاحفتا قتالاً يشبه ما فيه القَلْبان، وأقبل أهل اليمن على راية علي فقتل على راية علي من أهل الكوفة عشرة، كلما أخذها رجل قتل قيل: وكان العشرة خمسة من همذان وخمسة من سائر اليمن.

ولما رأت الكماة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر جعلوا يتوخون الأطراف: الأيدي والأرجل، فما رُئيت وقعة قط قبلها ولا بعدها، ولا يسمع بها أكثر يداً مقطوعة ورجلاً مقطوعة، منها، لا يدرى من صاحبها.

فلما ظهر الخلل في العسكرين رموا الجمل، وقالوا: لا يزول القوم أو يصرع الجمل، وأزرت مجنبتا عليّ فصارت في القلب، وكانت

أم المؤمنين في حلقة من أهل النجدات والبصائر، وكان لا يأخذ أحد بالزمام إلا كان كمن يحمل الراية، وكان لا يأخذه إلا معروف عند المُطيفين بالجمل، فإن القوم ليقتتلون عليه، وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت، ثم لم يعد. ولما اختلط الناس بالقلب جاء عدي بن حاتم فحمل عليه، ففقئت عينه ونكل.

وحدثنا سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كان لا يجيء رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول: أنا فلان بن فلان، فجاء عبد الله بن الزبير، فقالت: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن الزبير، فقالت: واثكْل أسماء. وانتهى إلى الجمل الأشتر، وعدي بن حاتم، فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر، فاختلفا ضربتين، فقتله الأشتر، ومضى إليه عبد الله بن الزبير فضربه الأشتر على رأسه، فجرحه جرحاً شديداً، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وخرا إلى الأرض يعتركان.

وحدثنا سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه، قال: لا والله ما بقي من بني عامر يومئذ شيخ إلا أصيب قدام الجمل.

وحدثنا سيف، عن محمد وطلحة، قالا: كان من آخر من قاتل ذلك اليوم زُفَر بن الحارث، فزحف إليه القعقاع، وقال: يا بجير بن دُلجة، صِحْ بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين، فاجتث ساق البعير وأقطع بطانه وحملا الهودج فوضعاه.

وحدثنا سيف، عن الصعب، عن أبيه، قال: لما اختلط بالجمل وعقره بجير بن دلجة، قال عليّ رضي الله عنه:

إليك أشكو عُجَرِي وبُجَرِي ... ومَعْشَراً غَشوْا علَيَّ بَصَرِي

قَتلتُ منهمْ مُضَراً بِمُضَرِي ... شَفَيْتُ نفسي وقتلتُ مَعشري

وكان رجل يومئذ يقول: يال مضر؟ علام يقتل بعضنا بعضَاً، فنادوا لا ندري إلا أنّا إلى قضاء.

وحدّثنا سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، قال: قال طلحة يومئذ: اللهم اعط عثمان مني حتى يرضى، فجاءه سهم غرب وهو واقف، فخلى ركبته بالسرج، فمضى به إلى دار من دور البصرة خربة، فمات فيها.

وحدثنا سيف، عن فطر بن خليفة، عن أبي بشير، قال: شهدت الجمل، فوالله ما سمعت دق القصارين إلا ذكرت يوم الجمل.

وحدثنا سيف، عن محمد بن راشد السلميَ، عن ميسرة أبي جميلة، أن محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل، فاحتملا الهودج، فنحياه، فقال عليّ: ادخلا بها البصرة، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعي.

وحدَّثنا سيف، عن محمد وطلحة، قالا: أمر علي نفراً بحمل الهودج من بين القتلى، وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير، فوضعاه إلى جنب البعير، فأقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه نفر، فأدخل يده فيه، فقالت: من هذا؟ قال: أخوك البر، قالت: عققت، فأبرزوها بهودجها من القتلى، فوضعوها ليس قربها أحد، وكأن هودجها فرخ مقصب مما فيه من النبل. وجاء أعين بن ضبيعة المجاشعي حتى اطلع في الهودج، فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حُميْراء، قالت: هتك الله سترك، وقطع يدك، وأبدى عورتك. فقتل بالبصرة، وسلب، وقطعت يده، ورمي به عرياناً في خربة من خراب الأزد، فارتقى إليها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: أي أماه، يغفر الله لنا ولكم، قالت: غفر الله لنا ولكم....

وحدثنا سيف، عن الصعب بن حكيم بن شريك، عن أبيه، عن جده قال: انتهى محمد بن أبي بكر إلى الهودج ومعه عمار بن ياسر، فقطعا الأنساع عن الهودج واحتملاه، فلما وضعاه أدخل محمد يده، وقال: أخوك محمد، قالت: مذمم، قال: يا أخية، هل أصابك

شيء؟ قالت: ما أنت من ذلك في شيء، قال: فمن إذن، ألضلال؟ قالت: بل الهداة. وانتهى إليها علي رضي الله عنه، وقال: كيف أنت يا أماه. قالت: بخير، قال: يغفر الله لك، قالت: ولك.

وحدثنا سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية ابنة الحارث بن طلحة، وهي أم طلحة الطلَحات.

من انهزم يوم الجمل فاختفى ومضى في البلاد ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راحلاً نحو المدينة وكر عليه ابن جرموز، فطعنه فدق صلبه وأخذ رأسه.

ودخلوا على عائشة، فقالت: والله لوودت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

ودخلوا على علي فقال: لوودت أني مت قبل هذا بعشرين سنة.

وبلغ قتلى يوم الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب عليّ، ونصفهم من أصحاب عائشة، من الأزد ألفان، ومن سائر اليمن خمسمائة، ومن مضر ألفان وخمسمائة، وخمسمائة من تميم، وألف من بني ضبة، وخمسمائة من بكر بن وائل.

وقتل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف، و لم ير يوم كان أكثر من يد مقطوعة، ورجل مقطوعة لا يدرى من صاحبها منه. وقتل من أهل البصرة يومئذ عشرة آلاف من أصحاب علي خمسة آلاف، وقتل من بني عدي يومئذ سبعون شيخاً كلهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن.

دخول علي رضي اللّه عنه على عائشة رضي اللّه عنها ودخل عليّ البصرة يوم الاثنين، وانتهى إلى المسجد، فصلى فيه، فأتاه الناس، ثم راح إلى عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء تبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف، قتل أحدهما مع عليَ والآخر مع عائشة، وصفية بنت الحارث تبكي مختمرة، فلما رأته قالت: يا عليّ، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجماعة، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه، فلم يرد عليها شيئاً.

فدخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها، وقال: جَبَهَتْنَا صفية، أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم.

بيعة أهل البصرة علياً وقسمة ما في بيت المال عليهم ثم بايعه أهل البصرة، ونظر في بيت مال البصرة فإذا به ستمائة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة، وقال: لكم إن أظفركم الله بالشام مثلها إلى أعطياتكم، وخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على علي رضي الله عنه من وراء وراء.

تجهيز علي رضي اللّه عنه عائشة رضي اللّه عنها من البصرة وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت وودعوها وودعتهم وقالت: الله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي لمن الأخيار.

وقال علي رضي الله عنه: يا أيها الناس، صدقت والله وبرَت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً، وسرح بنيه معها يوماً.

وقصدت عائشة مكة، فأقامت بمكة إلى الحج، ثم رجعت إلى المدينة، وانصرف مروان والأسود بن أبي البختري إلى المدينة، ورجع علي إلى مترله.

تأمير ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج وأمر على البصرة ابن، العباس، وولى زياداً الخراج وبيت المال، وأمر ابن العباس أن يسمع منه، وارتحلت السبئيةبغير إذن علي، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه.

وعلم أهل المدينة بيوم الجمل يوم الخميس قبل مغرب الشمس من نَسْر مر بما حول المدينة، معه شيء متعلقة، فتأمله الناس فوقع، فإذا هو كف فيها خاتم نقشه "عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد" وجعل من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة أو بعد، يعلمون بالوقعة مما ينقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال حدثني أبي، قال: حدثنا حسين بن محمد، قال: حدثنا الفضل بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن أبي يحيى، عن أبي أسماء مولى أبي جعفر، عن أبي رافع: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر"، قال أنا يا رسول الله، قال: نعم، قال: أنا، قال: نعم، قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: "لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها".

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الدقاق، قال: أخبرنا أحمد بن عثمان الآدمي، قال: حدثنا محمد بن سويد، قال: حدثنا سفيان بن محمد المصيصي، قال: حدثنا يوسف بن أسباط، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ما ذكرت عائشة مسيرها قط إلا بكت حتى تبل خمارها وتقول: "ليتني كنت نسياً منسياً".

قال سفيان: النسي المنسي الحصاة الملقاة.

أخبرنا زاهر بن طاهر، قال: أخبرنا أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحاكم، قال: أخبرني ليث بن طاهر المنادي، قال: أخبرنا محمد ين يعقوب، قال: حدثنا محمد بن جعفر الرافعي، قال: حدثنا عبد الله بن خلاد، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر الرقي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت و لم أكن خرجت على علي رضي الله عنه كان أحب إلي من أن يكون لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة كلهم مثل أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله الأنماطي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي، أخبرنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم، قال: حدثني جدي محمد بن عبد الكريم، حدَّثنا الهيثم بن عدي، أخبرنا الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن سليمان بن صرد، قال: لما فرغ عليّ من أمر الجمل قدمت عليه البصرة فقال: بويعت ورجعت عن نصرتك، وما كنت أعرفك به، وعنده الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقلت: لا تؤنبنا واستصف كدر قلوبنا، فإن السوط يطير وعمود حربك كما هو، وقد بقي من أمرك ما تعرف به الغاش من الناصح، قال: لا، ولكن وجدنا خزاعة أقل شيء شكراً، فقلت: قد نصحنا وشكرنا من هو خير منك، لله ولرسوله. ثم قمت فأتيت ولده الحسن، فقلت: لا وصلتك رحم، تسمع أمير المؤمنين يقول لي ما يقول ثم لا تعينني عليه، فقال أبا مطرف لا يهولنك الذي سمعت، فوالله الذي لا إله غيره، لقد رأيته يوم الجمل حيث أخذت السيوف مأخذها من جماجم الرجال يتغوث بي ويقول: يا حسن، وودت أن أباك هلك قبل اليوم بعشرين

سنة.

ومن الحوادث في هذه السنة قتل محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة

وكان يحرض على عثمان، وهو الذي سير المصريين إليه، فلما خرج المصريون مع محمد بن أبي بكر أقام هو بمصر، وأخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وضبطها، فلم يزل مقيماً بها حتى قتل عثمان وبويع لعلي رضي الله عنه، فأظهر معاوية له الخلاف وتابعه على ذلك عمرو بن العاص، وسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عريش مصر في ألف رجل، فتحصن بها، وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحاب، فأخذوه وقتلوه، هذا قول الواقدي.

وأما هشام بن محمد، فإنه يزعم أن محمد بن أبي حذيفة قتل بعد قتل محمد بن أبي بكر، وانه لما دخل عمرو بن العاص إلى مصر بعث به إلى معاوية فحبسه، وكان ابن خال معاوية، وكان معاوية يحب أن يفلت فهرب من السجن، فقال معاوية: من يطلبه؟ فخرج عبد الله بن عمر الخثعمي، فوجده، فقتله وذلك في سنة ثمان وثلاثين.

فصل في إظهار معاوية الخلاف لعلي

وفي سبب إظهار معاوية مخالفة علي رضي الله عنه، فإنه بلغه أن علياً رضي الله عنه، قال: لا أقره على عمله، فقال معاوية: والله لا ألي له شيئاً ولا أبايعه، ولا أقدم عليه، فبعث إليه جرير بن عبد الله البجلي يدعوه إلى الطاعة فأبى، فحينئذ عزم علي رضي الله عنه على الخروج إلى صفين.

وقال سهل بن سعد: دعا عليّ رضي الله عنه قيس بن سعد الأنصاري، فقال له: سر إلى مصر فقد وليتكها، فإذا أنت قدمتها فأحسن إلى المحسن، واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة. فلما قدم أخذ البيعة لعلي رضي الله عنه، واستقامت له مصر، إلا أن قرية منها يقال لها: "خِربتا" فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان رضي الله عنه، وبها رجل يقال له: يزيد بن الحارث من بني مدلج.

فبعث إلى قيس: أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس. فكتب معاوية إلى قيس بن سعد: سلام عليك، أما بعد، فإنكم كنتم نقمتم على عثمان في أثرةٍ رأيتموها، أو ضربة بسوط ضربها، فإنكم قد علمتم أن دمه لم يكن يحل لكم، فتب إلى الله يا قيس بن سعد، فإنك كنت من المجلبين على عثمان بن عفان، فأما صاحبك فقد استيقنا أنه الذي أغرى الناس به، وحملهم على قتله، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا على أمرنا، ولك سلطان العراق إذا ظهرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان. وسلني غير هذا مما تحب.

فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافعه، فكتب إليه: أما بعد، فقد بلغي كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان، وذلك أمر لم أفارقه، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان، وهذا لم أطلع عليه، وأما ما سألتني من متابعتك وعرضت علي من الجزاء فيه فهذا أمر لي فيه نظر، ولن يأتيك شيء تكرهه.

فلما قرأ معاوية الكتاب كتب إليه: أما بعد، فإني لم أرك تدنو فأعدك سلماً، و لم أرك تباعد فاعدك حرباً، وليس مثلي ينخدع ومعه عدد الرجال، وبيده أعنة الخيل.

فلما قرأ كتاب معاوية، ورأى أنه لا يقبل منه المدافعة، كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد، فالعجب العجيب من اغترارك وطمعك في أن تسومني للخروج من طاعة أولى الناس بالإمارة، وأقولهم للحق،

وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني بالدخول في طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلهم سبيلاً، وقولك إني مالىء عليك مصر خيلاً ورَجْلاً ، فوالله لأشغلنك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك، إنك لذو جَد، والسلام.

فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس منه، وثقل عليه مكانه.

قال الزهري: كان معاوية وعمرو بن العاص جاهدين أن يخرجا قيساً من مصر ليغلبا عليها، وكان قد امتنع منها بالدهاء والمكايدة، فلم يقدرا عليه حتى كاد معاوية قيس بن سعد من قِبَل علي، فكان معاوية يقول: ما ابتدعت مكايدة قط كانت أعجب عندي من مكايدة كدت بها قيساً من قبل علي، فكتبت إلى أهل الشام: لا تسبوا قيساً فإنه لنا شيعة، تأتينا كتبه ونصيحته سراً. ألا ترونه يحسن إلى كل راكب منكم، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم من أهل خِرِبْتا، يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم.

فبلغ ذلك علياً فاتهم قيساً وكتب إليه يأمره بقتال أهل خِرِبْتا، وأهل خربتا يومئذ عشرة آلاف، فأبى وكتب إلى علي: إنهم وجوه أهل مصر، وقد رضوا مني أن أؤمن سربهم، وأجري عليهم أعطياتهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فأبى علي رضي الله عنه إلا قتالهم، وأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى علي: إن كنت تتهمني فاعزلني عن عملك، وابعث عليه غيري، فبعث الأشتر إلى مصر أميراً عليها حتى إذا صار بالقلزم سقي شربة عسل فيها سم كان فيها حتفه.

فلما بلغ علياً: وفاة الأشتر بالقلزم بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر. هذا قول الزهري.

وقال هشام بن محمد: إنما بعث الأشتر بعد هلاك محمد بن أبي بكر، ولما جاء علياً مقتل محمد بن أبي بكر علم أن قيساً كان ينصحه فأطاعه في كل شيء.

قال علماء السير: وكان عليَ رضي الله عنه قد كتب عهد محمد بن أبي بكر لغرة رمضان، فلم يلبث محمد شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك الذين كان قيس وادعهم، وقال: يا هؤلاء، إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه: دعنا حتى ننظر، فأبى وبعث إليهم رجلاً فقتلوه، ثم بعث آخر فقتلوه.

وفي هذه السنة قدم ماهَويه مِرْزبان مَرْو على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الجمل مقراً بالصلح، فكتب له عليّ كتاباً إلى دهاقين مرو والأساورة بأنه قد رضي عنه. ثم إنهم كفروا بعد ذلك.

وفي هذه السنة بايع عمرو بن العاص معاوية ووافقه على محاربة علي رضي الله عنه وكان السبب أنه لما أحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص من المدينة، وقال: من لم يستطع نصر هذا الرجل فليهرب، فسار وسار معه ابناه، فبينما هو في بعض الأماكن مر به راكب، فقال: ما الخبر؟ قال: تركت الرجل محصوراً، ثم مكثوا أياماً فمر بهم راكب، فقال: قتل عثمان وبويع لعلي.

فارتحل عمرو وابناه يبكي بكاء المرأة ويقول: واعثماناه، حتى نزل دمشق، وبلغه مسير طلحة والزبير وعائشة، فقال: استأنِ وانظر ما يصنعون، فأتاه الخبر بأن طلحة والزبير قتلا، فارتج عليه أمره، فقيل له: إن معاوية يحرض على الطلب بدم عثمان، فقال لابنيه: ما تريان؟ فقال عبد الله: أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعه، فقال محمد: أنت ناب من أنياب العرب، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر، فقال: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في آخرتي، وأسلم لي في ديني. وأما أنت يا محمد فأمرتني بالذي هو أنبه لي في دنياي وشر لي في آخرتي.

ثم خرج عمرو حتى قدم على معاوية، فرأى أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان، فقال: عمرو أنتم على الحق، اطلبوا

بدم الخليفة المظلوم – ومعاوية لا يلتفت إليه– فدخل إلى معاوية فقال له: والله إن أمرك لَعَجب، لا أراك تلتفت إلى هؤلاء، أما إن قاتلنا معك فإن في النفس ما فيها حتى نقاتل من تعلم فضله وقرابته، ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاوية بعد ذلك وعطف عليه.

وفي هذه السنة خروج علي بن أي طالب إلى صفين

خرج عليٌّ رضي الله عنه فعسكر بالنخَيْلَة، وقدم عبد الله بن عباس ثم نهض معه البصرة إلى الكوفة، فتهيأ منها إلى صفين، واستشار الناس فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم، وأشار آخرون بالسير بنفسه، فأبى إلا المباشرة، فجهز الناس، فبلغ ذلك معاوية، فدعا عمرو بن العاص فاستشاره وقال: يا أبا عبد الله جهز الناس، فجاء عمرو فحض الناس، وضعف أمر علي، وقال: إن أهل البصرة مخالفون لعلي، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، فالله الله في حقكم أن تضيعوه. وكتب إلى أجناد الشام، وعقد لابنيه عبد الله ومحمد لواء، ولواء لغلامه وردان، وعقد علي لغلامه قنبر ثم قال عمرو:

كل يُغْنِيَنْ ورْدَانُ عَنْي قَنْبَرا ... وَتُغْنِيَ السكُون عني حِمْيَرَا

إذا الكُماةُ لَبِسُوا السنورا

فبلغ ذلك عليا، فقال:

لأصْبِحَنَّ العَاصِيَ ابنَ العاصِي ... سَبْعين ألْفاً عاقِدي النّواصِي

مجَنبِينَ الخَيْلَ بالقِلاص ... مُسْتَحْقِبينَ حلَقَ الدّلاص

وجعل معاوية يتأنى في أمره ومسيره، وبعث عليّ رضي الله عنه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، وبعث معه شريح بن هانىء في أربعة آلاف، وخرج علي من النخَيلة بمن معه، فلما دخل المدائن شخص معه من فيها من المقاتلة، ولما عبر الفرات قدم زياداً وشريحاً أمامه، فلقيهما أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام، فأرسلا إلى علي يخبرانه، فبعث علي الأشتر إلى النضر وشريح وقال: إذا قدمت عليهم، فأنت أمير، عليهم، وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدأوك حتى تدعوهم وتسمع قولهم، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً، وقف من أصحابك وسطا، فإني حثيت السير في أثرك إن شاء الله تعالى. وكتب إليهما: إني قد أمرت عليكما مالكاً، فاسمعا له وأطيعا. وقدم الأشتر على القوم، وكف عن القتال حتى إذا كان المساء حمل عليهم أبو الأعور، فثبتوا له، واضطربوا له ساعة، ثم انصرف أهل الشام، ثم خرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهري في خيل ورجال، فاقتتلوا يومهم ذلك، وحمل عليهم الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخي، وحجز الليل بينهم، فلما أصبحوا انصرف أهل الشام تحت الليل، فقدم الأشتر بمن معه، ولحقه علي، فأمر الناس فوضعوا الأثقال وذهب شباب الناس يستقون الماء، فمنعهم أهل الشام فاقتتلوا على الماء، وكان معاوية قد اختار موضعاً سهلاً إلى جانب شريعة في الفرات، ليس ثمة غيرها، فجاء أصحاب علي فأخبروه بعطش الناس، وإنهم لم يجدوا غير شريعة القوم، فقال: قاتلوهم عليها، فقال الأشعث بن قيس: أنا أسير إليهم، فقال علي: سر.

فسار في أصحابه، فثاروا في وجوههم، فتراموا بالنبل، وتطاعنوا بالرمح، واجتلدوا بالسيوف، وأتى أهل الشام يزيد بن أسد البجلي مدداً، وخرج عمرو بن العاص في جند كثير يمد أبا الأعور ويزيد بن أسيد، وجاء الأشتر يمد الأشعث بن قيس، وشبث بن ربعي، فاشتد القتال، وأنشأ عبد الله بن عوف الأزدي مرتجزاً يقول:

خلوا لنا ماءَ الفُرات الجاري أو أثبُتوا لجحْفَل جَرار

لكلّ قَوْمٍ مستْميتٍ شاري مُطاعنٍ برُمْحِه كَرارِ

ضَرابِ هاماتِ العِدَا مِغوارِ

وأتى مملوك لبعض أهل العراق فملأ قربته فشد عليه رجل من أهل الشام فضربه فصرعه، ثم أن القوم خلوا عن الماء فاجتمعت سقاة الفريقين عليه، وبعث عليّ رضي الله عنه صعصعة فقال له: ائت معاوية وقل له: إنا سرنا إليك ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وانك قدمت خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك، وهذه أخرى قد فعلتموها، قد حلتم بين الناس وبين الماء، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، فإن كان أعجب إليك أن نترك ما جئنا له ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون. فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفان، حصروه أربعين صباحاً يمنعونه برد الماء ولين الطعام. وقال عمرو بن العاص: خل بينهم وبين الماء، فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريان. وقال عبد الله بن أبي سَرْح: امنعهم الماء إلى، الليل، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم فَلاً لهم. فقال صعصعة: إنما يمنعه الله عز وجل يوم القيامة الكفرة الفسقة أولي الفجور وشربة الخمور، فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه، فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنه رسول.

ثم بعث من يردهم عن الماء، فأبرزهم عليٌ إلى القتال فاقتتلوا، فغلب أصحاب عّلي رضي الله عنه على الماء، فقال علي رضي الله عنه: خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا، وخلوا عنهم، ففعلوا.

دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة

ومكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية ولا يرسل إليه معاوية، ثم أرسل إليه علي رسولاً يدعوه إلى الله وإلى الطاعة، فأتاه فقال: إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله جازيك بما قدمت يداك، وإننا ننشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها، فقال للمتكلم: هلا أوصيت صاحبك بذلك؟ فقال: إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم فقال معاوية: ونُطل دم عثمان، لا والله لا أفعل ذلك أبداً.

فاقتتلوا شهر ذي الحجة جميعه، وربما اقتتلوا في اليوم مرتين.

وحج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر أسلم مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ويكنى أبا رافع: وكان مملوكاً للعباس، فوهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهاجر بعد بدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد أحداً والمشاهد بعدها، وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمى مولاته.

وتوفي بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

حذيفة بن اليمان– واليمان لقب– وإسمه حِسْل– ويقال: حُسَيْلُ– بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة، ويكنى أبا عبد الله، ويقال أن جروة هو اليمان: خرج حذيفة هو وأبوه فأخذهما كفار قريش، وقالوا: إنكما تريدان محمداً، فقالا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منهما عهداً ألا يقاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ينصرفا إلى المدينة، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه وقالا: إن شئت قاتلنا معك، قال: بلى نفي لهم نستعين الله عليهم، ففاتهما بدرُ، وشهد حذيفة أحداً وما بعدها.

وكان حذيفة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقربه منه وثقته به، وأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسماء المنافقين الذين بخسوا بعيره ليلة العقبة بتبوك، وكانوا اثني عشر كلهم من الأنصار ومن حلفائهم، وكان حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

وولاه عمر بن الخطاب المدائن، فأقام بها إلى حين وفاته.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدَّثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أميراً كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا، فلما بعث حذيفة كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه، فقالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليلتقوه، فلقوه على بغل تحته اكاف وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد، فلم يعرفوه فأجازوه، فلقيهم الناس، فقالوا: أين الأمير؟ قالوا: هو الذي لقيكم. قال: فركضوا في أثره، فأدركوه وفي يده رغيف وفي الأخرى عرق وهو يأكل، فسلموا عليه، فنظر إلى عظيم منهم فناوله العرق والرغيف. قال: فلما غفل ألقاه أو أعطاه لخادمه.

وروى هذا الحديث سلام بن مسكين، عن ابن سيرين، فقال فيه: لما قدم حذيفة المدائن استقبله الناس والدهاقين وبيده رغيف وعرق من لحم وهو على حمار على أكاف، فقرأ عهده عليهم فقالوا: سلنا ما شئت، قال: أسألكم طعاماً آكله، وعليقاً لحماري هذا ما دمت فيكم، فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن أقدم، فلما بلغ قدومه عمر كمن له في الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه عمر على الحال التي خرج من عنده عليها، أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا علي بن أحمد الملطي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرنا ابن صفوان حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أسود بن عامر، عن شريك، عن الأعمش، قال: بكى حذيفة في صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رحل خلفه، فقال: لا تعلمن هذا أحد اً.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، أخبرنا أحمد بن أحمد بن عبد الله الأصبهاني، أخبرنا عبد الرحمن بن العباس، أخبرنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، أخبرنا محمد بن يزيد الآدمي، حدثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن كثير، عن زياد مولى ابن عباس، قال: حدَّثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: لولا أني أرى هذا اليوم آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم إني كنت أحب الفقر على الغنا، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات رحمه الله. أخبرنا القزاز، قال أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا عبد الله بن إسحاق

البغوي، أخبرنا يحيى بن أبي طالب، أخبرنا علي بن أبي عاصم، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن أبي وائل، عن خالد بن ربيع العبسي، قال: سمعنا بوجع حذيفة فركب إليه أبو مسعود الأنصاري في نفر أنا فيهم إلى المدائن، فأتيناه في بعض الليل، فقال: هل جئتم بأكفاني؟ قلنا: نعم، قال: فلا تغالوا بكفني، فإن يكن لصاحبكم عند الله خير يبدل خيراً من كسوتكم وإلا يسلب سلباً سريعاً، ثم ذكر عثمان، فقال: اللهم لم أشهد، و لم أقتل، و لم أرض.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا ابن الفضل، قال: حدثنا ابن درستويّه، قال: حدثنا يعقوب، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى قال: حدثنا عبيد الله بن موسى قال: حدثنا سعيد بن أوس، عن بلال بن يحيى، قال: عاش حذيفة بعد قتل عثمان أربعين ليلة.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب قال: أخبرنا ابن بشران، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا القرشي، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: مات حذيفة سنة ست وثلاثين. اجتمع على ذلك الواقدي، والهيثم بن عدي.

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأمه صفية بنت عبد المطلب، ويكنى أبا عبد الله: أسلم بعد أبي بكر، وكان رابعاً أو خامساً، وهو يومئذ ابن ست عشرة سنة، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، و لم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، إلى الخفة ما هو في اللحم، خفيف اللحية، أسمر اللون، أشعر، وله من الولد أحد عشر ذكراً، وتسع نسوة: عبد الله، ومصعب، وعروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة، وأمهم أسماء بنت أبي بكر. وخالد، وعمرو، وحبيبة، وسودة، وهند؛ وأمهم أم خالد، وهي بنت خالد بن سعيد بن العاص. ومصعب، وحمزة ورملة وأمهم أم الرباب بنت أنيف. وعبيدة، وجعفر؛ وأمهما زينب بنت مرثد. وزينب؛ وأمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. وخديجة الصغرى، وأمها الحلال بنت قيس.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: حدثني همام، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كانت على الزبير رَيْطَة صفراء مُعْتجراً بها يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة نزلت من السماء على سيماء الزبير".

قال محمد بن سعد: وأخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يأتيني بخبر القوم؟ يوم الأحزاب، فقال الزبير: أنا، قال: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، قال: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن لكل نبي حوارياً، وإن حواري الزبير".

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لأبي يوم الأحزاب: قد رأيتك يا أبه تحمل على فرس لك أشقر، قال: قد رأيتني أي بني. قلت: نعم، قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع لي أبويه يقول: فداك أبي وأمي".

قال ابن سعد: وأخبرنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال:

لما وقف الزبير يوم الجمل في دعاني فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني، أفترى ديننا يبقي من مالنا شيئاً؟ ثم قال: يا بني بع واقض ديني وأوص بالثلث، فإن فضل من مالنا

من بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك. وله يومئذ تسع بنات، قال: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني إن عجزت عن شيئ منه فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبه قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه، فيقضيه.

قال: وقتل الزبير و لم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين فيهما الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر.

قال: وإنما كان دينه الذي كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكن هو سلف، إني أخشى عليه الضيعة، وما ولي إمارة قط ولا جباية ولا خراجاً ولا شيئاً إلا أن يكون في غزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير، فقال: يا ابن أخي كم على أخي من الدين؟ فكتمته وقلت مائة ألف، فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تتسع لهذه، فقال: أفرأيتك إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي، وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بن الزبير بألف ألف وستمائة ألف، ثم قام فقال: من كان له على الزبير شيء فليوافنا بالغابة، فأتاه عبد الله بن جعفر- وكان له على الزبير أربعمائة ألف- فقال لعبد الله بن الزبير: إن شئتم تركتها لكم وإن شئتم فأخروها فيما تؤخرون، إن أخرتم شيئاً، فقال عبد الله بن الزبير: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال له عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا، قال: فباعه منها بقضاء دينه، فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف.

قال: فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة، قال: فقال له معاوية: كم قومت الغابة؟ قال: كل سهم مائة ألف، قال: كم بقي. قال: أربعة أسهم ونصف، قال: فقال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهماً بمائة ألف، وقال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهماً بمائة ألف، وقال ابن زمعة: قد أخذت سهماً بمائة ألف، فقال معاوية: فكم بقي؟ قال: سهم ونصف، قال: أخذته بخمسين ومائة ألف.

قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: أقسم بيننا ميراثنا، قال: لا والله لا أقسم بينكم ميراثكم حتى أنادي في الموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه. قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضت أربع سنين قسم بينهم.

قال: وكان للزبير أربع نسوة، قال: وربع الثمن فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائة ألف. قال: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف.

قال علماء السير: حضر الزبير يوم الجمل، ثم بدا له أن يقاتل فركب فرسه وانطلق يريد المدينة فلحقه قوم فقاتلوه، وحمل عليه عمرو بن جرموز فطعنه فأثبته فوقع فاعتوروه وأخذوا سيفه، وأخذ ابن جرموز رأسه فحمله إلى علي وأتى بسيفه فأخفه علي رضي الله عنه، وقال: سيف والله طال ما جلا به عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرب. وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار، وجلس يبكي عليه هو أصحابه، وقال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله: "ونزعنا ما في صدورهم من غل".

ودفن الزبير بوادي السباع، وكانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكان أهل المدينة يقولون: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة، لأنها كانت عند عبد الله بن أبي بكر، فقتل عنها، ثم كانت عند عمر بن الخطاب فقتل عنها، ثم عند الزبير فقتل عنها وهو

ابن أربع وستين سنة.

زيد بن صوحان بن حجر بن الهجرس، يكنى أبا عائشة، وأبا عبد الله: سمع عمر وعلياً رضي الله عنهما. وكان يصوم بالنهار ويقوم الليل.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن الحسين القطان، قال أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال أخبرنا أحمد بن الخليل البرجلاني أبو النصر، قال: أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: كان زيد بن صوحان يقوم الليل ويصوم النهار، فإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، فإنه كان ليكرهها إذا جاءت، مما كان يلقى فيها، فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه فقال: أين زيد؟ قالت امرأته: ليس ها هنا، قال: فإني أقسم عليك لما صنعت طعاماً ولبست محاسن ثيابك، ثم بعثت إلى زيد، فجاء زيد وقرب الطعام، فقال سلمان: كل يا زيد، فقال: إني صائم، قال: كل يا زيد لا تنقص دينك، إن شر السير الحقحقة، إن لعينك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، كل يا زيد، فأكل، وترك ما يصنع.

قتل زيد يوم الجمل، فقال: ادفنوني في ثيابي، فإني مخاصم، ولا تغسلوا عني دماً، ولا تنزعوا عني ثوباً.

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة، يكنى أبا محمد: وأمه الصعبة بنت عمار الحضرمي وأمها عاتكة بنت وهب بن قصي بن كْلاب. وكان وهب صاحب الرفادة دون قريش كلها.

وكان لطلحة من الولد محمد، وهو السجاد، وبه كان يكنى، قتل معه يوم الجمل، وعمران؛ وأمهما حمنة بنت جحش. وموسى، وأمه خولة بنت القعقاع بن معبد، وكان يقال للقعقاع تيار الفرات من سخائه. ويعقوب وكان جواداً قتل يوم الحرة، وإسماعيل، وإسحاق؛ وأمهم أم أبان بنت عقبة بن ربيعة. وزكريا، ويوسف، وعائشة، أمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. وعيسى ويحيى، وأمهما سعدى بنت عوف. وأم إسحاق تزوجها الحسن بن علي، فولدت له طلحة ثم توفي عنها، فخلف عليها الحسين بن علي فولدت له فاطمة، والصعبة، ومريم، وصالح الأمهات.

وكان طلحة آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط، ولا بالسبط، حسن الوجه، دقيق القرنين لا يغير شعره.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني الضحاك بن عثمان، عن مخرمة بن سليمان الوالبي، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بُصْرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: فقلت: نعم أنا، فقال: هل ظهر أحمد بعد. قال: قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ، فإياك أن تسبق إليه، قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، فقلت: اتبعت هذا الرجل. قال: نعم، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب، فسُرَ رسول الله صلى

الله عليه وسلم بذلك.

فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل بن خويلد يدعى أسد قريش، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين.

قال علماء السير: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين طلحة وسعيد بن زيد، وبعثهما رسول صلى الله عليه وسلم يتحسسان خبر العير، فخرجا ففاتتهما بدر، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهامهما وأجورهما، فكانا كمن شهدها.

وشهد طلحة أحداً، وثبت يومئذ حين ولى الناس، ورمى مالك بن زهير يوم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقى طلحة بيده عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصابت خنصره فشلت إصبعاه، وجرح يومئذ أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجه، فلما كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج في وجهه احتمله طلحة ورجع به القهقرى، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوجب طلحة".

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا، محمد بن سعد، أخبرنا الفضل بن دكين، عن سفيان بن عيينة، عن طلحة بن يحيى، قال: حدثتني جدتي سعدى ابنة عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة ذات يوم، فقلت: مالي أراك مهموماً؟ قال: عندي مال قد أهمني، فقسمته. فسألتها: كم كان المال؟ قالت: أربعمائة ألف.

قال ابن سعد: وأخبرنا روح، قال حدَّثنا هشام بن عروة، عن الحسن، أن طلحة باع أرضاً له من عثمان بن عفان بسبعمائة ألف، فحملها إليه، فلما جاء بها، قال: إن رجلا يبيت هذه عندي في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله الغرير بالله، فبات ورسله تختلف بها في سكك المدينة حتى أسحر وما عنده منها درهم. حضر طلحة يوم الجمل، فرماه مروان بن الحكم فأصاب ساقه، فلم يزل يترف الدم، فقال: اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى، فمات وهو ابن أربع وستين سنة. وقيل: اثنتين وستين.

وترك طلحة من العين ألفي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وترك عروضاً كثيرة، وقومت أصوله وعقاره ثمانين ألف ألف درهم.

وقال عمرو بن العاص: حدثت أن طلحة ترك مائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير ذهب. وسمعت أن البهار جلد ثور.

توفي يوم الجمل على ما سبق شرحه.

عبد الله بن بديل بن ورقاء: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى أهل اليمن، وشهد مع علي رضي الله عنه صفين، وقتل هناك.

عبد الرحمن بن عُديس البلوي: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة. وروى عنه عليه السلام.

وشهد فتح مصر، واختط بها، وكان رئيس الخيل التي سارت من مصر إلى عثمان، وقتل بفلسطين في هذه السنة، كان قد سجن فهرب فأدركه فارس، فقال له: اتق الله في دمي فإني من أصحاب الشجرة، فقال: الشجر في الجبل كثير، فقتله.

عمرو بن أبي عمرو بن ضبة، أبو شداد: شهد بدراً وتوفي في هذه السنة.

قدامة بن مظعون بن حبيب، أبو عمر: هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتوفي في هذه السنة وهو ابن ثمان وستين سنة.

كعب بن سور بن بكر بن عبد اللّه بن ثعلبة الأزدي: ولاه عمر قضاء البصرة، وكان سبب توليته إياه ما أخبرنا به أبو الفضل بن ناصر، قال: أخبرنا ثابت بن بندار، وأحمد بن علي بن سوار، ومحمد بن عبد الله الباقر، قالوا: حدثنا محمد بن عبد الواحد بن رزمة، قال: أخبرنا أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، قال: حدَّثني محمد بن منصور بن يزيد، قال: حدَّثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني إبراهيم الحزامي، عن محمد بن معن الغفاري، قال: أتت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله تعالى، فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، فقال له كعب الأزدي: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، قال له عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما، فقال كعب: علي بزوجها، فأتي به، فقال له: امرأتك هذه تشكوك، قال: أفي طعام أو شراب، قالت المرأة ترتجز:

يا أيها القاضي الحكيم رَشَدُه ... أَلْهَى خليلي عن فراشي مَسجده

زهدَهُ في مضجعي تَعَبُده ... نهاره وليله ما يرقده

فلستُ في أمر النساء أحْمَده ... اقض القضاء يا كعب لا تردده

فقال زوجها:

أزهدني في فرشها وفي الحجل ... أني امرؤ أذهلني ما قد نزل

في سورة النحل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها عليك حقاً يا رجل ... تصيبها في أربع لمن عقل

فاعطهت ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إن الله قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة، فقال عمر: والله ما أدري من أي أمر بك أعجب، أمن فهمك أمرهما أم من حكمك؟ إذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

قال علماء السير: فلما قدم طلحة والزبير وعائشة يرجي الله عنهمٍ البصرة دخل كعب إلى بيت وطين عليه، وجعل فيه كوة يتناول منها طعامه وشرابه اعتزالا للفتنة، فقيل لعائشة: إن كعب بن سور إن خرج معك لم يتخلف من الأزد أحد، فركبت إليه فنادته فلم يجبها، فقالت: يا كعب ألست أمك ولي وعليك حق، فكلمها، فقالت: إنما أريد أن أصلح بين الناس، فخرج فأخذ المصحف فنشره ومشى بين الصفين يدعوهم إلى ما فيه، فجاءه سهم غرب فقتله. وكان خيراً صالحاً وليس له حديث.

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وهو المعروف بالمر: قال: وهو أخو نافع بن عتبة، وابن أخي سعد بن أبي وقاص. أسلم يوم فتح مكة، وحضر مع عمه سعد حرب الفرس بالقادسية، فلما هزم الله العدو، ورجعوا إلى المدائن اتبعهم سعد والمسلمون، فدل علج من أهل المدائن سعداً على مخاضة، فخاضوا وأتوا المدائن فحاصروها وهاشم فيهم. وقتل بصفين مع علي رضي الله عنه.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

فمن الحوادث فيها

وقعة صفين

وذلك أن علياً رضي الله عنه ومعاوية توادعا على ترك الحرب في شهر المحرم طمعاً في الصلح، واختلفت بينهما الرسل، فلم تنفع. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا محمد بن أحمد المقدمي، قال: أخبرنا إبراهيم بن عبد الرحيم، قال: أخبرنا أبو معمر، قال: حدَّثنا أبو أسامة، عن يزيد بن مردانية، قال: حدَّثني آخي سعيد بن مردانية، قال: أخبرنا عمرو بن حريث، قال: قال عدي بن حاتم الطائي: كنا بصفين في يوم حار مع علي رضي الله عنه، فقصدته وهو في سبعمائة من ربيعة، فقلت له: ألا تروح إلى القوم، فأما لنا وأما علينا، فسكت فلم يجبني، فقلت: ما لي أراك مخيماً، ألا تروح إلى القوم فأما لنا وأما علينا، فقال: ادن منا يا ابن حاتم، فتخطيت الناس إليه حتى وضعت يدي على ركبته، فقال لي: يا عدي، إن معاوية مع قوم يطيعونه، وأنا مع قوم يعصوني، فأما الذين معي فأشد مكايدة من الذين مع معاوية، فعذرته ورحمته رحمة شديدة ما رحمت أحداً مثلها قط.

قال علماء السير: فتناهدوا عند انسلاخ المحرم، وبات علي رضي الله عنه عنه يعبي الكتائب، ويقول: لا تقاتلوهم إلا أن يبدأوكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم.

وبعث على خيل أهل الكوفة الأشتر، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة مع ابنه.

وبعث معاوية على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى مقدمته أبو الأعور السلمي، وكان على خيول الشام كلها عمرو بن العاص، ومسلمة بن عقبة على رجالة أهل دمشق، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم. وبايع رجال من أهل الشام على الموت، فعقلوا أنفسهم بالعمائم وكانوا خمسة صفوف.

ثم اقتتلوا فكانوا يتبارزون، التقوا جميعاً في بعض الأيام، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا إلى الصلاة، وكثرت القتلى بينهم، ثم تحاجزوا عند الليل، ثم أصبحوا على القتال، وكان عليّ رضي الله عنه يتقدم حتى أن النبل لتمر بين عاتقه ومنكبه، وكان معاوية يقول: أردت أن أهزم، فذكرت قول ابن الإطنابة، والإطنابة امرأة من بَلْقِيْن وهو:

أبتْ لي عِفّتي وحَياء نَفْسي ... وإقدامي على البَطَل المُشيح

وإعطائي على المَكْروهِ مالي ... وأخذي الحَمْدَ بالثمَنِ الربيح

وقَوْلي كلُما جَشَأت وجاشَتْ ... مكانَكِ تُحْمَدي أو تستريحي

فيمنعني هذا القول من الفرار.

وكان عمار يقول: والله لو ضربونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنا على الحق وهم على الباطل. وكان يصيح بعمرو بن العاص: يا عمرو، بعت دينك بمصر تباً لك تباً طالما بغيت في الإسلامٍ عوجاً. ثم قال لأصحابه: لقد قاتلت صاحب هذه الراية- يعني

عمرو بن العاص– ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الرابعة.

وكان عليَ رضي الله عنه يحمل ويضرب حتى ينثني سيفه، فقتل عمار، فقال عبد الله بن عمرو لأبيه: يا أبه، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويحك تقتلك الفئة الباغية" فقال عمرو: أتسمع ما يقول عبد الله، فقال معاوية: إنك شيخ أخرق، ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك، أو نحن قتلنا عماراً، إنما قتل عماراً من جاء به.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا ابن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن الحارث، قال: إني لأسير مع معاوية في منصرفه عن صفين بينه وبين عمرو بن العاص، فقال عبد الله بن عمرو: يا أبه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار: " ويحك يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية" فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع مايقول هذا؟ قال: فقال معاوية: ما تزال تأتينا بهنة تدحض بها في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاءوا به.

قال علماء السير: ولما قتل عمار حمل عليّ رضي الله عنه وأصحابه، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية، وعلي رضي الله عنه يقول:

أضْرِبُهُمْ ولا أرى معاويَهْ الجاحظَ العَيْنِ العظيمَ الحَاوِيَهْ

ثم نادى علي: يا معاوية، علام يقتل الناس بيننا، هلم أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال له عمرو: أنصفك الرجل، فقال معاوية: إنك تعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، قال له عمرو: ما يجمل بك إلا مبارزنه، فقال معاوية: طمعت فيها بعدي.

ثم اقتتل الناس ليلة إلى الصباح، وهي ليلة الهرير، حتى تقصفت الرماح، ونفذ النبل، وصار الناس إلى السيوف، وأقبل علي رضي الله عنه يسير في الناس ويحرض، والأشتر في ميمنته، وابن عباس في الميسرة، وعلي في القلب، والناس يقتتلون من كل جانب.

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، أخبرنا عاصم بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا عثمان بن أحمد، أخبرنا أبو الحسن بن البراء، قال: لما ولي علي رضي الله عنه أقام بالمدينة أربعة أشهر، ثم خرج إلى البصرة، وكانت وقعة الجمل في سنة ست وثلاثين، ثم رجع علي إلى الكوفة، ثم سار إلى صفين، وكانت الحرب سنتين، وقتل بصفين سبعون ألفاً: خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق، منهم خمسة وعشرون بدرياً. وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وكان فيه تسعون وقعة، وفي سنة ثمان وثلاثين التقى الحكمان.

أخبرنا الحافظ بن عبد الوهاب وابن ناصر قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا ابن حيويه، خبرنا أبو بكر بن الأنباري، أخبرنا محمد بن أحمد المقدمي، أخبرنا أحمد بن سعد الزهري، أخبرنا إسحاق بن أبي إسرائيل، أخبرنا حماد بن زيد، عن هشام عن محمد بن سيرين، قال: قتل يوم صفين سبعون ألفاً، ما عرفت عدهم إلا بالقصب، كان يوضع على كل قتيل قصبة.

فصل

فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر العراق قد اشتد وخاف الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فرقة، قال: نعم قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم فإن أبى بعضهم أن يقبل، وقال بعضهم: بل نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: نقبل، رفعنا هذا القتال إلى أجل.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق. فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله ونثيب إليه، فقال علي رضي الله عنه: ما رفعوها إلا خديعة، فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله، فقال: إني إنما أقاتلهم بحكم الكتاب، فقال له مسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي، أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل ما فعلنا بابن عفان إنه أبى علينا أن نعمل بما في كتاب الله فقتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك. قال: أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم، قالوا: فابعث إلى الأشتر فليأتك.

فأرسل إليه، فقال للرسول: إني قد رجوت أن يفتح الله لي فلا تعجلني. فارتفع الرهج من قبل الأشتر، فقال القوم: ما نراك أمرته إلا بالقتال، فقال: هل رأيتموني ساررته؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك فبعث إليه: أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت. فلما بلغه ذلك، قال: ألرفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله لقد ظننت حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة، فقال له الرسول: أتحب أن تظفرها هنا وتسلم أمير المؤمنين إلى عدوه؟ فأقبل حتى انتهى إليهم، فقال: يا أهل العراق، يا أهل الذل والوهن، أحين قهرتم القوم رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، أمهلوني فإني قد رأيت النصر، فقالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك، فقال: خدعتم والله فانخدعتم، فسبوه وسبهم. وقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً.

فقال الأشعث: يا معاوية، لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع إلى أمر الله به، تبعثون رجلاً ترضون به، ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه.

فجاء الأشعث إلى علي فأخبره، فقال الناس: قد رضينا، فقال أهل الشام: فإنا قد اخترنا عمرو بن العاص، فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد: فإنا رضينا بأبي موسى الأشعري، فقال علي: إنكم عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أولي أبا موسى، فقال أولئك: إنا لا نرضى إلا به، قال: فهذا ابن عباس، قالوا: لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر، قال: فإني أجعل الأشتر، قالوا: وهل سعر الأرض غير الأشتر؟ قال: فاصنعوا ما شئتم، فقال الأحنف لعلي رضي الله عنه: إنك قد رميت بحجر الأرض، فإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها، ولن يحل عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها. فأبى الناس إلا أبا موسى.

فكتبوا: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين . فقال عمرو: اكتب اسمه و اسم أبيه، وهو أميركم، أما أميرنا فلا، فقال الأحنف بن قيس: لا تمح اسم "إمارة المؤمنين " فإني أخاف إن محوتها لا ترجع إليك أبداً، فأبى ذلك علي، فقال له الأشعث: امحُ هذا الاسم برحه الله، فَمُحِيَ، فقال علي: الله أكبر، سنة بسنة، والله إني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية إذ قالوا: لست رسول الله، ولا نشهد لك به، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فكتب: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضي معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، إنا نترل عند حكم الله وكتابه، نحيي ما أحيا، ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل- وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص- وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة. وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه أنا على ما في هذه الصحيفة، وأجلا القضاء إلى رمضان، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على تراض منهما. وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشر خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان، فإن لم يجتمعا بذلك اجتمعا من العام المقبل.

وخرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس، ويعرضه عليهم، فمر به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية، فقرأه عليهم، فقال عروة: تحكمون في أمر الله الرجال، لا حكم إلا لله، ثم سل سيفه فضرب به عجز دابته، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن، ثم سكتوا.

وأذن علي بالرحيل، فمضى علي على طريق البر على شاطىء الفرات حتى انتهى إلى هِيتَ وعلى صَنْد ودَاء.

وقال سيف الضبي: أقاموا بصفين سبعة أو تسعة أشهر. وكان بينهم القتال نحو سبعين زحفاً، وقتل في ثلاثة أيام نحو سبعين ألفاً من الفريقين.

قال الزهري: بلغني أنه كان يدفن في القبر خمسون.

قال ربيعة بن لقيط: مطرت السماء عليهما دماً كانوا يأخذونه بالآنية.

ذكر خروج الخوارج على أمير المؤمنين رضي الله عنه.

لما رجع علي رضي الله عنه من صفين فدخل الكوفة لم تدخل معه الخوارج، وكانوا من وقت تحكيمه يردون عليه ولا يرضون بفعله، فلما رجع باينوه فأتوا حروراء، فترل بها منهم اثنا عشر ألفاً، وقالوا: لا حكم إلا لله- وكان ذلك أول ظهورهم- ونادى مناديهم: إن أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والأمر شورى.

فبعث علي رضي الله عنه عبد الله بن العباس إلى الخوارج، فقال: ما نقمتم من الحكمين.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: أخبرنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا موسى بن مسعود، قال: أخبرنا عكرمة بن عمار، عن أبي زميل سماك، قال: قال ابن عباس: لما اعتزلت الخوارج وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتيته يوماً قبل الظهر، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القومٍ فأكلمهم، فقال: إني أخاف عليك، فقلت: كلا، وكنت حسن الخلق، لا أوذي أحدا، فأذن لي فدخلت عليهم فلم أر قوماً أشد منهم اجتهاداً جباههم قرحة من السجود، وأيديهم كأنها نقر الإبل، وعليهم قمص مُرَحَّضَةٌ مشمرين، مشهمة وجوههم من السهر، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بابن عباس، ما جاء

بك. فقال: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن الله تعالى يقول: "بل هم قوم خصمون" فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه، فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ثلالاً، أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقد قال الله تعالى: "إن الحكم إلا للّه "، فما شأن الرجال والحكم؟ فقلت: هذه واحدة، قالوا: وإنه قاتل و لم يُسْب و لم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم وسبيهم. قالوا: ومحى نفسه من أَمير المؤمنين، فإذا لم يكن أمير المؤمنين فإنه أمير الكافرين. فقلت لهم: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض قولكم، إن الله صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلى قوله تعالى: "لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم... " الآية. وفي المرأة وزوجها: "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها. فنشدتكم الله، هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في أرنب وبضع امرأة، فأيهما ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه، قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: قاتل و لم يُسْبِ و لم يغنم، فتسبون أمكم عائشة، فوالله إن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، وإن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها خرجتم من الإسلام، أخرجت من هذه. قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: محى نفسه من أمير المؤمنين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية كاتب أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال: يا علي اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقالوا: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم ما قاتلناك، فقال: امح يا عليّ واكتب: هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد الله، فوالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي وقد محى نفسه.

فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فتقاتلوا.

قال علماء السير: وجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى القوم وابن عباس يكلمهم، فقال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء، قال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتك يوم صفين، قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال، امضوا على حقكم، فإنما رفعهم المصاحف خديعة، فرددتم علي رأيي وقلتم: لا بل نقبل منهم، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في القرآن، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء. قالوا له: فخبرنا، أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال، ادخلوا مصركم، فدخلوا من عند آخرهم.

وقال الخوارج منهم: كان الأمر كما وصفت، ولكن كان ذلك كفراً منا، فقد تبنا إلى الله منه، فتب كما تبنا نبايعك، وإلا فنحن مخالفون. فانصرف علي بأصحابه، فقال قوم: إِنه أقر لهم بالخطأ، فصعد المنبر فذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلا لله، فقال عليّ: كلمة حق أريد بها باطل.

وفي هذه السنة كان اجتماع الحكمين فبعث عليّ رضي الله عنه أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانىء الحارثي، وفيهم أبو موسى الأشعري، وبعث معهم عبد الله بن عباس يصلي ويلي أمورهم، و لم يحضر علي وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل

الشام، ثم جاء معاوية، واجتمعوا بأذرج، وشهد معهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة في جماعة كثيرة.
وخرج عمرو بن سعد بن أبي وقاص، فأتى أباه وهو بالبادية، فقال: يا أبت، قد بلغك ما كان بين الناس بصفين، وقد حكموا وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد أهل الشورى، أحق بالخلافة، فقال: لا أفعل، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنه تكون فتنة خير الناس فيها الخفي التقي ".
والتقى الحكمان، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، أرأيت أول ما يقضى به الحق أن يقضى لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال: وما ذاك؟ لست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وافوا وقدموا للموعد؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها فاكتبها أبو موسى، قال: ألست تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً؟ قال: أشهد قال: أفلست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى، قال: فإن الله عز وجل قال: "ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً"، فما يمنعك من معاوية ولي عثمان، وبيته في قريش كما قد علمت، فإن قال الناس ليس له سابقة فلك حجة وهي أن تقول: إني وجدته ولي عثمان المظلوم، والطالب بدمه، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني لم أكن لأوليه، وأدع المهاجرين الأولين والأنصار، ولو خرج لي من سلطانه ما كنت لأرتشي في حكم الله، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب.
فأبى عمرو وقال: أخبرني عن رأيك، قال: رأي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا، فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت، فأقبلا إلى الناس فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع، فتكلم أبو موسى فقال: رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة، فقال عمرو: صدق وبر، يا أبا موسى، تقدم فتكلم. فتقدم أبو موسى ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال له: ويحك، والله إني لأظنه قد خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك قبلك، فإني لا آمن أن يخالفك، فقال: إنا قد اتفقنا.
فتقدم أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد اجتمع عليه رأي ورأي عمرو، وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولوا منهم ما أحبوا عليهم، وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحى.

وأقبل عمرو فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه، فقال له أبو موسى: مالك، لا وفقك الله، غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إن تَحمِل عليه يلهث أو تتركه يلهث. قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً.
وحمل شريح بن هانىء على عمرو فقنعه بالسوط، وحمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم. فالتمس أهل الشام أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة. وكان يقول: اطمأننت إلى عمرو وظننت أنه لن يؤثر شيئاً على نصح الأمة، ولقد حذرنيه ابن عباس.
وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة وقام معاوية عشية في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، من كان متكلماً في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، قال ابن عمر: فأطلعت حويتي فأردت أن أقول: يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجماعة ويسفك فيها دم وأحمل فيها على غير رأي، وذكرت ما وعد الله في الجنان

فأمسكت. قال عمرو بن العاص: بلغني أن عتبة بن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس: ما منع عليًا أن يبعثك مكان أبي موسى، فقال عبد الله: منعه والله من ذلك حاجز القدر، وقصر المدة، ومحنة الابتلاء، أما والله لو بعثني لاعترضت في مدارج نفس عمرو ناقضاً ما أبرم ومبرماً لما نقض، أسف إذا طار وأطير إذا أسف، ولكن مضى قدر وبقي أسف، والآخرة خير لأمير المؤمنين.

وقال خريم بن فاتك الأسدي هذه الأبيات:

لو كان للقوم رأي يرشدون به ... أهل العراق رموكم بابن عباس

لله در أبيه أيما رجل ... ما مثله لفصال الأمر للناس

لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن ... لم يمر ما ضرب أخماس لأسداس

أخبرنا أبو القاسم الحريري، قال: أخبرنا أبو طالب العشاري، قال: حدثنا أبو الحسن الدارقطني، قال: حدَّثنا أبو الحسين إبراهيم بن بيان الرزاد، قال: حدثنا أبو سعيد الخرقي، قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي، قلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: يا بني، إيش أقول فيهما، أعلم أن عليًّا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فوضعوا له فضائل كيداً منهم له. أو كما قال.

وفي هذه السنة بعث علي رضي اللّه عنه بعد مرجعه من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان فانتهى إلى قوم قد كفروا وامتنعوا، فرجع، فبعث مكانه خليد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه، وصالحه أهل مرو فأصاب جاريتين من أبناء الملوك فترلتا بأمان، فبعث بهما إلى علي رضي الله عنه فأعطاهما بعض الدهاقين.

وفي هذه السنة اجتمعت الخوارج على حرب عليَ رضي الله عنه وتأهبوا لذلك وشرح القصة: انه لما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعيدي، فدخلا عليه، فقالا: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، قال لهم: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهوداً ومواثيقاً، وقد قال الله تعالى: "وأَوفُوا بعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتم وَلاَ تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوكيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفيلاً إن الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"، فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال له علي: ما هو ذنب ولكن عجز من الرأي، وضعف من العمل وقد نهيتكم عنه، فقال له زرعة: أما والله يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال علي: بؤساً لك، ما أشقاك، كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح، فقال: وددت أن قد كان ذلك.

فخرج علي يوماً فخطب، فقالوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا الله، وصاح منهم رجل بعليّ رضي الله عنه، فقال: "ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين" فقال علي: "فاصبر إن وعد اللّه حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون".

فاجتمعت الخوارج فِي مترل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والقول بالحق، فاخرجوا بنا إلى إخواننا من بين أهل هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، وإلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة، والأحكام الجائرة.

فقال حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتنكم عن طلب الحق وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم، إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم هذا رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها، وترجعون إليها.

فبعثوا إلى زيد بن حصن الكناني، وكان من رؤوسهم، فعرضوها عليه فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي، فقال: هاتوها، أنا والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت، وذلك بعدما عرضوها على حرقوص، فأبى وعرضوها على حمزة فأبى، وعرضوها على شريح بن أوفى العبسي فأبى و لم يقبلها غير ابن وهب الراسبي، وقال ما قال.

ثم أنهم اجتمعوا في منزل زيد بن حصن، فقال: إن الله قد أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قال: "ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فاولئك هم الكافرون" "ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون " "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " فاشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والفعل، وإن جهادهم حق على المؤمنين، وأقسم بالذي تعنو له الوجوه، وتخشع له الأبصار إني لو لم أجد على تغيير الجور، وقتال القاسطين أحداً مساعداً لمضيت فرداً حتى ألقى ربي ليرى أني قد عبرت إرادة رضوانه.

فقال عبد الله بن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها. فقال شريح: اخرجوا إلى المدائن فلننزلها ولنأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا في أهل البصرة فيقدمون علينا، فقال زيد: إنكم إن خرجتم يرى لكم جماعة تبعتم، ولكن اخرجوا وُحْداناً، فأما المدائن فإن بها قوماً يمنعونها منكم، ولكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة فأعلموهم بمخرجكم، وسيروا حتى تنزلوا جسر النهروان، قالوا: هذا الرأي. وأجمعوا على ذلك، وكتبوا إلى أهل البصرة، وخرجوا ليلة السبت وُحْداناً يتسللون، فبلغ خبرهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكتب إليهم وهو بالنهر.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصن وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس. أما بعد، فإن هذين الرجلين الذين ارتضينا حكمين قد خالفا كتاب الله، واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملا بالسنة، و لم ينفذا للقرآن حكماً، فبرىء الله منهما ورسوله والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدونا ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام.

فكتبوا إليه: أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

فلما قرأ كتابهم أيس منهم.

ولقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب، فقالوا: هل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه؟ قال: نعم، سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قال: فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول. قالوا: أنت سمعت هذا من

أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، فقدموه على شفير النهر فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل، ونقروا أم ولده عما في بطنها، وكانت حبلى، ونزلوا تحت نخل مواقر، فسقطت رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فيه، فقال أحدهم: بغير حلها وبغير ثمن، فلفظها من فيه. واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه، فمر خنزير لأهل الذمة، فضربه، فقالوا له: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره.

وكان علي رضي الله عنه قد تجهز للخروج إلى قتال الشام، وندب الناس، فاجتمع معه ثمانية وستون ألفاً، فلما سمع الناس خبر هؤلاء قالوا: لو سار بنا إلى هؤلاء فبدأنا بهم ثم وجهنا إلى المُحِلين، فبلغه قولهم، فقال: إن غير هؤلاء أهم إلينا ؟فسيروا إِلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين، فقالوا: سر بنا حيث أحببت.

فلما بلغه قتلهم عبد الله بن خباب بعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتب بخبرهم، فلما دنا منهم يسألهم قتلوه. فأتى الخبر علياً، فقام الناس إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سربنا إلى القوم، فإذا : فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام.

فنادى بالرحيل وخرج، ثم بعث إِليهم: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ثم نكف عنكم، واخرجوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم، فبعثوا إليه كلنا قتلهم، وكلنا نستحل لدمائهم ودمائكم.

وفي رواية أخرى أن علياً أتاهم فوقف عليهم، فقال: أيتها العصابة التي أخرجتها اللجاجة، وصدها عن الحق الهوى، إني نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، تلفيكم الأمة غداً بغير بينة من ربكم، وإن الحكمين اختلفا وخالفا كتاب الله والسنة، فنبذنا أمرهما ونحن على الأمر الأول، فما الذي بكم؟ ومن أين أتيتم فقالوا: إنا لما حكمنا أثمنا وكلنا بذلك كافرين وقد تبنا قال: إِذا تبت كما تبنا، فنحن منك وإلا فاعتزلنا فإنا منابذوك على سواء، فقال علي رضي الله عنه: أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر، أبعد إِيماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين. فتنادوا: لا تخاطبوهم ولا تكلموهم، وتهيأوا للقاء الرب، الرواح الرواح إلى الجنة. فخرج علي فعبأ الناس، فجعل على ميمنته حجر بن عدي، وعلى ميسرته شبث بن ربعي- أو معقل بن قيس الرياحي- وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة قيس بن سعد.

وعبأت الخوارج، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصن، وعلى ميسرتهم شريح بن أوفى العبسي، وعلى خيلهم حمزة بن سنان، وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير. ودفع علي إلى أبي أيوب الأنصاري راية أمان، فناداهم أبو أيوب: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إِخواننا في سفك دمائكم، فقال فروة بن نوفل: والله ما أدري على أي شيء نقاتل علياً، لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو أتباعه. فانصرف في خمسمائة فارس.

وخرجت طائفة أخرى متفرقين، فنزلوا الكوفة، وخرج إلى عليَ منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب ألفين وثمانمائة، فزحفوا إلى علي فقال علي لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدأوكم، فتنادوا: الرواح الرواح، فشدوا على الناس، فلم تثبت خيل عليَ لشدتهم، فاستقبلت الرامية وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة فأناموهم، ولم يقتل من أصحاب علي رضي الله عنه إلا سبعة أولهم يزيد بن نويرة.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن خلف العكبري، أخبرنا جدي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حاتم المدني، قال:

أول قتيل قتل عن أصحاب علي يوم النهروان رجل من الأنصار يقال له: يزيد بن نويرة، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مرتين شهد له يوم أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جاز التل فله الجنة". فقال يزيد بن نويرة: يا رسول الله، إنما بيني وبين الجنة هذا التل، ثم أخذ سيفه فضارب حتى جاز التل، فقال ابن عم له: يا رسول الله، أتجعل لي ما جعلت مثل ما جعلت لابن عمي يزيد؟ قال: "نعم "، فقاتل حتى جاز التل، ثم أقبلا يختلفان في قتيل قتلاه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما: "كلاكما قد وجبت له الجنة، ولك يا يزيد على صاحبك درجة"، قال: فشهد يزيد مع علي فكان أول قتيل من أصحاب علي يوم النهروان.

قال علماء السير: وخرج عليّ في طلب ذي الثدية، فوجده في حفرة على شاطىء النهر قتيلاً، فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حلمة عليها شعيرات سود، فقال علي: الله أكبر، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبت، أما أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستنصراً في قتالهم.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن إبراهيم البزاز، قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن عثمان النسوي، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا أصبغ بن الفرح، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، عن بشر بن سعيد، عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أن الحرورية لما خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقالوا: لا حكم إلا الله، قال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لنا ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم، لا يجاوز هذا منهم– وأشار إلى حلقه– من أبغض خلق الله إليه، فيهم أسود، إحدى يديه كأنها طُبي شاة، أو حلمة ثدي، فلما قتلهم قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا، والله ما كذبت– مرتين أو ثلاثاً– فوجدوه في حفرة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه. قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي رضي الله عنه فيهم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهري، قال: أخبرنا علي بن عبد الرحمن البكائي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، قال: أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحمامي، قال: أخبرنا خالد بن عبيد الله عن عطاء بن السائب، عن ميسرة، قال: قال أبو جحيفة: قال علي رضي الله عنه حين فرغنا من الحرورية: إن فيهم رجلاً مخدجاً، ليس في عضده عظم، ثم عظمه أو عضده حلمة كحلمة الثدي، عليها شعيرات طوال عقف، فالتمسوه فلم يجدوه، وأنا فيمن يلتمس. قال: فما رأيت علياً جزعاً قط أشد من جزعه يومئذ، فقالوا: ما نجده يا أمير المؤمنين، قال: ويلكم ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان، قال: كذبتم إنه لفيهم، فثورنا القتلى فلم نجده، فعدنا إليه فقلنا: يا أمير المؤمنين ما نجده، قال: ويلكم ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال: صدق الله ورسوله وكذبتم إنه لفيهم فالتمسوه، فالتمسناه في ساقية، فوجدناه فجئنا به، فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم، وعليها. حلمة كحلمة ثدي المرأة، عليها شعرات طوال عقف.

قال علماء السير: ثم قام علي رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عز وجل قد أحسن بكم، وأعز نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، نفدَتْ نبالُنا، وكلت سيوفنا، فارجع إلى مصرنا، واستعد بأحسن عدتنا. فأقبل

حتى نزل النخَيلة، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم وأن يقلوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إِلى عدوهم، فأقاموا أياماً ثم تسللوا فدخلوا إلا قليلاً منهم، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر رأيه في المسير.

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الوقعة بالخوارج كانت في سنة ثمان وثلاثين.

وفي هذه السنة، أعني سنة سبع وثلاثين

حج بالناس عبيد الله بن عباس، وكان عامل علي على اليمن ومخاليفها، وكان عامله على مكة والطائف، قُثَم بن العباس، وعلى المدينة سهل بن حنيف، وقيل: كان عليها تمام العباس. وكان على البصرة عبد الله بن العباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي وعلى مصر محمد بن أبي بكر. ولما شخص علي إلى صفين استخلف على الكوفة. مسعود الأنصاري، وعلى خراسان خليد بن قرة اليربوعي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الربيع بنت معوذ بن عفراء أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدثت عنه. وكانت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخدم القوم وترد القتلى والجرحى إلى المدينة.

خباب بن الأرت بن جندلة: كان قد أصابه سِباء فبيع بمكة واشترته أم أنمار، وهي أم سباع الخزاعية. ويقال: بل أم سباع بن عبد العزى واحدة.

وكانت ختانة بمكة، وهي التي عنى حمزة بن عبد المطلب حين قال لسباع بن عبد العزى وأمه أم أنمار: هلم يا ابن مقطعة البظور، فانضم خباب بن الأرت إلى آل سباع، وادعى حلف بني زهرة بهذا السبب. وكان يكنى أبا عبد الله وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها، وكان من المستضعفين الدين يعذبون بمكة ليرجع عن دينه. وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أبو الحسن بن معروف، أخبرنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا حيان بن علي، عن مجالد، عن الشعبي، قال: دخل خباب بن الأرت على عمر فأجلسه على متكئه، وقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد، قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال، قال: فقال خباب: يا أمير المؤمنين، ما هو بأحق مني، إن بلالاً كان له من المشركين من يمنعه الله به و لم يكن لي أحد يمنعني، فلقد رأيتني يوماً أخذوني وأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري، قال: ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي، قال: حدثنا مسعر بن كدام، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: عاد خباباً نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تقدم عليهم غداً، فبكى وقال: عليها من حالي، أما إنه ليس بي جزع، ولكن ذكرتموني أقواماً وسميتموهم لي إِخواناً، لان أولئك مضوا وأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم.

توفي خباب بالكوفة في هذه السنة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وهو أول من دفن بظهر الكوفة.

خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن عامر، أبو عمارة، وهو ذو الشهادتين: أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني معمر، عن الزهري، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عمه- وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من رجل من الأعراب، فاستتبعه رسول صلى الله عليه وسلم ليعطيه ثمنه، فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي، وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يلقون الأعرابي يساومونه الفرس ولا يشعرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم به. فلما زاده نادى الأعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع قول

الأعرابي حتى أتاه الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألست قد ابتعته منك؟" فقال الأعرابي: لا والله ما بعتكه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بلى قد ابتعته منك" فطفق الناس يلوذون برسول الله وبالأعرابي وهما يتراجعان، وطفق الأعرابي يقول: هلم شهيد اً يشهد لك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقل إلا حقاً، حتى جاء خزيمة بن ثابت، فاستمع مراجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك، فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال: بم تشهد؟ قال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

قال محمد بن عمر: لم يسم لنا أخو خزيمة الذي روى هذا الحديث، وكان له أخوان، يقال لأحدهما وَحْوَح ولا عقب له، وعبد الله وله عقب.

وفي طريق آخر أنه قال: أنا أصدقك بخبر السماء، ولا أصدقك بما تقول.

قال محمد بن عمر: وكانت له راية بني خطمة في يوم الفتح، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتل يومئذ.

سفينة- مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه مهران، ويكنى أبا عبد الرحمن: اشترته أم سلمة فاعتقته واشترطت عليه يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاش.

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: حدثنا ابن معروف، قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا خرج بن نباته، قال: حدثنا سعيد بن جهمان، قال: سألت سفينة عن اسمه، فقال: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة، قلت: وبما سماك سفينة؟ قال: خرج معه أصحابه فثقل عليهم متاعهم فقال لي: ابسط لي كساك، فبسطه، فحولوا فيه متاعهم ثم حملوه علي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احمل فما أنت إلا سفينة".

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عبد الله بن موسى، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن المنكدر، عن سفينة: أنه ركب في البحر، فانكسرت بهم، قال فتعلقت بشيء منها حتى خرجت إلى جزيرة، فإذا فيها الأسد، فقلت: أبا الحارث؟ إنما سفينة مولى رسول صلى الله عليه وسلم، فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبيه، يدلني على الطريق فلما خرجت إلى الطريق همهم فظننت أنه يودعني.

سحيم، عبد بني الحَسْحاس: اشتراه عبد الله بن عامر، فأهداه إلى عثمان بن عفان فرده عليه وقال: لا حاجة لنا فيه، وله أشعار

كثيرة وأخبار أخبرنا أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، حدثنا محمد بن خلف، قال: قال ابن الأعرابي: كان سُحيم حبشياً وقد أدرك الجاهلية.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، عن أبي محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق المكي، حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن خاله يوسف بن الماجشون، قال: اشترى عبد الله بن أبي ربيعة سحيماً عبد بني الحسحاس، وكتب إلى عثمان بن عفان: إني قد ابتعت لك غلاماً حبشياً شاعراً، فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي به، فإنما قصارى العبد الشاعر، إن شبع تشبب بنسائهم، وإن جاع يهجوهم، فرده عبد الله فاشتراه رجل من بني الحسحاس. وكان حبشياً أعجمي اللسان ينشد الشعر.

قال الزبير: وحدَّثني عمر بن أبي بكر، عن أبي صالح الفقعسي، قال: كان سحيم عبداً لبني الحسحاس حبشياً شاعراً، وكان يهوى ابنة مولاه عميرة بنت أبي معبد، ويكني عن حبها إلى أن خرج مولاه أبو معبد سفراً، وخرج به معه، وكان أبو معبد يتشوق إلى ابنته ويقول:

عميرة ودع إن تجهزت غاديا

يردد النصف ولا يزيد عليه ثم قال: ابعد يا سحيم، فهيج منه ما كان باطناً فقال:

عميرة ودع إن تجهزت غادياً ... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

ثم بنى عليها وأتمها قصيدة وفحش فيها فقال:

وبتنا وسادانا إلى عَلَجانَة ... وحِقف تهاداهُ الرياح تهاديا

توسدني كفاً وتثني بمعصم ... علي وتحوي رجلها من ورائيا

وهبت شمالاً آخر الليل قرة ... ولا ثوب إلا درعها وردائيا

فما زال ثوبي طيباً من نسيمها ... إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

قال: فذهب به أبو معبد إلى المدينة ليبيعه بها، فقال بعد أن أخرجه بها:

وما كنت أخشى معبداً أن يبيعني ... بشيء ولو أمست أنامله صفرا

أخوكمٍ ومولى مالكم وربيبكم ... ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

أشوقا ولما يمض لي غير ليلة ... فكيف إذا سار المطي بنا عشرا

قال: فرق له ورده، وآل أمر سحيم أنه أحب امرأة من أهل بيت مولاه، فأخذوه وأحرقوه.

وقال ابن قتيبة: سقوه الخمر وعرضوا عليه نسوة، فلما مرت به التي كان يتهم بها أهوى إليها فقتلوه.

عبد اللّه بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة: أسلم يوم الفتح، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر رضي الله عنه. وكُتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب فقال: من يجيب؟ فقال ابن الأرقم: أنا، فأجاب عنه ثم

أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبه وأنفذه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعجبه ذلك ويقول: أصاب ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل ذلك في قلبه، فلما ولي عمر استعمله على بيت المال، وقال عمر: ما رأيت أحداً أخشى لله منه.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: حدثنا ابن معروف قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن جعفر، عن أم بكر بنت المنصور، أبيها قال: ولى عمر بن الخطاب بيت مال المسلمين عبد الله بن الأرقم الزهري، وكان عمر رضي الله عنه يستسلف من بيت المال، فإذا أخرج العطاء جاء عبد الله فتقاضاها فيقضيه، فلما ولي عثمان أقره على بيت المال، وكان يستسلف منه ثم يقضيه كعمر، ثم اجتمع عند عثمان مال كثير وحضر خروج العطاء، فقال له عبد الله: أد المال الذي استسلفت، فقال له عثمان: ما أنت وذاك، وإنما أنت خازن، فخرج عبد الله حتى وقف على المنبر فصاح بالناس، فاجتمعوا فأخبرهم بما قال عثمان وقال: هذه مفاتيح بيت مالكم.

قال مؤلف الكتاب: ولما رد المفاتيح استخزن عثمان زيد بن ثابت.

عبد اللّه بن خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة: ولد في زمان رسول الله، وكان موصوفاً بالخير والصلاح، وورد المدائن وقتله الخوارج وهو بالنهروان.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الحسن بن محمد الخلال، حدَّثنا عبد العزيز بن أبي صابر الدلال، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا أبو خيثمة علي بن عمرو بن خالد الحراني، حدَّثني أبي، حدثنا الحكم بن عبدة الشيباني البصري، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي الأحوص، قال: كنا مع عليّ يوم النهروان، فجاءت الحرورية فكانت من وراء النهر، فقال144 و الله رجل من وراء النهر، فأعادوا عليه هذه المقالة ثلاثاً، كل ذلك يقول لهم علي مثل قوله الأول، قال فقالت الحرورية بعضهم لبعض:يرى علي أنا نخافه، فأجازوا، فقال علي لأصحابه: لا تحركوهم حتى يحدثوا حدثاً، فذهبوا إلى مترل عبد الله بن خباب وكان مترله على شط النهر فأخرجوه من مترله، فقالوا: حدثنا بحديث حدثكه أبوك سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حدثنا أبي، أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي"، فقدموه إلى الماء فذبحوه كما تذبح الشاة، فسال دمه في الماء مثل الشراك ما أمذ قر.

قال الحكم: فسألت أبا أيوب: ما أمذ قر؟ قال: ما اختلط. قال: وأخرجوا أم ولده فشقوا عما في بطنها، فأخبر علي بما صنعوا، فقال: الله أكبر، نادوهم اخرجوا لنا قاتل عبد الله بن خباب، قالوا: كلنا قتله، فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول. فقال علي لأصحابه: دونكم القوم، قال: فما لبثوا أن قتلوهم، فقال علي: اطلبوا في القوم رجلاً يده كثدي المرأة، فطلبوه ثم رجعوا إليه فقالوا: ما وجدنا، فقال: والله ما كذبت وما كذبت، وإنه لفي القوم. ثلاث مرات يجيئونه فيقول لهم هذا القول. ثم قام هو بنفسه، فجعل لايمر بقتلى جميعاً إلا بحثهم فلا يجده فيهم حتى انتهى إلى حفرة من الأرض فيها قتلى كثير، فأمر بهم فبحثوا فوجد فيهم، فقال لأصحابه: لولا أن تنتظروا لأخبرتكم بما أعد الله تعالى لمن قتل هؤلاء.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

أسلم قديماً. أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال:أسلم عبد الله بن سعد قديماً، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فربما أملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سميع عليم "، فيكتب "عليم حكيم". فيقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقره، فافتتن عبد الله بن سعد، وقال: ما يدري محمد ما يقول، إني لأكتب له ما شئت، هذا الذي يوحي إليّ كما يوحى إلى محمد. وخرج هارباً من المدينة إلى مكة مرتداً، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح، فجاء إلى عثمان بن عفان- وكان أخاه من الرضاعة- فقال: يا أخي إني والله اخترتك على غيرك فاحبسني ها هنا، واذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيًّ، فإن محمداً إن رآني ضرب الذي فيه عيناي، فإن جرمي أعظم الجرم، وقد جئت تائباً، فقال عثمان: بل اذهب معي، فقال: والله لئن رآني ليضربن عنقي فقد أهدر دمي وأصحابه يطلبونني في كل موضع، فقال عثمان: انطلق معي فلا يقتلنك إن شاء الله، فلم يرع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعثمان آخذاً بيد عبد الله ابن أبي سرح واقفين بين يديه، فأقبل عثمان على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن أمه كانت تحملني وتمشيه، وترضعني وتفطمه، وكانت تلطفني وتتركه فهبه لي، فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عثمان كلما أعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه استقبله فيعيد عليه هذا الكلام، وإنما أعرض النبي صلى الله عليه وسلم إرادة أن يقوم رجل فيضرب عنقه لأنه لم يؤمنه. فلما رأى ألا يقوم أحد وعثمان قد أكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه وهو يقول: يا رسول الله تبايعه فداك أبي وأمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم "، ثم التفت إلى أصحابه فقال: "ما منعكم أن يقوم رجل منكم إلى هذا الكلب فيقتله"- أو قال: الفاسق- فقال عباد بن بشر: ألا أومأت إلي يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق إني لأتبع طرفك من كل ناحية رجاء أن تشير إلي فأضرب عنقه- ويقال: قاله أبو اليسر، ويقال: عمر بن الخطاب، ولعلهم قالوا جميعاً- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لا أقتل بالإشارة".

وقال قائل: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال يومئذٍ : "إن النبي لا تكون له خائنة الأعين" فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، وجعل عبد الله بعد ذلك كلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفر منه، فقال عثمان: يا رسول الله، نراه يفر منك كلما رآك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " أو لم أبايعه وأؤمنه" قال: بلى ولكنه يتذكر عظم جرمه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الإسلام يَجُبُّ ما قبله" فرجع عثمان إلى عبد الله بن سعد فأخبره فكان بعد ذلك يأتي فيسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس.

وشهد عبد الله فتح مصر، واختط بها، وولاه إياها عثمان، وغزا إفريقية وأرض النوبة وذات الصواري من أرض الروم في البحر، ثم وفد على عثمان، فلما رجع منعه ابن أبي حذيفة من دخول الفسطاط، فمضى إلى عسقلان فأقام بها و لم يبايع لعلي ولا لمعاوية. توفي بها في هذه السنة، عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس، يكنى أبا اليقظان:

أسلم بمكة قديماً في دار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وهو معدود في السابقين الأولين من المهاجرين عذب في الله بمكة وأسلم هو وأبوه وأمه سمية مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وكانت قريش تعذبهم في الرمضاء ليرجعوا عن دينهم، ومر النبي صلى الله عليه وسلم بهم وهم يعذبون، فقال: "اصبروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة".

وكان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول، وهو أول من بنى مسجداً في بيته يصلي فيه. شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً والمشاهد كلها، وكان طويلاً أدماً مضطرباً، أشهل العينين، بعيد ما بين المنكبين، لا يغير شيبه.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم، أخبرنا قبيصة، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن هانىء بن هانىء، عن عليّ رضي الله عنه قال: استأذن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم فعرف صوته، فقال: "مرحباً بالطيب بن المطيب" أخبرنا الكروخي، أخبرنا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر العزرجي، قالا: أخبرنا الجراحي، قال: حدثنا الغنوني، قال: حدثنا الترمذي، قال: حدَّثنا سفيان بن رافع، قال: حدثنا أبي، عن الحسن بن صالح، عن أبي ربيعة الأيادي، عن الحسن،، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة نفر: علي، وعمار، وسلمان ".

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا الجوهري، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، حدثنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني يعقوب بن عبد الله القمَي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، عن عمار بن ياسر، أنه قال وهو يسير إلى صفين على شط الفرات: اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت، اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت، فإني لا أقاتل إلا أريد وجهك، وأنا أرجو ألا تخيبني وأنا أريد وجهك.

وقال ابن سعد: وأخبرنا أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا شعبة، قال: أنبأني عمرو بن مرة، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً في يده الحربة، وإنها لترعد، فنظر إلى عمرو بن العاص ومعه الراية، فقال: إن هذه الراية قد قاتلت بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة، والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أن مصلحتنا على الحق وأنه على الضلالة.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا الحسن بن علي المعمري، حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء، حدثنا أبو معشر، حدثنا جعفر بن عمرو الضمري، عن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه، ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن آخر شيء تزوده من الدنيا صحفة لبن".

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: أخبرنا أبو الحسين بن صفوان، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: عمار بن ياسر من عبس من اليمن، حليف لبني مخزوم، ويكنى أبا اليقظان، قتل بصفين مع أمير المؤمنينعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، ودفن هناك.

قال ابن سعد: وحدثنا محمد بن عمر، قال: حدثنا الحسن عن الحسن بن عمارة، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة: أن علياً صلى على عمار و لم يغسله.

قال مؤلف الكتاب: وقد قيل إن عماراً قتل وهو ابن إحدى وتسعين سنة. وقيل: أربع وتسعين، قتله أبو عادية المزني، طعنه برمح فسقط، فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاجتز رأسه، وأقبلا يختصمان فيه، كلاهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن

يختصمان إلا في النار، فسمعها منه معاوية، فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو: ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان في النار، فقال عمرو: هو والله ذاك، والله إنك لتعلمه، ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فمن الحوادث فيها مقتل محمد بن أبي بكر رضي اللّه عنهما قد تقدم ذكرنا السبب في عزل قيس بن سعد عن مصر وتولية محمد بن أبي بكر.

قال الزهري: لما حدثَ قيس بن سعد بمجيء محمد بن أبي بكر، وأنه قادم عليه أميراً، تلقاه وخلا به، وقال له: إنك جئت من عند امرئ لا رأي له، وليس عزلكم إياي بمانعي أن أنصح لكم، وإني أدلك على الأمر الذي كنت أكايد به معاوية وعمراً فكايدهم به، فإنك إن تكايدهم بغيره تهلك، وحدثه بما كان يصنع، واغتشه محمد، وخالف ما أمره به، فلما استقر محمد نهض بأهل مصر إلى قتال أهل خربتا، وهُزِمَ محمد، ولما قدم قيس بن سعد المدينة خافه مروان والأسود بن البختري حتى إذا خاف أن يؤخذ ويقتل ركب راحلته فلحق بعلي رضي الله عنه.

فكتب معاوية إلى مروان والأسود يتغيظ عليهما ويقول: أمددتما علياً بقيس بن سعد ومكايده، فوالله لو أمددتموه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيساً إلى علي. فلما جاء قتل محمد عرف علي أن قيساً كان يداري أموراً كثيرة، وأن من أشار إليه بعزل قيس لم ينصحه، فبعث الأشتر.

وقد ذكرنا أن قوماً يقولون: إنما بعث محمداً بعد الأشتر، والله أعلم.

ولما انصرف الحكمان بايع أهل الشام معاوية بالخلافة و لم يزدد معاوية إلا قوةً، واختلف الناس بالعراق على عليّ رضي الله عنه، فما كان لمعاوية هم إلا مصر، وكان يرجو أنه إذا أظهر عليها ظهر على حرب علي لعظم خراجها، وكان عمرو بن العاص صالح معاوية حين بايعه على قتال علي رضي الله عنه على أن له مصر طُعْمة ما بقي. فلما أراد معاوية أخذ مصر استشار أصحابه، فقال عمرو: أرى أن نبعث جيشاً كثيفاً عليهم رجل حازم صارم تأمنه وتثق به فيأتي مصر، فإنه سيأتيه من كان على مثل ذلك فتظاهره على عدوك، فقال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال: ما أعلمه، قال معاوية: بلى، فكاتب من بها؛ فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم ونمنيهم قدومنا عليهم، وأما عدونا فندعوهم إلى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا، فإن صلحوا لنا وإلا كان حربهم من وراء ذلك، فقال عمرو: اعمل بما ترى، فوالله ما أرى أمرك وأمرهم يؤول إلا إلى الحرب.

فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري، وإلى معاوية بن حُديج السكوني الكندي، أما بعد: فإن الله تعالى قد ابتعثكما لأمر أعظم به أجركما، ورفع به ذكركما، طلبكما بدم الخليفة، فابشرا برضوان الله. فقدم به رسوله إلى مصر ومحمد بن أبي بكر أميرها، فكتبا إليه: عجل بخيلك ورَجْلك يفتح الله عليك. فبعث عمرو بن العاص في ستة آلاف، فخرج فاجتمع إليه العثمانية، وكتب إلى محمد بن أبي بكر: تنح عني بدمك فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، وكتب إليه معاوية: إني لا أعلم أحداً كان أعظم على عثمان بلاء منك، فلا تظنن أني نائم عنك. فبعث الكتابين إلي علي وكتب إليه: أما بعد، فإن ابن العاص قد نزل أراضي مصر، واجتمع إليه أهل البلد، وقد رأيت من قبلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال والأموال.

فكتب إليه علي: اصبر لعدوك وإن كانت فئتك أقل الفئتين، فإني باعث إليك الناس، وانتدب إلى القوم كنانة بن بشر، وقام علي رضي الله عنه فحث الناس على مصر، فتقاعدوا، فعاد يحثهم، فخرج نحو من ألفين، فقال: أف لكم، وقام محمد خطيباً، فقال: إن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة قد ساروا إليكم بالجنود فمن أراد فليخرج إليهم، انتدبوا رحمكم الله مع كنانة بن بشر. فانتدب معه نحو من ألفي رجل. وخرج محمد في ألفي رجل، وأقبل عمرو فطرد أصحابه كنانة، فبعث إلى معاوية بن حديج فأحاط أصحابه بكنانة فقاتل حتى قتل، وتفرق عن محمد أصحابه، فخرج يمشي حتى انتهى إلى خربة، فأوى إليها، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق، فسألهم: هل مر بكم أحد تستنكرونه؟ فقال أحدهم: لا والله إلا أني دخلت تلك الخربة فإذا فيها رجل جالس، فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة، فدخلوا عليه واستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً وأقبلوا به نحو الفسطاط، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر- وكان في جند عمرو بن العاص- وقال: أيقتل أخي صبراً، ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه، فبعث إليه: إن عمرو بن العاص يأمرك أن تأتيه بمحمد بن أبي بكر، فقال: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر وأخلي أنا عن محمد، هيهات. فقتال محمد: اسقوني من الماء، فقال معاوية: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً، أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه بالنار. فلما بلغ الخبر عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو، وقبضت عيال محمد إليها وولده، وكان القاسم بن محمد في عيالها، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بقتل محمد وكنانة.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، عن أبي القاسم بن أبي عبد الله بن مندة، قال: أخبرنا أبي قراءة عليه، قال: أخبرنا أبو سعيد بن يونس الحافظ، قال: حدثنا أسامة بن أحمد التجريبي، قال: حدَّثني زيد بن أبي زيد بن أبي العمر، عن أحمد بن يحيى ابن زيد، عن إسحاق بن الفرات، عن يحيى بن أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: بعث معاوية بن حديج بمولى له يقال له سليم إلي المدينة بشيراً بقتل محمد بن أبي بكر ومعه قميص محمد بن أبي ودخل به دار عثمان، فاجتمع إليه آل عثمان من رجال ونساء وأظهروا السرور بمقتله، وأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان بكبش يشوى، وبعثت بذلك إلى عائشة وقالت: هكذا شوي أخوك، فلم تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله عز وجل.

وأما محمد بن أبي حديقة فقد زعم قوم أنه قتل بعد قتل ابن أبي بكر. وقال آخرون: بل قتل قبل ذلك في سنة ست وثلاثين، وقد سبق ذكر ذلك فيما قدمنا.

وفي هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر وجه معاوية عبد اللّه بن عمرو بن الحضرمي إلى البصرة، فوجه علي رضي اللّه عنه أعين بن ضبيعة المجاشعي لإخراج ابن الحضرمي من البصرة مدداً لزياد شرح القصة: لما قتل محمد بن أبي بكر خرج ابن عباس من البصرة إلى علي بالكوفة واستخلف زياداً، وقدم ابن الحضرمي من قبل معاوية، فنزل في بني تميم، فأرسل زياداً إلى حُضَين بن المنذر، ومالك بن مسمع، فقال: أنتم يا معاشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين، وقد نزل ابن الحضرمي حيث ترون، وأتاه من أتاه، فامنعوني حتى يأتيني رأي أمير المؤمنين، فقال حضَين: نعم، وقال مالك- وكان رأيه مائلاً إلى بني أمية، وكان مروان لجأ إليه يوم الجمل: هذا أمرٌ لي فيه شركاء، أستشير وأنظر. فلما رأى زياد تثَاقُل مالك خاف أن تختلف ربيعة، فأرسل إلى نافع بن خالد فسأله أن يمنعه، فأشار عليه نافع بصَبرة بن شَيْمان الحُداني، فأرسل إليه زياد فقال: ألا تجيرني وبيت مال المسلمين، قال: بلى إن حملته إلي ونزلت داري، ففعل وحول معه المنبر، وتحول معه خمسون رجلاً، فكان زياد يصلي الجمعة في مسجد الحداني.

وكتب زياد إلى علي رضي الله عنه: إن ابن الحضرمي قد أقبل من الشام، فنزل في بني تميم، ونعى ابن عفان، ودعى إلى الحرب وبايعته تميم وجُل أهل البصرة، ولم يبق معي من أمتنع به، فاستجرت لنفسي ولبيت المال بصبرة بن شيمان، فوجه علي أعين بن ضبيعة، وكتب إلى زياد: إني قد وجهت أعين ليعرض بقومه عن ابن الحضرمي، فإن فرق جمعه فهو ما نريد، وإن ترقت إليهم الأمور فانهض إليهم وجاهدهم، وإن رأيت ممن قبلك تثاقلاً، فدارهم وطاولهم، وكأنك بجنود الله قد أظلتك.

فقدم أعين فأتى زياداً فنزل عنده، ثم أتى قومه فجمع رجالاً ونهض إلى ابن الحضرمي، فدعاهم فشتموه وناوشوه وانصرف عنهم، فدخل عليه قوم فقتلوه، فلما قتل أعين، أراد زياد قتالهم، فأرسل بنو تميم إلى الأزد: إنا لم نعرض لجاركم ولا لأحد من أصحابه، فماذا تريدون من جارنا، وكرهت الأزد القتال، وقالوا: إن عرضوا لجارنا منعناه، وإن كفوا عنا كففنا عن جارهم، فأمسكوا.

وكتب زياد إلى علي بقتل أعين، وأخبره أنه لم يخف معه ممن تقوى به على قتالهم، فكتب إليه علي يصوّب رأيه، وبعث إليه حارثة بن قدامة في خمسين من بني تميم، وشريك بن الأعور في خمسمائة، فقدم حارثة البصرة، فقال له زياد: احذر أن يصيبك ما أصاب صاحبك فسار حارثة إلى قومه فقرأ عليهم كتاب عليّ رضي الله عنه، فأجابه أكثرهم، فسار إلى ابن الحضرمي فحصره في داره ثم أحرق عليه الدار وعلى من معه، وكانوا سبعين رجلاً، وقيل: أربعين، وتفرق الناس، ورجع زياد إلى دار الإمارة.

وكان من الحوادث في هذه السنة إظهار الخريت بن راشد في بني ناجية الخلاف على علي رضي الله عنه.

وذلك أنه كان مع الخريت من بني ناجية ثلاثمائة، وكانوا قدموا على علي من البصرة، فأقاموا معه بالكوفة، وخرجوا إليه يوم الجمل، وشهدوا معه صفين، فلما حكم علي جاءه الخريت فقال: والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك، وإني لمفارق لك. فقال علي: ثكلتك أمك، إذاً تعصي ربك، وتنكث عهدك، ولا تضر إلا نفسك، لم تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكمت في الكتاب، وضعفت عن الحق. ثم أنه فارقه وخرج بأصحابه، فقال زياد بن حفصة: يا أمير المؤمنين، إنا نخاف أن يفسد علينا جماعة كبيرة فأذن لي في اتباعهم أردهم عليك إن شاء الله، قال: فاخرج في آثارهم راشداً، فخرج في آثارهم وقد جمع الخريت جموعاً فاقتتلوا وانهزم الخريت، ثم عاد وجمع واستغوى الناس وحرضهم على قتال علي، فلقيه أصحابه فقتلوه.

وفي هذه السنة.

حج بالناس قُثَم بن العباس بأمر علي رضي الله عنه، وهو عامله على مكة، وكان على اليمن عبيد الله بن العباس، وعلى البصرة عبد الله بن العباس. وأما خراسان فكان عليها خليد بن قرة اليربوعي. وقيل: ابن أبزي.

وأما مصر فكانت بيد معاوية بن أبي سفيان، وعماله عليها من جهته كما ذكرنا في استملاكها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسماء بنت عميس أسلمت بمكة قديماً، وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت له هناك عبد الله، ومحمداً، وعوناً، ثم قتل عنها جعفر فتزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبي بكر، ثم توفي عنها وأوصى أن تغسله، ثم تزوجت بعده بعلي بن أبي طالب، فولدت له يحيى وعوناً.

سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم، أبو سعد: شهد بدراً وأحداً، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت، وجعل ينضح عنه بالنبل، وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد يوم صفين مع علي.
وتوفي بالكوفة في هذه السنة، فصلى علي عليه وكبر عليه خمساً، وقيل: ستاً، وقال: إنه بدري.
صهيب بن سنان بن مالك، أبو يحيى: وأصله من النمر بن قاسط، وكان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على الأبلة، وكانت منازلهم بأرض الموصل، فأغارت الروم عليهم فسبت صهيباً وهو غلام صغير، فنشأ بالروم، فابتاعته كلب منهم، ثم قدمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان منهم، فأعتقه، فأقام معه بمكة إلى أن هلك عبد الله بن جدعان. وبعث النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد الله به من الكرامة، ومن به عليه من الإسلام.
وأما أُهل صهيب وولده فيقولون: بل هرب من الروم حين بلغ، فقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان فأقام معه إلى أن هلك.

وكان صهيب رجلاً أحمر شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، بل هو إلى القصر أقرب، وكان كثير شعر الرأس، وكان يخضب بالحناء، ولما أسلم عذب فصبر، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقال عمر رضي الله عنه لأهل الشورى ليصلي بكم صهيب، فصلى بهم المكتوبات، وقدموه فصلى على عمر رضي الله عنه.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة، عن أبيه، قال: قال عمار بن ياسر: لقيت صهيباً بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقلت: ما تريد؟ فقال: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، قال: فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون. فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضع وثلاثين رجلاً.
قال محمد بن سعد: وأخبرنا سليمان بن حرب، وعفان، وموسى بن إسماعيل، قالوا: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرني علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: أقبل صهيب نحو المدينة مهاجراً، واتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته، ثم قال: يا معاشر قريش، لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فافعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي، ففعل، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع " قال: ونزل قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاس منْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاةِ اللهِ واللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ".
توفي صهيب في هذه السنة، وهو ابن سبعين سنة، ودفن بالبقيع في المدينة.
صفوان بن بيضا- أخو سهيل: شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في رمضان هذه السنة، وليس له عقب.
محمد بن أبي بكر: وقد ذكرنا صفة قتله، وإن معاوية بن حديج أحرقه بالنار، وكان قتله في صفر من هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فمن الحوادث فيها تفريق معاوية جنوده في أطراف علي رضي الله عنه ومن ذلك: أنه وجه النعمان بن بشير في ألفي رجل إلى عين التمر، وكان بها مالك بن كعب مسلحة لعلي في ألف رجل، فأذن لهم علي فأتوا الكوفة، وأتاه النعمان و لم يبق معه إلا مائة رجل، فكتب مالك إلى علي يخبره بأمر النعمان ومن معه، فخطب علي بالناس وأمرهم بالخروج، فتثاقلوا، فقال: يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بجيش من جيوش الشام أظلكم، انجحرى كل امرئ منكم في بيته انجحار الضب في جحره، والضبع في وجارها؛ المغرور والله من غررتموه، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب: لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النخاء، إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا منيت به منكم. وواقع مالك النعمان بن بشير في تلك العصابة القليلة، فوجه إليه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك واصحابه، وقد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا، فلما رآهم أهل الشام ظنوا أن لهم مدداً وانهزموا، وتبعهم مالك، فقتل منهم ثلاثة نفر، ومضوا على وجوههم.

ومن ذلك: أنه وجه معاوية في هذه السنة سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل، وأمره أن يأتي هيت ويمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها. فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وبها مَسلَحة لعلي تكون خمسمائة رجل، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائة رجل، فقاتلهم، فصبر لهم أصحاب علي مع قلتهم ثم حملت عليهم الخيل والرجالة فقتلوا صاحب المسلحة، وهو أشرس بن حسان البلوي في ثلاثين رجلاً، وحملوا ما كان في الأنبار من الأموال ورجعوا إلى معاوية وبلغ الخبر علي، فخرج حتى أتى النخَيلة، فقال له الناس: نحن نكفيك؛ قال: ما تكفونني ولا أنفسكم؛ وسرح سعيد بن قيس في أثر القوم، فخرج في طلبهم حتى جاز هيت، فلم يلحقهم فرجع.

ومن ذلك: أنه وجه معاوية في هذه السنة عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تَيْماء، وأمره أن يُصَدِّق من مر به من أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة ماله، ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز يفعل ذلك. واجتمع إليه خلق كثير من قومه، فلما بلغ ذلك عليًّاً رضي الله عنه وجه المسيب بن نجية الفَزَاري في ألفي رجل، فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيماء، فاقتتلوا حتى زالت الشمس قتالاً شديداً، فدخل ابن مسعدة وعامة من معه إلى الحصن وهرب الباقون نحو الشام، وانتهبت الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره ومن كان معه المسيب ثلاثة أيام، ثم ألقى الحطب على الباب وألهب فيه النار، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا على المسيب فقالوا: يا مسيب، قومك، فرق لهم، فأمر بالنار فأطفئت، وخرج ابن مسعدة ليلاً بأصحابه فلحقوا بالشام.

ومن ذلك: أنه وجه معاوية في هذه السنة الضحاك بن قيس وأمره بالمرور بأسفل واقصة، وأن يغير على كل من مر به ممن في طاعة علي رضي الله عنه من الأعراب، ووجه معه ثلاثة آلاف رجل، فسار وأغار على مسالح علي رضي الله عنه، وأتى على عمرو بن عميس بن مسعود، وكان في خيل علي وهو يريد الحج، فأغار على من كان معه، وحبسه عن المسير، فلما بلغ ذلك علياً سرّح حُجْر بن عدي الكندي في أربعة آلاف، فلحق الضحاك بتدْمُر، فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجلان، وحال بينهم الليل، فهرب الضحاك وأصحابه، ورجع حُجْر ومن معه.

وفي هذه السنة وجه ابن عباس زياداً عن أمر علي رضي اللّه عنه إلى فارس وذلك أنه لما قتل ابن الحضرمي اختلف الناس على علي رضي الله عنه، وطمع أهل فارس وأهل كرمان، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم وأخرجوا عمالهم، فاستشار علي رضي الله عنه

في رجل يوليه فارس حين امتنعوا من أداء الخراج، فقال له جارية بن قدامة: ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأي، عالم بالسياسة، كافٍ لِمَا ولِيَ؟ قال: من هو؟ قال: زياد، قال: هو لها، فولاه فارس وكرمان، ووجهه في أربعة آلاف، فدوَّخ تلك البلاد حتى استقاموا وأدوا الخراج.

فقال أهل فارس: ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي. وذلك أنه لما قدم فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناهم، وخوف قوماً وتوعدهم، وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عورة بعض، فهربت طائفة وأقامت طائفة، وقتل بعضهم بعضاً، وصفت له فارس، فلم يلق فيها حرباً، وفعل مثل ذلك بكرمان، ثم رجع إلى فارس، فسار في كورها ومناهم فسكن الناس إلى ذلك، واستقامت له البلاد، وأتى اصطخر فترلها وحصن قلعتها، وحمل إليها الأموال فكانت تسمى قلعة زياد، ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور اليشكري، فهي اليوم تسمى قلعة منصور.

وفي هذه السنة سار معاوية إلى دجلة ونظر إليها ثم رجع.

واختلف العلماء فيمن حج بالناس في هذه السنة، فقيل: عبيد الله بن عباس، وقيل: عبد الله بن عباس.

قال الواقدي: بعث عليّ رضي الله عنه على الموسم سنة تسع وثلاثين عبد الله بن عباس، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ليقيم الحج للناس، فلما اجتمعا بمكة تنازعا و لم يسلم أحد منهما إلى صاحبه، فاصطلحا على شيبة بن عثمان ابن أبي طلحة.

وكان عمال علي رضي الله عنه في الأمصار في هذه السنة الذين ذكرنا أنهم كانوا عماله في سنة ثمان وثلاثين، غير أن ابن عباس كان شخص في هذه السنة عن عمله بالبصرة، واستخلف زياد بن سمية على الخراج، وأبا الأسود الدؤلي على القضاء في البصرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سعد القرظ، مولى عمار بن ياسر كان يؤذن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه بقباء، فلما ولي عمر رضي الله عنه أنزله المدينة وكان يؤذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوارث أولاده الأذان بعده، وكان يحمل العترة بين يدي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في العيد.

عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود البدري: قد ذكر جماعة من العلماء أنه شهد بدراً، والصحيح أنه لم يشهدها، وإنما نزل ماء بدر فقيل البدري أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا أبو سعيد الصيرفي، قال: سمعت ألا العباس أبا العباس بن محمد الدوري يقول:

قيل ليحيى بن معين: أبو مسعود البدري شهد بدراً؟ فقال: ما شهد بدراً وشهد العقبة.

أنبأنا القزاز،قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا علي بن محمد السمسمار، قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان الصفار، قال: حدثنا عبد الباقي بن نافع: أن أبا مسعود البدري توفي سنة تسع وثلاثين.

ثم دخلت سنة أربعين

فمن الحوادث فيها توجيه معاوية بسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز فساروا من الشام إلى المدينة وعامل علي رضي الله عنه على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري، ففر منهم أبو أيوب فأتى عليًا بالكوفة، ودخل بسر المدينة، فصعد منبرها، و لم

يقاتله بها أحد، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه. وأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي من أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ، فقال لها: إني خشيت أن أقبل وهذه بيعة ضلالة، قالت: أرى أن تبايعِ فإني قد أمرت ابني عمرو بن أبي سلمة أن يبايع، فأتاه جابر فبايعه. وهدم بسر دوراً بالمدينة، ثم مضى حتى أتى مكة، ثم مضى إلى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس عامل علي رضي الله عنه ففر إلى الكوفة حتى أتى علياً رضي الله عنه، واستخلف مكانه عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه وقتل جماعة من شيعة علي رضي الله عنه.

وبلغ خبره إلى علي رضي الله عنه، فوجه حارثة بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار حارثة حتى أتى نجران، فأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة، ثم سار إلى المدينة وأبو هريرة يصلي بالناس، فهرب منه.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا الحسين بن عبد الجبار، قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد بن سويد، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن النضر، قال: حدثنا معاوية بن عمرو، قال: حدثنا زائدة عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن زهير بن الأرقم- أو ابن الأقمر قال: خطب بنا علي رضي الله عنه يوم جمعة فقال: نبئت أن بسراً قد طلع اليمن، وإني والله أحسب أن سيظهر هؤلاء القوم عليكم وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم لإمامكم وطاعتهم، وخيانتكم وأمانتهم، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم، قد بعثت فلاناً فخان وغدر، وبعثت فلاناً فخان وغدر، وحمل المال إلى معاوية حتى لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته، اللهم قد أمتهم أسيموني، وكرهتهم وكرهوني، اللهم فأرحني منهم وأرحهم مني، فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل.

وفي هذه السنة جرت بين علي رضي اللّه عنه ومعارة مهادنة بعد مكاتبات كثيرة على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق، ولمعاوية الشام، ولا يدخل أحدهما على صحبه في حملة بجيش ولا غارة.

قال ابن إسحاق: لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة، كتب معاوية إلى علي رضي الله عنه: أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام، وكف هذا السيف عن هذه الأمة ولا ترق دماء المسلمين. ففعل ذلك علي رضي الله عنه، وتراضوا على ذلك.

وفي هذه السنة خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولحق بمكة وذلك أنه جرى بينه وبين أبي الأسود كلام، فكتب أبو الأسود إلى علي رضي الله عنه: إن ابن عمك قد أكل ما تحت يده بغير علمك، فلم يسعني كتمانك ذلك، فكتب إلى ابن عباس في ذلك، فكتب ابن عباس: إن الذي بلغك باطل، فكتب إليه: فأعلمني ما أخذت؟ ومن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟. فكتب ابن عباس: ابعث إلى عملك من أحببت، فإني ظاعن عنه. ورحل بمال.

قال أبو عبيدة: كانت أرزاقاً قد اجتمعت.

وقال أبو عبيدة في رواية أخرى: إن ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قتل عليّ رضي الله عنه، فشخص إلى الحسن فشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البصرة وثَقَلُه بها فحمله وحمل مالاً من بيت المال قليلاً، وقال: هي أرزاقي.

وقد أنكر المدائني هذا وقال: إِن علياً قتل وابن عباس بمكة، وإن الذي شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيد الله بن العباس.

وفي هذه السنة قتل علي رضي الله عنه

وكان عامله في هذه السنة على مكة والطائف قثم بن العباس، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري، وقيل سهل بن حنيف حتى كان

من أمر بسر بن أرطأة ما تقدم ذكره. وكان عامله على البصرة عبد الله بن العباس على خلاف قد سبق ذكره.
فلما قتل علي رضي الله عنه بويع للحسن بن علي عليهما سلام الله.

ذكر خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما

وكان يكنى أبا محمد، وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد في رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذنه، وعق عنه بكبش وسماه حسناً، وكان علي رضي الله عنه قد سماه حرباً. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ابني هذا سيد" وحج خمس عشرة حجة ماشياً وخرج لله من ماله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: علي بن القاسم الشاهد، قال: حدثنا علي بن إسحاق المادرائي، قال: أخبرنا جعفر، قال: حدثنا قبيصة، قال: حدثنا سفيان، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة، عن عقبة بن الحارث، قال: رأيت أبا بكر يحمل الحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهاً بعلي، وعلي معه يتبسم.. ".
أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، أخبرنا أبو عمر بن مهدي، حدَّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، حدثنا محمد بن إِسماعيل الراشدي، حدثنا علي بن ثابت العطار، حدثنا عبد الله بن ميسرة، وأبو مريم لأنصاري، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم حاملاً الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه ".
أنبأنا عبد الوهاب الأنماطي، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدثنا عثمان بن أحمد، قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء قال: أرخى الحسن بن علي رضي الله عنهما ستره على مائتي حرة.

ذكر مبايعة الحسن رضي الله عنه

أول من بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتال المخالفين، فقال له الحسن: على كتاب الله وسنة رسول الله، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت.
قال الزهري: كان تحت يد قيس بن سعد في زمان علي أربعون ألفاً، فلما قتل واستخلف الحسن، كان الحسن لا يريد القتال وإنما أراد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة، وعلم أن قيساً لا يوافقه على رأيه، فنزعه وأمر عبيد الله بن عباس، فلما علم عبيد الله بالذي يريد الحسن كتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التي أصاب، فشرط له معاوية ذلك.
ذكر خروج الحسن لحرب معاوية قال إسماعيل بن راشد: لما بايع الناس الحسن خرج بالناس حتى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد بن عبادة على مقدمته في اثني عشر ألفاً، فأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مَسكِن، فبينا الحسن في المدائن إذ نادى منادي العسكر: ألا إن قيس بن سعد قد قتل، فانفروا، فنفروا ونهبوا، سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً كان تحته، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان عم المختار بن أبي عبيد- واسمه سعد بن مسعود- عاملاً على المدائن، فقال له المختار وهو غلام

شاب: هل لك في الغِنَى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تُوثِق الحسن وتستأمن به إلى معاوية، فقال له سعد: عليك لعنة الله. فلما رأى الحسن تفرق الناس عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح. ثم قام الحسن في أهل العراق فقال: يا أهل العراق إن شحي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي.

قال هلال بن خباب: لما قتل علي لاضي الله عنه توجه الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى المدائن، فلحقهما الناس بساباط، فحمل على الحسن رجل فطعنه في خاصرته، فسبقهم حتى دخل قصر المدائن، فاو لم فيه نحواً من أربعين ليلة، ثم وجه ألى معاوية فصالحه.

وحج بالناس في هذه السنة المغيرة بن شعبة، وأظهر أن معاوية أمره ذلك.

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء

قال سعيد بن عبد العزيز: كانت رضي الله عنه يدعي بالعراق أمير المؤمنين، وكان معاوية يدعي بالشام الأمير، فلما قتل علي رضي الله عنه دعي معاوية بأمير المؤمنين.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم القبطي، مولى رسول الله، يكنى أبا رافع شهد فتح مصر واختط بها، وروى عنه من أهلها علي بن رباح، وصار أبو رافع بعد ذلك إلى علي بن أبي طالب، فولاه بيت مال الكوفة. وتوفي بالكوفة في هذه السنة رضي الله عنه.

الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة، أبو محمد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة، ثم رجع إلى اليمن، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد فأخذ وحمل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه مقيداً، فأسلم ومن عليه وزوجه أخته.

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد مع سعد قتال الفرس بالعراق، وكان على راية كندة بصفين مع علي رضي الله عنه، وحضر قتال الخوارج بالنهروان، وورد المدائن ثم عاد إلى الكوفة فأقام بها حتى مات في الوقت الذي صالح فيه الحسن معاوية، وتوفي ابن ثلاث وستين سنة.

بشير بن عبد المنذر، أبو لبابة: رده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروحاء حين خرج إلى بدر، واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدها، وشهد أحداً، واستخلفه على المدينة حين خرج إلى غزاة السويق، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزاة الفتح، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد، ولما استشاروه ببني قريظة أشار إليهم أنه الذبح، ثم ندم فارتبط إلى اسطوانة حتى تاب الله عليه.

تميم بن أوس بن خارجة بن سويد الداري، ويكنى أبا رقية: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة الداريين عند منصرفه من تبوك، فأقاموا حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني العطاف بن خالد، عن

خالد بن سعيد، قال: قال تميم الداري: كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إلى بعض حاجتي، فأدركني الليل، فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة. قال: فلما أخذت مضجعي إذ مناد ينادي لا أراه: عِذ بالله فإن الجن لا تجير أحداً على الله، فقلت: ما تقول؟ قال: قد خرج رسول الله الأمين وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه ووهن كيد الجن ورميت بالشهب، وانطلق إلى محمد فأسلم، فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهباً وأخبرته الخبر، فقال: قد صدقوك، نجده قد خرج من الحرم وهو خير الأنبياء فلا تسبق إليه، قال: فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول صلى الله عليه وسلم وأسلمت.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: أخبرنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، قال: كان تميم الداري يختم القرآن في سبع ليال.

قال علماء السير: استأذن تميم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقص على الناس، فأذن له، فلما قتل عثمان رضي الله عنه تحول إلى الشام.

الحارث بن خزمة بن عدي بن أبي بن غنم، أبو بشير: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في هذه السنة، وهو ابن سبع وستين سنة.

خارجة بن حذافة بن غانم: شهد الفتح بمصر، واختط بها، وكان أمير المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب. وكان على شرطة مصر في إمرة عمرو بن العاص لمعاوية، قتله خارجي بمصر وهو يظن أنه عمرو بن العاص.

خوات بن جبير، أبو عبد الله، وقيل أبو صالح الأنصاري المديني: صاحب ذات النحْيَيْنِ في الجاهلية التي ضرب بها المثل، فقيل: "أشْغَلُ مِنْ ذات النحيين".

أسلم خوات وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، فأصابه بالروحاء حجر، فكسر، فرده النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وضرب له بأجره وبسهمه فكان كمن شهدها.

وذكر البخاري في تاريخه: عن ابن عيينة أنه شهد بدراً.

وقد شهد أحداً والمشاهد بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأما قصة ذات النحيين:

فأنبأنا أبو الفضل محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الأشبيلي، وأبو الحسن الحصيب بن عبد الله بن محمد القاضي، وأبو علي محسن بن جعفر بن أبي الكرام، قالوا: أخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود المنقري البصري، قال: حدَّثني عيسى بن إبراهيم، قال: حدثنا عفيف بن سالم الموصلي، عن عثمان بن واقد، قال: قال خوات بن جبير: كنت صاحب ذات النحيين في الجاهلية- والنحي الزق الصغير- وإني أتيت سوق عكاظ فإذا أنا بجارية معها نِحْيان من سمن كأنها فلقة قمر، فقلت لها: من أنت؟ قالت: أنا سلمى بنت يعار الخثعمية، فقلت: لعل سمنك هذا مشوباً؟ فقالت: سبحان الله، أو تشيب الحرة؟ فقلت لها: انزلي إلى بطن الوادي لأذوق سمنك، فنزلت فأخذت إحدى النحْيَيْنِ فذقته، ثم قلت لها: ما هذا بمشوب، ثم دفعته إليها في يدها مفتوحاً، ثم أخذت الآخر فذقته ثم دفعته إليها في يدها اليسرى، ثم شددت عليها فقضيت منها حاجتي، وكرهت أن ترسله، وكان قوت أهلها، فذهبت

مثلاً: "أشغل من ذات النّحْيَين" ثم أسلمت وهاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما أنا في بعض طريق المدينة إذا أنا ببغي من بغايا الجاهلية قد كانت لي خلاً فحجبني إسلامي عنها، ودعتني نفسي إليها، فلم أزل ألتفت إليها حتى تلقاني جدار بني جذرة، فسالت الدماء وهشم وجهي، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم على تلك الحالة، فقال: "مهيم" فأخبرته، فقال: "فلا تعد، إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا.

ثم مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ليالٍ وأنا جالس مع نسوان من نسوان أهل المدينة تناشدنني وتضاحكنني وتمازحنني، قال: فعلمت أنه قد رآني، قال: فمضى و لم يقل شيئاً، فلما أن كان من الغد غدوت عليه، فلما رآني قال: "يا خوات أما آن لذلك البعير أن يرجع عن شروده " قال: قلت: والله يا رسول الله ما شرد منذ أسلمت، قال: "صدقت إلى ذلك المجلس فإنه مجلس الشيطان".

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: قد فسر هذا الحديث أبو عبيدة الهروي وقال: عرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصته مع ذات النحْيَيْنِ. قال: وأراد بقوله: "شروده " أنه لما فعل ذلك شرد في الأرض خوفاً، وليس هذا بشيء، فإنه ما كان ليعيره بشيء كان في الجاهلية وإنما لامه على مجالسته النسوان بعد الإسلام. وقد روى ذلك لنا في حديث أبين من هذا.

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور، قال: أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدي، قال: حدثنا زكريا بن يحيى بن الحارث البصري، قال: حدثنا وهب بن جرير، عن أبيه، قال: سمعت زيد بن أسلم يحدث أن خوات بن جبير، قال: نزلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران، فخرجت من خبائي، فإذا أنا بنسوة يتحدثن فأعجبني فرجعت، فاستخرجت حلة من عيبتي فلبستها، ثم جلست إليهن فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبته، فقال لي: "يا عبد الله ما يجلسك إليهن"؟ قال: فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله جملٌ لي شرود أبتغي له قيداً قال: فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعته، فألقى إلي رداءه ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال: "أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟ " قال: فتعجلت إلى المدينة، فاجتنبت المسجد ومجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما طال ذلك علي تحينت ساعة خلوه للمسجد فجعلت أصلي، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجاء فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: "طول يا أبا عبد الله ما شئت، فلست بنازح حتى تنصرف" فقلت: والله لأعتذرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبرئن صدره. قال: فانصرفت، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: "أبا عبد الله ما فعل شراد الجمل؟ " فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت، فقال: "رحمك الله" مرتين أو ثلاثاً، ثم أمسك عني فلم يعد.

توفي خوات بن جبير بالمدينة في هذه السنة وهو ابن أربع وسبعين سنة، وكان رَبْعة من الرجال.

علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه:

كان السبب في قتله أن عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم، ثم ذكروا أمر النهر فترحموا عليهم، وقالوا: والله ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا، كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وأخذنا بثأر إخواننا. فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب، وكان من أهل مصر. وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا

وتواثقوا لا يَنْكُص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه. وأقبل كل منهم إِلى المصر الذي هو فيه يطلبه.

فأما ابن ملجم وكان عداده في كنده، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة، وكاتمهم أمره كراهية أن يظهروا شيئاً من أمره، ثم أنه رأى ذات يوم أصحاباً له من تيم الرباب- وكان علي رضي الله عنه قتل منهم يوم النهر عدة فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: "قطام ". وقد قتل علي أباها وأخاها يوم النهر- وكانت فائقة الجمال- فلما رآها التبست بعقله ونسي حاجته التي جاء لها، فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشتفي لي، قال: وما تشائين، قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة، وقتل علي فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إِلا قتل عليّ " فلك ما سألت " قالت: إني أطلب لك من يسند ظهرك ويساعدك على أمرك، وبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: "وردان " فكلمته، فأجابها، فأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ فقال: وما ذاك؟ قال: قتل علي، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً فرياً إذاً، كيف تقدر على علي؟ قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا بأنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير علي أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجدني أنشرح صدراً لقتله. قال: أتعلم أنه قتل أهل العباد المصلين، قال: بلى، قال: فنقتله بمنْ قتل من إخواننا فأجابه، فجاؤا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة، فقالوا: قد اجتمع رأينا على قتل علي، قالت: فإذا أردتم ذلك فأتوني، فعادوا ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي، فقال: هذه الليلة التي واعدت فيها أن يقتل كل واحد منا صاحبه، فأخذوا أسيافهم ووقفوا مقابل السدة التي يخرح منها عليّ رضى الله عنه، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه في الطاق، وضربه ابن ملجم بالسيف. وهرب وردان حتى دخل مترله، فدخل عليه رجل، فقال: ما هذا السيف، فأخبره فقتله، وخرج شبيب نحو أبواب كنده في الغلس، وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت- يقال له عويم-وفي يد شبيب السيف، فأخذه، فلما رأى الناس قد أقبلوا وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا بنفسه، ونجا شبيب في غمار الناس، فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه. وتأخر علي ودفع في ظهر جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، ثم قال علي رضي الله عنه: علي بالرجل، فأدخل عليه فقال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك؟ قال: بلى، قاد: فما حملك على هذا؟ قال: شحذت سيفي هذا أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال: لا أراك إلا مقتولاً له، ولا أراك إلا من شر خلق الله.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا الحسن بن محمد النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سويد، قال: حدَّثنا ابن الأنباري، قال: حدُّثني أبي، قال: حدَّثنا أحمد بن عبيد، عن الهيثم، قال: حدثني رجل من بجيلة، عن مشيخة قومه: إن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها:، قطام، كانت من أجمل النساء، ترى رأي الخوارج، قد قتل قومها على هذا الرأي يوم النهروان، فلما أبصرها عشقها فخطبها، فقالت: لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف، وقتل علي بن أبي طالب، فتزوجها على ذلك، فلما بنى بها قالت: يا هذا قد فَرَعت فافرَع، فخرج ملتبساً سلاحه، وخرجت فضربت له قبة في المسجد، وخرج علي رضي الله عنه يقول: الصلاة الصلاة، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه، فقال الشاعر في ذلك:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام بيناً غير معجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بالحسام المصَمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني علي بن القاسم البصري، قال: حدثنا علي بن إسحاق المادرائي، قال: أخبرنا الصنعاني محمد بن إسحاق، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبان الوراق، قال: حدثنا ناصح أبو عبد الله المحلمي، عن سماك، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: "من أشقى الأولين؟" قال: عاقر الناقة، قال: " فمن أشقى الآخرين؟ " قال: الله ورسوله أعلم، قال:" قاتلك ".

قال محمد بن الحنفية: والله إني لأصلي في تلك الليلة التي ضرب فيها علي في رجال كثيرة ما هم إلا قياماً وركوعاً وسجوداً، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، إذ نظرت إلى بريق السيف، وسمعت: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً وسمعت عليًا يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب، فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل إلى علي رضي الله عنه، فدخلت فيمن دخل، فسمعت عليًا يقول: النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي وكان ابن ملجم مكتوفاً بين يدي علي رضي الله عنه، فنادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي والله، ويلك قتلت أمير المؤمنين، قال ما قتلت إلا أباك، قالت: إني لأرجو ألا يكون عليه بأس، قال: فما لك تبكين، والله سممته شهراً، ولو كانت هذه الضربة بجميع أهل الأرض ما بقي منهم أحد.

قالوا: يا أمير المؤمنين: إن فقدناك أنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ثم دعا حسناً وحسيناً، فقال: أوصيكم بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض.

وذلك في رمضان، وغسله الحسن والحسين عليهما السلام، وعبد الله بن جعفر، وكفن في ثلاثة أثواب وكبر عليه الحسن تسع تكبيرات.

أخبرنا الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا شريك عن عمران بن ظبيان، عن أبي يحيى، قال: لما ضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه قال عليّ رضي الله عنه: افعلوا له كما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل برجل أراد قتله، فقال: اقتلوه، ثم حرقوه.

وذكر أبو الحسن المدائني أن ابن ملجم لما ضرب عليّ بن أبي طالب، قال ابن ملجم: "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة اللّه" . وآخر ما تكلم به علي رضي الله عنه "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ".

فصل

واختلف العلماء في وقت قتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. فقال أبو معشر والواقدي: قتل يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان.

وقال المدائني: يوم الجمعة لإحدى عشرة. قال: وقد قيل في ربيع الآخر.

فصل

واختلف في سن عليّ رضي الله عنه:

فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أقال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي، قال: حدَّثنا أبو بكر عبد الله بن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما: كم كان سن علي رضي الله عنه يوم قتل؟ قال: ثلاثاً وستين سنة، قلت: أين دفن؟ قال: بالكوفة ليلاً وقد غُبِّي عني دفنه.

وفي رواية عن جعفر بن محمد، قال: كان سن عليّ رضي الله عنه ثمانياً وخمسين سنة.

وذكر محمد بن سعد: إنه لما مات علي رضي الله عنه أخرج ابن ملجم من الحبس، فقالوا: نشفي نفوسنا منه، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع و لم يتكلم، فكحل عينيه بمسمار محمي فلم يجزع، وأخرج لسانه ليقطع، فجزع وقال: أكره أن أكون في الدنيا فواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه ثم أحرقوه.

فصل واختلفوا في موضع دفنه عليه السلام.

فأخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا حمزة بن محمد بن طاهر، قال: أخبرنا الوليد بن بكر، قال: حدثنا علي بن أحمد بن زكريا، قال: حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي، قال: حدثني أبي، قال: علي بن أبي طالب قتل بالكوفة، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وقتل عبد الرحمن الحسن بن علي، ودفن بها، ولا يعلم أين موضع قبره.

وفي رواية: أنه دفن مما يلي قبلة المسجد.

وقيل: عند قصر الإمارة.

وقالا أبو نعيم الفضل بن دكن: حوله ابنه الحسن إلى المدينة، فدفن بالبقيع عند قبر فاطمة عليها السلام.

وفي رواية: أُنهم خرجوا به يريدون المدينة، فضل البعير الذي هو عليه، فأخذته طيء يظنونه مالاً. فلما رأوه دفنوا الصندوق بما فيه.

كان هذه الروايات رواها أبو بكر الخطيب.

وقال: حكى لنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت أبا بكر الطلحي يذكر أن مطيناً كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر من هذا لرجمته بالحجارة؟ هذا قبر المغيرة بن شعبة.

والله أعلم أي الأقوال أصح.

أما البرك بن عبد اللّه: فإنه مضى تلك الليلة، فقعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه فوقع السيف في أليته، فأخذ، فقال له: إن عندي خبراً أسرك به، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخاً لي قتل عليًّا في هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى، إن علياً يخرج ليس معه أحد يحرسه، فأمر به معاوية فقتل.

وبعث معاوية إلى الطبيب، فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة وأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع عنك الولد وتبرأ، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ و لم يولد له بعدها. وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورة، وحرس الليل، وقيام الشرطة على

رأسه إذا سجد.

وأما عمرو بن بكر: فجلس لعمرو تلك الليلة فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته، فخرج ليصلي، فشدد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه، فأخذه الناس وانطلقوا به إلى عمرو، فقال: من هذا؟ فقالوا: عمرو، قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة، قال: أما والله يا فاسق ما أردت غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة. فقتله عمرو.

لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عقيل الشاعر: كان يقال لأبيه ربيعة المقترين، لجوده وسخائه، قدم في وفد فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم وذلك بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل، ثم هاجر وحسن إسلامه، ونزل الكوفة في أيام عمر، وكان من الشعراء المجودين في الجاهلية وفي الإسلام. وقال له المغيرة: أنشدني ما قلت من الشعر في الجاهلية والإسلام، فقال: قد أبدلني الله بذلك سورة البقرة وآل عمران.

وقال أبو عبيدة: لم يقل لبيد في الإسلام إلا بيتاً واحداً، وهو هذا:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى لبست من الإسلام سربالا

قال عمرو بن شيبة، حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم، قال: كان لبيد من أجواد العرب، وكان قد آلى ألا تهب الصبا إلا أطعم، وكان له جفنتان يُغْدَا بهما ويراح في كل يوم على أهل مسجد قومه، فهبت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس، ثم قال: إن أخاكم لبيد بن ربيعة نذر في الجاهلية ألا تهب الصبا إلا أطعم، وهذا يوم من أيامه، وقد هبت الصبا فأعينوه، وأنا أول من فعل، ثم نزل عن المنبر، فأرسل إليه بمائة بكرة، وكتب إليه بأبيات قالها:

ما أرى المجزار يشحذ شفرتيه ... إذا هبت رياح أبي عقيل

أشم الأنف أصيد عامري ... طويل الباع كالسيف الصقيل

فقال لابنته: أجيبيه، فلعمري لقد عشت برهة وما أنحني بجواب شاعر، فقالت:

إذا هبت رياح أبي عقيل ... دعونا عند هبتها الوليد

أشم الأنف أروع عبشمياً ... أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركباً ... عليها من بني حام قعودا

أبا وهب جزاك الله خيراً ... نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد إن الكريم له معادٌ ... وظني بابن أروى أن تعودا

فقال لبيد: لقد أحسنت لولا إنك استطعمتيه فقالت: إن الملوك لا تستحي من مسألتهم، فقال: وأنت في هذا يا بنية أشعر.

ولما بلغ لبيد سبعاً وسبعين سنة، قال:

باتت تشكِّى إلي النفس مجهشة ... وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فإن تراءى ثلاثاً تبلغي أملاً ... وفي البلاد وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين، قال:

كأني قد جاوزت تسعين بعدما ... خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ مائة وعشراً قال:

أليس في مائه قد عاشها رجل ... وفي تكامل عشر بعدها عمر

فلما جاوزها قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط: أسلمت بمكة، وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلى المدينة، هاجرت في هدنة الحديبية.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن بيان، قال: أخبرنا أبو منصور أحمد بن محمد السواق، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك، قال: أخبرني إبراهيم الحربي، قال: حدثنا محمد بن صالح، عن محمد بن عمر، عن ربيعة بن عثمان وقدامة، قالا: لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم.

قالت: كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي فأقيم بها الثلاث والأربع، وهي ناحية التنعيم، ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية، حتى أجمعت المسير، فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية، فلما رجع من تبعني إذا رجل من خزاعة قال: أين تريدين؟ قلت: وما مسألتك ومن أنت؟ قال رجل من خزاعة إطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده- فقلت: إني إمرأة من قريش، وإني أريد اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا علم لي بالطريق، فقال: أنا صاحبك حتى أوردك المدينة، ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقود بي البعير، ولا والله ما يكلمني بكلمة حتى إذا أناخ البعير تنحى عني، فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيد بالشجر، وتنحى إلى فيء شجرة حتى إذا كان الرواح خدج البعير فقربه وولى عني، فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل، فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيراً، فدخلت على أم سلمة وأنا متنقبة، فما عرفتني حتى كشفت النقاب فالتزمتني وقالت: هاجرت إلى الله وإلى رسوله؟ قلت: نعم، وأنا أخاف أن يردني كما رد أبا جندل وأبا بصير، وحال الرجال ليس كحال النساء، والقوم مصبحي قد طالت غيبتي عنهم اليوم خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب ثم يطلبوني فإن لم يجدوني رحلوا. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة، فأخبرته خبر أم كلثوم، فرحب بها وسهل، فقلت: إني فررت إليك بديني فامنعني ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة وضعف النساء على ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين حتى امتنع أحدهما، فقال: "إن الله عز وجل نقض العهد في النساء" وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم وكان يرد النساء، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد، فقالا: أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: "قد نقض الله ذلك " فانصرفا.

قال مؤلف الكتاب: ومعنى نقض العهد في النساء، نزول الامتحان في حقهن، وذلك أنه كان يقول للمرأة: والله ما أخرجك إلا حب والله ورسوله والإسلام، ولا خرجت لزوج ولا مال، فإذا قالت ذلك تركت و لم ترد.

وكانت أم كلثوم عذراء، فتزوجها زيد بن حارثة، فلما قتل عنها، تزوجها الزبير فولدت له، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له، ثم تزوحها عمرو بن العاص فماتت عنده..

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

فمن الحوادث فيها:

تسليم الحسن رضي الله عنه الأمر لمعاوية

وذلك أن الحسن لما تفرق الناس عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح، فبعث معاوية إليه عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة، فقدما عليه المدائن، فأعطياه ما أراد وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها، وكان معاوية قد أرسل إليه قبل ذلك صحيفة بيضاء وكتب إليه اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فاشترط أضعاف الشروط التي سألها معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده وأمسك معاوية صحيفة الحسن التي كتب إليه فيها، فلما اِلتقيا سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في الصحيفة، فأبى معاوية وقال: لك ما كنت تسألني.

وكان الصلح بينهم بمسكن، ثم دخلوا الكوفة، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: مر الحسن أن يقوم فيخطب، فكره معاوية ذلك وقال: ما تريد بهذا؟ قال: أريد أن يبدو عيه في الناس. فخرج معاوية فخطب ثم قال: قم يا حسن فتكلم، فقام فقال: أما بعد، فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، والدنيا دوَل، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: "وَإِنْ أدرِي لعَلَّه فِتْنَة لَكمْ وَمَتَاعُ إِلَى حِينٍ" . فقال معاوية: اجلس.

ثم خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر من الكوفة إلى المدينة، وسلم الكوفة إلى معاوية لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين.

وقيل في ربيع الآخر، ويقال: في غرة جمادى الأولى.

ولما رحل الحسن تلقاه قوم فقالوا: يا مذل العرب.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكمي قال: حدَّثنا عباس بن محمد، قال: حدثنا أسود بن عامر، قال: حدثنا زهير بن معاوية، قال: حدثنا أبو روق الهمذاني، قال: أخبرنا أبو العريف، قال:

كنا على مقدمة الحسن بن علي في اثني عشر ألفاً بمسكن مستميتين من الجد على قتال أهل الشام وعلينا أبو العمرطة، فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ، فلما قدم الحسن بن عليّ على الكوفة، قال له رجل منا يقال له أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك.

باب ذكر خلافة معاوية

وهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة، واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكان أخيه يزيد لما مات، فلم يزل كذلك خلافة عمر، وأقره عثمان وأفرد له جميع الشام، وقد ذكرنا ما جرى له مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من القتال ومصالحة الحسن إياه، ومبايعته له بالخلافة، وذلك في سنة إحدى وأربعين، فسمي عام الجماعة، فاستعمل على القضاء فضالة بن عبيد، فلما مات استقضى أبا إدريس الخولاني، وكان على شرطته قيس بن حمزة، وكان كاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور الرومي.

وكان معاوية أول من اتخذ الحرس، وأول من حزم الكتب ثم ختمها؛ لأنه كان قد أمر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم ففض عمرو الكتاب وجعل المائة مائتين، فلما رفع حسابه إلى معاوية أنكر ذلك وأمر عمراً بردها وحبسه، فأداها أخوه عبد الله بن الزبير عنه.

وفي هذه السنة جرى الصلح بين قيس بن سعد ومعاوية وذلك أن قيس بن سعد كان على شرطة جيش علي رضي، الله عنه وهم أربعون ألفاً فتعاقدوا هم وهو على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي رضي الله عنه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فأرسل معاوية إلى قيس يذكره الله تعالى، ويقول: على طاعة من تقاتل وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك، فأبى أن يلين له، فأرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، وقال: اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك، فقال عمرو: لا تعطه، وقاتله، فقال: على رسلك، فإنا لا نخلص إلى قتال هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك، وإني لا أقاتله حتى لا أجد بداً من قتاله، فلما بعث إليه معاوية ذلك السجل اشترط لنفسه ولشيعة عليٍّ ما أصابوا من الدماء والأموال، و لم يسأل معاوية في سجله مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس بن سعد ومن معه في طاعة معاوية.

وفي هذه السنة غلب حمران بن أبان على البصرة وذلك أنه لما صالح الحسن معاوية، وثب حمران على البصرة فأخذها، فبعث إليه معاوية بسر بن أرطأة، فصعد حمران إلى المنبر وشتم علياً رضي الله عنه، ثم قال: أنشد الله رجلاً عليماً أني صادق إلا صدقني، أو كاذب إلا كذبني، فقال أبو بكرة: لا نعلمك إلا كاذباً، فأمر به يخنق، فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه، فأعطاه أبو بكرة- بعد ذلك مائة جريب، فقيل لأبي بكرة: ما أردت بهذا؟ فقال: يناشدنا بالله ثم لا نصدقه، فأقام بسر بالبصرة ستة أشهر وفي هذه السنة ولي معاوية بن عامر البصرة، وحرب سجستان وخراسان وسبب ذلك أن معاوية أراد أن يوجه عتبة بن أبي سفيان على البصرة، فقال له ابن عامر: إن لي بها أموالأ وودائع فإن لم توجهني عليها ذهبت، فولاه البصرة فقدمها في آخر سنة إحدى وأربعين وإليه على خراسان وسجستان، فولى حبيب بن شهاب شرطته- وقيل: قيس بن الهيثم- واستقضى عميرة بن يثربي.

وفي هذه السنة.

حج بالناس عتبة بن أبي سفيان. في قول أبي معشر. وقال الواقدي: بل عنبسة بن أبي سفيان.

وفي هذه السنة ولد علي بن عبد الله بن عباس، وقيل: بل ولد في سنة أربعين.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب، وأمه العجلة بنت العجلان: أخبرنا يحيى بن الحسن، أخبرنا ابن المسلمة، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي، حدثنا الزبير بن بكار، قال: كان ركانة بن عبد يزيد أشد الناس، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أشهد أنك ساحر، ثم أسلم بعد، ونزل المدينة فمات بها في أول خلافة معاوية.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي، عن أبي الحسن العسقلاني، عن أبي جعفر محمد بن ركانة، عن أبيه: أنه صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية: أن ركانة هذا كان لا يصرعه أحد. وأسلم يوم الفتح.

رفاعة أبن رافع بن مالك بن العجلان: شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو وهب: أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا أبو بكر الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، عن عبد الله بن الزبير، قال: لما كان يوم الفتح هرب صفوان بن أمية بن خلف حتى أتى الشعبية، فقال عميربن وهب اللخمي: يا رسول الله، إن سيد قومي خرج هارباً ليقذف نفسه في البحر، وخاف ألا تؤمنه، فأمنه فداك أبي وأمي، قال: قد أمنته. فخرج عمير بن وهب في أثره فأدركه، فقال: جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس، وقد أمنك، فقال: لا والله حتى تأتيني منه بعلامة أعرفها، فرجع عمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال: "خذ عمامتي "، وهو البرد الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة معتجراً به برد حبرة، فخرج عمير فأعطاه البرد فعرفه فرجع معه، وانتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالناس العصر، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ صفوان بن أمية: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمراً وإلا سيرتني شهرين، قال: " انزل أبا وهب " قال: لا والله حتى يتبين لي، قال: لك تسير أربعة أشهر، فترل صفوان، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هوازن، وخرج معه صفوان واستعاره رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحاً، فأعاره مائة درع بأداتها، وشهد معه حنين والطائف وهوكافر، ثم رجع الجعرانة، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان جعل، صفوان ينظر إلى شعب ملاء نعم وشاء ورعاء، فأدام إليه النظر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه، فقال: أبا وهب، يعجبك هذا الشعب، قال: نعم، قال: هو لك وما فيه، فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأسلم مكانه وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً مع المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين خمسين بعيراً.

قال محمد بن عمر: لم يزل صفوان صحيح الإسلام، و لم يبلغنا أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ولا بعده، و لم يزل مقيماً بمكة إلى أن مات بها في أول خلافة معاولة.

عثمان بن طلحة بن أي طلحة بن عبد العزى: أنبأنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد العبدري، عن أبيه، قال: قال عثمان بن طلحة:

لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ودعاني إلى الإسلام، فقلت: يا محمد، العجب لك حيث تطمع أن أتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث، وفرقت جماعتهم، فانصرف، وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس، فأقبل

يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فغلظت له ونلت منه، وحلم عني، ثم قال: يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت "، فقلت له: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، قال: "بل عزت ". ودخل الكعبة، فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال، فأردت الإسلام، فإذا قومي يزئروني زئراً شديداً، فلما هاجر جعلت قريش تشفق من رجوعه عليها، فهم على ما هم عليه حتى جاء إلى بدر، فخرجت فيمن خرج، وشهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام القضية غير الله قلبي ودخلني الإسلام، وجعلت أفكر فيما نحن عليه وما نعبد من حجر لا يسمع ولا يبصر، وأنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وظلف أنفسهم عن الدنيا، فيقع ذلك مني، و لم يعزم، إلى أن آتيه حتى انصرف إلى المدينة راجعاً، ثم عزم لي على الخروج إليه، فأدلجت، فألقى خالد بن الوليد فاصطحبنا حتى نزلنا الهدة، فما شعرنا إلا بعمرو بن العاص فانقمعنا منه وانقمع منا، ثم قال: أين يريد الرجلان؟ فأخبرناه، فقال: وأنا أريد الذي تريدان، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام وأقمت معه حتى دخلت معه في غزوة الفتح ودخل مكة وقال لي: "يا عثمان، ائت بالمفتاح " فأتيت به، فأخذه مني ثم دفعه إليّ، فقال: " خذها تالدة خالدة لا يترعها إلا ظالم ".

قال محمد بن عمر: وكان قدوم عثمان المدينة في صفر سنة ثمان، و لم يزل مقيماً بالمدينة حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى مكةَ، فترلها حتى مات بها في أول خلافة معاوية.

عمرو بن الأسود السكوني: كان حسن السمت والهدي، أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا أبو بكر بن حكيم بن عمير، وضمرة بن حبيب، قالا: قال عمر بن الخطاب: من سره ألط ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هدي عمرو بن الأسود.

قال المصنف: كان عمرو إذا خرج من بيته إلى المسجد قبض يمينه على شماله مخافة الخيلاء، وكان يشتري الحلة بمائتي درهم، ويصبغها بدينار ويخمرها النهار كله ويقوم فيها الليل كله.

وقد أسند عن معاذ، وعثمان، والعرباض، وغيرهم عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى: أمها أم كرز بنت الحضرمي، أسلمت وبايعت وهاجرت، فتزوجها عبد الله بن أبي بكر وجعل لها بعض أرضيه على ألا تتزوج بعده، فلما توفي بعث إليها عمر وقال: إنك قد حرمت على نفسك ما أحل الله لك، فردي المال وتزوجي، فتزوجها عمر، فأرسلت إليها عائشة أن ردي علينا أرضنا أنبأنا الحسن بن محمد البارع، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي، قال: حدَّثنا الزبير بن بكار قال: حدَّثنا محمد بن الضحاك الحزامي، عن أبيه، وأحمد بن عبيد الله، عن عبد الله بن عاصم بن المنذر- يزيد أحدهما على صاحبه- قال: تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنتَ زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت حسناء ذات خلق بارع، فشغلته عن مغازيه، فأمره أبوه بطلاقها وقال: إنها قد شغلتك عن مغازيك، فقال:

يقولون طلقها وخضم مكانها ... مقيماً عليها الهم أحلام نائم

وإن فراقي أهل بيت جمعتهم ... على كره مني لإحدى العظائم

ثم طلقها فمر به أبوه وهو يقول:

لم أرمثلي طلق العام مثلها ... ولامثلها في غير جرم يطلق

لها خلق جزل ورأي ومنصب وخلق سوي في الحياة مصدق

فرق له أبوه وأمره بمراجعتها، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة فأصابه سهم فمات منه فقالت زوجته عاتكة تبكيه:

رزيت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وماكان قصرا

وآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأولم، وكان فيمن دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: يا أمير المؤمنين دعني أكلم عاتكة، فقال: كلمها يا أبا الحسن، فأخذ علي رضي الله عنه بجانب الخدر، ثم قال: يا عدية نفسها، تقولين:

آليت لاتنفك عيني قريرة عليك ولاينفك جلدي أصفرا

فبكت، فقال عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن، كل النساء تفعلن هذا ثم قتل عنها، ثم تزوجها الزبير، فكانت تخرج إلى المسجد وكان يكره خروجها ويحرج من منعها، فخرجت ليلة إلى المسجد، وخرج الزبير فسبقها إلى مكان مظلم، فلما مرت به وضع يده على بعض جسدها، فرجعت تتشنج ثم لم تخرج بعد ذلك، فقال لها الزبير: مالك لا تخرجين إلى المسجد كما كنت تفعلين؟ فقالت: فسد الناس، فقال: أنا فعلت ذلك، فقالت: أليس يقدر غيرك أن يفعل مثله، ولم تخرج حتى قتل عنها الزبير.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

فمن الحوادث فيها غزو المسلمين الروم إن المسلمين غزوا الروم فهزموهم هزيمة منكرة، وقتلوا جماعة من بطارقتهم.

وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة.

فاستقضى مروان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام، وكان على الكوفة من قبله المغيرة بن شعبة، وعلى القضاء شريح، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى قضائها عميرة بن يثربي، وعلى خراسان قيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر.

وفيها تحركت الخوارج الذين كانوا انحازوا عمن قتل منهم بالنهروان، ومن كان ارتُث من جرحاهم بالنهروان، فبرىء، وعفا عنهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكان حيان بن ظبيان السلمي يرى رأي الخوارج، وكان ممن ارتث يوم النهروان، فعفا عنه علي رضي الله عنه في أربعمائة عفى عنهم من المرتثين يوم النهر، فلبث في أهله شهراً أو نحوه، ثم خرج إلى الري في رجال كانوا يرون ذلك الرأي، فلم يزالوا مقيمين بالريّ حتى بلغهم قتل علي رضي الله عنه، فدعا أصحابه أولئك وكانوا تسعة عشر رجلاً، فأتوه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الإخوان من المسلمين، إنه قد بلغني أن أخاكم ابن ملجم قعد لعلي عند أغباش الصبح، فشد عليه فقتله، فأخذ القوم يحمدون الله على قتله، فقال حيان: إنه والله ما تلبث الأيام لابن آدم حتى تذيقه الموت، فيدع الدنيا التي لا يبكي عليها إلا الفجرة، فانصرفوا

رحمكم الله إلى مصرنا فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولاتنا ظلمة، وسنة الهدى متروكة، فإن ظفرنا الله بهم يشفي صدور قوم مؤمنين، وإن نقتل فهي مفارقة الظالمين ففيها راحة، ولنا في أسلافنا الصالحين أسوة. فقالوا: كلنا قابل منك ما ذكرت وحامد رأيك، فرد بنا المصر فإنا راضون بهديك.

فخرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة، فأحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، و لم يفتش على أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يقال له: إن فلاناً يرى رأي الشيعة، وفلاناً يرى رأي الخوارج، فيقول: قضى الله، ألا تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عباده، فأمنه الناس، وكانت الخوارج يلقي بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان، ويرون في جهاد أهل القبلة.

ففزعوا إلى ثلاثة نفر المستورد بن عُلّفة التيمي، وحيان بن ظبيان، ومعاذ بن حصن الطائي، فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان، فتشاوروا فيمن يولون عليهم، فقال لهم المستورد: أيها المؤمنون، ما أبالي من كان منكم الوالي، وما شرف الدنيا نريد، وما إلى البقاء فيها من سبيل، فقال حيان: أما أنا فلا حاجة لي فيها، وأنا بك، وبكل امرىء من إخواني راض، فانظروا من شئتم منكم فسموه، فأنا أول من يتابعه.

فقال معاذ بن حصين: إذا قلتما هذا وأنتما سيدا المسلمين، فمن يرأس المسلمين وليس كلكم يصلح لهذا الأمر، وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأنتما بحمد الله ممن يرضى بهذا الأمر فليتوله أحدكما، قالا: فتوله أنت، فقد رضيناك، فأنت والحمد لله الكامل في دينك ورأيك. فقال: أنتما أسن مني، فليتوله أحدكما. فقال جماعة من الخوارج: قد رضينا بكم أيها الثلاثة، فولوا أيكم أحببتم، فليس في الثلاثة رجل قال لصاحبه: تولها فإني بك راض، ثم بايعوا المستورد، وذلك في جمادى الآخرة، ثم أجمعوا على الخروج في غرة هلال شعبان سنة ثلاث وأربعين.

وفي هذه السنة قدم زياد على معاوية

من فارس بعد أن كان قد امتنع بقلعة من قلاعها أكثر من سنة، فصالحه معاوية على مال يحمله إليه وكان سبب ذلك؛ أن عبد الرحمن بن أبي بكرة كان يلي ما كان لزياد بالبصرة، فبلغ معاوية أن لزياد أموالاً عند عبد الرحمن، وخاف زياد على أشياء كانت في يدي عبد الرحمن لزياد، فكتب إليه يأمره بإحرازها، وبعث معاوية المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد، فقدم البصرة، وأخذ عبد الرحمن وكتب إلى معاوية: إني لم أصب في يدي عبد الرحمن شيئاً يحل لي أخذه، وكتب معاوية إلى زياد: علام تهلك نفسك أقبل فأعلمني علم ما صار إليك من المال وما خرج من يديك وما بقي عندك وأنت آمن فأتاه فأخبره فصدقه، ثم سأله أن يأذن له في نزول الكوفة، فأذن له فشخص إليها.

وفي هذه السنة حج بالناس عنبسة بن أبي سفيان

وفيها: ولد الحجاج بن يوسف.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم، أبو عبد اللّه: أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: حدثنا ابن معاوية، قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثني عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: قال عمرو بن العاص:

كنت للإسلام مجانباً معانداً، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أحداً فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت، فقلت في نفسي: كم أوضع؟ والله ليظهرن محمد على قريش فلم أحضر الحديبية ولا صلحها، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلح، ورجعت قريش إلى مكة، فجعلت أقول: يدخل محمد إلى مكة بأصحابه، ما مكة لنا بمترل ولا الطائف، وما شيء خير من الخروج، وأنا بعد نأي عن الإسلام، أرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم، فقدمت مكة، فجمعت رجالاً من قومي كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، ويقدموني فيما نابهم، فقلت لهم: كيف أنا فيكم؟ قالوا: ذو رأينا ومدد وهننا مع يمن نَقِيبة وبركة أمر، قلت: تعلمن والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت رأياً، قالوا: ما هو؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يديه محمد، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا، قالوا: هذا الرأي، قلت فاجمعوا ما تهدون له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا أدماً كثيراً ثم خرجنا فقدمنا على النجاشي فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه بكتاب كتبه إليه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، ولو قد دخلت على النجاشي سألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك سررت قريشاً وكنت قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قلت: نعم أيها الملك، أهديت لك أدماً كثيراً، ثم قربته إليه فأعجبه، وفرق منه أشياء بين بطارقته، وأمر بسائره فأدخل في موضع، فلما رأيت طيبة نفسه قلت: أيها الملك، إني رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل هو عدونا، وقد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فأقتله، فغضب ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة أنه كسره، وابتدر منخراي فجعلت أتلقى الدم بثيابي وأصابني من الذل ما لو شقت الأرض دخلت فيها فرقاً منه، فقلت له: أيها الملك، لو ظننت أنك تكره ما قلت. ما سألتك إياه. قال: فاستحيا وقال: يا عمرو، تسألني أن أعطيك رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، والذي كان يأتي عيسى أعطيكه لتقتله؟ قال عمرو: وغير الله قلبي عما كنت عليه وقلت في نفسي: عرف هذا الحق العرب والعجم وتخّالف أنت، قلت: وتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم أشهد به عند الله يا عمرو أطعه واتبعه، والله إنه لعلى الحق، وليظهرن على كل من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قلت: أفتبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ودعي لي بطست فغسل عني الدم وكساني ثياباً وكانت ثيابي قد امتلأت من الدّم فألقيتها ثم خرجت إلى أصحابي، فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك، وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت؟ فقلت لهم: كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت: أعود إليه قالوا: الرأي ما رأيت، وفارقتهم وكأني أعمد لحاجة، فعمدت إلى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت تدفع، فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم حتى انتهوا إلى الشعبية، فخرجت بها ومعي نفقة واتبعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى أتيت على مر الظهران، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة إذا رجلان قد سبقا في بعير كبير يريدان مترلاً وأحدهما داخل في خيمة والآخر قائم يمسك الراحلتين، فنظرت فإذا خالد بن الوليد، أبا سليمان قال: نعم، قلت: أين تريد؟ قال: محمداً، دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طعم، والله لو أقمنا لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة

الضبع في مغارها، قلت: والله وأنا قد أردت محمداً وأردت الإسلام.

وخرج عثمان بن طلحة فرحب بي فنزلنا جميعاً في المنزل ثم ترافقنا حتى قدمنا المدينة، فما أنسى قول رجل لقينا ببئر أبي عتبة يصيح: يا رباح يا رباح، فتفاءلنا بقوله وسررنا، ثم نظر إلينا فسمعته يقول: قد أعطيت مكة المقادة بعد هذين، فظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد، ثم ولى مدبراً إلى المسجد سريعاً، فظننت أنه يبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومنا، وكان كما ظننت، وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا، ونودي بالعصر فانطلقنا جميعاً حتى طلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا، فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان فبايع، ثم تقدمت، فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي إليه حياء منه، فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي و لم يغفر لي ما تأخر، فقال: إن الإسلام يجب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها" فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد أحداً من أصحابي في أمر حربه من حيث أسلمنا، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بن الخطاب بتلك الحال.
قال عبد الحميد: أخبرني أبي: أنهم قدموا المدينة لهلال صفر سنة ثمان.
قال علماء السير: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في وجوه منها غزاة ذات السلاسل، وأمده فيها بثمانين منهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، ومنها إلى صنم هديل، وهو سواع فكسره، وإلى بني فزارة فصدقهم.
واستعمله أبو بكر على الشام وأمده بخالد بن الوليد فكان أمير الناس يوم أجنادين ويوم فحل، وفي حصار دمشق حتى فتحت.
وولاه عمر وعثمان، ثم مال إلى معاوية وكان أحد الحكمين على ما سبق ذكره.
ذكر وفاته: كان عند الموت يقول: كأن على عنقي جبال رضوى، وكأن في جوفي الشوك، وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة، واعتق كل مملوك له.
أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن الفتح، قال: أخبرنا أبو الحسين ابن أخي ميمي، قال: أخبرنا جعفر بن محمد الخواص، قال: أخبرنا ابن مسروق، قال: حدثني عمر بن محمد، قال: حدثني محمد بن دينار، قال: حدثنا محمد بن عبيد أبو عبد الرحمن. العتبي، قال: حدثني أبي، قال: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص يعوده، فقال: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ قال أجدني قد أفسدت ديني بدنياي، أصلحت من دنياي قليلاً وأفسدت من آخرتي كثيراً، فوددت أن الذي أفسدت هو الذي أصلحت، أن الذي أصلحت هو الذي أفسدت، ولو كان ينجيني ترك ما في يدي لتركته، ولو كنت أدرك ما أطلب طلبت، فقد صرت كالمنجنيق بين السماء والأرض، لا يرقى بيد، ولا يرقى برجل، فهو متحير بين الحياة والموت، ويأمل أن يكون في الموت راحته، ويخاف مما قدمت يده، فعظني يا ابن أخي، فقال: يا أبا عبد الله، إن شئت أن تبكي بكيت، فلست تدري متى يقع الأمر وأنت تأمرنا بالرحيل وأنت مقيم، ولو دعوت دعوة لا تلقي صولها إلى يوم القيامة. قال: فغضب عمرو وقال: تؤنسني من نفسي وتؤنسني من رحمة ربي، اللهمِ خذ مني حتى ترضى فقال ابن عباس: هيهات يا عبد الله سلفت جديداً وتعطي خلقاً، فقال عمرو: مالي ولك يا ابن عباس، ما سرحت كلمة إلى ربي إلا أخذت بغيها، ثم تمثل عمرو:

كّم عائد رجلاً وليس يعوده ... إلا لينظر هل يراه يفرق

أخبرنا أبو الحسن الأنصاري، قال: أخبرنا علي بن عبد الله النيسابوري، قال: أخبرنا عبد الغافر بن محمد، قال: أخبرنا ابن عمروية، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد شعبان،. قال: أخبرنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا الضحاك- يعني أبا عاصم- قال: حدثنا حيوية بن شريح، قال: حدثنا يزيد بن أبي حبيب، قال: أخبرنا ابن شِماسة المَهْريّ، قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا، أما بشرك بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما تَعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أني قد كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني ولا أحب إلي من أن يكون استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدي، فقال: ما لك يا عمرو، قلت: أردت أن أشترط، قال: ماذا؟ قلت: أن يغفر لي، قال: " أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله " وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني عنه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه فلومت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء بعد، فلست أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنوا علي التراب سناً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

توفي عمرو بن العاص في هذه السنة بمصر وهو واليها، وقيل: في سنة ثلاث وأربعين، وكان قد عمل على مصر لعمر رضي الله عنه أربع سنين، ولعثمان أربع سنين، ولمعاوية سنتين إلا شهراً.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

فمن الحوادث فيها غزوة بسر بن أبي أرطأة الروم حتى بلغ القسطنطينية، فيما ذكر الواقدي.

وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر بعد موت أبيه، فوليها له نحواً من سنتين.

وفيها قتل المستورد بن علفة الخارجي فيما ذكر هشام بن الكلبي، وقال قوم: قتل في سنة اثنتين وأربعين.

ذكر سبب قتله

قد ذكرنا اجتماع بقايا الخوارج الذين كانوا ارتثوا يوم النهر، واعتمادهم على الثلاثة الذين هذا أحدهم، ومبايعتهم المستورد، وأن ذلك كان في جمادى، وأنهم ، اجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان على الخروج في شعبان، فبلغ خبرهم إلى المغيرة بن شعبة، فقال لصاحب الشرطة: سر بالشرطة حتى تحيط بدار حيان بن ظبيان فآتني به، فأتاه ومعه نحو من عشرين من أصحابه، فانطلق به إلى المغيرة بن شعبة، فقال لهم: ما حملكم على ما أردتم من شق عصا المسلمين؟ قالوا: ما أردنا من ذلك من شيء، قال: بل بلغني وصدق ذلك عندي اجتماعكم، فقالوا: أما اجتماعنا فإن حيان بن ظبيان أقرأنا للقرآن فنحن نجتمع في منزله فنقرأ القرآن عليه، قال: إذهبوا بهم إلى السجن، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة.

وسمع إخوانهم بأخذهم، فخرج المستورد فنزل داراً بالحيرة، وكان إخوانه يختلفون إليه ويتجهزون، فلما كثر اختلاف أصحابه إليه

قال: تحولوا بنا عن هذا المكان فإني لا آمن أن يطلع عليكم، فإنهم لفي ذلك يقول بعضهم لبعض: نأتي مكان كذا وكذا، ويقول بعضهم: نأتي مكان كذا وكذا، إذ أشرف عليهم حجَّار بن أبجَر وإذا بفارسين قد أقبلا فدخلا الدار، ثم جاء آخر، ثم جاء آخر، وكان خروجهم قد اقترب، فقال حجار لصاحب الدار: ويحك ما هذه الخيل الذي أراها تدخل هذه الدار، فقال: لا أدري إلا أن الرجال يختلفون إلى هذه الدار رجالاً وفرساناً، فركب حجار حتى انتهى إلى بابهم، وإذا عليه رجل منهم، فإذا أتى إنسان استأذن، فقال له: من أنت؟ قال: حجار بن أبجر، فدخل يستأذن له، فدخل خلفه فإذا الرجل يقول لهم: قد جاء حجار فقالوا: والله ما جاء لخير، فقال حجار: السلام عليكم ثم انصرف، فقال بعضهم لبعض: أدركوه فاحبسوه فإنه مؤذن بكم، فخرج منهم جماعة إليه، فإذا هو قد ركب فرسه، فقالوا: لم يأت لشيء يروعكم، قالوا: أفتؤمننا من الإذن بنا؟ قال: أنتم آمنون، ثم تفرقوا عن ذلك المكان.

وبلغ خبرهم المغيرة فحذر الناس أن يؤويهم، وبعث المستورد إلى أصحابه اخرجوا، فاتعدوا سوراً، وخرجوا إليها متقطعين من أربعة وخمسة. فبلغ الخبر المغيرة، فبعث معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، وقال له: يا معقل إني قد بعثت معك فرسان أهل المصر، ثم أمرت بهم فانتخبوا انتخاباً، فسر إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا جماعتنا، وشهدوا علينا بالكفر، فادعهم إلى التوبة وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فاقبل منهم، وأكفف عنهم، وإن لم يفعلوا فناجزهم واستعن بالله عليهم، فقال له: هل بلغك– أصلحك الله– أين منزل القوم. قال: نعم، كتب إليّ سماك بن عبيد القيسي، وكان عاملاً له على المدائن، يخبرني أنهم ارتحلوا حتى نزلوا بهرسير، وأنهم أرادوا أن يعبروا إلى المدينة العتيقة التي بها منازل كسرى، فمنعهم سماك أن يجوزوا، فنزلوا بمدينة بهرسير مقيمين، فاخرجوا إليهم، وانكمش في آثارهم ولا تدعهم والإقامة في بلد أكثر من الساعة التي تدعوهم فيها، فإن قبلوا وإلا فناهضهم، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أفسدوا كل من خالطهم، فخرج من يومه فبات بسورا، فبعث المغيرة مولاه وراداً إلى المسجد فقام فقال: أيها الناس، إن معقل قد سار إلى هذه العصبة المارقة وهو بائت الليلة بسورا، فلا يتخلف عنه أحد من أصحابه ألا وإن الأمير يخرج على كل رجل من المسلمين ويعزم عليهم أن يبيتوا بالكوفة، وأيما رجل من هذا البعث وجدناه بعد يومنا هذا بالكوفة فقد أحل بنفسه.
قال عبد الرحمن بن جندب، أعن عبد الله بن عقبة، الغنوي، قال،: كنت فيمن خرج مع المستورد، وكنت أحدث رجل منهم، فخرجنا حتى أتينا الصَّراة، فأقمنا بها حتى تتامت جماعتنا، ثم خرجنا حتى انتهينا إلى بَهُرسير، فدخلناها، ونذر بنا سماك بن عبيد العبسي، وكان على المدينة العتيقة، فلما ذهبنا لنعبر الجسر إليهم قاتلنا عليه، ثم قطعه علينا، فأقمنا ببهرسير. قال: فدعاني المستورد فقال لي أتكتب يا أبن أخي؟ قلت: نعم، فدعا برَق ودواة، وقال: اكتب: من عبد الله المستورد أمير المؤمنين إلى سماك بن عبيد، أما بعد. فإنا نقمنا على قومنا الجور في الأحكام وتعطيل الحدود والاستئثار بالفيء، وإنا ندعوك إلى كتاب الله، وسنة نبيه وولاية أبي بكر وعمر، والبراءة من عليٍّ وعثمان، لإحداثهما في الدين، وتركهما حكم الكتاب فإن تقبل فقد أدركت رشدك، وإن لا تقبل فقد أبلغنا في الإعذار إليك، وقد آذناك بحرب، ونبذنا إليك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.
ثم قال المستورد،: انطلق بهذا الكتاب إلى سماك، فادفعه إليه واحفظ ما يقول لك، والقني.
فقلت له: أصلحك الله، لو أمرتني أن أستعرض دجلة فألقي نفسي فيها ما عصيتك، ولكن ما آمن أن يتعلق بي سماك فيحبسني عنك، فإذا أنا قد فاتني ما أرجو من الجهاد. فتبسم وقال: يا ابن أخي، إنما أنت رسول والرسول لا يعرض له ولو خشيت ذلك عليك لم أبعثك. فخرجت حتى عبرت إليهم في معبر، فقالوا: من أنت؟ فقلت: رسول أمير المؤمنين المستورد، فلما وصلت إلى سماك أريته

الكتاب، قال: اذهب إلى صاحبك فقل له: اتق الله وارجع عن رأيك هذا، وأدخل في جماعة المسلمين، ثم قال لأصحابه: إنهم خلوا بهذا. فأخذوا يقرءون عليه القرآن، ويتخشعون ويتباكون، فظن أنهم على شيء، ثم قال: انطلق يا بني إلى صاحبك، إنما تندم لو قد اكتنفتكم الخيل، وأشرعت في صدوركم الرماح، هناك تمنى أنك كنت في بيت آبائك. فانصرفت من عنده إلى صاحبي، فأخبرته، فقال: "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ".

فمكثنا يومين أو ثلاثة، فاستبان لهم مسير معقل بن قيس إلينا، فجمعنا المستورد وقال: أشيروا علي، فقال بعضنا: والله ما خرجنا نريد إلا الله وقد جاءونا فأين نذهب عنهم. وقالت طائفة: بل نعتزل ونتنحى، وندعو الناس.

فقال: يا معشر المسلمين، إني والله ما خرجت ألتمس الدنيا ولا البقاء، وما أحب أنها لي بحذافيرها، وما أحب إلا التماس الشهادة، وإني قد نظرت فيما استشرتكم به فرأيت ألاّ أقيم لهم حتى يقدمون علي وهم جامون، ولكني رأيت أن أسير حتى أمعن فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا فتقطعوا وتبددوا، فعلى ذلك الحال ينبغي لنا أن نقاتلهم، فأخرجوا بنا على إسم الله.

فخرجنا فمضينا على شاطيء دجلة حتى انتهينا إلى جرجَرايا، فعبرنا دجلة، فمضينا كما نحن في أرض جُوخَى حتى بلغنا المذار، فأقمنا.

وقال عبد الله بن الحارث: كنت في الذين خرجوا مع معقل حين خرج، وكان أول مترل نزلناه سورا.

قال: فمكثنا به يوماً حتى اجتمع إليه جل أصحابه، ثم خرجنا مسرعين مبادرين لعدونا أن يفوتنا ثم سرنا حتى دنونا من المدائن، فاستقبلنا الناس يخبروننا أنهم قد ارتحلوا، فشق ذلك علينا وأيقنا بالعناء وطول الطلب.

وجاء معقل حتى نزل على باب مدينة بهرسير، فخرج إليه سماك فسلم عليه، وبعث إليه ما يصلح الجند، فأقام ثلاثاً. ثم جمع أصحابه وقال: إن هؤلاء المارقة إنما خرجوا على وجوههم إرادة أن تتعجلوا في آثارهم فتقطعوا، وتبددوا، وإنه ليس شيء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله، فخرج بنا من المدائن، فقدم بين يديه أبو الرواغ. في ثلاثمائة فارس، واتبع أثره فلحقهم أبو الرواغ بالمذار مقيمين، فاستشار أصحابه في قتالهم قبل قدوم معقل عليه، فقال: بعضهم: أقدم بنا، وقال آخرون: حتى يأتينا أميرنا، فبات أصحاب أبي الرواغ يتحارسون، فخرج القوم عليهم وهم عدهم هؤلاء ثلاثمائة، وهؤلاء ثلاثمائة، فلما اقتربوا شدوا على أصحاب أبي الرواغ، فانهزموا فصاح أبو الرواغ: يا فرسان السوء، قبحكم الله، الكرة الكرة، فحمل وحمل أصحابه ثم انكشفوا، فقال أبو الرواغ: ثكلتكم أمهاتكم، انصرفوا بنا فلنكر قريباً من القوم حتى يأتينا أميرنا، فما زالوا يطاردونهم وينحاز أبو الرواغ وأصحابه.

وبلغ الخبر إلى معقل، فأسرع في نحو من سبعمائة فارس من أهل القوة والشجاعة، فلما وصل شدوا عليه، فانجفل عامة أصحابه فترل وقال: الأرض الأرض، ونزل معه أبو الرواغ ونحو من مائتي فارس، فلما غشيهم المستورد وأصحابه استقبلوهم بالرماح والسيوف، فانجفلت خيل معقل ثم كرت، وأقبل شريك بن الأعور مدداً لمعقل، فرأى المستورد ما لا يطيق، فذهب بأصحابه في الليل، فعادوا إلى جَرْجَرايا فتبعهم أبو الرواغ فقاتلهم قتالاً شديداً وظنوا أن معقلاً يأتي بعده، فذهبوا حتى قطعوا دجلة، وسار أبو الرواغ في آثارهم، وجاء معقل متبعاً آثار أبو الرواغ، فانصرفوا إلى ساباط، ثم اقتتلوا، فهلك الخوارج، وصاح المستورد: يا معقل ابرز لي، فبرز له فأشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره، وضربه معقل بالسيف على رأسه فخرّا ميتين وتبدد من بقي.

وفي هذه السنة

حج بالناس مروان بن الحكم، وكان على المدينة. وكان على مكة خالد بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى قضائها شريح، وعلى البصرة وفارس وسجستان وخراسان عبد الله بن عامر، وعلى قضائها عمير بن يثربي.

ذكر من توفي في هذه السنة

عبد الله بن سلام، يكنى أبا يوسف: وكان اسمه الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن إِسحاق بن إبراهيم.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثنا عوف، عن زرارة بن أبي أوفى، عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس نحوه وقالوا: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وجئت أنظر إليه،فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فأول شيء قال: "يا أيها الناس، افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام قال محمد بن سعد: وأخبرنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، وحميد، عن أنس، قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عبد الله بن سلام بقدومه، فأتاه فقال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، فإن أخبرتني بها آمنت بك، وإن لم تعلمني عرفت أنك لست بنبي، قال: "وما هن،؟ فسأله عن الشبه وعن أول شيء يأكله أهل الجنة، وعن أول شيء يحشر الناس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أخبرني بهن جبريل آنفاً" قال: ذاك عدو اليهود، قال: "أما الشبه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ذهب بالشبه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ذهب بالشبه. وأما أول شيء يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما أول شيء يحشر الناس، فنار تجيء من قبل المشرق فتحشرهم إلى المغرب ".

فآمن وقال: أشهد أنك رسول الله، وقال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن سمعوا بإسلامي بهتوني فأخبئني عندك، وابعث إليهم فسلهم عني، فخبأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث إليهم فجاءوا، فقال: "أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ " قالوا: هو خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وابن عالمنا، فقال: "إن رأيتم إن أسلم فتسلمون "؟، قالوا: "أعاذه الله من ذلك، فقال: "يا عبد الله اخرج إليهم، فخرج إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا، فقال ابن سلام: قد أخبرتك يا رسول الله أن اليهود قوم بهت.

توفي عبد الله بن سلام بالمدينة في هذه السنة.

عبد الرحمن بن عسيلة، أبو عبد الله الصنابحي: أسند عن أبي بكر الصديق، ومعاذ، وعبادة في آخرين. وكان عبادة يقول: من سره أن ينظر إلى رجل كأنما رقي به فوق سبع سموات فعمل على ما رأى فلينظر إلى هذا.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

فمن الحوادث فيها: دخول المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومشتاهم بها.

وفيها غزا بسر بن أبي أرطأة البحر قال عبد الملك بن عمير: قرأت في ديوان معاوية بعد موته، كتاباً من ملك الصين، فيه: من ملك

الصين الذي على مربطه ألف فيل، وبنيت داره بلبن الذهب والفضة، ويخدمه بنات ألف ملك، والذي له نهران يسقيان الألوة، إلى معاوية.

وفيها عزل عبد اللّه بن عامر عن البصرة.

وكان سبب عزله أن ابن عامر كان ليناً لا يأخذ على أيدي السفهاء ولا يعاقب، ففسحت البصرة بذلك، وقدم ابن الكواء- واسمه عبد الله أبن أبي أوفى على معاوية، فسأله عن الناس، فقال: أما البصر فقد غلب عليها سفهاؤها وعاملها ضعيف، فعزله معاوية، وبعث الحارث بن عبد الله الأزدي.

وفي هذه السنة استلحق معاوية نسب زياد ابن سمية بأبيه أبي سفيان شهد لزياد رجل من البصرة، وكان الحسن البصري يذم هذا من فعله، ويقول: استلحق زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش وللعاهر الحجر".

وأخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا هشيم، قال: حدَّثنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان، قال: لما ادعى زياد لقيت أبا بكرة، فقلت: ما هذا الذي صنعتم؟ إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمع أذني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام " فقال أبو بكرة: وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة بالشام، وعملها مروان بالمدينة.

وفيها: حج معاوية بالناس، وكان عماله على البلاد في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها غير البصرة، فكان عليها الحارث الأزدي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

رملة بنت أبي سفيان بن حرب، وهي أم حبيبة تزوجها عبد الله بن جحش، وهاجر بها إلى أرض الحبشة، فولدت هناك منه حبيبة وقيل: إنها ولدتها بمكة، وهاجرت بها، ثم تنصر عبد الله بن جحش وثبتت على دينها، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي أن يزوجه أم حبيبة، فزوجه إياها، وبعث بها إليه في سنة سبع، وقد سبق شرح هذه القصة.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، عن أبي محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه، عن الزهري، قال:

لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه، فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية، قد أصابك بعدي شر.

قال محمد بن عمر: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عوف بن الحارث، قال: سمعت عائشة تقول: دعتني أم حبيبة رضي الله عنها عند موتها، قالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك، فقالت: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل

ذلك.

وتوفيت سنة أربع وأربعين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

فمن الحوادث فيها

ولاية زياد البصرة

إن معاوية ولى الحارث بن عبد الله الأزدي البصرة، فأقام بالبصرة أربعة أشهر وعزله وولى زياداً، فقدم زياد إلى الكوفة ينتظر إلى أمر معاوية، فظن المغيرة أنه قدم والياً عليها فقال لوائل بن حجر الحضرمي: إعلم لي علمه، فأتاه فلم يقدر منه على شيء، وقدم رسول معاوية إلى زياد: أن سر إلى البصرة، فقدمها في آخر شهر ربيع الآخر أو غرة جمادى الأولى من هذه السنة، واستعمله على خراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان.

فلما قدم البصرة وجد الفسق فيها ظاهراً، فخطب فقال في خطبته: كأنكم لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب لأهل طاعته، والعذاب لأهل معصيته، أيكونون كمن طرفَ عنه الدنيا وسدَّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية.

قال الشعبي: ما سمعت متكلماً قط تكلم فأحسن إِلا أحببت أن يسكت خوفاً أن يسيء إلا زياداً، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً.

وما زال زياد يشدد أمر السلطان، وتجرد السيف، فخافه الناس خوفاً شديداً حتى إن الشيء كان يوجد فلا يتجاسر أحد أن يرفعه حتى يأتيه صاحبه، واستعان زياد بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمران بن حصين ولاه قضاء البصرة، والحكم بن عمرو الغفاري ولاه خراسان، وسمرة بن جندب، وعبد الرحمن بن سمرة، وأنس بن مالك.

وفي هذه السنة شتى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالشام وفيها: حج بالناس مروان بن الحكم وكان على المدينة، وكانت الولاة والعمال على الأمصار من تقدم ذكرهم في السنة قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حفصة بنت عمر بن الخطاب كانت عند خنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها بعد الهجرة، فقدم النبي صلى الله عليه وسلم من بدر فتزوجها.

وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها، فقال له جبريل: راجعها فإنها صوامة قوامة.

وفي رواية أنه أراد طلاقها، فقال جبريل: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة.

توفيت في شعبان هذه السنة، وهي بنت ستين سنة. وقيل: ماتت في خلافة عثمان بالمدينة.

زيد بن ثابت بن زيد بن لوذان، أبو سعيد: كان يكتب الوحي.

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، أخبرنا عاصم بن الحسن، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا عثمان بن أحمد بإسناده عن الحسن بن

البراء، قال: كان زيد بن ثابت ترجمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكاتبه إلى الملوك، وتعلم الفارسية في ثمان عشرة ليلة من رسول كسرى، وتعلم الرومية والحبشية والقبطية من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، قال: قال زيد بن ثابت:

كانت وقعة بغاث وأنا ابن ست سنين، وكانت قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأتى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأ ست عشرة سورة، فلم أجز في بدر ولا أحد، وأجزت في الخندق.

قال ابن سعد: وحدثنا محمد بن معاوية، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب يهود، وقال: " إني لا آمنهم أن يبدلوا كتابي " فقال: فتعلمته في بضع عشر.

قال ابن سعد: وقال محمد بن عمر كان زيد يكتب كتاب العربية وكتاب العبرانية، وأول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق، وكان ممن ينقل التراب يومئذ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعلمهم بالفرائض زيد" واستعمله عمر على القضاء.

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان، قال: حدَّثنا شعبة، عن ابن إسحاق، أنه سمع مسروقاً يقول: أتيت المدينة فسألت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا زيد بن ثابت من الراسخين في العلم.

قال ابن سعد: وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدَّثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس: أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هكذا يفعل بعلمائنا وكبرائنا.

قال ابن سعد: وأخبرنا أبو معاوية الضرير، قال: حدثنا الأعمش، عن ثابت بن عبيد، قال: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته، وأزمته إذا خرج إلى الرجال.

قال:وأخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثنا هشام بن حسان، قال: حدثنا محمد بن سيرين، قال: خرج زيد بن ثابت يوم الجمعة فاستقبله الناس راجعين، فدخل داراً، فقيل له: فقال: من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله.

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن السباق، عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إِلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإني أخشى أن يذهب كثيراً من القرآن، فإني أرى أن يجمع القرآن، وأنت رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فتتبع القران فاجمعه. قال زيد: فوالله لوكلفني نقل جبل أنقله حجراً حجراً ما كان أثقل علي مما أمرني به، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب والأكتاف وصدور الرجال، فوجدت آخر سورة التوبة مع خريمة بن ثابت: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم. . . . " الآيتين.

قال علماء السير: أتى خريمة بن ثابت بهاتين الآيتين، قال زيد: من يشهد معك، قال: عمر أنا. وكان أبو بكر قد قال: إذا أتاكم أحد بشيء من القرآن تنكرانه فشهد عليه رجلان، فأثبتاه. ولما نسخ عثمان المصاحف أمر أبي بن كعب أن يملي وزيداً أن يكتب، وكان عمر رضي الله عنه يستخلف زيداً على المدينة إذا سافر، ولما حوصر عثمان كان زيد يذب عنه، ودخل عليه فقال: هذه

الأنصار يقولون جئنا لننصر الله مرتين، فقال عثمان: أما القتال فلا.

توفي زيد بالمدينة في هذه السنة وهو ابن ستة وخمسين سنة، ومات قبل أن تصفر الشمس، فلم يخرج حتى أصبح، فصلى عليه مروان.

وقيل: إنه توفي سنة خمس وخمسين. وقيل: سنة إحدى وخمسين. وقال ابن عباس: لقد مات اليوم علم كثير، وقال أبو هريرة: مات خير هذه الأمة.

سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة، أبو عوف: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بالمدينة في هذه السنة وهو ابن سبعين سنة، وانقرض عقبه.

عاصم بن عدي، أبو عمرو: خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر على قباء أهل العالية لشيء بلغه عنهم، وضرب له بسهمه وأجره، وكان كمن شهدها، وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ومعه مالك بن الدخشم فأحرقا مسجد الضرار.

وتوفي وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة.

ثم دخلت سنة ست وأربعين

فمن الحوادث فيها أنه شتى المسلمون بأرض الروم واختلفوا في أمرهم، فقيل: مالك بن عبد الله، وقيل: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقيل: مالك بن هبيرة الفزاري.

وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الروم إلى حمص وكان قد عظم شأنه بالشام، ومال أهلها إليه لموضع غنائه عن المسلمين وآثار أبيه حتى خافه معاوية وخشي على نفسه. منه لميل الناس إليه، فدس إليه عدي بن أثال شربة مسمومة فقتله بها، فمات بحمص، وخرج خالد بن عبد الرحمن بن خالد فقتل ابن أثال وفيها: حج بالناس عتبة بن أبي سفيان، وكان العمال والولاة الذين كانوا في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سالم بن عمير بن ثابت شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد البكائين الذين جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد أن يخرج إلى تبوك يستحملونه، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فولوا وأعينهم تفيض من الدمع

سراقة بن كعب بن عمرو شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة أسلم بالمدينة على يدي مصعب بن عمير قبل إسلام أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله غير تبوك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة، وكان محمد فيمن قتل كعب بن الأشرف. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القرطاء سرية في ثلاثين راكباً من الصحابة، فسلم وغنم وبعثه إلى ذي القصة سرية في عشرة، وتوفي بالمدينة في صفر هذه السنة، وهو ابن سبع وسبعين سنة.

ويقال: في سنة ثلاث وأربعين.

هرم بن حيان العبدي كان عاملاً لعمر بن الخطاب، ولقي أويساً القرني، وكان من الخائفين.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا محمد بن شبل، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن أصبغ الوراق، عن أبي نصرة: أن عمر بعث هرم بن حيان على الخيل، فغضب على رجل فأمر به فوجئت عنقه، ثم أقبل على أصحابه، فقال: لا جزاكم الله خيراً ما نصحتموني حين قلت، ولا كففتموني عن غضبي، والله لا ألي لكم عملا، ثم كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، لا طاقة لي بالرعية، فابعث إلى عملك.

أخبرنا عبد الله بن علي المقري، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد الخياط، قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن الحسن الباقلاني، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: حدثنا دعلج، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الصائغ، قال: حدثنا جعفر الفريابي، قال: حدثنا إبراهيم بن عثمان بن زياد، قال: حدَّثنا مخلد بن حسين، عن هشام، عن الحسن، قال: خرج هرم بن حيان، وعبد الله بن عامر يؤمان الحجاز فجعلت أعناق رواحلهما تخالجان الشجر، فقال هرم لابن عامر: أتحب أنك شجرة من هذه الشجر، فقال ابن عامر: لا والله لما أرجو من ربي، فقال هرم: لكني والله لوددت أني شجرة من هذه الشجر أكلتني هذه الناقة، ثم قذفتني بعراء، و لم أكابد الحساب، يا ابن عامر إني أخاف الداهية الكبرى، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قال الحسن: وكان هرم أفقه الرجلين وأعلمهما بالله.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا أبو إسحاق بن حمزة، قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا سعيد بن سليمان، عن عبد الواحد بن سليمان، قال: حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن، قال: مات هرم في يوم صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم من قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره، فلم تكن أطول منه ولا أقصر حتى روته ثم انصرفت.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

فمن الحوادث فيها مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم، ومشتى أبي عبد الرحمن القيني بأنطاكية.

وفيها عزل عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن مصر ووليها معاوية بن حُدَيج.

واختلفوا فيمن حج بالناس في هذه السنة. فقال الواقدي عتبة بن أبي سفيان. وقال غيره: عنبسة بن أبي سفيان.

وكانت العمال والولاة هم الذين كانوا في السنة التي قبلها، غير مصر فإنها لمعاوية بن حديج.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد، أبو علي المنقري، ويقال: أبو قبيصة: كان قد حرم الخمر في الجاهلية، وذلك أنه شرب فسكر، فعبث بذي محرم منه، فهربَ، فلما أصبح قيل له في ذلك، فقال:

رأيت الخمر مصلحة وفيها ... مقابح تفضح الرجل الكريما

فلا والله أشربها حياتي ... ولا أشفي بها أبداً سقيما

ثم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم، فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا سيد أهل الوبر"، وقال له: " اغتسل بماء وسدر".

وكان جواداً، وهو الذي قيل فيه لما مات:

وما كان قيس موته موت واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

نزل البصرة، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد القاري، قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل، قال: أخبرنا أبي، قال: حدثنا أحمد بن مروان، قال: حدثنا أحمد بن عباد التميمي، قال: حدثنا أبو عثمان المازني، قال: سمعت الأصمعي يقول: سمعت عمرو بن العلاء، وأبا سفيان بن العلاء، يقولان: قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم، قال: من قيس بن عاصم المنقري، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه، بينما نحن عند قيس بن عاصم، وهو قاعد في قبائه محتب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، فقالوا: هذا ابنك قتله ابن أخيك، فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه ثم التفت إلى ابن له في المسجد، فقال: أطلق عن ابن عمك ووار أخاك واحمل إلى أمه مائة من الإبل، فإنها غريبة، وأنشأ يقول:

إني امرؤ لا شائن حسبي ... دنس يغيره ولا أفن

من منقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصن

خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفة لسن

لا يفطنون لعيب جارهمُ ... وهمُ بحسن جواره فطن

وروى حكيم بن قيس أن أباه لما احتضر أومأ إلى بنيه وهم اثنان وثلاثون ذكراً، فجمعهم وقال: يا بني سودوا عليكم أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم، وإذا سودوا أصغرهم أزري بهم عند أكفائهم، وعليكم بالمال واصطناعه فإنه مأبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومساءلة الناس فإنها من أخس مكسبة الرجل، ولا تنوحوا عليّ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه، ولا تدفنوني حيث تشعر بي بكر بن وائل، فإني كنت أعاديهم في الجاهلية، فرثاه الشاعر يقول:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ماشاء أن يترحما

تحية من ألبستَه منك نعمة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

فما كان قيس هلْكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فمن الحوادث فيها مشتى أبي عبد الرحمن القيسي بأنطاكية، وغزوة مالك بن هبيرة اليشكري البحر، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر.

وفيها: وجه زياد غالب بن فضالة الليثي على خراسان، وكانت له صحبة.

وفيها: حج بالناس مروان بن الحكم، وكان يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه، وإرتجاعه، فدك منه، وكان وهبها له.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلها.

ولم نعلم من مات من الأكابر في هذه السنة قبلها، إلا أن في تاريخ موت المغيرة اختلافاً قد ذكرناه.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

فمن الحوادث فيها مشتى مالك بن هبيرة الفزاري بأرض الروم وغزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر.

وفيها: غزا يزيد بن معاوية أرض الروم حتى بلغ القسطنطينية ومعه ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري.

وفيها: عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في ربيع الأول، وأمر عليها سعد بن أبي وقاص، وكانت ولاية مروان المدينة لمعاوية ثمان سنين وشهرين وكان على قضاء المدينة لمروان حين عزل عبد الله بن الحارث بن نوفل، فلما ولى سعد عزله واستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن.

وفيها: وقع الطاعون بالكوفة، فهرب المغيرة بن شعبة، فلما ارتفع الطاعون قيل لو رجعت، فقدمها، فطعن فمات.

وقد قيل: مات المغيرة سنة خمسين.

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وأربعين

ضم معاوية الكوفة إلى زياد، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة، واستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وشخص إلى الكوفة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة، وستة أشهر بالبصرة.

وفيها: حج بالناس سعيد بن العاص، وكان العمال فيها هم العمال في التي قبلها، إلا أن في تاريخ موت المغيرة اختلافاً قد ذكرناه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهما: ولد سنة ثلاث من الهجرة، وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين يشبه ما كان أسفل من ذلك، وكان له من الولد خمسة عشر ذكراً، وثمان بنات.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا علي بن محمد، عن خلاد بن عبيدة، عن علي بن زيد، قال: حج الحسن خمس عشرة حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه.

وخرج من ماله لله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى أنه كان ليعطي نعلاً ويأخذ نعلاً.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن سلمان، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، قال: حدثنا محمد بن علي، قال: حدثنا أبو عروبة الحراني، قال: حدثنا سليمان بن محمد بن خالد، قال: حدَّثنا ابن علية، عن ابن عون، عن محمد بن إسحاق، قال: دخلت أنا ورجل على الحسن نعوده، فقال: قد ألقيت طائفة من كبدي وإني قد سقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه، فقال: يا أخي من تتهم؟ قال: لم، لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإن لم يكن فلا أحب أن يقتل بي بريء، ثم قضى رضي الله عنه.

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: حدثنا

محمد بن خلف، قال: حدَّثني أبو عبد اللُه اليماني، قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي، عن ابن جعدة، قال: كانت جعدة بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن علي فدس إليها يزيد أن سمي حسناً حتى أتزوجك، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا.

مرض الحسن أربعين يوماً، وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة، وهو ابن سبع وأربعين سنة، وصلى عليه سعيد بن العاص بالمدينة، ودفن بالبقيع، وقيل: إنه توفي في سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين.

ثم دخلت سنة خمسين

فمن الحوادث فيها غزاة بسر بن أبي أرطأة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم.

وفيها: كانت غزاة فضالة بن عبيد البحر. وقيل: إنما كانت في السنة التي قبلها.

وفيها خطب زياد بالكوفة بعد أن ضمت إليه مع البصرة.

فقال: إن الأمر أتاني وأنا بالبصرة، فأردت أن أشخص إليكم في ألفين من شرطة البصرة، ثم ذكرت أنكم أهل حق فأتيتكم في أهل بيتي، فحُصِب وهو على المبنر، فدعا قوماً من خاصته فأمرهم أن يأخذوا بأبواب المسجد، فمن حلف أنه ما حَصبه خلاه، ومن لم يحلف حبسه حتى صاروا إِلى ثلاثين. وقيل: ثمانين، فقطع أيديهم على المكان. واتخذ مقصورة.

وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يحمل إلى الشام فَحُول، فكسفت الشمس حتى رُئيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك، فقال: لم أرد حمله، إنما خفت أن يكون قد أرِض، فنظرت إليه. ثم كساه. رواه الواقدي.

وروي: أن عبد الملك بن مروان هم بالمنبر فقال له قبيصة: أذكرك، الله أن نفعل، فإن معاوية حركه فكسفت الشمس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حلف على منبري إثماً فليتبوأ مقعده من النار"، فتخرجه من المدينة وهو مقطع الحقوق بينهم بالمدينة، فأقصر.

فلما كان الوليد وحج هم بذلك. فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: كلم صاحبك يتق الله ولا يتعرض لسخطه، فكلمه فأقصر. فلما حج سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان من عبد الملك والوليد، فقال: ما كنت أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد، ما لنا ولهذا، أخذنا الدنيا فهي في أيدينا ونريد أن نعمد إلى علم من أعلام الإسلام فنحمله، هذا لا يصح وفي هذه السنة.

عُزِلَ معاوية بن حُدَيْج عن مصر وولي مسلمة بن مخلد مصر وإفريقية والمغرب كله وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث قبل أن يولي مسلمة مصر وإفريقية عقبة بن عامر الفهري إِلى إفريقية فافتتحها واختط بها قيروانها، وكان موضعه غيضة لا تُرام من السباعٍ والحيات وغير ذلك من الدواب، فدعا الله فلم يبق منها شيء إلا خرج منها هاربا، حتى إن السباع كانت تحمل أولادها.

قال علي بن أبي رباح: نادى عقبة: إنا نازلون فارحلوا- أو قال: فاظعنوا- فخرجن من جحرهن هوارب.

وفي هذه السنة.

غزا الحكم بن عمرو الغفاري أهل جبل الأشل.

فغنم، فكتب إليه زياد: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له الصفراء والبيضاء. فلما وصل الكتاب إليه قال للناس: أغدوا على غنائمكم، وعزل الخمس، وقسم بينهم الغنائم. فكتب إليه زياد: والله إن بقيت لك لأقطعن منك طابقاً. فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك. فمات بمرو.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله الأنماطي، قال: أخبرنا أبو حامد بن الحسين، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم المروزي، قال: حدثني جدي محمد بن عبد الكريم، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، قال: أخبرنا هشام بن حسان الفردوسي، قال: حدثنا محمد بن سيرين، قال: كنا عند عمران بن حصين في حلقته في المسجد، إذ مر بنا الحكم بن عمرو الغفاري وقد عقد له زياد بن أبي سفيان على خراسان، فقيل لعمران: هذا الحكم استعمل على خراسان، فقال: علي به. فلما جاء قال: يا حكم، أتذكر حديثاً سمعته أنا وأنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وما هو؟ قال: سمعناه يقول: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ". قال: نعم، قال: إذا شئت فقم، قال: فأتى خراسان فأصاب بها غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد: أما بعد، فإن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له البيضاء والصفراء، ولا أعلمن ما قسمت بين الناس ذهباً ولا فضة. فلما جاءه الكتاب قال للناس: اغذوا على غنائمكم فخذوها، ثم كتب إلى زياد: جاءني كتاب الأمير يذكر أن أمير المؤمنين كتب إليه أن يصطفي بالصفراء فلا يعلمن ما قسمت بين الناس ذهباً ولا فضة، وإني وجدت كتاب الله قد سبق كتاب أمير المؤمنين، ووالله الذي لا إله إلا هو لو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد اتقى الله لجعل له من ذلك مخرجاً، والسلام.

وفي هذه السنة استعدت بنو نهشل وفقيم على الفرزدق زياد بن أبي سفيان لموضع هجائه إياهم، فطلبه فهرب منه إلى سعيد بن العاص وهو والي المدينة من قبل معاوية مستجيراً به فأجاره.

وفي هذه السنة. حج بالناس معاوية.

وقيل: يزيد. وكان الوالي على المدينة سعيد بن العاص، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسجستان وفارس والهند زياد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، أبو محمد: كان أبوه من أشراف قريش، وقدم جبير في فداء أسارى بدر، قال: فنمت في المسجد بعد العصر، فأقيمت المغرب، فقمت فزعاً بقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت قراءته حتى خرجت من المسجد، فذاك أول يوم دخل الإسلام في قلبي. وأسلم قبل الفتح، ونزل المدينة، ومات في وسط خلافة معاوية.

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار: سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها. وكانت كثيرة التسبيح والتقديس والذكر. وتوفيت في هذه السنة، وهي بنت خمس وستين سنة.

حسان بن ثابت ابن المنذر، بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عمي بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو الوليد الأنصاري: كان من فحول شعراء الجاهلية، وكان يضرب روثة أنفه من طوله ويقول: ما يسرني به مقول من العرب، والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه. وكان يفد على ملوك غسان، ويمدحهم.

أسلم قديماً و لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً؟ كان يُجبن عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، ووهب له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيرين أخت مارية، فولدت له عبد الرحمن، وكانت له بنت تقول الشعر، وكان ربما قال بيتاً فوقف ما بعده عليه فقالته، فقال لها: لا قلت شعراً وأنت حيّة، فقالت: لا بل أنا لا أقول الشعر وأنت حي. وكان للمشركين من الشعراء الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ أبو سفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص، وابن الزبعرى، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسان، وابن رواحة، وكعب بن مالك. وكان حسان يذكر عيوب القوم وآثامهم، وكان ابن رواحة يعيرهم بالكفر، وكان كعب يذكر الحرب ويقول: فعلنا بهم وفعلنا، ويتهددهم، فكان أشده عليهم قول حسان، وأهونه قول ابن رواحة. فلما أسلموا كان أشده عليهم قول ابن رواحة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم. فقال حسان: أنا لها، قال: كيف تهجوهم وأنا منهم، قال: إني أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا موسى بن داود، قال: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان منبراً فيالمسجد ينافح عنه بالشعر، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل ليؤيد حسان بروح القدس ينافح عن رسول الله".

وقال حسان في فتح مكة:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... يعين الله فيه من يشاء

وقال الله قد سيرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء

وجبريل أمين الله فينا وروح ... القدس ليس به كفاء

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء

يعني أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فإنه كان يهاجي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم.

ولحسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري ما تكدره الدلاء

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الطبري، قال: أخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا ابن درستويه، قال: أخبرنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن أبيه، قال: عاش حسان بن ثابت مائة سنة وأربع سنين، وعاش أبوه ثابت مائة سنة وأربع سنين، وكان عبد الرحمن إذا حدَّثنا بهذا

الحديث اشرأب لها وثني رجليه على مثلها، فمات وهو ابن ثمان وأربعين.

الحكم بن عمرو الغفاري: صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض، ثم تحول إلى البصرة، فولاه زياد بن أبي سفيان خراسان. وقد ذكرنا قصته في تلك الولاية آنفاً. وتوفي بخراسان سنة خمسين.

دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد:.

أسلم قديماً و لم يشهد بدراً، وشهد ما بعدها، وكان جبريل يأتي في صورته، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية وحده، وبعث معه "كتاباً إلى قيصر.

صفية بنت حُيَيّ بن أخطب من سبط هارون بن عمران: كان اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر، وقيل: اشتراها من دحية بسبعة أرس

فأسلمت وأعتقها وتزوجها، وجعل عتقها مهرها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر خضرة قريباً من عنقها، فقال: ما هذا؟ فقالت رأيت في المنام قمراً أقبل من يثرب فوقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فقال: أتحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة؟ فضرب وجهي. فلما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر وقد طهرت، مال يريد أن يعرس بها، فأبت، فلما كان بالصهباء عرس بها هناك، فقال: ما حملك على ما صنعت في المترل الأول؟ قالت: خشيت عليك قرب يهود، فزادها ذلك عنده. توفيت في هذه السنة، ودفنت بالبقيع.

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا سعيد وكان اسمه عبد الكعبة، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، واستعمله عبد الله بن عامر على سجستان، وغزا خراسان وفتح بها فتوحاً، ثم رجع إلى البصرة، فأقام بها حتى مات.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا الأزهري، أخبرنا محمد بن العباس، أخبرنا إبراهيم بن محمد الكندي، حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، قال: مات عبد الرحمن بن سمرة سنة خمسين.

وقال خليفة بن خياط: سنة إحدى وخمسين.

عمرو أبن أمية، بن خويلد، أبو أمية الضمري: شهد بدراً وأحداً مع المشركين، وكان شجاعاً، ثم أسلم، فأول مشهد شهده في الإسلام بئر معونة، فأسرته بنو عامر يومئذ، فقال له عامر بن الطفيل: إنه قد كان على أمي نسمة فأنت حر عنها، فلما انصرف من بئر معونة لقي رجلين من بني كلاب، فقتلهما، وقد كان لهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما القتيلان اللذان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببهما إلى بني النضير يستعينهما في ديتهما. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية ومعه سلمة بن أسلم بن حريش الأنصاري سرية إلى مكة إلى أبي سفيان بن حرب، فعلم بمكانهما، فطُلبا، فتواريا، وظفر عمرو بن أمية في تواريه ذلك في الغار بناحية مكة بعبيد الله التيمي، فقتله ومضى فأنزل خبيباً عن خشبته. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، ويحمل بقية أصحابه إلى المدينة.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا نوح بن يزيد، قال: أخبرنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنيه ابن إسحاق،

عن عيسى بن معمر، عن عبد الله بن عمرو بن الفغواء، عن أبيه، قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أراد أن يبعثني بمال إلى أبي سفيان يقسمه في قريش بمكة وذلك بعد الفتح، فقال: التمس صاحباً، قال: فجاءني عمرو بن أمية، فقال: بلغني أنك تريد الخروج وتلتمس صاحباً، قلت: أجل، قال: فأنا لك صاحب، قال: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: قد وجدت صاحباً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا وجدت صاحباً فأذني، فقال: من؟ قلت: عمرو بن أمية، فقال: إذا هبطت إلى بلاد قومه. فاحذره، فإنه قد قال القائل: أخوك البكري فلا تأمنه.

قال: فخرجنا حتى جئت الأبواء، قال: إني أريد حاجة إلى قومي بودان فتلبث لي، قال: قلت راشداً، فلما ولى ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشددت على بعيري ثم خرجت أوضعه حتى إذا كنت بالأضافر إذا هو يعارضني في رهط. قال: فأوضعت فسبقته، فلما رآني قد فته انصرفوا، وجاءني فقال: كانت لي إلى قومي حاجة، قلت: أجل. ومضينا حتى قدمنا مكة، فدفعت المال إلى أبي سفيان.

عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه: وأمه فاطمة بنت أسد، وكان أسن ولد أبي طالب بعد طالب، وكان بينه وبين طالب عشر سنين، ثم بينه وبين جعفر عشر سنين، ثم بين جعفر وبين علي عشر سنين، وكان علي رضي الله عنه أصغرهم سناً وأقدمهم إسلاماً. وأخرج عقيل يوم بدر مع المشركين مكرهاً، فشهدها وأسر، ففداه العباس. ومات عقيل بعدما عمي بصره في خلافة معاوية.

عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان: شهد بدراً وأحداً والخندق وذهب بصره.

أم شريك، واسمها غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية:

وهي التي وهبت نفسها للنبي. صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل قبلها أم لا؟ على قولين، أحدهما أنه قبلها ودخل عليها، والثاني أنه لم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

أخبرنا المحمدان أبن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن فرح، قال: حدثنا أبو عمر المقري، قال: حدثنا محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت أبي العكير الدوسي، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم. قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس واستظلوا منها وحبسوا عني الطعام والشراب فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع عني ثم عاد فتناولته ثم رفع، ثم عاد فتناولته ثم رفع مراراً ثم نزل فشربت حتى رويت ثم أفضيت سائره على جسمي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه، قلت: لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا، قالوا: إن كنت صادقة لدينك خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عند ذلك وأقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم بغير مهر، فقبلها ودخل عليها كعب بن مالك بن أبي كعب، أبو عبد الرحمن: شهد العقبة وأحداً وما بعدها سوى تبوك، فإنه أحد الثلاثة الذين تخلفوا عنها وأنزلت توبته، وقد ذكرناها فيما تقدم، وكان قد ذهب بصره.

وتوفي في هذه السنة وهو ابن سبع وسبعين.

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك، أبو عبد الله: كان أصهب الشعر جعداً، أقلص الشفتين، ضخم الهامة، أهتم، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين.

أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن سعيد الثقفي، وعبد الرحمن بن عبد العزيز، وعبد الملك بن عيسى، وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، ومحمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه، وغيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة:

كنا قوماً من العرب متمسكين بديننا، ونحن سدنة اللات، فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس وأهدوا له هدايا، فأجمعنا الخروج معهم فاستشرت عمي عروة بن مسعود فنهاني وقال: ليس معك من بني أبيك أحد، فأبيت إلا الخروج معهم وليس معهم أحد من الأحلاف غيري حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر، فركبت زورقاً حتى حاذيت مجلسه، فنظر إلي فأنكرني وأمر من يسألني من أنا وما أريد فسألني المأمور فأخبرته بأمرنا وقدومنا عليه، فأمرنا أن نترل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة ثم دعانا فدخلنا عليه، فنظر إلى رأس بني مالك، فأدناه إليه فأجلسه معه ثم سأله: أكل القوم من بني مالك؟ قال: نعم إلا رجلاً واحداً من الأحلاف فعرفه إياي، فكنت أهون القوم عليه، ووضعوا هداياهم بين يديه فسر بها وأمر بقبضها، وأمر لهم بجوائز وفضل بعضهم على بعض وقصر بي وأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له، وخرجنا وأقبلت بنو مالك يشترون لأهليهم وهم مسرورون، ولم يعرض علي رجل منهم مواساة، وخرجوا وحملوا معهم الخمر، فكانوا يشربون وأشرب معهم. وتأبى نفسي أن ينصرفوا إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي، فأجمعت على قتلهم، فلما كنا ببُساق تمارضت وعصبت رأسي، فقالوا لي: مالك؟ قلت: أصدع، فوضعوا شرابهم ودعوني، فقلت رأسي يصدع، ولكني أجلس فأسقيكم، فلم ينكروا شيئاً، فجعلت أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلما دبت الكأس فيهم اشتهوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس فيشربون ولا يدرون، فأهمدتهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً وأخذت جميع ما كان معهم، فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم، فأجده جالساً في المسجد مع أصحابه، وعلي ثياب سفري، فسلمت بسلام الإسلام، فنظر إلي أبو بكر بن أبي قحافة- وكان بي عارفاً- فقال: ابن أخي عروة، قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله الذي هداك للإسلام "، فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم، قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسها أو يرى فيها رأيه، فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إسلامك فنقبله ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمسه لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه ". قال: فأخذني ما قرب وما بعد، وقلت: يا رسول الله إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت حيث دخلت عليك الساعة قال: فإن الإسلام يجب ما قبله. قال: وكان قد قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً، فبلغ ذلك ثقيفاً فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن يحمل عني عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

قال المغيرة: وأقمت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اعتمر عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة- وكانت أول سفرة خرجت معه فيها، وكنت أكون مع أبي بكر الصديق وألزم النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يلزمه.

وبعثت قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليكلمه، فأتاه فكلمه وجعل يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة قائم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مقنع في الحديد. فقال لعروة وهو يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم: كف يدك قبل أن لا تصل إليك، فقال عروة: من هذا يا محمد، ما أفظه وأغلظه؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فقال عروة: يا غدر ما غسلت عني سوءتك بالأمس. وانصرف عروة إلى قريش فأخبرهم بما كلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشهد المغيرة بعد ذلك المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يحمل وضوء رسول

الله صلى الله عليه وسلم، ولما توفي رسول الله بعثه أبو بكر الصديق إلى أهل البحرين، ثم شهد اليمامة، ثم شهد فتوح الشام مع المسلمين، ثم شهد اليرموك وأصيبت عينه يومئذ، ثم شهد القادسية، وكان رسول سعد إلى رستم، وولي لعمر فتوحاً وولي له البصرة نحواً من سنتين، ففتح بيسان وغيرها، وفتح سوق الأهواز، وغزا نهر تيري، وفتح همدان وشهد نهاوند. وكان عمر قد كتب: إن هلك النعمان فالأمير حذيفة، وإن هلك حذيفة فالأمير المغيرة.

وكان المغيرة أول من وضع ديوان البصرة وجمع الناس ليعطوا عليه، وولي الكوفة لعمر بن الخطاب، فقتل عمر وهو عليها، ثم وليها بعد ذلك لمعاوية، فابتنى بها داراً ومات بها وهو وال عليها.

وبالإسناد حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: إن المغيرة أحصن مائة امرأة ما بين قرشية وثقفية.

وأخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسين بن أبي بكر، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي، قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: توفي المغيرة بن شعبة سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة. وتوفي سنة خمسين.

وقيل: سنة تسع وأربعين.

وكذلك قال خليفة بن خياط، وأبو حسان الزنادي.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

فمن الحوادث فيها مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم، وغزاة بُسْر بن أبي أرطأة الصائفة.

وفيها: مقتل حجر بن عدي.

وسببه: أن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فقال له: قد أردت أن أوصيك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسدد سلطاني، فأقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً وهو حسن السيرة، إلا أنه لم يدع الدعاء لعثمان والوقيعة في علي رضي الله عنه، وكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: أنا أشهد أن من تعيبون لأحق بالفضل وأن من تزكون لأولى بالذم، فيقول له المغيرة: ويحك اتق غضب السلطان وسطوته، فقام المغيرة يوماً فأثنى على عثمان، فصاح به حجر: إنك قد حبست أرزاقنا وأصبحت مولعاً بتقريظ المجرمين، وقام معه أكثر من ثلاثين يقولون: صدق حجر، فمر لنا بأعطياتنا، فترل المغيرة ودخل عليه قومه فقالوا: علام تترك هذا الرجل يجترىء في سلطانك، ولو بلغ معاوية كان أسخط له عليك، فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة، إنه قد

اقترب أجلي، ولا أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة، ولكني قابل من محسنهم، وعاف عن مسيئهم، وواعظ شقيهم حتى يفرق بيني وبينهم الموت، وسيذكروني، ولو قد جربوا العمال بعدي.

فلما هلك المغيرة وولي زياد بن أبي سفيان قام فذكر عثمان وأصحابه فقرظهم وذكر قتلتهم ولعنهم، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة، فقال: ويل أمك يا حجر، "سقط بك العشاء على سرحان".

وفي رواية أخرى: أن زياداً خطب فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة، فلما خشي الفوت ضرب بيده إلى كف من الحصا، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فنزل زياد فصلى بالناس، ثم كتب إلى معاوية في أمره، فاستشهد عليه جماعة من أهل مصره، منهم أبو بردة بن أبي موسى أنه خلع الطاعة ودعا إلى الفتنة. فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد ثم احمله إلي فبعثه إليه مع جماعة ممن يرى رأيه، فاستوهب بعضهم وبقي بعضهم، فقيل لهم تبرأوا من علي حتى يطلقكم، فلم يفعلوا.

فلما دخل حجر على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: لا والله لا أقيلك ولا أستقيلك، أخرجوه فاضربوا عنقه، فأخرج، فقال: دعوني أصلي ركعتين، فصلاهما، ثم قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ألاقي معاوية غداً على الجادة. ثم قدم فضربت عنقه، وقتل معه جماعة من أصحابه ممن يرى رأيه. ولما لقيت عائشة أم المؤمنين معاوية قالت: يا معاوية، أين كان حلمك عن حجر، فقال لها: يا أم المؤمنين، لم يحضرني رشيد.

قال ابن سيرين: فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالموت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل.

وروى أبو جعفر الطبري قال: قال أبو مخنف عن الصعقب بن زهير، عن الحسن قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: ابتز هذه الأمة أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا من الصحابة وذوي الفضل واستخلف ابنه بعده سكيراً جهيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعى زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش وللعاهر الحجر"، وقتل حجراً فيا ويلاً له من حجر وأصحابه.

وفي هذه السنة

وجه زياد الربيع بن زياد الحارثي إلى خراسان أميراً بعد موت الحكم بن عمرو الغفاري وكان الحكم قد استخلف على عمله أنس بن أبي إياس فعزله زياد وولى خليد بن عبد الله الحنفي أشهراً ثم عزله، وولى خراسان الربيع بن زياد في أول سنة إحدى وخمسين فنقل الناس عيالاتهم إلى خراسان فوطنوها، ثم غزا الربيع حين قدم إلى خراسان ففتح بلخ صلحاً، وفتح قهستان عنوة، وكانت بناحيتهم أتراك فقتلهم وهزمهم، وكان ممن بقي منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم في ولايته.

وكان الربيع قد قطع النهر فغنم وسلم، وكان الحكم بن عمرو قطع النهر قبله في ولايته إلا أنه لم يفتح.

فذكر المديني أن أول من شرب من النهر مولى للحكم، اغترف بترسه فشرب ثم ناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى من وراء النهر ركعتين.

وفيها: حج بالناس يزيد بن معاوية، وكان العامل على المدينة سعيد بن العاص، وكان على الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد. . وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثربي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: قدم مع أبيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحنيناً وثبت يومئذ .

جرير بن عبد الله بن مالك بن نصر بن ثعلبة، وقيل: جرير بن عبد اللّه بن جابر بن مالك، يكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عبد الله: قدم المدينة في رمضان سنة عشر فأسلم، وقال: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي ثم حللت عيبتي ولبست حلي، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب، فسلمت عليه، فرماني الناس بالحدق فقلت لجليسي: هل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمري شيئاً؟ قال: نعم، ذكرك فأحسن الذكر بيننا، وهو يخطب قال: "سيدخل عليكم من هذا الفج أومن هذا الباب- الآن من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك "، فحمدت الله على ما أبلاني.

ولما جاء جرير يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط له ثوباً ليجلس عليه، وقال: "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه " وكان جرير سيداً في قومه.

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هدم ذي الجلسة، وهو بيت لخثعم كان يسمى الكعبة اليمانية، فأضرمه بالنار.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا وهب بن جرير، قال: أخبرنا شعبة عن مغيرة، عن الشعبي: أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله فوجد ريحاً، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ، فقال جرير: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعاً، فقال عمر: رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام.

قال ابن سعد: وقال يزيد بن جرير عن أبيه، أن عمر قال له والناس يتحامون العراق، وقتال الأعاجم: سر بقومك فما غلبت عليه فلك ربعه، فلما جمعت الغنائم- غنائم جلولاء- ادعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب عمر: صدق جرير وقد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فاعطوه جعله، وأن يكون قاتل لله ولدينه وحسبه فهو رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم.

فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين.

قال علماء السير: شهد جرير مع المسلمين يوم المدائن، فلما مصرت الكوفة نزلها، فمكث بها إلى خلافة عثمان، ثم بدت الفتنة فانتقل إلى قرقيسيا وسكنها إلى أن مات ودفن بها. أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا عمر بن أحمد، قال: حدثنا خليفة، قال:

نزل جرير قرقيسيا فمات بها سنة إحدى وخمسين.

وكذلك قال محمد بن المثنى.

وقال هشام بن محمد الكلبي: مات سنة أربع وخمسين.

حارثة بن النعمان بن نفع، أبو عبد الله الأنصاري: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا حيوية، قال: أخبرنا معروف، قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: قال حارثة رأيت جبريل مرتين حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة، مر بنا في صورة دحية، وحين رجعنا من خيبر مررت وهو يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فلم أسلم، فقال جبريل: من هذا؟ قال: حارثة، قال: لو سلم لرددنا عليه.

قال ابن سعد: وقال الواقدي: كانت لحارثة منازل قرب منازل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكان كلما أحدث النبي صلى الله عليه وسلم أهلاً تحول عن منزل بعد منزل حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: القد استحييت من حارثة مما يتحول لنا عن منازله.

قال ابن سعد: وأخبرنا عبد الرحمن بن يونس، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، قال: حدثني محمد بن عثمان، عن أبيه. أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره، فجعل خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته، ووضع عنده مكتلاً فيه تمر وغير ذلك، فكان إذا سأل المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ على ذلك الخيط حتى يأخذ إلى باب الحجرة فيناوله المسكين، فكان أهله يقولون: نحن نكفيك، فيقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن مناولة المسكين تقي ميتة السوء".

حجر بن عدي: وقد سبقت قصة قتله آنفاً: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها.

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طلحة، يتجسسان خبر العير ففاتتهما بدر، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسها مهما وأجورهما. وقدما المدينة في اليوم الذي لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ببدر. وشهد سعيد أحداً والخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي بالعقيق في هذه السنة، وغسله سعد بن أبي وقاص، وحمل إلى المدينة فدفن بها وهو ابن بضع وسبعين سنة. وكان رجلاً طوالاً، أدم أشعر.

عبد اللّه بن أنيس بن أسعد بن حرام، أبو يحيى: شهد العقبة مع السبعين، وكان يكسر أصنام بني سلمة هو ومعاذ بن جبل لما أسلما. و لم يشهد بدراً، لكنه شهد أحداً وما بعدها، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرية وحده إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي وأمره أن يقتله، فخرج فقتله ثم قدم فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه مخصراً– يعني عصا– فقال: خذ هذه تنخصر بها يوم القيامة فإن المنخصرين يومئذٍ قليل" فلما حضرته الوفاة أمر أن تدفن معه في أكفانه، ومات بالمدينة في خلافة معاوية.

نفيع بن الحارث، أبو بكرة: ويقال: اسمه مسروح، ويقال: نفيع بن مسروح، وأمه سمية، وهو أخو زياد ابن سمية بن أبي سفيان لأمه. كان عبداً لبعض أهل الطائف، فلما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى مناديه: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فخرج بضع عشر منهم أبو بكرة، تدلى من بكرة، فكني أبا بكرة.

وكان يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن البصرة، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن يحيى المزكي، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: أخبرنا الحسن بن سعيد المخزومي، قال: حدثنا إسماعيل بن علية، عن عيينة بن عبد الرحمن، قال: حدثني أبي، قال: لما اشتكى أبو بكرة عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب فأبى، فلما نزل به الموت وعرف الموت من نفسه وعرفوه منه، قال: أين طبيبكم ليردها إن كان صادقاً، قالوا: وما يغني الآن، قال: وقبل الآن.

قال: وجاءت ابنته أمة الله، فلما رأت ما به بكت، فقال: أي بنية لا تبكي، قالت: يا أبه، فإذا لم أبك عليك فعلى من أبكي؟ فقال:

لا تبكي، فوالذي نفسي بيده ما على الأرض نفس أحب إليّ أن تكون قد خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر.

وأقبل على حمران بن أبان وهو عند رأسه، فقال: لا أخبرك مم ذاك، خشيت والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام، ثم جاء أنس بن مالك فقعد بين يديه وأخذ بيده وقال: إن ابن أمك زياد أرسلني إليك يقرئك السلام وقد بلغه الذي نزل بك من قضاء الله تعالى، فأحب أن يحدث بك عهداً وأن يسلم عليك وأن يفارقك عن رضى، قال: أفمبلغه أنت عني؟ قال: نعم، قال: فإني أحرج عليه أن يدخل لي بيتاً ويحضر لي جنازة، قال: لم يرحمك الله وقد كان لك معظماً ولبنيك واصلاً، قال: في ذلك غضبت عليه، قال: ففي خاصة نفسك، فما علمته إلا مجتهداً، قال: فأجلسوني، فأجلسوه فقال: نشدتك بالله لما حدثتني عن أهل النهر، أكانوا مجتهدين؟ قالوا: نعم، قال: أفأصابوا أم أخطأوا، قال: هو ذاك، ثم قال: أضجعوني. فرجع أنس إلى زياد فأبلغه، فركب متوجهاً إلى الكوفة فتوفي، فقدم بنوه أبا برزة فصلى عليه.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فمن الحوادث فيها غزوة سفيان بن عوف الأزدي ومشتاه بأرض الروم، وأنه توفي بها، واستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاري. هذا قول الواقدي.

وقال غيره: بل الذي شتا بأرض الروم في هذه السنة بالناس بسر بن أبي أرطأة ومعه سفيان بن عوف، وغزا الصائفة في هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفي. وفيها حج بالناس سعيد بن العاص، وكان العمال في هذه السنة العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خالد بن يزيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري، الخزرجي: حضر العقبة، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحضر مع علي بن أبي طالب حرب الخوارج بالنهروان، وورد المدائن في صحبته.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر،قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي؟ قال: حدثنا أبو سعيد مولي بني هاشم، قال: حدثنا ثابت- يعني أبا زيد- قال: حدثنا عاصم، عن عبد الله بن الحارث، عن أفلح مولى أبي أيوب، عن أبي أيوب.

أن رسوك الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه، فترل النبي صلى الله عليه وسلم أسفل الدار وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال: يمسي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فباتوا في جانب فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أسفل أرفق بي "، فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول أبو أيوب في السفل والنبي صلى الله عليه وسلم في العلو.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أبن معروف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسلمة، قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا بكر بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عيسى بن المختار، عن محمد

بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من خيبر ومعه صفية دخل الفسطاط معه السيف واضعاً رأسه على الفسطاط، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الحركة، فقال: "من هذا؟" فقال: أنا أبو أيوب، فقال: ما شأنك؟ فقال: يا رسول الله، جارية شابة حديثة عهد بعرس وقد صنعت بزوجها ما صنعت فلم آمنها، قلت إن تحركت أكون قريباً منك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا أيوب"، مرتين.

قال ابن معروف: وحدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال:. قال الواقدي: توفي أبو أيوب حين غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه يزيد، وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم، فلقد بلغنا أن الروم يتعاهدون قبره ويرمونه، ويستسقون به إذا قحطوا.

وقد قال أبو زرعة الدمشقي أنه مات أبو أيوب سنة خمس وخمسين، والأول أثبت.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: أخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا صفوان بن صالح، قال: حدثنا الوليد، قال: حدثني شيخ من أهل فلسطين:

أنه رأى بنية بيضاء دون حائط القسطنطينية، فقالوا: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبيت تلك البنية، فرأيت قبره في تلك البنية وعليه قنديل معلق بسلسلة.

عبد اللّه بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري: أمه ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت وماتت بالمدينة.

وكان خفيف الجسم قصيراً أثط، قدم مكة فحالف سعيد بن العاص فأسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر.

ذكره الواقدي، ولم يذكره ابن عبيد وابن إسحاق وأبو معشر فيمن هاجر إلى الحبشة.

وقال أبو بكر بن عبد الله بن جهم: ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، وليس له حلف في قريش، وكان قد أسلم بمكة قديماً ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة، ووافق رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، ولما دنا أبو موسى وأصحابه من المدينة جعلوا يرتجزون ويقولون:

غَداً نَلْقَى الأحِبَّه مُحَمَداً وحزْبَه

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، المسجد، فسمع قراءة رجل، فقال: "من هذا؟ ". قيل عبد الله بن قيس، فقال: "لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود".

قال محمد بن سعد: وأخبرنا يزيد وعفان، قالا: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: كان أبو موسى إذا نام يلبس ثياباً عند النوم مخافة أن تنكشف عورته.

قال ابن سعد: وأخبرنا عبد الوهاب، عن إسماعيل بن سلمة، عن ابن سيرين، قال: قال أبو موسى: إني لأغتسل في البيت الخالي

فيمنعني الحياء من ربي أن أقيم صلبي.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي: قال: حدثنا هشيم، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كتب عمر في وصيته: أن لا يقر لي عامل كثر من سنة، وأقروا الأشعري- يعني أبا موسى- أربع سنين.

توفي أبو موسى في هذه السنة، وقيل: في سنة اثنتين وأربعين.

عبد اللّه بن مغفل، أبو سعيد: وكان من البكائين، ومن الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفقهوهم.

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا عمر بن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هوذة، قال: حدثنا عوف، عن خزاعي، بن زياد، قال: أري عبد الله بن مغفل أن الساعة قد قامت والناس يعرضون على مكان، قال: قد علمت أنه من جاز ذلك المكان نجا، فذهبت أدنو منه، فقال: وراءك، أتريد أن تنجو وعندك ما عندك، كلا والله، قال: فاستيقظت من الفزع، فأيقظ أهله وعنده في تلك الساعة عيبة مملوءة دنانير، فقال: يا فلانة، أريني تلك العيبة قبحها الله وقبح ما فيها فما أصبح حتى قسمها، فلم يدع منها ديناراً.

فلما كان المرض الذي مات فيه أوصى أهله، قال: لا يليني إلا أصحابي، ولا يصلي علي ابن زياد، فلما مات أرسلوا إلى أبي برزة وعائذ بن عمرو، ونفر من أصحاب رسول الله، فولوا غسله وتكفينه، فلما أخرجوه إذا بابن زياد في موكبه بالباب، فقيل له: إنه قد أوصى أن لا تصلي عليه، فسار معه حتى بلغ حذاء البيضاء، فمال إلى البيضاء وتركه.

توفي عبد الله بالبصرة.

عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم، أبو نجيد: أسلم قديماً، وغزا مع رسول الله غزوات، و لم يزل في بلاد قومه ثم تحول إلى البصرة، فترلها إلى أن مات بها.

أنبأنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا عارم بن الفضل، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا هشام، عن محمد بن سيرين، قال: ما قدم من البصرة أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يفضل على عمران بن حصين.

قال ابن سعد: وأخبرنا وهب بن جرير بن حازم، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت حميد بن هلال يحدث عن مطرف، قال: قال لي عمران بن حصين: أشعرت أنه كان يسلم علي فلما اكتويت انقطع التسليم، فقلت: أمن قبل رأسك كان يأتيك التسليم أم من قبل رجليك؟ قال: لا بل من قبل رأسي، فقلت: لا أرى أن تموت حتى يعود ذلك.

فلما كان بعد قال لي: أشعرت أن التسليم عاد لي. قال: ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات.

قال: وقلت لعمران: ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرى من حالك، قال: لا تفعل، فإن أحبه إلي أحبه إلى الله عز وجل.

معاوية بن حُديج بن جفنة، أبو نعيم: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مصر، وكان الوافد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح الإسكندرية، وكان أعور؛ ذهبت عينه في حرب النوبة مع عبد الله ابن سعد بن أبي سرح سنة إِحدى وثلاثين، وولي الإمرة على غزو المغرب سنة أربع وثلاثين، وسنة أربعين وسنة خمسين.

روى عنه علي بن رباح، وعبد الرحمن بن سماعة، وسويد بن قيس وغيرهم.

توفي في هذه السنة.

هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد، أبو بردة: وهو خال البراء بن عازب، شهد العقبة مع السبعين وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت معه راية بني حارثة في غزوة الفتح.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

فمن الحوادث فيها مشتى عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي بأرض الروم وفيها: فتحت رُودُس، وهي جزيرة في البحر، فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي، فنزلها المسلمون، وزرعوا، واتخذوا بها الأموال والمواشي، وكان لهم ناطور يحذرهم من يريدهم من البحر بكيد، وكانوا أشد شيء على الروم، يعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم، وكان معاوية يدر لهم العطاء، فلما مات معاوية. أقفلهم يزيد بن معاوية.

وقيل: هذا كان في سنة أربع وخمسين.

قال الأصمعي: وكان بالكوفة طاعون زياد الذي مات فيه في هذه السنة.

وقيل: كان في سنة أربع.

وفيها: حج بالناس سعيد بن العاص، وكان هو العامل على المدينة، وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى البصرة سمرة ين جندب. وعلى خراسان خليد بن عبد الله الحنفي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جبلة بن الأيهم كان ملك غسان، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية، ثم لم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر رضي الله عنه فوطيء رجل من مزينة، فوثب المزني فلطمه، وكان ذلك بدمشق، فأخذ الرجل فانطلق به إلى أبي عبيدة بن الجراح، فقالوا: هذا لطم جبلة بن الأيهم، قال: فليلطمه، قالوا: وما يقتل؟ قال: لا، قالوا: فما تقطع يده؟ قال: لا، إنما أمر الله عز وجل بالقود، قال جبلة: أترون أني جاعل وجهي نداً لوجه جدر جاء من عمق- يعني موضعاً في ناحية المدينة- بئس الدين هذا. ثم ارتد نصرانياً، وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم، فبلغ ذلك عمر فشق ذلك عليه.

وروي لنا خبره على غير هذا الوجه، وأنه أسلم في زمن عمر. قال أبو عمرو الشيباني: كتب جبلة إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له عمر، فخرج إليه في خمسمائة من بنيه حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بذلك، فسر عمر وبعث إليه بإنزال، وأمر جبلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير، وركبوا الخيل معقودة أذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قرط مارية، وهي جدته، ودخل المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا خرجت تنظر إليه وإلى زيه، فلما انتهى إلى عمر رحب به وألطفه وأدنى مجلسه، ثم خرج عمر إلى الحج، فحج معه جبلة، فبينما هو يطوف بالبيت وطيء إزاره

رجل من بني فزارة فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنفه، فاستعدى عليه عمر، فبعث إلى جبلة، فقال له: ما هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنه تعمد حل إزاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف، فقال له عمر: قد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وأما أن أقيد منك، قال جبلة: تصنع بي ماذا. قال: آمر بهشم أنفك كما فعلت، قال؟ كيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك. قال: إن الإسلام جمعك وإياه، فلست تفضله إلا بالتقى، قال جبلة: قد ضننت أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، قال عمر:، دع ذا عنك فإنك إن لم ترض الرجل، اقتدته منك، قال: إذاً أتنصر، قال: إن تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فإن ارتددت قتلتك.

فلما رأى الجد من عمر قال: أنا ناظر في هذا ليلتي هذه، وقد اجتمع بباب عمر من حي هذا وحي هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة، فلما أمسوا أذن له عمر في الانصراف حتى إذا نام الناس تحمل بخيله ورواحله إلى الشام فأصبحت مكة بلاقع منهم، فلما أتى الشام تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية فدخل إلى هرقل فتنصر هو وقومه، فسر بذلك وظن أنه فتح من الفتوح، وأجرى عليه ما شاء، جعله من سماره.

وذكر ابن الكلبي أن الفزاري لما وطىء إزار جبلة، فلطمه جبلة، فلكل جبلة كما لطمه، فوثب عليه غسان فهشموا أنفه وأتوا به عمر، وذكر في الحديث مثل ما تقدم.

أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، خبرنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، حدثنا أبو عمر بن حيوية، حدثنا العباس بن العباس بن المغيرة، حدثّنا محمد بن موسى بن هارون، حدثنا أحمد بن يزك، حدَّثنا هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه، قال: ذكروا أنه لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني، وكان من ملوك جفنة، وذلك في خلافة عمر، وكتب إلى عمر بإسلامه، ويستأذنه في القدوم عليه، فسر عمر بذلك وأذن له في القدوم، فخرج في خمسين ومائة من أهل بيته حتى إذا قارب المدينة عمد إلى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة، وألبسهم الديباج والحرير، ولبس تاجه وفيه قرط مارية جدته، وبلغ عمر، فبعث إليه بالترل هنالك، ثم دخل المدينة في هيئته، فلم تبق بكر ولا عانس إلا خرجت تنظر، فدخل على عمر فرحب به، ثم أقام أياماً، وأراد عمر الحج، فخرج معه، وكان الناس يتعجبون من هيئته، فبينا هو يطوف بالبيت وطىء رجل من بني فزارة إزاره من خلفه فانحل، فرفع يده فهشم أنف الفزاري، فمضى يستعدي عمر عليه، فبعث إليه، فأتى فقال: هشمت أنف الرجل؟ قال: نعم، اعتمد حل إزاري، ولولا حرمة الكعبة لضربت بالسيف بين عينيه، فقال عمر: أما أنت فقد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وإلا أقدته منك، قال: أو خطر هو لي؟ قال: نعم، قال: كيف وأنا ملك وهو سوقة؟ قال عمر: الإسلام جمعكما، قال: والله لقد ظننت أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، قال عمر: هو ما ترى، فقال: إذن أتنصر، قال: إن فعلت قتلتك. واجتمع من حي الفزاري وحي جبلة على باب عمر خلق كثير، فقال: أنا أنظر في هذا الأمر ليلتي هذه. فانصرف إلى مترله، فلما ادلهم الليل تحمل بأصحابه إلى الشام في خمسمائة حتى دخل القسطنطينية في زمن هرقل فتنصر وقومه فأقطعه هرقل ما شاء، وأجرى عليه ما شاء وجعله من سماره.

فمكث دهراً ثم كتب عمر إلى هرقل كتاباً وبعثه مع رجل من أصحابه، فأجاب هرقل بما أراد عمر، ثم قال للرجل: هل لقيت ابن عمك جبلة؟ قال: لا، قال: فالقه قال: فأتيته، فما أخالني رأيت ثياب هرقل من السرور والبهجة ما رأيت من ثياب جبلة، فاستأذنت، فأذن وقام ورحب بي عانقني وعاتبني في ترك الترول عليه، فإذا هو في بهو عظيم من التماثيل والهول مالا أحسن أصفه وهو على سرير من ذهب، له أربع قوائم رأسه من ذهب، وإذا هو رجل أصهب ذو سبال، وإذا هو قد أمر بالذهب الأحمر فسحل

فذر في لحيته، واستقبل عين الشمس ثم أجلسني على كرسي من ذهب، فلما تبينته انحدرت عنه وقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا، وسألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر، ثم عرفت الحزن فيه، فقلت: ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟ قال: بعد الذي كان؟ قلت: نعم، قد كان الأشعث بن قيس ارتد وضربهم بالسيوف ومنعهم الزكاة ثم دخل في الإسلام، وزوجه أبو بكر الصديق أخته، فقال: دع هذا عنك، ثم أومأ إلى وصيف قائم على رأسه فولى، فما شعرنا إلا بالصناديق يحملها الرجال، فوضعت أمامنا مائدة من ذهب فاستعفيت منها، فأتى بمائدة خلنج، فوضعت أمامي وسعى علينا من كل حار وبارد في صحاف من ذهب وفضة، ودارت علينا الخمر فاستعفيت منها، ثم أتي بطست من ذهب وأبريق من ذهب. ثم أومأ إلى وصيف له فما كان إلا هنيهة حتى أقبلت عشر جوار، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن يساره على كراسي العاج، وإذا عشر أخر أحسن من الأول، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن يساره، ثم أقبلت جارية من أحسن ما تكون من الجواري، بطائر أبيض، وفي يدها اليمنى جام من ذهب فيه مسك وعنبر سحيقان، وفي يدها اليسرى جام من فضة فيه ماء ورد، ما لم أشم مثله، فنقرت الطائر فوقع في الجام فتقلب فيه ثم في الجام الآخر فتقلب فيه، ثم سقط على صليب في تاج جبلة، ثم حرك جناحيه فنثر ذلك على رأس جبلة ولحيته، ثم شرب جبلة خمراً ثم استهل واستبشر، ثم قال للجواري: أطربني، فخفقن بعيدانهن، فاندفعن يغنين

لله در عصابة نادمتهم	يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة عند قبر أبيهمُ	قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم	شم الأنوف من الطراز الأول
يغشون حتى ماتهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل

فطرب، ثم قال: هل تعرف لمن هذا الشعر؟ قلت: لا، قال: قاله حسان بن ثابت، قال: هو حي؟ قلت: نعم، أما إنه ضرير كبير. ثم قال: أطربني، فغنين:

لمن الدار أقفرت بمغان	بين قرع اليرموك والضمان
ذاك مغن لآل جفنة في الدهر	محاه تعاقب الأزمان

فقال: أتعرف قائل هذا، ذاك حسان ثم سكت طويلاً ثم قال: ابكينني. فوضعن عيدانهن ونكسن رؤوسهن وقلن:

تنصرت الأشراف من عار لطمة	وما كان فيها لو صبرت على ضرر
تكنفني فيها لحاج ونخوة	وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني	رجعت إلى القول الذي قاله عمر
وياليتني أرعى المخاض بقفرة	وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة	وقد يصبر العود الكبير على الدبر

ثم انصرف الجواري، ووضع يده على وجهه يبكي حتى نظرت إلى دموعه تجول كأنها اللؤلؤ، وبكيت معه ثم نشف دموعه بكمه، ومسح وجهه وقال: يا جارية هاتي، فأتته بخمسمائة دينار هرقلية، فقال: ادفع هذه إلى حسان بن ثابت وأقرئه مني السلام. ثم قال: هاتي، فأتته بمثلها، فقال: خذها صلة لك، فأبيت وقلت: لا أقبل صلة رجل ارتد عن الإسلام، فقال: أقرىء على عمر والمسلمين السلام- فجئت إلى عمر فأخبرته، فقال: ورأيته يشرب الخمر، فقلت: نعم، فقال: أبعده الله، تعجل فانيه بباقيه.

وفي رواية أخرى أن الرسول من حمير اسمه جثامة بن مساحق الكناني.

وروى عبد الله بن مسعدة الفزاري، قال: وجهني معاوية إلى ملك الروم، فدخلت عليه، فإذا عنده رجل على سرير من ذهب دون مجلس الملك، فقلت: من أنت يا عبد الله، فقال: أنا رجل غلب علي الشقاء، أنا جبلة بن الأيهم، إذا صرت إلى منزلي فالقني. فلما انصرف إلى منزله أتيته فلقيته على شرابه وعنده قينتان تغنيانه بشعر حسان، فقال لي: ما فعل حسان؟ قلت: شيخ كبير قد عمي، فدعى بألف دينار فدفعها إليَ وأمرني أن أدفعها إليه وقال: أترى صاحبك يفي إن خرجت إليه؟ قلت: قل ما شئت أعرضه عليه، قال: يعطيني الثنية فإنها كانت منازلنا، وعشرين قرية من الغوطة، ويفرض لجماعتنا، ويحسن جوائزنا. قلت: أبلغه. فلما قدمت على معاوية، قال: وعدت أنك أجبته إلى ما سأل فأجيزه له. وكتب إليه معاوية يعطيه ذلك، فوجده قد مات.

الربيع بن زياد الحارثي: وكان عامل زياد على خراسان، فبقي سنتين وأشهراً، ومات. وكان الربيع قد خرج يوم جمعة، فقال: أيها الناس، قد ملكت الحياة وأنا داع فأمنوا، ثم رفع يديه بعد الصلاة، وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً، فأمن الناس، فخرج فسقط وحمل إلى بيته، واستخلف ابنه.

وفي رواية: استخلف خليد بن عبد الله الحنفي وأقره زياد.

رويفع بن ثابت بن السكن: له صحبة، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مصر، واختط بها داراً، ومنزله باق. روى عنه مرثد بن عبد الله اليزني وغيره. وله بالمغرب ولايات وفتوح. توفي ببرقة وهو أمير عليها لمسلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر في هذه السنة.

زياد بن سمية، وهو الذي يقال له ابن أبيه: وكان أحمر اللون، في عينه اليمنى انكسار.

قال سفيان بن عيينة: أول من ضرب الدنانير والدراهم زياد.

وقال أبو رجاء: عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة وولاها زياداً، قالوا: فملك العراق خمس سنين.

وكتب إلى معاوية: إني قد ضبطت لك العراق بشمالي وبقيت يميني فارغة فاشغلها بالحجاز، فكتب له عهده، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أبى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، فذكروا ذلك له، فقال: ادعوا الله عليه يكفيكموه، فاستقل القبلة واستقبلوا، ودعا ودعوا، فخرجت طاعونة على إصبعه، فأرسل إلى شريح وكان قاضيه، فقال: قد أمرت بقطعها فأشر علي، فقال شريح: إني أخشى أن تكون الجراح على يدك والألم في قلبك، وأن يكون الأجل قد دنا وتلقى الله أجذم وقد قطعت يدك كراهية لقائه، أو أن يكون في الأجل تأخير وقد قطعت يدك فتعيش أجذم ويعير ولدك فتركها. وخرج شريح فسألوه فأخبرهم بما أشار عليه، فقالوا: هلا أشرت عليه بقطعها، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المستشار مؤتمن ".

ثم عزم زياد على قطعها وقال: أنام والطاعون في لحاف، فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع، فترك ذلك فحضرته الوفاة، فقال له

ابنه: يا أبه، قد هيأت لك ستين ثوباً أكفنك فيها، فقال: يا بني قد دنا من أبيك لباس خير من لباسه هذا، وسلب سريع؛ فمات لثلاث خلون من رمضان بالثوير بجانب الكوفة، وكان قد توجه يريد الحجاز والياً عليها، فلما بلغ الخبر ابن عمر، قال: اذهب إليك ابن سمية، لا الدنيا بقيت لك، ولا الآخرة أدركت.

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله الأنماطي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي، قال: أخبرنا الحارث بن محمد بن عبد الكريم، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي، قال: حدَّثنا عجلان مولى زياد وحاجبه، قال: كان زياد إذا خرج إلى المسجد مشيت أمامه حتى يدخل، وإذا دخل مشيت أمامه حتى يخرج، وإذا دخل مجلسه فعلت ذلك به، فدخل يوماً مجلسه، فإذا ضوء في الحائط مثال ثلاثين، فنظر إليه فقال: يا عجلان، هل يصل إلى هذا المجلس ضوء من موضع؟ قلت: لا، قال: فما هذا؟ ثم قال: هيه، هذا والله أجلي، نعيت إلى نفسي ثلاثين سنة، والله ما أطمع فيها ثلاثين شهراً، والله يفعل ما يريد، أثلاثون يوماً، والله يفعل ما يشاء قال عجلان. فمات والله في آخر يوم من الثلاثين يوماً.

أخبرنا إسماعيل بن محمد، أخبرنا محمد بن هبة الله العكبري، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا ابن صفوان، حدَّثنا، أبو بكر القرشي، قال: حدثني أبي، عن هشام بن محمد: حدثني يحيى بن ثعلبة الأنصاري، عن أمه عائشة، عن أبيها عبد الرحمن بن السائب الأنصاري، قال: جمع زياد أهل الكوفة، فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرضهم على البراءة من علي رضي الله عنه. قال عبد الرحمن: فإني لمع نفر من أصحابي من الأنصار والناس في أمر عظيم، فهومت تهويمة، فرأيت شيئاً أقبل، طويل العنق مثل عنق البعير، أهدب أهدل، فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النفاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر. فاستيقظت فزعاً، فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر فقال: إن الأمير يقول لكم انصرفوا عني فإني عنكم مشغول، وإذا الطاعون قد أصابه، فأنشأ عبد الرحمن يقول:

ما كان منتهياً عما أراد بنا ... حتى تناوله النفاد ذو الرقبه

وأثبت الشق منه ضربة ثبتت ... كما تناول ظلماً صاحب الرحبه

قال أبو بكر القرشي: حدثني زكريا بن يحيى، عن عبد السلام بن مظهر، عن جعفر بن سليمان، عن عبد ربه أبي بن كعب الجرموزي: أن زياداً لما قدم الكوفة قال: أي أهل البلد أعبد؟ قالوا: فلان الحميري، فأرسل إليه، فأتاه فإذا له سمت ونجو، فقال زياد: لو مال هذا مال أهل الكوفة معه، فقال له: إني بعثت إليك لأمولك وأعطيك على أن تلزم بيتك فلا تخرج، قال: سبحان الله، والله لصلاة واحدة في جماعة أحب إلي من الدنيا كلها، ولزيارة أخ في اله وعيادة مريض أحب إلي من الدنيا كلها، وليس إلى ذلك سبيل. قال: فاخرج فصل في جماعة، وزر إخوانك، وعد المريض، والزم لسانك، قال: سبحان الله، أرى معروفاً لا أقول فيه، أرى منكراً لا أنهى عنه، فوالله لمقام من ذلك واحد أحب إلي من الدنيا كلها. قال جعفر: أظن الرجل أبو المغيرة، فقال: السيف، فأمر به، فضربت عنقه، قال جعفر: فقيل لزياد: أبشر، قال: كيف وأبو المغيرة في الطريق.

أنبأنا الجريري، عن العشاري، قال: أخبرنا علي بن الحسين، قال: أخبرنا محمد بن القاسم بن مهدي، قال: حدثنا علي بن أحمد بن أبي قيس، قال: حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني سعيد بن يحيى، قال: حدثنا عمي عبد الله بن سعيد، عن زياد بن عبد الله، عن

عوانة، قال: حدثني عبد الرحمن بن الحسين، عن القاسم بن سليمان، قال: وقع طاعون بالكوفة فبدأ زياد، فخرج من الكوفة، فلما ارتفع الطاعون رجع فخرج طاعون بأصبعه. قال سليم: فأرسل إليّ فأتيته، فقال: يا سليم، أتجد ما أجد من الحر؟ قلت: لا، قال: والله إني لأجد في جسدي حراً كأنه النار، واجتمع إليه مائة وخمسون طبيباً، منهم ثلاثة من أطباء كسرى، فخلا سليم بطبيب من أطباء كسرى فسأله عنه، فقال له الطبيب ما به وهو ميت، فمره بالوصية صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم: كان يحيي الموءودة في الجاهلية، ثم جاء الإسلام فأسلم.

روى أبو عبده، عن عقال بن شبة، قال: قال صعصعة: خرجت باغياً ناقتين لي فرفعت لي نار فسرت نحوها وهممت بالنزول، فجعلت النار تضيء مرة وتخبو أخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار أن لا أجد أهلها يوقدونها لكربة: إلا فرجتها عنهم، قال: فلم أسر إلا قليلاً حتى أتيتها، فإذا حي من بني أنمار، وإذا بشيخ يوقدها في مقدم بيته، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض قد حبستهن ثلاث ليال، فسلمت، فقال الشيخ: من أنت؟ فقلت: أنا صعصعة بن ناجية، فقال: مرحباً بسيدنا، ففيم أنت يا بن أخي؟ فقلت: في بغاء ناقتين لي، قال: قد وجدتهما بعد أن أحيي الله بهما أهل بيت من قومك، وقد تجناهما وعطفت إحداهما على الأخرى، وهم شأنك في أدنى الإبل، قال: ففيم توقد نارك منذ الليلة، قال: أوقدتها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال، قال: فقال النساء: قد جاء الولد، فقال الشيخ: إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به، وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها إلا قتلتها، فقلت، يا هذا، ذرها فإنها ابنتك ورزقها على الله، فقال أقتلها، فقلت: أنشدك الله، فقال: إني أراك بها حفياً فاشترها مني، قلت: إني أشتريها منك، فقال: ما تعطيني؟ قلت: أعطيك إحدى ناقتي، قال: لا، قلت: أزيدك الأخرى، فنظر إلى ، جملي الذي تحتي، فقال: لا إلا أن تزيدني جملك هذا فإني أراه حسن اللون شاب السن، فقلت: هو لك على أن تبلغني أهلي، قال قد فعلت. فابتعتها منه، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت حتى تبين عنه أو يدركها الموت، فلما برزت من عنده حدثت نفسي وقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، ثم قلت: اللهم إن لك علي أن لا أسمع برجل من العرب يريد أن يئد بنتا له إلا اشتريتها بلقوحة، جمل فبعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم وقد أحييت مائة موءودة إلا أربعاً لم يشاركني في ذلك أحد حتى أنزل الله عز وجل تحريمه في القرآن.

وفي رواية أخرى: أنه جاء الإسلام وقد أحيى ثلاثمائة وستين موءودة.

وفي رواية أربعمائة.

وقدم على رسول الله فأسلم وتعلم القرآن وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما صنع، فقال: "لك أجر ذلك إذ من الله عليك بالإسلام ". ثم توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

فمن الحوادث فيها: مشتى محمد بن مالك بأرض الروم، وصائفة معن بن يزيد السلمي وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان وسبب ذلك أن معاوية كان يُغرِي بين مروان وسعيد بن العاص، فكتب إلى سعيد وهو على المدينة: اهدم دار مروان، فلم يهدمها، فأعاد إليه الكتاب مرة بعد مرة فلم يفعل، فعزله، فلما ولى مروان كتب إليه اهدم دار سعيد، فركب وجاء

بالفَعَلة، فقال له سعيد: أتهدم داري؟ قال: كتب إلي أمير المؤمنين، ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت، قال: ما كنت لأفعل، قال: بلى والله. فجاءه بكتاب معاوية في ذلك فرجع و لم يهدمها.

وقال الواقدي: كتب إليه: اقبض أموال مروان واجعلها صافية، واقبض فدك منه، وكان وهبها له. فراجعه سعيد وقال: قرابته قريبة، فأعاد إليه الكتاب فأبى وأخذ الكتابين فوضعهما عند جارية له، فلما عزل وولي مروان كتب معاوية إلى مروان يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز، فأرسل إليه بكتاب مع ابنه عبد الملك وقال: لو كان غير كتاب أمير المؤمنين. ، لتجافيته. فدعى، سعيد بالكتابين اللذين كتب بهما إليه في أموال مروان، فذهب بهما إلى مروان، فقال: هو كان أوصل لنا منه إليه، وكف عن قبض أموال سعيد.

وفي هذه السنة عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة وولى عبد الله بن عمرو بن غيلان وكان سمرة خليفة زياد على البصرة، فلما مات زياد أقره معاوية ستة أشهر ثم عزله، فقال سمرة بن جندب: والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً.

وفي هذه السنة ولى معاوية عبيد اللّه بن زياد خراسان.

وذلك أنه لما مات زياد، وفد عبيد الله على معاوية، فقال له معاوية: من استخلف أخي على عمله بالكوفة؟ قال: عبد الله بن خالد بن أسيد، قال: وعلى البصرة سمرة بن جندب، فقال: لو استعملك أبوك لاستعملتك.

وكان معاوية إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب ولاه الطائف، فإن رأى فيه ما يعجبه ولاه مكة معها، فإن أحسن الولاية جمع له معها المدينة، فكان إذا ولى الطائف رجلاً قيل: هو في أبي جاد، وإذا ولاه مكة قيل: هو في القرار، فإذا ولاه المدينة قيل: هو قد حذق.

فولى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان وهو ابن خمسة وعشرين سنة، فقدمها وقطع النهر إلى جبال بخارى، ففتح راميثن، ونصف بَيْكَنْد- وهما من بخارى- ولقي الترك ببخارى ومع ملكهم امرأته، فلما هزمهم الله أعجلها المسلمون عن لبس خُفَيْها، فلبست أحدهما وبقي الآخر، فأصابه المسلمون، فقوموا الجورب بمائتي ألف درهم. وأقام بخراسان سنتين.

وفيها: حج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وكان هو على المدينة، وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، وقيل: بل كان الضحاك بن قيس. وكان على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان.

ذكر من توفي في هذه السنة

ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا عبد الله أصابه سبي فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه، فلم يزل معه حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل حمص فمات في هذه السنة.

الحارث بن ربعي، أبو قتادة الأنصاري: قال الواقدي: اسمه النعمان.

وقال الهيثم بن عدي: اسمه عمرو. والأول أصح.

شهد ما بعد بدر، وحضر مع علي قتال الخوارج بالنهروان. وقد قيل أنه مات في خلافته وصلى عليه، ولا يصح ذلك بل عاش بعده.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة، قال: توفي أبو قتادة بالمدينة سنة أربع وخمسين، وهو ابن سبعين سنة.

حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى: ولد قبل الفيل باثنتي عشرة سنة، وكان آدم شديد الأدمة خفيف اللحم.

أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، أخبرنا المخلص، أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي، حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني مصعب بن عثمان، قال: دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة معها نسوة من قريش وهي حامل بحكيم بن حزام، فضربها المخاض في الكعبة، فأتيت بنطع حيث أعجلتها الولادة، فولدت حكيم بن حزام في الكعبة على النطع وكان حكيم من سادات قريش في الجاهلية والإسلام.

قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك، عن أبيه، قال: لم يدخل دار الندوة أحد من قريش للمشورة حتى يبلغ أربعين سنة إلا حكيم بن حزام، دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا المنذر بن عبد الله بن المنذر عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير، قال: سمعت حكيم بن حزام، يقول: ولدت قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث عشرة سنة وأنا أعقل حين أراد عبد المطلب أن يذبح ولده عبد الله حتى وقع نفره، وذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين.

قال محمد بن عمر: شهد حكيم بن حزام مع أبيه حرب الفجار، وقتل أبوه حزام في الفجار الأخير، وكان حكيم يكنى أبا خالد وكان له جماعة من الولد كلهم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا يوم الفتح.

قال محمد بن عمر: وأخبرنا إبراهيم بن جعفر بن محمود، عن أبيه وغيره، قالوا: بكى حكيم بن حزام، فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبه؟ قال: خصال كلها أبكاني، أما أولها: فبطء إسلامي حتى سبقت في مواطن كلها صالحة، ونجوت يوم بدر ويوم أحد، فقلت: لا أخرج من مكة ولا أوضع مع قريش ما بقيت، فأقمت بمكة ويأبى الله أن يشرح قلبي للإسلام وذلك أني أنظر إلى بقايا من قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية فأقتدي بهم، ويا ليت أني لم أقتد بهم، فما أهلكنا إلا اقتداؤنا بآبائنا وكبرائنا، فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعلت أفكر، وأتاني أبو سفيان بن حرب، فقال: أبا خالد، والله إني لأخشى أن يأتينا محمد في جموع يثرب، فهل أنت تابعي إلى شرف نتروح الخبر؟ قلت: نعم. قال: فخرجنا نتحدث ونحن مشاة حتى إذا كنا بمر الظهران إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدهم من الناس، فلقي العباس بن عبد المطلب أبا سفيان، فذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت إلى مكة فدخلت بيتي وآمن الناس، فجئته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالبطحاء وأسلمت وصدقته وشهدت أن ما جاء به حق، وخرجت معه إلى حنين. فأعطى رجالاً من الغنائم والأموال، وسألته حينئذ فألحقت المسلة.

قال محمد بن عمر: وحدثني معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، وعروة بن الزبير، قالا: حدَّثنا حكيم بن حزام، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بحنين مائة من الإبل فأعطانيها، ثم سألته مائة فأعطانيها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإسراف نفس لم يبارك فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، فاليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول".

فكان حكيم يقول: والذي بعثك بالحق لا أزرأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر الصديق يدعو حكيماً ليعطيه فيأبى أن يقبل منه شيئاً، وكان عمر يدعو حكيماً إلى عطائه فيأبى أن يأخذه، فيقول: أيها الناس أشهدكم على حكيم أني أدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه، فلم يزرأ حكيم أحداً من الناس شيئاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا عبد الله بن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير، ثم أعتق في الإسلام مائة رقبة وحمل على مائة بعير، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت شيئاً كنت فعلته في الجاهلية أتحنث به، هل لي فيه من أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسلمت على ما سلف لك من خير" أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا ابن المسلمة، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: جاء الإسلام وفي يد حكيم الرفادة ودار الندوة بيده، فباعها بعد من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمة قريش، فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى يا ابن أخي، إني اشتريت بها داراً في الجنة، أشهد أني قد جعلتها في سبيل الله.

وكان يفعل المعروف ويصل الرحم، عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام.

قال الزبير: وحدثني يعقوب بن محمد بن عيسى، قال: حدثني عثمان بن عمر بن عثمان بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبيه، عن أبي بكر بن سليمان، قال: حج حكيم بن حزام معه مائة بدنة قد أهداها، وجللها الحبرة، وكفها على أعجازها، ووقف مائة وصيف يوم عرفة في أعناقهم أطوقة الفضة قد نقش في رؤوسها عتقاء الله من حكيم بن حزام، وأعتقهم وأهدى ألف شاة.

قال الزبير بن بكار: وأخبرني إبراهيم بن حمزة، أن مشركي قريش حصروا بني هاشم في الشعب، وكان حكيم بن حزام تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام فيقبل بها إلى الشعب، ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها من الحنطة.

قال الزبير: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن الواقدي، عن الضحاك بن عثمان قال: قال حكيم بن حزام: كنت أعالج البز في الجاهلية، وكنت رجلاً تاجراً أخرج إلى اليمن وإلى الشام في الرحلتين، وكنت أربح أرباحاً كثيرة فأعود على فقراء قومي ونحن لا نعبد شيئاً نريد بذلك ثراء الأموال والمحبة في العشيرة، وكنت أحضر للأسواق، وكان لنا ثلاثة أسواق: سوق بعكاظ يقوم صبح هلال ذي القعدة، فيقوم عشرين يوماً ويحضرها العرب، وبها ابتعت زيد بن حارثة لعمتي خديجة بنت خويلد وهو يومئذ غلام، فأخذته بستمائة درهم، فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة سألها زيداً، فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها ابتعت حلة ذي يزن، كسوتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما رأيت أحداً قط أجمل ولا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحلة.

قال: ويقال: إن حكيم بن حزام قدم بالحلة في هدنة الحديبية وهو يريد الشام في عير، فأرسل بالحلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها، وقال: إلا أقبل هدية مشرك، قال حكيم: فجزعت جزعاً شديداً حيث رد هديتي، وبعتها بسوق النبط من أول سائم سامني، ودس رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها زيد بن حارثة فاشتراها، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها بعد.

وكان سوق مَجَنةَ تقوم عشرة أيام حتى إذا رأينا هلال ذي الحجة انصرفنا وانتهينا إلى سوق في المجاز تقام ثمانية أيام.

وكل هذه الأسواق ألقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواسم يستعرض القبائل قبيلة قبيلة يدعوهم إلى الله تعالى، فلا أرى أحداً يستجيب، وقريش أشد القبائل عليه حتى بعث ربه عز وجل قوماً أراد بهم كرامة هذا الحي من الأنصار فبايعوه وآمنوا به وبذلوا له أنفسهم وأموالهم، فجعل الله له دار هجرة. فلما حج معاوية سامني بداري بمكة فبعتها منه بأربعين ألف دينار، فبلغني أن ابن الزبير يقول: ما يدري هذا الشيخ ما يبيع ليردن عليه بيعه. فقلت: والله ما ابتعتها إلا بزق من خمر.

وكان حكيم يشتري الظهر والأداة والزاد ثم لا يجيئه أحد يستحمله في السبيل إلا حمله. وكان معاوية عام حج مر به وهو ابن عشرين ومائة سنة، فأرسل إليه بلقوح يشرب من لبنها وذلك بعد أن سأله أي الطعام يأكل، فقال: أما مضغ فلا مضغ بي، فأرسل إليه بلقوح، وصله، فأبى أن يقبلها وقال: لم آخذ من بعد النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، قد دعاني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى حقي فأبيت.

توفي بالمدينة في هذه السنة وهو ابن مائة وعشرين سنة.

حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل، أبو محمد: أسلم يوم الفتح، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب بتجديد أنصاب الحرم.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن مسلمة الأشهلي، عن أبيه، قال: كان حويطب بن عبد العزى قد بلغ عشرين ومائة سنة، ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة في عمله الأول دخل عليه حويطب مع مشيخة جلة: حكيم بن حزام، ومخرمة بن نوفل فتحدثوا عنده ثم تفرقوا، فدخل عليه حويطب يوماً بعد ذلك فتحدث عنده فقال له مروان: ما سنك؟ فأخبره، فقال له: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث، فقال حويطب: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام مرة بعد مرة، كل ذلك يعوقني أبوك، يقول: تدع شرفك، وتدع دين آبائك لدين محمد وتصير تابعاً، قال: فأسكت مروان، وندم على ما كان.

قال له: ثم قال حويطب: أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم؟ فازداد مروان غماً، ثم قال حويطب: ما كان في قريش أحد من كبرائنا الذين بقوا على دين قومهم إلى أن فتحت مكة، كان أكره لما هو عليه مني، ولكن المقادير. ولقد شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عبراً، رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض، فقلت: هذا رجل ممنوع، ولم أذكر ما رأيت، فانهزمنا راجعين إلى مكة، فأقمنا بمكة نسلم رجلاً رجلاً، فلما كان يوم الحديبية حضرت وشهدت الصلح ومشيت فيه حتى تم، وكل ذلك أريد الإسلام ويأبى الله إلا ما يريد، فلما كتبنا صلح الحديبية كنت أنا أحد شهوده، قلت: لا ترى قريش من محمد إلا ما يسوؤها، قد رضيت أن دافعت بالراح.

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام القضية، وخرجت قريش عن مكة، وكنت فيمن تخلف في مكة أنا وسهيل بن عمرو ولات يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مضى الوقت، وهو ثلاث، فلما انقضت الثلاث أقبلت أنا وسهيل بن عمرو، فقلنا: قد مضى شرطك فاخرج بمن معك من بلدنا، فصاح: يا بلال لا تغيب الشمس وأحد من المسلمين بمكة ممن قدم معنا.

وبالإسناد عن إبراهيم، عن أبيه، قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن موسى بن عقبة، عن لمنذر بن جهم، قال: قال حويطب:

لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح خفت خوفاً شديداً، فخرجت من بيتي وفرقت عيالي في مواضع يأمنون فيها، ثم انتهيت إلى حائط عوف، فكنت فيه فإذا أنا بأبي ذر الغفاري وكان بيني وبينه خلة، فلما رأيته هربت منه، فقال: أبا محمد، قلت: لبيك، قال: مالك، قلت: الخوف، قال: لا خوف عليك تعالى أنت آمن بأمان الله، فرجعت إليه وسلمت عليه، فقال لي: اذهب إلى مترلك، قلت: وهل سبيل إلى مترلي، والله ما أراني أصل إلى بيتي حياً حتى ألقى فأقتل أو يدخل في مترلي فأقتل وإن عيالي في مواضع شتى، قال: فاجمع عيالك معك في موضع واحد وأنا أبلغ معك فبلغ معي وجعل ينادي على بابي: إن حويطب آمن فلا يُهَجْ. ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: " أو ليس قد آمنا الناس كلهم إلا من أمرت بقتله ".

فاطمأننت ورددت عيالي إلى مواضعهم، وعاد إلي أبو ذر فقال: يا أبا محمد حتى متى وإلى متى قد سبقت في المواطن كلها وفاتك خير كثير وبقي خير كثير فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم تسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أبر الناس وأوصل الناس وأحلم الناس. قلت: فأنا أخرج معك فآتيه، فخرجت معه حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء وعنده أبو بكر وعمر، فوقفت على رأسه وقد سألت أبا ذر: كيف يقال إذا سلمُ عليه؟ قال: قل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله، قال: "وعليك السلام، أحويطب؟ " قلت: نعم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: "الحمد لله الذي هداك " وسر بإسلامي واستقرضني مالاً فأقرضته أربعين ألف درهم وشهدت معه حنيناً والطائف، وأعطاني من غنائم حنين مائة بعير.

ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة فترلها وله بها دار.

قال محمد بن عمر: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: باع حويطب داره بمكة من معاوية بأربعين ألف دينار، فقيل له: يا أبا محمد، أربعون ألف دينار، فقال: وما أربعون ألف دينار لرجل عنده خمسة من العيال.

ومات حويطب بالمدينة في هذه السنة وله مائة وعشرون سنة.

سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم: أسلم يوم الفتح، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً وأعطاه من غنائمها خمسين بعيراً، وكان ممن يجدد أنصاب الحرم كل سنة معرفة بها حتى ذهب بصره في آخر خلافة عمر رضي الله عنه.

وتوفي بالمدينة في هذه السنة وهو ابن مائة وعشرين سنة.

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود: تزوجها السكران بن عمرو، وأسلما وخرجا إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلما قدم مكة توفي، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فخطبها فتزوجها، فهي أول امرأة تزوجها بعد خديجة، وكان ذلك في رمضان سنة عشر من النبوة، وبنى بها بمكة، وكانت قد كبرت فأراد طلاقها، فقالت: دعني أحشر في جملة أزواجك وليلتي لعائشة. وقيل: إنه طلقها، فلما قالت هذا راجعها.

وتوفيت في شوال هذه السنة بالمدينة.

مرة بن شراحبيل الهمداني: ويقال له: مرة الخير، ومرة الطيب، سمي ذلك لعبادته.

وروى عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود. وكان كثير الصلاة تبين في وجهه وكفيه آثار. الركوع والسجود.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا أبو حامد بن جبلة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا سعدان بن يزيد، قال: حدثنا الهيثم بن جميل، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عطاء بن السائب، قال: كان مرة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثقل وبدن صلى أربعمائة ركعة، وكنت تنظر إلى مباركه كأنها

مبارك الإبل.

أخبرنا إِسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني محمد بن جعفر بن عون، قال: حدثني بكر بن محمد العابد، قال: حدثنا الحارث الغنوي، قال: سجد مرة الهمداني حتى أكل التراب جبهته، فلما مات رآه رجل من أهله في منامه كأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدري يلمع. فقلت له: ما هذا الذي أرى بوجهك؟ قال: كسى موضع السجود بأكل التراب له نوراً، قال: فما مترلتك في الجنة؟ قال: خير مترلة، دار لا ينتقل عنها أهلها ولا يموتون.

النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث:

شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يؤتى به مرة بعد مرة في شرب النبيذ، فقال رجل: اللهم العنه، ما أكثر ما يشرب وأكثر ما يجلد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله".

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فمن الحوادث فيها: مشتى سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم في قول الواقدي.

وقال غيره: بل الذي شتا هناك عمرو بن محرز.

وقيل: بل عبد الله بن قيس الفزاري.

وقيل: بل مالك بن عبد الله وفيها عزل معاوية عبد اللّه بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولى عبيد اللّه بن زياد وكان السبب في ذلك أن عبد الله خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بني ضبة يدعى جبير بن الضحاك، فأمر به فقطعت يده، فاجتمعت عشيرته فقالت له: لا نأمن أن نبلغ خبر صاحبنا إلى أمير المؤمنين فتأتي من عنده عقوبة تعم أو تخض، فإن رأى الأمير أن يكتب لنا كتاباً يخرج به أحدنا إلى أمير المؤمنين يخبره أنه قطعه على شبهة وأمر لم يَصِح، فكتب لهم، فأمسكوا الكتاب مدة ثم ذهبوا به إلى معاوية وقالوا: إنه قطع يد صاحبنا ظلماً وهذا كتابه. فقرأ الكتاب وقال: أما القود من عمالي فلا سبيل له، ولكن إن شئتم وديت صاحبكم، فوداه من بيت المال، وعزل عبد الله وقال: اختاروا من تحبون، فقالوا: يتخير لنا أمير المؤمنين، قال: قد وليت عليكم ابن أخي عبيد الله بن زياد. فلما ولي عبيد الله ولى أسلم بن زرعة خراسان فلم يغز و لم يفتح بها شيئاً. وولى شرطته عبد الله بن حصن والقضاء زرارة بن أوفى ثم عزله وولى القضاء ابن أذينة العبدي.

وفي هذه السنة

عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس الفهري.

وفيها: حج بالناس مروان بن الحكم، وكان على المدينة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، أبو عبد اللّه: وأمه أميمة بنت الحارث من خزاعة، وخاله نافع بن الحارث بن خزاعة عامل عمر بن الخطاب على مكة.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمران بن هند بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم أبن أبي الأرقم المخزومي، قال: حدثني أبي، عن يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم، قال: حدثني جدي عثمان بن الأرقم، قال: أنا ابن سبعة في الإسلام، أسلم أبي سابع سبعة، وكانت داره بمكة على الصفا، وهي الدار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فيها في أول الإسلام، وفيها دعى الناس إلى الإسلام، وأسلم فيها خلق كثير، وقال ليلة الإثنين فيها: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام". فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة فأسلم في دار الأرقم وخرجوا منها وكبروا وطافوا بالبيت طاهرين، فدعيت دار الأرقم دار الإسلام، وتصدق بها الأرقم على ولده، فقرأت نسخة صدقة الأرقم بداره.

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قضى الأرقم في ربعه ما حاذى الصفا، إنها محرمه بمكانها من الحرم، لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص، وفلان مولى هشام بن العاص ".

فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة فيها ولده يسكنون ويؤاجرون ويأخذون عليها حتى كان زمن أبي جعفر.

قال محمد بن عمران: فأخبرني أبي، عن يحيى بن عمران أن ابن عثمان بن الأرقم قال:

إني لأعلم اليوم الذي وقعت في نفس أبي جعفر، إنه ليسعى بين الصفا والمروة في حجة حجها ونحن على ظهر الدار في فسطاط فيمر تحتنا لو أشاء أن آخذ قلنسوة عليه لأخذتها، وإنه لينظر إلينا من حين يهبط بطن الوادي حتى يصعد إلى الصفا، فلما خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة، كان عبد الله بن عثمان بن الأرقم ممن تابعه و لم يخرج معه، فتعلق عليه أبو جعفر بذلك، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحبسه ويطرحه في حديد، ثم بعث رجلاً من أهل الكوفة يقال له شهاب بن عبد رب، وكتب معه إلى عامل المدينة أن يفعل ما يأمره به، فدخل شهاب على عبد الله بن عثمان الحبس– وهو شيخ كبير ابن بضع وثمانين سنة، وقد ضجر بالحديد والحبس– فقال له: هل لك أن أخلصك مما أنت فيه وتبيعني دار الأرقم؟ فإن أمير المؤمنين يريدها، وعسى أن بعته إياها أن أكلمه فيك فيعفو عنك قال: إنها صدقة، ولكن حقي منها له ومعي فيها شركاء إخوتي وغيرهم، فقال: إنما عليك نفسك، أعطنا حقك وبَرِئْتَ. فاشهد له بحقه، وكتب عليه كتاب شراء على حساب سبعة عشر ألف دينار، ثم تتبع إخوته ففتنهم بكثرة المال فباعوه، فصارت لأبي جعفر ولمن أقطعها، ثم صيرها المهدي للخيزران أم موسى وهارون، فبنتها وعرفت بها، ثم صارت لجعفر بن موسى أمير المؤمنين، ثم سكنها أصحاب الشطوي والعدني، ثم اشترى، عامتها غسان بن عباد من ولد موسى بن جعفر.

قال علماء السير: شهد الأرقم بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله، ومات الأرقم بالمدينة في هذه السنة وهو ابن سبع وثمانين سنة، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص.

سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ويكنى أبا إسحاق: وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة.

وقيل: تسع عشرة.

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا خالي فليرني امرؤ خاله ".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم سدد رميته وأجب دعوته".
وكان مجاب الدعوة، ودعا فقال: اللهم إن لي بنين صغاراً فأخر عني الموت حتى يبلغوا، فأخر عنه الموت عشرين سنة.
وولي الولايات من قبل عمر وعثمان، وجعله عمر أحد أصحاب الشورى، وأمره على جيوش العراق، ثم ولاه الكوفة.
وكان قصيراً، غليظًا، ذا هامة، شَثْنَ الأصابع، آدم، أفطس، أشعر الجسد، يخضب السواد. وكان له من الولد، ثمانية عشر ذكراً، وثماني عشرة أنثى.
وروى عنه من الصحابة ابن عباس، وجابر بن سمرة، والسائب بن يزيد، وعائشة أم المؤمنين.
وكان عمر يقول لابنه: إذا حدثك سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فلا تسأل عنه غيره.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبد الله بن نمير، ويعلى ومحمد ابنا عبيد، قالوا: حدثنا إسماعيل بن خالد، عن قيس بن حازم، قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: والله إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام نأكله إلا ورق الحُبْلَةِ وهذا السَّمُرُ، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خِلْطٌ .
قال محمد بن سعد: وأخبرنا وكيع، "عن سفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن عبد الله بن شداد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدي أحداً بأبويه إلا سعداً، فإني سمعته يقول يوم أحد: "ارم سعد فداك أبي وأمي"
توفي سعد في قصر بالعقيق. على عشرة أميال من المدينة، فحمل على أعناق الرجال إلى المدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرهن ووقف به عليهن فصلين عليه ودفن بالبقيع.
وكان أوصى أن يكفن في جبة صوف له كان لقي المشركين فيها يوم بدر فكفن فيها وذلك في سنة خمس وخمسين. كذلك قال خليفة بن خياط، وسعيد بن عمير، وعمرو بن علي المدائني.
وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: سنة ثمان وخمسين.
وقال الهثيم بن عدي: سنة خمسين.
وقال ابن بكير: سنة أربع وخمسين، وهو آخر المهاجرين وفاة. والأول أثبت.

وترك يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم. وفي مقدار عمره أقوال ثلاث أحدها: ثلاث وثمانون. قاله إبراهيم بن سعد.
والثاني: أربع وسبعون. قاله عمرو بن علي.
والثالث: اثنتان وثمانون.
وقول الغلاس أثبت.
سحبان بن زفر بن إياس بن عبد شمس بن الأحب الباهلي: كان خطيباً بليغاً يضرب المثل بفصاحته، ودخل على معاوية بن أبي سفيان وعنده خطباء القبائل، فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه، فمن قوله:

لقد علم الحي اليمانيون أنني إذا قلت: أما بعد، أني خطيبها

فقال له معاوية: اخطب، فقال: انظروا لي عصاً تقيم من أودي، قالوا: وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه، فأخذها وتكلم من الظهر إلى أن قارب العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه وقد بقيت عليه بقية فيه، فقال معاوية: الصلاة، قال: الصلاة أمامك ألسنا في تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه وتذكير ووعد ووعيد، فقال معاوية: أنت أخطب الجن والإنس، قال: كذلك أنت.

فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس: كان صبياً يوم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء كنا غلماناً نختطب، فأرسلنا إلى أهلنا وقال: قولوا قد جاء صاحبكم الذي تنتظرون، فخرجنا إلى أهلنا فأخبرناهم، فأقبل القوم.

وشهد فضالة أحداً والخندق وما بعدها، وكان ممن بايع تحت الشجرة، ثم خرج إلى الشاموصار قاضياً بها في خلافة معاوية.

قثم بن العباس بن عبد المطلب: كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلعب، فحمله خلفه.

واستعمله علي بن أبي طالب على المدينة، وخرج مع سعيد بن عثمان في زمن معاوية، فاستشهد بسمرقند.

كعب بن عمرو بن عباد، أبو اليسر شهد العقبة وبدراً وهو ابن عشرين سنة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قصيراً دحداحاً، أبطن، وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر وتوفي بالمدينة في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وخمسين

فمن الحوادث فيها:

مشتى جنادة بن أبي أمية بأرض الروم

وقيل: عبد الرحمن بن مسعود.

وفيها: غزا البحر يزيد بن شجرة الرهاوي، وغزا البر عياض بن الحارث.

وفيها: حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

وفيها: اعتمر معاوية في رجب.

وفيها دعا الناسَ معاويةُ إلى بيعة يزيد ابنه من بعده وجعله ولي عهده وكان سبب ذلك أن المغيرة قدم على معاوية وأستعفاه وشكى إليه الضعف، فأعفاه، وأراد أن يولي سعيد بن العاص، فدخل المغيرة على يزيد فعرض له البيعة، فأتى ذلك يزيد إلى أبيه، فرد معاوية المغيرة إلى الكوفة وأمره أن يعمل في بيعة يزيد. فشخص إلى الكوفة فعمل في بيعة يزيد، وكتب معاوية إلى زياد يستشيره في ذلك، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النميري، فقال: إن أمير المؤمنين قد أجمع على بيعة يزيد وهو متخوف نفرة الناس، ويزيد صاحب تهاون، مع ما قد أولع به من الصيد، فالق أمير المؤمنين مؤدياً عني وأخبره عن فعلات يزيد وقل: رويدك بالأمر، فأقْمَنُ أن يتم لك ما تريد، ولا تعجل فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت. فقال عبيد له:

أفلا غير هذا، قال: ما هو. قال: لا تفسد على معاوية رأيه ولا تمقت إليه ابنه، وألقى أنا يزيد سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين يستشيرك في بيعته، وأنت تتخوف خلاف الناس لهنات ينقموها عليه، وأنت ترى له ترك ما ينقمون عليه فتستحكم لأمير المؤمنين الحجة على الناس، ويسهل لك ما تريد، فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين فقال: إشخص على بركة الله.
فقدم على يزيد فذاكره ذلك، وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة وأن لا يعجل فقبل ذلك معاوية، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع، ثم قدم عبيد على زياد فأقطعه قطيعة. فلما مات زياد دعا معاوية بكتاب، فقرأه على الناس باستخلافه يزيد إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهده، فاستوثق له الناس على البيعة ليزيد غير نفر خمسة، أحدهم الحسين بن علي رضي الله عنهما، فقال له معاوية: يا بن أخي، قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر أنت تقودهم، فما إربك إلى هذا الخلاف؟ قال: أنا أقودهم، قال: نعم، فأرسل إليهم فإن بايعوا كنت رجلاً منهم وإلا لم تكن عجلت علي بأمر. قال: وتفعل؟ قال: نعم قال: فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهم أحداً، فالتوى عليه، ثم أعطاه ذلك، فخرج وقد أقصد له ابن الزبير رجلاً بالطريق. قال: يقول لك أخوك ابن الزبير: ما كان فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً.
ثم أرسل بعده إلى ابن الزبير، فقال له: قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم يا بن أخي، فما إربك إلى الخلاف. قال: أنا أقودهم. قال: نعم، قال: فأرسل إليهم فإن بايعوا كنت رجلاً منهم وإلا لم تكن عجلت علي بأمر، قال: وتفعل. قال: نعم، قال: فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحداً، قال: يا أمير المؤمنين نحن في حرم وعهد الله ثقيل، فأبى عليه وخرج.
ثم أرسل بعده إلى ابن عمر رضي الله عنهما فكلمه بكلام هو ألين من كلام صاحبيه، فقال: إني أرهب أن أدع أمة محمد كالضأن لا راعي لها وقد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم، فما إربك إلى الخلاف؟ قال: هل لك في أمر يذهب الوزر، ويحقن الدم، وتدرك حاجتك؟ قال: وددت، قال: تبرز سريرك ثم أجيء فأبايعك على أني أدخل بعدك فيما يجتمع له عليه الأمة، فوالله لو أن الأمة اجتمعت بعدك على عبد حبشي لدخلت فيما تدخل فيه الأمة، قال: وتفعل؟ قال: نعم. ثم خرج فأتى منزله فأطبق بابه وجعل الناس يجيئون فلا يأذن لهم.
فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: يا ابن أبي بكر بأية يد أو رجل تقدم على معصيتي، قال: أرجو أن يكون ذلك خيراً لي، فقال: والله لقد هممت أن أقتلك، قال: لو فعلت لأتبعك الله به لعنة في الدنيا وأدخلك به في الآخرة النار.
قال: و لم يذكر ابن عباس.
وحكى محمد بن سعد: أن معاوية قال للحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، ولعبد الله بن الزبير: إني أتكلم بكلام فلا تردوا عليّ شيئاً فأقتلكم. فخطب الناس وأظهر أنهم قد بايعوا ليزيد، فسكت القوم و لم ينكروا خوفاً منه ورحل من المدينة.
وفي هذه السنة ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان.
وكان السبب أن سعيداً سأل ذلك، قال: إن بها عبيد الله بن زياد، فقال: أما والله لقد اصطنعك أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجارى إليه ولا يسامى، فما شكرت بلاءه ولا جازيته. فولاه حرب خراسان، وولى إسحاق بن طلحة خراجها.
وكان إسحاق ابن خالة معاوية، أمه أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، فلما صار بالري مات إسحاق بن طلحة، فولي سعيد خراج خراسان وحربها، فقطع سعيد الترمذ إلى سمرقند، فخرج إليه أهل الصغد فواقفوه يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال، فلما كان الغد خرج إليهم سعيد، وناهضه أهل الصغد فقاتلهم فهزمهم وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه وأعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً

يكونون في يده من أبناء عظمائهم، وعبر فأقام بالترمذ.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة مروان بن الحكم، وعلى الكوفة الضحاك بن قيس، وعلى البصرة عبد الله بن زياد، وعلى خراسان سعيد بن عثمان بن عفان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أم حرام بنت ملحان، أخت أم سليم: أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم يقيل في بيتها.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا روح، قال: حدثنا حماد- يعني ابن سلمة- عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حيان، عن أنس، عن أم حرام أنها قالت: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً في بيتي استيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي وأمي ما يضحكك؟ قال: "عرض علي ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة " فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "اللهم اجعلها منهم ". ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي وأمي ما يضحكك، قال: عرض علي ناس منم أمتي يركبون هذا البحر كالملوك على الأسرة، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، ففال: " أنت من الأولين ".

فغزت مع عبادة بن الصامت وكان زوجها عبادة بن الصامت فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت.

قال هرم بن عمار: أنا رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بفاقيس.

وقال هشام بن الغار: قبرها بقبرص، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فمن الحوادث فيها: مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم.

وفيها: صرف مروان عن المدينة في ذي القعدة. واستعمل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

وقال غيره: بل كانت المدينة في هذه السنة إلى مروان، وإنما صرفه في سنة ثمان وخمسين، واستعمل حينئذٍ الوليد بن عتبة.

وفيها: حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان العامل على الكوفة الضحاك بن قيس، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى خراسان سعيد بن عثمان

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عثمان بن حنيف بن واهب بن عُكيم، أبو عبد اللّه: بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على خراج السواد، ورزقه كل يوم ربع شاة وخمسة دراهم، وأمره أن يمسح السواد، فلم يزَل على ذلك.

ولما قتل عثمان بعثه علي بن أبي طالب والياً على البصرة فلم يزل بها حتى قدم عليه طلحة والزبير فقاتلهم ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً بالموادعة على أن دار الإمارة والمسجد وبيت المال إلى عثمان بن حنيف، وينزل طلحة والزبير وعائشة حيث شاءوا من

البصرة.

وتوفي عثمان بن حنيف في خلافة معاوية

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

فمن الحوادث فيها: غزو مالك بن عبد الله الخثعمي أرض الروم.

وقتل يزيد بن شجرة في البحر في السفن.

وقيل: إن الذي شتى بأرض الروم في هذه السنة عمرو بن يزيد الجهني، والذي غزا في البحر جنادة بن أبي أمية وفيها ولى معاوية الكوفة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، وعزل عنها الضحاك بن قيس.

وفي عمله في هذه السنة خرجت الطائفة التي حبسها المغيرة بن شعبة في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد، فظفر بهم فاستودعهم السجن، فلما مات المغيرة خرجوا من السجن، فجمع حيان بن ظبيان أصحابه ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الله عز وجل كتب علينا الجهاد، فمنّا من قضى نحبه ومنا من ينتظر، وأولئك هم الأبرار الفائزون بفعلهم، فمن كان منكم يريد الله وثوابه فليسلك سبيل أصحابه.

وقال معاذ بن جوين الطائي: يا أهل الإسلام، إنا والله لو علمنا أنا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجور، كان لنا به عند الله عذر، لكان تركه أيسر علينا وأخف من ركوبه، ولكنا قد علمنا واستيقنا أنه لا عذر لنا.

ثم قال: ابسط يدك نبايعك، فبايعه وبايعه القوم، فضربوا على يد حيان فبايعوه وذلك في إمارة عبد الرحمن بن عبد الله، ثم إن القوم اجتمعوا في مترل معاذ بن جوين، فقال لهم حيان: عباد الله، أشيروا برأيكم، أين تأمروني أن أخرج؟ فقال له معاذ: إني أرى أن تسير بنا إلى حلوان فإنها كورة بين السهل والجبل، وبين المصر والثغر، فمن كان يرى رأينا من أهل المصر والثغر والجبال والسواد لحق بنا. فقال له حيان: عدوك معاجلك قبل اجتماع الناس إليك، فلا يتروكم حتى يجتمع الناس إليكم، ولكن رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة ثم نقاتلهم حتى نلحق بربنا، فإني والله، قد علمت أنكم لا تقدرون وأنتم دون المائة رجل أن تهزموا عدوكم، ولا أن تشتد نكايتكم فيهم، ولكن متى علم الله أنكم قد أجهدتم أنفسكم في جهاد عدوه وعدوكم كان لكم به العذر، وخرجتم من الإثم.

قالوا: رأينا رأيك، فقال لهم عديس بن عرقوب: اخرجوا بجانب من مصرهم هذا فقاتلوا، فقالوا: لن يخالفك، فمكثوا حتى إذا كان آخر سنة من سني ابن أم الحكم في أول يوم من ربيع الآخر اجتمعوا إلى حيان، فقال: يا قوم، والله الذي لا إله غيره ما سررت قط في الدنيا بعدما أسلمت سروري بخروجي هذا على الظلمة، إني قد رأيت أن نخرج حتى نترل جانب دار جرير، فإذا خِرج إليكم الأحزاب ناجزتموهم، فقال عديس بن عرقوب: إذا قاتلتهم في جوف المصر قاتلنا الرجال وصعد النساء والصبيان والإماء، فرمونا بالحجارة، فقال رجل منهم: انزلوا بنا من وراء الجسر، فقال معاذ: لا بل سيروا بنا فلنترل بانقيا فما أسرع ما يأتيكم عدوكم، فإذا كان ذلك استقبلنا القوم وجعلنا البيوت في ظهورنا، فقاتلناهم من وجه واحد، فخرجوا فبعث إليهم جيش فقتلوا جميعاً.

وفي هذه السنة طرد أهل الكوفة عبد الرحمن بن أم الحكم وذلك أنه أساء السيرة فيهم، فطردوه، فلحق بمعاوية وهو خاله، فقال له:

أوليك خيراً منها مصر، فولاه، فتوجه إليها، وبلغ معاوية بن حديج السكوني الخبر، فخرج إليه واستقبله على مرحلتين من مصر، فقال له: ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة. فرجع إلى معاوية، ثم أقبل معاوية بن حُديج وافداً، فدخل عليه وعنده أم الحكم، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا معاوية بن حديج، قالت: لا مرحباً به، "تسمع بالمُعَيدِي خير من أن تراه فقال: على رسلك يا أم الحكم، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ما كان الله ليريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطىء منه، فقال لها معاوية: كفى.

قصة ابن أم الحكم مع الأعرابي وجرت لعبد الرحمن ابن أم الحكم قصة عجيبة أخبرنا بها محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، وأخبرتنا شهدة بنت أحمد الكاتبة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: حدَّثنا محمد بن خلف، قال: حدَّثني محمد بن عبد الرحمن القرشي، قال: حدثنا محمد بن عبيد قال: حدثنا أبو مخنف، عن هشام بن عروة، قال: أذن معاوية بن أبي سفيان يوماً، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذره، فلما أخذ الناس مجالسهم قام الفتى العذري بين السماطين ثم أنشأ يقول:

معاوي يا ذا الفضل والحكم والعقل ... وذا البر والإحسان والجود والبذل
أتيتك لما ضاق في الأرض مسلكي ... وأنكرت مما قد أصبت به عقلي
ففرج كلاك الله عني فإنني ... لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي
وخذ لي هداك الله حقي من الذي ... رماني بسهم كان أهونه قتلي
وكنت أرجّي عدله إن أتيته ... فأكثر ترددادي مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قد أصابني ... فهذا أمير المؤمنين من العذل

فقال معاوية: اعن بارك الله عليك، ما خطبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين، إنني رجل من بني عذرة، تزوجت ابنة عم لي، وكانت لي صرمة من إبل وشويهات، فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتني نائبة الزمان وحادثات الدهر رغب عني أبوها، وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرهت مخالفة أبيها، فأتيت عاملك ابن أم الحكم فذكرت ذلك له، وبلغه جمالها، فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها وأخذني فحبسني وضيق علي، فلما أصابني مس الحديد وألم العذاب طلقتها، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب وسند المسلوب، فهل من فرج، ثم بكى وقال في بكائه:

في القلب مني نار والنار فيها شرار ... والجسم مني نحيل واللون فيه اصفرار
والعين تبكي بشجو ودمعها مدرار ... والحب داء عسير فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيماً فما عليه اصطبار ... فليس ليلي بليل ولا نهاري نهار

فرق له معاوية وكتب له إلى ابن أم الحكم كتاباً غليظاً، وكتب في آخره يقول:

ركبت أمراً عظيماً لست أعرفه ... أستغفر الله من جور امرىء زان

قد كنت تشبه صوفياً له كتب مِن الفرائض أو آثار فرقان

حتى أتاني الفتى العذري منتحباً يشكو إلي بحق غير بهتان

أعطى الإله عهوداً لا أجيش بها أو لا فبرئت من دين وإيمان

إن أنت راجعتني فيما كتبت به لأجعلنَك لحماً عند عقبان

طلق سعاد وفارقها بمجتمع واشهد على ذاك نصراً وابن ظبيان

فما سمعت كما بلغت من عجب ولافعالك حقاً فعل فتيان

فلما ورد كتاب معاوية على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف، وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلقها، ثم قال: يا سعاد، اخرجي، فخرجت شكلة غنجة، ذات هيئة وجمال، فلما رآها الوفد قالوا: ما تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين لا لأعرابي، وكتب جواب كتابه يقول:

لا تحنثن أمير المؤمنين فقد أوفى بعهدك في رفق وإحسان

وما ركبت حراماً حيث أعجبني فكيف سميت باسم الخائن الزان

وسوف يأتيك شمس لا خفاء بها أبهى البرية من إنس ومن جان

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت أقول ذلك في سر وإعلان

فلما ورد الكتاب على معاوية، قال: إن كانت أعطيت حسن النعمة على هذه الصفة فهي أكمل البرية، فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاماً وأكملهم شكلاً ودلاً، فقال: يا أعرابي فهل من سلو عنها بأفضل الرغبة، قال: نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي، ثم أنشأ يقول:

لا تجعلني والأمثال تضرب بي كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حيران مكتئب يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق وأسعر القلب منه أي إسعار

والله والله لا أنسى محبتها حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها وأصبح القلب عنها غير صبار

قال: فغضب معاوية غضباً شديداً، ثم قال لها: اختاري إن شئت أنا، وإن شئت ابن أم الحكم، وإن شئت الأعرابي. فأنشأت سعاد وارتجزت تقول:

هذا وإن أصبح في الخمار وكان في نقص من اليسار

أكثر عندي من أبي وجاري وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار

فقال معاوية: خذها لا بارك الله لك فيها فارتجز الأعرابي يقول:

ألم ترقوا ويحكم لما بي	خلوا عن الطريق للأعرابي

قال: فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم. وناقة وطاء وأمر بها فأدخلت في بعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم، ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي.

وفي هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم صبراً جماعة كثيرة، وفي الحرب جماعة أخرى، وممن قتل منهم صبراً عروة بن أدوية.

وسبب ذلك أن ابن زياد خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس وفيهم عروة بن أدوية، فأقبل على ابنِ زياد، فقال: خمس كن في الأمم قبلنا، فقد صرن فينا: "أَتَبْنُونَ بِكُل رِيعٍ آيَة تَعْبَثُونَ وتتخذونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بطشتم جبارِين " وذكر خصلتين نسيهما الراوي، فلما قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يجترىء على مثل ذلك إلا ومعه جماعة من أصحابه، فقام فركب وترك رهانه، فقيل لعروة: ما صنعت، والله ليقتلنك. فتوارى، فطلبه ابن زياد فأتى الكوفة، فأخذ به ابن زياد فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم دعاه فقال: كيف ترى؟ قال: أرى أنك أفسدت دنياي وأفسدت آخرتك، فقتله، وأرسل إلى ابنيه فقتلهما.

وكان ابن زياد قد حبس مرداس بن أدية، وكان السجان يرى عبادته واجتهاده، فكان يأذن له في الليل فينصرف، فإذا طلع الفجر أتاه فدخِل السجن، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة، فعزم على قتلهم إذا أصبح، فانطلق صديق لمرداس إلى مترله وأخبرهم، فأرسلوا إليه ليعهد، فسمع ذلك مرداس، وبلغ الخبر صاحب السجن فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم مرداس الخبر فلا يرجع. فلما كان وقت رجوعه جاء، فقال له السجان: هل علمت ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم. فلما قُدمَ ليقتل، وثب. السجان- وكان ظئراً لعبيد الله- فأخذ بقدمه وقال: هبه لي، وقص عليه القصة، فوهبه له وأطلقه، فخرج مرداس في أربعين رجلاً إلى الأهواز فبعث ابن زياد إليهم جيشاً.

وفي هذه السنة توفي عميرة بن يثربي قاضي البصرة، فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة.

وكان على الكوفة في هذه السنة عبد الرحمن بن أم الحكم.

وقال بعضهم: بل الضحاك بن قيس الفهري.

وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح.

وفيها: حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، يكنى أبا عثمان، ويكنى أبا سعيد: جده أبو أحيحة، قتل أبوه العاص يوم بدر كافراً، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسعيد تسع سنين. وكان سعيد كريماً، استسقى يوماً من دار بالمدينة، ثم عرض صاحب الدار الدار للبيع، فقال: لم يبيعها؟ قالوا: عليه دين أربعة آلاف دينار، فقال: إن له لحرمة لسقيه إيانا. فركب إليه ومعه غريمه، فقال للغريم: هي لك علي، وقال لصاحب الدار: استمتع بدارك.

وكان الناس يتعشون عنده، وكان فيهم رجل من القراء افتقر، فقالت له زوجته: قد بلغنا عن أميرنا هذا كرم فاذكر له حالك فلعله أن ينيلنا شيئاً، فقال: ويحك، لا تخلقي وجهي، قالت: فاذكر له على كل حال. فتصرم الناس ليلة عنه، وثبت الرجل، فقال: سعيد: أظن جلوسك لحاجة، فسكت، فقال لغلمانه: تنحوا، ثم قال له: رحمك الله، إنما أنا وأنت فاذكر حاجتك، فسكت، فأطفأ السراج ثم قال: رحمك الله، لست ترى وجهي فاذكر حاجتك، فقال: أصلح الله الأمير، لقد أصابتنا حاجة فأحببت ذكرها لك، فقال: إذا أصبحت فالق فلاناً وكيلي. فلما أصبح الرجل لقي الوكيل، فقال له: إن الأمير قد أمر لك بشيء فائت بمن يحمله معك، فقال: ما عندي من يحمل، ثم انصرف إلى زوجته فأخبرها الخبر وجعل يلومها ويقول: ما أظنه أمر لي إلا بقوصرة تمر وقفيز بز وذهب ماء وجهي، لو كانت دراهم أعطانيها، فقالت له امرأته: يا هذا، قد بلغ بنا الأمر ما ترى فمهما أعطاك فإنه يقوتنا، فأتى الوكيل، فقال: أين تكون؟ أخبرت الأمير أنه ليس عندك من يحمل فأمرني أن أوجه معك من يحمل معك ما أمر به، ثم أخرج إليه ثلاثة من السودان على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم وقال: امضوا معه، فلما بلغ الرجل باب مترله فتح بدرة منها فأخرج دراهم ودفعها إلى السودان وقال: انصرفوا، قالوا: إلى أين، نحن عبيدك، إنه ما حمل مملوك للأمير قط هدية إلى أحد فرجع المملوك إلى ملكه. قال: فصلحت حال الرجل.

ولما احتضر سعيد قال لبنيه: لا يفقدن مني إخواني غير وجهي، فاصنعوا لهم ما كنت أصنع، واجروا عليهم ما كنت أجري، فاكفوهم مؤونة الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد، فوالله لرجل يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجة أعظم عليكم منةً منكم عليه بما تعطونه.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البارع، أخبرنا أبو جعفر بن مسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن داود، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني رجل، عن عبد العزيز بن أبان، قال: حدثني خالد بن سعيد، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرد فقالت: إني نويت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب، فقال: "أعطيه هذا الغلام ": يعني سعيد بن العاص، وهو واقف.

ومات سعيد بن العاص في قصره بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة، ودفن بالبقيع، وأوصى إلى ابنه عمرو الأشدق وأمره أن يدفنه بالبقيع، وقال: إن قليلاً لي عند قومي في بري بهم أن يحملوني على رقابهم من العرصة إلى البقيع، ففعلوا، وأمر ابنه عَمْراً إذا دفنه أن يركب إلى معاوية فينعاه ويبيعه مترله بالعرصة، وكان مترلاً قد أنحله سعيداً، وغرس فيه النخل وزرع وبنى فيه قصراً معجباً، وقال لابنه: إن مترلي هذا ليس في العقد، إنما هو مترل برة، فبعه من معاوية واقض عني ديني ومواعيدي، ولا تقبل من معاوية قضاء ديني فتزودنيه إلى ربي.

فلما دفنه عمرو ووقف الناس بالبقيع فعزوه، ثم ركب رواحله إلى معاوية، فقدم عليه فنعاه له، فاسترجع وتوجع لموته، ثم قال: هل ترك من دين؟ قال: نعم، قال: فكم. قال: ثلاثمائة ألف درهم، قال: هي علي، قال: قد أبى ذلك وأمرني أن أقضي عنه من أمواله، أبيع ما استباع منها، قال: فاعرضني ما شئت، قال: أنفسها وأحبها إلينا وإليه في حياته، مترله في العرصة، فقال له معاوية: هيهات لا تبيعون هذا المترل، انظر غيره، قال: فما نصنع، نحب تعجيل قضاء دينه، قال: قد أخذته بثلاثمائة ألف درهم، قال: اجعلها بالواقية- يريدون درهم فارس، الدرهم زنة مثقال الذهب- قال: قد فعلت، قال: فاحملها إلى المدينة، قال: قد فعلت، فحملها له،

فقدم عمرو بن سعيد فجعلها في ديونه وحاسبهم بما بين الدراهم الواقية- وهي البعلية- وبين الدراهم الجوار- وهي تنقص في العشرة ثلاثة، كل سبعة بالبعلية عشرة بالجوار- حتى أتاه فتى من قريش فذكر حقاً له في كراع أديم بعشرين ألف درهم على سعيد بن العاص بخط مولى لسعيد كان يقوم لسعيد على بعض نفقاته، وشهادة سعيد على نفسه بخط سعيد، فعرف خط المولى وخط أبيه وأنكر أن يكون للفتى- وهو صعلوك من قريش- هذا المال، فأرسل إلى مولى أبيه الصك فلما قرأه المولى بكى ثم قال: نعم أعرف هذا الصك، وهو حق، دعاني مولاي فقال لي وهذا الفتى عنده على بابه، معه هذه القطعة الأديم: اكتب، فكتبت بإملائه هذا الحق، فقال عمرو للفتى: وما سبب مالك هذا؟ قال: رأيته يمشي وحده فقمت مشيت حتى بلغ باب مترله، ثم وقفت، فقال: هل من حاجة؟ فقلت: لا، إلا أني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك، فقال: وصلتك رحم يا ابن أخي، ابغني قطعة أديم، فأتيت خرازاً عند باب داره فأخذت منه هذه القطعة، فدعا مولاه هذا فقال: اكتب، فكتب عن أبيك هذا الكتاب وكتب فيه شهادته على نفسه ثم دفعه إلي وقال: يا ابن أخي، ليس عندنا اليوم شيء، فخذ هذا الكتاب فإذا أتانا شيء فاتنا به إن شاء الله، فمات رحمه الله قبل أن يأتيه شيء. قال عمرو: لا جرم، لا تأخذها إِلا وافية، فدفعها إليه.

وروى الزبير من طريق آخر: أن معاوية اشترى العرصة بألف ألف درهم، وكان دين سعيد ثلاثة آلاف درهم، فاشترى معاوية العرصة من ابن سعيد بألف ألف، والنخل بألف ألف، والمزارع بألف ألف.

وتوفي سعيد في هذه السنة، وكان عمرو بن سعيد يدعي أن مروان بن الحكم جعل إليه ولاية العهد بعد عبد الملك، ثم نقض ذلك وجعله إلى عبد العزيز، فلما خرج عبد الملك إلى حرب مصعب غلق عمرو أبواب دمشق فأعطاه عبد الملك الأمان ثم غدر به فقتله.

شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، أبو يعلى: وهو ابن أخي حسان بن ثابت. كانت له عبادة واجتهاد. أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا فرح بن فضالة، عن أسد بن وداعة، قال: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كان كأنه حبة على مقلى، فيقول: اللهم إن النار أسهرتني، ثم يقوم إلى الصلاة.

تحول شداد إلى فلسطين فترل ومات بها في هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة.

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، يكنى أبا عبد الله:

أمه أم رومان بنت عامر، وهو أخو عائشة لأبويها وكان أسن أولاد أبي بكر، لم يزل على دين قومه وشهد بدراً مع المشركين ودعا إلى المبارزة فقام أبو بكر الصديق ليبارزه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "متعنا بنفسك "، ثم أسلم عبد الرحمن في هدنة الحديبية، وهو الذي قال لمروان لما دعى إلى بيعة يزيد: إنما يريدون أن يجعلوها كسروية أو هرقلية، فقال مروان: أيها الناس، هذا "الذي قَالَ لِوَالِدَيْه أف لكما أَتَعِدَانِني أنْ أخْرج " فصاحت به عائشة: ألعبد الرحمن يقول هذا، كذبت والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الرجل الذي أنزل فيه لسميته، ولكني أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه.

وهاجر إلى المدينة، وأطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر أربعين وسقاً، وروى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان عبد الرحمن يتجر في الجاهلية إلى الشام بماله ومال قريش فرأى ليلى بنت الجودي فهويها، فلما فتح خالد الشام زمن عمر صارت إليه فازداد بها شغفاً.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البارع، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد

بن سليمان بن داود، قال: أخبرنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن الضحاك الحراني، عن أبيه: أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قدم الشام في تجارة، فرأى هناك امرأة يقال لها ابنة الجودي على طنفسة لها ولائد، فأعجبته فقال لها:

أتذكر ليلى والسماوة دونها ... وما لابنة الجودي ليلى وماليا

وأنى تعاطى قلبه حارثية ... تؤمن بصرى أو يحل الجوا بيا

وأني بلاقيها بلى ولعلها ... إن الناس حجوا قابلاً إن تلاقيا

فلما بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال لصاحب الجيش: إن ظفرت بليلى بنت الجودي عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فظفر بها فدفعها إلى عبد الرحمن فأعجب بها وآثرها على نسائه حتى شكونه إلى عائشة، فعاتبته على ذلك، فقال: والله كأني أرشف بأنيابها حب الرمان، فأصابها وجع سقط له فوها فجفاها حتى شكته إلى عائشة، فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن، لقد أحببت ليلى فأفرطت وأبغضتها فأفرطت، فإما أن تنصفها وإما أن تجهزها إلى أهلها.

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن نافع، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي حين فتح دمشق، وكانت ابنة ملك دمشق.

ومما يروى لعبد الرحمن في ليلى بنت الجودي هذا:

يا ابنة الجودي قلبي كئيب ... مستهام عندها ما يؤوب

جاورت أخوالها حي عك ... فلعلك من فؤادي نصيب

ولقد لاموا فقلت ذروني ... إن من يلحون فيها الحبيب

غصن بان ماخلا الخصر منها ... ثم ما أسفل ذاك كئيب

قالت عائشة: كنت أعاتبه في كثرة محبته لها ثم صرت أعاتبه في إساءته إليها حتى ردها إلى أهلها.

قال محمد بن سعد: أخبرنا وكيع، عن عبد الرحمن بن لاحق، عن ابن أبي مليكة، قال: مات عبد الرحمن بالحبشي فحمل حتى دفن بمكة، فقدمت عائشة من المدينة فأتت قبره فوقفت عليه فتمثلت بهذين البيتين:

وكنا كَندَماني جَذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قالت: أما والله لو شهدتك ما زرت قبرك، ولو شهدتك ما حملت من حبشي ميتاً ولدفنت مكانك.

قال ابن سعد: وأخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن عبد الله، بن أبي مليكة: أن عبد الرحمن بن أبي بكر توفي في مترل له فحملناه على رقابنا ستة أميال إلى مكة، وعائشة غائبة، فقدمت بعد ذلك فقالت: أروني قبر أخي، فصلت عليه.

قال ابن سعد: وأخبرنا معن بن عيسى، حدثنا مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد، قال: توفي عبد الرحمن في نومة نامها فأعيت عنه عائشة زماناً. الحبشي موضع.

وفي هذه السنة توفي عبد الرحمن على ما ذكره البخاري.

وقال ابن سعد: سنة ثلاث وخمسين.

عبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو محمد الهاشمي:

أمه أم الفضل، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام أصغر سناً من عبد الله بسنة، وكان سخياً جواداً، كثير الإطعام للناس أنبأنا الحسين بن محمد البارع، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: وأخبرنا أحمد بن سليمان بن داود، قال: أخبرنا الزبير بن بكار، قال: حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، عن أبيه، قال: دخل أعرابي دار العباس بن عبد المطلب وفي جانبها عبد الله بن عباس يفتي، لا يرجع في شيء يسأل عنه، وفي الجانب الآخر عبيد الله بن العباس يطعم كل من دخل، فقال الأعرابي: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس، هذا الفتى يفتي ويفقه الناس، وهذا يطعم الطعام.

استعمل علي بن أبي طالب عبيد الله على اليمن، وأمره بالحج فحج بالناس سنة ست وثلاثين، ومات بالمدينة في هذه السنة.

وقيل: بل مات باليمن.

عميرِة بن يثربي: قاضي الكوفة. توفي فِي هذه السنة.

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي اللّه عنها وعن أبيها: كانت مسماة لجبير بن مطعم، فلما خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم استلها أبو بكر منهم فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر من النبوة، وهي بنت ست سنين، ودخل بها بالمدينة وهي بنت تسع قالت: وكنت ألعب مع الجواري، فما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجني حتى أخذتني أمي فحبستني في البيت عن الخروج، فوقع في نفسي أني تزوجت، فما سألتها حتى كانت هي التي أخبرتني. ورأت عائشة جبريل عليه السلام في صورة دحية، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا جبريل يقرأ عليك السلام.

أخبرنا عبد الملك الكروخي، قال: أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العوزجي، قالا: أخبرنا الجراحي، قال: أخبرنا المحبوبي، قال: حدثنا الترمذي، قال: حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا زياد بن الربيع، قال: حدثنا خالد بن سلمة المخزومي عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا الحسن بن غيلان الورق، قال: حدثنا جعفر الفريابي، قال: حدثنا منجاب بن الحارث، قال: حدَّثنا علي بن مسهر، قال: حدثنا هشام عروة، عن أبيه، قال: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسيب من عائشة رضي الله عنها.

توفيت عائشة ليلة سبع عشرة من رمضان هذه السنة، وأوصت إلى عبد الله بن الزبير، وصلَى عليها أبو هريرة بعد الوتر، ودفنت بالبقيع وهيِ بنت ست وستين سنة، و لم يكن بالبقيع قبر مطابق بالحجارة غير قبر الحسن بن علي وقبرها.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

فمن الحوادث فيها: مشتى عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم.

قال الواقدي: و لم يكن عامئذ غزو في البحر.

وقال غيره: غزا في البحر جنادة بن أمية.

وفيها عزل معاوية عبد الرحمن ابن أم الحكم عن الكوفة وولى عبد الرحمن بن زياد بن سمية خراسان وذلك أن عبد الرحمن قدم وافداً على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، أما لنا حق؟ قال: بلى، قال: فمماذا توليني؟ قال معاوية: النعمان بن بشير بالكوفة، وهو رجل من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان، وعباد بن زياد على سجستان، ولست أرى عملاً يشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله بن زياد، قال: أشركني فإن عمله واسع يحتمل الشركة، فولاه خراسان.
روى أبو حفص الأزدي، قال: حدثني عمي، قال: قدم علينا قيس بن الهثيم السلمي، وقد وجهه عبد الرحمن بن زياد، فأخذ أسلم بن زرعة الكلابي فحبسه، ثم قدم عبد الرحمن، فأغرم أسلم بن زرعة ثلاثمائة ألف درهم.

قال علماء السير: أقام عبد الرحمن بخراسان سنتين، ثم قدم على يزيد بن معاوية بعد قتل الحسين، واستخلف على خراسان قيس بن الهثيم. فقال يزيد لعبد الرحمن: كم قدمت به معك من المال؟ قال: عشرون ألف ألف درهم، قال: إن شئت حاسبناك وقبضناها منك، ورددناك على عملك، وإن شئت سوغناك وعزلناك، وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم، قال: بل تسوغني ما قلت، وتستعمل عليها غيري. ثم بعث إلى ابن جعفر ألف ألف درهم، وقال: خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين، وخمسمائة ألف درهم من قبلي.
وفي هذه السنة وفد عبيد اللّه بن زياد على معاوية في أشراف أهل البصرة فعزله عنها ثم رده عليها وجدد له الولاية وسبب ذلك أن عبيد الله بن زياد وفد في أهل العراق على معاوية، فقال له: ائذن لوفدك على منازلهم وشرفهم، فأذن لهم، ودخل الأحنف في آخرهم، وكان سيىء المنزلة من عبيد الله، فلما نظر معاوية رحب به وأجلسه معه على سريره، ثم تكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبيد الله، والأحنف ساكت، فقال: ما لك يا أبا بحر لا تتكلم؟ قال: إن تكلمت خالفت القوم، فقال: انهضوا فقد عزلته عنكم فاطلبوا والياً ترضونه، ثم بعث إليهم معاوية بعد أيام، فقال: من اخترتم؟ فاختلفت كلمتهم وسمى كل فريق منهم رجلاً والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما لك لا تتكلم؟ قال: إن وليت علينا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً، وإن وليت علينا من غيرهم فانظر في ذلك، فقال معاوية: فإني قد أعدته عليكم، ثم وصاه بالأحنف وقبح رأيه في مباعدته. فلما هاجت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف.
وفي هذه السنة حج بالناس عثمان بن محمد بن أبي سفيان وكان الوالي على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد وعلى سجستان عباد بن زياد، وعلى كرمان شريك بن الأعور الحارثي من قبل عبيد الله بن زياد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسامة بن زيد، أبومحمد الحب ابن الحب: أمه أم أيمن واسمها بركة، حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة ابن عشرين سنة.
أخبرنا ابن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا ابن سعد، قال: أخبرنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا شريك بن العباس بن فريح، عن عائشة، قالت.
عثر أسامة على عتبة الباب فشجت جبهته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيا عائشة أميطي عنه الدم ". فاستقذرته عائشة.
قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص شجته ويمجه ويقول: "لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه".

قال ابن سعد: وأخبرنا يزيد بن هارون، قال أخبرنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة بن زيد ينتظره، فجاء غلام أفطس أسود، فقال أهل اليمن: إنما حبسنا من أجل هذا.

قال ابن سعد: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: حدثنا العُمري، عن نافع، عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر، فاستعمل عليهم أسامة بن زيد، فكأن الناس طعنوا فيه- أي في صغره- فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: " إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة بن زيد، وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله، وإنهما لخليقان لها، أو كانا خليقين لذلك، فإنه لمن أحب الناس إلي، وكان أبوه من أحب الناس إلي إلا فاطمة، فأوصيكم بأسامة خيراً".

قال ابن سعد: وأخبرنا مسلمة بن إبراهيم، قال: أخبرنا قرة بن خالد ، قال: حدثنا محمد بن سيرين، قال: بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان ألف درهم، قال: فعمد أسامة إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها فأطعمها أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتنيه ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها.

سكن أسامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي القرى، ثم نزل المدينة فمات بالجرف، فحمل إلى المدينة.

جرول بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس:

وهو الحطيئة، لقب بذلك لقصره وقربه من الأرض، ويكنى أبا مليكة. وهو جاهلي إسلامي، والظاهر أنه أسلم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لا ذكر له في الصحابة ولا في الوفود.

وكان خبيث اللسان كثير الهجاء، هجا أباه وأمه وعمه وخاله ونفسه، فقال لأمه:

تنحي فاقعدي مني بعيداً ... أراح الله منك العالمينا

أغربالاً إذا استودعت سراً ... وكانوناً لدى المتحدثينا

جزاك الله شراً من عجوز ... ولقاك العقوق من البنينا

وقال لأبيه وعمه وخاله:

لحاك الله ثم لحاك حقاً ... أباً ولحاك من عم وخال

فنعم الشيخ أنت لدى المخازي ... وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقال لنفسه:

أبت شفتاي اليوم ألا تكلما ... بشر فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه ... فقبح من وجه وقُبَح حامله

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الردة الزبرقان، فساق صدقات عوف والأبناء، فلما كان ببعض الطريق رأى الحطيئة- وكان الحطيئة أسود اللسان وداخل الفم وملتقي الشفتين- وهو يتبختر في هدم له، أشعث أغبر، وقد كان بين الزبرقان وبين بني قريع مقارضة ومهاجاة، فأراد أن يستظهر بالحطيئة عليهم، فقال له: ويلك إنك بمضيعة وأراك شاعراً، فهل لك إلى خير مواساة؟ قال: وددت، قال: فالحق ببني سعد حتى آتيك فإنما أؤدي هذه الصدقة إلى أبي بكر ثم ألحق بك، قال:

عمن أسأل؟ قال: أم مطلع الشمس ثم سل عن الزبرقان بن بدر ثم ائت أم سدرة فقل لها: يقول لك بعلك الزبرقان بن بدر أحسني إلى قومك، فإنها ستفعل.

ففعل الحطيئة ذلك، فلما رأته بنو قريع قالوا: داهية، وإنما يريد أن يستظهر به علينا، فأتاه نقيض بن شماس فقال: يا أبا مليكة جئت من بلادك ولا أرى في يدك شيئاً، هل لك إلى خصلة هي خير لك مما أنت فيه، قال: ما هي؟ قال: مائة بعير وتتحول إلينا ونحن ضامنون لأهلك من عيالك أن يدبروا من حالك أن تخلفه، فتحول إليهم فقدم الزبرقان، فقال: أين جاري؟ قالت امرأته: خبث عليك، ثم أخذ يهجو الزبرقان بن بدر، فقال في أبيات:

دع المكارم لا ترحلْ لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه عمر فقال له: ما أراه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟ قال: كيف تراني كيساً مكيسا أبيت بعد نافع مخيسا.

قال: إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله فقال: ما هجاه ولكن سلح عليه فحبسه في قعر بئر و لم تكن السجون مبنية، وأول من بناها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بنى بالكوفة سجناً سماه مَخِيساً، فقال عمر للحطيئة: يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين فقال:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فارفق عليك سلام الله يا عمر

الأبيات.

فرق له عمر رضي الله عنه وأطلقه وأخذ عليه أن لا يهجو مسلماً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أبو بكر بن الإنباري، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي، وأبو عمران موسى بن محمد الخياط، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي، عن عبد الله بن مصعب، عن جدي، عن ربيعة بن عثمان، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أمر عمر بن الخطاب بإخراج الحطيئة من الحبس وقد كلمه فيه عمرو بن العاص، وغيره، فأخرج وأنا حاضر فأنشأ يقول:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

غادرت كاسبهم في قعر مظلمة ... فارحم هداك مليك الناس يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم ... بين الأباطح يغشاهم بها القدر

نفسي فداؤك كم بيني وبينهمُ ... من عرض داوية تعمى بها الخبر

قال: فلما قال الحطيئة: ماذا تقول لأفراخ، بكى عمر فقال عمرو بن العاص: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركة الحطيئة. قال عمر: أشيروا علي في الشاعر فإنه يقول الهجو ويشبب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بما ليس فيهم، ما أراني إلا قاطعا لسانه علي بكرسي، فجلس عليه ثم قال: علي بالمخصف علي بالسكين لا بل علي بالموسى فإنه أوجى، فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين، وأشاروا إليه قل لا أعود، فقال: لا أعود، فقال: النجا، فلما ولّى قال: ارجع يا حطيئة، فرجع، فقال له: كأني بك عند شاب من قريش قد كسر لك نمرقة وبسط لك أخرى، وقال: يا حطيئة غننا، فاندفعت تغنيه بأعراض الناس، قال أسلم: فرأيت الحطيئة بعد ذلك عند عبيد الله بن عمر قد كسر له نمرقة وبسط له أخرى وقال: يا حطيئة غننا، فاندفع يغنيه، فقلت له: يا حطيئة أتذكر يوم عمر حين قال لك ما قال، ففزع وقال: رحم الله ذلك المرء لو كان حياً ما فعلنا هذا، فقلت لعبيد الله: إني سمعت أباك يقول كذا وكذا، وكنت أنت ذلك الرجل.

وبالإسناد عن محمد بن الضحاك، عن أبيه قال: أمر عمر بن الخطاب بإخراج الحطيئة من السجن فأخرج، فقال له: دع قول الشعر. فقال لا أستطيع. قال: لِمَ؟ قال هو مأكلة عيالي، ونملة على لساني. قال: فدع المدحة المجحفة. قال وما المدحة المجحفة؟ قال: لا تقول بنو فلان أفضل من بني فلان، امدح ولا تفضل. قال: أنت أشعر مني يا أمير المؤمنين. قال ابن الأنباري: ضرب النملة مثلا لما يتردد من قول الشعر في قلبه، ويطالب به لسانه.

ومن مدائحه قوله:

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكمُ ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

ولما احتضر الحطيئة قيل له: أوص. فقال المال للذكران دون الإناث. فقيل له: أوص. فقال أوصيكم بالشعر، ثم قال:

الشعر صعب وطويل سلمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعمله

زلت به إلى الحضيض قدمه ... والشعر لا يسطيعه من يظلمه

أراد أن يعربه فيعجمه عبد اللّه بن عامر بن كريز بن ربيع بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف: أمه دجاجة بنت أسماء بن أصلت بن حبيب وله أحد عشر ذكراً وأربع نسوة ولد بمكة بعد الهجرة بأربع سنين، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء حُمل إليه وهو ابن ثلاث سنين فحنكه، فتلمظ فتثاءب، فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في فيه.

وكان ابن خال عثمان بن عفان، ولم يزل شريف القدر، كريماً سخياً، فلما ولي عثمان الخلافة ولاه البصرة بعد أن أقر أبا موسى أربع سنين كما، وصى عمر، ثم عزله وولاه، وكان يوم ولاه ابن خمس وعشرين سنة فقال أبو موسى: قد أتاكم فتى من قريش، كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا.

ففتح بلاداً كثيرة من خراسان، وقتل يزدجرد في ولايته، فأحرم من نيسابور شكراً لله تعالى، وعمل السقايات بعرفة، فلما قتل عثمان لحق بالشام، فولاه معاوية البصرة ثلاث سنين، وزوجه ابنته هنداً.

أنبأنا الحسين محمد البارع قال: أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي بن عبد الله، عن بعض القرشيين قال: كانت هند بنت معاوية أبر شيء بعبد الله بن عامر، وأنها جاءته يوماً بالمرآة والمشط- وكانت تتولى خدمته بنفسها- فنظر في المرآة، فالتقى وجهه ووجهها في المرآة، فرأى شبابها وجمالها، ورأى الشيب في لحيته قد ألحقه بالشيوخ، فرفع رأسه إليها، فقال: الحقي بأبيك. فانطلقت حتى في خلت على أبيها فأخبرته، فقال: وهل تطلق الحرة. قالت: ما أوتي من قبلي، وأخبرته خبرها، فأرسل إليه فقال: أكرمتك بابنتي ثم رددتها علي. قال: إني أخبرك عن ذلك، إن الله تبارك وتعالى مَنَّ علي بفضله، وجعلني كريماً لا أحب أن يتفضل علي أحد، وإن ابنتك أعجزتني مكافأتها لحُسن صحبتها، فنظرت فإذا أنا شيخ وهي شابة، لا أزيدها مالاً إلى مالها، ولا شرفاً إلى شرفها، فرأيت أن أردها إليك، فتزوجها فتى من فتيانك كأن وجهه ورقة مصحف.

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أخبرنا الحسين بن أحمد بن محمد الثعالبي قال: أخبرنا أبو سهل محمود بن عمر العكبري قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن الفرج بن أبي روح قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال: حدثني محمد بن عباد بن موسى العكلي قال: حدثنا الحسن بن علي بن زبان قال: حدَّثني سفيان بن عبدة الحميري وعبيد بن يحيى الهجري قالا: خرج إلى عبد الله بن عامر بن كرز وهو عامل العراق لعثمان بن عفان رجلان من أهل المدينة، أحدهما: ابن جابر بن عبد الله الأنصاري، والآخر: من ثقيف، فكتب إلى ابن عامر فيما يكتب من الأخبار، فأقبلا يسيران حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقفي: هل لك في رأي رأيته: قال: اعرضه. قال: رأيت أن أنخ رواحلنا ونتناول مطاهرنا، فنمس ماء، ثم نصلي ركعتين ونحمد الله على ما قضى من سفرنا. قال: هذا الذي لا يُرد، فتوضيا، ثم صليا ركعتين، فالتفت الأنصاري إلى الثقفي فقال: يا أخا ثقيف، ما رأيك. قال: وأي موضع رأي هذا، قضيت سفري، وأنضيت بدني، وأنضيت راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر، فهل لك رأي غير هذا؟ قال: نعم، إني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي تبارك وتعالى أن يراني طالباً رزقاً من غيره، اللهم ارزق ابن عامر وارزقني من فضلك. ثم ولى راجعاً إلى المدينة، ودخل الثقفي البصرة، فمكث أياماً، فأذن له ابن عامر، فلما رآه رحب به، ثم قال: ألم أخْبَر أن ابن جابر خرج معك؟ فخبره خبره، فبكى ابن عامر ثم قال: أما والله ما قال أشراً ولا بطراً، ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة، فعلم أن الله تعالى هو الذي فعل ذلك، فسأله من فضله، وأمر للثقفي بأربعة آلاف درهم وكسوة ومطرف، وأضعف ذلك كله الأنصاري، فخرج الثقفي وهو يقول:

أميمة ما حرص الحريص بزائد ... فتيلاً ولا زهد الضعيف بضائر

خرجنا جميعاً من مساقط رأسنا ... على ثقة منا بخير ابن عامر

ولما أنخنا الناعجات ببابه تأخر ... عني اليثربيً ابن جابر

وقال سيكفيني عطية قادر ... على ما يشاء اليوم بالخلق قاهر

وإن الذي أعطى العراق ابن عامر ... لربي الذي أرجو لسد مفاقري

فلما سرى سارت عليه صبابةٌ ... إليه كما حنت ظراب الأباعر

وأضعف عبد الله إذ غاب حظه ... على حظ لهفان من الحرص فاغر

فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعي ولا ضائري شيء خلاف المقادر قال المصنف: قرأت على أبي القاسم الجريري، عن أبي طالب العشاري قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي قال: أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي قال: حدثنا هارون بن عبد الله قال: حدثنا سيار قال: حدثنا جعفر قال: حدثنا أبو عمران الجوني، عن نافع الطاحي قال:

مررت بأبي ذر فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان يقرأ معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فتراء له، فإنه سيقول: لك حاجة؟ فقل: أخلني وقل له: أنا رسول أبي ذر إليك، وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش. فلما قدمت تراءيت له، فقال: لك حاجة؟ قلت: أخلني أصلحك الله. ففعل، فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك– فلما قلتها خشع قلبه– وهو يقرأ عليك السلام ويقول: إنا نأكل من التمر، ونروى من الماء، ونعيش كما تعيش. قال: فحلّ إزاره ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء.

توفي ابن عامر في هذه السنة، فقال معاوية: بِمَنْ نفاخر؟! بمن نباهي!؟ عبد اللّه، أبو هريرة: وقد اختلفوا في اسمه ونسبه على ثمانية عشر قولاً قد ذكرتها في " التلقيح ". وكان في صغره يلعب بهرّة فكني بها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فأسلم.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي قال: حدَّثنا عكرمة بن عمار قال: حدثني أبو كثير العبدي، عن أبي هريرة: أنه قال:

والله لا يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني. قال: قلت له: وما يعلمك ذلك؟ قال: فقال لي: إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها ذات يوم إلى الإسلام فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرهتني، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي. فقلت: يا رسول الله، إني أدعو أم أبي هريرة إلى الإسلام فتأبى علي، وأني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة إلى الإسلام. ففعل، فجئت فإذا الباب مُجَاف، وسمعت خضْخَضة الماء، فلبست درعها، وعجلت عن خمارها، ثمٍ قالت: ادخل يا أبا هريرة فدخلت فقالت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فجئت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن. فقلت: أبشر يا رسول الله، فقد أجاب الله دعوتك، قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام، ثم قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني وأمي إلى المؤمنين والمؤمنات اللهم حبب عُبَيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة، – أو إلى كل مؤمنة ومؤمن– فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني.

قال محمد بن سعد: وأخبرني المعلى بن راشد قال: حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن خالد، عن عكرمة: أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يقول: أسبح بقدر ذنبي.

قال: وأخبرنا عارم بن الفضل قال: حدَّثنا حماد بن زيد، عن العباس الجريري قال: سمعت أبا عثمان النهدي قال: تضيف أبا هريرة سبعاً، فكانوا يعتقبون الليل أثلاثاً ثلثاً هو، وثلثاً امرأته، وثلثاً خادمه.

قال ابن سعد: وأخبرنا سعيد بن منصور قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا عبد الوهاب بن ورد، عن سلم بن بشير بن حجل قال: بكى أبو هريرة في مرضه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إني ما أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعد سفري، وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبطه على جنة ونار، فلا أدري أيهما يُسْلك بي.

قال: وقال محمد بن عمر: كان أبو هريرة يترل ذا الحليفة وله دار بالمدينة تصدق بها على مواليه، فباعوها بعد ذلك من عمر بن بزيع، وتوفي سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية وكان له يومئذ ثمان وسبعون سنة، وهو صلّى على عائشة وأم سلمة.

عبد الله بن بحينة، وبحينة أمه. وأبوه مالك بن القشب، ويكنى أبا محمد: صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً، وكان ناسكاً فاضلاً، يصوم الدهر، وتوفي في خلافة معاوية.

قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، أبو عبيد اللّه: دفعه أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخدمه، فكان قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جواداً شجاعاً، وحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه، وولاه علي بن أبي طالب على إمارة مصر، وحضر معه حرب الخوارج بالنهروان، ووقعة صفين، وكان مع الحسن بن علي على مقدمته بالمدائن، ثم لما صالح الحسن معاوية وبايعه دخل قيس في المصالحة، وتابع الجماعة ورجع إلى المدينة فتوفي بها.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال: حدثنا عثمان بن أحمد قال: حدَّثنا حنبل بن إسحاق قال: حدثنا الحميدمي قال: حدَّثنا سفيان، عن عمرو قال: كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً صغير الرأس، وكان إذا ركب الحمار حطت رجلاه في الأرض.

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن غيلان قال: أخبرنا أبو بكر الشافعي قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق قال: أخبرني محمد بن صالح، عن ابن عمر قال: حدثنا داود بن قيس وإبراهيم بن محمد الأنصاري وخارجة بن الحارث قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر إلى حي من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمراً بجزور، ويوفيني الجزور ها هنا، وأوفيه التمر بالمدينة فجعل عمر يقول: واعجباً لهذا الغلام، لا مال له يدين في مال غيره. فوجد رجلاً من جهينة يعطيه ما سأل وقال: والله ما أعرفك، فمن أنت؟ قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة. قال الجهني: ما أعرفني بنسبك، وابتاع منه خمس جزائر، كل جزور بوسق من تمر. ثم قال: فأشهد لي فأشهد له نفراً من الأنصار والمهاجرين، فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب. فقال عمر: لا أشهد هذا بدين ولا مال له، إنما المال لأبيه. فقال الجهني: ما كان سعد ليمني بابنه في شقة من تمر وأرى وجهاً حسناً، وفعلاً شريفاً. فكان بين عمر وقيس كلام حتى أغلظ لقيس، وأخذ الجُزُر فنحرها لهم في مواطن ثلاث كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال: أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك. قال محمد: فحدثني محمد بن يحيى، عن سهل، عن أبيه، عن رافع بن خديج قال: أقبل أبو عبيدة ومعه عمر، فقال: عزمت عليك أن لا تنجر، أتريد أن تخفر ذمتك فقال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، لا يقضي عني شقة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله. فكان أبو عبيدة يلين له، وجعل يقول له: اعزم فعزم عليه، وأبى أن ينحر وبقيت جزوران، فقدم بها قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليها، وبلغ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة فقال: إن يكن قيس كما أعرف فينحر للقوم، فلما قدم قيس لقيه سعد فقال: ما صنعت في القوم؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نهيت. قال: من نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري. قال: ولَمَ؟ قال: زعم أنه لا مال لي، وإنما المال لك، فقلت: أبي يقضي عن الأباعد، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، فلا يصنع هذا بي. قال: فلك أربع حوائط أدناها حائط تحمل خمسين وسقاً.

قال: وقدم البدوي مع قيس فأوفاه وسقه وحمله وكساه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل قيس، فقال: "إنه في بيت جود".

قال علماء السير: مرض لَيس بن سعد واستبطأ إخوانه في العيادة، فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين. قال: أخزى الله، مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً فنادى: من كان لقيس عليه حق فهو في حل. فكسرت درجته بالعشي من عيادته.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أحمد بن عمر بن عثمان قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدثنا أحمد بن بشير قال: حدَّثنا هشام بن عروة، عن عروة قال: باع قيس بن سعد من معاوية مالاً بتسعين ألفاً، فأمر منادياً فنادى في المدينة: مَنْ أراد القرض فليأت مترل قيس. فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقي، وكتب على من أقرضه صكاً، فمرض مرضاً قل عواده، فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر: يا قريبة، لِمَ ترين قل عوادي؟ قالت: للذي عليهم من الدين. فأرسل إلى كل رجل صكه.

وقال عروة: قال قيس بن سعد: اللهم ارزقني مالاً وفعالاً، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا ابن بشران قال: حدثنا ابن صفوان قال: حدَّثنا ابن أبي الدنيا قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: قال الهيثم بن عدي: توفي قيس بن سعد بن عبادة بالمدينة في آخر خلافة معاوية.

معقل بن يسار بن عبد اللّه، أبو عبد اللّه. وقيل: أبو علي، المزني: صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد الحديبية، ورفع أغصان الشجرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بايع أهلها، ولاه عمر البصرة، فحفر النهر المنسوب إليه: نهر معقل، وبنى البصرة داراً فترلها. . .

وأخبرنا موهوب بن أحمد قال: أخبرنا علي بن أحمد التستري قال: أخبرنا أبو الحسن بن الصلت قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد قال: حدَّثنا خلاد بن أسلم قال: حدثنا النضر قال: حدثنا عوف، عن الحسن قال: دخل عبيد الله بن زناد على معقل بن يسار في مرضه الذي قبض فيه، فقال: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة مائة عام" قال ابن زياد: ألا حدثتني قبل اليوم؟ قال معقل: واليوم لو لم أكن على حالي هذه لم أحدثك به.

هند بنت أبي أمية، واسمه سهيل، وهي أم سلمة: كانت عند أبي سلمة، فهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له، وتوفي عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة، وتوفيت في هذه السنة، وصلى عليها أبو هريرة، ودفنت بالبقيع، وكان لها يوم ماتت أربع وثمانون سنة.

ثم دخلت سنة ستين

فمن الحوادث فيها: غزوة مالك بن عبيد الله سُورِية، ودخول جنادة بن أبي أمية رودس، وهدمه مدينتها في قول الواقدي.

وفي هذه السنة: أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه مع عبيد الله بن زياد البيعة لابنه يزيد، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها، فقال له: يا بني، إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وفللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وإني

لأتخوف عليك أن ينازعك في هذا الأمر الذي أسندت لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر. فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقَذَته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك. وأما الحسين فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رَحِماً ماسة وحقاً عظيماً وأما ابن أبي بكر فليست له همة إلا في النساء واللهو، فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، وأما. الذي يجثم جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فابن الزبير، فإن هو فعلها ، بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً ولما اشتد مرض معاوية كان يزيد غائباً، فدعا بالضحاك بن قيس الفهوي- وكان صاحب شرطته- ومسلم بن عقبة المري فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيد وصيتي: انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم.

وفي هذه السنة توفي معاوية، وبويع لابنه يزيد

باب ذكر بيعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

ويكنى أبا خالد، ولد سنة ست وعشرين هو وعبد الملك، وأمه مَيْسون بنت بَحْدل، وكان له أولاد جماعة، فمنهم: معاوية ابنه، وولي الخلافة بعده أياماً. ومنهم: عاتكة، تزوجها عبد الملك بن مروان، فولدت له أربعة أولاد، وهذه عاتكة كان لها اثنا عشر محرماً كلهم خلفاء: أبوها يزيد، وجدها معاوية، وأخوها معاوية بن يزيد، وزوجها عبد الملك، وحموها مروان بن الحكم، وابنها يزيد بن عبد الملك، وابن أبيها الوليد بن يزيد، وبنو زوجها: الوليد، وسليمان، وهشام، وابنا ابن زوجها: يزيد وإبراهيم، ابنا الوليد بن عبد الملك. و لم يتفق مثل هذا لامرأة سواها.

وقد أسند يزيد بن معاوية الحديث، فروى عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإسنادنا إليه متصل، غير أن الإمام أحمد سئل: أيروى عن يزيد الحديث؟ فقال: لا، ولا كرامة، فلذلك امتنعنا أن نسند عنه.

وقد ذكرنا أن معاوية لما مات كان ابنه يزيد غائباً، فلما سمع بموت أبيه معاوية قدم وقد دفن، فبويع له وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر، فأقر عبيد الله بن زياد على البصرة، والنعمان بن بشير على الكوفة، وكان أمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، و لم يكن ليزيد همّ حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على أبيه الإجابة إلى بيعة يزيد، فكتب إلى الوليد بن عتبة: أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

فبعث إلى مروان، فدعاه واستشاره وقال: كيف ترى أن أصنع؟ قال: إني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة، فإن فعلوا قبلت، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموته وثب كل واحد منهم في جانب، فأظهر الخلاف والمنابذة، إلا أن ابن عمر لا أراه يرى القتال، ولا يحب الولاية، إلا أن تُدْفَع إليه عفواً.

وأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المجلس جالسين فقالا: أجيبا الأمير. فقالا له: انصرف، فالآن نأتيه: ثم أقبل ابن الزبير على الحسين فقال له: ما تظن فيما بعث إلينا. فقال الحسين: أَظن طاغيتهم

قد هلك، وقد بعث هذا إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا الخبر. قال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن تصنع؟ قال: اجمع فتياني الساعة، ثم أسير إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت قال: لا آتيه إلا وأنا على الامتناع.

قال: فجمع مواليه وأهل بيته، ثم قام يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخل، فإن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فاقتحموا علي بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج. فدخل وعنده مروان، فسلم عليه بالإمرة وجلس، فأقرأه الوليد الكتاب، ونعى إليه معاوية، ودعاه إلى البيعة، فقال الحسين "إنا للّه وإنا إليه راجعون " رحمِ الله معاوية، وعظم لك الأجر، أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزى مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية قال: أجلِ، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً فقال له الوليد وكان يحب العافية، فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس. فقال له مروان. والله إن فارقك الساعة و لم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينك وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين عند ذلك فقال: يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت. ثم خرج فقال مروان: واله لا يُمكنِك من مثلها من نفسه، فقال الوليد: والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت، وإني قتلت حسيناً.

وأما ابن الزبير فقال: الآن آتيكم. ثم أتى داره، فكمن فيها، فأكثر الرسل إليه، فبعث إليه جعفر بن الزبير فقال له: إنك قد أفزعت عبد الله بكثرة، رسلك، وهو يأتيك غداً إن شاء الله. وخرج ابن الزبير من ليلته، فتوجه نحو مكة هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث، وتنكب الجادة، فبعث وراءه مَنْ يطلبه فلم يقدروا عليه، وتشاغلوا عن الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، فخرج من الليل ببنيه وأخوته وبني أخيه وأهل بيته إلى مكة لليلتين بقيتا من رجب، فدخلها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة.

ثم بعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناس بايعت.

وفي هذه السنة: عزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة عزله في رمضان، وأمر عليها عمرو بن سعيد، فقدمها، ووجه عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير ليقاتله، لما كان يعلم ما بينه وبين أخيه عبد الله، ووجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة- وقيل: في ألفين- فعسكر في الجرف فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد، فقال له: لا تقرب مكة واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبر وهو رجل لجوج. فقال عمرو: والله لنقاتلنه في جوف الكعبة، وسار أنيس حتى نزل بذي طوى، وسار عمرو بن الزبير إلى أخيه الأبطح، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه أن الخليفة قد حلف لا يقبل منك حتى يؤتى بك في جامعةٍ ، فبر يمينه وتعال اجعل في عنقك جامعة من فضة. فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان إِلى أنيس في جامعة، فقاتلوه، فهزم أنيس وتفرق عن عمرو جماعة من أصحابه، واستعمل عمرو بن سعيد على شرطته مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وأمره بالشدة على الناس، فهدم الدور، وضرب الرجال، وأرسل إلى المنذر بن الزبير، فجاءوا به ملبباً، فقال المسور بن مخرمة: اللهم إنا نعوذ بك من أمر هذا أوله فلما حضر وقت الحج حج عمرو، وأظهر السلاح وأظهر ابن الزبير السلاح.

وفي هذه السنة: وجَه أهل الكوفة الرسل إلى الحسين وهو بمكة يدعونه إلى القدوم عليهم، فوجّه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكان أهل الكوفة قد بعثوا إلى الحسين عليه السلام يقولون: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة، فأقدم

علينا. فبعث إليهم مسلماً لينظر ما قالوا، فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين فمرا به في البرية، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه: امض، فقدم الكوفة، فترل على رجل من أهَلهَا، يقال له ابن عوسجة، فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دنوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً، فقام رجل ممن يهوى يزيد، إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنك ضعيف، قد فسد البلد. فقال له النعمان: أكون ضعيفاً في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قوياً في معصية الله.

فكتب بقوله إلى يزيد، فولى الكوفة عبيد الله بن زياد إضافة إلى البصرة، وأمره أن يقتل مسلم بن عقيل، فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة، حتى قدم الكوفة متلثماً، فلا يمر بمجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله. وهم يظنونه الحسين حتى نزل القصر، فقال عبيد الله لمولى له: هذه ثلاثة آلاف درهم، خذها وسل عن الذي بايع أهل الكوفة، وأعلمه أنك من حمص، وقل له: خذ هذا المال تقوى به. فمضى فسلمه إليه، فتحول مسلم بن عقيل حينئذٍ من الدار التي كان فيها إلى مترل هانىء بن عروة المرادي، وكتب مسلم إلى الحسين ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم، ثم دخل على عبيد الله بن زياد جماعة من وجوه أهل الكوفة، فقال: ما بال هانئ بن عروة لم يأتني؟ فأخبروا هانئاً، فانطلق إليه فقال: يا هانىء، أين مسلم؟ قال: لا أدري- فقال عبيد الله لمولاه الذي أعطاه الدراهم: اخرج. فخرج، فلما رآه قال: أصلح الله الأمير، والله ما دعوته إلى مترلي، ولكنه جاء فطرح نفسه علي قال: أيتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه. فضربه أعلى حاجبه، فشجه، ثم حبسه فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف، فمضى بهم إلى القصر، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهاليهم يعدونهم ويقولون: غداً يأتيكم جنود الشام. فتسللوا، فما اختلط الظلام حتى بقي مسلم وحده، فأوى إلى امرأة، فعلم به ابنها، وكان عبيد الله قد نادى: إنه مَنْ وُجد في داره فقد برئت منه الذمة، ومن جاء به فله ديته. فأخبر به، فبعث عبيد الله إليه صاحب الشرطة عمرو بن حريث، ومعه عبد الرحمن بن محمد الأشعث، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكنه من يده، فحملوه على بغلة، وانتزعوا سيفه منه، فقال. : هذا أول الغدر وبكى، فقيل له: من يطلب مثل هذا الذي تطلب إذا نزل به مثل هذا لم يبك. فقال: والله ما أبكي على نفسي، بل على حسين وآل حسين. ثم التفت إلى عبد الرحمن فقال: هل يستطيع أن يبعث من عندك رجلاً على لساني، يبلغ حسيناً، فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم، فيقول له ارجع ولا تغتر بأهل الكوفة.

فبعث رجلاً، فلقي الحسين بزُبالَة، فأخبره الخبر، فقال: كل ما حُمَّ نازل. ولما جيء بمسلم إلى عبيد الله بن زياد أخبره عبد الرحمن أنه قد أمنه، فقال: ما أنت والأمان، إنما بعثناك لتجيء به لا لتؤمنه. فأمر به، فأصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه، وألقى جثته إلى الناس، وأمر بهانىء، فقتل في السوق، وسُحب إلى الكناسة، فصلب هناك.

وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدرينَ ما الموتَ فانظري	إلىِ هانىء في السوق وابن عقيل
تري جسداً قد غير الموت لونه	ونضْحَ دم قد سال كل مسيل
أصابهما أمر الإمام فأصبحا	أحاديث من يسعى بكل سبيل

وفي رواية أخرى: أن الحسين لما خرج من المدينة قيل له: لو تجنبت الطريق ما فعل ابن الزبير لأجل الطلب. قال: لا والله، لا أفارقها حتى يقضي الله ما أحب. فاستقبله عبد الله بن مطيع، فقال له: جعلت فداك، أين تريد. قال: أما الآن فمكة وما بعدها، فإني استخير الله، فقال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم الحرم، فإنك سيد العرب، ولا يعدل بك أهل الحجاز أحداً، ويتداعى الناس إليك من كل جانب.

فنزل مكة، واختلف أهلها إليه وأهل الآفاق، وابن الزبير لازم جانب الكعبة، فهو قائم يصلي عندها، ويطوف، ويأتي حسيناً فيمن يأتيه، ويشير عليه، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير لأنه قد علم أن أهل الحجاز لا يبايعونه أبداً ما دام حسين بالبلد، وقام سليمان بن صرد بالكوفة، فقال: إن كنتم تعلمون أنكم تنصرون حسيناً فاكتبوا إليه، وإن خفتم الفشل فلا تغروه. قالوا: بل نقاتل عدوه. فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. لحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الحمد لله الذي قصم عدوك، وإنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك.

فقدم الكتاب عليه بمكة لعشر مضين من رمضان، ثم جاءه مائة وخمسون كتاباً من الرجل والاثنين والثلاثة، ثم جاءه كتاب آخر يقولون: حي هلا، فإن الناس ينتظرونك، فالعجل العجل. وتلاقت الرسل كلها عنده. فقرأ الكتب، وكتب مع هانىء بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبيد الحنفي، وكانا آخر الرسل: بسم الله الرحمن الرحيم. من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين. أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي، وكانا آخر من قدم من رسلكم، وقد بعثت أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرت أن يكتب إليّ بحالكم، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به علي رسلكم، قدمت عليكم إن شاء الله تعالى.

فلما قتل مسلم بن عقيل وهانىء، وكان الحسين قد خرج من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، وكان قد أشار عليه جماعة منهم ابن عباس أن لا يخرج، وكان من جملة ما قال له: أتسير إلى قوم أميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن أن يكذبوك. فقال: أستخير الله، ثم عاد إليه فقال له: إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك أهل العراق، فإنهم أهل غدر، أقم بهذا البلد فإنك سيد الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، وإن أبيت فسر إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعابا، وهي أرض عريضة. فقال: قد أجمعت المسير. قال: فلا تَسرْ بنسائك وصبيتك، فإني أخاف ما جرى لعثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه، ولقد أقررت عيني ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز، والله لو أني أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعتني لفعلت.

ثم خرج، فلقي ابن الزبير، فقال: قرت عينك، هذا حسين يخرج إلى العراق، ويخليك والحجاز، ثم أنشد مرتجزاً متمثلا:

يا لك من قُبَّرة بمَعْمر خَلا لكِ الجو فبيضي واصْفِرِي

وَنقرِي ما شئت أنْ تُنقري

وكتب عبيد الله إلى يزيد: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، إن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانىء بن عروة فكِدْهما حتى استخرجتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما.

فكتب إليه يزيد: إنك على ما أحب عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع، وقد بلغني أن الحسين قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس، واجلس على الظنة، وخذ على التهمة، غير أن لا تقتل إلا منْ قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من خير إن شاء الله.

قال علماء السير: لما علم الحسين، بما جرى لمسلم بن عقيل هم أن يرجع، فقال أخو مسلم: والله لا ترجع حتى نصيب بثأرنا. فقال الحسين: لا خير في الحياة بعدكم. فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله، فنزل كربلاء، فضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل.

وَفي هذه السنة: حج بالناس عمرو بن سعيد، وكان عامل يزيد على مكة والمدينة لما نزع يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة، وكان ذلك في شهر رمضان.

فحج عمرو بالناس حينئذٍ ، وكان على الكوفة والبصرة وأعمالها عبيد الله بن زياد، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بلال بن الحارث، أبو عبد الرحمن وهو من بني قرة بن مازن، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مزينة ومعه عمرو بن عوف يستنفرهم حين أراد أن يغزو مكة، وحمل بلال أحد ألوية مزينة الثلاثة التي عقدها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، وكان يسكن جبل مزينة ويأتي المدينة كثيراً.

وتوفي في هذه السنة وهو ابن ثمانين سنة.

خراش بن أمية بن ربيعة، أبو نضلة: شهد المريسيع والحديبية، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش على جملٍ له يقول: إنما جئنا معتمرين و لم نأت لقتال، فعرفوا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرادوا قتال خراش فمنعه مَنْ هناك من قومه، فرجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لقي، وقال: ابعث أمنع مني، فدعا عمر فقال: يا رسول الله، قد عرفت قريش عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعني، فإن أحببت دخلت عليهم، فلم يقل لهم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، فقال عمر: لكني أدلك على رجل أعز مني بمكة وأكثر عشيرة، وأمنع: عثمان، فدعاه، فبعثه إليهم.

وخراش هو الذي حلق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، وحلقه أيضَاَ في عمرة الجعرانة، وما زال يغزو مع رسول الله إلى أن قُبض، ومات في آخر خلافة معاوية.

صفوان بن المعطل بن رحضة بن المؤمل بن خزاعي، أبو عمرو: أسلم قبل غزاة المريسيع، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يومئذٍ على ساقة الناس من ورائهم، واتفق أن عقد عائشة ضاع، فأقامتَ على التماسِهِ، فرحل القوم، فجاء صفوان فرآها، فأناخ بعيره، فركبت، فلحق بها الجيش، فتكلم أهل الإفك، فحلف صفوان لئن أنزل الله عذره ليضربنّ حسان بن ثابت

بالسيف. فلما نزل العذر ضرب حسان بن ثابت بالسيف على كتفه، فأخذه قوم حسان، وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعه إليهم ليقتصوا منه، فلما أدبروا بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل لهم: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي. فترك حسان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي عليه السلام: دعوا حسان، فإنه يحب الله ورسوله، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم حساناً شبرين عوضاً.

ثم شهد صفوان الخندق، والمشاهد بعدها، وكان مع كرز بن جابر في طلب العرنيين الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتوفي بشمشاط في هذه السنة.

عبد اللّه بن ثوب، أبو مسلم الخولاني: أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: حدثنا أبو نعيم الأصبهاني قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد قال: حدثنا عبد الملك بن محمد بن علي قال: حدثنا صالح بن علي النوفلي قال: حدثنا عبد الوهاب بن نجمة قال: حدثنا إسماعيل بن عباس، عن شرحبيل بن مسلم الخولاني قال: بينا الأسود بن قيس العنسي باليمن فأرسل إلى أبي مسلم فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: فأمر بنار عظيمة فأججت، فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره، فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك. فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر، فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي، فبصر به عمر بن الخطاب فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن. قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ فقال: ذاك عبد الله بن ثوب. قال: نشدتك بالله أنك هو. قال: اللهم نعم. قال: فقبل ما بين عينيه، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مَنْ فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: حدثنا أحمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا أبو زرعة قال: حدثنا سعيد بن أسد، قال: حدثنا ضمرة عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى أهله كبّر على باب مترله، فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته. فانصرف ذات ليلة، فكبر عند باب داره، فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر، فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبّر، فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخفت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه- قال: فدخل، فإذا البيت فيه سراج، وإذا امرأته جالسة منكسة تنكث بعودٍ معها، فقال لها: مالك؟ قالت: أنت لك مترلة من معاوية، وليس لنا خادم، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك. فقال: اللهم من أفسد علي امرأتي فأعم بصره. قال: وكانت قد جاءها امرأة قبل ذلك فقالت: زوجك له مترلة من معاوية، فلو قلت له كتب إلى معاوية بخدمة ويعطيه عشتم. قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفيء؟ قالوا: لا فعرفت ذنبها، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو لها الله عز وجل أن يرد عليها بصرها. فرحمها أبو مسلم، فدعا الله عز وجل فرد عليها بصرها. وفي رواية: فرجعت.

معاوية بن أبي سفيان: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا أبو عبيدة، عن أبي يعقوب الثقفي، عن عبد الملك بن

عمير قال: لما ثقل معاوية وتحدث الناس أنه الموت، قال لأهله: احشوا عيني أثمداً، وأوسعوا رأسي دهناً. ففعلوا، وبرقوا وجهه بالدهن، ثم مهد له فجلس، فقال: اسندوني. ثم قال: أئذنوا للناس فليسلموا لم قياماً، ولا يجلس أحد. فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً، فيراه مكتحلاً مدهناً، فيقول: يقول الناس هو لما بِه، وهو أصح الناس. ولما خرجوا من عنده قال:

وتَجَلدي للشامتِينَ ألايهمُ	أني لِرَيْبِ الدهر لا أتَضَعْضَعُ
وإذا المَنيةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَهَا	ألْفَيْتَ كل. تَمِيمةٍ لا تَنفع

قال: وكان به الثفاثة مات من يومه ذلك.

قال علماء السير: أوصى معاوية فقال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قلم أظفاره وأخذ من شعره، فجمعت ذلك فهو عندي، وأعطاني قميصه، فاجعلوه على جسمي، واسحقوا قلامة الأظفار فاجعلوها في عيّني، واحشوا بالشعر فمي وأنفي، فغشي، فأخرجت أكفانه فوضعت على المنبر، وقام الضحاك بن قيس الفهري خطيباً، فقال: إن معاوية قد قضى نحبه، وهذه أكفانه، ونحن مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلوه وعمله، إن شاء ربه رحمه، وإن شاء عذبه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الفضل قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: حدثني يحيى بن عبد الله، عن بكير، عن الليث قال: توفي معاوية في رجب لأربع ليال خلت من سنة ستين، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر.

وقيل: تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر.

قال الواقدي: وسبعة وعشرين يوماً.

واختلفوا في مدة عمره، فقال الزهري: خمسة وسبعون، وقيل: ثمان وسبعون، وقال المدائني: ثلاث وسبعون، وقيل: ثمانون، وقيل: خمس وثمانون.

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس: أمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، وهو أول من ولدَ من الأنصار بالمدينة بعد الهجرة، وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة، فتلمظ بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انظروا إلى الأنصار وحبها للتمر".

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والنعمان بن بشير ابن ثماني سنين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن نصر عثمان، وقدم بقميصه الذي قتل فيه على معاوية، وبعثه معاوية على الكوفة أميراً، فأقام بها والياً عليها سبعة أشهر، ثم آل الأمر إلى أن دعا لابن الزبير فقتله أهل حمص في هذه السنة.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزار قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد الأبنوسي قال: أخبرنا أبو الحسن الدارقطني قال: أخبرنا الحسين بن إسماعيل القاضي قال: حدثنا عبد الله بن الحسين بن الربيع قال: حدثني الهيثم بن عدي قال: لما عُزل النعمان بن بشير عن الكوفة ولاه معاوية حمص، فوفد عليه أعشى همدان، فقال له: ما أقدمك أبا المصبح قال: جئت لتصلني، وتحفظ قرابتي، وتقضي ديني. فأطرق النعمان، ثم رفع رأسه ثم قال: والله ما عندي شيء. ثم قال: هيه، كأنه ذكر شيئاً، فقام فصعد المنبر ثم قال: يا أهل

حمص- وهم في الديوان عشرون ألفاً- هذا ابن عم لكم من أهل القرآن والشرف، قدم عليكم يسترفدكم، فما ترون فيه. فقالوا: أصلح الله الأمير، احكم له. فأبى عليهم. قالوا: فإنا قد حكمنا له على أنفسنا من كل رجل في العطاء بدينار من دينارين تعجلها له من بيت المال أربعون ألف دينار. فقبضها وأنشأ يقول:

فلم أر للحاجات عند انكماشها ... كنعمان نعمان الندى ابن بشير
إذا قال أوفى بالمقال ولم يكن ... كمدل إلى الأقوام حبل غرور
متى أنجد النعمان لا أك شاكراً ... ولا خير من لا يقتدي بشكور

ثم دخلت سنة إحدى وستين

فمن الحوادث فيها:

مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب

عليهما السلام

وذلك أنه أقبل حتى نزل شراف، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم الخيل، فنزل الحسين، رضي الله عنه، وأمر بأبنيته فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي- وكان صاحب شرطة ابن زياد حتى وقفوا مقابل الحسين عليه السلام في حرْ الظهيرة، فأمر الحسين رجلاً فأذن، ثم خرج فقال: أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم، إني لم آتكم حتى قدمت علي رسلكم، وأتتني كتبكم أن أقدم علينا، فليس لنا إمام، فإن كنتم كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه، فسكتوا عنه، وقالوا للمؤذن: أقم الصلاة، فأقام الصلاة، وصلى الحسين، وصلى الحر معه، ثم تراجعوا، فجاءت العصر، فخرج يصلي بهم وقال: أتتني كتبكم ورسلكم، فقال الحر: ما ندري ما هذه الكتب والرسل. فقال: يا عقبة بن سمعان، أخرج إلي الخرجَيْن. فأخرجهما مملؤين صحفاً فنشرها بين أيديهم، فقال الحر: إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمِرنا أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أدنى إليك، من ذلك. وقام فركب وركب أصحابه وقال: انصرفوا بنا. فحالوا بينه وبين الانصراف، فقال للحر: ثكلتك أمك، ما تريد؟ قال: إني لم أومر بقتالك، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة، ولا تردك المدينة حتى كتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد لعل الله أن يرزقني العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك، فتباشر الحسين والحر يسايره، ثم جاءه كتاب عبيد الله بن زياد أن جعجع بالحسين حتى يبلغك كتابي، فأنزلهم الحر على غير ماء، ولا في قرية، وذلك في يوم الخميس ثاني المحرم، فلما كان من الغد قدم عمرو بن سعد من الكوفة في أربعة آلاف، وكان عبيد الله قد ولى عمرو بن سعد الري، فلما عرض أمر الحسين قال له: اكفني أمر هذا الرجل، ثم اذهب إلى عملك. فقال: أعفني فأبى. قال: أنظرني الليلة، فأخره فأنظر في أمره، ثم أصبح راضياً فبعث إلى الحسين رجلاً يقول له: ما جاء بك؟ فقال: كتب إلي أهل مصركم، فإذا كرهتموني فإني أنصرف عنكم. وجاء كتاب عبيد الله إلى عمر: حَل بين الحسين وأصحابه وبين الماء كما صنع بعثمان. فقال: اختاروا مني واحدة من ثلاث: إما أن تدعوني فألحق ، بالثغور أو أذهب إلى يزيد، أو أنصرف من

حيث جئت فقبل ذلك عمرو، وكتب إلى عبيد الله بذلك، فكتب عبيد الله. لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي، فقال الحسين: لا والله لا يكون ذلك أبداً.

وفي رواية: أن عبيد الله قبل ذلك، فقال له شمر بن ذي الجوشن: والله إن رحل عن بلادك و لم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعز، ولتكونن أولى بالضعف، والعجز، ولكن ليترلن على حكمك هو وأصحابه، فقال له عبيد الله. اخرج بكتابي إلى عمرو بن سعد، وليعرض على الحسين وأصحابه الترول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً، وإن أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الناس، فثب عليه فاضرب عنقه واَبعث إلي برأسه.

وكتب عبيد الله: أما بعد، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة، فانظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلي سلماً، فإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم، فإن قتل حسين فاوطىء الخيل صدره وظهره، فإنه عاق قاطع، فإن مضيت لأمرنا جزيناك خيراً، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه، والسلام.

فلما جاء شمر بالكتاب إلى عمرو وقرأه قال: ويلك، لا قرب الله دارك، قبح الله ما قدمت به علي، والله إني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، وأفسدت علينا أمراً قد كنا رجونا أن يصلح، قال: فقال: أخبرني ما أنت صانع لأمر أميرك؟ أتقاتل عدوه، وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر. فقال: لا، ولا كرامة، ولكن أنا أتولى ذلك. قال: فدونك.

فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وعبد الله وجعفر بنو علي، فقالوا: مالك وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أَختي آمنون، قالوا: لعنك الله، ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمان له؟! فنادى عمرو: يا خيل اركبي وأبشري.

فركب في الناس، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بنيه محتبياً بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، فسمعت أخته الضجة، فقالت: يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟ فرفع رأسه فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: "إنك تروح إلينا، فلطمت أخته وجهها وقال له العباس: يا أخي، أتاك القوم. فنهض وقال: يا عباس، اركب بنفسك، أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم مالكم وما بدا لكم. فأتاهم العباس في نحوٍ من عشرين فارساً، فقال: ما تريدون؟ فقالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تترلوا على حكمه أو نناجزكم. قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم. فوقفوا، فرجع إلى الحسين فأخبره الخبر، ثم رجع إليهم فقال: يا هؤلاء، إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ننظر في هذا الأمر، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، وإنما أراد أن يوصي أهله، فقال عمرو للناس: ما ترون؟ فقال له عمرو بن الحجاج: سبحان الله، والله لو كان من الديلم، ثم سألك هذا لكان ينبغي أن تجيبه، فجمع الحسين أصحابه وقال: إني قد أذنت لكم فانطلقوا في هذه الليلة، فاتخذوه جملاً، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لَهَوْا عن طلب غيري. فقال أخوه العباس: لم نفعل ذلك لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً.

ثم تكلم إخوته وأولاده وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر بنحو ذلك، فقال الحسين: يا بني عقيل، حسبكم من الفتك بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم. فقالوا: لا والله، بل نفديك بأنفسنا وأهلينا، فقبح الله العيش بعدك.

وقال مسلم بن عوسجة: والله لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لرميتهم بالحجارة، وقال سعيد بن عبد الله الحنفى: والله لا نخليك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو علمت أني اقتل، ثم أحيا، ثم أحرق حياً، ثم أذرى تسعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك.

وتكلم جماعة من، أصحابه بنحو هذا، فلما أمسى الحسين جعل يصلح سيفه ويقول مرتجزاً:

يا دهرُ أف لك من خليل — كم لك بالإشراقِ والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل

فلما سمعه ابنه علي خنقته العبرة، فسمعته زينب بنت علي، فنهضت إليه وهي تقول: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمي، وعلي أبي، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي. فقال لها الحسين: أخيَّة، لا يذهِب حلمَك الشيطانُ. وترقرقت عيناه، فلطمت وجهها، وشقت جيبها، وخرت مغشية عليها. فقام إليها الحسين عليه السلام فرشق الماء على وجهها، وقال: يا أخَية اعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، ولي أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أقسم عليك يا أخيَّة لا تشقي عليَ جيباً ولاتخمشي وجهاً.

وقام الحسين وأصحابه يصلون الليل كله، ويدعون، فلما صلى عمرو بن سعد الغداة- وذلك يوم عاشوراء- خرج فيمن معه من الناس، وعبَّأ الحسين أصحابه، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً، وأربعين راجلاً، ثم ركب الحسين دابته، ودعى بمصحف فوضعه أمامه، وأمر أصحابه فأوقدوا النار في حطب كان وراءهم لئلا يأتيهم العدو من ورائهم.

فمر شمر فقال: يا حسين، تعجلت النار في الدنيا. فقال مسلم بن عوسجة: ألا رميته بسهم؟ فقال الحسين: لا، إني لأكره أن أبدأهم، ثم قال الحسين عليه السلام لأعدائه: أتسبوني؟ فانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم. وابن ابن عمه. أليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ وجعفر الطيار عمي. فقال شمر بن ذي الجوشن: عبدت الله على غير حرف إن كنت أدري ما تقول فقال: أخبروني، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم أخذته!؟ فلم يكلموه. فنادى: يا شبث بن ربعي، يا قيس بن الأشعث، يا حجار، ألم تكتبوا إليَّ؟ قالوا: لم نفعل، فقال: فإذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم. فقال له قيس: أولا تنزل على حكم ابن عمك؟ فإنه لن يصل إليك منهم مكروه، فقال: لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل.

فعطف عليه الحر فقاتل معه فأول من رمى عسكر الحسين عليه السلام بسهم: عمرو بن سعد، وصار يخرج الرجل من أصحاب الحسين فيقتل من يبارزه، فقال عمرو بن حجاج للناس. يا حمقى أتدرون مَنْ تقاتلون؟ هؤلاء فرسان المصر، وهم قوم مستميتون، فقال عمرو: صدقت، فحمل عمرو بن الحجاج على الحسين، فاضطربوا ساعة، فصُرع مسلم بن عوسجة أول أصحاب الحسين، وحمل شمر وحمل أصحاب الحسين عليه السلام من كل جانب، وقاتل أصحاب الحسين قتالاً شديداً، فلم يحملوا على ناحية إلا كشفوها، وهم اثنان وثلاثون فارساً، فرشقهم أصحاب عمرو بالنبل، فعقروا خيولهم، فصاروا رجالة، ودخلوا على بيوتهم، يقوضونها ثم أحرقوها بالنار، فقتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته منهم من أولاد علي عليه السلام:

العباس، وجعفر، وعثمان، ومحمد، وأبو بكر. ومنهم من أولاد الحسين: علي، وعبد الله، وأبو بكر، والقاسم. ومنهم من أولاد عبد الله بن جعفر: عون، ومحمد. ومن أولاد عقيل: جعفر، وعبد الرحمن، وعبد الله، ومسلم، قتل بالكوفة. وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل، وقتل عبد الله بن بقطر رضيع الحسين.

وجاء سهم فأصاب ابناً للحسين وهو في حجره، فجعل يمسح الدم عنه وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا. فحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه، ونادى: عليَّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله. فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، وصاح به الحسين عليه السلام: حرقك الله بالنار.

ثم اقتتلوا حتى وقت الظهر، وصلى بهم الحرّ صلاة الخوف، ثم اقتتلوا بعد الظهر، وخرج علي بن الحسين الأكبر فشد على الناس وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي	نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي	

فطعنه مرة بن منقذ فصرعه، واحتوشوه فقطعوه بالسيوف، فقال الحسين: قتل الله قوماً قتلوك يا بني، على الدنيا بعدك العفاء.

وخرجت زينب بنت فاطمة تنادي: يا أخاه يا ابن أخاه. وأكبت عليه، فأخذ بيدها الحسين فردها إلى الفسطاط، وجعل يقاتل قتال الشجاع، وبقي الحسين زماناً ما انتهى إليه رجل منهم إلا، انصرف عنه وكره أن يتولى قتله، واشتد به العطش فتقدم ليشرب، فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه، فجعل يتلقى الدم ويرمي به السماء ويقول: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم مدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.

ثم جعل يقاتل، فنادى شمر في الناس: ويحكم، ما تنتظرون بالرجل، اقتلوه. فضربه زرعة بن شريك على كتفه، وضربه آخر على عاتقه، وحمل عليه سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح، فوقع، فنزل إليه فذبحه واجتز رأسه، فسلمه إلى خولى بن يزيد الأصبحي، ثم انتهبوا سلبه، فأخذ قيس بن الأشعث عمامته، وأخذ آخر سيفه، وأخذ آخر نعليه، وآخر سراويله، ثم انتهبوا ماله، فقال عمرو بن سعد: من أخذ شيئاً فليرده، فما منهم مَنْ رد شيئاً.

وجاء سنان حتى وقف على فسطاط عمرو بن سعد، ثم نادى:

أوقر ركابي فضةً وذهبا	فقد قتلتُ السيد المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأبا	وخَيرَهم إذ ينسبون نسبا

فقال له عمرو: يا مجنون، تتكلم بهذا الكلام؟ ثم قال عمرو: مَنْ يوطىء فرسه الحسين؟ فانتدب أقوام بخيولهم حتى رضوا ظهره، وأمر بقتل علي بن الحسين، فوقعت عليه زينب وقالت: والله لا يقتل حتى أقتل. فرق لها وكف عنه.

وبعث برأسه ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث. وجاءت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر، وبنو أسد بستة، وبنو مدحج بسبعة.

فلما وصل رأس الحسين إلى ابن زياد جعل ينكث ثنيته بقضيب في يده، فقال له زيد بن أرقم: والله الذي لا إله غيره لقد رأيت

شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم نصب رأس الحسين بالكوفة بعد أن طيف به، ثم دعى زفر بن قيس، فبعث معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد، فلما دخل على يزيد قال: ما وراءك. قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين في ثمانية عشر من أهل بيته، وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا أو يترلوا على حكم ابن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، فغدونا عليهم من شروق الشمس، فأحطنا بهم، فجعلوا يهربون إلى غير وزَر ويلوذون منا بالآكام والحفر كما تلوذ الحمائم من صقر، فوالله ما كان إلا جَزْرَ جَزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليه الريح، تزاورهم العقبان والرخم بقي سبسب فدمعت عينا يزيد وقال: كنت أرضى من طاعتهم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه. ثم جلس يزيد، ودعى أشراف أهل الشام، وأجلسهم حوله، ثم أدخلهم عليه.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن شاهين قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن سالم قال: حدثنا علي بن سهل قال: حدثنا خالد بن خداس قال: حدثنا حماد بن زيد، عن حميل بن مرة، عن أبي الوصي قال: نحرت الإبل التي حمل عليها رأس الحسين وأصحابه، فلم يستطيعوا أكلها، كانت لحومها أمر من الصبر.

قال مؤلف الكتاب: ولما جلس يزيد وضع الرأس بين يديه وجعل ينكث بالقضيب على فيه ويقول:

يُفلقن هاماً من رجال أعِزةٍ ... علَيْنَا وَهُمْ كانوا أعَقَّ وأظْلَما

فقال أبو برزة- وكان حاضراً: ارفع قضيبك، فوالله لرأيت فاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فيه يلثمه.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا ابن أحمد السراج قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي العلاف قال: أخبرنا أبو الحسين بن أخي ميمي قال: أخبرنا أبو الحسين بن صفوان قال: حدثنا عبد الله بن محمد القرشي قال: حدثني محمد بن صالح قال: حدثنا علي بن محمد، عن خالد بن يزيد بن بشر السكسكي، عن أبيه، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي قال: قال قُدم برأس الحسين، فلما وضع بين يدي يزيد ضربه بقضيب كان في يده، ثم قال:

يفلقن هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

أنبأنا علي بن عبيد الله بن الزغواني قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، عن أبي عبيد الله المرزباني قال: أخبرنا محمد بن أحمد الكاتب قال: أخبرنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال: حدثنا محمد بن أحمد قال: حدثنا محمد بن يحيى الأحمري قال: حدثنا ليث، عن مجاهد قال: جيء برأس الحسين بن علي، فوضع بين يحي يزيد بن معاوية، فتمثل بهذين البيتين، يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا لي: بقيت لأتمثل

قال مجاهد: نافق فيها، ثم والله ما بقي من عسكره أحداً إلا تركه.

قال علماء السير: ثم دعا، يزيد بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه، فأدخلوا عليه فقال لعلي: يا علي، أبوك الذي قطع رحمي،

وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما رأيت. فقال علي: "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها" ثم دعا بالنساء والصبيان، فأجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة، فقال: قبح الله ابن مرجانة، لو كانت بينكم وبينه قرابة ما فعل بكم هذا. فرق لهم يزيد، فقام رجل أحمر من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه- يعني فاطمة بنت علي- وكانت وضيئة، فارتعدت وظنت أنهم يفعلون، فأخذت بثياب أختها زينب- وكانت زينب أكبر منها- فقالت زينب: كذبت والله، ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد وقال: كذبت، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلته، قالت: كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن يخرج من ملتنا ويدين بغير ديننا، فعاد الشامين فقام وقال: هب لي هذه، فقال: اغرب، وهب الله لك حتفاً قاضياً، ثم قال يزيد للنعمان بن بشير: جهزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً يسير بهم إلى المدينة.

ثم دخلن دار يزيد، فلم يبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا علي بن الحسين، فدعاه يوماً ودعا معه عمرو بن الحسين- وكان صغيراً- فقال يزيد لعمرو: أتقاتل هذا؟ يعني ابنه خالداً. قال: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم أقاتله. فقال يزيد: سُنّةٌ أعرفها من أحرم، ثم بعث بهم إلى المدينة، وبعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص- وهو عامله على المدينة- فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أمه فاطمة. هكذا قال ابن سعد.

وذكر ابن أبي الدنيا أنهم وجدوا في خزانة يزيد رأس الحسين، فكفنوه، ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس.

ولما أتى أهل المدينة مقتل الحسين عليه السلام خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرة وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم أفضل الأمم

بعترتي وبأهلي عند منطلقي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بشرٍ في ذوي رحم

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: كان علي بن الحسين الأصغر مع أمه، وهو يومئذٍ ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً، فلما قتل الحسين قال عمرو بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض، قال علي بن الحسين: فغيبني رجل منهم فأكرم منزلي واختصني وجعل يبكي كلما دخل وخرج، حتى كنت أقول: إن يكن عند أحدٍ خير فعند هذا. إلى أن نادى منادي عبيد الله بن زياد: ألا مَنْ وجد علي بن الحسين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلثمائة درهم. قال: فدخل عليّ والله وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي ويقول أخاف. وأخرجني إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلثمائة درهم وأنا أنظر، وأدخلت على ابن زياد فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين. فقال: أو لم يقتل الله علياً؟ قلت: كان أخي، يقال له علي أكبر مني، قتله الناس: قال: بل الله قتله، قلت: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، أسألك بالله إن قتلته إلا قتلتني معه. فتركه، فلما صار إلى يزيد بن معاوية قام رجل من أهل الشام فقال: سباياهم لنا حلال، فقال علي بن الحسين: كذبت، ما ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا،؟ فأطرق يزيد ملياً ثم قال لعلي بن الحسين: إن أحببت أن تقيم، عندنا فنصل رحمك فعلت، وإن أحببت وصلتك ورددتك إلى بلدك، قال: بل تردني إلى المدينة. فوصله ورده.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز قال: أخبرنا أحمد أبن علي، بن ثابت قال: أخبرنا علي بن أحمد الرزاز، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن

الحسن الصواف قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا عمر بن علي قال:

قتل الحسين بن علي سنة إحدى وستين، وهو يومئذ ابن ست وخمسين سنة، في المحرم يوم عاشوراء.

وقد قال جعفر بن محمد: وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: وهو ابن خمس وستين أو ست وستين.

قال مؤلف الكتاب: وهذا لا وجه له، فإنه إنما ولد في سنة أربع من الهجرة، ومن نظر في مقدار خلافة الخلفاء إلى زمان قتله علم أنه لم يصل إلى الستين. وقول جعفر بن محمد أصح.

وقال هشام بن محمد الكلبي: قتل سنة اثنتين وستين. وهو غلط.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي قال: أخبرنا ابن رزق قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الحافظ قال: حدثنا الفضل بن الحباب قال: حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عامر بن أبي عمار، عن ابن عباس قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار، أشعث أغبر، بيده قارورة، فقلت: ما هذه القارورة؟ قال: "دم الحسين وأصحابه ما زلت ألتقطه منذ اليوم" فنظرنا فإذا هو في ذلك اليوم الذي قتل فيه الحسين.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أحمد بن عثمان بن مياح قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي قال: حدثنا محمد بن شداد المسمعي قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وأخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد العتيقي قال: سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن عبدان الصيرفي يقول: سمعت جعفر الخلدي يقول: كان بي جرب عظيم فتمسحت بتراب قبر الحسين، فغفوت فانتبهت وليس عليّ منه شيء. وزرت قبر الحسين فغفوت عند القبر غفوة، فرأيت كأن القبر قد شقّ وخرج منه إنسان، فقلت: إلى أين يا ابن رسول الله؟ فقال: من يد هؤلاء.

وفي هذه السنة: ولى يزيد بن معاوية سالم بن زياد سجستان وخراسان، فلما شخص خرج معه المهلب بن أبي صفرة، ويحيى بن معمر في خلق كثير من أشراف البصرة وفرسانها، ورغب قوم في الجهاد، فطلبوا إليه أن يخرجهم، وخرج معه صلة بن أشيم، فخرج سالم وأخرج معه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فغزا سمرقند، فهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر، وكان عمال خراسان يغزون، فإذا دخل الشتاء قفلوا من مغازيهم إلى مرو، وإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان إلى مدينة من مدائن خراسان مما يلي خوارزم يتشاورون في أمورهم، وكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم، فلما قدم سالم خراسان شتا في بعض مغازيه، فألح عليه المهلب وسأله أن يوجه إلى تلك المدينة، فوجهه في ستة آلاف– ويقال: في أربعة آلاف– فحاصرهم، فسألوه أن يصالحهم على أن يفدوا أنفسهم، فأجابهم فصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، فحظي بذلك المهلب عند سالم.

وفي هذه السنة، عزل يزيد عمرو بن سعيد بن العاص عن المدينة، وولاها الوليد بن عتبة، وذلك لهلال في الحجة.

وسبب ذلك: أنه لما قتل الحسين قام ابن الزبير في مكة، فعظّم مقتل الحسين عليه السلام، وعاب أهل الكوفة، ولام أهل العراق، فثار

إليه أصحابه، فقالوا أيها الرجل، لم يبق من بعد الحسين من ينازعك بيعتك. وقد كان بايع الناس، سراً وأظهر أنه عائذ بالبيت، فقال لهم: لا تعجلوا، فلما علم يزيد ما قد جمع ابن الزبير من الجموع أعطى الله عهداً ليوثقن في سلسلة. فبعث سلسلة من فضة وغلالة وابن الزبير بمكة، وكاتبه أهل المدينة، وقيل ليزيد: لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك. فعزل عمراً وبعث الوليد أميراً.

وفي هذه السنة: حج بالناس الوليد بن عتبة، وكان عامل يزيد على المدينة، وكان على البصرة والكوفة: عبيد الله بن زياد، وعلى المدينة: الوليد بن عتبة- كما ذكرنا- وعلى خراسان وسجستان: سالم بن زياد. وعلى قضاء الكوفة: شريح، وعلى قضاء البصرة: هشام بن هبيرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جبير. بن عتيك بن قيس، أبو عبد الله

شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت معه راية بني معاوية يوم الفتح. وتوفي في هذه السنة وهو ابن إحدى وسبعين سنة.

الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة، وأذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذنه، وكان له من الولد: علي الأكبر، وعلي الأصغر- وله العقب- وجعفر، وفاطمة، وسكينة.

وقد ذكرنا مقتله كيف كان في الحوادث.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدثنا يعلى بن عبيد قال: حدثنا عبيد الله بن الوليد، عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال: حج الحسين بن علي عليه السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه.

وقيل: علي بن الحسين بن علي هو الذي حج ماشياً والنجائب تقاد خلفه، رضي الله عنه تم الجزء الخامس من كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " تأليف الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، عفا اللّه عنه.

ويتلوه في الجزء، السادس شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا. . . .

شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: قال الواقدي عن أشياخ له: كان شيبة بن عثمان يحدث عن إسلامه فيقول: ما رأيت أعجب مما كان فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات، فلما كان يوم الفتح دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عنوة، قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما اتبعته أبداً، فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته، وأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه، ورفعت سيفي فرفع لي شواظ من نار كالبرق حتى كان يمحشني، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه، فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداني: "يا شيب،

ادن مني"، فدنوت منه فمسح صدري وقال: "اللهم أعذه من الشيطان". فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي، فاذهب الله ما كان بي، ثم قال: "إدن فقاتل" فتقدمت أمامه أضرب بسيفي، الله يعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حياً لأوقعت به السيف، فلما تراجع المسلمون وكروا كرة واحدة، قربت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوى عليها فخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره فدخل خباءه، فدخلت عليه، فقال: "يا شيبة، الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك"، ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط، فقلت: فإني اشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم قلت: استغفر لي يا رسول الله، فقال: غفر الله لك.

قال الواقدي: كان عثمان بن أبي طلحة يلي فتح البيت إلى أن توفي، فدفع ذلك إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وهو ابن عمه، فبقيت الحجابة في ولد شيبة.

عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه، و لم يزل بالمدينة إلى عهد عمر، ثم تحول إلى دمشق فابتنى بها داراً، وتوفي بها في خلافة يزيد بن معاوية، وإليه أوصى.

ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها في عمرة القضية بسرف، بعد أن خرج من مكة، وبنى بها هناك، واتفق أنها ماتت هناك في هذه السنة.

الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب

قتل عقبة يوم بدر صبراً، وأسلم الوليد يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق وخزاعة، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد بساحاتهم، فخرجوا يتلقونه بالسلاح، فظنهم محاربين، فرجع فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لما رأوه لقوه بالسلاح ومنعوا الصدقة، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم بعثاً، وبلغهم ذلك، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سله هل ناطقنا أو كلمنا حتى رجع ونحن قوم مؤمنون، فنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمهم: " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة...".

وولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ثم عزله عنها، فلم يزل بالمدينة حتى بويع علي، فخرج إلى الرقة فنزلها معتزلاً لعلي ومعاوية، فمات بها، وقبره على خمسة عشر ميلاً من الرقة، كان له هناك ضيعة فمات بها.

الجزء السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

فمن الحوادث فيها:

مقدم وفد المدينة على يزيد ومبايعتهم محمد بن حنظلة

وكان السبب في ذلك أن يزيد لما عزل عمرو بن سعيد، وولى الوليد بن عتبة، قدم الوليد المدينة فأخذ غلماناً لعمرو، نحواً من ثلاثمائة فحبسهم، فكلمه فيهم عمرو فأبى أن يخليهم، فخرج عمرو من المدينة وكتب إلى غلمانه: إني باعث إلى كل رجل منكم جملاً وأداته، تناخ لكم بالسوق، فإذا أتاكم رسولي فاكسروا باب السجن، ثم ليقم كل رجل منكم إلى جمله فليركبه، ثم أقبلوا علي. ففعل ذلك، فقدم على يزيد، فرحب به وعاتبه على تقصيره في أشياء يأمره بها في ابن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن جل أهل الحجاز مالوا إليه، و لم يكن معي جند أقوى عليه لو ناهضته، فكنت أداريه لأتمكن منه، مع أني قد ضيقت عليه، فجعلت على مكة وطرقها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا لي اسمه واسم أبيه، وما جاء به، فإن كان ممن أرى أنه يريده رددته صاغراً، وقد بعثت الوليد وسيأتيك من عمله ما تعرف به فضل مبايعتي ومناصحتي.

فعزل يزيد الوليد، وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو حدث لم يحنكه السن، وكان لا يكاد ينظر في شيء من عمله. وبعث إلى يزيد وفداً من المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل، والمنذر بن الزبير، فأكرمهم وأجازهم، ثم رجعوا إلى المدينة فأظهروا شتم يزيد وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير ويلعب بالكلاب، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه.

وقال المنذر: والله لقد أجازني بمائة ألف درهم، وإنه لا يمنعني ما صنع إلي أن أصدقكم عنه، والله إنه ليشرب الخمر، وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة. ثم بايعوا عبد الله بن حنظلة.

وفيها: حج بالناس الوليد بن عتبة، وكان العمال على البلاد في هذه السنة هم العمال في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج، أبو عبد الله أسلم لما مر به النبي صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلى المدينة فانتهى إلى الغميم أتاه بريدة بن الحصيب فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام هو ومن معه، وكانوا زهاء ثمانين بيتاً، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء وصلوا خلفه ليلتئذ صدراً من صورة مريم،ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بعد أن مضت بدر وأحد فتعلم بقية السورة، وغزا

معه مغازيه بعد ذلك، واستعمله على أسارى المريسيع، وأعطاه لواء يوم الفتح، وبعثه على أسلم وغفار يصدقهم، وإلى أسلم لما أراد غزوة تبوك يستنفرهم، و لم يزل مقيماً بالمدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي، فلما فتحت البصرة تحول إليها واختط بها، ثم خرج غازياً إلى خراسان، فمات بمر وفي خلافة يزيد.

الربيع بن خثيم، أبو يزيد الثوري روى عن ابن مسعود وغيره.

أخبرنا علي بن عبد الواحد الدينوري، قال: أخبرنا علي بن عمر القزويني، قال: أخبرنا أبو بكر بن شاذان، قال: أخبرنا البغوي، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق، قال:قال عبد الله للربيع بن خثيم: لو رآك رسمل الله صلى الله عليه وسلم لأحبك.

قال أحمد: وحدثني عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الواحد عن عبد الله بن الربيع، عن أبي عبيدة، قال: كان عبد الله يقول للربيع: ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين.

وكان الربيع إذا أتى عبد الله لم يكن عليه إذن حتى يفرغ كل واحد منهما من صاحبه، وكان الربيع إذا جاء إلى باب عبد الله يقول للجارية: من بالباب؟ فتقول الجارية ذلك الشيخ الأعمى.

وروى سفيان بن نسير بن ذعلوق، عن إبراهيم التيمي، قال: أخبرنا من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ما سمع منه كلمة تعاب.

وأخبرنا سفيان، قال: أخبرتني سرية الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع بن خثيم كله سراً، كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه.

الرباب بنت امرئ القيس تزوجها الحسين بن علي رضي الله عنهما، فولدت له سكينة، وكان يحبها حباً شديداً، ويقول:

لعمرك إنني لأحب داراً ... تحل بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب

وكانت الرباب معه يوم الطف، فرجعت إلى المدينة مصابة مع من رجع، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: والله لا يكون حمو آخر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعاشت بعد الحسين رضي الله عنه سنة لم يظلها سقف، فبليت وماتت كمداً.

علقمة بن قيس بن عبد الله، أبو شبل النخعي الكوفي وهو عم الأسود وعبد الله ابني يزيد. وخال إبراهيم التيمي.

روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وحذيفة، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وغيرهم. روى عنه أبو وائل، والشعبي، والنخعي وابن سيرين.

وشهد حرب الخوارج بالنهروان، وكان من العلماء الربانيين، مقدماً في الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يشبه بابن مسعود.

عمرو بن حزم بن يزيد بن لوذان بن عمرو بن عوف، أبو الضحاك استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على نجران اليمن وهو ابن سبع عشرة سنة، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عامله على نجران، وعاش عمرو حتى أدرك معاوية وبيعته لابنه يزيد. وتوفي بالمدينة.

عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري وجهه معاوية إلى أفريقية غازياً في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها واختط قيروانها، وقد كان موضعه غيطة لا ترام من السباع والحيات وغير ذلك من الدواب، فدعا الله تعالى عليها ونادى: إنا نازلون فاظعنوا، فلم يبق شيء مما كان من السباع وغيرها إلا خرج، وجعلن يخرجن من جحرهن هوارب، حتى أن السباع كانت تحمل أولادها.
ثم قدم بعد موت معاوية على يزيد فرده والياً على أفريقية في هذه السنة، فعرض له جمع من الروم والبربر وهو في قل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل عقبة شهيداً.
مسلمة بن مخلد بن الصامت، أبو معن، ويقال أبو سعيد ولد حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. وسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مصر واختط بها، وولي الجند لمعاوية بن أبي سفيان ولابنه يزيد.
روى عنه علي بن رباح وغيره، وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة.
نوفل بن معاوية بن عمرو بن صخر بن يعمر شهد بدراً مع المشركين، وأحداً والخندق، وكان له ذكر ونكاية، ثم أسلم بعد ذلك وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنيناً والطائف، ونزل المدينة، وحج مع أبي بكر سنة تسع، وحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر.
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاش ستين سنة في الإسلام، وتوفي في خلافة يزيد، وكان له ولد اسمه سلمى، وكان أجود العرب، وفيه يقول الشاعر:

يسوَّد أقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المحمود سلمى بن نوفل

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

فمن الحوادث فيها: أخرج أهل المدينة عامل يزيد وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان وخلعوا يزيد.

فذكر أبو الحسن المدائني عن أشياخه: أن أهل المدينة أتوا المنبر، فخلعوا يزيد، فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي – ونزعها عن رأسه – وإني لا أقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكن عدو الله سكير.
وقال آخر: قد خلعته كما خلعت نعلي، حتى كثرت العمائم والنعال، ثم ولوا على قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة، ثم حاصر القوم من كان بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم.
فكتب مروان وجماعة من بني أمية إلى يزيد: إنا قد حصرنا في دار مروان، ومنعنا العذب، فياغوثاه.
فوصل الكتاب إليه وهو جالس على كرسي واضع قدميه في ماء في طست من وجع كان به – ويقال إنه كان به نقرس – ثم قال للرسول: أما يكون بنو أمية ومواليهم بالمدينة ألف رجل؟ فقال: بلى وأكثر، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار،فقال: أجمع الناس عليهم، فلم يكن بهم طاقة، فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأمره أن يسير إليهم، فقال: قد كنت ضبطت لك البلاد وأحكمت لك الأمور، فأما الآن فإنما هي دماء قريش تهراق، فلا أحب أن أتولى ذلك.
قال: فبعثني بالكتاب إلى مسلم بن عقبة وهو شيخ كبير، فجاء حتى دخل على يزيد، فقال: أخرج وسر بالناس. فخرج مناديه فنادى: أن سيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كملاً ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته، فانتدب لذلك اثني عشر

ألفاً، وكتب يزيد إلى ابن مرجانة: أن اغز ابن الزبير، فقال: لا والله لا أجمعهما للفاسق أبداً؛ أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغزو البيت.

وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مسلم بن عقبة، وقال له: إن حدث بك حادث فاستخلف في الجيش حصين بن نمير السكوني، وقال له: ادع القوم ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عنهم، وانظر علي بن الحسين فاستوص به خيراً، أدن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه.

وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهل المدينة إقباله وثبوا على من معهم من بني أمية فحصروهم في دار مروان، فقالوا: لا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم، ونضرب أعناقكم، أو تعطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلة، ولا تدلوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدواً، فأعطوهم العهد على ذلك، فأخرجوهم من المدينة، فخرجوا بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى، فدعا بعمرو بن عثمان وقال له: أخبرني ما وراءك، وأشر علي، قال: لا أستطيع أن أخبرك شيئاً، أخذت علينا العهود والمواثيق أن لا ندلك على عورة، فانتهره وقال: لولا أنك ابن عثمان لضربت، وأيم الله لا أقيلها قرشياً بعدك، فخرج بما لقي من عنده إلى أصحابه، فقال مروان لابنه عبد الملك: ادخل قبلي لعله يجتزئ بك عني، فدخل عليه عبد الملك، فقال: هات ما عندك، أخبرني خبر الناس، وكيف ترى؟ فقال له: أرى أن تسير بمن معك حتى تأتيهم من قبل الحرة، ففعل وقال: يا أهل المدينة، إن أمير المؤمنين يزيد يزعم أنكم الأصل، ويقول: إني أكره إراقة دمائكم، وإني أؤجلكم ثلاثاً، فمن راجع الحق أمنته ورجعت عنكم وسرت إلى هذا الملحد الذي بمكة، وإن أبيتم قد أعذرنا إليكم، فلما مضت الأيام الثلاثة قال: يا أهل المدينة ما تصنعون؟ قالوا: نحارب، فقال: لا تفعلوا وادخلوا في الطاعة، فقالوا: لا نفعل. وكانوا قد اتخذوا خندقاً ونزل منهم جماعة وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر في جانب المدينة، وكان معقل بن سنان الأشجعي على ربع آخر وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً.

وقيل: كان ابن مطيع على قريش، وابن حنظلة على الأنصار، ومعقل بن سنان على المهاجرين.

فحمل ابن الغسيل على الخيل حتى كشفها، وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعل مسلم يحرض أصحابه - وكان مريضاً، فنصب له سرير بين الصفين - وقال: قاتلوا عن أميركم، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً، يقتلون الناس ويأخذون الأموال، فأرسلت سعدى بنت عوف المرية إلى مسلم: تقول بنت عمك مر أصحابك لا يعترضوا الإبل لنا بمكان كذا، فقال: لا تبدأوا إلا بها. وجاءت امرأة إلى مسلم وقالت: أنا مولاتك وابني في الأسرى، فقال: عجلوه لمكانها، فضربت عنقه وقال: أعطوها رأسه، أما ترضين أن لا تقتلي حتى تكلمي في ابنك، ووقعوا على النساء، وقاتل عبد الله ابن مطيع حتى قتل هو وبنون له سبعة، وبعث برأسه إلى يزيد.

فأفزع ما جرى من كان بالمدينة من الصحابة، فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل الجبل، فدخل عليه رجل بسيف، فقال: من أنت؟ فقال: أبو سعيد، فتركه.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شيبة البزاز، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز، قال: حدثنا أبو الحسن

المدائني، عن أبي عبد الرحمن القرشي، عن خالد الكندي، عن عمته أم الهيثم بنت يزيد، قالت: رأيت امرأة من قريش تطوف، فعرض لها أسود، فعانقته وقبلته، فقلت: يا أمة الله، أتفعلين هذا بهذا الأسود، قالت: هو ابني وقع علي أبوه يوم الحرة، فولدت هذا.

وعن المدائني، عن أبي قرة، قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحرة من غير زوج، ثم دعى مسلم بالناس إلى البيعة ليزيد، وقال: بايعوا على أنكم خول له، وأموالكم له، فقال يزيد بن عبد الله بن ربيعة: نبايع على كتاب الله، فأمر به فضربت عنقه، وبدأ بعمرو بن عثمان، فقال: هذا الخبيث ابن الطيب، فأمر به فنتفت لحيته.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا أبو بكر بن شاذان، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شيبة، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، عن حويرثة وابن جعدية: أن مسلماً نظر إلى قتلى الحرة، فقال: إن دخلت النار..... بعدها ولا إني لشقي.

وأسر مسلم أسراء فحبسهم ثلاثة أيام لم يطعموا فجاءوا بسعيد بن المسيب إلى مسلم، فقالوا: بايع، فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر، فأمر بضرب عنقه، فشهد له رجل أنه مجنون فخلى عنه.

وعن المدائني، عن علي بن عبد الله القرشي، وأبي إسحاق التميمي، قال: لما انهزم أهل المدينة والصبيان، فقال ابن عمر: بعثمان ورب الكعبة.

وعن المدائني، عن محمد بن عمر قال: قال ذكوان مولى مروان: شرب مسلم بن عقبة دواء بعدما انهب المدينة، ودعا بالغداء، فقال له الطبيب: لا تعجل فإني أخاف عليك إن أكلت قبل أن يعمل الدواء، قال: ويحك، إنما أحب البقاء حتى أشفي قلبي – أو قال: نفسي – من قتلة عثمان، فقد أدركت ما أردت فليس شيء أحب إلي من الموت على طهارتي، فإني لا أشك أن الله قد طهرني من ذنوبي بقتلي هؤلاء الأرجاس.

وعن المدائني، عن شيخ من أهل المدينة، قال: سألت الزهري: كم كانت القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وممن لا يعرف من عبد وحر وامرأة عشرة آلاف، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام.

وعن المدائني، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن رجل من قريش، قال: كنت أنزل بذي الحليفة فدخلت المسجد فإذا رجل مريض، قلت: من أنت؟ قال: أنا رجل من خثعم أقبلت نجران فمرضت فتركني أصحابي ومضوا، فحولته إلى المنزل، فكان عندنا حتى صح، وأقام عندنا حيناً كرجل منا، وعملت لصاحبتي حلياً بمائة دينار وهو يرى ذلك، ثم خرج إلى الشام، فقدم المدينة أيام الحرة وقد تحولنا من ذي الحليفة إلى المدينة، فلما انتهب مسلم المدينة أتانا في جماعة فسمعت الجلبة في الدار، فخرجت فإذا أنا به وأصحابه خارجاً، فقلت له: قد كنا نتمناك، قال: ما جئت إلا لأدفع عن دمك، ولكني آخذ مالك، فإن الأمير قد أمرنا بالنهب، وسيؤخذ ما عندك وأنا أحق به، فقلت: أنت لعمري أحق به، فاصرف أصحابك وخذه وحدك، فخرج فرد أصحابه ورجع، فقال: ما فعل الحلي؟ قلت: على حاله، قال: فهاته، قلت: هو مدفون بذي الحليفة عند البئر التي رأيت، فإذا أمسينا خرجنا إليها فأدفعه إليك. فلما أمسيت خرجت أنا وهو وتبعني ابنان لي حتى انتهينا إلى البئر وطولها ثلاثون ذراعاً، فأخذناه أنا وابناي، فشددناه وثاقاً، وأرميناه في البئر ودفناه ورجعنا فلما أصبحنا إذا رجل ممن كان معه بالأمس قد أتانا فقال: أين أبو المحرش؟ قلنا: غدا حين أصبح، قال: أراه والله

خدعنا وأخذ المتاع، قلنا: ما أخذ شيئاً، ادخل فانظر، فدخل فأغلقنا عليه الباب وقتلناه.
وعن المدائني، عن سلمان بن أبي سلمان، عن بكر بن إبراهيم بن نعيم بن النحام، قال: مر ركب من أهل اليمن إلى الشام يريدونه ومعهم رجل مريض، فأرادوا دفنه وهو حي، فمنعهم أبي فمضوا وخلفوه، فلم يلبث أن برئ وصح، فجهزه أبي وحمله، وكان ممن قدم مع مسلم، فرأته جارية لنا، فعرفته، فقالت: عمرو، فقال: نعم وعرفها، قال: ما فعل أبو إسحاق؟ قالت: قتل، فقال لأصحابه: هؤلاء أيسر أهل بيت بالمدينة، فانتهبوا منزلهم، فكان يضرب به المثل بالمدينة: "وأنت أقل شكراً من عمرو".
ثم استخلف مسلم على المدينة روح بن زنباع، وسار إلى ابن الزبير، فاحتضر في الطريق، فقال لحصين بن نمير: إنك تقدم بمكة ولا منعة لهم ولا سلاح، ولهم جبال تشرف عليهم، فانصب عليهم المنجنيق فإنهم بين جبلين، فإن تعوذوا بالبيت فارمه واتجه على بنيانه.
قال أبو معشر والواقدي: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.
وقال بعضهم: لثلاث بقين منه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

ربيعة بن كعب الأسلمي أسلم قديماً وكان من أهل الصفة، وكان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبيت على بابه لحوائجه، ويغزو معه، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فنزل يين، وهي من بلاد أسلم، وهي على بريد من المدينة، وبقي إلى أيام الحرة.
أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يعقوب، قال: حدثنا أبي، عم ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن عمرو بن عطاء، عن نعيم، عن ربيعة بن كعب، قال:
كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة، فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول: لعله أن تحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة، فما أزال أسمعه يقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، وبحمده، حتى أمل فارجع أو تغلبني عيني فأرقد. قال: فقال لي يوماً لما يرى من خفتي له وخدمتي إياه: ياربيعة، سلني أعطك. قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك، قال: ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني. قال: فقلت: أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي، فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به، قال: فجئته فقال: ما فعلت يا ربيعة؟ قال: فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار، قال: فقال: "من أمرك بهذا يا ربيعة؟" قال: فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق، ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت سلني أعطك، وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني، فقلت: أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخرتي، قال: فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً، ثم قال لي: "إني لفاعل ذلك فأعني على نفسك بكثرة السجود".
عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب كان حنظلة لما أراد الخروج إلى أحد وقع على امرأته جميلة، فعلقت بعبد الله في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وقتل حنظلة يومئذ شهيداً فغسلته الملائكة، فيقال لولده: بنو غسيل الملائكة،

وولدت جميلة عبد الله، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبد الله سبع سنين.

ولما وثب أهل المدينة ليالي الحرة فأخرجوا بني أمية عن المدينة، وأظهروا عيب يزيد، أجمعوا على عبد الله، فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت، وقال: يا قوم، اتقوا الله وحده، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت فيه بلاء حسناً. فتواثب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي. وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد، فلما دخلوا المدينة قاتل حتى قتل يومئذ.

أبو عائشة الهمداني، واسمه مسروق بن الأجدع بن مالك سرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقاً. ورأى أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وابن مسعود، وحضر مع علي حرب الخوارج بالنهروان، وقال عمر بن الخطاب: ما اسمك؟ فقال: مسروق بن الأجدع، فقال: مسروق بن عبد الرحمن.

وعمرو بن معدي كرب خال مسروق.

وقال ابن المديني: ما أقدم على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله.

أخبرنا ابن منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا دعلج، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي طالب، قال: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا حجاج، عن شعبة، عن أبي إسحاق، قال: حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: حدثنا ابن رزق، قال: أخبرنا أحمد بن سلمان، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني أزهر بن مروان، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أنس بن سيرين، أن امرأة مسروق قالت: كان يصلي حتى ورمت قدماه، فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه.

توفي مسروق رضي الله عنه بالكوفة في هذه السنة، وهي سنة ثلاث وستين، وله ثلاث وستون سنة.

ثم دخلت سنة أربع وستين

فمن الحوادث فيها: مسير أهل الشام إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه في الامتناع على يزيد بن معاوية قال علماء السير: لما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثاً، شخص بمن معه من الجند متوجهاً نحو مكة، وخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي.

وقيل: خلف عمرو بن محرز الأشجعي.

فسار ابن عقبة حتى إذا انتهى إلى فقا المشلل نزل به الموت، وذلك في آخر المحرم سنة أربع وستين، فدعا حصين بن نمير السكوني، فقال له: يا برذعة الحمار، أما لو كان هذا الأمر إلي ما وليتك هذا الجند، ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدي، وليس لأمر مترك، أسرع المسير، ولا تؤخر ابن الزبير ثلاثاً حتى تناجزه، ثم قال: اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أحب إلي من قتل أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة. ومات فدفن بالمشلل.

ثم خرج الحصين بن نمير بالناس، فقدم على ابن الزبير مكة لأربع بقين من المحرم، فحاصر ابن الزبير أربعاً وستين يوماً حتى جاءهم – يعني يزيد بن معاوية – لهلال ربيع الآخر، وكان القتال في هذه المدة شديداً، وقذف البيت بالمجانيق في يوم السبت ثالث ربيع الأول، وأحرق بالنار، وكانوا يرتجزون ويقولون:

كيف ترى صنيع أم فروة تأخذهم بين الصفا والمروة

يريدون بأم فروة: المنجنيق.

وروى الواقدي، عن أشياخه: أهم كانوا يوقدون حول البيت، فأقبلت شرارة فأحرقت ثياب الكعبة وخشب البيت في يوم السبت ثالث ربيع الأول.

وفي رواية: أن رجلاً أخذ قبساً في رأس رمح له، فطارت به الريح فاحترق.

وروى المدائني، عن أبي بكر الهذلي، قال: لما سار أهل الشام فحاصروا ابن الزبير سمع أصواتاً من الليل فوق الجبل، فخاف أن يكون أهل الشام قد وصل إليه، وكانت ليلة ظلماء ذات ريح شديدة ورعد وبرق، فرفع ناراً على رأس رمح لينظر إلى الناس، فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فاحرقتها واستطارت فيها، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدروا فأصبحت الكعبة تتهافت، وماتت امرأة من قريش، فخرج الناس كلهم مع جنازتها خوفاً من أن يترل العذاب عليهم، وأصبح ابن الزبير ساجداً يدعو ويقول: اللهم إني لم أعتمد ما جرى، فلا تهلك عبادي بذنبي، وهذه ناصيتي بين يديك. فلما تعالى النهار أمن الناس وتراجعوا، فقال لهم: ينهدم في بيت أحدكم حجر فيبنيه ويصلحه، وأترك الكعبة خراباً. ثم هدمها مبتدئاً بيده، وتبعه الفعلة إلى أن بلغوا إلى قواعدها، ودعى بنائين من الفرس والروم. فبناها.

وفي هذه السنة: جاء نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر.

وفيها: بويع لمعاوية بن يزيد بالشام بالخلافة، ولعبد الله بن الزبير بالحجاز.

ولما هلك يزيد مكث الحصين بن نمير وأهل الشام يقاتلون ابن الزبير ولا يعلمون بموت يزيد أربعين يوماً وقد حصروهم حصاراً شديداً، وضيقوا عليهم، فبلغ موته ابن الزبير قبل أن يبلغ حصين، فصاح بهم ابن الزبير: إن طاغيتكم قد هلك، فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل، ومن كره فليلحق بشآمه، فما صدقوا، حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع النخعي، فأخبر الحصين بذلك، فبعث الحصين بن نمير إلى ابن الزبير: موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطح. فالتقيا، فقال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس، وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك. فقال: لا افعل، ولأقتلن بكل رجل عشرة. فقال الحصين: قد كنت أظن أن لك رأياً، أنا أدعوك إلى الخلافة وأنت تعدني بالقتل.

ثم خرج وصاح في الناس فأقبل بهم نحو المدينة، وندم ابن الزبير على ما صنع، فأرسل إليه: أما أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً لأني أكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هناك فإني مؤمنكم. فقال الحصين: أرأيت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هناك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس، فما أنا صانع؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة، فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها.

فقالت لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخلوا الشام وقد أوصى يزيد بالبيعة لابنه معاوية.

وفي هذه السنة: بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد

على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، ثم أرسل عبيد الله رسولاً إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى مثل ذلك فأبوا عليه، وحصبوا الوالي الذي كان عليهم.

وذلك أنه لما بلغت عبيد الله وفاة يزيد، قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل البصرة، لقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل، ولقد أحصى اليوم ثمانين ألف مقاتل، وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة ألف وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظنة أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم، وإن أمير المؤمنين يزيد قد توفي، وقد اختلف أهل الشام وأنتم اليوم اكثر الناس عدداً، وأوسعهم بلاداً، وأغنى عن الناس، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أول راض من رضيتموه، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترضونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم، فما لكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة.

فقامت خطباء أهل البصرة فقالوا: والله ما نعلم أحداً أقوى منك عليها، فهلم نبايعك، فقال، لا حاجة لي في ذلك، فاختاروا لأنفسكم، فأبوا غيره وأبى عليهم حتى كرروا ذلك ثلاث مرات. فلما أبوا بسط يده فبايعوه. ثم خرجوا يمسحون أكفهم بباب الدار وحيطانه، وجعلوا يقولون: أظن ابن مرجانة أنا نوليه أمرنا في الفرقة. فكان يامر بالأمر فلا ينفذ، ويرى الرأي فيرد عليه رأيه.

فأقام كذلك ثلاثة أشهر، وقدم مسلمة بن ذؤيب فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير، فمالوا إليه وتركوا ابن زياد، فكان في بيت المال تسعة عشر ألف ألف، ففرق ابن زياد بعضها في بني أمية وحمل الباقي معه، وخرج في الليل يتخفى، فعرفه رجل فضربه بسهم فوقع في عمامته وأفلت، فطلبوه فمات وانتهبوا ما وجدوا له فطلب الناس من ثار عليهم، فبايعوا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، فولي أمرهم أربعة أشهر، ثم ولي عبيد الله بن معمر على البصرة.

وفي هذه السنة: وقع الطاعون الجارف بالبصرة.

فماتت أم ابن معمر الأمير، فما وجدوا من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أنفس، وكان وقوع هذا الطاعون أربعة أيام، فمات في اليوم الأول سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني واحد وسبعون ألفاً، وفي اليوم الثالث ثلاثة وسبعون ألفاً، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا قليلاً من الآحاد.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أحمد بن عصام، قال: حدثني معدي عن رجل يكنى أبا النفيد وكان قد أدرك زمن الطاعون، قال: كنا نطوف في القبائل وندفن الموتى، ولما كثروا لم نقو على الدفن، فكنا ندخل الدار قد مات أهلها فنسد بابها، قال: فدخلنا داراً ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً، فسددنا بابها، فلما مضت الطواعين كنا نطوف على القبائل نترع تلك السدد التي سددناها، فانتزعنا سد ذلك الباب الذي دخلناه ففتشنا الدار فلم نجد أحداً حياً، فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين كأنما أخذ ساعته من حجر أمه. قال: ونحن وقوف على الغلام نتعجب منه فدخلت كلبة من شق في الحائط تلوذ بالغلام، والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها، فقال معدي: رأيت هذا الغلام في مسجد البصرة قد قبض على لحيته.

وقيل: كان هذا الطاعون في سنة تسع وستين.

وفي هذه السنة: طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وأمّروا عامر بن مسعود

وكان ابن زياد قد قتل من الخوارج ثلاثة عشر ألفاً وحبس أربعة آلاف، فلما هلك يزيد قام خطيباً فقال: إن الذي كنا نقاتل عن طاعته قد مات، فإن أمرتموني جبيت فيئكم، وقاتلت عدوكم. وبعث بذلك إلى أهل الكوفة مقاتل بن مسمع، وسعيد بن قرحا المازني، فقام عمرو بن حريث، وقال: إن هذين الرجلين قد أتياكم من قبل أميركم يدعوانكم إلى أمر يجمع الله به كلمتكم فاسمعوا لهما، فقام ابن الحارث وهو يزيد، فقال: الحمد لله الذي أراحنا من ابن سمية، فأمر به عمرو إلى السجن فحالت بينه وبينه بكر، وصعد عمرو المنبر فحصبوه، فدخل داره، واجتمع الناس في المسجد وقالوا: نؤمر رجلاً إلى أن يجتمع الناس على خليفة، فأجمعوا على عمرو بن سعد بن أبي وقاص، ثم أجمعوا على عامر بن مسعود، وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير، فأقره، واجتمع لابن الزبير أهل البصرة وأهل الكوفة ومن قبله من العرب وأهل الشام وأهل الجزيرة إلا أهل الأردن.

وفي هذه السنة: بويع لمروان بالخلافة في الشام وسبب ذلك أن ابن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن يخرج بني أمية، فخرجوا وخرج معهم مروان بن الحكم إلى الشام – وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين سنة، فكان من رأي مروان أن يرحل إلى ابن الزبير ويبايعه. فقدم عبيد الله بن زياد، فاجتمعت عنده بنو أمية ، فقال لمروان: استحييت لك مما تريده، أنت كبير قريش وسيدها، تصنع ما تصنع، فقال: والله ما فات شيء بعد، فقام معه بنو أمية ومواليهم، فبايعوه بالجابية لثلاث خلون من ذي القعدة، وتجمع إليه أهل اليمن، فسار وهو يقول: ما فات شيء بعد، فقدم دمشق وقد بايع أهلها الضحاك بن قيس الفهري على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان ابن الضحاك يهوى هوى ابن الزبير، فيعمل في ذلك سراً خوفاً من بني أمية، وثار زفر بن الحارث الكلابي بقنسرين يبايع لابن الزبير، واختلف أهل دمشق فخرج مروان فقتله وقتل أصحابه وقتل النعمان بن بشير الأنصاري – وكان على حمص – وأطبق أهل الشام على مروان، فخرج مروان حتى أتى مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشي يدعو إلى ابن الزبير، فخرج إليه فيمن معه من بني فهر، وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر، وقام على منبرها للناس، وأمر مروان الناس فبايعوه، ثم رجع إلى دمشق حتى إذا دنا منها بلغه أن ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين، فسرح إليه مروان عمرو بن سعيد الأسدي في جيش، فاستقبله قبل أن يدخل الشام، فقاتله فهزم أصحاب مصعب. وقيل لمروان: إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام – يعنون خالد بن يزيد بن معاوية – فتزوج أمه فيكون في حجرك، فتزوجها، ثم جمع بني أمية فبايعوه.

وفي هذه السنة: بايع أهل خراسان سالم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية ، وبعد موت ابنه معاوية، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة.

وفيها كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان وذلك أن سالم بن زياد بعث بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم إلى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم، وأقام سلم والياً على خراسان حتى مات يزيد وابنه معاوية، فلما بلغه ذلك دعا الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم الناس على خليفة، فبايعوه، وكانوا يحبونه حتى أنهم سمّوا في سني ولايته أكثر من عشرين ألف مولود بسلم.

وأقاموا على بيعته شهرين ثم نكثوا. فخرج عن خراسان وخلف عليها المهلب بن أبي صفرة، فلقيه عبد الله بن خازم، فقال له: اكتب لي عهداً على خراسان، فكتب له، فقال: أعني الآن بمائة ألف درهم، ففعل، وأقبل فغلب على مرو، وجرت له حروب

كثيرة.

وفي هذه السنة: تحركت الشيعة بالكوفة واتعدوا للاجتماع بالنخيلة بالمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين عليه السلام وتكاتبوا في ذلك.

ومنذ قتل الحسين عليه السلام كانوا يتلاومون بينهم ويندمون على ترك نصرته، فرأوا أنهم قد جنوا جناية لا يكفرها إلا الطلب بدمه.

فاجتمع من ملأهم جماعة في بيت سليمان بن صرد، وتعاهدوا وجاءوا بأموال يجهزون بها من يعينهم، وكاتبوا شيعتهم وضربوا أجلاً ومكاناً، فجعلوا الأجل غرة شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين، والموطن النخيلة، وابتدأوا في أمورهم في سنة إحدى وستين وهي السنة التي قتل فيها الحسين عليه السلام، وما زالوا في الاستعداد ودعاء الناس في السر حتى مات يزيد، فخرجت حينئذ منهم دعاة يدعون الناس، فاستجاب لهم خلق كثير. وكان عبد الله بن زياد قد حبس المختار بن أبي عبيد لعلمه بميله إلى شيعة علي، فكتب ابن عمر إلى يزيد: أن ابن زياد قد حبس المختار وهو صهري، فإن رأيت أن تكتب إلى ابن زياد يخليه، فكتب إليه يأمره بتخليته فدعاه وقال: قد أجلتك ثلاثاً فإن أدركتك بالكوفة بعدها برئت منك الذمة، فخرج إلى الحجاز، وكان يقول: والله لأقتلن بالحسين عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا، فقدم على ابن الزبير فرحب به، فقال له: ما تنتظر، ابسط يدك نبايعك، ثم مضى إلى الطائف، ثم عاد بعد سنة فبايع ابن الزبير وقاتل معه وأقام عنده حتى هلك يزيد، ثم وثب فركب راحلته نحو الكوفة، فقدمها في النصف من رمضان يوم الجمعة بعد ستة أشهر من هلاك يزيد.

ورأى المختار اجتماع رؤوس الشيعة على سلمان بن صرد، فقال لهم: إني قد جئتكم من قبل المهدي محمد بن الحنفية، فانشعبت إليه طائفة من الشيعة.

وكان المختار يقول لهم: إنما يريد سليمان أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم، فإنه ليس له بصر بالحروب.

وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون الوثوب بالكوفة وأميرها يومئذ عبد الله بن يزيد الأنصاري من قبل ابن الزبير، فبلغه ذلك فقال: وما الذي يريدون؟ قيل: إنهم يطلبون بدم الحسين، قال: وأنا قتلت الحسين، لعن الله قاتل الحسين. ثم خطب فقال: قد بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر يريدون الخروج علينا يطلبون فيما زعموا بدم الحسين، فرحم الله هؤلاء القوم، والله ما قتلته، وقد أصبت بمقتله. فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين، ثم نسير إلى قاتل الحسين وأنا لهم على قاتله ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم قد توجه إليكم، والاستعداد له أولى من أن تجعلوا بأسكم بينكم.

فخرج سليمان بن صرد وأصحابه ينشرون السلاح ظاهرين، ويشترون ويجتهزون لجهادهم بما يصلحهم، وجعل المختار ينتظر ما يصير إليه أمر سليمان بن صرد.

فخرج سليمان نحو الجزيرة، فجاء قوم إلى عبد الله بن يزيد أمير البلدة فحذروه المختار، وأخذوا المختار فحبسوه وقيدوه فجعل يقول: أما ورب البحار، والنخل والأشجار، والمهامه والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطار، ومهند بتار في جموع من الأنصار، ليسوا بميل أغمار، ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأبت شعب صدع المؤمنين، وشفيت غليل صدور المسلمين، وأدركت بثأر النبيين.

وفي هذه السنة: هدم ابن الزبير الكعبة وكانت حيطانها قد مالت مما رميت به من حجارة المنجنيق فهدمها حتى سواها بالأرض، وحفر أساسها وأدخل الحجر فيها، وجعل الركن الأسود عنده في سرقة من حرير في تابوت، وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة في خزانة البيت حتى أعادها لما أعاد بناءه.

وفي هذه السنة: حج بالناس عبد الله بن الزبير، وكان عامله على المدينة أخوه عبيد الله بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وعلى قضائها سعيد بن نمران.

وأبى شريح أن يقضي فيها، وقال: لا أقضي في الفتنة. وكان على اا‌لبصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد الله بن سوار بن همام العبدي وكان شريفاً جواداً، وولاه معاوية السند.

أنبأنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحميدي، قال: حدثنا محمد بن سلامة القضاعي، قال: أخبرنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا ابن دريد، قال: أخبرنا العكلي، عن عبد الله بن أبي خالد، عن الهيثم بن عدي، عن رجاله، قالوا:

وفد على عبد الله بن سوار بن همام العبدي رجل من أهل البصرة وهو عامل معاوية على السند، فانتظر إذنه ثلاثاً ثم دخل عليه فأنكره، فقال: من الرجل؟ قال: من أهل البصرة من بني تميم من بني سعد، قال: وما وراءك؟ قال: حرمة أمت بها، قال: وما هي؟ قال: كنت تمر بمجلس بني سور فتسلم فأرد عليك أتم من سلامك بأجهر من كلامك، وأتبعك بدعائي من بين رجال قومي قال: حرمة والله.

وكان عبد الله بن سوار شريفاً جواداً، فقال: ما حاجتك؟ قال: أملي، قال: وما أملك؟ قال: ما أستغني به عن غيرك إن عشت، وتنمو به عقبي إن مت. فأمر له بثلاثين ألفاً، وكساه وقال: هي لك عندي في كل سنة إن أبقاني لك الدهر.

معاوية بن يزيد بن معاوية، أبو ليلى ويقال أبو عبد الرحمن عبد الله ولي بعد أبيه يزيد وهو ابن تسع عشرة سنة. وقيل: ثلاثة عشر وثمانية عشر يوماً.

وبويع له بالشام فأقام نحو ثلاثة أشهر. وقيل: أربعين ليلة. وتوفي في هذه السنة.

وكان خيراً ذا دين، سألته، أمه أم هانئ بنت أبي هشام بن عتبة بن ربيعة في مرضه أن يستخلف أخاه خالداً بن يزيد فأبى وقال: والله لا أحملها حياً وميتاً، فقالت له: وددت أنك كنت نسياً منسياً و لم تضعف هذا الضعف، قال: وددت أني كنت نسياً منسياً و لم أسمع بذكر جهنم، ثم قال: يا حسان بن مالك، اضبط ما قبلك وصل بالناس إلى أن يرضى المسلمون بإمام يحققون عليه.

وروى أبو جعفر الطبري: أنه خطب الناس فقال: إني نظرت في أمركم فصعقت عنه فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم سنة الشورى مثل سنة عثمان و لم أجدهم، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم، ثم دخل مترله و لم يخرج إلى الناس. فقال بعض الناس: إنه دس إليه فسقي سماً. وقيل: بل طاعن.

المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، أبو عبد الرحمن أمه عاتكة بن عوف، أخت عبد الرحمن بن عوف من المهاجرات المبايعات، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسور ابن ثمان سنين، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وكان يلازم عمر بن الخطاب ويحفظ عنه، وكان من أهل الفضل والدين، و لم يزل مع خاله عبد الرحمن مقبلاً ومدبراً في أمر الشورى، ثم انحاز إلى مكة حين توفي معاوية، وكره بيعة يزيد، فلم يزل هنالك حتى قدم الحصين بن نمير وحضر حصار ابن الزبير.

أنبأنا الحسين البارع، قال: أخبرنا ابن مسلمة، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان، قال: أخبرنا الزبير بن بكار، قال: حدثني إبراهيم بن حمزة، قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببرود من اليمن فقسمها بين المهاجرين والأنصار، وكان فيها برد فائق، فقال: إن أعطيته أحداً منهم غضب أصحابه ورأوا أنه فضلته عليهم، فدلوني على فتى من قريش نشا نشأة حسنة أعطيه إياه، فأسموه المسور بن مخرمة، فدفعه إليه، فنظر إليه سعد بن أبي وقاص على المسور، فقال: ما هذا؟ قال: كسانيه أمير المؤمنين، فجاء سعد إلى عمر فقال: تكسوني هذا البرد وتكسو ابن أخي أفضل منه؟ فقال: يا أبا إسحاق، إني كرهت أن أعطيه أحداً منكم فيغضب أصحابه فأعطيته فتى نشا نشأة حسنة حتى لا يتوهم فيه أني أفضله عليكم، فقال سعد: فإني قد حلفت لأضربن بالبرد الذي أعطيتني رأسك، فخضع له عمر رأسه وقال: عندك يا أبا إسحاق فارفق الشيخ بالشيخ، فضرب رأسه بالبرد.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا عبد الملك بن عمرو، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، عن أم بكر بنت المسور: أن المسور كان لا يشرب من الماء الذي يوضع في المسجد ويكرهه ويرى أنه صدقة، وأنه احتكر طعاماً فرأى سحاباً من سحاب الخريف فكرهه، فلما أصبح أتى السوق فقال: من جاءني وليته، فبلغ ذلك عمر الخطاب، فأتاه بالسوق فقال: أجننت يا مسور؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت سحاباً من سحاب الخريف فكرهته، فكرهت ما ينفع المسلمين، فكرهت أن أربح فيه وأردت ألا أربح فيه، فقال عمر: جزاك الله خيراً.

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن جعفر، عن أم بكر بنت المسور، عن أبيها:

أنه كان يصوم الدهر وأنه أصابه حجر من المنجنيق، ضرب البيت فانفلق منه فلقة فأصابت جدار المسور وهو قائم يصلي، فمرض منها أياماً ثم هلك في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية بمكة، وابن الزبير يومئذ لا يتسمى بالخلافة والأمر شورى، وهو ابن اثنتين وستين سنة.

يزيد بن الأسود الجرشي كان عبداً صالحاً، وكان القطر قد احتبس في زمن معاوية، فصعد المنبر ودعاء فصعد إليه، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، فسقى الناس، ثم جرى له مثل هذا مع الضحاك من قيس.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا سعيد بن أسد، قال: حدثنا ضمرة، عن ابن أبي جميلة، قال: أصاب الناس قحط بدمشق، وعلى الناس الضحاك بن قيس الفهري، فخرج بالناس يستسقي، فقال: أين يزيد بن الأسود الجرشي، فلم يجبه أحد مراراً، فقال: عزمت عليه أن يسمع كلامي إلا قام، فقام فرفع يديه فقال: اللهم يا رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم، فانصرف الناس وهم يخوضون الماء، فقال: اللهم إنه قد شهرني فأرحني منه، فما أتت عليه جمعة حتى قتل الضحاك.

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان توفي لأربع عشر خلت من ربيع الأول من هذه السنة بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين، وهو ابن

خمس وثلاثين سنة. وقيل: تسع وثلاثين.
وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر وقال الواقدي: وثمانية أشهر إلا ثمان ليال.

ثم دخلت سنة خمس وستين

فمن الحوادث فيها: شخوص التوابين إلى ابن زياد للطلب بدم الحسين عليه السلام وذلك أن سليمان بن صرد بعث إلى رؤوس أصحابه من الشيعة، فأتوه، فلما استهلوا هلال ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه إلى النخيلة فلم يعجبه عدد الناس، فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل، وبعث الوليد بن غصين الكناني في خيل، فقال: اذهبا حتى تدخلا الكوفة، فناديا: يا لثارات الحسين، فخرج منها خلق كثير، فنظر لما أصبح في ديوانه، فوجد الذين بايعوه على الخروج ستة عشر ألفاً لم يجتمع منهم إلا أربعة آلاف، فقال: أما يذكرون ما أعطونا من العهود، فقيل له: إن المختار يثبط الناس عنك، فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث إلى المتخلفين فيذكرهم الله عز وجل، فخرج نحو من ألف رجل، فقال له المسيب ابن نجية الفزاري: إنك لا ينفعك إلا من أخرجته النية فاكمش في أمرك. فقام فقال: والله ما نأتي غنيمة نغنمها، ولا فيئاً نستفيئه، وما معنا من ذهب ولا فضة، وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا، ورماحنا في أكفنا وزاد بمقدار البلغة إلى لقاء عدونا، فمن يرى غير هذا فلا يصحبنا.
فلما عزم على المسير، قال بعض أصحابه: إن قتلة الحسين بالكوفة عمر بن سعد ورؤوس القبائل، فأنى نذهب.
وقال آخرون: بل نقصد ابن زياد فهو الذي عبى الجنود إليه فإن ظهرنا عليه كان من بعده أهون شوكة، وكان عمر بن سعد في تلك الأيام لا يبيت إلا في قصر الإمارة مخافة على نفسه، وجاء عبيد الله بن يزيد والي الكوفة إلى سليمان فقال: قم حتى نبعث معك جيشاً كثيفاً، فلم يقم وأدلج عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين، ولم يزل يسير إلى أن أتى قبر الحسين عليه السلام، فأقام عنده يوماً وليلة، فجعل أصحابه يبكون ويتمنون لو أصيبوا معه، وجعلوا يستغيثون: يا رب إنا خذلنا ابن بنت نبيك فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا.
ووصل كتاب عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صرد، وفيه: هذا كتاب ناصح محب، بلغني أنكم تسيرون بالعدد القليل إلى الجمع الكثير، وإنه من يرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكل معاوله، وينزع وهو مذموم العقل والفعل، ومتى أصابكم عدوكم طمع في من وراءكم: "إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً". يا قوم، إن أيدينا وأيديكم واحدة، ومتى اجتمعت كلمتنا نظهر على عدونا.

فلما قرأ الكتاب على أصحابه، قال: ما ترون؟ قالوا: إنا قد أبينا هذا عليهم ونحن في مصرنا، فالآن حين دنونا من أرض العدو، ما هذا برأي. فساروا مجدين إلى أن وصلوا عين وردة، فأقاموا بها خمساً، فأقبل أهل الشام في عساكرهم، فقدم المسيب بن نجية فلقي أوائل القوم فأصابهم بالجراح فانهزموا فأخذوا منهم ما خف، فبلغ الخبر ابن زياد، فبعث الحصين بن نمير مسرعاً في اثني عشر ألفاً، فاقتتلوا فكان الظفر لسليمان إلى أن حجز بينهم الليل فأمدهم ابن زياد بذي الكلاع في ثمانية آلاف فكثروهم، فنزل سليمان ونادى: عباد الله، من أراد البكور إلى ربه، والتوبة من ذنبه، والوفاء بعهده، فإلي؛ ثم كسر جفن سيفه، ونزل ناس كثير، فقاتلوا فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة. فاكتنفهم القوم ورموهم بالنبل، فقتل سليمان ثم المسيب وقتل الخلق.

فلما جن الليل ذهب فل القوم تحت الليل، فأصبح الحصين فوجدهم قد ذهبوا، فلم يبعث في آثارهم أحداً، وكان قد خرج جماعة من أهل البصرة وجماعة من أهل المدائن وأهل الكوفة، فبلغهم الخبر فرجعوا إلى بلادهم، فقال المختار لأصحابه: عدوا لغازيكم هذا أكثر من عشر، ودون الشهر، ثم يجيئكم بضرب هبر، وطعن نتر، وأن سليمان قد قضى ما عليه، وليس بصاحبكم الذي به تنصرون، أنا قاتل الجبارين والمنتقم من الأعداء.

وفي هذه السنة: أمر مروان بن الحكم أهل الشام بعقد البيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما وليي عهده، وكان مروان قد بعث عمرو بن سعيد بن العاص إلى مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله بن الزبير إلى فلسطين، فهزم ابن الزبير ورجع إلى مروان في دمشق، وبلغ مروان أن عمراً يقول: هذا الأمر لي من بعد مروان، فبايع مروان لابنيه.

وفي هذه السنة: بعث مروان بعثين أحدهما إلى المدينة عليهم حبيش بن دلجة، والآخر إلى العراق وعليهم عبيد الله بن زياد، فأما ابن زياد فإنه سار حتى نزل الجزيرة، فأتاه بها موت مروان. وخرج إليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين، فجرى لهم ما سبق ذكره، وسنذكر باقي خبره إن شاء الله.

وأما حبيش فانتهى إلى المدينة وعليها جابربن الأسود بن عوف بن عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير، فهرب جابر، فبعث الحارث بن أبي ربيعة جيشاً من البصرة، وكان ابن الزبير قد ولاه عليها، فأنفذهم لمحاربة حبيش، فسار إليهم حبيش، وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد على المدينة، وأمره أن يطلب حبيشاً، فلحقهم بالربذة، فجاء سهم غرب فقتل حبيشاً، وتحرز منهم خمسمائة في المدينة، فقال لهم عباس: انزلوا على حكمي، فنزلوا، فضرب أعناقهم، ورجع فل حبيش إلى الشام.

وفي هذه السنة: مات مروان وقام مكانه ابنه عبد الملك.

باب ذكر خلافة عبد الملك بن مروان

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ويكنى أبا الوليد، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص.

ولد في سنة ست وعشرين هو ويزيد بن معاوية.

وقيل ولد في سنة أربع وعشرين، وحمل به ستة أشهر فقط، وكان أبيض.

وقيل: كان آدم طوالاً كثير الشعر كبير اللحية والعينين، مشرق الأنف، دقيق الوجه مضبب الأسنان بالذهب، كان رفقيهاً راوياً ناسكاً، يدعى حمامة المسجد، شاعراً.

وقيل لابن عمر: من نسأل بعدكم، فقال: إن لمروان ابناً فقيهاً فسلوه.

وقال نافع: أدركت المدينة وما بها شاب أنسك، ولا أشد تشميراً، ولا أكثر صلاة، ولا أطلب للعلم من عبد الملك بن مروان.

قال مؤلف الكتاب: استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة، واول من سمي بعبد الملك عبد الملك بن مروان، وأول من سمي في الإسلام أحمد أبو الخليل بن أحمد العروضي. وعبد الملك أول من أمر أن يقال على المنابر: اللهم أصلح عبدك وخليفتك، فلما بويع له تغيرت أموره في باب الدين.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا العتيقي، قال: أخبرنا عثمان بن محمد بن القاسم الأدمي، قال:

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا عبد الأول بن مريد، عن ابن عائشة، قال: أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره يقرأ فأطبقه، وقال: هذا آخر العهد بك.
قال مؤلف الكتاب: وقد رواها ثعلب، عن ابن الزعفراني، قال: لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف، فأطبقه، وقال: هذا فراق بيني وبينك.

أخبرنا القزاز بإسناد له عن الوليد بن مسلم، عن عبد الخالق بن زيد بن واقد، عن أبيه، قال: حدثني عبد الملك بن مروان، قال: كنت أجالس بريرة فقالت: إن فيك خصالاً خليق أن تلي الأمر فإن وليته فاتق الدماء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم امرئ مسلم يريقه".
وفي هذه السنة: اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة وفيها قتل نافع بن الأزرق وذلك أن عبيد الله بن عبد الله بن معمر بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق في جيش فلقيهم بموضع في الأهواز يقال له: دولاب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل نافع بن الأزرق، ثم أمرت الخوارج غيره، وجاءهم المدد وقوي القتال وقتل خلق من المؤمنين، وقدم المهلب بن أبي صفرة على تلك الحال معه عهده على خراسان من قبل ابن الزبير، فسأله المؤمنون أن يلي الحرب، فأبى، فكتبوا على لسان ابن الزبير إلى المهلب أن يلي قتال الخوارج، فقال: إني لا أسير إليهم إلى أن تجعلوا لي ما غلبت عليه وتعطوني من بيت المال ما أقوى به، وأنتخب من فرسان الناس ووجوههم من أحببت، فقال أهل البصرة: لك ذلك.
وجاءت الخوارج، فخرج إليهم فدفعهم عن البصرة، وما زال يدفعهم ويتبعهم، ثم التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى انهزم الناس إلى البصرة، فنادى المهلب: إلي عباد الله، ثم هجم على القوم، فأخذ عسكرهم وما فيه، وقتل الأزارقة قتلاً عنيفاً، وخرج فلهم إلى كرمان وأصبهان، وأقام المهلب بالأهواز، وكتب إلى ابن الزبير بما ضمن له، فأجاز ذلك.
وقيل إن وقعة الأزارقة كانت سنة ست وستين.
وفي هذه السنة: عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة وولاها عبد الله بن مطيع، ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير وولاها أخاه مصعب بن الزبير.
وكان سبب عزله أخاه عبيدة بن الزبير أنه خطب فقال: قد رأيتم ما صنع بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم، فسمي مقوّم الناقة، وبلغ ذلك ابن الزبير، فقال: هذا لهو التكلف.
وفي هذه السنة: بنى ابن الزبير الكعبة وأدخل الحجر فيها، وقد ذكرنا أنه نقضها في السنة التي قبل هذه السنة، فيمكن أن تكون الرواية مختلفة، ويمكن أن يكون النقض في سنة والبناء في السنة الأخرى.
وفي هذه السنة: حج بالناس عبد الله بن الزبير، وكان على المدينة مصعب بن الزبير، وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن مطيع، وعلى البصرة عبد الله بن الحارث بن أبي ربيعة، وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جميل بن معمر وقيل ابن عبد الله، بن معمر بن الحارث بن ظبيان رأى بثينة وهو صغير فهويها، وهما من بني عذرة وتكنى بثينة: أم عبد الملك، فلما كبر خطبها فرد عنها فقال فيها الشعر، وكان يزورها وتزوره، ومترلهما وادي القرى، فجمع أهلها له جمعاً ليأخذوه، فأخبرته بثينة فاختفى وهجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ على المدينة من قبل معاوية، فنذر ليقطعن لسانه، فلحق بجذام فأقام هناك إلى أن عزل مروان.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد الكاتبة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: كنت ماراً بين تيماء ووادي القرى مبادراً من مكة فرأيت صخرة عظيمة ملساء فيها تربيع بقدر ما يجلس عليها النفر كالدكة، فقال بعض من كان معنا من العرب، وأظنه جهنياً: هذا مجلس جميل وبثينة فاعرفه.

ومن أشعاره المستحسنة فيها قوله:

حلت بثينة من قلبي بمنزلة ... بين الجوانح لم ينزل به أحد

صادت فؤادي بعينيها ومبسمها ... كأنه حين تبديه لنا برد

وعاذلين لحوني في محبتها ... يا ليتهم وجدوا مثل الذي أجد

لما أطالوا عتابي فيك قلت لهم ... لا تفرطوا بعض هذا اللوم واقتصدوا

قد مات قبلي أخو نهد وصاحبه ... من قيس ثم اشتفى من عروة الكمد

وكلهم كان في عشق منيته ... وقد وجدت بها فوق الذي وجدوا

إني لأحسبه أو كدت أعلمه ... أن سوف يوردني الحوض الذي وردوا

إن لم ينلني بمعروف يجود به ... أو يدفع الله عني الواحد الصمد

وقال أيضاً:

لحى الله من لا ينفع الود عنده ... ومن حبله إن مد غير متين

ومن هو إن تحدث له العين نظرة ... يقطّع لها أسباب كل قرين

ومن هو ذو لونين ليس بدائم ... على خلق خوان كل يمين

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي ... وهموا بقتلي يا بثين لقوني

إذا ما رأوني طالعاً من ثنية ... يقولون من هذا وقد عرفوني

يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحباً ... ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

وكيف ولا توفي دماؤهم دمي ... ولا مالهم مالي إذا فقدوني

وقال أيضاً:

فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها ... ويا ويح أهلي ما أصيب به أهلي

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا محمد بن علي العلاف، قال: حدثنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا المثنى بن سعد الجعفي، قال: بلغني أن كثير عزة لقي جميلاً، فقال له: متى عهدك ببثينة؟ قال: ما لي بها عهد منذ عام أول وهي تغسل ثوباً بوادي الدوم، فقال كثير: أتحب أن أعدها لك الليلة؟ قال: نعم، فأقبل راجعاً إلى بثينة، فقال له أبوها: يا فلان ما ردك؟ أما كنت عندنا قبيل؟ قال: بلى، ولكن حضرت أبياتاً قلتها في عزة، قال: وما هي؟ فقال:

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي على باب داري والرسول موكل

أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة: اخسأ، فقال أبوها: ما هاجك، قالت: كلب لا يزال يأتينا من وراء هذا الجبل بالليل وأنصاف النهار.

قال: فرجع إليه فقال: قد وعدتك وراء هذا الجبل بالليل وأنصاف النهار، فالقها إذا شئت.

وحكى أبو محمد بن قتيبة عن بعض الناس أنه قال: خرجت من تيماء فرأيت عجوزاً على أتان، فقلت: ممن أنت؟ فقالت: من عذرة، قلت: هل تروين عن بثينة والجميل شيئاً؟ فقالت: والله إني لعلى ماء من الجناب وقد اعتزلنا الطريق وقد خرج رجالنا في سفر وخلفوا عندنا غلماناً أحداثاً، وقد انحدر الغلمان عشية إلى صرم قريب منا يتحدثون إلى جوار منهم، وقد بقيت أنا وبثينة نستبرم غزلاً لنا إذ انحدر علينا منحدر من هضبة حذاءنا، فسلم ونحن مستوحشون، فرددت السلام ونظرت فإذا رجل واقف شبهته بجميل، ودنا فأتيته فقلت: جميل، قال: أي والله، قلت: عرضتنا ونفسك للشر، فما جاء بك؟ قال: هذه الغول التي من ورائك، وأشار إلى بثينة، فإذا هو لا يتماسك، فقمت إلى قعب فيه أقط مطحون وتمر، وإلى عكة فيها سمن فعصرته على الأقط وأدنيته منه، فقلت: أصب من هذا، ففعل وقمت إلى سقاء فيه لبن، فصببت له في قدح، وشننت عليه من الماء فشرب وتراجع، فقلت: لقد جهدت فيما أمرك؟ قال: أردت مصر فجئت لأودعكم وأحدث بكم عهداً، وأنا والله في هذه الهضبة التي ترينها منذ ثلاث أنتظر أن أجد فرصة حتى رأيت منحدر فتيانكم العشية، فجئت لأجدد بكم العهد فحدثنا ساعة ثم ودعناه وانطلق. فما لبثنا إلا يسيراً حتى أتانا نعيه من مصر.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي بإسناد له عن أبي بكر بن الأنباري، قال: حدثنا محمد بن المرزبان، قال: حدثنا أبو بكر العامري، قال: حدثنا علي بن محمد وهو المدائني، قال: حدثني أبو عبد الرحمن العجلاني، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، قال:

كنت بالشام فقال لي قائل: هل لك في جميل فإنه لما به، فدخلت عليه وهو يجود بنفسه وما يخيل لي أن الموت يكتربه، فقال لي: يا ابن سعد، ما تقول في رجل لم يسفك دماً حراماً قط، ولم يشرب خمراً قط، ولم يزن قط يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منذ خمسين سنة، قلت: من هذا؟ ما أحسبه إلا ناجياً، قال الله تعالى: "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم مدخلاً كريماً" فلعلك تعني نفسك، قال: نعم، قلت: كيف وأنت تشبب ببثينة منذ عشرين سنة، قال: هذا آخر وقت من

أوقات الدنيا، وأول وقت من أوقات الآخرة، فلا نالتني شفاعة محمد إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قط، وإن كان أكثر ما نلت منها إى أني كنت آخذ يدها فأضعها على قلبي فأستريح إليها. ثم أغمي عليه وأفاق فأنشأ يقول:

صرخ النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول

ولقد أجر الذيل في وادي القرى نشوان بين مزارع ونخيل

قومي بثينة فاندبي بعويل وأبكي خليلك قبل كل خليل

ثم أغمي عليه فمات.

أخبرنا ابن الحصين بإسناد له عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: لما حضرت الوفاة جميلاً بمصر قال: من يعلم بثينة؟ فقال رجل: أنا، فلما مات صار إلى حي بثينة فقال:

بكر النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول

بكر النعي بفارس ذي همة بطل إذا حمل اللواء نديل

فخرجت بثينة مكشوفة الرأس، فقالت:

وإن سؤالي عن جميل لساعة من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها

سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون الخزاعي، يكنى أبا المطرف وكانت له صحبة وسن عالية وشرف في قومه، وحضر صفين مع علي عليه السلام.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا عبيد الله بن عمر الواعظ، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن جرير، عن رجاله، قال: سليمان بن صرد أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان اسمه يساراً، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان، ونزل الكوفة حين نزلها المسلمون، وشهد مع علي رضي الله عنه صفين، وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما قدوم الكوفة، فلما قدمها ترك القتال معه، فلما قتل الحسين ندم هو والمسيب بن نجية الفزاري وجميع من خذله فلم يقاتل معه، ثم قالوا: ما لنا توبة مما فعلنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه، فعسكروا بالنخيلة وولوا أمرهم سليمان بن صرد، وخرجوا إلى الشام في الطلب بدم الحسين رضي الله عنه، فسموا التوابين، وكانوا أربعة آلاف، فقتل سليمان بن صرد في هذه الوقعة، رماه يزيد بن حصين بن نمير بسهم فقتله وحمل رأسه ورأس ابن نجية إلى مروان بن الحكم، وكان سليمان يوم قتل ابن ثلاث وتسعين سنة.

عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه، وكان متعبداً، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟" قال: بلى، فقال له: "صم وأفطر وصل ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لربك عليك حقاً، وإن لزرجك عليك حقاً".

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا أبو بكر بن محمد بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، عن صفوان بن سليم، عن

عبد الله بن عمرو، قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب ما سمعت منه فأذن لي فكتبته. فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة.

وعن هارون بن رئاب، قال: لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة، قال: إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبيه بالوعد، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق، اشهدوا أني قد زوجتها إياه.

توفي عبد الله بالشام في هذه السنة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني سنين، فلم يزل مع أبيه بالمدينة حتى مات في خلافة عثمان بن عفان، ولم يزل مع ابن عمه عثمان، وكان كاتباً له فأعطاه أموالاً كثيرة يتأول صلة قرابته، فنقم الناس ذلك على عثمان، وكانوا يرون أن كثيراً مما ينسب إلى عثمان لم يأمر به، وإنما هو رأي مروان، فلما حصر عثمان قاتل قتالاً شديداً، فلما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان سار معهم فقاتل قتالاً شديداً، فلما نظر إلى طلحة، قال: والله إن كان دم عثمان إلا عند هذا. فرماه بسهم فقتله وتوارى إلى أن أخذ له الأمان من علي، فأتاه فبايعه ثم انصرف إلى المدينة، فلم يزل بها حتى ولي معاوية فولاه المدينة سنة اثنتين وأربعين، فلما وثب أهل المدينة أيام الحرة أخرجوا بني أمية من المدينة وأخرجوه، فجعل يحرض مسلم بن عقبة عليهم، ورجع معه حتى ظفر بأهل المدينة، فانتهبها ثلاثاً، وقدم على يزيد فشكر له ذلك، فلما مات يزيد ولي ابنه معاوية أياماً ثم مات، ودعي لابن الزبير فخرج مروان يريد ابن الزبير ليبايعه، فلقيه عبد الله بن زياد فرده وقال: ادع إلى نفسك وأنا أكفيك قريشاً، فبايع لنفسه بالجابية في نصف ذي القعدة سنة أربع وستين، وبعث عماله.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو القاسم بن البربي، عن أبي عبد الله بن بطة، قال: سمعت محمد بن علي بن شقيق، يقول: حدثنا أبو صالح النحوي سلمويه، قال: أخبرني عبد الله يعني ابن المبارك قال: أخبرني يونس، عن الزهري قال: اجتمع مروان وابن الزبير عند عائشة، فذكر مروان بيت لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه ... يجوز رماداً بعد إذ هو ساطع

فقال ابن الزبير: لو شئت لقلت ما هو أفضل من هذا:

ففوض إلى الله الأمور إذا اعترت ... وبالله لا بالأقربين لدافع

فقال مروان:

وداو ضمير القلب بالبر والتقى ... ولا يستوي قلبان قاس وخاشع

فقال ابن الزبير:

ولا يستوي عبدان عبد مكلم ... عتل لأرحام الأقارب قاطع

فقال مروان:

وعبد تجافى جنبه عن فراشه ... يبيت يناجي ربه وهو راكع

فقال ابن الزبير:

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا حجبتهم في الخطوب الجوامع

فقال مروان:

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

فسكت ابن الزبير، فقالت عائشة: ما لك فما سمعت بمحاورة قط أحسن من هذه، ولكن لمروان إرث في الشعر ليس لك، فقال ابن الزبير لمروان: عرضت، قال: بل أنت أشد تعريضاً، طلبت يدك فأعطيتني رجلك.

وكان قد تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية، وكان مروان يطعمه في بعض الأمر، ثم بدا له فعقد لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، فأراد أن يضع من خالد ويزهد الناس فيه، وكان إذا دخل عليه أجلسه معه على سريره، فدخل عليه يوماً، فذهب ليجلس مجلسه، فزبره وقال: تنح يا ابن رطبة الاست، والله ما وجدت لك عقلاً. فانصرف خالد وقتئذ مغضباً حتى دخل على أمه، فقال: قد فضحتني وقصرت بي، ونكست برأسي. قالت: وما ذاك؟ قال: تزوجت هذا الرجل فصنع كذا وكذا وأخبرها بما قال له، لا يسمع هذا منك أحد، ولا يعلم مروان أنك أعلمتني بشيء من ذلك، وادخل علي كما كنت تدخل، واطو هذا الأمر فإني سأكفيك وأنتصر لك منه، فسكت خالد ودخل مروان على أم خالد فقال: ما قال لك خالد ما قلت له اليوم؟ فقالت: ما حدثني بشيء ولا قال لي فقال: ألم يشكني إليك، ويذكر تقصيري به. فقالت: يا أمير المؤمنين، أنت أجل في عين خالد وهو أشد لك تعظيماً من أن يحكي عنك شيئاً أو يجد من شيء تقوله، وإنما أنت له بمنزلة الوالد. فانكسر مروان وظن أن الأمر على ما حكت، فسكت حتى إذا كان بعد ذلك، وحانت القائلة فنام عندها، فوثبت هي وجواريها فغلقن الأبواب على مروان، ثم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه، فلم تزل هي وجواريها يغممنه حتى مات.

ثم قامت فشقت جيبها وأمرت جواريها وخدمها فشققن وصحن وقلن: مات أمير المؤمنين فجأة. وذلك لهلال رمضان سنة خمس وستين، ومروان ابن أربع وستين، وكانت ولايته على الشام ومصر لم يعد ذلك ثمانية أشهر. وقيل: ستة أشهر.

وقد قال له علي بن أبي طالب: ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب أنفه.

ثم دخلت

سنة ست وستين

فمن الحوادث فيها: وثوب المختار بن أبي عبيد طالباً بدم الحسين رضي الله عنه وذلك أن أصحاب سليمان بن صرد لما قتلوا بعد قتل من قتل منهم كتب إليهم المختار وهو في السجن: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن الله عز وجل أعظم لكم الأجر، وحط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين، وجهاد المحلين، وإنكم لم تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبة، ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله عز وجل لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، فابشروا، فإني لو خرجت إليكم جردت فيما بين المشرق والمغرب من عدوكم السيف بإذن الله عز وجل.

فبعثوا إليه في الجواب: إنا قد قرأنا كتابك ونحن بحيث يسرك، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا، فقال لهم: إني أخرج في أيامي هذه. وشفع فيه عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد الأميرين على الكوفة، فضمنوه جماعة من الأكابر وأخرجوه

ثم أحلفاه بالله الذي لا إله إلا هو، لا يبغيهما غائلة، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة، ومماليكه كلهم أحرار، فحلف لهما.

ثم جاء إلى داره فنزلها، فقال: قاتلهم الله، ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم، أما حلفي بالله عز وجل فإنه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها أن أكفره، وخروجي عليهم خير من كفي عنهم. وأما ألف بدنة فما قدر ثمنها، وأما عتق مماليكي فوددت إن استتب لي أمري، ثم لم أملك مملوكاً أبداً.

ولما استقر في داره اختلفت الشيعة إليه ورضيت به، فلم يزل أمره يقوى إلى أن عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد، وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة، وبعث الحارث بن أبي ربيعة على البصرة، فقدم ابن مطيع الكوفة لخمس بقين من رمضان سنة خمس وستين، فقيل له: خذ المختار واحبسه، فبعث إليه فتهيأ للذهاب، فقرأ زائدة بن قدامة: "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك...." ففهمها المختار، فجلس وألقى ثيابه، وقال: ألقوا علي القطيفة، ما أراني إلا قد وعكت، ثم قال: أعلموا ابن مطيع حالتي واعتذروا عنده، فأخبر بعلته، فصدقه ولهى عنه، وبعث المختار إلى أصحابه، وأخذ يجمعهم في الدور حوله، وأراد أن يثب بالكوفة في المحرم، فقال بعض أصحابه لبعض: إن المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية، فإن رخص لنا في أتباعه تبعناه، فذهبوا إليه فأخرجوه فقال: والله لوددت أن الله انتصر لنا بمن شاء، فلما قدموا قالوا: أذن لنا، ففرح المختار، وكان قد انزعج من خروجهم وخاف أن لا يأذن لهم، وقد كان إبراهيم بن الأشتر بعيد الصوت كثير العشيرة، فأرادوه أن يخرج مع المختار، فقال: بل أكون أنا الأمير، قالوا: إن محمد بن الحنفية قد أمر المختار بالخروج، فسكت، فصنع المختار كتاباً عن ابن الحنفية إليه يأمره بالموافقة للمختار، وأقام من يشهد أنه كتاب ابن الحنفية، فبايعه وتردد إليه، فاجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين.

فأتى إياس بن مضارب عبد الله بن مطيع، فقال: إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين، فأخرج الشرط، وأقامهم على الطريق في الجبابين خارج البلد، فخرج إبراهيم بن الأشتر، وقال: والله لأمرن على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق، ولأرهبن عدونا، ولأرينهم هوانهم علينا، فمر فلقيه إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح، فقال له ولأصحابه: من أنتم؟ فقال: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال: ما هذا الجمع معك؟ إن أمرك لمريب وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير، فتناول إبراهيم رمحاً من بعض أصحاب إياس فطعن به إياساً فقتله، وقال لرجل من قومه: انزل فاحتز رأسه، ففعل، فتفرق أصحابه ودخل إبراهيم على المختار، وكانت ليلة الأربعاء، فقال له: إنا اتعدنا للخروج ليلة الخميس، وقد حدث أمر لا بد له من الخروج الليلة، فقال: وما هو؟ فقال: عرض لي إياس بن مضارب فقتلته، فقال المختار: بشرك الله بخير، هذا أول الفتح، قم يا سعيد بن منقذ، فأسعل في الهرادي النيران ثم ارفعها للمسلمين، وقم يا عبد الله بن شداد، فناد: يا منصور أمت، وقم أنت يا سفيان بن ليل، وأنت يا قدامة بن مالك وقل: يا لثارات الحسين. ثم قال المختار: علي بدرعي وسلاحي، فأتي به، فأخذ يلبس سلاحه ويقول:

قد علمت بيضاء حسناء الطلل ... واضحة الخدين عجزاء الكفل

أني غداة الروع مقدام بطل ثم إن إبراهيم قال للمختار: إن هؤلاء الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا، ويضيقون عليهم، فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي، فيأتيني كل من قد بايعني، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة، ودعوت بشعارنا، فخرج إلي من أراد الخروج، قال: فاعجل، ولا تقاتل إلا من قاتلك.

فخرج إبراهيم، واجتمع إليه جل من كان بايعه، فسار بهم في سكك الكوفة، وخرج فهزم كل من لقيه من المسالح، وخرج المختار حتى نزل في ظهر دير هند. وخرج أبو عثمان النهدي ونادى: يا لثارات الحسين، ألا إن أمير آل محمد قد خرج فترل دير هند، وبعثني إليكم داعياً، فاخرجوا رحمكم الله، فخرجوا من الدور يتداعون: يا لثارات الحسين. فوافى المختار منهم ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه، واجتمعوا له قبل انفجار الصبح. وجمع ابن مطيع الناس في المسجد وبعث شبث بن ربعي إلى المختار في نحو من ثلاثة آلاف، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط، وخرج إبراهيم بن الأشتر في جماعة كثيرة واقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل راشد وانهزم أصحابه، وجاء البشير بذلك إلى المختار، فقويت نفوس أصحابه، وداخل أصحاب ابن مطيع الفشل. ودنا إبراهيم من شبث وأصحابه، فحمل عليهم فانكشفوا حتى انتهوا إلى أبيات الكوفة، ورجع الناس من السبخة منهزمين إلى ابن مطيع، وجاءه قتل راشد بن إياس، فأسقط في يده.

وخرج فحض الناس على القتال، وقال: امنعوا حريمكم وقاتلوا عن مصركم، فقال إبراهيم للمختار: سر بنا، فما دون القصر أحد يمنع، ولا يمتنع كبير امتناع، فقال المختار: ليقم ها هنا كل شيخ وكل ذي علة، وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع. واستخلف عليهم أبا عثمان النهدي، وقدم إبراهيم أمامه.

وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفين، فبعث المختار إلى إبراهيم أن أطوه ولا تقم، وأمر يزيد بن أنس أن يصمد لعمرو. ومضى المختار في أثر إبراهيم، وأقبل شمر بن ذي الجوشن في ألفين، فبعث إليه المختار سعيد بن منقذ، فواقعه، وبعث إلى إبراهيم أن أطوه وامض على وجهك، فمضى حتى انتهى إلى سكة شبث، وإذا نوفل بن مساحق في نحو من خمسة آلاف، وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس أن يلحقوا بابن مساحق.

وولى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر، ويزيد بن أنس، ويحمر بن شميط.

وخرج ابن مطيع فاستتر في داره،وخلى القصر، وفتح أصحابه الباب، وقالوا: يا ابن الأشتر، نحن آمنون؟ قال: نعم، فبايعوا المختار.

ودخل المختار القصر، فبات به، وخرج من الغد فصعد المنبر، فقال: الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، ثم نزل فبايعه الناس، فجعل يقول تبايعون على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلين، وأخذ المختار في السيرة الجميلة، فقيل له، إن ابن مطيع في الدار الفلانية، فسكت، فلما أمسى بعث إليه بمائة ألف درهم، وقال له: تجهز بهذه واخرج فإني قد شعرت بمكانك، وكان صديقه قبل ذلك.

وأصاب المختار في بيت مال الكوفة سبعة آلاف ألف، فأعطى أصحابه الذين حصروا ابن مطيع في القصر – وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل – كل رجل خمسمائة درهم، وأعطى ستة آلاف من أصحابه مائتين مائتين، وأدنى الأشراف، فكانوا جلساءه.

وأول رجل عقد له المختار راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر، عقد له على أرمينية. وبعث محمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان، وبعث عبد الرحمن بن سعيد على الموصل. فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد من قبل المختار أميراً تنحى له عن

الموصل، ثم شخص إلى المختار فبايع له.

وكان المختار يقضي بين الناس، ثم قال: لي فيما أحاول شغل عن القضاء، فأجلس للناس شريحاً، فقضى بين الناس، ثم تمارض شريح، فأقام المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود.

وفي هذه السنة: وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله فقتل من قدر عليه، وهرب منه بعضهم. وكان سبب ذلك أن مروان لما استوثق له أمره بعث عبيد الله بن زياد إلى العراق، وجعل له ما غلب عليه، وأمره أن ينهب الكوفة إذا ظفر بأهلها ثلاثاً.

فمر بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبقتال أهلها عن العراق نحواً من سنة، ثم أقبل إلى الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار على الموصل إلى المختار: أما بعد، فإني أخبرك أيها الأمير أن عبيد الله بن زياد قد دخل إلى أرض الموصل، وقد وجه خيله قبلي ورجاله، وأني انحزت إلى تكريت حتى يأتيني أمرك.

فكتب إليه المختار: أصبت فلا تبرح من مكانك حتى يأتيك أمري، ثم قال ليزيد بن أنس: اذهب إلى الموصل فإني ممدك بالرجال. فقال: سرح معي ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم، فإن احتجت إلى الرجال فسأكتب إليك. قال المختار: فانتخب من أحببت. فانتخب ثلاثة آلاف فارس.

ثم فصل من الكوفة، فخرج معه المختار يشيعه، وقال له: إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها، وليكن خبرك في كل يوم عندي، وإن احتجت إلى مدد فاكتب إلي، مع أني ممدك ولو لم تستمد. فقال يزيد: وأيم الله لئن لقيتهم ففاتني النصر لا تفوتني الشهادة. فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد: أما بعد، فخل بين يزيد وبين البلاد، والسلام عليكم.

فسار حتى أتى أرض الموصل، فسأل عبيد الله بن زياد عن عدة أصحاب يزيد، فقيل: خرج مع ثلاثة آلاف، فقال: أنا أبعث إلى كل ألف ألفين.

فمرض يزيد فقال: إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي، فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العذري، فإن هلك فأميركم سعر بن أبي سعر الحنفي. ثم قال: قدموني وقاتلوا وقاتلوا عني. فأخرجوه في يوم عرفة سنة ست وستين، فجعل يقول: اصنعوا كذا، افعلوا كذا، ثم يغلبه الوجع فيوضع. فاقتتل القوم قبل شروق الشمس، فهزم أصحاب عبيد الله وقتل قائدهم. ثم اقتتلوا يوم الأضحى، فهزم أصحاب عبيد الله، وقتلوا قتلاً ذريعاً. وأتى يزيد بن أنس بثلاثمائة أسير، فأمر بقتلهم، فقتلوا، فما أمسى يزيد حتى مات، فانكسر أصحابه بموته.

فقال ورقاء: يا قوم، إنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام، ولا طاقة لنا به، فماذا ترون؟ فإني أرى أن نرجع، قالوا: افعل، فرجع ورجعوا. فبلغ الخبر إلى المختار، فبعث إبراهيم بن الأشتر على تسعة آلاف، ثم قال: اذهب فارددهم معك، ثم سر حتى تلقى عدوك فتناجزهم.

ثم إن أهل الكوفة تغيروا على المختار، وقالوا: أتأمر علينا بغير رضاً منا، وزعم أن ابن الحنفية أمره بذلك و لم يفعل، فاجتمع رأيهم على قتاله، وصبروا حتى بلغ ابن الأشتر ساباط، ثم وثبوا على المختار، فمنعوا أن يصل إليه شيء وعسكروا، فبعث المختار إلى إبراهيم بن الأشتر: لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلي. ثم بعث المختار إليهم: أخبروني ماذا تريدون؟ قالوا: نريد

أن تعتزلنا، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك و لم يبعثك، فقال المختار: ابعثوا إليه من قبلكم وفداً، وأبعث من قبلي وفداً حتى تنظروا؛ إنما أراد أن يشغلهم بالحديث حتى يقدم ابن الأشتر، فأسرع إبراهيم حتى قدم صبيحة ثلاثة من مخرجهم على المختار. ثم خرج إليهم المختار فاقتتلوا كأشد قتال، ونصر عليهم المختار، وهربوا، وأدرك منهم قوم فقتلوا منهم شمر بن ذي الجوشن، وأسر سراقة بن مرداس، فقال ما أسرتموني، وإنما أسرني قوم على دواب بلق، وجاء سراقة يحلف بالله الذي لا إله إلا هو، لقد رأيت الملائكة تقاتل على خيول بلق من السماء والأرض، فقال له المختار: فاصعد المنبر وأعلم المسلمين، ففعل، فلما نزل خلا به المختار، فقال: قد علمت أنك لم تر الملائكة، وإنما أردت أن لا أقتلك، فاذهب عني حيث شئت، ولا تفسد علي أصحابي.

ونادى المختار من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً أشرك في دم آل محمد، وخرج أشراف أهل الكوفة فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة، وتجرد المختار لقتلة الحسين، وكان يقول: لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم، وأنقي المصر منهم، فجعل يتبع من خرج في قتال الحسين عليه السلام فيقتلهم شر قتل، وبعث إلى خولي الأصبحي – وهو صاحب رأس الحسين – فأحاطوا بداره، فاختبأ في المخرج، فقالوا لامرأته: أين هو؟ فقالت: لا أدري، وأشارت بيدها إلى المخرج، فأخرجوه فقتلوه وأحرقوه.

وبعث إلى عمر بن سعد من قتله، وكان قد أعطاه في أول ما خرج أماناً بشرط أن لا يحدث.

وكان أبو جعفر الباقر يقول: إنما أراد بالحدث دخول الخلاء، فجيء برأسه وابنه حفص بن عمر بن سعد جالس عند المختار، فقال له: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، لا خير في العيش بعده، فقال المختار: صدقت فإنك لا تعيش بعده، فقتل، فإذا رأسه مع رأس أبيه، فقال المختار: هذا بحسين، وهذا بعلي بن حسين، ولا سواء، والله لو قتل به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله.

ثم بعث برأسيهما إلى محمد بن علي ابن الحنفية، وكان الذي هيج على قتل عمر بن سعد، أنه بلغه عن ابن الحنفية أنه يقول: يزعم المختار أنه لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه يحدثونه. فلما لبث أن قتل عمر وابنه، وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين، فوجده قد هرب إلى البصرة، فهدم داره، وما زال يتبع القوم ويقتلهم بفنون القتل، فإذا لم يجد الرجل هدم داره.

وفي هذه السنة: بعث المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير وهو مظهر له أنه قد وجههم معونة له لحرب الجيش الذي كان بعثه عبد الملك لحربه. وسبب ذلك أنه لما ظهر المختار بالكوفة كان يدعو إلى ابن الحنفية، والطلب بدماء أهل البيت، وأخذ يخادع ابن الزبير، فكتب إليه: أما بعد، فإنك قد عرفت مناصحتي وما كنت أعطيتني إذا فعلت ذلك من نفسك، فلما وفيت لك، وقضيت مالك علي، لم تف لي بما عاهدتني، فإن ترد مراجعتي أراجعك، أو مناصحتي أنصح لك، وإنما أراد بذلك كفه عنه حتى يستجمع الأمر، فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب. فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فقال له: تجهز إلى الكوفة فقد وليناكها، فقال: كيف وبها المختار، فقال: إنه يزعم أنه لنا سامع مطيع.

فتجهز بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألف درهم، ثم خرج مقبلاً إلى الكوفة. فبلغ الخبر المختار، فدعا زائدة بن قدامة، فقال له: اجعل معك سبعين ألف درهم، ضعف ما أنفق هذا في مسيره إلينا وتلقه في المفاوز، وأخرج معك بمسافر بن سعيد بن نمران في خمسمائة فارس دارع رامح، ثم قل له: خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك وانصرف، فإن فعل وإلا فأره الخيل وقل له: إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة.

فخرج زادة فتلقاه وعرض عليه المال وأمره زائدة بالانصراف، فقال: إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولا بد من إنفاذ أمره، فدعا زائدة بالخيل، فلما رآها قال: هذا الآن عذري، فهات المال، فأخذه وذهب نحو البصرة، ولما أخبر المختار أن أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق خشي أن يأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة، فوادع ابن الزبير وداراه وكتب إليه: قد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً، فإن أحببت أن أمدك بمدد أمددتك.

فكتب إليه عجل بالجيش. فدعا المختار شرحبيل الهمداني يسرحه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالي، ليس فيهم إلا سبعمائة من العرب، وقال: سر حتى تدخل المدينة، فإذا دخلتها فاكتب إلي بذلك حتى يأتيك أمري.

وفي هذه السنة: قدمت الخشبية مكة وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته، وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة بزمزم، وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة، وهربوا إلى الحرم، وتوعدهم بالقتل والإحراق، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوه أن ينفذ فيهم ما توعدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولاً يعلمهم حالهم وما توعدهم به ابن الزبير، فوجه ثلاثة نفر إلى المختار وأهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم، وكتب إليهم يعلمهم بالحال ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته، فقدموا على المختار، فدفعوا إليه الكتاب، فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب، وقال: هذا كتاب مهديكم، وصريح أهل بيت نبيكم، وقد تركوا ينتظرون التحريق بالنار، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل كالسيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل.

ووجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكباً ومعه ظبيان بن عمير في أربعمائة راكباً، وأبا المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين. وخرج أبو عمران حتى نزل ذات عرق، ولحقه ابن طارق وسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام وهم ينادون: يا لثارات الحسين، حتى انتهوا إلى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد بقي من الأجل يومين، فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم، ودخلوا على ابن الحنفية، فقالوا له: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير، فقال لهم: إني لا أستحل القتال في حرم الله عز وجل، ثم تتابع المدد فخرج ابن الحنفية في أربعة آلاف.

وفي هذه السنة: حج عبد الله بن الزبير بالناس، وكان على المدينة مصعب بن الزبير، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى قضائها هشام بن هبيرة، وكان المختار غالباً على الكوفة، وبخراسان عبد الله بن خازم.

وفي هذه السنة: توجه إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد لحربه، وذلك لثمان بقين من ذي الحجة وقد ذكرنا أن المختار وجه إبراهيم بن الأشتر لقتال أهل العراق، فلما وثب أهل الكوفة لقتال المختار بعث إلى ابن الأشتر فرده.

فلما نصر عليهم عاد فأشخصه إلى الوجه الذي بعثه فيه، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة، وخرج معه المختار وبين يديه كرسي كان يستنصر به، فناجزهم ساعة تلقاهم.

وفي ذلك الكرسي قولان: أحدهما: أن طفيل بن جعدة قال: كنت قد أملقت، فرأيت جاراً لي زياتاً له كرسي قد أعلاه الوسخ، فخطر ببالي أن لو قلت للمختار في هذا، فأخذت الكرسي وأتيت المختار وقلت: إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدا لي أ أذكره، وهو كرسي كان لجعدة بن هبيرة كان يجلس عليه ويرى أن فيه أثرة من علم، فقال: ابعث به، وأمر لي باثني عشر ألفاً، ثم دعا: الصلاة جامعة، وقال: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وإنه كان في بني إسرائيل التابوت، وإن هذا فينا مثل

التابوت، فرفعوا أيديهم، فلما قيل لهم: هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام خرج بالكرسي على بغل يمسكه عن يمينه سبعة، وعن يساره سبعة، فندم طفيل على ما فعل.

القول الثاني: إن المختار قال لآل جعدة بن هبيرة – وكانت أم جعدة أم هانئ أخت علي بن أبي طالب: ائتوني بكرسي علي بن أبي طالب، فقالوا: والله ما هو عندنا، فقال: ائتوني به، وظن القوم ،هم لا يأتونه بكرسي، ويقولون: هذا هو إلا قبله منهم. فجاءوا بكرسي وقالوا: هذا هو. ثم قال المختار لابن الأشتر: خذ عني ثلاثاً: خف الله عز وجل في سر أمرك وعلانيته، وعجل السير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم.

أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري، قال: أخبرنا أبو محمد بن السمرقندي، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب البصري، قال: حدثنا محمد بن المعلى بن عبد الله بن الأزدي، قال: أخبرنا أبو جزء محمد بن حمدان القشيري، قال: حدثنا أبو العيناء، عن أبي أنس الحراني، قال: قال المختار لرجل من أصحاب الحديث: ضع لي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أني كائن بعده خليفة وطالب له ثرة ولده، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم، فقال الرجل: أما عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا، ولكن اختر من شئت من الصحابة واحطط من الثمن ما شئت، قال: عن النبي أكد، قال: والعذاب عليه أشد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسماء بن حارثة بن سعيد بن عبد الله كان محتاجاً من أهل الصفة، توفي في هذه السنة وهو ابن ثمانين سنة.

ثم دخلت سنة سبع وستين

فمن الحوادث فيها:

مقتل عبيد الله بن زياد

وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج يقصد ابن زياد، فالتقوا قريباً من الموصل، فاقتتلوا قتالاً شديداً وقتل خلق كثير من الفريقين، وقال ابن الأشتر: قتلت رجلاً وجدت منه ريح المسك تحت راية مفردة على شاطئ نهر فالتمسوه، فإذا هو عبد الله بن زياد، ضربه فقده نصفين، وقتل الحصين بن نمير، وانهزم أصحاب ابن زياد، وتبعهم أصحاب إبراهيم، فكان من غرق أكثر ممن قتل، وأصابوا عسكرهم وفيه من كل شيء وخرج المختار من الكوفة، فنزل ساباط، وجاءته البشرى بقتل ابن زياد وهزيمة أصحابه، وانصرف المختار إلى الكوفة، ومضى ابن الأشتر إلى الموصل، وبعث عماله عليها.

وفي هذه السنة: ولى عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير على البصرة فدخلها فصعد المنبر فخطب فقال: بسم الله الرحمن الرحيم "طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون" إلى قوله "إنه كان من المفسدين" – وأشار بيده إلى الشام – "ونزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين" – وأشار بيده نحو الحجاز – "ونري

فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" – وأشار بيده نحو الشام.
وفي هذه السنة: سار مصعب بن الزبير إلى المختار فقتله وسبب ذلك أن شبث بن ربعي كان فيمن قاتل المختار، فهزمهم المختار، فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة، فقدم شبث على مصعب وهو على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي: يا غوثاه يا غوثاه. فدخل عليه ومعه أشراف الناس من المنهزمين، فأخبره بما أصيبوا به، وسألوه النصر على المختار، ثم قدم محمد بن الأشعث بن قيس أيضاً، وكان المختار قد طلبه فلم يجده فهدم داره، فكتب مصعب إلى المهلب، وهو عامله في فارس: أن أقبل إلينا تشهد أمرنا، فإنا نريد المسير إلى الكوفة.
فأقبل المهلب بجموع كثيرة وأموال عظيمة، فدخل على مصعب، فأمر مصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر، ودعا عبد الله بن مخنف وقال له: ائت الكوفة فاخرج إلي جميع من قدرت أن تخرجه، وادعهم إلى بيعتي سراً. وخذل أصحاب المختار، فمضى حتى جلس في بيته مستتراً لا يظهر، وخرج مصعب ومعه المهلب، والأحنف بن قيس. وبلغ المختار الخبر، فقام في أصحابه فقال: يا أهل الكوفة، يا أعوان الحق وشيعة الرسول، إن فراركم الذين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغووهم، انتدبوا مع أحمد بن شميط، ودعا الرؤوس الذي كانوا مع ابن الأشتر، فبعثهم مع أحمد بن شميط، وإنما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار.

فخرج ابن شميط حتى ورد المدائن، وجاء مصعب فعسكر قريباً منه، فقال: يا هؤلاء، إنا ندعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإلى بيعة المختار، وإلى أن يجعل هذا الأمر شورى في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاقتتلوا، فقتل ابن شميط، وانهزم أصحابه.
وبلغ الخبر إلى المختار، فقال: ما من موتة أموتها أحب إلي من موتة ابن شميط، وساروا فالتقوا وقد جعل مصعب على ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد بن معمر التيمي، وعلى الخيل عباد بن الحصين، وعلى الرجالة مقاتل بن مسمع البكري، ونزل وهو يمشي متنكباً قوساً، وتزاحف الناس ودنا بعضهمإلى بعض، فبعث المختار إلى عبد الله بن جعدة: أن أحمل على من يليك، فحمل فكشفهم حتى انتهوا إلى مصعب، فجثى على ركبتيه، ولم يكن فراراً، ورمى بأسهمه، ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة ثم تحاجزوا، وحمل المهلب فحطم أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفهم وقتل محمد بن الأشعث وعامة أصحابه، وتفرق أصحاب المختار، وجاء هو حتى دخل قصر الكوفة فحصر هو وأصحابه، فكانوا لا يقدرون على الطعام والشراب إلا بحيلة، وكان يخرج هو وأصحابه فيقاتلون قتالاً ضعيفاً، وكانت لا تخرج له خيل إلا رميت بالحجارة من فوق البيوت، وصب عليهم الماء القذر، وصار المختار وأصحابه يشربون من البئر فيصبون عليه العسل ليتغير طعمه.
ثم أمر مصعب أصحابه فاقتربوا من القصر ثم دخلوه، فقال المختار لأصحابه: ويحكم، إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً، فانزلوا بنا نقاتل لنقتل كراماً، والله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله. فتوقفوا عن قبول قوله فقال: أما أنا فوالله لا أعطي بيدي.
ثم أرسل إلى امرأته أم ثابت بنت سمرة بن جندب، فأرسلت إليه بطيب كثير، فاغتسل وتحنط ووضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته، ثم خرج في تسعة عشر رجلاً، فقال لهم: أتؤمنوني وأخرج إليكم؟ فقالوا: لا إلا على الحكم، فقال: لا أحكمكم في نفسي أبداً، فضارب بسيفه حتى قتل، ونزل أصحابه على الحكم فقتلوا، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد إلى جنب

حائط المسجد، و لم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف، فنظر إليها فقال: ما هذه؟ فقالوا: كف المختار، فأمر بترعها.

وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد، وكتب إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته، ويقول له: إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان. وكتب عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعوه إلى طاعته، ويقول: إن أجبتني ودخلت في طاعتي فلك العراق، فدعا إبراهيم بن الأشتر أصحابه وقال: ما تقولون – أو ماذا ترون؟ فقال بعضهم تدخل في طاعة عبد الملك، وقال بعضهم: تدخل في طاعة ابن الزبير، فقال ابن الأشتر: لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبعت عبد الملك. وأقبل بالطاعة إلى ابن الزبير.

ولما قتل مصعب المختار ملك البصرة والكوفة، غير أنه أقام بالكوفة ووجه المهلب على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية، وأن مصعباً لقي عبد الله بن عمر، فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة، فقال مصعب: إنهم كانوا كفرة سحرة، فقال ابن عمر: والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً.

والتراث هو الميراث.

وفي هذه السنة: عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة وبعث ابنه حمزة بن عبد الله إليها قال المدائني: وفد مصعب إلى عبد الله بعد قتل المختار، فعزله وحبسه عنده، واعتذر إليه من عزله، وقال: والله إني لأعلم أنك أكفأ من حمزة ولكني رأيت فيه ما رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى وولاه.

فقدم حمزة البصرة، وكان يجود تارة حتى لا يدع شيئاً يملكه، ثم يبخل مما لا يمنع مثله، فظهر منه ضعف وتخليط. وكتب الأحنف بن قيس إلى ابن الزبير بذلك وسأله أن يعيد مصعباً، فعزله فأخذ مالاً كثيراً، وخرج إلى المدينة، فأودعه رجالاً فذهبوا سوى يهودي كان أودعه فإنه وفى له. وعلم ابن الزبير بذلك، فقال: أبعده الله، أردت أن أباهي به بني مروان.

وفي هذه السنة:

حج بالناس عبد الله بن الزبير، وكان القاضي على الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي، وكان بالشام عبد الملك بن مروان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبيد الله بن زياد بن أبية وقد ذكرنا قتله في الحوادث.

المختار بن أبي عبيد واسم أبي عبيد مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف: وأمه دومة بنت عمرو بن وهب، ويكنى المختار أبا إسحاق، وهو أخو صفية زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب.

خرج طالباً بدم الحسين رضي الله عنه، وجرت له عجائب قد ذكرنا بعضها.وكان يقول: قام الآن عن هذه الوسادة جبريل، وعن الأخرى ميكائيل.

أخبرنا ابن الحصين، قال: قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا ابن نمير، قال: حدثنا عيسى بن عمر، قال: حدثنا السري، عن رفاعة القتباني، قال: دخلت على المختار، فألقى إلي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لالقيتها لك. قال: فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثني به أخي عمرو

بن الحمق، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما مؤمن أمن مؤمناً على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء".
قتل المختار لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة سبع وستين، وهو ابن سبع وستين سنة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين

فمن الحوادث فيها: أن عبد الله بن الزبير رد أخاه مصعب بن الزبير أميراً على العراق بعد عزله إياه، فبدأ بالبصرة فدخلها. وبعث الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميراً.

وفي هذه السنة: رجعت الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة، ودخلوا المدائن، وذلك أن الأزارقة كانت قد لحقت بفارس وكرمان ونواحي أصبهان بعدما أوقع بهم المهلب بالأهواز. فلما وجه مصعب المهلب إلى الموصل ونواحيها عاملاً عليها، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس انحطت الأزارقة على عمر فلقيهم بنيسابور، فقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل منهم قوم وانهزموا، وتبعهم فقطعوا قنطرة طبرستان ثم ارتفعوا إلى نحو من أصبهان وكرمان فأقاموا بها حتى قووا واستعدوا وكثروا.

ثم إن القوم أقبلوا حتى مروا بفارس، فشمر في طلبهم عمر مسرعاً حتى أتى أرجان، فوجدهم قد خرجوا منها متوجهين إلى الأهواز، وبلغ مصعباً إقبالهم، فخرج فعسكر بالناس بالجسر الأكبر، وقال: والله ما أدري ما الذي أغنى عني عمر، وضعت معه جنداً بفارس أجري عليهم أرزاقهم وأمده بالرجال، فقطعت الخوارج أرضه، والله لو قاتلهم لكان عندي أعذر.

وجاءت للخوارج عيونهم بأن عمر في آثارهم، وأن مصعباً قد خرج من البصرة إليهم، فذهبوا إلى المدائن فشنوا الغارة على أهلها، يقتلون الولدان والنساء والرجال ويبقرون الحبالى. وأقبلوا إلى ساباط فوضعوا أسيافهم في الناس، ثم تبعهم الناس وقاتلوهم وقتل أميرهم، فانحازوا إلى قطري فبايعوه، فذهب بهم إلى ناحية كرمان، فأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة وقوي، ثم أقبل حتى أخذ في أرض أصبهان، ثم خرج إلى الأهواز، وكتب للحارث بن أبي ربيعة وهو عامل مصعب على البصرة يخبره أن الخوارج قد انحدرت إلى الأهواز وأنه ليس لهذا الأمر إلا المهلب، فبعث إلى المهلب فأمره بقتال الخوارج والمصير إليهم، وبعث إلى عامله إبراهيم بن الأشتر، فجاء المهلب إلى البصرة وانتخب الناس، وسار بمن أحب، ثم توجه نحو الخوارج، وأقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف، فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد القتال.

وفي هذه السنة: كان القحط الشديد بالشام و لم يقدروا لشدته على الغزو، وشتى عبد الملك بأرض قنسرين ثم انصرف منها إلى دمشق.

وفي هذه السنة: وافت عرفات أربعة ألوية ابن الحنفية في أصحابه في لواء أقام عند جبل المشاة، وعبد الله بن الزبير في لواء، فقام مقام الإمام اليوم، ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير، ونجدة الحروري قام خلفهما في لواء بني أمية يسارهما. فكان أول من أفاض لواء محمد ابن الحنفية، ثم تبعه نجدة في لواء بني أمية، ثم لواء ابن الزبير، وتبعه الناس.

وقد روى سعيد بن جبير عن أبيه، قال: خفت الفتنة فجئت إلى محمد بن علي فقلت: اتق الله فإنا في بلد حرام، والناس وفد الله إلى هذا البيت، فلا تفسد عليهم حجتهم. فقال: والله ما أريد ذلك، ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي، ولكني رجل أدفع عن نفسي، فجئت إلى ابن الزبير فكلمته في ذلك فقال: أنا رجل قد أجمع الناس علي، فقلت: أرى الكف خيراً لك، قال: أفعل. فجئت نجدة

فكلمته في ذلك، فقال: أما أن أبتدئ أحداً بقتال فلا، ولكن من بدأ بقتالي قاتلته. ثم جئت شيعة بني أمية فكلمتهم بنحو ذلك، فقالوا: نحن عزمنا على أن لا نقاتل أحداً إلا أن يقاتلنا.

وفي هذه السنة: حج ابن الزبير بالناس، وكان عامله على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري، وعلى البصرة والكوفة مصعب، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى خراسان عبد الله بن خازم، وبالشام عبد الملك بن مروان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحارث بن مالك وقيل: الحارث بن عوف، وقيل عوف بن الحارث – أبو واقد الليثي: أسلم قديماً، وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر يوم الفتح، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الخروج إلى تبوك يستنفر بني ليث. وخرج إلى مكة فجاور بها فمات في هذه السنة وهو ابن خمس وثمانين سنة، ودفن بمكة في مقبرة المهاجرين التي بفج، وإنما سميت مقبرة المهاجرين لأنه دفن فيها من مات ممن كان هاجر إلى المدينة.

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم يكنى أبا العباس: وأمه لبابة بنت الحارث بن حرب الهلالية أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. ولد بمكة في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه الحكمة والتأويل".

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدينه ويحضره مع شيوخ الصحابة وأهل بدر ويقول له: والله لأنك أصبح فتياننا وجهاً وأحسنهم عقلاً، وأفقههم في كتاب الله عز وجل. وكان يستشيره ويقول: غص غواص. وكان ابن مسعود يقول: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد، وقال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

وقال جابر بن عبد الله حين مات ابن عباس: مات أعلم الناس، وأحكم الناس.

وقال ابن الحنفية: مات رباني هذه الأمة.

وقال مجاهد: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو حامد من جبلة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: حدثنا عبد الله بن عمر الجعفي، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثناأبو حمزة الثمالي، عن أبي صالح، قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، رأيت الناس قد اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءاً. قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج وقل لهم: من أراد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر. ثم قال: إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم. قال: فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فخرجت فقلت لهم. قال: فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه. ثم قال: إخوانكم قال: فخرجوا.
ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه، ثم قال: إخوانكم. قال: فخرجوا.
ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر وكلام العرب فليدخل. قال: فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس.
أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال:حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا إسماعيل يعني ابن علية، قال: أخبرنا صالح بن رستم، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل يرتل ويكثر في ذلكم التسبيح.
قال أحمد: وحدثنا معتمر، عن شعيب، عن أبي رجاء، قال: كان هذا الموضوع من ابن عباس – مجرى الدموع – كأنه الشرك البالي.
أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا الأمير أبو محمد المقتدري، قال: أخبرنا أبو العباس اليشكري، قال: أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا الحسن بن خضر، عن أبيه، عمن حدثه عن سليمان بن عمر، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، أن ابن عباس كان يقول: ثلاثة لا أكافئهم: رجل ضاق مجلسي فأوسع لي، ورجل كنت ظمآن فسقاني، ورجل اغبرت قدماه في الاختلاف إلى بابي، ورابع لا يقدر على مكافئته ولا يكافئه عني إلا الله عز وجل، رجل حزبه أمر فبات ليلته ساهراً فلما أصبح لم يجد لحاجته معتمداً غيري.
قال: وكان يقول: إني لأستحي من الرجل يطأ بساطي ثلاث مرات ثم لا يرى عليه أثر من آثار بري.
توفي ابن عباس بالطائف سنة ثمان وستين، ويقال: خمس وستين، ويقال: أربع وستين. والأول أصح.
وكان ابن إحدى وسبعين سنة.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي الحاجب، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن سليمان البصري، قال: حدثنا حفص بن عمر الرملي، قال: حدثنا الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، قال: شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف، فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه، فالتمس فلم يوجد، فلما سوي سمعنا صوتاً و لم نر الشخص: "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي".
عدي بن حاتم الطائي وأمه النوار بنت برمكة بن عكل، ويكنى أبا طريف: أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر البزار، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن أبي عمير الطائي، قال: كان عدي بن حاتم يقول: ما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني، وكنت امرأً شريفاً قد سدت

قومي، فقلت: إن اتبعته كنت دنياً. وكنت نصرانياً، فقلت لغلام لي: أعد لي من إبلي أجمالاً ذللاً سماناً أحبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فآذني فإني أرى خيله قد وطئت بلاد العرب كلها. فلما كان ذات غداة جاءني غلامي فقال: ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقيل: هذه جيوش محمد. قلت: قرب لي أجمالي، فقربها فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام، وخلفت ابنة حاتم بالحاضر.

وتخالفتني خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم، فأصابوا نساءً وأطفالاً وشاء وابنة حاتم، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هربي، فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد – كانت النساء يحبسن فيها – فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه، وكانت امرأة جميلة جزلة، فقالت: يا رسول الله، مات الولد وغاب الوافد، فأمنن علي من الله عليك، قال: فإني فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة.

وفي رواية أخرى: فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله، قالت: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى إذا كان بعد الغد مر بي فقلت مثل ذلك وقال مثل ذلك، حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست، فلم أقل شيئاً، فأشار إلي رجل خلفه أن قومي فكلميه، فقمت فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوالد فامنن علي من الله عليك، قال: فإني قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني.

قالت: فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه، فقيل هو علي بن أبي طالب، فأقمت حتى قدم ركب من قضاعة. قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: قد جاء من قومي من لي ثقة وبلاغ، فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة، وخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلي تؤمنا. قلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي، فلما قدمت علي انسحلت تقول: القاطع الظالم، احتملت أهلك وولدك. وتركت بقية والدك، قلت: يا أخية لا تقولي إلا خيراً، فقلت: والله ما لي من عذر قد صنعت ما ذكرت، ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت: ما ترين في أمر هذا الرجل، وكانت حازمة – وكانت امرأة حازمة – فقالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فالسبق إليه أفضل، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن، وأنت أنت، وأبوك أبوك، مع أني قد نبئت أن علية أصحابه قومك الأوس والخزرج.

فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: "من الرجل؟" فقلت: عدي بن حاتم، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إلى بيته إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك،إن للملك حالاً غير هذا. ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقدمها إلي، فقال: "اجلس على هذه" فقلت: لا بل أنت. فجلس عليها فرأى في عنقي وثناً من ذهب، فتلى هذه الآية: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"، فقلت: والله ما كانوا يعبدونهم، فقال: "أليس كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه" قلت: بلى، قال: "فتلك عبادتهم". وقال: "إيه يا عدي، ألم تكن تسير في قومك بالمرباع في مال فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك"، قلت: أجل والله. فعرفت أنه نبي مرسل. ثم قال: "لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما

ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن هذا المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعير حتى تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من الدخول أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم". قال عدي: فأسلمت.

وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت واحدة: ليقض المال.

قال علماء السير: لما قدم عدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن إسلامه ورجع إلى بلاد قومه، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب ثبت عدي وقومه على الإسلام، وجاء بصدقاتهم إلى أبي بكر، وحضر فتح المدائن، وشهد مع علي الجمل وصفين والنهروان. وكان جواداً يفت للنمل الخبز ويقول: إنهن جارات.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن محمد المقري، قال: أخبرنا أحمد بن عثمان بن يحيى الآدمي، قال: حدثنا علي بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثنا سهل بن بكار، قال: حدثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم الطائي: أنه أتى عمر بن الخطاب في أناس من طيء - أو قال من قومه - فجعل يفرض لرجال من طيء في ألفين ألفين، فاستقبلته فأعرض عني، فقلت: يا أمير المؤمنين، أما تعرفني؟ قال: نعم إني والله أعرفك، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذا أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه أصحابه صدقة طيء، جئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: حدثنا الحسين بن علي الطناجيري، قال: حدثنا ابن شاهين، قال: حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا الهذيل بن عمير، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن عامر، قال: أرسل الأشعث بن قيس إلى عدي بن حاتم يستعير منه قدور حاتم، فأمر بها عدي فملئت وحملها الرجال إلى الأشعث، فأرسل الأشعث: إنما أردناها فارغة، فأرسل إليه: إنا لا نعيرها فارغة.

أخبرنا القزاز، قالأخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا محمد بت سعد، قال: مات عدي بن حاتم سنة ثمان وستين.

وقد قال هشام بن الكلبي: مات سنة تسع وستين، وهو ابن مائة وعشرين سنة.

واختلفوا أين مات على قولين: أحدهما بالكوفة. قاله ابن خياط. والثاني بقرقيسيا.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أحمد الرزاز، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد البزاز، قال: حدثنا علي بن المديني، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن المغيرة، قال: خرج عدي بن حاتم وجرير بن عبد الله وحنظلة الكاتب من الكوفة، فنزلوا فرقيسيا وقالوا: لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان.

قال ابن ثابت: قال لي محمد بن علي الصوري: أنا رأيت قبورهم بقرقيسيا.

عابس بن سعد القطيفي قاضي مصر ولي القضاء والشرطة لمسلمة بن مخلد، روى عنه أبو قتيل المغافري.

وتوفي في هذه السنة.

قيس بن ذريح بن الحباب بن شبه بن حذافة كان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعته أم قيس، وكان منزل قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة.

وقيل: كان منزله بسرف.

فمر قيس ببعض حاجته بخيام بني كعب من خزاعة والحي خلوف، فوقف على خيمة للبنى بنت الحباب الكعبية، فاستسقى الماء، فخرجت إليه فسقته، وكانت امرأة مديدة القامة، شهلة حلوة المنظر والكلام، فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء، فقالت له: انزل فتبرد عندنا، فنزل بهم، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فانصرف قيس وفي نفسه من لبنى حر لا يطفأ، فجعل يقول الشعر فيها حتى شاع وروي.

ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها، فسلم فظهرت له وردت سلامه ولحقت به، فشكى إليها ما يجد من حبها، فبكت وشكت إليه مثل ذلك، وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه، فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها، فأبى عليه، وقال: يا بني عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك، وكان ذريح المال موسراً، فأحب ألا يزوج ابنه إلى غريبة، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به أبوه، فأتى أمه فشكى إليها واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحب. فأتى الحسين بن علي رضي الله عنهما وابن أبي عتيق، وكان صديقه، فشكى إليهما ما به وما رد عليه أبواه، فقال له الحسين: أنا أكفيك، فمشى معه إلى أبي لبنى، فلما بصر به أعظمه ووثب إليه وقال: يا ابن رسول الله، ما حاجتك؟ قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك، قد جئتك خاطباً ابنتك لبنى لقيس بن ذريح، فقال: يا ابن رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمراً، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمرين إلينا أن يخطبها ذريح أبوه عليه، وأن يكون ذلك عن أمره، فإنا نخاف إن لم يسمح أبوه في هذا أن يكون عاراً علينا، فأتى الحسين ذريحاً وقومه مجتمعون، فقاموا إليه أعظاماً وقالوا له مثل الخزاعيين، فقال لذريح: أقسمت عليك إلا ما خطبت لبنى على قيس، فقال: السمع والطاعة لأمرك، فخرج معه في وجوه قومه حتى أتوا حي لبنى، فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها، فزوجه إياها، وزفت إليه، فأقام معها مدة، وكان أبر الناس بأمه، فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمه وأخذت في نفسها، وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري.

ومرض قيس، فقالت أمه لأبيه: لقد خشيت أن يموت و لم يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة، فزوجه غيرها لعل الله أن يرزقه ولداً، وألحت عليه في ذلك، فلما اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللت فخفت عليك ولا ولد لي سواك، وهذه المرأة ليست بولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يرزقك ولداً تقر به عينك وأعيننا، فقال قيس: لست متزوجاً غيرها أبداً، قال أبوه: فتسر بالإماء، قال: ولا أسوءها بشيء والله أبداً، قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها، فأبى وقال: الموت عندي والله أسهل من ذلك، ولكني أخيرك خصلة من ثلاث خصال: قال: وما هي؟ قال: تتزوج أنت فلعل الله يرزقك ولداً غيري، قال: ما في فضلة لذلك، قال: فدعني أترحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعاً لو مت في علتي هذه، قال: ولا هذه، قال: فأدع لبني عندك وارتحل عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة فإنها في خيالي، قال: لا أرضى أو تطلقها، وحلف لا يكنه سقف أبداً حتى يطلق لبنى. وكان يخرج فيقف في حر الشمس، فيجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصطلي هو بحر الشمس ثم يدخل إلى لبنى فيعانقها ويبكي وتبكي هي معه، وتقول له: يا قيس: لا تطع أباك فتهلك وتهلكني،

فيقول: ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً.

فيقال: إنه مكث كذلك سنة، وقيل: عشرين سنة، وهجره أبواه لا يكلمانه، فطلقها، فلما طلقها استطير عقله، ولحقه مثل الجنون، وجعل يبكي، فبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، فأقبل أبوها بهودج وإبل، فقال قيس: ما هذا؟ فقالوا: لبنى ترحل الليلة أو غداً، فسقط مغشياً عليه ثم أفاق، وجعل يقول:

وإني لمفن دمع عيني بالبكا ... حذار الذي قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفيك إلا أن ما حان حائن

وقال:

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها ... بخير فلا تندم عليها وطلق

فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي ... وأقررت عين الشامت المتخلق

وددت وبيت الله أني عصيتهم ... وحملت في رضوانها كل موثق

وكلفت خوض البحر والبحر زاخر ... أبيت على أثباج موج مغرق

كأني أرى الناس المحبين بعدها ... عصارة ماء الحنظل المتفلق

فتنكر عيني بعدها كل منظر ... ويكره سمعي بعدها كل منطق

وسقط غراب قريباً منه فجعل ينعق مراراً، فتطير منه وقال:

لقد نعق الغراب ببين لبنى ... فطار القلب من حذر الغراب

وقال غداً تباعد دار لبنى ... وتنأى بعد ود واقتراب

فقلت تعست ويحك من غراب ... وكان الدهر سعيك في تباب

فلما ركبت هودجها تبعها وقال:

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري ... بخير كما خبرت بالنأي والشر

وقلت كذاك الدهر ما زال فاجعاً ... صدقت وهل شيء بباق على الدهر

ثم علم أنهم يمنعونه منها، فوقف ينظر إليهم حتى غابوا، فكر راجعاً ينظر إلى أثر خف بعيرها يقبله ويقبل موضع مجلسها وأثر قدمها فعنفوه على تقبيل التراب، فقال:

وما أحببت أرضكم ولكن ... أقبل إثر من وطئ الترابا

لقد لاقيت من كلفي بلبنى ... بلاء ما أسيغ له شرابا

إذا نادى المنادي باسم لبنى ... عييت فما أطيق له جوابا

وقال له بعض الأطباء: منذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعدما كنا نطافاً وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنصرم العهد

ولكنه باق على كل حادث وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

فقال له الطبيب: إن مما يسليك عنها أن تذكر مساوئها وما تعافه النفس منها من أقذار بني أدم، فقال:

إذا عبتها شبهتها البدر طالعاً وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثلما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

إذا ما مشت شبراً من الأرض أرجفت من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها إذا مشت وقد كغصن البان منضمر الخصر

فدخل أبوه والطبيب عنده، فجعل يعاتبه ويقول: يا بني الله في نفسك، فإنك إن دمت على هذا مت.

فقال:

وفي عروة العذري إن مت أسوة وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

وبي مثل ما ماتا به غير أنني إلى أجل لم يأتني وقته بعد

وقال:

هل الحب إلا عبرة بعد زفرة وحر على الأحشاء ليس له برد

وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

قال: فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه أن يزوجه امرأة جميلة لعله يسلو بها، فدعاه إلى ذلك فأبى، فأعلمهم أبوه بما رد عليه، فقالوا له: مره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم لعله يبصر امرأة تعجبه، فأقسم عليه أن يفعل، فسار حتى نزل بحي فرأى جارية كالبدر، فقال: ما اسمك يا جارية؟ فقالت: لبنى، فسقط على وجهه فارتاعت، وقالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح، إنه لمجنون، فلما أفاق سألته أن يصيب من طعامهم، فأكل وارتحل، فأتى أخوها فرأى مناخ الناقة فلحقه فرده، فلم يزل به حتى زوجه من أخته، فلما زفت إليه لم يلتفت إليها، وبلغ حديثه لبنى، فقالت: إنه لغدار ولقد كنت أمتنع من التزويج فالآن أتزوج، فزوجت، فاشتد جزعه.

وإن أبا لبنى شخص إلى معاوية فشكى إليه، وإنه يتعرض للبنى بعد الطلاق، فكتب إليه بإهدار دمه، فبعثت لبنى إليه تحذره، فقال:

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري

إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومن حرق تعتادني وزفير

ومن حرق للحب في باطن الحشى وليل طويل الحزن غير قصير

وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعم حالي غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لهم بطون الهوى مقلوبة لظهور

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ولكنما الدنيا متاع غرور

ثم حج بعد ذلك وحجت، فلقيها فوقف باهتاً، وبعثت إليه بالسلام. ثم انه اقتطع قطعة من أبله وأعلم أباه أنه يريد بها المدينة ليبيعها ويمتار لأهلها بثمنها، فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى، فعاتبه فلم يقبل، وقدم المدينة، فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إياها، فقال: إذا كان في غد فآتني في دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن، فأعدي له طعاماً. ففعلت، فلما كان من الغد جاء فصوت بالخادم وقال: قولي لسيدك: صاحب الناقة بالباب، فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئاً، فقال زوجها للخادم: قولي له يدخل، فدخل فجلس، فقالت لبنى للخادم: قولي له: مالك أشعث أغبر، فقالت له، فتنفس وقال: هكذا تكون حال من فارق الأحبة، وبكى. فقالت لبنى: قولي له: حدثنا حديثك، فلما ابتدأ يحدث كشفت الحجاب، فبهت لا يتكلم ثم بكى ونهض يخرج، فناداه زوجها: ما قصتك؟ ارجع فاقبض الثمن، فلم يكلمه وخرج، فقالت لبنى لزوجها: هذا والله قيس.

وقال في طريقه فيها:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر

فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت فللدهر والدنيا بطون وأظهر

لقد كان فيها للأمانة موضع وللكف مرتاد وللعين منظر

كأني لها أرجوحة بين أحبل إذا ذكرة منها على القلب تخطر

ثم عاد إلى مترله فمرض مرضاً أشفى منه، فدخل عليه أبوه وأهله فعاتبوه، فقال: ويحكم، أتروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوة فاخترت البلاء، أو لي في ذلك صنع، هذا ما اختاره لي أبواي فقتلاني به، فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج، ودست إليه لبنى رجلاً فقالت له: قل له: لم تزوجت بعدها؟ فجاء يسأله، فحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها، وأنه ما مد إليها يداً، ولا كشف لها عن ثوب، قال: فحملني إليها ما شئت، فقال:

ألا حي لبنى اليوم إن كنت غاديا وألمم بها من قبل أن لا تلاقيا

وقل إنني والراقصات إلى منى بأحبل جمع ينظرون المناديا

أصونك عن بعض الأمور مظنة وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا

أقول إذا نفسي من الوجد أصعدت بها زفرة تعتادني هي ما هيا

وبين الحشى والنحر مني حرارة ولوعة وجد تترك القلب ساهيا

ألا ليت لبنى لم تكن خلة لنا ولم ترني لبنى ولم أدري ما هيا

خليلي مالي قد بليت ولا أرى لبينى على الهجران إلا كما هيا

جزعت عليها لو أرى لي مجزعاً وأفنيت دمع العين لو كان فانيا

تمر الليالي والشهور ولا أرى ولوعي بها يزداد إلا تماديا

واشتهر أمر قيس بالمدينة، وغنى بشعره الغريض ومالك ومعبد وغيرهم، و لم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك وحزن له، وجاء زوج لبنى فعاتبه فقال: فضحني بذكرك، فقالت: والله ما تزوجتك إلا بعد أن أهدر دمه، ولا حاجة لي فيك. وكان بالمدينة دار ضيافة لرجل من قريش وله زوجة يقال لها بريكة، فدخل الدار قيس في جنونه، فقال: أين بريكة؟ فلقيها، فقال لها: حاجتي نظرة إلى لبنى، فقالت: لك ذلك، فترل فأقام عندهم وأهدى لها هدايا كثيرة، وقال لاطفيهم حتى يأنسوا بك، ففعلت وزارتهم مراراً وقالت لزوج لبنى: أخبرني أنت خير من زوجي، قال: لا، قاتل: فلبنى خير مني، قال: لا، قالت: فما لي أزورها ولا تزوري، قال: ذاك إليها، فأتتها وسألتها الزيارة، وأعلمتها أن قيساً عندها فأسرعت إليها فبكيا حتى كادا يتلفان، ثم قالت له: أنشدني ما قلت في علتك، فقال:

أعالج من نفسي بقايا حشاشة على ظمأ والعادات تعود

فإن ذكرت لبنى هششت لذكرها كما هش للثدي الدرور الوليد

ورحل قيس إلى معاوية، فدخل على ابنه يزيد فامتدحه وشكى ما به، فقال: إن شئت أن أحتم على زوجها أن يطلقها، قال: لا بل أحب أن أقيم حيث تقيم وأعرف أخبارها من غير أن يهدر دمي، فأجابه، وغير ما كان كتب في إهدار دمه.

وقد اختلفوا في آخر أمر قيس. فروى قوم أن لبنى ماتت فخرج قيس في جماعة من قومه، فوقف على قبرها، فقال:

ماتت لبينى فموتها موتي هل تنفعن حسرتي على الفوت

وسوف أبكي بكاء مكتئب قضى حياة وجداً على ميت

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه، فرفعه أهله إلى مترله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب مكلماً ثلاثاً، ثم مات فدفن إلى جنبها.

وروى محمد بن عبد الباقي بإسناده عن أيوب بن عباية، قال: خرج قيس بن ذريح إلى المدينة يبيع ناقة له، فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه، فقال له: انطلق معي اعطك الثمن، فمضى معه، فلما فتح الباب إذا لبنى قد استقبلت قيساً، فلما رآها ولى هارباً، وخرج الرجل في أثره بالثمن ليدفعه إليه، فقال له قيس: لا تركب لي مطيتين أبداً، فقال: وأنت قيس بن ذريح؟ قال: نعم، فقال له: هذه لبنى قد رأيتها قف حتى أخيرها فإن اختارتك طلقتها، وظن القرشي أن في قلبها له موضعاً وأنها لا تفعل، قال له قيس: افعل. فدخل القرشي عليها فاختارت قيساً فطلقها، وأقام قيس ينتظر انقضاء العدة ليتزوجها فماتت في العدة.

وروى آخرون أن ابن أبي عتيق جاء إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما وابن جعفر وجماعة من قريش، فقال: إن لي حاجة إلى رجل وأخشى أن يردني، وإني أستعين بجاهكم، فمضى بهم إلى زوج لبنى، فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه، فقالوا: جئنا لحاجة لابن أبي عتيق، فقال: هي مقضية ما كانت، قال ابن أبي عتيق: فهب لي ولهم زوجتك لبنى وتطلقها، قال: فأشهدكم أنها طالق ثلاثاً، فاستحيا القوم وقالوا: والله ما عرفنا أن حاجته هذه، وعوضه الحسن رضي الله عنه عن ذلك مائة ألف درهم، وحملها ابن أبي عتيق إليه، فلما انقضت العدة سأل القوم أباها فزوجها منه، فلم تزل معه حتى ماتا.

وقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمن أفضل ما يجازي | على الإحسان خيراً من صديق
فقد جربت إخواني جميعاً | فما ألفيت كابن أبي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع | ورأي حدت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي | أغصتني حرارتها بريقي

ثم دخلت سنة تسع وستين

فمن الحوادث فيها: خروج عبد الملك بن مروان إلى عين وردة قال الواقدي: واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبد الملك، فرجع إلى دمشق فحاصره.

وقال غيره: خرج معه إلى بعض الطريق ثم رجع إلى دمشق فتحصن بها.

قال عوانة بن الحكم: خرج عبد الملك من دمشق يريد قرقيساء، وفيها زفر بن الحارث الكلابي حتى إذا كان في بعض الطريق رجع عمرو بن سعيد عنه ليلاً ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلابي حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك، فلكا بلغه رجوع عمرو هرب وترك عمله، فدخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها.

وقال آخرون: كانت هذه القصة في سنة سبعين، وذلك حين سار عبد الملك إلى مصعب نحو العراق، فقال له عمرو بن سعيد: إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك فلم يجبه، فانصرف راجعاً إلى دمشق فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق.

قالوا: لما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه، فأمر بداره فهدمت، وصعد المنبر، وقال: لكم علي حسن المؤاساة والعطية. ثم نزل، ولما أصبح عبد الملك فقد عمرو، فسأل عنه فأخبر خبره، فرجع عبد الملك إلى دمشق فاقتتلوا، ثم إن عبد الملك وعمراً اصطلحا وكتبا بينهما كتاباً وأمنه عبد الملك، وذلك عشية الخميس، ثم انه بعث إليه فأتاه في مائة رجل من مواليه، وأمر بحبس من معه وأذن له، فدخل فرأى بني مروان عنده، فأحس بالشر، وأمر عبد الملك بالأبواب فغلقت، فلما دخل عمرو رحب به عبد الملك وقال: ها هنا يا أبا أمية، وأجلسه معه على السرير، وجعل يحدثه طويلاً، ثم قال يا غلام، خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: أو تطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك، فأخذ السيف عنه، ثم تحدثا ما شاء الله، ثم قال: يا أبا أمية، قال: لبيك، قال: إنك حيث خلعتني آليت إذا أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة، فقال بنو مروان: ثم تطلقه يا أمير المؤمنين، قال: ثم أطلقه، وما عسيت أن أصنع بأبي أمية، فقال بنو مروان: أبر قسم أمير المؤمنين، فقال عمرو: وأبر قسمك يا أمير المؤمنين. فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه، ثم قال: يا غلام قم فاجمعه فيها، فقام الغلام فجمعه فيها، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس، ثم اجتبذه اجتباذة أصاب فمه السري فكسر ثنيته، فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك كسر عظم مني إلى أن تركب ما هو أعظم من ذلك، فقال: والله لو أعلم أنك تبقي علي إن أبقيت عليك أو تصلح قريش

لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه.
فلما عرف عمرو ما يريد به، قال: أغدراً يا ابن الزرقاء. فأمر به عبد العزيز بن مروان أن يقتله، فقال إليه بالسيف، فقال له عمرو: أذكرك الله والرحم أن تلي أنت قتلي وأن تولي ذلك من هو أبعد منك رحماً، فألقى السيف وجلس. وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الأبواب، ورأى الناس عبد الملك وليس معه عمرو، فجاء إلى باب عبد الملك يحيى بن سعيد ومعه ألف عبد لعمرو فجعلوا يصيحون: أسمعنا صوتك يا أبا أمية، وكسروا باب القصر وضربوا الناس بالسيوف، وضرب عبد من عبيد عمرو يقال له مصقلة الوليد بن عبد الملك ضربة على رأسه، واحتمله إبراهيم بن عربي صاحب الديوان، فأدخله بيت القراطيس، ودخل عبد الملك فوجد عمراً حياً، فقال لعبد العزيز: أخزى الله أمك، وكانت أم عبد العزيز ليلى، وأم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة...
ثم إن عبد الملك قال: يا غلام ائتني بالحربة، فأتاه بها فهزها ثم طعنه فلم تجز فيه، فضرب بيده إلى عضد عمرو، فوجد مس الدرع، فضحك ثم قال: ودارع أيضاً، يا غلام ائتني بالصمامة، فأتاه بسيفه، ثم أمر بعمرو فصرع، وجلس على صدره فذبحه. وانتفض عبد الملك رعدة، وزعموا أن الرجل إذا قتل ذا قرابة له أرعد.

فحمل عبد الملك عن صدره، فوضع على سريره، ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بني مروان الدار فجرحوهم ومن معهم من مواليهم، فقاتلوا يحيى وأصحابه، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فدفع إليه الرأس. فألقاه إلى الناس.
وقد قيل أن عبد الملك بن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو، فقتله وألقى رأسه إلى أصحابه.
وأمر عبد الملك بسريره فأبرز إلى المسجد وخرج فجلس عليه، وفقد الوليد فجعل يقول: ويحكم أين الوليد؟ وأبيهم إن كانوا قتلوه فلقد أدركوا بثأرهم، فأتاه إبراهيم بن عربي، فقال: هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس.فأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد، فأمر به أم يقتل، فقام إليه عبد العزيز، فقال: أذكرك الله يا أمير المؤمنين في استئصال بني أمية وإهلاكها. وأمر بعنبسة فحبس، ثم أتي بعامر بن الأسود الكلبي فضرب عبد الملك رأسه بقضيب خيزران كان معه، ثم قال: أتقاتلني مع عمرو وتكون معه علي؟
قال: نعم لأن عمراً أكرمني وأهنتني، وقربني وأبعدتني، وأحسن إلي وأسأت إلي، فكنت معه عليك. فأمر به عبد الملك أن يقتل، فقام إليه عبد العزيز، فقال: أذكرك الله يا أمير المؤمنين في خالي، فوهبه له، وأمر ببني سعيد فحبسوا، ومكث يحيى في الحبس شهراً أو أكثر. ثم إن عبد الملك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم استشار الناس في قتله، فقام بعض خطباء الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، هل تلد الحية إلا حية، نرى والله أن تقتله، فإنه منافق عدو. ثم قام عبد الله بن سعد الفزازي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن يحيى ابن عمك، وقرابته ما قد علمت، وقد صنعوا ما صنعوا، وصنعت بهم ما قد صنعت، وما أرى لك قتلهم، ولكن سيرهم إلى عدوك، فإن هم قتلوا كنت قد كفيت أمرهم، وإن هم رجعوا رأيت فيهم رأيك. فأخذ رأيه، فأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير.
ثم إن عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبية: ابعثي إلي بالصلح الذي كنت كتبته لعمرو، فقالت لرسوله: ارجع إليه فقل له أني قد لففت ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك به عند ربك. ثم جمع أولاده فرق لهم وأحسن جائزتهم.
وكان الواقدي يقول: إنما تحصن في دمشق في سنة تسع وستين، أما قتله إياه فكان في سنة سبعين.
وقال يحيى بن أكثم يرثيه:

أعيني جودا بالدمع على عمرو عشية تبتز الخلافة بالغدر

كأن بني مروان إذ يقتلونه بغاث من الطير اجتمعن على صقر

لحى الله دنيا تدخل النار أهلها وتهتك ما دون المحارم من ستر

وفي هذه السنة: أقام الحج للناس ابن الزبير، وكان عامله فيها على المصرين: الكوفة والبصرة أخوه المصعب، وكان على قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبد الله بن حازم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين السعدي التميمي، واسمه الضحاك، وقيل: صخر، ويكنى أبا بحر: ولدته أمه وهو أحنف، فكانت ترقصه، وتقول:

والله لولا حنفة برجله

ودقة في ساقه من هزله

ما كان قي فتيانكم من مثله

أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه من يعرض عليهم الإسلام، فقال الأحنف: إنه ليدعو إلى خير، وما أسمع إلا حسناً، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "اللهم اغفر للأحنف". وكان الأحنف يقول: ما من شيء أرجى عندي من ذلك.

وقد روى عن عمر، وعلي، وأبي ذر. وهو الذي افتتح مرو الروذ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه، وكان عالماً سيداً، وكان يحضر عند معاوية فيطيل السكوت،فقال: يا أبا بحر، تكلم، فقال: تكلم، فقال: أخشى الله إن كذبت، وأخشاكم إن صدقت.

وكان يتهجد بالليل كثيراً، وكان يضع المصباح قريباً منه، ثم يقدم إصبعه إلى النار، ثم يقول: يا أحنف، ما حملك على ما فعلت في يوم كذا. وكان يصوم، فيقال له: إنك شيخ كبير والصيام يضعفك، فيقول: إني لأعده لشر طويل.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا علي بن عبيد الله الطوسي، قال: قال معاوية بن هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: لم بلغ فيكم للأحنف بن قيس ما بلغ؟ قال: إن شئت حدثتك ألفاً، إن شئت حذفت لك الحديث حذفاً، قال: احذفه حذفاً، قال: إن شئت ثلاثاً وإن شئت فاثنتين، وإن شئت فواحدة، قال: ما الثلاث؟ قال: أما الثلاث فإنه لا يشره، ولا يحسد ولا يمنع حقاً. قال: فما الثنتان؟ قال: كان موفقاً للخير معصوماً عن الشر. قال: فما الواحدة؟ قال: كان أشد الناس على نفسه سلطاناً.

أخبرنا ابن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد البنا، قال: أخبرنا عبيد الله بن أحمد، قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان، قال: أخبرنا ابن المنادي، أن إبراهيم بن مهدي الأيلي حدثهم قال: حدثني أحمد بن داود بن زياد الضبي، قال: حدثنا كعب بن مالك

الكوفي، قال: حدثنا عبد الحميد بن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي، عن أبيه، عن الشعبي، قال: قال لي الأحنف بن قيس: يا شعبي، قلت: لبيك، قال: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم، قلت: من هم؟ قال: الآتي إلى مائدة لم يدع إليها، والداخل بين اثنين في حديثهما و لم يدخلاه، والمتآمر على رب البيت في بيته، والمندلق بالدالة على السلطان، والجالس في المجلس الذي ليس له بأهل، والمقبل بحديثه إلى من لا يسمع منه، والطامع في فضل البخيل، والمترل حاجته بعدوه.

قال: يا شعبي، ألا أدلك على الداء الدوي؟ قلت: بلى، قال: الخلق الرديء واللسان البذيء.

قال: قلت له: دلني على مروءة ليس فيها مرزية، فقال: بخ بخ يا شعبي، سألت عظيماً، الخلق الشحيح والكف عن القبيح.

وكان الأحنف يقول: إن من السؤدد الصبر على الذل، وكفى بالحلم ناصراً.

وقال: ما نازعني أحد إلا أخذت من أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

وقال زياد بن الأحنف: قد بلغ من الشرف والسؤدد ما لا تنفعه معه الولاية، ولا يضره العزل.

وقال خالد بن صفوان: كان الأحنف بن قيس يفر من الشرف والشرف يتبعه.

أخبرنا ابن الناصر، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، قال: اشتكى ابن أخي الأحنف إلى الأحنف بن قيس وجع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: قال: حدثنا قبيصة، قال: قيل للأحنف بن قيس: ألا تأتي الأمراء؟ قال: فأخرج جرة مكسورة، فكبها فإذا كسر، فقال: من يجزيه مثل هذا ما يصنع بإتيانهم.

قال محمد بن سعد: كان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير، فوفد عليه الكوفة ومصعب واليها، فتوفي عنده فرؤي مصعب في جنازته يمشي بغير رداء.

ظالم بن عمر بن سفيان، أبو الأسود الدؤلي قال يوسف بن حبيب: الدول من بني حنيفة ساكن الواو، والديل عبد القيس ساكنة الياء، والدؤل في كنانة رهط أبي الأسود الدؤلي.

وقد روى أبو الأسود عن عمر، وعلي، والزبير، وأبي ذر، وعمران بن حصين. واستخلفه عبد الله بن عباس لما خرج من البصرة، فأقره علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يحب علياً رضي الله عنه الحب الشديد، وهو القائل:

يقولون الأرذلون بنو قشير	طوال الدهر لا تنسى عليا
أحب محمدا حباً شديداَ	وعباساً وحمزة الوصيا
فإن يك حبهم رشداً أصبه	ولست بمخطئ إن كان غيا

وهو أول من وضع النحو. قال محمد بن سلام: أول من أسس العربية ووضع قياسها، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم، وأخذ ذلك عنه يحيى بن يعمر.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب العربية، فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي إلى آخر حتى بعث إليه زياد: اعمل شيئاً يكون إماماً نعرف به كتاب الله، فلم يفعل حتى سمع قارئاً يقرأ: "أن الله بريء من المشركين ورسوله" فقال: ما ظننت إن أمر الناس قد صار إلى هذا. وقال لزياد: أبغي كاتباً لقناً يفعل ما أقول، فأتي بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، فأتي بآخر، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقطه فوقه على أعلاه، وإذا ضممت فمي بالحرف فانقطه نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإذا اتبعت شيئاً من ذلك عنة فاجعل مكان النقطة نقطتين، فهذه نقط أبي الأسود.

وروى أبو العباس المبرد، قال: حدثني المازني قال: السبب الذي وضعت له أبواب النحو وعليه أصلت أصوله أن ابنة أبي الأسود قالت له: ما أشد الحر، قال: الحصباء بالرمضاء، قالت: إنما تعجبت من شدته، فقال: أو قد لحن الناس. فأخبر بذلك علياً رضي الله عنه، فأعطاه أصولاً بنى منها، وعمل بعده عليها.

وهو أول من نقط المصاحف، وأخذ النحو عن أبي الأسود عنبسة الفيل، ثم أخذه عن عنبسة ميمون الأقرن، ثم أخذه عن ميمون عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، ثم أخذه عنه عيسى بن عمر، وأخذه عن عيسى الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم أخذه عن الخليل سيبويه، ثم أخذه عن سيبويه الأخفش، وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي.

وروى أبو حامد السجستاني قال: حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال: حدثنا سعيد بن سالم الباهلي، قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي الأسود الدؤلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقاً متفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم لحناً فأردت أن أضع في أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، فأتيته بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها: الكلام كله: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه.

أخبرنا موهوب بن أحمد، ومحمد بن ناصر، والمبارك بن علي، قالوا: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: أخبرنا علي بن أحمد بن عمر الحمامي، قال: أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم، قال: حدثنا محمد بن علي بن إسماعيل الثوري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد يعني الثوري، قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي، ثم ميمون الأقرن، ثم عنبسة الفيل، ثم عبد الله بن أبي إسحاق. قال: ووضع عيسى بن عمر في النحو كتابين سمى أحدهما الجامع، والآخر المكمل. فقال الشاعر:

بطل النحو جميعاً كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر

قال عمر بن شبة: وحدثنا حيان بن بشر، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عاصم، قال: أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، فجاء إلى زياد بالبصرة، فقال: إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم، فتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يعرفون به ويقيمون به كلامهم؟ قال: لا، قال: فجاء رجل إلى زياد، فقال أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال: ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم.

قال الجاحظ: أبو الأسود معدود في طبقات الناس، وهو في كلها مقدم، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والنجلاء والشيعة والصلع الأشراف.

توفي أبو الأسود في هذه السنة، وهو ابن خمس وثمانينسنة.

عامر بن عبد الله وهو الذي يقال له عامر بن عبد قيس: أدرك الصدر الأول، وروى عن عمر، وكان ملازماً للتعبد، غاية في التزهد، وكان كعب الأحبار يقول: هذا راهب هذه الأمة.

أخبرنا ابن ناصر، وعلي بن عمر، قالا: أخبرنا فاروق الله، وطراد، قالا: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني سلمة بن شبيب بن سهل بن عاصم، عن عبد الله بن غالب، عن عامر بن يسياف، قال: سمعت المعلى بن زياد يقول:

كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة، وكان إذا صلى العصر جلس وقد انتفخت ساقاه من طول القيام، فيقول: يا نفس، بهذا أمرت، ولهذا خلقت، يوشك أن يذهب العناء.

وكان يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل سوءة، فوعزة ربك لأزحفن بك زحوف البعير، وإن استطعت ألا تمس الأرض من زهمك لأفعلن، ثم يتلوى كما يتلوى الحب على المقلاة، ثم يقوم فينادي: اللهم إن النار قد منعتني من النوم فاغفر لي.

عمرو بن سعيد بن العاص قتله عبد الملك بن مروان بيده، وقد ذكرنا قصته في الحوادث.

فضالة بن عبيد بن نافذ أبو محمد الأنصاري: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكن الشام، وكان قاضياً لمعاوية، وتوفي في هذه السنة.

يزيد بن ربيعة بن مفرغ أبو عثمان الحميري: سمي جده مفرغاً لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله، فشربه حتى فرغه، فسمي مفرغاً. وكان يزيد شاعراً محسناً غزلاً، والسيد من ولده.

ومدح مروان بن الحكم، فقال:

وأقمتم سوق الثناء ولم تكن ... سوق الثناء تقام في الأسواق

فكأنهما جعل الإله إليكم ... قبض النفوس وقسمة الأرزاق

وكان يزيد يهوى أناهيد بنت الأعنق، وكان الأعنق دهقان من دهاقين الأهواز، فترل مرة بالموصل فزوجوه امرأة، فلما كان اليوم الذي يكون البناء في ليلته خرج يتصيد ومعه غلامه برد، فإذا هو بدهقان على حمار، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من الأهواز، قال: ما فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق؟ فقال: صديقة ابن مفرغ؟ قال: نعم، قال: ما تجف جفوها من البكاء عليه، فقال لغلامه برد: أتسمع؟ قال: نعم، قال: هو بالرحمن كافر إن لم يكن وجهي هذا إليها، فقال لها برد: أكرمك القوم، وزوجوك

كريمتهم، ثم تصنع هذا بهم، وتقدم على ابن زياد بعد خلاصك منه، فقال: دع ذا عنك، هو بالرحمن كافر إن رجع عن الأهواز، ومضى على وجهه إلى البصرة، ثم جعل يختلف إلى الأهواز فيزور أناهيد، وقدم على عبيد الله بن أبي بكرة، فأمر له بمائة ألف درهم، ومائة وصيف، ومائة نجيبة، وكان يزيد قد لزمه غرماؤه بدين عليه، فقال لهم: انطلقوا، فجلس على باب الأمير، فخرج من عند الأمير أبو عمر بن عبيد الله بن معمر، وأبو طلحة الطلحات، فلما رآه قال: أبا عثمان ما أقعدك ها هنا؟ قال: غرمائي هؤلاء قد لزموني بدين، قال: وكم هو؟ قال: سبعون ألفاً، قال: علي منها عشرة آلاف، ثم خرج الآخر فسأله، فقال: علي عشرة آلاف، فجعل الناس يخرجون فيضمن كل واحد منهم شيئاً إلى أن خرج عبد الله بن أبي بكرة، فسأله، فأخبره، فقال: وكم ضمن عنك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: استمتع بها وعلي دينك أجمع.

وكان عم يزيد يعنفه في حب أناهيد، ويعزله ويعيره، فقال له: يا عم، إن لي بالأهواز حاجة، لي على قوم بها ثلاثون ألف درهم، فإن رأيت أن تتجشم العناء معي وتطالب بحقي، فأجابه، فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز، فكتب إلى أناهيد: تهيأي وتزيني واخرجي إلي مع جواريك، فإني موافيك، فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم في هيئتها، فلما رآها عمه قال له: قبحك الله، هلا علقت مثل هذه، قال: يا عم، أو قد أعجبتك؟ قال: ومن لا تعجبه هذه، قال: أبجد منك تقول هذا، قال: نعم والله، قال: فإنها والله هذه بعينها. فقال: إنما أشخصتني لأجلها. قال: نعم، ثم انصرف وأقام هو معها إلى أن مات في زمن الطاعون أيام مصعب بن الزبير.

ثم دخلت سنة سبعين

فمن الحوادث فيها: أن الروم ثارت على من بالشام من المسلمين.

فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين.

وفيها: شخص مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة فقسمها في قومه وغيرهم، وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان، وجبير بن شيبة، وعبد الله بن مطيع مالاً كثيراً، ونحر بدناً كثيرة.

وفيها: حج بلناس عبد الله بن الزبير، وكان عماله على أمصاره عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء، وبالشام عبد الملك بن مروان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

قيس بن الملوح بن مزاحم، وهو مجنون ليلى

وقيل: قيس بن معاذ، وقيل: اسمه البحتري بن الجعدي، وقيل: هو الأقرع بن معاذ، وهو أحد بني جعدة بن كعب بن عامر بن صعصعة، وقيل: هو من بني عقيل بن كعب بن سعد. وقد أنكر قوم وجوده وليس بشيء لأن العمل على المثبت.

وأما ليلى فهي بنت مهدي، وقيل: بنت ورد من بني ربيعة. وتكنى أم مالك، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأدباً وشكلاً.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أحمد بن محمد البخاري، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو محمد البلخي، قال: أخبرني عبد العزيز، عن أبيه، عن ابن دأب، قال: حدثني رجل من بني عامر بن

صعصعة يقال له: رباح، قال: كان في بني عامر جارية من أجمل النساء، لها عقل وأدب يقال لها ليلى بني مهدي، فبلغ المجنون خبرها وما هي عليه من الجمال والعقل، وكان صباً بمحادثة النساء، فعمد إلى أحسن لباسه فلبسها وتهيأ، فلما جلس إليها وتحدث بين يديها أعجبته ووقعت بقلبه، فظل يومه ذلك يحدثها وتحدثه حتى أمسى، فانصرف إلى أهله بأطول ليلة حتى إذا أصبح مضى إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ثم انصرف، فبات بأطول من ليلته الأولى، وجهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك، فأنشأ يقول:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزتني إليك المضاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهم بالليل جامع

فوقع في قلبها مثل الذي وقع في قلبه لها، فجاء يوماً يحدثها، فجعلت تعرض عنه وتقبل على غيره، تريد أن تمتحنه وتعلم ما لها في قلبه، فلما رأى ذلك منها اشتد عليه وجزع، فلما خافت عليه أقبلت عليه وقالت:

كلانا مظهر للناس بغضاً ... وكل عند صاحبه مسكين

فسرى عنه، وقالت: إنما أردت أن أمتحنك، والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك، وأنا معطية الله عهداً إن أنا جالست بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوق الموت إلا أن أكره على ذلك، فانصرف وهو أسر الناس، فأنشأ يقول:

أظن هواها تاركي بمضلة ... من الأرض لا مال لدي ولا أهل

ولا أحد أفضي إليه وصيتي ... ولا صاحب إلا المطية والرحل

محا حبها حب الألى كن قبلها ... وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل

وقد روي لنا في بداية معرفتها قول آخر: أخبرنا ابن نصر، قال: أخبرنا أحمد بن محمد البخاري، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال العمري، عن لقيط بن بكير المحاربي: أن المجنون علق ليلى علاقة الصبي، وذلك أنهما كانا صغيرين يرعيان أغناماً لقومهما، فتعلق كل واحد منهما صاحبه، إلا أن المجنون كان أكبر منها، لم يزالا على ذلك حتى كبرا، فلما علم بأمرهما حجبت ليلى عنه فزال عقله، وفي ذلك يقول:

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

أخبرنا أبو ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار،قال: أخبرنا أبو القاسم التنوخي، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا محمد بن خلف، قال: قال أبو عبيدة: كان المجنون يجلس في نادية قومه وهم يتحدثون، فيقبل عليه بعض القوم فيحدثه وهو باهت ينظر إليه،وهو لا يفهم ما يحدثه به، ثم يثوب عقله فيسأل عن الحديث فلا يعرفه. فحدثه مرة بعض أهله بحديث ثم سأل عنه في غداة غد فلم يعرفه، فقال: إنك لمجنون، فقال:

إني لأجلس في النادي أحدثهم ... فأستفيق وقد غالتني الغول

يهوى بقلبي حديث النفس نحوكم ... حتى يقول جليسي أنت مخبول

قال أبو عبيدة: فتزايد الأمر به حتى فقد عقله، فكان لا يقر في موضع، ولا يأويه رحل ولا يعلوه ثوب إلا مزقه، وصار لا يفهم شيئاً مما يكام به إلا أن تذكر له ليلى، فإذا ذكرت أتى بالبداية، فيرجع عقله.

وقد روينا أن قوم ليلى شكوا منه إلى السلطان فأهدر دمه، فقال: الموت أروح لي، فعلموا أنه لا يزال يطلب غرمهم، فرحلوا، فجاء فأشرف فرأى ديارهم بلاقع، فقصد منزل ليلى فألصق صدره به وجعل يمرغ خديه على ترابه، ويقول:

أيا حرجات الحي حيث تحملوا بذي سلم لا جادكن ربيع

وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى بلين بلى لم تبلهن ربوع

ندمت على ما كان مني ندامة كما يندم المغبون حين يبيع

وقال بعض مشايخ بني عامر: إن المجنون لقي ليلى وقومها قد رحلوا، فغشي عليه، فأقبل فتيان الحي فمسحوا وجهه وأسندوه إلى صدورهم، وسألوا ليلى أن تقف له، فقالت: لا يجوز أن أفتضح، ولكن يا فلانة – لأمة لها – اذهبي إليه وقولي له: ليلى تقرأ عليك السلام، وتقول لك أعزز علي بما أنت فيه، ولو وجدت سبيلاً إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسي، فمضت فأخبرته، فقال: أبلغيها السلام وقولي لها: إن دائي ودوائي أنت، وقد وكلت بي شقاء طويلاً وبكى، وأنشأ يقول:

وكيف ترى ليلى تقول رجال الحي تطمع أن ترى....

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أحمد بن محمد البخاري، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال أبو عمرو الشيباني: لما ظهر من المجنون ما ظهر، ورأى قومه ما ابتلي به اجتمعوا إلى أبيه وقالوا: يا هذا، قد ترى ما ابتلي ابنك به، فلو خرجت به إلى مكة فعاذ ببيت الله، وزار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا الله عز وجل رجونا أن يرجع عقله ويعافيه الله عز وجل، فخرج أبوه حتى أتى إلى مكة، فجعل يطوف به ويدعو له بالعافية وهو يقول:

دعا المجرمون الله يستغفرونه بمكة وهناً أن تمحى ذنوبها

فناديت أن يا رب أول سولتي لنفسي ليلى ثم أنت حبيبها

فإن أعط ليلى في حياتي لا يتب إلى الله خلق توبة لا أتوبها

حتى إذا كان بمنى نادى منادٍ من بعض تلك الخيام: يا ليلى،فخر مغشياً عليه، واجتمع الناس حوله، ونضحوا الماء على وجهه وأبوه يبكي عند رأسه، ثم أفاق وقال:

وداع دعى إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

دعى باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

أخبرتنا شهدة بإسناد لها عن أبي عمرو الشيباني، عن ابن دأب، عن رباح، قال: حدثني بعض المشايخ، قال: خرجت حاجاً حتى إذا كنت بمنى إذا جماعة على جبل من تلك الجبال فصعدت إليهم، فإذا معهم فتى أبيض حسن الوجه وقد علاه الصفار وبدنه ناحل وهم يمسكونه، قال: فسألتهم عنه، فقالوا: هذا قيس الذي يقال له المجنون، خرج به أبوه لما بلي به يستجير له ببيت الله الحرام وقبر

محمد عليه السلام فلعل الله أن يعافيه. قال: فقلت لهم: فما لكم تمسكونه؟ قالوا: نخاف أن يجني على نفسه جناية تتلفه. قال: وهو يقول: دعوني أتنسم صبا نجد، فقال لي بعضهم: ليس يعرفك، لو شئت دنوت منه فأخبرته أنك قدمت من نجد، وأخبرته عنها، قلت: نعم أفعل، فدنوت منه، فقالوا: يا قيس، هذا رجل قدم من نجد. قال: فتنفس حتى ظننت أن كبده قد تصدعت، ثم جعل يسائلني عن موضع موضع وواد واد، وأنا أخبره وهو يبكي، ثم أنشأ يقول:

ألا حبذا نجد وطيب ترابه ... وأرواحه إن كان نجد على العهد

أخبرنا ابن ناصر بالإسناد له عن زياد بن الأعرابي، قال: لما تشبث المجنون بليلى واشتهر بحبها اجتمع إليه أهلها فمنعوه من محادثتها وزيارتها وهددوه وتوعدوه بالقتل، وكان يأتي امرأة فتعرف له خبرها، فنهوا تلك المرأة عن ذلك، فكان يأتي غفلات الحي في الليل، فلما كثر ذلك خرج أبو ليلى ومعه نفر من قومه إلى مروان بن الحكم فشكوا إليه ما ينالهم من قيس بن الملوح، وسألوه الكتاب إلى عامله بمنعه من كلام ليلى، ويتقدم إليه في ترك زيارتها، فإذا أصابه أهلها عندهم فقد أهدر دمه.

فلما ورد الكتاب على عامله بعث إلى قيس وأبيه وأهل بيته، فجمعهم وقرأ عليهم كتاب مروان، وقال لقيس: اتق الله في نفسك لا تذهب دمك هدراً، فانصرف قيس وهو يقول:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرها ... علي يميناً جاهداً لا أزورها

وواعدني فيها رجال أبوهم ... أبي وأبوها خشنت لي صدورها

على غير شيء غير أني أحبها ... وأن فؤادي عند ليلى أسيرها

فلما يئس منها وعلم أن لا سبيل إليها صار شبيهاً بالتائه العقل، وأحب الخلوة وحديث النفس، وتزايد الأمر به حتى ذهب عقله، ولعب بالحصى والتراب، ولم يكن يعرف شيئاً إلا ذكرها، وقول الشعر فيها، وبلغها ما صار إليه قيس فجزعت أيضاً لفراقه، وضنيت ضنى شديداً.

وقد روينا عن يونس النحوي: أن أم قيس سألت ليلى فحضرت عنده ليلاً، وقالت: إن أمك تزعم أنك جننت على رأسي، فقال:

قالت جننت على رأسي فقلت لها ... الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

فبكت معه وتحدثا حتى كاد الصبح أن يسفر، ثم ودعته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

وقد روينا أن أبا المجنون قيده، فجعل يأكل لحم ذراعيه، ويضرب بنفسه الأرض، فأطلقه يدور في الفلاة عرياناً.

ولما زوجت ليلى، وقيل غداً ترحل، قال المجنون ينشد:

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

وروينا أن ليلى لما زوجت جاء المجنون إلى زوجها وهو يصلي في يوم شات، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في نداها

فقال: اللهم إذ حلفتني فنعم، فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، فسقط الجمر مع لحم راحتيه.

وكانت له داية يأنس بها، وكانت تخرج إلى الصحراء فتحمل له رغيفاً وماء، فربما أكله وربما تركه، حتى جاءت يوماً وهو ملقى بين الأحجار ميتاً، فاحتملوه إلى الحي، فغسلوه ودفنوه، ولم يبق في بني جعدة ولا في بني الحريش امرأة إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أشد بكاء، وينشجون أشد نشيج، وحضرهم حي ليلى معزين وأبوها معهم، وكان أشد القوم جزعاً وبكاء عليه، وجعل يقول: ما علمت أن الأمر يبلغ كل هذا، ولكني امرؤ عربي أخاف من العار، وقبح الأحدوثة، فزوجتها وخرجت عن يدي، ولو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده، فما رئي يوماً كان أكثر باكياً منه.

وبينما هم يقلبونه وجدوا خرقة فيها مكتوب:

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت ولا هنيت من عيشك الخفضا
شقيت كما أشقيتني وتركتني أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا
كأن فؤادي في مخاليب طائر إذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم علي فما تزداد طولاً ولا عرضا

ومن أشعاره الرائقة قوله:

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك فإنه شغلي
وأديم لحظ محدثي ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلي

وقوله:

عجبت لعروة العذري أمسى أحاديثاً لقوم بعد قوم
وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا ذا أموت بكل يوم

وقد روينا متقدماً أنه كان يهيم في البرية مع الوحش لا يأكل إلا ما ينبت في البر من بقل، ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها، وطال شعر جسده ورأسه، وألفته الوحش وكانت لا تفر منه، وجعل يهيم حتى بلغ حدود الشام، فإذا ثاب عقله إليه رجع وسأل من يمر من أحياء العرب عن نجد، فيقال له: أين أنت من نجد، قد شارفت الشام، فيقول: فأروني الطريق، فيدلونه.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

فمن الحوادث فيها: مسير عبد الملك بن مروان إلى العراق لحرب ابن الزبير

وكان عبد الملك لا يزال يقرب من مصعب، ويخرج مصعب ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد مهنما إلى موضعه، ثم يعودان. ثم إن عبد الملك خرج من الشام يريد مصعباً من سنة سبعين ومعه خالد بن عبد الله، فقال له خالد: إن وجهتني إلى البصرة وأتبعتني خيلاً

يسيرة رجوت أن أغلبك عليها، فوجهه عبد الملك، فقدمها مستخفياً في مواليه وخاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلي، فأجاره وأرسل إلى عباد بن الحصين – وكان على شرطة ابن معمر، وكان مصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عبيد الله بن عبد الله بن معمر – ورجا عمرو بن أصمع أن يتابعه عباد، فقال له: إني قد أجرت خالداً، وأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهراً، فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه، فقال له عباد: قل له: والله لا أضع لبد فرسي حتى أتيك في الخيل، فقال عمرو لخالد: إني لا أغرك، هذا عباد يأتينا الساعة، ولا والله ما أقدر على منعك؛ ولكن عليك بمالك بن مسمع.

فخرج يركض، عليه قميص قوهي قد حسره عن فخذيه، وأخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالك، فقال: إني قد اضطررت إليك فأجرني، قال: نعم. ووجه مصعب زحر بن قيس مدداً لابن معمر في ألف، ووجه عبد الملك عبد الله بن زياد بن ظبيان مدداً لخالد، فلما وصل علم تفرق الناس فلحق بعبد الملك ودافع مالك بن مسمع عن خالد، وكانت تجري مناوشات وقتال وأصيبت عين مالك بن مسمع فضجر من الحرب، ومشت السفراء بينهم، فصولح مالك على أن يخرج خالد وهو آمن، فأخرجه من البصرة.

فصل ولما جد عبد الملك في قتال مصعب قبل له: لو بعثت غيرك، فقال: إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأي، ولعلي أبعث من له شجاعة ولا رأي له، وأني أجد في نفسي أني بصير بالحرب، شجاع بالسيف إن ألجئت إلى ذلك، ومصعب شجاع ولا علم له بالحرب، ومن معه يخالفه، ومن معي ينصح لي.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد المحسن بن محمد، قال: أخبرنا عبد الكريم بن محمد المحاملي، قال: أخبرنا الدارقطني، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سالم، قال: أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمر بن أبي بكر القرشي، عن عبد الله بن أبي عبيدة، قال: لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب أتته امرأته عاتكة بنت يزيد فبكت وبكى جواريها، فجلس ثم قال: قاتل الله ابن أبي جمعة حيث يقول:

إذا ما أراد الغزو لم يثن همه ... حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه ... بكت وبكى مما عناها قطينها

وسار عبد الملك حتى نزل بمسكن، وكتب إلى شيعته من أهل العراق، ثم جاء مصعب، فلما تراءى العسكران تقاعص بمصعب أصحابه، فقال لابنه عثمان: يا بني، اركب إلى عمك أنت ومن معك فأخبره بما صنع أهل العراق، ودعني فإني مقتول، فقال ابنه: الحق بالبصرة أو بأمير المؤمنين، فقال: والله لا تتحدث قريش أني فررت ولكن أقاتل، فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار، وما الفرار لي بعادة.

فأرسل إليه عبد الملك بأخيه محمد بن مروان يقول له: إن ابن عمك يعطيك الأمان، فقال مصعب: إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً.

فأثخن مصعب بالرمي، ثم شد عليه زائدة بن قدامة فطعنه وقال: يا لثارات المختار، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاحتز رأسه، وقال: إنه قتل أخي، فأتى به عبد الملك فأثابه ألف دينار، فأبى أن يأخذها وقال: إنما قتلته على وتر صنعه بي، فلا آخذ في حمل رأس مالاً.

وكان قتل مصعب على نهر يقال له الدجيل، ثم دعا عبد الملك أهل العراق فبايعوه.

وفي هذه السنة: دخل عبد الملك الكوفة ففرق أعمال العراق على عماله، هذا قول الواقدي.

وقال المدائني: كان ذلك في سنة اثنتين وسبعين.

ولما أتى لكوفة نزل بالنخيلة، ودعا الناس إلى البيعة، ثم ولى قطن بن عبد الله الحارثي الكوفة أربعين يوماً ثم عزله، ثم ولى بشر بن مروان، وصعد المنبر فخطب فقال: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه و لم يغرز بذنبه في الحرم، وإني قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.

واستعمل محمد بن عمير على همذان، ويزيد بن رؤيم على الري، وفرق العمال، وصنع طعاماً كثيراً وأمر به إلى الخورنق، وأذن إذناً عاماً فأكلوا، فقال: ما ألذ عيشنا لو أن شيئاً يدوم، ولكن كما قال الأول:

وكل جديد يا أميم إلى بلى ... وكل امرئ يوماً يصير إلى كان

ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال:

اعمل على مهل فإنك ميت ... واكدح لنفسك أيها الإنسان

فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى ... وكأن ما هو كائن قد كان

وفي هذه السنة: بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً، ووجه خالد عبد الله بن أبي بكرة خليفة له على البصرة، ورجع عبد الملك إلى الشام.

وفيها: افتتح قيسارية.

وفيها: نزع ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف عن المدينة، واستعمل عليها طلحة بن عبيد الله بن عوف، وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة، ثم قدم طارق بن عمرو مولى عثمان، فهرب طلحة وأقام طارق.

وفيها: قام عبد الله بن الزبير بمكة حين بلغه قتل أخيه مصعب، وقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر، إنه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا، أتانا قتل مصعب رحمه الله، فأما الذي أفرحنا أن قتله شهادة، وأما الذي أحزننا أن الفراق للحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن، فلا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الإسلام، وما نموت إلا قعصاً بالرماح، وموتاً تحت ظلال السيوف.

وفيها: حج بالناس عبد الله بن الزبير بن العوام.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن عبد الله وأمه الرباب بنت أنيف الكلبية. كان من أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً، وأجودهم كفاً. ولما دعي لأخيه عبد الله بن الزبير بالخلافة ولى أخاه مصعباً إمارة العراق، فلم يزل على ولايته إلى أن سار إليه عبد الملك بن مروان، فحاربه فقتل. وكان الذي تولى قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان على دجيل عند نهر الجاثليق واحتز رأسه وحمله إلى

عبد الملك، فسجد عبد الملك وقال: واروه فلقد كان من أحب الناس إلي وأشدهم لي لقاء ومودة، ولكن الملك عقيم. فقتل في هذه السنة.

وقال المدائني: قتل يوم الثلاثاء، لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى، أو الآخرة.

وكتب إلى زوجته سكينة بنت الحسين رضي الله عنه بعد خروجه من الكوفة بليال:

وكان عزيزاً إن أبيت وبيننا   حجاب فقد أصبحت مني على عشر

وأبكاهما للعين والله فاعلمي   إذا ازددت مثليها فصرت على شهر

وأبكى لقلبي منهما اليوم أنني   أخاف بأن لا نلتقي آخر الدهر

وقال الماجشون: دخل مصعب على سكينة يوم القتل، فنزع ثيابه، ولبس غلالة، وتوشح بثوب، وأخذ سيفه، فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع، فصاحت: واحزناه عليك يا مصعب، فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها عنه، فقال: أوكل هذا لي في قلبك؟ قالت: وما أخفي أكثر، فقال: لو كنت أعلم هذا كانت لي ولك حال، ثم خرج فلم يرجع.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا عبد الكريم بن محمد الضبي، قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم قال: حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب، قال: حدثنا أبو محلم، قال: لما قتل مصعب بن الزبير خرجت سكينة تطلبه في القتلى، فعرفته بشامة في خده، فأكبت عليه وقالت: يرحمك الله، نعم والله خليل المسلمة كنت، أدركك والله ما قال عنترة:

وحليل غانية تركت مجدلاً   بالقاع لم يعهد ولم يتكلم

فهتكت بالرمح الطويل إهابه   ليس الكريم على القنا بمحرم

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الأزهري، قال: أخبرنا محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن حلف بن المزربان، قال: أخبرنا أبو علي السجستاني، قال: حدثني عبد الله بن سلمويه، قال:

أسر مصعب بن الزبير رجلاً فأمر بضرب عنقه، فقال: أصلح الله الأمير، ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فأتعلق بأطرافك الحسنة، وبوجهك الذي يستضاء به، فأقول: يا رب سل مصعباً فيم قتلني؟ فقال: يا غلام، أعف عنه، فقال: أصلح الله الأمير، إن رأيت أن تجعل ما وهبت لي من حياتي في عيش رخي، قال: يا غلام، أعطه مائة ألف، فقال: أيها الأمير، فإني أشهد الله وأشهدك أني قد جعلت لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً، فقال: له: و لم؟ قال: لقوله فيك:

إنما مصعب شهاب من الل   ه تجلت عن وجهه الظلماء

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أنبأنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، وأحمد بن عبد الله الدوري، قالا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا محمد بن الحسن، عن زافر بن قتيبة، عن الكلبي، قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه: من أشجع العرب؟ فقالوا: شبيب بن قطري، وفلان وفلان، فقال: إن أشجع العرب لرجل جمع بين سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، وأمة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وابنة رباب بن أنيف الكلبي سيد ضاحية العرب وولي العراق خمس سنين، فأصاب ألف ألف، وألف ألف، وألف ألف، وأعطي الأمان

فأبى ومشى بسيفه حتى مات، ذاك مصعب بن الزبير، لا من قطع الجسور مرة ها هنا ومرة ها هنا.

قال المدائني: قتل يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة إحدى وسبعين، وهو ابن خمس وأربعين، وقيل: خمس وثلاثين.

ومن العجائب: قول عبد الملك بن عمير الليثي: رأيت في قصر الإمارة بالكوفة رأس الحسين رضي الله عنه بين يدي عبيد الله بن زياد، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان.

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

فمن الحوادث فيها: ما كان من أمر الخوارج والمهلب.

قال علماء السير: اقتتلت الأزارقة والمهلب بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال، فأتاهم قتل مصعب بن الزبير، فبلغ ذلك إلى الأزارقة قبل المهلب، فنادت الخوارج لعسكر المهلب: ما قولكم في مصعب؟ فقالوا: إمام هدى، قالوا: فما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: نحن براء منه، قالوا: فإن مصعب قد قتل، وستجعلون غداً عبد الملك إمامكم.

فلما كان من الغد بلغ المهلب الخبر، فبايع لعبد الملك، فقالت الخوارج: يا أعداء الله، أنتم أمس تتبرأون منه وهو اليوم إمامكم.

وكان عبد الملك قد ولى على البصرة خالد بن عبد الله، فبعث خالد للمهلب على خراج الأهواز، وبعث أخاه عبد العزيز على قتال الأزارقة، فهزم وأخذت زوجته بنت المنذر بن الجارود، فأقيمت فيمن يزيد، فبلغت مائة ألف، وكانت جميلة، فغار رجل من قومها كان من رؤوس الخوارج، فقال: تنحوا، ما أرى هذه المشركة إلا قد فتنتكم، فضرب عنقها.

وكتب خالد إلى عبد الملك يخبره بما جرى، فكتب إليه: قبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج وهو البصير بالحرب، فإذا أمنت عدوك فلا تعمل فيهم برأي حتى يحضر المهلب وتستشيره فيه.

وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان: أما بعد، فإني قد كتبت إلى خالد بن عبد الله آمره بالنهوض إلى الخوارج، فسرح إليه خمسة آلاف رجل، وابعث عليهم رجلاً ترضاه، فإذا قضوا غزاتهم تلك صرفتهم إلى الري فقاتلوا عدوهم.

فقطع على الكوفة خمسة آلاف، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وقال: إذا قضيت غزاتك هذه فانصرف إلى الري، وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز، فقال له المهلب: إني أرى ها هنا سفناً كثيرة، فضمها إليك، فوالله ما أرى القوم إلا محرقيها، فما لبث إلا ساعة حتى أقبلت خيل من خيلهم فحرقتها. وبعث خالد المهلب على ميمنته، وداود بن قحذم على ميسرته، ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد و لم يخندق، فقال له: يا ابن أخي ما يمنعك من الخندق، فقال: والله لهم أهون علي من ضرطة الحمار، قال: فلا يهونوا عليك فإنهم سباع العرب، لا أبرح أو تضرب عليك خندقاً.

فأقاموا نحو عشرين ليلة، ثم إن خالداً زحف إليهم بالناس، فرأوا عدداً هائلاً، فولوا وأخذ المسلمون ما في عسكرهم، واتبعهم خالد وداود في جيش من أهل البصرة يقتلونهم، وانصرف عبد الرحمن إلى الري، وأقام المهلب بالأهواز، وكتب خالد إلى عبد الملك يخبره بأن المارقين انهزموا وتبعهم فقتل من قتل منهم، وقد تبعهم داود بن قحذم.

فكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان: أما بعد فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة، فإن خالداً كتب يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم، فمر صاحبك الذي تبعث أن لا يخالف ابن قحذم إذا التقيا.

فبعث بشر عتاب بن ورقاء على أربعة آلاف من أهل الكوفة، فخرجوا فالتقوا بداود فتبعوا القوم إلى أن نفقت عامة خيولهم، ورجعوا إلى الأهواز.

وفي هذه السنة: خرج أبو فديك الخارجي فغلب على البحرين فبعث خالد بن عبد الله أخاه أمية بن عبد الله بجند، فهزمهم أبو فديك، فرجع أمية إلى البصرة.

وفي هذه السنة: وجه عبد الملك الحجاج بن يوسف إلى مكة لقتال ابن الزبير وكان السبب في توجيهه الحجاج دون غيره، أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام قام إليه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته، فابعثني إليه وولني قتاله. فبعثه فخرج في ألفين من أهل الشام في جمادى سنة اثنتين وسبعين فلم يعرض للمدينة، فسار حتى نزل الطائف، فكان قدومه الطائف في شعبان، وقد كتب عبد الملك لأهل مكة الأمان إن دخلوا في طاعته، وكان الحجاج يبعث البعوث إلى عرفة في الخيل، ويبعث ابن الزبير بعثاً فيقتتلون هناك، وفي كل ذلك تهزم خيل ابن الزبير ويرجع الحجاج بالظفر.

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه، ويخبره أن شوكته قد قلت، وقد تفرق عنه عامة أصحابه ويسأله أن يمده برجال.

فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج، فلما دخل شهر ذي العقدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون، وحصر ابن الزبير لهلال ذي القعدة. وكان قدوم طارق مكة لهلال ذي الحجة، و لم يطف بالبيت و لم يصل إليه وهو محرم، وكان يلبس الحجاج السلاح، ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل ابن الزبير.

ونحر ابن الزبير بدناً بمكة يوم النحر، و لم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة، ونحر أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون إلى بئر ميمون.

وحج الحجاج بالناس و لم يطف بالبيت، وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك، وعلى الكوفة بشر بن مروان، وعلى قضائها عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى البصرة خالد بن عبد الله، وعلى قضائها هشام بن هبيرة.

ذكر قصة جرت لطارق بن عمرو مع سعيد بن المسيب

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا علي بن أحمد السري، عن أبي عبد الله بن بطة العكبري،قال: حدثني أبو صالح محمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، عن وهب بن وهب، عن عبد الله بن العلاء بن زيد، عن علي بن الحسين رضي الله عنهما، قال:

ولى علينا عبد الملك بن مروان طارقاً مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه. قال علي: فمشيت إلى سالم بن عبد الله بن عمر، وإلى القاسم بن محمد بن أبي بكر، وإلى أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، فقلت: اذهبوا بنا إلى هذا الرجل نسلم عليه وندفع بذلك

عن أنفسنا. قال: فأتيناه فسلمنا عليه فأجلسنا عنده، ثم قال لنا: أيكم سعد بن المسيب؟ قال: فكلمه القاسم بن محمد، فقال له: أصلحك الله، إن سعيد بن المسيب قد رفعت عنه الولاة إتيانها، وقد ألزم نفسه المسجد، فليس يبرح منه، قال: رغب أن يأتيني، والله لأقتلنه، والله لأقتلنه، والله لأقتلنه – ثلاثاً – قال القاسم: فضاق بنا المجلس حتى قمنا، فجئت المسجد فتطلعت فيه فإذا سعيد بن المسيب عند اسطوانته جالس، فدخلت عليه فأخبرته بما كان وقلت له: أرى لك أن تخرج الساعة إلى مكة فتعتمر وتقيم بها، قال: ما حضرتني في ذلك نية، وإن أحب الأعمال إلي ما نويت، فقلت له: فإني أرى أن تخرج إلى بعض منازل إخوانك فتقيم فيه حتى ننظر ما يكون من الرجل، قال:فكيف أصنع بهذا الداعي الذي يدعوني في كل يوم وليلة خمس مرات، والله لا دعاني إلا أجبته على أي حال كان، قلت له: فإني أرى أن تقوم من مجلسك هذا فتجلس إلى بعض هذه الأساطين فإنك إن طلبت فإنك تطلب عند اسطوانتك. قال: و لم أقوم من موضعي هذا الذي قد أتاني الله فيه العافية من كذا وكذا سنة، قلت له: رحمك الله، أما تخاف على نفسك كما يخاف الناس؟ فقال لي: والله لا أحلف بالله كاذباً ما خفت شيئاً سواه، قلت له: فبماذا أقوم من عندك رحمك الله، فقد غممتني، فقال: تقوم بخير، أسأل الله رب العرش العظيم أن ينسيه ذكري.

قال: فانصرفت من عنده فجعلت أسأل فرط الأيام هل كان في المسجد خبر؟ فلا أخبر إلا بخير. قال: فأقام علينا والياً سنة لا يذكره ولا يخطر بباله حتى إذا عزل وصار بوادي القرى من المدينة على خمس مراحل، قال لغلامه وهو يوضئه: ويحك أمسك، واسوءتاه من علي بن الحسين، ومن القاسم بن محمد، ومن سالم بن عبد الله، ومن أبي سلمة بن عبد الرحمن، حلفت بين أيديهم ثلاثة أيمان لأقتلن سعيد بن المسيب، والله ما ذكرته إلا في ساعتي هذه، فقال له غلامه: يا مولاي تأذن لي أن أكلمك؟ قال: نعم، قال: فما أراد الله لك خيراً مما أردت لنفسك إذ أنساك ذكره. فقال له: اذهب فأنت حر.

وفي هذه السنة: كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمي يدعوه إلى بيعته ويطعمه خراسان سبع سنين، فقال للرسول: لولا أن أضرب بيني وبين بني سليم وبني عامر لقتلتك، ولكن كل هذه الصحيفة فأكلها.

وكتب عبد الملك إلى بشير بن وشاح، وكان خليفة ابن خازم على مرو وعلى خراسان، فوعده ومناه فخلع بكير عبد الله بن الزبير، ودعا إلى عبد الملك فأجابه أهل مرو، وبلغ بن خازم فخاف أن يأتيه بكير بن وشاح بأهل مرو، فبرز له فاقتتلوا، فقتل ابن خازم وبعث برأسه إلى عبد الملك.

وبعضهم يزعم أنه إنما كتب عبد الملك إلى ابن خازم بعد قتل ابن الزبير، ونفذ رأس ابن الزبير إليه، فحلف ابن خازم أن لا يعطيه طاعة أبداً، ودعا بطست فغسل الرأس وحنطه وكفنه وصلى عليه، وبعث به إلى أهل ابن الزبير بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب. وقيل: بل قطع يديه ورجليه وضرب عنقه.

ذكر من توفي هذه السنة من الأكابر

عبيدة السلماني المرادي الهمداني ويكنى أبا مسلم، ويقال: أبا عمرو: أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين. وسمع من عمرو بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن الزبير، ونزل الكوفة. وروى عنه الشعبي، والنخعي. وحضر مع علي رضي الله عنه وقعة الخوارج بالنهروان، وكان يوازي شريحاً في القضاء، فإذا أشكل على شريح شيء دلهم عليه، وأتاه غلامان بلوحين فيهما كتاب يتخايران، فقال: إنه حكم، وأبي.

وكان من أصحاب عبد الله الذين يقرئون ويفتون.
قال ابن سيرين: ما رأيت رجلاً كان أشد توقياً من عبيدة. قال: وأدركت الكوفة. وبها أربعة ممن يعد بالفقه، فمن بدأ بالحارث بن قيس ثنى بعبيدة، ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحارث، ثم علقمة، وشريح الرابع.
توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

فمن الحوادث فيها:

مقتل عبد الله بن الزبير

قد ذكرنا أن ابن الزبير حصر لهلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين، وما زال الحجاج يحصره ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة. وكانوا يضربونه بالمنجنيق.
قال يوسف بن ماهك: رأيت المنجنيق يرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت كالرعد، فأعظم ذلك أهل الشام فأمسكوا أيديهم، فرفع الحجاج حجر المنجنيق فوضعه ثم قال: ارموا، ثم رمى معهم، ثم جاءت صاعقة تتبعها أخرى، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، فانكسر أهل الشام، فقال الحجاج: لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة، هذه صواعق تهامة، هذا الفتح قد حضر، فصعقت من الغد صاعقة، فأصيب من أصحاب ابن الزبير عشرة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون.
أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عمر بن عبيد الله البقال، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: أخبرنا الحميدي، قال :حدثنا سفيان، قال: كانوا يرمون المنجنيق من أبي قبيس ويرتجزون:

خطارة مثل الفنيق المزبد ... أرمي بها أعواد هذا المسجد

قال: فجاءت صاعقة فأحرقتهم، فامتنع الناس من الرمي فخطبهم الحجاج فقال: ألم تعلموا أن بني إسرائيل كانوا إذا قربوا قرباناً فجاءت نار فأكلته علموا أنه قد تقبل منهم، وإن لم تأكله قالوا لم تقبل، فما زال يخدعهم حتى عادوا فرموا.
قال علماء السير: فلم تزل الحرب إلى قبيل مقتل ابن الزبير، فتفرق عامة أصحابه وخذلوه، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان حتى ذكر أن ولديه حمزة وحبيب أخذوا لأنفسهما أماناً، فدخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء حين رأى من الناس ما رأى من الخذلان، فقال لها: خذلتني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، وقد قتل عليك أصحابك، ولا تمكن من رقبتك فينقلب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك. وإن قلت: كنت على الحق فلما وهن أصحابك ضعفت، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلدوك في الدنيا! القتل القتل أحسن.

فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله عز وجل أن تستحل حرمته، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك في مثل ذلك، فانظري يا أمي فإني مقتول في يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي الأمر لله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عمداً بفاحشة، ولم يجر في حكم الله عز وجل، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي عز وجل، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني. فقالت: إني لأرجو من الله عز وجل أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني، أخرج حتى أنظر ما يصير أمرك، فقال: جزاك الله يا أماه خيراً، ولا تدعي الدعاء لي قبل وبعد.
فقالت: لا أدعه أبداً، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق. ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب في الظلماء، وذلك الصوم في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبي، اللهم إني قد أسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.
وفي رواية أخرى: أنه دخل عليها وعليه الدرع والمغفر، فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها، فقالت: هذا وداع فلا تقعد، فقال: جئت مودعاً، إني لأرى هذا آخر أيامي من الدنيا، واعلمي يا أماه أني إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي، قالت: صدقت يا بني، أتمم على نصرتك، ولا تمكن ابن أبي عقيل منك، ادن مني أودعك. فدنا منها فودعها وقبلها وعانقها، وقالت حيث مست الدرع: ما هذا صنيع من يريد من تريد، قال: ما لبست هذا الدرع إلا لأشد منك، قالت: فإنه لا يشد مني.
ثم انصرف وهو يقول:

إني إذا أعرف يومي أصبر ... إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

ثم إن القوم أقاموا على كل باب رجالاً وقائداً، فشحنت الأبواب بأهل الشام، وكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم، فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية، ومرة في هذه الناحية، كأنه أسد لا يقدم عليه الرجال، وقالت لابن الزبير زوجته: اخرج أقاتل معك؟ فقال: لا، وأنشد:

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى المحصنات جر الذيول

فلما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير الأبواب، وبات ابن الزبير يصلي ليلته، ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى، ثم انتبه، فقال: أذن يا سعد، فأذن عند المقام، وتوضأ ابن الزبير، وركع ركعتي الفجر ثم تقدم، وأقام المؤذن، فصلى بأصحابه، فقرأ: "ن والقلم". وقال: من كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول، وأنشد:

ولست بمبتاع الحياة بسبة ... ولا مرتق من خشية الموت سلما

ثم قال: احملوا على بركة الله، ثم حمل حتى بلغ بهم الحجون، فرمي بآجرة فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمي وجهه، فلما وجد سخونة الدم تسيل على وجهه ولحيته، قال يرتجز:

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وتغاووا عليه فقتل.

وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وسار حتى وقف عليه ومعه طارق بن عمرو، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا فبعث الحجاج رأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو إلى المدينة، فنصبت بها، ثم ذهب بها إلى عبد الملك، وسيأتي تمام قصة ابن الزبير في ذكر من مات في هذه السنة.

وفي هذه السنة: اجتمع الناس على عبد الملك فكتب إليه ابن عمرو، وأبو سعيد، وسلمة بن الأكوع بالبيعة، وكان عبد الملك يجلس للناس في كل أسبوع يومين.

أخبرنا ابن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا أبو العباس الكديمي، قال: أخبرنا السلمي، عن محمد بن نافع مولاهم، عن أبي ريحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان، قال: كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوساً عاماً، فبينا هو جالس في مستشرف له وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصة غير مترجمة فيها: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته تغنيني ثلاثة أصوات ثم ينفذ في ما يشاء من حكمه.

فاستشاط من ذلك غضباً، وقال: يا رباح، علي بصاحب هذه القصة، فخرج الناس جميعاً وأدخل عليه غلام كما أعذر كأهنأ الصبيان وأحسنهم، فقال له عبد الملك: يا غلام هذه قصتك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي غرك مني، والله لأمثلن بك، ولأردعن بك نظرائك من أهل الجسارة، علي بالجارية، فجيء بجارية كأنها فلقة قمر، وبيدها عود، فطرح لها كرسي وجلست، فقال عبد الملك: مرها يا غلام، فقال: غني لي يا جارية بشعر قيس بن ذريح:

لقد كنت حسب النفس لو دام أو دنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة بظهور

فغنته وأجادت، فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقاً، ثم قال له عبد الملك: مرها تغنيك الصوت الثاني، فقال: غني بشعر جميل:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادي القرى إني إذاً لسعيد
إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي ... من الحب قالت ثابت ويزيد
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به ... مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فلا أنا مردود بما جئت طالباً ... ولا حبها فيما يبيد يبيد
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ... ويحيا إذا فارقتها فيعود

فغنته الجارية وسقط مغشياً عليه ساعة، ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مرها فلتغنك الصوت الثالث. فقال: يا جارية غني بشعر قيس بن الملوح:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجزة ... غزال غضيض المقلتين ربيب

فلا تحسبي أن الغريب الذب نأى ولكن من تنأين عنه غريب

فغنته الجارية، فطرح الغلام نفسه من المستشرف فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع. فقال عبد الملك: ويحه لقد عجل على نفسه، ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل، وأمر فأخرجت الجارية من قصره، ثم سأل عن الغلام، فقالوا: غريب لا يعرف، إلا أنه منذ ثلاث ينادي في السوق ويده على رأسه:

غداً يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعدا

وفي هذه السنة: وجه عبد الملك عمر بن عبيد الله لقتال أبي فديك وأمره أن ينتدب معه من أحب، فقدم الكوفة فندب أهلها، فانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم أعطياتهم، ثم سار بهم، فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة، وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله، وهو في القلب، حتى انتهوا إلى البحرين، فصف عمر أصحابه، وقدم الرجالة في أيديهم الرماح، فحمل أبو فديك وأصحابه حملة واحدة فكشفوا ميسرة عمر، فارتث عمر، وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة، واستباحوا عسكر العدو، وقتلوا أبا فديك، وحصروهم، فنزلوا على الحكم، فقتلوا منهم نحواً من ستة آلاف، وأسروا ثمانمائة، وانصرفوا إلى البصرة.

وفيها: عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة.

وفيها: غزا محمد بن مروان الصائف، وهزم الروم.

وكانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية، وكان في أربعة آلاف، والروم في ستين ألفاً فهزمهم وأكثر القتل فيهم.

وفي هذه السنة: حج بالناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة، وكان على الكوفة والبصرة بشر بن مروان.

وبعضهم يقول: كان على الكوفة بشر، وعلى البصرة خالد بن عبد الله، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى خراسان بكير بن وشاح.

وقد ذكرنا في الحوادث ما فعل عبد الله بن خازم، فأقره عبد الملك على خراسان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسماء بنت أبي بكر الصديق أسلمت قديماً، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي ذات النطاقين.

وذلك أنها شقت نطاقها نصفين حين أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى الغار، فجعلت واحداً لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر عصاماً لقربته.

تزوجها الزبير وولدت عبد الله، وعروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر، وخديجة، وأم الحسن، وعائشة، وطلقها. وكانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها. وماتت في هذه السنة بعد أن قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال.

بشر بن مروان بن الحكم أخو عبد الملك: ولي الولايات. أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم الجبري، قال: أخبرنا علي بن الحسن بن الفضل، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن خالد الكاتب، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهري، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثني الزبير بن بكار، عن القاسم بن عدي، عن أبيه، قال: قال لي

يتاذوق الطبيب الذي كان للحجاج – وكان قد أدرك كسرى بن هرمز، وأدرك الحجاج، أتت عليه ثلاثون ومائة سنة – قال: قال لي أمير من أمراء العراق و لم يسمه – قال الهيثم: وظنناه يعني بشر بن مروان، وذلك أن بشراً مات بالعراق وهو أميرها: يا يتاذوق، ما ترى هذه العلة قد طالت بي؟ فقلت: أصلح الله الأمير، لا يستقيم أن أصف لك شيئاً حتى أستبرىء ما بك، وإن أحب الأمير أن أستبرىء ذلك فليدع بي على ريق النفس.

فلما كان من الغد دعا بي، فدخلت عليه واضجعته على حصير ليس تحته ولا تحت رأسه شيء، فجسست ما بين أخمص قدميه إلى هامته، ثم قلت: اجلس أيها الأمير، فجلس، فقلت: أيما أحب إليك أيها الأمير، الصدق أم الكذب؟ قال: ما حاجتي إلى الكذب، بل الصدق أحب إلي، قلت: أيها الأمير، إن الله عز وجل كتب الفناء على خلقه فهم ميتون، فاعهد عهدك واكتب وصيتك. قال: يا يتاذوق، قد نعيت إلى نفسي. قلت: أيها الأمير، إن أردت أريك إمارة ما قلت؟ قال: نعم، قلت: فادع لي بلحم أحمر، فدعى بمسلوخ، فأخذت قطعة من لحم الفخذ حراء، فرققتها حتى جعلتها مثل قشر البيض، ثم ثقبت فيها ثقباً وجعلت فيه خيط إبريسم دقيق، ثم قلت: ازدردها أيها الأمير، فازدردها فتركتها في جوفه ساعة، ثم جذبتها بالخيط فأخرجتها فإذا هي مملوءة دوداً، فقلت: أيها الأمير، ما بقاء جوف هذا فيه، فقال: يا يتاذوق، وأنى أصابني هذا، فوالله لقد قدمت مصركم هذا فكتبت نفسي من الحر والبرد، فقلت: أيها الأمير، منها أتيت، قدمت هذا المصر فكتبت نفسك في الشتاء باللبود والنيران، فلم يصل إليك البرد، وكتبته في الصيف بثياب الكتان والماء والثلج فلم يصل إليك الحر فتفكك جوفك، والأبدان لا تقوم إلا بالحر والبرد وإن أذاها.
قال: فوالله ما عاش بعد هذا الكلام إلا ثلاثة أيام حتى مات.

صفوان بن محرز المازني كان من كبار العباد الصالحين. وأسند عن ابن عمر، وأبي موسى، وعمران بن حصين في آخرين.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا المعلى بن راشد، قال: أخبرنا جعفر، قال: أخبرنا المعلى بن زياد الفردوسي، قال: كان لصفوان سرب يبكي فيه.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا علي بن محمد الخطيب، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: حدثنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني شريح بن يونس، قال: حدثنا عثمان بن مطر، عن هشام بن حسان، عن الحسن، قال: لقيت أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم ولقد لقيت أقواماً كانوا من حسناهم أشفق ألا تقبل منهم من سيئاتكم، ولقد صحبت أقواماً كان أحدهم يأكل على الأرض وينام على الأرض، منهم صفوان بن محرز المازني، كان يقول: إذا آويت إلى أهلي وأصبت رغيفاً أكلته، فجزى الله الدنيا عن أهلها خيراً، والله ما زاد على رغيف حتى فارق الدنيا، فيظل صائماً ويفطر على رغيف ويشرب عليه من الماء حتى يتروى، ثم يقوم فيصلي حتى يصبح، فإذا صلى الفجر أخذ المصحف فوضعه في حجره يقرأ حتى يترجل النهار ثم يقوم فيصلي حتى ينتصف النهار، فإذا انتصف النهار رمى بنفسه على الأرض فنام إلى الظهر، وكانت تلك نومته حتى فارق الدنيا، وكان إذا صلى الظهر قام فصلى إلى العصر، فإذا صلى العصر وضع المصحف في حجره، فلا يزال يقرأ حتى تصفر الشمس.

عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن أسلم بمكة مع أبيه وهو صغير قبل أن يبلغ، وهاجر مع أبيه، وشهد غزوة الخندق وما

بعدها، وحضر يوم القادسية ويوم جلولاء وما بينهما من وقائع الفرس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عبد الله رجل صالح".

وقال جابر بن عبد الله: ما أدركنا أحداً إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر.

وقالت عائشة: ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر.

وقال سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر.

وقال طاووس: ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر، وكان يقول في سجوده: قد تعلم أنه ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال :أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن زيد بن الحريش، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: اجتمع في الحجر أربعة: مصعب، وعروة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم. وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر له.

أخبرنا عبد الله بن علي المقري، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا طراد بن محمد، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا أبو علي بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدثني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان العامري، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن طارق بن عبد العزيز، عن الشعبي، قال: لقد رأيت عجباً، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القوم بعدما فرغوا من حديثهم: ليقم رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله حاجته، فإنه يعطى سؤله، قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولد في الهجرة، فقام فأخذ بالركن اليماني، ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة بيتك وحرمة نبيك عليه السلام ألا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة. وجاء حتى جلس،فقالوا: قم يا مصعب، فقام فأخذ بالركن اليماني، فقال:اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين، وجاء حتى جلس، فقالوا: قم يا عبد الملك، فقام فأخذ بالركن اليماني، فقال: اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ذات النبت بعد القفر أسألك ما سألك عبادك المطيعين لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وبحق الطائفين حول بيتك ألا تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الأرض وغربها، ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء حتى جلس، ثم قالوا: قم يا عبد الله بن عمر، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك رحمن رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ألا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة.

قال الشعبي: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم قد أعطي ما سأل، وبشر عبد الله بن عمر بالجنة، ورأيت له.

أخبرنا ابن حبيب العامري، قال: أخبرنا علي بن الفضل، قال: أخبرنا ابن عبد الصمد، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا إبراهيم بن خريم، قال: أخبرنا عبد الحميد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي عمرو بن حماس، عن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: خطرت هذه الآية: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" فذكرت ما أعطاني فما

وجدت شيئاً أحب إلي من جاريتي رميثة، فقلت: هي حرة لوجه الله، فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها، فأنكحها نافعاً، فهي أم ولده.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصفهاني، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه إلى الله عز وجل، قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: من خدعنا بالله انخدعنا له.

قال نافع: ولقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب له قد أخذ بمال، فلما أعجبه مسيره أناخه مكانه ثم نزل عنه، فقال: يا نافع، انزعوا زمامه ورحله وحللوه وأشعروه وادخلوه في البدن. قال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان، وما زاد. وكان يحيي الليل صلاة، فإذا جاء السحر استغفر إلى الصباح، وكان يحيي ما بين الظهر إلى العصر. وكان البر لا يعرف في عمر ولا ابن عمر حتى يقولا أو يعملا.

قال محمد بن سعد: أخبرنا الواقدي، قال: حدثنا عبد الله بن نافع، عن أبيه، قال:

كان زج رمح رجل من أصحاب الحجاج قد أصاب رجل ابن عمر، فاندمل الجرح، فلما صدر الناس انتقض على ابن عمر فدخل الحجاج يعوده، فقال: من أصابك؟ قال: أنت قتلتني، قال: وفيم؟ قال: حملت السلاح في حرم الله فأصابني بعض أصحابك، فلما حضرته الوفاة أوصى ألا يدفن في الحرم، فغلب فدفن في الحرم وصلى عليه الحجاج.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: حدثني أبو عبد الله، قال: مات عبد الله بن عمر سنة ثلاث وسبعين.

وكذلك قال أبو الفضل بن دكين وابن بكير.

وقيل :إنه مات في سنة أربع وسبعين.

وعن سعيد بن عفير قال: في سنة أربع وسبعين مات عبد الله بن عمر بمكة، فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل: إنه دفن بفج وهو ابن أربع وثمانين.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: وفي مقدار عمره قول آخر: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا الخطيب بإسناده عن مالك، قال: بلغ عبد الله بن عمر من السن تسعاً وثمانين سنة.

عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو بكر أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وهو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بعد الهجرة.

ولد بقباء على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة، وأذن أبو بكر في أذنه. ولم يزل مقيماً بالمدينة إلى أن توفي معاوية، فبعث يزيد إلى الوليد بن عتبة يأمره بالبيع، فخرج ابن الزبير إلى مكة، وجعل يحرض الناس على بني أمية، فوجد عليه يزيد إلا أنه مشى ابن الزبير إلى يحيى بن الحكم والي مكة، فبايعه ليزيد، فقال يزيد: لا أقبل حتى يؤتى به في وثاق، فأبى ابن الزبير، وقال: اللهم إني عائذ ببيتك، وجرت حروب، وحوصر ابن الزبير، ثم مات يزيد، فدعى إلى نفسه، وسمي أمير المؤمنين، وولى العمال، واستوثقت له البلاد ما خلا طائفة من الشام فإنهم بايعوا مروان.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه: أن عبد الله بن الزبير رأى في منامه كأنه صارع عبد الملك بن مروان، فصرع عبد الملك، وسمره في الأرض بأربعة أوتاد، فأرسل راكباً إلى البصرة وأمره أن يلقى ابن سيرين ويقص الرؤيا عليه ولا يذكر له من أنفذه، ولا يسمي عبد الملك، فسار الراكب حتى أناخ بباب ابن سيرين وقص عليه المنام، فقال ابن سيرين: من رأى هذا؟ قال: أنا رأيته في رجل بينه وبيني عداوة، قال: ليس هذه رؤياك، هذه رؤيا ابن الزبير أو عبد الملك أحدهما في الآخر، فسأله الجواب، فقال: ما أفسرها أو تصدقني فلم يصدقه، فامتنع من التفسير، فانصرف الراكب إلى ابن الزبير فأخبره بما جرى، فقال: ارجع وأصدقه أني رأيتها في عبد الملك، فرجع الراكب إلى ابن سيرين برسالة ابن الزبير، فصدقه فقال له: قل له: يا أمير المؤمنين، عبد الملك يغلبك على الأرض، ويلي هذا الأمر من ولده لظهره أربعة بعدد الأوتاد التي سمرتها في الأرض.

فلما مات مروان ولي عبد الملك، وأقبل فقتل مصعب بن الزبير، وبعث الحجاج إلى عبد الله فحصره وجرى له ما تقدم ذكره.

قال علماء السير: قتل ابن الزبير يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأول، وصلبه الحجاج على الثنية التي بالحجون، ثم أنزله فرماه في مقابر اليهود، وكتب إلى عبد الملك يخبره، فكتب إليه يلومه، ويقول: ألا خليت أمه تواريه، فأذن لها فوارته.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا يزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، وأبو عامر العقدي، قالوا: حدثنا الأسود بن سفيان، قال: حدثنا نوفل بن أبي عقرب:

أن الحجاج لما قتل ابن الزبير صلبه على عقبة المدينة، فمر به ابن عمر، فوقف فقال: السلم عليك أبا خبيب، أما والله لقد نهيتك عن عدو الله، أما والله ما علمت أنك كنت صواماً قواماً، ثم استنزله الحجاج فرمى به في مقابر اليهود، ثم بعث إلى أمه وقد ذهب بصرها أن تأتيه، فأبت، فأرسل إليها: لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك حتى يأتيني بك، فأرسلت إليه: إني والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني، فأتاه رسوله فأخبره، فقال: يا غلام، ناولني سبتي، فناوله نعليه فانتعل ثم خرج يتوذف حتى أتاها، فدخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، وقد بلغني أنك تعيره فتقول: يا ابن ذات النطاقين، وقد كنت والله ذات النطاقين أما أحدهما فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، وأما النطاق الآخر فإني كنت أرفع فيه طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي من النمل وغيره، فأي ذلك ويل أمك عيرته به، أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنه سيخرج من ثقيف رجلان: كذاب، ومبير". فأما الكذاب فقد رأيناه ابن أبي عبيد، وأما المبير فأنت ذلك، فوثب فانصرف عنها و لم يراجعها.

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا أحمد بن الحسين الباقلاوي، قال: حدثنا أبو علي بن شاذان، قال: حدثنا دعلج، قال: حدثنا محمد بن علي بن زيد، قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: دخلت علي أسماء بنت أبي بكر بعد قتل عبد الله بن الزبير، فقالت: بلغني أنهم علقوا عبد الله منكساً، وعلقوا معه هرة، والله لوددت أني لا أموت حتى يدفع إلي فأغسله وأكفنه وأحنطه ثم أدفنه، فما لبثت حتى جاء كتاب عبد الملك أن يدفع إلى أهله، فأتيت به أسماء فغسلته وكفنته وحنطته ثم دفنته.

وعن أيوب فأحسبه قال: فما عاشت بعد ذلك إلا ثلاثة أيام حتى ماتت.

قال إبراهيم الحربي: قتل الحجاج ابن الزبير وقطعه قطعاً، فغسلته أسماء أمه – وكانت مكفوفة – فكانت تغسله قطعة قطعة، ويوضع

في الأكفان.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن سعد بن الحسين بن سفيان الثوري، قال: أخبرنا حرملة بن يحيى، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: حدثنا سفيان عن منصور بن عبد الرحمن الجمحي، عن أمه، قالت: دخل عبد الله بن عمر المسجد وابن الزبير قد قتل وصلب، فقيل له: هذه أسماء بنت أبي بكر في المسجد فمال إليها وقال: اصبري فإن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عند الله،فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

أخبرنا عبد الحق، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف، قال: أخبرنا أبو بكر بن بشران، قال: حدثنا الدارقطني، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا علي بن مجاهد، قال: حدثنا رياح النوبي أبو محمد مولى آل الزبير، قال: سمعت أسماء بنت أبي بكر تقول للحجاج: إن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم فدفع دمه إلى ابني فشربه، فأتاه جبريل فأخبره فقال: ما صنعت؟ قال: كرهت أن أصب دمك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تمسك النار" ومسح على رأسه، وقال: "ويل الناس منك وويل لك من الناس".

أخبرنا علي بن عبد الله الزغواني، قال: أخبرنا عبد الصمد بن علي بن المأمون، قال: أخبرنا عبيد الله بن محمد بن حبابة، قال: أخبرنا يحيى بن أحمد بن صاعد، قال: أخبرنا عبد الجبار بن العلاء، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا هشام بن عروة، قال: أوصى إلى الزبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة، فكان ينفق من ماله، ويحبس عليهم أموالهم، منهم عثمان، والمقداد، وعبد الرحمن بن عوف. قال: وأوصى إلى عبد الله بن الزبير عائشة وحكيم بن حزام، وقال: اعتد بمكرمتين لم يعتد بهما أحد من الناس، وأوصت له عائشة بحجرتها واشترى حجرة سودة، فصارت له حجرتان من حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم – يعني عبد الله بن الزبير.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

فمن الحوادث فيها:

أن عبد الملك عزل طارق بن عمرو عن المدينة

واستعمل عليها الحجاج بن يوسف:

فانصرف الحجاج إلى المدينة والياً عليها في صفر، فأقام بها ثلاثة أشهر يعبث بأهلها ويتعنتهم ويقول: قتلتم أمير المؤمنين، وبنى بها مسجداً في بني سلمة، فهو ينسب إليه. واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فختم في أعناقهم.

ودعا سهل بن سعد، فقال: ما منعك أن تنصر عثمان؟ قال: قد فعلت. قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه برصاص. وختم في عنق أنس بن مالك، وكلمه بالقبيح.

فلما جاءه كتاب عبد الملك بولاية العراقين أعطى البشير ثلاثة آلاف دينار وهو يقول: الحمد لله الذي أخرجني منها.

وفي هذه السنة: استقضى عبد الملك أبا إدريس الخولاني.

وفيها: نقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير، وأخرج الحجر منها وأعادها إلى بنيانها الأول.

وفيها: ولى عبد الملك المهلب لحرب الأزارقة.

وذلك أنه لما صار بشر إلى البصرة كتب إليه عبد الملك: أما بعد: فابعث المهلب بن أبي صفرة في أهل مصر إلى الأزارقة، ولينتخب من أهل مصر ووجوههم وفرسانهم، فإنه أعرف بهم، وخله ورأيه في الحرب، فإني أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين، وابعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً، وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً، ثم انهض بأهل المصرين واتبعوهم أي وجه توجهوا.

ففعل ذلك، فلما تراءى العسكران برامهرمز لم يلبث الناس إلا عشراً حتى أتاهم نعي بشر، وتوفي بالبصرة.

وقد ذكرنا في رواية: أن بشراً توفي في السنة التي قبلها.

وفي هذه السنة: عزل عبد الملك بكير بن وشاح، وولى أمية بن خالد بن أسد.

وفيها: حج بالناس الحجاج وهو على مكة والمدينة، وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة، وكان على الكوفة والبصرة بشر بن مروان، هذا في رواية. وقد ذكرنا أنه توفي في السنة التي قبلها.

وكان على خراسان أمية بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة.

ذكر من توفي هذه السنة من الأكابر

رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد، أبو عبد الله شهد أحداً والمشاهد بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورمي بسهم في ثندوته يوم أحد، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنزع السهم، فقال: "إن شئت نزعت السهم، والقطبة جميعاً، وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة، وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد". قال: انزع القطبة واشهد لي. ففعل، فانتفض عليه في أول هذه السنة، فمات منه بالمدينة وهو ابن ست وثمانين سنة.

سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الله بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو سعيد الخدري كان من أفاضل الأنصار، استصغر يوم أحد، فرد ثم خرج فيمن يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من أحد، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "سعد بن مالك". قال: قلت: نعم بأبي وأمي، ودنوت منه فقبلت ركبته، فقال: "آجرك الله في أبيك". وكان قتل يومئذ شهيداً.

ثم شهد أبو سعيد الخدري الخندق وما بعدها، وورد المدائن مع علي بن أبي طالب لما حارب الخوارج بالنهروان. وروى عنه من الصحابة: جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن معاذ، قال: حدثنا أبو داود السبخي، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، قال: حدثنا حنظلة بن أبي سفيان، عن لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من أبي سعيد الخدري.

قال أبو موسى محمد بن المثنى: مات أبو سعيد سنة أربع وسبعين.

سلمة الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبد الله بن قشير غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، وشهد الحديبية،

وبايعه تحت الشجرة، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فغزا معه سبع غزوات، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فغزا معه فقتل سبعة أهل أبيات: أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا الضحاك بن مخلد، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع، قال:

خرجت أريد الغابة فلقيت غلاماً لعبد الرحمن بن عوف فسمعته يقول: أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلت: فمن أخذها؟ قال: غطفان. قال: فانطلقت فناديت: يا صباحاه يا صباحاه حتى أسمعت من بين لابتيها. ثم مضيت فاستنقذتها منهم. قال: وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش، أعجلناهم أن يستقوا لشفتهم، فقال: "يا ابن الأكوع، ملكت فأسجح، إنهم الآن في غطفان يقرون". قال: وأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه.

قال ابن سعد: وأخبرنا حماد بن مسعدة، عن يزيد بن أبي عبيدة، عن سلمة بن الأكوع أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في البدو فأذن له.

قال: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد العزيز بن عقبة، عن إياس بن سلمة، قال: توفي أبو سلمة بالمدينة سنة أربع وسبعين، وهو ابن ثمانين سنة.

عمرو بن ميمون الأودي روى عن عمر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، وأبي أيوب، وأبي مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس.

وكان من الصالحين إذ أري ذكر الله عز وجل، وحج ستين حجة.

محمد بن حاطب بن الحارث، أبو القاسم الجمحي وهو أول من سمي في الإسلام بمحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولد في السفينة حين ذهبوا إلى النجاشي، ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه وتفل في فيه ودعا له بالبركة.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي بمكة قي هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

فمن الحوادث فيها: ضرب عبد الملك الدنانير والدراهم وقد روينا أن أول من ضرب الدراهم آدم عليه السلام.

وقد وجدوا دراهم ضرب عليها اسم أردشير بن بابك قبل الإسلام بأكثر من أربعمائة سنة، فضربها عبد الملك ونقش عليها.

وكانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة بالشامي، وكانت العشرة وزن سبعة.

وقيل: ضربها سنة ست وسبعين.

أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا محمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا أبو علي بن الصواف، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثني هارون بن محمد، قال: حدثنا زبير، عن عبد الرحمن بن المغيرة الجزامي، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه: أن عبد الملك أول من ضرب الدنانير والدراهم في سنة خمس وسبعين.

وقال وكيع: وأخبرني محمد بن الهثيم، قال: سمعت ابن بكير يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: أول من ضرب الدنانير عبد الملك، وكتب عليها القرآن.

قال وكيع: وأخبرني ابن أبي خيثمة، عن مصعب بن عبد الله، قال: وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهلية وزنها اليوم في الإسلام مرتين تدور بين العرب، وكان ما ضرب منها ممسوحاً غليظاً قصيراً، وليس فيها كتاب حتى كتبها عبد الملك، فجعل في وجه: قل هو الله أحد، وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله. وطوقها بطوق فضة وكتب فيه: ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا، وفي الطرف الآخر: محمد رسول الله أرسله "بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون".

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن عبيد الله البقال، قال: حدثنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: حدثنا هارون بن معروف، قال: قال أبو سعد: الحجاج أول من ضرب الدراهم البيض، وكتب فيها: "قل هو الله أحد". قال: فقالوا: قاتله الله، أي شيء هذا يحمل الناس على أن يأخذه الجنب والحائض.

قال هارون: وقال سفيان: أول من ضرب الدراهم السود زياد، وأول من ضرب الدنانير عبد الملك بن مروان.

قال إبراهيم النخعي: جعل عمر بن الخطاب وزن عشرة دراهم ستة دنانير، فلما ولي زياد جعل وزن عشرة سبعة.

روى أبو القاسم بن زنجي الكاتب، قال: سمعت وكيعاً يقول: كان القبط يكتبون على القراطيس: بسم الأب والابن والروح القدس، وكذلك على الدراهم، فوقف على ذلك عبد الملك بن مروان فأمر بتغييرها، وأن يكتب عليها من القرآن وغيره. وأدخلت بلاد الروم على حسب ما كانت تدخل، فلما رأى ملك الروم النقش مخلفاً لما كان عليه سأل عنه، فترجم له، فأنكر وأهدى إلى عبد الملك هدية وكتب إليه يسأله أن يجري الأمر في القراطيس على ما كان عليه، فرد الهدية، وأبى ذلك، فبعث إليه ملك الروم يتوعده، فقطع الدنانير عن بلده، فبعث إليه إن تعامل بها المسلمون بعد هذا فافعل، وضرب الدنانير عبد الملك، فأما الدراهم فإنها كانت ثلاثة أصناف: الوافية، وهي النعلية، وزن الواحد مثقال. والصنف الآخر الجزية، وزن الواحد نصف مثقال، وكان يتعامل بها في المشرق. والصنف الثالث الطبرية، وزن العشرة منها ستة مثاقيل، فجمع عبد الملك الثلاثة أصناف عشرة عشرة، فصارت ثلاثين درهماً عدداً، وزنها واحد وعشرون مثقالاً، فصير السبعة عشرة.

ومن الحوادث فيها: غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم.

ولاية الحجاج الكوفة وخطبته في أهلها.

وفيها: ولى عبد الملك بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة، وولى الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان. فقدم الحجاج الكوفة بعد وفاة بشر بن مروان في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة، فجأة، وقد كان بشر بعث المهلب إلى الحرورية فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء، فلما اجتمع الناس هموا به فكشف عن وجهه وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

قال مؤلف الكتاب: قد رويت لنا هذه الحالة مختلفة ونحن نذكرها بطرقها.

أخبرنا أبو المبارك الأنماطي، قال: أخبرنا أبو الحسين، ابن عبد الجبار الصيرفي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد بن سويد.

وأنبأنا علي بن عبيد الله، عن عبد الصمد بن المأمون، عن إسماعيل بن سعيد، قال: خبرنا أبو بكر الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله، قال: حدثنا محمد بن يزيد بن ريان الكلبي، عن عبد الملك بن عمير، قال : لما اشتدت شوكة أهل العراق وطال وثوهم بالولاة يحصبوهم ويقصرون بهم أمر عبد الملك، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخطبهم ثم قال: أيها الناس، إن العراق قد علا لهيبها، وسطع وميضها، وعظم الخطب فيها، فجمرها ذكي وشهابها وري، فهل من رجل ينتدب لهم ذي للاح عتيد، وقلب شديد، فيخمد نيرانها، ويبيد شبانها، فسكت الناس، فوثب الحجاج بن يوسف، وقال: أنا يا أمير المؤمنين، قال: ومن أنت؟ قال: الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم القريتين، قال له: اجلس فلست هناك، ثم أطرق عبد الملك مليا، ثم رفع رأسه، وقال: من للعراق؟ فسكت الناس، فوثب الحجاج وقال: أنا يا أمير المؤمنين، قال: ومن أين أنت؟ قال : من قوم رغبت في مناكحتهم قريش و لم يقيت منهم، وإعادة الكلام مما ينسب صاحبه إلى العي، ولولا ذلك لأعدت الكلام الأول، فقال له: اجلس فلست هناك. ثم أطرق عبد الملك ملياً ورفع رأسه وقال: من لأهل العراق؟ فسكت الناس، فوثب الحجاج فقال: أنا للعراق، يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي أعددت لأهل العراق؟ قال: ألبس لهم جلد النمر، ثم أخوض الغمرات، وأقتحم الهلكات، فمن نازعني طلبته، ومن لحقته قتلته بعجلة وريث، وتبسم وازورار، وطلاقة واكفهرار، ورفق وجفاء، وصلة وحرمان، فإن استقاموا كنت لهم ولياً حفياً، وإن خالفوا لم أبق منهم أحداً، فهذا ما أعددت لهم يا أمير المؤمنين، ولا عليك أن تجربني، فإن كنت للطلى قطاعاً وللأرواح نزاعاً، وللأموال جماعاً، وإلا فاستبدل بي فإن الرجال كثير. فقال عبد الملك: أنت لها، ثم التفت إلى كاتبه، وقال: اكتب عهده، ولا تؤخره، واعطه من الرجال والكراع والأموال ما سأل.

قال عبد الملك بن عمير: فبينا نحن جلوس في المسجد الأعظم بالكوفة إذ أتانا آت فقال: هذا الحجاج بن يوسف وقد قام أميراً على العراق، فاشرأب الناس نحوه، وأفرجوا له إفراجه عن صحن المسجد، فإذا نحن به يتنهنس في مشيته عليه عمامة حمراء متلثماً بها متنكباً قوساً عربياً يؤم المنبر فما زلت أرمقه ببصري حتى صعد المنبر فجلس عليه وما تحدر اللثام عن وجهه، وأهل الكوفة يومئذ لهم حال حسنة وهيئة جميلة، وعز ومنعة، يدخل الرجل منهم المسجد معه عشرة أو عشرون رجلاً من مواليه وأتباعه عليهم الخزوز والقوهية، وفي المسجد رجل يقال له عمير بن ضابئ البرجمي، فقال لمحمد بن عطارد التميمي: هل لك أن أحصبه لك، قال: لا حتى نسمع كلامه، فقال: لعن الله بني أمية حيث يستعملون علينا مثل هذا، ولقد ضيع العراق حيث يكون مثل هذا أميراً عليه، والله لو أن هذا كله كلام ما كان شيئاً.

والحجاج ينظر يمنة ويسرة، حتى إذا غص المسجد بالناس، قال: يا أهل العراق، أني لأعرف قدر اجتماعكم، هل اجتمعتم؟ فقال رجل: قد اجتمعنا أصلحك الله، فسكت هنيهة لا يتكلم. فقال الناس: ما يمنعه من الكلام إلا العي والحصر، فقام الحجاج فحسر لثامه، وقال: يا أهل العراق، أنا الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود، ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

صليت العود من سلفي نزار ... لنصل السيف وضاح الجبين

وماذا يبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزت رأس الأربعين

أخو خمسين مجتمع لشدي ونجدة في مداومة الشؤون

وأني لا يعود إلي قرني غداة العين إلا أي حين

قال أبو بكر: قال أبي: والشعر لسحيم بن وثيل الرياحي، تمثل به الحجاج، والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

وقال:

قد لفها الليل بعصلبي وشمرت عن ساق سمري

أروع خراج من الدوي مهاجر ليس بأعرابي

ما علتي وأنا شيخ رود والنفوس فيها وتر على عود

مثل ذراع البكر أو أشد وتروى مثل حران العود

والله يا أهل العراق ما يغمز جانبي كتغماز التين، ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فرزت عن ذكاء وفتشت عن تجربة، وأجريت من الغابة، وإن أمير المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها عوداً عوداً، فوجدني أمرها عوداً، وأشدها مكسراً، فوجهني إليكم، فرماكم بي. يا أهل الكوفة، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، فإنكم طالما أوضعتم في أودية الفتنة، اضطجعتم في منام الظلال، وسننتم سنن الغي، وأيم الله لألحونكم لحو العود، ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غريبة الإبل، إني والله لا أحلف إلا بررت، ولا أعد إلا وفيت، وإياي هذه الزرافات والجماعات، وقال وما يقول،وكان وما يكون وما أنتم وذاك.

يا أهل العراق، إنما أنتم أهلي "قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم اللهفأذاقها الله لباس الجوع والخوف" فأتاها وعيد القرآن من ربها، فاستوثقوا واعتدلوا ولا تميلوا، واسمعوا وأطيعوا وتتابعوا وبايعوا، واعلموا أنه ليس مني الإكثار، لا الفرار ولا النقار، وإنما هو انتضاء هذا السيف، ثم لا يغمد في الشتاء ولا الصيف حتى يدل الله لأمير المؤمنين عزكم، ويقيم له أودكم وصفوكم، ثم إني وجدت الصدق من البر، ووجدت البر من الجنة، ووجدت الكذب من الفجور، ووجدت الفجور من النار، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وإشخاصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين، قد أمرتكم بذلك وأجلتكم ثلاثاً، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به ويستوفيه مني، لئن تخلف رجل منكم بعد قبض عطائه لأضربن عنقه، ولأنتهبن ماله، ثم التفت إلى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام، أنتم الجند والبطانة والعشيرة، والله لريحكم أطيب من ريح المسك الأذفر، إنما أنتم كما قال الله تعالى: "ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء".
ثم أقبل على أهل العراق، فقال: يا أهل العراق، لريحكم أنتن من ريح الأبخر، وإنما أنتم كما قال الله تعالى: "ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار".
اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام، فقال القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من

بالعراق، من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.

فسكتوا، فقال الحجاج من فوق المنبر: اسكت يا غلام، فسكت القارئ، فقال: يا أهل الشقاق، ويا أهل النفاق، ومساوئ الأخلاق، أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام، هذا أدب ابن أبيه.

قال مؤلف الكتاب: كذا في هذه الرواية، والصواب ابن أذينة. وتأتي في طريق آخر.

والله إن بقيت لكم لأؤدبنكم أدباً سوى أدبه، وليستقيمن لي أو لأجعلن لكل أمرئ منكم في جسده شغلاً، اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام، فقال القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما بلغ موضع السلام صاحوا: وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم نزل فدخل دار الإمارة وحجب الناس ثلاثة أيام، وأذن لهم في اليوم الرابع، فدخل عمير بن ضابئ، فقال: أصلح الله الأمير، إني شيخ كبير وقد خرج اسمي في هذا البعث، ولي ابن هو على الحرب والأسفار أقوى مني وأشجع عند اللقاء، فإن رأى الأمير أن يجعله مكاني ففعل، فقال: انصرف أيها الشيخ راشداً، وابعث ابنك بديلاً، فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، أتعرف هذا؟ قال: لا والله، قال: هذا عمير بن ضابئ الذي أراد أبوه أن يفتك بأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فلم يزل محبوساً في حبسه حتى أصابته الدبيلة، فمات. ثم جاء هذا فوطئ أمير المؤمنين وهو مقتول فكسر ضلعاً من أضلاعه، وأبوه الذي يقول فيما يقول:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

فقال: علي بالشيخ، فلما أتى قال: أما يوم الدار فتشهده بنفسك، وأما في قتال الخوارج فتبعث بديلاً، وأما والله أيها الشيخ إن في قتلك لراحة لأهل المصرين، يا حرسي اضرب عنقه، فضربت عنقه.

قال: وسمع الحجاج صوتاً فقال: ما هذا؟ قالوا: البراجم ينتظرون عميراً، قال: ارموا إليهم برأسه، فرمي إليهم برأسه فولوا هاربين.

قال؛ وكان ابن لعبد الله بن الزبير الأسدي قد سأله أن يشفع له إلى الحجاج أن يأذن في التخلف، فلما قتل عمير خرج و لم ينتظر الإذن، فقال ابن عبد الله بن الزبير في ذلك:

أقول لإبراهيم لما لقيته ... أرى الأمر أمسى مفظعاً متعصبا

تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ ... عميراً وإما أن تزور المهلبا

هما خطتا خسفا نجاؤك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

وإلا فما الحجاج مغمد سيفه ... مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه ... يراها مكان السوق أو هي أقربا

وكم قد رأينا تارك الغزو ناكثاً ... ينكث حنو السرج حتى تحنبا

فلما اتصل الخيل والرجال بالمهلب تعجب وقال: لقد ولي العراق رجل ذكر.

وقد رويت لنا هذه القصة بزيادة ونقصان.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال :أخبرنا أبو القاسم علي بن محسن التنوخي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا عثمان بن مصعب الجندي، قال: حدثنا عبد

الحميد بن سلمة، قال: حدثني أبي، عن مجالد بن عبد الملك بن عمير الليثي قال: كتب روح بن زنباع الجذامي إلى أهل الكوفة: أن أمير المؤمنين لما أمضه اضطرابكم واشتد بلاؤكم، وكثر توثبكم على الولاة تحصبونهم وتقصرونهم ولا تنقادون جمع أهل بيته وأكابرهم ممن لهم البأس والنجدة والعز والعدد والظفر، فقال: أيها الناس، إن العراق قد كدر ماؤها، واملولح عذبها، وعذب ملحها، وسطع لهبها، وبرق وميضها، وثار ضرامها واشتد شعابها، والتاث أفانينها، ودام بأسها، وعظم شررها، وكثر موقدها، فحرها ذكي وخطبها بي، ومرعاها وخيم، قد صدرهم الكبار، ولا يقيم درهم الصغار، فمن ينتدب لهم منكم بسيف قاطع، وفرس راتع، وسنان لامع، وجنان غير خاضع، فيخمد نيرانها، ويبيد شبانها، ويقصم كهولها، ويقتل جهولها حتى يعيش فقيرها، وينتفع بماله غنيها، ويستقر الآيب، ويرجع الغائب، ويجبى الخراج، ويداوى الجراح، وتصفو البلاد، ويسلس القياد، فقد دعرت سلبها، وجهرت لظالمها، وليتكلم رجل يقيم أودهم بسيف أدلب، أو خرج. فسكت الناس، فقام الحجاج بن يوسف، فقال: أنا للعراق يا أمير المؤمنين، قال: ومن أنت؟ قال: أنا الليث المنضام الهزبر المقصام: أنا الحجاج بن يوسف، قال: اجلس فلست هناك. ثم أطرق ملياً، وقال: من للعراق، فقد أطرقت الليوث، ولست أرى أسداً يقصد نحو فريسته، فسكت الناس، فقام الحجاج بن يوسف الثقفي فقال: أنا للعراق يا أمير المؤمنين، قال: ومن أنت؟ قال: أنا الحجاج بن يوسف، معدن العفو والبوار. قال: اجلس فلست هناك، ثم أطرق ملياً فقال: من للعراق، فقد قوي الضعيف، وخضع الشديد، فقام الحجاج فقال: أنا للعراق يا أمير المؤمنين.

فقال: يا ابن يوسف، لكل أمر آلة وقلائد، فما آلتك وقلائدك؟ قال: القتل والعفو، والمكاشفة والمداراة، والحرق والرفق، والعجلة والريث، والإبراق والتبسم، والإرعاد والتنفس، والإبعاد والدنو، والرفق والجفا طوراً والزيارة والصلة آونة، والتجبر والتقمص أحياناً، والحرمان، والترهيب والترغيب ألواناً، ألبس جلد النمر، وسيفاً منيعاً، وتوضعاً في تجبر وخوض غمرات الفنيق، ضحضاح الثمد عند الورود، فمن رمقني حددته، ومن لوى شدقه خدعته، ومن نازعني جذبته، ومن عض منقبة بددته، ومن تغير لونه قتلته، ومن دنا أكرمته، ومن نأى طلبته، ومن ماحكني غلبته، ومن أدركته كسعته، فهذه آلتي وقلادتي، ولا عليك يا أمير المؤمنين أن تجربني، فإن كنت للأعناق قطاعاً، وللأوصال جزاعاً، وللأرواح نزاعاً، وللخراج جماعاً، ولك في هذه الأشياء نفاعاً، وإلا فاستبدل بي غيري، فإن الناس كثير، ومن يسد بهم الثلم قليل.

فقال عبد الملك: أنت لها لله أبوك فتناولها كيف شئت ثم التفت إلى كاتبه، فقال: اكتب له عهداً على العراق جميعاً، وأطلق يده في السلاح والكراع والرجال والأموال، ولا تجعل له علة، وقد كتب عهده يوم الاثنين وهو خارج يوم السبت، فالزموا طاعته يا أهل الكوفة، واحذروا صولته.

فبينا نحن جلوس في المسجد الأعظم بالكوفة إذ أتانا آت، فقال: الحجاج بن يوسف قد قدم أميراً على العراق، فاشرأب الناس نحوه ينظرون إليه، ثم أفرجوا له إفراجة واحدة عن صحن المسجد، وإذا هم به يمشي، عليه عمامة حمراء قد تلثم بها وهو متنكب قوساً له عربية وهو يؤم المنبر، قال: فما زلت أرميه ببصري حتى جلس على المنبر ما يحدر لثامه، ولا ينطق حرفاً، وأهل الكوفة يومئذ ذو حالة حسنة وهيئة جميلة، في عز ومنعة، فكان الرجل يدخل المسجد ومعه الخمسة والعشرة والعشرون من مواليه وأتباعه عليهم الخزوز والقوهية، وفي المسجد يومئذ عمير بن ضابئ البرجمي، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث، ومحمد بن عمير بن حاجب بن زرارة الحنظلي، فابتدرنا عمير، فقال: أحصبه لكم، فقلنا: لا حتى نسمع ما يقول، فأبى عمير إلا أن يحصبه، فمنعناه، فقال: لعن الله بني

أمية حيث يستعملون مثل هذا، وضيع والله العراق حتى صار مثل هذا عليها والياً، فوالله لو كان هذا كله كلاماً ما كان شيئاً. والحجاج ساكت ينظر يميناً وشمالاً، فلما رأى المسجد قد غص بأهله، قال: اجتمعتم، فلم يرد عليه أحد شيئاً، فقال: كأني أرى قدر اجتماعكم، فقال رجل من القوم: قد اجتمعنا أصلح الله الأمير، فسكت هنيهة، فلما رأى القوم أنه لا يحير جواباً قال بعضهم لبعض: ما يمنعه من الكلام إلا العي، وأهووا بأيديهم إلى الحصى ليحصبوه بها، ففطن الحجاج فوثب قائماً وقد أحاط بالمسجد مائتا طائل، ومائتا دارع، ومائتا جاشن، ومائتا سائف، ومائتا رامح، على الطائلة سويد بن عدية العجلي، وعلى الدارعة السكن بن يوسف الثعلبي، وعلى السائفة بدر بن مدركة اليشكري، وعلى البرامجة عطية بن حويرثة الأصبحي، فكان مما راعهم ذلك وأفزعهم، فأومأ الحجاج إلى الطائلة أن اسكتوا فسكتوا، فقال: أفعلتموها يا أهل العراق ويا أهل العير الداجنة أنا الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود عظيم القريتين ابن معتب بن مالك بن عوف بن قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر، ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

صليب العود من سلفي نزار ... كنصل السيف وضاح الجبين

فماذا يغمز الأقران مني ... وقد جاوزت حد الأربعين

أخو خمسين مجتمع أشدي ... وتحددني مداولة الشؤون

يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، لله أبوكم، كأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى، ثم قال:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم

من يلقني يودى كما أودت إرم

قد لفها الليل بعصلبي ... مهاجر ليس بأعرابي

قد شمرت عن ساق سمهري

وأيم الله يا أهل العراق لا يغمز جنابي كتغماز التين، ولا يقعقع لي بالشنان، فلقد فرغت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وأجريت إلى الغاية القصوى، إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نكث كنانته بين يديه، فعجم عيدانها عوداً عوداً فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً، فوجهني إليكم يا أهل العراق والشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، إنكم والله طالما أوضعتم في أودية الفتنة واضطجعتم في منام الضلالة وسلكتم سنن الغي، والله لأقرعنكم قرع المروة، ولألحونكم لحو العود، ولأعصبنكم عصب السلمة والشاة السقيمة،ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، واعلموا أني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أحلق إلا فريت، ولا أحلف إلا نزرت، ولا أبعد إلا شيعت، وإياكم وهذه الزرافات والخرافات والبطالات والمقالات والجماعات، وقتل وقال، وما قال وما يقول، وكان وما يكون، وفيم أنتم وما أنتم وما ذاك، يا أهل الكوفة إنما أنتم أهل "قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف"، وآتاها وعيد القرى من ربها بسوء ما كسبت أيديهم ألا إن الأمور إذا استقرت لا يدركها

إلا كل ذي لب برأيه، وإن خير الرأي ما هدى الله به العبد، وراقبوا الله واعتصموا بحبله، وأعطوا القياد خلفاءكم وأمراءكم من قبل زوال النعمة، ولا تكونوا كالذين لا يعقلون، " ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون"، فليعقل من كان له معقول، فقد أعذر من أنذر، فقد والله حلت بكم بائقة فيها بوائق تتلوها سطوة من سطوات الله تجتاح الأموال، وتهريق الدماء، ثم لا تستطيعون عند ذلك غيرا، ولا تبدلون نعماً.

لا تغروني يا قوم بكم، ولا تسهروني بعد رقدتي، فإني راض بما صفا لي منكم من علانيتكم، ما لم تكن حيلة في سواد هذه الدهماء، ولا تحملوني على أكتافكم بأحجاركم في رقباتكم، وفي كل يوم ما الخبر ما الخبر، إن الحجاج ذو حسام باتر تجتلى به الأوصال، فكم له في كل حي من حرز إلا من استوثقت لنا طاعته، وخلصت لنا مودته، ودامت لنا مقته، فذاك منا ونحن منه، فأما من ركب التراهات وأخذ في النية بعد النية، فهيهات هيهات يا هيهات لأهل المعاصي والنفاق، ألا ترهبون، ويحكم أن تغير عليكم الخيل الملجمة فتترككم أمثال الرقاق المنتفخة المستوسقة الشائلة بأرجلها، ألا وإن نصلي سبك من دماء أهل العراق، فمن شاء فليحقن دمه، ومن أبى أوسعت بالوعة الموت دمه، وفتتت للسباع لحمه، وقامت الرخم على شلوه، وضعت الدعارع بعجمه، فمهلاً يا أهل العراق مهلاً، فإن تميلي بقرن الصعاب، وبذل الرقاب، ولو قل العقاب وتستقل الحروب، ألم تعلموا أني في الحروب ولدت، وفيها تلدت، وفيها فطمت، وفيها قطعت تمائمي، وبليت نواجذي، وصلع رأسي، أفأنتم تجلجلونني أن يكون ذلك حتى يجلجل صم الصناخيد التي هي للأرض أوتاد، ألا وإني قد سست وساسني السائسون، وأدبني المؤدبون.

استوثقوا واستقيموا، وتابعوا وبايعوا، وجانبوا واحذروا واتقوا، واعلموا أنه ليس مني الإكثار ولا الإهذار، ولا مع ذلك الفرار ولا النفار، وإنما هو انتضاء السيف، ثم لا يغمد الشتاء ولا الصيف حتى تفيئوا إلى أمر الله، وتجتمعوا إلى طاعته وطاعة أمير المؤمنين حتى يذل الله له صعبكم، ويقيم أودكم، ويلوي به صغيركم.

ألا وإني وجدت الصدق مع البر، والبر في الجنة، وألفيت الكذب مع الفجور، والفجور في النار. وقد وجهني أمير المؤمنين إليكم وأمرني بإعطائكم عطاياكم، وإشخاصكم إلى مجاهدة عدوكم، وقد أمرت بذلك لكم، وأجلتكم ثلاثاً، وأعطي الله عهداً يأخذه مني ويستوفيه علي، لئن بلغني أن رجلاً تخلف منكم بعد قبض عطائه يوماً واحداً لأضربن عنقه، ولأنهبن ماله. أقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين يا غلام، فقال الكاتب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم. فلم يقل أحد شيئاً، فغضب الحجاج وقال: يا أهل الفتن الداحية، والأهواء الراثية، والألباب الماجنة، أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام، والله لأؤدبنكم غير أدب ابن أذينة - وكان ابن أذينة صاحب شرطة بالكوفة - ولأجعلن لكل امرئ منكم في جسده شغلاً، أعد القراءة يا غلام، فأعاد الكاتب، فلما بلغ قوله: سلام عليكم، قال جميع من في المسجد، وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته، ثم نزل فدخل الدار.

فلما كان اليوم الرابع أتاه عمير بن ضابئ البرجمي ومعه ابنان له وقد ركب معه جماعة من البراجمة ألفا فارس وقالوا له: إن رأيت من الأمير ريب فدماؤنا دون دمك، فقال: أيها الأمير، إني شيخ كبير، وقد خرج اسمي في هذا البعث، وابني هذا أقوى مني على السفر، وأجلد في الحرب، فإن رأى الأمير أن يمن علي بلزوم منزلي، ويقبل ابني بديلاً فعل ذلك موفقاً. فقال: نعم ذلك لك يا شيخ انطلق راشداً وابعث ابنك بديلاً.

فلما ولي قال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، أتعرف هذا الشيخ الذي ناجاك آنفاً؟ قال: لا، قال: هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذي هجا أبوه ابن قطن في حال كلب لهم يقال له قرحان وكان يصيد حمر الوحش، فاستعاره منهم، فلما طلبوه منه منعهم، فركبوا إليه فساؤوه، فأنشأ يقول:

يكلف دوني وفد قرحان شقه ... بطل لها الوجناء وهي حسير

فأردفتهم كلباً فراحوا كأنما ... حباهم تناج الهرمزان أسير

فيا راكباً أما عرضت فبلغن ... ثمامة عني والأمور تدور

فأمكم لا تتركوها وكلبكم ... فإن عقوق الأمهات كبير

إذا ما انتشى من آخر الليل نشوة ... يبيت له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فحبسه في السجن حتى مات، واتخذ حديدة لعثمان ليقتله بها، فعلم بذلك عثمان فحبسه حتى مات في السجن، وقد كان في مرضه قال:

وقائلة لا يبعد الله ضابيا ... إذا اخضر من دهر الشتاء أصائله

وقائلة لا يبعد الله ضابياً ... إذا العرب الرعى تنضت سوائله

وقائلة لا يبعد الله ضابياً ... إذا الكبش لم يوجد له من ينازله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

فلا تتبعوني إن هلكت ملامة ... فليس بعار قتل قرن أنازله

فلما قتل عثمان دخل هذا فيمن دخل عليه يطلب ثأر أبيه، فكسر ضلعاً من أضلاع عثمان وهو يقول: أين تركت ضابياً يا نعثل قال: فقال الحجاج: ردوه، فردوه، فقال: أتشهد يوم الدار بنفسك وتطلب اليوم بديلاً، هلا سألت بديلاً يوم الدار، والله أيها الشيخ إن في قتلك صلاحاً للمصرين، يا حرسي اضرب عنقه، ثم قال: إني والله لجواد بدمه إن قتله غيري، قربوه. فقربوه فضرب عنقه، فإذا رأسه بين رجليه، ثم أخذ بلحيته فهزها وأخذ يتمثل بشعر يزيد بن أبي كاهل اليشكري:

ساء ما ظنوا وقد أبليتهم ... عند غايات المدى كيف أقع

كيف يرجون سقاطي بعد ما ... جلل الرأس بشيب وصلع

رب من أنضحت غيظاً صدره ... قد تمنى لي موتاً لم يطع

وتراني كالشجى في خلقه ... عسراً مخرجه ما ينتزع

ويحييني إذا لاقيته ... وإذا يخلو له الحي رتع

ثم سمع ضوضاء، فقال: ما هذه الضوضاء؟ قالوا: البراجم بالباب تنتظر عميراً، فقال: أتحفوهم برأسه، فرمى بالرأس إليهم، فلما نظروا إليه ولوا هاربين لاحقين بمراكزهم، ثم إنهم ازدحموا على الحسين بن أبي براء التميمي فاستنصروه، فقال: لأمهاتكم الهبل، ألا تتقون الله، تحملونني على إهراق الدماء، والله يترك الحجاج قدماً إلا أوطأها عبد الملك بن مروان، ولا نزل بأحدهم أخرى إلا لحق

بعمير وبمثله، والله يقرن الصعاب، ومر عبد الله بن الزبير الأسدي بابن عم له يقال له إبراهيم، فقال: ما وراءك أبا حبيب، قال: ورائي كل بلية، قتل والله عمير بن ضابئ، النجاء النجاء، وأنشأ يقول:

أقول لإبراهيم لما لقيته — أرى الأمر أمسى هالكاً متشعبا

ترحل فإما أن تزور ابن ضابئ — عميراً وإما أن تزور المهلبا

هما خطتا كره نجاؤك منهما — ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

وإن على الحجاج فيه آلية — بمعدلها ناباً علوفاً، ومحلبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه — رآها مكان السوق أو هي أقربا

وإلا فما الحجاج مغمد سيفه — مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وكم قد رأينا تارك الغزو ناكلاً — ينكب حبو السرج حتى تنكبا

فخرج الناس أرسالاً يؤمون خراسان نحو المهلب، فلما قدموا عليه قال المهلب: اليوم قوتل والله العدو، ويحكم من ولي العراق؟ قالوا له: الحجاج بن يوسف، قال المهلب: وليها والله رجل ذكر، ثم قال: يا أهل العراق لقد داهتكم داهية، ورميتم بالخنة، ولقد مارسكم امرؤ ذكر. وقصوا عليه قصة الحجاج، فقال: والله لقد تخوفت أن يكون القادم عليكم مبير ثقيف، وليخربن دياركم، وليسجد من أبناءكم، وليمزقنكم كل ممزق، اللهم لا تسلطه علينا ولا على أحد من أوليائك إنك على كل شيء قدير.

قال مؤلف الكتاب: وفي رواية أخرى: أن الحجاج لما فرغ من خطبته قال: الحقوا بالمهلب وأتوني بالبراءات بموافاتكم، ولا تغلقوا باب الجسر ليلاً ولا نهاراً، فلما قتل عمير بن ضابئ خرج الناس فازدحموا على الجسر، وخرجت العرفاء إلى النهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة، ولما وصل الحجاج إلى الكوفة بعث الحكم بن أيوب الثقفي أميراً على البصرة وأمره أن يشد على خالد بن عبد الله، فلما بلغ خالد الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم، فنزل الحجاج وتبعه أهل البصرة، فلم يبرح حتى قسم فيهم ألف ألف درهم.

وفي هذه السنة: ثار الناس بالحجاج بالبصرة وذلك أنه خرج من الكوفة بعد أن قتل ابن ضابئ حتى قدم البصرة، فقام فيهم بخطبة مثل التي قام بها في الكوفة، وتوعدهم مثل وعيده أولئك، فأتي برجل من بني يشكر فقيل له: إن هذا عاص، قال: إن بي فتقاً، وقد رآه بشر فعذرني، وهذا عطائي مردود إلى بيت المال، فلم يقبل منه وقتله، ففزع لذلك أهل البصرة، فخرجوا حتى أدركوا العارض بقنطرة رامهرمز، وخرج الحجاج ونزل رستقباذ، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً، فقام في الناس، فقال: إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق، ولست أجيزها، فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدي، فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا، فكذبه وتوعده فخرج ابن الجارود على الحجاج وبايعه وجوه الناس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه، وبعث برأسه ورؤوس عشرة من أصحابه إلى المهلب، ونصبت برامهرمز للناس، وانصرف إلى البصرة، وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن بن مخنف: أما بعد، فإذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج، والسلام.

فلما وصل الكتاب إليهما ناهضا الأزارقة يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان – وقيل: يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان –

فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال، فذهبوا إلى أرض يقال لها كازرون، فسارا وراءهم حتى نزلا بهم في أول رمضان، فخندق المهلب عليه وقال لعبد الرحمن: إن رأيت أن تخندق عليك فافعل، فأبى أصحاب عبد الرحمن، وقالوا: إنما خندقنا سيوفنا، فزحفت الخوارج إلى المهلب ليلاً ليبيتوه، فوجدوه قد أخذ حذره، فمالوا: إلى عبد الرحمن فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل فقتل في جماعة من أصحابه.

وكتب المهلب بذلك إلى الحجاج، فبعث مكانه عتاب بن ورقاء، وأمره أن يسمع للمهلب ويطيع، فساءه ذلك و لم يجد بداً من طاعة الحجاج، فجاء حتى أقام في العسكر وقاتل الخوارج، وكان لا يكاد يستشير المهلب في شيء فأغرى به المهلب رجالاً من أهل الكوفة منهم بسطام بن مصقلة.

وجرى بين المهلب وعتاب يوماً كلام، فذهب المهلب ليرفع القضيب عليه، فوثب إليه ابنه المغيرة، فقبض على القضيب، وقال شيخ من شيوخ العرب: فاحتمله وقام عتاب فاستقبله بسطام يشتمه ويقع فيه، فكتب إلى الحجاج يشكو المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء المصر، فبعث إليه أن أقدم.

وفي هذه السنة: تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس وكان يرى رأي الصفرية وقيل: إنه أول من خرج منهم، وكان صالح هذا ناسكاً عابداً، وله أصحاب يقرئهم القرآن، ويفقههم ويقص عليهم ويقدم الكوفة فيقيم بها الشهر والشهرين، وكان بأرض الموصل، وله كلام مستحسن، وكان إذا فرغ ذكر أبا بكر وعمر فأثنى عليهما، وذكر ما أحدث عثمان وعلي وتحكيمه الرجال، فيتبرأ منهما، ثم يدعو إلى مجاهدة أئمة الضلال، ويقول: تيسروا للخروج من دار الفناء إلى دار البقاء، واللحاق بإخواننا المؤمنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة، ولا تجزعوا من القتل في الله، فإن القتل أيسر من الموت، والموت نازل بكم.

فبينا هو كذلك ورد عليه كتاب شبيب يقول فيه: قد كنت دعوتني يا صالح إلى أمر فاستجبت له، فإن كان ذلك من شأنك فبادر فإنك شيخ المسلمين، وإن أردت تأخير ذلك فأعلمني، فإن الآجال غادية ورائحة، ولا آمن أن تخترمني المنية و لم أجاهد الظالمين، جعلنا الله وإياك ممن يريد الله بعمله.

فأجابه صالح أني مستعد فأقدم، فقدم عليه في جماعة من أهله فواعدهم الخروج في صفر سنة ست وسبعين، ثم قال صالح لأصحابه: اتقوا الله ولا تعجلوا إلى قتال أحد إلا أن يريدوكم فإنكم إنما خرجتم غضباً لله.

وحج صالح في سنة خمس وسبعين ومعه شبيب بن يزيد، وسويد، والبطين وأشباههم.

وفي هذه السنة: حج عبد الملك بالناس فهم شبيب بالفتك به، وبلغ عبد الملك شيء من خبرهم، فكتب إلى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم، وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه، فنبت بصالح الكوفة لما طلبه الحجاج، فتنكبها، ووفد يحيى بن الحكم في هذه السنة على عبد الملك، واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عمرو بن عثمان، فأقر عبد الملك يحيى على ما كان عليه بالمدينة، وعلى الكوفة والبصرة الحجاج، وعلى خراسان أمية بن عبد الله، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة زرارة بن أبي أوفى.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الأسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله، أبو عمرو وهو ابن أخي علقمة بن قيس، وهو أكبر من علقمة.

روى عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، وسلمان، وأبي موسى وعائشة. ولم يرو عن عثمان شيئاً. وكان يصوم الدهر فذهبت إحدى عينيه، وكان لسانه يسود من شدة الحر، فيقال له: لا تعذب هذا الجسد، فيقول: إنما أريد له الراحة.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمرو البرمكي، قال: أخبرنا علي بن عبد العزيز بن مردك، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: حدثنا أبو حميد الحمصي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد، قال: كان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة، يصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: مالي لا أجزع، ومن أحق بذلك مني، والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه مما قد صنعت. إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير، فيعفو عنه فلا يزال مستحيياً منه. قال: ولقد حج الأسود ثمانين حجة.

توفي الأسود بالكوفة، في هذه السنة.

توبة بن الحمير من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن خفاجة: كان شاعراً، وكان أحد عشاق العرب، مشهوراً بذلك، وصاحبته ليلى الأخيلية، وكان يقول فيها الشعر ولا يراها إلا متبرقعة، فأتاها يوماً فسفرت له عن وجهها فأنكر ذلك، وعلم أنها لم تسفر إلا عن حدث، وكان إخوتها قد أمروها أن تعلمهم بمجيئه، فسفرت لتنذره، ففي ذلك يقول:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها

وأول الشعر:

نأتك بليلى دارك لا تزورها ... وشطت نواها واستمر مريرها

يقول رجال لا يضيرك حبها ... بلى كلما شف النفوس يضيرها

أظن بها خيراً وأعلم أنها ... ستنعم يوماً أو يفك أسيرها

حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقاك من الغر الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ... ولا زلت في خضراء دان بريرها

أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما ... أتت حجج من دونها وشهورها

أرتنا حياض الموت ليلى وراقنا ... عيون نقيات الحواشي تديرها

ألا يا صفي النفس كيف تقولها ... لو أن طريداً خائفاً يستجيرها

علي دماء البدن إن كان بعلها ... يرى لي ذنباً غير أني أزورها

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وله أيضاً فيها:

فإن تمنعوا ليلى وحسن حديثها ... فلن تمنعوا عيني البكا والقوافيا

فهلا منعتم إذ منعتم كلامها خيالاً يمسينا على النأي هاديا

يلومك فيها اللائمون نصاحة فليت الهوى باللائمين مكانيا

لعمري قد أسهرتيني يا حمامة العقيق وقد أبكيت ما كان باكيا

ذكرتك بالغور التهامي فأصعدت شجون الهوى حتى بلغن التراقيا

كان توبة يشن الغارة على بني الحارث بن كعب وهمدان، وكانت بين أرض بني عقيل وبني مهرة مفازة، وكان يحمل معه الماء إذا أغار، فغزا هو وأخوه عبد الله وابن عم له فنذروا بهم، فانصرف محققاً، فمر بجيران لبني عوف، فاطرد إبلهم وقتل رجلاً من بني عوف، فطلبوه فقتلوه، وضربوا رجل أخيه فأعرجوه، فبلغ الخبر ليلى، فقالت:

فآليت أبكي بعد توبة هالكاً وأحفل إذا دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالقتل عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعايرة

سليم بن عتر بن سلمة بن مالك هاجر في خلافة عمر بن الخطاب، وحضر خطبته بالجابية. وروى عنه، وشهد فتح مصر، وجمع له بها القضاء والقصص. وكان يسمى الناسك لشدة عبادته، وكان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات، وكان يقول: لما قدمت من البحر تعبدت في غار سبعة أيام بالإسكندرية لم أصب فيها طعاماً ولا شراباً، ولولا أني خشيت أن أضعف لزدت.

روى عنه علي بن رباح، وأبو قتيل، ومسرح بن هاعان وغيرهم.

وتوفي بدمياط في هذه السنة.

صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي البصري وكان ثقة ورعاً عابداً، أسند عن أبي عياض وغيره.

وروى عنه الحسن، وحميد، وهلال.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد أبو علي التميمي، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن جعفر، عن يزيد الرشك، عن معاذة، قالت: كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً.

قال عبد الله: وحدثنا أبي، قال: حدثنا أحمد بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا المسلم بن سعيد الواسطي، قال: حدثنا حماد بن جعفر بن يزيد، أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتمة، فقلت: لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى العتمة ثم اضطجع والتمس غفلة الناس حتى إذا قلت: هدأت العيون، وثب فدخل غيضة قريباً منه، ودخلت في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي.

قال: وجاء أسد حتى دنا منه. قال: فصعدت في شجرة. قال: فتراه التفت أو عند جرواً حتى إذا سجد، فقلت: الآن يفترسه. فجلس ثم سلم، فقال: أيها السبع، اطلب الرزق من مكان آخر، فولى وإن له لزئيراً تصدع منه الجبال، فما زال كذلك. فلما كان الصبح جلس فحمد الله عز وجل بمحامد لم أسمع بمثلها إلى ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا. وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم.

قال: فلما دنونا من أرض العدو قال الأمير: لا يشذن أحد من المعسكر، قال: فذهبت بغلته بثقلها فأخذ يصلي، فقالوا له: إن الناس

قد ذهبوا. فمضى ثم قال: دعوني أصلي ركعتين. فقالوا: الناس قد ذهبوا، قال: إنهما خفيفتان، قال: فدعى ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد بغلتي وثقلها. قال: فجاءت حتى قامت بين يديه.
فلما لقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعناً وضرباً وقتلاً. فكسر ذلك العدو، فقالوا: رجلان من العرب صنعا بنا هذا، فكيف لو قاتلونا. فأعطوا المسلمين حاجتهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: أنبأنا أبو الفتح أحمد بن محمد الحداد، قال: أخبرنا أبو البكر أحمد بن علي، أن أبا أحمد بن محمد بن محمد الحاكم النيسابوري أخبره قال: أخبرني أبو يوسف محمد بن سفيان الصفار، قال: حدثنا سعيد، قال: سمعت بن المبارك، عن السري بن يحيى، قال: حدثنا العلاء بن هلال الباهلي: أن رجلاً من قوم صلة قال لصلة: يا أبا الصهباء إني رأيت أني أعطيت شهدة وأنت شهدتين، فقال: خيراً رأيت، تستشهد وأستشهد أنا وابني. فلما كان يوم يزيد بن زياد لقيهم الترك بسجستان، فكان أول جيش انهزم من المسلمين ذلك الجيش. فقال صلة لابنه: يا بني، ارجع إلى أمك، فقال: يا أبه أتريد الخير لنفسك وتأمرني بالرجوع بل ارجع أنت والله كنت خيراً مني لأمي. قال: أما إن قلت هذا فتقدم، فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده – وكان رجلاً رامياً – حتى تفرقوا عنه، وأقبل يمشي حتى قام عليه، فدعا له، ثم قاتل حتى قتل.
أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابنه، فقال: أي بني، تقدم فقاتل حتى أحتسبك. فتقدم فقاتل حتى قتل، ثم تقدم هو فقتل. فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية، فقالت: إن كنتن جئتن لتنهئنني فمرحباً بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.
قال مؤلف الكتاب رحمه الله: كانت هذه الغزاة في أول إمارة الحجاج.
عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي، أبو عثمان النهدي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يلقه. وأسند عن عمر، وابن مسعود، وأبي موسى، وسلمان في آخرين.
وكان يسكن الكوفة، فلما قتل الحسين تحول إلى البصرة، وقال: لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وهو يعد من المخضرمين: قال: أبو الحسن الأخفش: المخضرم من قولهم: ماء مخضرم. إذا تناهى في الكثرة واتسع، فسمي الذي يشهد الجاهلية والإسلام مخضرماً، كأنه استوفى الأمرين. ويقال: أذن مخضرمة إذا كانت مقطوعة، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام.
وتوفي أبو عثمان بالبصرة في أول ولاية الحجاج، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة.
أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عمر بن عبيد الله البقال، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدثنا عثمان بن أحمد، قال: حدثنا حنبل، قال: حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن أبي عثمان، قال: بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة، ما من شيء إلا قد عرفت النقص فيه إلا أملي كما هو.
ليلى الأخيلية وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية، ومعاوية هو الأخيل بن عبادة بن عقيل: أحبها توبة بن الحمير، وكانت من أشعر النساء، لا يقدم عليها في الشعر غير خنساء. وكانت هاجت النابغة الجعدي، فكان مما هجاها قوله:

فكيف أهاجي شاعراً رمحه أسته | خضيب البنان ما يزال مكحلا

فقالت في جوابه:

أعيرتني هذا بأمك مثله | وأي حصان لا يقال لها هلا

ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت، فقال لها: ما رأى توبة منك حتى عشقك، فقالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة، فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها.

أخبرنا ابن المبارك بن علي الصوفي، قال: أخبرنا ابن العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: أخبرنا أبو بكر الخرائطي، قال: حدثني إسماعيل بن أبي هاشم، قال: حدثنا عبد الله بن أبي الليث، قال: قال عبد الملك بن مروان لليلى الأخيلية: بالله هل كان بينك وبين توبة سوء قط؟ قالت: والذي ذهب بنفسه وهو قادر على ذهاب نفسي ما كان بيني وبينه سوء قط إلا أنه قدم من سفر فصافحته فغمز يدي فظننت أنه يخضع لبعض الأمر، قال: فما بعد ذلك؟ فقلت له:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها | فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه | وأنت لأخرى فارغ وحليل

فقالت: لا والذي ذهب بنفسه ما كلمني بسوء قط حتى فرق بيني وبينه الموت.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر الحافظان، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا الحسين بن محمد النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سويد، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أحمد بن عبيد، قال: حدثني أبو الحسن المدائني، عمن حدثه، عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاص، قال: كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد بن العاص إذا دخل الحجاج، فدخل يوماً ودخلت إليهما وليس عند الحجاج غير عنبسة، فقعدت، فجاء الحاجب فقال: امرأة بالباب، فقال الحجاج: أدخلها. فلما رآها الحجاج طأطأ برأسه حتى ظنت أن ذقنه قد أصابت الأرض، فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت إليها فإذا امرأة قد أسنت، حسنة الخلق ومعها جاريتان لها،وإذا هي ليلى الأخيلية، فسألها الحجاج عن نسبها، فانتسبت له، فقال لها: يا ليلى ما أتاني بك؟ فقالت: اختلاف النجوم، وقلة الغيوم، وكلب البرد، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله عز وجل الرفد، فقال لها: صفي لنا الفجاج. فقالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعرة، والمبرك معتل، وذو العيال مختل، والهالك المقل، والناس مسنتون، رحمة الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة لم تدع لنا هبعاً ولا ربعاً ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، وفرقت الرجال، وأهلكت العيال. ثم قالت: إني قد قلت في الأمير قولاً، قال: هاتي، فأنشأت تقول:

أحجاج لا تفلل سلاحك إنما ال | منايا تكن بالله حيث يراها

أحجاج لا تعط العصاة مناهم | ولا الله يعطى للعصاة مناها

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة | تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها | غلام إذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشرب سجاله | دماء رجال حيث قال حساها

إذا سمع الحجاج رز كتيبة أعد لها قبل النزول قراها

أعد لها مسمومة فارسية بأيدي رجال يحلبون صراها

فما ولد الأبكار والعون مثله هجره لا أرض تحف ثراها

قال: فلما قالت هذا البيت، قال الحجاج: قاتلها الله ما أصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها. ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال: إني والله لأعد للأمر عسى أن يكون أبداً، ثم التفت إليها فقال: حسبك، فقالت: إني قد قلت أكثر من هذا، قال: حسبك هذا، ويحك حسبك. ثم قال: اذهب يا غلام إلى فلان فقل له اقطع لسانها، قال: فأمر بإحضار الحجام، فالتفتت إليه فقالت: ثكلتك أمك أما سمعت ما قال، إنما أمر بقطع لساني بالصلة، فبعث إليه يستثبته، فاستشاط الحجاج غضباً وهم بقطع لسانه، وقال: ارددها. فلما دخلت عليه قالت: كاد وأمانة الله يقطع مقولي، ثم أنشأت تقول:

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد إلا الخليفة والمستغفر الصمد

حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت وأنت للناس نور في الدجى يقد

ثم أقبل الحجاج على جلسائه، فقال: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا والله أيها الأمير، إلا أنا لم نر امرأة قط أفصح لساناً ولا أحسن محاورة، ولا أملح وجهاً، ولا أرصن شعراً منها. فقال: هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي في حبها. ثم التفت إليها، فقال: أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة، فقالت: نعم أيها الأمير هو الذي يقول:

وهل تبكين ليلى إذا مت قبلها وقام على قبري النساء النوائح

كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها وجاد لها دمع من العين سافح

وأغبط من ليلى بما لا أناله ألا كل ما قرت به العين صالح

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فقال لها الحجاج: زيدينا يا ليلى من شعره، فقالت: هو الذي يقول:

حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ولا زلت في خضراء غض نضيرها

وأشرف بالغور اليفاع لعلني أرى نار ليلى أو يراني بصيرها

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

يقول رجال لا يضيرك نأيها بلى كل ما شفت النفوس يضيرها

كل بلى قد يضير العين أن يكثر البكاء ويمنع منها نومها وسرورها

ولقد علمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

فقال لها الحجاج: ما الذي رابه من سفورك، قالت: أيها الأمير، كان يلم بنا كثيراً، فأرسل إلي يوماً أني آتيك، وفطن الحي فأرصدوا له، فلما أتاني سفرت له، فعلم أن ذلك لشر، فلم نزد على التسليم والرجوع، فقال: لله درك، فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه؟ قالت: لا والله الذي أسأله أن يصلحك غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى فارغ وخليل

ولا والذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه. قال: ثم قالت: ثم لم يلبث أن خرج في غزاة له وأوصى إلى ابن عم له: إذا أتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك:

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة ... من الدهر لا يسري إلي خيالها

فخرجت وأنا أقول:

وعنه عفى ربي وأحسن حاله ... فعز علينا حاجة لا ينالها

قال: ثم قالت: ثم لم يلبث أن مات، فأتانا نعيه. قال: فأنشدينا بعض ما أتيك فيه، فأنشدت تقول:

أتتك العذارى من خفاجة نسوة ... بماء شؤون العبرة المتحادر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... قلائص ينفجن الحصى بالكراكر

فأنشدته، فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفقعسي، وكان من جلساء الحجاج: من هذا الذي تقول هذه فيه، والله إني لأظنها كاذبة، فنظرت إليه ثم قالت: أيها الأمير إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه. قال الحجاج: هذا وأبيك الجواب، وقد كنت عن هذا غنياً، ثم قال لها: سلي يا ليلى تعطي، قالت: أعط فمثلك أعطى فأحسن. قال: لك عشرون، قالت: زد فمثلك زاد فأجمل. قال: لك أربعون. قالت: زد فمثلك زاد فأفضل، قال: لك ستون، قالت: زد فمثلك زاد فأكمل، قال: لك ثمانون، قالت: زد فمثلك زاد فتمم، قال: لك مائة واعلمي يا ليلى: أنها غنم، قالت: معاذ الله أيها الأمير أنت أجود جوداً، وأمجد مجداً، وأورى زنداً من أن تجعلها غنماً، قال: فما هي ويحك يا ليلى؟ قالت: مائة ناقة برعاتها. فأمر لها بها. ثم قال: ألك حاجة بعدها؟ قالت: تدفع إلي النابغة الجعدي في قرن، قال: قد فعلت، وقد كانت تهجوه ويهجوها، فبلغ النابغة ذلك، فخرج هارباً، عائذاً بعبد الملك، فاتبعته إلى الشام، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة، فماتت بقومس.

ويقال: بحلوان، وفي رواية: بساوه، فقبرها هناك.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري، قال: حدثنا القاضي أبو الفرج، ابن الطراز، قال: حدثنا أبو علي الجبلي، قال: حدثنا عمر بن محمد بن الحكم النسائي، قال: حدثني إبراهيم بن زيد النيسابوري: أن ليلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت، ثم إن زوجها بعد ذلك مر بقبر توبة وليلى معه، فقال لها: يا ليلى أتعرفين لمن هذا القبر؟ فقالت: لا، فقال: هذا قبر توبة فسلمي عليه، فقالت: امض لشأنك، فما تريد من توبة وقد بليت عظامه، قال: أريد تكذيبه، أليس هو القائل في بعض أشعاره:

لو أن ليلى الأخيلية سلمت		علي ودوني تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا		إليها صدى من جانب القبر صائح

فوالله لا برحت أو تسلمي عليه، فقالت: السلام عليك يا توبة ورحمة الله، بارك الله لك فيما صرت إليه. فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها، فشهقت شهقة فماتت فدفنت إلى جانب قبره، فنبتت على قبره شجرة وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفتا.

ثم دخلت سنة ست وسبعين

فمن الحوادث فيها:

خروج صالح بن مسرح

وقد ذكرنا أنه كان يتنسك، وكان يقول لأصحابه: أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين، وحب المؤمنين، ألا إن نعمة الله عز وجل على المؤمنين أم بعث فيهم رسولاً منهم – أو قال: من أنفسهم – فعلمهم الكتاب والحكمة، ثم ولي من بعده الصديق فاقتدى بهديه، واستخلف عمر فعمل بكتاب الله عز وجل، وأحيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يخف لومة لائم، وولي بعده عثمان، فاستأثر بالفيء، وجار في الحكم فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين، وولي علي بن أبي طالب فلم ينشب أن حكم في أمر الله عز وجل الرجال، وأدهن، فنحن منه ومن أشياعه براء، فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة، وأئمة الضلال الظلمة، ولخروج من دار الفناء إلى دار البقاء، واللحاق بإخواننا المؤمنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة، ولا تجزعوا من القتل في الله سبحانه فإن القتل أيسر من الموت، والموت نازل بكم، ألا فبيعوا الله أنفسكم طائعين تدخلوا الجنة آمنين.

وقد ذكرنا أنه كتب إلى شبيب، فجاءه شبيب في أصحابه، وقال: أخرج بنا رحمك الله، فوالله ما تزداد السنة إلا دروساً، ولا المجرمون إلا طغياناً. فبث صالح رسله في أصحابه وواعدهم الخروج في هلال صفر سنة ست وسبعين، فاجتمعوا عنده تلك الليلة، فقام إليه شبيب فقال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى في هؤلاء الظلمة؟ أنقتلهم قبل الدعاء، أم ندعوهم قبل القتال؟ وسأخبرك برأيي فيهم قبل أن تخبرني برأيك فيهم، أما أنا فأرى أن تقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً، فإنا نخرج على قوم طاغين قد تركوا أمر الله عز وجل، فقال: لا بل ندعوهم، فلعمري ما يجيبك إلا من يرى رأيك، والدعاء أقطع لحجتهم، قال: فما تقول في دمائهم وأموالهم؟ قال: إن قتلنا وغنمنا فلنا، وإن تجاوزنا وعفونا فموسع علينا.

فلما هموا بالخروج قال لهم صالح: اتقوا الله عز وجل ولا تعجلوا إلى قتال أحد إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم وينصبون لكم، فإنكم إنما خرجتم غضباً لله عز وجل، حيث انتهكت محارمه، وسفكت الدماء بغير حلها، ولا تعيبوا عل قوم أعمالهم ثم تعملوا بها، وهذه دواب لمحمد بن مروان في هذا الرستاق، فابدأوا بها، فشدوا عليها، وتقووا بها على عدوكم.

فخرجوا وأخذوا تلك الدواب فحملوا رجالتهم عليها، وكانوا مائة وعشرة أنفس، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر ليلة، وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنجار، وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة، فاستخف بأمرهم، وبعث إليهم

عدي بن عدي في خمسمائة، فقال له: أتبعثني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة وقد خرج معه رجال، الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة. فزاده خمسمائة،فسار في ألف من حران وكأنما يساق إلى الموت، وكان عدي رجلاً يتنسك، فلما وصل بعث رجلاً إلى صالح يقول له: إن عدياً يسألك أن تخرج من هذا البلد إلى بلد آخر فإنه كاره للقائك، فقال للرسول: قل له هل أنت على رأينا، فجاءه الجواب: لا ولكن أكره قتالك، فحبس الرسول عنده وقال لأصحابه: اركبوا، وحملوا عليهم وهم على غفلة، فانهزموا وحووا ما في عسكرهم، وذهب فل عدي وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان، فغضب، ثم دعا خالد ابن جزي السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة العامري، فبعثه في ألف وخمسمائة، وقال: اخرجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة، وأغذا السير، فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه.

فانتهيا إلى صالح وقد نزل آمد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من الخوارج أكثر من سبعين، ومن المؤمنين نحو من ثلاثين، فلما جن الليل ذهب الخوارج فقطعوا الجزيرة ودخلوا أرض الموصل، فبلغ ذلك الحجاج، فسرح إليهم الحارث بن عميرة الهمداني في ثلاثة آلاف رجل، فلقيهم ومع صالح تسعون رجلاً، فشد عليهم فقتل صالح ولاذ الباقون بحصن هناك، فقال الحارث لأصحابه: احرقوا الباب، فإذا صار جمراً فدعوهم فإنهم لا يقدرون على الخروج، فإذا أصبحنا قتلناهم ففعلوا، فقال شبيب لأصحابه: لئن صبحكم هؤلاء إنه لهلاككم، فأتوا باللبود فبلوها بالماء، ثم ألقوها على الجمر، ثم خرجوا على القوم فضربوهم بالسيوف، فضارب الحارث حتى صرع، واحتمله أصحابه وانهزموا، وخلوا العسكر وما فيه، ومضوا حتى نزلوا المدائن، فكان ذلك أول جيش هزمه شبيب.

وفي هذه السنة: دخل شبيب الكوفة وذلك أنه لما قتل صالح، كان قتله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقين من جمادى الآخرة – فقال شبيب لأصحابه: بايعوني أو بايعوا من شئتم، فبايعوه، فخرج فقتل من قدر عليه، وبعث الحجاج جنداً في طلبه فهزمهم، فبعث إليهم سورة بن الأبجر، فذهب شبيب إلى المدائن فأصاب منها وقتل من ظهر له، ثم خرج فأتى النهروان، فتوضأ هو وأصحابه وصلوا، وأتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم علي بن أبي طالب، فاستغفروا لإخوانهم وتبرأوا من علي وأصحابه، وبكوا فأطالوا البكاء، ثم خرجوا فقطعوا جسر النهروان ونزلوا في جانبه الشرقي، ثم التقوا فهزموا سورة، فمضى فله إلى الحجاج، فقال: قبح الله سورة، ثم دعا عثمان بن سعيد، فقال: تيسر للخروج إلى هذه المارقة، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق النزق، ولا تحجم إحجام الواني الفرق: فقال: لا تبعث معي أحداً من أهل هذا الفل، قال: لك ذاك، ثم أخرج مع أربعة آلاف، فجعل كلما مضى إلى مكان رحل شبيب إلى مكان أراده أن يتعجل إليه في فل من أصحابه، فما زالوا يتراوغون ويذهبون من مكان إلى مكان، ويقتتلون إذا التقوا وينهزمون. فطال ذلك على الحجاج، فولى سعيد بن المجالد على ذلك الجيش، وقال له: اطلبهم طلب السبع، ولا تفعل فعل عثمان.

فلقوهم فانهزم أصحاب سعيد، وثبت هو، فضربه شبيب فقتله، ورجع الناس إلى أميرهم الأول عثمان، فبعث الحجاج سويد بن عبد الرحمن في ألفي فارس، وقال: اخرج إلى شبيب فالقه، فخرج فلقيه فحمل عليه شبيب حملة منكرة، ثم أخذ نحو الحيرة، فتبعه سويد، وخرج الحجاج نحو الكوفة، فبادره شبيب إليها، فنزل الحجاج الكوفة صلاة العصر، ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب، ثم دخل الكوفة، وجاء حتى ضرب باب القصر بعموده، ثم خرج من الكوفة، فنادى الحجاج وهو فوق القصر: يا خيل الله اركبي.

وبعث بسر بن غالب في ألفين، وزائدة بن قدامة في ألفين، وأبا الضريس في ألف من الموالي. وخرج شبيب من الكوفة فأتى المردمة

ثم مضى نحو القادسية، ووجه الحجاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس، فالتقيا، فترل زحر فقاتل حتى صرع وانهزم أصحابه.

وانعطف شبيب على الأمراء المبعوثين إليه، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الكرة لشبيب، فقال الناس: ارفعوا السيف وادعوا الناس إلى البعة، ثم إنه ارتحل، وكان الحجاج تقول: أعياني شبيب.

ثم دعا عبد الرحمن بن محمد الأشعث، فقال: انتخب ستة آلاف واخرج في طلب هذا العدو، فلما اجتمع العسكر كتب إليهم الحجاج: أما بعد، فإنكم قد اعتدتم عادة الأذلاء، وقد صفحت لكم مرة بعد مرة، وإني أقسم بالله عز وجل قسماً صادقاً إن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعاً يكون أشد عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب.

وبعث إلى عبد الرحمن عند طلوع الشمس، فقال: ارتحل الساعة، وناد في الناس: برئت الذمة من هذا البعث وجدناه متخلفاً، فخرج حتى مر بالمدائن، فترل بها يوماً وليلة، واشترى أصحابه حوائجهم، ثم نادى بالرحيل، ودخل على عثمان بن قطن، فقال له عثمان: إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب، وأحلاس الخيل، والله لكأنهم خلقوا من ضلوعها، الفارس منهم أشد من مائة، فلا تلقهم إلا في تعبية أو في خندق، فخرج في طلب شبيب، فارتفع شبيب إلى دقوقاء. وكتب الحجاج إلى عبد الرحمن: أن اطلب شبيباً أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه.

وكان شبيب يدنو من عبد الرحمن فيجده قد خندق على نفسه وحذر، فيمضي عنه، فإذا بلغه أنه قد سار انتهى إليه، فوجده قد صف الخيل، فلا يصيب له غرة، فإذا دنا منه عبد الرحمن ارتحل خمسة عشر فرسخاً أو عشرين، فترل مترلاً غليظاً خشناً.

ثم إن الحجاج عزل عبد الرحمن، وولى عثمان بن قطن، وعلى أصحابه، فخرج شبيب في مائة وواحد و ثمانين رجلاً، فحمل عليهم فانهزموا، ودخل شبيب عسكرهم، وقتل نحواً من ألفين من ذلك العسكر، وقيل لابن الأشعث: قد ذهب الناس، وتفرقوا وقتل خيارهم، فرجع إلى الكوفة، فاختبأ من الحجاج حتى أخذ له الأمان بعد ذلك.

وفي هذه السنة:

ولى عبد الملك أبان بن عثمان المدينة في رجب. وأقام أبان الحج للناس في هذه السنة، واستقضى أبان نوفل بن مساحق. وكان على خراسان أمية بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكوفة شريح، وكان قد استعفى من القضاء قديماً، فولى مكانه أبو بردة، وعلى البصرة زرارة بن أوفى.

وفيها: ولد مروان بن محمد بن مروان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حبة بن جوين بن علي، أبو قدامة العربي، الكوفي ورد المدائن في حياة حذيفة. وحدث عن ابن مسعود، وعن علي رضي الله عنه. وشهد وقعة النهروان. وكان ثقة عند القوم، وضعفه الأكثرون.

وتوفي في هذه السنة.

زهير بن قيس بن شداد البلوي يقال: إن له صحبة، شهد الفتح بمصر، وقتله الروم ببرقة في هذه السنة.

وكان سبب قتله أن الصريخ أتى بترول الروم على برقة، فأمره عبد العزيز بالنهوض إليهم، فنهض فقتل.

شريح بن الحارث بن قيس، أبو أمية القاضي ولاه عمر الكوفة، وأسند الحديث عن عمر، وعلي.

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، عن أبي محمد الجوهري، عن ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا وهيب، عن داود، عن عامر: أن ابناً لشريح قال لأبيه: إن بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمتهم، وإن لم يكن لي الحق أخاصم. فقص قصته عليه، فقال: انطلق فخاصمهم. فانطلق إليهم فتخاصموا إليه فقضى على ابنه، فقال له لما رجع داره: والله لو لم أتقدم إليك لم ألمك، فضحتني. فقال: يا بني، والله لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعز علي منك، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فيذهب ببعض حقهم.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا الحسين بن أحمد بن عبد الله الملطي، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم، قال: حدثني جدي محمد بن عبد الكريم، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي، قال: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: أبا أمية ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن مسعود، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن عون، عن إبراهيم، عن شريح: أنه قضى على رجل باعترافه، فقال: يا أبا أمية قضيت علي بغير بينة، فقال: أخبرني ابن أخت خالتك.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا الحسين بن علي التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن أبي حيان التيمي، قال: حدثنا أبي، قال: كان شريح إذا مات لأهله سنور أمر بها فألقيت في جوف داره، و لم يكن له مثعب شارع إلا في جوف داره إتقاء لأذى المسلمين.

توفي شريح في هذه السنة. وقيل: سنة ثمان وسبعين. وقد بلغ مائة وثماني سنين.

وذكر ابن عبد البر أنه توفي سنة سبع وثمانين، وأنه بلغ من العمر مائة سنة.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فمن الحوادث فيها:

قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي

وزهرة بن حيوية

وذلك أن شبيباً لما هزم الجيش الذي بعثه الحجاج مع ابن الأشعث، وقتل عثمان بن قطن، أوى من الحر إلى بلده يصيف بها، ثم خرج في نحو من ثمانمائة رجل، فأقبل نحو المدائن، فندب الحجاج الناس، فقام إليه زهرة بن حيوية وهو شيخ كبير، فقال: إنك إنما تبعث الناس متقطعين، فاستنفر الناس كافة، وابعث إليهم رجلاً شجاعاً ممن يرى الفرار عاراً. فقال له الحجاج: فأنت لها، فقال: إني قد ضعفت، ولكن أخرجني مع الأمير أشير عليه برأيي.

فكتب الحجاج إلى عبد الملك: إن شبيباً قد شارف المدائن، وإنما يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، في كلها يقتل أمراءهم، ويفل جنودهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلون عدوهم ويأكلون فيئهم فليفعل.

فلما قرأ الكتاب بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف وبعث حبيب بن عبد الرحمن في ألفين، وتجهز أهل الكوفة أيضاً، وقد بعث الحجاج إلى عتاب بن ورقاء وهو مع المهلب، فبعثه على ذلك الجيش، فاجتمعوا خمسين ألفاً، ومع شبيب ألف رجل، فخرج في ستمائة، وتخلف عنه أربعمائة، فقال: قد تخلف عنا من لا يحب أن يرى فينا.

ثم عبى أصحابه، وحمل على الميمنة ففضها، وانهزمت الميسرة، وكان عتاب في القلب وزهرة جالساً معه، فغشيهم، فطعن عتاب بن ورقاء، ووطئت الخيل زهرة، وجاءه الفضل بن عامر الشيباني فقتله، وتمكن شبيب من العسكر، وحوى ما فيه، فقال: ارفعوا عنهم السيف، ثم دعا إلى البيعة فبايعه الناس من ساعتهم وهربوا تحت اليل، فأقام شبيب يومين، وبعث إلى أخيه فأتاه من المدائن، ثم أقبل إلى الكوفة، وبعث الحجاج إليه جيشاً فهزمهم، وجاء شبيب حتى ابتنى مسجداً في أقصى السبخة، فلما كان في اليوم الثالث أخرج الحجاج مولاه أبو الورد عليه تجفاف، وأخرج مجففة كثيرة، جعلهم على هيئة الغلمان له، وقالوا: هذا الحجاج، فحمل عليه شبيب فقتله، وقال: إن كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه. ثم أخرج إليه غلاماً آخر فقتله.

ثم خرج الحجاج وقت ارتفاع النهار من القصر، فقال: ائتوني ببغل أركبه إلى السبخة، فأتوه، فلما نظر إلى السبخة وإلى شبيب وأصحابه نزل، وكان شبيب في ستمائة فارس، فقعد الحجاج على كرسي، وأخذ يمدح أهل الشام ويقول: أنتم أهل السمع والطاعة، فلا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم، غضوا الأبصار واجثوا على الركب، واستقبلوا القوم بأطراف الأسنة.

فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم حمل شبيب بجميع أصحابه، ونادى الحجاج بجماعة الناس، فوثبوا في وجهه، فما زالوا يطعنون ويضربون، فنادى شبيب: يا أولياء الله، الأرض، ثم نزل وأمر أصحابه، فنزل بعضهم، فقال خالد بن عتاب: ائذن لي في قتالهم، فإني موتور، وأنا ممن لا يتهم في نصيحته، فقال: قد أذنت، فأتاهم من ورائهم، فقتل مصاداً أخا شبيب، وغزالة امرأة شبيب. وجاء الخبر إلى الحجاج، فقال لأهل الشام: شدوا عليهم فقد أتاهم ما أرعب قلوبهم، فشدوا عليهم فهزموهم. وتخلف شبيب في حامية الناس، ثم عبر على الجسر وقطعه.

وفي رواية: أن غزالة امرأة شبيب نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران، فدخل بها شبيب الكوفة فوفت بنذرها.

ولما رحل شبيب بعث الحجاج حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام، وقال له: حيث ما لقيته فنازله، وبعث الحجاج إلى العمال أن دسوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو آمن، فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هده القتال يجيء فيؤمن، فتفرق عنه ناس كثير من أصحابه، وبلغ شبيب أن عبد الرحمن بالأنبار، فأقبل بأصحابه فبيتهم فما قدر عليهم بشيء لأنهم قد احترزوا، وجرت مقتلة وسقطت أيد، وفقئت أعين، فقتل من أصحاب شبيب نحو من ثلاثين، ومن الآخرين نحو من مائة، فمل الفريقان بعضهم بعضاً من طول القتال، ثم انصرف عنهم شبيب وهو يقول لأصحابه: ما أشد هذا الذي بنا، لو كنا إنما نطلب الدنيا، وما أيسر هذا في جانب ثواب الله عز وجل، ثم حدث أصحابه، فقال: قتلت أمس منهم رجلين أحدهما أشجع الناس، والآخر أجبن الناس، خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا القرية يشترون منها حوائجهم، فاشترى

أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه، فقال لي: أتشتري علفاً، فقلت: إن لي رفقاء قد كفوني ذلك، أين ترى عدونا هذا؟ فقال: قد بلغني أنه نزل قريباً منا، وأيم الله لوددت أني قد لقيت شبيبهم هذا، قلت فتحب ذلك، قال: نعم، قلت: فخذ حذرك فأنا والله شبيب، فانتضيت سيفي، فخر والله ميتاً وانصرفت، فلقيت الآخر خارجاً من القرية، فقال لي: أين تذهب الساعة؟ وإنما يرجع الناس إلى عسكرهم، فلم أكلمه، ومضيت فتبعني حتى لحقني فعطفت عليه، فقلت له: مالك؟ فقال: أنت والله عدونا؟ فقلت: أجل والله، فقال: والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك، فحملت عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا ساعة، فوالله ما فضلته في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سيفي كان أقطع من سيفه، فقتلته.

وفي هذه السنة: هلك شبيب الخارجي في قول هشام بن محمد.. وقال غيره: كان هلاكه في سنة ثمان وسبعين.

والسبب في هلاكه أن الحجاج أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب، وكان شبيب قد أقام بكرمان حتى انجبر واستراش هو وأصحابه، ثم أقبل راجعاً فاستقبله سفيان بجسر دجيل الأهواز، وكان الحجاج قد كتب إلى الحكم بن أيوب، وهو زوج بنت الحجاج وعامله على البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب، ومره فليلحق بسفيان بن الأبرد، وليسمع له وليطع.

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف، فلم ينته إلى سفيان حتى التقى سفيان بشبيب بجسر دجيل، فعبر شبيب إلى سفيان فاقتتلوا، وكر شبيب عليهم أكثر من ثلاثين كرة، فجالدهم أصحاب سفيان حتى اضطروهم إلى الجسر، فنزل شبيب ونزل معه نحو من مائة، فاقتتلوا حتى المساء، فدعا سفيان الرماة، فقال: ارشقوهم بالنبل، فركب شبيب وأصحابه وكروا على أصحاب النبل كرة صرعوا منهم أكثر من ثلاثين، ثم عطف خيله على الناس، فطاعنوه حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنهم. وقد أحب الناس انصرافه لما يلقون منه، فلما أراد العبور نزل حافر فرسه عن جنب السفينة، فسقط في الماء فقال: "ليقضي الله أمراً كان مفعولاً". فارتمس في الماء، ثم ارتفع فقال: "ذلك تقدير العزيز العليم".

وفي رواية: أنه كان معه قوم لم يكن لهم تلك البصيرة النافذة، وقد كان قد قتل من عشائرهم خلقاً كثيراً، فأوجع بذلك قلوبهم، فلما تخلف في أواخر أصحابه حين العبور قال بعضهم لبعض: هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا الساعة، فقطعوا الجسر فمالت السفن، ففزع الفرس ونفر، فوقع في الماء.

والحديث الأول هو المشهور، وجاء صاحب الجسر إلى سفيان فقال: إن رجلاً منهم وقع في الماء، فتنادوا بينهم: غرق أمير المؤمنين وانصرفوا وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد، فكبر سفيان ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر، وبعث مهاجر بن صيفي، فعبر إلى عسكرهم فإذا ليس فيه منهم صافر ولا آثر، فنزل فيه فإذا أكثر خلق الله خيراً. فاستخرجوا شبيباً وعليه الدرع، فزعموا أنه شق عن بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة، وإنه كان يضرب به الأرض فيثب قامة الإنسان.

وكان لما نعي إلى أمه وقيل قتل، لم تصدق، فلما قيل لها: إنه غرق، صدقت وقالت: إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء.

وقد روى أبو مخنف، عن فروة بن لقيط: أن يزيد بن نعيم أبا شبيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به الوليد بن عقبة على أمر عثمان بن عفان إياه بذلك مدداً لأهل الشام إلى أرض الروم، فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع، فرأى يزيد بن نعيم جارية حمراء، لا شهلاء، ولا زرقاء، طويلة جميلة، تأخذها العين، فابتاعها وذلك سنة خمس وعشرين أول السنة، فلما أدخلها

الكوفة قال: أسلمي، فأبت فضربها فلم تزدد إلا عصياناً، فأمر بها فأصلحت له، ثم أدخلت عليه، فلما تغشاها حملت فولدت له شبيباً في ذي الحجة يوم النحر، وكان يوم السبت، وأسلمت قبل أن تلده وقالت: إني قد رأيت في النوم أنه خرج من قبلي شهاب نار فسطع حتى بلغ السماء والآفاق كلها، فبينا هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جار، فخبا، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء، وإني قد أولت رؤياي هذه أني أرى ولدي سيكون صاحب دماء يهريقها، وإني أرى أمره سيعلو ويعظم.
وفي هذه السنة: خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج، وخلع عبد الملك بن مروان، ولحق بالجبل فقتل.

وسبب ذلك أن الحجاج ولى أولاد المغيرة فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة، ومطرف على المدائن، وحمزة على همدان. وأقبل شبيب الخارجي إلى المدائن، فكتب مطرف إلى الحجاج بخبره، فأمده بالرجال، فلما نزل شبيب بهرسيس قطع مطرف الجسر فيما بينه وبينه، وبعث إلى شبيب: ابعث رجالاً من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن فأنظر ما تدعون إليه، فبعث إليه: ابعث إلي رجالاً يكونون عندي حتى ترد أصحابي، فقال له: كيف آمنك على أصحابي، وأنت لا تأمنني على أصحابك؟ فقال: إنك قد علمت أننا لا نستحل في ديننا الغدر وأنتم تفعلونه، فبعث إليهم رجالاً وبعثوا إليه رجالاً، فقال لأصحابهم: إلى ما تدعون؟ فقالوا: إلى كتاب الله وسنة نبيه، والذي نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء، وتعطيل الحدود، والتسلط بالجبرية، وما زالوا يترددون إليه حتى وقع في نفسه خلع عبد الملك والحجاج، فقيل له: إن هذا الخبر يبلغ القوم فلا تقم في مقامك، فخرج وجمع رؤوس أصحابه وقال لهم: إني أشهدكم أني قد خلعت عبد الملك والحجاج فمن أحب فليصحبني ومن أبى فليذهب حيث شاء، فإني لا أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد أهل الجور.
ثم بايعه أصحابه، ثم بعث إلى أخيه حمزة: أمددني بما قدرت عليه من مال أو سلاح، فقال للرسول: ثكلتك أمك، أنت قتلت مطرفاً؟ فقال: لا، ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلني، وليته لا يقتلك، قال: ويحك، من سول له هذا الأمر؟ قال: نفسه.
ثم قوي أمر مطرف، فأخبر الحجاج، فبعث الجيوش لقتاله، وبعث إلى أخيه حمزة من أوثقه بالحديد وحبسه، فالتقت الجيوش بمطرف فاقتتلوا، فخرج من عسكر مطرف بكير بن هارون، فصاح: يا أهل ملتنا، نسألكم بالله عز وجل الذي لا إله إلا هو لما أنصفتمونا، خبرونا عن عبد الملك وعن الحجاج، ألستم تعلمونهما جائرين مستأثرين يتبعان الهوى، ويأخذان على الظنة، ويقتلان على الغضب. فنادوه: كذبت. فقال: ويلكم "لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى".
فخرج إليه رجل فاقتتلا، فقتل الرجل، ثم اشتد القتال، فانكشفت خيل مطرف فوصلوا إليه، واحتز رأسه عمرو بن هبيرة، ثم طلب الأمان لبكير بن هارون، من أمير الجيش فأمنه.
وفي هذه السنة: وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة، فخالفه بعضهم واعتزله، وبايع عبد رب الكبير.
وسبب اختلافهم أن المهلب أقام يقاتل قطرياً وأصحابه من الأزارقة نحواً من سنة، وكانت كرمان في أيدي الخوارج، وفارس في يد المهلب، فضاق على الخوارج مكانهم، إذ لا يأتيهم من فارس مادة، فخرجوا إلى كرمان وتبعهم المهلب، فقاتلهم وأبعدهم عن فارس كلها، فصارت في يده، فبعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب.
فبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى الحجاج: دع بيد المهلب خراج جبال فارس، فإنه لا بد للجيش من قوة، ودع له كورة إصطخر ودرابجرد، فتركها له.

وكتب له الحجاج: أما بعد، فإنك لو شئت فيما أرى اصطلمت هذه الخارجة المارقة، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك، وقد بعثت إليك البراء بن قبيصة لينهضك إليهم إذا قدم عليك بجميع المسلمين، ثم جاهدهم أشد الجهاد، وإياك والعلل.
فأخرج المهلب الكتائب، وأقام البراء على تل، وقاتل الخوارج من بكرة إلى نصف النهار، فقال له البراء: والله ما رأيت كتائب ككتائبك، ولا فرساناً كفرسانك، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك أصبر منهم، أنت والله المعذور. ثم عاد وقت العصر، فقاتل حتى حجز الليل بينهم.
وكتب المهلب إلى الحجاج: أتاني كتاب الأمير واتهامه إياي في هذه المارقة، وقد رأى الرسول ما فعلت، فوالله لو قدرت على استئصالهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين.

ثم قاتلهم المهلب ثمانية عشر شهراً، ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطري على ناحية من كرمان قتل رجلاً كان ذا بأس من الخوارج، فوثب الخوارج إلى قطري وقالوا: أمكنا منه لنقتله بصاحبنا، فقال: ما أرى أن أقتل رجلاً تأول فأخطأ في التأويل، قالوا: بلى، قال: لا، فوقع الاختلاف بينهم، فولوا عبد رب الكبير وخلعوا قطرياً، فلم يبق معه إلا ربعهم أو خمسهم، فجعلوا يقتتلون فيما بينهم نحواً من شهر غدوة وعشية فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج وقال: إني أرجو أن يكون اختلافهم سبباً لهلاكهم. فكتب إليه الحجاج: ناهضهم على اختلافهم قبل أن يجتمعوا. فكتب إليه المهلب. لست أرى أن أقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضاً، فإن أتموا على ذلك فهو الذي نريد، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً، فيكونون أهون شوكة.
فسكت عنه الحجاج – ثم إن قطرياً خرج بمن اتبعه نحو طبرستان، وبايع عامتهم عبد رب الكبير، فنهض المهلب فقاتلوه قتالاً شديداً، ثم إن الله تعالى قتلهم فلم ينج منهم إلا القليل، وأخذ عسكرهم وما فيه.
وفي هذه السنة: هلك قطري، وعبد رب الكبير، وعبيدة بن هلال ومن كان معهم من الأزارقة.
وقيل: بل كان هلاكهم في سنة ثمان وسبعين. وسبب هلاكهم أنهم لما اختلفوا، وتوجه قطري إلى طبرستان، ووجه الحجاج جيشاً مع سفيان بن الأبرد، فاتبعهم، فلحق قطرياً في شعاب طبرستان، فقاتلوه فتفرق عنه أصحابه، ووقع عن دابته في أسفل الشعب فتدهدى إلى أسفله. فأتاه علج من أهل البلد، فقال له قطري: أسقني ماء، فقال: أعطني شيئاً حتى أسقيك، قال: ويحك، والله ما معي إلا ما ترى من سلاحي، فأشرف العلج عليه وحدر عليه حجراً عظيماً فأصاب إحدى وركيه فأوهنه، وصاح بالناس، فأقبلوا فقتلوه.
فبعث سفيان برأسه مع أبي جهم بن كنانة الكلبي إلى الحجاج، ثم أتى به عبد الملك، ثم إن سفيان أقبل إلى عسكر عبيدة بن هلال وقد تحصن في قصر بقومس فأحاط به وبأصحابه، فجهدوا حتى أكلوا دوابهم، ثو خرجوا فقاتلوه فقتلهم، وبعث برؤوسهم إلى الحجاج.
وفي هذه السنة: عبر أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد النهر، نهر بلخ، فحوصر حتى جهد هو وأصحابه، ثم نجوا بعد أن أشرفوا على الهلاك، فانصرفوا إلى مرو.
وفي هذه السنة: غزا الصائفة الوليد بن عبد الملك.

وفيها: حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان، وهو أمير على المدينة، وكان على خراسان أمية بن عبد الله، وعلى الكوفة والبصرة الحجاج.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

زر بن حبيش، أبو مريم الأسدي روى عن عمر، وعلي، وابن عوف، وابن مسعود، وأبي بن كعب.

أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، قال: حدثنا خلف بن هشام، قال: حدثنا حماد، عن عاصم بن أبي النجود، قال: أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً منهم زر، وأبو وائل.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا ثابت بن بندار، قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني، قال: حدثنا عمر بن نوح، قال: حدثنا عبيد الله بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري، قال: حدثنا نعيم بن حماد، عن عبد الله بن إدريس، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: افتض زر بن حبيش جارية وهو ابن مائة وعشرين سنة، وتوفي وهو ابن اثنين وعشرين ومائة سنة.

شبيب بن يزيد الخارجي مات في هذه السنة. وقد ذكرنا قتله في الحوادث.

عبيد بن عمير بن قتادة، أبو عاصم الليثي الواعظ أسند عن أبي كعب، وأبي ذر، وأبي قتادة، وابن عمرو، وأبي هريرة، وابن عباس، وعائشة.

وروى عنه من كبار التابعين: مجاهد، وعطاء، وأبو حازم.

وكان مجاهد يقول: كنا نفخر بفقيهنا وبقاضينا: فأما فقيهنا فابن عباس، وأما قاضينا فعبيد بن عمير.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم البغدادي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا محمد بن أبي سهل، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، عن قيس بن سعيد، عن عبيد بن عمير، قال:

إن أهل القبور ليتلقون الموتى كما يتلقى الراكب، يسألونه، فإذا سألوه: ما فعل فلان؟ فمن كان قد مات يقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية.

أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن جعفر السلماسي، قال: أخبرنا أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي، قال: حدثنا صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم العجلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله، قال: كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك.

قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أردت الممر على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدي الله تعالى للمساءلة، كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروساً، فصيرها راهبة.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

فمن الحوادث فيها:

عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان

وضمه خراسان إلى سجستان إلى الحجاج

واكن السبب أن الحجاج لما فرغ من أمر مشيب ومطرف شخص من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل، فقدم عليه المهلب وقد فرغ من الأزارقة، فأجلسه معه وأحسن أعطيات أصحابه، وزادهم، وكان الحجاج قد ولى المهلب سجستان مع خراسان، فقال له المهلب: ألا أدلك على رجل هو أعلم مني بسجستان، قال: بلى، قال: عبد الله بن أبي بكرة، فبعثه على سجستان، وكان العامل هناك أمية بن عبد الله.

وفي هذه السنة: فرغ الحجاج من بناء واسط.

وسبب تسميتها أن الحجاج قال: هذا وسط ما بين المصرين: الكوفة والبصرة، وكان كتب إلى عبد الملك يستأذنه في بناء مدينة بين المصرين، فأذن له، فابتدأ في البناء من سنة خمس وسبعين، فبنى القصر والمسجد والسورين، وحفر الخندق في ثلاث سنين، وفرغ في هذه السنة، فأنفق عليها خراج العراق كله خمس سنين، ثم نقل إليها من وجوه أهل الكوفة، وأمرهم أن يصلوا عن يمين المقصورة، ونقل من وجوه أهل البصرة، وأمرهم أن يصلوا عن يسار المقصورة، وأمر من كان معه من أهل الشام أن يصلوا بحياله مما يلي المقصورة، وأنزل أصحاب الطعام والبزازين والصيارف والعطارين عن يمين السور، وأنزل البقالين وأصحاب السقط، وأصحاب الفاكهة في قبلة السور، وأنزل الروزجارية، والصناع عن يسار السور إلى دجلة، وجعل لأهل كل تجارة قطعة لا يخالطهم غيرهم، وأمر أن يكون مع أهل كل قطعة صيرفي، وجعل لقصره أربعة أبواب، واتخذ لهم مقبرة من الجانب الشرقي، وعقد الجسر وضرب الدراهم، وولاها لابن أخيه.

وقد جرت لابن أخيه في توليته البلد قصة طريفة:

أخبرتنا شهدة بنت أحمد الكاتبة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق، قال: أخبرنا محمد بن

أحمد بن فارس قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزينبي، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا أبو بكر العامري، قال: حدثنا عبد الله بن عمر، قال: حدثنا أبو عباد، قال: أدركت الخادم الذي كان يقوم على رأس الحجاج، فقلت له: أخبرني بأعجب شيء رأيته من الحجاج، قال: كان ابن أخيه أميراً على واسط، وكانت بواسط امرأة يقال إنه لم يكن بواسط في ذلك الوقت أجمل منها، فأرسل ابن أخيه إليها يريدها عن نفسها مع خادم له، فأبت عليه وقالت: إن أردتني فاخطبني إلى إخوتي. قال: وكانت لها أخوة أربعة، فأبي وقال: لا إلا كذا، وعاودها فأبت عليه إلا أن يخطبها، فأما حرام فلا، وأبى هو إلا الحرام، فأرسل إليها بهدية فأخذتها فعزلتها.

قال: فأرسل إليها عشية جمعة: إني آتيك الليلة، فقالت لأمها: إن الأمير بعث إلي بكذا وكذا. قال: فأنكرت أمها ذلك، وقالت أمها لإخوتها: إن أختكم قد زعمت كذا وكذا، فأنكروا ذلك وكذبوها، فقالت: إنه قد وعدني أن يأتيني الليلة وسترونه، قال: فقعد إخوتها في بيت حيال البيت الذي هي فيه وفيه سراج وهم يرون من يدخل إليها وجويرية لها على باب الدار قاعدة، حتى جاء فنزل عن دابته وقال لغلامه: إذا أذن المؤذن في الغلس فاتني بدابتي.

ودخل فمشت الجارية بين يديه وقالت له: ادخل وهي على سرير مستلقية، فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها وقال: إلى كم ذا المطل؟ فقالت له: كف يدك يا فاسق.

قال: ودخل إخوتها ومعهم سيوف، فقطعوه ثم لفوه في نطع وجاءوا به إلى سكة من سكك واسط فألقوه فيها. وجاء الغلام بالدابة فجعل يدق الباب رفيقاً، فلم يكلمه أحد، فلما غشي الصبح، وخشي أن تعرف الدابة انصرف. وأصبحوا فإذا هم به، فأتوا به الحجاج، فأخذ أهل تلك السكة، فقال: أخبروني ماهذا وما قصته؟ قالوا: لا نعلم حاله غير أنا وجدناه ملقى، ففطن الحجاج، فقال: علي بمن كان يخدمه فأتي بذلك الخصي الذي كان الرسول، فقيل: هذا كان صاحب سره، فقال له الحجاج: ما كان حاله، وما كانت قصته؟ فأبى، فقال: إن صدقتني لم أضرب عنقك، وإن لم تصدقني فعلت بك وفعلت.

قال: فأخبره بالأمر على جهته، فأمر بالمرأة وأمها وإخوتها، فجيء بهم فعزلت المرأة عنهم فسألها فأخبرته بمثل ما أخبره الخصي، ثم عزلها وسأل الأخوة فأخبروه بمثل ذلك وقالوا: نحن الذي صنعنا به الذي ترى، قال: فعزلهم وأمر برقيقه ودوابه وماله للمرأة، فقالت المرأة: عندي هديته، فقال: بارك الله لك فيها وأكثر في النساء مثلك، هي لك، وكل ما ترك من شيء، فهو لك، وقال: مثل هذا لا يدفن، فألقوه للكلاب. ودعا بالخصي وقال: أما أنت فقد قلت لا أضرب عنقك، فأمر بضرب وسطه.

وفي هذه السنة: حج بالناس الوليد بن عبد الملك، وكان أمير المدينة أبان، وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان الحجاج، وعلى قضاء الكوفة شريح، وفي رواية: وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس.

وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، أبو عبد الله شهد العقبة مع السبعين، وكان أصغرهم، وأراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته وكن تسعة، وخلفه أيضاً حين خرج إلى أحد، وشهد ما بعد ذلك.

وتوفي في هذه السنة وهو ابن أربع وتسعين سنة، وكان قد ذهب بصره، وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة يومئذ.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

فمن الحوادث فيها:

وقوع الطاعون بالشام

حتى كاد الناس يفنون من شدته. و لم يغز تلك السنة.

وفيها: أصابت الروم أهل أنطاكية.

وفيها غزا عبيد الله رتبيل:

وذلك أن الحجاج كتب إليه: لا ترجع حتى تستبيح أرضه، وتهدم قلاعه، وتقتل مقاتلته، وتسبي ذريته، فخرج بمن معه من المسلمين وأهل الكوفة والبصرة. وكان من أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي، وكان من أصحاب علي رضي الله عنه، فمضى حتى أوغل في بلاد رتبيل، فأصاب من الغنم والبقر والأموال ما شاء، وهدم قلاعها وحصونها، ودنوا من مدينة الترك، فأخذوا على المسلمين بالعقاب والشعاب، وخلوهم والرساتيق، فسقط في يد المسلمين، فظنوا أن قد هلكوا، فبعث ابن أبي بكرة إلى شريح بن هاني: إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالاً ويخلوا بيني وبين الخروج، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، فقال له شريح: إنك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في أعطياتكم، فقالوا: منعنا العطاء أهون من هلاكنا، فقال شريح: والله لقد بلغت سناً وما أظن ساعة تأتي علي فتمضي حتى أموت، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان، فأتتني اليوم، يا أهل الشام، تعاونوا على عدوكم. فقال له ابن أبي بكرة: إنك شيخ قد خرفت، فقال له شريح: إنما حسبك أن يقال: بستان ابن أبي بكرة، أو حمام ابن أبي بكرة، يا أهل الشام، من أراد الشهادة فليأت، فتبعه ناس من المتطوعة، فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ثم خرج المسلمون من تلك البلاد.

وفي هذه السنة: قدم المهلب خراسان أميراً عليها، وانصرف أمية بن عبد الله.

وفيها: حج بالناس أبان بن عثمان، وكان أميراً على المدينة من قبل عبد الملك، وكان على العراق والمشرق كله الحجاج، وعلى خراسان المهلب من قبل الحجاج.

وقيل: إن المهلب كان على حربها، وابنه المغيرة كان على خراجها، وكان على قضاء الكوفة أبو بردة، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحارث المتنبي الكذاب روى عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، قال: حدثنا محمد بن المبارك، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن حسان، قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق، وكان مولى لأبي الجلاس، وكان له أب بالحولة، فعرض له إبليس، وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرؤيت عليه زهادة، وكان إذا أخذ في التحميد لم يسمع السامعون بأحسن من كلامه. قال: فكتب إلى أبيه: يا أبتاه، أعجل علي فإني قد رأيت شيئاً أتخوف أن يكون من الشيطان. قال: فزاده أبوه غياً، فكتب إليه: يا بني، أقبل على ما أمرت به إن الله يقول: "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم" ولست بأفاك ولا أثيم،

فامض لما أمرت به، وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً، فيذاكرهم أمره. ويأخذ عليهم العهد والميثاق إن هو رأى ما يرضي قبل، وإلا كتم عليه، وكان يريهم الأعاجيب، كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح. وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول: اخرجوا حتى أريكم الملائكة، فيخرجهم إلى دير المران، فيريهم رجالاً على خيل. فتبعه بشر كثير، وفشا الأمر وكثر أصحابه حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة فعرض على القاسم، وأخذ عليه العهد والميثاق إن رضي أمراً قبله، وإن كره كتم عليه فقال له: إني نبي، فقال القاسم: كذبت يا عدو الله، فقال له أبو إدريس: بئس ما صنعت، إذ لم تلين له حتى نأخذه، الآن يفر وقام القاسم من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره، فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه، وخرج عبد الملك حتى نزل الصبيرة واتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه، وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس فاختفى فيه، وكان أصحابه يخرجون فيلتمسون الرجال، فيدخلونهم عليه، وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فدخل على الحارث فأخذ في التحميد، ثم أخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل، فقال له: إن كلامك لحسن ولكن في هذا نظر. قال: فانظر. فخرج البصري ثم عاد إليه فرد عليه كلامه، فقال: إن كلامك لحسن، قد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا الدين المستقيم، فأمر أن لا يحجب، فأقبل البصري يتردد إليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى إذا صار أخص الناس به. ثم قال له: ائذن لي، قال: إلى أين؟ قال: إلى البصرة أكون أول داعية لك بها، فأذن له.

فخرج مسرعاً إلى عبد الملك وهو بالصبيرة، فلما دنا من سرادقه صاح: النصيحة النصيحة، فقال أهل المعسكر: وما نصيحتك؟ قال: نصيحة لأمير المؤمنين، قالوا: قل، قال: حتى أدنو من أمير المؤمنين، فأمر عبد الملك أن يأذنوا له، فدخل وعنده أصحابه. قال: فصاح: النصيحة النصيحة، قال: اخلني لا يكن عندك أحد، فأخرج من في البيت، ثم قال له: أدنني، قال: ادن، فدنا من عبد الملك على السرير، قال: ما عندك؟ قال: الحارث، فلما ذكر الحارث رمى بنفسه عن السرير ثم قال: وأين هو؟ قال: يا أمير المؤمنين هو ببيت المقدس، عرفت مداخله ومخارجه، فقص عليه قصته وكيف صنع به، فقال: أنت صاحبه، وأنت أمير بيت المقدس وأمير ها هنا فمرني بما شئت، فقال: يا أمير المؤمنين، ابعث معي قوماً لا يفهمون الكلام، فأمر أربعين رجلاً من فرغانة، فقال: انطلقوا مع هذا فما أمركم من شيء فأطيعوه. وكتب إلى صاحب بيت المقدس: إن فلاناً الأمير عليك حتى تخرج فأطعه فيما أمرك به.

فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب، فقال: مرني بما شئت، فقال: اجمع لي كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس، وادفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصري وحده إلى منزل الحارث، فأتى الباب، فقال للحاجب: استأذن لي على نبي الله، قال: في هذه السنة ما يقدرون عليه وما يؤذن عليه حتى يصبح، قال: أعلمه أني إنما رجعت شغفاً إليه قبل أن أصل فدخل عليه فأعلمه بكلامه، فأمره ففتح، قال: ثم صاح البصري: أسرجوا، فأسرجت الشموع حتى كانت كأنها النهار. ثم قال: من مر بكم فاضبطوه، ودخل هو إلى الموضع الذي يعرفه فطلبه فلم يجده، فقال أصحابه: هيهات تريدون أن تقتلوا نبي الله، إنه قد رفع إلى السماء، قال: فطلبه في شق كان قد هيأه سرباً، فأدخل البصري يده في ذلك السرب فإذا هو بثوبه، فاجتره فأخرجه إلى الخارج، ثم قال للفرغانيين: اربطوه، فربطوه. فبينا هم يسيرون على البريد إذ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، فقال أهل فرغانة أولئك العجم: هذا كراننا فهات كرانك أنت، فساروا به حتى أتي به عبد الملك، فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه، وأمر بحربة وأمر

رجلاً فطعنه فأصاب ضلعاً من أضلاعه فكفت الحربة، فجعل الناس يصيحون: الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى إليه، ثم أقبل يتحسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذه فقتله.

وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء، قال: لما حمل الحارث على البريد، وجعلت في عنقه جامعة من حديد فجمعت يده إلى عنقه، فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية: "قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي".

فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض، فوثب الحرس فأعادوها، ثم ساروا به فأشرف على عقبة أخرى فقرأ آية فسقطت من رقبته فأعادوها، فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه ويعلموه أن هذا من الشيطان، فأبى أن يقبل منهم. فصلب وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت، فتكلم الناس وقالوا: ما ينبغي لمثل هذا أن يقتل. ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه فأنفده.

قال مؤلف الكتاب: وسمعت من قال: قال عبد الملك للذي ضربه بالحربة فانثنت: أذكرت الله حين طعنته؟ قال: نسيت، قال: فاذكر الله. ثم اطعنه، وطعنه فأنفدها.

قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة، أبو ليلى

وهو النابغة، نابغة بني جعدة، وقيل: اسمه عبد الله بن قيس، والأول أصح.

كان جاهلياً وأدرك الإسلام، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده. وقال له عمر: أنشدنا مما عفا الله عنه. فأنشده قصيدة، وعمر في الإسلام حتى أدرك الأخطل النصراني ونازعه الشعر. قال ابن قتيبة: فغلبه الأخطل ومات بأصبهان وهو ابن عشرين ومائة سنة. وقال الأصمعي: عاش مائة وستين.

أخبرنا أبو منصور الطوسي، وأبو القاسم السمرقندي، وأبو عبد الله بن البنا، وأبو الفضل المقري، وأبو الحسن الخياط، قالوا: أخبرنا أحمد بن محمد بن النقور، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله الدقاق، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثنا داود بن رشيد، قال: حدثنا يعلى بن الأشدق، قال: سمعت النابغة يقول: أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو بعد ذلك مظهرا

فقال صلى الله عليه وسلم: "فأين المظهر يا أبا ليلى"، فقلت: الجنة، فقال: "أجل إن شاء الله"، ثم قلت:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أجدت لا يفضض الله فاك". مرتين.

أنبأنا علي بن عبيد الله، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن النقور، قال: أخبرنا علي بن عيسى الوزير، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني أخي هارون بن أبي بكر، عن يحيى بن إبراهيم، عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة، عن أبيه، عن عمه عبد الله بن عمرو، قال: أقحمت السنة النابغة – نابغة بني جعدة – فدخل على الزبير المسجد الحرام، فأنشده:

حكيت لنا الصديق لما وليتنا ... وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس بالحق فاستووا فعاد صباحاً حالك اللون مظلم

أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاة عشمشم

لتجبر منه جانباً دغدغدت به صروف الليالي والزمان المصمم

فقال ابن الزبير: هون عليك أبا ليلى، فإن الشعر أهون وسائلك عندنا، أما صفوة ما لنا فلآل الزبير، وأما عفوة فإن بني أسد تشغلنا عنك وتيماء، ولكن لك في مال الله حقان: حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحق بشركتك أهل الإسلام في فيئهم. ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم، فأعطاه قلائص سبعاً وجملاً رجيلاً، وأوقر له الركاب براً وتمراً وثياباً، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفاً، فقال ابن الزبير: ويح أبي ليلى، لقد بلغ منه الجهد، فقال النابغة أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما وليت قريش فعدلت فرحمت واسترحمت فرحمت، وحدثت فصدقت، ووعدت خيراً فأنجزت، فأنا والنبيون فراط القاصفين".

رواه محمد بن العباس الزبيري، عن الزبير بن بكار، وإسناد الحديث ومتنه له، قال الزبيري: والفارط الذي يتقدم فيسقي الماء للإبل التي للقوم.

وأنشد القطامي:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجل فراط لوراد

والقاصفون: المسرعون بعضهم إثر بعض، ومنه الرعد القاصف، الريح يتبع بعضها بعضاً. والرجيل القوي الشديد.

أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أخبرنا أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحاكم، قال: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: سمعت محمد بن داود الخطيب يقول: سمعت أحمد بن أبي سريج يقول: سمعت النضر بن شميل يقول وسئل من أكبر من لقيت؟ قال: المنتجع الأعرابي. قال: وقلت للمنتجع: من أكبر من لقيت؟ قال: النابغة الجعدي، فقلت للنابغة: كم عشت في الجاهلية؟ قال: عشت دارين، ثم أدركت محمداً صلى الله عليه وسلم فأسلمت.

قال النضر: الداران مائتا سنة. قال النابغة: فكنت أجيب عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله عز وجل.

ثم دخلت سنة ثمانين

فمن الحوادث فيها:

سيل وقع بمكة ذهب بالحاج

وغرق بيوت مكة

فسمي ذلك العام عام الجحاف لأنه جحف كل شيء مر به، حتى أنه كان يأخذ الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء ليس لأحد فيهم حيلة، وبلغ السيل الركن وجاوزه.

وفي هذه السنة

قطع المهلب نهر بلخ

لقتال الكفار وصالحهم على فدية

وفيها كان بالبصرة الطاعون الجارف

في قول الواقدي رحمه الله.

وفيها وجه الحجاج محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك

وذلك أن الحجاج جهز عشرين ألفاً من أهل الكوفة، وعشرين ألفاً من أهل البصرة، وأعطى الناس أعطياقم كملاً، وأخذهم بالخيول الروائع، والسلاح الكامل، وأخذ يعرض الناس، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته، ثم بعث عليهم عبد الرحمن بن الأشعث، فقدم بالجيش سجستان، وصعد منبرها، فقال: إن الأمير الحجاج ولاني ثغركم، وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم، وأباد أجنادكم، فإياكم أن يتخلف منكم رجل فتحل بنفسه العقوبة، اخرجوا إلى معسكركم فعسكروا مع الناس.

فعسكر الناس ووضعت لهم الأسواق، وتهيأوا للحرب. فبلغ ذلك رتبيل. فكتب إلى عبد الرحمن يعتذر إليه من مصاب المسلمين، ويخبره أنه كان لذلك كارهاً، وأنهم ألجأوه إلى قتالهم، ويسأله الصلح، ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج، فلم يجبه، وسار في الجنود إليه حتى دخل أول بلاده، وأخذ رتبيل يضم جنده إليه، ويدع له الأرض رستاقاً وحصناً حصيناً، وطفق ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً وأعواناً، وجعل الأرصاد على العقاب والشعاب، ووضع المسالح بكل مكان مخوف، حتى إذا ملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة حبس الناس عن الإيغال في أرض رتبيل، وقال: نكتفي بما قد أصبنا العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها، وفي ممتنع حصونهم، ثم كتب إلى الحجاج بذلك.
وذكر بعض علماء السير في سبب تولية ابن الأشعث غير هذا، فقال: كان الحجاج قد وجه هميان بن علي السدوسي إلى كرمان، وكان عاملاً على سجستان، فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها، وجهز إليها جيشاً أنفق عليه ألفي درهم سوى أعطياقم، وأمره بالإقدام على رتبيل.
وفي هذه السنة: أغزى عبد الملك ابنه الوليد.
وفيها: حج بالناس أبان بن عثمان، وكان على المدينة، وقيل: بل سليمان بن عبد الملك، وكان على العراق والمشرق كله الحجاج، وعلى خراسان المهلب بن أبي صفرة من قبل الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، واسمه يزيد بن مالك الجعفي أدرك علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، والنعمان بن بشير في آخرين من الصحابة.
وكان عالماً عابداً زاهداً، ورث مائتي ألف درهم فأنفقها على الفقهاء والقراء.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، قال: حدثنا محمد بن إسحق، قال: حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، قال: ربما دخلنا على خيثمة فيخرج العسكر من تحت السرير عليها الخبيص والفالوذج، فيقول: ما أشتهيه، كلوا أما إني ما جعلته إلا لكم.

وكان موسراً، وكان يصر الدراهم، فإذا رأى الرجل من أصحابه متخرق القميص أو الرداء أو به خلة تحينه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقى فيقول: اشتر قميصاً، اشتر رداء، اشتر حاجة كذا.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: حدثنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني خلاد بن أسلم، قال: حدثنا سعيد بن خيثم، قال: حدثنا محمد بن خالد الضبي، قال: لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض فثقل، فجاءته امرأته فجلست بين يديه فبكت، فقال لها: ما يبكيك؟ الكوت لا بد منه، فقالت له المرأة: الرجال بعدك علي حرام، فقال لها خيثمة: ما كل هذا أردت منك، إنما كنت أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد بن عبد الرحمن، وهو رجل فاسق يتناول الشراب فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد أن القرآن يتلى فيه كل ثلاث.

قال عبد الله بن أحمد: وحدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: وحدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن رجل، عن خيثمة أنه أوصى أن يدفن في مقبرة فقراء قومه.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ويكنى أبا جعفر وأمه أسماء بنت عميس. ولد بأرض الحبشة لما هاجر والداه إليها، وقال: أنا أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمي فنعى لها أبي فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرايقان بالدموع حتى تقطر على لحيته، ثم قال: "اللهم إن جعفر قد قدم إلي أحسن الثواب فأخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته".

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن منصور بن ربعي بن خراش، عن عبد الله بن شداد، أن علياً قال لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما:

ألا أعلمك كلمات لم أعلمهن حسناً ولا حسيناً: إذا سألت الله مسألة فأردت أن تنجح فقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا هبة الله بن أحمد الموصلي، قال: أخبرنا عبد الملك بن محمد بن بشران، قال: حدثنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد، قال: حدثنا إسحاق بن محمد بن أحمد النخعي، قال: حدثنا داود بن الهيثم، عن أبيه، عن إسحاق بن عبد الله بن جعفر، قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن جعفر، فقالت له: يا سيدي، وهبت لي بعض جاراتي بيضة فحضنتها تحت ثديي حتى خرجت فروجة، فغذوتها بأطيب الطعام حتى بلغت وقد ذبحتها وشويتها وكفنتاه برقاقتين وجعلت لله علي أن أدفنها في أكرم بقعة في الأرض ولا أعلم والله بقعة أكرم من بطنك. فكلها. فقال: يا بديح، خذها منها وامض فانظر إلى الدار التي هي فيها، فإن كانت لها فاشتر لها ما حولها من الدور، وإن لم تكن لها فاشترها واشتر لها ما حولها. فذهب ثم رجع فقال: قد اشتريت الدار لها وما حواليها، فقال: احمل لها على ثلاثين بعير حنطة وشعيراً وأرزاً وزبيباً وتمراً ودراهم ودنانير. قالت العجوز: لا تسرف، إن الله لا يحب

المسرفين.

قال النخعي: وأخبرني داود بن الهيثم، عن أبيه، عن جده، عن اسحاق: أن أعرابياً أتى عبد الله بن جعفر وهو محموم، فأنشأ يقول:

كم لوعة للندى وكم قلق ... للجود والمكرمات من قلقك

ألبسك الله منه عافية ... في يومك المعتري وفي أرقك

أخرج من جسمك السقام كما ... أخرج دم الفعال من عنقك

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسن بن مطر الحنبلي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله ابن أخي ميمي، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثنا محمد بن قدامة، قال: أخبرنا أبو أسامة، قال: حدثنا هشام، عن ابن سيرين، قال: جلب رجل سكراً إلى المدينة، فكسد عليه، فذكر ذلك لعبد الله بن جعفر، فأمر قهرمانه أن يشتريه وينهبه الناس.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد الكاتبة، قالت: أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج، قال: حدثنا أبو علي محمد بن الحسن الجازري إجازة إن لم يكن سماعاً، قال: حدثنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا أبو النضر العقيلي، عن جماعة من مشايخ أهل المدينة، قالوا: كانت عند عبد الله بن جعفر جارية مغنية يقال لها: عمارة، وكان يجد بها وجداً شديداً، وكان لها منه مكان لم يكن لأحد من جواريه، فلما وفد عبد الله بن جعفر على معاوية وخرج بها معه، فزاره يزيد ذات يوم فأخرجها إليه، فلما نظر إليها وسمع غناءها وقعت في نفسه، فأخذه عليها ما لا يملكه، وجعل لا يمنعه من أن يبوح بما يجد بها إلا مكان أبيه مع يأسه من الظفر بها، فلم يزل يكاتم أمرها إلى أن مات معاوية، وأفضى الأمر إليه، فاستشار بعض من قدم عليه من أهل المدينة وعامة من يثق به في أمرها، وكيف الحيلة فيها، فقيل له: إن أمر عبد الله بن جعفر لا يرام، ومنزله من الخاصة ومن العامة ومنك ما قد علمت، وأنت لا تستحسن إكراهه، وهو لا يبيعها بشيء أبداً، وليس يغني في هذا إلا الحيلة.

فقال: انظروا لي رجلاً عراقياً له أدب وظرف ومعرفة، فطلبوه، فأتوه به. فلما دخل رأى بياناً وحلاوة وفهماً، فقال يزيد: إني دعوتك لأمر إن ظفرت به فهو حظك عندي آخر الدهر، ويد أكافئك عليها إن شاء الله. ثم أخبره بأمره، فقال له:إن عبد الله بن جعفر لا يرام ما قبله إلا بالخديعة، ولن يقدر أحد على ما سألت فأرجو أن أكونه، والقوة بالله، فأعني بالمال. قال: خذ ما أحببت، فأخذ من طرف الشام وثياب مضر، واشترى متاعاً للتجارة من رقيق ودواب وغير ذلك، ثم شخص إلى المدينة، فأناخ بعرصة عبد الله بن جعفر، واكترى منزلاً إلى جانبه، ثم توسل إليه، وقال: رجل من أهل العراق قدمت بتجارة فأحببت أن أكون في عز جوارك وكنفك إلى أن أبيع ما جئت به، فبعث عبد الله بن جعفر إلى قهرمانه: أن أكرم الرجل ووسع عليه في منزله فأنزله. فلما اطمأن العراقي سلم عليه وعرفه نفسه، وهيأ له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق وألطافاً، فبعث به إليه، وكتب معها: يا سيدي، إني رجل تاجر، نعم الله علي سابغة، وقد بعثت إليك بشيء من طرف وكذا من الثياب والعطر، وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطية الظهر، وأنا أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قبلت هديتي، ولا توحشني بردها، إني أدين لله تعالى بحبك وحب أهل بيتك، وإن أعظم أملي في سفرتي أن أستفيد الأنس بك، والتحرم بمواصلتك. فأمر عبد الله بقبض هديته وخرج إلى الصلاة، فلما رجع مر بالعراقي في منزله، فقام إليه وقبل يده، فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة، فأعجب به وسر بنزوله عليه، فجعل العراقي في كل يوم يبعث إلى

عبد الله بطرف، فقال عبد الله: جزى الله ضيفنا هذا خيراً، قد ملأنا شكراً وما نقدر على مكافأته. فإنه لكذلك إلى أن دعاه عبد الله، ودعا بعمارة في جواريه، فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء عمارة تعجب وجعل يزيد في عجبه، فلما رأى كذلك عبد الله سر به إلى أن قال: هل رأيت مثل عمارة؟ قال: لا والله يا سيدي ما رأيت مثلها، وما تصلح إلا لك، وما ظننت أن تكون في الدنيا مثل هذه الجارية، حسن وجه، وحسن عمل، قال: فكم تساوي عندك؟ قال: ما لها ثمن إلا الخلافة، فقال: تقول هذا لتزين لي رأيي فيها وتجلب سروري، قال له: يا سيدي، والله إني لأحب سرورك وما قلت لك إلا الجد، وبعد فإني تاجر أجمع الدرهم على الدرهم طلباً للربح، ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها، فقال عبد الله: عشرة آلاف؟ قال: نعم. و لم يكن في ذلك الزمان جارية تعرف بهذا الثمن. فقال له عبد الله: أنا أبيعكها بعشرة آلاف، قال: قد أخذتها، قال: هي لك، قال: قد وجب البيع.

وانصرف العراقي، فلما أصبح عبد الله لم يشعر إلا بالمال قد وافى به، فقتل لعبد الله: قد بعث العراقي بعشرة آلاف دينار وقال: هذا ثمن عمارة، فردها وكتب إليه إنما كنت أمزح معك، وإنما أعلمك أن مثلي لا يبيع مثلها. فقال: جعلت فداك، إن الجد والهزل في البيع سواء، فقال له عبد الله: ويحك ما أعلم جارية تساوي ما بذلت، ولو كنت بايعها من أحد لآثرتك ولكني كنت مازحاً وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بي وموضعها من قلبي، فقال العراقي: إن كنت مازحاً فإني كنت جاداً، وما أطلعت على ما في نفسك، وقد ملكت الجارية وبعثت إليك بثمنها، وليست تحل لك، وما لي من أخذها بد، فمانعه أياماً، فقال: ليست لي بينة ولكني أستحلفك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره.

فلما رأى عبد الله الجد، قال: بئس الضيف أنت، ما طرقنا طارق وما نزل بنا نازل أعظم بلية منك، أتحلفني فيقول الناس: اضطهد عبد الله ضيفه وقهره فألجأه إلى أن استحلفه، أما والله ليعلمن الله عز وجل أني سأبليه في هذا الأمر الصبر وحسن العزاء، ثم أمر قهرمانه بقبض المال منه وتجهيز الجارية. فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار، وقال: هذا لك ولك عوضاً مما ألطفتنا، والله المستعان. فقبض العراقي الجارية وخرج بها، فلما برز من المدينة قال لها: يا عمارة، إني والله ما ملكتك قط ولا أنت لي، ولا مثلي يشتري جارية بعشرة آلاف دينار، وما كنت لأقدم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلبه أحب الناس إليه لنفسي، ولكني دسيس من يزيد بن معاوية، وأنت له، وفي طلبك بعث بي، فاستتري مني، فإن داخلني الشيطان في أمرك أو تاقت نفسي إليك فامتنعي.

ثم مضى بها حتى ورد دمشق، فتلقاه الناس بجنازة يزيد وقد استخلف ابنه معاوية بن يزيد، فأقام أياماً ثم تلطف للدخول إليه فشرح له القصة.

ويروى أنه لم يكن أحد من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه نبلاً ونسكاً، فلما أخبره قال: هي لك وكل ما دفعه لك من أمرها فهو لك، فارحل من يومك فلا أسمع بخبرك في شيء من بلاد الشام.

فرحل العراقي ثم قال للجارية: إني قد قلت لك ما قلت حين خرجت بك من المدينة، فأخبرتك أنك ليزيد وقد صرت لي، وأنا أشهد الله أنك لعبد الله بن جعفر، وإني قد رددتك عليه فاستتري مني. ثم خرج بها حتى قدم المدينة، فترل قريباً من عبد الله، فدخل عليه بعض خدمه فقال له: هذا العراقي ضيفك الذي صنع ما صنع، وقد نزل العرصة لا حياه الله. فقال عبد الله: مه، انزلوا الرجل وأكرموه، فلما استقر بعث إلى عبد الله: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي أذنة خفيفة أشافهك بشيء فعلت، فأذن له، فلما دخل

عليه قبل يده وقربه عبد الله، ثم قص عليه القصة حتى إذا فرغ قال: والله وهبتها لك قبل أن أراها أو أضع يدي عليها فهي لك ومردودة عليك، وقد علم الله تعالى أني ما رأيت لها وجهاً إلا عندك، وبعث إليها فجاءت، وجاء بما جهزها به موفراً.

فلما نظرت إلى عبد الله خرت مغشية عليها، وأهوى إليها عبد الله فضمها إليه، وخرج العراقي، وتصايح أهل الدار: عمارة عمارة. فجعل عبد الله يقول ودموعه تجري: أحلم هذا، أحق هذا، أصدق هذا، قال العراقي: ردها عليك إيثارك الوفاء، وصبرك على الحق وانقيادك له. فقال عبد الله: الحمد لله، اللهم إنك تعلم أني قد تصبرت عنها وأثرت الوفاء، وأسلمت لأمرك فرددتها على يمنك، فلك الحمد. ثم قال: يا أخا العراق، ما على الأرض أعظم منة منك، وسيجازيك الله تعالى. وأقام العراقي أياماً وباع عبد الله غنماً بثلاثة عشر ألف دينار، وقال لقهرمانه: احملها إليه، وقل له: أعذر عبد الله، واعلم أني لو وصلتك بكل ما أملك لرأيتك أهلاً لأكثر منه، فرحل العراقي محموداً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد يحيى بن الحسن بن المقتدر القاضي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد بن سويد، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا محمد بن أحمد المقري، قال: حدثنا عبد الله بن عمر، قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه، عن مشيخة له، قالوا: لما أمسك عبد الملك بن مروان يده عن عبد الله بن جعفر واحتاج وضاق إضاقة شديدة، فكان يصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشاء الآخرة، ويقيم في المسجد إلى أن لا يبقى فيه أحد، فدنى منه ذات ليلة رجل، فشكى إليه الحاجة، فقال له: أنا في إضاقة غير أن لك علي وعداً إذا جاءني شيء من غلتي أن أعطيك، قال: أنا مرهق لا أجد سبيلاً إلى الصبر، قال: أيقنعك أخذ ثوبي هذين – وكان عليه بردان يمينيان – قال: نعم، قال: فما لبث حتى انصرف، فلما انصرف دفع إليه البرد ثم استقبل القبلة، فقال: اللهم إنه لم يكن إلا ما أرى فاقبضني إليك. فحم ولم يخرج من مترله بعد هذا حتى خرجت جنازته.

وتوفي عبد الله بالمدينة في هذه السنة، وكان الوالي على المدينة أبان بن عثمان في خلافة عبد الملك، وهو صلى عليه وكان عمره تسعين سنة.

عبد الله بن أبي الهذيل، أبو المغيرة سمع من عمار، وخباب، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة وجرير، وابن عباس، وابن أبزى. وأرسل الحديث عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود.

وكان شديد الخوف من الله تعالى، كأنه مذعور.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو بكر بن حيان، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين، قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا عبد الله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن عبد الله بن الهذيل أنه قال: لقد شغلت النار من يعقل عن ذكر الجنة.

عبيد الله بن أبي بكرة ولي سجستان أيام زياد بن أبي سفيان، وغزا رتبيل في أيام الحجاج. وتوفي في هذه السنة.

وكان جواداً، وذكر ابن قتيبة في المعارف: أن أول من قرأ بالألحان عبيد الله بن أبي بكرة.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا المدائني، قال:

كان عبيد الله بن أبي بكرة يوماً جالساً مع أصحابه، فأتي بوصيف ووصيفة أهديا إليه، فقال لبعض جلسائه: خذهما إليك. ثم فكر فقال: إيثار بعض الجلساء على بعض قبيح، فقال: يا غلمان، يضم إلى كل واحد من جلسائنا وصيف ووصيفة، فضم إليهم ثمانين بين وصيف ووصيفة.

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، أن شيخاً من أهل الكوفة قال: أملقت حتى نقضت مترلي، فلما اشتد علي الأمر جاءتني الخادمة فقالت: والله ما لنا دقيق ولا معنا ثمنه. فقلت: أسرجي حماري، فأسرجته، فخرجت هارباً حتى انتهيت إلى البصرة، فلما شارفتها فإذا أنا بالموكب مقبل، فدخلت في جملتهم، فرجعت الخيل تريد البصرة، فصرت معهم حتى دخلتها، وانتهى صاحب الموكب إلى مترله، فترل، ونزل الموكب، ونزلت معهم، ودخلنا فإذا الدهليز مفروش والناس جلوس مع الرجل، فدعا بغداء، فجاءوه بأحسن غداء، فتغديت مع الناس، ثم دعا بالغالية فضمخنا، ثم قال: يا غلمان، هاتوا سفطاً، فجاء غلمانه بسفط أبيض مشدود، ففتح فإذا فيه أكياس مشدودة، في كل كيس ألف درهم، فبدأ يعطي فأمرها عليهم، ثم انتهى إلي فأعطاني كيساً، ثم ثنى فأعطاني آخر، ثم ثلث فأعطاني آخر، فأخذت الجماعة وبقي في السفط كيس واحد، فأخذه بيده وقال: هاك يا هذا الذي لا أعرفه، فأخذت أربعة أكياس، وخرجت، فقلت لإنسان: من هذا؟ فقال: عبيد الله بن أبي بكرة.

وبلغنا أن رجلاً انقطع إلى عبيد الله بن أبي بكرة، فألحقه بحشمه، وكفاه مؤونته، فبطر النعمة، فسعى به إلى عبيد الله بن زياد، فبلغ ذلك ابن أبي بكرة، فأطرق مفكراً، فقيل له: فيم فكرت؟ فقال: أخاف أن أكون قصرت في الإحسان إليه فحملته على مساوئ أخلاقه.

معاوية بن قرة بن إياس، يكنى أبا إياس روى عن أنس، وابن عباس وغيرهما.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عيسى، قال: حدثنا عيسى بن خالد، قال: حدثنا أبو اليمان، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن تمام بن نجيح، عن معاوية بن قرة، قال: أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئاً مما أنتم عليه إلا الآذان.

قال أبو نعيم: وحدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي، عن عبيد الله بن ميمون، قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن الله يرزق العبد رزق شهر في يوم واحد، فإن أصلحه أصلح الله على يديه، وعاش هو وعياله بقية شهرهم في خير، وإن هو أفسده أفسد الله تعالى عليه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بشر.

همام بن الحارث النخعي روى عن عمر، وابن مسعود، وأبي مسعود، وحذيفة، وأبي الدرداء، وعدي بن حاتم، وجرير، وعائشة.

وكان الناس يتعلمون من هديه وسمته. وكان طويل السهر. أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا حرب بن شداد، قال: حدثنا حصين، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث.

أنه كان يدعو: اللهم اشفني من النوم بالسهر، وارزقني سهراً في طاعتك، وكان لا ينام من الليل إلا هنيهة وهو قاعد.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

فمن الحوادث فيها: فتح قاليقلا وقال المدائني: أغزى عبد الملك ابنه عبيد الله سنة إحدى وثمانين، ففتح قاليقلا.

وفي هذه السنة: قتل بحير بن ورقاء الصريمي وكان السبب أن بحيراً هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله، فتعاقد سبعة عشر من بني عوف بن كعب على الطلب بدم بكير، فذهب بعضهم فقتله.

وفيها: خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق: وأقبلوا إليه لحربه، هذا قول أبي المخارق الراسبي.

وقال الواقدي: إنما كان ذلك في سنة اثنتين وثمانين.

وسبب خروجه مع ما كان في نفس كل واحد منهما على الآخر، وكان الحجاج يقول: ما رأيته إلا أردت ضرب عنقه، وكان عبد الرحمن يقول: إن طال بي وبه بقاء حاولت إزالته عن سلطانه، فلما بعثه الحجاج إلى حرب رتبيل فأصاب قطعة من مملكته، وكتب إلى الحجاج: إنا قد قنعنا بما أصبنا ثم في كل سنة نصيب شيئاً من ملكه.

فكتب إليه الحجاج: إنك كتبت إلي كتاب أمرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة، لعمرك يا ابن أم عبد الرحمن، إنك حين تكف عن ذلك العدو تظنني سخي النفس عمن أصيب من المسلمين، وقد رأيت أنه لم يحملك على ما رأيت إلا ضعفك، فامض لما أمرت به من الإيغال في أرضهم، وقتل مقاتليهم، ثم أردفه كتاباً آخر: أما بعد، فمر من قبلك من المسلمين أن يحرثوا ويقيموا، فإنها دراهم حتى يفتحها الله عز وجل عليهم. ثم أردفه كتاباً آخر: أما بعد، فامض لما أمرت به وإلا فخل ما وليت لأخيك إسحاق.

فدعا الناس وقال: إن الذي رأيت وافقني فيه أهل التجارب ورضوه رأياً، وكتبت بذلك إلى الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ويأمرني بتعجيل الإيغال في البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم، وآبى إذا أبيتم، فثار إليه الناس، وقالوا: لا بل نأبى على عدو الله ولا نطيعه.

فقام عامر بن واثلة الكناني، فقال: إن الحجاج لا يبالي بكم فإن ظفرتم أكل البلاد، وإن ظفر عدوكم كنتم الأعداء البغضاء فاخلعوه وبايعوا للأمير عبد الرحمن، وإني أشهدكم أني أول خالع. وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي، فقال: إن أطعمتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم، فبايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدو الله الحجاج فانفوه عن بلادكم. فوثب إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: تبايعونني على خلع الحجاج والنصرة لي وجهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق، فبايعه الناس، و لم يذكر خلع عبد الملك، وأمر عبد الرحمن الأمراء، وبعث إلى رتبيل فصالحه على أنه إن ظهر فلا خراج عليه أبداً، وإن هزم وأراده ألجأه عنده.

وبعث الحجاج إليه الخيل، وجعل ابن الأشعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري، فجعل لا يلقى للحجاج خيلاً إلا هزمها، ثم أقبل عبد الرحمن حتى مر بكرمان، فبعث عليها خرشة بن عمرو التميمي، فلما دخل الناس فارس اجتمع بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن وبايعوه، فكان يقول لهم: تبايعونني على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وخلع أئمة الضلالة، وجهاد المحلين، فإذا قالوا: نعم بايع.

فلما بلغ الحجاج أنه قد خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره ويسأله تعجيل بعثه الجنود له، وجاء حتى نزل البصرة، وكان قد بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن، فكتب إليه: أما بعد، فإنك قد وضعت رجلك يا بن أم محمد في غرز طويل، فالله الله، انظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين لا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها.

ولما وصل كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله، فنزل عن سريره، وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه الكتاب ثم خرج إلى الناس، فقال: إن أهل العراق طال عليهم عمري، اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام.

وأقام الحجاج بالبصرة، وتجهز للقاء ابن محمد، وفرسان أهل الشام يسقطون إلى الحجاج من قبل عبد الملك، وكتب الحجاج ورسله تسقط إلى عبد الملك، وسار الحجاج بأهل الشام حتى نزلت تستر، فالتقت المقدمات فهزم أصحاب الحجاج، فقال: أيها الناس، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر وطعام ومادة، فإن هذا المكان لا يحمل الجند. فمضى ودخل البصرة، ودخل عبد الرحمن بن محمد في أخر ذي الحجة، وقال: أما الحجاج فليس بشيء، ولكنا نريد غزو عبد الملك، فبايعه الناس على حرب الحجاج، وخلع عبد الملك جميع أهل البصرة من قرائها وكهولها، وبايعه عقبة بن عبد الغافر فخندق الحجاج عليه، وخندق عبد الرحمن على البصرة.

وفي هذه السنة: حج بالناس سليمان بن عبد الملك، وكان العامل على المدينة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق الحجاج، وعلى حرب خراسان المهلب، وعلى خراجها المغيرة بن المهلب من قبل الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة، وعلى قضاء البصرة ابن أذينة.

وفي هذه السنة: ولد ابن أبي ذئب.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر، أبو أمية رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد قبض، فصحب أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً، وشهد معه صفين. وسمع من ابن مسعود، ولم يسمع من عثمان شيئاً.

أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله ابن أخي ميمي، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدثنا عبد الله بن حماد الجهني، عن محمد بن أبان الجهني، عن عمران بن مسلم، قال: كان سويد بن غفلة إذا قيل له أعط فلاناً، وول فلاناً، قال: حسبي كسرتي وملحي.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: حدثنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا محمد بن أبي سهل، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: حدثنا عبد السلام، عن يزيد بن عبد الرحمن، عن المنهال بن خثيمة، عن سويد بن غفلة، قال: إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل لكل واحد منهم تابوتاً من نار على قدره ثم أقفل عليه بأقفال من نار، فلا يضرب فيهم عرق إلا وفيه مسمار من نار، ثم يجعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار، ثم يقفل عليه بأقفال من نار ثم يضرم بينهما نار، ثم يجعل ذلك في تابوت آخر من نار، ثم يقفل بأقفال من نار ثم يضرم بينهما، فلا يرى أحداً منهم في النار غيره.

كان سويد من المعمرين الأقوياء، تزوج وهو ابن ست عشرة سنة ومائة سنة. وكان يمشي إلى الجمعة، ويؤم قومه في رمضان.

وتوفي في هذه السنة، وقيل: في السنة التي بعدها، وهو ابن ثمان وعشرين ومائة سنة.

محمد بن علي بن أبي طالب، وهو ابن الحنفية واسمها خولة بن جعفر بن قيس. وقيل: كانت أمه من سبي اليمامة، فصارت إلى علي.

وقالت أسماء بنت أبي بكر: رأيتها سندية سوداء، وكانت أمة لبني حنيفة. ويكنى محمد أبا القاسم.

أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، وإسحاق بن يوسف الأزرق، قالا: حدثنا قطر بن خليفة، عن منذر الثوري، قال: سمعت محمد ابن الحنفية يقول: كانت هذه رخصة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إن ولد لي ولد بعدك أسميه باسمك، وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: وقد كان جماعة يسمون محمداً ويكنون بأبي القاسم، منهم: محمد بن أبي بكر، محمد بن طلحة بن عبيد الله، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، ومحمد عبد الرحمن بن عوف، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة، ومحمد بن الأشعث بن قيس.

وأخبرنا محمد بن ناصر، وعلي بن عمر بإسنادهما عن أبي بكر بن أبي الدنيا، قال: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن، قال: حدثني أبو عثمان المؤدب، قال: قال محمد بن الحنفية: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر.

قال أبو بكر بن عبيد: وحدثنا محمد بن عبد المجيد، أنه سمع ابن عيينة يقول: قال محمد بن الحنفية: إن الله عز وجل جعل الجنة ثمناً لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن سلمان، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان، قال: حدثنا محمد بن إسحاق السراج، قال: حدثنا عمر بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن علي بن الحسين، قال:

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتواعده ويحلف أنه ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية فسقط في درعه، فكتب إلى الحجاج: أن اكتب لمحمد بن الحنفية فتهدده وتواعده ثم أعلمني ما يرد إليك من جوابه.

فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد ويتواعده بالقتل. قال: فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله عز وجل ثلاثمائة وستين لحظة في كل يوم إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله، عز وجل، إلي نظرة يمنعني بها منك. قال: فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم نسخته، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت به، وما خرج إلا من بيت نبوة.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

فمن الحوادث فيها:

ما جرى بين الحجاج وابن الأشعث من الحرب

فمن ذلك أن ابن الأشعث كان قد دخل البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في محرم هذه السنة، وتزاحفوا ذات يوم فاشتد قتالهم فهزمهم أهل العراق حتى بلغت هزيمتهم إلى الحجاج، فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركبتيه وقال: لله در مصعب ما كان أكرمه، فعلم أنه لا يريد أن يفر، ثم هزم أهل العراق فخر ساجداً، وأقبل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة، وتبعه أهل القوة من أهل البصرة، فوثب أهل البصرة حينئذ إلى عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبد

المطلب فبايعوه، فقاتل بهم الحجاج أشد قتال خمس ليال، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث.

وفي هذه السنة: كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث وذلك في شعبان وبعضهم يقول: إنما كانت في سنة ثلاث وثمانين. وتلخيص القصة: أن ابن الأشعث لما جاء إلى الكوفة خرجوا لتلقيه، فلما دخل مال إليه أهل الكوفة كلهم، وسبقت همدان إليه، فحفوا به عند دار عمرو بن حريث، وبايعه الناس وتقوضت إليه المسالح والثغور، فأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعذيب، وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل البصريين، فمنعوه نزول القادسية، ثم سايره حتى نزل دير قرة.ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم، وجاء ابن الأشعث فترل دير الجماجم، وكان الحجاج يقول: ما كان عبد الرحمن يزجر الطير حين رآني نزلت دير قرة، ونزل دير الجماجم، فاجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة، وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم والقراء من المصرين، كلهم اجتمعوا على حرب الحجاج، وكانوا مبغضين له وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء، ومعهم مثلهم من مواليهم. وجاءت للحجاج أمداد من قبل عبد الملك، واشتد القتال، فقيل لعبد الملك: إن كان إنما يرضي أهل العراق أن يترع عنهم الحجاج فانزعه تحقن به الدماء، فإن نزعه أيسر من حربهم.

فأمر ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم، وأن يجري عليهم أعطياتهم كما تجري على أهل الشام، فإن هم قبلوا ذلك نزع عنهم الحجاج. وكان محمد بن مروان أمير العراق فإن هم لم يقبلوا ذلك فالحجاج أمير جماعة أهل الشام، وولي القتال، ومحمد وعبد الله في طاعته، فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغيظ له من ذلك مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم.

فكتب إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين، والله لإن أعطيت أهل العراق نزعي فإنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على عثمان بن عفان، فلما سألهم: ما تريدون، قالوا: نزع سعيد بن العاص، فلما نزعه لم تقم لهم قائمة حتى ساروا إليه فقتلوه، إن الحديد بالحديد يقرع، خار الله لك فيما ارتأيت.

فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب، فلما اجتمعا مع الحجاج خرج عبد الله، فقال: يا أهل العراق، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا، فذكر الخصال التي تقدم ذكرها، وقال محمد: أنا رسول أمير المؤمنين إليكم، وهو يعرض عليكم كذا وكذا، قالوا: نرجع العشية، فرجعوا واجتمعوا عند ابن الأشعث فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاه، فحمد الله تعالى ثم قال: أما بعد، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء، والقوم لكم هائبون.

فوثب الناس من كل جانب فقالوا: إن الله عز وجل قد أهلكهم، فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة، ونحن ذوو العدد الكثير، والمادة القريبة، لا والله لا نقبل.

وأعادوا خلعه ثانية، فرجع محمد بن مروان وعبد الله إلى الحجاج، فقالا: شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك، فإنا قد أمرنا أن نسمع ونطيع. وخلياه والحرب.

فبرزوا للقتال، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكناني، وعلى ميسرته عمارة بن تميم، وعلى خيله سفيان بن الأبرد، وعلى رجالته عبد الله بن حبيب. وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميمي، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس الهاشمي، وعلى رجالته محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي،

وكان فيهم عامر الشعبي، وسعيد بن جبير، وأبو البخترة الطائي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

ثم إنهم أخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها. فهم فيما هم فيه فيما شاءوا من خصبهم، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد، قد قل عندهم الطعام وفقدوا اللحم وكأنهم في حصار وهم على ذلك يقتتلون أشد قتال، فخرجوا ذات يوم وقد عبى الحجاج جيشه، ثم زحف في صفوفه، وخرج ابن الأشعث في سبعة صفوف بعضها في أثر بعض.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحميدي، قال: أخبرنا محمد بن سلامة القضاعي، قال: أخبرنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، قال: أخبرنا ابن دريد، قال: حدثنا أبو عثمان، قال: حدثني عبد الله، قال: حدثنا أبو التياح، قال: شهدت الحسن وسعيد بن أبي الحسن أيام ابن الأشعث، فأما ابن الأشعث فكان يأمر بالكف وينهي عن القتال، وأما سعيد فكان يحرض ويأمر بالقتال، ويقول: والله ما خلعنا أمير المؤمنين ولا نريد خلعه، ولكننا نقمنا عليه الحجاج، وكان الحسن يقول: أيها الناس، تعلموا والله ما سلط الحجاج عليكم إلا عقوبة من الله، فلا تعارضوا عقوبة الله بالحمية والسيوف، ولكن عارضوها بالتضرع والاستغفار.

وفي هذه السنة: توفي المغيرة بن المهلب بخراسان، وكان المهلب يومئذ وراء النهر لحرب من هناك، فولى أخاه يزيد بن المهلب مكان ولده.

وفيها: صالح المهلب من وراء النهر على شيء يؤدونه وفصل عنهم.

وفيها: توفي المهلب فولى الحجاج يزيد بن المهلب خراسان.

وفيها: عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة، وولاها هشام بن إسماعيل المخزومي، فلما وليها عزل نوفل بن مساحق العامري.

وقال الواقدي: كان هذا في سنة ثلاث وثمانين، فكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاث عشرة ليلة.

وفيها: حج بالناس أبان بن عثمان، وكان على العراق والمشرق الحجاج، وعلى خراسان يزيد بن المهلب من قبل الحجاج.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أوس بن خالد، أبو الجوزاء الربعي صحب ابن عباس اثنتي عشرة سنة، وسأله عن جميع آيات القرآن. وروى عن عائشة، وخرج مع ابن الأشعث فقتل أيام الجماجم.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: حدثنا نوح بن قيس، قال: حدثنا سليمان الربعي، قال: كان أبو الجوزاء يواصل في الصوم بين سبعة أيام، ثم يقبض على ذراع الشاب فيكاد يحطمها.

أسماء بن خارجة، أبو مالك الفزاري الكوفي روى عنه ابنه مالك.

روى الأصمعي، عن ابن عمرو بن العلاء، قال: دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان، فقال له: بلغني عنك خصال شريفة فأخبرني بهن، فقال: يا أمير المؤمنين، إن استماعهن من غيري أحسن من استماعهن مني. فقال: أقسم عليك إلا أخبرتني بهن، قال: يا أمير المؤمنين، ما سألني أحد قط حاجة إلا قضيتها كائنة ما كانت، ولا أكل رجل من طعامي ولا شرب من شرابي إلا

رأيت له الفضل علي، ولا أقبل علي بحديثه إلا أقبلت عليه بسمعي وبصري حتى يكون هو المولي عني، ولا مددت رجلي أمام جليسي فيرى أن ذلك استطالة مني عليه. قال: حسبك يا أسماء يحق لك أن تسود وتشرف وهذه خصالك.

وبلغنا أن أسماء بن خارجة رجع يوماً إلى باب داره فرأى فتى على الباب، فقال: يا فتى، ما يجلسك هاهنا؟ فقال: خير. فألح عليه، فقال: جئت سائلاً إلى هذه الدار فخرجت إلي منها جارية ترفد فاختطفت قلبي، فجلست لكي تخرج ثانية فأنظر إليها. قال: أو تعرفها؟ قال: نعم. فدعا بالجواري، فجعل يعرضهن عليه حتى مرت به، قال: هي هذه. قال: مكانك. فخرج إليه بعد قليل فجعل يعتذر إليه ويقول: إنها لم تكن لي، كانت لبعض بناتي وقد اشتريتها لك بثلاثة آلاف درهم، خذها بارك الله لك فيها.
خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كان من رجالات قريش والمعدودين من كبرائهم سخاء وفصاحة وعقلاً. وكان قد شغل نفسه بعمل الكيمياء، فضاع زمانه. وكان مروان بن الحكم قد تزوج أمه أم خالد لأجل أن الناس كانوا ينظرون إلى خالد لمكان أبيه، وكان مروان يطمعه في بعض الأمر ثم بدا له فعقد لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، وأخذ يضع من خالد حتى شتمه يوماً وذكر أمه بالقبح – على ما ذكرنا في أخبار مروان بن الحكم – فكان ذلك سبب قتل مروان.
أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: حدثنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدثنا المبرد، قال: حدثنا هشام، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: حج عبد الملك بن مروان وحج معه خالد بن يزيد بن معاوية، وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم. وكان عظيم القدر عند عبد الملك. فبينا هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام فعشقها عشقاً شديداً، ووقعت بقلبه وقوعاً متمكناً. فلما أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه، فوقع بقلب عبد الملك همه، فبعث إليه يسأله عن أمره، فقال: يا أمير المؤمنين، رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت قد أذهبت عقلي، والله ما أبديت لك ما بي حتى عيل صبري، فلقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله، والسلو على قلبي فامتنع منه، فأطال عبد الملك التعجب من ذلك وقال: ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك، فقال: وإني لأشد تعجباً من تعجبك مني، ولقد كنت أقول إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس: الشعراء، والأعراب. فأما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء والغزل، فمال طمعهم إلى النساء، فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى فاستسلموا له منقادين. وأما الأعراب، فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها، ولا يشغله شيء عنه، فضعفوا عن دفع الهوى، فتمكن منهم. وجملة أمري ما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحرم، وحسنت عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه. فتبسم عبد الملك وقال: أو كل هذا قد بلغ بك، فقال: والله ما عرفتني هذه البلية قبل وقتي هذا، فوجه عبد الملك إلى آل الزبير يخطب رملة على خالد، فذكروا لها ذلك فقالت: لا والله، أو يطلق نساءه، فطلق امرأتين كانتا عنده، إحداهما من قريش والأخرى من الأزد، وظعن بها إلى الشام. وفيها يقول:

أليس يزيد الشوق في كل ليلة … وفي كل يوم من حبيبتنا قربا
خليلي ما من ساعة تذكرانها … من الدهر إلا فرجت عني الكربا
أحب بني العوام طراً لحبها … ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: وقد ازداد بعض أعدائه في هذه الأبيات:

فإن تسلمي نسلم وإن تتنصري يخط رجال بين أعينهم صلبا

فلما سمع البيت قال من قاله: لعنه الله عليه وعلى من يجيبه.

أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو جعفر ابن المسلمة، قال: أخبرنا المخلص، قال: أحمد بن سليمان بن داود، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

دخلت رملة بنت الزبير على عبد الملك بن مروان، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية، فقال لها: يا رملة، غرني عروة منك، فقالت: لم يغررك ولكن نصحك، إنك قتلت مصعباً أخي، فلم يأمني عليك. وكان عبد الملك أراد أن يتزوجها، فقال له عروة: لا أرى ذلك لك. وكان الحجاج قد بعث إلى خالد: ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، فكيف خطبت إلى قوم ليسوا بأكفائك، وهم الذين نازعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيحة. فقال لرسوله: ارجع فقل له: ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أؤامرك في خطبة النساء، وأما قولك: نازعوا أباك وشهدوا عليه بالقبيح، فإنها قريش تتقارع، فإذا أقر الله الحق مقره تعاطفوا وتراحموا. وأما قولك: ليسوا لك بأكفاء. فقبحك الله يا حجاج ما أقل علمك بأنساب قريش، أيكون العوام كفوءاً لعبد المطلب بن هاشم حتى يتزوج صفية ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، ولا تراهم أكفاء لأبي سفيان.

ولما قدم الحجاج على عبد الملك مر بخالد فقال له رجل: من هذا؟ فقال خالد كالمستهزئ به: هذا عمرو بن العاص فرجع الحجاج إليه فقال: ما أنا بعمرو بن العاص ولكني ابن الغطاريف من ثقيف، والعقائل من قريش، ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف كلهم يشهد أن أباك وأنت وجدك من أهل النار، ثم لم آخذ لذلك عندك شكراً.

سفيان بن وهب الخولاني، أبو أيمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد مع عمرو فتح مصر، وولي الإمرة لعبد العزيز بن مروان على بعث الطليعة إلى إفريقية سنة ثمان وسبعين.

روى عنه أبو غسانة، وأبو البختري، والبربي، وبكر بن سوادة.

وتوفي في هذه السنة.

طلق بن حبيب العتري روى عن ابن عباس، وجابر، وكان متعبداً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا ابن أخي ميمي، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني عبد الصمد النعماني، قال: حدثنا يوسف بن عطية، عن الحجاج بن يزيد، قال: كان طلق بن حبيب يقول: إني لأحب أن أقوم لله حتى أشتكي ظهري، فيقوم فيبتدئ بالقرآن حتى يبلغ الحجر ثم يركع.

عمر بن عبيد الله بن معمر أبو حفص التميمي، أمير البصرة كان جواداً صديقاً لزياد الأعجم قبل أن يلي، فقال له عمر: يا أبا أمية، لو قد وليت لتركتك لا تحتاج إلى أحد أبداً. فلما ولي عمر فارس قصده زياد، فلما لقيه أنشأ يقول:

ألا ابلغ أبا حفص رسالة ناصح أتت من زياد مستبيناً كلامها

فإنك مثل الشمس لا ستر دونها فكيف أبا حفص علي ظلامها

فقال له عمر: لا يكون عليك ظلامها أبداً، فقال:

لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى أمور معد في يديك نظامها

فقال: قد رأيت ذلك، فقال:

فلما أتاني ما أردت تباشرت بناتي وقلن العام لا شك عامها

قال:: فهو عامها إن شاء الله تعالى قال:

فأنى وأرض أنت فيها ابن معمر كمكة لم يطرق لأرض حمامها

قال: فهي كذلك يا زياد، فقال:

إذا اخترت أرضاً للمقام رضيتها لنفسي ولم يثقل علي مقامها

وكنت أمني النفس منك ابن معمر أماني أرجو أن تتم تمامها

قال: قد أتمها الله لك، قال:

فلا أك كالمجرى إلى رأس غاية ترجى سماء لم تصبه غمامها

فقال: لست كذلك، فسل حاجتك، فقال نجيبة وخادمها، وفرس رائع وسائسه، وبدرة وحاملها، وجارية وخادمها، وتخت ثياب ووصيفة تحمله، فقال: قد أمرنا بجميع ما سألت، وهو لك علينا في كل سنة. فخرج من عند عمر حتى قدم على عبد الله بن الخشرج وهو بسابور، فأنزله وألطفه، فقال في ذلك:

إن السماحة والمروءة والندا في قبة ضربت على ابن الخشرج

لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفيت باب نوالكم لم يرتج

فأمر له بأربعة آلاف درهم.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد الكاتبة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا علي ابن أبي علي المعدل، قال: حدثني أبي، قال: روى أبو روق الهمداني، عن الرياشي:

أن بعض أهل البصرة اشترى صبية فأحسن تأديبها وتعليمها، وأحبها كل المحبة، وأنفق عليها حتى أملق، وحتى مسه الضر الشديد، فقالت الجارية: إني لأرى لك يا مولاي مما أرى بك من سوء الحال، فلو بعتني اتسعت بثمني فلعل الله أن يصنع لك وأقع أنا بحيث يحسن حالي فيكون ذلك أصلح لكل واحد منا. قال: فحملها إلى السوق، فعرضت على عمر بن عبد الله بن معمر التيمي، وهو أمير البصرة يومئذ، فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم، فلما قبض مولاها الثمن وأراد النصراف استعبر كل واحد منهما إلى صاحبه شاكياً، فأنشأت الجارية تقول:

هنيئاً لك المال الذي قد حويته ولم يبق في كفي غير تذكري

أقول لنفسي وهي في غشي كربة أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري

إذا لم يكن للأمر عندك حيلة ولم تجدي شيئاً سوى الصبر فاصبري

فاشتد بكاء المولى ثم أجابها يقول:

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري

أروح بهم في الفؤاد مبرح أناجي به قلباً شديد التفكر

عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر: قد شئت، خذها ولك المال، فانصرفا راشدين، فوالله لا كنت سبباً لفرقة محبين.

وروى ابن عائشة، عن أبيه، قال: لما خرج ابن الأشعث أرسل عبد الملك إلى عمر بن عبد الله بن معمر ليقدم عليه، فمات في الطريق بالطاعون. فقام عبد الملك على قبره وقال: أما والله لقد علمت قريش أنها فقدت اليوم ناباً من أنيابها.

ورثاه الفرزدق الشاعر فقال:

كانت يداه لنا سيفاً نصول به على العدو وغيثاً ينبت الشجرا

أما قريش أبا حفص قد رزيت بالشأم إذا فارقتك الناس والظفرا

المهلب بن أبي صفرة وكان اسم أبي صفرة ظالماً، ويكنى المهلب أبا سعيد: وقد أدرك عمر لكنه لم يرو عنه، وروى عن سمرة وغيره، وولي خراسان، وكان جواداً. أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: حدثنا ابن دريد، قال: أخبرنا المعلى، عن حاتم، قال: أخبرني حفص بن عمر، قال: نزل المهلب في دار محمد بن مخنف، فلما شخص قال: دعوا لهم المتاع، فترك لهم بسطاً وغيرها بثلاثمائة ألف درهم. أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: حدثنا شجاع بن فارس، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا ابن أخي ميمي، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني هارون بن أبي يحيى السلمي، قال: حدثني مسامر بن جميل: أن المهلب مر بقوم فأعظموه وسودوه، فقال رجل: ألهذا الأعور تسودون، والله لو خرج إلى السوق ما جاء إلا بألفي درهم. فقال لبعض من معه: أتعرف الرجل؟ قال: نعم، فلما انتهى إلى منزله أرسل إليه ألفي درهم، وقال: أما أنك لو زدتنا في القيمة لزدناك في العطية.

قال القرشي: وحدثني محمد بن أبي رجاء، قال: أغلظ رجل للمهلب بن أبي صفرة، فسكت، فقيل له: أربا عليك، قال: لم أعرف مساوئه فكرهت أن أبهته بما ليس فيه.

قال علماء السير: انصرف المهلب من وراء النهر يريد مرو، فمرض، فجمع من حضر من ولده، ودعا بسهام فحزمت، فقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله عز وجل، وصلة الرحم، وأنهاكم عن القطيعة، واعرفوا لمن يغشاكم حقه، وكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل، وعليكم في الحرب بالأناة والمكيدة فإنها أنفع من الشجاعة، وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين، وإياكم وكثرة الكلام.

ومات في ذي الحجة من هذه السنة بمرو الروذ، واستخلف على خراسان ولده يزيد فأقره الحجاج.

ومن العجائب: أنه كان للمهلب ثلاثة أولاد: يزيد، وزياد، ومدرك، ولدوا في سنة واحدة، وقتلوا في سنة واحدة، وأسنانهم واحدة،

عاش كل واحد منهم ثمانية وأربعين سنة.

المغيرة بن المهلب كان خليفة أبيه على عمله كله، فتوفي في رجب من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

فمن الحوادث فيها:

هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم

وذلك أن عبد الرحمن نزل دير الجماجم، وهو دير بظاهر الكوفة على طرف البر الذي يسلك منه إلى البصرة، وإنما سمي بدير الجماجم لأنه كان بين أياد والقين حروب فقتل من أياد والقين خلق كثير ودفنوا، فكان الناس يحفرون فتظهر لهم جماجم فسمي دير الجماجم، وذلك اليوم بيوم الجماجم.

ونزل الحجاج دير قرة – وهو مما يلي الكوفة بإزاء دير الجماجم – فقال الحجاج: ما اسم هذا الموضع الذي نزل فيه ابن الأشعث؟ قيل له: دير الجماجم، فقال الحجاج: يقال هو بدير الجماجم فتكثر جماجم أصحابه عنده، ونحن بدير قرة ملكنا البلاد، واستقررنا فيها.

واتصلت الحرب بينهما مائة يوم كان فيها إحدى وثمانون وقعة، وكان يحمل بعضهم على بعض، فحمل أهل الشام مرة بعد مرة، فنادى عبد الرحمن بن أبي ليلى: يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت علياً عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق ولا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البختري: أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم، وليغلبن على دنياكم.

وقال الشعبي: يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم.

وقال سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء، وأماتتهم الصلاة.

فحمل أصحاب عبد الرحمن على القوم حتى أزالوهم عن صفهم، ثم عادوا فإذا جبلة بن زحر بن قيس الجعفي الذي كان على الرجالة صريع، فانكسر القراء، وحمل رأسه إلى الحجاج، فقال: يا أهل الشام، أبشروا هذا أول الفتح، وما زالوا يقتتلون ويتبارز الرجل والرجل مائة يوم.

ثم إن أصحاب عبد الرحمن انهزموا في بعض الأيام، وأخذوا في كل وجه، وصعد عبد الرحمن المنبر، وأخذ ينادي الناس: عباد الله إلي إلي عباد الله، إلي أنا ابن محمد. وجاء إلى جماعة من أصحابه، فأقبل أهل الشام فحملوا عليهم وهو على المنبر، فقال له عبد الله بن يزيد الأزدي: انزل فإني أخاف عليك أن تؤسر، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به بعد اليوم. وحضر مع القوم

سلمة بن كهيل، وعطاء السلمي، والمعرور بن سويد، وطلحة بن مصرف.

ورأى طلحة رجلاً يضحك فقال له: أما إنك تضحك ضحك من لم يحضر الجماجم، فقيل له: وشهدت الجماجم؟ فقال: نعم ورميت فيها بسهم وليت يدي قطعت و لم أرم فيها.

ثم إنه نزل من على المنبر وانهزم أهل العراق لا يلوون على شيء، ومضى عبد الرحمن في أناس من أهل بيته إلى مترله، فخرجت إليه ابنته فالتزمها، وخرج أهله يبكون، فأوصاهم بوصية، وقال: لا تبكوا، فكم عسيت أن أبقى معكم، وإن الذي يرزقكم حي، ثم ودعهم وخرج من الكوفة، فقال الحجاج: لاتتبعوهم، ومن رجع فهو آمن.

وجاء الحجاج إلى الكوفة فدخلها، فجاء الناس إليه، فكان لا يبايعه أحد إلا قال: أتشهد أنك كفرت، فإذا قال نعم بايعه وإلا قتله، فجاء رجل من خثعم فقال له: أتشهد أنك كافر؟ فقال: بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله عز وجل ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر، قال: إذاً أقتلك، قال: وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري ظمء حمار، وإني لأنتظر الموت صباحاً ومساء، فقال: اضربوا عنقه، فضربت عنقه.

ودعا بكميل بن زياد فقتله، وأتي برجل فقال الحجاج: إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر، فقال: أخادعي أنت عن نفسي، أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد، فضحك الحجاج وخلى سبيله.

وأقام الحجاج بالكوفة شهراً.

وفي هذه السنة: كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم

وكان السبب أن محمد بن سعد بن أبي وقاص خرج بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن، واجتمع إليه ناس كثير، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها، فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن، فأقبل عبيد الله إليه وقال: إنما أخذتها لك. وخرج الحجاج قبل المدائن، فأقام بها خمساً حتى هيأ الرجال في المعابر، وخندق ابن الأشعث وأقبل نحو الحجاج والتقوا، فاقتتلوا فانهزم أهل العراق، وقتل أبو البختري الطائي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ثم قاتلوا فكشفوا أهل الشام مراراً، ثم انهزم ابن الأشعث.

وقيل: بل بعث الحجاج جنداً فأتوا عسكر ابن الأشعث من ورائهم في الليل، فتحيزوا لأن نهر دجيل عن يسارهم ودجلة أمامهم، فكان من غرق أكثر ممن قتل، ودخل الحجاج إلى عسكرهم فانتهب ما فيه، وقتل أربعة آلاف.

ومضى ابن الأشعث ومعه فل نحو سجستان، فأتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخمي، فأدرك ابن الأشعث بالسوس، فقاتلهم ابن الأشعث ساعة، ومضى ابن الأشعث حتى مر بكرمان، وجاء إلى بلدة له فيها عامل فاستقبله العامل وأنزله، فلما عقل أصحاب عبد الرحمن وتفرقوا عنه أوثقه ذلك العامل وأراد أن يأمن بذلك عند الحجاج، فجاء رتبيل حتى أحاط بذلك البلد، وبعث إليه ذلك الرجل وقال: والله لئن آذيته أو ضررته لأقتلنك ومن معك، ثم أسبي ذراريكم، وأقسم أموالكم، فقال له: أعطنا أماناً ونحن ندفعه إليك سالماً، فصالحهم على ذلك، فأخذه رتبيل فأكرمه.

ثم إن الفلول أقبلوا في أثر ابن الأشعث حتى سقطوا بسجستان، فكانوا نحواً من ستين ألفاً، وكتبوا إلى عبد الرحمن بعددهم، فخرج إليهم فساروا إلى هراة، فخرج من جملتهم عبيد الله بن عبد الرحمن في ألفين، ففارقهم، فلما أصبح ابن الأشعث قام فيهم فقال: إني قد شهدتكم في هذه المواطن فما من موطن إلا أصبر فيه نفسي حتى لا يبقى منكم أحد، فلما رأيت أنكم لا تصبرون أتيت مأمناً فكنت فيه، فجاءتني كتبكم بأن أقبل إلينا، فقد اجتمعنا، وهذا عبيد الله قد صنع ما رأيتم، فحسبي منكم يومي هذا، فاصنعوا ما بدا

لكم، فإني منصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من قبله، فمن أحب منكم أن يتبعني فليتبعني، ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب.
فمضى إلى رتبيل، ومضت معه طائفة، وبقي معظم العسكر، فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس فبايعوه، وذهبوا إلى خراسان حتى انتهوا إلى هراة، وسار إليهم يزيد بن المهلب فقاتلهم وأسر منهم، فبعث الأسرى إلى الحجاج فقتل منهم وعفى عن بعضهم. وجيء بفيروز فعذبه بأن شد القصب الفارسي المشقق عليه، ثم جر عليه، ثم نضح عليه الخل والملح، فلما أحس بالموت قال: لي ودائع عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً، فأخرجوني ليعلموا أني حي فيردوا المال، فقال الحجاج: أخرجوه، فأخرج إلى باب المدينة، فقال: من كان لي عنده شيء فهو في حل منه، ثم قتل.
وذكر الحجاج الشعبي فقال: أين هو؟ فقال يزيد بن أبي مسلم: بلغني أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالري، وكان الحجاج قد نادى: من لحق بقتيبة فهو آمن، فلحق به الشعبي، فقال ليزيد: ابعث إليه فليؤت به، فكتب إلى قتيبة: أن ابعث الشعبي.
قال الشعبي وكان صديقاً لابن أبي مسلم: فلما قدمت على الحجاج لقيته، فقلت: أشر علي، فقال: ما أدري غير أن أعتذر ما استطعت. فلما دخلت سلمت عليه بالإمرة، ثم قلت: أيها الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلمه الله عز وجل أنه الحق، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً، وقد والله حرضنا عليك وجهدنا كل الجهد، فما كنا فيما كنا أتقياء بررة، فإن سطوت فبذنوبنا، وإن عفوت فبحلمك، والحجة لك. فقال: أنت والله أحب إلي قولاً ممن يدخل وسيفه يقطر من دمائنا، ثم يقول: ما فعلت. قد أمنت عندنا يا شعبي.
أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك وابن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا القاضي إسماعيل بن سعيد بن سويد، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا أبو الحسن بن البراء، قال: حدثنا العباس بن عبد الله، قال: حدثني سليمان بن أحمد، عن عيسى بن موسى، عن الشعبي، قال:
انطلق بي إلى الحجاج وأنا في حلق الحديد، فلما كنت بباب القصر استقبلني يزيد بن أبي مسلم، وكان صديقاً لي، فقال لي: يا شعبي وآهاً لما بين دفتيك من العلم، وليس بيوم شفاعة، أقر للأمير بالشرك والنفاق على نفسك فبالحرى تنجو وما أراك بناج. ثم دخلت القصر فاستقبلني محمد بن الحجاج، فقال لي مثل مقالة يزيد، فلما دخلت على الحجاج قال لي: يا شعبي ألم أشرفك ولا يشرف مثلك؟ ألم أوفدك ولا يوفد مثلك؟ ألم أكتب إلى ابن أبي بردة قاضي الكوفة ألا يقطع أمراً دونك؟ قلت: كل ذلك قد كان أصلح الله الأمير، قال: فما الذي أخرجك؟ قلت: أحزن بنا المنزل، وضاق بنا المسلك، وأجدب بنا الجناب، واكتحلنا السهر، واستشعرنا الخوف، ووقعنا في حرب والله ما كنا فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، فقال: صدق، أطلقا عنه. فقال: وأمرني بلزوم بابه.
وفي هذه السنة: بنى الحجاج واسط القصب وكان سبب ذلك أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان، فعسكروا بحمام عمر. وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس، فانصرف إلى منزله ليلاً، فإذا سكران من أهل الشام قد طرق الباب، فقالت المرأة: هذا كل ليلة يأتينا فنلقى منه المكروه، فلما دخل ضرب الفتى رأسه فأندره، فلما أصبحوا علم الناس بالقتيل، فذهبوا به إلى الحجاج، فسأل المرأة فصدقته، فقال: قتيل إلى النار، لا قود له. ثم نادى مناديه: لا ينزلن أحد على أحد، وبعث رواداً يرتادون له منزلاً حتى نزل أطراف كسكر. فبينا هو في موضع واسط إذا راهب قد أقبل على حماره، فلما كان في موضع واسط بالت الأتان، فنزل الراهب فاحتفر الأرض وحمل التراب فرمى به في دجلة، فقال الحجاج: علي به، فجيء به، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله عز وجل فيه ما دام في الأرض من يوحد، فبنى المسجد في ذلك الموضع.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو الحسين بن النقور، قال: أخبرنا الحسين بن هارون الضبي، قال: في كتاب والدي عن البيهقي، قال: أخبرني الرياشي، قال: لما فرغ الحجاج من بناء واسط، قال للحسن البصري بعد فراغه منها: كيف ترى بناءنا هذا؟ قال الحسن: إن الله أخذ عهود العلماء ومواثيقهم أن لا يقولوا إلا الحق، أما أهل السماء أيها الأمير فقد مقتوك، وأما أهل الأرض فقد غروك، أنفقت مال الله في غير طاعته، يا عدو نفسه. فنكس الحجاج رأسه حتى خرج الحسن، ثم قال: يا أهل الشام، يدخل علي عبيد أهل البصرة ويشتمني في مجلسي ثم لا يكون لذلك معير ولا نكير، ردوه، فخرجوا ليردوه، ودعا بالسيف ليقتله، فلما دخل الحسن دعا بدعوات لم يتمالك الحجاج أن قربه ورحب به وأجلسه على طنفسته، ثم دعا بالطيب فغلف لحيته وصرفه مكرماً، فلما خرج من عنده تبعه الحاجب، وقال: يقول لك الأمير رأيتك تحرك شفتيك وقد كنت هممت بك، فماذا قلت في دعائك؟ فقال الحسن: قلت: يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا وولي نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ويا كهيعص، بحق طه ويس والقرآن العظيم أرزقني معروف الحجاج ومودته، واصرف عني أذاه ومعرته، فقال الحاجب عندها: بخ بخ لهذا الدعاء. وأمر الحجاج بأن يكتب له هذا الدعاء.

قال أبو إسحاق البيهقي: قال الرياشي: لقد دعوت بهذه الدعوات في الشدائد مراراً ففرج الله عني.

وفي هذه السنة: حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومي، وهو العامل على المدينة، وكان العمال على الأمصار العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الشامي: يقال: له صحبة، ولا يصح، وإنما يروي عن الصحابة، وكان من كتاب عبد الملك. وكان عبد الملك يقول: إن روحاً الشامي الطاغية عراقي الخط، حجازي الفقه، فارسي الكتابة. وكان معاوية هم بروح بن زنباع فقال له: لا تشتمن بي عدواً أنت وقمته، ولا تسوؤن بي صديقاً أنت سررته، ولا تهدمن مني ركناً أنت بنيته، هلا آتي حلمك وإحسانك على جهلي وإساءتي. فأمسك عنه.

زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان: رحل إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيد في الطريق.

روى عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وكبار الصحابة.

زاذان أبو عمرو، مولى كندة:

روى عن علي، وابن مسعود، وابن عمر، وجرير، وسلمان.

وعن سالم بن أبي حفصة، أن زاذان كان يبيع الثياب، فإذا عرض الثوب ناول شر الطرفين.

عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عيسى الأنصاري وفي اسم أبي ليلى أربعة أقوال: أحدهما يسار، والثاني بلال، والثالث بليل، والرابع داود بن أحيحة بن الحلاج بن الحريش بن جحجبا بن كلفة.

ولد عبد الرحمن لست سنين بقين من خلافة عمر بن الخطاب، وروى عن عمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، أبي، وكعب بن عجرة، والمقداد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وغيرهم.

روى عنه مجاهد، وثابت البناني، والأعمش، وغيرهم.

وكان ثقة، سكن الكوفة، وشهد حرب الخوارج بالنهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت بإسناد له عن يزيد بن أبي زياد، قال: قال لي عبد الله بن الحارث: اجمع بيني وبين ابن أبي ليلى، فجمعت بينهما، فقال عبد الله بن الحارث: ما شعرت أن النساء ولدت مثل هذا.

قتل عبد الرحمن في الجماجم سنة ثلاث وثمانين. وقيل سنة إحدى وثمانين. والأول أصح.

عبد الرحمن بن حجيرة، أبو عبد الله الخولاني روى عن ابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهما.

وكان عبد الرحمن قد اجتمع له القضاء بمصر، والقصص، وبيت المال. وكان يأخذ رزقه في القضاء مائتي دينار، وفي بيت المال مائتي دينار، وعطاؤه مائتا دينار، وجائزته مائتا دينار، فكان يأخذ في السنة ألف دينار، فلا يحول الحول وعنده ما يجب فيه الزكاة.

توفي في محرم هذه السنة.

عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، أبو المصبح، وهو أعشى همدان شاعر فصيح كوفي، من شعراء بني أمية، وكان زوج أخت الشعبي، والشعبي زوج أخته. وكان أحد القراء الفقهاء ثم ترك ذلك وقال الشعر، ورأى في المنام أنه دخل بيتاً فيه حنطة وشعير، فقيل له: خذ أيهما شئت، فأخذ الشعير، فقال له الشعبي: إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقلت الشعر، فكان ذلك.

وخرج مع الأشعث فأخذه الحجاج فقتله صبراً.

شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي أدرك رسول الله صلى عليه وسلم ولم يلقه. وسمع عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعماراً، وخباباً، وأبا مسعود، وأبا موسى، وأسامة بن زيد، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وأبا الدرداء، وابن عباس، وجرير بن عبد الله، والمغيرة بن شعبة. روى عنه منصور بن المعتمر، وعمر بن مرة، والأعمش وغيرهم. وكان من سكان الكوفة، وورد المدائن مع علي بن أبي طالب حين قاتل الخوارج بالنهروان.

قال الأعمش: قال لي شقيق: يا سليمان، لو رأيتني ونحن هراب من خالد بن الوليد يوم بزاخة، فوقعت عن البعير فكادت تندق عنقي، فلو مت يومئذ كانت النار أولى بي، وكنت يومئذ ابن إحدى عشرة سنة.

وقيل له: أيما أكبر أنت أو الربيع بن خثيم؟ فقال: أنا أكبر منه سناً، وهو كان أكبر مني عقلاً. وقيل له: بأي شيء تشهد على الحجاج؟ فقال: أتأمروني أنا أحكم على الله.

وكان يسمع موعظة إبراهيم التيمي فينتفض انتفاض الطير. وكان لا يلتفت في صلاة.

وقال: درهم من تجارة أحب إلي من عشرة من عطائي.

وعن سعيد بن صالح، قال: كان أبو وائل يؤم جنائزنا وهو ابن خمسين ومائة سنة، وعن عاصم قال: كان أبو وائل ينشج سراً، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحد يراه لم يفعل.

وعن عاصم قال: كان لأبي وائل خص من قصب، وهو فيه وفرسه، فكان إذا غزا نقضه، وإذا قدم بناه.

معاذة بنت عبد الله العدوية، تكنى أم الصهباء روت عن عائشة، وروى عنها الحسن، وأبو قلابة.

وكانت تحيي الليل، وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.

ولما قتل زوجها صلة بن أشيم وابنها في بعض الغزوات اجتمع النساء عندها، فقالت: مرحباً بكن إن كنتن جئتن لتهنئتي فمرحباً بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن. ولم تتوسد فراشاً بعد ذلك، وكانت تقول: والله ما أحب البقاء إلى لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

فلما احتضرت بكت ثم ضحكت، فسئلت عن ذلك، فقالت: أما البكاء فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر، وأما الضحك، فإني نظرت إلى أبي الصهباء وقد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضروان وهو في نفر ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً فضحكت إليه. ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً. فماتت قبل دخول وقت الصلاة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

فمن الحوادث فيها:

قتل الحجاج أيوب بن القرية

وكان ممن كان مع ابن الأشعث، وكان يدخل بعد ذلك على حوشب بن يزيد - وحوشب عامل الحجاج - فيقول حوشب: انظروا إلى هذا الواقف معي وغداً أو بعد غد يأتي كتاب من الأمير لا أستطيع إلا انفاذه. فبينا هو ذات يوم واقف أتاه كتاب من الحجاج: أما بعد، فإنك قد صرت كهفاً لمنافقي أهل العراق، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلي بابن القرية مشدودة يده إلى عنقه مع ثقة من قبلك.

فلما قرأ الكتاب رمى به إليه، فقرأه وقال: سمعاً وطاعة، فبعث به موثقاً، فدخل عليه، فقال: أصلح الله الأمير، أقلني عثرتي، فإنه ليس جواد إلا وله كبوة، فأمر به فقتل.

وفي هذه السنة: غزا عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ففتح المصيصة.

وفيها: فتح يزيد بن المهلب قلعة كان يراصدها، وكتب إلى الحجاج: إنا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم، وقتلنا طائفة وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة برؤوس الجبال وعراعر الأودية، وأهضام الغيطان. فقال الحجاج: من يكتب ليزيد؟ فقيل: يحيى بن يعمر، فكتب إلى يزيد ليحمله على البريد، فلما دخل عليه رأى أفصح الناس، فقال: أين ولدت؟ قال: بالأهواز، فقال: من أين لك هذه الفصاحة؟ قال: حفظت كلام أبي وكان فصيحاً. قال: فأخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد؟ قال: نعم كثيراً، قال: ففلان؟ قال: نعم، قال: فأخبرني عني ألحن: قال: نعم تلحن لحناً خفيفاً؛ تزيد حرفاً وتنقص حرفاً، وتجعل أن في موضع إن، قال: أجلتك ثلاثاً، فإن أجدك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك. فرجع إلى خراسان.

وفيها: حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان عمال الأمصار عمالها في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بديح، مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان يقال بديح المليح، فكانت فيه فكاهة ومزاح، وكان يغني، وروى الحديث عن عبد الله بن جعفر.

قال العتبي: دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه، فقال: مالك؟ قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني، قال: فإن بديحاً مولاي أرقى الخلق له، فوجه إليه عبد الملك، فجاء فقال: كيف رقيتك لعرق النسا؟ قال: أرقى خلق الله، فمد

رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت والله خفاً. يا غلام، ادع لي فلانة تجيء وتكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجها بالليل فلا ندعو بديحاً. فلما جاءت الجارية قال بديح: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كتبتها حتى تعجل حبائي، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صارت بين يديه، قال: وامرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال في مترلي، فأمر فحمل إلى مترله، فلما أحرزه قال: امرأته طالق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت   على النأي مني غير ذنبي فتنقم

قال: ويلك ما تقول؟ قال: امرأته طالق إن كان رقى إلا بما قال: فاكتمها علي، قال: وكيف وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر؟ فضحك عبد الملك حتى جعل يفحص برجليه.

توفي بديح في هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فمن الحوادث فيها:

هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

وسبب ذلك أنه لما رجع إلى رتبيل قال له رجل كان معه يقال له علقمة بن عمرو: ما أريد أن أدخل معك، قال: لم؟ قال: لأني أتخوف عليك وعلى من معك، والله لكأني بكتاب من الحجاج قد جاء إلى رتبيل يرغبه ويرهبه فإذا هو قد بعث بك سلماً أو قتلكم، ولكن هاهنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فنتحصن فيها، ونقاتل حتى نعطى أماناً أو نموت كراماً. فقال له عبد الرحمن: أما إنك لو دخلت معي لآسيتك وأكرمتك. فأبى عليه. فدخل عبد الرحمن إلى رتبيل، وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النضري، وأقاموا حتى قدم عليهم عمارة بن تميم، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم، فخرجوا إليه فوفى لهم.

وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن: أن ابعث به إلي، وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل. وكان عند رتبيل رجل من بني تميم يقال له عبيد بن أبي سبيع، فقال له: أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكفن الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن، فقال: إن فعلت ذلك فلك عندي ما سألت.

فكتب إليه الحجاج يخبره أن رتبيل لا يعصيه، وأنه لن يدع رتبيل حتى يبعث إليه بعبد الرحمن، فأعطاه الحجاج على ذلك مالاً وأخذ من رتبيل عليه مالاً، وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن إلى الحجاج، وترك له الذي كان يأخذه منه سبع سنين.

وفي رواية: أن عبد الرحمن أصابه سل، فلما مات وأرادوا دفنه حز رتبيل رأسه وبعث به إلى الحجاج.

وفي رواية: أن الحجاج كتب إلى رتبيل: إني قد بعثت إليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفاً من أهل الشام يطلبون ابن الأشعث. فأبى رتبيل أن يسلمه إليهم، وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع قد خص به، وتقرب من رتبيل وخص به، فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: إني لا آمن غدر هذا، فاقتله، فهم به، وبلغه ذلك، فخاف فوشى به إلى رتبيل، وخوفه الحجاج، وخرج سراً إلى عمارة، فاستعجل في ابن الأشعث، فجعل له ألف ألف، فكتب بذلك عمارة إلى الحجاج، فكتب إليه الحجاج: أن

أعط عبيداً ورتبيل ما سألاك، فاشترط رتبيل أشياء فأعطيها، وأرسل رتبيل إلى ابن الأشعث وثلاثين من أهل بيته وقد أعد لهم الجوامع والقيود، فقيدهم وأرسل بهم جميعاً إلى عمارة، فلما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات. فاحتز رأسه، فأتى به الحجاج، فأرسل به إلى عبد الملك.

وذكر بعضهم: أن مهلك عبد الرحمن كان في سنة أربع وثمانين.

وفي هذه السنة: عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وولاها المفضل بن المهلب أخا يزيد وسبب ذلك أن بعض أهل الكتاب قال له: يلي الأمر بعدك رجل يقال له يزيد، فقال: ليس إلا ابن المهلب، فعزله وولى المفضل فبقي تسعة أشهر، وكان يزيد قد ولي سنة اثنتين، وعزل سنة خمس.

وفيها: غزا المفضل باذغيس ففتحها وأصاب منها مغنماً، فقسمه بين الناس. ثم غزا مواضع أخر فظفر وغنم و لم يكن له بيت مال وإنما كان يقسم ما يغنم.

وفيها: أراد عبد الملك خلع أخيه عبد العزيز فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب، وقال: لا تفعل فإنك تبعث بهذا على نفسك العار، ولعل الموت يأتيه فتستريح منه. فكف عن ذلك ونفسه تنازعه، ودخل عليه روح بن زنباع، فقال: يا أمير المؤمنين، لو خلعته ما انتطح فيه عتزان، قال: ترى ذلك يا أبا زرعة؟ قال: إي والله، وأنا أول من يجيبك إلى ذلك، فقال: نصبح إن شاء الله.

فبينا هو على ذلك وقد نام عبد الملك – ونفسه تنازعه – وروح بن زنباع دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقاً، وكان عبد الملك قد تقدم إلى حجابه فقال: لا يحجب عني قبيصة أي ساعة جاء ليلاً أو نهاراً، إن كنت خالياً أو عندي أحد، وإن كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلمت بمكانه، فدخل وكانت الأخبار تأتي إليه قبل عبد الملك، فدخل عليه فسلم وقال: آجرك الله في أخيك عبد العزيز، قال: وهل توفي؟ قال: نعم، فاسترجع عبد الملك، ثم أقبل على روح، فقال: كفانا الله ما كنا نريد وما اجتمعنا عليه، فقال قبيصة: ما هو؟ فأخبره بما قد كان، فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين، إن الرأي كله في الأناة، والعجلة فيها ما فيها.

وفي رواية: أن عبد الملك لما أراد خلع عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد، كتب إلى أخيه: إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك، فأبى، فكتب إليه: فاجعلها له من بعدك، فكتب إليه: إني أرى في ولدي ما ترى في ولدك، وإني وإياك قد بلغنا أشياء لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً، وإني لا أدري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت لا تغثث علي بقية عمري فافعل. فرق عبد الملك، وقال: لا أغثث عليه بقية عمره.

وقال العمري: لا أعيب عليه بقية عمره. فلما مات عبد العزيز بن مروان بايع لولديه.

وفي هذه السنة: بايع عبد الملك لولديه الوليد ثم سليمان بعده

وجعلهما وليي عهده، فكتب ببيعتهما إلى البلدان، وكتب إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس إلى بيعة ابنيه الوليد وسليمان، فبايعوا غير سعيد بن المسيب فإنه أبى وقال: لا أبايع وعبد الملك حي فضربه هشام ستين سوطاً، وطاف به في ثياب شعر وسرحه إلى ذباب – ثنية بظاهر المدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون – فظن أنهم يريدون قتله، فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ردوه، فقال: لو ظننت أنهم لا يقتلونني ما لبست سراويل مسوح. فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: قبح الله هشاماً، إنما كان ينبغي له أن يدعوه إلى البيعة فإن أبى كف عنه أو يضرب عنقه.

وقد ذكرنا أن ابن المسيب ضرب في بيعة ابن الزبير أيضاً لأنه قال: لا أبايع حتى يجتمع الناس، فضربه جابر بن الأسود، وكان عامل

ابن الزبير في أيامه على المدينة.
وفي هذه السنة: ولي قتيبة بن مسلم خراسان.
وفيها: حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان العامل على المشرق والعراق الحجاج.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقد ذكرنا هلاكه في الحوادث.
عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى أبا الأصبغ روى عن أبي هريرة، وعقبة بن عامر. وكان مروان قد فتح مصر وولاه عليها، وأقره على ذلك عبد الملك، وعقد مروان العهد لعبد الملك، وبعده عبد العزيز. ثم أراد عبد الملك خلعه ليبايع لابنيه الوليد، وسليمان، فتوفي عبد العزيز بمصر في جمادى الأولى من هذه السنة.
وقيل: بل في جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين.
وكان يقول حين حضرته الوفاة: ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً. فلما بلغ الخبر عبد الملك ليلاً أصبح يدعو الناس، ويبايع للوليد بالخلافة، ثم لسليمان بعده.
أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عثمان البجلي، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن موسى بن إسحاق الأنصاري، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، قال: حدثنا محمد بن يحيى بن أبي حاتم، قال: حدثني محمد بن هانئ الطائي، قال: حدثنا محمد بن أبي سعيد، قال: قال عبد العزيز بن مروان: ما نظر إلي رجل قط فتأملني فاشتد تأمله إياي إلا سألته عن حاجته، ثم أبيت من ورائها، فإذا تعار من وسنه مستطيلاً ليله مستبطئاً لصحبه مقارفاً للقائي، ثم غدا إلي أن تجارته في نفسه وغدا التجار إلى تجارتهم إلا رجع من غدوة إلى أربح من تجر. وعجباً لمؤمن موقن أن الله يرزقه ويوقن أن الله يخلف عليه، كيف يحبس مالاً عن عظيم جزاء وحسن سماع.
أخبرنا موهوب بن أحمد، ومحمد بن ناصر، والمبارك بن علي، قالوا: أخبرنا علي بن العلاف، قال: أخبرنا أحمد بن علي الحمامي، قال: أخبرنا عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم، قال: حدثنا موسى بن عبد الله، قال: حدثنا ابن أبي سعيد الوراق، قال: حدثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزهري، قال: حدثني محمد بن الحارث المخزومي، قال: دخل على عبد العزيز بن مروان رجل يشكو صهراً له، فقال: إن ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من ختنك؟ فقال له: ختنني الختان الذي يختن الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: ويحك، ما أجابني؛ فقال له: أيها الأمير، إنك لحنت وهو لا يعرف اللحن، كان ينبغي أن تقول له: ما ختنك، فقال عبد العزيز: أراني أتكلم بكلام لا يعرفه العرب، لا شاهدت الناس حتى أعرف اللحن. قال: فأقام في البيت جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه العربية، قال: فصلى بالناس الجمعة وهو من أفصح الناس. قال: وكان يعطي على العربية، ويحرم على اللحن حتى قدم عليه زوار من أهل المدينة وأهل مكة من قريش، فجعل يقول للرجل منهم ممن أنت؟ فيقول من بني فلان، فيقول للكاتب: أعطه مائتي دينار، حتى جاءه رجل من بني عبد الدار بن قصي فقال: ممن أنت؟ قال: من بنو عبد الدار، فقال له: خذها في جائزتك، وقال للكاتب: أعطه مائة دينار.
واثلة بن الأسقع بن عبد العزيز بن عبد يا ليل بن ناشب، أبو قرصافة أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الجوهري،

قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا ابن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال:

كان واثلة لما نزل ناحية المدينة وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى معه الصبح، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه، فلما دنا من واثلة، قال: "من أنت؟" فأخبره، قال: "ما جاء بك؟" قال: جئت أبايع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على ما أحببت وكرهت"، قال: نعم، قال: "فيما أطقت"، قال: نعم. فأسلم وبايعه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز يومئذ إلى تبوك، فخرج واثلة إلى أهله، فلقي أباه الأسقع، فلما رأى حاله قال: قد فعلتها، قال: نعم، قال أبوه: والله لا أكلمك أبداً، فأتى عمه فسلم عليه، فقال: قد فعلتها؟ قال: نعم. فلامه أيسر منلائمة أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر. فسمعت أخت واثلة كلامه، فخرجت إليه فسلمت عليه بتحية الإسلام، فقال واثلة: أنى لك هذا يا أخية؟ قالت: سمعت كلامك وكلام عمك وأسلمت، فقال: جهزي أخاك جهاز غاز، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم على جناح سفر.

فجهزته فلحق النبي صلى الله عليه وسلم قد تحمل إلى تبوك، وبقي غبرات من الناس، وهم على الشخوص، فجعل ينادي بسوق بني قينقاع: من يحملني وله سهمي؟ قال: فدعاني كعب بن عجرة، فقال: أنا أحملك، عقبة بالليل وعقبة بالنهار، ويدك أسوة بيدي، وسهمك لي. قال واثلة: فقلت: نعم وجزاه الله خيراً، لقد كان يحملني ويزيدني، وآكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد، وخرجت معه فأصبنا فيئاً كثيراً، فقسمه خالد بيننا، فأصابني ست قلائص، فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة، فقلت: اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها. فخرج وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك فيها، ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئاً.

وكان واثلة من أهل الصنعة، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الشام.

قال محمد بن عمر: حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، قال: مات واثلة بن الأسقع بالشام سنة خمس وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة في آخر خلافة عبد الملك بن مروان.

ثم دخلت سنة ست وثمانين

فمن الحوادث فيها: وقوع الطاعون، ويقال طاعون الفتيات، ماتت فيه الجواري، وكان بالشام والبصرة وواسط، والحجاج يومئذ بواسط.

وقيل: أنه كان في سنة سبع وثمانين.

وفيها: مرض عبد الملك. ومات، وبويع لولده الوليد بن عبد الملك بن مروان.

باب ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

ويكنى أبا العباس، أمه ولادة العبسية، وكان أسمر طوالاً، حسن الوجه، وكان له تسعة عشر ابناً: عبد العزيز، ومحمد أمهما أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وأبو عبيدة أمه فزارية، والعباس، وإبراهيم وليا الخلافة، وتمام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسرور، وصدقة، ومنصور، ومروان، وعنبسة، وعمر وهو فحل بني مروان وكان يركب ومعه ستون من صلبه ذكوراً، وروح، وبشر، ويزيد

وهو الناقص ولي الخلافة، ويحيى، لأمهات شتى.

وقد ذكرنا أن عبد الملك بايع للوليد قبل موته، وكان أهل الشام يرون للوليد فضلاً ويقولون: بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة، وأعطى المجذمين، وقال: لا تسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادماً، وكل ضرير قائداً، وكان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل بيده، فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس، فيقول: زد فيها. وما مات الحجاج حتى ثقل على الوليد، وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ مصانع، وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان، وكان صاحب نكاح وطعام، وكان الناس يلتقون فيسأل الرجل الرجل عن التزويج والجواري، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى ختمت ومتى تختم؟ وكثرت الفتوح في أيام الوليد، وكان مسلمة بن عبد الملك يتغلغل في بلاد الروم، وقتيبة بن مسلم في بلاد العجم والترك، وفتح كاشغر، وافتتح محمد بن القاسم بلاد الهند، وفتح محمد بن نصير أرض الأندلس، ووجد بها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام المرصعة بالجواهر،

وكان في الوليد نوع ذكاء وفطنة، وسمع صوت ناقوس فأمر بهدم البيعة،فكتب إليه ملك الروم: إن هذه البيعة أقرها من قبلك، فإن كانوا أصابوا فقد أخطأت، وإن تكن أصبت فقد أخطأوا، فقال الوليد: من يجيبه؟ فأحجم الناس، فأمر الوليد أن يكتب إليه "ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً".

وكان الوليد لحانة وكان عبد الملك يقول: أضرنا بالوليد حبنا له فلم نعربه في البادية – وقال لرجل: ما شآنك؟ فقال له: شيخ يانعي، فقال له عمر بن عبد العزيز: إن أمير المؤمنين يقول لك: ما شأنك؟ قال: ختني ظلمني، فقال له الوليد: من ختنك، فنكس الإعرابي رأسه وقال: ما سؤال أمير المؤمنين عن هذا؟ فقال له عمر: إنما أراد أمير المؤمنين من ختنك؟ فقال: هذا، وأشار إلى رجل معه.

وكان الوليد أول من كتب من الخلفاء في الطوامير، وعظم الكتب، وحلل الخط، وقال: لتظهر كتبي على كتب غيري.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محفوظ بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد الكلبي، قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك، ومهدي بن سابق، قالا: حدثنا الفهيم بن عدي، عن صالح بن كيسان، قال: كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقاً للوليد يأتيه ويؤانسه، فجلسا يوماً يلعبان بالشطرنج إذ أتاه الاذن، فقال: أصلح الله الأمير رجل من أخوالك من أشراف ثقيف قدم غازياً وأحب السلام عليك، فقال: دعه، فقال عبد الله: وما عليك ائذن له، فقال: نحن على لعبنا وقد انحجبت، قال: فادع بمنديل وضعه عليها ويسلم الرجل ونعود، ففعل ثم قال: ائذن له، فدخل وله هيئة، بين عينيه أثر السجود، وهو معتم قد رجل لحيته، فسلم وقال: أصلح الله الأمير، قدمت غازياً فكرهت أن أجوزك حتى أقضي حقك، قال: حياك الله وبارك عليك. ثم سكت عنه، فلما أنس أقبل عليه الوليد فقال: يا خال هل جمعت القرآن؟ قال: لا كانت تشغلنا عنه شواغل، قال: هل حفظت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه أو أحاديثه شيئاً؟ قال: كانت تشغلنا عن ذلك أموالنا، قال: فأحاديث العرب وأيامها وأشعارها؟ قال : لا، قال: فأحاديث أهل الحجاز ومضاحكها؟ قال: لا، قال: فأحاديث العجم وآدابها؟ قال: ذلك شيء ما كنت أطلبه. فرفع الوليد المنديل، قال: شاهك، قال عبد الله بن معاوية: سبحان الله، قال: لا والله ما معنا في البيت أحد. فلما رأى ذلك الرجل منهما خرج وأقبلوا على لعبهم.

ولما دفن عبد الملك دخل الوليد المسجد فصعد المنبر، فخطب فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، الله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا.

فكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السكوني وهو يقول:

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد المشركون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها

ثم تتابع الناس على البيعة.

وفي هذه السنة: قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج قدم والمفضل يعرض الجند، وهو يريد أن يغزو فخطب قتيبة وحثهم على الجهاد، ثم عرض الجند وسار واستخلف بمرو على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو، وعلى الخراج عثمان بن السعدي، فعبر النهر وتلقته الملوك بهدايا، وافتدوا منه بلادهم فرضي ورجع إلى مرو.

وقد زعم بعضهم أن قدوم قتيبة خراسان كان في سنة خمس وثمانين، وكان فيما سبى امرأة برمك، أبي خالد بن برمك.

وفيها: غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم

روى أبو بكر بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي معمر، عن رجل من أهل الكوفة، قال: كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم، فسبى سبياً كثيراً وأقام ببعض المنازل، فعرض السبي على السيف، فقتل خلقاً كثيراً حتى عرض عليه شيخ ضعيف، فأمر بقتله، فقال: ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلي، إن تركتني جئتك بأسيرين من المسلمين شابين، قال: ومن لي بذلك؟ قال: إني إذا وعدت وفيت، قال: لست أثق بك، قال: فدعني أطوف في العسكر لعلي أعرف من يكفلني إلى أن أمضي وأجيء بالأسيرين. فوكل به من أمره بالطواف معه في عسكره والاحتفاظ به، فما زال الشيخ يتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بني كلاب قائماً يحس فرساً له، فقال: يا فتى اضمني للأمير، وقص عليه قصته.

قال: فجاء الفتى معه إلى مسلمة فضمنه، فأطلقه مسلمة، فلما مضى قال: أتعرفه؟ قال: لا والله، قال: فلم ضمنته؟ قال: رأيته يتصفح الوجوه فاختارني من بينهم فكرهت أن أخلف ظنه.

فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيران من المسلمين شابان، فدفعهما إلى مسلمة وقال: أسأل الأمير أن يأذن لهذا الفتى أن يصير معي إلى حصني لأكافئه على فعله بي، قال مسلمة للفتى: إن شئت فامض معه. فلما صار إلى حصنه، قال: يا فتى، تعلم أنك ابني؟ قال: وكيف أكون ابنك وأنا رجل من العرب مسلم وأنت رجل نصراني من الروم؟ قال: أخبرني عن أمك ما هي؟ قال: رومية، قال: فإني أصفها لك، فبالله إن صدقت إلا صدقتني، قال: أفعل. وأقبل الرومي يصف أن الفتى لايخترم منها شيئاً، قال، هي كذلك، فكيف عرفت إني ابنها؟ قال: بالشبه، وتعارف الأرواح، وصدق الفراسة، ووجود شبهي فيك. ثم أخرج إليه امرأة، فلما رآها الفتى لم يشك أنها أمه لشدة شبهه بها، وخرجت معها عجوز كأنها هي، فأقبلا يقبلان رأس الفتى، فقال له الشيخ: هذه جدتك وهذه خالتك. ثم اطلع من حصنه فدعا بشباب في الصحراء فأقبلوا فكلمهم بالرومية، فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه، فقال: هؤلاء أخوالك وبنو خالاتك، وبنو عم والدتك. ثم أخرج إليه حلياً كثيرة، وثياباً فاخرة، وقال: هذه لوالدتك عندنا منذ سبيت، فخذه معك وادفعه إليها فإنها ستعرفه، ثم أعطاه لنفسه مالاً كثيراً وثياباً جليلة، وحمله على عدة دواب وبغال وألحقه بعسكر مسلمة

وانصرف.

وأقبل الفتى قافلاً حتى دخل مترله، وأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ أنه لأمه، فتراه فتبكي، فيقول لها: قد وهبته لك، فلما كثر هذا عليها، قالت: يا بني، أسألك بالله، أي بلدة دخلت حتى صارت إليك هذه الثياب؟ وهل قتلتم أهل الحصن الذي كان فيه هذا؟ فقال لها الفتى صفة الحصن كذا، وصفة البلد كذا، ورأيت فيه قوماً من حالهم كذا، فوصف لها أمها وأختها، وهي تبكي وتقلق، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: الشيخ والله أبيك، والعجوز أمي، وتلك أختي، فقص عليها الخبر وأخرج بقية ما كان أنفذه معه أبوه إليها فدفعه إليها.

وفي هذه السنة: حج بالناس هشام بن إسماعيل، وكان الأمير على العراق والمشرق كله الحجاج، وعلى الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله،وعلى البصرة أيوب بن الحكم، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد الملك بن مروان مرض فجعل في مرضه يذم الدنيا ويقول: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وأنا منك لفي غرور. ونظر إلى غسال يلوي ثوباً بيده، فقال: لوددت أني كنت غسالاً آكل من كسب يدي و لم آل شيئاً من هذا الأمر، فبلغ ذلك أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا احتضروا يتمنون ما نحن فيه، وإذا احتضرنا لم نتمن ما هم فيه.

ودخل عليه الوليد فتمثل عبد الملك يقول:

كم عائد رجلاً وليس يعوده ... إلا ليعلم هل يراه يموت

وتمثل أيضاً يقول:

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ... ومستخبرات والعيون سواجم

فجلس الوليد يبكي، فقال: ما هذا؟ أتحن حنين الحمامة والأمة إذا مت فشمر اتزر، والبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه.

وفي رواية أن الأطباء منعوه أن يشرب الماء رياً، فكان يشرب قليلاً قليلاً، فاشتد عطشه فشرب رياً فمات.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، وابن ناصر، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار الصيرفي، قال: أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن محمد النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد بن سويد، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المدائني، قال: لما اشتد مرض عبد الملك بن مروان، أيقن بفراق الدنيا والإفضاء إلى الآخرة، دعى أبا علاقة مولاه فقال له: يا أبا علاقة، والله لوددت أني كنت منذ يوم ولدت إلى يومي هذا حمالاً. و لم يكن لي من البنات إلا واحدة، يقال لها فاطمة، وكان قد أعطاها قرطي مارية والدرة اليتيمة – فقال: اللهم إني لم أخلف شيئاً أهم إلي منها فاحفظها. فتزوجها عمر بن عبد العزيز. وكان عند عبد الملك بنوه: الوليد، وسليمان، ومسلمة، وهشام ويزيد، فقال لآذنه: اخرج فانظر من الباب ثم أعلمني، فخرج فنظر ثم أتاه، فقال: بالباب خالد بن يزيد بن معاوية، وخالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص، فقال: ائتني بسيفي، فأتاه به، فقال: جرده، فجرده، ثم قال: ضعه تحت ثني فراشي، ففعل ثم قال: ائذن لهما، فلما دخلا قال:

أتعرفاني؟ قالا: سبحان الله يا أمير المؤمنين، أنت أمير المؤمنين وسيد الناس وولي أمرهم، قال: لا إلا باسمي و واسم أبي، قالا: أنت عبد الملك بن مروان، قال: فمن هذا، وأشار إلى الوليد، وكان خلفه قد تساند إليه، قالا: هذا سيد الناس بعدك، وولي أمرهم، قال: لا إلا باسمه واسم أبيه، قالا: هذا الوليد بن عبد الملك، قال: أتدريان لماذا أذنت لكما؟ قالا: لترينا أثر نعمة الله عندك وما قد صرت إليه من التماثل والإفاقة، قال: لا ولكنه قد نزل بي من الأمر ما قد تريان، فهل في أنفسكما من بيعة الوليد شيء؟ قالا: لا ما نرى أن أحداً هو أحق بها منه بعدك، قال: أولى لكما، أما والله لو غير ذلك قلتما لضربت الذي في عيناكما – ثم رفع فراشه فإذا بالسيف مجرد قد هيأه لهما، فخرجا عند ذلك.

ثم أقبل على بنيه فقال: يا بني أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلة، وأحصن كهف، وأحرز جنة. وأن يعطف الكبير منكم على الصغير، وأن يعرف الصغير منكم حق الكبير. وإياكم والفرقة والاختلاف، فإن بها هلك الأولون، وذل به ذو العز، أنظروا مسلمة وأصدروا عن رأيه، فإنه مجنكم الذي به تستجنون، ونابكم الذي عنه تفترون، وكونوا بني آدم بررة، ولا تدنوا العقارب منكم، وكونوا في الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، فإن الحرب لن تدني منية قبل وقتها، وإن المعروف يبقى آخره وذكره، واحلولوا في مرارة ولينوا في شدة، وضعوا الصنائع عند ذوي الأحساب والأخطار فإنهم أصون لأحسابهم، وأشكر لما يؤتى إليهم، وإياكم أن تخالفوا وصيتي، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيباني:

إني أومل يا بني حرب الذرى ... أن تخلدوا وجدودكم لم تخلد

فاتقوا الضغائن والتخاذل عنكم ... عند المغيب وفي الحضور الشهد

بصلاح ذات البين طول بقائكم ... إن مد في عمري، وإن لم يمدد

وتكون أيديكم معاً في عونكم ... ليس اليدان لذي التعاون كاليد

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش أيد

عزت فلم تكسر إن هي بددت ... فالكسر والتوهين للمتبدد

ثم أقبل على الوليد فقال: يا وليد، اتق الله فيما أخلفك فيه، واحفظ وصيتي، وخذ بأمري، وانظر أخي معاوية، فإنه ابن أمي، وقد ابتلي في عقله بما قد علمت، ولولا ذلك لآثرته بالخلافة عليك، فصل رحمه واعرف حقه، واحفظني فيه. وانظر أخي محمد بن مروان فأقره على عمله بالجزيرة ولا تعزله عنه، وانظر أخاك عبد الله بن عبد الملك، ولا تؤاخذه بشيء كان في نفسك عليه، واقره على عمله بمصر. وانظر ابن عمنا هذا علي بن عبد الله بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته وهواه ونصيحته، وله نسب وحق، فصل رحمه، واعرف حقه، وأحسن صحبته وجواره. وانظر الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي وطئ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد، ويدك على من ناوأك، فلا تسمعن فيه قول أحد، واجعله الشعار دون الدثار، وإن كان في نفسك عليه إحنة فلا تؤاخذه بها، فإن الإحنة ليست من الخلافة في شيء، وأنت إليه أحوج منه إليك، وإلا ألفينك إذا أنا مت تعصر عينيك، وتحن كما تحن الأمة، شمر وائتزر وألبس جلد النمر، وضعني في حفرتي، وخلني وشأني، وعليك بشأنك، وخذ سيفي هذا، فإنه السيف الذي قتلت به عمرو بن سعيد، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال بسيفه هكذا فقل بسيفك هكذا، ثم تمثل بقول عيسى بن زيد حيث يقول:

فهل من خالد اما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار

فلم يزل يردد هذا البيت حتى طفئ، فقام هشام بعد موته وكان أصغر الأربعة من ولده يقول:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فلطمه الوليد وقال: اسكت يا ابن الأشجعية فإنك أحول أكشف تنطق بلسان شيطانك، ألا قلت كما قال أخو بني أسد بن حجر حيث يقول:

إذا مقرم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

قال: فقال مسلمة: فيم الصياح إنكم إن صلحتم صلح الناس بكم، وإن فسدتم فالناس إلى الفساد أسرع، ثم قال: أوه، وأنشد:

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى على يومه علق إلي حبيب

فإن تكن الأيام أحسن مرة إلي لقد عادت لهن ذنوب

أتى دون حلو العيش حتى أمره كروب على آثارهن كروب

فقال سليمان: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله أمير المؤمنين، فأصبح بمنزلة هو فيها والذليل سواء. وسمع الناس الداعية، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أخرجت الجنازة، وخرج الوليد في أثرها وهو محرم، فنظر إلى سعيد بن عمرو بن سعيد يحمل السرير، فقال: أشماتة يا ابن اللخناء، ثم قصده بالقضيب، فحاصره فحذفه. فلما دفن عبد الملك صعد الوليد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا لها من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأخصها وأعمها وفاة أمير المؤمنين، ويا لها نعمة ما أجلها وأوجب الشكر لله عليها خلافة سربلنيها، فإن لله وإنا إليه راجعون على الزرية، والحمد لله على العطية.

ثم قام رجل من ثقيف والناس لا يدرون أيبتدئونه بالتعزية أم بالتهنئة، فقال: أصبحت يا أمير رزيت خير الآباء، وسميت بخير الأسماء، وأعطيت خير الأشياء، فعزم الله لك الصبر، وأعطاك في ذلك نوافل الأجر، وأعانك في حسن ثوابه على الشكر، قال: ممن أنت؟ قال: من ثقيف، قال: في كم أنت من العطاء؟ قال: في مائة، فزاده وجعله في أشرف العطاء، فكان أول من قضى له الوليد حاجة ذلك الثقفي، ثم تسايل الناس عليه بالتعزية والتهنئة.

وقد روينا أن عبد الملك كان يقول: أخاف الموت في شهر رمضان لأنني ولدت فيه، وفطمت فيه، وأعذرت فيه، واحتملت فيه، وختمت القرآن فيه، وأتتني الخلافة فيه، فكان موته في نصف شوال من هذه السنة حين ظن أنه آمن من الموت، وصلى عليه الوليد، ودفن بالجابية وهو ابن إحدى وستين سنة.

وقيل: أربع وستين، وقيل: سبع وخمسين، وقيل: ثمان وخمسين.

واستقامت له الخلافة منذ أجمع عليه بعد قتل ابن الزبير إلى وقت وفاته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر، وعلى حساب بيعته بعد موت أبيه إحدى وعشرين سنة وستة عشر يوماً. وقيل اثنتين وعشرين سنة ونصفاً.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

فمن الحوادث فيها أن:

الوليد بن عبد الملك عزل هشام بن إسماعيل عن المدينة

فورد عزله عنها في ليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول، وكانت إمارته عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه.

وفيها:

ولي عمر بن عبد العزيز المدينة

فقدم والياً في ربيع الأول وهو ابن خمس وعشرين سنة، فقدم على ثلاثين بعيراً، فنزل دار مروان، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، فدخلوا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً استعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرج على من بلغه ذلك إلا بلغني، فجزوه خيراً وانصرفوا.

وفيها: كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يقف هشام بن إسماعيل للناس، وكان سيئ الرأي فيه، فقال سعيد بن المسيب لولده ومواليه: إن هذا الرجل وقف للناس فلا يتعرض له أحد ولا يؤذه بكلمة، فإنا سنترك ذلك لله وللرحم، فأما كلامه فلا أكلمه، أبداً، فوقف عند دار مروان، وكان قد لقي منه علي بن الحسين أذى كثيراً، فتقدم إلى خاصته ألا يعرض له أحد بكلمة، فمر عليه علي فناداه هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وفيها: غزا مسلمة أرض الروم في عدد كثير، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وفتح الله على يديه حصوناً.

وقيل: إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك، وساق الذراري والنساء.

وفيها: غزا قتيبة بن مسلم بيكند وعبر النهر فاستنصروا عليه الصغد، وأخذوا بالطرق، فلم ينفذ له رسول، و لم يصل إليه رسول شهرين، وأبطأ خبره على الحجاج، فأمر الناس بالدعاء في المساجد، ونهض قتيبة يقاتل العدو فهزموا عدوهم، وركبهم المسلمون قتلاً وأسراً، وأراد هدم مدينتهم، فصالحوه واستعمل عليهم رجلاً ثم سار عنهم مرحلة أو مرحلتين، فنقضوا وقتلوا العامل فبلغه الخبر فرجع وقاتلهم شهراً، فطلبوا الصلح، فأبى وظفر بهم عنوة فقتل مقاتلتهم وأصاب في المدينة من الأموالوأواني الذهب والفضة ما لا يحصى، ورجع قتيبة إلى مرو، وقوي المسلمون واشتروا السلاح.

وفي هذه السنة: حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة، وكان على قضاء المدينة أبو بكر بن عمرو، وكان العراق والمشرق كله للحجاج، وكان خليفته على البصرة الجراح بن عبد الله، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، وعلى خراسان قتيبة.

أخبرنا أبو منصور القزاز بإسناد له عن الأصمعي، قال: كان اعرابيان متواخيين بالبادية غير أن أحدهما استوطن الريف والآخر اختلف إلى باب الحجاج بن يوسف فاستعمل على أصفهان، فسمع أخوه الذي بالبادية فضرب إليه فأقام ببابه حيناً لا يصل إليه، ثم أذن له بالدخول وأخذه الحاجب فمشى به وهو يقول: سلام على الأمير، فلم يلتفت إلى قوله، وأنشأ يقول:

فلست مسلماً ما دمت حيا ... على زيد بتسليم الأمير

فقال زيد: لا أبالي، فقال الأعرابي:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال: نعم. فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي الكعبي كناه البخارى أبا سعيد، وكناه ابن سعد أبا إسحاق: ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع من أبي الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة. وكان أعلم الناس بقضاء زيد بن ثابت. روى عنه الزهري، وكان ثقة سكن الشام وبها توفي.

مطرف بن عبد الله بن الشخير، أبو عبد الله روى عن عثمان، وعلي، وأبي، وأبي ذر. وكان ثقة ذا فضل وورع وعقل وافر. وكان أكبر من الحسن البصري بعشرين سنة.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد بإسناد له، عن مهدي بن ميمون، قال: حدثنا غيلان، قال: كان مطرف يلبس البرانس، ويلبس المطارف، ويركب الخيل ويغشى السلطان، غير أنك كنت إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين.

حدثنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا هاشم بن القاسم، قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، قال: كان مطرف بن عبد الله إذا دخل بيته سبحت معه آنية بيته.

قال أحمد بن حنبل: وحدثنا بهز بن أسد، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: حدثنا ثابت، قال: مات عبد الله بن مطرف، فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد أدهن فغضبوا وقالوا: يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه ومدهناً؟ قال: أفأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك وتعالى ثلاث خصال كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا وما فيها: قال الله تعالى: "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" أفأستكين بعد هذا قال: فهانت.

وقال مطرف: ما من شيء أعطى به في الآخرة قدر كوز من ماء وددت أنه أخذ مني في الدنيا.

وروي عن ثابت البناني ورجل آخر قد سماه: أنهما دخلا على مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو مغمى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه. قال: فهالنا ذلك، فأفاق فقلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الله، قال: صالح قلنا: لقد رأينا شيئاً هالنا، قال: وما هو؟ قلنا: أنوار سطعت منك، قال: وقد رأيتم ذلك؟ قلنا: نعم، قال تلك ألم تنزيل السجدة وهي تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي، وأوسطها من وسطي، وآخرها من قدمي، وقد صعدت لتشفع لي، وهذه تبارك تحرسني.

نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة، أبو سعد القرشي يروي عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا المخلص، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن داود، قال: حدثنا الزبير بن

بكار، قال: حدثني مصعب بن عبد الله، قال: كان نوفل بن مساحق من أشراف قريش، وكانت له ناجية من الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد يعجبه الحمام ويتخذه له ويطير له، فأدخل نوفل عليه وهو عند الحمام، فقال له الوليد: إني خصصتك بهذا المدخل لأنسي بك، فقال: يا أمير المؤمنين، والله إنك ما خصصتني ولكن خسستني، إنما هذه عورة، وليس مثلي يدخل على مثل هذا. فسيره إلى المدينة وغضب عليه. وكان يلي المساعي، فأخذه بعض الأمراء في الحساب. فقال: أين الغنم؟ قال: أكلناها بالخبز، قال: فأين الإبل؟ قال: حملنا عليها الرحال. وكان لا يرفع للأمراء من المساعي شيئاً يقسمها ويطعمها، وكان ابنه من بعده سعد بن نوفل يسعى على الصدقات.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فمن الحوادث فيها: أن مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فتحا حصناً من حصون الروم يدعى طوانة في جمادى الآخرى، وهزموا العدو هزيمة بلغوا فيها إلى كنيستهم، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا أنهم لا يجتبرونها أبداً، وبقي العباس معه نفير؛ منهم ابن محيريز الجمحي، فقال العباس لابن محيريز: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة؟ فقال ابن محيريز: نادهم يأتوك، فنادى العباس: يا أهل القرآن، فأقبلوا جميعاً، فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة، وشتوا بها.

وفيها: أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد.

فقدم الرسول إلى عمر بن عبد العزيز في ربيع الأول. وقيل: في صفر – سنة ثمان وثمانين بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك، فإنهم لا يخالفونك، فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوموه قيمة عدل، ثم اهدم عليهم وادفع لهم الأثمان، فإن لك في ذلك سلف صدق؛ عمر وعثمان.

فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده، فأجاب القوم إلى الثمن، فأعطاهم إياه، وبدأ بهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم الفعلة، بعث بهم الوليد.

وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يعينه فيه، فبعث إليه بمائة ألف مثقال من ذهب، وبمائة عامل، وبأربعين حملاً من الفسيفساء، فبعث به إلى عمر، وتجرد عمر لذلك، واستعمل صالح بن كيسان على ذلك.

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عبد الله بن يزيد الهذلي، قال: رأيت منازل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة في خلافة عبد الملك، فزادها في المسجد، وكانت بيوتاً باللبن، ولها حجر من جريد مطرود بالطين، عددت تسعة أبيات بحجرها وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مترل أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من

لبن، فسألت ابن ابنها، فقال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل بنت أم سلمة حجرتها بلبن، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى اللبن فدخل عليها أول نسائه، فقال: "ما هذا البناء؟" قالت: أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس، فقال: "يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان".

قال محمد بن عمر: حدثني معاذ بن محمد الأنصاري، قال: سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمران بن أبي أنس، يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركت حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرائد النخل، على أبوابها المسوح بن شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ، يأمر بإدخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما رأيت يوماً باكياً أكثر بكاء من ذلك اليوم.

قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها فينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس من التكاثر والتفاخر فيها.

قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه، قال عمر بن أنس: كان بينها أربعة أبيات بلبن، لها حجر من جرائد، وكانت خمسة أبيات من جرائد مطينة لا حجر لها، على أبوابها المسوح من الشعر ذرعت الستر منها فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع، فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيت في مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وخارجة بن زيد بن ثابت، وانهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمع.

وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء، ويرون ما رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الدنيا بيده.

وفي هذه السنة: كتب الوليد إلى عمر بحفر الآبار بالمدينة.

وبعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك، فعملها وأجرى ماءها، فلما حج الوليد وقف فنظر إليها فأعجبته، وأمر أن يسقى أهل المسجد منها.

وفي هذه السنة: بنى الوليد مسجد دمشق فانفق عليه مالاً عظيماً.

أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الكناني، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسين الدوري، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن موسى بن فضالة، قال: حدثنا أبو قصي سعيد بن محمد بن إسحاق العدوي، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: حدثنا الوليد بن مسلم. عن عمرو بن مهاجر، وكان على بيت مال الوليد بن عبد الملك، أنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التي في قبلة مسجد دمشق فكانت سبعين ألف دينار.

قال أبو قصي: وحسبوا ما أنفق على مسجد دمشق، وكان أربعمائة صندوق، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار.

قال أبو قصي: وأتاه حرسته فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن أهل دمشق يتحدثون أن الوليد أنفق الأموال في غير حقها، فنادى: الصلاة جامعة، وخطب الناس فقال: إنه بلغني حرستي أنكم تقولون إن الوليد أنفق الأموال في غير حقها الأ يا عمر بن مهاجر قم فأحضر ما قبلك من الأموال من بيت المال، قال: فأتيت البغال تحمل المال، وتصب في القبلة على الأنطاع حتى لم يبصر من في الشام من في القبلة، ولا من في القبلة من في الشام، وأتت الموازين – يعني القبابين فوزنت الأموال، وقال لصاحب الديوان: أحضر من قبلك ممن

يأخذ رزقنا، فوجدوا ثلاثمائة ألف ألف في جميع الأمصار، وحسبوا ما يصيبهم فوجد عنده رزق ثلاث سنين، ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل، وقال: إلى ما تذهب هذه الثلاث سنين قد أتانا الله بمثله ومثله، ألا وأني إنما رأيتكم يا أهل الشام تفخرون على الناس بأربع خصال فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس، تفخرون على الناس بمائكم، وهوائكم، وفاكهتكم، وحماماتكم، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس، فاحمدوا الله تعالى فانصرفوا وهم شاكرين داعين.

وقد حكى محمد بن عبد الملك الهمداني، أن الجاحظ حكى عن بعض السلف أنه قال: ما يجوز أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حسن مسجدهم.

قال: ودخله المأمون ومعه المعتصم ويحيى بن أكثم، فقال المأمون: أي شيء يعجبكم من هذا المسجد؟ فقال المعتصم: ذهبه فإنا نصنعه فلا تمضى عشرون سنة حتى يتحول، وهذا بحاله كأن الصانع قد فرغ منه الآن، فقال: ما أعجبني هذا، فقال يحيى بن أكثم: الذي أعجبك يا أمير المؤمنين تأليف رخامه فإن فيه عقوداً ما يرى مثلها، قال: كلا، بل أعجبني أنه شيء على غير مثال شوهد.

قال: وأمر الوليد أن يسقف بالرصاص، فطلب من كل البلاد، وبقيت قطعة لم يوجد لها رصاص إلا عند امرأة، فأبت أن تبيعه إلا بوزنه ذهباً، فقال: اشتروه منها ولو بوزنه مرتين، ففعلوا ووزنوا مثله، فلما قبضته قالت: إني ظننت من صاحبكم أنه يظلم الناس في بنائه فلما رأيت إنصافه رددت الثمن. فلما بلغ ذلك الوليد أمر أن يكتب على صفائح المرأة لله، ولم يدخله فيما عمله، وفيما كتب عليه اسمه.

قال محمد بن عبد الملك: وقد قيل إنه أنفق عليه خراج الدنيا ثلاث مرات، وأنه بلغ ثمن البقل الذي أكله الصناع فيه ستة آلاف دينار، وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب، فلم يقدر أحد أن يصلي فيه لعظم شعاعها فدخنت.

وعمل هذا الجامع في تسع سنين.

قال: وقال موسى بن حماد البربري: رأيت في مسجد دمشق كتاباً بالذهب في الزجاج محفوراً عليه سورة ألهاكم التكاثر إلى آخرها، ورأيت جوهرة حمراء ملصقة في قاف المقابر، فسألت عن ذلك، فقيل لي: كان للوليد ابنة ولها هذه الجوهرة، وكانت ابنة نفيسة فماتت، فأمرت أمها أن تدفن هذه الجوهرة معها في قبرها، فأمر الوليد بها فصيرت في قاف المقابر من ألهاكم التكاثر، ثم حلف لأمها أنه قد أودعها في المقابر فسكتت.

وفي هذه السنة: حبس الوليد المجذمين أن يخرجوا على الناس، وأجرى عليهم أرزاقاً.

وفيها: غزا مسلمة الروم ففتح على يديه حصوناً، وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبي الذرية وأخذ الأموال.

وفيها: حج بلناس عمر بن عبد العزيز، فأحرم من ذي الحليفة، وساق بدناً، فلما كان بالتنعيم لقيه نفر من قريش فأخبروه أن مكة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش، فقال عمر: تعالوا ندعو الله تعالى فدعا ودعوا، فما وصلوا إلى البيت إلا مع المطر، فجاء سيل خاف منه أهل مكة، فكثر الخصب في تلك السنة. هذا في رواية الواقدي.

وزعم أبو معشر أن الذي حج بهم في هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك، وكان العمال على الأمصار من تقدم في السنة التي قبلها.

وما عرفنا من الأكابر أحداً توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فمن الحوادث فيها:

افتتاح المسلمين سورية

وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك

وذكر الواقدي أن مسلمة والعباس دخلا جميعاً في هذه السنة أرض الروم غازيين، ثم افترقا، ففتتح مسلمة حصن سورية، وافتتح أذرولية، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم، وقصد مسلمة عمورية، وغزا الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان، ففتح حصوناً ومدائن وغزا العباس الصائفة من ناحية البدندون.

وفيها غزا قتيبة بخارى

ففتح بعض بلدانها، ولقيه الصغد فظفر بهم.

وفي هذه السنة: ابتدئ بالدعاء لبني العباس، وكان الدعاء لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وسمي بالإمام، وكوتب وأطيع، ثم لم يزل الأمر ينمى ويقوى ويتزايد إلى أن توفي في سنة أربع وعشرين ومائة.

وفيها: حج بالناس عمر بن عبد العزيز، وكان العمال في هذه السنة على الأمصار من كان في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

ربيعة بن عباد الديلي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة سبع وعشرين...

روى عنه محمد بن المنكدر، وأبو الزناد، وبكير بن الأشج، وغيرهم.

توفي بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك.

عبد الله بن محيريز، أبو محيريز أسند عن أبي سعيد، ومعاوية، وأبي محذورة.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد بإسناده عن بشير بن صالح، قال: دخل ابن محيريز حانوتاً بدابق وهو يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز، فأحسن بيعه، فغضب ابن محيريز وخرج وقال: إنما نشتري بأموالنا لسنا نشتري بديننا.

عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا أبو علي بن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبيد، قال: قال الحسن بن عثمان: سمعت أبا العباس الوليد يقول عن عبد الرحمن بن جابر، قال: كان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية خلاً لعبد الملك بن مروان، فلما مات عبد الملك وتصدع الناس عن قبره وقف عليه، فقال: أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك، وتتوعدني فأخافك، أصبحت وليس معك من ملكك غير ثوبيك، وليس لك غير أربعة أذرع في عرض ذراعين من الأرض، ثم انكفأ إلى أهله واجتهد في العبادة حتى صار كأنه شن.

قال: فدخل عليه بعض أهله فعاتبه في نفسه وإضراره بها، وقال للقائل: أسألك عن شيء تصدقني عنه؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن حالك التي أنت عليها، أترضاها للموت؟ قال: اللهم لا، قال: فعزمت على الانتقال منها إلى غيرها، قال؛ ما انتصحت رأي في ذلك، قال: أفتأمن أن يأتيك الموت على حالك التي أنت عليها، قال: اللهم لا، قال: فحال ما أقام عليها عاقل، ثم انكفأ إلى مصلاه.

عمران بن حطان السدوسي البصري روى عن أبي موسى، وابن عمر، وعائشة. وروى عنه محمد بن سيرين، ويحيى بن أبي كثير. وكان شاعراً.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدثنا أحمد بن علي الأنباري، قال: أخبرنا الحسن بن عيسى، عن أبي الحسن المدائني، قال: دخل عمران بن حطان على امرأته - وكان عمران قبيحاً دميماً قصيراً - وقد تزينت، وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه حسناً، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك، فقال: لقد أصبحت والله جميلة، فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت، والصابر، والشاكر في الجنة.

مذعور كان من كبار الصالحين. قال مطرف: ما تحاب اثنان في الله إلا كان أشدهما حباً لصاحبه أفضلهما، وأنا لمذعور أشد حباً، وهو أفضل مني، فكيف هذا؟ قال: فلما أمر بالرهط أن يخرجوا إلى الشام أمر بمذعور فيهم. قال: فلقيني فأخذ بلجام دابتي، فجعلت كلما أردت أن أنصرف منعني، فقلت: إن المكان بعيد، فجعل يحبسني، فقلت: أنشدك الله إلا تركتني فيم تحبسني، فلما نشدته قال: كلمة يخفيها جهده مني، اللهم فيك، فعرفت أنه أشد حباً لي منه.

يزيد بن مرثد، أبو عثمان الهمداني أسند عن معاذ، وأبي الدرداء. وكان كثير البكاء.

قرأت على أبي القاسم هبة الله بن أحمد الحريري، عن أبي طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد الخوارزمي، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا منصور بن عمار، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال:

قلت ليزيد بن مرثد: مالي لا أرى عيناك تجفان من الدموع، قال: وما سؤالك عن هذا؟ قلت: عسى أن ينفعني الله به، قال: هو ما ترى، قلت: هكذا تكون في خلواتك قال: والله إن ذلك ليعتريني وقد قرب إلي طعامي فيحول بيني وبين أكله، وإن ذلك ليعتريني وقد دنوت من أهلي فيحول بيني وبين ما أريد حتى تبكي أهلي لبكائي ويبكي صبياننا وما يدرون ما يبكينا، وحتى تقول زوجتي: يا ويحها، ماذا خصت به من نساء المسلمين من الحزن معك، ما ينفعني معك عيش، ولا تقر عيني بما تقر به عين النساء مع أزواجهن، قلت: يا أخي ما الذي أحوجك؟ قال: والله يا أخي لو أن الله تعالى لم يتواعدني إن أنا عصيته إلا أن يحبسني في حمام لكنت حرياً أن لا تجف لي دمعة، فكيف وقد تواعدني أن يسجنني في النار.

وروي عن سويد بن عبد العزيز، عن الوضين بن عطاء، قال: أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيداً، فلبس فروة وقلبها فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً، وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً، وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف، وجعل يمشي في الأسواق ويأكل، فقيل للوليد: يزيد قد اختلط، وأخبر بما فعل فتركه.

يحيى بن يعمر، أبو سليمان الليثي البصري كان صاحب علم بالقرآن والعربية. روى عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي الأسود الديلي.

وروى عنه عبد الله بن أبي بريدة، وإسحاق بن سويد. ونزل مرو، وولي القضاء، وكان عالماً فصيحاً ثقة.
قال الأصمعي: كان يحيى قاضياً فتقدم إليه رجل وامرأته، فقال يحيى للرجل: أرأيت إن سألتك حق شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها. قال: يقول الرجل لامرأته: لا والله لا أدري ما يقول قومي حتى تنصرف شبرة تطلها: تبطل حقها. وتضهلها: تعطيها حقها قليلاً قليلاً، والكناية بالشكر والشبر عن النكاح.

ثم دخلت سنة تسعين

فمن الحوادث فيها: غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصوناً خمسة بسورية.
وفيها: غزا العباس بن الوليد حتى بلغ الأردن، وقيل: بل بلغ سورية.
وفيها: قتل محمد بن القاسم الثقفي ملك السند، وكان على جيش من قبل الحجاج.
وفيها: ولى الوليد قرة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك.
وفيها: أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك.
وفيها: فتح قتيبة بن مسلم بخارى وهزم جموع العدو بها.
وفيها: جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك الصغد. وذلك أنه لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففض جمعهم هابه أهل الصغد، فرجع طرخون ملك الصغد حتى وقف قريباً من عسكر قتيبة وبينهم نهر بخارى، فسأل أن يبعث إليه رجلاً يكلمه، فبعث قتيبة إليه رجلاً، فسأل الصلح على فدية يؤديها، فأجابه قتيبة.
وفيها: غدر نيزك، فنقض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين، وامتنع بقلعة، فغزاه قتيبة.
وذلك أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما رأى من الفتوح، وخاف قتيبة فاستأذنه في الرجوع إلى بخارى فأذن له، فذهب وخلع قتيبة وكتب إلى جماعة من الملوك منهم ملك الطالقان فوافقوه على ذلك وواعدوه الغزو معه في الربيع، فبعث قتيبة أخاه عبد الله إلى بلخ في إثني عشر ألفاً، وقال: أقم بها ولا تحدث شيئاً، فإذا انكسر الشتاء فعسكر، واعلم أني قريباً منك، فدخل قتيبة الطالقان، فأوقع بأهلها البلاء، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في نظام واحد.
وقيل: كان هذا في سنة إحدى وتسعين.
وفي هذه السنة: هرب يزيد بن المهلب بإخوته الذين كانوا في سجن الحجاج.
فلحقوا بسليمان بن الملك مستجيرين به من الحجاج، والوليد بن عبد الملك.

وسبب ذلك وسبب خلاصهم أن الحجاج خرج إلى رستقباذ للبعث، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج بيزيد وبإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رستقباذ، فجعلهم في عسكره، وجعل عليهم كهيئة الخندق، وجعلهم في فسطاط قريباً من حجرته، وجعل عليهم حرساً من أهل الشام، وأغرمهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً، وكان ذلك يغيظ الحجاج، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة ليهيئ لهم الخيل، وصنع يزيد طعاماً كثيراً، فأطعم الحرس وسقاهم، ولبس يزيد ثياب طباخه، ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس في الليل فقال: كأنه يزيد، ثم طالعه

فقال: هذا الشيخ. وخرج المفضل في أثره و لم يفطن له، فجاءوا إلى سفن قد هيئوها في البطائح، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخاً، فأبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم، ثم جاء فركبوا السفن وساروا ليلتهم حتى أصبحوا، ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم، ورفع ذلك إلى الحجاج، ففزع وذهب وهمه إلى أنهم ذهبوا قبل خراسان، وبعث إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم، ويأمره أن يستعد لهم، وكان يظن أن يزيد يريد ما أراد ابن الأشعث، ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل، قد هيئت له ولأخوته، فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب، فأخذ بهم على السماوة، فنزل يزيد على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي، وكان كريماً على سليمان، فجاء وهيب حتى دخل على سليمان، فقال: هذا يزيد وإخوته في منزلي وقد أتوا هراباً من الحجاج متعوذين بك، قال: فأتني بهم فإنهم آمنون، لا يوصل إليهم أبداً وأنا حي، فجاء بهم حتى أدخلهم عليه.

وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله عز وجل وهربوا مني ولحقوا بسليمان، وكان الوليد قد أمر الناس بالتهيؤ إلى خراسان ظناً منه أن يزيد قد ذهب إلى ثم، فلما عرف هذا هان عليه الأمر، وكتب سليمان إلى الوليد: إنما على يزيد ثلاثة آلاف ألف، والحجاج قد أغرمهم ستة آلاف ألف، فأدوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي علي.

فكتب إليه: لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلي، فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجيئن معه، فأنشدك الله أن تفضحني ولا تخفرني. فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤمنه. فقال يزيد: ابعثني إليه، والله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عدواة، فابعثني وأرسل معي ابنك، واكتب إليه باللطف. فأرسل معه ابنه أيوب، فقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك، لا تخفر ذمة أبي. فأمنه وعاد إلى سليمان، فمكث عنده تسعة أشهر وتوفي الحجاج.

وفي هذه السنة: حج بالناس عمر بن عبد العزيز، وكان عامل الوليد على مكة والمدينة والطائف، وكان على العراق والمشرق الحجاج بن يوسف، وكان عامل الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة، وعلى الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله، وعلى قضائها ابن أبي موسى، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم، وعلى مصر قرة بن شريك.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

رفيع أبو العالية الرياحي أعتقته امرأة من بني رياح. قال: كنت مملوكاً لأعرابية، فدخلت المسجد معها، فوافينا الإمام على المنبر، فقبضت على يدي وقالت: اللهم أذخره عندك ذخيرة، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله، ثم ذهبت، فما تراءينا بعد.

أسند أبو العالية عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي، وأبي موسى، وأبي هريرة، وابن عباس. وكان عالماً ثقة.

أخبرنا ابن ناصر بإسناده عن سفيان بن عيينة، عن عاصم، قال: كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام.

عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وكان شاعراً مجيداً، وهو القائل لما بلغ بلكثة الشام.

بينما نحن في بلاكث بالقاع ... سراعاً والعيش تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب ... من ذكراك وهناً فما أطقت مضيا
قلت للشوق إذ دعاني لبي ... ك وللحادثين ردي المطيا

مرثد بن عبد الله، أبو الخير الكلاعي اليزني يروي عن أبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت، وعقبة بن عامر، ومالك بن هبيرة، وعمرو بن العاص، وغيرهم.
وكان مفتي أهل مصر في أيامه.
توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

فمن الحوادث فيها: غزاة عبد العزيز بن الوليد الصائفة.

وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك.
وفيها: غزا مسلمة الترك.
حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان، ففتح على يديه مدائن وحصون.
وفيها: سار قتيبة إلى مرو الروذ.
فبلغ الخبر إلى مرزبانها، فهرب إلى الفرس، فقدم قتيبة فأخذ ابنين له فقتلهما وصلبهما، ومضى إلى الفارياب، فخرج إليه ملك الفارياب مذعناً مطيعاً فرضي عنه واستعمل عليها رجلاً من باهلة، وبلغ الخبر صاحب الجوزجان، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً، وسار قتيبة إلى الجوزجان، فلقيه أهلها مطيعين، فقبل منهم واستعمل عليها عامر بن مالك، وما زال ينصب المنجنيق على بلدة، ويحرق بلدة، ويبالغ في الجهاد حتى قتل في مكان واحد اثني عشر ألفاً.
وفي هذه السنة: ولى الوليد خالد بن عبد القسري مكة.
فلم يزل والياً إلى أن مات الوليد، فخطب خالد الناس في ولايته، فقال: إني والله ما أوتي بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن عامر بن بكير، قال: أخبرنا هارون بن عيسى بن المطلب الهاشمي، قال: أخبرنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى، قال: حدثنا محمد بن الوليد المخزومي، قال: حدثنا القاسم بن أبي سفيان، قال: حدثنا عبد الرحمن بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت خالد بن عبد الله القسري يخطب الناس فقال: من كان منكم يريد أن يضحي فلينطلق فليضح فبارك الله له في أضحيته، فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، فسبحان الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه.
وفي هذه السنة: حج الوليد بن عبد الملك. قال الواقدي: حدثني موسى بن أبي بكر، قال: حدثنا صالح بن كيسان، قال: لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه، فخرجوا فلقوه بالسويداء، فلما دخل إلى المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه، فأخرج الناس منه، فما ترك فيه أحد، وبقي سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرجه، وما عليه إلا ريطتان ما تساويان خمسة دراهم في مصلاه، فقيل له: لو قمت، قال: والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه، فقيل له: لو سلمت على أمير المؤمنين، فقال: لا والله لا أقوم إليه.
قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيد بن المسيب حتى يقوم، فحانت من الوليد

التفاتة - أو قال: نظرة - إلى القبلة، فقال: من ذلك الجالس؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيب؟ فقال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، من حاله ومن حاله.... ولو علم مكانك لقام مسلماً عليك، فدار في المسجد حتى وقف على القبر، ثم أقبل حتى وقف على سعيد بن المسيب، فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ فقال الوليد: بخير والحمد لله فانصرف وهو يقول لعمر: هذا بقية الناس، فقال: أجل يا أمير المؤمنين.

وقسم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً بين الناس، وآنية من ذهب وفضة وأموالاً، وخطب بها يوم الجمعة وصلى بهم.

قال الواقدي: وقدم بطيب وكسوة للكعبة.

قال المدائني: وحج محمد بن يوسف من اليمن، وحمل هدايا للوليد، فقالت أم البنين للوليد: اجعل لي هدية محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فجاءت أم البنين إلى محمد فيها، فأبى وقال: حتى ينظر إليها أمير المؤمنين فيرى رأيه، وكانت هدايا كثيرة، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلي ولا حاجة لي فيها، قال: ولم، قالت: بلغني أنه غصبها وكلفهم عملها وظلمهم، وحمل محمد المتاع إلى الوليد، فقال له: بلغني أنك أصبتها غصباً، قال: معاذ الله، فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يميناً أنه ما غصب شيئاً منها ولا ظلم أحداً ولا أصابها إلا من طيب، فحلف فقبلها الوليد ودفعها إلى أم البنين. ومات محمد باليمن، أصابه داء انقطع منه.

وكان عمال الأمصار في هذه السنة من تقدم في السنة التي قبلها، غير مكة، فإن الواقدي يقول: كان عاملها خالد بن عبد الله القسري. وقال غيره: بل كان عمر بن العزيز.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

أمه خولة بنت منظور بن زبان. تزوج فاطمة بنت الحسين، فولدت له عبد الله، وتوفي عنها، فخلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

سهل بن سعد الساعدي توفي في هذه السنة عن خمس وسبعين سنة.

عمر بن يوسف، أخو الحجاج توفي باليمن والياً عليها، وتوفي بعده بستة أيام.

محمد بن الحجاج فقال الحجاج يرثيه:

وحسبي بقاء الله من كل ميت ... وحسبي بقاء الله من كل هالك

إذا ما أتيت الله عني راضياً ... فإن شفاء النفس فيما هنالك

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

فمن الحوادث فيها: غزوة عمر بن الوليد ومسلمة أرض الروم، ففتح على يد مسلمة ثلاث حصون، وجلا خلقاً كثيراً عن بلادهم.

وفيها: غزا طارق بن زياد الأندلس في اثني عشر ألفاً ففتحها وقتل الملك.

وفيها: حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة وكان عمال الأمصار الذين كانوا في السنة التي قبلها.

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار: أمه أم سليم بنت ملحان. لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهبت به أمه إليه ليخدمه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن سنان بن ربيعة، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ذهبت بي أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله خويدمك ادع له، قال: "اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه".

قال أنس: فقد دفنت من صلبي مائة غير اثنين – أو قال: مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة.

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثنا أبي، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، قال: كان كرم أنس يحمل في كل سنة مرتين. وكان أنس يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دماً.

قال ابن سعد: وحدثنا إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الحرمي، قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، قال: حدثنا ثابت البناني، قال: شكى قيم لأنس بن مالك في أرضه العطش، فصلى أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه فملأت صهريجه، فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه، فنظر، فإذا هي لم تعد أرضه.

قال: وأخبرنا يوسف بن العرق، قال: حدثنا صالح المري، عن ثابت، قال: كان أنس إذا أشفى على ختم القرآن من الليل بقي منه سور حتى يصبح فيختمه عند عياله.

قال: وحدثنا عفان، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: حدثنا الثابت البناني، قال: كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهله فدعا لهم.

قال: وأخبرنا عفان، قال: حدثنا خالد بن أبي عثمان، قال: حدثنا ثمامة بن عبد الله بن أنس، قال: كان أنس إذا صلى المغرب لم يقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائماً يصلي.

توفي أنس بالبصرة في هذه السنة وهو ابن تسع وتسعين سنة. وقيل: ابن مائة وسبع سنين، وهو آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة، ورزق مائة ولد، ولا يعرف في الإسلام من ولد له من صلبه مائة سوى أربعة: أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر الليثي، وخليفة السعدي، وجعفر بن سليمان الهاشمي.

إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي من تيم الرباب، يكنى أبا أسماء: روى عن أبيه، والحارث بن سويد في آخرين، فكان عالماً عابداً.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد، قال: حدثنا عبد الله بن عمر، قال: حدثنا حفص الواسطي، قال: حدثنا العوام بن حوشب، قال: ما رأيت رجلاً قط خيراً من إبراهيم التيمي، وما رأيته رافعاً بصره إلى السماء في صلاة ولا غيرها، وسمعته يقول: إن الرجل ليظلمه، فارحمه.

أخبرنا ابن ناصر، وابن أبي عمر، قال: حدثنا رزق الله، وطراد، قالا: أخبرنا ابن بشران قال: حدثنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنه سمع سفيان بن عيينة يقول: قال إبراهيم:

مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي نفسي، أي شيء تريدين؟ قالت: أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي.

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، عن أبي محمد الجوهري، عن أبي عمر ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا علي بن محمد، قال: كان سبب حبس إبراهيم التيمي أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي، فجاء الذي يطلبه، فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، وهو يعلم أنه أراد النخعي، فلم يستحل أن يدله عليه، فجاء به إلى الحجاج فأمر بحبسه، و لم يكن لهم في الحبس ظل من الشمس، ولا كن من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فجاءته أمه في الحبس فلم تعرفه حتى كلمها، فمات في السجن فرأى الحجاج قائلاً يقول: مات في هذه الليلة رجل من أهل الجنة، فلما أصبح قال: هل مات الليلة أحد بواسط؟ قالوا: نعم، إبراهيم التيمي، قال: حلم نزعة من نزعات الشيطان، وأمر به فألقي على الكناسة، وذلك في هذه السنة.

وضاح اليمن أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: أخبرنا جعفر بن محمد الخرائطي، قال: حدثنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا إسحاق بن الضيف، عن أبي مسهر، قال: كان وضاح اليمن نشأ هو وأم البنين صغيرين، فأحبها وأحبته، وكان لا يصبر عنها حتى إذا بلغت حجبت عنه، وطال بهما البلاء، فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها إلى الشام.

قال: فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام، فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى يوماً جارية صفراء، فما زال حتى أنس بها، فقال لها: هل تعرفين أم البنين؟ فقالت: إنك تسأل عن مولاتي، فقال: إنها لابنة عمي، فإنها تسر بمكاني وموضعي لو أخبرتها، قالت: إني أخبرها فمضت الجارية فأخبرت أم البنين، فقالت: ويلك، أحي هو؟ قالت: نعم، قالت: قولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي. فلن أدع الاحتيال لك، فاحتالت إلى أن أدخلته إليها في صندوق، فمكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجته، فقعد معها وإذا خافت عين رقيب أدخلته الصندوق.

فأهدي يوماً للوليد بن عبد الملك جوهر، فقال لبعض خدمه: خذ هذا الجوهر فامض به إلى أم البنين وقل لها: أهتدي هذا إلى أمير المؤمنين، فوجه به إليك.

فدخل الخادم من غير استئذان ووضاح معها، فلمحه و لم تشعر أم البنين، فبادر إلى الصندوق فدخله، فأدى الرسالة، إليها، وقال لها: هبي لي من هذا الجوهر حجراً، فقالت: لا أم لك، وما تصنع أنت بهذا؟ فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله، فقال: كذبت، لا أم لك. ثم نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق، فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم، فقال لها: يا أم البنين، هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه، فقالت: يا أمير المؤمنين، هي لك وأنا لك فقال لها: ما أريد غير هذا الذي تحتي، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن فيه شيئاً من أمور النساء، قال: ما أريد غيره، قالت: هو لك. فأمر به فحمل ودعا بغلامين وأمرهما بحفر بئر، فحفرا حتى إذا بلغا الماء وضع فمه على الصندوق وقال: أيها

الصندوق، قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقاً فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك، وإن كان كذباً فما علينا من دفن صندوق من حرج، ثم أمر به فألقي في الحفرة، وأمر بالخادم فقذف في ذلك المكان فوقه، وطم عليهما المكان. فكانت أم البنين توجد في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت فيه يوماً مكبوبة على وجهها ميتة.

وقد روى نحو هذه الحكاية هشام بن محمد بن السائب: أن أم البنين كانت عند يزيد بن عبد الملك، وإن قصة وضاح اليمن جرت له وهي عند يزيد.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

فمن الحوادث فيها: غزاة العباس بن الوليد أرض الروم.

ففتح الله على يده بعضها، وغزاها أيضاً مسلمة فافتتح بلاداً منها.

وفيها: صالح قتيبة ملك خوارزم

قالوا: كان ملك خوارزم ضعيفاً فغلبه أخوه خرزاذ على أمره، وكان خرزاذ أصغر منه، فكان إذا بلغه أن عند أحد جارية أو دابة أو متاعاً فاخراً أرسل فأخذه، أو بلغه أن لأحد بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أخذها، ولا يمتنع عليه أحد، ولا يمنعه الملك، فإذا قيل له، قال: لا أقوى عليه، فلما طال ذلك عليه كتب إلى قتيبة في السر يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه، وبعث إليه بمفتاح البلد واشترط عليه أن يسلم إليه أخاه وكل من يضاده، يحكم فيهم بما يرى، فرجعت الرسل بما يحب، وسار قتيبة مظهراً أنه يريد الصغد، فقال الملك لأصحابه: إن قتيبة يريد الصغد، فهل لكم أن نتنعم في ربيعنا هذا، فأقبلوا على التنعم والشراب، وأمنوا، فلم يشعروا إلا بقتيبة، فقال الملك: ما ترون؟ قالوا: نقاتله، قال: لا أرى ذلك لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا، ولكن نصرفه عنا بشيء نؤديه إليه، فصالحه على مال عظيم، وأخذ أخاه فدفعه إليه، ثم أتى قتيبة الصغد فصالحوه على ألفي ألف ومائتي ألف كل عام، وأن يبنى له فيها مسجد، ويضع فيه منبراً فيخطب عليه، ففعلوا، فدخل فخطب وصلى فقال: لست ببارح فاخرجوا، وجاءوه بالأصنام فأحرقها، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال، ودخل المسلمون مدينة سمرقند فصالحوهم. ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلىمرو، واستخلف على سمرقند عبد الرحمن بن مسلم، وخلف عنده جنداً كثيفاً وآلة من آلات الحرب كثيرة.

وفي هذه السنة: عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس.

فلقيه موسى في عشرة آلاف فترضى طارقاً فرضي عنه ووجهه إلى طليطلة – وهي من عظام مدائن الأندلس – وهي من قرطبة على عشرين يوماً – فأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام، وفيها من الذهب والجوهر ما الله به أعلم.

وفيها: أجدب أهل إفريقية جدباً شديداً.

فخرج موسى بن نصير فاستسقى بالناس، ودعا وخطب، فقيل له: ألا تدعو لأمير المؤمنين، فقال: ليس هذا موضع ذلك، فسقوا سقياً كفاهم حيناً.

وفي هذه السنة: ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام خمسين سوطاً.

وقيل: مائة سوط عن أمر الوليد بن عبد الملك بذلك، وصب على رأس قربة ماء بارد في يوم شات، ووقفه على باب المسجد، فمكث يوماً ومات.

وكان السبب أن خبيباً حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً".

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: كان خبيب قد لقي العلماء ولقي كعب الأحبار، وقرأ الكتب، وكان من النساك، وأدركه أصحابنا وغيرهم يذكرون أنه كان يعلم علماً كثيراً لا يعرفون وجهه ولا مذهبه فيه يشبه ما يدعى الناس من علوم النجوم.

قال عمي مصعب: وحدثت عن مولى لخالته أم هاشم بنت منظور يقال له يعلى بن عقبة، قال: كنت أمشي معه وهو يحدث نفسه إذ وقف ثم قال: سأل قليلاً فأعطي كثيراً، وسأل كثيراً فأعطي قليلاً، فطعنه فأراده فقتله، ثم أقبل علي فقال: قتل عمرو بن سعيد الساعة، ثم مضى، فوجدوا ذلك اليوم الذي قتل فيه عمرو بن سعيد.

وله أشباه هذا يذكروها والله أعلم ما هي، وكان طويل الصمت قليل الكلام.

وكان الوليد بن عبد الملك قد كتب إلى عمر بن عبد العزيز إذ كان والياً على المدينة يأمره بجلده مائة سوط وبحبسه، فجلده عمر مائة سوط، وبرد له ماء في جرة، ثم صبها عليه في غداة باردة، فكن فمات فيها.

وكان عمر قد أخرجه من المسجد حين اشتد وجعه وندم على ما صنع، فانتقله آل الزبير في دار من دورهم.

قال عمي مصعب: وأخبرني مصعب بن عثمان أنهم نقلوه إلى دار عمر بن مصعب بن الزبير، واجتمعوا عنده حتى مات، فبينا هم جلوس إذ جاءهم الماجشون استأذن عليهم وخبيب مسجى بثوبه، وكان الماجشون يكون مع عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة، فقال عبد الله بن عروة: إئذنوا له، فلما دخل قال: كان صاحبك في مرية من موته، اكشفوا له عنه، فكشفوا له عنه، فلما رآه الماجشون انصرف. قال الماجشون: فانتهيت إلى دار مروان فقرعت الباب، فدخلت فوجدت عمر كالمرأة الماخض قائماً قاعداً، فقال لي: ما وراءك؟ فقلت: مات الرجل، فسقط إلى الأرض فزعاً، ثم رفع رأسه يسترجع، فلم تزل تعرف فيه حتى مات، فاستعفى من المدينة، وامتنع من الولاية، وكان يقال: إنك قد فعلت كذا فأبشر، فيقول: فكيف بخبيب.

وحدثني عمي قال: حدثني هارون بن أبي عبيد الله بن عبد الله بن مصعب، قال: سمعت أصحابنا يقولون: قسم فينا عمر بن عبد العزيز قسماً في خلافته خصنا به، فقال الناس: دية خبيب.

وفي هذه السنة: عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

وكان السبب في ذلك أن عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل علمه بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق، فبلغ ذلك الحجاج فاضطغنه على عمر، وكتب إلى الوليد: إن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا إلى المدينة، وإن ذلك وهن.

فكتب الوليد إلى الحجاج: أن أشر علي برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله، فولى خالداً مكة، وولى عثمان المدينة، وعزل عمر بن عبد العزيز، فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة معزولاً في شعبان هذه السنة، واستخلف حين خرج أبا بكر بن عمرو بن حزم، وجعل يقول لمولاه مزاحم: أتخاف أن تكون ممن نفته المدينة. ووليها عثمان بن حيان في شعبان إلا أنه

قدم المدينة لليلتين مضيتا من شوال.

وفي هذه السنة: حج بالناس عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، وكانت العمال على الأمصار عمالها في السنة التي قبلها إلا بالمدينة فإن عمر وليها إلى شعبان، وعثمان بن حيان وليها من شعبان، ويقال: قدمها في سنة أربع وتسعين.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إياس بن قتادة التميمي، ابن أخت الأحنف بن قيس أسند عن قيس بن عباد، عن أبي بن كعب.

أنبأنا أبو بكر ابن أبي طاهر، عن أبي محمد الجوهري، عن ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرت عن معتمر بن سليمان، عن سلمة بن علقمة، قال: اعتم إياس بن قتادة وهو يريد بشر بن مروان، فنظر في المرآة فإذا بشيبة في دقنه، فقال: افليها يا جارية، ففلتها، فإذا هي بشيبة أخرى، فقال: أنظروا من بالباب من قومي فادخلوا عليه، فقال: يا بني تميم، إني كنت وهبت لكم شبيبتي، فهبوا لي شيبتي، ألا أراني حمير الحاجات وهذا الموت يقرب مني. ثم قال: انقضي العمامة فاعتزل يؤذن لقومه، ويعبد ربه، و لم يغش سلطاناً حتى مات.

زرارة بن أوفى الحرشي، يكنى أبا حاجب أسند عن أبي هريرة، وعمران، وابن عباس. وتوفي في هذه السنة فجأة.

أخبرنا محمد بن طاهر، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا أبو محمد بن ناسي، قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن علي الخراز، قال: حدثنا عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا أبو خباب القصار، قال: صلى بنا زرارة بن أوفى الفجر، فلما بلغ: "فإذا نقر في الناقور" شهق شهقة فمات.

عبد الرحمن بن يزيد بن جارية بن عامر الأنصاري وأمه جميلة بنت ثابت ابن أبي الأقلح، ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة واسمه حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا الخطاب: وكان أبو ربيعة يسمى ذا الرمحين، سمي بذلك لطوله، كأنه يمشي على رمحين.

وقيل: بل قاتل في عكاظ برمحين، فسمي بذلك.

ولد عمر ليلة قتل عمر بن الخطاب، وكانت أمه وأم إخوته نصرانية. وأبو جهل بن هشام عم أبيه، وأم عمر بن الخطاب حثمة بنت هشام بن المغيرة بنت عم أبيه، وإخوته عبد الله، وعبد الرحمن، والحارث بنو عبد الله بن أبي ربيعة. وكان أخوه عبد الرحمن تزوج بنت أبي بكر الصديق بعد طلحة، وولدت له، وأعقب الحارث ولا عقب لعمر. وكان عمر شاعراً مجيداً.

روى الزبير بن بكار، قال: حدثني يعقوب ابن أبي إسحاق، قال: كانت العرب تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر، فلما كان عمر أقرت له الشعراء بالشعر أيضاً.

وقال ابن جريج: ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة.

وقال هشام بن عروة: لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً.

وكان كثير التشبيب بالنساء، قلما يرى امرأة إلا ويتشبب بها تشبيب عاشق. وكان يحب زيارتهن، ويكثر مجالستهن، فممن شبب بهن سكينة بنت الحسين، فقال:

قالت سكينة والدموع ذوارف ... منها على الخدين والجلباب

ليت المغيري الذي لم أجزه ... فيما أطال تصيدي وطلابي

كانت ترد لنا المنى أيامه ... أولا تلوم على هوى وتصابي

أسكين ما ماء الفرات وطيبه ... مني على ظمأ وحب شراب

بألذ منك وقد نأيت وقلما ... ترعى النساء أمانة الغياب

وشبب بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان، فقال:

افعلي بالأسير إحدى ثلاث ... وافهميهن ثم ردي جوابي

اقتليه قتلاً سريحاً مريحاً ... لا تكوني عليه سوط عذابي

أو اقتدي فإنما النفس بالنفس ... قضاء مفصلا في كتاب

أو صليه تقر به العين ... وشر الوصال وصل الكذاب

فأعطت الذي جاءها بالأبيات لكل بيت عشرة دنانير.

وحج عبد الملك فلقيه عمر، فقال له عبد الملك: يا فاسق، فقال: بئس تحية ابن العم على طول السخط، قال: يا فاسق، أما أن قريشاً لتعلم أنك أطولها صبوة وأبطأها توبة، ألست القائل:

ولولا أن تعنفني قريش ... فقال الناصح الأوفى الشقيق

لقلت إذا التقينا قبليني ... ولو كنا على ظهر الطريق

وكان أخوه الحارث خيراً عفيفاً، فعاتبه يوماً. قال عمر: وكنت على ميعاد من الثريا، فرحت إلى المسجد مع المغرب وجاءت الثريا للميعاد فتجد الحارث مستلقياً على الفراش، فألقت نفسها عليه وهي لا تشك أنه أنا، فوثب وقال: من هذه؟ قيل له: الثريا، قال: ما أرى عمر ينتفع بوعظنا، فلما جئت للميعاد، قال: ويحك كدنا نفتن بعدك، لا والله ما شعرت إلا وصاحبتك واقعة علي، قلت: لا تمسك النار أبداً، قال: عليك لعنة الله وعليها.

فلما تزوج سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الثريا، قال عمر:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد بن معاوية الباهلي، عن أبيه، عن

الأصمعي، عن أبي سفيان بن العلاء، قال: لما بصرت الثريا بعمر بن ربيعة وهو يطوف حول البيت فتنكرت وفي كفها خلوق، فرجمته فأثر الخلوق في ثوبه، فجعل الناس يقولون: يا أبا الخطاب، ما هذا بزي محرم، فأنشأ يقول:

أدخل الله رب موسى وعيسى جنة الخلد من ملاني خلوقا

مسحت كفها بجيب قميصي حين طفنا بالبيت مسحاً رفيقا

فقال له عبد الله بن عمر: مثل هذا القول تقول في هذا الموضع، فقال: يا أبا عبد الرحمن، قد سمعت مني ما سمعت، فورب هذه البنية ما حللت إزاري على حرام قط.

وقد روى محمد بن الضحاك: أن عمر بن أبي ربيعة لما مرض مرض الموت أسف عليه أخوه الحارث، فقال عمر: يا أخي إن كان أسفك لما سمعت من قولي قلت لها وقالت لي، فكل مملوك لي حر إن كان كشف فرجاً حراماً قط، فقال الحارث: الحمد لله طيبت نفسي، وكان له سبعون عبداً.

وقد روي عنه أنه لما كبر حلف ألا يقول بيت شعر إلا أعتق رقبة.

وروى الزبير بن بكار، عن محمد بن الضحاك، قال: عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة فتك منها أربعين سنة، ونسك أربعين سنة.

وقد روى الزبير بن بكار، قال: حدثني مصعب بن عثمان: أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: إني قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر، فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما إلي – فلما أتاه الكتاب حملهما إليه فأقبل على عمر وقال: هيه فلم أر كالتجميز منظر ناظر كالرمي، فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون، أما والله لو أهممت بحجبك لم تنظر إلى شيء غيرك، ثم أمر بنفيه، فقال: يا أمير المؤمنين، أو خير من ذلك، قال: وما هو؟ قال: أعاهد الله عز وجل ألا أعود لمثل هذا الشعر، ولا أذكر النساء في الشعر، وأجدد توبة على يديك، قال: أو تفعل؟ قال: نعم. فعاهد الله على توبته وخلاه.

ثم دعا بالأحوص، فقال: من يقول:

هي الله بيني وبين قيمها يفر مني بها وأتبعه

بل الله بين قيمها وبينك، ثم أمر بنفيه إلى دهلك، فلم يزل بها، فسئل في رده، فقال: والله لا أرده ما كان لي سلطان.

وقد اختلفوا في سبب موته على قولين: أحدهما: أن عمر بن عبد العزيز سيره إلى دهلك ثم غزا في البحر فأحرقت السفينة التي كان فيها، فاحترق هو ومن كان معه. ذكره ابن قتيبة.

والثاني: أنه نظر إلى امرأة مستحسنة في الطواف، فكلمها فلم تجبه، فقال لها أبياتاً فبلغتها، فقيل لها: اذكريها لزوجك ينكر عليه، فقالت: كلا، لا أشكوها إلا إلى الله فقالت: اللهم إن كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح. فضرب الدهر ضربة، فغدا يوماً على فرس، فهبت الريح، فنزل إلى شجرة، فخدشه منها غصن فدمي فرمي فيه. فمات من ذلك.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فمن الحوادث فيها: غزاة العباس بن الوليد أرض الروم، فقيل: إنه فتح أنطاكية. وغزا عبد العزيز بن الوليد، وغزا الوليد بن هشام فأوغلا، وغزا يزيد بن أبي كبشة أرض سورية.

وفيها: افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند.

وفيها: غزا قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة، وافتتح قاشان، وجاءه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها، فانصرف إلى مرو.

وفيها: أخذ عثمان بن حيان أمير المدينة جماعة من الخوارج فقتلهم، وبعث ببعضهم في جوامع إلى الحجاج، ونادى: برئت الذمة ممن آوى عراقياً.

وفيها: استقضى الوليد سليمان بن حبيب.

وفيها: دامت الزلازل أربعين يوماً، وشمل الهدم الأبنية الشاهقة، وتهدمت دور مدينة أنطاكية.

وفي هذه السنة: قتل الحجاج سعيد بن جبير وكان سبب ذلك خروجه عليه مع من خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث، وكان الحجاج قد جعل سعيد بن جبير على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج خلعه معه سعيد بن جبير، فلما هزم عبد الرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد إلى أصفهان، فكتب الحجاج إلى واليها: أن خذه وكان الوالي يتحرج، فأرسل إلى سعيد أن أخرج وتنح عنا، فتنحى إلى أذربيجان، ثم خرج إلى مكة فأقام بها. وكان أناس ممن فعل مثله يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم.

وكتب الحجاج إلى الوليد: إن أهل الشقاق والنفاق قد لجأوا إلى مكة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم. فكتب إلى خالد بن عبد الله القسري، فأخذ عطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهداً، وطلق بن حبيب، وعمرو بن دينار. فأرسل عطاء وعمرو بن دينار لأنهما مكيان، وبعث بالآخرين إلى الحجاج، فمات طلق في الطريق، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج، وقتل سعيد.

واختلفوا فيمن أقام الحج للناس في هذه السنة؛ فقال أبو معشر: مسلمة بن عبد الملك. وقال الواقدي: عبد العزيز بن الوليد، وكان العامل على المدينة عثمان بن حيان، وعلى الكوفة زياد بن جرير، وعلى قضائها أبو بكر بن موسى، وعلى البصرة الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة، وعلى خراسان قتيبة، وعلى مصر قرة بن شريك، وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سعيد بن المسيب

بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة: وكل من كان منسوباً إلى عائذ بن عمران فهو عائذي، بالذال المعجمة. ومن نسب إلى عمرو بن مخزوم فهو عائدي بالدال المهملة. وقد يقال عائذي بالذال المعجمة نسبة إلى عائذ الله بن سعيد، منهم حمزة العائذي، وسعيد بن حنظلة العائذي، وابن طلق العائذي. ويقال: عائذي نسبة إلى عائذ قريش، منهم علي بن مسهر القاضي.

وقال أبو عبد الله الصوري: اجتمع في مخزوم عائد وعائذ، وهما أبناء عم. فأما عائذ فهو ابن عمران بن مخزوم، وأما عائد فهو ابن عمرو بن مخزوم. وإذا جاء عمران فولده عايذ بالياء نقطتين من تحتها والذال المعجمة. وإذا جاء عمر، فولده عابد بالباء واحدة،

والدال غير معجمة.

ويكنى سعيد أبا عبد الله، ويقال: أبا عبد الملك. ويقال: أبا محمد. وجده حزن، لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد سعيد لسنتين خلتا من خلافة عمر، وقال: أصلحت بين علي وعثمان، وكان سعيد أفقه أهل الحجاز وأعبرهم للرؤيا.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الملك الأسدي، قال: أنبأنا أبو الحسين بن رزمة، قال: أخبرنا عمر بن محمد بن سيف، قال: حدثنا أبو عبد الله اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، يقول: لما مات العبادلة – عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير – صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي، فكان فقيه أهل مكة عطاء ابن أبي رباح، وفقيه أهل اليمن طاووس، وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقيه أهل البصرة الحسن، وفقيه أهل الشام مكحول، وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي، فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع.

أخبرنا محمد بن طاهر، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر ابن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن معروف، قال: أخبرنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا قدامة بن موسى الجمحي، قال: كان سعيد بن المسيب يفتي وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء.

قال محمد بن سعد: وأخبرنا يزيد بن هارون، والفضل بن دكين، قالا: أخبرنا مسعر بن كدام، عن سعد بن إبراهيم، عن سعيد بن المسيب، قال: ما بقي أحد أعلم بكل قضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر مني.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك، عن عثمان الحزامي، عن مالك بن أنس: أن سعيد بن المسيب ولد في زمان عمر بن الخطاب، وكان احتلامه عند مقتل عثمان، وكان يقال لسعيد: راوية عمر بن الخطاب، وكان يتتبع أقضية عمر بن الخطاب يتعلمها، وإن كان عبد الله بن عمر ليرسل إليه يسأله عن القضاء من أقضية عمر فيخبره.

قال الزبير: وحدثني أبو مصعب الزهري، قال: حدثني المغيرة بن عبد الله الأخنسي، عن رجل أهل البصرة، قال: كان الحسن بن أبي الحسن لا يدع شيئاً من فعله بقول أحد حتى يقول أن سعيد بن المسيب قد قال خلافه فيأخذ به ويدع قوله.

قال: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا حارثة بن أبي عمران أنه سمع محمد بن يحيى بن حيان يقول: كان رأس من بالمدينة في دهره والمقدم عليهم في الفتوى سعيد بن المسيب، ويقال: فقيه الفقهاء.

قال: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا ثور بن يزيد، عن مكحول، قال: سعيد بن المسيب عالم العلماء.

قال: وأخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي، قال: حدثنا أبو المليح، عن ميمون بن مهران، قال: قدمت المدينة فسألت عن أفقه الفقهاء، فدفعت إلى سعيد بن المسيب.

قال: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني هشام بن سعد، قال: سمعت الزهري يقول، وسأله سائل عن من أخذ سعيد بن المسيب علمه، قال: عن زيد بن ثابت، وجالس سعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وابن عمر، ودخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وأم سلمة، وكان قد سمع من عثمان وعلي وصهيب ومحمد بن مسلمة، وجل روايته المسندة عن أبي هريرة، وكان زوج ابنته.

قال: وأخبرني معن بن عيسى، عن مالك، قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: ما كان في المدينة عالم إلا يأتيني بعلمه وأوتى بما عند

سعيد بن المسيب.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد المحسن بن محمد، قال: أخبرنا عبد الملك بن عبد الله بن سكين الفقيه، قال: أخبرنا أبيض بن محمد بن أبيض، قال؛ حدثنا عبد الرحمن النسائي، قال: حدثني أبو عبد الله الأسباطي، قال: لما نزل الماء في عين سعيد بن المسيب قيل له: اقدحها، قال: فعلى من أفتحها.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: وابتلي سعيد بن المسيب بالضرب. وذلك أن عبد الله بن الزبير ولى جابر بن الأسود الزهري المدينة، فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير، فقال سعيد: لا حتى يجتمع الناس، فضربه ستين سوطاً، فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إليه يلومه ويقول: مالنا ولسعيد، دعه.

وكان عبد الملك قد خطب بنت سعيد لابنه الوليد، فأبى، فاحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا زيد بن بشير الحضرمي،قال: حدثنا ضمام، عن بعض أهل المدينة، قال: لما كانت بيعة سليمان بن عبد الملك مع بيعة الوليد كره سعيد بن المسيب أن يبايع بيعتين، فكتب صاحب المدينة إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن سعيد بن المسيب كره أن يبايع لهما جميعاً، فكتب عبد الملك إلى صاحب المدينة: وما كان حاجتك إلى رفع هذا عن سعيد بن المسيب، ما كنا نخاف منه، فأما إذا ظهر ذلك وانتشر في الناس فادعه إلى ما دخل فيه من دخل في هذه البيعة، فإن أبى فاجلده مائة سوط، واحلق رأسه ولحيته، وألبسه ثياباً من شعر، وقفه على الناس في سوق المسلمين لئلا يجترئ علينا غيره.

فلما علم بعض من حضر من قريش سألوا الوالي أن لا يعجل عليه حتى يخوفه بالقتل فعسى أن يجيب، فأرسلوا مولى له كان في الحرس، قالوا: اذهب فأخفه بالقتل، وأخبره أنه مقتول لعل ذلك يخيفه حتى يدخل فيما دخل فيه الناس. فجاءه مولاه وهو يصلي فبكى المولى، فقال له سعيد: ما يبكيك؟ قال: يبكيني ما يراد بك، قد جاء كتاب فيك إن لم تبايع قتلت، فجئت لتطهر وتلبس ثياباً طاهرة، وتفرغ من عهدك، قال: ويحك قد وجدتني أصلي، فتراني كنت أصلي ولست بطاهر، وثيابي غير طاهرة، وأما ما ذكرت من العهد فإني أضل ممن أرسلك إن كنت بت ليلة و لم أفرغ من عهدي. فانطلق، فلما أتى الوالي دعوه فأبى أن يجيب، فأمره بالتجريد ولبس ثياباً من شعر، ثم جلده مائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، ووقف فقال: لو كنت أعلم أنه ليس شيء إلا هذا ما نزعت ثيابي طائعاً، ولا أجبت إلى ذلك.

قال ضمام: فبلغني أن هشام بن إسماعيل كان إذا خطب الناس يوم الجمعة تحول إليه سعيد بن المسيب بوجهه ما دام يذكر الله عز وجل حتى إذا رفع يذكر عبد الملك ويمدحه ويقول فيه ما يقول أعرض عنه سعيد بوجهه، فلما فطن له هشام أمر حرسياً أن يخصب وجهه إذا تحول عنه، ففعل ذلك به، فقال سعيد لهشام وأشار بيده إليه: هي ثلاث نحل. فما مر به إلا ثلاثة أشهر حتى عزل هشام. ومعنى نحل: حسب.

أنبأنا الحسين بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا ابن المسلمة، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا سليمان بن داود، قال: أخبرنا الزبير بن

بكار، قال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: كان سعيد بن المسيب لا يقبل بوجهه على هشام بن إسماعيل إذا خطب يوم الجمعة، فأمر به هشام بعض أعوانه يعطفه عليه إذا خطب فأهوى العون يعطفه فأبى عليه فأخذه حتى عطفه، فصاح سعيد؛ يا هشام إنما هي أربع بعد أربع. فلما انصرف هشام قال: ويحكم جن سعيد، فسئل سعيد: أي شيء أربع بعد أربع، سمعت في ذلك شيئاً؟ قال: لا، فقيل: ما أردت بقولك؟ قال: إن جاريتي لما أردت المسجد، قالت لي: إني رأيت هذه الليلة رؤيا فلا تخرج حتى أقصها عليك وتعبرها لي، رأيت كأن موسى غطس عبد الملك في البحر ثلاث غطسات، فمات في الثالثة، فأولت أن عبد الملك مات، وذلك أن موسى بعث على الجبارين بقتلهم، وعبد الملك جبار هذه الأمة. قال: فلم قلت أربع بعد أربع؟ قال: مسافة مسير الرسول من دمشق إلى المدينة بالخبر. فمكثوا ثماني ليال ثم جاء رسول بموت عبد الملك.

تزويج بنت سعيد

أخبرنا المحمدان ابن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الحافظ قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان، قال: أخبرنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله بن وهب، عن عطاء وابن خالد، عن ابن حرملة، عن ابن أبي وداعة، قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما جئته، قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، قال: ألا أخبرتنا فشهدناها. قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة، فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟ نعم، ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو ثلاثة. قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى مترلي وجعلت أتفكر ممن آخذ؟ وممن أستدين؟ فصليت المغرب، وكنت وحدي، وقدمت عشائي أفطر خبزاً وزيتاً، فإذا الباب يقرع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب؛ فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت، فإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك، قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً تزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك قال: فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم تقدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاءوني، فقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم، زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم وقد جاء بها على غفلة، فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟ قلت: نعم. وهوذا هي في الدار. قال: ونزلوا هم إليها، وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام.

قال: فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله عز وجل، وأعلمهم بسنة رسوله، وأعرفهم بحق زوج. قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي السلام و لم يكلمني حتى تفرق أهل المجلس، فلم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خيراً يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو، فقال: إن رابك شيء فالعصا. فانصرفت إلى مترلي، فوجه إلي بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

قال عبد الله: وابن أبي وداعة هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة.

قال مؤلف الكتاب: وكان لكثير هذا ولد يقال له كثير أيضاً. روى الحديث، وكان شاعراً و لم يكن له عقب. فأما أبو وداعة فاسمه الحارث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم. كان قد شهد بدراً مع المشركين فأسر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تمسكوا به فإن له ابناً كيساً بمكة". فخرج المطلب ففداه بأربعة آلاف درهم. وهو أول أسير فدي، فشخص الناس بعده ففدوا أسراهم، وكان أبوه صبيرة قد جاز الأربعين سنة بقليل ثم مات.

أنبأنا الحسين بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا ابن المسلمة، قال: أخبرنا المخلص، قال حدثنا سليمان بن داود، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني علي بن صالح، عن عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير: أن الناس مكثوا زماناً ومن جاز من قريش في السن أربعين سنة عمر، فجازها صبيرة بن سعيد بيسير، ثم مات فجأة، ففزع لذلك الناس، فناحت عليه الجن، فقالت:

من يأمن الحدثان بع ... د صبيرة القرشي ماتا

عجلت منيته المشي ... ب فكان منيته افتلاتا

وفي رواية أن شاعراً قال:

حجاج بيت الله إن ... صبيرة القرشي ماتا

سبقت منيته المشيب ... كأن ميتته افتلاتا

فتزودوا لا تهلكوا من ... دون أهلكم خفاتا

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: ثم إن أبا وداعة أسلم يوم الفتح وبقي إلى خلافة عمر، وأسلم ابنه المطلب يوم الفتح أيضاً.

توفي سعيد بالمدينة في هذه السنة وهو ابن أربع وثمانين سنة.

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، أبو الحسن أمه أم ولد اسمها غزالة. روى عن أبيه، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وصفية، وأم سلمة، وشهد مع أبيه كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً حينئذ ملقى على الفراش، فلما قتل الحسين قال شمر: اقتلوا هذا، فقال رجل من أصحابه: سبحان الله، أتقتلون غلاماً حدثاً مريضاً لم يقاتل، وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: لا تعرضوا للنسوة ولا لهذا المريض، ثم أدخل على ابن زياد، فهم بقتله ثم تركه وبعثه إلى يزيد، فرده إلى المدينة، فالعقب من ولد الحسين لعلي من هذا، وأما الأكبر المقتول فلا عقب له.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، عن عبد الغفار بن القاسم، قال: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد، فلقيه رجل فسبه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل عليه، فقال: ما ستر الله عليك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعنيك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى إليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل.

أنبأنا البارع بإسناد له عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، قال: قدم المدينة قوم من أهل العراق فجلسوا إلي ثم ذكروا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فنسبوهما، ثم ابتركوا في عثمان ابتراكاً، فقلت لهم: أخبروني، أنتم من المهاجرين الأولين الذين قال الله فيهم:

"للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون" قالوا: لسنا منهم قال: فأنتم من الذين قال الله عز وجل فيهم: "والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" قالوا: لسنا منهم. قال لهم: أما أنتم فقد تبرأتم من الفريقين أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم" قوموا عني، لا قرب الله قربكم فأنتم تستترون بالإسلام، ولستم من أهله.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا علي بن محمد الأنباري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن أبي معشر، قال: حدثني ابن أبي نوح الأنصاري، قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله النار، يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني النار الأخرى.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بإسناد له عن عبد الله بن أبي سليمان، قال: كان علي بن الحسين رضي الله عنهما لا تجاوز يده فخذه، ولا يخطر بيده، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: مالك؟ فقال: تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناد له عن أبي حمزة الثمالي، قال: كان علي بن الحسين رضي الله عنهما يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بإسناده عن جعفر بن محمد، قال: كان علي بن الحسين رضي الله عنهما لا يحب أن يعينه على طهوره أحد، كان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ثم يأخذ في صلاته، وكان لا يدع صلاة الليل في السفر والحضر، وربما صلاها على بعيره، وكان يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن ينكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى، ولمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء.

وكان إذا أتاه سائل رحب به وقال: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة.

أخبرنا محمد بن ناصر بإسناد له عن طاووس، قال: رأيت علي بن الحسين رضي الله عنهما ساجداً، فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول: فأصغيت إليه فسمعته يقول: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. فوالله ما دعوت بها في كرب إلا كشف عني.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا ابن علي الطناجيري، قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين، قال: حدثنا محمد بن الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا جدي قال: حدثنا الهيثم بن عدي، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين رضي الله عنهما: سألت الله عز وجل في دبر كل صلاة سنة أن يعلمني اسمه الأعظم. قال: فوالله إني لجالس قد صليت ركعتي الفجر إذ ملكتني عيناي، فإذا رجل جالس بين يدي قال: قد استجيب لك، فقل: اللهم إني أسألك باسمك الله الله الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم. ثم قال لي: أفهمت أم أعيد عليك، قلت: أعد

علي، ففعل قال علي: فما دعوت بها في شيء قط إلا رأيته، وإني لأرجو أن يدخر الله لي عنده خيراً.

أخبرنا عبد الوهاب، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: حدثنا أبو محمد الجوهري، قال: حدثنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال: حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا عبد الله بن هارون بن أبي عيسى، عن أبيه، عن حاتم بن أبي صفيرة، عن عمرو بن دينار، قال: دخل علي بن الحسين رضي الله عنهما على أسامة بن زيد في مرضه الذي مات فيه وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال: دين علي، قال: كم مبلغه؟ قال: خمسة عشر ألف دينار – أو بضعة عشر ألف دينار – قال: فهو علي.

وقال شيبة بن نعامة الضبي: كان علي بن الحسين رضي الله عنهما يبخل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت.

وفي رواية: أنه كان إذا أقرض قرضاً لم يستعده، وإذا عار ثوباً لم يرتجعه، وإذا وعد شيئاً لم يأكل و لم يشرب حتى يفي بوعده، وإذا مشى في حاجة فوقفت قضاها من ماله. وكان يحج ويغزو ولا يضرب راحلته. وكان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة.

وقال الزهري: لم أر هاشمياً أفضل منه ولا أفقه منه.

أنبأنا محمد بن أبي منصور الحافظ، قال: أخبرنا أبو الفضل جعفر بن يحيى بن إبراهيم المكي، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر، قال: أخبرني علي بن أحمد بن عبد الرحمن الأصبهاني، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، قال: سمعت الزهري يقول: وجه عبد الملك بن مروان رسلاً في حمل علي بن الحسين فوجدوه بمكة، فحملوه مكبلاً بالحديد ومنع الناس أن يدخلوا عليه.

قال ابن شهاب: فأذنت عليه، فصرفني البوابون من عند عبد الملك فأذنوا لي، فدخلت عليه الحبس وجعلت أتوجع له وأقول له: يعز علي يا ابن رسول الله أن أراك على مثل هذه الحالة، فلما رأى شدة حزني وبكائي، قال: يا زهري، لا تجزع إن هذا الحديد لا يؤذيني، ثم نزعه من رجله ووضعه بين يدي، وقال: لست أجوز معهم ذات عرق.

قال: ثم مضوا به محمولاً، فما لبثنا بعد ذلك إلا أربعة أيام حتى أتت رسل عبد الملك يسألون عن علي بن الحسين وقد فقدوه، فقلت: كيف كان أمره؟ قالوا: لما نزلنا ذات عرق فبتنا بها ليلتنا تلك فلما أصبحنا وجدنا حديده وفقدناه.

قال ابن شهاب: فقدمت بعد ذلك بأسبوع على عبد الملك وهو بالشام فسألني عن علي بن الحسين، فقلت: أنت أعلم به مني، فقال: إنه قدم علي في اليوم الذي فقده فيه أصحابي بذات عرق فدخل علي من هذا الباب فقال: ما أنا وأنت، فقلت: أريد أن تقيم عندي.....

قال علماء السير: حج هشام بن عبد الملك و لم يل الخلافة بعد، فطاف بالبيت فجهد أن يصل إلى الحجر فيستلمه، فلم يقدر عليه، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، فأقبل علي بن الحسين فطاف بالبيت، فلما بلغ إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلمه، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً، فقال الفرزدق: ولكني أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها   إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى إلى ذروة العز التي قصرت   عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته   ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه   لخر يلثم منه الكف والقدم

يغضي حياء ويغضى من مهابته   فما يكلم إلا حين يبتسم

من جده دان فضل الأنبياء له   وفضل أمته دانت له الأمم

ينشق نور الهدى عن نور غرته   كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم

مشتقة من رسول الله نبعته   طابت عناصره والخيم والشيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله   بجده أنبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدماً وفضله   جرى بذاك له في لوحه القلم

وليس قولك: من هذا؟ بضائره   العرب تعرف من أنكرت والعجم

كلتا يديه غياث عم نفعهما   يستوكفان ولا يعروهما العدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره   يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا   رحب الفناء أريب حين يعتزم

عم البرية بالإحسان فانقشعت   عنه الغيابة والإملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم   كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم   أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم   ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت   والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم   سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

يستدفع السوء والبلوى بحبهم   ويسترب به الإحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم   في كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم   خيم كريم وأيد بالندى هضم

أي الخلائق ليست في رقابهم   لأولية هذا أوله نعم

ما قال لا قط إلا في تشهده   لولا التشهد كانت لاءه نعم

من يعرف الله يعرف أولية ذا — الدين من بيت هذا ناله الأمم

قال: فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان – بين مكة والمدينة. وبلغ ذلك علي بن الحسين، فبعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم، وقال: أعذر يا أبا فراس، فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردها الفرزدق وقال: يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت إلا غضباً لله عز وجل ولرسوله، وما كنت لأزرأ عليه شيئاً، فقال: شكر الله لك، إلا أنا أهل البيت إذا أنفذنا أمراً لم نعد فيه، فقبلها، وجعل يهجو هشاماً وهو في الحبس، فكان مما هجاه به قوله:

أتحبسني بين المدينة والتي — إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد — وعين له حولاء باد عيوبها

توفي علي بن الحسين بالمدينة في هذه السنة، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

ومن العجائب: ثلاثة كانوا في زمان واحد، وهم بنو أعمام، كل واحد منهم اسمه علي، ولهم ثلاثة أولاد كل واحد منهم اسمه محمد، والآباء والأبناء علماء أشراف: علي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبد الله بن عباس، وعلي بن عبد الله بن جعفر.

عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله أمه أسماء بنت أبي بكر. روى عن أبيه، وعن زيد بن ثابت، وأسامة، وأبي أيوب، والنعمان بن بشير، وأبي هريرة، ومعاوية، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس في آخرين، وكان فقيهاً فاضلاً يسرد الصوم، مات صائماً.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثني سعيد بن أسد، قال: حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، قال: كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب ثلم حائطه، فيدخل الناس فيأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية فيه حتى يخرج منه: "ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله".

وكان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً في المصحف، ويقوم به الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، ثم عاود من الليلة المقبلة.

قال يعقوب: وحدثني العباس بن مزيد، قال: أخبرني أبي قال: قال أبو عمرو يعني الأوزاعي: خرجت في بطن قدمه بثرة – يعني عروة – فترامى به ذلك إلى أن نشرت ساقه، فقال لما نشرت: اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى سوء قط.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بإسناده عن هشام بن عروة، قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك، فوقعت في رجله الأكلة، فقال له الوليد: يا أبا عبد الله، أرى لك قطعها. قال: فقطعت وإنه لصائم، فما تضور وجهه. قال: ودخل ابن له – أكبر ولده – اصطبله، فرفسته دابة فقتلته، فما سمع من أبي في ذلك شيء حتى قدم المدينة، فقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة، فلك الحمد. وكان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وأيم الله لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لطالما عافيت.

توفي عروة بناحية الفرع في هذه السنة، ودفن هناك. وقيل: توفي في السنة التي قبلها.

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ولد في خلافة عمر، وليس له اسم. وروى عن أبي مسعود الأنصاري، وأبي

هريرة، وعائشة، وأم سلمة، وكان يقال له: راهب قريش لكثرة صلاته، وكان فقيهاً جواداً، أودع مالاً، فذهب فغرمه حفظاً لعرضه، وذهب بصره، فذهب يوماً إلى مغتسله فمات فجأة في هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فمن الحوادث فيها: غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون، وفتح قنسرين.
وفيها: قتل الوضاحي بأرض الروم وقتل معه نحو من ألفي رجل.
وفيها: انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس.
وفيها: غزا قتيبة الشاش، فلما وصل إليها جاءه موت الحجاج، فقفل راجعاً إلى مرو، فجاءه كتاب من الوليد يقول فيه: عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهادك وجدك في جهاد أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك ما تحب، فلا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر إلى بلادك، والثغر الذي أنت به.
وفي هذه السنة: مات الحجاج، فاستخلف على الصلاة ابنه عبد الرحمن وقيل: بل استخلف يزيد بن أبي كبشة على الصلاة، وعلى الخراج يزيد بن أبي مسلم، وأقرهما الوليد، وأقر عمال الحجاج كلهم.
وفي هذه السنة: ولد المنصور بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.
وفي هذه السنة: حج بالناس بشر بن الوليد بن عبد الملك، وكان العمال فيها العمال في السنة التي قبلها إلا ما كان من الكوفة والبصرة، فإنها ضمت إلى من ذكرنا بعد موت الحجاج.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، وهو عتبة بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عوف بن سعد بن عوف بن ثقيف، من الأحلاف: وأمه الفارعة بنت همام، وكانت عند المغيرة بن شعبة، فولدت له بنتاً. وكان الحجاج أخفش، دقيق الصوت فصيحاً حسن الحفظ للقرآن، إلا أنه قد أخذ عليه فيه لحن.
قال ليحيى بن يعمر: أتجدني ألحن، قال: الأمير أفصح من ذلك، قال: عزمت عليك لتخبرني، قال: نعم: "ومساكن ترضونها أحب إليكم" بالرفع وأحب منصوب، قال: لا تسمعني ألحن بعدها فنفاه إلى خراسان.
وكان الحجاج أول أيامه معلماً، وكان يقرأ في كل ليلة ربع القرآن. وسمع الحديث وأسنده، وليس بأهل أن يروى عنه.
وكان الحجاج قد أذل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل المدينة خاصة، واحتج بأنهم لم ينصروا عثمان، وقتل الخلق الكثير يحتج عليهم بأنهم خرجوا على عبد الملك.

أخبرنا أبو الفتح الكروخي، قال: أخبرنا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر الكروخي، قالا: أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن الجراح، عن أبي العباس بن محبوب، عن الترمذي، عن هشام بن حسان، قال: أحصينا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألف رجل.
وأخبرنا عبد الوهاب بإسناد له عن الأصمعي، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عباد بن كثير، عن قحذم، قال: وجد في سجن الحجاج

ثلاثة وثلاثين ألفا ما يجب على أحد منهم قطع ولا قتل ولا صلب، ووجد فيهم أعرابي رؤيا جالساً يبول عند ربض المدينة – يعني واسط – فخلى عنه، فانصرف وهو يقول:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط خرينا وصلينا بغير حساب

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا علي بن أحمد البسري، عن أبي عبد الله بن بطة، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا هشام بن محمد الكلبي، عن عوانة بن الحكم، قال: دخل أنس بن مالك رضي الله عنه على الحجاج بن يوسف، فلما وقف سلم عليه، فقال له الحجاج: إيه إيه يا أنس، يوم لك مع علي، ويوم لك مع ابن الزبير، ويوم لك مع ابن الأشعث، والله لأستأصلنك كما تستأصل الشأفة، ولأدمغنك كما تدمغ الصمغة، فقال أنس: إياي – يعني الأمير – أصلحه الله؟ قال: إياك صك الله سمعك، قال أنس: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أي قتلت قتلت، ولا أي ميتة مت.

ثم خرج من عنده، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك، فلما قرأ كتابه استشاط غضباً وصفق عجباً وتعاظم ذلك من الحجاج. وكان كتاب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان: بسم الله الرحمن الرحيم. إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك، أما بعد، فإن الحجاج قال لي هجراً، وأسمعني نكراً، و لم أكن له منك ومنه أهلاً، فخذلني على يديه وأعني عليه فإني أمت إليك بخدمتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتي إياه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فبعث إلى إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، وكان مصافياً للحجاج، فقال: دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق، فابدأ بأنس بن مالك وادفع إليه كتابه وأبلغه مني السلام، وقل له: يا أبا حمزة، قد كتبت إلى الملعون الحجاج كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك.

وكان كتاب عبد الملك إلى أنس: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان، أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكايتك الحجاج، وما سلطته عليك، ولا أمرته بالإساءة إليك، فإن عاد لمثلها فاكتب إلي بذلك أنزل به عقوبتي، وتحسن لك معونتي، والسلام.

فلما قرأ أنس كتابه قال: جزى الله أمير المؤمنين عني خيراً، وعافاه، فهذا كان ظني به والرجاء منه. فقال له إسماعيل: يا أبا حمزة، الحجاج عامل أمير المؤمنين، وليس بك عنه غنى، ولا بأهل بيتك، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع إليك قدر أن يضر وينفع، فقاربه وداره، قال: أفعل إن شاء الله. ثم خرج إسماعيل من عنده فدخل على الحجاج، فلما رآه قال: مرحباً برجل أحبه، وقد كنت أحب لقاءه، قال: فأنا والله قد كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به، قال: وما أتيتني به؟ قال: فارقت أمير المؤمنين وهو من أشد الناس عليك غضباً ومنك بعداً، فاستوى جالساً مرعوباً، فرمى إليه بالطومار، فجعل ينظر فيه مرة ويعرق، وينظر إلى إسماعيل أخرى، فلما فهمه قال: مر بنا إلى أبي حمزة نعتذر إليه ونترضاه، قال: لا تعجل، قال: كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدة، ثم رمى الطومار إليه فإذا فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف. أما بعد، فإنك عبد طمت بك الأمور،

فسموت فيها وعدوت طورك وجاوزت قدرك، وأردت أن تروزني، فإن سوغتكها مضيت قدماً، وإن لم رجعت القهقرى فلعنك الله عبداً أخفش العينين، منقوص الجاعرتين، أنسيت مكاسب آبائك بالطائف، وحفرهم الآبار بأيديهم، ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل، يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب، والله لأغمزنك غمزة الليث الثعلب، والصقر الأرنب، وثبت على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فلم تقبل له إحسانه، واستخفافاً منك بالعهد، والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً خدم عزيز بن عزرة وعيسى بن مريم لعظمته وشرفته وأكرمته، فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خدمه ثماني سنين يطلعه على سره، ويشاوره في أمره، ثم هو مع هذا بقية من بقايا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا قرأت كتابي هذا فكن أطوع له من خفه ونعله، وإلا أتاك مني سهم مثكل بحتف قاض، "ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون".

فأتاه فترضاه. وما عرف لعبد الملك منقبة أكرم منها.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن علي النرسي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الحسني، قال: أخبرنا زيد بن جعفر بن حاجب، قال: أخبرنا صالح بن وصيف الكناني، قال: حدثنا أبو المعمر محمد بن مسلم بن عثمان الأموي، قال: حدثني محمد بن سهل بن عمير المازني، قال: حدثني أبي، قال: عرض الحجاج بن يوسف خيلاً له، فأرسل إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: أين هذه من التي كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أنس: تلك والله كما قال الله عز وجل: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" وهذه هيئت للرياء والسمعة، فقال له الحجاج: لولا كتاب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أتاني لفعلت وفعلت، فقال له أنس: تالله، لم تقدر على ذلك، علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أتحرز بهن من كل شيطان مريد، ومن كل جبار عنيد، قال: فجثا الحجاج على ركبتيه ثم قال: علمنيهن يا عم، قال: تالله لست لهن بأهل. قال: فدس إليه وإلى ولده وإلى أهله، فأبوا أن يعلموه.

قال أبو المعمر: قال محمد بن سهل: قال أبي، قال أنس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على ما أعطاني ربي، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ربي لا أشرك به شيئاً، أجرني من كل شيطان رجيم، ومن كل جبار عنيد، إن وليي الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين "فإن تولوا فقل: حسبي الله لا إله إلا الله هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم".

قال محمد بن سهل: وحدثني أبي، قال: كنت في مجلس فيه الحسن بن أبي الحسن البصري جالساً إذ مر به الحجاج بن يوسف على برذون له، فترل فشق الناس حتى قعد إلى جانب الحسن، وجعل الحسن يحدث الناس ويهوي بيده إلى بغلة كأنه يريد القيام، فلما رأى الحجاج ما يصنع قال: يا أبا سعيد، لعلك تفعل هذا من أجلي، قال: لا، ولكن يمر بنا الضعيف وذو الحاجة فيشتغل بكلامنا عن حاجته، فالتفت الحجاج إلى جلساء الحسن، فقال: نعم الشيخ شيخكم، ونعم المؤدب مؤدبكم، ولولا الرعية وهذه البلية لأحببت مشاهدة شيخكم. ثم قام فركب، فقام رجل من أهل الديوان، فقال: يا أبا سعيد أخرج عطائي، وأمر ببعثي، وأخذت بفرس وسلاح، ولا والله ما فيه ثمن الفرس ولا نفقة عيالي. قال: فأرسل الحسن عينيه بالبكاء، ثم قال: ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، وكتاب الله دغلاً، واستحلوا الخمر بالنبيذ، والنحس بالزكاة، يأخذون من غير حق الله، وينفقون في سخط الله، فستردون فتعلمون والحساب عند البيدر، وإذا أقبل عدو الله ففي سرادقات محفوفة – ويقال: زفافة – وإذا أقبل أخوه

المسلم فطار وأجل منفعة قليلة وندامة طويلة.

قال: فما لبث أن سعى بكلامه إلى الحجاج، فأرسل إليه شرطيين فأخذا بضبعيه حتى أدخلاه على الحجاج، وتبعه ثابت البناني ومحمد بن سيرين ومعه الكفن والحنوط، فلما أدخل عليه قال: يا ابن أم الحسن، أنت القائل ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً وكتاب الله دغلاً، واستحلوا الخمر بالنبيذ، والنجس بالزكاة، فذكر الكلام إلى آخره، قال: نعم، قال: وما الذي جرأك عليه؟ قال: ما أخذ الله على من كان قبلنا، قال الله عز وجل: "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً" فكرهت أن أكون من أولئك القوم، قال: نعم الشيخ أنت، ونعم المؤدب أنت، وليس مثلك أخذ بكلمة استخرجها، ولئن بلغني عنك ثانياً لأفرقن بين رأسك وجسدك، فقال له الحسن: ليس ذاك إليك، ثم قال: يا جارية، هات الغالية، فجاءت جارية فقال: أفرغيه على رأسه، فكشف الحسن عن شعره، فقال: إنه لرأس ما أصابه الدهن منذ كذا وكذا.

فخرج إلى أصحابه، فقال له ابن سيرين وثابت البناني: ما قال لك الطاغية؟ وما رددت عليه؟ قال: قال لي كذا وقلت له كذا، وإنكم ستطلبون. فخرج ابن سيرين إلى بلاد الهند، وخرج ثابت إلى كابل، وأقام الحسن حتى صلى الجمعة خلف الحجاج، فرقي الحجاج المنبر فأطال الخطبة حتى دخل في وقت العصر، فقال الحسن: أما من رجل يقول: الصلاة جامعة، فقال رجل من تلامذة الحسن: يا أبا سعيد أتأمرنا أن نتكلم والإمام يخطب، فقال: إنما أمرنا أن ننصت لهم إذا أخذوا في أمر ديننا، فإذا أخذوا في أمر دنياهم أخذنا في أمر ديننا، قوموا الصلاة جامعة، ثم التفت إلى جلسائه فقال: بعث إليكم أخيفش أعيمش ملعون معذب، قوموا الصلاة جامعة، فقام الحسن، وقام الناس لقيام الحسن، فقطع الحجاج الخطبة ونزل فصلى بهم، وطلب الحجاج الحسن فلم يقدر عليه.

وروى أبو بكر بن الأنباري، عن أبيه، عن العباس بن ميمون، عن ابن عائشة، عن أبيه، قال: كان سجن الحجاج بواسط، إنما هو حائط محوط، ليس فيه مآل ولا ظل ولا بيت، فإذا آوى المسجونون إلى الجدران يستظلون بها رمتهم الحرس بالحجارة، وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً به الملح والرماد، فكان لا يلبث الرجل فيه إلا يسيراً حتى يسود فيصير كأنه زنجي، فحبس فيه مرة غلام، فجاءته أمه تتعرف خبره فصيح به لها، فلما رأته أنكرته قالت: ليس هذا ابني، كان ابني أشقر أحمر وهذا زنجي، فقال لها: أنا والله يا أماه ابنك، أنا فلان وأختي فلانة وأبي فلان، فلما عرفته شهقت فماتت.

قال: وقال الحجاج ليزيد بن أبي مسلم: كم قد قتلنا في الظنة؟ قال: ثمانين ألفاً.

قال: وخرج من سجنه يوم مات الحجاج ما منهم من حل من قيد ولا غير حالاً إلا في بلده الذي كان منه.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا يحيى بن الحسين بن منذر القاضي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد بن سويد، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عثمان أبو العباس الوراق، ومحمد بن أبي يعقوب الدينوري، قالا: مرض الحجاج بن يوسف مرضاً أشرف منه على الموت، فبلغه أن أهل الكوفة يرجعون بموته، فلما برئ صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل الكوفة، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، قد نفخ الشيطان في معاطسكم – أو قال: مناخركم – زعمتم أن الحجاج قد مات، فإن مات الحجاج فمه،

والله ما يسرني أني لا أموت وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت، وما رضى الله تعالى الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه إبليس، ولقد العبد الصالح ربه فقال: "رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي" ثم اضمحل كأن لم يكن، يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل، والله لكأني بي وبكم، وقد صار كل حي منا ميتاً، وكل رطب منا يابساً ونقل كل امرئ منا في ثياب طهره إلى ثلاث أذرع في ذراعين، فأكلت الأرض لحمه ومصت دمه وصديده، ورجع الخبيثان يقيم أحدهما صاحبه خبيثة من ولده يقسم خبيثة من ماله، ألا إن الذين يعلمون يعلمون ما أقول، ثم نزل.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري، قال: حدثنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا الحسن بن أحمد الكلبي، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة، قال: حدثني أبي، قال: لما أراد الحجاج الخروج من البصرة إلى مكة خطب الناس، وقال: يا أهل البصرة، إني أريد الخروج إلى مكة، وقد استخلفت عليكم محمداً ابني، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار، فإنه أوصى في الأنصار أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ألا وأني قد أوصيته بكم ألا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم، ألا فإنكم قائلون: لا أحسن الله له الصحابة، وإني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله عليكم الخلافة.

تم الجزء السادس من كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تأليف الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي عفى الله عنه وعن جميع المسلمين. يتلوه في الجزء السابع ذكر وفاة الحجاج. قد ذكرنا أن عبد الملك بن مروان أوصى الوليد بالحجاج ثم لم يلبث الحجاج......

ذكرى وفاة الحجاج

قد ذكرنا أن عبد الملك بن مروان أوصى ولده الوليد بالحجاج، ثم لم يمت الحجاج حتى ثقل بالوليد، وكان الوليد قد مرض فغشي عليه، فمكث عامة يومه يحسبونه ميتاً، فقدمت البرد على الحجاج بذلك فاسترجع، وأمر بحبل فشده على يده ثم أوثق إلى اسطوانة، وقال: اللهم لا تسلط علي من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته، وجعل يدعو. فقدم البريد بإقامته، فلما أفاق الوليد، قال: ما أحد سر بعافيتي من الحجاج، فقال عمر: كأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر أنه لما بلغه برؤك خرّ ساجداً وأعتق كل مملوك له، فجاء الكتاب بذلك، وبقي الحجاج في إمرته على العراق تمام عشرين سنة، وكان مقدماً على القتل والظلم، وآخر من قتل سعيد بن جابر، فوقعت الأكلة في بطنه، فأخذ الطبيب لحماً وجعله في خيط وأرسله في حلقه ثم استخرجه وقد لصق الدود به، فعلم أنه ليس بناج، فقال:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا	أيمانهم أني من ساكني النار
أيحلفون على عمياء ويلهم	ما علمهم بعظيم العفو غفار

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: حدثنا حمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو نعيم الحافظ، وقال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا هارون بن عبد الله، قال: حدَّثنا محمد بن مسلمة، قال: حدَّثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن كاتب كان للحجاج يقال له يعلى، فقال: كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام حديث السن، فدخلت عليه يوماً بعد قتل سعيد بن جبير

وهو في قبة لها أربعة أبواب، فدخلت مما يلي ظهره، فسمعته يقول: مالي ولسعيد بن جبير، فخرجت رويداً وعلمت أنه إن علم بي قتلني، ثم لم يلبث الحجاج إلا يسيراً حتى مات.

وفي رواية أخرى: أنه كان يقول: ما لي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي.

ومات في شوال هذه السنة. وقيل لخمس بقين من رمضان، وهو ابن أربع وخمسين سنة. وقيل: ثلاث وخمسين سنة.

وقال أبو عمر الجرمي؛ قال يونس النحوي: أنا أذكر عرس العراق، فقيل له: وما عرس العراق؟ قال: موت الحجاج سنة خمس وتسعين.

ولما مات ولى عليها الوليد بن عبد الملك مكانه يزيد بن أبي شبل.

وذكر أبو عمر أحمد بن عبد ربه في كتاب العقد: أن رجلاً حلف بالطلاق أن الحجاج في النار، فسأل الحسن البصري، فقال: لا عليك يا ابن أخي فإن لم يكن الحجاج في النار فما ينفعك أن تكون مع امرأتك في زنا.

وقال يزيد الرقاشي: إني لأرجو الحجاج، فقال الحسن: إني لأرجو أن يخلف الله رجاءك.

وقيل لإبراهيم النخعي: ما ترى في لعن الحجاج؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين". وأشهد أن الحجاج كان منهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا الحسين بن محمد النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سويد، قال حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدَّثنا أبو الحسن المدائني، قال: عمر بن عبد العزيز:

إذا أتت قوم فارس بأكاسرها، والروم بقياصرها أتينا بالحجاج فكان عدلاً بهم.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أحمد بن الحسين بن خيرون، قال أخبرنا محمد بن الواحد بن رزمة، قال: أخبرنا أبو محمد علي بن عبد الله بن المغيرة، قال: حدَّثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي، قال: حدَّثنا العباس بن فرح الرياشي، قال: حدَّثنا ابن أبي سمية، عن أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، قال: قيل ليزيد بن أبي مسلم: أن الحجاج يسمع صياحه من قبره، قال: فانطلق في نفر من أصحابه إلى قبره فسمع الصياح، فقال يرحمك الله أبا محمد، ما تدع تهجدك حياً ولاميتاً.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: حدَّثنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدَّثني أحمد بن جميل، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم، قال: أغمي على المسور بن مخرمة ثم أفاق، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وعبد الرحمن بن عوف في الرفيق الأعلى مع: "الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً" وعبد الملك والحجاج يجران أمعاءهما في النار.

سعيد بن جبير

يكنى أبا عبد الله، مولى لبني وألبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة: روى عن علي، وأبي مسعود البدري، وابن عمر، وابن عمرو، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن المغفل، وعدي بن حاتم، وأبي هريرة، وأكثر عن أبن عباس. وكان عالماً، وكان ابن عباس يقول

له: حدث وأنا حاضر. وقال لأهل الكوفة: تسألوني وفيكم سعيد بن جبير. وجاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني. وكان سعيد يقص على أصحابه بعد الفجر وبعد العصر، ويختم القرآن كل ليلتين، وكان إذا وقف في الصلاة كأنه وتد، وكان يبكي بالليل حتى عمش وكان يخرج في كل سنة مرتين: مرة للحج، ومرة للعمرة.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال أخبرنا أبو الحسين بن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثنا عمر بن إسماعيل الهمداني، قال: حدَّثنا محمد بن سعيد الأموي، عن معاوية بن إسحاق، قال: حدَّثنا سعيد بن جبير عن الصباح فرأيته ثقيل اللسان فقلت له: ما لي أراك ثقيل اللسان؟ فقال: قرأت القرآن البارحة مرتين ونصفاً.

قال عمر: وحدَّثنا أبو معاوية، عن موسى بن المغيرة، عن حماد: أن سعيد بن جبير قرأ القرآن في ركعة واحدة في الكعبة، وقرأ في الثانية بقل هو الله أحد.

ذكر مقتله كان سعيد قد خرج مع القراء الذين خرجوا على الحجاج، وشهد دير الجماجم، فلما انهزم أصحاب ابن الأشعث هرب فلحق بمكة، فبقي زماناً طويلاً. ثم أن خالد بن عبد الله القسري- وكان والياً للوليد بن عبد الملك على مكة - أخذه فبعثه إلى الحجاج مع إسماعيل بن أوسط البجلي، فقال له: ما الذي أخرجك؟ قال: كانت لابن الأشعث بيعة في عنقي، وعزم علي، فقال: رأيت لعدو الله عزمة لم ترها لله ولا لأمير المؤمنين، والله لا أرفع قدمي حتى أقتلك فأعجلك إلى النار سيف رعيب، فقام مسلم الأعور ومعه سيف فضرب عنقه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي أن أحمد بن سليمان قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: حدَّثنا أبو حامد بن جبلة، قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق، قال: حدَّثنا واصل بن عبد الأعلى، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عباس، عن أبي حصين، قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة، فقلت: هذا الرجل قادم - يعني خالد بن عبد الله - ولا آمنه عليك فاطعني وأخرج، فقال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله، فقلت: والله أني لأراك كما سمتك أمك سعيداً.

قال: فقدم مكة فأرسل إليه فأخذه. قال: أخبرني يزيد بن عبد الله قال: أتينا سعيد ين جبير حين جيء به، فإذا هو طيب النفس وبنية له في حجره فنظرت إلى القيد فبكت، قال: فشيعناه إلى باب الجسر، فقال له الحرس: اعطنا كفيك فإنا نخاف أن تغرق نفسك، قال: يزيد فكنت فيمن كفل به.

قال محمد بن إسحاق: و حدَّثنا محمد بن عبد العزيز الجزري، قال: حدَّثنا يحيى بن حسان، قال: حدَّثنا صالح بن عمر، عن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً وسأخبركم إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها، قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري، قال: حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، قال: حدَّثنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، قال: حدَّثنا هارون بن عيسى، قال: حدَّثنا أبو عبد الرحمن المقري، قال: حدَّثنا حرملة بن عمران، قال: حدَّثنا ابن ذكوان: أن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول بمكة، فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله، فقال له الرسول: والله لأعلم أني أذهب بك

إلى من يقتلك فاذهب أي الطرق شئت، فقال له سعيد بن جبير: إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتني فإن خليت عني خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بي إليه.

قال: فذهب به إليه، فلما أدخل عليه قال له الحجاج: ما اسمك؟ فقال: سعيد بن جبير قال: بل شقي بن كسير قال: أمي سمتني سعيداً، قال: شقيت أنت وأمك، قال: الغيب يعلمه غيرك، قال له الحجاج: أما والله لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى، قال سعيد: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك، ثم قال له الحجاج: ما تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نبي مصطفى خير الباقين وخير الماضين، قال: فما تقول في أبي بكر الصديق؟ ثاني اثنين إذ هما في الغار، أعز به الدين وجمع به بعد الفرقة، قال وما تقول في عمر ابن الخطاب؟ قال: فاروق الله وخيرته في خلقه، أحب الله أن يعز الدين بأحد الرجلين، فكان أحقهما بالخير والفضيلة، قال: فما تقول في عثمان؟ قال: مجهز جيش العسرة، والمشتري بيتاً في الجنة، والمقتول ظلماً، قال: فما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: أولهم إسلاماً، تزوج بنت الرسول صلى الله عليه وسلم التي هي أحب بناته، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن؟ قال: سيجزون بأعمالهم فمسرور ومثبور لست عليهم بوكيل، قال فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ قال: إن يكن محسناً فعند الله ثواب إحسانه، وإن يكن مسيئاً فلن يعجز الله، قال: فما تقول في؟ قال: أنت أعلم بنفسك، قال: بث في علمك، قال: إذن أسوءك ولا أسرك، قال: بث، قال: نعم ظهر منك جور في حد الله وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله، قال: والله لأقطعنك قطعاً، ولأفرقن أعضاءك عضواً عضواً، قال: إذن تفسد علي دنياي وأفسد عليك أخرتك، والقصاص أمامك، قال: الويل لك من الله، قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، قال: اذهبوا به فاضربوا عنقه، قال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله استحفظكها حتى ألقاك يوم القيامة. ولما ذهبوا به ليقتل تبسم، فقال له الحجاج: مم ضحكت؟ قال من جرأتك على الله عز وجل، فقال الحجاج: أضجعوه للذبح، فأضجع فقال: " وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض" فقال الحجاج: اقلبوا ظهره إلى القبلة، فقرأ سعيد " أينما تولوا فثم وجه الله" فقال كبوه على وجهه، فقرأ سعيد: "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى" فذبح من قفاه.

قال: فبلغ ذلك الحسن بن أبي الحسن البصري، فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج، فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع الدود في بطنه فمات.

وفي رواية أخرى أنه عاش بعده خمسة عشر يوماً.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: حدَّثنا أحمد بن عبد الله، قال: أخبرنا أبو حامد بن جبلة، قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق، قال: حدَّثنا الحسن بن عبد العزيز، قال: حدَّثنا سنيد، عن خلف بن خليفة، عن أبيه، قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، ثم قال الثالثة فلم يتمها.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحميدي، قال: أخبرنا القضاعي، قال: أخبرنا أبو مسلم الكاتب، قال: حدَّثنا ابن دريد، قال: حدَّثنا أبو عثمان، قال: حدَّثنا عبد الله قال: حدَّثنا غسان بن مضر، قال: حدَّثنا سعيد بن يزيد، قال: كنا عند الحسن وهو متوار في بيت أبي خليفة، فجاءه رجل فقال له: يا أبا سعيد، قتل الحجاج سعيد بن جبير، فقال الحسن: لعنة الله على الفاسق بن

يوسف، ثم قال: والله لو أن أهل المشرق والمغرب اجتمعوا على قتل سعيد لأدخلهم الله النار.

وفي مقدار عمر سعيد بن جبير ثلاثة أقوال: أحدها سبع و خمسون، والثاني تسع وأربعون، والثالث اثنان وأربعون.

عبد الرحمن ين معاوية بن خديج أبو معاوية التجيبي روى عن ابن عمر، وابن عمرو، وأبي نضرة، وأبيه جمع له عبد العزيز بن مروان بين القضاء والشرط بمصر. وتوفي في هذه السنة.

قيس بن أبي حازم واسمه حصين ين عوف، ويقال: اسمه عبد عوف بن الحارث، أبو عبد الله الأحمسي: أدرك الجاهلية ، وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه فوجده قد توفي.

روى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد وسعيد، وابن مسعود، وبلال بن أبي رباح، وعمار، وخباب، وحذيفة، وجرير، في آخرين.

وقال أبو داود: روى عن تسعة من العشرة و لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف، وقال غيره: روى عن العشرة.

قال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ : ليس في التابعين من روى عن العشرة غيره.

وشهد النهروان مع علي رضي الله عنه.

روى عنه أبو إسحاق، وإسماعيل بن خالد و الأعمش وجاوز المائة بسنين كثيرة فتغير. وتوفي في هذه السنة، وقيل: في سنة ثمان وتسعين.

الجزء السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ثم دخلت سنة ست وتسعين

فمن الحوادث فيها أن

قتيبة بن مسلم افتتح كاشغر وغزا الصين

وفيها أن الوليد أراد الشخوص إلى أخيه سليمان ليخلعه ويبايع لابنه عبد العزيز بعده.

وقد ذكرنا أن عبد الملك جعلهما وليي عهده، فأراد الوليد سليمان على ذلك فأبى، وعرض عليه أموالاً كثيرة فأبى. فكتب إلى عماله أن يبايعوا عبد العزيز، ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه إلى ذلك إلا الحجاج وقتيبة بن مسلم وخواص من الناس فقال له عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبوك إلى هذا، ولو أجابوك لم آمن الغدر منهم بابنك، فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك فإن عليه طاعة فأرده على البيعة فإنه لا يقدر على الإمتناع وهو عندك، وإن أبى كان الناس عليه.

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ، فاعتزم الوليد على المسير إليه ليخلعه، فأمر الناس بالتأهب، فمرض فمات قبل أن يسير، فاستحلف سليمان.

باب ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك

ويكنى أبا أيوب، بويع يوم موت أخيه الوليد، وكان بالرملة فوصل الخبر إليه بعد سبعة أيام، فبويع ،وسار إلى دمشق فورد على فاقة من الناس إليه لما كانوا فيه من جور الوليد وعسفه، فأحسن السيرة، ورد المظالم، وفك الأسرى، و أطلق أهل السجون، واتخذ عمر بن عبد العزيز وزيراً، ثم عهد إليه.

وكان طويلاً أسمر أعرج أكولاً نشأ بالبادية عند أخواله، فلما قدم صعد المنبر، فخنقته العبرة، ثم قال:

ركب تخب به المطي فغافل	عن سيره ومشمر لم يغفل
لا بد أن يرد المقصر والذي	حب النجاء محله لم تحلل

يا أيها الناس، رحم الله من ذكر فاذكر فإن العظة تجلو العمى، إنكم أوطنتم أنفسكم دار الرحلة ، و اطمأننتم إلى دار الغرور فألهاكم الأمل وغرتكم الأماني فأنتم سفر وإن أقمتم ، ومرتحلون إن وطنتم، لا تشتكي مطاياكم ألم الكلال، ولا يتعبها دأب السير، ليل يدلج بكم وأنتم نائمون، ونهاراً يجدبكم وأنتم غافلون، لكم في كل يوم مشيع لا يستقبل ، ودموع لا يؤوب، أولا ترون – رحمكم الله– إلى ما أنتم فيه منافسون، وعليه مواظبون، وله مؤثورن، من كثير يفنى، وجديد يبلى، كيف أخذ به المخلفون له،

وحوسبوا عليه دون المتنعم به، فأصبح كل منهم رهناً بما كسبت يداه. وما الله بظلام للعبيد.
فيا أيها اللبيب المستبصر فيم تذهب أيامك ضياعاً؟ وعما قليل يقع محذورك، ويترل بك ما طرحته وراء ظهرك، فأسلمك عشيرتك، وفرّ منك قريبك، فنبذت في العراء، وانفضت عنك الدنيا.

فامهد نفسك أيها المغرور، واعمل قبل ركوب المضيق وسد الطريق، فكأني بك قد أدرجت في أطمارك، وأودعت ملحدك، وتصدع عنك أقربوك، واقتسم مالك بنوك، ورجع القوم يرعون في زهرات موبق دنياك التي كدحت لها وارتحلت عنها، فأنت كما قال الشاعر:

سترحل عن دنيا قليل بقاؤها	عليك، وإن تبقى فإنك فان

إن لله عباداً فروا منه إليه فجالت فكرهم في ملكوت العظمة، فعزفت الدنيا نفوسهم.
أيها الناس، أين الوليد وأبو الوليد وجد الوليد وخلفاء الله، وأمراء المؤمنين، وساسة الرعية؟ وأسمعهم الداعي، وقبض العارية معيرها، فاضمحل ما كان كأن لم يكن، وأتى ما كأنه لم يزل، وبلغوا الأمد، وانقضت بهم المدة، ورفضتهم الأيام وشمرتهم الحادثات فسلبوا عن السلطنة، ونفضوا لدة الملك، وذهب عنهم طيب الحياة، فارقوا والله القصور وسكنوا القبور، واستبدلوا بلينة الوطاء خشونة الثرى، فهم رهائن التراب إلى يوم الحساب، فرحم الله عبداً مهد لنفسه، واجتهد لدينه، وأخذ بحظه، وعمل في حياته، وسعى لصلاحه، وعمل ليوم، "تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه" أيها الناس، أن الله عز وجل جعل الموت حتماً سبق به حكمه، ونفذ به قدره، لئلا يطمع أحد في الخلود، ولا يطغى المعمر عمره، وليعلم المخلف بعد المقدم أنه غير مخلد، وقد جعل الله الدنيا داراً لا تقوم إلا بائمة العدل، ودعاة الحق، وإن لله عباداً يملكهم أرضه، ويسوس بهم عباده، ويقيم بهم حدوده، ويجعلهم رعاة عباده، وقد أصبحت في هذا المقام الذي أنا به غير راغب فيه ولا منافس عليه، ولكنها إحدى الربق أعقلها الواهق مساغ المزدرد ومخرج النفس، ولو لا أن الخلافة تحفة من الله كفر بالله خلفها لتمنيت أني كأحد المسلمين يضرب لي بسهمي.
فعلى رسلكم بني الوليد، فإني شبل عبد الملك، وناب مروان، لا تظلعني حمل النائبة، ولا يفزعني صريف الأجفر، وقد وليت من أمركم ما كنت له مكفيا، وأصبحت خليفة و أميراً، وما هو إلا العدل أو النار، ليجدني الممارس لي أخشن من مضرس الكذاب، فمن سلك المحجة حذي نعل السلامة، ومن عدل عن الطريق وقع في وادي الهلكة والضلالة. ألا فإن الله سائل كلا عن كل، فمن صحت نيته ولزم طاعته كان الله له بصراط التوفيق، وبرصد المعونة، وكتب له بسيل الشكر والمكافأة، فاقبلوا العافية فقد رزقتموها، والزموا السلامة فقد وجدتموها، فمن سلمنا منه سلم منا، ومن تاركنا تاركناه، ومن نازعنا نازعناه.
فارغبوا إلى الله في صلاح نياتكم وقبول أعمالكم، وطاعة سلطانكم، فإني والله غير مبطل حداً، ولا تارك له حقاً حتى أنكثها عثمانية عمرية، وقد عزلت كل أمير كرهته رعيته، ووليت أهل كل بلد من أجمع عليه خيارهم، واتفقت عليه كلمتهم، وقد جعلت الغزو أربعة أشهر، وفرضت لذرية الغازين سهم المقيمين، وأمرت بقسمة صدقة كل مصر في أهله إلا سهم العامل عليها، وفي سبيل الله وابن السبيل، فإن ذلك لي وأنا أولى بالنظر فيه، فرحم الله امرءاً عرف منا سهو المفغل عن مفروض حق وأوجب فأعان برأي،

وأنا أسأل الله العون على صلاحكم فإنه مجيب السائلين، جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بموعظته، ويوفي بعهده، فإنه سميع الدعاء، واستغفر الله لي ولكم.

ذكر طرف من أخباره وسيرته أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، قال أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: أخبرنا ابن أبي سعيد، قال حدَّثني علي بن محمد بن سليمان الهاشمي، قال: حدَّثني عبد الله بن سليمان، عن سليمان بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث قال:

كان سليمان بن عبد الملك أكولا، وكانت بينه وبين عبد الله بن عبد الله وصلة قال: قال لنا سليمان يوماً: إني قد أمرت قيم بستان لي أن يحبس علي الفاكهة ولا يجني منها شيئاً حتى يدرك، فاغدوا عليّ مع الفجر، - يقول لأصحابه الذين كان يأنس بهم - لنأكل الفاكهة في برد النهار. فغدونا في ذلك الوقت، وصلى الصبح وصلينا، فدخلنا معه فإذا الفاكهة متهدلة على أغصانها، وإذا كل فاكهة مختارة قد أدركت كلها، فقال: كلوا ثم أقبل عليها وأكلنا بمقدار الطاقة، وأقبلنا نقول: يا أمير المؤمنين هذا العنقود فيخرطه في فيه، يا أمير المؤمنين هذه التفاحة، وكلما رأينا شيئاً نضيجاً أومأنا إليه فيأخذه فيأكله حتى ارتفع الضحى وارتفع النهار ثم أقبل على قيم البستان، فقال: ويحك يا فلان أني قد استجعت فهل عندك شيء تطعمنيه؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين عناق حولية حمراء، قال: آتني بها ولا تأتني معها بخبز، فجاء بها على خوان، لا قوائم له وقد ملأت الخوان، فاقبل يأخذ العضو فيجيء معه فيخرطه في فيه ويلقي العظم حتى أتى عليها، ثم عاد لأكل الفاكهة، فأكل فأكثر، ثم قال للقيم: ويحك ما عندك شيء تطعمنيه؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين دجاجتان بحريتان قد عميتا شحماً، قال ائتني بهما، فأتى بهما، فأتى بهما ففعل بهما كما فعل بالعناق، ثم عاد لأكل الفاكهة فأكل ملياً ثم قال: للقيم: هل عندك شيء تطعمنيه فإني قد جعت، قال: عندي سويق كأنه قطع الأوتار،وسمن، وسكر، قال: أفلا أعلمتني قبل هذا به، ائتني به وأكثر، فأتاه بقعب يقعد فيه الرجل وقد ملأه من السويق وقد خلطه بالسكر وصب عليه السمن، وأتى بجرة ماء بارد وكوز، فأخذ القعب على كفه، وأقبل القيم يصب عليه الماء فيحركه ويأكله- أو قال- ويشربه حتى كفاه على وجهه فارغاً، ثم عاد للفاكهة، فأكل ملياً حتى علت الشمس، ودخل وأمرنا أن ندخل إلى مجلسه، فدخلنا وجلسنا، فما مكث أن خرج علينا، فلما جلس قام كبير الطباخين حياله يؤذنه بالغداء، فأوما إليه أن ائت بالغداء، فأتاه به فوضع يده فأكل، فما فقدنا من أكله شيئاً.

أخبرنا ابن ناصر الحافظ قال: أخبرنا ثابت بن بندار، وأحمد بن علي بن سوار، وأبو الفضل محمد بن عبد الله الناقد، قالوا: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزقة، قال: أخبرنا أبو سعيد الحسن عبد الله السيرافي، قال: حدَّثني محمد بن يحيى، عن معن بن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: كان سليمان بن عبد الملك في نادية له، فسمر ليلة على ظهر سطح، ثم تفرق عنه جلساؤه، فدعا بوضوء، فجاءت به جارية له، فبينا هي تصب عليه إذا استمدها بيده وأشار إليها فإذا هي ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه في ناحية العسكر، فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت، فإذا صوت رجل يغني، فأنصت له حتى إذا فهم ما يغني من الشعر، ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ.

فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً، فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه، فأفاضوا في ذلك التليين والتحليل والتسهيل، وذكروا ما كان يسمعه من أهل المروءات وسروات الناس، ثم قال: هل بقي أحد

يسمع منه؟ قال رجل من القوم: عندي رجلان من أهل أيلة حاذقان، فقال: أين مترلك من العسكر، فأوما إلى الناحية التي كان فيها الغناء، فقال سليمان: يبعث إليهما، فوجد الرسول احدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له: ما اسمك؟ قال سمير، قال: فسأله عن الغناء كيف هو فيه؟ قال: حاذق محكم، قال: فمتى عهدك به؟ قال: في ليلتي هذه الماضية، قال: وفي أي نواحي العسكر كنت؟ فذكر له الناحية التي سمع فيها الصوت، قال: فما غنيت؟ قال: فذكر الشعر الذي سمع سليمان، فاقبل سليمان، يقول: هدر الجمل فضبعت الناقة، وهب التيس فشكرت الشاة، وهدر الحمام فرافت، وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصي وسأل عن الغناء أين أصله، وأكثر ما يكون؟ قالوا: بالمدينة وهو في المخنثين وهم الحذاق به والأئمة فيه، فكتب إلى عامله في المدينة وهو أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم أن أخص من قبلك من المخنثين.

قال الزبير: وأخبرني محمد بن يحيى بن موسى بن جعفر بن أبي كثير، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه مثله.

وكان ابن أبي عبلة وسليمان بن حرب يقصان عند سليمان بن عبد الملك.

وفي هذه السنة:

عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة لسبع بقين في رمضان. وكانت امرأته عليها ثلاث سنين. وقيل: سنتين إلا سبع ليال.

وفيها: عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق. وأمر عليها يزيد بن المهلب.

وفيها جعل سليمان صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب.

وفيها قتل قتيبة بن مسلم بخراسان وسبب قتله أن الوليد لما أراد خلق سليمان ووافقه قتيبة، فلما مات الوليد خاف قتيبة من سليمان، وحذر أن يولي يزيد بن المهلب خراسان، فكتب إلى سليمان كتاباً يهنئه بالخلافة، ويعزيه على الوليد، ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له على مثل ما كان لهما من الطاعة والنصيحة، إن لم يعزله عن خراسان، ثم كتب كتاباً يعلمه فيه فتوحه وعظم قدره عند ملوك العجم، وهيبته في صدورهم، ويذم المهلب وآل المهلب، ويحلف بالله عز وجل لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه. ثم كتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه، وبعث بالكتب الثلاثة، مع رجل من باهلة، وقال: ادفع هذا الكتاب إليه فإن قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع هذا الكتاب إليه وإن قرأ الأول و لم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين.

فقدم الرسول فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب، فدفع إليه الكتاب فقرأه ثم رماه به إلى يزيد، ثم دفع إليه الكتاب الثاني فقرأه ثم رمى به إلى يزيد، فأعطاه الثالث فتمعر لونه، ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده، ثم أمر بالرسول إلى دار الضيافة، فلما أمسى دعا به فأعطاه دنانير وقال: هذه جائزتك، وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر، وهذا رسولي معك بعهده، فخرج فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة لسليمان، وكان قتيبة قد خلعه ودعا الناس إلى خلعه، فكره الناس خلع سيلمان، فصعد قتيبة المنبر وسب الناس لكونهم لم يوافقوه، واجتمعوا على خلافه وخلعه، ثم قتلوه.

في هذه السنة عزل سليمان خالد بن عبد الله القسري عن مكة وولاها طلحة بن داود الحضرمي وفيها: غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الصائفة ففتح حصناً يقال له: حصن عوف.

وفيها: حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وهو الأمير على المدينة، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن

خالد بن أسيد، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن، وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن ابن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى، وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي بردة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن يزيد بن الأسود، أبو عمران النخعي كان إماماً في الفقه، يعظمه الأكابر، وكان سعيد بن جبير يقول: اتستفتوني وفيكم إبراهيم.

وكان شديد الهيبة، يهاب كما يهاب الأمير، وكان يتخوف من الفتوى ويحتقر نفسه ويقول: احتيج إليّ، ويكره أن يستند إلى السارية، ولا يتكلم حتى يسأل وحمل الناس عنه العلم وهو ابن ثمان عشرة سنة. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، قال: سمعت أبا علي الحسن بن علي بن يزيد الحافظ يقول: سمعت أبا عبد الرحمن محمد بن عبد الله البيروتي، يقول: حدَّثنا محمد بن أحمد بن مطر بن العلاء، قال: حدَّثني محمد بن أحمد بن يوسف بن بشير القرشي، قال: حدَّثني الوليد محمد بن الموقري، قال: سمعت محمد بن مسلم الزهري، يقول:

قدمت على عبد الملك بن مروان، فقال لي: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة، فقال: من خلفت بها يسود أهلها؟ فقلت: عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العرب أم الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: وبم سادهم؟ قلت: بالديانة الرواية، قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا، فمن يسود أهل اليمن؟ فقلت: طاوس بن كيسان، قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: وبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء، قال: إنه لينبغي. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت يزيد بن أبي حبيب، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال: من يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسين بن أبي الحسن، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: ويلك من يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب، قال: ويلك يا زهري، فرجت عني، والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها، قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو أمر الله ودينه، فمن حفظ ساد، ومن ضيعه سقط.

أخبرنا يحيى بن علي المدير، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن النقور، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدَّثنا البغوي، قال: حدَّثنا محمد بن بكار، قال: حدَّثنا محمد بن طلحة، عن ميمون بن أبي حمزة، عن إبراهيم أنه قال: قد تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقه الكوفة لزمان سوء.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصوفي، قال: حدَّثنا أبو أحمد الأنباري، قال: حدَّثنا أبي، قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الكتاني، قال: حدَّثنا الفضل بن دكين، قال: حدَّثنا الأعمش، قال: خرجت أنا وإبراهيم النخعي ونحن نريد الجامع، فلما صرنا في خلال طرقات الكوفة قال لي: يا سليمان، قلت لبيك، قال: هل لك أن تأخذ في خلال طرقات الكوفة كي لا تمر بسفهائها فينظرون إلى أعور وأعمش فيغتابونا ويأثمون؟ قلت: يا أبا عمران، وما عليك

في أن نؤجر ويأثمون؟ قال: يا سبحان الله، بل نسلم ويسلمون خير من أن نؤجر ويأثمون.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: حدَّثنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد، قال: حدَّثنا أحمد بن روح، قال: حدَّثنا حماد بن المؤمل، قال: حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل، قال: حدَّثنا أبو معاوية، عن محمد بن سوقة، عن عمران الخياط، قال: دخلنا على إبراهيم النخعي نعوده وهو يبكي، فقلنا: ما يبكيك؟ قال: انتظر ملك الموت ، لا أدري يبشرني بالجنة أم بالنار.

أدرك النخعي أبا سعيد الخدري، وعائشة، وعامة ما يروي عن التابعين كعلقمة، ومسروق، والأسود، وتوفي هذه السنة وهو ابن تسع وأربعين سنة. وقيل ابن نيف وخمسين سنة.

وكان الشعبي يقول: والله ما ترك بعده مثله.

عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، توفي بمصر في هذه السنة.

وهذا الرجل تزوج إليه أربعة من الخلفاء، كان له بنت اسمها عبدة تزوجها الوليد بن عبد الملك، وابنة تكنى أم سعيد تزوجها يزيد بن عبد الملك، ورقية تزوجها هشام بن عبد الملك، وبنت اسمها عائشة تزوجها سليمان بن عبد الملك.

قتيبة بن مسلم أبو حفص كان يروي عن أبي سعيد الخدري، والشعبي. تولى خراسان سنة ست وثمانين، وغزا بها غزوات إلى أن مات الحجاج، ثم قتله وكيع بن أبي الأسود الحنظلي بفرغانة، وقد سبق خبره، الوليد بن عبد الملك بن مروان توفي يوم السبت منتصف جمادي الآخرة سنة ست وتسعين بديرمران وحمل إلى دمشق فدفن بها في مقابر الفراديس، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز؛ لأن أخاه سليمان الذي كان وليّ عهده كان غائباً في الرملة، وعاش اثنتين وخمسين سنة. وقيل اثنتين وأربعين. وقيل: خمساً وأربعين.

قال الزهري: كانت خلافته عشر سنين إلا شهر.

وقال أبو معشر: تسع سنين وأربعة أشهر.

وقال الواقدي: وثمانية أشهر.

وقال هشام بن محمد الكلبي: كانت خلافته – يعني الوليد– ثماني سنين وثلاثة أشهر.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

فمن الحوادث فيها:

تجهيز سليمان بن عبد الملك إلى القسطنطينية؛ واستعمال ابنه داود على الصائفة.

وفيها: غزا مسلمة أرض الروم ففتح الحصن الذي كان الوضاح افتتحه.

وفيها: غزا عمر بن هبيرة الفزاري أرض الروم، فشتى بها.

وفيها: ولي سليمان يزيد بن المهلب خراسان وكان السبب في ذلك أن سليمان لما ولي يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها، فنظر يزيد فإذا الحجاج قد أخرب العراق، فقال في نفسه: متى أخذت الناس بالخراج وعذبتهم صرت مثل الحجاج، ومتى لم آت سليمان بمثل ما كان يأتي به الحجاج لم يقبل مني. فجاء يزيد إلى سليمان فقال: أدلك على رجل بصير بالخراج توليه؟ صالح

بن عبد الرحمن مولى بني تميم، فقبل منه، فأقبل يزيد على العراق وقد قدم قبله عبد الرحمن، فنزل واسط، فخرج الناس يتلقون يزيد، ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد، وكان صالح لا ينفذ أمر يزيد ويضيق عليه ويعاتبه في كثرة إنفاقه، ويقول: هذا لا يرضي أمير المؤمنين.

فبينا هو كذلك إذ جاء كتاب سليمان بتولية يزيد خراسان، وكان قد وليها وكيع بن أبي الأسود بعد قتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة، فقدمها يزيد والياً عليها، وكان جواداً.

حج بالناس سليمان بن عبد الملك، وحج الشعراء معه، فلما صدر من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي عن مكة، وكان قد عمل عليها ستة أشهر، وولي عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان عمال الأمصار هم العمال في السنة التي قبلها، إلا خراسان فإن عاملها كان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة.

ذكر من توفي هذه السنة من الأكابر

طلحة بن عبد الله بن عوف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، يكنى أبا محمد، ولي المدينة، وكان من سراة قريش وأجوادهم، ومدحه الفرزدق ومدح عشرة من أهل المدينة، فأعطاه طلحة ألف دينار، فلم يتجاسر أحد على نقيصة الفرزدق لئلا يتعرضوا للسانه فأتعب الناس.

وتوفي طلحة في هذه السنة عن اثنتين وسبعين سنة.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

فمن الحوادث فيها

غزو سليمان القسطنطينية

فنزل دابق ووجه أخاه مسلمة إليها وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره، فشتى بها وصاف. ولما دنا من قسطنطينية، أمر كل فارس أن يحمل مدين من الطعام حتى يأتي به القسطنطينية، فأمر بالطعام فألقي ناحية مثل الجبال، ثم قال للمسلمين: لا تأكلوا منه شيئاً، أغيروا في أراضهم. وعمل بيوتاً من خشب، فشتى فيها، وزرع الناس، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكنه شيء، والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات، ثم أكلوا الزرع، وأقام مسلمة بالقسطنطينة قاهراً لأهلها، معه وجوه أهل الشام: خالد بن معدان، وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي، ومجاهد بن جبير، حتى أتاه موت سليمان.

وفي هذه السنة بايع سليمان بن عبد الملك لأبنه أيوب وجعله ولي عهده، وكان عبد الملك قد أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة، ولمروان بن عبد الملك من بعده، فمات مروان في خلافة سليمان في منصرفه من مكة، فبايع سليمان حين مات لأيوب، وأمسك عن يزيد وتربص به، ورجا أن يهلك، فهلك وأيوب ولي عهده.

وفيها فتحت مدينة الصقالبة.

وفيها: غزا الوليد بن هشام، فأصاب ناساً من نواحي الروم فأسر منهم خلقاً كثيراً.

وفيها غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان في مائة ألف مقاتل سوى الموالي والمتطوعين. وجاء فترل بدهستان فحاصرها ومنع عنهم المواد، فبعث إليه ملكهم: إني أريد أن أصالحك على أن تؤمنني على نفسي وأهل بيتي ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها. فصالحه ووفى له ودخل المدينة، وأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز، ومن السبي ما لا يحصى، وقتل أربع عشر ألف تركي صبراً، وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك، ثم خرج حتى أتى جرجان، و قد كانو يصالحون أهل الكوفة على مائة ألف، ومائتي ألف، وثلاثمائة ألف، وقد كانوا صالحوا سعيد بن العاص، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت بعد سعيد إليهم أحد، ومنعوا ذلك الطريق فلم يسلكه أحد إلا على وجل وخوف منهم.

فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح، فاستخلف رجلاً. ودخل طبرستان فعرض ملكها عليه الصلح، فصالحه على سبعمائة ألف درهم- أو أربعمائة ألف درهم- نقداً، وثلاثمائة ألف مؤجلة، وأربعمائة ألف حمار موقرة زعفران، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس، وعلى البرنس طيلسان وجام من الفضة وسرقة من حرير.

وكان شهر ين حوشب على خزائن يزيد بن المهلب، فرفع إليه أنه أخذ خريطة فسأله عنها، فأتاه بها، فقال: هي لك، فقال: لا حاجة لي فيها، فقال القطامي:

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يأمن القراء بعدك يا شهر؟ !

وكان فيما أصاب يزيد بن المهلب بجرجان تاج فيه جوهر، فقال: أترون أحداً يزهد في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك إلا أخذته، فأخذه وخرج فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به، فلقي سائلاً فدفعه إليه فأخذه الرجل السائل، فأتى به يزيد، فأخذ يزيد التاج وعوض السائل مالاً.

وكان سليمان يقول ليزيد بن المهلب كلما رأى قتيبة يفتح حصناً: أما ترى ما يصنع الله عز وجل على يدي قتيبة؟ فيقول يزيد: الشأن في جرجان. فلم ولي لم يكن له همة غير جرجان، فجاء فصالحوه على ما ذكرنا.

ثم إنهم غدروا بجنده فقتلوا منهم، ونقضوا العهد فأعطى الله عهداً لئن ظفر بهم لا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويختبز من ذلك الطحين ويأكل فترل علها سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء، ولا يعرف لها مأتى إلا من وجه واحد، فكانوا يخرجون فيقاتلونهم ويرجعون إلى حصنهم، فدله رجل على طريق آخر يشرف عليهم، فبعث معه جنداً، ونهض هو لقتالهم فركبهم المسلمون، فأعطوا بأيديهم ونزلوا على حكمه، فسبى ذراريهم وقتل مقاتليهم وصلبهم على الشجر عن يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الوادي فقتلوا فيه، فأخرى فيه دماءهم، وأجرى فيه الماء وعليه أرحاء، فحطن واختبز وأكل، وبنى مدينة جرجان، و لم تكن من قبل ذلك مدينة، واستعمل عليهم جهم بن زحر الجعفي، ورجع إلى خراسان وكتب يزيد إلى سليمان: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن الله تعالى ذكره قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، واظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف، وكسرى بن قباد، وكسرى بن هزمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب، وذا النورين ومن بعدهما، حتى فتح الله سبحانه ذلك لأمير المؤمنين، كرامة الله عز وجل له، وزيادة في نعمه عليه، وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله عز وجل على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من

الفيء والغنيمة سبعة آلاف ألف، وأنا حامل هذا لأمير المؤمنين إن شاء الله.

وفي هذه السنة كثرت الزلازل ودامت ستة أشهر. وفتح حصن المرأة مما يلي ملطية.

وفيها: حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وهو يومئذ أمير على مكة. وكان عمال الأمصار هم الذين كانوا في السنة التي قبلها، غير أن عامل ابن المهلب على البصرة كان سفيان بن عبد الله الكندي

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ويكنى أبا عبد الله، وهو حليف بني زهر بن كلاب. روى عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي طلحة، وسهل بن حنف، وزيد بن خالد، وأبي سعد الخدري، وعائشة، وكان ثقة فقيهاً، وهو أحد الفقهاء السبعة ومن أكابرهم، وهو مع ذلك شاعر فصيح. وجده عتبة ين مسعود أخو عبد الله بن مسعود لأبويه، قديم الإسلام و لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاَ ومات في خلافة عمر، وأما ابنه عبد الله فإنه نزل الكوفة ومات بها في خلافة عبد الملك. ومات عبيد الله بالمدينة في سنة ثمان وتسعين. وقيل: في سنة تسع. وكان الزهري يسميه بحراً.

قال عمر بن عبد العزيز: لو أدركني إذ وقعت فيما وقعت فيه. وكان عمر يقول: من بليلة من ليالي عبيد الله بن عبد الله بألف دينار. وكان قد ذهب بصره، وقال شعراً روى عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: قدمت المدينة امرأة من هذيل، وكانت جميلة جداً، فرغب الناس فيها فخطبوها وكادت تذهب بعقول أكثرهم، فقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أحبك حباً لا يحبك مثله ... قريب ولا في العاشقين بعيد
أحبك حباً لو شعرت ببعضه ... لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم الصبي مدلهي ... شهيدي أبو بكر فنعم شهيد
ويعرف وجدي القاسم بن محمد ... وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفي سليمان علمه ... وخارجة يبدي بنا ويعيد
متى تسألي عما أقول وتخبري ... فلله عندي طارف وتليد

فقال سعيد بن المسيب: أما أنت والله قد أمنت أن تسألنا وما طمعت إن سألتنا أن نشهد لك بالزور.

قال الزبير: هؤلاء الذين استشهدهم عبيد الله وهو معهم فقهاء المدينة السبعة الذين أخذ عنهم الرأي.

توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فمن الحوادث فيها: وفاة سليمان بن عبد الملك، وخلافة عمر بن عبد العزيز

باب ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا حفص، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

روى عن ابن عمر، وأنس، وعبد الله بن جعفر، وعمر بن أبي سلمة، والسائب بن يزيد. وأرسل الحديث عن جماعة القدماء، وروى عن خلق كثير من التابعين، وكان عالماً ديناً.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز، قال أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا سليمان بن إسحاق الجلاب، قال: حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدَّثنا محمد بن سعيد قال: أخبرنا أحمد بن أبي إسحاق، قال: حدَّثنا إبراهيم بن عياش، قال: حدَّثني ضمرة، قال: قال ابن شوذب.

لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز قال لقيمه: اجمع لي أربعمائة دينار من طيب مالي فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح. فتزوج أم عمر بن عبد العزيز.

وما زال عمر يميل إلى الخير والدين مع أنه ولي الإمارة، وكانوا يفزعون إليه في أحوالهم. ولما مرض سليمان كتب العهد لأبنه أيوب، و لم يكن بالغاً، فرده عن ذلك رجاء بن حيوة فقال له: فما ترى في ابني داود، فقال له: هو بقسطنطينية، وأنت لا تدري أحي هو أم ميت، قال:فمن؟فقال: رأيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف ترى في عمر؟ فقال: أعلمه والله فاضلاً خيراً مسلماً، فقال: لئن وليته و لم أول أحداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة، ولا يتركونه، فكتب له، وجعل من بعده يزيد، وختم الكتاب، وأمر أن يجمع أهل بيته، وأمر رجاء بن حيوة أن يذهب بكتابه إليهم، وأمرهم أن يبايعوا من فيه، ففعلوا، ثم دخلوا على سليمان الكتاب بيده، فقال: هذا عهدي فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا.

قال رجاء: فجائني عمر بن عبد العزيز، فقال: يا رجاء قد كنت لي بسليمان حرمة وأنا أخشى أن يكون قد أسند إلي من هذا الأمر شيئاً، فإن كان فأعلمني استعفيه، فقال رجاء: والله لا أخبرك بحرف، فمضى قال: وجاءني هشام فقال: لي حرمة وعندي شكر فأعلمني، فقلت: لا والله لا أخبرك بحرف، فانصرف هشام وهو يضرب بيد على يد ويقول: فإلى من؟ فلما مات سليمان جددت البيعة قبل أن يخبر بموته، فبايعوا، ثم قرأ الكتاب، فلما ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام: والله لا نبايعه، فقال له رجاء: إذن والله اضرب عنقك، قم فبايع، فقام يجر رجليه ويسترجع إذ خرج عنه الأمر، وعمر يسترجع إذ وقع فيه.

ثم جيء بمراكب الخلافة، فقال عمر: قربوا لي بغلتي، ثم أنشد يقول:

ولولا التقي ثم النهى خشية الردى لعاصيت في حب الهوى كل زاجر

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال: إن شاء الله، ثم خطب فقال: يا أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا مشورة. وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فلي أمرنا باليمن والبركة. فقال: أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف، فاعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد له قبل أن يترل بكم، وإن امرأً لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم أبا حياً لمعرق له في الموت.

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال ثمنها في بيت المال ورد المظالم.

أخبرنا علي بن أبي عمر، قال: أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاوي، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران قال: أخبرنا أبو بكر الآجري، قال: حدَّثنا أبو عبد الله بن مخلد، قال: حدَّثني سهل بن عيسى المروزي، قال: حدَّثني القاسم بن محمد بن الحارث المرزوي، قال: حدَّثني سهل بن يحيى بن محمد، قال: أخبرني أبي، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: لما بلغ الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم قالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل.

وبلغ ذلك عمرو بن الوليد بن عبد الملك، فكتب إليه: إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وسباً لمن بعدهم من أولا دهم، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثيم، فأدخلتها في بيت المال جوراً وعدواناً، ولن تترك على هذا، فلما قرأ كتابه كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد، السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، أما بعد، فإنني بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه: أما أول شأنك ابن الوليد كما زعم فأمك بنانه أمة السكون، كانت تطوف في سوق حمص وتدخل حوانيتها، ثم الله أعلم بما اشتراها ذبيان من فيء المسلمين، فأهداها لأبيك فحملت بك، فبئس المحمول وبئس المولود. ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً، أتزعم أني من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك، ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده، فويل لك وويل لأبيك، ما أكثر خصماءكما يوم القيامة، وكيف ينجو أبوك من خصمائه.

وإن أظلم مني أترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام، ويأخذ المال الحرام، وإن اظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر أذن له في المعازف اللهو والشرب. وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهماً في خمس فيء العرب فرويداً يا ابن بنانة، فلو التقى خلقاً البطان ورد الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فلطالما تركتم الحق وأخذتم في بنيات الطريق، ومن وراء هذا أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فإن لكل فيك حقاً، والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين.

أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري بإسناده عن عمرو بن مهاجر قهرمان عمر بن عبد العزيز، قال: كان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز الوفاء عزيز.

أخبرنا علي بن أبي عمر بإسناد له عن قبيصة، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدَّثنا عبد الله بن الضحاك، قال: حدَّثنا الهيثم ين عدي، عن عوانة بن الحكم، قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه، فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم. فبينما هم كذلك وقد أزمعوا على الرحيل إذ مر بهم رجاء بن حيوة- وكان من خطباء أهل الشام- فلما رآه جرير داخلاً على عمر أنشأ يقول:

يا أيها الرجل المرخي عمامته ... هذا زمانك فاستأذن لنا عمر

قال: فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئاً، ثم مر بهم عدي بن أرطأة فقال جرير:

يا أيها الرجل المرخي مطيته ... هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لا قيه ... أني لدى الباب كالمصفود في قرن

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة ... قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال: دخل عدي على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدي، مالي وللشعراء، قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى، ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، قال: كيف؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة قطع به لسانه، قال: أو تروي من قوله شيئاً؟ قال: نعم، فانشده يقول:

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتاباً جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ... عن الحق لما أصبح الحق مظلما

ونورت بالتبيان امرأ مدلسا ... وأطفأت بالقرآن ناراً تضرما

فمن مبلغ عني النبي محمدا ... وكل امرئ يجزي بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ... وكان قديماً ركنه قد تهدما

تعالى علواً فوق عرش إلهنا ... وكان مكان الله أعلا وأعظما

قال: ويحك يا عدي، من بالباب منهم؟ قال: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال: أو ليس هو الذي يقول:

ثم نبهنها فهبت كعاباً ... طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعة ثم إنها بعد قالت ... ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام

أعلى غير موعد جئت تسري ... تتخطى إلى رؤوس النيام

فلو كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه، لا يدخل علي والله أبداً، من بالباب سواه؟ قال: همام بن غالب يعني الفرزدق– قال: أليس هو الذي يقول:

هما دلياني من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوى رجلاي بالأرض قالتا ... أحي يرجى أم مثيل نحاذره

لا يطأ والله بساطي، فمن سواه بالباب منهم؟ قال: الأخطل، قال: يا عدي، هو الذي يقول:

ولست بصائم رمضان طوعاً ... ولست بآكل لحم الأضاحي

ولست بزاجر عيساً بكور ... إلى بطحاء مكة للنجاح

ولست بزائر بيتاً بعيداً ... بمكة ابتغي فيه صلاحي

ولست بقائم كالعير أدعو | قبيل الصبح حيّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا | وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل علي وهو كافر أبداً، فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم، الأحوص، قال أليس هو الذي يقول:

الله بيني وبين سيدها | يفر مني بها واتبعه

فمن ها هنا أيضاً؟ قال: جميل بن معمر، قال يا عدي، هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن أمت | يوافق في الموتى ضريحها ضريحي
فما أنا في طول الحياة براغب | إذا قيل قد سوي عليها صفيحا

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً، والله لا يدخل عليّ أبداً، فهل سوى من ذكرت أحد؟ قال نعم جرير بن عطية، قال: أما أنه الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب فليس ذا | حين الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان لا بد فهو، فأذن لجرير، فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبي محمداً | جعل الخلاقة للإمام العادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه | حتى ارعوى فأقام ميل المائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً | والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير، اتق الله ولا تقل إلا حقاً، فأنشأ جرير يقول:

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت | أم قد كفاني بما بلغت من خبري
كم باليمامة من شعثاء أرملة | ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفي فقد والده | كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به | خبلاً من الجن أو مساً من البشر
خليفة الله ماذا تأمرون بنا | لسنا إليكم ولا في دار منتظر
مازلت بعدك في هم يؤرقني | قد طال في الحي إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا | ولايعود لنا باد على حضر

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا | من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة إذ كانت له قدراً | كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها | فمن لحاجة هذا الأرامل الذكر

الخير مادمت حياً لا يفارقنا		بوركت يا عمر الخيران من عمر

فقال: يا جرير، ما أرى لك فيما ها هنا حقاً، قال: بلى يا أمير المؤمنين أنا ابن سبيل ومنقطع، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم.

قال: وقد ذكر أنه قال له: ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة درهم، فمائة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبيد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية قال: فأخذها وقال: والله لهي أحب من كل ما اكتسبته.

قال: ثم خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسركم، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويعطي الشعراء، وإني عنه لراض، وأنشأ يقول:

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه		وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وحكى ابن قتيبة عن حماد الرواية، قال: لي كثير: ألا أخبرك بما دعاني إلى ترك الشعر؟ قلت: خبرني، قال: شخصت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز، وكل واحد منا يدل عليه بسابقة له أو خلة ونحن لا نشك في أنه سيشركنا في خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خناصره لقينا مسلمة بن عبد الملك جائياً من عنده وهو يومئذ فتى العرب، فسلمنا عليه، فرد السلام، ثم قال: أما بلغكم أن أمامكم لا يقبل الشعر، قلت: ما وضح لنا حتى لقيناك. ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا، قال: إن يكن ما تحبون وإلا فما ألبث حتى أرجع إليكم فأمنحكم ما أنتم أهله، فلما قدم كانت رحالنا هذه بأكرم منزل وأفضل منزول عليه، وأقمنا أربعة أشهر يطلب لنا الأذن هو وغيره، فلم يأذن لنا إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع: لو أني دنوت من عمر فسمعت كلامه فتحفظته كان ذلك رأياً، فكان مما تحفظته من كلامه يومئذ: لكل سفر لا محالة زاد، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمر فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم، في كلام كثير.

ثم قال: أعوذ بالله، أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي، وتبدو مسكنتي في يوم لا نفع فيه إلا الحق والصدق. ثم بكى حتى ظننا أنه قاض نحبه، وارتج المسجد بالبكاء والعويل، فرجعت إلى أصحابي فقلت خذوا في شرح من الشعر غير ما كنا نقول لعمه وأبائه، فإن الرجل أخروي وليس بدنيوي إلى أن استأذن لنا مسلمة يوم جمعة، فأذن لنا بعدما أذن للعامة، فلما دخلت سلمت، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثواء وقلت الفائدة، وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب، فقال: يا كثير" إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل" فقلت ابن السبيل منقطع به. وأنا صاحبك، قال: أولست ضيف أبي سعيد؟ قلت بلى، قال: ما أرى من كان ضيفه منقطعاً به، قلت: أفتأذن لي بالإنشاد يا أمير المؤمنين؟ قال: قل ولا تقل إلا حقاً، فقلت:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف		برياً ولم تقبل إشارة مجرم

وصدقت بالفعل المقال مع الذي		أتيت فأمسى راضياً كل مسلم

وقد لبست لبس الهلوك ثيابها		تراءى لك الدنيا بوجه ومعصم

وتومض أحياناً بعين مريضة		وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما		سقتك مذوقاً من سمام وعلقم

وقد كنت من أجبالها في ممنع		ومن بحرها في مزبد الموج مفعم

فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن — لطالب دنيا بعده من تكلم

تركت الذي يفنى وإن كان مونقاً — وآثرت ما يبقى برأي مصمم

سما لك هم في الفؤاد مؤرق — بلغت به أعلى البناء المقدم

فما بين شرق الأرض والغرب كلها — مناد ينادي من فصيح وأعجم

يقول أمير المؤمنين ظلمتني — بأخذ لدينار ولا أخذ درهم

ولا بسط كف بامرئ غير مجرم — ولا السفك منه ظالماً ملء محجم

فاربح بها من صفقة لمتابع — وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لي: يا كثير، إنك تسأل عما قلت. ثم تقدم الأحوص فاستأذنه في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلا حقاً، فقال:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف — بمنطق حق أو بمنطق باطل

فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا — ولا ترجعنا كالنساء الأرامل

رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة — ولا شامة فعل الظلوم المجادل

ولكن أخذت القصد جهدك كله — تقفو مثال الصالحين الأوائل

فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا — ومن ذا يرد الحق من قول قائل

ومن ذا يرد السهم بعد مضائه — على فوقة إن عار من نزع نابل

ولو لا الذي عودتنا خلائف — غطاريف كانت كالليوث البواسل

لما وخدت شهراً برجلي رسله — تغل متون البيد بين الرواحل

فإن لم يكن للشعر عندك موضع — وإن كان مثل الدر من قول قائل

فإن لنا قربى ومحض مودة — وميراث آباء مشوا بالمناصل

فذادوا عمود الشرك عن عقر دارهم — وأرسوا عمود الدين بعد التمائل

وقبلك ما أعطى هنيدة جلة — على الشعر كعباً من سديس وبازل

رسول الإله المستضاء بنوره — عليه سلام بالضحى والأصائل

فكل الذي عددت يكفيك بعضه — ونيلك خير من بحور سوائل

فقال: يا أحوص، إنك تسأل عما قلت. وتقدم نصيب فاستأذنه في الإنشاد فلم يأذن له وأمره بالغزو إلى دابق، فخرج وهو محموم، وأمر لي بثلاثمائة درهم، وللأحوص بمثلها، ولنصيب بخمسين درهماً.

قال المصنف: وما زال عمر بن عبد العزيز منذ ولي يجتهد في العدل ومحو الظلم وترك الهوى، وكان يقول للناس: ارحلوا إلى بلادكم

فإني أنساكم ها هنا وأذكركم في بلادكم. ومن ظلمه عامله فلا إذن له علي.

وخير جواريه لما ولي، فقال: قد جاء أمر شغلني عنكن فمن أحب أن أعتقه أعتقته، ومن أراد أن أمسكه أمسكته و لم يكن مني إليها شيء، قالت زوجته فاطمة ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ ولي إلى أن مات.

وقيل لها اغسلي قميصه فقالت: والله لا يملك غيره.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو الفضل الربعي، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، عن الهيثم بن عدي، قال: كانت لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان -زوجة عمر- جارية ذات جمال فائق، وكان عمر معجباً بها قبل أن تفضي إليه الخلافة، فطلبها منها وحرص، فغارت من ذلك، فلم تزل في نفس عمر، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت ثم حليت، فكانت حديثاً في سنها وجمالها، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر، فقالت يا أمير المؤمنين، إنك كنت بفلانة معجباً، وسألتنيها فأبيت ذلك عليك، وإن نفسي قد طابت لك بها اليوم، فدونكها، فلما قالت ذلك استبانت الفرح في وجهه، ثم قال: ابعثي بها إلي، فلما دخلت عليه نظر في شيء أعجبه فازداد بها عجباً، فقال لها: ألقي ثوبك، فلما همت أن تفعل قال: على رسلك، اقعدي، اخبريني لمن كنت؟ ومن أين أنت لفاطمة؟ قالت: كان الحجاج بن يوسف أغرم عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً وكنت في رقيق ذلك العامل فاستصفاني عنه مع رقيق له وأموال، فبعث بي إلى عبد الملك بن مروان وأنا يومئذ صبية، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة. قال وما فعل ذلك العامل، قالت: هلك، وما ترك ولداً؟ قالت: بلى، قال: وما حالهم؟ قالت: بشرّ، قال: شدي عليك ثوبك.

ثم كتب إلى عبد الحميد عامله على بلدهم: أن سرح لي فلان بن فلان على البريد، لما قدم قال: ارفع إلي جميع ما أغرم الحجاج أباك فلم يرفع إليه شيئاً إلا دفعه إليه، ثم أمر بالجارية فدفعت إليه، فلما أخذها بيدها قال: إياك وإياها فإنك حديث السن ولعل أباك أن يكون قد وطئها، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين هي لك، قال لا حاجة لي فيها، قال: فابتعها مني، قال لست إذا ممن ينهى النفس عن الهوى. فمضى بها الفتى فقالت له الجارية: فأين موجدتك بي يا أمير المؤمنين؟ قال: إنها لعلى حالها ولقد ازدادت، فلم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات.

أخبرنا هبة الله بن أحمد الجريري، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن خلف، قال: حدَّثنا أحمد بن مطرف، قال: حدَّثنا أحمد بن المغلس الجماني، قال: حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد، قال: حدَّثنا ابن المبارك، عن سفيان عن أبي الزناد، عن أبي حازم، قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز وقد ولي الخلافة، فلما نظر إلي عرفني و لم أعرفه، فقال: ادن مني، فدنوت منه، فقلت أنت أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فقلت: ألم تكن عندنا بالمدينة أميراً، فكان مركبك وطياً، وثوبك نقياً ووجهك بهياً، وطعامك شهياً، وخدمك كثير، فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين؟ فبكى وقال: يا أبا حازم، فكيف لو رأيتني بعد ثلاث في قبري وقد سالت حدقتاي على وجنتي، ثم جف لساني، وانشقت بطني وجرت الديدان في بدني لكنت لي أشد إنكاراً، أعد عليّ الحديث الذي حدثتني بالمدينة، قلت: يا أمير المؤمنين، سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إن بين أيديكم عقبة كؤوداً مضرسة لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول" قال: فبكى بكاء طويلاً ثم قال لي: يا أبا حازم، أما ينبغي لي أن أضمر نفسي لتلك العقبة فعسى أن أنجو منها يومئذ، وما أظن أني مع هذا البلاء الذي ابتليت به من أمور الناس بناج. ثم رقد ثم

تكلم الناس، فقلت أقلوا الكلام فما فعل به ما ترون إلا سهر الليل، ثم تصبب عرقاً في يوم الله أعلم كيف كان، ثم بكى حتى علا نحيبه، ثم تبسم، فسبقت الناس إلى كلامه، فقلت: يا أمير المؤمنين، رأيت منك عجباً، إنك لما رقدت تصببت عرقاً حتى ابتل ما حولك، ثم بكيت حتى علا نحيبك ثم تبسمت، فقال لي: وقد رأيت ذلك ؟ قلت: نعم ومن كان حولك من الناس رآه، فقال لي: يا أبا حازم، أني لما وضعت رأسي فرقدت، رأيت كأن القيامة قد قامت واجتمع الناس، فقيل: انهم عشرون ومائة صف فملأوا الأفق، أمة محمد من ذلك ثمانون صفاً مهطعين إلى الداعي ينتظرون متى يدعون إلى الحساب، إذ نودي أين عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق؟ فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عز وجل، فحوسب ثم نجا وأخذ به ذات اليمين، ثم نودي بعمر فقربته الملائكة، فوقفوه أمام ربه، فحوسب ثم نجا، وأمر به وبصاحبه إلى الجنة. ثم نودي بعثمان، فأجاب، فحوسب يسيراً، ثم أمر به إلى الجنة، ثم نودي بعلي بن أبي طالب، فحوسب ثم أمر به إلى الجنة. فلما قرب الأمر مني أسقط في يدي، ثم جعل يؤتى بقوم لا أدري ما حالهم، ثم نودي أين عمر بن عبد العزيز؟ فتصببت عرقاً، ثم سئلت عن الفتيل والنقير والقطمير وعن كل قضية قضيت بها، ثم غفر لي، فمررت بجيفة، ملقاة، فقلت للملائكة: من هذا؟ فقالوا إنك لو كلمته كلمك، فوكزته في رجلي فرفع رأسه إلي وفتح عينيه، فقلت له: من أنت؟ فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا عمر بن عبد العزيز، قال: ما فعل الله بك؟ قلت: تفضل علي وفعل بي ما فعل بالخلفاء الأربعة الذين غفر لهم، وأما الباقون فما أدري ما فعل بهم، فقال لي: هنيئاً لك ما صرت إليه. فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الحجاج، قدمت على الله عز وجل فوجدته شديد العقاب فقتلني بكل قتله قتلة، وها أنا موقوف بين يدي الله عز وجل أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم، إما إلى الجنة أو إلى النار.

قال أبو حازم: فعاهدت الله عز وجل بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ألا اقطع على أحد بالنار ممن يموت وهو يقول لا إله إلا الله.

وفي هذه السنة وجه عمر إلى مسلمة بن عبد الملك

وهو بأرض الروم فأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين

أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، قال: حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، قال: حدَّثنا محمد بن يعقوب، قال: حدَّثنا محمد بن النعمان بن بشير النيسابوري، قال: حدَّثنا نعيم بن حماد، قال: حدَّثني نوح بن أبي مريم، عن حجاج بن أرطأة، قال: كتب ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز: من ملك الهند الذي في مربطه ألف فيل، والذي تحته ألف ملك، والذي له نهران ينبتان العود والكافور، إلى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً أما بعد.. فإني قد أهديت لك هدية وما هي بهدية ولكنها تحية، وأحببت أن تبعث إليّ رجلاً يعلمني ويفهمني الإسلام.

وفي هذه السنة: أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا جماعة من المسلمين فوجه عمر من قتلهم فلم يفلت منهم إلا اليسير، وقدم عليه منهم بخمسين أسيراً.

وفيها: عزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق وحبسه، ووجه على البصرة وأرضها عدي ابن أرطأة الفزاري، ووجه إلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن القرشي، وضم إليه أبا الزناد، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد.

وفيها: حج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان عامل عمر على المدينة. وكان عامله على مكة عبد العزيز بن عبد

الله بن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعلى البصرة وأرضها عدي بن أرطأة وعلى خراسان الجراح بن عبد الله، وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قره المزني.

وكان الواقدي يقول: كان على قضاء الكوفة من قبل عبد الحميد الشعبي، وعلى قضاء البصرة من قبل عدي بن أرطأة الحسن البصري، ثم إن الحسن استعفى عدياً فأعفاه وولي أياساً.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي كان شريفاً كريماً، ويسمى أسد قريش وأسد الحجاز، وكان أعرج، وهو أخو عبد الله بن حسن ين حسن بن علي لأمه فاطمة بنت الحسين.

روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، واستعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة. توفي بمنى ليلة جمع محرماً، ودفن أسفل العقبة.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا علي بن أحمد بن البسري، عن أبي عبد الله بن بطة العكبري، قال: أخبرنا أبو بكر الآجري، قال: أخبرنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: أخبرنا أبو بكر المرزوي، قال: أخبرت أن عمر بن عبد العزيز قال:

لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتل ابن الزبير أشخص إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله وقربه في المترلة، فلم يزل كذلك عنده حتى خرج عبد الملك بن مروان زائراً له، فخرج معادلاً له لا يترك توشيحه وتعظيمه، فلما حضر باب عبد الملك حضر معه، فدخل على عبد الملك فلم يبدأ بشيء بعد التسليم أولى من أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع والله فيها نظيراً في كمال المروؤة والأدب وحسن المذهب و الطاعة والنصيحة مع القرابة ووجوب الحق وفضل الأبوة إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله وقد أحضرته بابك أسهل عليه أذنك، وتلقاه ببشرك، وتفعل به ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه.

فقال عبد الملك: ذكرتنا حقاً وواجباً ورحماً قريبة، يا غلام ائذن لإبراهيم بن محمد بن طلحة. فلما دخل قربه حتى أجلسه على فراشه ثم قال له: يا ابن طلحة، إن أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفك به في الفضل والأدب وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق، فلا تدعن حاجة في خاص من أمرك ولا عام إلا ذكرتها، قال: يا أمير المؤمنين، إن أولى الأمور أن يفتتح به الحوائج وترجى به الزلف ما كان الله عز وجل رضى، ولحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أداء، ولك ولجماعة المسلمين نصيحة، وإن عندي نصيحة لا أجد بداً من ذكرها، ولا يكون البوح بها إلا وأنت خال، فأخلني حتى ترد عليك نصيحتي، قال: دون أبي محمد؟ قال: دون أبي محمد، فقال قم يا حجاج، فلم جاز حد الستر قال: قل يا أبا طلحة نصيحتك، قال: يا أمير المؤمنين، إنك عمدت إلى الحجاج في تغطرسته وتعجرفه وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وبهما ما بهما، وفيهما ما فيهما من المهاجرين والأنصار والموالي والأخيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء الصحابة يسومهم الخسف، ويطؤهم بالعسف، ويحكم بينهم بغير السنة، ويطؤهم بطغام من أهل الشام، وزعازع لا روية لهم في إقامة حق ولا إزاحة باطل، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك الله راهق، وفيما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاثاك لخصومته إياك في أمته، أما والله لا تنجو هنالك إلا بحجة تضمن لك النجاة، فاربع على نفسك أو دع، فقال: كذبت ومنت وظن بك الحجاج ما لم نجده عندك، فلربما ظن الخير بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن، قال: فقمت وما أبصرت طريقاً، فلما خلفت الستر لحقني لا حق من قبله فقال للحاجب: احبس هذا، ادخل يا أبا محمد.

قال: فدخل الحجاج ثم لبث ملياً لا شك أنهما في أمري، ثم خرج الإذن: ثم يا أبا طلحة ادخل، فقمت فلما كشف لي الستر لقيني بالحجاج وهو خارج وأنا داخل، فاعتقني وقبل ما بين عيني ثم قال: إذا ما جزى الله المتواخين بفضل تواصلهم جزاك الله أفضل ما جزى أخاً عن أخيه، فوالله لئن سلمت لأرفعن ناظرك ، ولأعلين كفك ولأتبعن الرجال غبار قدمك. قال: قلت: تهزأ بي. فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني في مجلسي الأول ثم قال: يا بن طلحة، لعل أحداً من الناس شاركك في نصيحتك، قلت: لا والله ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً ولا أوضح يداً من الحجاج، ولو كنت محابياً أحداً بديني لكان هو، ولكني آثرت الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأنت عليه، قال: قد علمت أنك آثرت الله، ولو أردت الدنيا كان لك في الحجاج كفاية، وقد أزحت الحجاج عن الحرمين وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغاراً لهما عنه ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لا يدحضها إلا مثله، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية عليهما استزادة له ليلزمه من نصيحتك ما يؤدي به عني إليك الحق، وتصير معه إلى الذي يستحقه، فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته.

سعيد بن أبي الحسن، أخوه حسن البصري روى محمد بن سعد، قال: حدَّثنا عارم بن الفضل، قال: حدَّثنا حماد بن زيد، عن يونس بن عبيد، قال: لما مات سعيد بن أبي الحسن حزن عليه الحسن حزناً شديداً، فأمسك عن الكلام حتى عرف ذلك في مجلسه وحديثه، فكلم في ذلك، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل الحزن عار على يعقوب، ثم قال: بئست الدار المفرقة.

وقال ابن عون: دفع إلي الحسن برنساً كان لأخيه سعيد لأبيعه، فقلت: أشتريه أنا، فقال: أنت أعلم، ولكني لا أحب أن أراه عليك.

سليمان بن عبد الملك بن مروان:

لبس يوماً حلة خضراء وعمامة خضراء، ونظر في المرآة، فقال: أنا الملك الشاب، فما عاش بعد ذلك إلا اسبوعاً.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن البيع، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان، قال: حدَّثنا أبو عبد الله بن عرفة، قال: أخبرنا محمد بن عيسى، أنه سمع عبد الله بن محمد التيمي يقول: كان سليمان بن عبد الملك يوماً جالساً، فنظر في المرآة إلى وجهه، وكان حسن الوجه، فأعجبه ما رآه من جماله، وكان على رأسه وصيفه، فقال: أنا الملك الشاب، فرأى شفتي جاريته تتحركان، فقال لها: ما قلت؟ قالت: خيراً. قال: لتخبرني، قالت: قلت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

وزاد غيره في الشعر بيتاً أخر، فقال:

أنت خلو من العيوب ومما ... يكره الناس غير أنك فاني

ثم خرج إلى المسجد يخطب، فسمع أقصى من في المسجد صوته، ثم لم يزل يضعف، وانصرف محموماً حمى موصولة بمنيته، فكانت وفاته سنة تسع وتسعين، وهو ابن أربعين سنة.

توفي بدابق من أرض قسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين – وقيل مضين – من صفر. وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس أيام.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو علي التميمي، قال: حدَّثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا يزيد، قال: حدَّثنا عبد الله ين يونس، عن سيار أبي الحكم، قال: لما دخل سليمان بن عبد الملك

قبره أدخله عمر بن عبد العزيز وابن سليمان فاضطرب على أيديهما، فقال ابنه: عاش والله أبي، فقال: لا والله ولكن عوجل أبوك.

عبد الله بن مطر، أبو ريحانة روى عن ابن عمر، وسفينة.

أخبرنا عبد الله بن علي المقري، قال: أخبرنا طراد بن محمد، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدَّثنا الحسين بن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبيد الله، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثني موسى بن عيسى العابد، قال: حدَّثنا ضمرة، عن فروة الأعمى، قال: قال: ركب أبو ريحانة البحر، وكان يخيط فيه بإبرة معه، فسقطت إبرته في البحر، فقال: عزمت عليك يا رب إلا رددت عليّ إبرتي، فظهرت حتى أخذها.

قال: واشتد عليهم البحر ذات يوم وهاج، فقال: اسكن أيها البحر، فإنما أنت عبد حبشي، فسكن حتى صار كالزيت.

عبد الله بن خارجة بن حبيب ابن قيس بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، شاعر من أهل الكوفة متعصب لبني أمية، وهو الأعشى؛ أعشى بني ربيعة.

دخل على عبد الملك بن مروان فأنشده يقول:

وما أنا في أمري ولا في خصومتي ... بمهتضم حقي ولا قارع قرني

ولا مسلم مولاي عند جناية ... ولا خائف مولاي من شر ما أجني

وإن فؤادي بين جنبي عالم ... بما أبصرت عيني وما سمعت أذني

وفضلني في الشعر واللب أنني ... أقول على علم وأعرف من أعني

فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه ... على الناس قد فضلت خير أب وابن

فقال عبد الملك من يلومني على هذا، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشر تخوت من ثياب، وعشر قلائص من الإبل، أقطعة ألف جريب.

ودخل عليه يوماً فأنشده يقول:

رأيتك أمس خير بني معد ... وأنت اليوم خير منك أمس

وأنت غدا تزيد الضعف ضعفاً ... كذاك تزيد سادة عبد شمس

القاسم بن مخيمرة الهمداني: كوفي الأصل، ثم نزل الشام. وروى عن عبد الله بن عمر، وعن خلق كثير من التابعين.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناد له عن الأوزاعي، عن القاسم، أنه كره صيد الطير أيام فراخه.

وروى سعيد بن عبد العزيز، عن القاسم بن مخيمرة، قال: ما اجتمع على مائدتي لونان من الطعام، ولا غلقت بابي ولي خلفه هم، وأتيت عمر بن عبد العزيز فقضى عني سبعين ديناراً، وحملني على بغلة وفرض لي في خمسين فقلت: أغنيتني عن التجارة، فسألني عن حديث، فقلت: هبني يا أمير المؤمنين؛ فكأنه كره أن يحدثه بعد لأجل العطاء محمود بن الربيع بن الحارث بن الخزرج رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقل مجة مجها في وجهه وهو ابن خمس سنين.

وتوفي في هذه السنة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة. وقيل: أربع وتسعين سنة؟

ثم دخلت سنة مائة

خروج الخارجة التي خرجت على عمر بالعراق

فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميّد بن عبد الرحمن عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله عز زجل وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فلما أعذر في دعائهم بكتاب الله وسنة نبيه بعث إليهم عبد الحميّد جيشاً فهزمتهم الحرورية، فبلغ عمر فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة، فكتب إلى عبد الحميّد: قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء، وقد بعثت مسلمة بأهل الشام فلم ينشب أن أظهره الله عز وجل عليهم.

وذكر أبو عبيد معمر بن المثنى: أن الذي خرج على عبد الحميّد بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز ابن شوذب واسمه بسطام من بني يشكر، وكان مخرجه بجوخي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة، فكتب عمر إلى عبد الحميّد؛ ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً، أو يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا فحل بينهم وبين ذلك، وانظر رجلاً حازماً، فوجهه إليهم ووجه معه جنداً وأوصه بما أمرتك به.

فعقد عبد الحميّد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمر به عمر، وكتب عمر إلى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم. إنه بلغني أنك خرجت غاضباً لله عز وجل ولنبيه صلى الله عليه وسلم ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك.

فلم يحرك بسطام شيئاً، وكتب إلى عمر: قد أنصفت، وقد بعثت إليك برجلين يناظرانك، فدخلا عليه فقالا: أخبرنا عن يزيد لما تعده خليفة بعدك؟ قال صيره غيري، قالا: أفرأيت لو وليت مالاً لغيرك، ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك؟ فقال: انتظراني ثلاثاً، فخرجا من عنده، وخاف بنو مروان أن يخرج ما في أيدهم من الأموال، وأن يخلع يزيداً، فدسوا إليه من سقاه سماً، فلم يلبث بعد خروجهم إلا ثلاثاً حتى مات رضي الله عنه.

وفي هذه السنة: أغزى عمر الوليد بن هشام المعيطي، وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الحيري، قالت: أخبرنا علي بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن خالد الكاتب، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن المغيرة، قال: حدَّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدَّثني الزبير بن بكار، قال: حدَّثني عبد الله بن عبد العزيز، قال: أخبرني ابن العلاء – أحسبه أبا عمرو بن العلاء، أو أخاه– عن جويرية عن إسماعيل بن أبي حكيم، قال: بعثني عمر بن عبد العزيز حين ولي في الفداء، فبينا أنا أجول في القسطنطينيه إذ سمعت صوتاً يغني ويقول:

أرقت وغاب عني من يلوم ... ولكن لم أنم أنا والهموم

كأني من تذكر ما ألاقي ... إذا ما أظلم الليل البهيم

سقيم مل منه أقربوه ... وودعه المداوي والحميّم

وكم في بحرة بين المنقا ... إلى أحد ماء زريم

إلى الجماء من خد أسيل ... نقي اللون ليس به كلوم

يضيء به الظلام إذا تبدى كضوء الفجر منظره وسيم

فلما أن دنا منا ارتحال وقرب ناجيات السير كوم

أتين مودعات والمطايا على أكوارها خوص هجوم

فقائلة ومثنية علينا تقول وما لها فينا حميّم

وأخرى لبها معنا ولكن تستر وهي واجمة كظوم

تعد لنا الليالي تحتصيها متى هو خائن منا قدوم

متى تر غفلة الواشين عنا تجد بدموعها العين السجوم

قال الزبير: والشعر لبقيلة الأشجعي. قال إسماعيل بن أبي حكيم: فسألته حين دخلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الوابصي الذي أخذت فعذبت فجزعت فدخلت في دينهم، فقلت: إن أميّر المؤمنين عمر بن عبد العزيز بعثني في الفداء وأنت والله أحب من أفتديه إلا إن لم تكن بطنت في الكفر، قال: والله لقد بطنت في الكفر، فقلت: أنشدك الله أسلم، فقال: أسلم، وهذان ابناي وقد تزوجت امرأة، وهذان ابناها، وإذا دخلت المدينة قال أحدهم: يا نصراني، وقيل لولدي وأمهم وولدهم كذلك، لا والله لا أفعل، فقلت له : قد كنت قارئاً للقرآن؟ إني والله من أقرأ القراء للقرآن، فقلت: مابقي معك من القرآن؟ قال: لا شيء إلا هذه الآية: "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلميّن" وفي هذه السنة: أشخص عمر بن هبيرة الفزازي إلى الجزيرة عاملاً عليها.

وفيها حمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز.

وسبب ذلك أن يزيد نزل واسطاً، ثم ركب السفن يريد البصرة، فبعث إلى عمر عدي بن أرطأة إلى البصرة فأوثقه ثم بعث به إلى عمر فدعا به عمر – وكان عمر يبغضه ويبغض بنيه ويقول جبابرة، وكان يزيد يبغض عمر – فلما وصل إلى عمر سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان، قال: إنما كتبت إليه لأسمع الناس، ولم يكن سليمان ليأخذني بشيء سمعت به، فقال له: ما أجد في أمرك إلا حبسك، فاتق الله وأدّ ما قبلك فإنها حقوق المسلميّن لا يسعني تركها فحبسه إلى أن مرض عمر.

وفي هذه السنة: عزل عمر الجراح عن خراسان وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري، وكانت ولاية الجراح خراسان سنة وخمسة أشهر.

وفي هذه السنة: وجه محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس إلى العراق وإلى خراسان من يدعو إليه وإلى أهل بيته فاستجاب له جماعة، وكتب لهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها، وكان يقول لرجال أهل الدعوة حين أراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية ترى الكف، تقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية، وأما الرقة فمسلمون أحلاف النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون إلا طاعة بني مروان، وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر عمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك الصدور السليمة والقلوب الفارغة التي لم تتقسمها الأهواء و لم تتوزعها النحل.

وفي هذه السنة: حج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال في السنة التي قبلها

ما خلا خراسان، فإن عاملها في آخر السنة كان عبد الرحمن بن نعيم على الصلاة والحرب، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج.
وفي هذه السنة: وقع طاعون فقيل له: طاعون عدي بن أرطأة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بسر بن سعيد مولى الحضرميّين: روى عن زيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد.
وكان بسر ثقة من العباد المنقطعين، وأهل الزهد في الدنيا، وتوفي بالمدينة وهو ابن ثمان وسبعين، ولم يدع كفناً.
حنش بن عبد الله بن عمرو، أبو رشدين الصناعي: كان مع علي بن أبي طالب بالكوفة، وقدم مصر بعد قتل علي، وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير، وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك، فأتى به عبد الملك في وثاق فعفا عنه، وكان عبد الملك حين غزا المغرب مع معاوية بن خديج، ونزل عليه بإفريقيا سنة خمسين، فحفظ له ذلك. وكان حنش أول من ولي عشور إفريقية في الإسلام، وكان إذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد أن يرقد أوقد المصباح وقدم المصحف وإناء فيه ماء، وكان إذا وجد النعاس أخذ الماء، وإذا تعايا في آية النظر في المصحف. وتوفي بإفريقية في هذه السنة.
خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك، أبو زيد: روى عن أبيه وكان ثقة، وقال: رأيت في المنام كأني بنيت سبعين درجة، فلما فرغت منها تهورت، وهذه السنة لي سبعون قد أكملتها. فمات فيها. توفي في هذه السنة بالمدينة.
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز:
توفي في خلافة أبيه، وكان صالحاً. أخبرنا علي بن أبي عمر، قال: أخبرنا محمد بن الحسن البقلاوي، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أبو بكر الآجري، قال: حدَّثنا أبو عبد الله بن مخلد، قال: حدَّثني سهل بن عيسى المروزي، قال: حدَّثني القاسم بن محمد بن الحارث، قال: حدَّثنا سهل بن يحيى بن محمد المروزي، قال: أخبرني أبي، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: لما ولي أبي عمر الخلافة وخطب إلى الناس ذهب يتبوأ مقيلاً، فأتاه ابنه عبد الملك، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قال: يا بني أقيل، قال: تقيل ولا ترد المظالم، فقال: أي بني إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم، قال: يا أميّر المؤمنين، من لك أن تعيش إلى الظهر، قال: أدن مني أي بني. فدنا منه فالتزمه وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، فخرج ولم يقل.
أخبرنا ابن ناصر، عن أبي القاسم وأبي عمر ابني عبد الله بن منده، عن أبيهما، قال: حدَّثنا أبو سعيد بن يونس، قال: حدَّثنا محمد بن نصر بن القاسم، قال: حدَّثنا أحمد بن عمرو بن السراج، قال: حدَّثنا ابن وهب، قال: حدَّثني الليث بن سعيد، قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان: أنه وفد على سليمان بن عبد الملك. قال: فترلت على عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وهو عزب، فكنت معه في بيته، فلما صلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه، فلما ظن أن قد نمنا قام إلى المصباح فأطفأه وأنا أنظر إليه، ثم جعل يصلي حتى ذهب النوم قال: فاستيقظت وهو يقرأ: " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون". ثم بكى ثم رجع لم يزل يفعل حتى قلت سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: سبحان الله والحمد لله، كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عنه، فلما سمعني ألبد فلم أسمع له حساً.
أخبرنا عبد الوهاب ويحيى بن علي، قالا: أخبرنا عبد الله بن أحمد السكري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت، قال: حدَّثنا

حمزة بن القاسم الهاشميّ، قال: حدَّثنا حنبل، قال: حدَّثنا أحمد بن حنبل، قال: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدَّثني زياد بن أبي حسان: أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك، استوى قائماً فأحاط به الناس فقال: والله يا بني لقد كنت براً بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أشد سروراً بك ولا أرجى لحظي من الله منك مذ وضعتك في المترل الذي صيرك الله إليه، فرحمك وغفر ذنبك وجزاك بأحسن من عملك، ورحم كل شافع يشفع لك غيري شاهد أو غائب، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره، والحمد لله رب العالمّين. ثم انصرف.

عبد الرحمن بن مل بن عمر بن عدي بن وهب بن ربيعة، أبو عثمان النهدي حج في الجاهلية حجتين، وأسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يلقه، وهاجر إلى المدينة بعد موت أبي بكر فلقي عمر بن الخطاب. وروى عنه، وعن علي، وسعد وسعيد، وابن مسعود، وأبيّ، وغيرهم من الصحابة، وكان ثقة ونزل الكوفة ثم صار إلى البصرة، فحدث عنه أيوب، وقتادة، وسليمان، وغيرهم، وكان معه وشهد القادسية وجلولاء، وتستر ونهاوند واليرموك وأذربيجان ورستم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الوراق، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدَّثنا يوسف بن يعقوب النيسابوري، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدَّثنا يزيد ين هارون، قال: أخبرنا الحجاج بن أبي زينب، قال: سمعت أبا عثمان النهدي يقول: كنا في الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل الرحال، إن ربكم قد هلك فالتسموا ربا، قال: فخرجنا على كل صعب وذلول، فبينا نحن كذلك نطلب إذا نحن بمناد ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه، قال: فجئنا فإذا نحن بحجر فنحرنا عليه الجزر.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر، قال: حدَّثنا يعقوب، قال: حدَّثنا الحجاج، قال: حدَّثنا حماد، عن حميّد، عن أبي عثمان، قال: أتت عليّ نحو ثلاثين ومائة سنة، وما شيء مني إلا وقد أنكرته إلا أملي فإني أجده كما هو.

توفي أبو عثمان في هذه السنة وهو ابن ثلاثين ومائة سنة.

عمران بن ملحان، أبو رجاء العطاردي، فقال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونحن على ماء لنا، وكان لنا صنم مدور فحملناه على قتب وانتقلنا من ذلك الماء إلى غيره، فمررنا برملة فانسل الحجر فوقع في الرمل فغاب فيه، فلما رجعنا إلى الماء فقدنا الحجر فرفعنا في طلبه فإذا هو في رمل قد غاب فاستخرجناه، فكان ذلك أول إسلامي، فقلت: إن إلهاً لم يمتنع من تراب يغيب فيه لإله سوء وإن العتر لتمنع حياءها بثديها. فرجعت إلى المدينة وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال مؤلف الكتاب: روى أبو رجاء العطاردي عن عمر وابن عباس، وأم قومه أربعين سنة، وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.

مسلم بن يسار، أبو عبد الله مولى طلحة بن عبيد الله التيمي لقي جماعة من الصحابة، وكان من العلماء المتعبدين، وكان حسن الخشوع في الصلاة، فوقع مرة إلى جانبه حريق فما شعر به حتى طفئ.

وكان أرفع عند الناس من الحسن حتى خرج ابن الأشعث فوضعه ذلك.

وكان يقول: ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح، فقال له قائل: فكيف بمن رآك واقفاً في الصف؟ قال: هذا مسلم بن يسار، ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحق فقاتل فقتل. فبكى بكاء شديداً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا علي بن محمد الأنباري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: حدَّثنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدَّثنا علي بن إسحاق، قال: حدَّثنا عبد الله قال: أخبرنا جعفر بن حيان، قال: ذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في الصلاة، قال: وما يدركم أين قلبي قال أحمد بن إبراهيم: وحدَّثنا هارون بن معروف، قال: حدَّثنا ضمرة، عن ابن شوذب قال: كان مسلم بن يسار يقول لأهله إذا دخل في صلاته: تحدثوا فلست أسمع حديثكم.

قال: أخبرنا سعد الخير بن محمد، قال: أخبرنا علي بن أيوب، قال: أخبرنا الحسين بن محمد الخلال، قال: حدَّثنا علي بن عمر بن علي التمار، قال: حدَّثنا جعفر بن محمد الخالدي، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن مسروق، قال: حدَّثنا البرجلاني، قال: حدَّثنا غياث بن زياد ، قال: حدَّثنا ابن المبارك، قال: قال: مسلم بن يسار لأصحابه يوم التروية: هل لكم في الحج؟ قالوا: خرف الشيخ على ذلك فلنطيعه، قال: من أراد ذلك فليخرج، فخرجوا إلى الحسان برواحلهم، فقال: خلوا أزمتها، فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تهامة.

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

فمن الحوادث فيها

هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر

وذلك أنه خاف من يزيد بن عبد الملك لأنه كان قد عذب أصهاره آل أبي عقيل، وذلك أن أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف كانت عند يزيد بن عبد الملك فولدت له الوليد بن يزيد، وكان يزيد قد عاهد الله لئن أمكنه من يزيد بن المهلب ليقطعهن منه طابقاً فكان يخشى ذلك، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه فأعدوا له إبلاً، ومرض عمر فأمر يزيد بإبله فأتى بها، فخرج من محبسه فذهب وكتب إلى عمر: إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك، فقال عمر: اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره، واردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب.

وقال الواقدي: إنما هرب من سجن عمر بعد موته رضي الله عنه.

وفي هذه السنة توفي عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك.

باب ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك

ويكنى أبا خالد، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، استخلف بعد وفاة عمر، وكان يومئذ ابن تسع وعشرين سنة.

أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي، قال: أخبرنا أبو بكر بن منصور النوشري، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي، قال: أخبرنا الزبير بن بكار، قال: حدَّثني هارون بن عبد الله الزهري، عن عبيد الله بن عمرو الفهري، قال: لما توفي عمر بن عبد العزيز، قال: يزيد بن عبد الملك: ما جعل عمر بن عبد العزيز لربه أرجى

مني، فتنسك وأقام أربعين يوماً لا تفوته صلاة في جماعة، فقدم الأحوص فأرسلت له حبابة أنه ليس لي ولا لك عنده شيء ما دام على هذه الحال فقل أبياتاً أغنيها له عسى أن يترك ما هو عليه من النسك، فقال الأحوص:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا ... فقد غلب المحزون أن يتخلدا

إذا كنت عزيفاً عن اللهو والصبا ... فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

فما العيش إلا ما يلذ ويشتهى ... وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فلما خرج يزيد للجمعة عرضت له حبابة على طريقه فحركت العود وغنت البيت الأول فسبح، فلما غنت الثاني قال: مه مه ويحك لا تفعلي، فلما غنت الثالث نفض عمامته، وقال: مروا صاحب الشرطة أن يصلي بالناس، وجلس معها، ودعي بالشراب وسألها عن قائل الشعر، فقالت: الأحوص، فأمر به فأدخل فأجازه وأحسن إليه وأنشده مديحه.

فصل ولما استخلف يزيد نزع أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة وولاها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وبايع لأخيه هشام بالعهد من بعده، ثم لابنه الوليد، ولم يكن قد أبلغ، فلما بلغ ندم وقال: الله بيني وبين من جعل هشام بيني وبينك، يعني مسلمة.

وفي هذه السنة قتل شوذب الخارجي

وقد ذكرنا أنه بعث رجلين يناظران عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر أراد عبد الحميّد أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك، فكتب على محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه، ولم يرجع رسولا شوذب، ولم يعلم بموت عمر، فلما رأى محمد بن جرير مستعداً للحرب أرسل إليه شوذب ما أعجلكم قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم، أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولانا، فقيل له: لا يسعنا غير هذا، فبرز إليه شوذب فاقتتلوا وأصيب من الخوارج نفراً، وأكثروا في أهل الكوفة القتل، فولوا منهزمين والخوارج في أكتافهم حتى بلغوا أخصاص الكوفة، فأقر يزيد عبد الحميّد على الكوفة، ووجه من قبله تميّم بن الحباب في ألفين فراسل الخوارج وأخبرهم أنه لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر، فلعنوه ولعنوا يزيداً، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع، فقتلوه وهزموا أصحابه، فبعث آخر في ألفين فقتلوه فانفذ مسلمة بن عبد الملك، فترل الكوفة، ودعا سعيد بن عمرو الحرشي، فعقد له على عشرة آلاف ووجهه، فقال لأصحابه: من كان يريد الله عز وجل فقد جاءته الشهادة، ومن كان خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا منه، فكسروا أغماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً حتى خافوا الفضيحة، ثم حملوا على الخوارج فطحنوهم وقتلوا شوذب.

وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة فغلب عليها وخلع يزيد بن عبد الملك وأخذ عامله عدي بن أرطأة فحبسه.

قد ذكرنا أن يزيد بن المهلب هرب من حبس عمر، فلما بويع يزيد كتب إلى عبد الحميّد يأمره بطلب يزيد بن المهلب، وكتب إلى عدي بن أرطأة يأمره أن يأخذ من كان في البصرة من أهل بيته، فأخذهم وفيه المفضل، وحبيب، ومروان، والمهلب، وبعث عبد الحميّد هشام بن مساحق في طلب يزيد، فقال له: أجيئك به أسيراً أم أتيك برأسه؟ فقال: أي شئت، فترل هشام بالعذيب، فمر بهم يزيد فاتقوا الإقدام عليه، فمضى نحو البصرة، فترل داره واختلف الناس إليه، وبعث إلى عدي بن أرطأة: ادفع إلي أخوتي وأنا أخليك

والبصرة حتى آخذ لنفسي ما أحب من يزيد بن عبد الملك. فلم يقبل منه، وكان يزيد بن المهلب يعطي الناس المال، فمالوا إليه، وخرج حميّد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك، فبعث معه خالد بن عبد الله القسري، وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد ين المهلب وأهل بيته، وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع الناس إليه حتى نزل جبانة بني يشكر، فخرج إليه عدي فاقتتلوا فهزم أصحاب يزيد، وجاء يزيد فنزل دار سلم بن زياد وأخذ عدياً فحبسه، وهرب رؤوس أهل البصرة، فمنهم من لحق عبد الحميّد بالكوفة، ومنهم من لحق بالشام.

وجاء خالد القسري وعمر بن يزيد ومعهما حميّد بن عبد الملك بالأمان ليزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك، فوصلوا وقد فات الأمر، وغلب يزيد بن المهلب على البصرة، وخلع يزيد بن عبد الملك، واستوثقت له البصرة، وبعث عماله إلى الأهواز وفارس وكرمان، وبعث أخاه مدرك بن المهلب إلى خراسان، وخطب يزيد بن المهلب الناس وأخبرهم أنه يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ويحث على الجهاد، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم.

فدخل الحسن البصري إلى المسجد فقال لصاحبه: انظر هل ترى وجه رجل تعرفه؟ فقال: لا والله، فقال: فوالله هؤلاء الغثاء، فدنا من المنبر وإذا هو يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال الحسن: يزيد يدعو على كتاب الله، والله لقد رأيناك والياً وموليّاً عليه، فجعل أصحابه يأخذون على فيه لئلا يتكلم، فقال الحسن: إنما كان يزيد بالأمس يضرب رقاب هؤلاء ويسرح بها إلى آل مروان يريد رضاهم، فلما غضب نصب هؤلاء وقال: أدعوكم إلى كتاب الله وسنة العمرين، وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ثم يرد إلى محبس عمر، فقال رجل: يا أبا سعيد، كأنك راض عن أهل الشام، فقال: أنا راض عن أهل الشام، قبحهم الله وبرحهم، أليسوا الذين أحلوا ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلوا أهله ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النار بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله.

ثم أن يزيد خرج من البصرة واستخلف عليهم مروان، فأقبل حتى نزل واسط، واستشار أصحابه فقال: ما الرأي؟ فاختلفوا عليه، فأقام أياماً بواسط ثم خرج.

حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وهو عامل يزيد على المدينة، وكان عامله على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة عبد الحميّد بن عبد الرحمن بن نعيم. وكان يزيد بن المهلب قد غلب على البصرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أيوب بن شرحبيل أحد أمراء مصر، وليها لعمر بن عبد العزيز. روى عنه أبو قبيل. توفي في رمضان هذه السنة.

ذكوان، أبو صالح السمان: سمع من كعب الأحبار، وتوفي بالمدينة في هذه السنة.

عمر بن عبد العزيز: قد ذكرنا أنه لما تولى قام بالعدل فكانت بنو أميةّ قد ألفوا التخليط وخافوا أن يعهد إلى غيرهم، فسمّوه فمرض عشرين يوماً.

أخبرنا الحسن بن محبوب، قال: أخبرنا طراد بن محمد، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران إذناً، إن الحسين بن صفوان حدثهم قال: حدَّثنا أبو عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: هشام بن عبد الله الرازي، قال: حدَّثنا أبو زيد الدمشقي،

قال: لما ثقل على عمر بن عبد العزيز دعي له بطبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم فلا آمن عليه من الموت، فرفع عمر بصره وقال: لا تأمن الموت أيضاً على من لم يسق السم؟ قال: فتعالج يا أميّر المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته، اللهم خر لعمر في لقائك. فلم يلبث أياماً حتى مات.

أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أخبرنا أبو بكر البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحاكم، قال: أخبرني محمد بن الحسن بن الحسين بن منصور، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا محمد بن عبد الوهاب، قال: سمعت علي بن هشام يقول: لما سم عمر بن عبد العزيز قال للخادم الذي سمه: لم سممتني؟ قال: أعطاني فلان أبن دينار على أن أسمك، قال: أين الدنانير؟ قال: هي ها هنا، فأتى فوضعها في بيت مال المسلميّن، وقال للخادم اذهب و لم يعاقبه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدَّثني أبو إسحاق، قال : حدَّثنا محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا هاشم، قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر بن عبد العزيز دخل عليه مسلمة بن عبد الملك، فقال: يا أميّر المؤمنين، إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عيلة لا شيء لهم، فلو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك. فقال: اسندوني، ثم قال: ما منعتهم حقاً هو لهم، و لم أعطهم ما ليس لهم، وإن وصيتي فيهم: "وليىّ الله الذي أنزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين" بني أحد رجلين: إما يتقي الله فيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مكب على المعاصي فلم أكن أقويه على معصية الله عز وجل.

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً، فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلة لا شيء لهم، وإني بحمد الله قد تركتهم بخير، أي بني إن أباكم مثل بين أمرين: أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه، قوموا عصمكم الله.

قال أبو نعيم: حدَّثنا أبو حامد بن جبلة، قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق، قال: حدَّثنا عباس بن أبي طالب، قال: حدَّثنا الحارث بن بهرام، قال: حدَّثنا النضر، قال: حدَّثني ليث أن عمر قال في مرضه: أجلسوني، فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه وأحد النظر وقال: إني أرى حضرة ما هم بإنس ولا جن. ثم قبض رضي الله عنه.

ورثاه جماعة، فقال كثير يرثيه:

عمت صنائعه وعم هلاكه ... فالناس فيه كلهم مأجور

والناس مأتمهم عليه واحد ... في كل دار رنة وزفير

يثني عليك اللسان من لم توله ... خيراً لأنك بالثناء جدير

ردت صنائعه عليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

توفي عمر لعشر ليال بقين من رجب هذه السنة- وقيل لخمس بقين- وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، ومات في دير سمعان ، واشترى موضع قبره هناك فدفن فيه.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي الخياط، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: حدَّثنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثنا محمد بن الحسين، قال: حدَّثني محمد بن أيوب، قال: حدَّثني يزيد بن محمد بن مسلمة، قال: حدَّثني مولى لنا، قال: بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى عشي بصرها، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام، فقالا: ما هذا الأمر الذي دمت عليه؟ أجزعك على بعلك فأحق من جزع على مثله، أم على شيء فاتك من الدنيا فها نحن بين يديك وأموالنا وأهلونا، فقالت: ما من كل جزعت، ولا على واحد منها أسفت، ولكني والله رأيت منه منظراً، فعلمت الذي أخرجه إلى الذي رأيت منه، رأيت منه هولاً عظيماً قد أسكن في قلبه معرفته، قالا: وما رأيت منه؟ قالت: رأيته ذات ليلة قائماً يصلي، فأتى على هذه الآية: " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش" فصاح واسوء صباحاه، ثم وثب فسقط، فجعل يخور حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم هدأ فظننت أنه قد قضى، ثم أفاق إفاقة فنادى: واسوء صباحاه، ثم وثب فجعل يجول في الدار ويقول: ويلي من يوم يكون فيه الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش.

غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف، من بني صعب بن ملكان بن عدي ويقال لغيلان: ذو الرمة، ويكنى أبا الحارث: سمع بشعره الفرزدق فقال: ما أحسن ما تقول، فقال: فما لي لا أذكر في الفحول؟ قال: بصونك عن غاياتهم بكاؤك في الدين، وصفتك الأبصار والفطن.

كان يتشبب بميّ بنت طلحة بن عاصم المنقري، وكانت تسمع شعره ولا تراه، فجعلت الله أن تنحر بدنه إذا رأته، فلما رأته رأت رجلاً أسود دميّماً، فقالت: وأسوءتاه، كأنه لم ترضه.

قال أبو سوار الغنوي: رأيت ميّاً، وكانت مسنونة الوجه، طويلة الخدين، شماء الأنف عليها وسم جمال.

قال محمد بن سلام: كانت مولدة لابن قيس بن عاصم تسمى كثيرة قالت بيتين: نحلتهما ذا الرمة، وهما:

على وجه ميّ مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

ألم تر أن الماء يخبث طعمه ... ولو كان لون الماء في العين صافيا

فامتعض من ذلك ذو الرمة، وحلف أنه ما قالهما، وقال: كيف أقوله وقد أفنيت شبابي أشبب بها وأمدحها.

وكانت ميةّ عن ابن عم لها يقال له عاصم، فقال ذو الرمة فيها:

ألا ليت شعري هل يموتن عاصم ... ولم يشتعبني للمنايا شعوبها

رمى الله من حتف المنية عاصماً ... بقاصمة يدعى لها فيجيبها

وقد كان ذو الرمة يشبب بخرقاء من بني عامر بن ربيعة وقال أبو زياد الكلابي: خرقاء من بني عامر بن صعصعه.

قال الأصمعي: كان سبب تشبيبه بخرقاء أنه مر في بعض أسفاره فإذا بخرقاء خارجة من خباء، فنظر إليها فوقعت في قلبه فخرق أدواته ليستطعم كلامه، ثم قال لها: إني رجل على ظهر سفر وقد تخرقت أدواتي فأصلحيها، فقالت: لا والله لا أحسن العمل، وإني لخرقاء، والخرقاء لا تحسن العمل لكرامتها على أهلها.

وروى عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن منهال السدوسي قال: حدَّثني رجل من قريش: أنه سلك طريق مكة للحج فعدل عن الطريق فرأى امرأة، فقال لها: من أنت؟ فقالت: أو ما تعرفني وأنا أحد مناسكك؟ قال: ومن أنت؟ قالت: خرقاء صاحبة ذي الرمة الذي يقول فيها:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

إلا أن جمهور شعره في ميّ، وحب خرقاء حدث بعد ميّ، وفي هذا دليل على سلو، ويدل عليه قوله:

أخرقاء للبين استقلت حمولها نعم غربة فالغث تجري مسيلها

معنى غربة: أي استقلت لأرض بعيدة.

كأن لم يرعك الدهر بالبين قبلها لميّ ولم يشهد فراقاً نزيلها

أي قد راعك الدهر غير مرة.

أنبأنا علي بن عبيد الله بن نصير، عن أبي جعفر بن المسلمة، عن أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباري، قال: حدَّثني أبو صالح الفزاري، قال: ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الأعراب، فقال عصمة بن مالك الفزاري شيخ منهم بلغ مائة وعشرين سنة: إياي فاسألوا عنه، كان حلو العينين، حسن المضحك، براق الثنايا، خفيف العارضين، إذا نازعك الكلام لا تسام حديثه، باد بزته، إذا أنشد بربر وحسن صوته، جمعني وإياه مربع مرة، فأتاني فقال: يا عصمة إن ميّاً منقرية، ومنقر أخبث حي، وأقفاه لأثر وأثبته في نظر، وأعلمه بشر، وقد عرفوا آثار إبلي، فهل من ناقة نزدار عليها ميّاً، قلت: أي والله عندي الجؤذر، قال: فعلينا بها، فجئت بها فركب وردفته ثم انطلقنا حتى هبط حي ميّ، فإذا الحي خلوف، فلما رآنا النسوة عرفنا ذا الرمة، فتقوضن في بيوتهن حتى اجتمعن إلى ميّ، وأنخنا قريباً وجئناهن فجلسنا، فقالت ظريفة منهن: أنشدنا يا ذا الرمة، فقال لي: أنشدهن، فأنشدت قوله:

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

فلما انتهيت إلى قوله:

نظرت إلى أظعان ميّ كأنها ذرا النخل أو أثل تميّل ذوائبه

فأسبلت العينان والقلب كاتم بمغرورق نمت عليه سواكبه

بكى وامق حال الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعاتبه

قالت الظريفة: لكن اليوم فلتجل. ثم مضيت إلى قوله

وقد حلفت بالله ميةّ ما الذي أحادثها إلا الذي أنا كاذبه

إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أجاذبه

قالت ميةّ: ويحك يا ذا الرمة، خف عواقب الله عز وجل، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

إذا سرحت من حب ميّ سوارح على القلب آبته جميّعاً عوازبه

فقالت الظريفة: قتلتيه قتلك الله، فقالت: ما أصحه وهنيئاً له، قال: فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد يطير بلحيته، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

إذا نازعتك القول مية أو بدا ... لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه

فيا لك من خد أسيل ومنطق ... رخيم ومن خلق تعلل جادبه

فقالت الظريفة: هذا الوجه قد بدا لك، وهذا القول قد تنوزع فيه، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه، فالتفتت إليها ميّ وقالت: مالك قاتلك الله ماذا تجيئن به، فتضاحكن النسوة، فقالت الظريفة: إن لهذين شأناً، فقمت و قمن ثم صرت إلى بيت قريب أراهما ولا أسمع كلامهما إلا الحرف بعد الحرف، فوالله ما رأيته برح مكانه ولا تحرك، وسمعتها تقول: كذبت والله، فوالله ما أدري ما الذي كذبته فيه، فتحدثا ساعة ثم جاءني معه قويريرة فيها دهن طيب، فقال: هذه دهنة أتحفتني بها ميّ فشأنك بها، وهذه قلائد در زودتنا للجؤذر، فلا والله لا قلدتهن بعيراً أبداً، ثم عقدهن في ذؤابة سيفه، قال: فانصرفنا، فلم يزل يختلف إليها مربعنا حتى انقضى، ثم جاءني يوماً، فقال: يا عصمة قد ظعنت ميّ فلم يبق إلا الديار، والنظر في الآثار، فانهض بنا إلى ديارها، فخرجنا حتى وقف على ديارها فجعل ينظر ثم قال:

ألا فاسلمي يا دار ميّ على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

وإن لم تكن في غير شام بقفرة ... تمر بها الأذيال صيفية كدر

ثم انفضحت عيناه بالعبرة، فقلت: مه قال: أني لجلد وإن كان مني ما ترى، فما رأيت صبابة قط ولا تجلد أحسن من تجلده وصبابته يومئذ، ثم انصرفنا فكان آخر العهد به،

قوله: غير شام الشام لون يخالف معظم لون الأرضيين، وهو جمع شامة، أي آثار، كأنها شام في جيد، وهي بقع مختلفة الألوان مثل لون الشامة، وإنما يريد أثر الرماد بأرض خالية. والصيفية: الرياح الكدر فيها غبرة.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد الكاتبة، قالت: أخبرنا أحمد بن جعفر السراج، قال: أخبرنا القاضيان أبو الحسن الثوري، وأبو القاسم التنوخي، قالا: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا محمد بن خلف، قال: أخبرنا محمد بن الفضل، قال: أخبرني أبي قال: أخبرنا القحذميّ، قال:

دخل ذو الرمة الكوفة فبينا هو يسير في بعض شوارعها على نجيب له رأى جارية سوداء واقفة على باب دار فاستحسنها ووقعت في قلبه فأومأ إليها وقال: يا جارية اسقيني ماء، فأخرجت له كوزاً فشرب وأراد أن يمازحها ويستدعي كلامها، فقال: يا جارية، ما أحر ماءك؟ لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وترك حر مائي وبرده، فقال لها: وأي شعري له عيب؟ فقالت ألست ذا الرمة؟ قال: بلى، قالت :

فأنت الذي شبهت عنزا بقفرة ... لها ذنب فوق أستها أم سالم

جعلت لها قرنين فوق جبينها ... وطبين مسودين مثل المحاجم

وساقين إن يستمكنا منك يتركا ... بجلدك يا غيلان مثل المناسم

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا آأنت أم أمّ سالم

فقال لها: نشدتك بالله إلا أخذت راحلتي هذه وما عليها و لم تظهري هذا، ونزل عن راحلته فدفعها إليها. وذهب يمضي، فدعتها إليه وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى.

قال أبو معاوية: كان ذو الرمة حسن الصلاة، فقيل له: ما أحسن صلاتك، فقال: إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يتخشع.

وقال عيسى بن عمر: كان ذو الرمة ينشد فإذا فرغ قال: والله لأسجنك بشيء ليس في حسابك، سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

روى الأصمعي، عن أبي الوجيه، قال: كان أحر ما قال ذو الرمة من الشعر:

يا رب قد أسرفت نفسي وقد علمت ... علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري

ما مخرج الروح من جسميّ إذا احتضرت ... وفارج الكرب زحزحني عن النار

وروى ابن دريد، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: حدَّثني المنتجع بن نبهان، قال: كنت مع ذي الرمة حين حضرته الوفاة، فلما أحس بالموت قال لي: يا منتجع إن مثلي لا يدفن في غموض من الأرض ولا في بطون الأودية، فإذا أنا مت فادفني برأس فريدادين، فلما مات جئنا بماء وسدر وتوقلنا الرملة فحفرنا له حفرة ودفناه فهناك قبره إذا ظعنت في الدهناء برأس فريدادين.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر قال: أخبرنا أبو الحسن الزيني، قال: حدَّثنا ابن المرزبان، قال: حدَّثني أحمد ين زهير، قال: حدَّثني هرقل بن مسلم، قال: حدَّثني أبو هلال الأزدي، قال: حدَّثني عمارة قال: سمعت ذا الرمة لما حضرته الوفاة، يقول: لقد مكثت مهيماً بميّ عشرين سنة في غير ريبة ولا فساد.

قال ابن قتيبة: لما حضرت ذا الرمة الوفاة قال: أنا ابن نصف الهرم، أنا ابن أربعين سنة.

همام بن منبه، أخو وهب بن منبه، يكنى أبا عقبة: توفي بصنعاء في هذه السنة

ثم دخلت سنة اثنتين مائة

فمن الحوادث فيها: أن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك إلى حرب يزيد بن المهلب، فخرج يزيد بن من واسط للقائهما، واستخلف بها ابنه معاوية بن يزيد، وجعل عنده الخزائن وبيت المال وقدم بين يديه أخاه عبد الملك، فاستقبله العباس بسورا، فاقتتلوا فشد عليهم أهل البصرة فكشفوهم وسقط إلى يزيد ناس كثير من أهل الكوفة ومن الجبال والثغور، فقام فيهم فقال: قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء -يعني مسلمة بن عبد الملك- وعاقر ناقة صالح- يعني العباس بن الوليد، وكان العباس أزرق أحمر وكانت أمه رومية – والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فأقره على نسبه، بلغني أنه ليس يهمهما إلا التماسي في الأرض، والله لو جاءوا بأهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا، ما برحت العرصة حتى تكون لي أولهم.

وكان الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد بن المهلب، فقام مروان بن الهلب خطيباً في الناس بالجد والجهاد، ثم قال: لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي- و لم يسمه – يثبط الناس عنا، والله لو أن جاره نزع من خض داره قصبة لظل يرعف أنفه. و لم يدع

الحسن كلامه ذلك.

فلما اجتمع يزيد بن المهلب ومسلمة أقاما ثمانية أيام حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشر ليلة مضت في صفر عبأ مسلمة جنود الشام، ثم ازدلف بهم نحو يزيد، وبعث مسلمة فأحرق الجسر فانهزم أصحاب يزيد وتسللوا وهو يزدلف، فكلما مر بخيل كشفها، فجاءه أبو رؤبة فقال له: هل لك أن تنصرف إلى واسط فإنها حصن فتنزلها ويأتيك مدد البصرة وأهل عمان والبحرين في السفن، وتضرب خندقاً، فقال: قبح الله رأيك، إليّ تقول هذا؟ إن الموت أيسر علي من ذلك، وبرز فقتل وقتل أخوه محمد فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك، فلما بلغ خبر الهزيمة، إلى واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا عنده، فضرب أعناقهم؛ منهم عدي بن أرطأة.

ثم اقبل على البصرة ومعه المال والخزائن، وجاء المفضل بن المهلب، واجتمع أهل المهلب في البصرة، فحملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية، ثم لججوا في البحر ومضوا إلى قندابيل، ورجع قوم فطلبوا الأمان، وبعث مسلمة في آثارهم هلالا التميمي، فلحقهم بقندابيل، ومنعهم قندابيل الدخول، فالتقوا فقتلوا عن آخرهم سوى رجلين، ولما فرغ مسلمة من حرب يزيد بن المهلب جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة.

وفيها: غزا المسلمون الصغد والترك، وكانت الواقعة بينهم بقصر الباهلي.

وفيها: عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان، وانصرف إلى الشام.

وكان سبب ذلك أنه لما ولي أرض العراق وخراسان لم يرفع شيئاً من الخراج، فأراد يزيد عزله فاستحيا منه، فكتب إليه أن استخلف على عملك وأقبل، فشاور في ذلك عبد العزيز بن حاتم، فقال له: إنك لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه. فشخص فلقيه عمر بن هبيرة على دواب البريد، فقال: إلى أين يا ابن هبيرة؟ فقال: وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بن المهلب، وإنما أراد تغطية الحال عنه، فما لبث أن جاءه خبر بعزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم.

وفيها: غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينة، فهزمهم وأسر منهم سبعمائة أسير.

وفيها: قتل يزيد بن أبي مسلم في بأفريقة وهو أول وال عليها.

وسبب ذلك أنه كان قد عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج فقتلوه، وأعادوا الوالي قبله، وهو محمد بن يزيد بن أبي مسلم مولى من الأنصار وكتبوا إلى يزيد: إنا لم نخلع أيدينا عن الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله تعالى فقتلناه وأعدنا عاملك، فكتب: إليهم أني لم أرض ما صنع يزيد، وأقر محمد بن يزيد على عمله بإفريقة.

وفيها: حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك وهو العامل على المدينة، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة محمد بن عمرو، وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة عبد الملك ابن بشر بن مروان، وعلى خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وعلى مصر أسامة بن زيد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أبو خالد الأزدي قد ذكرنا أحواله في الحوادث وخروجه على يزيد بن عبد الملك ومحاربته له، وأنه قتل في الحرب في هذه السنة، وكان جواداً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسن بن الضراب، قال: أخبرنا أبي قال: حدَّثنا أحمد ابن مروان، قال: حدَّثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدَّثنا محمد بن الحارث، عن المدائني، قال: كان سعيد بن عمرو مؤاخياً ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد ابن المهلب منع الناس من الدخول إليه، فأتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين لي على يزيد خمسون ألف درهم قد حلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فاقتضيه، فأذن له فدخل فسرّ به يزيد وقال: كيف وصلت إليّ؟ فأخبره، فقال: والله لا تخرج إلا وهي معك، فامتنع سعيد، فحلف يزيد ليقبضها، فوجه إلى مترله حتى حمل إلى سعيد خمسون ألف درهم.

وروى الصولي قال: دخل الكوثر بن زفر على يزيد بن المهلب حين ولاه سليمان العراق، فقال له: أنت والله أكبر قدراً من أن يستعان عليك إلا بك، ولست تصنع من المعروف إلا وهو أصغر منك، وليس العجب أن تفعل، ولكن العجب ألا تفعل. فقال: يزيد: سل حاجتك، فقال: حلمت عن قوم عشر ديات وقد فهضني ذلك، قال: قد أمرت لك بها وقد شفعتها بمثلها، فقال له الكوثر: أما ما سألتك بوجهي فأقبله منك، وأما الذي ابتدأني به فلا حاجة لي فيه، قال: و لم قد كفيتك فيه ذل المسألة؟ قال: إن الذي أخذته مني بمسألتي إياك وبذل وجهي لك أكبر من معروفك عندي فكرهت الفضل علي، قال يزيد: وأنا أسألك كما سألتني بحقك عليّ ما أهلتني له من إنزالك الحاجة بي إلا قبلتها، ففعل.

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة العباس بن الوليد الروم ففتح بها مدينة من مدائن الروم.

وفيها: ضمت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري، فجمعت له مع المدينة. وعزل عبد العزيز عن مكة.

وفيها: ولي عبد الواحد بن عبد الله البصري الطائف.

وفيها: استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان، فارتحل أهل الصغد عن بلادهم عند مقدمه، فلحقوا بفرغانة وسألوا ملكها إعانتهم على المسلمين، فبعث إليهم ابن هبيرة يسألهم أن يقيموا ويستعمل عليهم من يريدون، فأبوا وخرجوا إلى خجنده.

وفي هذه السنة: حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك، وكان على مكة والمدينة، وكان على الطائف عبد الواحد البصري، وعلى العراق عمر بن هبيرة، وعلى خراسان من قبله سعيد بن عمرو الحرشي، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جابر بن زيد، أبو الشعثاء: كان مفتي البصرة، وكان ابن عباس يقول: لو نزل أهل البصرة عند قول جابر لأوسعهم عما في كتاب الله علماً.

وقال جابر في مرضه: اشتهي نظرة من الحسن، فجاء إليه في الليل وكان متخفياً. وتوفي في هذه السنة.

خالد بن معدان، أبو عبد الله الكلاعي: أسند عن أبي عبيدة، ومعاذ، وعبادة، وأبي ذر، وغيرهم.
وتوفي في رمضان هذه السنة.

عن أبي المغيرة، عن صفوان بن عمر، قال: كان خالد بن معدان إذا عظمت حلقته قام فانصرف، قيل لصفوان: و لم كان يقوم؟ قال: كان يكره الشهرة.

عامر بن عبد الله بن قيس، أبو بردة ابن أبي موسى روى عن أبيه، وكان على بيت المال، وولي قضاء الكوفة بعد شريح، وفيها توفي في هذه السنة.

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: وقد مضى ذكره.

عطاء بن يسار، أخو سليمان بن يسار: روى عن أبيّ بن كعب، وابن مسعود، وأبي أيوب، في خلق كثير من الصحابة، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا علي بن أحمد الملطي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا أبو الحسين بن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثني عبد العزيز بن يحيى الأويسي، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين إلى المدينة ومعهما أصحاب لهما حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا مترلاً، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء قائماً في المترل يصلي. قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة، فأوجز في صلاته ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم، قال: ما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني قد ودقت ولا بعل لي، قال: إليك عني لا تحرقيني ونفسك بالنار.

ونظر إلى امرأة جميلة فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد. قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحك إليك عني. قال: واشتد بكاؤه، فلما نظرت المرأة إليه وما دخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه. قال: فجعل يبكي والمرأة تبكي بين يديه. فبينا هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي جلس في ناحية البيت يبكي لبكائها ولا يدري ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس فبكى لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت المرأة الإعرابية ذلك قامت فخرجت. قال: فقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة، قال: وكان أسن منه، ثم أنهما قدما مضر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي، فقال سليمان: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيها الليلة، قال: وما هي؟ قال: لا تخبر بها أحداً ما دمت حياً، رأيت يوسف النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فجئت أنظر إليه فيمن ينظر، فلما نظرت حسنه بكيت، فنظر إلي فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ قلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها، وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه، قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء فعرفت الذي أراد، فبكيت فاستيقظت باكياً قال: سليمان يا أخي وما حال تلك المرأة؟ فقص عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحداً حتى مات عطاء، فحدث بها بعده امرأة من أهله، وشاع الحديث بالمدينة بعد موت عطاء بن يسار.
وقد رويت لنا هذه القصة عن سليمان أنها جرت له والله أعلم.

وتوفي عطاء في هذه السنة، وقيل: سنة أربع وتسعين.
يزيد بن الأصم، واسمه عبد عمرو بن عدس: وأمه برزة بنت الحارث بن حزن، أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.
روى عن أبي هريرة، وابن عباس، وكان يترل بالرقة.
وتوفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع ومائة

فمن الحوادث فيها: أن سعيداً الحرشي غزا فقطع النهر، فقتل أهل الصغد واصطفى أموالهم وذراريهم، وكتب إلى يزيد بن عبد الملك و لم يكتب إلى عمر بن هبيرة، وكان هذا فيما وجد عليه ابن هبيرة فيه، وكان على الأقباض علباء بن أحمر فاشترى رجل منه جونة بدرهمين، فوجد فيها سبائك ذهب، فرجع وهو واضع يده على عينه كأنه رمد فرّد الجونة وأخذ الدرهمين، وطلب فلم يوجد.
وفي هذه السنة: عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس عن مكة والمدينة، وذلك للنصف الأول من ربيع الأول، وكان عامله على المدينة ثلاث سنين، وولى المدينة عبد الواحد النضري.
وكان سبب عزل ابن الضحاك أنه خطب فاطمة بنت الحسين، فقالت: ما أريد النكاح، فألح عليها وتوعدها بأن يؤذي ولدها، وكان إلى ديوان المدينة ابن هرمز الشامي، فدخل على فاطمة، فقال: هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين ما ألقى من ابن الضحاك، وبعثت رسولاً بكتاب إلى يزيد تخبره بذلك، وتذكر فيها قرابتها وما يتواعدها بهن فقدم ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة وقال: هل من مغربة خبر؟ فلم يذكر له شأن فاطمة، فقال الحاجب: بالباب رسول من فاطمة، فقال ابن هرمز: يا أمير المؤمنين، إن فاطمة يوم خرجت حملتني رسالة إليك، وأخبره الخبر. قال: فترل من أعلى فراشه وقال: لا أم لك، أسألك عن مغربة خبر، وهذا عندك ولا تخبرنيه؟ فأعتذر بالنسيان، فأذن للرسول فدخل واخذ الكتاب فقرأه وجعل يضرب بخيزران على يده ويقول: لقد اجترأ ابن الضحاك، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب وأنا على فراشي؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله النضري فدعا بقرطاس وكتب بيده إلى عبد الواحد وهو بالطائف: سلام عليك، أما بعد. فقد وليتك المدينة، فإذا جاءك كتابي فأهبط إليها واعزل ابن الضحاك وأغرمه أربعين ألف درهم وعد به حتى أسمع صوته وأنا على فراشي.

فقدم البريد المدينة فلم يدخل على ابن الضحاك، فأحس بالشر، فأرسل على البريد فكشف له عن طرف المفرش، فقال: هذه ألف دينار ولك العهد والميثاق، إن أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك، فاستنظر البريد ثلاثاً حتى يسير، وخرج ابن الضحاك، فأغذ السير حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك، فقال: أنا في جوارك، فغدا مسلمة على يزيد فرققه، وقال: لي حاجة إليك، فقال: كل حاجة فهي لك ما لم يكن ابن الضحاك، فقال: هو ابن الضحاك، فقال: والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل، فرده إلى النضري، وكان قد قدم إلى المدينة للنصف من شوال. وعذب ابن الضحاك وافتقر حتى رأيت عليه جبة صوف وهو يسأل الناس.
وكان قد عادى الأنصار في ولايته، وضرب أبا حازم ظلماً في باطل، فما بقي بالمدينة صالح إلا عابه، ولا شاعر إلا هجاه، وكان ذلك آخر أمره.
-وفي هذه السنة: غزا الحجاج بن عبد الله الحكمي أرض الترك، ففتح على يديه بلجنر، وفتحوا الحصون التي تليها، وجلا عنها عامة

أهلها وسبوا ما شاءوا.

-وفيها: ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في ربيع الآخر.

وفيها: عزل ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان، وولى مسلم بن سعيد الكلابي. وسبب عزله الحرشي أن الحرشي كان يستخف بأمر ابن هبيرة، وكتب إليه يأمره بتخلية رجل فقتله، فدعى ابن هبيرة رجلاً فقال له: اخرج إلى خراسان وأظهر أنك قدمت تنظر في أمر الدواوين واعلم لي علمه، فمضى فجعل ينظر في الدواوين، فقيل للحرشي أنه لم يقدم إلا ليعلم علمك، فسم بطيخة، وبعث بها إليه فأكلها فمرض وتساقط شعره، ورجع إلى ابن هبيرة، فغضب ابن هبيرة، وعزل سعيداً وعذبه، وولى مسلم بن أسلم.

وفي هذه السنة: حج بالناس عبد الواحد بن عبد الله النضري، وكان هو العامل على مكة والمدينة والطائف، وكان على العراق والمشرق عمر بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندي، وعلى قضاء البصرة عبد الله بن يعلى.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حيان بن شريح: كان صاحب خراج مصر لعمر بن عبد العزيز، حدث عنه يزيد بن أبي حبيب، وعبد الملك بن جنادة، وتوفي في هذه السنة.

ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد العبسي الكوفي روى عن عمر، وعلي، وأبي بكرة، وعمران بن حصين، حدث عنه الشعبي، ومنصور بن المعتمر، وحصين بن عبد الرحمن وغيرهم. وكان ثقة صدوقاً.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب، قال: أخبرنا حمزة بن محمد بن طاهر، قال: حدَّثنا الوليد بن بكر الأندلسي، قال: أخبرنا علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي، قال: حدَّثنا صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي، قال: حدَّثني أبي، قال: ربعي بن حراش كوفي ثقة. ويقال أنه لم يكذب قط. كان له ابنان عاصيان في زمن الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ قال: هما في البيت، فقال: قد عفونا عنها بصدقك.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أحمد المعدل، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا ابن أبي الدنيا، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا محمد بن جعفر بن عون قال: أخبرني بكر بن أحمد العابد، عن الحارث الغنوي، قال: إلى ربعي بن حراش ألا تفتر أسنانه ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره، فما ضحك إلا عند موته، وآلى أخوه ربعي بن حراش بعده ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار.

قال الحارث الغنوي: فلقد أخبرني غاسلة أنه لم يزل مبتسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه.

توفي ربعي بن حراش في هذه السنة، وقيل في سنة إحدى.

زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي، واسم أبي زياد ميسرة.

وكان زياد عبداً، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيده ويكرمه، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه، فأبى وأعتقه.

وروي عن أنس بن مالك، قال أنس بن مالك: كان زياد عابداً معتزلا لا يزال يذكر الله ويلبس الصوف.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا رزق الله وطراد، قالا: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: حدَّثنا الحسين بن صفوان، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدَّثنا علي بن محمد، قال: حدَّثنا عبد الله بن صالح، قال: حدَّثني يعقوب بن عبد الرحمن القاري، قال: قال: قال محمد بن المنكدر: أني خلفت زياد بن أبي زياد وهو يخاصم نفسه في المسجد يقول: اجلسي، أين تريدين أن تخرجي إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري إلى ما فيه، تريدين أن تنظري إلى دار فلان وفلان. قال: وكان يقول لنفسه: مالك من الطعام يا نفس إلا هذا الخبز والزيت، ومالك من الثياب إلا هذين الثوبين، ومالك من النساء إلا هذه العجوز، أتحبين أن تموتي؟ فقالت: أنا أصبر على هذا العيش.

عبد الله بن يزيد، أبو قلابة الجرمي كان فقيهاً عالماً بالفقه، بصيراً بالقضاء، فلما طلب القضاء هرب ومرض، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز يعوده، فقال له: يا أبا قلابة، تشدد ولا تشمت بنا المنافقين. ومات بالشام في هذه السنة.

أخبرنا علي بن عبيد الله الفقيه، وإسماعيل بن أحمد المنقري، قالا: أخبرنا أحمد بن محمد النقور، قال: أخبرنا علي بن عبد العزيز بن مردك، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: حدَّثنا عمار بن خالد الواسطي، قال: حدَّثنا الحكم بن سيار، قال: حدَّثنا أيوب السختياني، قال: قال: لي أبو قلابة: احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، ومجالسة أهل الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية.

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل الضراب، قال: أخبرني أبي، قال: حدَّثنا أحمد بن مروان، قال: حدَّثنا يوسف بن عبد الله الحلواني، قال: حدَّثنا عثمان بن الهيثم، قال: كان رجل بالبصرة من بني سعيد، وكان قائداً من قواد عبيد الله بن زياد، فسقط من السطح، فانكسرت رجلاه، فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له: أرجو أن يكون لك خيرة، فقال: يا أبا قلابة، وأي خيرة في كسر رجلي جميعاً، قال: ما ستر الله عنك أكثر، فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب عبيد الله بن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فما كان سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين، فقال الرجل: رحم الله أبو قلابة، لقد صدق أنه كان خيرة لي.

عامر بن شراحيل وقيل: عامر بن عبد الله بن شراحيل- أبو عمرو الشعبي: من شعب همدان، كوفي، وأمه من سبي جلولاء، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب هو وأخ له توأماً. وسمع علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن الزبير، وأسامة، وجابر، والبراء، وأنس، وأبا هريرة، وعدي بن حاتم، وسمرة، وعمرو بن حريث، والمغيرة، وزيد بن أرقم، وغيرهم.

وكان مفتياً في العلوم وحافظاً ثقة، وقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، وما أحببت أن يعيده عليّ، وما أروي شيئاَ أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدكم شهراً لا أعيد، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالماً، وليتني أفلت من ذلك كفافاً لا علي ولا لي.

وسمعه عمر يحدث بالمغازي، فقال: هذا الفتى شهد معنا.

وقال أبو مخلد: ما رأيت أفقه من الشعبي، ولما بلغ عبد العزيز بن مروان عقل الشعبي وعلمه وطيب مجالسته، كتب إلى أخيه عبد الملك أن يؤثره بالشعبي، ففعل وكتب إليه: إني أوثرك على نفسي، لا يلبث عندك إلا شهراً، وكان عبد العزيز بمصر فأقام عنده نحواً

من أربعين يوماً ثم رده.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا احمد بن علي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد بن علي البزاز، قال: أخبرنا القاضي أبو سعيد الحسن بن محمد بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن ابن أخي الأصمعي عن عمه، قال:

وجه عبد الملك بن مروان عامراً الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر فاستكثره، فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال: إذا رجعت إلى صاحبك فأبلغه جميع ما يحتاج إلى معرفة من ناحيتنا، وادفع إليه هذه الرقعة، فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج ذكره، ونهض من عنده، فلما خرج ذكر الرقعة فرجع، فقال: يا أمير المؤمنين، أنه حملني إليك رقعة نسيتها حين خرجت، وكانت في آخر ما حملني، فدفعها إليه ونهض فقرأها عبد الملك فأمر برده، فقال: أعلمت ما في الرقعة؟ قال: لا، قال: فيها: عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا، أفتدري لم كتب إليّ بهذا؟ فقال: لا، قال: حسدني بك فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان ذلك يا أمير المؤمنين ما استكثرني. فبلغ ملك الروم ذلك، فذكر عبد الملك فقال: لله أبوه، والله ما أردت غير ذلك.

كان الشعبي قد خرج مع القراء على الحجاج ثم دخل عليه فاعتذر فقبل عذره، وولي القضاء.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: حدَّثنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا ابن أخي ميمي، قال: أخبرنا جعفر بن محمد الخواص، قال: حدَّثنا ابن مسروق، قال: حدَّثنا إبراهيم بن سعيد، قال: حدَّثنا أبو أسامة، قال: حدَّثنا ذكريا بن يحيى، قال: دخلت على الشعبي وهو يشتكي فقال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجعاً مجهوداً اللهم إني احتسب نفسي عندك فهي أعز الأنفس عندي.

توفي في هذه السنة. قاله الأكثرون، وقيل: في سنة سبع. وفي مقدار عمره قولان: سبع وتسعون، والثاني اثنتان وثمانون.

مجاهد بن جبر يكنى أبا الحجاج، مولى قيس بن السائب المخزومي: كان فقيهاً ديناً ثقة، روى عن ابن عمر، وابن عمرو، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وابن عباس، في آخرين.

قال بعض الرواة: كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه خربندج ضل حماره فهو مهتم.

أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبيد الله، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا محمد بن كناسة، قال: حدَّثنا عمر بن ذر، عن مجاهد، قال: إذا أراد أحدكم أن ينام فليستقبل القبلة ولينم على يمينه وليذكر الله، وليكن آخر كلامة عند منامه لا إله إلا الله، فإنها وفاة لا يدرى لعلها تكون منيته، ثم قرأ: "وهو الذي يتوافكم بالليل" توفي مجاهد وهو ساجد في هذه السنة. وقيل: سنة اثنتين، وقيل: في سنة ثلاث. وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة.

ثم دخلت سنة خمس ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة الجراح بن عبد الله اللان حتى إذا جاز مدائن وحصن وراء بلنجر وأصاب غنائم كثيرة.

وغزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم، فبعث سرية في نحو من ألف مقاتل فأصيبوا جميعاً وغزوة مسلم بن سعيد الترك، فلم يفتح شيئاَ.

وغزوة مسلم أفشين، فصالح ملكها على ستة آلاف رأس، ودفع إليه القلعة.

وفيها: توفي يزيد بن عبد الملك وولي هشام.

باب ذكر خلافة هشام بن عبد الملك

كان عبد الملك قد تزوج عائشة بنت هشام بن إسماعيل المخزومية، وكانت حمقاء، فولدت هشاماً في العام الذي قتل فيه مصعب بن الزبير، فسماه منصوراً وسمته أمه هشاماً فلم ينكر ذلك، وكان عبد الملك قد رأى في منامه أم هشام قد فلقت رأسه فلطعت فيه عشرين لطعة، فعبرها سعيد المسيب، فقال: تلد غلاماً يملك عشرين سنة، فولدت له هشاماً، ورأى هشام في منامه أن طبقاً فيه تفاح قد قدم إليه، فأكل تسع عشر تفاحة وبعض الأخرى، فسأل عن ذلك فقيل له: تملك تسع عشر سنة وكسراً، فكان لا يقدم إليه التفاح في خلافته ولا يراه.

وكان يكنى أبا الوليد، وكان أبيض حسن الجسم، أحول، يخضب بالسواد، ولد له عشر من الذكور، وكان لهاجاً بعمار الأرض وبالآلات والكسي والفرش، فجمع من ذلك ما حمله على سبعمائة بعير، ووجد له اثنا عشر ألف قميص، وسبعمائة تكة.

ذكر طرف من أخباره وسيرته. أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحميدي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، قال: أخبرنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، قال: أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيد، عن يونس، قال:

اشترى عبد الملك جارية، وخلا بها، فقالت له: يا أمير المؤمنين، ما من منزلة أطمع فيها فوق منزلتي إذ صرت للخليفة، وكان النار ليس لها خطر، إن ابنك فلاناً اشتراني، فكنت عنده- لا أدري ذكر ليلة أو نحو ذلك – لا يحل لك مسي، قال: فحسن منها هذا القول عنده وتركها وولاها أمرها.

قال علماء السير: وكان هشاماً إذا صلى الغداة كان أول من يدخل عليه صاحب حرسه، فيخبره بما حدث في الليل، ثم يدخل عليه موليان له، مع كل واحد منهما مصحف، فيقعد أحدهما على يمينه، والآخر على يساره حتى يقرأ عليهما جزأة، ويدخل الحاجب ويقول: فلان بالباب، وفلان وفلان، فيقول: ائذن. فلا يزال الناس يدخلون عليه، فإذا انتصف النهار، وضع طعامه ورفعت الستور، ودخل الناس أصحاب الحوائج، فيسألون حوائجهم، فيقول: لا، ونعم، والكاتب خلفه يوقع بما يقول، حتى إذا فرغ من طعامه وانصرف الناس صار إلى قائلته، فإذا صلى الظهر دعى بكتابه فناظرهم فيما ورد من أمور الناس حتى يصلي العصر، ثم يأذن للناس، فإذا صلى العشاء الآخرة حضر سماره، الزهري وغيره.

فجاء الخبر من أرمينية أن خاقان قد خرج، فنهض في الحال وحلف أن لا يؤويه سقف بيت حتى يفتح الله عليه، وسيأتي ذكر هذه القصة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وقال بشر مولى هشام: تفقد هشام بعض ولده لم يحضر الجمعة، فقال له: ما منعك؟ فقال: نفقت دابتي، فقال: وعجزت عن المشي فتركت الجمعة، فمنعه من الدابة سنة.

وظهر في الشام غيلان بن مروان أبو مروان الدمشقي فأظهر الاعتزال فقتله وصلبه بباب دمشق.

أخبرنا أبو الحصين: قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدَّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدَّثنا إسماعيل بن

الحارث بن كثير بن هشام، عن عبد الله بن زياد، قال: قال غيلان لربيعة بن أبي عبد الرحمن: أنشدك الله، أترى الله يحب أن يعصى؟ قال ربيعة: أنشدك الله، أترى الله يعصى قسراً، فكأني ربيعة ألقم حجراً.

أنبأنا عبد الوهاب الأنماطي، ومحمد بن ناصر الحافظان، قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن قشيش، قال: أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد بن علي الجوادي، قال: حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: أبي، حدَّثنا أحمد بن عبيد المدائني، قال: حكي لنا أن أبا جعفر المنصور وجه إلى شيخ من أهل الشام كان بطانة هشام بن عبد الملك فسأله عن تدبير هشام في بعض حروبه مع الخوارج، فوصف له الشيخ ما دبر، فقال: فعل رحمه الله كذا، وصنع رحمه الله كذاو كذا، فقال: له المنصور: قم عليك وعليه لعنة الله، تطأ بساطي وتترحم على عدوي، فقام الرجل وهو يقول وهو مول: إن نعم عدوك لقلادة في عنقي لا يترعها إلا غاسلي، فقال له المنصور: ارجع يا شيخ، فرجع فقال: أشهد أنك نهيض حر وغراس شريف، عد إلى حديثك، فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا فرغ دعي له بمال فأخذه وقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي إليه من حاجة، ولقد مات عني من كنت في ذكر أنفاً، فما أحوجني إلى وقوف بباب أحد، ولو لا جلالة عز أمير المؤمنين وإيثار طاعته ما لبست لأحد بعده نعمة، فقال له المنصور: مت إذا شئت لله أبوك، فلو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجداً مخلداً.

وكان هشام لا يلتفت إلى أولاد عمر بن عبد العزيز ولا يعطيهم شيئاً ويقول: أرضى لهم ما رضي لهم أبوهم.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد النضري، وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكوفي، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس. وكان خالد القسري على العراق وخراسان. وقيل إنما استعمل في سنة ست. وكان العامل في هذه السنة عمر بن هبيرة، فعزله هشام في أول ولايته وولى خالد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أبان بن عثمان بن عفان، يكنى أبا سعيد ولي المدينة لعبد الملك سبع سنين وأشهر، وهو أحد سبعة من فصحاء الإسلام؛ سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عمير الليثي، وأبو الأسود الدؤلي، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، والحسن البصري، وقبيصة ين جابر الأسدي.

وولد له ستة ذكور منهم عبد الرحمن بن أبان. وكان من أزهد الناس، وعقب أبان كثير بناحية الأندلس. توفي بالمدينة في هذه السنة بعد أن فلج سنه أعظم فالج حتى ضرب به المثل. وكان به وضح عظيم، وصمم شديد، وحول قبيح، وهو وأخواه عمرو وعمر لأم واحدة.

شفي ابن ماتع، أبو عبيد الأصبحي: يروى عن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وكان حكيماً. روى عنه أبو قبيل المعافري وغيرة. وكان شفي إذا أقبل يقول عبد الله بن عمرو: جاءكم أعلم من عليها.

الضحاك بن مزاحم، أبو القاسم الهلالي: أصله من الكوفة، حملت به أمه سنتين، وكان عالماً بالتفسير، لقي سعيد ين جبير فأخذ عنه، و لم ير ابن عباس، وكان يعلم ولا يأخذ أجراً، ثم أقام ببلخ.

قال قبيصة بن قيس العنبري: كان الضحاك بن مزاحم إذا أمسى بكى، فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: لا أدري ما صعد اليوم من

عملي.
توفي الضحاك في هذه السنة، وقيل: في سنة اثنين ومائة.
عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي سمع عثمان، وعلياً وابن مسعود، وحذيفة، وغيرهم، روى عنه جبير، وإبراهيم النخعي. وأقرأ القرآن للناس أربعين سنة، وصام ثمانين رمضان.
أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أنبأنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يوسف الصياد، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد، قال: حدَّثنا الحارث بن محمد، قال: حدَّثنا عفان، قال: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، قال: دخلنا على عبد الله بن حبيب وهو يقضي في مسجده، فقلنا: يرحمك الله لو تحولت إلى فراشك فقال: حدَّثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول" لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة، تقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه". فأريد أن أموت وأنا في مسجدي.
توفي في هذه السنة وله تسعون سنة.
عكرمة مولى عبد الله بن عباس، يكنى أبا عبد الله: توفي ابن عباس وهو عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فراح علي إلى خالد فاستقاله فأقاله فأعتقه.
وكان يروي عن ابن عباس، وأبي هريرة، والحسن بن علي، وعائشة.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن سليمان، قال: حدَّثنا حمد بن أحمد، قال: حدَّثنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، قال: حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدَّثنا سعيد بن عمر، قال: حدَّثنا حماد بن زيد، عن الزبير بن الحريث، عن عكرمة، قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل يعلمني القرآن والسنن.
وكان الشعبي يقول: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.
وقال جابر: عكرمة أعلم الناس.
وقال قتادة: أعلمهم بالتفسير عكرمة.
توفي عكرمة في هذه السنة بالمدينة، وقيل: في سنة سبع، وقيل: في سنة ست، وهو ابن ثمانين سنة.
غزوان بن غزوان الرقاشي، وقيل: غزوان بن زيد: كان من كبار الصالحين.
أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، عن أبي محمد الجوهري، عن أبي عمرو بن حيويه قال: أخبرنا ابن معروف، قال: حدَّثنا الحسين بن الفهم، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: حدَّثنا يحيى بن راشد قال: حدَّثنا عثمان بن عبد الحميد الرقاشي، قال: سمعت مشيختنا يذكرون: إن غزوان لم يضحك منذ أربعين سنة.
وكان غزوان يغزز، فإذا أقبلت الرفاق راجعين تستقبلهم أمه فتقول لهم: أما تعرفون غزوان؟ فيقولون: ويحك يا عجوز، ذاك سيد القوم.
كثير بن عبد الرحمن، الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد أبو صخر الخزاعي الشاعر، اسم أمه جمعة بنت الأشيم بن خالد، وقيل: جمعة بنت كعب بن عمرو. وقيل: كانت كنية جده أبي أمه أبا جمعة، فلذلك قيل: ابن أبي جمعة. وكان شاعراً مجيداً إلا أنه كان رافضياً يقول بإمامة محمد بن الحنفية، وأنه أحق من الحسن والحسين بالإمامة ومن سائر الناس. وأنه حي مقيم بجبل وضوي لا

يموت، ومدح عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، وكان يقول بالتناسخ والرجعة، وكان يقول: أنا يونس بن متى، يعني أن روحه نسخت فيّ. وقال يوماً: ما يقول الناس في؟ قيل: يقولون أنك الدجال، فقال: إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

وكان بمكة وقد ورد على الأمراء الأمر بلعن علي رضي الله عنه، فرقي المنبر وأخذ بأستار الكعبة وقال:

لعن لله من يسب علياً — وبنيه من سوقة وإمام

أيسب المطهرون أصولاً — والكرام الأخوال الأعمام

يأمن الطير والحمام ولا — يأمن آل الرسول عند المقام

فأنزلوه عن المنبر وأثخنوه ضرباً بالنعال وغيرها فقال:

إن أمرءاً كانت مساوئه — حب النبي بغير ذي عتب

وبني أبي حسن ووالدهم — من طاب في الأرحام والصلب

أترون ذنباً أن أحبهم — بل حبهم كفارة الذنب

وكان كثير دميم الخلقة فاستزاره عبد الملك، فازدراه لدمامته، فقال: تسمع بالمعيدي خير أن تراه فقال كثير:

ترى الرجل النحيف فتزدريه — وفي أثوابه أسد مزير

فقال له: إن كنا أسأنا اللقاء فلسنا نسيء الثواء، حاجتك، قال: تزوجني عزة، فأراد أهلها على ذلك، فقالوا: هي بالغ وأحق بنفسها، فقيل لها، فقالت: أبعدما تشبب بي وشهرني في العرب مالي إلى ذلك سبيل.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري، قال: حدَّثنا المعافي بن زكريا، قال: حدَّثنا الحسن بن علي بن المرزبان، قال: حدَّثنا عبد الله بن هارون النحوي، قال: حدَّثنا أبو بكر محمد بن أبي يعقوب الدينوري، قال: حدَّثني نصر بن ميمون، عن العتبي، قال: كان عبد الملك بن مروان يحب النظر كثيراً إذ دخل عليه آذنه يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كثير بالباب، فاستبشر عبد الملك وقال: فأدخل كثير–وكان دميما حقيراً تزدريه العين– فسلم بالخلافة، فقال: عبد الملك: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال كثير: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما الرجل بأصغريه لسانه وقبله، فإن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان، وأنا الذي أقول:

وجربت الأمور وجربتني — فقد أبدت عريكتي الأمور

وما تخفى الرجال علي إني — بهم لأخو مثابته خبير

ترى الرجل النحيف فتزدريه — وفي أثوابه أسد مزير

ويعجبك الطرير فتبتليه — فيخلف ظنك الرجل الطرير

وما عظم الرجال لهم بزين — ولكن زينها كرم وخير

بغاث الطير أطولها جسوما — ولم تطل البزاة ولا الصقور

بغاث الطير أكثرها فراخاً — وأم الصقر مقلات نزور

لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير

فيركب ثم يضرب بالهراوي ولا عرف لديه ولا نكير

ثم قال له: ما كثير أنشدني في إخوان ذكروك بهذا، فأنشده:

خير إخوانك في المنازل في المرّ وأين الشريك في المرّ أينا

الذي إذا حضرت سرك في الحي وإن غبت كان أذناً وعينا

ذاك مثل الحسام أخلصه القين جلاه الجلاء فازداد زينا

أنت في معشر إذا غبت عنهم بدلوا كل ما يزينك شيئاً

وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم الرجال علينا

فقال عبد الملك: يغفر الله لك يا كثير، فأين الإخوان غير أني أقول:

صديقك حين تستغني كثير وما لك عند فقرك من صديق

فلا تنكر على أحد إذا ما طوى عنك الزيارة عن ضيق

وكنت إذا الصديق أراد غيظي على حنق وأشرقني بريقي

غفرت له ذنوبه وصفحت عنه مخافة أن أكون بلا صديق

وكان كثير قد عشق عزة بنت حميد بن وقاص، وهي من بني ضمرة، وتشبب بها، وكانت حلوة مليحة، وكان ابتداء عشقه لها ما روى الزبير بن بكار، عن عبد الله بن إبراهيم السعدي، قال: حدَّثني إبراهيم بن يعقوب بن جميع: أنه كان أمر كثير أنه مر بنسوة من بني ضمرة ومعه غنم، فأرسلن له عزة وهي صغيرة، فقالت: تقول لك النسوة: بعنا كبشاً من هذا الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع، فأعطاه كبشاً فأعجبته حينئذ، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه، فقال: أين الصبية التي اخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها، هذه دراهمك، قال: لا أخذ دراهمي إلا ممن دفعت إليه، وقال:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنّى غريمها

وفي رواية أنه أنشدهن:

نظرت إلها نظرة وهي عاتق على حين أن شبت وبان نهودها

نظرت إليها نظرة ما يسرني بها حمر أنعام البلاد وسودها

وكنت إذا ما جئت سعداً بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيده

من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

ثم أحبته عزة أشد من حبه إياها، ودخلت يوماً وهو يبري السهام فحدثته وهو يبري فبرى ذراعه وسال الدم وهو لا يعلم.

وقد حكي عنه أنه لم يكن بالصادق في محبته. وروينا أن عزة تنكرت له فتبعها وقال: يا سيدتي قفي أكلمك، قالت وهل تركت

عزة بقية فيك لأحد؟ فقال: لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك، فقالت فكيف بما قلت في عزة؟ قال: أقلبه لك، فسفرت عن وجهها وقالت: أغدراً يا فاسق، ومضت، فقال:

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي | من السم جدحات بماء الذرارح

فمت ولم تعلم عليّ خيانة | وكم طالب للربح ليس برابح

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى، عن الزبير بن بكار، قال: كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقول حدَّثني أبو المتيع قال: خرج كثير يلتمس عزة ومعه شنينة ماء فأخذه العطش فتناول الشنينة فإذا هي غطم ما فيها شيء من الماء، فرفعت له نار فأمها، فإذا بقربها مظلة بفنائها عجوز، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا كثير، قالت: قد كنت أتمنى ملاقاتك فالحمد لله الذي أرانيك، قال: وما الذي تلتمسينه عندي؟ قالت: الست القائل:

إذا ما أتينا خلة كي تزيلها | أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا | ونحن لتلك الحاجبية أوصل

قال: بلى، قالت: أفلا قلت كما قال سيدك جميل:

يا رب عارضة علي وصالها | بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها في القول بعد تأمل | حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي مقدار قلامة | فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي

قال: دعي هذا واسقني ماء، قالت: والله لا سقيتك شيئاً، قال: ويحك إن العطش قد أضر بي، قالت: ثكلت بثينة إن طعمت عندي قطرة ماء، فكان جهده أن ركضت راحلته ومضى يطلب الماء، فما بلغه حتى أضحى النهار وقد أجهده العطش.

قال أبو بكر بن الأنباري: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا أبو عكرمة وأحمد بن عبيدة، قالا: لما أتى يزيد بن عبد الملك بأسرى بني المهلب أمر بضرب أعناقهم، فكان كثير حاضراً، فقام وأنشأ يقول:

فعفو أمير المؤمنين وحسبه | فما يحتسب من صالح لك أن يكتب

أساءوا فإن تغفر فإنك قادر | وأفضل حلم حسبه حلم مغضب

فقال يزيد: ما كثير أطت بك الرحم قد وهبناهم لك، وأمر برفع القتل عنهم.

قال أبو بكر: أطت: حنت.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا علي بن المحسن التنوخي، قال: أخبرنا علي بن عيسى الرماني، قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد، قال: أخبرنا عبد الله الأول بن مزيد، قال: أخبرني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: خرج كثير يريد عبد العزيز بن مروان فأكرمه ورفع مترلته وأحسن جائزته وقال: سلني ما شئت من الحوائج، قال: نعم أحب أن تنظر لي

من يعرف قبر عزة فيقفني عليه، فقال رجل من القوم: إني لعارف به، فانطلق به الرجل حتى انتهى إلى قبرها، فوضع يده عليه وعيناه تجريان وهو يقول:

وقفت على ربع لعزة ناقتي | وفي الترب رشاش من الدمع يسفح
فيا عز أنت البدر قد حال دونه | رجيع تراب والصفيح المصرح
وقد كنت أبكي من فراقك خيفة | فهذا لعمري اليوم إياي أنزح
فهلا فداك الموت من أنت قربه | ومن هو أسوا منك حالاً وأقبح
ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة | بشيء ولا ملحاً لمن يتملح
فلازال وادي رمس عزة سائلاً | به نعمة من رحمة الله تسفح

أرب لعيني البكا كل ليلة | فقد كان مجرى دمع عيني يقرح
إذا لم يكن ماء تجلتنا دماً | وشر البكاء المستعار الممنح

ومن شعر كثير:

خليلي هذا رسم عزة فاعقلا | قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا | ولا مرجفات الحزن حتى تولت
فقلت لها يا عزّ كل مصيبة | إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها | وحلت بلاغاً لم تكن قبل حلت
ووالله ما قاربت إلا تباعدت | بصرم ولا أكثرت إلا أقلت
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة | لدنيا ولا مولية إن تقلت
فلا يحسب الواشون أن صبابتي | بعزة كانت غمرة فتجلت
وكنا ارتقينا من صعود من الهوى | فلما علوناه ثبت وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا | فلما توافينا شددت وحلت
وللعين أسراب إذا ما ذكرتها | وللقلب أسرار إذا العين سلت

توفي كثير وعكرمة في هذه السنة في يوم واحد، فصلي عليهما في مكان واحد بعد الظهر، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس، وكان كثير يقول عند موته لأهله: لا تبكوا عليّ فإني بعد أربعين يوماً أرجع.

يزيد بن عبد الملك بن مروان توفي بالبلقاء من أرض الشام وهو ابن ثمان وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين، وكانت وفاته يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان هذه السنة، وصلى عليه نساء الوليد، وكان هشام بن عبد الملك يومئذ بحمص، وكانت خلافته أربع سنين وشهراً.

وكان سبب موته أنه كانت له جارية اسمها حبابة، وكان يحبها حباً شديداً، فماتت فتغير وبقي أياماً لا يظهر للناس، ثم مات.
وروى أبو بكر بن دريد، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، قال: حج يزيد بن عبد الملك في خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك، فعرضت عليه جارية مغنية جميلة، فأعجب بها غاية الإعجاب فاشتراها بأربعة آلاف دينار، وكان اسمها الغالية فسماها حبابة، وكان يهواها الحارث بن خالد المخزومي، فقال لما بلغه خروج يزيد بها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق ... وغدا بليل مطلع الشرق

وبلغ سليمان خبرها فقال: لهممت أن أحجر على يزيد يبتاع جارية بأربعة آلاف دينار، وكان يزيد يهابه ويتقيه، فتأدى إليه قوله فردها إلى مولاها واسترجع منه المال، وباعها مولاها م رجل من أهل مصر بهذا الثمن، ومكث يزيد آسفاً متحسراً عليها، فلم تمض إلا مديدة حتى تقلد يزيد الأمر.
فينا هو في بعض الأيام مع امرأته سعدى بنت عمرو بن عثمان إذا قالت له: بقي في قلبك شيء من أمور الدنيا لم تنله؟ قال: نعم حبابة، فأمسكت حتى إذا كان من الغد أرسلت بعض ثقاتها إلى مصر، ودفعت إليه مالاً وأمرته بابتياع حبابة، فمضى فما كان بأسرع من أن ورد وهي معه قد اشتراها، فأمرت سعدى قيمة جواريها أن تصنعها، وكستها من أحسن الثياب، وصاغت لها من أفخر الحليّ، ثم قالت لها: أمير المؤمنين متحسر عليك وله اشتريتك، فسرت ودعت لها، ولبثت أياماً تصنعها تلك القيمة حتى إذا ذهب عنها وعث السفر قالت سعدى ليزيد: إني أحب أن تمضي معي إلى بستانك بالغوطة لنتنزه فيه، قال: أفعل فتقدميني، فمضت وضربت فيه قبة وشي ونجدتها بالفرش وجعلت داخلها كله قصب وأجلست فيه حبابة، وجاء يزيد فأكلوا وجلسوا على شرابهم، فأعادت سعدى عليه: هل بقي في قلبك من الدنيا شيء لم تبلغه؟ قال: نعم حبابة، قالت: قد اشتريت جارية ذكرت أنها علمتها غناءها كله، فهي تغني مثلها فتنشط لاستماعها، قال: أي والله، فجاءت به إلى القبة وجلسا قدامها وقالت: غني يا جارية، فغنت الصوت الذي غنته ليزيد لما اشترها هو من شعر كثير:

وبين التراقي والفؤاد حرارة ... مكان الشجى لا تستقل فتبرد

قال يزيد: حبابة والله، قالت سعدى: حبابة، والله لك اشتريتها وقد أهديتها لك فسر سروراً عظيماً وشكرها غاية الشكر وانصرفت وتركته مع حبابة، فلما كان بالعشي صعد معها إلى مستشرف في البستان وقال لها: غني

وبين التراقي والفؤاد حرارة ... مكان الشجي لا تستقل فتبرد

فغنته فأهوى ليرمي بنفسه وقال: أطير والله، فتعلقت به وقالت له: الله الله يا أمير المؤمنين، فأقام معها ثلاثة أيام ثم انصرفا، فأقامت أياماً ثم مرضت وماتت فحزن عليها حزناً شديداً وامتنع عن الطعام والشراب ومرض فمات.
أخبرنا ابن المبارك بن علي، قال: أخبرنا ابن العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا احمد بن إبراهيم، قال: أخبرنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا علي بن الإعرابي، قال: حدَّثنا علي بن عمروس.
أن يزيد بن عبد الملك دخل يوماً بعد موت حبابة إلى خزائنها ومقاصيرها، فطاف فيها ومعه جارية من جواريها، فتمثلت الجارية بهذا البيت:

كفى حزناً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

فصاح صيحة وخر مغشياً عليه فلم يفق إلى أن مضى من الليل هوي فلم يزل بقية ليلته باكياً، فلما كان اليوم الثاني وقد انفرد في بيت يبكي عليها جاءوا إليه فوجدوه ميتاً.

أخبرنا شهدة بنت أحمد الكاتبة، قالت أخبرنا ابن السراج بإسناده عن موسى بن جعفر: أن يزيد بن عبد الملك بينا هو مع حبابة أسر الناس بها حذفها بحبة رمان أو بعنبة وهي تضحك، فوقعت في فيها فشرقت فماتت، فأقامت عنده في البيت حتى جيفت أو كادت أن تجيف، ثم خرج فدفنها وأقام أياماً ثم خرج حتى وقف على قبرها وقال:

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا فبالنفس أسلو عنك لا بالتجلدا

ثم رجع عما خرج من مترله حتى خرج نعشه.

وقال يحيى بن أسقوط الكندي: ماتت حبابة فأحزنت يزيد بن عبد الملك، فخرج في جنازتها فلم تقله رجلاه، فأقام وأمر مسلمة فصلى عليها ثم لم يلبث بعدها إلا يسيرا حتى مات.

ثم دخلت سنة ست ومائة

فمن الحوادث فها: إن هشاماً عزل عبد الواحد النضري عن مكة والمدينة والطائف، وولى ذلك خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت في جمادي الآخرة، وكانت ولاية النضري على المدينة سنة وثمانية أشهر.

وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة، وغزا الحجاج بن عبد الملك اللاّن، فصالح أهلها وأدوا الجزية.

وفيها: قدم خالد بن عبد الله القسري أميراً على العراق بعد خراسان، فاستعمل أخاه لبيد بن عبد الله على خراسان.

وفيها : غزا مسلم بن سعيد الترك، فورد عليه عزله عن خراسان من خالد وقد قطع النهر لحربهم. وتولية أسد بن عبد الله أخي خالد عليها.

وفيها: استقصى هشام بن إبراهيم بن هشام الجمحي، ثم عزله واستقصى الصلت الكندي.

وفيها: ولد عبد الصمد بن علي في رجب.

وفيها: حج بالناس هشام بن عبد الملك، وكتب إلى أبي الزناد قبل أن يدخل المدينة: أكتب إليّ بسنن الحج، فكتباه له وتلقاه، فلما صلى هشا م في الحجر كلمه إبراهيم بن طلحة، فقال له : أسألك بالله وحرمة هذا البيت والبلد الذي خرجت معظماً لحقه إلا رددت علي ظلامتي، قال: وأي ظلامة؟ قال: داري، قال: فأين كنت عن عبد الملك؟ قال: ظلمني والله، قال: فعن الوليد؟ قال: ظلمني والله، قال: فعن سليمان؟ قال: ظلمني والله، قال: فعن عمر؟ قال: يرحمه الله ردها والله علي، قال: فعن يزيد؟ قال: ظلمني والله، هو قبضها من بعد قبضي لها، وهي في يديك، قال: والله لو كان فيك ضرب لضربت، فقال: فيّ والله ضرب بالسيف والسوط، فقال: هشام هذه قريش وألسنتها ولا يزال الناس بقايا ما رأيت مثل هذا.

ولما دخل هشام المدينة صلى على سالم بن عبد الله، فرأى كثرة الناس فضرب عليهم بعث أربعة آلاف، فسمي عام الأربعة آلاف.

وكان العامل على مكة والمدينة الطائف إبراهيم بن هشام، وعلى العراق وخراسان خالد القسري، واستعمل على صلاة البصرة

عقبة بن عبد الأعلى، وعلى الشرطة مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس، وعلى خراسان أخاه أسد بن عبد الله.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عمر: روى عن أبيه، وأبي أيوب، وأبي هريرة، وكان فقيهاً عابداً جواداً صالحاً، وكان أشبه أولاد أبيه به، وكان أبوه شديد المحبة له فإذا ليم على ذلك أنشد:

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم

أخبرنا المبارك بن علي، قال: أخبرنا شجاع بن فارس، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا ابن أخي ميمي، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثني يحيى بن أبي بكير، قال: حدَّثنا هودة بن عبد العزيز، قال: زحم سالم بن عبد الله رجل فقال له سالم: بعض هذا رحمك الله، فقال له الرجل: ما أراك إلا رجل سوء، فقال سالم: ما أحسبك أبعدت.

أخبرنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدَّثنا أبي، قال: حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا أحمد بن سعيد، قال: حدَّثنا ابن وهب، قال: حدَّثني حنظلة، قال: رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يخرج إلى السوق فيشتري حوائج نفسه.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد بإسناد له عن أشهب بن مالك، قال: لم يكن أحد زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد في العيش منه، كان يلبس بدرهمين، وقال له سليمان بن عبد الملك ورآه حسن السجية: أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت وإذا وجدت اللحم أكلته، فقال: أو تشتهيه، قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنبأنا أبو طاهر بن أبي الصقر، قال: أخبرنا هبة الله بن إبراهيم الصواف، قال: أخبرنا الحسن بن إسماعيل الضراب، قال: أخبرنا أحمد بن مروان، قال: أخبرنا عمير بن مرداس، قال: حدَّثنا الحميدي، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة، فقال له: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيت الله غيره، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة، فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا، فقال له: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها.

توفي سالم بالمدينة في آخر ذي الحجة من هذه السنة، وصلى عليه هشام بن عبد الملك مقدمه المدينة ودفن بالبقيع.

طاوس بن كيسان اليماني ويكنى أبا عبد الرحمن، مولى لهمذان: حج أربعين حجة، وجالس سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو بكر العامري، قال: أخبرنا علي بن الصادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، قال: حدَّثنا عبد الواحد بن بكر، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدَّثنا أحمد بن روح، قال: حدَّثنا أحمد بن حامد، قال: حدَّثنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه قال: صلى وهب بن منبه وطاووس اليماني الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي بإسناده عن أبي بكر بن عبيد، قال: حدَّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق ين داود بن إبراهيم: أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج، فدق الناس بعضهم بعضاً، فلما كان السحر ذهب عنهم، فترل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم فناموا، وقام طاووس يصلي، فقال له ابنه: ألا تنام فقد نصبت الليلة؟ فقال طاووس ومن ينام السحر.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أخبرنا أبو علي التميمي، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا عبد الرزاق، وقال: قدم طاووس مكة فقدم أمير فقيل له: إن من فضله، ومن، ومن، فلو أتيته، قال: ما إليه من حاجة، قالوا: إنا نخافه عليك، قال: فما هو كما تقولون.

العابد اليمني: أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: أخبرنا الحسين بن صوفان، قال: أخبرنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدَّثني أبو حاتم الرازي، قال: حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عياض القرشي، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن كامل القرقساني، قال: حدَّثنا علوان بن داود، عن علي بن زيد، قال: طاووس:

بينا أنا بمكة بعث إلي الحجاج فأجلسني إلى جنبه وأتكأني على وسادة إذ سمع ملبياً يلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية، فقال: عليّ بالرجل، فأتي به، فقال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين، قال: ليس عن الإسلام سألتك، قال: فعم سألت؟ قال: سألتك عن البلد، قال: من أهل اليمن، قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ -يريد أخاه- قال: تركته عظيماً وسيماً لباسا ركاباً خراجاً ولاجاً، قال: ليس عن هذا سألتك، قال: فعم سألت؟ قال: سألتك عن سيرته، قال: تركته ظلوماً غشوماً، مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق، فقال الحجاج: ما حملك على أن تتكلم بهذا الكلام وأنت لا تعرف مكانه مني؟ قال الرجل: أتراه بمكانة منك أعز مني بكاني من الله عز وجل وأنا وافد بيته ومصدق نبيه وقاضي دينه، قال: فسكت الحجاج فما أجاب جواباً، فقام الرجل م غير أن يؤذن له فانصرف.

قال طاووس: فقمت في أثره وقلت: الرجل حكيم، فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك، والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين وغنى عما في أيدي المستأثرين، اللهم فرجك القريب، ومعروفك القديم وعادتك الحسنة. ثم ذهب الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي وصلاتي ونصبي فلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول، ثم ذهب الناس فرأيته غداة جمع يقول: واسوءتاه منك والله وإن عفوت. يردد ذلك.

ثم دخلت سنة سبع ومائة

فمن الحوادث بها غزوة معاوية بن هشام الصائفة وكان على جيش الشام ميمون بن مهران، فقطعوا البحر حتى عبروا إلى قبرص وخرج معهم البعث الذي كان هشام أمر به في حجته، وغزا البر مسلمة بن عبد الملك.

وفيها: خرج عباد الرعيني باليمن، فقتله يوسف بن عمر، وقتل أصحابه كلهم، وكانوا ثلاثمائة.

وفيها: وقع طاعون شديد بالشام.

وفيها: وجه باكير بن ماهان جماعة إلى خراسان يدعون لخلافة بني هاشم، وكانوا قد دعوا بكير بن ماهان إلى ذلك فرضي فأنفق عليهم مالاً كثيراً، ودخل إلى محمد بن علي، فلما أنفذ دعاته إلى خراسان وشى بهم إلى أسد بن عبد الله فقطع أيدي من ظفر بهم وأرجلهم، وصلبهم، فكتب ذلك بكير إلى محمد.

وقيل: أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن عبد الله، بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فقال له: ادع الناس إلينا، وانزل في اليمن وألطف مضر، فقدم ودعا الناس إلى بني العباس، وذكر سيرة بني مروان وظلمهم، وجعل يطعم الناس الطعام، وكان في جماعة فقتلهم أسد بن عبد الله.

وفي هذه السنة: غزا أسد بن عبد الله جبال نمرون فصالحه الملك وأسلم على يديه، وغزا أيضاً جبال هراة، وولى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك.

وفيها: حج بالناس إبراهيم بن هشام، وكان عمال الأمصار الذين ذكرناهم في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إسماعيل بن عبيد، مولى عمرو بن حزم الأنصاري: حدث عمر وابن عباس. كان يسكن في إفريقية، وله عبادة وفضل، غرق في بحر الروم في هذه السنة.

قال عبيد الله بن المغيرة: قلت لسعيد بن المسيب: إن عندنا رجلاً يقال له إسماعيل بن عبيد من العباد، إذا سمعنا نذكر شعراً صاح علينا، فقال ابن المسيب: ذاك رجل نسك نسك العجم.

أسود بن كلثوم: أخبرنا محمد بن الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد عبد الله، قال: حدَّثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية، قال: أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال:

كان رجل منا يقال له الأسود بن كلثوم، كان إذا مشى لا يجاوز بصره قدميه، وكان يمر بالنسوة وفي الخدر يومئذ قصر، ولعل إحداهن أن تكون واضعة ثوبها أو أخمارها فإذا رأينه راعهن ثم يقلن: كلا إنه الأسود بن كلثوم، فلما قرب غازياً قال: اللهم نفسي هذه تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك فإن كانت صادقة فارزقها ذلك. وإن كانت كاذبة فاحملها عليه فإن كرهت فأطعم لحمي سباعاً وطيراً، فانطلق في خيل فدخلوا حائطاً فندر بهم العدو، فجاءوا بثلمة الحائط، فنزل الأسود عن فرسه فضربها حتى غذت، فخرج ثم أتى الماء فتوضأ وصلى، قال: يقول العجم: هكذا استسلم العرب إذا استسلموا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. قال: فمر عظيم الجيش بعد ذلك بذلك الحائط فقيل لأخيه: لو دخلت فنظرت ما بقي من عظام أخيك ولحمه، قال: لا، دعا أخي بدعاء فاستجيب له، فلست أعرض في شيء من ذلك.

بكير بن عبد الله بن الآشج، مولى لبني زهرة، مديني: روى عنه الليث بن سعد وغيره، توفي في هذه السنة.

حميد بن هلال، أبو نصر العدوي. أسند عن عبد الله بن مغفل، وأنس وغيرهما، وكان من الفقهاء، كان قتادة يقول: ما بالمصريين أعلى من حميد.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا الدروقي، قال: حدَّثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدَّثنا سليمان بن عبد المغيرة، عن حميد بن هلال، قال: ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة فصور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم وحلي حلاهم ورأى أزواجه وخدمه ومساكنه في الجنة يأخذه سوار فرح، فلو كان ينبغي أن يموت مات فرحاً، فيقال له: أرأيت سوار فرحتك هذه فإنها قائمة لك أبداً.

حسان عن علي عمران بن حصين روى عنه قتادة وهو من بني عدي بن زيد بن مناة بن أد بن طابخة، وكذلك حميد بن هلال الذي ذكرناه قبله من بني عدي بن زيد، وكذلك عمر بن حبيب القاضي العدوي. ولي القضاء للرشيد، وكذلك محمد بن عمرو، وأبو غسان العدوي، ويلقب زينجا أخرج عنه البخاري ومسلم.

وثم من يقال له العدوي ينسب إلى عدي الأنصار، منهم حارثة بن سراقة وحسان بن ثابت. وهما من عدي بن النجار.

وقد يقال العدوي وينسب إلى عدي بن كعب بن لؤي، وهم رهط عمر بن الخطاب وقبيلته.

ويقال العدوي وينسب إلى العدوية وهي أمهم من بني عدي بن الرباب؛ منهم زيد بن مرة أبو المعلى البصري، روى عن الحسن.

ويقال: العدوي منسوباً إلى عدي خزاعة؛ منهم حبشية العدوية زوجة سفيان بن معمر البياضي من مهاجرة الحبشة.

كان أبو السواد من العلماء الحلماء الحكماء الزهاد الثقات، سبه رجل وهو يمشي ساكتاً، فلما دخل مترله قال للرجل: حسبك إن شئت.

وقال هشام: كان أبو السوار يعرض له الرجل فيشتمه فيقول: إن كنت كما قلت إني إذا لرجل سوء.

سلمان بن يسار أبو أيوب مولى ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم: توفي في هذه السنة، وقيل: سنة ثلاثمائة وله ثلاث وسبعون سنة.

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة مسلم بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية ففتحها الله على يديه.

وفيها: غزا إبراهيم بن هشام ففتح حصناً من حصون الروم.

وفيها: وقع حريق بدابق حتى احترق الرجال والدواب.

وفيها: حج بالناس إبراهيم بن هشام وهو الأمير على مكة والمدينة والطائف.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بكر بن عبد الله المزني: أسند عن ابن عمر، وجابر، وأنس وغيرهم. وكان فقيهاً ثقة حجة عابداً شديد الخوف من الله عز وجل. وقف بعرفة فرق فقال: لو لا أني فيهم لقلت قد غفر لهم. وكان يلبس الثياب الحسان، وكانت قيمة كسوته أربعة آلاف درهم، فاشترى طيلساناً بأربعمائة درهم. وكان يقال: الحسن شيخ البصرة، وبكر فتاها.

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري بإسناد له عن غالب القطان، عن بكر بن عبد الله المزني قال: أحوج الناس إلى لطمة من دعي إلى وليمة فذهب معه بآخر، وأحوج الناس إلى لطمتين رجل دخل إلى دار قوم فقيل له اجلس ها هنا فقال لا بل ها هنا، وأحوج الناس إلى ثلاث لطمات رجل قدم إليه طعام، فقال: لا آكل حتى يجلس معي رب البيت.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن بشران، قال: أخبرنا صفوان قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثني يحيى بن بسطام، قال: حدَّثني مسمع بن عاصم، قال: حدَّثني رجل من آل

عاصم الجحدري، قال: رأيت عاصماً الحجدري بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى. قال: قلت: أرواحكم وأجسامكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأوراح.

توفي بكر في هذه السنة بالبصرة.

عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه روى عن أبيه أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: أخبرنا أبو أيوب الجلاب، قال: حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: حدَّثنا مصعب بن عبد الله الزبيري، عن مصعب بن عثمان، قال: كان عبد الرحمن بن أبان يشتري أهل البيت ثم يأمر بهم فيكسون ويذهبون، ثم يعرضون عليه فيقول: أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمرات الموت. قال: فمات وهو قائم في مسجده، يعني في السبخة.

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد: كان ديناً، أمه أم ولد، روى عن أبي هريرة، وابن عباس، وعائشة.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن سنان، قال: أخبرنا أبو العباس السراج، قال: حدَّثنا حاتم بن الليث، قال: حدَّثنا ابن نمير، قال: حدَّثنا يونس بن بكير، قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق، قال: جاء أعرابي على القاسم بن محمد، فقال: أنت أعلم أو سالم؟ قال: ذاك منزل سالم، فلم يزد عليها حتى قام الأعرابي، قال ابن إسحاق: كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: حدَّثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدَّثنا سليمان بن حرب، قال: حدَّثنا وهيب، عن أيوب، قال: ما رأيت رجلاً أفضل من القاسم، ولقد ترك مائة ألف وهي له حلال.

قال يعقوب: و حدَّثنا محمد بن أبي زكريا بن وهب، قال: حدَّثني مالك أن عمر بن عبد العزيز قال: لو كان إلي من الأمر شيء لوليت القاسم للخلافة.

عن محمد، قال: حدَّثنا الحميدي، عن سفيان قال: اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقة قسمها. قال: وهو يصلي، فجعلوا يتكلمون، فقال ابنه: إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهماً ولا دانقاً، قال: فأوجز القاسم ثم قال: يا بني قل فما علمت. قال سفيان: صدق ابنه ولكنه أراد تأديبه في النطق وحفظه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن سليمان، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدَّثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثنا الوليد بن شجاع، قال: حدَّثنا ضمرة، عن رجاء بن أبي سلمة، قال: مات القاسم بن محمد بين مكة المدينة حاجاً أو معتمراً، فقال لابنه: شن علي التراب شناً، وسو على قبري والحق بأهلك، وإياك أن تقول كان وكان توفي القاسم في هذه السنة بعد أن كف بصره بنحو ثلاث سنين، وقد عبر السبعين محمد بن كعب، أبو حمزة القرظي أخبرنا علي بن إبراهيم، قال: أخبرنا رزق الله بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدَّثنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني سلمة بن شبيب، عن زهير بن عباد، قال: حدَّثني أبو كثير البصري، قال: قالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد: يا بني لولا أني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك في

الليل والنهار، فقال: يا أمتاه وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال: اذهب لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى أنه لينقضي الليل و لم أفرغ من حاجتي.

كان محمد بن كعب يقص بالمدينة فسقط عليه مسجده وعلى جميع من كان معه فقتلهم، وذلك في هذه السنة.

موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ولد بالسراة سنة إحدى وثمانين، وتوفي ببلاد الروم غازياً في هذه السنة عن سبع وعشرين سنة مورق بن المشمرج، أبو بكر العجلي البصري عابد زاهد، روى عن ابن عمر، وأنس وغيرهما. وكان يقول: أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه أبداً، قيل: وما هو؟ قال: الصمت عما لا يعنيني، وما قلت في الغضب شيئاً قط فندمت عليه في الرضى.

وكان يدخل على بعض إخوانه فيضع عندهم الدراهم فيقول: امسكوها حتى أعود إليكم، فإذا خرج قال: أنتم في حل منها.

نصيب بن رباح وقيل أبو محيجن الشاعر، مولى عبد العزيز بن مروان: وكان أسود شديد السواد، جيد الشعر، عفيف الفرج، كريماً يفضل بماله وطعامه، وكان أهل البادية يدعونه النصيب تفخماً لما يرون من جودة شعره، و لم يهج أحداً تديناً، وكان في أول أمره عبداً لبني كعب راعياً لهم، فباعوه من قلاص بن محرز الكناني وكان يرعى إبله.

وزعم أبن الكلبي أن نصيباً من بني الحاف بن قضاعة، وكانت أمه أمة فوثب عليها سيدها فجاءت بنصيب، فوثب عليه عمه فباعه من رجل، فاشتراه عبد العزيز بن مروان من الرجل.

وقال غيره: إنما كان يتولع بالشعر، فلما جاء قوله استأذن مولاه في إتيان بني مروان فلم يأذن له، فهرب على ناقة بالليل ودخل على عبد العزيز بن مروان فمدحه، فقال: حاجتك، قال: أنا مملوك، فقال: للحاجب: اخرج فأبلغ في قيمته، فجمع له المقومين فقال: قوموا غلا ماً أسود ليس به عيب، قالوا: مائة دينار، قال: أنه راعي إبل يبصرها ويحسن القيام عليها، قالوا: مائتا دينار، قال: إنه يبري النبل ويريشها ويبري القسي، قالوا: أربعمائة دينار، قالوا إنه راوية للشعر، قالوا: ستمائة دينار، قال: أعطوه ألف دينار، فعاد فاشترى أمه وأخته وأهله وأعتقهم.

وقد مدح عبد العزيز بن مروان وأخاه عبد الملك بن مروان وأولاده وعمر بن عبد العزيز، وحصل منهم مالاً كثيراً.

وقال أيوب بن عباية: بلغني أن النصيب كان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أمية، فإذا أنشده بكى وبكى معه، فأنشده يوماً قصيدة مدحه بها يقول فيها:

إذا سبق الناس العلا سبقتهم ... يمينك عفواً ثم ضلت شمالها

فقال له هشام: يا أسود بلغت غاية المدح فسلني، فقال: يدك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسألتك، فقال: هذا والله أحسن من الشعر. وأحسن جائزته.

ومن شعر نصيب يمدح نفسه:

ليس السواد بناقصي ما دام لي ... هذا اللسان إلى فؤاد ثابت

من كان ترفعه منابت أصله ... فبيوت أشعاري جعلن منابتي

كم بين أسود ناطق ببيانه		ماضي الجنان وبين أبيض صامت

أني ليحسدني الرفيع بناؤه		من فضل ذاك وليس بي من شامت

وكان نصيب قد تشبب بزينب، والمشهور عنها أهّا كانت بيضاء مستحسنة. وقد روي أيضاً أهّا كانت سوداء.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أنبأنا أبو الحسن الزينبي، قال: حدَّثنا محمد بن خلف، قال: حدَّثنا عبد الله بن عمرو، وأحمد بن حرب، قالا: حدَّثنا الزبير بن بكار، قال: حدَّثني محمد بن المؤمل بن طالوت، قال: حدَّثني أبي، عن الضحاك بن عثمان الحزامي، قال: خرجت في آخر الحج فترلت بالأبواء على امرأة فأعجبني ما رأيت من حسنها وأطربني، فتمثلت قول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب		وقل إن تمليناً فما ملك القلب

خليلي من كعب إلى ما هديتما		بزينب لا يقعدكما أبداً كعب

وقولا لها ما في العباد لذي الهوى		بعاد وما فيه لصدع النوى شعب

فمن شاء رام أو قال ظالماً		لصاحبه ذنب وليس له ذنب

فلما سمعتني أتمثل بهذه الأبيات قالت لي: يا فتى العرب، أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: نعم ذاك نصيب، قالت: نعم هو ذاك، فتعرف زينب؟ قالت: لا ، قالت: والله أنا زينب، قلت: فحياك الله، قالت: أما إن اليوم موعده من عند أمير المؤمنين، خرج إليه عام أول ووعدني هذا اليوم، ولعلك لا تبرح حتى تراه، قال: فما برحت من مجلسي حتى إذا أنا بركب يزول مع السراب، فقالت: ترى خبب ذلك الفارس– أو ذاك الركب– إني لأحسبه إياه، قال: واقبل الركب فأمنا حتى أناخ قريباً من الخيمة، فإذا هو نصيب، ثم ثنى رجله عن راحلته فترل ثم أقبل فسلم علي وجلس منها ناحية وسلم عليها وساءلها وساءلته فأحفيا ثم أهّا سألته أن ينشدها ما أحدث من الشعر بعدها، فجعل ينشدها، فقلت في نفسي: عاشقان أطالا التنائي لا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة، فقمت إلى راحلتي أشد عليها، فقال لي على رسلك أنا معك، فجلست حتى نهض ونهضت معه، فتسايرنا ساعة ثم التفت وقال: قلت في نفسك: محبان التقيا بعد طول تناء لا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة؟ قلت: نعم قد كان ذلك، قال فلا ورب هذه البنية التي إليها نعمد، ما جلست منها مجلساً قط أقرب من مجلسي الذي رأيت ولا كان شيء مكروه قط.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا ابن حيوية، قال: حدَّثنا محمد بن خلف، قال: حدَّثنا محمد بن معاذ، عن إسحاق بن إبراهيم، قال: حدَّثني رجل من قريش عمن حدثه قال: كنت حاجاً ومعي رجل من القافلة لا أعرفه و لم أره قبل ذلك ومعه هوادج وأثقال وصبية وعبيد ومتاع، فترلنا مترلاً، فإذا فرش ممهدة وبسط قد بسطت، فخرج من أعظمها هودج امرأة زنجية فجلست على تلك الفرش الممهدة، ثم جاء زنجي إلى جنبها على الفراش فبقيت متعجباً منهما، فبينا أنا أنظر إليهما إذ مر بنا مار وهو يقود إبلاً، فجعل يتغنى ويقول:

بزينب ألمم أن يرحل الركب		وقل إن تمليناً عما ملك القلب

قال: فوثبت الزنجية إلى الزنجي فخبطته وضربته وهي تقول: شهرتي في الناس شهرك الله، فقلت من هذا؟ قالوا: نصيب الشاعر وهذه زينب.

قال محمد بن خلف: وحدثني أبو بكر بن شداد، قال: حدَّثني أبو عبد الله بن أبي بكر، قال: حدَّثني إبراهيم بن زيد بن عبد الله السعدي، قال: حدَّثتني جدتي، عن أبيها، عن جدها، قالت: رأيت رجلاً أسوداً ومعه امرأة بيضاء، فجعلت أتعجب من سواده وبياضها، فدنوت منه، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا الذي أقول:

ألا ليت شعري ما الذي تحدثين لي ... إذا ما غدا النأي المفرق والبعد

أتصرمني عن الألى فهم العدا ... فتشمتهم بي أم تدوم على العهد

قال: فصاحت: بلى والله تدوم على العهد، فسألت عنها فقيل: هذا نصيب وهذا أم بكر.

قال ابن خلف: وأخبرني جعفر اليشكري، قال: حدَّثني الرياشي، قال: أخبرني العتبي، قال: دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له: هل عشقت يا نصيب؟ قال: نعم جعلني الله فداك، قال: من؟ قال: جارية لبني مدلج فأحدق بها الواشون فكنت لا أقدر على كلامها إلا بعين أو إشارة، أجلس لها على الطريق حتى تمر بي فأراها، وفي ذلك أقول:

جلست لها كيما تمر لعلني ... أخالسها التسليم إن لم تسلم

فلما رأتني والوشاة تحدرت ... مدامعها خوفاً ولم تتكلم

مساكين أهل العشق ما كنت مشتر ... جميع حياة العاشقين بدرهم

فقال عبد العزيز: ويحك، وماذا فعلت المدلجية؟ قال: اشتريت وأولدت، قال: فهل في قلبك منها شيء؟ قال: عقابيل أوجاع.

قال ابن خلف: وأخبرني نوفل بن محمد المهلبي، عن محمد بن سلام، قال: دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك، فقال: حدَّثني ببعض ما مر عليك، فقال: يا أمير المؤمنين علقت جارية حمراء -يعني بيضاء- فمكثت زماناً تمنيني بالأباطيل، فأرسلت إليها هذه الأبيات:

فإن أكو حالكاً فالمسك أحوى ... وما لسواد جلدي من دواء

ولي كرم عن الفحشاء ناء ... كبعد الأرض من جو السماء

ومثلي في رجالكم قليل ... ومثلك ليس يعدم من النساء

فإن ترضي فردي قول راض ... وإن تنأي فنحن على السواء

فلما قرأت الكتاب قالت: المال والعقل يعفيان على غيرهما فزوجتني نفسها.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا محفوظ بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجارزي، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى، قال: حدَّثنا الزبير، قال: حدَّثنا أحمد بن عبد الله، عن معاذ صاحب الهروي، قال: دخلت مسجد الكوفة فرأيت رجلاً لم أر قط أنقى ثياباً منه، ولا أشد سواداً، فقلت له: من أنت؟ قال: نصيب، فقلت: أخبرني عنك وعن أصحابك، فقال: جميل إمامنا، وعمر أوصفنا لربات الحجال، وكثير أبكانا على الأطلال والدمن، وقد قلت ما سمعت، قلت: فإن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو، فقال: فأقروا لي أني أحسن أن أحمد؟

قلت: نعم، قال: فترى ألا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله؟ بلى، قلت: ولكني رأيت الناس رجلين، رجلاً لم أسأله فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، ورجلاً سألته فمنعني فكانت نفسي أحق بالهجاء إذ سولت لي أن أطلب منه.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر: قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أنبأنا أبو عمر بن حيوية، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق المكي، قال: حدَّثنا الزبير بن بكار قال: حدَّثني عمي، قال: حدَّثني أيوب بن عباية، قال: حدَّثني خلف بن نوفل بن عبد مناف، قال: لما أصاب نصيب من المال ما أصاب، وكانت عنده أم محجن -وكانت سوداء- تزوج امرأة بيضاء فغضبت أم محجن، وغارت، فقال يا أم محجن والله ما مثلي يغار عليه أني لشيخ كبير وما مثلك من يغار لأنك عجوز كبيرة، وما أجد أكرم علي منك ولا أوجب حقاً فجوزي هذا الأمر ولا تكدريه علي، فرضيت وقرت، ثم قال لها بعد ذلك: هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة فهو أصلح لذات البين وألم للشعث وأبعد للشماتة، فقالت: افعل فأعطاها ديناراً وقال: أني أكره أن ترى بك خصاصة وأن تفضل عليك، فاعملي لها إذا أصبحت عندك غداً نزلاً بهذا الدينار ثم أتى زوجته الجديدة، فقال لها: أني قد أردت أن أجمعك إلى أم محجن غداً وهي مكرمتك وأكره أن تفضل عليك، فخذي هذا الدينار فاهدي لها به إذا أصبحت عندها غداً لئلا ترى بك خصاصة ولا تذكري الدينار لها، ثم أتى صاحباً يستنصحه، فقال: أني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غداً فأتني مسلماً فإني سأستجلسك للغداء فإذا تغديت فسلني عن أحبهما إليّ فإني سأنفر وأعظم ذلك وآبى أن أخبرك، فإذا أبيت ذلك فاحلف علي، فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة أم محجن، ومر به صديقه فاستجلسه، فلما تغديا أقبل الرجل عليه، فقال: يا أبا محجن، أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك، قال: سبحان الله، تسألني عن هذا وهما يسمعان، ما سأل عن مثل هذا أحد، قال: فإني أقسم عليك لتخبرني فو الله إني لا أعذرك، ولا أقبل إلا ذاك، قال: أما إذا فعلت فأحبهما إليّ صاحبة الدينار، والله لا أزيدك شيئاً، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة وهي تظن أنه عناها بذلك القول.

ثم دخلت سنة تسع ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة عبيد الله بن عقبة في البحر. وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصناً بها. وفي هذا السنة: عزل هشام بن عبد الملك خالد القسري عن خراسان، وصرف أخاه أسداً عنها. وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصب على نصر بن سيار ونفر معه زعم أنه بلغه عنهم ما لا يصلح، فضربهم بالسياط وحلقهم، وبعثهم إلى خالد وكتب إليه أنهم أرادوا الوثوب عليه، وخطب يوم الجمعة، فقال: قبح الله هذه الوجوه، وجوه أهل الشقاق والنفاق والفساد، اللهم فرق بيني وبينهم، وأخرجني إلى مهاجري ووطني، وقال: من يروم ما قبلي أمير المؤمنين خالي وخال أخي، ومعي اثنا عشر ألف سيف يماني، فكتب هشام إلى خالد: أعزل أخاك، فعزل فقفل أسد إلى العراق في رمضان، واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة.

وفيها: استعمل هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي، وأمر أن يكاتب خالد القسري، وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان، واستعمل عليهم عبد الملك بن دثار الباهلي، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها بنفسه.

وفي هذه السنة: حج بالناس إبراهيم بن هشام، فخطب بمنى من غد يوم النحر بعد الظهر وقال: سلوني فما تسألون أحد أعلم مني، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية أواجبة هي؟ فما علم ما يقول، فنزل. وكان العامل على المدينة ومكة والطائف،

وكان على البصرة والكوفة خالد بن عبد الله، وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة، وعلى شرطتها بلال بن أبي بردة، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله الأنصاري من قبل خالد بن عبد الله، وعلى خراسان أشرس بن عبد الله السلمي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد الرحمن بن أبي عمار العابد نزيل مكة أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: أخبرنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدَّثنا أبو يوسف الزهري، قال: حدَّثنا الزبير بن بكار، قال: كان عبد الرحمن بن أبي عمار من بني جشم يترل بمكة، وكان من عباد أهلها، فسمي القس من عبادته، فمر ذات يوم بسلامة وهي تغني، فوقف فسمع غنائها فرآه مولاها، فدعاه إلى أن يدخله عليها، فأبى ذلك فقال له: فاقعد في مكان تسمع غناها ولا تراها، ففعل فغنت فأعجبته، فقال له مولاها: هل لك أن أحولها إليك: فتمنع بعض الامتناع ثم أجابه إلى ذلك، فنظر إليها فأعجبته فشغف بها وشغفت به، وكان طريفاً فقال فيها:

أم سلام لو وجدت من الوجد ... غير الذي بكم أنا لاقي

أم سلام أنت همي وشغلي ... والعزيز المهيمن الخلاق

أم سلام ما ذكرتك إلا ... شرقت بالدموع مني المآقي

قال: وعلم بذلك أهل مكة فسموها سلام القس، فقالت له يوماً: والله أنا أحبك، فقال: وأنا والله أحبك، فقالت له: أنا والله أحب أن تضع فمك على فمي، وأنا والله أحب ذلك، فقالت فما يمنعك فوالله إن الموضع لخال، فقال لها: ويحك أني سمعت الله يقول: "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" وأنا والله أكره أن تكون خلة بيني وبينك في الدنيا عدواة يوم القيامة، ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها، وعاد إلى الطريقة التي كان عليها من النسك والعبادة، فكان يمر بين الأيام ببابها فيرسل السلام، فيقال: ادخل فيأبى.

ومما قال فيها:

إن سلامة التي أفقدتني تجلدي ... لو تراها والعود في حجرها حين تنشد

الشر يحبي والغريض وللقوم معبد ... خلتهم تحت عودها حين تدعوه باليد

وفي رواية أخرى أنه لما قال لها: أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة، فقالت: أتحسب أن ربنا لا يقبلنا إن نحن تبنا؟ بلى ولكن لا آمن أن أفاجأ، ثم نهض يبكي بعد، وعاد إلى كان فيه من النسك.

وروى مصعب الزبيري، عن محمد بن عبد الله بن أبي ملكية، عن أبيه، عن جده، قال: دخل عبد الرحمن بن أبي عمار وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز على نخاس فعلق فتاة فاشتهر بذكرها حتى مشى إليه عطاء و طاووس ومجاهد يعذلونه، فكان جوابه:

يولمني فيك أقوام أجالسهم ... فما أبالي أطار اللوم أو وقعا

فانتهى الخبر إلى عبد الله بن جعفر، فلم تكن له همة غيره، فحج فبعث إلى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألفاً، وأمر قيمة جواريه أن تزينها وتحليها، ففعلت، وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه، فقال: مالي لا أرى ابن أبي عمار زارنا، فأخبر الشيخ فأتاه، فلما أراد أن

ينهض استجلسه فقعد، فقال: له ابن جعفر: ما فعل حب فلانة، فقال: له سيط به لحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي، فقال: تعرفها إن رأيتها؟ قال: وأعرف غيرها، قال: فإني قد اشتريتها، والله ما نظرت إليها، وأمر بها فخرجت فزفت بالحلي والحلل، فقال: أهذه هي؟ فقال: نعم بأبي وأمي، قال: فخذ بيدها فقد جعلها الله لك، أرضيت؟ قال: أي والله بأبي وأمي و فوق الرضا، فقال له ابن جعفر: ولكني والله لا أرضى أن أعطيكما صفراً، احمل معه يا غلام مائة ألف درهم كيلا يهتم بمؤونتها، قال: فراح بها وبالمال.

ثم دخلت سنة عشر ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك، وسار إليهم نحو باب اللان حتى لقي خاقان في جموعه، فاقتتلوا قريباً من شهر وأصابهم مطر شديد فهزم الله خاقان.

وفيها غزا معاوية أرض الروم ففتح بلده، وهو معاوية بن هشام.

وغزا الصائفة عبيد الله بن عقبة الفهري، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج. وفيها: دعا الأشرس أهل الذمة من أهل سمرقند من وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية، فأجابوا وأسلموا، فكتب غوزك إلى أشرس: إن الخراج قد أنكسر، فقال: أشرس: إن الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني أن أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة، إنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزية، فانظروا من أحسن وأقام الفرائض وحسن إسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفعوا عنه الخراج، فأعادوا الجزية فامتنع الناس من أهل الصغد سبعة آلاف، فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند.

وفيها: ارتد أهل كردر، فقاتلهم المسلمون فظفروا بهم.

وفيها: جعل خالد بن عبد الله الصلاة بالبصرة مع الشرطة مع القضاء إلى بلال بن أبي بردة.

وفي هذه السنة: حج بالناس إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومي، وكان هو العامل على مكة والمدينة والطائف، وعلى الكوفة والبصرة والعراق خالد بن عبد الله، وعلى خراسان أشرس من قبل خالد بن عبد الله.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن أبي الحسن البصري، يكنى أبا سعيد: كان أبوه من أهل بيسان، فسبي، فهو مولى الأنصار. ولد في خلافة عمر، وحنكة عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها فتعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه، فكانوا يقولون: فصاحته من بركة ذلك.

أخبرنا هبة الله بن أحمد الجريري، قال: أنبأنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي، قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق السراج، قال: حدَّثنا فضل بن سهل، قال: حدَّثنا علي بن حفص، قال: حدَّثنا سليمان بن المغيرة عن يونس، قال: كان الحسن يقول: نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئاً. قال السراج: حدَّثني عبد الله بن محمد، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثني حكيم بن جعفر، قال: قال لي مسمع: لو رأيت الحسن لقلت قد بث عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك التشنج. أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد

الجبار، قال: أخبرنا الحسين بن علي: أخبرنا عبد الله بن عثمان، قال: حدَّثنا علي بن محمد المصري، قال: حدَّثنا أحمد بن واضح ، قال: حدَّثنا سعيد بن أسد، قال: حدَّثنا ضمرة، عن حفص بن عمر، قال: بكى الحسن، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي. أخبرنا عبد الله بن علي المقري، قال: أخبرنا علي بن محمد العلاف، قال: أخبرنا عبد الملك بن بشران، قال: أخبرنا أبو بكر الآجري، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن عبد الحميد، قال: حدَّثنا الحسن بن محمد الزغفراني، قال: حدَّثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: حدَّثنا أبو الباجي، أنه سمع الحسن بن أبي الحسين يقول: حادثوا عن القلوب فإنها سريعة الدثور، وأقذعوا هذه الأنفس فإنها طلعة، وإنها تترع إلى شر غاية، وإنكم إن تقربوها لم يبق لكم من أعمالكم شيء فتبصروا وتشددوا فإنما هي ليال تعدو، وإنما أنتم ركب وقوف، يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب فلا يلتفت فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته.

أخبرنا علي بن عبيد الله، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن النقور، قال: أخبرنا عيسى بن علي، قال: حدَّثنا البغوي، قال: حدَّثنا نعيم بن الهضيم، قال: حدَّثنا خلف بن تميم، عن أبي همام الكلاعي، عن الحسن: أنه مر ببعض القراء على أبواب بعض السلاطين، فقال: أفرختم حمائمكم، وفرطحتم بغالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم فزهدوا فيكم، أما أنكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يتوسلون إليكم لكان أعظم لكم في أعينهم، تفرقوا تفرقوا فرق بين أعضائكم.

عاصر الحسن خلقاً كثيراً من الصحابة، فأرسل الحديث عن بعضهم، وسمع من بعضهم، وقد جمعنا مسانيده وأخباره في كتاب كبير، فلم أر التطويل ها هنا.

توفي عشية الخميس، ودفن يوم الجمعة أول يوم رجب هذه السنة، وغسله أيوب السختاني وحميد الطويل، وصلى عليه النضر بن عمرو أمير البصرة، ومشى هو وبلال بن أبي بردة أما الجنازة، وكان له تسع وثمانون سنة.

سعد بن مسعود، أبو مسعود التجيبي: من تجيب، وفد على سليمان بن عبد الملك، وكان رجلاً صالحاً، وأسند حدَّثنا واحداً، وبعثه عمر بن عبد العزيز إلى أهل إفريقية يفقه أهلها في الدين.

محمد بن سيرين، أبو بكر البصري، مولى أنس بن مالك: سمع أبا هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعمر بن حصين، وأنس بن مالك، وهو أروى الناس عن شريح وعبيدة. روى عنه قتادة وخالد الحذاء، وأيوب السختياني، وغيرهم. وكان فقيهاً ورعاً.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن العباس الخزاز، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى المكي، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم أبو العيناء، قال: حدَّثنا ابن عائشة، قال: كان أبو محمد بن سيرين من أهل جرجرايا، وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين النمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن إبراهيم البزاز، قال: حدَّثنا أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان الفسوي، قال: حدَّثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدَّثنا سليمان بن حرب، قال: حدَّثنا حماد بن زيد، عن عبيد بن أبي بكر بن أنس بن مالك، قال: هذه مكاتبة سيرين عندنا: هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه سيرين على كذا وكذا ألفاً، وعلى غلامين يعملان عمله.

قال علماء السير: كان خالد بن الوليد قد بعث بسيرين إلى عمر عند مصيره إلى العراق، فوهبه لأبي طلحة الأنصاري فوهبة أبو طلحة لأنس بن مالك، فكاتبه أنس على أربعين ألفاً أداها.

وولد له محمد، وأنس، ومعبد، ويحيى، وحفصة، وأم محمد صفية مولاة أبي بكر الصديق، حضر أملاكها ثمانية عشر بدرياً منهم أبي بن كعب، فكان يدعو وهم يؤمنون. وولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان. وولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة، وقد لقي محمد بن عمر، وعمر بن حصين، وأبا هريرة. وكان ورعاً في الفقه فقيها في الورع.

وركبه دين فحبس لأجله، واختلفوا في سبب ذلك الدين، فقال ابن سعد: سألت محمد بن عبد الله الأنصاري عن سبب الدين، فقال: اشترى طعاماً بأربعين ألف درهم فأخبر عن أصل الطعام بشيء كرهه، فتركه وتصدق به وبقي المال عليه فحبس.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد: قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا علي بن أبي المعدل، قال: أخبرنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدَّثنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا المدائني، قال: كان حبس ابن سيرين في الدين أنه اشترى زيتاً بأربعة آلاف درهم، فوجد في زق منه فأره، فقال: الفأرة كانت في المعصرة، فصب الزيت كله. وكان يقول عيرت رجلاً بشيء منذ ثلاثين سنة احسبني عوقبت به، وكانوا يرون أنه عير رجلاً بالفقر فابتلي به.

عن بشر بن عمر، قال: حدَّثتنا أم عباد امرأة هشام بن حسان، قالت: قال: ابن سيرين: إني لم أر امرأة في المنام فأعرف أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها.

و أخبرنا عبد الرحمن القزاز بإسناده عن أبي عوانة، قالت: رأيت محمد بن سيرين مر في السوق فجعل لا يمر بقوم إلا سبحوا وذكروا الله تعالى.

أخبرنا محمد بن ناصر بإسناده عن عبد الله ابن أخت ابن سيرين: أنه كان مع محمد بن سيرين لما وفد إلى ابن هبيرة، فلما قدم عليه قال: السلام عليكم، قال: وكان متكئاً فجلس فقال: كيف خلفت وراءك؟ قال: خلفت الظلم فيها فاشياً، قال: فهم به فقال له أبو الزناد: أصلح الله الأمير إنه شيخ، فما زال به حتى سكن، فلما أجازهم أتاه إياس بن معاوية بجائزة، فأبى أن يقبلها، فقال: أترد عطية الأمير، قال: أتتصدق علي فقد أغناني الله، أو تعطيني على العلم أجراً، فلا آخذ على العلم أجراً.

قال علماء السير: رأى محمد بن سيرين كأن الجوزاء تقدمت الثريا، فأخذ في وصيته وقال: يموت الحسن وأموت بعده، وهو أشرف مني. فتوفي الحسن، ومات بعده محمد بمائة يوم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أبو سعيد الصيرفي، قال: أخبرنا أبو العباس الأصم، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا خالد بن خداش، قال: قال: حماد بن زيد: مات محمد لتسع مضين من شوال سنة عشر ومائة.

وهب بن منبه

من الأبناء؛ أبناء الفرس الذين أبعدهم كسرى إلى اليمن. أسند عن جابر، والنعمان بن بشير، وابن عباس. وأرسل الرواية عن معاذ، وأبي هريرة. وكان عالماً عابداً. وقال :قرأت من كتب الله عز وجل اثنين وتسعين كتاباً. ومكث يصلي الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة.

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، قال: حدَّثنا محمد بن مرزوق، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن محمد

المعدل، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن زرارة، قال: حدَّثنا عبد المجيد بن عبد العزيز، عن الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عن وهب بن منبه، قال: الإيمان عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا أبو محمد بن أبي عثمان، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت، قال: أخبرنا محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدَّثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدَّثنا عبد الصمد بن معقل، قال: إن وهب بن منبه قال في موعظة له: يا ابن أدم، أنه لا أقوى من خالق ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر ممن طلبته في يده، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه. يا ابن آدم، إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك، وأقام معك ما سيذهب عنك، يا ابن آدم، أقصر عن تناول ما لا ينال، وعن طلب ما لا يدرك، وعن ابتغاء مالا يوجد، واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء. واعلم أنه رب مطلوب هو شر لطالبه. يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة، وأعظم من المصيبة سوء الخلف بها، أمس شاهد مقبول، وأمين مؤد، وحكيم وارد، قد فجعك بنفسه وخلف في يديك حكمته، واليوم صديق مودع، وكان طويل الغيبة وهو سريع الظعن، وقد مضى قبله شاهد عدل، يا ابن آدم، قد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقي الفرع بعد أصله، يا ابن آدم، إنما أهل هذه الدار سفر ولا يحلون عقد الرجال إلا في غيرها، وإنما يتبلغون بالعواري، فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للمغير. إنما البقاء بعد الفناء وقد خلقنا و لم نكن، وسنبلى ثم نعود، ألا وإنما العواري اليوم والهبات غداً، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش أو عطاء جزيل، فأصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه، إنما أنتم في هذه الدار عرض فيكم المنايا تنتصل، وإن الذي فيه أنتم نهب للمصائب، ولا تتناولون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من آجله، ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن احمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن علي، قال: حدَّثنا محمد بن الحسين بن قتيبة، قال: حدَّثنا نوح حبيب، قال: حدَّثنا منير مولى الفضل بن أبي عياش، قال: كنت جالساً مع ابن منبه، فأتاه رجل، فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولاً غيرك، فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه.

توفي بصنعاء في هذه السنة. سنة أربع عشرة.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية.

وغزا على جيش البحر عبد الله بن أبي مريم.

وأمر هشام على عامة الناس من أهل مصر والشام الحكم بن قيس بن مخرمة.

وفيها: سار الترك إلى أذربيجان، فلحقهم الحارث بن عمر فهزمهم.

وفيها: ولى هشام الجراح بن عبد الله الجمحي أرمينية، وعزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان وولاها الجنيد بن عبد الله المري، وذلك أن أشرس شكى إليه فعزله، وكان الجنيد قد أهدى لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر، وأهدى إلى هشام واحدة أخرى، فاستعمله على خراسان فقدمها في خمسمائة وأشرس بن عبد الله يقاتل أهل بخارى والصغد، فعبر النهر إليه.

وفي هذه السنة: حج بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي، وكان إليه من العمل في هذه السنة ما كان في السنة التي قبلها، وكان على العراق خالد بن عبد الله، وعلى خراسان الجنيد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جرير بن عطية بن الخطفي

والخطفي لقب، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن كلب بن يربوع بن مالك بن حنظلة، أبو حرزة الشاعر: ولد جرير لسبع أشهر، وعمر نيفاً وثمانين سنة، وكان له ثمانية ذكور وابنتان، وهو والفرزدق والأخطل مقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية، والناس مختلفون أيهم المقدم، وكل من تعرض لمضاهاقم من الشعراء افتضح وسقط، على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسن وليس من نجارهما. وكان أبو عمر الشيباني يشبه جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة. قال أبو عبيدة: ويحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون شعر، وأسهلهم ألفاظاً وارقهم تشبيهاً، وكان ديناً عفيفاً. وقال بعض العرب: الشعر أربعة أصناف: فخر، ومدح، ونسيب، وهجاء، وفي كلها غلب جرير.

قال في الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

وقال في المديح:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وقال في التشبيب:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقال في الهجاء:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وقال العتبي: قال جرير: ما عشقت قط، ولو عشقت لتشببت تشبباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها.

وكان جرير يهاجي الفرزدق، فلقيه في طريق الحج، فقال الفرزدق: والله لأفسدن عليه إحرامه، فقال له:

فإنك لاق بالمشاعر من منى ... فخاراً فخبرني بمن أنت فاخر

فقال جرير: لبيك أللهم لبيك.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا قال: أخبرنا جعفر بن يحيى الحكاك، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عدي بن جزء، قال: حدَّثنا سليمان بن إبراهيم الهاشمي، قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل الهادي، عن أبي يعقوب بن السكيت، عن أبيه، قال: ذكروا أن جرير بن الخطفي دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: يا أمير المؤمنين أني قد مدحتك بثلاثة أبيات ما قالت العرب مثلها، ولست أنشدك كل بيت إلا بعشرة آلاف، قال: هاتما لله أبوك، فأنشأ يقول:

رأيتك أمس خير بني معد | وأنت اليوم خير منك أمس
ونبتك في المنابت خير نبت | وغرسك في المغارس خير غرس
وأنت غداً تزيد الضعف ضعفاً | كذاك تزيد سادة عبد شمس

فأمر له بثلاثين ألف درهم، وخرج فلقيه يحي بن معبد، فقال: يا أبا جرزة، ما لنا فيك نصيب، قال له: كل بيت بعشرة آلاف درهم، فقال: قل، فأنشأ يقول:

إذا قيل من للجود والفضل والندى | فناد بأعلى الصوت يحيى بن معبد

فقال له: زدنا يا أبا حزرة، فقال: دع عنك هذا، كل شيء وحسابه.

وقد ذكرنا أن هذه الأبيات السينية للأعشى، وأنه أنشدها عبد الملك.

ومن مستحسن شعر جرير:

إلى الله أشكو أن بالغور حاجة | وأخرى إذا أبصرت نجداً بدا ليا
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل | بخير وجلى غمرة عن فؤاديا
فقولا لواديها الذي نزلت به | أوادي ذي القيصوم أمرعت واديا
فيا حسرات القلب في إثر من يرى | قريباً ويلفي خيرة منك قاصياً
فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة | فإن عرضت أيقنت أن لا أبا ليا
وإني لأستحي أخي أن أرى له | عليّ من الفضل الذي لا يرى ليا

وله أيضاً:

بان الخليط ولو طوعت ما بانا | وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
حي المنازل إذ لا نبتغي بدلا | بالدار داراً ولا الجيران جيرانا
يأأم عمرو جزاك الله مغفرة | ردي علي فؤادي كالذي كانا
قد خنت من لم يكن يخشى خيانتكم | ما كنت أول موثوق به خانا
أبدل الليل لا تسري كواكبه | أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
إن العيون التي في طرفها مرض | قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به | وهن أضعف خلق الله أركانا

أتبعتهم مقلة إنسانها غرق | هل ما ترى تارك للعين إنسانا
يا حبذا جبل الرايان من جبل | وحبذا ساكن الريان من كانا

هل يرجعن وليس الدهر مرتجعاً ... عيش لنا طالما أحلولى وما لانا

وله أيضاً:

ما للمنازل لا يجبن حزيناً ... أصممن أم قدم المدى فبلينا

إن الذين تحملوا لك هيجوا ... وشلا بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ولقد تسقطني الوشاة فصادقوا ... حصراً بسرك يا أميم ضنينا

أرعى كما يرعى بغيب سركم ... فإذا بخلت بنايل فعدينا

قد هاج ذكرك والصبابة والهوى ... داء تمكن في الفؤاد مكينا

وله أيضاً:

لما تذكرت بالديرين أرقني ... صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقلت للركب إذ جد الرحيل بنا ... ما بعد يبرين من باب الفراديس

هل دعوت من جبال الثلج مسمعة ... أهل الإياد وحيا بالنباريس

يخزى الوشيظ إذا قال الصميم لهم ... عدوا الحصى ثم قيسوا بالمقاييس

وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

قد جربت عركي في كل معترك ... غلب الأسود فما بال الضغابيس

توفي جرير باليمامة بعد القرزدق بأربعين يوماً.

الحجاج العابد أخبرنا المحمدان بن عبد الملك وابن ناصر، قالا: أخبرنا أحمد بن الحسين بن خيرون، قال: قرئ على أبي القاسم عبد الملك بن بشران وأنا أسمع، أخبركم محمد بن الحسين الآجري، قال: أخبرنا الفضل بن العباس بن يوسف الشكلي، قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق السلمي، قال: حدَّثنا محمد بن صالح التميمي، قال: قال أبو عبد الله مؤذن مسجد بني جراد: جاورني شاب فكنت إذا أذنت للصلاة وافي كأنه نقرة في قفاي، فإذا صليت صلى ثم لبس نعليه ثم دخل على إلى دخل إلى مترله، فكنت أتمنى أن يكلمني أو يسألني حاجة، فقال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، عندك مصحف تعيرني أقرأ فيه، فأخرجت إليه مصحفاً ورفعته إليه فضمه إلى صدره، ثم قال: ليكونن اليوم لي ولك شأن، ففقدته ذلك اليوم، فلم أره يخرج، فأقمت للمغرب فلم يخرج، وأقمت لعشاء الآخرة فلم يخرج، فساء ظني، فلما صليت العشاء الآخرة جئت إلى الدار التي هو فيها، فإذا فيها دلو ومطهرة، وإذا على بابه ستر، فدفعت الباب فإذا به ميت والمصحف في حجره، فأخذت المصحف من حجره، واستعنت بقوم على حمله حتى وضعته على سريره، وبقيت أفكر ليلتي من أكلم حتى يكفنه، فأذنت للفجر بوقت، ودخلت المسجد لأركع، فإذا بضوء في القبلة، فدنوت منه فإذا كفن ملفوف في القبلة، فأخذته وحمدت الله عز وجل وأدخلته البيت وخرجت، فأقمت الصلاة، فلما سلمت إذا عن يميني ثابت البناني ومالك ابن دينار، وحبيب الفارسي، وصالح المري، فقلت: يا أخواني، ما غدا بكم؟ قالوا لي: مات في جوارك أحد الليلة أحد، قلت مات شاب

كان يصلي معي الصلوات، فقالوا لي: أرناه، فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار عن وجهه، ثم قبل موضع سجوده، ثم قال: بأبي أنت يا حجاج إذا عرفت في موضع تحولت منه إلى موضع غيره، ثم أخذوا في غسله وإذا مع كل واحد منهم كفن، فقال واحد منهم: أنا أكفنه، فلما طال ذلك منهم قلت لهم: إني فكرت في أمره الليلة فقلت: من أكلم حتى يكفنه، فأتيت المسجد فأذنت ثم دخلت لأركع فإذا كفن ملفوف لا أدري من وضعه، فقالوا: يكفن في ذلك الكفن، فكفناه وأخرجناه، فما كدنا نرفع جنازته من كثرة ما حضره من الجمع.

همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم واسم دارم بحر بن مالك، أبو فراس، وهو الفرزدق الشاعر شبه وجهه بالخبزة، وهي فرزدقة، فقيل: فرزدق، وكان جده صعصعة يستحيي المؤودات في الجاهلية فجاء في الإسلام وقد استحيا ثلاثمائة. وقد سبق ذكره وقال القرزدق:

وجدي الذي منع الوائدين ... وأحيا الوئيد فلم يوأد

سمع الفرزدق من علي، وابن عمر، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وروى عنهم. وسئل عن سنة فقال: لا أدري لكن قذفت المحصنات في أيام عثمان.

وروى أعين بن لبطة بن الفرزدق، عن أبيه، عن جده الفرزدق، قال: دخلت مع أبي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: من أنت؟ قال: غالب بن صعصعة المجاشعي، قال: ذو الإبل الكثيرة؟ قال: نعم، قال: ما فعلت إبلك؟ قال: نكبها النواكب، وعدتها الحقوق، قال: ذاك خير من سبلها، من هذا الفتى الذي معك؟ قال: هذا ابني وهو شاعر، قال: علمه القرآن خير له من الشعر، قال لبطة: فما زال في نفس أبي حتى شد نفسه فحفظ القرآن.

أنبأنا علي بن عبيد الله، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن النقور، قال: حدَّثنا عيسى بن علي، قال: قرئ على أبي عبد الله محمد بن مخلد قيل له: حدَّثكم أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغاني، قال: حدَّثنا أبو حفص الفلاس، قال: حدَّثنا عبد الله بن سوار، قال: حدَّثنا معاوية بن عبد الكريم، عن أبيه، قال: دخلت على الفرزدق فتحرك فإذا في رجليه قيد، قلت: ما هذا يا أبا فراس؟ قال: حلفت ألا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن.

أنبأنا علي بن عبيد الله، قال: أنبأنا أبو الحسين بن المهدي، قال: أنبأنا ابن المأمون، قال: حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثنا الكديمي، قال: حدَّثنا عبد الله بن سوار، قال: أولاد الفرزدق لبطة وسبطة وحبطة والحنطبا قال أبو علي الحرمازي: كانت النوار وهي بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي، وكان قد وجهه علي بن أبي طالب إلى البصرة أيام الحكمين، فقتله الخوارج غيلة، فخطب ابنته النوار رجل من قريش، فبعثت إلى الفرزدق، وكانت بنت عمه، فقالت: أنت ابن عمي وأولى الناس بي وبتزويجي، فزوجني من هذا الرجل، قال: لا أفعل أو تشهدي أنك قد رضيت بمن زوجتك، ففعلت. فلما أجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها، وأشهدكم أني قد زوجتها من نفسي على مائة ناقة حمراء سود الحدق، فنفرت من ذلك واستعدت عليه ابن الزبير فقال له: وفها صداقها، ففعل ودفعها إليه، فجاء بها إلى البصرة وقد أحبلها، ومكثت عنده زمانا ترضى عنه أحياناً وتخاصمه

أحياناً، ثم لم تزل به حتى طلقها وشرط ألا تبرح مترله ولا تتزوج بعده، وأشهد على طلاقها الحسن، ثم قال: يا أبا سعيد قد ندمت، فقال: إني والله لأظن، أن دمك يترقرق، والله لئن رجعت لنرجمنك بأحجارك، فمضى وهو يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

فلو أني ملكت يدي وقلبي لكان علي للقدر الخيار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

وكنت كفاقئ عينيه عمدا=فأصبح ما يضيء له النهار

وحكى الفرزدق قال: رأيت أثر دواب قد خرجت ناحية البرية، فظننت أن قوماً خرجوا للترهة فتبعتهم، فإذا نسوة مستنقعات في غدير، فقلت: لم أر كاليوم، ولا يوم داره جلجل، فانصرفت مستحياً منهن، فناديني: بالله يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شئ، فانصرفت إليهن وهن في الماء إلى حلوقهن، فقلن: بالله حدَّثنا بحديث دارة جلجل، فقلت: إن امرأ القيس كان يهوى بنت عم له يقال لها: عنيزة، فطلبها زماناً فلم يصل إليها حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة الجلجل، وذلك أن الحي احتملوا فتقدم الرجال، وتخلف النساء والخدم والثقل ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعدما سار الرجال غلوة، فكمن في غابة من الأرض حتى مر به النساء، فإذا فتيات وفيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا، فذهب بعض كلالنا فترلن إليه، ونحين العبيد عنهن، ثم تجردن واغتمسن في الغدير كهيئتكن الساعة فأتاهن أمرؤ القيس محتالاً كنحو أثوابهن فجمعها وقال لهن: كما أقول: لكن والله لا أعطي جارية منكن ثوبها لو أقامت في الغدير يومها حتى تخرج إلي مجردة فقال الفرزدق: فقالت إحداهن: هذا امرؤ القيس كان عاشقاً لابنة عمه، أفا عاشق أنت لبعضنا؟ فقلت: لا والله ولكني اشتهيتكن، قال: فتأبين أمري حتى تعالى النهار وحشين أن يقصرن دون المترل فخرجت إحداهن، فدفع إليها ثوبها ووضعه ناحية، فأخذته ولبسته، وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة وحدها، فناشدته أن يطرح لها ثوبها، فقال: دعينا منك، فأنا حرام إن أخذت ثوبك إلا بيدك. قال: فخرجت فنظر إليها مقبلة مدبرة، فأخذت ثوبها، وأقبلن عليه يعذلنه ويلمنه ويقلن: عريتنا وحبستنا وجوعتنا، قال: إن نحرت لكن ناقتي، أتأكلن منها؟ قلن نعم، فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وصاح بخدمهن، فجمعوا له حطباً، فأجج ناراً عظيمة، وجعل يقطع لهن من سنامها وأطايبها وكبدها، فيلقيه على الجمر فيأكل ويأكلن معه، فلما أراد الرحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته، وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله، وقالت الأخرى: أنا حشيته وأنساعه، فتقاسمن رحله بينهن، وبقيت عنيزة، فقال لها امرؤ القيس: يا ابنة الكرام، لا بد أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشي وليس من عادتي، فحملته على غارب بعيرها، فكان يدخل رأسه في خدرها فيقبلها، فإذا امتنعت مال حدجها، فتقول: يا امرأ القيس عقرت بعيري فانزل، فذلك قوله:

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فلما فرغ الفرزدق من حديثه قالت إحداهن: اصرف وجهك عنا ساعة، وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه، فانغططن في الماء وخرجن ومع كل واحدة منهن ملء كفها طينا، قال: فجعلن يتعادين نحوي ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهي وثيابي وملأن عيني، فوقعت على وجهي مشغولاً بعيني وما فيها، فأخذن ثيابهن وركبن، وركبت تلك الماجنة بغلتي وتركتني ملقى بأقبح حال، فغسلت وجهي وثيابي وانصرفت عند مجيء الظلام إلى مترلي ماشياً وقد وجهن بغلتي إلى بيتي وقلن للرسول: قل له تقول لك

أخواتك: طلبت منا ما لم يمكنا، وقد وجهنا إليك بزوجتك فافعل بها سائر ليلتك، وهذا كسر درهم يكون لحمامك إذا أصبحت.

فكان يقول: ما منيت بمثلهن.

قال علماء السير: لقي الفرزدق الحسن عند قبر، فقال له الحسن: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: أعددت له بشهادة لا إله ألا الله منذ ثمانين سنة.

فتوفي الفرزدق في سنة إحدى عشرة ومائة، وقد قارب المائة. وكانت علته الدبيله، فرآه ابنه لبطة في النوم، فقال له: يا بني نفعتني الكلمة التي راجعت بها الحسن عند القبر.

وقال أبو عبيدة: مات الفرزدق سنة عشر وقد نيف على التسعين، كان منها خمس وسبعون يباري الشعراء فبزهم، وما ثبت له غير جرير.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة.

وفيها: سار الترك، فلقيهم الجراح بن عبد الله فيمن معه من أهل الشام، وأهل أذربيجان، فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل، وافتتحت الترك أردبيل، وبعث هشام سعيد بن عمرو الجرشي، فأكثر القتل في الترك، ثم أنفذ أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك.

وفيها: قتل سورة بن الحر؛ وذلك أن الجنيد خرج غازياً يريد طخارستان، فنزل على نهر بلخ ووجه عمارة بن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفاً، وإبراهيم الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر، فجاشت الترك، فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر، فكتب سورة إلى الجنيد الغوث، فهم أن ينفر، فقيل له: جندك متفرقون وصاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفاً فلا تعجل، فقال: فكيف سورة ومن معه من المسلمين، فعبر ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين سمرقند أربع فراسخ، فصحبه خاقان في جمع عظيم، وزحف إليه أهل الصغد وشاش وفراغانة وطائفة من الترك، فجرت في المسلمين مقتلة عظيمة، وكلت سيوف الفريقين، فصارت لا تقطع، فقيل للجنيد: اختر أن تهلك أو تهلك سورة، فقال: هلاك سورة أهون علي.

قيل: فاكتب إليه فليأتك في أهل سمرقند، فإن الترك إن بلغهم أنه متوجه إليك انصرفوا فقاتلوا. فكتب يأمره بالقدوم. فخرج في اثني عشر ألفاً، فتلقاه خاقان، فحمل سورة فوقع فاندقت فخده وقتل أكثر ممن معه، ومضى الجنيد إلى سمرقند، وحمل عيال من كان مع سورة إلى مرو، وأقام بالصغد أربعة أشهر.

وفي هذه السنة: حج بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي، وقيل: سليمان بن هشام. وأما عمال الأمصار فهم الذين كانوا في سنة إحدى عشرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب، أبو عبد الله: سمع من أنس بن مالك، وابن أبي وافي، وابن الزبير، وكان قارئ أهل الكوفة يقرأون عليه القرآن. فلما رأى كثرتهم عليه كره ذلك لنفسه، فمشى إلى الأعمش فقرأ عليه، فمال الناس إلى الأعمش وتركوا طلحة. وكان ثقة صالحاً عابداً.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: حدَّثنا أبو نعيم الأصفهاني ، قال: حدَّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدَّثنا ابن أبي عتيبة، قال: حدَّثني شيخ، عن جدته قالت: أرسل إلي طلحة بن مصرف: إني أريد أوتد في حائطك وتداً، فأرسلت إليه: نعم ، قالت: ودخلت خادمتنا مترل طلحة تقتبس ناراً وطلحة يصلي، فقالت لها امرأته: مكانك يا فلانة حتى نشوى لأبي محمد هذا القديد على قضيبك يفطر عليه. فلما قضى الصلاة قال: ما صنعت لا أذوقه حتى ترسلي إلى سيدها، لحبسك إياها وشواك على قضيبها.

قال أبو نعيم: وحدَّثنا محمد، قال: حدَّثنا أبو يعلى وهو الموصلي، قال: حدَّثنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: بلغني عن طلحة أنه ضحك يوماً فوثب على نفسه، فقال: فيم الضحك، إنما يضحك من يقطع الأهوال، وجاز الصراط. ثم قال: آليت ألا أفتر ضاحكاً حتى أعلم بم تقع الواقعة، فما رؤي ضاحكاً حتى صار إلى الله عز وجل.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناد له، قال عبد الملك بن هانئ: خطب زيد إلى طلحة ابنته، فقال: إنها قبيحة، قال: قد رضيت بها، قال: إن بعقبها أثراً، قال: لقد رضيت.

قال أبو نعيم: وحدَّثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدَّثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، قال: دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده، فقال: له أبو كعب: شفاك الله، قال: أستجير الله.

قال أبو سعيد: وحدَّثنا ابن إدريس، عن ليث، قال: حدَّثت طلحة في مرضه الذي مات فيه أن طاووساً كان يكره الأنين، قال: فما سمع طلحة يئن حتى مات.

المغيرة بن حكيم الصنعاني: من الأنبار، روى عن ابن عمر، وأبي هريرة.

أنبأنا يحيى بن علي المدير، قال: أخبرنا المبارك بن الحسين الأنصاري، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: حدَّثنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني الحسين بن علي البزاز، أنه حدث عن عبد الله بن إبراهيم، قال: أخبرني أبي، قال: سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفرة حافياً محرماً صائماً، لا يترك صلاة السحر في سفره، إذا كان السحر قد نزل فصلى في أصحابه، فإذا صلى الصبح لحق متى لحق.

قال: عبد الله بن إبراهيم: أخبرني هشام بن يوسف، قال: سمعت إبراهيم بن عمر يقول: كان جزء المغيرة بن حكيم في يومه وليلته القرآن كله، يقرأ في صلاة الصبح من البقرة على هود، ويقرأ قبل الزوال إلى أن يصلي العصر من هود إلى الحج، ثم يختم.

ثم دخلت

سنة ثلاثة عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها: هلاك عبد الوهاب بن بخت وهو مع البطال بن عبيد الله بأرض الروم، وذلك أن عبد الوهاب غزا مع البطال، فكشفوا فألقى بيضته عن رأسه وصاح: أنا عبد الوهاب بن بخت، أمن الجنة تفرون؟ ثم تقدم في نحور العدو، فمر برجل يقول:

واعطشاه، فقال له: تقدم فالري أمامك فخالط القوم فقتل.

ومن ذلك: غزوة مسلمة بن عبد الملك فرق الجيوش في بلاد خاقان، ففتحت مدائن وحصون على يديه، وقتل وأسر وسبى، فحرق خلق كثير من الترك أنفسهم بالنار، ودان لمسلمة من كان وراء جبال بلنجر، وقتل ابن خاقان.

ومن ذلك: غزوة معاوية بن هشام أرض الروم، فرابط ثم رجع.

وفي هذه السنة: صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان، فأخذ الجنيد رجلاً منهم فقتله، وقال: من أصيب منهم فدمه هدر.

وفي هذه السنة: حج بالناس سليمان بن عبد الملك، وقيل : بل إبراهيم بن هشام المخزومي. وأما عمال البلاد فالذين كانوا في هذه السنة التي قبل هذه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد الله بن عبيد بن عمير كان فصيحاً صالحاً، توفي بمكة في هذه السنة.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: حدَّثنا حمد بن أحمد، قال: حدَّثنا أبو نعيم، قال: حدَّثنا أحمد بن جعفر الغساني، قال: حدَّثنا محمد بن جرير، قال: حدَّثنا محمد بن حميد، قال: حدَّثنا زافر بن سليمان، عن الوصافي، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى وزن الورع إن يذل لصاحب الدنيا.

ثم دخلت سنة أربع عشر ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى، والتقى عبد الله البطال هو قسطنطين في جمع فهزمهم، وأسر قسطنطين، وبلغ سليمان بن هشام قيسارية.

وفي هذه السنة: عزل هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن المدينة، وأمر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، فقدم خالد المدينة للنصف من ربيع الأول، وكانت إمرة إبراهيم على المدينة ثماني سنين.

وفيها: ولي محمد بن هشام المخزومي على مكة.

وفيها: وقع الطاعون بواسط.

وفيها: قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعدما هزم خاقان، وبنى الباب فأحكم ما هناك.

وفيها ولي هشام بن عبد الملك مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان.

وفيها: حج بالناس خالد بن عبد الملك وهو على المدينة، وقيل: بل حج بهم محمد بن هشام وهو أمير مكة، وقيل: بل حج بهم خالد بن الملك، وهو الأثبت عند الواقدي. وكان العمال في الأمصار هم العمال في السنة التي قبلها، غير أن عامل المدينة خالد بن عبد الملك، وعامل مكة، والطائف محمد بن هشام، وعامل أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد بن مروان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جميل بن ماعان بن عمير، أبو سعيد الرعيني ثم القياني: كان أحد القراء الفقهاء، أخرجه عمر بن عبد العزيز من مصر إلى المغرب ليقرئهم القرآن، واستعمله على القضاء بإفريقية هشام بن عبد الملك، وله عليه وفادة، وقد روى عن أبي تميم عبد الله بن مالك الجيشاني، وحدث عنه بكر بن سودة.

عبد خير بن يزيد، أبو عمارة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يلقه، وسكن الكوفة وحدث بها عن علي بن أبي طالب، وشهد معه حرب الخوارج بالنهروان. روى أبو إسحاق السبيعي، وحبيب بن أبي ثابت، وإسماعيل السدي، وكان ثقة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا ابن الفضل، قال: حدَّثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: قال لي يحيى بن موسى: حدَّثنا مسهر بن عبد الملك، قال: حدَّثني أبي قال: قلت لعبد خير: كم أتى عليك؟ قال: عشرون ومائة سنة، كنت غلاماً ببلادنا باليمن، فجاء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فنودي في الناس فخرجوا إلى حيز واسع، فكان أبي فيمن خرج، فلما ارتفع النهار جاء أبي فقالت له أمي: ما حبسك وهذه القدر قد بلغت وهؤلاء عيالك يتضورون يريدون الغذاء؟ فقال: يا أم فلان، أسلمنا فأسلمي، ومري بهذا القدر فلتهرق للكلاب وكانت ميتة، فهذا ما أذكر من الجاهلية.

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، أبو جعفر الباقر:

باقر العلم، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، وولد له جعفر وعبد الله من أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. وروى أبو جعفر عن جابر، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس.

قال أبو حنيفة: لقيت أبا جعفر محمد بن علي، فقلت: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال رحم الله أبا بكر وعمر، فقلت: إنه يقال عندنا في العراق إنك لتبرأ منهما، فقال: معاذ الله كذب من قال هذا عني، أو ما علمت أن علي بن أبي طالب زوج ابنته أم كلثوم التي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وجدتها خديجة وجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ين سليمان، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن حبيش، قال: حدَّثنا إبراهيم بن شريك الأسدي، قال: حدَّثنا عقبة بن مكرم، قال: حدَّثنا يونس بن بكير، عن أبي عبد الله الجعفي ، عن عروة بن عبد الله، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، قال: لا بأس به حلى أبو بكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول الصديق، فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة.

قال ابن حبيش: و حدَّثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدَّثنا أحمد بن يونس، عن عمر بن شمر، قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر، بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا وينالون أبا بكر وعمر، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله عز وجل بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما.

أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو بكر بن محمد بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا سعيد بن سليمان عن إسحاق بن كثير، عن عبد الله بن الوليد، قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي: يدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قلنا: لا قال: فلستم إخواناً كما تزعمون.

توفي محمد في هذه السنة، وقيل: سنة ثمان عشرة، وقيل: سبع عشر وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه.

المفضل بن قدامه بن عبيد الله بن عبيدة بن الحارث بن إياس بن عوف بن ربيعة، من ولد ربيعة بن نزار، كذلك سماه أبو عمرو الشيباني، ويكنى أبا النجم: وقال ابن الأعرابي: اسمه الفضل، وهو من رجاز الإسلام الفحول المتقدمين، في الطبقة الأولى منهم. قال: أبو عبيدة: ما زالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم: الحمد لله الوهاب المجزل وقال العجاج: قد جبر الدين الإله فجبر وقال رؤبة: وقاتم الأعماق خاوي المخترق فانتصفوا منهم. قال المدائني: دخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة، فقال له هشام: ما رأيك في النساء؟ قال: إنهن لأنظر إليهن شزراً وينظرن إلي شزراً فوهب له جارية وقال: أغد علي فأعلمني ما كان منك، فلما غدا عليه فقال ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليها، وقلت في ذلك أبياتاً:

نظرت فأعجبها الذي في درعها ... من حسنه نظرت في سرباليا

فرأت لها كفلا يميل بخصرها ... وعثا روادفه وأجثم رابيا

ورأيت منتشر العجان مقلصا ... رخواً مفاصله وجلداً باليا

أدني به الركب الحليق كأنما ... أدني إليه عقارباً أو أفاعيا

فضحك هشام وأمر له بجائزة.

وقال: له هشام: حدَّثني عنك، قال: عرض لي البول فقمت بالليل أبول، فخرج مني صوت فتشددت ثم عدت فخرج مني صوت، آخر فآويت إلى فراشي وقلت: يا أم الخيار، هل سمعت شيئاً؟ قالت: لا والله ولا واحدة منهما، فضحك. وأم الخيار التي يقول فيها:

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... علي ديناً كله لم أصنع

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة معاوية بن هشام الروم.

وفيها: وقع الطاعون بالشام.

وفيها أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة، فأعطى الجنيد رجلاً درهماً فاشترى به رغيفاً، فقال: تشكون الجوع ورغيف بدرهم، لقد رأيتني بالهند وإن الحب من الحبوب لتباع عدداً بالدراهم.

وفيها: حج بالناس معاوية بن هشام بن إسماعيل وهو أمير مكة والطائف، وكان عمال الأمصار عمال السنة التي قبلها، غير أنه اختلف في عامل خراسان، فقال المدائني: الجنيد بن عبد الرحمن، وقال: غيره: عمارة بن خريم المري، وإن الجنيد مات في هذه السنة فاستخلف عمارة، وأما المدائني فقال: مات الجنيد بن عبد الرحمن في سنة ست عشرة ومائة، وهي السنة التي بعد هذه السنة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خيار بن خالد بن عبد الله بن معاذ، أبو نضلة المدلجي: قاضي مصر لهشام بن عبد الملك، كان رجلاً صالحاً.

عطاء بن أبي رباح أبو محمد، واسم المكي، وهو مولى الجنيد ولد لسنتين مضتا من خلافة عثمان، وكان أسود شديد السواد، أعور أفطس أعرج، ثم عمي في آخر عمره، إلا أنه كان فصيحاً فقيهاً، أدرك أبا جحيفة وشهد جنازة زيد ين أرقم.

وروى عن ابن عمر، وابن عمرو، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وزيد بن خالد، وابن عباس، وابن الزبير.

روى عنه: عمرو بن دينار، والزهري، وقتادة، وأيوب.

وحج سبعين حجة، وكان ينادي في زمن بني أمية بمكة: لا يفت الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن فعبد الله بن أبي نجيح.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: حدَّثنا أبو عمر بن حيوية قال: حدَّثنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسن بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدَّثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل قال: ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة: عطاء، وطاووس، ومجاهد.

عن معاذ بن سعيد قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله، ما هذه الأخلاق!؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه أني لا أحسن منه شيئاً.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي قال: أخبرنا أبو محمد بن أبي عثمان قال: أخبرنا أبو الحسن بن الصلت قال: أخبرنا أبو الحسين بن المنادي قال: حدَّثنا الصاغاني قال: أخبرنا معلى بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن سوقة فقال: أحدثكم بحديث لعله ينفعكم، فإنه قد نفعني، ثم قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بني أخي، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، أتنكرون أن عليكم حافظين، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملى صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي قال: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل الغراب قال: أخبرنا أبي قال: أخبرنا أحمد بن مروان المالكي قال: حدَّثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي قال: حدَّثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجة في خلافته، فلما نظر إليه قام إليه وهو جالس وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد، حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله ورسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فأنت بهم أجلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور، فإنهم حصن المسلمين، وتعهد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، ولا تغفل عنهم، ولا تغلق دونهم بابك. فقال له: أفعل. ثم نهض فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟ فقال: مالي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج ، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، وهذا وأبيك السؤدد.

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال: حدَّثنا محمد بن مرزوق قال: أخبرنا أحمد بن علي ثابت قال: حدَّثنا أحمد بن أبي جعفر القطيعي قال: حدَّثنا محمد بن العباس الخراز قال: حدَّثنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب قال: قال إبراهيم الحربي: كان عطاء أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء.

قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما انفتل إليهما، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول قفاه إليهم ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني أبو الحسن علي بن أيوب الكاتب قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: حدَّثنا محمد بن أحمد الكاتب قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعيد الوراق قال: حدَّثنا عمرو بن شبة قال: حدَّثني سعيد بن منصور الرقي قال: حدَّثني عثمان بن عطاء الخراساني قال: انطلقت مع أبي وهو يريد هشام بن عبد الملك، فلما قربنا إذا بشيخ أسود على حمار، عليه قميص دنس، وجبة دنسة، وقلنسوة لا طية دنسة، وركاباه من خشب. فضحكت وقلت لأبي: من هذا الأعرابي؟ قال: اسكت، هذا سيد فقهاء الحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح، فلما قرب نزل أبي عن بغلته، ونزل هو عن حماره، فاعتنقا وتسالا، ثم عادا فركبا فانطلقا حتى وقفا بباب هشام، فلما رجع أبي سألته، فقلت: حدَّثني ما كان منكما. قال: لما قيل لهشام عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له، فوالله ما دخلت إلا بسببه. فلما رآه هشام قال: مرحباً مرحباً ها هنا ها هنا، فرفعه حتى مست ركبته ركبه، وعنده أشراف الناس يتحدثون، فسكتوا. فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين، أهل الله، وجيران رسول صلى الله عليه وسلم يقسم فيهم أعطياقم وأرزاقهم، قال: نعم، يا غلام أكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة، ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد، أصل العرب، ترد فيهم فضول صدقاقم قال: نعم، يا غلام اكتب بأن ترد فيهم صدقاقم، قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوكم، قد أجريتم لهم أرزاقاً تدرها عليهم، فإنهم إن هلكوا أغرتم. قال: نعم، اكتب بحمل أرزاقهم إليهم يا غلام. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم يجبى صغارهم ولا يتعتع كبارهم، ولا يكلفون إلا ما يطيقون، قال: نعم، اكتب لهم يا غلام، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله في نفسك، فإنك خلقت وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، ولا والله ما معك ممن ترى أحداً، قال: فأكب هشام وقام عطاء، فلما كان عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه، أدراهم أم دنانير، فقال: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا. فقال: لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على رب العالمين. قال: ثم خرج عطاء في هذه السنة. وقيل: سنة أربع عشرة. وهو ابن ثمان وثمانين سنة. وقيل: بل عاش مائة سنة.

عمر بن مروان بن الحكم، أبو حفص: لم يكن في بني أمية بمصر في أيامه أفضل منه، كان خلفاء بني أمية يكتبون إلى أمراء مصر لا تعصوا له أمراً. وكان يأتي عجائز في خراب المعافر، فيدفع إليهن ما يكفيهن طوال السنة.

روى عنه: يزيد أبي حبيب وغيره.

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة وفيها: وقع طاعون عظيم شديد بالعراق والشام، وكان أشده بواسط.

وفيها: ولّي هشام على خراسان عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي، فلما قدم حبس عمارة بن خزيم الذي استخلفه الجنيد وجميع

عمال الجنيد وعذبهم.

وفيها: خرج الحارث بن شريح فقال: ادعوا إلى كتاب الله والسنة، والبيعة البيضا، فمضى إلى بلخ وعليها نصر ، فلقيهم نصر في عشرة آلاف، والحارث في أربعة آلاف، فهزم أهل بلخ، ومضى نصر إلى مرو، فأقبل الحارث إليها وقد غلب على بلخ، والجوزجان، والفارياب، والطالقان، ومرو الروذ، وبلغ عاصم بن عبد الله أن أهل مرو يكاتبون الحارث، فأجمع على الخروج وقال: يا أهل خراسان، قد بايعتم الحارث بن شريح لا يقصد مدينة إلا خليتموها له، أنا لاحق بأرض قومي وكاتب منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدني بعشرين ألفاً من أهل الشام. فقال أصحابه: لا نخليك. وحلفوا له بالطلاق أننا نقاتل معك. وأقبل الحارث إلى مرو في ستين ألفاً، وعليه السواد ومعه فرسان الأزد وتميم والدهاقين، واقتتلوا قتالا شديداً، ثم هزم الله الحارث، وكان يرى رأي المرجئة، ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم، فكتب عاصم بينه وبينه كتاباً على أن يترل الحارث أي كور خراسان شاء، وعلى أن يكتبوا جميعاً إلى هشام يسألونه كتاب الله وسنة نبيه، فإن أبي أجمعوا أمرهم جميعاً عليه، فأشار بعض الناس بمحو هذه الصحيفة، ثم عادوا إلى القتال.
وفي هذه السنة: حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وهو ولي عهده، وكانت عمال الأمصار في هذه السنة الذين كانوا في الذي قبلها إلا ما كان من خراسان، فإن عاملها كان عاصم بن عبد الله الهلالي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر.

حمزة بن بيض الحنفي: شاعر مجيد. قال المأمون للنضر بن شميل: أي بيت أطيب؟ قال: قول حمزة بن بيض:

تقول لي والعيون هاجعة	أقم علينا يوماً فلم أقم
أي الوجوه انتجعت قلت لها	وأي وجه إلا إلى الحكم
متى تقل حاجباً سرداقة	هذا ابن بيض بالباب يبتسم

انقطع إلى المهلب بن أبي صفرة، ثم إلى ولده، ثم إلى أبان بن الوليد، ثم إلى بلال بن أبي برزة، واكتسب بالشعر مالاً عظيماً، مدح مخلد بن يزيد ين المهلب، وهو يخلف أباه على خراسان، فأعطاه مائة ألف درهم، ودخل على يزيد بن المهلب السجن، فأنشده:

أغلق دون السماح والجود والنجدة	باب حديد مفتاحه أشب
يرون سبق الجواد في مهل	وقصرت دون سعيك الرتب

فقال: يا حمزة، أسأت إذ نوهت باسمي في غير وقت تنويه، ثم رمى إليه بجزمة مصرورة وعليه صاحب خبر واقف، وقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك غيره، فأخذه حمزة وأراد أن يرده عليه، فقال له سراً خذه ولا تجزع عنه، فإذا فص ياقوت أحمر، فخرج إلى خراسان فباعه بثلاثين ألفاً، فلما قبضها قال له المشتري: والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم لأخذته منك. فضاق صدره فأعطاه مائة دينار أخرى.
حفصة بنت سيرين: قرأت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة سنة، وكانت تختم كل يومين، وتصوم الدهر وتقوم الليل.
أنبأنا علي بن عبيد الله قال: أنبأنا جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو الحسن ابن أخي ميمي قال: أخبرنا أبو مسلم بن مهدي قال:

حدَّثنا أبو بكر محمد بن قارن قال: حدَّثنا علي بن الحسن الفسنجاني قال: حدَّثنا نعيم بن حماد قال: حدَّثنا مخلد بن الحسين، عن هشام بن حسان قال: ما رأيت أحداً بالبصرة أفضله على حفصة ختمت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة سنة، ماتت وهي بنت تسعين سنة، وكانت تتوضأ ارتفاع النهار وتدخل مسجدها في بيتها، فلا تخرج منه إلى مثلها من الغد، وكان يأتيها أنس بن مالك، وأبو العالية مسلمون عليها.

أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الثوري قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق قال: أخبرنا ابن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر بن عبيد قال: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدَّثني صالح قال: حدَّثنا ضراب بن عمرو، عن هشام قال: كانت حفصة تسرج سراجها في الليل ثم تقوم مصلاها، فربما طفئ السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح.

قال الرياشي: حدَّثني ابن عائشة، عن سعيد بن عامر، عن هشام قال: قالت حفصة بنت سيرين: بلغ من بر ابني الهذيل بي أنه كان يكسر القصب في الصيف فيوقد لي في الشتاء.

قال: لئلا يكون له دخان، قالت: وكان يحلب ناقته بالغداة فيأتيني به فيقول: اشربي يا أم الهذيل فإن أطيب اللبن ما بات في الضرع. ثم مات فرزقت عليه من الصبر ما شاء أن يرزقني، فكنت أجد مع ذلك حرارة في صدري لا تكاد تسكن، قالت: فأتيت ليلة من الليالي على هذه الآية: " ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" فذهب عني ما كنت أجد.

عمرو بن مرة الجملي: روى عن سعيد بن سنان قال: قال عمرو بن مرة: ما أحب أني بصير أذكر أني نظرت نظرة وأنا شاب.

أسند عمرو عن عبد الله بن أبي أوفى.

وتوفي في هذه السنة وقيل: سنة ثمان عشرة.

مكحول الشامي، أبو عبد الله: كان عبداً لعمرو بن سعيد بن أبي العاص، فوهبه لرجل من هذيل، وكان عالماً فقيهاً، ورأى أنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وأبا أمامة، وعنبسة بن أبي سفيان.

وسمع من معاوية حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في هذه السنة. وقيل: سنة ثلاثة عشرة.

أخبرنا موهوب بن أحمد قال: أخبرنا علي بن أحمد بن البسري قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المخلص قال: حدَّثنا أحمد بن نصر بن يحيى قال: حدَّثنا علي بن عثمان الحراني قال: حدَّثنا أبو مسهر قال: حدَّثنا سعيد قال: لم يكن في زمان مكحول أبصر بالفتيا منه، وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويقول: هو رأي والرأي يخطئ ويصيب. وما أدركنا أحسن سمتاً في العبادة من مكحول وربيعة بن يزيد. وكان له خاتم لا يلبسه، وكان مكتوب: أعذ مكحول من النار.

هشام بن الربيع بن زرارة بن كثير بن خباب، أبو حية النميري: شاعر مجيد فصيح، كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، إلا أنه كان فيه هوج وجبن، وكان يصرع في أوقات.

قال ابن قتيبة: كان من أكذب الناس، يحدث أنه يخرج في الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما يشاء، فقيل له: يا أبا حية، أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء تدعوها فلم تأتك، فماذا نصنع بك؟ قال: أبعدها الله إذن.

وكان له سيف يسميه لعاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة شيء، فحدث جاراً له قال: دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً، فانتضا

سيفه وقال: أيها المغتر بنا، المجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، سيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. فإذا الكلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفانا حرباً.

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة ابن هشام الصائفة اليسرى، وسليمان بن هشام الصائفة اليمني من نحو الجزيرة وفرق سراياه في أرض الروم.

وفيها: بعث مروان بن محمد بن وهو على أرمينية بعثين، فافتتح أحدهما حصوناً ثلاثة، وصولح الأخر.

وفيها: عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان، وضمها على خالد بن عبد الله، فولاها أخاه أسد بن عبد الله، وقال المدائني: كان هذا في سنة ست عشرة.

وكان السبب: أن عاصماً كتب على هشام : أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلي ما تحقق به علي نصيحته، وإن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى صاحب العراق، فيكون موادها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قرب لتباعد أمير المؤمنين عنها، فولى أسد بن عبد الله، فقدم فحبس عاصماً، وأخذه بمائة ألف، ووجه عبد الرحمن بن نعيم العامري في أهل الكوفة وأهل الشام في طلب الحارث بن شريح، وسار أسد إلى آمد فحاصرهم، ونصب المجانيق عليهم.

وفيها: أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس فقتل بعضهم، ومثل ببعضهم، وحبس بعضهم، وكان فيهم موسى بن كعب، فأمر به فألجم بلجام حمار، ثم جذب اللجام فتحطمت أسنانه، ثم دق أنفه، ووجئ لحياه، وكان فيهم لا هز بن قريظ، فضربه ثلاثمائة سوط، ثم خلى سبيلهم.

وفيها: حج بالناس خالد بن عبد الملك، وكان العامل فيها على المدينة، وعلى مكة، وعلى الطائف: محمد بن هشام بن إسماعيل. وعلى العراق والمشرق: خالد بن عبد الله القسري، وعلى أرمينية وأذربيجان: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بلال بن سعيد: كان عند أهل الشام كالحسن عند أهل البصرة

وأسند عن ابن عمر، وجابر في آخرين.

عن الأوزاعي قال: سمعت بلال بن سعيد يقول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت.

سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب: واسمها: آمنة، وقيل: أميمة. وسكينة لقب عرفت به، وأمها أم الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبي، كان نصرانياً فجاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأسلم، فدعا له برمح، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة، فتولى قبل أن يصلي صلاة، وما أمسى المساء حتى خطب إليه الحسين بن علي ابنته الرباب، فزوجه إياها، فأولد عبد الله وسكينة، وكان الحسين عليه السلام يقول:

لعمرك إنني لأحب داراً ... تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي ... وليس بعاتب عندي عتاب

ولست لهم وإن عابوا مطيعاً		حياتي أو بغيبتي الركاب

وكانت سكينة من الجمال والأدب والفصاحة بمنزلة عظيمة، كان منزلها مألف الأدباء والشعراء، وتزوجت عبد الله بن الحسن بن علي فقتل بالطائف قبل أن يدخل بها، ثم تزوجها مصعب بن الزبير ومهرها ألف ألف درهم، وحملها إليه أخوها علي بن الحسي، فأعطاه أربعين ألف دينار، فولدت له الرباب، فكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول: ما ألبسها إياه إلا لتفضحه، وخطبها عبد الملك بن مروان فقالت أمها: لا والله، لا تتزوجه أبداً، وقد قتل ابن أخي مصعباً، فتزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، وكان يتولى مصر، فنفس بها عليه عبد الملك، وكتب إليه: اختر مصر أو سكينة. فطلقها قبل أن يدخل بها، ومتعها بعشرين ألف دينار، وخلف عليها بعد مصعب: عبد الله بن عثمان بن ابن عبد الله بن الحكم، فولدت له حكيماً، وعثمان، وزبيحة، وكانت عنده قبلها فاطمة بنت عبد الله بن الزبير، فلما خطب سكينة أحلفته بطلاقها ألا يؤثر عليها فاطمة. ثم اتهمته أن يكون آثرها، فاستعدت عليه هشام بن إسماعيل والي المدينة، فاستحلفه ثم أمر برد سكينة عليه، فبعث إليها: أمرك الآن بيدك. فبعثت إليه: إنا ما ظننا أنا قد هنا عليك هذا الهوان، إنما يلجلج في نفسي شيء، وخفت المأثم فأما إذ برئت من ذلك فما أوثر عليك شيئاً.

ثم خلف على سكينة زيد بن عمر بن عثمان، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وكانت وليه نفسها، فلم تنفذ نكاحه.

وقيل: حملت إليه في مصر فوجدته قد مات.

وروى علي بن الحسين الأصبهاني أن المدائني قال: حدَّثني أبو يعقوب الثقفي، عن الشعبي: أن القرزدق خرج حاجاً، فلما قضى حجه عدل إلى المدينة، فدخل إلى سكينة بنت الحسين فسلم، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت، أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز		عليّ ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه		ويطرقني إذا هجع النيام

فقال: والله لو أذنت لي لأسمعنك أحسن منه. قالت: أقيموه. فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت صاحبك جرير اشعر منك حيث يقول:

لو لا الحياء لهاجني استعبار		ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها		كتم الحديث وعفت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا		ليل يكر عليهم ونهار

فقال: والله إن أذنت لي أسمعتك أحسن منه، فأمرت به فأخرج، ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها وبهت ينظر إليها، فقالت له سكينة: يا فرزدق، من أشعر الناس قال: أنا، قالت: كذبت وصاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التي في طرفها مرض		قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به		وهن أضعف خلق الله أركانا

أتبعتم مقلة إنسانها غرق هل ما ترى تارك للعين إنسانا

فقال: والله لئن تركتني لأسمعنك أحسن منه. فأمرت بإخراجه، فالتفت إليها وقال: يا بنت رسول الله إن لي عليك حقاً عظيماً، صرت من مكة إرادة التسليم عليك، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي وتفضيل جرير عليّ، ومنعك إياي أن أنشدك شيئاً من شعري، وبي ما قد عيل صبري، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإذا مت فمري بي أن أدرج في كفني وأدفن في حر هذه الجارية – يعني التي أعجبته– فضكحت سكينة وأمرت له بالجارية. فحرج بها، وأمرت بالجواري، فدفعن في أقفيتهما، ونادته: يا فرزدق، احتفظ بها وأحسن صحبتها، فإني آثرتك بها على نفسي.

قال علي بن الحسين: وأخبرني أين أبي الأزهر، قال: حدَّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام قال: اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين: جرير، والفرزدق، وكثير، وجميل، ونصيب، فمكثوا أياماً، ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يروها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيّة قد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ قال لها: ها انا ذا، فقالت: أنت القائل:

هما دلتاني من ثمانين قامة كما أنقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

قال: نعم، قالت: عما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك، هلا سترتها وسترت نفسك، خذ هذه الألف والحق بأهلك، ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم جرير؟ فقال: ها أنا ذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

قال: نعم، قالت: فهلا رحبت بها؟ خذ هذه الألف وانصرف. ثم دخلت وخرجت فقالت: أفيكم كثير؟ قال: ها أنا ذا. قالت: أنت القائل

فأعجبني منك يا عز خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يطمع الطالب الصبا ورفعك أسباب الهوى حين يطمع

فو الله ما يدري لريم مماطل أينساك إذ باعدت أم يتضرع

قال: نعم، قالت: ملحت وشكلت، خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت وخرجت فقالت: أيكم نصيب؟ قال: ها أنا ذا. قالت: أنت القائل:

ولو لا أن يقول صبا نصيب لقلت بنفسي النساء الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال: نعم. قالت: رثيتنا صغاراً ومدحتنا كبارا، فخذ هذه الأربعة آلاف درهم والحق بأهلك. ثم دخلت وخرجت فقالت: يا جميل، مولاتي تقرئك السلام وتقول: والله مازلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادي القرى إني إذا لسعيد

لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، فخذ هذه ألف دينار والحق بأهلك.

وعن حماد، عن أبيه، عن أبي عبيد الله الزبيري قال: اجتمع راوية جرير، وراوية كثير، وراوية جميل، وراوية الأحوص، وراوية نصيب، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال: صاحبي أشعر، فحكموا سكينة بنت الحسين لما يعرفون من عقلها وبصرها بالشعر، فاستأذنوا عليها فأذنت، فذكر لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية: أليس صاحبك يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام

فأي ساعة أحلى الزيارة من الطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره، ألا قال فادخلي بسلام؟ ثم قالت لراوية كثير: أليس صاحبك الذي يقول:

تقر بعيني ما تقر بعينها ... وأحسن شيء ما به العين تقر

وليس بعينيها أقر من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح، قبح الله صاحبك وقبح شعره.

ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي

عما أرى صاحبك هوي، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره.

ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فوا حزني من يهيم بها بعدي

فما أرى له همة إلا من يتعشقها بعده، قبحه الله وقبح شعره، ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فلا صلحت دعد لذي حيلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبك الذي يقول:

من عاشقين تواعدا وتراسلا ... حتى إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها ... حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال: نعم، قالت: قبحه الله وقبح شعره، ألا قال: تعانقا.

فلم تثن على أحد يومئذ ولم تقدمه.

وفي رواية أخرى: قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فيا ليتني أعمى أصم تقودني ... بثينة لا يخفى عليّ كلامها

قال: نعم، قالت: رحم الله صاحبك، فإنه كان صادقاً في شعره، وكان كاسمه، فحكمت له.

توفيت سكينة بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول من هذه السنة، وصلى عليها شيبة بن نصاح المقرئ.

عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان التيمي من تيم قريش، واسم أبي مليكة زهير. وكان ابن جدعان أحد الأجواد، وكان ماله عظيماً، وكانت له جفنة مباحة، فلما أسن حجر عليها رهطه، فإذا أعطى رجعوا على المعطي فأخذوه منه، فكان إذا جاءه سائل قال له: كن مني قريباً حتى ألطمك ولا ترضى مني إلا أن تلطمني، أو تفدي بلطمتك بفداء رغيب. فلما أعلم أهله بذلك خلوا بينه وبين ماله.

وكان ابن جدعان يقول:

إني وإن لم ينل مالي مدى خلقي ... وهاب ما ملكت كفاي من مال

لا أحبس المال إلا حيث أتلفه ... ولا يغيرني حال على حال

وكان ابن أبي مليكة فقيهاً، رأى ثلاثين صحابياً، وتوفي في هذه السنة.

عبدة بن أبي لبابة، أبو القاسم: سمع من عبد الله بن عمر، قال الأوزاعي: قال عبدة: إن أقرب الناس من الرياء أمنهم له.

عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي: عن علي ابن أبي جميلة قال: قال عبد الله بن أبي زكريا: عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد. قال: وكان لا يدع أحداً يغتاب في مجلسه أحداً، يقول: إن ذكرتم الله أعناكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم.

أسند عبد الله عن عبادة، وأبي الدرداء، وتوفي في هذه السنة علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو محمد أمه زرعة بنت مسرح، ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام في رمضان سنة أربعين، فسمي باسمه، وكني بكنيته، فقال له عبد الملك بن مروان: لا أحتمل بك الاسم والكنية. فغير كنيته، فكني أبا محمد.

وكان أجمل قرشي على وجه الأرض، وأكثر صلاة، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان يصبغ بالسواد.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن الفضل قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: حدَّثني محمد بن زكريا قال: حدَّثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال: حدَّثني أبي عن هشام بن سليمان المخزومي: أن علي بن عبد الله العباس كان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً عطلت قريش مجالسها في البيت الحرام، وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلس علي بن عبد الله إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً، فإن قعد قعدوا، وإن نهض نهضوا، وإن مشى مشوا جميعاً حوله، وكان لا يرى لقريشي في المسجد الحرام مجلس ذكر يجتمع فيه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم.

توفي علي بالشام في هذه السنة. وقيل: في سنة ثماني عشرة.

علي بن رباح بن قصير، أبو عبد الله اللخمي: ولد سنة خمس عشرة، عام اليرموك، وكان أعور، ذهبت عينه يوم ذات الصواري في البحر مع عبد الله بن أبي سرح سنة أربع وثلاثين، وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان، وكانت له منزلة من عبد العزيز بن مروان، وهو الذي زف أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك ثم عتب عليه عبد العزيز فأغزاه إفريقية، فلم يزل بها حتى توفي هذه السنة. وقيل سنة أربع وعشرة ومائة.

عمران بن ملحان، أبو رجاء العطاردي: تميمي مخضرم، ولد قبل الهجرة بإحدى عشر سنة، توفي في هذه السنة وقد بلغ مائة وثماني وعشرين سنة.

فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله تزوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فولدت له عبد الله، ثم مات عنها زوجها فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أبو طاهر المخلص قال: حدَّثنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدَّثنا الزبير بن بكار قال: كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قد خطب إلى عمه الحسين بن علي، فقال له الحسين: يا ابن أخي، قد انتظرت منك هذا، فانطلق معي. فخرج حتى أدخله مترله، ثم أخرج إليه بنيتيه: فاطمة، وسكينة، فقال: اختر فاختار فاطمة، فزوجه إياها، وكان يقال: إن أمر سكينة مردود إليها، وإنها لمنقطعة، ولما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة قال لفاطمة: إنك امرأة مرغوب فيك، وكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذا خرج بجنازي قد جاء على فرسه مرجلاً جمته، لابساً حلته، يسير في جنب الناس يتعرض لك، فأنكحي من شئت سواه، فإني لا أدع من الدنيا ورائي همّاً غيرك، فقالت له: أنت آمن من ذلك، وأثلجته بالأيمان من العتق والصدقة أن لا تتزوجه. ومات الحسن، وخرج بجنازته، فوافاها عبد الله بن عمرو بن عثمان في الحال التي وصف الحسن، وكان يقال لعبد الله بن عمرو بن عثمان: المطرف- من حسنه-فنظر إلى فاطمة حاسرة تضرب وجهها، فأرسل إليها إن لنا في وجهك حاجة فأرفقي به، فاسترخت يداها، وعرف ذلك فيها، وخمرت وجهها، فلما حلت أرسل من يخطبها، فقالت: كيف بيميني التي حلفت بها؟ فأرسل إليها: لك بكل مملوك مملوكان، وعن كل شيء شيئان، فعوضها عن يمنيها، فنكحته، وولدت له محمداً، والقاسم ورقية.

وكان عبد الله بن الحسن يقول: ما أبغضت بغض عبد الله بن عمرو أحداً، ولا أحببت حب ابنه محمد أحداً.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن القطان قال: أخبرنا محمد بن الحسن النقاش: أن الحسن بن سفيان أخبرهم قال: حدَّثنا إبراهيم بن المنذر قال: أخبرنا محمد بن معن الغفاري قال: حدَّثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: جمعتنا أمنا فاطمة بنت الحسين بن علي، فقالت: يا بني، والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئاً، ولا أدركوه من لذاتهم إلا وقد نالوه أهل المروءات بمروآتهم، فاستتروا بجميل ستر الله.

قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي: أسند عن أنس بن مالك، وعبد الله بن سرخس، وحنظلة الكاتب، وأبي الطفيل. وكان يرسل الحديث عن الشعبي ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي قلابة، ولم يسمع منهم.

وسأل سعيد بن المسيب وأكثر، فقال له: أكل ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم، سألتك عن كذا فقلت كذا، وعن كذا فقلت كذا، قال سعيد: ما ظننت أن الله خلق مثلك.

وكان يقول: ما سمعت أذناي شيئاً إلا وعاه قلبي.

وروى شهاب بن خراش عن قتادة، قال: باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل.

ميمون بن مهران، أبو أيوب مولى بني النضر بن معاوية كان مكاتباً لهم، وأدى كتابته وعتق، وكان بزازاً، وتشاغل بالعلم، وسأل ابن المسيب عن دقائق العلوم، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة، ومولده سنة أربعين، توفي في هذه السنة. وأسند عن ابن عمر، وابن عباس وغيرهما. وكان ثقة أخبرنا علي بن محمد بن حسون بإسناده له عن عيسى بن كثير الأسدي، قال: مشيت مع

ميمون بن مهران حتى إذا أتى باب داره ومعه ابنه عمرو، فلما أردت أن أنصرف قال له عمرو: يا أبت، ألا تعرض عليه العشاء، قال: ليس هذا من نيتي موسى بن وردان مولى عبد الله بن أبي سرح العامري، يكنى أبا عمر سمع من سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم من الصحابة. روى عنه الليث بن سعد وغيره، وكان يقص بمصر. توفي في هذه السنة.
نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الله: أصابه عبد الله في غزاته. وقد روى عنه وعن أبي هريرة، والربيع بنت مسعود وغيرهم، وكان ثقة، وبعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر يعلمهم السنن. توفي هذه السنة.
أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر رضي الله عنه: كانت من الأجواد الكرماء، وكانت تقول: لكل قوم نهمة في شيء، ونهمتي في العطاء.
وكانت تعتق في كل جمعة رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله عز وجل.

أخبرنا المحمدان ابن ناصر، وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي التوزي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: أخبرنا أبو علي بن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثنا الحسن بن علي بن عبد العزيز الجزري، عن ضمرة بن ربيعة، عن علي بن أبي جميلة، قال: سمعت أم البنين بنت عبد العزيز تقول: أف للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته.
قال القريشي: وحدثني محمد بن الحسن، قال: حدَّثني مروان بن محمد بن عبد الملك، قال: دخلت عزة على أم البنين، فقالت لها ما يقول كثير:

قضى كل ذي دين علمت غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين يا عزة؟ فاستحيت فقالت: عليّ ذاك. قالت: كنت وعدته قبلة فخرجت منها، فقالت أم البنين: أنجزيها له وإثمها عليّ.
قال يوسف: وحدثني رجل من بني أمية يكنى أبا سعيد، قال: بلغني أن أم البنين أعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة، وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت: يا ليتني خرست و لم أتكلم بها.

ثم دخلت سنة ثماني عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة معاوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك الروم.
وفيها: وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فتسارع الناس إليه وسمعوا أطاعوا، ثم غير ما دعاهم إليه وكذب وأظهر دين الخرمية، ورخص لبعضهم في نساء بعض وأخبرهم أن ذلك من أمر محمد بن علي، فبلغ خبره أسد بن عبد الله، فوضع عليه العيون حتى ظفر به، فأمر به فقطعت يده، وقلع لسانه، وسملت عينيه وقتله وصلبه بأمل.
وفيها: اتخذ أسد مدينة بلخ داراً، ونقل إليها الدواوين، واتخذ المصانع، ثم غزا طخارستان، ففتح وأصاب وسبى.
وفيها: عزل خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل، وجاء كتاب إلى أبي

بكر بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة. بإمرته فصعد المنبر وصلى بالناس ست أيام، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملاً على المدينة.

وفيها: حج بالناس محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف. قاله الواقدي.

وقال غيره: إنما كان عامل المدينة في هذه السنة خالد بن عبد الملك. وكان على العراق خالد بن عبد الله وإليه المشرق، وعامله على خراسان أخوه أسد بن عبد الله، وعامله على أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد، وعامله على البصرة وأحداثها وقضائها والصلاة بأهلها بلال بن أبي بردة.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد المنكدري، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصلت، قال: حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا المدائني، قال: نظر مالك بن دينار إلى رجل قد اشترى سمكة بستة دراهم، وثيابه تساوي ثلاثة دراهم، فقال: يا هذا، اشتريت سمكة بستة دراهم وثيابك لعلها تساوي ثلاثة دراهم، فقال له: يا أبا يحيى لسب أريدها لنفسي إنما اشتريتها للأمير الظالم الذي يطالبنا بما لا نطيق- وذكر له بلال بن أبي بردة- قال: فامض معي إليه، فمضى فاستأذن فأذن له، فقال له: يا ذا الرجل، أزل عن الناس ما تعتمده من الظلم، ولا تعرض لهذا البائس، قال: قد أزلت عنه المظلمة لمكانك يا أبا يحيى، ادع الله لي دعوة، قال: وما ينفعك أن أدعو لك وعلى بابك مائتان يدعون عليك

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إياس بن سلمة بن الأكوع، أبو بكر الأسلمي: روى عن أبيه، توفي بالمدينة.

ثابت بن أسلم، أبو محمد البناني البصري: نسب على بنانة بنت القين بن حبشي تربى حاضنه، حضنت أولاد سعد بن لؤي، ونسب أولاده إليها.

أسند ثابت عن ابن عمر، وابن الزبير، وأنس وغيرهم، وكان متعبداً كثير الصلاة والصيام.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو علي التميمي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا حسن بن موسى، قال: حدَّثنا أبو هلال، عن بكر ابن عبد الله، قال: من سره أن ينظر إلى أعبد رجل أدركناه في زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه، تراه في يوم معمعاني بعيد ما بين الطرفين، يظل صائماً، ويروح ما بين جبهته وقدمه.

قال أحمد: و حدَّثنا سيار، حدَّثنا جعفر، قال: سمعت ثابتاً يقول: ما تركت في المسجد الجامع سارية إلا وقد ختمت القرآن عندها وبكيت عندها.

حي بن يؤمن بن جحيل، أبو عشانة المعافري: حدث عنه أبو قبيل، والليث، وابن لهيعة. وكان من العباد. توفي في هذه السنة.

الحجاج بن فرافصة: روى عن أنس بن مالك، وكان من العباد المشتغلين.

أخبرنا علي بن عبيد الله، قال: أخبرنا أبو محمد الصيرفي، قال: أخبرنا أبو محمد حفص الكتاني، قال: حدَّثنا أبو بكر النيسابوري، قال: حدَّثنا يوسف، قال: حدَّثنا محمد بن كثير، عن سفيان، قال: بت عند الحجاج بن فراصفة اثني عشرة ليلة، ما رأيته أكل ولا

شرب ولا نام.

عبد الله بن عامر، أبو عبد الرحمن اليحصبي: إمام أهل الشام في القراءة، قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان. وروى ابن عامر عن واثلة، النعمان بن بشير، وولي القضاء وتوفي هذه السنة.

عبادة بن نسي: قاضي الأردن وسيد أهلها، رأى عقبة بن عامر الجهني، وأبا عبد الله الصنابحي. توفي هذه السنة.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: حدَّثنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: حدَّثنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن دستوريه، قال: حدَّثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدَّثني سعيد بن أسد، قال: حدَّثنا ضمرة، عن رجاء، قال: كان بين رجل وعباده بن نسي منازعة، فأسرع إليه الرجل فلقي رجاء بن حيوية، فقال: بلغني أن فلاناً كان منه إليك فأخبرني، فقال: لو لا أن تكون غيبة مني لأخبرتك بما كان منه.

عروة بن أذينة، أبو عامر: من بني ليث، وكان شريفاً أديباً ثبتاً يحمل عنه الحديث، وفد هشام بن عبد الملك، فقال له: ألست القائل:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعنيني

قال: بلى، قال: فما أقدمك علينا؟ قال: سأنظر في ذلك، وخرج وارتحل من ساعته. وبلغ هشام ذلك فأتبعه بجائزته.

ووقفت عليه امرأة، فقالت: أنت الذي يقال عنك الرجل الصالح وأنت تقول:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ... عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هذا يؤدي ببرد الماء طاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتقد

فوالله ما قال هذا صالح قط.

أخبرنا ابن ناصر الحافظ بإسناد له عن عبد الجبار بن سعيد، قال: مرت سكينة ومعها جواريها ليلة بالعقيق، فإذا هي بعروة بن أذينة، فقالت لجواريها: من في قصر ابن عنبسة جالس، فقلن لها: عروة بن أذينة، فمالت إليه فقالت: أنت يا أبا عامر تزعم أنك بريء وأنت الذي تقول:

قالت وقد أبثثها وجدي فبحت به ... قد كنت ويحي تحت الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها ... غطي هواك وما ألقى على بصري

هن أحرار إن كان خرج هذا من قلب سليم، فإن شئت أن تعتقهن فقل.

أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني: كان كثير التعبد دائم البكاء، قد جعلت الدموع في خديه طريقين.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم، قال: حدَّثنا عبد الصمد بن سعيد، قال: سمعت أبا أيوب قال: سمعت يزيد بن عبد ربه يقول: عدت أبا بكر بن أبي مريم وهو يقول في النزع، فقلت له: رحمك الله، لو جرعت جرعة ماء، فقال: بيده لا، ثم جاء الليل فقال: إذن، فقلت: نعم، فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم مات.

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم وفيها: غزا أسد بن عبد الله فملأ يديه من السبي، ولقي خاقان ملك الترك فقتله، وقتل بشراً كثيراً من أصحابه وانصرف بغنائم كثيرة.

وكان الحارث بن شريح قد انضم إلى خاقان، فتبارزوا، فانهزم الحارث والترك وخاقان وتركوا قدورهم تغلي، وتبعهم الناس ثلاثة فراسخ يقتلون من قدروا عليه، واستاقوا من أغنامهم أكثر من خمسين ومائة ألف شاة ودواب كثيرة، ولحقهم أسد عند الظهر ووجل بخاقان بذدونه، فحماه الحارث بن شريح، وبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان، واستنفذ من كان في أيديهم من المسلمين، ومضى خاقان إلى الجوزجان فارتحل أسد فترل بها، فهرب خاقان ورجع أسد إلى بلخ، فقتلوا من قدروا عليه منهم، ثم رجع خاقان إلى بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند، وحمل الحارث وأصحابه على خمسة آلاف برذون.
وأن خاقان لعب مع بعض الملوك بالنرد، فتنازعا فضرب ذلك الملك يد خاقان فكسرها، فحلف خاقان ليكسرن يده، فبيت خاقان فقتله، وبعث أسد إلى خالد بن عبد الله يخبره، فبعث إلى هشام يبشره بالفتح، فترل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر.
وقد روي لنا في حديث طول من أخبار هشام أنه جاءه الخبر أن خاقان قد خرج فاستباح أرمينية، فلما سمع ذلك ضرب مضرباً وآلى ألا يكنه سقف بيت وأن لا يغتسل من جنابة حتى يفتح الله عليه. فأمر مسلمة فعسكر، فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً فأخبرهم بما ورد من الخبر. وبعث إلى سعيد بن عمرو الحرشي فأنفذه، فجعل لكل من معه علماً في رمحه، فوصلوا ومع خاقان ثمانية عشر ألف أسير من المسلمين، فكبر المسلمون تكبيرة واحدة، فرأت الإسراء الأعلام، فعلموا أنها للمسلمين، فقطعوا أكتاف أنفسهم، وتناولوا خشباً كان الكفار قد جمعوه، فثار الكفار إلى خيلهم، فهذا يسرج، وهذا يركب، فلحقتهم خيول المسلمين، وأدرك خاقان فقتل واستبيح عسكرهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون وقتل ابن خاقان.
وفي هذه السنة قتل المغيرة بن سعيد ومن معه.
خرج المغيرة بن سعيد وسار بظاهر الكوفة في نفر، فأخذهم خالد فقتلهم، وأما المغيرة فذكر أنه كان ساحراً.
قال الأعمش: سمعت المغيرة يقول: لو أراد علي رضي الله عنه أن يحيي عاداً وثموداً وقروناً بي ذلك كثيراً لأحياها.
قال أبو نعيم: كان المغيرة قد نظر في السحر فأخذه خالد القسري فقتله.
قال سعيد بن مرادابند: رأيت خالداً حين أتى بالمغيرة وبيان في ستة نفر أو سبعة، أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع، وأمر بأطنان قصب ونفط، فأحضرا ثم أمر المغير أن يتناول طناً فتأبى فصبت الصياط على رأسه، فتناول طناً فاحتضنه، فشد عليه ثم صب عليه وعلى الطن نفط ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا، ثم أمر الرهط ففعلوا كذلك. ثم أمر بياناً أخرهم فتقدم إلى الطن مبادراً فاحتضنه فقال خالد: ويلكم في كل أمركم تحمقون، هلا رأستم هذا لا المغيرة، ثم أحرقه.
وفي هذه السنة خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل.
وكان مترله بدابق، وكان يتأله، فخرج يريد الحج، فأمر غلامه أن يبتاع له بدرهم خلاً فجاءه بخمر، فأمره بردها وأخذ الدرهم، فمل يجب إلى ذلك، فجاء بهلول إلى عامل القرية فكلمه، فقال العامل: الخمر خير منك ومن قومك، فمضى في حجه، وعزم على الخروج على السلطان، فلقي بمكة من كان على مثل رأيه، فاتّعدوا قرية من قرى الموصل، فاجتمعوا أربعين، وأمروا البهلول، فجعلوا لا يمرون على أحد إلا أخبروه أنهم أقبلوا من عند هشام إلى خالد لينفذهم في أعمالهم، فأخذوا دواباً من دواب البريد، فلما انتهوا

إلى القرية التي كانت ابتاع الغلام منها الخلّ، فقال بهلول: نبدأ بهذا العامل الذي قال ما قال، فقال له أصحابه: نحن نريد قلت خالد، فإن بدأنا بهذا شّهرنا وحذرنا خالد وغيره، فننشدك الله أن تقتل هذا فيفلت منا خالد، فقال: لا أدع ما يلزمني لما بعده، وأنا أرجو أن أقتل هذا وأدرك خالدً، وقد قال الله عز وجل:" قاتلوا الذين يلونكم من الكفار" فأتاه فقتله فنذر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج فابتدروا هرّاباً.

وخرجت البرد إلى خالد، فأعلموه أن خارجة قد خرجت، فبعث إليهم جنداً فالتقوا على الفرات فهزمهم البهلول، وارتحل إلى الموصل فخافه عامل الموصل، فتوجه يريد هشاماً، فخرجت إليه الأجناد فكانوا عشرين ألفاً وهو في سبعين، فقاتلهم فقتل منهم جماعة، ثم عقد أصحابه دوابهم وترجلوا، فأوجعوا في الناس، ثم طعنه رجل فوق، فقال أصحابه: وَلِّ أمرنا من يقوم به، قال: إن هلكت فأمير المؤمنين دعامة الشيباني فإن هلك فعمرو اليشكري، ثم مات من ليلته، فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم، فخرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل، ثم خرج العمريري، فخرج إليه الصمط بن مسلم، فانهزمت الحرورية فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم.

ثم خرج وزير السجستاني، وكان مخرجه بالحيرة، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها ولا أحد إلا قتله، وغلب على بيت المال، فوجه إليه خالد قائداً من أصحابه فقتل عامة أصحابه وارتث، فحمل إلى خالد، فقرأ عليه آيات من القرآن ووعظه، فأعجب خالد من كلامه فحبسه، وكان يبعث إليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه، فبلغ ذلك هشاماً وقيل: أخذ حرورياً ً واتخذه سميراً، فغضب هشام وكتب إلى خالد يشتمه ويأمره بقتله وإحراقه. فشده وأصحابه بأطنان القصب، فصب عليهم النفط وأحرقهم بالنار، فما منهم إلا من اضطرب إلا هذا الرجل، فإنه لم يتحرك، و لم يزل يتلو القرآن حتى مات.

وفي هذه السنة خرج الصحاري بن شبيب على خالد، ووافقه جماعة، فبعث إليهم خالد جنداً فاقتتلوا فقتلوهم بأجمعهم.

وفي هذه السنة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك، وحج معه ابن شهاب الزهري، وكان العامل في هذه السنة على مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله، وعامل خالد على خراسان أخوه أسد.

وقد قيل إن أسداً هلك في هذه السنة استخلف جعفر بن حنظلة البهراني، وقيل: إنما هلك أسد في سنة عشرين، وكان على أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد بن مروان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حبيب بن أبي ثابت الأسدي، مولى لبني كاهل: روي عن عمر وابن عباس وجابر وحكيم بن حرام، وأنس بن مالك وابن أبي أوفى. وكان كثير التعبد.

قال أبو بكر بن عياش: لو رأيت حبيب بن أبي ثابت ساجداً لقلت: ميت من طول سجوده، وكان كريماً، أنفق على القراء مائة ألف، وكان يقول: ما استقرضت شيئاً من أحد أحب إلي من نفسي، أقول لها: أمهلي حتى يجيء من حيث أحب.

وتوفي في هذه السنة.

حبيب أبو محمد الفارسي: حضر مجلس الحسن البصري فتأثر بموعظته، فخرج مما كان يملكه وتعبد. وكان له زوجة يقال لها عمرة

تنبهه في اسحر وتقول: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد والزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ويقينا.

أخبرنا أبو بكر العامري، قال: أخبرنا أبو سعيد الحيري، قال: أخبرنا ابن باكويه الشيرازي، قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم الشيروزي، قال: حدثنا عبد الصمد بن محمد العباداني، قال: حدثنا خلف بن الوليد، قال: اشترى حبيب الفارسي نفسه ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم، أخرج بدرة فقال: يا رب اشتريت منك نفسي بهذه، وأخرج بدرة أخرى، فقال: إلهي إن كنت قبلت تلك فهذه شكرالها، ثم أخرج الثالثة فقال: إلهي إن كنت لم تقبل الأولى والثانية فاقبل هذه، ثم أخرج الرابعة فقال: إلهي إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكر لها.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا بإسناد له عن إسماعيل بن زكريا وكان جاراً لحبيب، قال: كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه، وإذا أصبحت سمعت بكاءه، فأتيت أهله فقلت: ما شأنه يبكي إذا أمسى أن لا يصبح وإذا أصبح أن لا يمسي.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، قال: أخبرنا عبد الواحد بن محمد الصباغ، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسن الضراب، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أحمد بن مروان، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال أخبرنا محمد بن عبد الله، عن عبد الواحد بن زيد: أن حبيباً أبا محمد جزع جزعاً شديداً عند الموت، فجعل يقول بالفارسية: أريد أسافر سفراً ما سافرته قط، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ثم أوقف بين يدي الله فأخاف أن يقول لي: حبيب، هات تسبيحة واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها، فماذا أقول وليس لي حيلة، أقول: يا رب هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي.

قال عبد الواحد: هذا عبد الله، ستين سنة مشتغلاً به و لم يشتغل من الدنيا بشيء قط، فأي شيء حالنا؟ واغوثاه بالله.

مجمع بن سمعان، أبو حمزة. كان سفيان الثوري يرى له أمراً عظيماً حتى قال: ليس شيء من عملي أرجو ألا يشوبه شيء كحبي لمجمع التيمي.

وقال سفيان: يروى عن أبي حيان التيمي أنه قال وحلف: ما من عمله شيء أوثق في نفسه من حبه من مجمع التيمي.

وكان أبو بكر بن عياش يقول: ومن كان أروع من مجمع.

ورأيي مجمع في إزار سفيان خرقاً فأعطاه أربعة آلاف درهم، قال سفيان: لا أحتاج إليها، قال: صدقت، أنت لا تحتاج إليها ولكني أحتاج.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن هبة الله الطبري، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: حدَّثنا ابن درستويه، قال: حدَّثنا يعقوب بن سفيان، قال حدَّثنا أبو بكر، قال حدَّثنا سفيان، قال: قال مسعر: جاء مجمع إلى أسوق بشاة يبيعها، فقال يخيل إليّ أن في لبنها ملوحة.

قال أبو حاتم الرازي: دعا مجمع ربه عز وجل أن يميته قبل الفتنة فمات من ليلته، وخرج زيد بن علي من الغد.

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة سليمان بن هشام الصائفة وافتتاحه سندرة وغزوة إسحاق بن مسلم العقيلي فافتتح قلاعاً.

وغزوة مروان بن محمد أرض الترك. وكان قد ولاه أرمينية، فكتب إليه يستأذنه في الدخول إلى بلادهم، فكتب إليه هشام: كيف أفعل ما لم يفعله أحد قبلي. فكتب إليه: إن الناس يشتهون ذلك وأرجو أن يكون فيه خير. فأذن له، فدخل والقوم غارون فهربوا إلى الآجام، فأضرمها ناراً واقتتلوا قتالاً شديداً، وظفر المسلمون، وبعثوا إليه بالخبر.

وفي هذه السنة توفي أسد بن عبد الله، فاستخلف جعفر بن حنظلة البهراني، فعلم أربعة أشهر، وجاء عهد نصر بن سيار في رجب.

وفي هذه السنة وجهت شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد بن علي سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه.

وسبب ذلك موجدة كانت من محمد بن عليّ على شيعته بخراسان من أجل طاعتهم لخداش الذي كان يكذب على محمد بن علي، فترك مكاتبتهم، فبعثوا سليمان بن كثير، فقدم عليه، فعنف أهل خراسان فيما فعلوا.

ثم وجه محمد بن علي بن بكير بن ماهان إلى خراسان بعد منصرف سليمان يعلمهم أن خداشاً حمل شيعته على غير منهاجه فتابوا من ذلك.

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي ولاه كلها وكان لذلك أسباب منها: أنه اتخذ أموالاً وخفرا، فبلغت عشرين ألف ألف، وكانوا يشيرون عليه أن يعرض بعضها على هشام فلا يفعل. فبلغ ذلك هشاماً، ثم بلغه أن خالداً استخف برجل من قريش، وكان يقول لابنه: ما أنت بدون مسلمة بن هشام؟ وكان خالد يذكر هشاماً فيقول: ابن الحمقاء، وكانت أم هشام تستحمق. فكتب إليه هشام كتاباً في فيه غلظة، وقَّبح له استخفافه بقريش، وسبه في الكتاب وعزم على عزله، وأخفى ذلك، فلما أحس طارق خليفة خالد بالأمر ركب إلى خالد، فقال له اركب إلى أمير المؤمنين فاعتذر إليه من شيء بلغه عنك: فقال: كيف أركب إليه بغير إذنه؟ قال: فسر في عملك وأتقدمك، فأستأذنه لك، قال: ولا هذا، قال فأذهب فأضمن لأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السنين، قال: وما مبلغه؟ قال: مائة ألف ألف، قال: ومن أين أجد هذا؟ والله ما أجد عشرة آلاف درهم، قال: نتحمل عنك ونفرق الباقي على العمال، قال: أين للئين إن كنت سوغت قوماً شيئاً ثم أرجع فيه.

فخرج طارق يبكي، وقال: هذا آخر ما نلقتي في الدنيا، وجاء كتاب هشام إلى يوسف بن عمر: سر إلى العراق فقد وليتكها، وإياك أن تُعلم أحداً، وخذ ابن النصرانية وعماله فأشفني منهم، فقدم يوسف العراق في جمادى فأخذ صالح، فحبسه فصولح على تسعة آلاف ألف درهم، وقيل أخذ مائة ألف ألف فكانت ولاية خالد في شوال سنة عشر ثم عزل في جمادى الآخر سنة عشرين.

وفي هذه السنة ولي يوسف بن عمر العراق فقدم والياً عليها على ما ذكرنا، فولى خراسان جُديع بن علي الكرماني، وعزل جعفر بن حنظلة. واستشار هشان فيمن يولي العراق، فذكروا له رجالاً، فاختار نصر بن سيار فولاه، وكتب إليه أن يكاتب يوسف بن عمر، فكتب يوسف عهد نصر بن سيار مع عبد الكريم الحنفي فأعطاه نصر عشرة آلاف درهم، وأحسن الولاية والجباية، وبث العمال وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها مثلها.

وفي هذه السنة حدج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل، وكان هو العامل على المدينة ومكة والطائف.

وقيل: بل حج بهم سليمان بن هشام بن عبد الملك. وقيل: يزيد بن هشام.

وكان على المشرق والعراق يوسف بن عمر، وعلى خراسان نصر بن سيار، وقيل: جعفر بن حنظلة، وعلى البصرة كثير بن عبد الله

السلمي من قبل يوسف بن عمر، وعلى قضائها عامر بن عبيدة الباهلي، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد، وعلى قاضي الكوفة ابن شبرمة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسد بن عبد الله، أخو خالد بن عبد الله القسري: وقد ذكرنا ما كان إليه من خراسان وغيرها. وكانت به دبيلة في جوفه، فحضر المهرجان وهو ببلخ، فقدم عليه الأمراء والدهاقين بالهدايا، وكان فيمن قدم عليه عامله على هراة ودهقانها، فقدما بهدية قومت ألف ألف، كان فيها قصر من ذهب،. وقصر من فضة، وأباريق من ذهب وفضة، وصحاف من ذهب وفضة، فأقبلا وأسد جالس على سرير وأشراف الناس من خراسان على الكراسي، فوضعا القصرين، ثن وضعا خلفهما الأباريق والصحاف والديباج القوهي، وغير ذلك. ففرق ذلك ثم مرض فأفاق، فدم إليه كمثرى، فأخذ واحدة فرمى بها إلى عامل له فانقطع الدبيلة فهلك.

سلم بن قيس العلوي يروي عن أنس. روى عنه جرير بن حازم. وثقه يحيى وأبو بكر بن أبي داود.

وقال يحيى في رواية: هو ضعيف. وقال حماد: ذكرته لشعبة، فقال: الذي يرى الهلال قبل الناس بيومين. قال له الحسن: خل بين الناس وهلالهم حتى يروه. قال ابن قتيبة: يقال إن أشفار عينيه ابيضت، وكان إذا أبصر رأى أشفار عينيه فيظنها الهلال.

وليس من أولاد علي بن أبي طالب، إنما هو من ولد علي بن يونان، قيل: كانوا بالبصرة، وثم آخر يقال له: خالد بن يزيد العلوي من ولد علي بن الأسود، يروي عن الحسن البصري، وثم آخر يقال له جندب بن سرحان العلوي من بني مدلج، حدث عن بليغ، روى عنه ابن لهيعة، ومدلج من بني عبد مناة بن كنانة، وإنما قيل لولده بنو علي لأن أمهم الدفراء واسمها فكيهة تزوجها بعد أبيهم علي بن مسعود الغساني، فنسبوا إليه. وإياهم عنى أمية بن أبي الصلت بقوله:

لله در بن علي ... إيّم منهم وناكح

وما عدا من ذكرنا ممن يقال له العلوي فمنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عبد الله بن كثير، أبو معبد المقري مولى عمر بن علقمة الكناني، ويقال: الداري: والدار بطن من لخم، وهو من أبناء فارس الذين كانوا بصنعاء، بعثهم كسرى إلى اليمن لما طرد الحبشية عنها، وهو أحد القراء السبعة. أخذ عن مجاهد، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء.

وكان ذا دين وورع، وكان عطاراً، وتوفي بمكة في هذه السنة.

عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان أبو عمر الظفري الأنصاري كان له علم بالسير والمغازي. روى عن ابن إسحاق وغيره، وكان ثقة، ووفد على عمر بن عبد العزيز في خلافته في دين لزمه، فقضاء عنه، وأمر له بمعونة، وأمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقب أصحابه رضي الله عنهم، وقال: إن بني أمية كانوا يكرهون هذا وينهون عنه، فأجلس فحدث، ففعل.

ثم رجع إلى المدينة فتوفي بها في هذه السنة.

قيس بن مسلم الجدلي: روى عن طارق بن شهاب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وابن جبير. وكان من المتعبدين البكائين، وتوفي في هذه السنة.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ بإسناده عن أبي بكر بن عبيد، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا الحميدي، قال حدَّثنا سفيان، قال: كان قيس بن مسلم يصلي حتى السحر، ثم يجلس فيمج البكاء ساعة بعد ساعة ويقول: لأمرٍ ما خلقنا، لئن لم نأت الآخرة بخير لنهلكن.

محمد بن واسع بن جابر، أبو عبد الله أسند عن أنس وغيره، وكان عالماً خيراً متواضعاً، وكان الحسن يسميه سيد القراء، وكان يصوم الدهر ويخفي ذلك، وكان يبكي طول الليل حتى قالت جارية له: لو كان هذا قتل أهل الدنيا ما زاد على هذا. وكان يخرج فيغزو، فخرج مرة إلى الترك مع قتيبة بن مسلم، فقيل لقتيبة: محمد بن واسع يرفع إصبعه – يعني يدعو – فقال: تلك الإصبع أحب إليّ من ثلاثة آلاف عنان.

أنبأنا المبارك بن أحمد الكندي، أخبرنا عاصم بن الحسن، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدثني أبو حفص الصيرفي، قال: حدثني علي بن بزيع الهلالي، قال: قال مطر الوراق، قال: ما اشتهيت أن أبكي قط حتى أشتفي إلا نظرت إلى وجه محمد بن واسع، وكنت إذا نظرت إلى وجهه كأنه قد ثكل عشرة من الحزن.

أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري بإسناد له عن ابن شوذب، قال: كان إذا قيل بالبصر: من أفضل أهل البصرة؟ قالوا: محمد بن واسع، و لم يكن يرى له كثير عبادة، وكان يلبس قميصاً بصرياً وساجاً، وكان له علية، فإذا كان الليل دخل ثم أغلقها عليه.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: حدَّثنا حمد بن أحمد قال: حدثنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا بن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثنا سفيان بن وكيع، قال: حدَّثنا ابن علية، عن يونس، قال: سمعت محمد بن واسع يقول: ول كان يجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدونوا مني من نتن ريحي.

قال عبد الله: وحدثني علي بن مسلم، قال: حدثنا سيار، قال: حدَّثنا الحارث بن نبهان، قال: سمعت محمد بن واسع يقول: وا أصحاباه، ذهب أصحابي : قلت: رحمك الله، أليس قد نشأ شباب يصومون النهار، ويقومون الليل، ويجاهدون في سبيل الله؟ قال: بلى، ولكن يداخ وثفل أفسدهم العجب.

قال عبد الله: وحدثنا هارون بن معروف، قال: حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، قال: قسم أمير البصرة على أهل البصرة، فبعث إلى مالك بن دينار فقبل، فقال له محمد بن واسع: يا مالك قبلت جوائز السلطان، قال: سل جلسائي، فقالوا: اشترى بها رقاباً وأعتقهم، فقال له محمد بن واسع: أنشدك الله، أقلبك الساعة له على ما كان قبل أن يجيزك؟ قال: اللهم لا، قال: ترى أي شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

قال عبد الله: وحدثني عبيد الله القواريري، قال حدَّثنا حماد بن زيد، قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده في مرضه، فجاء يحيى البكاء يستأذن، فقالوا: يحيى البكاء، فقال: إن شر أيامكن يوم نسبتم إلى البكاء.

وفي رواية أخرى أنه قال: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم.

وقال لرجل: هل أبكاك قط سابق علم الله فيك.

أخبرنا علي بن أبي عمر، قال: أخبرنا رزق الله، قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عبيد الله، قال: حدَّثنا عبد الله بن عيسى الطفاوي، قال: حدَّثنا محمد بن عبد الله الزراد، قال: رأى محمد بن واسع ابناً له وهو

يخطر بيده، فقال: ويحك، تعال، تدري من أنت؟ أمك اشتريتها بمائتي جرهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله.

قال ابن عبيد الله: و حدَّثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم، عن سعيد بن عامر، عن حزم، قال: قال محمد بن واسع وهو في الموت: يا إخوتاه، تدرون أين يذهب بي؟ يذب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو عني.

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: اسمه كنيته، وكان فاضلاً، وكان إليه القضاء والحج. ولما ولي عمر بن عبد العزيز ولاه إمرة المدينة.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد المسرقندي بإسناده عن عطاف بن خالد، عن أمه، عن امرأة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنها قالت: ما اضطجع أبو بكر على فراشه منذ أربعين سنة بالليل.

توفي بالمدين وهو ابن أربع وثمانين سنة.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

فمن الحوادث فيها

غزوة مسلمة الروم، وافتتح بها مطامير.

وغزوة مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب، ففتح قلاعه، وخر أرضه، وأذعن له بالجزية في كل سنة ستة آلاف رأس يؤديها، وأخذ بذلك الرهن، وملكه مروان على أرضه.

وفي هذه السنة قتل زيد بن علي في بعض الأقوال، وفي قول: إنه قتل في سنة عشرين. وزعم هشام بن محمد أنه قتل سنة اثنتين وعشرين.

واختلف في سبب خروجه. فقال عبد الله بن عياش: قد زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وداود بن علي بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق فأجازهم إلى المدينة، فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم رد الأرض عليه. وكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرحهم إليه، ففعل، فسألهم هشام فأقروا بالجائزة، وأنكروا ما سوى ذلك، فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها وحلفوا لهشام فصدقهم.

وفي رواية: أن يزيد بن خالد القسري ادعى مالاً قبل زيد بن علي ومحمد بن عمر وداود بن علي في آخرين فأنكروا.

وفي رواية أن خالداً القسري لما عذب ادعى أنه استودع هؤلاء مالاً، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك، فقال لهم هشام: فإنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه، فقال له زيد بن علي: أنشدك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف فإني أخاف أن يعتدي علي، قال: ليس ذلك له، ثم كتب إلى يوسف: أما بعد، فإذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد، فإنهم هم أقروا بنا ادعى عليهم فسرحهم إلي، وإن هم أنكروا فسله بينة، وإن لم يقم بينة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعكم يزيد وديعة ولا له قبلك شيء، ثم خل سبيلهم، فلما قدموا سألهم عن المال فأنكروا جميعاً وقالوا: لم يستودعنا مالاً ولا له قبلنا حق، فقال له يوسف: هؤلاء الذين ادعيت عليهم ما ادعيت، فقال: ما لي قبله قليل ولا كثير، فقال له: أفبي تهزأ أم بأمير المؤمنين فعذبه عذاباً ظن أنه قتله، فاستحلفهم وخلى سبيلهم، فلحقوا بالمدينة.

وقيل لخالد: لم ادعيت عليهم؟ فقال: اشتد علي العذاب فرجوت مجيء فرج قبل وصولهم. وأقام زيد بن علي بالكوفة.
وقيل: إنما كانت الخشونة بين زيد وعبد الله بن حسن بن حسن، فقدم زيد على هشام لمخاصمة ابن عمه عبد الله، فقال له هشام: قد بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها وليست هناك أنت ابن أمة، فقال: إن لك يا أمير المؤمنين جواباً، قال: فتكلم، قال: ليس أحد أولى بالله من نبي ابتعثه، وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء، وكان ابن أمة.
وخرج فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد وتأمره بالخروج، ويقولون: إنا لنرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية، فأقام بالكوفة، وكتب هشام إلى يوسف: أشخص زيداً إلى بلده فإنه لا يقيم ببلد فيدعو أهله إلا أجابوه، فإنه جدل لسن حلو الكلام، فإن أعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه مع ما يدلي به من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم – مالوا إليه، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه، فيقال: هو هاهنا، فيبعث إليه: أن أشخص، فيقول: نعم، ويعتل بالوجع، ويبلغ يوسف أن الشيعة تختلف إلى زيد، فسأل عنه بعد مدة، فقيل: لم يبرح، وكان قد أقام نحو خمسة عشر شهراً، فبعث إليه يستحثه، وكان يوسف بالحيرة، وإنما كان يكتب إلى عامله بالكوفة، فتهيأ زيد وخرج، فلحقته الشيعة فقالوا: أين تذهب ومعك مائة ألف راجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيافهم غداً، وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة قليلة، لو أن قبيلة من قبائلنا نصبت لهم لكفتهم بإذن الله، فننشدك الله لما رجعت. فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة.

وفي رواية: أن جماعة من وجوه أله الكوفة بايعوه حين كان بالكوفة منهم سلمة بن كيهل، ونصر بن خزيمة، وحجية بن الأجلح، ثم أن سلمة أشار على زيد ألا يخرج، فلما رأى ذلك داود بن علي قال له: يا ابن عم، لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففي أهل بيتك لك عبرة، وفي خذلان هؤلاء إياهم، فقال: يا داود، إن بني أمية قد عتوا. فلم يزل به داود حتى شخص إلى القادسية، فتبعه أهل الكوفة فقالوا: نحن أربعون ألفاً فإن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحد، وأعطوه المواثيق والأيمان المغلظة، فجعل يقول: إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بابي وجدي، فيحلفون له فيقول داود بن علي: يا ابن عم، إن هؤلاء يغرونك، أليس قد خذلوا من كان أعز منك عليهم، جدك علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قتل، والحسن بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتهبوا فسطاطه وجرحوه، أو ليس قد أخرجوا جدك الحسين، وحلفوا له ثم خذلوه، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه، فلا تفعل ولا ترجع معهم، فقالوا له: إن هذا لا يريد أن تظهر، ويزعم أنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر.
فمضى داود إلى المدينة، ورجع زيد إلى الكوفة فاستخفى فأقبلت الشيعة تختلف إليه وتبايعه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل، فأرسل إلى السواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه.
وتزوج بالكوفة، فكان يترل تارة في دار امرأته في دار أصهاره، ومرة عند نصر بن خزيمة، ثم تحول إلى دار معاوية بن إسحاق، وكانت بيعته التي بايع الناس: ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهل بالسواد، ورد المظالم، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا. فإذا قال القائل: نعم، وضع يده على يده، وقال: عليك عهد الله وميثاقه وذمة الله وذمة رسوله لتفين بيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن في السر والعلانية؟ فإذا قال: نعم، مسح يده على يده ثم قال: اللهم أشهد.
فمكث كذلك بضعة عشر شهراً، فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ، فشاه أمره في الناس، فلما عزم على الخروج أمر

أصحابه بالتأهب، فانطلق سليمان بن سراقة البارقي إلى يوسف بن عمر فأخبره خبره، فبعث يوسف في طلب زيد فلم يجده، فلما رأى الناس الذين بايعوه أن يوسف بن عمر يستبحث عن أمره اجتمع إليه جماعة من رؤسائهم، فقالوا له: رحمك الله، ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: رحمهما الله ورضي عنهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلا أهما وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم، فقال زيد: لو قلنا إنهم استأثروا علينا لم يبلغ ذلك بهم كفراً، قد والله ولّوا فعدلوا، قالوا: فإذا كان أولئك لم يظلموكم فلم تدعونا إلى قتال هؤلاء، فقال: إن هؤلاء ظالمون لكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وإلى السنن أن تحيى، وإلى البدع أن تطفأ. ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا: سبق الإمام – وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام، وكان قد هلك يومئذ – وكان ابنه جعفر بن محمد حياً، فقالوا: جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالأمر ولا نتبع زيداً وليس بإمام، فسماهم زيد الرافضة.

ثم استتب لزيد خروجه، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين، وبلغ يوسف بن عمر، فبعث إلى الحكم بن الصلت وهو يومئذ على الكوفة، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم ويحصرهم فيه. فجمع الناس في المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم، وطلب زيد فخرج ليلاً، ورفع أصحابه هرادي النار ونادوا: زيد يا منصور. ومر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وأغلقوا أبواب المسجد على أهل الكوفة، وكان جميع من وافى زيداً في تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله ، أين الناس؟ فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون.

فذهب زيد إلى الكناسة، فإذا بها جمع من جموع أهل الشام فهزمهم، ثم خرج إلى الجبانة، وخرج يوسف بن عمر، فنزل على تل قريب من الحيرة ومعه أشراف الناس، ثم عاد زيد فدخل الكوفة فقصد المسجد، فجعل أصحابه يقولون: يا أهل المسجد اخرجوا. واقتتل هو وأهل الشام.

فما كانت غداة الخميس بعث يوسف بن عمر جنداً فلقوا زيداً فاقتتلوا فهزمهم زيد، وقتل من أهل الشام نحواً من سبعين، فانصرفوا وهم بشر حال. ثم عبأهم يوسف بن عمر وسرحهم، فالتقوا بأصحاب زيد فحمل عليهم زيد وأصحابه، فكشفهم وقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري بين يدي زيد، فقتل وثبت زيد حتى إذا جاء الليل رُمي بسهم فأصاب جبهته، فثبت في الدماغ، فأدخل إلى بيت، وجيء بالطبيب فانتزع السهم فجعل يضج حتى مات. فقال القوم: أين ندفنه؟ فقال بعض أصحابه: نلبسه درعه ونطرحه في الماء، وقال آخر: بل نحتز رأسه ونطرحه بين القتلى، فقال ابنه لا والله لا تأكل لحم أبي الكلاب. فجاءوا به إلى نهر فسكروا الماء وحفروا له فدفنوه وأجروا عليه الماء، وتصدع الناس، وتوارى ولده يحيى بن يزيد.

فلما سكن الطلب خرج في نفر من الزيدية إلى خراسان، ثم دل القوم على قبر زيد، فاستخرجوه وقطعوا رأسه وصلبوا جسده، وبعث برأسه إلى هشام، فأمر به فنصب على باب دمشق، ثم أرسل به إلى المدينة فصلب بها، ومكث البدن مصلوباً حتى مات هشام، فأمر به الوليد فأنزل وأحرق، فلما ظهر ولد العباس عمد عبد الله بن علي إلى هشام بن عبد الملك، فأخرجه من قبره وصلبه .بما فعل بزيد.

وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي في كتاب المقالات: أن زيد بن علي لما خرج قتل في المعركة ودفنه أصحابه، فعلم به يوسف بن عمر، فنبشه وصلبه ثم كتب هشام يأمر بحرقه ونسف رماده في الفرات.

ثم خرج يحيى بن زيد بالجوزجان على الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فبعث نصر بن سيار إليه سلم بن أجوز المازني فحاربه فقتل في المعركة ودفن في بعض الخانات.

وخرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالمدينة، وبويع له في الآفاق، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى، وحميد بن قحطبة فقتلاه، وقتلا من أجله تحت الهدم أباه عبد الله، وعلي بن الحسن بن الحسن وجماعة، ودفن إبراهيم بن الحسن بن الحسن وهو حي بالكوفة، وكان محمد بن عبد الله وجه ولده وإخوته إلى الآفاق يدعون إليه فوجه ابنه علياً إلى مصر، فأخذ هناك وقتل، ووجه ابنه عبد الله إلى خراسان فطلب فهرب إلى السند فأخذ بها وقتل، ووجه ابنه الحسن إلى اليمن فأخذ لنفسه أماناً ثم حبس فمات في السجن، ثم وجه أخاه موسى إلى الجزيرة، فأخذ لنفسه أماناً، ووجه أخاه إدريس إلى المغرب، ووجه أخاه يحيى إلى الري، وخرج بعده أخوه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس وأكثر السواد، وشخص عن البصرة يريد محاربة المنصور، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى وسعيد بن سلم، فحارب حتى قتل ومضى أخوه إدريس بن عبدالله إلى المغرب فغلب على بلدان كثيرة وبسط العدل فيها.

وخرج الحسين بن علي بن حسن بن حسن فبايعه الناس، وعسكر بفخ على ستة أميال من مكة، فخرج إليه موسى بن عيسى في أربعة آلاف فقلت وأكثر من كان معه ولم يتجاسر أحد أن يدفنهم ثلاثة أيام، فأكلت أكثرهم السباع، وكان خروجه سنة سبع وستين ومائة في خلافة موسى، وأسر ممن كان معه سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن فضرت عنقه بمكة صبراً وقتل معه جماعة.

وخرج يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فقتل، وخرج محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بتاهرت فغلب عليها. وخرج بالكوفة أيام المأمون محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ثم مات بعد أربعة أشهر. فخرج من بعده محمد بن محمد بن زيد بن زيد بن علي فأخذ وأظهر موته.

وخرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين داعية لمحمد بن إبراهيم فأمنه المأمون. وخرج جعفر بن إبراهيم بن موسى بن جعفر باليمن فقدم به على المأمون فأمنه. وخرج محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بالطالقان في خلافة المعتصم، فوجه إليه عبد الله بن طاهر فانهزم محمد ثم وقعوا به فأنفذ إلى المعتصم، فحبسه في قصره فقيل إنه مات، وقال قوم من الشيعة إنه سيظهر.

وخرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين داعية لمحمد بن إبراهيم، فلما مات محمد دعي إلى نفسه فحمل إلى المأمون، وخرج الأفطس بالمدينة داعية لمحمد بن إبراهيم فلما مات محمد دعى على نفسه، وهرب العباس بن محمد بن عبد الله بن علي من الرشيد، فدعى به فشتمه فرد عليه ما قال، فضرب بين يديه بالعمد حتى مات.

وخرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بطبرستان فما زالت بيده حتى مات، وخلفه أخوه محمد فحاربه رافع بن هرثمة، ثم تابعه بالري محمد بن جعفر بن الحسن فاسروا وحمل إلى محمد بن طاهر فحبسه حتى مات.

وخرج الكوكبي واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل فهزمه موسى بن بغا، وخرج بالكوفة أيام المستعين يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ين علي فحارب فقتل. وخرج الحسين بن محمد بن حمزة فأخذ وحبس. وخرج ابن الأفطس

بالمدينة، وخرج بالمدينة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله، فخلفه أخوه محمد فطلب فهرب ومات.

وخرج ابن لموسى بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فمضى إلى فارس فمات بها. وخرج صاحب البصرة وكان يدعي أنه علي بن محمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي، وكان أنصاره الزنج، وكان يرى رأي الأزارقة وسيأتي.

وستأتي أخبار هؤلاء في أماكنها إن شاء الله.

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين وقتل أمير الترك:، وذهب إلى فرغانة فسبى بها ثلاثين ألف رأس، وصالح ملكها. فجاءت أم الملك إلى نصر بن سيار فقالت له في مخاطبتها إياه: كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملك: وزير يباثه بنيات صدره ويشاوره ويثق بنصحه، وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهيه، وزوجة إذا دخل عليها مغتماً فنظر إليها ذهب غمه، وحصن إذا فزع أو جهد فزع إليه فأنجاه – تعني الفرس – وسيف إذا قارع الأقران لم يخش خيانته، وذخيرة إذا حملها عاش بها أينما وقع من الأرض.

وكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار: سر إلى هذا الغارز ذنبه في الشاش – يعني الحارث بن شريح – فإن أظفرك الله وبأهل الشاش فخرب ديارهم واسب ذر أريهم. فسار فقتل المسلمون فارس الترك.

وفي هذه السنة حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي وهو عامل مكة والمدينة والطائف. وكان العامل على أذربيجان وأرمينية مروان بن محمد، وعلى خراسان نصر بن سيار، وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة، وعلى قضاء الكوفة بن شبرمة. وكان على العراق كله يوسف بن عمر الثقفي.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا المبارك وأحمد قالا: أخبرنا عبد الجبار الصيرفي وهو أبونا قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين بن المهتدي، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن المأمون، قال: حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أحمد بن بشار بن الحسن بن بيان، قال: حدَّثنا إسحاق بن بهلول بن حسان التنوخي، قال: حدثني أبي، قال: حدَّثنا إسحاق بن زياد عن شبيب بن شبة، عن خالد بن صفوان بن الأهتم، قال: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق، فقدمت عليه وقد خرج متبدياً بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه، فترل في أرض قاع صحصح متنايف أفيح في عام قد بكر وسميه، وتتابع وليه، وأخذت الأرض زينتها من اختلاف نبتها من نور ربيع مونق ، فهو أحسن منظر وأحسن مختبر وأحسن مستمطر، بصعيد كان ترابه قطع الكافور حتى لو أن بضعة ألقيت فيه لم تترب، وقد ضرب له سرادق من حبرة، وكان صنعه له يوسف بن عمر باليمن، فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها، وعليه درّاعة من خز أحمر مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس مجالسهم، فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلي مثل المستنطق لي، فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة، وسوغكها بشكره، وجعل ما قلدكم من هذه الأمور رشداً وعاقبة ما يؤول إليه حمداً أخلصه الله لك بالتقى، وكثره لك بالنماء، لا كدر عليك منه ما صفا، ولا خالط مسروره الردى، فقد أصبحت للمسمين ثقة ومستراحاً، إليك يفزعون في مظالمهم، وإليك يلجأون في أمورهم، وما أجد يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك شيئاً هو أبلغ في قضاء حقك من أن أذكرك نعمة الله عليك فأنبهك على شكرها، وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من يقدم قبلك من الملوك، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته. وكان متكئاً فاستوى قاعداً وقال: هات يا ابن الأهتم، فقلت:

يا أمير المؤمنين، إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميه، وتتابع وليه،

وأخذت الأرض فيه زخرفها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق، فهو في أحسن منظر، وأطرف مختبر، وألذ مستمطر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، حتى لو أن بضعة ألقيت فيه لم تترب، وكان قد أعطي فتاء السن مع الكثرة والغلبة والنماء فنظر فأبعد النظر فقال: لمن هذا الذي أنا فيه، هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ هل أعطي أحد مثل ما أعطيت؟ وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضير على أدب الحق ومنهاجه، فقال له: أيها الملك، إنك قد سألت عن أمر أفتأذن في الجواب؟ قال: نعم، قال: أرأيتك هذا الذي قد أعجبت به، أهو شيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراثاً عن غيرك وهو زائل عنك، وصائر غيرك كما صار لك؟ قال: فكذلك هو، قال: أفر أراك إنما أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً وتغيب عنه طويلاً، وتكون غداً لحسابه مرتهناً، قال: ويحك فأين المهرب وأين المطلب؟ قال: إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ومضّك وأومضك، وإما أن تضع تاجك وتلبس أمساحك، وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك. قال: فإذا كان السحر فاقرع على بابي، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا تعصى وجليساً لا يقصى، وإن اخترت خلوات الأرض وقعر البلاد كنت رفيقاً لا يخالف فلما كان السحر قرع عليه بابه، فإذا هو قد وضع تاجه ولبس أمساحه وتهيّ للسياحة، فلزما والله الجبل حتى أتتهما أجالهما، وذلك حيث يقول أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي:

أيها الشامت المعير بالده ... رأأءت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأيام ... بل أنتجاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسرى كسرى الملك أو سا ... سان أم أين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوك الر ... وم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحصن إذ بناه وإذ دج ... لة تجبى إليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كل ... ساً فللطير في ذراه وكور

لم تهبه ريب المنون فباد ال ... ملك عنه فبابه مهجور

وتأمر رب الخورنق إذ أش ... رف يوماً وللهدى تكفير

سرهماله وكثرة ما يم ... لك والبحر معرض والسدير

فارعوى قلبه وقال وما غب ... طة حي إلى الممات بصير

ثم بعد الإفلاح والملكوأ ... مة وارتهم هناك القبور

ثم أضحوا كأنهم ورق ج ... ف فألوت به الصبا والدبور

قال: فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وبل عمامته وأمر بترع أبنيته وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه، ولزم قصر. قال: فاجتمعت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما أردت بأمير المؤمنين، نغصت عليه لذته وأخذت عليه ناديته، فقال لهم: إليكم عني فإني عاهدت الله تعالى عهداً لن أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل.

قال ابن الأنباري: الذي حفظناه عن مشايخنا متنايف أفيح.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: الصواب مسايف جمع مسافة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الربيع بن أبي راشد، أبو عبد الله: أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني الفضل بن سهل، قال: حدَّثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثني من سمع عمر بن ذر يقول: كنت إذا رأيت الربيع بن أبي راشد كأنه مخمار من غير شراب.

أخبرنا علي بن أبي عمر، قال: أخبرنا رزق الله، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: حدَّثنا الحسين بن صفوان، قال: حدَّثنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثني عبد السلام بن حرب، عن خلف بن حوشب، قال: قال الربيع بن أبي راشد:

أقرأ علي:" يا أيها الناس إن كنت في ريب من البعث" فقرأها عليه فبكى ثم قال: والله لو لا أن تكون بدعة لسحت – أو قال : لهمت في الجبال.

زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب: دخل على هشام بن عبد الملك فرفع ديناً وحوائج فلم يقضها له، وأسمعه كلاماً شديداً، فخرج إلى الكوفة، وخرج بها ويوسف بن عمر الثقفي عامل هشام على العراق، فوجه إلى زيد من يقاتله، فاقتتلوا، فتفرق عن زيد من خرج معه، ثم قتل وصلب، فلما ظهر ولد العباس أخرج هشام من قبره فصلب. وكان قتل زيد في هذه السنة، وكان ابن اثنتين وأربعين سنة عطاء السليمي: كان شديد الخوف والحياء من الله، لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة. وكان يبكي حتى يبل ما حوله، فعوتب في بكائه، فقال: إذا ذكرت أهل النار وما يترل بهم من العذاب تمثلت نفسي بينهم، فكيف لنفس تغل وتسحب في النار؟ ألا تبكي؟.

وكان يقول: ارحم في الدنيا غربتي، وفي القبر وحدتي وطول مقامي غداً بين يديك.

وقال جعفر بن سليمان: التقى ثابت وعطاء السليمي ثم افترقا، فلما كان وقت الهاجرة جاء عطاء فخرجت الجارية إليه فقالت: أخوك عطاء، فخرج إليه فقال: يا أخي في هذا الحر، قال: ظللت صائماً فاشتد علي الحر، فذكرت حر جهنم فأحببت أن تعينني على البكاء، فبكيا حتى سقطا.

قال جعفر: ولما مات عطاء رأيته في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني ووبخني وقال لي: يا عطاء، ما استحييت مني، تخافني ذلك الخوف كله، أما علمت أني أرحم الراحمين.

عطية بن قيس الكلابي من أهل القرآن والفضل، توفي في هذه السنة وهو ابن مائة سنة وأربع سنين.

محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ بن عمر بن مالك، أو عبد الله كانت له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يفتي، وكان كثير الحديث ثقة. توفي بالمدينة في هذه السنة.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

فمن الحوادث فيها قتل كلثوم القشيري الذي كان بعثه هشام في خيول أهل الشام إلى إفريقية حين وقعت الفتنة بالبربر.

وفيها: قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم.

وفيها: ولد محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان، واستقضى ابن أبي ليلى.

وفي هذه السنة حج بالناس محمد بن هشام المخزومي، وكانت عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها، وقد ذكرناهم، إلا أن قاضي الكوفة فيما ذكر محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني: سمع من أبيه، وأنس، وابن المسيب، وغيرهم. روى عنه حماد بن سلمة وغيره.

ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز، وكانت له فراسة وذكاء وفطنة. وتوفي في هذه السنة وكان له عقب.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا محمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا سليمان بن أحمد، قال: حدَّثنا الحسين بن المتوكل، قال: حدَّثنا أبو الحسن المدائني، عن أبي إسحاق بن حفص قال: قيل لإياس بن معاوية: فيك أربع خصال: دمامة، وكثرة كلام، وإعجاب بنفسك، وتعجيل في القضاء. أما الدمامة فالأمر فيها إلى غيري، وأما كثرة الكلام فبصواب أم بخطأ؟ قالوا: بصواب، قال: فالإكثار من الصواب أمثل. أما إعجابي بنفسي، أفيعجبكم ما ترون مني؟ قالوا: نعم، قال: فإني أحق أن أعجب بنفسي. وأما قولكم إني أعجل بالقضاء، فكم هذه –وأشار بيده خمسة؟ فقالوا: خمسة، فقال: عجلتم، ألا قلتم: واحد واثنان وثلاثة وأربعة وخمسة؟ قالوا: ما نعد شيئاً قد عرفناه، قال: فما أحبس شيئاً قد تبين لي فيه الحكم.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: أخبرنا أبو اليسر إبراهيم بن موسى الجزري، قال: حدَّثنا القاضي المقدمي، قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب، قال: حدَّثنا قريش بن أنس، عن حبيب بن الشهيد، قال:

كنت جالساً عند إياس بن معاوية، فأتاه رجل فسأله عن مسألة فطول عليه، فأقبل عليه إياس فقال: إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن فإنه معلمي ومعلم أبي، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى – وكان على قضاء البصرة يومئذ – وإن كنت تريد الصلح فعليك بحميد الطويل، وتدري ما يقول لك؟ يقول لك: حط عنه شيئاً، ويقول لصاحبك زده شيئاً حتى يصلح بينكما وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السدوسي، وتدري ما يقول لك، اجحد ما عليك وادع ما ليس لك، وادع بينة غيباً.

زبيد اليامي: أدرك ابن عمر وأنساً، وكان عابداً ثقة ديناً، كان يقول سعيد بن جبير: لو خيرت عبداً ألقى الله في صلاحه لاخترت زبيد اليامي.

أخبرنا ابن موسى الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي، قال: حدَّثنا محمد بن المسيب، قال: حدَّثنا يوسف بن موسى، قال: حدَّثنا جرير، عن ابن شبرمة، قال: كان زبيد اليامي يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: جزءاً عليه، وجزءاً على عبد الرحمن ابنه، وجزءاً على عبد الله ابنه، فكان زبيد يصلي ثلث الليل ثم يقول لأحدهما: قم ، فإن تكاسل صلى جزأه، ثم يقول للآخر: قم، فإن تكاسل صلى جزأه فيصلي الليل كله.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناده عن سفيان، قال: كان زبيد إذا كانت ليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أولف عليكم بيت، أتريدون ناراً، فإذا أصبح طاف على عجائز الحي: ألكم في السوق حاجة أوتريدون شيئاً؟.

قال أحمد: حدثني أبو سعيد الأشج، حدثني المحازي، عن سفيان، قال: دخلنا على زبيد نعوده، فقلنا: شفاك الله، فقال: أستجير الله.

توفي زبيد في هذه السنة، وكان طلحة أسن منه بعشر سنين، فاستوفى زبيد عشر سنين ثم مات.

سيار بن دينار ويقال: ابن وردان أبو الحكم القسري: روى عن طارق بن شهاب، والشعبي، وأبي وائل، وأبي حازم، وكان شديد الحزن كثير البكاء. وقال: إن الفرح بالدنيا والحزن بالآخرة لا يجتمعان في قلب عبد، إذا سكن أحدهما القلب خرج الآخر.

أنبأنا يحيى بن الحسين بن البنا، قال: أنبأنا أبو غالب محمد بن أحمد بن بشران، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن الحاجري، قال : أخبرنا محمد بن عثمان بن سمعان، قال: أخبرنا أسلم بن سهل الرزاز، قال: حدَّثنا وهب بن بقية، قال: أخبرني حسين بن زياد، قال: بعث بعض القضاة إلى سيار بواسط، فأتاه فقال له: لم لا تجيء إلينا؟ فقال له: إن أدنيتني فتنتني، وإن باعدتني غممتني، وليس عندك ما أرجو، ولا عندي ما أخافك عليه. ثم قام.

قال أسلم: وحدثني عبد الحميد بن بيان، قال: سمعت أبي يقول: خرج سيار بن يسار إلى البصرة، فقام يصلي إلى سارية في المسجد الجامع، وكان حسن الصلاة وعليه ثياب جياد، فرآه مالك بن دينار فجلس إليه، فسلم سيار فقال له مالك: هذه الصلاة وهذه الثياب؟ فقال له سيار: ثيابي هذه ترفعني عندك أو تضعني؟ قال: تضعك، قال: هذا أردت، ثم قال له: يا مالك، إني لأحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم يترلك من الله، فبكى مالك وقال له: أنت سيار؟ قال: نعم، فعانقه. وفي رواية: جاء مالك فقعد بين يديه.

عبد الملك بن حبيب، أبو عمران الجوني: أسند عن أنس، وجندب بن عبد اله، وعائذ بن عمرو، وأبي برزة، وكان عالماً متعبداً.

قال أبو بكر القرشي: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني أبو عمر الضرير، قال: حدثنا الحارث بن سعيد، قال: كان أبو عمران الجوني إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه.

عثمان بن أبي دهرش المكي: يروي عن رجل من الصحابة، روى عنه ابن عيينة.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: حدَّثنا أحمد بن جعفر، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثنا العباس بن محمد مولى بني هاشم، قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن عبد الله بن المبارك، عن عثمان بن أبي دهرش: أنه كان إذا رأى الفجر أقبل عليه تنبه وقال: أسير الآن مع الناس ولا أدري ما أجني على نفسي.

وقال عثمان: ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله عز وجل من تقصيري فيها.

مسلمة بن عبد الله بن مروان، كنيته أبو سعيد: كان شجاعاً جواداً ذا رأي وحزم وفضل، وغزا غزوات، وكان حسن التدبير.

قال: ما لمت نفسي على خطأ افتتحته بحزم، ولا حمدتها على صواب افتتحته بعجز.

وإنما زوت عنه بنو أمية لأن أمه أم ولد. توفي هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرون ومائة

فمن الحوادث فيها ما جرى بين الصغد ونصر بن سيار من الصلح.

وفيها: غزا نصر فرغانة غزوته الثانية.

وفيها أوفد يوسف بن عمر الحكم بن أبي الصلت إلى هشام بن عبد الملك يسأله ضم خراسان إليه، وعزل نصر بن سيار. وذلك أن ولاية نصر طالت، ودانت له خراسان، فحسده يوسف وأمر من قدح فيه عند هشام بالكبر فلم يلتفت هشام إلى ذلك.

وفيها : حج بالناس يزيد بن هشام بن عبد الملك، وكان عمال الأمصار في هذه السنة العمال الذين كانوا في السنة قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سماك بن حرب السدوسي: كان قد ذهب بصره فرأى في منامه إبراهيم الخليل عليه السلام فأصبح يبصر.

وسماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار، أبو المغيرة الذهلي: رأى المغيرة بن شعبة، وسمع من النعمان بن بشير، وجابر بن سمرى، وسويد بن قيس، وأنس بن مالك، ومحمد بن حاطب، وثعلبة بن الحكم.

وقال سماك: أدركت ثمانين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى عنه إسماعيل بن أبي خالد، والثوري، وشعبة، وزائدة، وحماد بن سلمة وكان ثقة، وبعثه ابن هبيرة إلى بغداد فقدمها قبل أن تمصر.

وتوفي هذه السنة سعيد بن أبي سعيد المقبرة، مولى بني ليث: روى عن سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد وغيرهم، وكان ثق.

قال محمد بن سعد: لكنه بقي حتى اختلط قبل موته بأربع سنين.

ومات في هذه السنة عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي: سمع من ابن عمر، وابن عباس، وجمهور رواياته عن أبيه.

أخبرنا أحمد بن عبد الباقي بإسناد له عن ابن عيينة، عن مسعر، قال: قال عون بن عبد الله: كفى بك من الكبر أن ترى لك فضلاً على من هو دونك؟ قال عبد الله: وحدثني أبو معمر، قال: حدَّثنا سفيان، عن أبي هارون، قال: كان عون يحدثنا ولحيته ترش بالدموع.

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي: أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. روت عن عائشة أم المؤمنين خالتها.

وكانت فائقة الحسن، تزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، فولدت له عمران، وعبد الرحمن، وأبا بكر، وطلحة، ونفيسة، ثم فارقت زوجها ثم عادت إليه ثم توفي عنها، فما فتحت فاها عليه.

ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير وأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك. وكانت تكثر مخاصمته، ودخل عليها وهي نائمة بثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار فأيقظها ونشر اللؤلؤ في حجرها، فقالت له: نومتي كانت أحب إلي من هذا اللؤلؤ.

ثم قتل عنها مصعب. فخطبها بشر بن مروان.

وقدم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام، فترل الكوفة، فبلغه أن بشراً خطبها، فأرسل إليها جارية لها، وقال لها: قولي لها ابن عمك يقرئك السلام ويقول لك أنا خير لك من هذا الميسور والمطحول، وإن تزوجت بي ملأت بيتك خيراً. فتزوجته فبنى بها بالحيرة.

وفي رواية أن بشراً بعث إليها عمر بن عبيد الله يخطبها، فقالت له: أما وجد بشر رسولاً إلى ابنة عمك غيرك، فأين بك عن نفسك؟ قال: أوتفعلين؟ قالت: نعم، فتزوجها وحمل إليها ألف ألف درهم، خمسمائة ألف مهراً وخمسمائة ألف هدية، وقال لمولاتها: لك علي ألف دينار إن دخلت بها الليلة، فحمل المال فألقي في الدار وغطي بالثياب، وخرجت عائشة فقالت لمولاتها: ما هذا أفرش أم ثياب؟ قالت: انظري، فنظرت فإذا به مال، فتبسمت فقالت لها: أجزاء من حمل هذا أن يبيت عندنا؟ قالت: لا والله ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزين له وأستعد، قالت: وبماذا فوالله لوجهك أحسن من كل زينة، وما تمدين يديك إلى طيب وثوب أو فرش إلا وهو عندك، وقد عزمت عليك أن تأذني له، قالت: افعلي، فذهبت إليه فقالت: بت ببيتنا الليلة، فجاءهم عند العشاء الآخرة، ومكثت معه ثماني سنين، وكانت تصف له مصعباً فيكاد يموت من الغيظ، فما مات ندبته قائمة وقالت: كان أكرمهم علي وأمسهم رحماً بي، فلا أتزوج بعده، وكانت المرأة إذا ندبت زوجها قائمة علم أنها لا تتزوج بعده، ودخلت على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة، فقالت: يا أمير المؤمنين، مر لي بأعوان يكونون معي، فضم إليها جماعة يكونون معها، فحجت ومعها ستون بغلاً وعليها الهوادج والرحال.

وحجت سكينة بنت الحسين، فكانت عائشة أحسن منها آلة وثقلاً، فقال حادي عائشة يترنم:

عائش يا ذات البغال التين

لازلت ما عشت غداً تحجين

فشق على سكينة، فترل حاديها فقال:

عائش هذه ضرة تشكوك

لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف، وكانت عائشة لما تأيمت تقيم بمكة سنة، وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مال لها بالطائف وقصر لها فتتتره. وقدم على هشام بن عبد الملك، فقال: ما أقدمك؟ فقالت: حبست السماء قطرها ومنع السلطان الحق، فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة.

ثم دخلت سنة أربع وعشرون ومائة

فمن الحوادث فيها أن جماعة من شيعة بني العباس اجتمعوا بالكوفة، فغمز بهم، فأخذوا وحبسوا، وفيهم بكير بن ماهان، فرأى بكير أبا مسلم صاحب دعوة بني العباس مع عيسى بن معقل العجلي، فقال: ما هذا الغلام؟ فقال: مملوك، فقال: بعينه، فأعطاه أربعمائة ألف درهم، وبعث به إلى إبراهيم فدفعه إبراهيم إلى موسى السراج، فسمع منه وحفظ واختلف إلى خراسان.

وفي هذه السنة: غزا سليمان بن هشام الصائفة، فلقي أليُونْ ملك الروم فسلم وغنم؟ وفيها: حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل، وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنين التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام: روى عن أبيه وغيره من الصحابة، وعن جماعة من التابعين، وكان رجلاً صالحاً لا يعرف الشر. أتى يوماً بعطائه، فوضعه في المسجد ثم قام فنسيه، فذكر، فقال لخادمه: ادخل وائتني بعطائي، قال: وأين أجده؟ قال: سبحان الله أو يأخذ أحد ما ليس له؟ أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد ن أحمد، قال: حدَّثنا أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدَّثنا عمر بن أحمد بن عثمان، قال: حدَّثنا محمد بن أحمد بن شيبان الرملي، قال: حدَّثنا أبي، قال: حدَّثنا عمران بن أبي عمران، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: اشترى عامر بن عبد الله نفسه من الله عز وجل بتسع ديات.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن الخياط، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: حدَّثنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا قدامة، قال: سمعت أبا مودود يقول: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحين العباد وهم سجود: أبا حاز، وصفوان بن سليم، وسليمان بن سيحم وأشباههم، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم، فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه، فيقال: ما يمنعك أن ترسل بها إليهم؟ فيقول: أكره أن يتمعر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي وإذا لقيني.

أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي، قال: أخبرنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عياش بن المغيرة، قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا شهد جنازة وقف على القبر، فقال: ألا أراك ضيقاً، ألا أراك رقعاً، ألا أراك مظلماً، لئن سلمت لأتأهبن لك أهبتك، فأول شيء يراه من ماله يتقرب به إلى ربه، فإن كان رقيقه ليتعرضون له عند انصرافه من الجنازة ليعتقهم.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: سمع عامر بن عبد الله المؤذن وهو يجود بنفسه ومترله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيب، فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات.

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو بكر الزهري ولد سنة ثمان وخمسين، وهي السنة التي توفيت فيها عائشة رضي الله عنها. وسمع جماعة من الصحابة، وأخذ عن ابن المسيب سنين وعن غيره. وجمع الفقه والحديث.

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار، قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الخلال، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدَّثنا محمد بن سعد، قال: حدَّثنا محمد بن عمر، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، قال: سمعت الزهري يقول: نشأت وأنا غلام لا مال لي من الديوان، وكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله بن ثعلبة بن صعير، وكان عالماً بنسب قومي، فأتاه رجلا فسأله عن مسألة من الطلاق فعيي بها وأشار له إلى سعيد بن المسيب فقلت في نفسي: ألا أراني مع هذا الرجل المسن يعقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأسه وهو لا يدري ما هذا، فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب فسأله فأخبره، فجلست إلى سعيد وتركت عبد الله بن ثعلبة وجالست عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث حتى فهمت، فرحلت إلى الشام فدخلت مسجد دمشق فأتيت حلقة وجاه المقصورة فجلست فيها، فنسبني القوم، فقلت: رجل من قريش من ساكني المدين، قالوا: أهل لك علم بالحكم في

أمهات الأولاد؟ فأخبرتهم بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فيهم، فقال لي القوم: هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب وهو جائيك، وقد سأله عبد الملك عن هذا فلم يجد عنده في ذلك علماً، فجاء قبيصة فأخبروه الخبر، فنسبني فانتسبت، وسألني عن سعيد بن المسيب ونظرائه فأخبرته فقال: أنا أدخلك على أمير المؤمنين.

فصلى الصبح ثم انصرف فتبعته، فدخل على عبد الملك بن مروان وجلست على الباب ساعة حتى ارتفعت الشمس، ثم خرج الأذان فقال: أين هذا المديني القرشي؟

قال: قلت: ها أنا ذا، قال: فقمت فدخلت معه إلى أمير المؤمنين، فأجد بين يديه المصحف قد أطبقه وأمر به فرفع، وليس عنده غير قبيصة جالس، فسلمت عليه بالخلافة، فقال: من أنت؟ قلت: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب فقال: أوه قوم يغارون في الفتن. قال: وكان مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير، ثم قال: ما عندك في أمهات الأولاد؟ فأخبرته فقلت: حدثني سعيد بن المسيب – فقال: كيف سعيد المسيب، وكيف حاله؟ ثم قلت: – وحدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وحدثني عروة، وحدثني عبيد الله بن عبد الله، ثم حدثته الحديث في أمهات الأولاد عن عمر بن الخطاب رضي اله عنه. قال: فالتفت إلي قبيصة بن ذؤيب، فقال: هذا يكتب به إلى الآفاق، فقلت: لا أجده أخلى منه الساعة، ولعلي لا أدخل عليه بعد هذه المرة، فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يصل رحميي وأن يفرض لي فرائض أهل بيتي، – فإني رجل لا ديوان لي –، فعل، فقال: إيهاً الآن امض لشأنك، فخرجت موئساً من كل شيء، خرجت له، وأنا حينئذ مقل مرمل، فجلست حتى خرج قبيصة فأقبل علي لائماً لي، فقال لي: ما حملك على ما صنعت من غير أمري ألا استشرتني؟ قلت: ظننت والله أني لا أعود إليه بعد ذلك المقام، قال: و لم ظننت ذلك؟ تعود إليه، فالحق بي. فمشيت خلف دابته حتى دخل مترله، فقل ما لبث حتى خرج إلي خادمه، برقعة فيها: هذه مائة ألف دينار قد أمرت لك بها، وبغلة تركبها، وغلام يكون معك يخدمك، وعشرة أثواب كسوة، فقلت للرسول: ممن أطلب هذا؟ فقال: ألا ترى في الرقعة اسم الذي أمرك أن تأتيه؟ فنظرت في طرف الرقعة، فإذا فيها. تأتي فلاناً فتأخذ من ه ذلك.

قال: فسألت عنه فقيل: قهرمانه، فأتيته بالرقعة فأمر بذلك من ساعته، فانصرفت وقد ريشني، فغدوت إليه من الغد وأنا على بغلته فسرت إلى جنبه، فقال: احضر باب أمير المؤمنين حتى أوصلك إليه، قال: فحضرت فأوصلني إليه، وقال: إياك أن تكلمه بشيء حتى يبتدئك وأنا أكفيك أمره، فسلمت عليه بالخلافة فأومأ إلي أن أجلس، فلما جلست ابتدأ عبد الملك الكلام، فجعل يسائلني عن أنساب قريش، فلهو كان أعلم بها مني. قال: وجعلت أتمنى أن يقطع ذلك لتقدمه علي في العلم بالنسب، ثم قال: قد فرضت لك فرائض أهل بيتك، ثم التفت إلى قبيصة فأمره أن يثبت ذلك في الدواوين.

فلما خرج قبيصة قال: إن أمير المؤمنين قد أمر أن تثبت في صحابته وأن يجري عليك رزق الصحابة، وأن ترفع فريضتك إلى أرفع منها، فالزم باب أمير المؤمنين. قال: وكان علي عرض الصحابة رجل فظ غليظ، فتخلفت يوماً أو يومين فجبهني جبهاً شديداً، فلم أعد لذلك التخلف. وجعل عبد الملك يقول: من لقيت؟ فجعلت أسمي له وأخبره بمن لقيت من قريش لا أعدوهم، قال: فأين أنت عن الأنصار فإنك واجد عندهم علماً؟ أين أنت عن خارجة بن زيد بن ثابت؟ أين أنت عن عبد الرحمن بن يزيد؟ فسمى رجالاً، فقدمت المدينة فسألتهم وسمعت منهم.

وتوفي عبد الملك فلزمت الوليد حتى توفي، ثم سليمان، ثم عمر، ثم يزيد. واستقضى يزيد الزهري وسليمان بن حبيب.

قال: وحج هشام سنة ست ومائة، وحج معه الزهري، فصيره هشام مع ولده يعلمهم وفقههم ويحدثهم، فلم يفارقهم حتى مات.

قال ابن سعد: وأخبرنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، قال: حدثني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه، قال: ما أرى أحداً أجمع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جمع ابن شهاب.

قال: وأخبرنا مطرف بن عبد الله اليساري، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أدركت بالمدينة فقيهاً محدثاً غير واحد، فقلت: من هو؟ قال: ابن شهاب الزهري.

وفي رواية عن مالك قال: أول من دولن العلم ابن شهاب.

وقال أيوب: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري.

وقال عمر بن دينار ما رأيت أحداً أهون عليه الدينار والدرهم من الزهري.

توفي ابن شهاب في رمضان هذه السنة بأدامى وهيمن أعمال فلسطين وهو ابن خمس وسبعين، فأوصى أن يدفع على قارعة الطريق.

نصر بن عمران، أبو جمرة الضبعي: قال: كنت أدفع الزحام عن ابن عباس فحممت أياماً فتأخرت، فلما حضرته سألني عن تأخري فأخبرته بالحمى، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء".

توفي هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

فمن الحوادث فيها

غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة.

وفيها: مات هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

باب ذكر خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

عقد يزيد بن عبد الملك الخلافة لولده الوليد بعد أخي هشام بن عبد الملك، وكان يومئذ ابن إحدى عشرة سنة، فلم يمت يزيد حتى بلغ ابنه خمس عشرة سنة، فندم على استخلافه هشاماً، وولي هشام وهو للوليد مكرم معظم، فظهر من الوليد لعب وشرب للشراب، واتخذ ندماء، فولاه هشام الحج سنة ستة عشرة ومائة، فحمل معه كلاباً في الصناديق، وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة، وحمل معه خمراً، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها، فخوفه أصحابه، فجمع المغنين بمكة، وتشاغل باللهو.

أنبأنا علي بن عبيد الله بالنصر، قال: أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو الحسين ابن أخي ميمي، قال: أخبرنا أبو مسلم بن مهدي، قال: حدَّثنا أبو بكر محمد بن قارن، قال: حدَّثنا علي بن الحسن الهسنجاني، قال: حدَّثنا أصبغ بن الفرج، قال: سمعت ابن عيينة يحدث: أن الوليد بن يزيد كان أمر بالقبة من حديد أن تعمل وتركب على أركان الكعبة ويخرج لها أجنحة لتظلله، إذا حج وطاف، فعملت و لم يبق إلا أن تركب، فقال الناس في ذلك – الفقهاء والعباد – وغضبوا في ذلك وتكلموا وقالوا: لا يكون هذا قط، وكان أشدهم في ذلك كلاماً وقياماً سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، وكتب إلى الوليد بذلك، فكتب: اتركوها، فقال سعد بن إبراهيم عند ذلك: ليس إلا هذا لاها الله حتى يصنع بها كما صنع بالعجل لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً، النار النار، فدعي بالنار حتى أحرقت.

أخبرنا محمد بن أبيمنصور، قال: أنبأنا علي بن أحمد بن البشري، عن أبيعبد الله بن بطة العكبري، قال: حدثني أبو صالح محمد بن أحمد، قال: حدثنا الحارث بن أبيأسامة، قال: حدثنا الواقدين قال: حدثنا موسى بن أبيبكر، عن صالح بن كيسان: أن الوليد ولي سعيد بن إبراهيم على قضاء المدينة، وأراد الوليد الحج، فاتخذ قبة من ساج ليجعلها حول الكعبة ليطوف هو ومن أحب من أهله ونسائه فيها، وكان فظاً متجبراً، فأراد بزعمه أن يطوف بها حول الكعبة، ويطوف الناس من وراء القبة، فحملها على الإبل من الشام، ووجه معها قائداً من قواد أهل الشام في ألف فارس، وأرسل معه مالاً يقسمه في أهل المدينة، فقدم بها فنصبت في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففزع لذلك أهل المدينة ثم اجتمعوا فقالوا: إلى من نفزع في هذا الأمر، فقالوا: إلى سعد بن إبراهيم، فأتاه الناس فأخبروه الخبر، فأمرهم أن يضرموها بالنار، فقالوا: لا نطيق ذلك، معها قائد في ألف فارس من أهل الشام، فدعى مولى له فقال: هلم الجراب، فأتاه بجراب فيه درع عبد الرحمن الذي شهد فيها بدراً فصبها عليه وقال لغلامه: هلم بغلتي، فأتاه ببغلته فركبها، فما تخلف عنه يومئذ قريشي ولا أنصاري حتى إذا أتاه قال: علي بالنار، فأوتي بنار فأضرمها فيها، فغضب القائد وهم بالخصومة، فقيل له: هذا قاضي أمير المؤمنين ومعه الناس ولا طاقة لك به، فانصرف راجعاً إلى الشام، وشبع عبيد أهل المدينة من الناطق مما استلبوه من حديدها.

فلما بلغ ذلك الوليد كتب إليه: ولِّ القضاء رجلاً وأقدم علينا، فولى القضاء رجلاً، وركب حتى الشام، فأقام ببابه شهراً لا يؤذن له حتى نفذت نفقته، وأضر به طول المقام، فبين هو ذا عشية في المسجد إذا هو بفتى في جبة صفراء سكران، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا خال أمير المؤمنين سكران يطوف في المسجد، فقال لمولى له: هلم بالسوط، فأتاه بسوطه، فقال: علي به، فأتي به فضربه في المسجد ثمانين سوطاً وركب بغلته ومضى راجعاً إلى المدينة، فأدخل الفتى على الوليد مجلوداً، فقال: من فعل هذا به؟ قالوا: مديني كان في المسجد، قال: علي به، فلحق على مرحلة، فدخل عليه، فقال أبا إسحاق: ماذا فعلت يا ابن أخيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنك وليتنا أمراً من أمورك، وأني رأيت حد الله ضائعاً، سكران يطوف في المسجد وفيه الوفود ووجوه الناس، وكرهت أن يرجع الناس عنك بتعطيل الحدود، فأقمت عليه حده، فقال: جزاك الله خيراً، وأمر له بمال وصرفه إلى المدينة، و لم يذاكره شيئاً من أمر القبة ولا عن فعله فيها.

ولما ظهر من الوليد تهاوناً بالدين طمع فيه هشام وأراد خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام فأبى فتنكر له هشام وعمل سراً في البيعة لابنه وتمادى الوليد في الشراب فأفرط، فقال له هشام: ويحك يا وليد.ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا، ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته، غير متحاش، فكتب إليه الوليد يقول:

يا أيها السائل عن ديننا	ديني على دين أبيشاكر
نشربها صرفة وممزوجة	بالسخن أحياناً وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة، وكان يكنى أبى شاكر، وقال له: يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضر الجماعة، وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة، فأظهر المسك والوقار، وقسم بمكة والمدينة أموالاً، فلما رأى الوليد تقصير هشام في حقه، خرج في ناس من خاصته ومواليه، فترل بالأزرق من أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدق، وخلف كاتبه عياض بن

مسلم وقال له: اكتب لي ما يحدث قبلكم، فقطع هشام ما كان يجري على الوليد، وضرب عياضاً ضرباً مبرحاً، فلم يزل الوليد مقيماً بتلك البرية حتى مات هشام ووصلت إليه الخلافة، فسأل عن كاتبه عياض، فقيل يا أمير المؤمنين لم يزل محبوساً، حتى نزل أمر الله بهشام، فلما صار في حد لا ترجى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخزان احتفظوا بما في أيديكم، ولا يصلنا أحد منه إلى شيء، فأفاق هشام إفاقة، فطلب شيئاً فمنعوه، فقال: أرانا كنا خزاناً للوليد، ثم مات من ساعته.

فخرج عياض من السجن، فختم أبواب الخزائن، وأمر بهشام فأنزل عن فرشه، فما وجدوا قمقماً يسخن له فيه ماء حتى استعاروه، ولا وجدوا كفناً من الخزائن، وكفنه غالب مولى هشام.

فولي الوليد الخلافة يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. هذا قول هشام بن محمد.

وقال الواقدي: استخلف يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر، ولما ولي الوليد يكنى أبا العباس أبا العباس وكانت أمه يقال لها أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم أخي الحجاج بن يوسف - وكان أبيض أحمر أعين جميلاً، قد شاب، طويل أصابع الرجلين يوتر له سكة حديد فيها خيط، ويشد الخيط في رجله يثب على الدابة فينتزع السكة ويركب، ما يمس الدابة بيده. وكان عالماً باللغة والشعر، فمن شعره قوله:

شاع شعري في سليمة وظهر	ورواه كل بدو وحضر
فتهاداه العذارى بينها	وتغنين به حتى اشتهر
قلت قولاً في سليمى معجباً	مثلما قال جميل وعمر
لو رأينا لسليمى أثراً	لسجدنا ألف ألف للأثر
واتخذناها إماماً مرتضى	ولكانت حجنا والمعتمر
إنما بنت سعيد قمر	هل خرجنا إن سجدنا للقمر

وسلمى هذه بنت سعيد بن خالد بن عثمان بن عفان، وكانت أخت امرأته ولم يكن لجمالها نظير، وأحبها وطلق أختها حتى تزوجها في الخلافة، وله فيها:

إن القرابة والمودة ألفا	بين الوليد وبين بنت سعيد
سلمى هواي ولست أذكر غيرها	دون الطريف ودون كل تليد

ومن شعره:

أنا الوليد أبو العباس قد علمت	عليا معد مدى كري وإقدامي
إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا	مقابل بين أخوالي وأعمامي
مللت من جوهر الأغراض قد علموا	في بازخ مشمخر الغز قمقام

وكان مقبلاً على اللهو والشراب والأغاني حتى أنه أحضر معبداً المغني من المدينة، فحضر وهو على بركة مملوءة خمراً، فغناه فقذف نفسه في البركة فنهل منها ثم خرج فتلقي في الثياب والمجامر، فأعطاه خمسة عشر ألف دينار، وقال: انصرف بها إلى أهلك واكتم ما

رأيت.

وقد روى أبو عبيدة المرزباني، قال: حدثنا أحمد بن كامل، قال: كان الوليد بن يزيد زنديقاً، وأنه فتح المصحف يوماً فرأى فيه " واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد" فألقاه ورماه بالسهام، وقال:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب حرقني الوليد

وقد أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدَّثنا أبو المغيرة، قال: حدَّثنا ابن عياش، قال: حدثني الأوزاعي، وغيره عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب، قال: ولد لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سميتموه اسم فراعينكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر على هذه الأمة من فرعون لقومه".

وفي رواية عن الأوزاعي، قال: سألت عن هذا الحديث الزهري، فقال: إن استخلف الوليد بن يزيد وإلا فهو الوليد بن عبد الملك.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: والوليد بن يزيد أحق من الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد بن يزيد مشهوراً بالإلحاد، مبارزاً بالعناد، مطرحاً للدين، وإنما قال عليه السلام: " سميتموه بأسماء فراعينكم" لأن اسم فرعون موسى الوليد.

فلما ولي الوليد زاد ماكان يفعله من اللهو، وكتب إلى العباس بن عبد الملك بن مروان أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده، ويأخذ عماله وحشمه إلا مسلمة بن هشام فإنه كتب إليه: لا يعرض له ولا يدخل مترله، فإنه كان يكثر أن يكلم أباه في الرفق ويكفه. فقدم العباس الرصافة فأحكم ما كتب به الوليد إليه.

واستعمل الوليد العمال، وجاءت بيعته من الآفاق، وأقبلت إليه الوفود وأجري على زمني أهل الشام وعميانهم، وكساهم، وأمر لكل إنسان منهم بخادم، وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام، وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرات ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشام خاصة، وزاد من وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضعف.

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة، وذلك بعد شهرين من ولايته عقد البيعة لابنيه الحكم وعثمان بعده، وجعلهما وليي عهده أحدهما بعد الآخر، وجعل الحكم مقدماً على عثمان، وقلد الحكم الشام، وعثمان حمص، وكتب بذلك إلى الأمصار، وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق، وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيار ليبايع الناس لهما.

وفي هذه السنة: ولى الوليد بن يزيد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى نصراً وعماله منه، فرد إليه ولاية خراسان، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه، ويحمل ما قدر عليه من الهدايا والأموال، وأن يقدم عليه بعماله أجمعين، فلما أتى نصراً كتابه قسم على أهل خراسان الهدايا وعلى عماله، فلم يدع بخراسان جارية ولا عبداً ولا برذوناً فارهاً إلا أعده، واشترى ألف مملوك وأعطاهم السلاح وحملهم على الخيل، وأعد خمسمائة وصيفة، وأمر

بصياغة الأباريق من الذهب والفضة، وتماثيل الظباء، ورؤوس السباع، والأيائل وغير ذلك. فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه، فسرح الهدايا التي بلغ أوائلها بيهق، وكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة، وأن، يجمع كل صناجة بخراسان وكل بازي وبرذون فاره، ثم يسير بذلك كله بنفسه ووجوه خراسان فلم يزل يتوقف حتى وقعت الفتنة، فتحول نصر إلى قصره بما حاز، وكان أتاه آت وأخبره أ، الوليد قد قتل، ووقعت الفتنة بالشام.

وفي هذه السنة: وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي والياً على المدينة ومكة والطائف، ودفع إليه إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل المخزومي موثقين في عبائتين وأقامهما للناس في المدينة، ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر وهو يومئذ عامله على العراق، فلما قدما عليه عذبهما حتى قتلهما، وقد كان رفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالاً كثيراً.

وفي هذه السنة: عزل يوسف بن محمد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة، وولاها يحيى بن سعيد الأنصاري.

وفيها: قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب فلقوا محمد بن علي – في بعض قول أهل السير – فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه، فقال لهم: أحر هو أم عبد؟ فقالوا: أما عيسى فيزعم أنه عبد، وأما هو فيزعم أنه حر، فاستروه واعتقوه وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم، وكسى بثلاثين ألف درهم، فقال لهم: ما أظنكم تلقوني بعد عامكم هذا، فإن حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد فإني أثق به لكم ، وأوصيكم به خيراً، قد أوصيته بكم فصدروا من عنده.

وفيها: قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان، وقد ذكرنا أنه مضى بعد موت أبيه إليها، وأقام ببلخ عند الحريش بن عمر وحتى هلك هشام وولي الوليد، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار ليأخذ الحريش بن عمرو، فبعث نصر إلى عقيل بن معقل العجلي يأمره بأخذ الحريش، فأخذه فسأله عن يحيى، فقال: لا علم لي به، فجلده ستمائة سوط، فقال ابنه: لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه، فدله، فإذا هو في جوف بيت، فأخذه فجاء كتاب الوليد بتخليته، فدعاه نصر فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة وأمره أن يلحق بالوليد، وأمر له بألفي درهم وبغلين، فمضى حتى انتهى إلى سرخس، فأقام بها، فأخرجه واليها وبعث نصر بن سيار سلم بن أحوز في طلب يحيى بن زيد، فبعث سلم سورة بن محمد الكندي فلقيه فقاتله فقتله وقتل أصحابه وأخذ رأسه.

وفيها: حج بالنلس يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي، وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

صالح بن أبي صالح مولى التوأمة، يكنى أبا عبد الله: واسم أبي صالح نبهان، والتوأمة بنت أمية بن خلف الجمحي، ولدت مع أخت لها توأمين، وهي أعتقت أبا صالح. روى عن أبي هريرة، وحديثه قليل ضعيف.

توفي هذه السنة.

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: أمه العالية بن عبيد الله بن العباس، وكان بينه وبين أبيه في السنة أربعة عشر سنة، وكان أشبه الناس به، ولا يفرق بينهما إلى أن خضب علي، فعرف بخضابه، وكان له من الولد اثنا عشر ذكراً وخمس بنات فمن الذكور: إبراهيم الإمام، وإليه أوصى، فقام بالإمامة من بعده. وعبد الله السفاح، وعبد الله المنصور، وعبد الله الأصغر،

وإسماعيل، وموسى، وداود، وعبيد الله، والعباس، ويعقوب، ويحيى.

ومن الإناث: بريهة، وريطة، والعلية، ولبابة، وأم حبيب.

ومحمد بن علي أول من نطق بالدولة العباسية، وأول من دعي إليه من بني العباس وسمي بالإمام، وكوتب وأطيع. وكان ذلك في سنة تسع وثمانين في خلافة الوليد بن عبد الملك.

وكان عبد الله بن محمد بن الحنفية قد أوصى إليه ورفع إليه كتبه وقال: إنما الأمر في ولدك.

فتوفي محمد بن علي قبل تمام الدعوة في ذي القعدة من هذه السنة، وكان بين وفاته ووفاة أبيه سبع سنين، وبلغ من العمر ستين، وقيل: ثلاثاً وستين، وأوصى إلى ابنه إبراهيم، فسمي الإمام.

محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حارثة بن النعمان: أمه عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة. ويكنى أبا الرجال، وإنما كني بذلك لأجل ولده، وكان له عشرة ذكور، وروى عن أنس وأمه وكان ثقة، وروى عنه مالك الفقيه.

وثم آخر اسمه سالم ويكنى أبا الرجال، روى عن عطاء، وروى عنه الفضل بن غزوان، لا يعلم من يكنى أبا الرجال سوى هذين.

فأما من يكنى أبا الرحال – بالحاء المهملة المشددة فثلاثة: أبو الرحال عقبة بن عبيد الطائي، كوفي رأى أنس بن مالك. وأبو الرحال خالد بن محمد الأنصاري، يروي عن النضر بن أنس الخزرجي، قال البخاري: هو منكر الحديث. وأبو الرحال سمع الحسن، حديثه مرسل، روى عنه أبو نعيم.

معبد بن وهب بن قطن، أبو عباد المغني: الذين كان يضرب به المثل في الغناء، وكان من أحسن الناس غناء وأجودهم صناعة، مولى العاص بن وابصة المخزومي. وقيل: هو مولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. خلاسياً مديد القامة أحول، وكان أبوه أسود.

عاش معبد حتى كبر وانقطع صوته، توفي في عسكر الوليد بن يزيد عن خمس وثمانين سنة، فمشى الوليد بين يدي جنازته.

هشام بن عبد الملك بن مروان

مرض بالذبحة، قال سالم أبو العلاء: خرج علينا هشام يوماً وهو كئيب، فسألته عن حاله، فقال: لا أغتم وقد زعم أهل العلم إني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً. قال: فلما استكمل الأيام إذا خادم يدق الباب يقول: أجب أمير المؤمنين واحمل معك دواء الذبحة، وقد كان أخذه مرة فعولج به فأفاق، فخرجت ومعي الدواء فتغرغر به فازداد الوجع شدة ثم سكن، فانصرفت إلى أهلي فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصراخ، فقالوا: مات. فأغلق الخزان الأبواب، فطلبوا له قمقماً يسخن فيه الماء فما وجدوه حتى استعاروه من الخزان.

قال علماء السير: لما رأى هشام أولاده حوله يبكون في مرضه، قال: جلد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له.

وكان قد خلف سبعمائة ضيعة، وكان له الهني والمري بالرقة، وكانا يرفعان عشرة آلاف ألف، وهو الذي احتفر الهني.

ووحد له اثنا عشر ألف قميص و لم يوجد له إلا أربعة أرؤس من الدواب، ونعلان وبضعة عشر خادماً.

قال أبو معشر: كانت وفاته لست ليال خلون من ربيع الآخر. وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ونصف.

وقال المدائني وابن الكلبي: وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً.

واختلفوا في مبلغ سنه، فقال هشام بن محمد: كان له خمس وخمسون سنة. وقال الواقدي: أربع وخمسون، وقال غيره: اثنتان

وخمسون.

وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره، وصلى عليه ابنه سلمة.

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

فمن الحوادث فيها قتل خالد بن عبد الله القسري، وكان قد عمل لهشام خمس عشرة سنة إلا ستة أشهر على العراق، خراسان، فلما ولي يوسف بن عمر أخذه وحبسه وعذبه لأحل انكسار الخراج، فكتب هشام بتخلية سبيله فخلي سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين فخرج إلى ناحية هشام فلم يأذن له في القدوم عليه، وخرج يد بن علي فقتل. وكتب يوسف إلى هشام: إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت لقمة أحدهم قوت عياله. فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها، فتاقت نفوسهم إلى طلب الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد، فقال لرسوله: كذبت وكذب من أرسلك، لسنا نتهم خالداً في طاعة، وأقام خالد بدمشق حتى هلك هشام.

وقام الوليد فكتب إلى خالد أن أمير المؤمنين قد علم حال الخمسين ألف ألف، فأقدم على أمير المؤمنين، فقدم فقال له: أين ابنك؟ قال: كنا نراه عند أمير المؤمنين، قال: لا ولكنك خلفته للفتنة، فقال: قد علم أمير المؤمنين أنّا أهل بيت طاعة، فقال: لتأبين به أو لأزهقن نفسك، فقال له: هذا الذي أردت وعليه عولت، والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها، فأمر الوليد صاحب حرسه بتعذيبه، فعذبه فصبر فحبسه، فقدم يوسف بن عمر فقال: أنا أشتريه بخمسين ألف ألف، فأرسل الوليد إلى خالد يخبره ويقول: إن كنت تضمنها وإلا دفعتك إليه، فقال: ما عهدت العرب تباع.

فدفعه إلى يوسف فعذبه مراراً، ثم أتى بعود فوضعه على قدميه، وقامت عليه الرجال حتى كسرة قدماه، فوالله، ما تكلم ولا عبس، ثم على ساقيه حتى كسرتا، ثم على فخذيه، ثم على حقويه، ثم على صدره حتى مات.

ودفن بناحية الحيرة، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة.

وفيها: قتل الوليد بن يزيد، قد ذكرنا أن الوليد كان مشتغلاً باللعب واللهو، معرضاً عن الدين قبل الخلافة، فلما وليها زاد ذلك فثقل أمره على رعيته وكرهوه، ثم ضم إلى ذلك أنه فسد أمره مع بني عمه ومع اليمانية وهي أعظم جند الشام، فضرب سليمان بن هشام مائة سوط، وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان فحبسه بها، فلم يزل بها حتى قتل الوليد، وغضب الوليد على خالد بن عبد الله، وكان يسميه يوسف الفاسق، ورماه بنو هاشم بالكفر والزندقة وغشيان أمهات أولاد أبيه. وقالوا إنه اتخذ مائة جامعة، وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني أمية ليقتله بها، وكان أشدهم فيه قولاً ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكان الناس إلى قوله أميل، لأنه كان يظهر النسك ويقول: ما يسعنا الرضى بالوليد، حتى حمل الناس على الفتك به، وأجمع على قتله قوم من قضاعة واليمانية من أهل دمشق خاصة، فأتى قوم منهم خالد بن عبد الله، فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، قالوا: فاكتم علينا، قال: لا أسمي أحداً منكم.

ثم إن الوليد أراد الحج، فخاف خالد أن يفتكوا به في الطريق، فقال: يا أمير المؤمنين أخر الحج العام. قال: و لم؟ فلم يخبره، فأمر بحبسه وأن يستأدي ما عليه من أموال العراق، وبايع الناس يزيد بن الوليد سراً، واجتمع عليه أكثر أهل دمشق، وأجمع يزيد على

الظهور، فقيل للعامل: إن يزيد خارج، فلم يصدق، فأرسل يزيد أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ست وعشرين ومائة، فمكثوا عند باب الفراديس حتى أذنوا العتمة، فدخلوا فصلوا وللمسجد حرس، وقد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل، فلما صلى الناس صاح بهم الحرس، وتباطأ أصحاب يزيد، فجعلوا يخرجون من باب ويدخلون من آخر حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد، فقبض أصحاب يزيد على الحرس جميعهم، ومضى يزيد بن عن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذ بيده وقال: قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وعونه، فقام وقال: اللهم إن كان هذا لك رضاً فأعني عليه وسددني، فإن كان غير رضاً فاصرفه عني بموت، وأقبل في اثني عشر رجلاً، ثم اجتمع أصحابهم وأخذ خزان بيت المال وصاحب البريد وكل من يحذره، وقبضوا سلاحاً كثيراً من المسجد كان فيه. وخرج الوليد إلى حصن للعرب، وقصده أصحاب يزيد فقاتلهم في جماعة معه، وقال لأصحابه: من جاء برأس فله خمسمائة، فجاء قوم بأرؤس، فقال: اكتبوا أسماءهم، فقال رجل: ما هذا يوم يعمل فيه بنسيئة، فتفرق عنه أصحابه فدخل الحصن وأغلق الباب وقال: أما فيكم رجل له حسب وحياء أكلمه كلمة؟ فقال له يزيد بن عنبسة: كلمني، قال: ألم أزد في أعطياتكم، ألم أعط فقراءكم، ألم أخدم زمناكم، فقال: ما ننقم عليك في أنفسنا ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله، فرجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً وقال: يوم كيوم عثمان.

ثم أن أصحاب يزيد علوا حائط الدار، وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة، فترل إلى الوليد وسيف الوليد إلى جنبه، فقال له ابن عنبسة: نحّ سيفك، فقال له الوليد: لو أردت السيف لكان لي ولك حال غير هذه ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه، فترل من الحائط عشرة، فضربه أحدهم على رأسه، وضربه آخر على وجهه، واحتز آخر رأسه، وقدم بالرأس على يزيد فسجد، وكانوا قد قطعوا كفه، فبعثوا بها إلى يزيد قبل الرأس فطيف به في دمشق ثم نصب.

وكان يزيد قد جعل في رأس الوليد مائة ألف، وانتهب الناس عسكره وخزانته.

باب ذكر خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

كان يكنى أبا خالد، وأمه أم ولد، وهي بنت فيروز بن يزدجرد. وكان أسمر طويلاً، صغير الرأس، بوجهه خال، وكان جماعة قد بايعوه قبل قتل الوليد، فلما قتل اجتمعوا عليه فنقص من أعطيات الناس ما كان زادهم الوليد، وردهم إلى أعطيات هشام، فسموه الناقص. وأول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد.

وقيل: بل سمي بذلك لنقصان كان في أصابع رجليه، وهو أول خليفة كانت أمه أمَة، وكانت بنو أمية تتجنب ذلك توطيداً للخلافة، ولأنهم سقط إليهم أن ملكهم يزول على يد خليفة منهم أمه أمَة، فكان ذلك مروان بن محمد، وسيأتي ذكره بعد خلافة يزيد هذا.

ثم أن يزيداً خطب الناس بعد قتل الوليد، وقال: إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، ولكن خرجت غضباً لله ولرسوله ولدينه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه، لما هدم الوليد معالم الهدى، وأطفأ نور أهل التقى، وكان جباراً مستحلاً للحرم مع أنه ما كان يصدق بالكتاب، ولا يؤمن بيوم الحساب، فسألت الله تعالى فأراح منه العباد والبلاد، أيها الناس إن لكم علي ألا أضع حجراً على حجر، ولا لبنة على لبنة، ولا أكري نهراً، ولا أكثر مالاً، ولا أعطيه زوجة ولا ولداً، ولا أنقله من بلد إلى بلد حتى أسد ثغرة ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم، ولا أغلق بابي دونكم، وإن لكم أعطياتكم في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، فإن أنا وفيت لكم بمالكم وبما قلت فعليكم بالسمع والطاعة، وإن أنا لم أف لكم فلكم أن تخلعوني، وإن

علمتم أحداً ممن يعرف بالصلاح، يعطيكم مننفسه مثلما أعطيتكم وأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه. أيها الناس، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ثم دعا أناس إلى تجديد البيعة له، وأظهر النسك وقراءة القرآن وأخلاق عمر بن عبد العزيز وأحسن السيرة، فلما علم أهل البلاد بقتل الوليد ثارت الفتن، ووثب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعمان، وكان محبوساً بها، حبسه ابن عمه الوليد، فأخذ ما فيها من الأموال، وأقبل إلى دمشق.

ووثب أهل حمص، وغلقوا أبوابها، وأقاموا النوائح على الوليد، وهدموا دار العباس بن الوليد بن عبد الملك لأنه أعان على الوليد، فكتبوا بينهم كتاباً ألا يدخلوا في طاعة يزيد، وخرجوا عليه، فبعث إليهم جيشاً فانهزموا وقتل منهم ثلاثمائة.

ووثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فأخرجوه.

ولما تم الأمر ليزيد بن الوليد عزل يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جمهور، فسار إلى العراق، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب إلى البلقاء فقدم منصور الحيرة في أيام خلت من رجب فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطاء وولي العمال، وبايع ليزيد بن الوليد بالعراق وكورها، وكتب بذلك ، وأطلق من في سجون يوسف، وبلغ خبر يوسف إلى يزيد بن الوليد، فبعث من يأتيه به، فجيء به في وثاق، فأقام في الحبس ولا يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام في ولاية إبراهيم، فلما قدم مروان الشام وقرب من دمشق ولى قتله يزيد بن خالد، فبعث مولى لاه فضرب عنق يوسف.

وفيها: امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل يزيد منصور بن جمهور، وكان يزيد قد ولاها منصور مع العراق.

وقد ذكرنا أن يوسف بن عمر كبت إلى نصر بالمصير إليه مع الهدايا للوليد بن يزيد، فشخص نصر من خراسان إلى العراق، وتباطأ في سفره حتى قتل الوليد، فجاءه من أخبره بأن منصور بن جمهور قد أقبل أميراً على العراق، وأن يوسف بن عمر قد هرب، فرد نصر تلك الهدايا، وأعتق الرقيق، وقسم تلك الآنية، ووجه العمال، وأمرهم بحسن السيرة ودعى الناس إلى البيعة فبايعوه.

وفيها: عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق، وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان.

وفيها: كتب يزيد إلى عامله عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أن يرد على الحارث بن شريح ما كان أخذ من ماله وولده لأنه خاف منه أن يقدم عليه بالترك، طمع أن يناصحه، وأرسل إليه من يرده من بلاد الترك.

وفيها: وجه إبراهيم بن محمد الإمام بكير بن ماهان إلى خراسان، وبعث معه بالسيرة والوصية، فقدم مرو، وجمع النقباء ومن بها من الدعاة، فنعى إليهم الإمام محمد بن علي ودعاهم إلى إبراهيم، ودفع إليهم كتاب إبراهيم فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد.

وفيها: أخذ يزيد بن الوليد البيعة لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس وجعله ولي عهده، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من بعد إبراهيم.

وكان سبب ذلك أن يزيد مرض في ذي الحجة من سنة ست وعشرين، فقيل له: بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز من بعده، ففعل.

وفيها : عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة، وولاها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان رضي الله عنه.

وفيها: أظهر مروان بن محمد بن مروان الخلاف ليزيد، وانصرف من أرمينية إلى الجزيرة مظهراً أنه طالب بدم الوليد بن يزيد، فلما صار بحرّان وجمع جمعاً كثيراً وتهيأ للمسير إلى يزيد، كاتبه يزيد على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى إياه من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان فبايع له بحران.

وفي هذه السنة: حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك، بعثه يزيد بن الوليد، وخرج معه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة ومكة والطائف والعراق. وكان على قضاء الكوفة ابن أبي ليلى، وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة، وكان على خراسان نصر بن سيار.

وفيها: مات يزيد، وكان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، يكنى أبا إسحاق، وأمه أم ولد بربرية اسمها خشف، وكان يزيد بن الوليد قد جدد البيعة لإبراهيم قبل موته بثلاثة أيام غير أنه لم يتم له أمره، فكان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمارة وجمعة لا يسلم عليه لا بالإمارة، ولا بالخلافة، فكان على ذلك حتى قدم مروان بن محمد فخلصه، وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان الذي كان يزيد عقد له البيعة من بعد إبراهيم بن الوليد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خالد بن عبد الله القسري البجلي اليماني: كان بواسط، وقيل: بالكوفة، وقد ذكرنا كيف هلاكه في الحوادث.

دراج بن سمعان، أبو السمح مولى عبد الله بن عمرو بن العاص: سمع من عبد الله بن الحارث بن جزء. روى عنه الليث وابن لهيعة. وكان يقص بمصر ويقول: أدركت زماناً إذا سمعنا أنه قد جمع القرآن حججنا إليه لننظر إليه.

شميط بن عجلان، أبو عبيد الله: كان عابداً واعظاً.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن أبي عثمان، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت، قال: حدَّثنا أحمد بن جعفر بن المنادي، قال: حدَّثنا هارون بن الحكم، قال: حدَّثنا مجاهد بن موسى، قال: حدَّثنا عبد الله بن عيسى المقابري، قال: حدَّثنا عبد الله بن شميط، عن أبيه أنه كان يقول في مواعظه: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي ثلاثة أيام، فقد مضى أمس بما فيه، وغداً أملك لعلك لا تدركه، إنما هو يومك هذا فإن كنت من أهل غد فسيجيء رب غد برزق غد، إن دون غد يوم وليلة تخترم فيه أنفس كثيرة، فلعلك المخترم فيه، كفى كل يوم همه، ثم قد حملت على قلبك الضعيف همّ السنين والدهور، وهم الغلاء والرخص، وهم الشتاء قبل أن يجيء، وهم الصيف قبل أن يجيء، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة، العجب لمن صدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور.

عبد الله بن غالب الحراني: أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو تنعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدَّثنا أبي، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن عمر، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني صدقة بن بكر السعدي، قال: حدثني المغيرة بن حبيب، قال: قال عبد الله بن غالب الحراني: لما برز العدو على ما أساء من الدنيا، فوالله ما فيها للبيب جدل، ووالله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء في ظلم الليل، رجاء ثوابك وحلول رضوانك، لقد كنت متمنياً فلفراق الدنيا وأهلها. قال: ثم كسر جفن سيفه ثم تقدم

فقاتل حتى قتل. قال: فحمل من المعركة وإنه لرمق، فمات، دون العسكر، فلما أن دفن أصابوا من قبره رائحة المسك. قال: فرآه رجل من إخوانه في منامه، فقال: يا أبا فراس، ما صنعت؟ قال: خير الصنع، قال: إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال : بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر، قال: ما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ، قال: قلت: أوصني، قال: اكسب لنفسك خيراً، لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلاً.

عبد الله بن سريج أبو يحيى مولى بني نوفل بن عبد مناف وقيل: مولى بني الحارث بن عبد المطلب، وقيل: مولى لبني مخزوم، وقيل: مولى لبني ليث. ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وكان نائحاً ثم صار من مشاهير المغنين وكبارهم، وكان آدم أحمر ظاهر الدم سفاطاً، في عينه فتل، وفي رأسه صلع، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن عفر.

وذكر الكلبي عن أبيه، قال: كان ابن سريج مخنثاً أحول أعمش، وكان أحسن الناس غناء، وغنى فيزمن عثمان.

وقال غيره: كان مغني أهل مكة ابن سريج، ومغني أهل المدينة معبد.

الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد: ولد سنة ستين. شاعر متقدم مقدم، عالم باللغة، كان في أيام بني أمية، و لم يدرك الدولة العباسية، تكلم مع حماد الواوية فأفحم حماداً، وأنشد هشام بن عبد الملك فأعطاه مالاً كثيراً. وأنشد خالداً القسري فأعطاه مائة ألف درهم.

وقال معاذ الهزاء: الكميت أشعر الأولين والأخرين وبلغ شعره خمسة آلاف ومائتين وتسعاً وثمانين بيتاً.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك: قتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة. وكانت خلافته سنة وثلاثة اشهر في قول أبي معشر. وقال هشام: سنة وشهرين واثني عشر يوماً.

وفي مقدار عمره خمسة أقوال، أحدها: ثمانية وثلاثون سنة، قاله هشام. والثاني: ست وثلاثون، قاله الواقدي، والثالث: إحدى وأربعون سنة، والرابع خمس وأربعون، والخامس: ست وأربعون.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك: ولي ستة أشهر وليلتين. وقال هشام: ستة أشهر وأياماً. وقال المدائني: خمسة أشهر واثني عشر يوماً.

وتوفي لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن ست وأربعين سنة، وقيل: ابن ثلاثين سنة، وقيل: سبع وثلاثين سنة.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

فمن الحوادث فيها مسير مروان بن محمد إلى الشام. وقد ذكرنا أنه خرج بعد مقتل الوليد بن يزيد مظهراً أنه ثائر بالوليد منكر لقتله، ثم لما كاتبه يزيد عاد فبايع له، وبعث بذلك جماعة من وجوه الجزية منهم محمد بن عُلاثة، فأتاه موت يزيد، فأرسل إلى ابن علاثة فردهم من منبج، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد، فلما انتهى إلى قنسرين دعا الناس إلى مبايعته، ثم توجه إلى حمص، وكانوا قد امتنعوا حين مات يزيد، أن يبايعوا إبراهيم، فوجه إبراهيم لهم عبد العزيز في جند أهل دمشق، فحاصرهم في مدينتهم، وأغذ مروان السير، فلما دنا من مدينة حمص رحل عبد العزيز عنهم، وخرجوا إلى مروان فبايعوه وساروا معه.

ووجه إبراهيم بن الوليد مع سليمان بن هشام عشرين ومائة ألف، فلقيهم مروان في نحو من ثمانين ألفاً، فاقتتلوا. وبعث مروان أقواماً

قطعوا الشجر وعقدوا على نهر هناك جسوراً، فعبروا إلى عسكر سليمان من ورائهم، فلم يشعروا إلا بالخيل فانهزموا وقتل منهم نحواً من ثمانية عشر ألفاً.

وفي هذه السنة دعا عبد الله بن معاوية بن عبد الإله بن جعفر بن أبي طالب إلى نفسه بالكوفة، وحارب بها عبد اله بن عمر بن عبد العزيز، فهزمه عبد الله بن عمر، فلحق بالجبال فغلب عليها. وكان خروجه فيم محرم سنة سبع وعشرين.

وكان سبب خروجه أنه قدم إلى الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر يلتمس صلته ولا يريد خروجاً فتزوج ابنة حاتم بن الشرقي، فلما وقعت العصبية، وكان سببها أن عبد الله أعطى قوماً ومنع قوماً فاختصموا، فقال أهل الكوفة لعبد الله: ادع إلى نفسك، فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان، فدعا سراً بالكوفة وبايعه ابن ضمرة الخزاعي، فدسم إليه ابن عمر فأرضاه، فأرسل إليه: إذا التقينا انهزمت بالناس، فقيل لابن عمر: قد جاء ابن معاوية، فأخرج مالاً وخرج فأمر منادياً ينادي: من جاء برأس فله خمسمائة، فأتى رجل برأس فأعطي خمسمائة، فلما رأى أصحابه الوفاء ثاروا بالقوم فإذا خمسمائة رأس، فانكشف أمر ابن معاوية، وانهزم ابن ضمرة فلم يبق مع أين معاوية أحد، فخرج إلى المدائن فبايعوه، وأتاه قوم من أهل الكوفة، ثم خرج إلى المدائن فغلب على حلوان والجبال وهمدان وقومس وأصبهان والري.

وفي هذه السنة: وافى الحارث بن شريح مرو، وجاء إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتب له يزيد بن الوليد، فصار إلى نصر ثم حالفه وبايعه على ذلك جمع كبير، وكان قدم مرو لثلاث بقين من جمادى الآخرى، سنة سبع وعشرين، فتلقاه نصر وأجرى عليه نزلاً كل يوم خمسين درهماً، وأطلق نصر من كان عنده من أهله، وبعث إليه بفرس وفرش، فباع ذلك وقسمه في أصحابه، وكان يجلس على برذعة، وتثنى له وسادة غليظة، وعرض عليه نصر أن يوليه ويعطيه مائة ألف فلم يقبل، وقال لست من أهل اللذات، إنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنة فإن فعلت ساعدتك، وإني خرجت من هذا البلد منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجمر، أنت تريدني عليه، فانضم إلى الحارث ثلاثة آلاف.

وفي هذه السنة: بويع لمروان بن محمد بن مروان بالخلافة بدمشق.

وذلك أنه لم قيل: قد دخلت خيل مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد ونهب بيت المال، وثار موالي الوليد بن يزيد، فقتلوا عبد العزيز بن الحجاج، ونبشوا قبل يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ودخل مروان دمشق، فبايعوه واستوت له الشام وانصرف، فنزل حران وطلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فأمنهما، وخلع إبراهيم في ربيع الآخر من هذه السنة، وكان مكثه أربعة أشهر، وقيل: أربعين ليلة.

باب ذكر خلافة مروان بن محمد بن مروان

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا عبد الله، وقيل بويع عبد الملك، وقيل أبا الوليد، أمه أم ولد كردية، وقيل: رومية، اسمها مارية البرما، بويع له وهو ابن إحدى وخمسين سنة، ويلقب بالجعدي، لأن الجعد بن إبراهيم كان مؤدبه، وكان الجعد متهماً بالزندقة، فقتله خالد بن عبد الله القسري، وخص مروان في ملكه بأشياء لم تكن لمن بعده، منها البقرة التي يضرب بها المثل، كان يقف تحته في الحرب يومه وليلته لا يبول ولا يروث.

قال الأصمعي: خطباء بني أمية خمسة: معاوية، وعبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، وهشام، ومروان بن محمد.

وفي هذه السنة: انتفض على مروان أهل حمص، وسائر أهل الشام فحاربهم.

وذلك أنه أقام بحران بعد أن بويع له أربعة أشهر، وقيل: ثلاثة أشهر وهو الأصح – ثم خالفه أهل الشام، وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم، راسلهم وكاتبهم، فبلغ مروان خبرهم، فسار إليهم بنفسه ومعه إبراهيم بن يزيد المخلوع، وسليمان بن هشام يكرمهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه، فانتهى إلى حمص، فأحدقت بها خيله فأشرفوا عليه، فناداهم مناديه: ما الذي دعاكم إلى النكث؟ فقالوا: لم ننكث، فاقتحم عمرو بن الوضاح في ثلاثة آلاف، فقاتلوهم داخل المدينة، فلما كثرهم خيل مروان انتهوا إلى باب من أبواب المدينة يقال له: باب تدمر، فخرجوا منه والروابط عليهم، فقاتلوهم، فقتل عامتهم وأسر منهم قوم، فأتى بهم مروان فقتلهم، وأمر بالقتلى وهم ستمائة، فصلبوا حول المدينة، وهُدم من حائط المدينة نحو من غلوة، وثار أهل الغوطة إلى دمشق فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو، وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري، وقتل مروان خلقاً كثيراً، وأقام بدير أيوب حتى بايع لابنيه: عبيد الله، وعبد الله، وزوجهما ابنتي هشام بن عبد الملك، وهما: أم هشام، وعائشة. وقطع على جند أهل الشام بعثاً، وأمرهم باللحاق بيزيد بن عمر بن هبيرة، وكان قبل مسيره إلى الشام قد وجهه في عشرة آلاف من أهل قنسرين والجزيرة، وصيره مقدمه له وانصرف مروان إلى قرقيسياء وابن هبيرة بها ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الحروري.

وأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم، فزادهم حتى جاءوا الرصافة سليمان إلى خلع مروان ومحاربته.

وفي هذه السنة: خرج الضحاك بن قيس الشيباني، فدخل الكوفة. وسبب ذلك أنه لما قتل الوليد خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد بن بهدلة الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وفيهم الضحاك، فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بالشام، وخرج بسام البيهقي وهو مفارق لرأيه في مثل عدقم من ربيعة، فسار كل واحد منهما إلى صاحبه، فلما تقارب العسكران قتل بسطام وجميع من معه إلا أربعة عشر لحقوا بمروان، فكانوا معه. ثم مضى سعيد بن بهدلة نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها واختلاف أهل الشام، فمات سعيد بن بهدلة من طاعون أصابه، واستخلف الضحاك بن قيس، فاجتمع مع الضحاك نحو من ألف، فتوجه إلى الكوفة ومر بأرض الموصل فاتبعه منها ومن السواد نحو من ثلاثة آلاف، فبرز له أهل الكوفة فهزمهم استولى على الكوفة ومضى إلى واسط فحاصرها وخرجوا يقاتلونه، فلم يزالوا على ذلك شعبان ورمضان وشوال، ثم خرج والي واسط إلى الخارجي فبايعه.

وفيها: خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد ونصب له الحرب. وذلك أنه لما شخص مروان إلى الرقة لتوجه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس استأذنه سليمان بن هشام أن يقيم أياماً لإصلاح أمره، فأذن له فقيل له: أنت أرضى عند أهل الشام من مروان وأولى بالخلافة، فأجابهم وعسكر بهم وسار بهم إلى قنسرين، وكاتب أهل الشام فانفضوا إليه من كل جانب فأقبل إلى مروان وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت في عسكره، واجتمع إلى سليمان بن هشام نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام وغيرهم، فلما دنا منه مروان قدم إليه السكسكي في نحو من سبعة آلاف، ووجه مروان عيسى بن مسلم في نحو من عدقم، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت مقدمة مروان، فانهزم سليمان، واتبعته خيول مروان تقتلهم وتأسرهم، واستباحوا عسكرهم، وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفاً، ومضى سليمان مفلولاً حتى انتهى إلى حمص، فانضم إليه من أفلت من أصحابه، فعسكر بهم وبنى ما كان مروان هدمه من حيطانها، وجاءهم مروان فخرجوا إليه فاقتتلوا، وعلم سليمان أنه لا طاقة له بهم، فذهب إلى تدمر. ونزل مروان

بحمص فحاصرهم عشرة أشهر، ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً وهم في ذلك يخرجون إليه فيقاتلونه، ثم استأمنوه على أن يدفعوا إليه جماعة ممن كان يسبه ويؤذيه، فقبل ذلك منهم، ثم أقبل متوجهاً إلى الضحاك، فارتحل الضحاك حتى لقي مروان بكفر توثا من أرض الجزيرة.

وفي هذه السنة: توجه سليمان بن كثير ولا هز بن قريظة، وقحطبة بن شبيب إلى مكة، فلقوا إبراهيم بن محمد بالإمام بها، وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومسكاً ومتاعاً كثيراً، فأمرهم بدفع ذلك إلى عروة مولى محمد بن علي، وكانوا قدموا معهم بأبي مسلم في ذلك العام، فقال سليمان بن كثير لإبراهيم: هذا مولاك.

وفي هذه السنة: حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على مكة والمدينة والطائف، وكان العامل على العراق النضر بن الحرشي، وكان بخراسان نصر بن سيار.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو إسحاق: أسند عن عبد الله بن جعفر، وأنس، غيرهما، وولي قضاء المدينة.

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزارز، قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، قال: أخبرنا أبو أيوب الجلاب، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا الحجاج، عن شيبة، قال: كان سعد بن إبراهيم يصوم الدهر ويقرأ القرآن في كل يوم وليلة.

توفي سعد بالمدينة في هذه السنة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، أبو خالد الفهمي: أمير مصر لهشام بن عبد الملك، روى عنه الليث بن سعد، ويحيى بن أيوب. وكان ثبتاً في الحديث، توفي في هذه السنة.

عمر بن عبد الله بن علي بن أحمد الهمداني أبو إسحاق السبيعي ولد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان، وأجاز شريح شهادته وحده في وصية، وكان يقول: يا معشر الشباب اغتنموا شبابكم وقوتكم، فقلما مر بي في شبابي ليلة لا أقرأ فيها ألف آية، ولقي من الصحابة: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان، وعدي بن حاتم، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وجابر بن سمرة، وحارثة بن وهب، وحبيش بن جنادة، وأبو جحيفة، والنعمان بن بشير، وسليمان بن صرد، وعبد الله بن يزيد وجرير بن عبد الله، وذا الجوشن، وعمارة بن رويبة، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة، وأسامة بن زيد، وعمرو بن الحارث بن المصطلق، ورافع بن خديج، وعمر بن حريث، والمسور بن مخرمة، وسلمة بن قيس الأشجعي، وسراقة بن مالك، وعبد الرحمن بن أبزي.

وانفرد أبو إسحاق بالرواية عن ثلاثة من الصحابة لم يرو عنهم غيره، أحدهم عبدة بن جري، ويقال: عبيدة. والثاني كديد الضبي، والثالث مطر بن عكامس. فهؤلاء الثلاثة عدهم جماعة من العلماء في الصحابة، وأبى قوم أن تكون لهم صحبة.

توفي أبو إسحاق يوم دخول الضحاك بن قيس الكوفة سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن خمس وتسعين سنة. وتغير أبو إسحاق بآخرة، والذي سمع من حديثه فهو الجيد.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

فمن الحوادث فيها قتل الحارث بن شريح بخراسان. وقد ذكرنا أن يزيد بن الوليد كتب إليه يؤمنه، وأن الحارث خرج من بلاد الترك إلى خراسان، وأتى إلى نصر بن سيار، فلما ولي ابن هبيرة العراق كتب إلى نصر بعهده، فبايع لمروان، فقال الحارث: إنما أمنني يزيد بن الوليد، ومروان لا يجيء أمان يزيد، فلا آمنه. فدعي إلى البيعة، وأرسل إلى نصر فقال: اجعل الأمر شورى، فأبى نصر، فخرج الحارث وأمر جهم بن صفوان مولى بني راسب، فقرأ، كتاباً في سيرة الحارث على الناس، فانصرفوا يكبرون، وأرسل الحارث إلى نصر: اعزل فلاناً واستعمل فلاناً، فاختاروا قوماً يسمون لهم من يعمل بكتاب الله، فأختار نصر مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حبان، واختار الحارث المغيرة الجهضمي، ومعاذ بن جبل، وأمر نصر كاتبه أن يكتب من يرضون من السنن، وما يختارون من العمال، وعرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النهر، ويعطيه ثلاثمائة ألف، فلم يقبل، ثم تناظر نصر والحارث فتراضيا أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان، وجهم بن صفوان، فحكما أن يعتزل نصر ويكون الأمر شورى، فلم يقبل نصر، وكان جهم يقص في عسكر الحارث فاتهم نصر قوماً من أصحابه أنهم كاتبوا الحارث، فأمر نصر منادياً ينادي: إن الحارث عدو الله قد نابذ وحارب، فاقتتلوا فانهزم الحارث وأسر يومئذ جهم بن صفوان صاحب الجهمية وقتل. وكان يكنى أبا محرز، وآل الأمر إلى قتل الحارث، وصلب قبله رجل يقال له: الكرماني.

وفي هذه السنة: وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان، وكتب إلى أصحابه: إني قد أمرته بأمري، فاسمعوا منه واقبلوا قوله، فإني قد أمرته على خراسان، ما غلب عليه بعد ذلك، فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند إبراهيم، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره وذلك أنه كان حدثاً، فقال إبراهيم: أين كنت عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوا علي، وقد أجمع رأيي على أبي مسلم، فاسمعوا له وأطيعوا.

وفي هذه السنة: قتل الضحاك بن قيس الخارجي، وكان معه عشرون ومائة ألف، فخرج إلى نصيبين فحاصرها وأقام بها وأقبل إليه مروان فالتقيا فاقتتلوا، فقتل الضحاك في المعركة، فبعث مروان برأسه إلى الجزيرة، فطيف به فيها.

وقيل: إن هذا كان في سنة تسع وعشرين.

وفي هذه السنة: قتل الخيبري الخارجي. وذلك أنه لما قتل الضحاك أصبح أصحابه فبايعوا الخيبري، فحمل الخيبري على مروان فانهزم، ودخل أصحاب الخيبري إلى عسكره وقطعوا أطناب خيمته، وجلس الخيبري على فرشه، ثم ثار إليه عبيد من عسكر مروان فقتلوا الخيبري وأصحابه، ورجع مروان وانصرف أصحاب الخيبري فولوا عليهم شيبان، فقاتلهم مروان بعد ذلك.

وفي هذه السنة: وجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج.

وفيها: حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وكان هو العامل على مكة والمدينة والطائف، وكان بالعراق عمال الضحاك، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وكان بخراسان نصر بن سيار، وعلى قضاء البصرة ثمامة بن عبد الله بن أنس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي: حدث عن سهل بن سعد، وسفيان بن وهب الخولاني، وأبي ثور الفهمي، وكلهم صحابي. وروى عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة. وتوفي بإفريقية في هذه السنة.

جهم بن صفوان، أبو محرز، الذي ينسب إليه الجهمية: كان في عسكر الحارث بن شريح الخارجي يقص ويعظ فحاربهم نصر بن سيار فأسر في الحرب وقتل.

جابر بن يزيد الجعفي: كان رافضياً غالياً، يقول بالرجعة، وروى عنه سفيان، وشعبة.

وتوفي في هذه السنة.

حُيَي بن هانئ، أبو قبيل المعافري: قدم مصر في أيام معاوية، وغزا رودس مع نادة بن أبي أمية، والمغرب مع حسان بن النعمان. روى عنه الليث، وابن لهيعة.

سئل عن القدر، فقال: أنا في الإسلام أقدم منه، ودين أنا أقدم منه، لا خير فيه. وكان يلي شراء الشيء بنفسه من السوق، وكان يصوم الاثنين والخميس.

وتوفي بالرأس في هذه السنة.

عبد الواحد بن زيد: كان متعبداً كثير البكاء، يقص على أصحابه فيموت في المجلس جماعة، وصلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناده عن أحمد بن أبي الحواري، قال: قال لي أبو سليمان الداران: أصاب عبد الواحد بن زيد الفالج، فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء، فإذا أراد أن يتوضأ انطلق، وإذا رجع إلى سريره عاد إليه الفالج.

يزيد بن أبي حبيب واسم حبيب سويد مولى شريك بن الطفيل العامري يكنى أبا رجاء ولد سنة ثلاث وخمسين، وكان نوبياً وكان يقول: كان أبي نوبياً من أهل دملقة فابتاعه شريك بن الطفيل فأعتقه، فولاؤنا له.

يروي عن أبي الطفيل، وعبد الله بن الحارث بن جزء. روى عنه سليمان التيمي. وكان يزيد مفتي أهل مصر في أيامه، وهو أول من أظهر العمل بمصر والكلام في الحلال والحرام ومسائل الفقه، وإنما كانوا يتحدثون قبل ذلك بالفتن والملاحم، والترغيب في الخير، وكان أحد الثلاثة الذين جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر، وكان حليماً عاقلاً. ولما كثرت مسائل الناس على يزيد لزم منزله.

دوكان الليث بن سعد يقول: كان يزيد بن أبي حبيب سيدنا وعالمنا.

يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المخزومي القاري المديني، مولى عبد الله بن عباس: سمع من عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس. روى عنه مالك بن أنس. وكان إمام أهل المدينة في القرآن. وكان تقياً خيراً، توفي في أيام مروان بن محمد بن مروان.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

فمن الحوادث فيها

هلاك شيبان بن عبد العزيز اليشكري. وكان السبب في ذلك أن الخوارج لما قتل الضحاك والخيبري بعده ولوا عليهم شيبان وبايعوه، فقاتلهم مروان تسعة أشهر، فلجأوا إلى الموصل واتبعهم مروان وخندق بإزائهم. فكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة

يأمره بالمسير من قرقيسياء، بجميع من معه إلى عبيدة بن سوار خليفة الضحاك بالعراق، فلقي خيوله بعين التمر، فقاتلهم عبيدة فهزمهم، ثم تجمعوا لهم بالكوفة بالنخيلة فهزمهم، ثم اجتمعوا بالصراة ومعهم عبيدة، فقاتلهم فقتل عبيدة وهزم أصحابه، واستباح عسكرهم فلم يكن لهم بقية بالعراق، وخرج شيبان وأصحابه، من الموصل فتبعهم مروان فمضوا إلى الأهواز، فوجه مروان إلى عامر بن ضبارة ثلاثة نفر من قواده في ثلاثة آلاف، وأمره بأتباعهم إلى أن يستأصلهم، فتبعهم فوردوا فارس فمضى شيبان إلى ناحية البحرين فقتل بها.

وكان مع شيبان سليمان بن هشام، فركب مع مواليه وأهل بيته السفن إلى السند.

وقيل كان ذلك في سنة ثلاثين.

إظهار الدعوة العباسية بخراسان.

وفي هذه السنة – أعني سنة تسع وعشرين ومائة – أمر إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا مسلم بالانصراف إلى شيعته بخراسان، وأمرهم بإظهار الدعوة العباسية، والتسويد. فقدم أبو مسلم مرو في أول شعبان. وقيل: في أول يوم من رمضان. فدفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير، وكان فيه: أن أظهر دعوتك ولا تربص. فنصبوا أبا مسلم وقالوا: رجل من أهل البيت، ودعوا إلى طاعة بني العباس، وأرسلوا إلى كل من أجابهم قريب وبعيد، فأمروه بإظهار أمرهم والدعاء إليهم.

ونزل أبو مسلم قرية من قرى خزاعة، فبث دعاته في الناس، فوجه النضر التميمي إلى مرو الروذ، ووجه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليمان إلى الطالقان، ووجه أبا الجهم بن عطية إلى خوارزم.

فما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان عقد اللواء الذي بعث به للإمام على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الراية التي بعث بها للإمام على لواء طوله ثلاثة عشر ذراعاً. وكان اللواء يُدعى الظل، والراية تدعى السحاب – وكان تأويل الاسمين عندهم أن السحاب يطبق الأرض، وكذلك دعة بني العباس تطبق الأرض. وتأويل الظل أن الأرض لا تخلو من الظل أبداً، كذلك لا تخلو الأرض من خليفة – ولبس السواد هو وسليمان بن كثير وأخوه سليمان ومواليه ومن أجاب الدعوة، وأوقد النيران، فتجمع أصحابه مُغذين، وقدم عليه من الأماكن من أجاب.

فلما كان يوم الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي به وبالشيعة، ونصب له منبراً في العسكر، وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير آذان ولا إقامة – وكانت بنو أمية تبدأ الخطبة بأذان، ثم الصلاة بإقامة على صلاة يوم الجمعة، ويخطبون على المنابر جلوساً في الأعياد والجمع – وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبر في الركعة الأولى ست تكبيران، وفي الثانية خمس تكبيرات – وكانت بنو أمية تكبر في الركعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد، وفي الثانية ثلاث تكبيرات – فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مسلم والشيعة إلى طعام قد أعده لهم أبو مسلم، فطعموا مستبشرين.

وكان أبو مسلم في أول الأمر يكتب إلى نصر بن سيار: الأمير نصر. فلما قوي أبو مسلم بمن معه بدأ بنفسه فكتب إلى نصر، وأمر أن يقطع مادة نصر بن سيار من مرو الروذ ومن بلخ، فوجه نصر خيلاً لمحاربة أبي مسلم وذلك بعد ثمانية عشر شهراً من ظهروه، فوجه إليه أبو مسلم بمالك بن الهيثم الخزاعي، فالتقوا بقرية فانهزم أصحاب نصر وقتل منهم جماعة وجيء برؤوسهم، فأمر أبو مسلم بنصب تلك الرؤوس، فهي أول حرب كانت بين الشيعة العباسية وشيعة بني مروان.

وفي هذه السنة: غلب خازم بن خزيمة على مرو الروذ، وقتل عامل نصر بن سيار الذي كان عليها، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم.

وفيها تحالف عامة من كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبي مسلم.

وذلك حين قوي أمره، فبعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هراة عليها عيسى بن عقيل الليثي فطرده من هراة، وضاق المنزل بأبي مسلم لكثرة عسكره، فارتاد منزلاً فسيحاً وحفر به خندقاً، وذلك لتسع خلون من ذي القعدة. واستعمل على الشرطة مالك بن الهيثم وعلى الحرس خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند كامل بن مظفر، وعلى الرسائل مسلم بن صبيح. وكان القاسم بن مجاشع يصلي بأبي مسلم الصلوات، ويقص بعد العصر، فيذكر فضل بني هاشم ومعايب بني أمية، وكان أبو مسلم كرجل من الشيعة في هيئته حتى أتاه عبيد الله بن مسلم بالأروقة، والفساطيط والمطابخ وحياض الأدم للماء.
وبلغت عدة أصحاب أبي مسلم سبعة آلاف، فأعطى لكل رجل ثلاثة دراهم، ثم أعطاهم أربعة أربعة، وكتب نصر بن سيار إلى مروان يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، وكتب بأبيات شعر.

أرى بين الرماد وميض جمر ... فأحج بأن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

فكتب إليه مروان: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول قبلك، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده.
وجاء كتاب إبراهيم الإمام يلوم أبا مسلم أن لا يكون واثب نصراً، وأمره ألا يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله.
وكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق أن يكتب إلى عامل البلقاء فليأخذ إبراهيم بن محمد، ويشده وثاقً، ويبعث به إليه في خيل، فأخذه فحمله الوليد إلى مروان وفي هذه السنة: وافى الموسم أبو حمزة الخارجي من قبل عبد الله بن يحيى مخالفاً مروان بن محمد، فلم يشعر الناس بعرف إلا وقد طلعت أعلام سود، فسألهم الناس: ما حالك؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان وقد طلعت أعلام سود، فسألهم الناس: ما حالكم؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرؤ منهم.
فراسلهم عبد الواحد بن سليمان في الهدنة، فقالوا: نحن بحجنا أضنّ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون حتى ينفر الناس النفر الأخير، ويصبحوا من الغد، فوقفوا على جدة بعرفة ودفع بالناس عبد الواحد، ثم مضى إلى المدينة فضرب على الناس البعث.
وفيها: حج بالناس عبد الواحد، وكان هو العامل على مكة والمدينة، والطائف. وكان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، وعلى الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي، على قضاء البصرة عباد بن منصور، وعلى خراسان نصر بن سيار.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خالد بن أبي عمران التجيبي، يكنى أبا عمر: سمع من ابن جزء، وكان فقيه أهل المغرب ومصر يفتيهم، وكان مستجاب الدعوة. توفي في هذه السنة بإفريقية. وقيل: في سنة خمس وعشرين.
عاصم بن أبي النجود، أبو بكر الأسدي الخياط مولى لبني خزيمة بن مالك بن نضر بن قعص، واسم أبي النجود: بهدلة: أدرك عاصم ثلاثة عشر صحابياً، وكان كثير الرواية، وقرأ على أبي عبد الواحد السلمي.

يحيى بن أبي كثير مولى طيء، يكنى أبا نصر: أخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناد له عن أبي عمرو، عن يحيى بن أبي كثير، قال: ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطقه إلا عرفت ذلك في سائر عمله.
أسند يحيى بن أبي كثير عن أنس، وابن أبي أوفى وغيرهما من الصحابة.
وتوفي في هذه السنة. وقيل: في سنة اثنتين وثلاثين.

ثم دخلت سنة ثلاثون ومائة

فمن الحوادث فيها: دخول أبي مسلم مرو ونزوله دار الإمارة فيها، ومطابقة علي بن جديع الكرماني إياه على حرب نصر بن سيار، ودخلها لتسع خلون من جمادي يوم الخميس.
وكان سبب موافقة عليّ أبا مسلم، أن أبا مسلم وبخه وقال: أما تستحي من مصالحة نصر وقد قتل أباك في الأمس وصلبه، فرجع عنه فانتفض صلح العرب الذين اصطلحوا على قتال أبي مسلم، فتمكن لذلك أبا مسلم من دخول دار الإمارة بمرو وعبأ جنوده لقتال نصر، فأرسل إلى جماعة بالقتال، ففهم لاهز، فقرأ لا هز: "إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك" ففطن فهرب، وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من جمادي الأول هذه السنة، وهو اليوم الثاني من دخول أبي مسلم دار الإمارة.

وصفت مرو لأبي مسلم، وأمر أبا منصور طلحة بن زريق أن يأخذ البيعة على الجند، وكان طلحة أحد النقباء الأثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي من السبعين الذين استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ثلاث ومائة، أو أربع ومائة، وأمره أن يدعو إلى الرضا ولا يسمين أحداً.

تسمية الاثني عشر:

سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وزياد بن صالح، وطلحة بن الزريق، وعمرو بن أعين، وقحطبة بن شبيب واسم قحطبة زياد، وموسى بن كعب أبو عيينة، ولاهز بن قرظ، والقاسم بن مجاشع، وأسلم بن سلام، وأبو داود خالد بن إبراهيم، وأبو علي الهروي.
وقد جعل بعض الرواة شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين، وعيسى بن كعب مكان موسى، وأبا النجم إسماعيل بن عمران مكان أبي علي الهروي.
لما هرب نصر بن سيار سار أبو مسلم إلى معسكره، وأخذ ثقات أصحابه وصناديد مضر الذين كانوا في معسكره، فكتفهم وحبسهم ثم أمر بقتلهم جميعاً. ومضى نصر بن سيار حتى نزل سرخس فيمن اتبعه، وكانوا ثلاثة آلاف، ومضى أبو مسلم علي بن جديع في طلبه، فطلباه ليلتهما ثم رجعا إلى مرو، وقيل إن لاهزاً قرأ: "وإن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك" فقال: يا لاهز أتدغل في الدين؟ فقدمه فضرب عنقه.
وفي هذه السنة: قتل شيبان بن سلمة الحروري، وسبب قتله، أنه كان هو وعلي بن جديع مجتمعين على قتال نصر، فلما صالح علي بن الكرماني أبا مسلم، وفارق شيبان، تنحى شيبان عن مرو إذ علم أنه لا طاقة له بحرب أبي مسلم وعلي بن جديع مع اجتماعهما على خلافه وقد هرب نصر من مرو، فأرسل إليه أبو مسلم يدعوه إلى بيعته، فأرسل شيبان: بل أنا أدعوك، فقال أبو مسلم: إن لم

تدخل في أمرنا فارتحل، فسار إلى سرخس، فاجتمع إليه جمع من بكر بن وائل، فأرسل إليه أبو مسلم يدعوه ويسأله أن يكف، فاخذ الرسل فحبسهم، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله، ففعل فهزمه بسام، فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل، فلما قتل شيبان مر رجل من بكر بن وائل برسل أبي مسلم وهم في بيت فأخرجهم وقتلهم. ثم قتل أبو مسلم علي بن جديع.

وفي هذه السنة: قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم بن محمد ومعه لواؤه الذي عقده له إبراهيم، فوجهه أبو مسلم حين قدم عليه على مقدمته، وضم إليه الجيوش، وجعل إليه العزل والاستعمال، وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة.

فوجه قحطبة إلى نيسأبور للقاء نصر، وذلك أن شيبان الحروري لما قتل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسأبور، فبلغه فارتحل حتى نزل قومس وتفرق عنه أصحابه.

وفيها: قتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن هبيرة على جرجان، وذلك أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة إلى نصر، فأتى فارس وأصبهان ثم سار إلى الري وأتى إلى جرجان، فأرسل أبو مسلم إلى قحطبة، فلقيه فقتل نباتة وانهزم أهل الشام وقتل منهم عشرة آلاف.

وفيها كانت الوقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي وأهل المدينة. وذلك أنه خرج فلقي قريشاً بقديد، فأصاب منهم عدداً كثيراً ثم ورد فلال الناس المدينة، ثم دخل أبو حمزة المدينة، ومضى عبد الواحد بن سليمان والي المدينة إلى الشام فرقي أبو حمزة المنبر وقال: يا أهل المدينة، سألناكم: هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام؟ فقلتم: نعم، فقلنا لكم: تعالوا نناشدهم إلا تنحوا عنا وعنكم، فقلتم: لا تفعلوا ذلك، فقلنا: تعالوا نقاتلهم فإن نظهر نأت بمن يقيم فينا وفيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقلتم: لا نقوى، فقلنا لكم: فخلوا بيننا وبينهم، فإن نظفر في أحكامكم. ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم، ونقسم فيأكم بينكم فأبيتم، وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم.

وسبب ذلك إن الخوارج لقوا رجال المدينة بقديد، فقالوا: دعونا نمضي على حكم القرآن، فدعوهم إلى حكم بني مروان، فقالوا لهم: ما لنا حاجة بقتالكم، فأبى أهل المدينة فالتقوا يوم الخميس لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين، فقتل أهل المدينة حتى لم يفلت منهم إلا الشريد، وقدمت الحرورية المدينة لسبع عشرة خلون من صفر، وأقاموا بها ثلاثة أشهر.

وكان أبو حمزة يقول على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: من زنى فهو كافر، ومن شك فهو كافر، ومن سرق فهو كافر.

وبعث مروان أربعة آلاف من عسكره ليقاتلهم، واستعمل عليهم ابن عطية فإن ظفر مضى إلى اليمن، فقاتل عبد الله بن يحيى بن زيد ومن تبعه، فلما التقى أبو حمزة وابن عطية بوادي القرى قال أبو حمزة: لا تقاتلوهم حتى تختبروهم، فصاحوا: ما تقولون في القرآن؟ فصاح ابن عطية: نضعه في جوف الجوالق، قالوا: فما تقولون في اليتيم؟ قالوا: نأكل ماله ونفجر بأمه، فقاتلوهم. فلما جاء الليل قالوا: ويحك يا ابن عطية إن الله قد جعل الليل سكناً، فاسكن نسكن، فأبى فقاتلهم حتى قتلهم وفر منهم قوم إلى المدينة، فقتلهم أهل المدينة.

وأقام ابن عطية بالمدينة شهراً، ثم مضى إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء فلما وصل التقيا، فقتل عبد الله وبعث برأسه إلى مروان، فكتب

مروان إلى ابن عطية: أغذ السير لتحج بالناس، فأسرع وخلف عسكره وخيله، فلقيته خيل فقالوا: أنتم لصوص، فأخرج ابن عطية كتابه وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده إلي بالحج، وأنا ابن عطية، قالوا: هذا باطل لكنكم لصوص. فقتلوه وقتلوا أصحابه.

وفي هذه السنة: قتل قحطبة بن شبيب من أهل خراسان زهاء ثلاثين ألفاً. وذلك أنهم أجمعوا بعد قتل نباته على الخروج على قحطبة، فقتل منهم هذا المقدار.

وكتب أبو مسلم إلى قحطبة أن يتبع نصراً، فكتب نصر إلى ابن هبيرة يستمده فأبطأ عليه المدد.

في هذه السنة: غزا الوليد بن هشام الصائفة.

وفيها: وقع الطاعون بالبصرة.

وفيها: حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان، وكان إليه مكة والمدينة والطائف، وكان على العراق يزيد بن هبيرة، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي، وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور، وعلى خراسان نصر بن سيار.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر .

بديل بن ميسرة العقيلي: أسند عن أنس وغيره، وكان متعبداً طويل البكاء، ما زال يبكي حتى ذهب بصره أخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناده له، عن سيار قال: قال مهدي بن ميمون: رأيت ليلة مات فيها بديل قائلاً يقول: ألا أن بديلاً أصبح من سكان الجنة.

الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي النحوي البصري ولا يعرف أحداً سمي بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أحمد والد الخليل.

سمع الخليل من جماعة، وبرع في علم اللغة وإنشاء العروض، وروى عنه حماد بن زيد، والنضر بن شميل. وكان الخليل بالبصرة، وهو أليق بالصحة، وكان الخليل منفرداً بعلم العربية متعبداً ذا زهادة في الدنيا.

كتب إليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه لتعليم ولده بالنهار ومنادمته في الليل، وبعث إليه ألف دينار ليستعين بها على خاله، فأخرج إلى الرسول زنبيلا فيه كسر يابسة، فأراه إياها وقال له: أني ما دمت أجد هذه الكسر فإني عنه غني وعن غيره، ورد الألف دينار وقال للرسول: اقرأ على الأمير السلام وقل له: إني قد ألفت قوماً، وألفوني، أجالسهم طول نهاري وبعض ليلي، وقبيح لمثلي أن يقطع عادة تعودها إخوانه، وكتب إليه بهذه الأبيات:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة	وفي غنى غير أني لست ذا مال
وإن بين الغنى والفقر منزلة	مقرونة بجديد ليس بالبالي
سخى بالنفس إني لا أرى أحداً	يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه	ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه	ولا يزيدك فيه حول محتال
كل امرئ بحبال الموت مرتهن	فاعمد لبالك إني عامد بالي

وقد روي لنا أن الذي بعث إليه سليمان بن حبيب المهلبي، بعث إليه من أرض السند. وكان الخليل في البصرة، وهذا أليق بالصحة، وقيل: من أرض الأهواز، ثم آل الأمر إلى أن صار الخليل وكيلاً ليزيد بن حاتم المهلبي، وكان يجري عليه في كل شهر مائتي درهم. قال الثوري: اجتمعنا بمكة، أدباء من كل أفق، فتذاكرنا أمر العلماء، فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويصفونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد منهم إلا قال: الخليل أذكى العرب، وهو مفتاح العلوم ومصرفها.

وقال نصر بن علي الجهضمي: عن أبيه، كان الخليل من أزهد الناس وأعلاهم نفساً، وأشدهم تعففاً، ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرضون له لينال منهم فلم يكن يفعل ذلك وكان يعيش من بستان خلفه له أبوه.

وقال عبيد الله بن محمد بن عائشة: كان الخليل يحج سنة ويغزو سنة حتى مات.

وقال النصر بن شميل: ما رأينا أحد أقبل على الناس إلى علمه فطلبوا ما عنده أشد تواضعاً من الخليل.

وقال محمد بن سلام: سمعت مشايخنا يقولون: لم يكن في العرب بعد الصحابة أذكى من الخليل ولا أجمع ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع.

وقال النضر: سمعت الخليل يقول: الأيام ثلاثة، فمعهود وهو أمس، ومشهود وهو اليوم، وموعود وهو غد وقال الخليل: ثلاث تيسر المصائب: مر الليالي، والمرأة الحسناء، ومحادثة الرجال.

وأنشد لنفسه:

يكفيك من دهرك هذا القوت ... ما أكثر القوت لمن يموت

شيبة بن نصاح بن سرخس بن يعقوب القاري مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: توفي في هذه السنة.

محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، أبو عبد الله: وكان المنكدر دخل على عائشة فقالت: لك ولد؟ قال: لا، فقالت: لو كان عندي عشرة آلاف درهم لوهبتها لك، فما أمسيت حتى بعث إليها معاوية بمال، فقالت: ما أسرع ما ابتليت، وبعثت إلى المنكدر بعشرة آلاف درهم فاشترى منها جارية، فهي أم محمد وأبي بكر وعمر، وكانوا عباد المدينة.

وسمع محمد من جابر بن عبد الله، وأميمة بنت رقية، والحسن، وعروة، وسعيد بن جبير في آخرين. وتوفي بالمدينة.

أخبرنا إسماعيل بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستوية، قال: حدَّثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدَّثني زيد بن بشر، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن زيد، قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت، فقال: يا أبا عبد الله، كأني أراك قد شق عليك الموت، قال: فما زال يهون عليه الأمر حتى كان في وجهه المصابيح، ثم قال محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك، ثم قضى رحمه الله.

محمد بن سوقة ، أبو بكر البزاز، مولى بجيلة: وكان بزازاً أدرك أنس بن مالك، وأبا الطفيل وروى عن التابعين، وكان سفيان يقول: ما بقي أحد يدفع به عن أهل الكوفة إلا ابن سوقة، وكانت عنده عشرون ومائة ألف فقدمها، وكان يقول: أحب الأشياء إليّ إدخال السرور إلى المؤمن.

أخبرنا احمد بن محمد المزاري، وقال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن البنا، قال: أخبرنا ابن بشران، قال: حدَّثنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا

أبو بكر القرشي، قال: حدَّثنا محمد بن علي بن شقيق، قال: حدَّثنا إبراهيم بن الأشعث، قال: حدَّثنا فضل بن عياض، عن محمد بن سوقة، قال: أمران لو لم نعذب إلا بهما لكنا مستحقين بهما عذاب الله: أحدنا يزاد بالشيء من الدنيا فيفرح فرحاً ما علم الله أنه فرحه بشيء زاده قط في دينه، وينقص من الدنيا فيحزن عليه حزناً ما علم الله أنه حزنه على شيء نقصه في دينه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد: قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ بإسناده له عن مهدي بن سابق، قال: طلب ابن أخي محمد بن سوقة منه شيئاً فبكى، فقال له: يا عم، لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك، قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت لأني لم أبتدئك قبل سؤالك محمد بن جحادة الأودي، مولى لبني أود: روى عن أبي صالح، وروى عنه الثوري.

أنبأنا عبد الوهاب الأنماطي، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا الحميدي، عن سفيان، قال: كان محمد بن جحادة من العابدين، وكان يقال إنه لا ينام من الليل إلا أيسره، قال: فرأت امرأة من جيرانه كأن حللا فرقت على أهل مسجدهم، فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعى بسفط مختوم، وأخرج منه حلة صفراء، قالت: فلم يقم لها بصري، فكساه إياها وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: لقد كنت أراه بعد ذاك فأتخايلها عليه.

مالك بن دينار، أبو يحيى مولى امرأة من بني سامة بن لؤي: وكان ثقة يكتب المصاحف، وكان زاهداً في الدنيا. وأسند الحديث عن أنس.

أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن المظفر الأصفهاني، قال: حدَّثنا حبيب ابن الحسن، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد الشطري، قال: حدَّثنا حسين بن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: سمعت أبي يقول: مر والي البصرة بمالك يرفل، فصاح به مالك: أقل من مشيتك هذه، فهم خدمه به، فقال: دعوه، ما أراك تعرفني، فقال له مالك: ومن أعرف بك مني، أما أولك فنطفة مذرة، وأخرك فجيفة قذرة، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة، فنكس الوالي رأسه ومشى.

أخبرنا أبو الحسن الأنصاري، قال: أخبرنا علي بن أيوب قال: أخبرنا الحسن بن محمد الخلال، قال: أخبرنا ابن شاهين، قال: حدَّثنا ابن أبي داود، قال: حدَّثنا مسلمة بن شبيب، قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر، عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار: أنه كان يرى يوم التروية بالبصرة، ويوم عرفة بعرفات.

أخبرنا محمد بن أبي حبيب، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن أبي صادق، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن باكوية، قال: حدَّثنا بكر بن أحمد، قال: حدَّثنا محمد بن يعقوب بن إسحاق، قال: حدَّثنا أحمد بن الحسين النيسابوري، قال: سمعت محمد بن عبد الله الطبري، يقول: سمعت الحسين بن علي الحلواني يقول: دخل اللصوص إلى بيت مالك بن دينار فلم يجدوا في البيت شيئاً فأرادوا الخروج من داره فقال مالك: ما عليكم لو صليتم ركعتين.

يزيد بن أبان الرقاشي: أسند عن أنس، وكان عابداً كثير البكاء والسهر حتى قال فيه ثابت البناني: ما رأيت أصبر على طول القيام والسهر من يزيد بن أبان الرقاشي، وكان بعد هذا يقول: وألهفاه سبقني العابدون وقطع بي.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا علي بن أحمد الملطي، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثني عبد الله بن محمد التيمي، قال:

حدَّثني زهير السكوني، قال : كان يزيد الرقاشي قد بكى حتى تناثرت أشفاره وأحرقت الدموع مجاريها من وجهه.
يزيد بن عبيد بن سعد بن بكر بن هوازن أبو وجزة السعدي الشاعر توفي بالمدينة في هذه السنة، قال ابن قتيبة: هو أول من شبب بعجوز.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها توجيه قحطبة ابنه الحسن، إلى نصر وهو بقومس، وذلك أنه لما قتل نباته ارتحل نصر بن سيار فترل الخوار ووجه قحطبة ابنه الحسن إلى قومس في حرم هذه السنة، ثم وجه إلى ابنه جماعة من الرؤوس في سبعمائة، فدخلوا حائطاً فوجه إليهم نصر جنداً فحصروهم، فنقبوا الحائط وخرجوا، وسار نصر حتى نزل الري، فأقام يومين ثم مرض حتى كان بساوة قريباً من همذان، فمات بها.
وفيها: تحول أبو مسلم من مرو إلى نيسابور، فترلها، ولما نزل قحطبة الري كتب إلى أبي مسلم بخبره، فارتحل أبو مسلم من مرو، فترل نيسابور وخندق بها، وبنى الجامع والمقصورة، وغصب أكثر الأرض التي بناها، إلا أن المسلمين سألوا من غصبت منهم، فأباحهم الصلاة فيها. وقيل: بل استوهبها أبو مسلم و لم يأخذها غصباً وفيها: قتل قحطبة، عامر بن ضبارة، وسبب ذلك أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما ابن ضبارة مضى نحو خراسان وتبعه عامر، وكتب إلى ابن هبيرة إلى عامر وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسير إلى قحطبة، فسار في خمسي ألفاً حتى نزلوا أصفهان بمدينة يقال لها جي فاقتتلوا، فانهزم أهل الشام وقتلوا قتلاً ذريعاً، وقتل ابن ضبارة، وانهزم داود، وأصيب عسكرهم ما لا تدري عدده من السلاح والمتاع والرقيق، ووجدوا عندهم ما لا يحصى من البرابط والطنأبير والمزامير والخمر.
وفيها: كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن لجأ إليها من جنود مروان بن محمد وقيل: كانت هذه الواقعة بجابلق من أرض أصفهان يوم السبت لسبع بقين من رجب..

وذلك أن قحطبة أرسل إلى أهل خراسان الذين في مدينة نهاوند يدعوهم إلى الخروج إليه، فأعطاهم الأمان فأبوا، ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك فقبلوا وبعثوا إليه: اشغل أهل المدينة حتى نفتح الباب وهم لا يشعرون، فشغل أهل المدينة بالقتال، ففتح أهل الشام الباب الذي كانوا عليه، فخرج أهل خراسان، فدفع قحطبة كل رجل منهم إلى رجل من قواد أهل خراسان، ثم أمر مناديه أن ينادي: من كان في يديه أسير ممن خرج إلينا من المدينة فليضرب عنقه، وليأتينا برأسه، ففعلوا فلم يبق أحد من الذين كانوا هربوا من أبي مسلم وصاروا في ذلك الحصن إلا قتل، ما خلا أهل الشام فإنه أخلى سبيلهم، وأخذ عليهم الأيمان ألا يمالئوا عليه عدواً.
وفي هذه السنة: سار قحطبة نحو ابن هبيرة، وكان ابن هبيرة قد استمد مروان، وأقبل حتى نزلوا جلولاء، واحتفر الخندق الذي كانت العجم احتفرته أيام وقعة جلولاء، وأقام حتى نزل قرماسين، ثم سار إلى حلوان، ثم جاء إلى خانقين، و لم يزل حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هبيرة وكان في هذه السنة: طاعون سلم بن قتيبة. قال: الأصمعي: كان يمر في كل يوم بطريق المربد أحد عشر ألف نعش.
قال المدائني: كان هذا الطاعون في رجب واشتد في رمضان. وكان يحصى في سكة المربد كل يوم عشرة آلاف جنازة أياماً، وخف

في شوال.

وقال الأصمعي: مات في أول يوم سبعون ألفاً. وفي الثاني نيف وسبعون ألفا وأصبح الناس في اليوم الثالث موتى. وكان على البصرة سلم بن قتيبة فلما قام على المنبر جعل ينظر يمنة ويسرة فلا يرى أحداً يعرفه، وكان يغلق على الموتى الباب مخافة أن تأكلهم الكلاب، وينادي المنادى: أدركوا آل فلان فقد أكلته الكلاب.

وفي هذه السنة: حج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي وهو كان عامل مكة والمدينة والطائف، من قبل عمه عبد الملك بن محمد وكان عامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، وكان على قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي، وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور الناجي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أيوب بن أبي تميمة السختياني يكنى أبا بكر، مولى لعترة، واسم أبي تميمة كيسان: كان ثقة ثبتاً ورعاً يستر حاله، وكان النساك حينئذ يشمرون ثيابهم، وكان في ذيله بعض الطول، وحج أربعين حجة. وكان الحسن يقول: سيد شباب أهل البصرة أيوب، وكان سفيان بن عيينة قد لقي ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيت مثل أيوب.

أخبرنا محمد بن ناصر بإسناده له، عن أبي بكر القرشي قال: حدَّثني أحمد بن عاصم العباداني، عن سعيد بن عامر، عن وهب بن جابر، قال: قال أيوب السختياني: إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو علي التميمي قال: حدَّثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني سليمان بن حرب، قال: حدَّثنا حماد بن زيد، قال : كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيمتخط ويقول: ما اشد الزكام؟ أخبرنا إسماعيل بن أبي بكر، قال: أخبرنا طاهر بن أحمد، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: حدَّثنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدَّثنا الحسن بن عمر، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختياني وقد مد على فراشه سبينة حمراء يدفع الرياء، فقال له بديل: ما هذا؟ فقال أيوب: هذا خير من هذا الصوف الذي عليك.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا الفضل بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: حدَّثنا خالد بن النضر القرشي، قال: حدَّثنا محمد بن موسى الجرشي، قال: حدَّثنا النضر بن كثير السعدي، قال: حدَّثنا عبد الواحد بن زيد قال: كنت مع أيوب على حراء فعطشت عطشاً شديداً حتى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش قد خفت على نفسي، قال: تستر علي؟ قلت: نعم، فاستحلفني فحلفت له ألا أخبر أحداً ما دام حياً، قال: فغمز برجله على حراء فنبع الماء حتى رويت وحملت معي من الماء قال: فما حدثت به حتى مات.

قال عبد الواحد: فأتيت موسى الأسواري فذكرت ذلك له فقال: ما بهذه البلدة أفضل من الحسن بن أيوب. توفي في هذه السنة وهو ابن ثلاث وستين.

إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس:

أمه أم ولد، وهو الذي يقال له الإمام، أوصى إليه أبوه، وانتشرت دعوته في خراسان كلها.

وكان شيعته يختلفون إليه ويكاتبونه من خراسان، ووجه بأبي مسلم إلى خراسان والياً على شيعته ودعاته، فتجرد أبو مسلم لمحاربة عمال بني أمية، وقوي أمره، وأظهر لبس السواد، وغلب على البلاد يدعو إلى الإمام ويعمل بما يرد عليه من مكاتباته من غير أن يظهر للناس اسمه إلا لمن كان من الدعاة والشيعة إلى أن ظهر اسمه وانكشف، فعلم بالحالة مروان بن محمد، فاخذ إبراهيم فحبسه فمات في حبسه بأرض الشام وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وقيل: أنه هدم عليه بيتاً. وقيل: سقي لبناً فأصبح ميتاً.

عبد الله بن ذكوان، أبو الزناد مولى بنت رملة بنت شيبة بنت ربيعة وذكر أن أبوه هو أخو أبي لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الشعبي: كفلتني وأبا الزناد فاطمة بنت عثمان، فلم يزل يعلو واسفل حتى بلغنا ما ترى، مات أبو الزناد فجأة بالحجاز في مغتسلة لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان، وله ست وستون سنة.

فريد بن يعقوب السبخي، يكنى أبا يعقوب: أسند عن أنس، وكان يضعف في الحديث لأنه كان زاهداً متعبداً.

أخبرنا أحمد بن محمد المذاري، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن البنا، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد، قال: حدَّثنا هارون بن عبد الله، قال: حدَّثنا سيار قال: حدَّثنا جعفر، قال: سمعت السبخي يقول: اتخذوا الدنيا ظئراً، واتخذوا الآخرة أماً، ألم تروا إلى الصبي يلقي نفسه على الظئر فإذا ترعرع وعرف والدته ترك ظئره وألقى نفسه على والدته، وإن الآخرة توشك أن تجيركم.

منصور بن زاذان مولى عبد الله بن أبي عقيل الثقفي: روى عن الحسن، وابن سيرين، وأرسل الحديث عن الحسن، وكان كثير التعبد والبكاء، يختم القرآن وليلة ختمتين، ويبكي ويمسح عينيه بعمامته ويخلها كوراً كوراً فيمسح بها، فإذا ابتلت وضعها بين يديه.

وقيل له: ألا تخرج بنا إلى الصحراء، فقال: ينكسر الروزحاء.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق، قال: حدَّثنا الحسين بن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدَّثني من سمع عمرو بن عون يقول: سمعت هشيماً يقول: مكث منصور بن زاذان يصلي الفجر بوضوء العشاء عشرين سنة.

أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري، قال: أخبرنا عبد الله بن احمد السمرقندي، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أحمد المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدَّثنا ابن البراء، قال: حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: قال هشيم، لو قيل لمنصور بن ذازان إن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل، وذلك أنه كان يخرج فيصلي الغداة في الجماعة، ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس،ثم يصلي إلى الزوال، ثم يصلي الظهر، ثم يصلي العصر، ثم يجلس فيسبح إلى المغرب، ثم يصلي المغرب، ثم يصلي العشاء، ثم ينصرف إلى بيته فيكتب عنه في ذلك الوقت.

توفي في هذه السنة، وقيل سنة ثمان وعشرين، وقيل في سنة تسع وعشرين نصر ين سيار، أمير خراسان: ولي الولايات، وروى عنه عكرمة، وأسند الحديث، وتوفي لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة وهو ابن خمس وثمانين سنة.

واصل بن عطاء، أبو حذيفة الغزالي مولى بني ضبة، وقيل: مولى بني مخزوم، وقيل مولى بني هاشم: ولد سنة ثمانين، وكان يجالس الغزاليين، فقيل له: الغزالي، كان من رؤساء المعتزلة، وكان لا يقيم الراء، وكان يتجنبها في كلامه.

توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة اثنين وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها هلاك قحطبة بن شبيب، وكان السبب في ذلك أن قحطبة لما نزل بخانقين، وابن هبيرة بجلولاء، وبينهما خمسة فراسخ وأمده مروان بعشرون ألفاً من أهل الشام والتقيا، فحمل على ابن هبيرة فولى أصحابه منهزمين، وفقدوا قحطبة فبايعوا حميد بن قحطبة، فسار حتى نزل كربلاء ثم اجتمعوا على الحسن بن قحطبة، ثم وجد قحطبة قتيلاُ في جدول فدفنوه.

وفي رواية: أن معن بن زائدة ضرب قحطبة على حبل عاتقة فسقط في الماء، فاخرجوه فقال: إن مت فألقوني في الماء لا يعلم أحداً بقتلي، فإذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة حفص بن سليمان، فسلموا هذه الأمر إليه، ورجع ابن هبيرة إلى واسط.

وفي هذه السنة: خرج محمد بن خالد بالكوفة، وسود قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة، وضبطها وأخرج عنها عامل بن هبيرة، ثم دخلها الحسن.

وكان قد خرج محمد بن خالد ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي، فسار إلى القصر، فارتحل زياد وأهل الشام وخلوا القصر فدخله محمد بن صالح، فلما أصبح يوم الجمعة وذلك صبيحة اليوم الثاني من مهلك قحطبة بلغه نزول حوثرة ومن معه مدينة ابن هبيرة، وأنه تهيأ للمسير إلى محمد فتفرق الناس عن محمد، فأرسل إليه أبو سلمة الخلال يأمره بالخروج من القصر واللحوق بأسفل الفرات، فإنه يخاف عليه لقلة من معه، فأبى محمد وجاء أصحاب حوثرة، فصاروا مع محمد فارتحل الحسن بن قحطبة نحو الكوفة فدخلها واستخرجوا أبا سلمة بالنخيلة يومين، ثم ارتحل إلى حمام أعين، ووجه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة، وخطب أبو سلمة حين بايعه أهل خراسان، فدعا إلى طاعة بني العباس، وفرق العمال في البلدان، ووجه بسام بن إبراهيم إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة، وهو بالأهواز، فقاتله بسام حتى فضه، فلحق بسلم بن قتيبة الباهلي وهو بالبصرة وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمرو بن هبيرة، وكتب إلى سفيان بن معاوية بعهده إلى البصرة، وأمره أن يظهر بها دعوة بني العباس وينفي سلم بن قتيبة.

فقدم سفيان على سلم يأمره بالتحول عن دار الإمارة ويخبره بما أتاه من رأي أبي سلمة، فأبى سلم ذلك، وامتنع منه، وحشد مع سفيان جميع اليمانية وغيرهم، وحلفاءهم، وجنح إليه قائد من قواد ابن هبيرة، وكتب إلى سفيان بن معاوية بعهده إلى البصرة، وأمره أن يظهر بها دعوة بني العباس وينفي سلم بن قتيبة.

فكتب سفيان إلى سلم يأمره بالتحول عن دار الإمارة ويخبره بما أتاه من رأي أبي سلمة، فأبى سلم ذلك، وامتنع منه. وحشد مع سفيان جميع اليمانية وغيرهم، وحلفاءهم، وجنح إليه قائد من قواد بني هبيرة كان بعثه مدداً لسلم في ألفي رجل من كلب، فأجمع السير إلى سلم فاستعد له سلم.

فقدم سفيان يوم الخميس في صفر، فالتقوا فانكسر سفيان وقتل ابنه وانهزم ومن معه، ولم يزل سلم مقيماً بالبصرة حتى بلغه مقتل ابن هبيرة فشخص عنها.

واجتمع من بالبصرة من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر، فولوه أمرهم، فوليهم، أياماً حتى قدم عبد الله بن أسد الخزاعي من قبل أبي مسلم.

وفي هذه السنة: بويع لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

باب ذكر خلافة أبي العباس السفاح

قد روى في الحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس أن الخلافة تؤول إلى ولده، فلم يزل ولده يتوقعوها ويتحدثون بذلك بينهم.

أخبرنا أبو المنصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الوراق، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: حدَّثنا أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري، قال: حدَّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدَّثنا أبو أسامة، قال: حدَّثني زائدة، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرج منا رجل انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح، يكون عطاؤه للمال حثياً.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرني علي بن أحمد الرزاز، قال: حدَّثنا أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب، قال: حدَّثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن عبيد الكندي، قال: حدَّثنا الحسين بن محمد بن علي الأزدي، قال: أخبرني سلام مولى العباسة بنت المهدي، قال: حدَّثني محمد بن كعب مولى المهدي قال: سمعت المهدي يقول: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس، قال: والله لو لم يبق إلا يوم لأدال الله من بني أمية ليكونن منا السفاح والمنصور والمهدي.

أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو عبد الله الحميدي، قال: قال لنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الحافظ.

إن أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء، الصديق، والفاروق، وذو النورين، ثم لم يسم أحد من الخلفاء حتى ولي أبو العباس، فسمي السفاح، ثم المنصور، وهو أول من تسمى بهذا الاسم، وتسمى به بعده إسماعيل بن أبي القاسم الشيعي، ثم محمد بن أبي عامر، ثم ذاوي، وسأبور والي بطليوس في آخرين.

والمهدي، وكان تسمى به قبل ذلك كله محمد الحنفية، ثم رجل من بني علي قام باليمن، ثم عبيد الله الشيعي بالقيروان، أول قائم قام بالقيروان، ثم محمد بن هشام بن عبد الجبار، ثم عبد العزيز بن الأصبع، ثم محمد بن إدريس الحسيني بمألفة.

والهادي ابن المهدي، ثم تسمى به رجل من بني علي قام بصعده، في اليمن، والرشيد، ثم تسمى به صالح حاجب المعتضد.

والمأمون، ثم تسمى به عبد الرحمن بن أبي عامر، ثم القاسم بن محمود، ثم يحيى بن إسماعيل بن ذي النون.

والمعتصم، ثم تسمى به محمد بن المظفر بن أبي عامر، ثم محمد بن عبد العزيز من أولاد أبي عامر.

المعتضد، وتسمى به عباد بن محمد بن عباد اللخمي صاحب إشبيلية.

والمستكفي، ثم تسمى به محمد بن عبد الرحمن.

وقد حكيت ألقاب لبني أمية ولا يصح ذلك.

وقال الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: لنا ثلاثة أوقات: موت يزيد بن معاوية، ورأس المائة، وفتق إفريقية. فعند ذلك يدعو لنا دعاة، ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم إلى المغرب ويستخرجوا ما كتر الجبارون فيها.

فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ونقضت البربر بعث محمد بن علي رجلاً إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضا، ولا يسمي أحداً.

وكان بنو أمية يحسون بولاية بني العباس، فروى خليد بن عجلان، قال: لما خالف ابن الأشعث أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد، فأخبره، فقال: أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس، وإنما كنا نتخوف لو كان من خراسان.

وقد ذكرنا أنه لما مات محمد بن علي جعل وصيته بعده لأبنه إبراهيم، فبعث إبراهيم أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع إلى خراسان، وكتب معه إلى النقباء بها، ثم رجع إليه فرده ومعه أبو مسلم.

وبلغ الخبر مروان، فبعث إلى إبراهيم، فأخذه وقد كان عرف صفة الرجل الذي يقتلهم فلما رأى إبراهيم قال: ليس هذه صفته، فردهم في طلبه.

وفي رواية أن مروان وصف له وصفة فجاء فرأى تلك الصفة في أبي العباس، فأخذه فقيل للرسول: إنما أمرت بأخذ إبراهيم، فترك أبا العباس وأخذ إبراهيم، فانطلق به، فأوصى إبراهيم إلى أخيه أبي لعباس، وجعله خليفة من بعده، وأمر أهله بالمسير إلى الكوفة مع أخيه.

ثم أن مروان قتله، فشخص أبو العباس ومن معه من أهل بيته :عبد الله بن محمد، وداود بن علي، وعيسى، وصالح، وإسماعيل، وعبد الله، وعبد الصمد، بنو علي، ويحيى بن محمد، وعيسى بن موسى بن محمد بن علي، وعبد الوهاب، ومحمد ابنا إبراهيم الإمام، وموسى بن داود، وعيسى بن جعفر بن تمام، حتى قدموا الكوفة في صفر، فأفرد لهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد، مولى بني هاشم، وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعة.

ونقل إنه أراد بذلك تحويل الأمر إلى آل أبي طالب لما بلغه الخبر عن موت إبراهيم بن محمد، وذهب قوم من الشيعة، فدخلوا إلى أبي العباس، وجاء أبو سلمة فمنعوه أن يدخل معه أحد، فدخل وحده فسلم بالخلافة، فقال أبو حميد: على رغم أنفك.

وبويع أبو العباس السفاح بالكوفة في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وانتقل إلى الأنبار فسكنها حتى مات.

وأمه ريطة بنت عبيد الله الحارثي من بني عبد المدان، وكان مولده بالشراة سنة خمس ومائة، واستخلف وهو ابن سبع وعشرين سنة، وهو أول خلفاء بني العباس، وكان أصغر سناً من أخيه المنصور، وكان أشعر جعداً طويلاً أبيض، أقنى الأنف، حسن الوجه واللحية جعدها، وكان يقال له: السفاح، والمرتضى، والقائم، وهو أول من تلقب من بني العباس.

وقيل: إنما لقب بالسفاح لما سفح من دماء المبطلين.

ورفعت إليه سعاية مكتوب عليها بصيحة فوقع عليها: تقربت إلينا بما باعدك من الله تعالى، ولا ثواب عندنا لمن آثرنا عليه، وظفر ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتاعها بأربعة آلاف دينار، ولم يرو إلا حديثاً واحداً، وكان نقش خاتمه: الله ثقة عبد الله.

وكان وزيره أبو الجهم عطية بن حبيب. وقال أبو بكر الصولي: أول من وزر لبني العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال، ثم خالد بن برمك فصل: ولما ولي الخلافة خرج يوم الجمعة فصلى بالناس ثم قال في خطبته: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وكرمه، وشرفه، وعظمة، واختاره لنا وأيده، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به، والذأبين عنه، والناصرين له، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته، وأنزل بذلك كتاباً، فقال فيه: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" فلما قبض الله رسوله قام بذلك الأمر أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فعدلوا وخرجوا خماصاً، ثم وثب بنو حرب ومروان، فابتزوها، وتداولوها فاستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً، فلما أسفوه أنتقم الله منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا،

وأنا السفاح المبيح، الثائر المبير.

وكان موعوكاً فاشتد عليه الوعك، فجلس على المنبر وتكلم فقال: إنا والله ما خرجنا لنكثر لجيناً ولا عقياناً، ولا نحفر نهراً، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم لحقنا، ولقد كانت أموركم ترمضنا، لكم ذمة الله عز وجل، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل بكتاب الله، ونسير فيكم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى ابن مريم.

ثم نزل أبو العباس وداود أمامه حتى دخل القصر، فأجلس أبا جعفر وأخذ البيعة على الناس في المسجد، وأعظم تدبير أبو سلمة حفص بن سليمان، ولقب الوزارة، وهو أول من سمي بها، وكتب إليه أبو مسلم: للأمير أبي سلمة، وزير آل محمد من عبد الرحمن أبي مسلم أمير آل محمد.

ثم استعمل السفاح على الكوفة عمه داود بن علي، وعلى واسط أخاه جعفر، وحضر جماعة من أهل بيته، فذكروا جمع المال، فقال عبد الله بن حسن: سمعت بألف ألف درهم وما رأيتها مجتمعة، فقال أبو العباس: أنا أصلك بها حتى تراها مجتمعة، فلما قبض المال استأذنه في الخروج إلى المدينة، فأذن له ودفع إليه مالاً ليقسمه على بني هاشم بالمدينة، فلما قسمه أخذوا يشكرون أبا العباس، فقال عبد الله: هؤلاء أحمق الناس، يشكرون من أعطاهم بعض حقهم، فبلغه ذلك فأخبر أهله، فقالوا: أدبه، فقال: من شدد أنفر، ومن تراخى ألف، والعفو أقرب للتقوى، والتغافل من فعل الكرام.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا أحمد بن عمر بن روح، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدَّثنا محمد بن يحيى الصولي، قال: حدَّثنا القاسم بن إسماعيل، قال: حدَّثنا أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي، عن أبيه قال: حدَّثني من حضر مجلس السفاح وهو أحشد ما كان ببني هاشم والشيعة ووجوه الناس، فدخل عبد الله بن حسن بن حسن ومعه مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين: أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، قال: فأشفق الناس من أن يجعل السفاح بشي عليه، ولا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم في وقته أو يعي بجوابه فيكون ذلك عاراً عليه. قال: فأقبل عليه غير مغضب ولا مزعج، فقال: إن جدك علياً- وكان خيراً مني وأعدل- ولي هذا الأمر فما أعطى جديك الحسن والحسين- وكانا خير منك- شيئاً، وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، قال: فما رد عبد الله جواباً، وانصرف الناس يعجبون من جوابه له.

وكتب أبو العباس إلى خاله زياد بن عبد الله، وكان عامله على المدينة، قربني من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ جيرانه، وإكرام أهل بيته، ولا تسلط هواك فيما وجب إسخاطي فإن الله شاهدي وأنت المأخوذ بالتقصير.

وكتب إلى داود بن علي وهو عامله على مكة: أما بعد، فهذه سنة طمس فيها عيون الجور، وأخمد نيران الظلم، أباد الشجرة الملعونة، فهن زوار بيت الله بنصر أوليائه، وخذلان أعدائه ليحمدوه على ذلك.

وفي هذه السنة: هزم مروان بالزاب، وذلك أن قحطبة كان قد وجه أبا عون عبد الله بن يزيد الأزدي فقتل عثمان بن سفيان، وأقام بناحية الموصل، فلما بلغ مروان قتل عمه عثمان أقبل من حران حتى أتى الموصل، فنزل على الزاب وحفر خندقاً، فسار إليه أبو عون، فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عيينة بن موسى، والمنهال بن حبان، وإسحاق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف، فلما ظهر أبو

العباس بعث مسلمة بن محمد في ألفين، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة، وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين، وداس بن نضلة في خمسمائة إلى أبي عون، ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن علي: أنا، فقال: سر على بركة الله.

فسار فقدم على أبي عون، فتحول له أبو عون عن سرادقه، وخلاه له وما فيه، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة سأل عبد الله بن علي عن مخاضة، فدل عليها بالزاب، فأمر عيينة بن موسى، فعبر في خمسة آلاف وانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا، ورجع عيينة فعبر المخاضة إلى عسكر عبد الله، فأصبح مروان فعقد الجسر وسرح ابنه عبد الله بن مروان فحفر خندقاً أسفل من عسكر ابن علي، فبعث عبد الله بن علي المخارق في أربعة آلاف، فترل على خمسة أميال من عسكر ابن علي، فسرح عبد الله بن مروان إليه الوليد بن معاوية، فلقي المخاريق، فالهزم أصحابه، وأسر المخاريق، وقتل يومئذ عدة، فبعث بهم إلى عبد الله وبعثه عبد الله إلى مروان مع الرؤوس، فقال مروان: أدخلوا علي رجلا من الأسارى، فأتوه بالمخارق، فقال: أنت المخارق؟ فقال: أنا عبد من عبيد أهل العسكر، قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم، قال: انظر في هذه الرؤوس هل تراه؟ فنظر على رأس منها فقال: هو هذا، فخلى سبيله.

وبلغ عبد الله الهزام المخارق، فقال له موسى بن كعب: اخرج إلى مروان قبل أن يصل الفل إلى العسكر، فنظر ما لقي المخارق، فدعا عبد الله بن علي محمد بن صول، فاستخلفه على العسكر وسار على ميمنته ابن عون وعلى ميسرته الوليد ين معاوية، ومع مروان ثلاثة آلاف، فقال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: إن زالت الشمس اليوم و لم يقاتلونا كنا الذي ندفعها إلى عيسى ابن مريم، وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإن إليه لراجعون، وأرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله الموادعة، فقال: كذب، لا تزول الشمس حتى أوطئهم بالخيل، إن شاء الله، فقال مروان لأهل الشام: قفوا لا تبدأوهم بقتال فحمل الوليد بن معاوية فقاتل أهل الميمنة فغضب مروان وشتمه، فأنحاز أبو عون إلى عبد الله بن علي، فقال موسى بن كعب لعبد الله: مر الناس أن يترلوا، فنودي: الأرض، فترل الناس وشرعوا الرماح، وجثوا على الركب واشتد القتال، فقال مروان لقضاعة: انزلوا، فقالوا: قل لبني سليم فليترلوا، فأرسل إلى السكاسك: احملوا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السكون أن احملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا، فقال لصحب شرطته: انزل، فقال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً، قال: أما والله لأسوءنك، قال: وددت والله لو أنك قدرت على ذلك، فالهزم أهل الشام والهزم مروان، وقطع الجسر، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل، وكان ممن غرق يومئذ إبراهيم ابن الوليد المخلوع، فأمر عبد الله بن علي فعقد الجسر على الزاب واستخرج الغرقى، فأخرجوا ثلاثمائة، وأقام عبد الله في عسكره سبعة أيام، وحوى عسكر مروان بما فيه، فوجدوا فيه سلاحاً كثيراً، وأموالاً.

وكتب عبد الله بن علي بالفتح إلى أمير المؤمنين أبي العباس السفاح، فلما أتاه الخبر صلى ركعتين وأمر لمن شهد الواقعة بخمسمائة خمسمائة، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين.

وكان مروان منذ لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً إلا وقع فيه خلل، ولقد وقف يوم الهزم الناس يقتتلون فأمر بأموال فأخرجت وقال للناس: اصبروا وقاتلوا، هذه الأموال لكم، فجعل الناس يصيبون من ذلك المال، فأرسلوا إليه: إن الناس قد مالوا على هذا المال، ولا تأمنهم أن يذهبوا، فأرسل إلى ابنه عبد الله: أن سر في أصحابك فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم، فمال عبد الله برايته وأصحابه، فقال الناس: الهزيمة فالهزموا. وذلك صبيحة يوم السبت لإحدى عشر خلت من جمادى الآخرة.

أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر، قال: أخبرنا أحمد بن منصور اليشكري، قال: قرئ على الصولي وأنا حاضر، قال: حدَّثنا الغلابي، قال: حدَّثنا عبد الله بن عائشة، قال: لما استقام الأمر لأبي العباس السفاح خطب يوماً فأحسن الخطبة، فلما نزل عن المنبر قام إليه السيد فأنشده:

دونكموها يا بني هاشم فجددت أمراءها الطامسا

دونكموها ما على كعب من أمسى عليكم ملكها نافسا

دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم لها لابسا

خلافة الله وسلطانه وعنصراً كان لكم دارسا

لو خير المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا

والملك لو شوور في ساسة ما اختار إلا منكم سائسا

لم يبق عبد الله بالشام من آل أبي العاص امرأً عاطسا

فقال له أبو العباس السفاح: سل حاجتك، قال: ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب وتوليه الأهواز، قال: قد فعلت، ثم أمر أن يكتب عهد سليمان على الأهواز، وتدفع إلى السيد، فكتب ثم أخذه السيد وقدم على سليمان بالبصرة، فلما وقعت عليه عينه انشده يقول:

أتيناك يا قرم أهل العراق بخير كتاب من القائم

أتيناك من عند خير الأنام وذاك ابن عم أبي القاسم

أتينا بعهدك من عنده على من يليك من العالم

يوليك فيه جسام الأمور فأنت صنيع بني هاشم

فقال له سليمان: شريف وشافع، ووافد وشاعر، ونسيب، سل حاجتك، قال: جارية فارهة جميلة ومن يخدمها، وبدرة ومن يحملها، وفرس رائع وسايسه، وتخت من صنوف الثياب وحاملها، قال: قد أمرت لك بجميع ما سألت ولك عندي في كل سنة مثله.

قال الصولي: و حدَّثنا جبلة بن محمد، قال: حدَّثنا أبي هذا الخبر وزاد فيه: أن سليمان قال للسيد: احتكم فقال:

سأحكم إذ حكمتني غير مسرف ولا مقصر يا ابن الكماة الأكارم

ثلاثة آلاف وعبد وبغلة وجارية حسناء ذات مآكم

وسرج وبرذون صليع وكسوة وما ذاك بالإكثار من حكم حاكم

على ذي ندى يعطيك حتى كأنما يرى بالذي يعطيك أحلام نائم

أرحني بها من مجلسي ذا فإنني وحقك إن لم أعطها غير رايم

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد: وذلك إنه لما هرب من الزاب مر بقنسرين وعبد الله بن علي يتبعه، ثم مضى إلى حمص، فتلقاه أهله بالسمع والطاعة، فأقام بها يومين أو ثلاثة، ثم شخص منها، فلما رأوا قلة عدده طمعوا فيه وقالوا: مرعوب منهزم، فاتبعوه بعد

ما رحل، فلحقوه أميال، فلما رأى غبرة خيولهم كمن لهم كمينين، ثم صافهم وناشدهم فأبو إلا قتاله، فنشب القتال بينهم، وثار الكمينان من خلفهم فهزموا أصحاب مروان، ومر مروان إلى دمشق، ثم بالأردن ثم فلسطين، واتبعه عبد الله بن علي.
فأنفذ أبو العباس عمه صالح بن علي في جموع كثيرة إلى الشام على طريق السماوة حتى لحق بأخيه عبد الله بن علي وسار إلى دمشق وبها الوليد بن مروان بن الحكم خليفة مروان بن محمد، فحصرها وفتحها عنوة، وقتل الوليد وأنهب البلاد ثلاثة أيام، وقلع أسوارها حجراً حجراً، وبعث بيزيد بن معاوية بن مروان، وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أبي العباس فقتلهما وصلبهما.

وهرب مروان إلى مصر فدخلها في رمضان وبها عبيد الله ابنه وقد سبقه، ونزل عبد الله بن علي نهر أبي فرطس، وجمع بني أميه وأظهر أنه يريد أن يفرض لهم العطاء، فلما اجتمعوا وهم نيف وثمانون أنساناً خرجوا عليهم فقتلوهم، وجاء كتاب أبي العباس بأن ينفذ صالح بن علي لطلب مروان، ويجعل على مقدمته أبا عون عبد الملك بن يزيد، فمضى ومعه أبو عون والحسن بن قحطبة، وعامر بن إسماعيل التميمي، ومنهال بن قنان، فبلغوا إلى العريش، وبلغ مروان الخبر، فأحرق ما حوله من علف وطعام وهرب، ومضى صالح ومن معه في طلبه إلى الصعيد، وقدم أبا عون أمامه وعامر بن إسماعيل، وسعيد ين عثمان المازني، فلقوا خيلاً لمروان، فهزموهم وأسروهم وسألوهم عن مروان على أن يؤمنهم ، فعرفوهم خبره ومكانه، وساروا حتى أدركوه بقريه من قرى الصعيد، تسمى بوصر في أخر الليل، وقد نزل الكنيسة ومعه حرمه وولده وثقله، قال عامر: لما وصلنا كنا في جمع يسير، فلو علم قلتنا شد علينا، فلجأنا إلى شجر ونخل، فقلت لأصحابي: إن أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا، وخرج مروان فقاتل وهو يقول: كانت لله علينا حقوق ضيعناها، و لم نقم بما يلزمنا فيها، فحلم عنا ثم انتقم منا.
قال علماء السير: كان مروان قد عرض جيشه بالرقة فمر به ثمانون ألف عربي على ثمانين ألف فرس عربي، ففكر ساعة ثم قال: إذا انقضت المدة لم تنفع العدة، إلا أنه في ذلك الوقت بالغ في القتال، فقتل ثلاثمائة رجل، وأثخنته الجراح، وحمل عليه رجل فقتله واحتز رأسه رجل من أهل البصرة كان يبيع الرمان، فقال الحسن بن قحطبة: اخرجوا إلي كبرى بنات مروان، فأخرجوها وهي ترعد، فقال لها: لا بأس عليك، فقالت: أي بأس اعظم من إخراجك إياي حاسرة من حيث لم أر رجلا قط، فأجلسها ووضع الرأس في حجرها، فصرخت واضطربت، فقيل له: ما حملك على هذا؟ فقال: كفعلهم بزيد بن علي حين قتلوه، فإنهم جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي.
وبعث براس مروان إلى صالح بن علي، فنصب على باب مسجد دمشق، وبعث به إلى السفاح فخر ساجداً وتصدق بعشرة آلاف دينار.
وأوغل أولاد مروان إلى بلاد النوبة، فقاتلهم الحبشة، فقتل بعضهم وأفلت بعضهم، وكان فيهم بكر بن معاوية الباهلي فسلم حتى كان في خلافة المهدي فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدي.
أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ: قال: أخبرنا محفوظ بن أحمد الكلوذاني، فقال: أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجارزي، قال: حدَّثنا المعافى بن زكريا، قال: حدَّثنا الحسين بن قاسم الكوكبي، قال: حدَّثنا الفضل بن العباس الربعي، قال: حدَّثني إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور، قال: سمعت عمي سليمان بن أبي جعفر يقول: كنت واقفاً على رأس المنصور ليلة وعنده إسماعيل بن علي وصالح

بن علي وعيسى بن علي، فتذاكروا زوال ملك بني أمية وما صنع بهم عبد الله وقتل من قتل منهم بنهر أبي فرطس، فقال المنصور: ألا منّ عليهم ليروا من دولتنا ما رأينا من دولتهم، ويرغبوا إلينا كما رغبنا إليهم، فلقد لعمري عاشوا سعداء، وماتوا فقداء، فقال له إسماعيل بن علي: يا أمير المؤمنين، إن حبسك عبيد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وقد كانت له قصة عجيبة مع ملك النوبة فابعث إليه فاسأله عنها، فقال يا مسيب: علي به، فأخرج فتى مقيد بقيد ثقيل وغل ثقيل، فمثل بين يديه، فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: يا عبيد الله، رد السلام أمن و لم تسمح لك نفسي بذلك بعد، ولكن أقعدوه، فجاءوا بوسادة فثنيت فقعد عليها، فقال له: قد بلغني أنه كان لك مع ملك النوبة قصة عجيبة، فما هي؟ قال: يا أمير المؤمنين، لا والذي أكرمك بالخلافة ما أقدر على النفس من ثقل الحديد، ولقد صدئ قيدي مما أرشق عليه من البول وأصب عليه من الماء في أوقات الصلوات، فقال: يا مسيب أطلق عنه حديده.

ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين، لما قصد عبد الله بن علي إلينا كنت المطلوب من بين الجماعة لأني كنت ولي عهد أبي من بعده، فدخلت إلى خزانة فاستخرجت منها عشرة آلاف دينار، ثم دعوت عشرة من غلماني، كل واحد على دابة، ودفعت إلى كل غلام ألف دينار، وأوقرت خمسة أبغل فرشاً، وشددت في وسطي جوهراً له قيمة مع ألف دينار، وخرجت هارباً إلى بلاد النوبة، فسرت فيها ثلاثاً فوقعت إلى مدينة خراب، فأمرت الغلمان فعدلوا إليها فكسحوا منها ما كان قذراً ، ثم فرشوا بعض تلك الفرش، ودعوت غلاماً لي كنت أثق بعقله، فقلت له: انطلق إلى الملك، فأقرئه مني السلام، وخذ منه الأمان وابتع لي ميرة.
قال: فمضى ثم أنه أبطأ علي حتى سؤت ظناً، ثم أقبل ومعه رجل أخر، فلما دخل كفر لي ثم قعد بين يدي، فقال لي: الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك: من أنت وما جاء بك إلى بلادي؟ أمحارب لي؟ أم راغب إلي؟ أم مستجير بي؟ قلت له: رد على الملك السلام وقل له: أما محارب لك فمعاذ الله، أما راغب في دينك فما كنت لأبغي بديني بدلاً، وأما مستجير بك فلعمري.
قال: فذهب ثم رجع إلي فقال: الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك: أنا صائر إليك غداً، فلا تحدثن في نفسك حدثا ولا تتخذ شيئاَ من ميرة فإنها تأتيك وما تحتاج إليه، فأقبلت الميرة فأمرت غلماني ففرشوا ذلك الفرش كله، وأمرت بفرش لي، فنصب لي وله مثله، وارتقبت في غد مجيئه، فبينا أنا كذلك أقبل غلماني يخطرون وقالوا: إن الملك قد أقبل، فقمت بين شرفتين من شرف القصر أنظر إليه، فإذا أنا برجل قد لبس بردتين ائتزر بإحداهما وارتدى الأخرى، حاف راجل، وإذا عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه، وسبعة خلفه، وإذا الرجل الموجه إلى جنبه، فاستصغرت أمره وهان علي لما رأيته في تلك الحال، وسولت لي نفسي قتله، فلما قرب من الدار إذا بسواد عظيم، فقلت: ما هذا السواد؟ فقيل: الخيل فوافى يا أمير المؤمنين زهاء عشرة آلاف عنان، فكانت موافاة الخيل إلى الدار وقت دخوله، فأحدقوا بها، ثم دخل فلما نظر إليّ قال لترجمانه: أين الرجل؟ فأومأ الترجمان إلي، فلما نظر وثبت إليه، فأعظم ذلك وأخذ بيدي فقبلها ووضعها على صدره، وجعل يدفع ما على الفسطاط برجله فشوش الفراش، فظننت إن ذلك شيء يجلونه أن يطأ على مثله، حتى انتهى إلى الأرض، فقلت لترجمانه، سبحان الله، لم لا يصعد إلى الموضع الذي وطئ له؟ فقال: قل له أني ملك وكل ملك حقه أن يكون متواضعاً لعظمة الله سبحانه إذا رفعه الله، ثم أقبل ينكث بإصبعه الأرض طويلاً، ثم رفع رأسه فقال لي: كيف سلبتم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب إلى نبيكم؟ فقلت جاء من كان أقرب قرابة إلى نبينا صلى الله عليه وسلم، فسلبنا وطردنا، فخرجت إليك مستجيراً بالله عز وجل ثم بك، قال: كنتم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم؟ قلت: فعل ذلك عبيد

واتباع دخلوا في ملكنا من غير رأينا، قال: فلم كنت تركبون وعلى دوابكم الذهب والفضة، وتلبسون الديباج وقد حرم ذلك عليكم؟ قلت: عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا في مملكتنا من غير رأينا، قال: فلم كنتم أنتم إذا أخرجتم صيدكم عبرتم على القرى وكلفتم أهلها ما لا طاقة لهم بالضرب الوجيع ثم لا يقنعكم ذلك حتى تمشوا زروعهم فتفسدوها في طلب دارج قيمته درهم، أو في عصفور قيمته لا شيء، والفساد محرم عليكم في دينكم؟ قلت: عبيد وأتباع، قال: لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم، وأتيتم ما نهاكم عنه، فسلبكم الله العز، وألبسكم الذل، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد، وإني لأتخوف أن تترل بك النقمة من الظلمة فتشملني معك، وإن النقمة إذا نزلت عمت وشملت، فاخرج بعد ثلاث فإنني إن أخذتك بعدها أخذت جميع ما معك وقتلتك وقتلت جميع من معك، ثم وثب وخرج.

فأقمت ثلاثاً وخرجت إلى مصر فأخذني وليك فبعث بي إليك، وها أنا ذا والموت أحب إلي من الحياة. فهم أبو جعفر بإطلاقه، فقال له إسماعيل بن علي: في عنقي بيعة له: قال: فماذا ترى؟ قال: يترك في دار من دورنا ويجري عليه ما يجري على مثله، قال: ففعل ذلك به، فوالله ما أدري أمات في حبسه أم أطلقه المهدي.

وروى الحسن بن جعفر عن أبيه، قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفى رجل من بني أمية، وكان فيمن اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك، حتى أخذ له داود بن علي بن عبد الله أماناً من أبي العباس، فقال أبو العباس يوماً: حدَّثني عما مر بك في اختفائك فقال: كنت يا أمير المؤمنين مختفياً بالحيرة في مترل شارع على الصحراء. فبينا أنا ذات يوم على ظهر بيت نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في روعي إنها تريدني، فخرجت من الدار متنكراً حتى دخلت الكوفة، ولا أعرف بها أحداً أختفي عنده، فدخلت متلدداً، فإذا أنا باب كبير ورحبة واسعة، فدخلت الرحبة، فجلست بها، فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة مع جماعة من غلمانه وأتباعه، فقال: من أنت وما حاجتك؟ فقلت: رجل مختف يخاف على دمه واستجار بمترلك، قال: فأدخلني مترله ثم سيرني في حجرة تلي حرمه، فمكثت عنده حولاً في كل ما أحب من مطعم ومشرب وملبس، لا يسألني عن شيء من حالي، ويركب كل يوم ركبة، فقلت له يوماً: أراك تدمن الركوب، ففيم ذاك؟ قال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبراً، وقد بلغني أنه مختف، فأنا أطلبه لأدرك ثأري فكثر عجبي من إدبارنا إذ ساقني القدر إلى الاختفاء في مترل من يطلب دمي وكرهت الحياة، وسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه، فأخبرني بهما، فعلمت أني قتلت أباه، فقلت: يا هذا، قد وجب علي حقك، ومن حقك أن أقرب عليك الخطوة، قال: وما ذاك؟ فقلت: أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثأرك، فقال: أحسب إنك رجل قد مضه الاختفاء فأحب الموت، فقلت: بل الحق، قلت: قتلته يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا، فلما عرف أني صادق تربد وجهه واحمرت عيناه، وأطرق ملياً ثم قال: أما أنت فستلقى أبي فيأخذ حقه منك، وأما أنا فغير مخفر ذمتي فاخرج عني فلست آمن نفسي عليك، وأعطاني ألف دينار، فلم أقبلها وخرجت من عنده، وهذا أكرم رجل رأيته.

وقد روينا أن مرية زوجة محمد بن مروان قد استأذنت على الخيزران، وعندها زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي، فلما دخلت قالت زينب: الحمد لله الذي أزال نعمتك وصيرك عبرة، تذكرين يا عدوة الله حين أتاك أهل بيتي يسألونك أن تكلمي أصحابك في أموال إبراهيم بن محمد فلقيتيهن ذلك اللقاء، وأخرجتيهن ذلك المخرج، فضحكت وقالت: أي بنت عم، أي شيء أعجبك من حسن صنيع الله بي على ذلك حتى أردت أن تتأسي بي فيه، ثم ولت خارجة.

وفي هذا السنة: خلع أبو الورد، واسمه مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، وهو من أصحاب مروان وفرسانه وقواده، خلعه أبو العباس السفاح، وذلك لما هزموا بقنسرين جاء إلى عبد الله بن علي فبايعه، ودخل فيما دخل فيه جنده من الطاعة، فجاء قائد من قواد عبد الله بن علي، فبعث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم، وكانوا مجاورين لأبي الورد، فخرج حتى هجم على ذلك القائد فقتله ومن معه، وأظهر الخلع وبيض، ودعا أهل قنسرين إلى ذلك فأجابوه وأبو العباس يومئذ بالحيرة، فلما بلغ عبد الله بن علي ذلك خرج متوجهاً إلى قنسرين للقاء أبي الورد، فلما قدم حمص إذا أهل قنسرين قد بيضوا، ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة، وانتهبوا ما كان عبد الله بن علي خلفه من متاع وثقل، واجتمع مع أبي الورد جماعة من أهل قنسرين، وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر، فقدم منهم ألوف وعليهم محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقالوا: هو السفياني الذي يذكروهم في نحو أربعين ألفاً -فلما دنا منهم عبد الله بن علي، وأبو محمد معسكر في جماعتهم، أبو الورد المتولي لأمر العسكر والمدبر له، وهو صاحب الحرب- وجه عبد الله بن علي عبد الصمد في عشرة آلاف، فناهضهم أبو الورد، واستحر القتل بين الفريقين، وثبت القوم وانكشف عبد الصمد ومن معه، وقتل يومئذ منهم ألوف، وجاء عبد الصمد إلى عبد الله بن علي، فنهض إليهم عبد الله ومعه حميد بن قحطبة وجماعة من القواد، فالتقوا ثانية فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانكشف جماعة ممن كان مع عبد الله، ثم ثابوا، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قحطبة، فهزموهم وثبت أبو الورد في نحو من خمسمائة من أهل بيته وقومه، فقتلوا جميعاً وذلك في ذي الحجة، وهرب أبو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر، وأمن عبد الله أهل قنسرين، وسودوا وبايعوا، ودخلوا في طاعته، ثم مضى إلى أهل دمشق فهرب الناس وتفرقوا، فلم يكن بينهم وقعة، وآمن أهلها فبايعوه، و لم يؤاخذهم بما كانوا فعلوا.

فأما أبو محمد فلحق بأهل الحجاز، فوجه إليه زياد بن عبيد الحارثي عامل أبي جعفر على المدينة خيلاً، فقاتلوه حتى قتل.

وفي هذه السنة خلع حبيب بن مرة، وبيض هو ومن معه من أهل الشام، وكان تبييض هذا قبل تبييض أبي الورد، وإنما بيض أبو الورد وعبد الله مشتغل بقتال حبيب، وإنما بيض حبيب خزفاً على نفسه وقومه، فبايعته قيس وغيرهم من أهل ذلك الكور، البثنية وحوران، فلما بلغ عبد الله بن علي تبييض أهل قنسرين، دعا حبيباً إلى الصلح، فصالحه وآمنه، ثم خرج متوجهاً للقاء أبي الورد، وفعل به ما فعل.

وفي هذه السنة: بيض أهل الجزيرة، وخلعوا أبا العباس. وإنما فعلوا هذا حين بلغهم خروج أبي الورد ونقض أهل قنسرينن ثم استقام أهل الجزيرة وأهل الشام.

وولى أبو العباس أبا جعفر المنصور الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، فلم يزل على ذلك حتى استخلف.

أخبرنا علي بن عبد الله، قال: أخبرنا محمد بن أبي نصر الحميدي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي القضاعي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد الكاتب قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن، عن أبيه، قال: أخبرني بعض الهاشميين قال: كنت جالساً عند المنصور بأرمينية وهو أميرها لأخيه أبي العباس وقد جلس للمظالم، فدخل عليه رجل فقال: إن لي مظلمة، وإني أسألك أن تسمع مني مثلاً أضربه قبل أن أذكر مظلمتي، قال: قل، قال: إني وجدت الله تبارك وتعالى اسمه خلق الخلق على طبقات، فالصبي إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أمه، ولا يطلب غيرها فإن فزع من شيء لجأ إليها، ثم يرتفع عن ذلك طبقة فيعرف أن أباه أعز من أمه، فإن أفزعه شيء لجأ إلى أبيه، ثم يبلغ فإن أفزعه شيء لجأ إلى سلطانه، فإن ظلمه ظالم انتصر به منه، فإذا ظلمه السلطان لجأ إلى ربه

فاستنصره، وقد كنت في هذه الطبقات، وقد ظلمني ابن نهيك في ضيعة لي في ولايته، فإن نصرتني عليه وأخذت لي بمظلمتي وإلا استنصرت الله عز وجل ولجأت إليه، فانظر لنفسك أيها الأمير أو دع، فتضاءل أبو جعفر وقال: أعد علي الكلام، فأعاده، فقال: أما أول شيء فقد عزلت ابن نهيك من ناحيته، وأمر برد ضيعته.

وفي هذه السنة: شخص أبو جعفر المنصور إلى أبي مسلم بخراسان لاستطلاع رأيه في قتل أبي سلمة حفص بن سليمان. وذلك أن أبا سلمة ستر حال أبي العباس حتى قدم الكوفة.

وقد ذكرنا أن قوماً يذكرون ويقولون إنما أراد أن يجعل الأمر في آل أبي طالب، فصار عند القوم بهذا متهماً، فتذاكروا بعد ظهور السفاح ما فعله أبو سلمة، فقال قائل منهم: فما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم، فقال أبو العباس: لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا بعرض بلاء، إلا أن يدفعه الله عنا. ثم تفرقوا، فأرسل أبو العباس إلى أبي جعفر فقال: ما ترى؟ فقال: الرأي رأيك، قال: فاخرج إلى أبي مسلم حتى تعلم ما رأيه، فليس يخفي عليك لو قد لقيته، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا، وإن لم يكن عن رأيه طابت نفوسنا.

قال أبو جعفر: فخرجت على وجل، فلما انتهيت إلى الري إذا صاحب الري قد أتاه كتاب أبي مسلم: أنه بلغني أن عبد الله بن محمد توجه إليك فإذا قدم فأشخصه ساعة يقدم عليك. فلما قدمت أتاني عامل الري، فأخبرني بكتاب أبي مسلم وأمرني بالرحيل، فازددت وجلاً وخرجت وأنا خائف، فسرت فلما كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتاني بكتاب أبي مسلم: إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تدعه يقيم فإن الأرض أرض خوارج ولا آمن عليه، فطابت نفسي وقلت: أراه يعنى بأمري. فسرت فلما كنت من مرو على فرسخين تلقاني أبو مسلم في الناس، فلما دنا مني أقبل يمشي إلي حتى قبل يدي، فقلت: اركب، فركب. فدخلت مرو فترلت داراً، فمكثت ثلاثة أيام لا يسألني عن شيء، ثم قال لي في اليوم الرابع: ما أقدمك؟ فأخبرته، فقال: فعلها أبو سلمة أنا أكفيكموه. ثم دعا مرار بن أنس الضبي، فقال له: انطلق إلى الكوفة فاقتل أبا سلمة حيث لقيته وانته في ذلك إلى رأي الإمام، فقدم مرار الكوفة، وكان أبو سلمة يسمر عند أبي العباس، فعقد له في طريقه فلما خرج قتله، وقالوا: قتلته الخوارج.

وقال سليمان بن المهاجر:

إن الوزير وزير آل محمد ... أودى فمن يشناك كان وزيراً

وكان أبو مسلم إذا جاء إلى أبي جعفر وهو بالري يترل على باب الدار ثم يجلس في الدهليز ويقول للحاجب: استأذن لي، فغضب أبو جعفر على حاجبه، وقال له: ويلك إذا رأيته فافتح له الباب وقل له يدخل على دابته. وانصرف أبو جعفر إلى أبي العباس، فقال له: لست خليفة ولا آمرك بشيء إن تركت أبا مسلم و لم تقتله، قال: وكيف؟ قال: والله ما يصنع إلا ما يريد، فقال أبو العباس اسكت واكتمها.

وفي هذه السنة: وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة.

وقد سبق ذكرنا حال يزيد بن عمر بن هبيرة مع الجيش الذي لقوه من أهل خراسان مع قحطبة، ثم ابنه الحسن إلى أن انهزم ولحق بواسط وتحصن بها. ولما انهزم تفرق عنه الناس، وخلف على الأثقال قوماً، فذهبوا بتلك الأموال، فقيل له: لو لحقت بمروان فإنه ليس

بعد الحصار إلا القتل، وكان يخاف من مروان لأنه كان يكتب إليه في الأمر فيخالفه، فخافه إن قدم عليه أن يقتله فسرح أبو سلمة الحسن بن قحطبة، فخندق وخرج ابن هبيرة للقتال واقتتلوا ثم تحاجزوا ثم اقتتلوا بعد أيام، فهزم أهل الشام هزيمة قبيحة، فدخلوا المدينة فمكثوا ما شاء الله لا يقتتلون إلا رمياً من وراء الفصيل، ومكثوا على القتال أحد عشر شهراً، فلما طال عليهم وجاءهم قتل مروان طلبوا الصلح. وكان أصحاب ابن هبيرة قد تقاعدوا به حتى هم أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن الحسن وكتب إليه فأبطأ جوابه، جرت السفراء بين أبي جعفر وبين ابن هبيرة حتى جعل له أماناً، وكتب بذلك ابن هبيرة كتاباً مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه ابن هبيرة، ثم أرسله إلى أبي جعفر فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس فأمره بإمضائه، وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه.

وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبي مسلم، وكان أبو الجهم عيناً لأبي مسلم على أبي العباس، يكتب إليه أخباره كلها، فكتب أبو مسلم إلى أبي العباس: إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، ولا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة.

ولما تم الكتاب الذي كتبه ابن هبيرة لنسفه خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة، فأراد أن يدخل الحجرة على دابته، فقام إليه الحاجب سلام بن سليم، فقال: مرحباً بك أبا خالد، انزل راشداً، وقد طاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان، فنزل، ودعا له بوسادة فجلس عليها، ثم دعا بالقواد فدخلوا ثم قال سلام: ادخل أبا خالد، فقال: أنا ومن معي؟ فقال: إنما استأذنت لك وحدك، فقام فدخل فحادثه ساعة ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه، ثم مكث يقيم عنه يوماً ويأتيه يوماً في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل، فقام يزيد بن حاتم لأبي جعفر: أيها الأمير، إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر، وما نقص من سلطانه شيء، فقال أبو جعفر لسلام: قل لابن هبيرة يدع الجماعية يأتينا في حاشيته، قال: فلما سمع ذلك تغيرت وجهه وجاء في حاشيته نحو من ثلاثين، ثم كان بعد ذلك يأتي في ثلاثة، ثم ألح أبو العباس على أبي جعفر يأمره بقتله، وهو يراجعه، حتى كتب إليه: والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك، ثم يتولى قتله. فأزمع على قتله، فأخذ جماعة من أصحابه فقتلهم، ثم بعث إليه من قتله.

وفيها : بعث أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس، وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم، ففعل ذلك.

وفيها: عزل أبو العباس عمه داود بن علي عن الكوفة وسوادها وولاه مكة والمدينة، واليمن واليمامة، وولى ما كان إليه عيسى بن موسى، واستقضى عيسى على الكوفة ابن أبي ليلى.

وفيها: وجه أبو العباس أخاه يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله والياً على الموصل.

وفيها: حج بالناس داود بن علي، وكان العامل على مكة والمدينة واليمن، وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان أبو جعفر، وعلى الموصل يحيى بن محمد، وعلى كور الشام عبد الله بن علي، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد، وكان على البصرة سفيان بن معاوية المهلبي، وعلى قضائها الحجاج بن أرطأة، وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر حفص بن سليمان، أبو سلمة الخلال وزير أبي العباس السفاح وهو أول من وزر لهم، ولم يكن خلالاً إنما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين، وكان يجلس عندهم فسمي خلالاً. وقتل في هذه السنة على ما ذكرنا في حوادث السنة.

الربيع بن أبي راشد، أبو عبد الله: سمع من سعيد بن جبر، ومن الثوري. وكان كالغائب عن الخلق.
قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدَّثنا محمد بن أبي يزيد الآدمي، قال: حدَّثنا سفيان بن عيينة، عن خلف بن حوشب، قال: كنت مع الربيع بن أبي راشد في الجبانة، فقرأ رجل:" يا أيها الناس إن كنت في ريب في البعث...." الآية فقال الربيع: حال ذكر الموت بيني وبين كثير مما أريد من التجارة، ولو فارق ذكر الموت قلبي ساعة خشيت أن يفسد علي قلبي، ولولا أن أخالف من كان قبلي لكانت الجبانة مسكني إلى أن أموت.
قال: وقال عمر بن ذر: كنت إذا رأيت الربيع بن أبي راشد :انه مخمار من غير شراب.
زبان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو إبراهيم: كان سيد بني عبد العزيز وفارسهم، حضر الوقعة مع مروان بن محمد ليلة بوصير فتقنطر به فرسه، فقتله المسور في هذه السنة، و لم يعرفوه. وقد روى عنه الأوزاعي.
صفوان بن سليم، أبو عبد الله الزهري مولى حميد بن عبد الرحمن روى عن ابن عمر، وجابر، وعبد الله بن جعفر، وسهل بن حنيف، وجماعة من كبار التابعين، كان ثقة كثير الحديث عابداً.
أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا ابن جعفر، قال: حدَّثنا جعفر بن محمد الفريابي، قال: حدَّثنا أبو أمية، قال: حدَّثنا يعقوب بن محمد، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن أبي حازم، قال: عادلني صفوان بن سليم إلى مكة، فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع.
قال أبو نعيم: وأخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم في كتابه، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن عاصم، قال: حدَّثنا سعيد بن كثير بن يحيى، قال: حدثني أبي، قال:
قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها. قال: فصلى بالناس الظهر ثم فتح باب المقصورة، واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم من غير معرفة، فقال: يا عمر، من هذا الرجل؟ ما رأيت سمتاً أحسن منه، قال: يا أمير المؤمنين، هذا صفوان بن سليم، قال: يا غلام، كيس فيه خمسمائة دينار، فأتى بكيس فيه خمسمائة دينار، فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي، فوصفه للغلام حتى أثبته. قال: فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم وأقبل عليه، فقال: ما حاجتك؟ قال: أمرني أمير المؤمنين – وهو ا ينظر إليك وإلي أن أدفع إليك هذا الكيس فيه خمسمائة دينار، وهو يقول لك استعن بهذه على زمانك وعلى عيالك، فقال صفوان: ليس أنا بالذي أرسلت إليه، فقال الغلام: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى أنا صفوان بن سليم، قال: فإليك أرسلت – قال: اذهب فاستثبت، فإذا أثبت فهلم، فقال الغلام: فأمسك الكيس معك وأنا أذهب، قال: لا إذا أمسكت كنت قد أخذت، ولكن اذهب فاستثبت وأنا ها هنا جالس. فولى الغلام وأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم ير بها حتى خرج سليمان من المدينة.
قال أحمد بن محمد بن عاصم: وحدثنا أبو مصعب، قال: قال لي ابن حازم: دخلت أنا وأبي نسأل عن صفوان بن سليم وهو في مصلاه، فما زال أبي حتى رده إلى فراشه، فأخبرتني مولاته أن ساعة خرجتم مات.
عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى بني عامر بن لؤي، الكاتب، كاتب مروان بن محمد: كان الأساس في البلاغة، رسم رسومها، وأصل أصولها، وفرع فروعها، وقد كان قبله سالم مولى سعيد بن عبد الملك مقدماً في هذه الصناعة إلا أنه دون عبد الحميد، وكان متصلاً في حداثته بعبد الله بن مالك الثقفي كاتب الوليد بن عبد الملك، فتأدب وبرع، ثم اتصل بمروان بن محمد قبل الخلافة فغلب

عليه، فكان يخط بين يديه قبل الخلافة أحسن خط، ولا ينتحل شيئا من البلاغة، ثم قام في الخلافة مقام الوزير أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن علي: قال: حدَّثنا محمد بن عمر المرزبان، قال: حدَّثنا علي بن سلمان الأخفش، قال: قال أحمد بن يوسف الكاتب: رآني عبد الحميد بن يحيى وأنا أكتب خطاً رديئاً، فقال: إن أردت أن تجود خطك فأطل جحفتك واسْمِها، وحرف قطتك وأيمنها.

قال علماء السير: انقرض ملك بني أمية على أربعة لم يجتمع مثلهم في دولة: مروان بن محمد بن الحكم في شجاعته وسياسته، وعبد الحميد في كتابته وبلاغته، ويزيد بن عمر بن هبيرة في تدبيره وصحة رأيه، ونصر بن سيار في صولته وضبطه وبعد صوته.

عمر بن المنكدر: كان من العباد المجتهدين، وقوام الليل.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ بإسناده، عن بن أبي بكر الرشي، قال: حدثني الحسن بن الصباح، قال: حدَّثنا العلاء بن عبد الجبار، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قالت أم عمر بن المنكدر لعمر: إني لأشتهي أن أراك نائماً، فقال : يا أماه، والله إن الليل ليرد علي فيهولني، فينقضي عني وما قضيت إربي.

وفي رواية: أنهم قالوا له: فما هذا البكاء الكثير؟ فقال: آية من كتاب الله تعالى أبكتني:" وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون".

منصور بن المعتمر، أبو عتاب، السلمي: أسند عن أنس وعن جماعة من كبار التابعين، وكان من العلماء المتعبدين الثقات. صام أربعين سنة وتمامها، وكان محروماً كأنه قد أصيب بمصيبة، وبكى حتى عمش.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ويحيى بن علي، قالا: أخبرنا عبد الله بن محمد الصريفيني، قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن عبدان، قال: حدثنا الحسين بن إسماعيل، قال: حدَّثنا محمد بن يحيى الأزدي، قال: حدَّثنا خلف بن تميم، عن زائدة بن قدامة، قال: صام منصور بن المعتمر أربعين سنة قام ليلها وصام نهارها، وكان يبكي الليل، فتقول له أمه: يا بني، قتلت قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم ما صنعت بنفسي، فإذا أصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه خرج إلى الناس فأخذه ذات يوم يوسف بن عمر عامل الكوفة يريده على القضاء، فامتنع، قال: فدخلت عليه وقد جيء بالقيد ليقيد، قال: فجاءه خصمان، فقعدا بين يديه، فلم يسألهما و لم يكلمهما، فقيل ليوسف بن عمر: إنك لو نثرت لحمه لم يل لك قضاء، فخلى عنه وتركه.

أخبرنا ابن ناصر بإسناد له عن العلاء بن سالم العبدي، قال: كان منصور يصلي في سطحه، فلما مات قال غلام لأمه: يا أماه الجذع الذي كان في آل فلان ليس أراه، قال: يابني ليس ذلك جذع، ذلك منصور، وقد مات.

أخبرنا ابن منصور، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدَّثنا أبو محمد بن حيان، قال: حدَّثنا محمد بن يحيى، قال: حدَّثنا أزهر بن جميل، قال: حدَّثنا ابن عيينة، قال: رأيت منصور بن المعتمر في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: كدت أن ألقى الله بعمل نبي.

قال سفيان: إن منصوراً صام ستين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها.

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: قتل في ذي الحجة من هذه السنة وهو ابن اثنتين وستين سنة، وقيل: تسع وستين. وقيل ثمان وخمسين. وكانت ولايته خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً.

ثم دخلت سنة ثلاثة وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها توجيه أبي العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها وكور دجلة، والبحرين وعمان ومهرجان قذق. وتوجيه عمه إسماعيل بن علي على كور الأهواز.

وفي هذه السنة : قتل داود بن علي من كان أخذ من بني أمية بمكة والمدينة وفيها: مات داود بن علي، فلما بلغت وفاته إلى أبي العباس وجه إلى مكة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي.

ووجه محمد بن يزيد ين عبيد الله بن عبد المدان الحارثي. على اليمن فقدمها في جمادى الأولى، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد إلى اليمن. ثم وجه زياد بن عبيد الله من المدينة إبراهيم بن حسان السلمي إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة، فقتله وقتل أصحابه.

وفيها: كتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر والياً عليها. وإلى عبد الله بن علي، وصالح بن علي على أجناد الشام.

وفيها: خرج سويد بن شيخ المهري بخراسان على أبي مسلم ببخارى ونقم عليه وقال له: ما على هذا اتبعنا آل محمد، على أن نسفك الدماء، ونعمل بغير الحق، وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً، فوجه إليه أبو مسلم ابن صالح الخزاعي فقاتله فقتله.

وفيها: قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بالموصل، قتله سليمان بن الأسود.

وفيها : وجه صالح بن علي سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدرب.

وفيها : عزل يحيى بن محمد عن الموصل، واستعمل مكانه سليمان بن علي.

وفيها: أقبل طاغية الروم، فترل على ملطية، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم نزلوا على أمان، فهدم المدينة والمسجد الجامع ودار الإمارة، ووجه مع المسلمين خيلاً حتى بلغتهم مأمنهم.

وفيها: حج بالناس زياد بن عبيد الله الحارثي خال السفاح، وكان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى قضائها ابن أبي ليلى، وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ومهرجان قذق سليمان بن علي، وعلى قضائها عباد بن منصور، وعلى الأهواز إسماعيل بن علي، وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم، وعلى قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن علي، وعلى فلسطين صالح بن علي، وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون، وعلى الجزيرة أبو جعفر، وعلى الموصل إسماعيل بن علي، وعلى أرمينية صالح بن صبيح، وعلى أذربيجان مجاشع بن يزيد، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

داود بن علي بن عبد الله بن العباس: روى عن أبيه، وكان داود لما ظهر ابن أخيه السفاح وصعد ليخطب الناس فحصر فلم يتكلم، فوثب داود من بين يدي المنبر، فخطب وذكر أمرهم وخروجهم، ومنى الناس ووعدهم العدل فتفرقوا عن خطبته، وولاه السفاح مكة والمدينة، وحج بالناس سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهي أول حجة حجها بنو العباس، ثم صار داود إلى المدينة، فأقام بها أشهراً ثم مات بها في شهر ربيع الأول من هذه السنة.

ضرار بن مرة أبو سنان الشيباني: روى عن سعيد بن جبير، وكان من البكائين، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل موته بخمس عشرة

سنة، وكان يأتيه فيختم فيه القرآن.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله، قال: حدَّثنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: أخبرنا ابن درستويه، قال: حدَّثنا يعقوب بن يوسف، قال: أخبرنا أبو سعيد الأشج، قال: حدَّثنا المخارق، قال:

كان ضرار بن مرة ومحمد بن سوقة إذا كان يوم الجمعة طلب كل واحد منهما صاحبه، فإذا اجتمعا جلسا يبكيان.

روى أبو سعيد الأشج، قال: حدَّثنا عبد الله بن الأجلح، قال: كان ضرار بن مرة يقول لنا: لا تجيئوني جماعة، ولكن ليجيء الرجل وحده، فإنكم إذا اجتمعتم تحدثتم، وإذا كان الرجل وحده لم يخل من أن يدرس جزأه من القرآن أو يذكر ربه.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها إن بسام بن إبراهيم – وكان من فرسان أهل خراسان خالف وخلع من عسكر أبي العباس مع جماعة بايعوه على ذلك مستبشرين بخروجهم، فأقاموا بالمدائن، فبعث إليهم أبو العباس خازم بن خزيمة، فانهزم بسام وأصحابه، وقتل أكثرهم، واستبيح عسكره.

وفيها: شخص خازم إلى عمان، فأوقع من فيها من الخوارج وغلب على ما قرب منها من البلدان، وقتل شيبان الخارجي، وكان أهل عمان ظفروا به، ثم نصب لهم الجلندى وأصحابه، وهم الأباضية، فاقتتلوا فقتل الجلندى فيمن قتل، وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف.

وفيها: غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كش، فقتل الأخريد، وهو ملكها، وأخذوا من السروج الصينية والأواني المذهبة، ومن طرائف الصين، فحمله أبو داود إلى أبي مسلم.

وفيها : وجه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند لقتال منصور بن جمهور، فهزم منصور، فمات عطشاً في الرمال وفيها: تحول أبو العباس من الكوفة إلى الأنبار في ذي الحجة، وبنى مدينتها.

وفيها: عزل صالح بن صبيح عن أرمينية وجعل مكانه يزيد بن أسيد.

وفيها: عزل مجاشع بن يزيد عن أذربيجان، واستعمل عليها محمد بن صول.

وفيها: ضرب المنار من الكوفة.

وفيها: حج بالناس عيسى بن موسى وهو على الكوفة وأرضها. وكان على قضائها ابن أبي ليلى، وكان على مكة والمدينة والطائف واليمامة زياد بن عبيد الله، وعلى اليمن، علي بن الربيع الحارثي، وعلى البصرة، وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والعواصم ومهرجان قذق سليمان بن علي، وعلى قضائها عباد بن منصور، على السند موسى بن كعب، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم، وعلى فلسطين صالح بن علي، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد، وعلى أذربيجان محمد بن صول. وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك، وعلى الجزيرة أبو جعفر، وعلى قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن علي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

محمد بن يزيد بن عبيد الله: كان على اليمن من قبل السفاح، فتوفي. فكتب السفاح بولايتها لعلي بن الربيع بن عبيد الله الحارثي، ابن خال السفاح.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها خروج زياد بن صالح وراء نهر بلخ، فشخص أبو مسلم من مرو مستعداً للقائه وسأل عمن أفسد زياد بن صالح، فقيل له: سباع بن النعمان، فأمر بقتله فقتل زياداً قواده، فلجأ إلى دهقان، فقتله الدهقان وجاء برأسه إلى أبي مسلم، ورجع أبو مسلم إلى مرو.

وفيها: ولي سليمان بن علي البصرة، وعزل عنها محمد بن حفص، واستعمل على شرط السفاح.

وفيها: حج بالناس سليمان بن علي وهو على البصرة وأعمالها، وكان على قضائها ابن منصور، وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى قضائها ابن أبي ليلى، وعلى الجزيرة أبو جعفر، وعلى مصر أبو عون، وعلى قنسرين وحمص وبعلبك والغوطة وحوران والجولان والأردن عبد الله بن علي، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد، وعلى أذربيجان محمد بن صول، وعلى ديوان الخراد خالد بن برمك.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إسماعيل بن سالم، أبو يحيى الأسدي: سمع من عامر الشعبي، وسعيد بن جبير وغيرهما. وروى عنه الثوري، وهشيم.

نزل بغداد قبل تمصيرها. وسئل عنه أحمد بن حنبل فقال: ثقة ثقة.

وقال يحيى: هو أوثق من أساطين الجامع.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أبو القاسم الأزهري، قال: حدَّثنا محمد بن العباس، قال: حدَّثنا أحمد بن معروف، قال: حدَّثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: قال إسماعيل بن سالم الأسدي:

الذي روى عنه هشيم وأصحابه كان ثقة ثبتاً وكان أصله من الكوفة، ثم تحول فسكن بغداد قبل أن تبنى وتسكن، وكانت ببغداد لهشام بن عبد الملك وغيره من الخلفاء خمسمائة فارس رابطة يغيرون على الخوارج إذا خرجوا في ناحيتهم قبل أن يضعف أمرهم.

رابعة العدوية: أخبرنا أبو القاسم الجريري، قال: أنبأنا أبو طالب العشاري، قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق بن إسحاق السراج، قال: حدَّثنا حاتم بن الليث الجوهري، قال: حدَّثنا عبد الله بن عيسى، قال: دخلت على رابعة العدوية بيتها، فرأيت على وجهها النور، وكانت كثيرة البكاء، فقرأ رجل عندها آية ذكر فيها النار، فصاحت ثم سقطت.

ودخلت عليها وهي جالسة على قطعة بوري خلق فتكلم رجل عندها بشيء، فجعلت أسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا.

قال محمد بن عمر: دخلت على رابعة. وكانت عجوزاً كبيرة بنت ثمانين سنة، كأنها الشن، تكاد تسقط، ورأيت في بيتها كراحة

بوري، ومحشب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين، عليه أكفانها وستر البيت جله، وربما بوري وجب وكوز ولبد هو فراشها وهو مصلاها. وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة، وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة.

وقال لها رجل: ادعي لي، فالتصقت بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله، أطع ربك وادعه فإنه يجيب دعوة المضطر.

قال مؤلف الكتاب: كانت رابعة محققة فطنة، ومن كلامها الدال على قوة فهمها قولها: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي أستغفر الله.

وكان سفيان الثوري يقول: مروا بنا إلى المؤدبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها. وقال يوماً بين يديها: واحزناه، فقالت: لا تكذب، قل: واقلة حزناه، لو كنت محزوناً ما هناك العيش.

وقيل لها: هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك؟ فقالت: إن كان فمخافتي أن يرد علي.

وقد جمعت أخبارها في كتاب، فلهذا اقتصرت على هذا القدر ها هنا.

دفنت بظاهر القدس على رأس جبل، وقبرها يزار.

زهرة بنت معبد بن عبد الله بن هشام أبو عقيل التميمي مديني سكن مصر، روى عن ابن عمر، وابن الزبير، روى عنه الليث، وابن لهيعة وآخر من حدث عنه رشدين، وتوفي في هذه السنة.

عبد الله بن السائب المخزومي المديني: كان يقول: كان جدي في الجاهلية يكنى أبا السائب، وبه اكتنيت، وكان خليطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا ذكره في الإسلام، قال: نعم الخليط، وكان لا يساري ولا يماري. كان عبد الله أديباً فاضلاً خيراً عفيفاً، لكنه مشتهر بحب الغزل، يهش عند سماع الشعر ويطرب له، قدم على السفاح في الأنبار.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز، بإسناد له عن أبي عبد الله الزبيري، قال: كان أبو السائب المخزومي مع حسن بن زيد بالأنبار، كان له مكرماً وذلك في ولاية أبي العباس، فأنشده ليلة الحسن بن زيد أبياتاً لمجنون بني عامر:

وخبرتماني أن تيماء منزل ... لليلى إذا ما الضيف ألقى المراسيا

فجعل أبو السائب يحفظها، فلما انصرف إلى منزله، فذكرها شذ عليه بعضها، فرجع إلى الحسن بن زيد، فلما وقف على الباب صاح بأعلى صوته: أبا فلان، فسمع ذلك الحسن، فقال: افتحوا الباب لأبي السائب فقد دعاه أمر، فلما دخل عليه قال: أجاء خبر؟ قال: أعظم من ذلك، قال: ما هو؟ قال: تعيد لي:

وخبرتماني أن تيماء منزل ... لليلى إذا ما الضيف ألقى المراسيا

فأعادها عليه حتى حفظها.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز بإسناده عن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التيمي، قال: حدثني أبي، قال: بينا أبو السائب في داره إذ سمع رجلاً يتغنى بهذه الأبيات:

أبكي الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

حسبي بأن تعلمي أن قد يحبكم ... قلبي فإن تجدي بعض الذي أجد

ألفيت بيني وبين الحب معرفة ... فليس ينفذ حتى ينفذ الأبد

وليس لي مسعد فامنن علي به فقد بليت وقد أضناني الكمد

قال: فخرج أبو السائب خلفه وقال: فق يا حبيب فقد أجبت دعوتك، أنا مسعدك، أين تريد؟ قال: خيام السعف من وادي العرج، فأصابتهما سماء شديدة، فجعل أبو السائب يقرأ: " فما وهنا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين" فرجع إلى مترله وقد كانت نفسه تتلف، فدخل عليه أصحابه، فقالوا له: يا أبا السائب، ما الذي تصنع بنفسك؟ قال: إليكم عني، فإن مشيت في مكرمة، وأحببت مسلماً، والمحسن معان.

قال مؤلف الكتاب: والأخبار عنه في هذا المعنى كثيرة حتى أن ابنه أنشده بيتين وقد اجتمع أهل الدار على المائدة، فقال له: أمك طالق إن تعشينا ولا تسحرنا إلا بهذين البيتين فرفعوا الطعام وجعلوا يرددون البيتين، ثم أيقظهم سحراً فأنشدوه.

وجاز على حداد، وهو ينشد، فحلف لينفخن له بمنفاخه، فجلس ينفخ وذلك ينشده إلى المغرب.

وروى عبد الرحمن المدائني قال: حدَّثنا أبو عثمان المازني، قال: صام أبو السائب المخزومي يوماً، فلما صلى المغرب وقدمت مائدته خطر بقلبه بيت لجرير:

إن الذين غدوا بقلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معيناً

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوا ولقينا

فقال: كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر إن أفطر الليلة إلا على هذين البيتين.

أخبرنا المبارك بن علي بإسناد له عن عبد الملك بن عبد العزيز، قال: قال لي أبو السائب: يا ابن أخي، أنشدني للأحوص، فأنشده قوله:

قالت وقلت تحرجي وصلي حبل امرئ يوصي لكم صب

صاحت إذا بعلي فقلت لها العذر شيء ليس من شعبي

ثنتان لا أوثر لوصلهما عرس الخليل وجاره الجنب

أما الخليل فلست فاجعه والجار أوصاني به ربي

فقال: هذا يا ابن أخي المحب غبناً.

عطاء بن أبي مسلم الخراساني: وفي اسم أبيه قولان: أحدهما ميسرة، والثاني عبد الله، وفي كنية عطاء قولان: أحدهما أبو عثمان، والثاني أبو أيوب. وأصله من بلخ، أسند عن ابن عمر، وابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، وغيرهم من العلماء الصالحين.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن زهير الطوسي، قال: حدَّثنا يوسف بن عيسى، قال: حدَّثنا الوليد بن مسلم، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: كنا مقاربي عطاء الخراساني، وكان يحيي الليل صلاة، وكان إذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يا إسماعيل، يا عبد الرحمن بن يزيد، يا فلان بن فلان، قوموا فتوضئوا وصلوا، فإن صلاة هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد، ومقطعات الحديد، الوحا الوحا.

محب بن حازم مولى ثابت بن يزيد بن رعين، يكنى أبا جبرة يروي عن موسى بن وردان حديثاً واحداً بسنده، لا يروي غيره، روى عنه سعيد بن أيوب، وضمام بن إسماعيل، والليث بن عاصم.
وكان فاضلاً توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها قدوم مسلم العراق على أبي العباس أمير المؤمنين، وذلك أنه كتب إليه يستأذنه في القدوم، فأذن له، فقدم في جماعة عظيمة، فأمر أبو العباس الناس بالتلقي له، فلما دخل عليه اعظمن وأكرمه، فاستأذنه في الحج، فقال: لولا أن أبا جعفر يحج لاستعملناك على الحج والموسم، وأنزله قريباً منه، وكان يأتيه في كل يوم يسلم عليه، وكان بين أبي جعفر، وبين أبي مسلم تباعد.

وكان السبب في ذلك أن أبا العباس بعث أبا جعفر إلى أبي مسلم وهو بنيسابور وقد صفت له الأمور بعهده على خراسان، وبالبيعة لأبي العباس ولأبي جعفر من بعد موته، فبايع له، وكان في مدة مقامه عنده يهون أمره، ويستخف بشأنه، فلما قدم أبو جعفر أخبر أبا العباس باستخفافه به، وقال له: أطعني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة، فقال: يا أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه، فقال: إنما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنواراً لقام مقامه، فقال: وكيف نقتله؟ قال: إذا دخل عليك وحادثته دخلت إليه فتغفلته وضربته ضربة أتيت بها على نفسه، قال: وكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم؟ قال: يؤول ذلك كله إلى ما تريد، ولو علموا أنه قتل تفرقوا وذلوا، قال: عزمت عليك ألا كففت عن هذا، قال: والله أخاف إن لم تتغده اليوم أن يتعشاك غداً، قال: فدونكه، أنت أعلم. فخرج أبو جعفر عازماً على ذلك، وندم أبو العباس فأرسل إلى أبي جعفر لا تفعل ذلك الأمر.
وفي هذه السنة: عقد أبو العباس لأخيه أبي جعفر بالخلافة من بعده، وجعله ولي عهده، ومن بعد أخيه جعفر عيسى بن موسى بن محمد بن علي، وكتب العهد بذلك، وصيره في ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته، ودفعه إلى عيسى بن موسى.
وفي هذه السنة: حج بالناس أبو جعفر، وحج معه أبو مسلم.
وقد ذكرنا أن أبا مسلم استأذن أبا العباس في القدوم، فأذن له وكتب إليه أقْدم في خمسمائة من الجند، فكتب إليه أبو مسلم: إني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي. فكتب إليه: أن أقبل في ألف، وطريق مكة لا يحتمل العسكر، فشخص في ثمانية آلاف فرقهم فيما بين نيسابور والري، وقدم بالأموال والخزائن، فخلها بالري، فلما قدم استأذن في الحج، فأذن له، وخرج أبو مسلم وأبو جعفر، فلما كان قريباً من ذات عرق أتى أبا جعفر كتاب بموت أبي العباس، وكان أبو جعفر قد تقدم أبا مسلم بمرحلة، فكتب إلى أبي مسلم: إنه قد حدث أمر، فالعجل العجل. فلحق أبا جعفر أبو مسلم ثم أنهما حجا وأقبلا إلى الكوفة وأقر المنصور أبا مسلم على عمله وصرفه.
وفي هذه السنة: توفي السفاح وبويع لأبي جعفر المنصور.

باب ذكر خلافة منصور

وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ويكنى أبا جعفر، ولد بالسراة في ذي الحجة سنة خمس وتسعين، وأمه بربرية يقال لها سلامة، وحكى الصولي أنه ولد يوم مات الحجاج.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد البزاز، قال: أخبرنا محمد بن المظفر الحافظ، قال: حدَّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، قال: حدَّثنا الحارث بن محمد، قال: حدَّثنا منصور بن أبي مزاحم، قال: حدثني أبو سهل الحاسب، قال: حدثني طيفور مولى أمير المؤمنين، قال: حدثتني سلامة أم أمير المؤمنين، قالت: لما حملت بأبي جعفر رأيت كأنه خرج من فرجي أسد فزأر، ثم أقعى، فاجتمعت حوله الأسد، فكلما انتهى إليه أسد سجد له.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان، قال: أخبرنا محمد بن الفرج الأزرق، قال: حدثني يحيى بن غيلان، قال: حدَّثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن الضحاك بن مزاحم، عن عبد الله بن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " منا السفاح والمنصور والمهدي".

ولي المنصور الخلافة وهو ابن اثنتين وأربعين سنة. بويع بالأنبار يوم مات السفاح. وولي ذلك والإرسال به في الوحدة عيسى بن علي عمه، ولقيت أبا جعفر بيعته في الطريق عند منصرفه من الحج، ومضى أبو جعفر حتى قدم الكوفة وصلى بالناس.

ذكر صفته أخبرنا أبو منصور بن عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر المقري، قال: أخبرنا علي بن أحمد بن أبي قيس، قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، قال: حدثني حمدون بن سعد المؤذي، قال: رأيت أبا جعفر يخطب على المنبر متعرق الوجه، يخضب بالسواد، وكان أسمر طويلاً نحيف العارضين، وأمه أم ولد يقال لها: سلامة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الوراق، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن المفيد، قال: حدَّثنا أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري، قال: أخبرنا طاهر بن يحيى بن حسن الطالبي، عن علي بن حبيش المديني، عن علي بن ميسرة الرازي، قال: رأيت أبا جعفر بمكة فتى أسمر اللون، رقيق السمرة، موفر الجمة، خفيف اللحية، رحب الجبهة، أقنى الأنف بين القنى، أعين، كأن عينيه لسانان ناطقان تخالطه أبه الملوك، بزي النساك، تقبله القلوب، يعرف الشرف في تواضعه والعتق في صورته واللب في مشيته.

ذكر أولاده كان له المهدي واسمه محمد، وجعفر، أمهما أروى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شمر الحميرية، وكانت تكنى أم موسى، وكان المنصور قد شرط لها ألا يتزوج عليها، ولا يتسرى، وكتبت علي بذلك كتاباً وأشهدت عليه شهوداً، فبقي عليه عشر سنين من سلطانه كذلك، وكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه ليفتيه برخصة، فإذا علمت أم موسى أرسلت إلى ذلك الففيه بمال فلا يفتيه، فلما ماتت أتته وفاتها وهو بحلوان، فأهديت إليه تلك الليلة مائة بكر.

ومن أولاد المنصور صالح، أمه أمة، ويقال: بنت ملك الصغد. وسليمان، وعيسى، ويعقوب، أمهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله. والغالية أمها من ولد خالد بن أسيد. وجعفر والقاسم، وعبد العزيز، والعباس، فأما جعفر بن أبي جعفر فولي الموصل لأبي جعفر ومات ببغداد، فولد لجعفر إبراهيم، وزبيدة وهي أم جعفر، أمهما سلسل أم ولد جعفر بن جعفر، وعبيد الله بن جعفر، وصالح بن جعفر، ولبابة بنت جعفر. فأما إبراهيم فلا عقب له. وأما زبيدة فتزوجها هارون الرشيد، وأما لبابة فكانت عند موسى

بن المهدي، وأما عيسى بن جعفر فولي البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن عمر الحافظ، قال: حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي، قال: حدثني عبد الصمد، قال: حدثني أبي موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام، عن أبيه محمد بن إبراهيم، قال: قال المنصور يوماً ونحن جلوس عنده: أتذكرون رؤيا كنت رأيتها ونحن بالشراة؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين ما نذكرها، فغضب من ذلك، وقال: كان ينبغي لكم أن تثبتوها في ألواح الذهب وتعلقوها في أعناق الصبيان، فقال عيسى بن علي: إن كنا قصرنا في ذلك فنستغفر الله يا أمير المؤمنين، فليحدثنا أمير المؤمنين بها، قال: نعم، رأيت كأني في المسجد الحرام، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة وبابها مفتوح والدرجة موضوعة، وما أفقد أحداً من الهاشميين ولا من القرشيين، إذا منادٍ ينادي: أين عبد الله؟ فقام أخي أبو العباس فتخطى الناس حتى صار على الدرجة، فأخذ بيده فأدخل البيت، فما لبث أن خرج علينا ومعه قناة عليه لواء قدر أربعة أذرع وأرجح، فرجع حتى خرج من باب المسجد، ثم نودي: أين عبد الله؟ فقمت أنا وعبد الله بن علي نستبق حتى صرنا إلى الدرجة فجلس فأخذ بيدي فأصعدت فأدخلت الكعبة، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وبلال. فعقد لي وأوصاني بأمته وعممني، وكان كورها ثلاثة وعشرين كوراً، وقال: خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة.

أخبرنا ابن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدَّثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا أبو سهل بن علي بن نوبخت قال: كان جدنا نوبخت على دين المجوسية، وكان في علم النجوم نهاية وكان محبوساً بسجن الأهواء، فقال:

رأيت أبا جعفر المنصور وقد أدخل السجن، فرأيت من هيبته وحالته وسيماه وحسن وجهه وثيابه ما لم أره لأحد قط. قال: فصرت من موضعي إليه فقلت: يا سيدي ليس وجهك من وجوه هذه البلاد، فقال: أجل يا مجوسي قلت: فمن أي البلاد أنت؟ فقال: من المدينة، فقلت: أي مدينة؟ فقال: مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: وحق الشمس والقمر إنك لمن ولد صاحب المدينة، قال: لا ولكنني من عرب المدينة. قال: فلم أزل أتقرب إليه وأخدمه حتى سألته عن كنيته، فقال: كنيتي أبو جعفر، قلت: أبشر فوحق المجوسية لتملكن جميع ما في هذه البلدة حتى تملك فارس وخراسان والجبال، فقال لي: وما يدريك يا مجوسي؟ قلت: هو كما أقول فاذكر لي هذه البشرى، قال: إن قضي شيء فسوف يكون، قال: فقلت: قد قضاه الله من السماء فطب نفساً، فطلبت دواة فوجدتها فكتب لي بسم الله الرحمن الرحيم، يا نوبخت إذا فتح الله على المسلمين، وكفاهم مؤونة الظالمين، ورد الحق إلى أهله لم نغفل عما يجب من حق خدمتك إيانا. وكتب أبو جعفر.

قال نوبخت: فلما ولي الخلافة صرت إليه وأخرجت الكتاب، فقال: أنا له ذاكر ولك متوقع، والحمد لله الذي صدق وعده وحقق الظن ورد الأمر إلى أهله. وأسلم نوبخت وكان منجماً لأبي جعفر ومولى.

ذكر بيعة المنصور لما حضرة السفاح الوفاة أمر الناس بالبيعة لأخيه المنصور، فبويع له يوم توفي أخوه والمنصور يومئذ بمكة. وكان الذي أخذ له البيعة بالعراق، وقام بأمر الناس عمه عيسى بن علي، وكتب إليه يعلمه بموت أخيه وبالبيعة له، فلما وصل الكتاب إليه دعا الناس فبايعوه وبايعه أبو مسلم.

وقيل: بل عر ف الخبر أبو مسلم، قبله، فأنفذ الكتاب إليه وتأخر عن بيعته يومين ليرهبه.

وفي رواية: أنه ورد عليه الخبر بعدما صدر من الحج في منزل يقال له: صفية، فتفاءل باسمه، قال: صفي أمرنا إن شاء الله. وجعل يجزع، فقال له أبو مسلم: ما هذا الجزع؟ قال: أتخوف من شر عبد الله بن علي وسعيد بن علي، قال: لا تخف وأنا أكفيك أمره إن شاء الله، إنما عامة جنده أهل خراسان وهم لا يعصوني، فسري عن أبي جعفر، وكان عبد الله بن علي قد قدم في هذه السنة على أبي العباس الأنبار، فعقد له على الصائفة في أهل خراسان وأهل الشام، وأهل الجزيرة والموصل، فسار فأتته وفاة أبي العباس، وبعث إليه عيسى بن علي، وأبو الجهم بن يزيد بن زياد ببيعة المنصور، فانصرف بمن معه إلى حران وبايع لنفسه.

ذكر طرف من أخبار المنصور وسيرته كان المنصور قبل الخلافة يطلب العلم.

أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أخبرنا أبو عثمان الصابوني، وأبو بكر البيهقي، قالا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، قال: حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، قال: حدَّثنا جعفر بن محمد بن الحسين، قال: حدَّثنا محمد بن سعد الجلاب، قال: حدَّثنا الجارود بن يزيد، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، قال: كنت أطلب العلم مع أبي جعفر أمير المؤمنين قبل الخلافة، فأدخلني يوماً إلى منزله قدم طعاماً ومريقة من حبوب ليس فيها لحم، ثم قدم إلي زبيباً ثم قال: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قال: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر، فاستلقى ثم تلى هذه الآية: " وعسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون". فما ولي الخلافة دخلت عليه، فقال: يا عبد الرحمن، بلغني أنك كنت تغد لبني أمية، قال: قلت: أجل كنت أفد لهم وأفد إليهم. قال: فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، والله ما رأيت من سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيته في سلطانك، تحفظ يوم أدخلتني منزلك فقدمت إلي طعاماً ومريقة من حبوب لم يكن فيها لحم، ثم قدمت إلي زبيباً ثم قلت: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قلت: ولا التمر، قالت: ولا التمر. فاستلقيت ثم تلوت هذه الآية: وعسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون" فقد والله أهلك الله عدوك، واستخلفك في الأرض، فانظر ما ذا تعمل، قال: يا عبد الرحمن، إنا لا نجد الأعوان، قلت: يا أمير المؤمنين، السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك. قال: فكأني ألقمته حجراً، فلم يرد علي شيئاً.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا عبد المحسن بن محمد المالكي، قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدَّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدَّثنا أبو الفضل الربعي، قال: حدثني أبي، قال: بينا المنصور ذات يوم يخطب وقد علا بكاؤه إذ قام رجل، فقال: يا وصاف تأمرنا بما تجتنبه، وتنهى عما ترتكبه، بنفسك فابدأ ثم بالناس. فنظر إليه المنصور ثم تأمله ملياً ثم قطع الخطبة وقال: يا عبد الجبار خذه إليك، فأخذه عبد الجبار وعاد خطبته فأتمها، وقضى الصلاة ثم دخل، ودعى بعبد الجبار فقال: ما فعل الرجل؟ فقال: محبوس عندنا يا أمير المؤمنين، قال: أمل له ثم اعرض له بالدنيا فإن عزف عنها فلعمري إنه لمريد للآخرة، وإن كان كلامه ليقع موقعاً حسناً، وإن مال إلى الدنيا ورغب فيها إن لي فيه أدباً يزعه عن الوثوب على الخلفاء وطلب الدنيا بعمل الآخرة.

فخرج عبد الجبار فدعا بالرجل ودعا بغذائه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: حق الله كان في عنقي فأديته إلى خليفته، قال: إذاً، فكل، قال: لا حاجة لي فيه، قال: وما عليك من أكل الطعام إن كانت نيتك حسنة، فدنا فأكل، فلما أكل طمع فيه، فتركه أياماً ثم دعاه فقال: لهى عنك أمير المؤمنين وأنت محبوس، فهل لك في جارية تؤنسك وتسكن إليها؟ قال: ما أكره ذلك.

فأعطاه جارية، ثم أرسل إليه: هذا الطعام قد أكلت، والجارية قد قبلت، فهل لك في ثياب تكتسيها وتكسو عيالك إن كان لك عيال، ونفقة تستعين بها على أمرك إلى أن يدعو بك أمير المؤمنين إن أردت الوسيلة عنده إذا ذكرك، قال: وما هي؟ قال: أوليك الحسبة والمظالم، فتكون أحد عماله، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال: ما أكره ذلك. فولاه الحسبة والمظالم، فلما أتى عليه شهر قال عبد الجبار للمنصور: الرجل الذي تكلم بما تكلم به فأمرت بحبسه قد أكل من طعام أمير المؤمنين ولبس من ثيابه، وعاش في نعمته، وصار أحد ولاته، فإن أحب أمير المؤمنين أن أدخله عليه في زي الشيعة فعلت. قال: فأدخله.
فخرج عبد الجبار فقال: قد دعا بك أمير المؤمنين وقد أعلمته أنك أحد عماله على المظالم والحسبة، فأدخل عليه في الزي الذي يحب فألبسه قباء، وعلق خنجراً في وسطه وسيفاً بمعاليق، وأسبل جمته، ودخل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: وعليك، ألست القائم بنا والواعظ لنا ومذكرنا بأيام الله على رؤوس الملأ؟ قال: نعم، قال: فكيف تخليت عن مذهبك؟ قال: يا أمير المؤمنين، فكرت في أمري فإذا أنا قد أخطأت فيما تكلمت به، ورأيت أين مصيب في مشاركة أمير المؤمنين في أمانته، قال: هيهات أخطأت استك الحفرة هناك يوم أعلنت الكلام وظننا أنك أردت الله فكففنا عنك، فلما تبين لنا أنك أردت الدنيا جعلناك عظة لغيرك حتى لا يجترئ بعدك مجترئ على الخلافة، أخرجه يا عبد الجبار فاضرب عنقه، فأخرجه فقتله.
أخبرنا عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أبو الفضل محمد بن عبد العزيز بن المهدي الخطيب قال: حدَّثنا الحسن بن محمد بن القاسم المخزومي، قال: حدَّثنا أحمد بن موسى بن مجاهد، قال: حدَّثنا أبو العيناء، قال: حدَّثنا الأصمعي، قال: صعد أبو جعفر إلى المنبر فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أذكرك من أنت في ذكره، فقال أبو جعفر: مرحباً مرحباً، لقد ذكرت جليلاً وخوفت عظيماً، وأعوذ بالله ممن إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فاحلف بالله ما الله أردت بها، إنما أردت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر، وأهون بها من قائلها، وإياكم معشر الناس وأمثالها. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فعاد إلى خطبته كأنهما يقرأها من قرطاس.

وكان المنصور يشتغل في صدر نهاره بالأمر والنهي والولايات، وسجن الثغور والأطراف، والنظر في الخراج والنفقات ومصالح الرعية. فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته، فإذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف، وشاور سماره، وكانت ولاة البريد يكتبون إليه كل يوم بسعر القمح، والحبوب والإدام، وكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم، وما يرد بيت المال وكل حدث، فإذا صلى المغرب يكتبون إليه بما كان ذلك اليوم، وإذا نظر في كتبهم، فإن رأى الأسعار على حالها أمسك وإن تغير شيء منها كتب إلى العامل هناك وسأله عن العلة، فإذا ورد الجواب تلطف حتى يعود سعر ذلك البلد إلى حاله، وإن شك في شيء مما قضى به القاضي كتب إليه في ذلك وسأل من بحضرته من علمه، فإن أنكر شيئاً كتب إليه يوبخه ويلومه.
فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف إلى سماره، فإذا مضى الثلث الباقي قام من فراشه، فأسبغ الوضوء ووقف في محرابه حتى يطلع الفجر.
وأول من اتخذ الخيش المنصور، وإنما كانت الأكاسرة تطين لها في الصيف سقف بيت في كل يوم، فتكون قائلة الملك فيه، وكان يؤتى بأطنان الخلاف طوالاً غلاظاً فيوضع حوالي السرير، ويؤتى بقطع الثلج والعظام ما بين أضعافها، وكانت بنو أمية تفعل ذلك،

فاتخذ المنصور الخيش.

وشكى إليه رجل من بعض عماله في قصة فوقع عليها: أكفني أمره وإلا كفيته أمرك.

ووقع إلى عامل آخر: قد كثر شاكوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت.

قال أبو بكر الصولي: أول من وزر لبني العباس أبو سلمة الخلال، ثم خالد بن برمك، فلما توفي السفاح أقره المنصور مديدة، ثم استوزر أبا أيوب سليمان بن أبي سليمان المورياني، ثم ولى الفضل بن الربيع بن يونس بعد أبي أيوب.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسين بن محمد أخو الخلال، قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الله الشطي، قال: حدَّثنا أبو إسحاق الهجيمي، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم أبو العيناء، قال: قال لي إسماعيل بن بريهة عن بعض أهله، عن الربيع الحاجب، قال: لما مات المنصور قال لي المهدي: يا ربيع، قم بنا حتى ندور في خزائن أمير المؤمنين، قال: فدرنا فوقعنا على بيت فيه أربعمائة جب مطينة الرؤوس. قال: قلنا ما هذه ؟ قيل: هذه فيها أكباد مملحة أعدها المنصور للحصار.

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، عن أحمد بن ثابت بن علي الخطيب عن أبي القاسم بن علي البصري، عن إبراهيم بن محمد الطبري، قال: أخبرنا إبراهيم بن علي الهجيمي، قال: حدثنا أبو العيناء، قال: دخل المنصور في باب الذهب، فإذا ثلاثة قناديل مصطفة، فقال: ما هذا، أما واحد من هذا كان كافية؟ يقتصر من هذا على واحد. قال: فلما أصبح أشرف على الناس وهم يتغدون، فرأى الطعام قد خف من بين أيديهم قبل أن يشبعوا، فقال: يا غلام، علي بالقهرمان، قال: مالي رأيت الطعام قد خف من بين أيديهم قبل أن يشبعوا قال: يا أمير المؤمنين، رأيتك قد قدرت الزيت فقدرت الطعام، فقال: ويلك، أنت لا تفرق بين زيت يحترق في غير ذات الله، وبين طعام إذا فضل وجدت له آكلاً، ابطحوه، فبطحوه فضربه سبع درر.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أنبأنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن دينار الكاتب، قال: أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني، قال: أخبرنا حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الله بن الحسن الحراني، قال: حدثني أبو قدامة، قال: حدثني المؤمل بن أميل، قال:

قدمت على المهدي وهو بالري وهو إذ ذاك ولي عهد فامتدحته بأبيات فأمر لي بعشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن الأمير المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم، فكتب إلى كاتب المهدي أن يوجه إليه بالشاعر، فطلب فلم يجدوه، فكتب إلى أبي جعفر: إنه قد توجه إلى مدينة السلام، فأجلس المنصور قائداً من قواده عند جسر النهروان، وأمر أن يتصفح وجوه الناس رجلاً رجلاً، فجعل لا تمر به قافلة إلا تصفح من فيها حتى مرت به القافلة التي فيها المؤمل، فتصفحه، فلما سأله: من أنت؟ قال: أنا المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر أحد زوار الأمير المهدي، قال: إياك طلب. قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر، فقبض علي وسلمني إلى الربيع، فدخل بي إلى أبي جعفر، وقال: هذا الشاعر الذي أخذ من الأمير المهدي عشرين ألف درهم قد ظفرنا به، قال: أدخلوه إلي. فأدخلت فسلمت عليه تسليم مروع، فرد علي السلام، وقال: ليس ها هنا إلا خير، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيت غلاماً غراً فخدعته، قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين، أتيت غلاماً غراً كريماً فخدعته فانخدع، قال: فكان ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلت فيه، فأنشدته ما قلت، وهي:

هو المهدي إلا أن فيه ... مشابه صورة القمر المنير

تشابه ذا وذا فهما إذا ما أنارا يشعلان على البصير

فهذا في الظلام سراج ليل وهذا في النهار ضياء نور

ولكن فضل الرحمن هذا على ذا المنابر والسرير

وبالملك العزيز فذا أمير وماذا بالأمير ولا الوزير

ونقص الشهر ينقص ذا وهذا منير عند نقصان الشهور

فيا ابن خليفة الله المصفى به تعلو مفاخرة الفخور

لئن فت الملوك وقد توافوا إليك من السهولة والوعور

لقد سبق الملوك أبوك حتى بقوا من بين كاب أو حسير

وجئت مصلياً تجزي حثيثاً وما بك حين تجزي من فتور

فقال الناس ما هذان إلا كما بين الفتيل إلى النصير

فإن سبق الكبير فأهل سبق له فضل الكبير على الصغير

وإن بلغ الصغير مدى الكبير فقد خلق الصغير من الكبير

فقال هل المنصور: قد والله أحسنت ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم، فأين المال؟ قال: ها هو ذا، قال: يا ربيع امض معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ منه الباقي، ففعل الربيع ما أمره به المنصور.

ثم أن المهدي ولي الخلافة بعد ذلك فولى ابن ثوبان المظالم، فكان يجلس للناس بالرصافة، فإذا ملأ كساءه رقاعاً رفعها إلى المهدي فرفعت إليه لي قصة، فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهدي ينظر في الرقاع حتى وصل إلى رقعتي، فلما قرأها ضحك، فقال له ابن ثوبان: أصلح الله أمير المؤمنين، ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرقعة، فقال: نعم، هذه رقعة أعرف قصتها، ردوا إليه عشرين ألف درهم، فردها إلي وانصرفت.

وقد رويت لنا هذه القصة من طريق آخر ومنها: وكتبت قصة أشرح فيها ما جرى علي، فرفعها ابن ثوبان إلى المهدي، فلما قرأها ضحك حتى استلقى، ثم قال: هذه مظلمة أنا بها عارف، ردوا عليه ماله الأول، وضموا إليه عشرين ألفاً.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن عمر بن روح، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا قال: حدَّثنا ابن دريد، قال: حدَّثنا الحسن بن خضر، عن أبيه، قال: دخل رجل على المنصور، فقال:

أقول له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر

فقال المنصور: وعليك السلام، فقال:

فأنت المهذب من هاشم وفي الفرع منها الذي يذكر

فقال له المنصور: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

فهذه ثيابي قد أخلقت وقد عضني زمن منكر .

فألقى إليه المنصور ثيابه وقال: هذه بدلها.

وذكر الصولي عن الهيثم بن عدي، قال: كان المنصور يبخل إلا في الطيب، فإنه كان يأمر أهله به، فكان يشتري في رأس كل سنة اثني عشر ألف مثقال من سائره، فيتطيب كل شهر بألف مثقال يخضب به رأسه ولحيته.
وقال يحيى بن سليم كاتب الفضل بن الربيع: و لم ير في دار المنصور لهو قط ولا شيء يشبه اللعب والعبث.
وقال حماد التركي، كنت واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة في الدار، فقال: ما هذا يا حماد انظر؟ فذهبت فإذا خادم له قد حبس حوله الجواري وهو يضرب لهن الطنبور وهن يضحكن، فجئت فأخبرته، فقال: وأي شيء الطنبور؟ فقلت خشبة من حالها وصفتها، فقال: فما يدريك أنت ما الطنبور، قلت: رأيته بخراسان، فقال: هات نعلي، فأتيته بها، فقام يمشي رويداً حتى أشرف عليهم، فلما بصروا به تفرقوا، فقال: خذه، فأخذته، فقال: اضرب به رأسه، فلم أزل أضرب به رأسه حتى كسرته، ثم قال: أخرجه من قصري واذهب به إلى حمران بالكرخ، وقل له يبيعه.
وقال سالم الأبرش: كان المنصور من أحسن الناس، فإذا لبس ثيابه تغير لونه، وتربد وجهه فاحمرت عيناه ويكون منه ما يكون، فإذا قام من مجلسه رجع بمثل ذلك: وقال يوماً: يا بني إذا رأيتموني قد لبست ثيابي ورجعت من مجلسي فلا يدنون أحد منكم مني لئلا أغره بشر.
ذكر طرف من كلامه أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن الحسين الجازري، قال: حدَّثنا المعافى بن زكريا، قال: حدَّثنا محمد بن أبي الأزهر، قال: حدَّثنا الزبير بن بكار، قال: حدَّثنا مبارك الطبري، قال: سمعت أبا عبيد الله يقول: سمعت المنصور يقول: الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.
أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: أخبرنا أبو العباس المنصوري عن القثمي، عن مبارك الطبري قال: سمعت أبا عبيد الله يقول: سمعت المنصور يقول للمهدي: يا أبا عبد الله لا تجلس مجلساً إلا ومعك فيه رجل من أهل العلم يحدثك، فإن محمد بن مسلم بن شهاب قال: إن الحديث ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال، ويكرهه مؤنثوهم، وصدق أخو بني زهرة.
وكان المنصور يقول: ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر، لا يكون على بابي أعف منهم، قيل: يا أمير المؤمنين، من هم؟ قال: هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم، إن نقصت قائمة واحدة فقد وهي، أما أحدهم فقاضٍ لا يأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث: صاحب خراج يستقضي ولا يظلم الرعية فإني غني عن ظلمهم. ثم عض أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة: آه آه على الرابع فقيل له: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة.
وكتب أبو جعفر إلى عامله بالمدينة: أن بع الثمار التي في الضياع، ولا تبعها إلا ممن نغلبه ولا يغلبنا، والذي يغلبنا المفلس الذي لا مال له ولا رأي لنا في عذابه ويذهب مالنا قبله، وبعها بدون من ذلك ممن ينصفك ويوفيك.
قال المنصور: كانت العرب تقول: العري الفادح خير من الزي الفاضح.

وقال أيضاً: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثاً: إفشاء السر، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك.

وقال: سرك من دمك فانظر من تملكه.

وقال: من صنع مثل ما صنع إليه فقد كافى، ومن أضعف فقد شكر، ومن علم أنه إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعم أن طالب الحاجة إليك لم يكرم وجهه عن قصدك فأكرم وجهك عن رده.

أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن صرما، قال: أنبأنا أبو الحسين بن المهتدي، قال: حدَّثنا أبو حاتم محمد بن عبد الواحد بن محمد بن زكريا الخزاعي، قال: حدَّثنا أبو بكر أحمد بن محمد العنبري، قال: سمعت الفضل بن الحارث، يقول: سمعت محمد بن سلام الجمحي يقول:

قيل للمنصور: هل بقي من ذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال: بقيت خصلة، أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث، فيقول المستملي: من ذكرت رحمك الله؟ قال: فغدى عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر، فقال: لستم هم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الآفاق ونقلة الحديث.

وفي هذه السنة: حج بالناس أبو جعفر، وكان على الكوفة عيسى بن موسى، وعلى قضائها ابن أبي ليلى، وعلى البصرة وعملها سليمان بن علي، وعلى قضائها عباد بن منصور، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد، وعلى مصر صالح بن علي.

ورخصت الأسعار.

فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا جعفر الخلدي، قال: أخبرنا الفضل بن مخلد، قال: سمعت داود بن صغير يقول: رأيت زمن أبي جعفر كبشاً بدرهم، وحملاً بأربع دوانيق، والتمر ستين رطلاً بدرهم، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم، والسمن ثمان أرطال بدرهم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

ربيعة بن أبي عبد الرحمن واسمه فورخ مولى آل المنكدر التيمي، تيم قريش، الذي يقال له: ربيعة الرأي، ويكنى ربيعة أبا عثمان، ويقال: أبا عبد الرحمن، مديني: سمع من أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وعامة التابعين من أهل المدينة. روى عنه مالك، وسفيان الثوري، وشعبة، والليث بن سعد، وغيرهم.

وكان عالماً فقيهاً ثقة، وأقدمه السفاح الأنبار ليوليه القضاء.

وقال يونس بن يزيد: رأيت أبا حنيف، عند ربيعة ومجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهري، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان، قال: أخبرنا أحمد بن مروان المالكي، قال: حدَّثنا يحيى بن أبي طالب، قال: حدَّثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، قال:

حدثني مشيخة أهل المدينة: أن فروخاً أبا عبد الرحمن خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرساً، وفي يده رمح، فترل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، فقال له: يا عدو الله، أقهجم على مترلي؟ فقال: لا، وقال: فروخ: يا عدو الله، أنت دخلت

على حرمتي، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي، وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري، وأنا فورخ مولى بني فلان، فسمعت امرأته كلامه فخرجت، فقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا، فدخل فروخ المترل وقال: هذا ابن؟ قال: نعم، قال: فأخرجي المال الذي لي عندك، وهذه معي أربعة آلاف دينار، فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام.

ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبي علي اللهبي، والمساحقي، وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت امرأته: اخرج فصل في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها فوقف بها وفرجوا له قليلاً ونكس ربيعة رأسه وأوهمه أنه لم يره، وعليه طرحة طويلة، فشك فيه أبو عبد الرحمن، فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا له: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني، ثم رجع إلى مترله، فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيما أحب إليك؟ ثلاثون ألف دينار، أو هذا الجاه الذي هو فيه؟ فقال: لا والله إلا هذا، قال: فإني أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعتيه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الحافظ، قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر التميمي، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد أبو سعيد النيسابوري، قال: حدَّثنا الحسن بن صاحب بن حميد، قال: سمعت أبا سلمة الصنعاني الفقيه، يقول: سمعت بكر بن عبد الله بن الشرود الصنعاني، يقول:

أتينا مالك بن أبي، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي، فكنا نستزيده من حديث ربيعة، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة؟ هو نائم في ذاك الطاق، فأتينا ربيعة فأنبهناه، فقلنا له: أنت ربيعة بن أبي عبد الرحمن؟ قال: نعم، قلنا: ربيعة بن فروخ؟ قال: بلى، قلنا: ربيعة الرأي؟ قال: نعم، قلنا: الذي يحدث عنك مالك بن أنس؟ قال: نعم، قلنا: كيف حظي بك مالك و لم تحظ أنت بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا ابن الفضل، قال: حدَّثنا عبد الله بن جعفر، قال: حدَّثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثني محمد بن أبي بكر، قال: أخبرني ابن وهب، قال: قال مالك: لما قدم ربيعة بن أبي عبد الرحمن على أمير المؤمنين أبي العباس أمر له بجائزة فأبى أن يقبلها، فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشتري بها جارية، فأبى أن يقبلها.

قال ابن وهب: وحدثني مالك، عن ربيعة، قال: قال لي حين أراد الخروج إلى العراق: إن سمعت أني حدثتهم شيئاً أو أفتيتهم فلا تعدني شيئاً، قال: فكان كما قال، لما قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم و لم يحدثهم بشيء حتى رجع.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الأزهري، والجوهري، قالا: حدَّثنا محمد بن العباس، قال: حدَّثنا سليمان بن إسحاق الجلاب، قال: حدَّثنا الحارث بن محمد بن مطرف، قال: أخبرنا مطرف بن عبد الله، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي.

توفي ربيعة بالمدينة، وقيل : بالأنبار في هذه السنة.

عبد الله السفاح، أبو العباس: كانت وفاته بالجدري.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي، قال: حدَّثنا جحظة، قال: قال جعفر بن يحيى: نظر أمير المؤمنين السفاح في المرآة وكان من أجمل الناس وجهاً، فقال: اللهم إني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: أنا الملك الشاب، ولكني أقول: اللهم عمرني طويلاً في طاعتك ممتعاً بالعافية. فما استتم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لغلام آخر: الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام، فتطير من كلامه، وقال: حسبي الله، لا قوة إلا بالله، عليه توكلت، وبه أستعين فما مضت إلا أيام حتى أخذته الحمى، فجعل يوم يتصل إلى يوم حتى مات بعد شهرين وخمسة أيام.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرني الحسن بن محمد الخلال، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا محمد بن سهل بن الفضل الكاتب، قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: ذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي: إن الرشيد قال لابنه: كان عيسى بن علي راهبنا وعالمنا أهل البيت، و لم يزل في خدمة أبي محمد بن علي بن عبد الله إلى أن توفي، ثم خدم أبا عبد الله إلى حين وفاته، ثم إبراهيم الإمام، وأبا العباس ، والمنصور، فحفظ جميع أخبارهم وسيرهم وأمورهم. وكان قرة عينه في الدنيا ابنه إسحاق، فليس فينا أهل البيت أعلم بأمرنا من إسحاق، فاستكثر منه، واحفظ جميع ما يحدثك به، فإنه ليس دون أبيه في الفضل وإيثار الصدق.

قال: فأعلمته أني قد سمعت منه شيئاً كثيراً، فقال لي: هل سمعت خبر وفاة أبي العباس السفاح؟ فقلت: نعم، فقال: قد سمعت هذا الحديث من أبي العباس بن عيسى بن علي، فحدثني ما حدثك به إسحاق لأنظر أين هو مما حدثني به أبوه. فقال: حدثني إسحاق بن عيسى، عن أبيه:

أنه دخل في أول النهار يوم عرفة على أبي العباس وهو في مدينته بالأنبار قال إسحاق: قال أبي: وكنت قد تخلفت عنه أياماً لم أركب إليه فيها، فعاتبني على تخلفي عنه، فأعلمته أني كنت أصوم منذ أول يوم من أيام العشر، فقبل عذري وقال لي: أنا في يومي هذا صائم فأقم عندي لتقضين فيه بمحادثتك إياي ما فاتني من محادثتك في الأيام التي تخلفت عني فيها، ثم نختم ذلك بإفطارك عندي، فأقمت إلى أن تبينت النعاس في عينه قد غلب عليه، فنهضت عنه استمر به النوم فملت بين القائلة في داره، وبين القائلة في داري، فمالت نفسي إلى الانصراف إلى مترلي وقلت إلى وقت الزوال ثم ركبت إلى داره، فوافيت إلى باب الرحبة الخارج، فإذا برجل دحداح حسن الوجه مؤتزر بإزار، مترد بآخر. فسلم علي وقال: هنأ الله الأمير هذه النعمة وكل نعمة، البشرى، أنا وافد أهل السند، أتيت أمير المؤمنين بسمعهم وطاعتهم وبيعتهم، فما تمالكت سروراً أن حمد الله على توفيقه إياي للانصراف في أن أبشره بهذه البشرى. فما توسطت الرحبة حتى وافى رجل في مثل لونه وهيئته وقريب الصورة من صورته، فسلم علي وهنأني بمثل ما هنأني به ذلك، وذكر أنه وافد أهل إفريقية أتى أمير المؤمنين بسمعهم وطاعتهم، فتضاعف سروري، أكثرت من حمد الله على ما وفقني له من الانصراف، ثم دخلت الدار فسألت عن أمير المؤمنين، فأخبرت أنه في موضع يتهيأ فيه للصلاة، فدخلت إليه وهو يسرح لحيته، فابتدأت بتهنئته وأعلمته أني رأيت ببابه رجلين أحدهما وافد أهل السند، فوقع عليه زمع، وقال: الآخر وافد أهل إفريقية بسمعهم وطاعتهم، فقلت نعم، فسقط المشط من يده ثم قال: سبحان الله كل شيء بائد سواه، نعيت والله نفسي، حدثني إبراهيم الإمام، عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن علي بن أبي طالب، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أنه يقدم علي في يوم واحد وافدان: أحدهما وافد السند، والآخر وافد إفريقية بسمعهم وطاعتهم وبيعتهم، فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت.

وقد أتاني الوافدان، فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك، فقلت: كلا يا أمير المؤمنين إن شاء الله، فقال: بلى أنا إن شاء الله لئن كانت الدنيا حبيبة إلي، فصحة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي منها، والله ما كذبت ولا كذبت. ثم نهض وقال لي: لا تبرح من مكانك حتى أخرج إليك، فما غاب كثيراً حتى أذنت المؤذنون بصلاة الظهر، فخرج إلي خادم له، فأمرني بالخروج إلى المسجد والصلاة بالناس، ففعلت ذلك، ورجعت إلى موضعي حتى أذنت المؤذنون بصلاة المغرب، فخرج إلي الخادم فأمرني بمثل ذلك. ففعلت وعدت إلى مكاني، ثم أذنت المؤذنون بصلاة العشاء، فخرج إلي الخادم بمثل ما كان يأمرني به، ففعلت و لم أزل مقيماً في مكاني إلى أن مر الليل، فتنفلت حتى فرغت من صلاة الليل والوتر إلا بقية بقيت من القنوت، فخرج عن ذلك ومعه كتاب، فدفعه إلي حين سلمت، فإذا هو معنون مختوم من عبد الله أمير المؤمنين إلى الرسول والأولياء وجميع المسلمين وقال: يا عم، اركب في غد، فصل بالناس في المصلى، وانحر واخبر بعلة أمير المؤمنين، وأكثر لزومك داري، فإذا قضيبت نحبي فاكتم وفاتي حتى تقرأ هذا الكتاب على الناس، وتأخذ عليهم البيعة للمسمى في هذا الكتاب، وإذا أخذتها واستحلفت الناس عليها بمؤكدات الإيمان فانع إليهم أمير المؤمنين وجهزه، وتول الصلاة عليه وانصرف في حفظ الله وتأهب لركوبك، فقلت: يا أمير المؤمنين، هل وجدت علة، فقال: يا عم، وأي علة هي أقوى وأصدق من الخبر الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت الكتاب ونهضت، فما مشيت إلا خطاً حتى هتف بي هاتف يأمرني بالرجوع، فرجعت، فقال لي: إن الله قد ألبسك كمالاً وأكره أن يحطك الناس فيه، وكتابي الذي في يدك مختوم، وسيقول لك من يحسدك على ما جرى على يديك من هذا الأمر الجليل إنك إنما وفيت للمسمى في هذا الكتاب، لأن الكتاب كان مختوماً وقد رأى أمير المؤمنين أن يدفع إليك خاتمه ليقطع بذلك ألسنة الحسدة عنك، فخذ الخاتم، فوالله ما كذبت ولا كذبت، فانصرفت وتأهبت للركوب، وركبت وركب معي الناس حتى صليت بأهل العسكر ونحرت وانصرفت إليه فسألته عن خبره فقال: خبر من يموت لا محالة، فقلت: يا أمير المؤمنين، وجدت شيئاً؟ فأنكر علي قولي وكشر في وجهي وقال: يا سبحان الله، أقول لك إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه يموت، وتسألني عما أجد، لا تعد لمثل هذا ثم دخلت عليه عشية يوم العيد، وكان أحسن من عاينته عيناي وجهاً، فرأيته وقد حدثت في وجهه وردية لم أكن أعهدها فزادت وجهه جمالاً، ثم بصرت بإحدى وجنتيه حبة مثل حبة الخردل، بيضاء، فارتبت بها، ثم صوبت نظري إلى الوجنة الأخرى فوجدت فيها حبة أخرى، ثم أعد نظري إلى الوجنة التي عاينتها بدئاً فرأيت الحبة قد صارت اثنتين، ثم لم أزل أرى الحب يزداد حتى رأيت في كل جانب من وجنتيه مثل الدينار مقداراً حباً أبيض صغاراً، فانصرفت وهو على هذه الحالة، وغسلت غداة اليوم الثاني من يوم التشريق، فوجدته قد هجر وذهبت عنه معرفتي ومعرفة غيري، فخرجت إليه بالعشي فوجدته قد صار مثل الزق المنفوخ، وتوفي وفي اليوم الثالث من أيام التشريق، فسجيته كما أمرني وحرجت إلى الناس وقرأت عليهم الكتاب، وكان فيه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى الرسول والأولياء وجميع المسلمين. أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد قلد الخلافة بعده عليكم أخاه، فاسمعوا له وأطيعوا، وقد قلد الخلافة ن بعد عبد الله عيسى بن موسى إن كان. ثم أخذت البيعة على الناس وجهزته وصليت عليه ودفنته في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة.

فقال الرشيد: هكذا حدثني أبو العباس ما غادر إسحاق من حديث أبيه حرفاً واحداً، فاستكثروا من الاستماع منه، فنعم حامل العلم هو.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: واختلفوا في مقدار عمره على أربعة أقوال، أحدها: ثلاثون سن، والثاني: إحدى وثلاثون، والثالث:

ثمان وثلاثون، والرابع: ثمان وعشرون.

فأما الصلاة، فإنه صلى عليه عيسى بن علي، دفن بالأنبار العتيقة في قصره، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر ويومين، وقيل: وتسعة أشهر، منها ثمانية أشهر مشتغلاً بقتال مروان بن محمد، وخلف تسع جباب وأربعة أقمصة، وخمس سراويل، وأربع طيالسة، وثلاثة مطارق خز.

عبيد الله بن أبي جعفر ، مولى بني كنانة: ولد سنة ستين، ورأى عبد الله بن الحارث بن جزء، وكان عالماً زاهداً. روى عن محمد بن إسحاق وغيره من أهل المدينة، وكان سليمان بن داود يقول: ما رأيت عيناي عالماً زاهداً إلا عبيد الله بن أبي جعفر.

أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، عن أبي القاسم، وأبي عمرو ابني عبد الله بن مندة، عن أبيهما، قال: حدَّثنا أبو سعيد بن يونس الحافظ، قال: حدثني أبي، عن جدي ، قال: حدثني ابن وهب، قال: حدثني أبو شريح عبد الرحمن بن شريح، عن عبيد الله بن أبي جعفر، قال: غزونا إلى قسطنطينية فانكسر مركبنا، فألقانا الموج على حشفة في البحر، وكنا خمسة أو ستة، فأنبت الله بعددنا ورقاً، لكل رجل منا ورقة، فكنا نمصها فتشبعنا وتروينا، فإذا أمسينا أنبت الله لنا مكانها أخرى حتى مر بنا مركب، فحملنا.

توفي عبيد الله بمصر في هذه السنة. ويقال: في سن اثنتين وثلاثين، وصلى عليه أبو عون عبد الملك بن يزيد أمير مصر.

عبد الكريم بن الحارث بن يزيد، أبو الحارث الحضرمي:

روى عنه حية بن شريح، وابن لهيعة وغيرهما. وكان من العباد المجتهدين، فلو قيل إن الساعة تقوم غداً ما كان فيه فضل لمزيد، وقيل له: ما أحسن عزاءك عند المصائب، فقال: إني أوطن نفسي عليها قبل نزولها.

مليكة بنت المنكدر: كانت عابدة مجتهدة وكلمت في الرفق بنفسها، فقالت: دعوني أبادر طي صحيفتي.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الصوفي، قال : أخبرنا ابن أبي صادق الحيري، قال: حدَّثنا ابن باكويه الشيرازي، قال: حدثني عيسى بن عمر بن عبد المؤمن، قال: حدَّثنا أحمد بن محمد القرشي، قال: حدَّثنا إبراهيم بن عيسى، قال: حدثني موسى بن عبد الملك، أبو عبد الرحمن المروزي، قال: قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحجر وهي تقول: أتيتك من شقة بعيدة مؤملة بمعروفك، فأنلني معروفك تعينني به عن معروف من سواك يا معروفاً بالمعروف. فعرفت أيوب السختياني وسألنا عن مترلها وقصدناها وسلمنا عليها، فقال لها أيوب السختياني: قولي خيراً يرحمك الله، قال: وما أقول؟ أشكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضراني وشغلاني عن عبادة ربي عز وجل، قوما فإني أبادر طي صحيفتي.

قال أيوب الخستياني: فما حدثت نفسي بامرأة قبلها، فقلت لها: لو تزوجت رجلاً كان يعينك على ما أنت عليه، قالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته، فقلت: أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختياني، فقالت: أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله سبحانه وتعالى عن محادثة النساء، وأقبلت على صلاقما، فسألت عنها، فقالوا: هذه مليكة بنت المنكدر.

توفيت مليكة رضي الله عنها في هذه السنة، وهي سنة ست وثلاثين ومائة، ودفنت بالمدينة، وقيل بمكة، والله عز وجل أعلم.

الجزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها:

قدوم المنصور من مكة، ونزوله الحيرة، فوجد عيسى بن موسى قد شخص إلى الأنبار، واستخلف على الكوفة طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث،فدخل أبو جعفر الكوفة، فصلى الجمعة بأهلها، وخطبهم وأعلمهم أنه راحل عنهم، ثم وافاه أبو مسلم بالحيرة، ثم شخص أبو جعفر إلى الأنبار، فأقام بها، وجمع إليه أطرافه، وقد كان عيسى بن موسى قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدواوين حتى قدم عليه أبو جعفر، فبايع الناس له بالخلافة ثم لعيسى بن موسى من بعده، وسلم الأمر إلى أبي جعفر، وبعث يزيد بن زياد وهو حاجب أبي العباس إلى عبد الله بن علي ببيعة أبي جعفر، وذلك بأمر أبي العباس قبل أن يموت حين أمر الناس بالبيعة، فلما قدم عليه دعا الناس إلى نفسه وقال: إن أبا العباس حين أراد أن يوجه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بني أمية فأرادهم على المسير إلى مروان وقال: من انتدب منكم فسار إليه فهو ولي عهدي، فلم ينتدب له غيري، فعلى هذا خرجت من عنده، وقبلت من قبلت، فقام أبو غانم الطائي، وخفاف المروزي في عدة من قواد أهل خراسان، فشهدوا له بذلك، فبايعه أبو غانم، وخفاف، وأبو الإصبع، وجميع من كان معه من أولئك القواد منهم حميد بن قحطبة وغيره، فلما فرغ من البيعة ارتحل فنزل حران وبها مقاتل العكي، وكان أبو جعفر استخلفه لما قدم على أبي العباس، فأراد مقاتلاً على البيعة فلم يجبه وتحصن منه، فأقام عليه وحصره، وسرح أبو جعفر لقتال عبد الله بن علي أبا مسلم، فسار إليه وقد جمع الجنود والسلاح وخندق، وجمع الطعام والأعلاف، فسار أبو مسلم ومعه القواد كلهم، وبعث مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي، وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة، وكان حميد قد فارق عبد الله بن علي، وكان عبد الله أراد قتله، فإنه كتب إلى زفر بن عاصم إلى حلب: إذا قدم عليك فاقتله. ففتح حميد الكتاب وعلم ما فيه، فلم يذهب.ولما بلغ عبد الله مسير أبي مسلم إليه أعطى العكي أماناً، فخرج إليه فيمن كان معه، ثم وجهه إلى عثمان بن عبد الأعلى إلى الرقة ومعه ابناه، وكتب إليه كتاباً، فلما قدموا على عثمان قتل العكي وحبس ابنيه، فلما بلغته هزيمة عبد الله بن علي أخرجهما فقتلهما وكان عبد الله بن علي قد خشي أن لا تناصحه أهل خراسان فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، ثم اقتتلوا خمسة أشهر أو ستة، وعمل لأبي مسلم عريشاً، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال، فإن رأى خللاً في أصحابه أصلحه، ثم إن أصحاب عبد الله بن علي انهزموا وتركوا عسكرهم، فاحتواه أبو مسلم، وكتب بذلك إلى أبي جعفر، ومضى عبد الله وعبد الصمد بن علي، وكانا مع عبد الله. فأما عبد الصمد فقدم الكوفة، فاستأمن له عيسى بن موسى، فأمنه أبو جعفر. و أما عبد الله بن علي فأتى سليمان بن علي بالبصرة، فأقام عنده، وأمن أبو مسلم الناس، فلم يقتل أحداً.

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم

وكان سبب ذلك أن أبا مسلم كان قد كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج في سنة ست وثلاثين، وإنما أراد أن يصلي بالناس فأذن له، وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر وهو على الجزيرة: أن أبا مسلم سألني الحج فاكتب إلي تستأذني في ذلك، فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك، فكتب إليه، فأذن له. فقال أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا!! واضطغنها عليه، فخرجا فكان أبو مسلم يصلح العقاب، ويكسو الأعراب في كل منزل، ويصل كل من سأله، وحفر الآبار، وسهل الطريق، وكان الصيت له.فلما صدر الناس عن الموسم نفر أبو مسلم قبل أبي جعفر فتقدمه، فأتاه كتاب بوفاة أبي العباس واستخلاف أبي جعفر، فكتب إلى أبي جعفر يعزيه ولم يهنئه بالخلافة، ولم يقم له حتى يلحقه، فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب: اكتب إليه كتاباً غليظاً. فلما أتاه كتاب أبي جعفر كتب إليه يهنئه بالخلافة. فقال يزيد بن أبي أسيد السلمي لأبي جعفر: إني أكره أن تجامعه في الطريق والناس له أطوع، وليس معك أحد فأخذ برأيه، فكان يتأخر ويتقدم أبو مسلم، وما كان في عسكر أبي جعفر غير ستة أدرع، فمضى أبو مسلم إلى الأنبار، ودعا عيسى بن موسى أن يبايع له، فأبى عيسى، فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة، فأتاه خروج عبد الله بن علي إلى الأنبار، وعقده لأبي مسلم وقال: سر إليه. فقال أبو مسلم: إن عبد الجبار بن عبد الرحمن، وصالح بن الهيثم يعيبانني فاحبسهما. فقال أبو جعفر: إن عبد الجبار على شرطي. وكان على شرط أبي العباس وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاعة، فلم أكن لأحبسهما لظنك بهما. فقال: أراهما آثر عندك مني. فغضب أبو جعفر. فقال أبو مسلم: لم أرد كل هذا. وقال رجل لأبي أيوب: إني قد ارتبت بأبي مسلم،يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه، ثم يلوي شدقه،ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم فيقرأه ويضحك استهزاءً! ؟ فقال أبو أيوب: نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علي، إلا أنا نعلم أن أهل خراسان لا يحبون عبد الله بن علي، وقد قتل منهم من قتل.وكان أبو مسلم قد أصاب من عسكر عبد الله بن علي، متاعاً كثيراً وجوهراً كثيراً، فبعث أو جعفر مولاه أبا الخصيب ليحصي ذلك، فغضب وافترى عليه، وهم بقتله، فقيل له: إنما هو رسول. فلما قدم به أبو الخصيب على أبي جعفر أخبره. وقيل: إنما بعث إليه يقطين بن موسى بذلك، فقال أبو مسلم: يا يقطين، أمين على الدماء جائر في الأموال. وشتم أبا جعفر، فأبلغه يقطين، فكتب إلى أبي مسلم مع يقطين: إني قد وليتك مصر والشام، وهي خير من خراسان، فوجه إلى مصر من أحببت، وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين؛ فإن أحب لقاءك أتيته من قرب. فلما أتاه الكتاب غضب وقال: هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي! وعزم على المضي إلى خراسان مجمعاً على ذلك، فكتب بذلك يقطين إلى أبي جعفر. وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن، وكتب إلى أبي مسلم في المصير إليه،فكتب أبو مسلم، وقد نزل الزاب وهو على الرواح إلى طريق حلوان: قد كنا نروي عن ملك آل ساسان أن أخوف ما يكون من الوزراء إذا سكنت الدهماء؛ فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك، حريون بالسمع و الطاعة، غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبد لك، وإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك، ضناً بنفسي.فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم: قد فهمتك كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، وإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلم سويت نفسك بهم، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أبعاد هذا الأمر على ما أنت به! وقد حمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها، وأسأل الله أن يحول بين السلطان ونزغاته وبينك، فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده وأقرب من طبه من الباب فتحه عليك.ثم إن أبا جعفر وجه إلى أبي مسلم جرير

بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، وكان واحد أهل زمانه، فخدعه ورده. قال جرير: نزلت معه جسر النهروان فتغدينا، فقال: أين أمير المؤمنين؟ قلت: بالمدائن. قال: في أي المواضع؟ قلت: في صحراء. قال: فما اسم الموضع؟ قلت: رومية. فأطرق طويلاً ثم قال: سر ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال

جرير: وقد كان قيل له إنك تقتل أو تموت برومية. فظنها بلاد الروم.ثم قال:"إنا لله وإنا إليه راجعون" ذهبت والله نفسي بيدي. ثم جعل يخاطب نفسه ويقول: يا أبا مسلم، فتح لك من باب المكايد في عدوك وصديقك ما لم يفتح لأحد حتى إذا دان لك من بالمشرق والمغرب، خدعك عن نفسك من كان يهاب بالأمس من ينظر إليك "إنا لله وإنا إليه راجعون".ثم تمثل:

فهل من خالدٍ إما هلكنا　　　وهل بالموت عند الناس عار

فأقبل وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه، وكان فيمن بعث إليه عيسى بن موسى، فحلف له بعتق كل مملوك له، وصدقة كل ما يملك، وطلاق نسائه، وقال: لو خير المنصور بين موت أبيه وموتك لاختار موت أبيه، فإنه لا يجد منك خلفاً.

فأقبل معه، فلما دخل أبو مسلم المدائن قال لعيسى بن موسى: تدري ما مثلي ومثلك ومثل عمك؟ مثل ثلاثة نفر كانوا في سفرٍ فأتوا على عظام نخرة، فقال أحدهم: عندي طب إذا رأيت عظاماً متفرقة ألفتها. فقال الثاني: وأنا إذا رأيت عظاماً موصولة كسوتها لحماً. فقال الثالث: وأنا إذا رأيت عظاماً مكسوة لحماً أجريت فيها الروح.ففعلوا ذلك، فإذا الذي أحيوه أسدٌ، فقال الأسد في نفسه: ما أحياني هؤلاء إلا وهم على أن يميتوني أقدر. فوثب عليهم فأكلهم، و الله ليقتلني و ليقتلن عمك، وليخلعنك أو ليقتلنك.وفي رواية: أن أبا مسلم كتب إلى أبي جعفر: أما بعد، فإني اتخذت رجلاً إماماً، فحرف القرآن عن مواضعه طمعاً في قليل قد بغاه الله عز وجل إلى خلقه، فكان كالذي ولي بغرور، فأمرني أن أجرد السيف، وأن أرفع الرحمة ولا أقيل العثرة، ففعلت توطئة لسلطانك حتى عرفكم من كان يجهلكم، ثم استنقذني الله بالتوبة ، فإن يعف عني فقديماً عرف به ونسب إليه، وإن يعاقبني فبما قدمت يداي، وما الله بظلام للعبيد.أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري قال: حدثنا المعافى بن زكريا قال:حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا المغيرة بن محمد قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال: حدثنا علي بن المعافى قال: كتب أبو مسلم إلى المنصور حين استوحش منه: أما بعد، فقد كنت اتخذت أخاك إماماً وجعلته على الدين دليلاً وللوصية التي زعم أنها صارت إليه، فأوطأني عشوة الضلالة، وأوثقني موثقة الفتنة، وأمرني أن آخذ بالظنة، وأقتل على التهمة، ولا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمات حتم الله صونها، وسفكت دماء فرض الله حقنها، وزويت الأمر عن أهله، ووضعته منه في غير محله، فإن يعف الله عني فبفضل منه، وإن يعاقب فبما كسبت يداي، وما الله بظلام للعبيد. ثم أنساه الله هذا – يعني أبا مسلم – حتى جاءه فقتله. وفي رواية: أن أبا مسلم خرج يريد خراسان، مراغماً مشاقاً، فلما دخل أرض العراق وارتحل المنصور من الأنبار، فأقبل حتى نزل المدائن، وأخذ أبو مسلم طريق حلوان، فقيل لأبي جعفر أخذ طريق حلوان، فقال: رب أمر لله دون حلوان. وقال أبو جعفر لعيسى بن علي وعيسى بن موسى ومن حضره من بني هاشم: اكتبوا إلى أبي مسلم. فكتبوا أليه يعظمون أمره ويشكرونه على ما كان منه من الطاعة، ويحذرونه عاقبة الأمور، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين، وأن يلتمس رضاه، وبعث أبو جعفر بذلك مع أبي حميد المروزي وقال له: كلم أبا مسلم بألين ما يكلم به أحد، ومنه، وأعلمه إني رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد

إن هو صلح وراجع ما أحب، فإن أبى أن يرجع فقل له: يقول لك أمير المؤمنين لست للعباس، وأنا بريء من محمد، إن مضيت مشاقاً و لم تأتني، إن وكلت أمرك إلى أحدٍ سواي، وأن لم أل طلبك وقتالك بنفسي، ولو خضت البحر لخضته، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك، ولا تقولن له هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه، ولا تطمع منه في خير.فسار أبو حميد في مأمن من أصحابه ممن يثق بهم، حتى قدموا على أبي مسلم بحلوان، فدخل عليه أبو حميد، فدفع إليه الكتاب وقال له: إن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله، وخلاف ما عليه رأيه فيك؛ حسداً وبغياً؛ يريدون إزالة هذه النعمة وتغييرها، فلا تفسد ما كان منك، وإنك لم تزل أمين آل محمد صلى الله عليه وسلم، يعرفك بذلك الناس، وما ذخر الله لك من الأجر عنده أعظم مما أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرك، ولا يستهوينك الشيطان. فقال له أبا مسلم: متى كنت تكلمني بهذا؟ فقال: لأنك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة بيت أهل النبي صلى الله عليه وسلم، وأمرتنا بقتال من خالف ذلك، وقلت: إن خالفتكم فاقتلوني. فعند ذلك أقبل أبو مسلم على أبي نصر فقال: يا مالك، أما أن تسمع ما يقول لي هذا، ما هذا بكلامه. فقال: لا تسمع قوله، فما هذا بكلامه، وما بعد هذا أشد منه، فامض لأمرك ولا ترجع، فو الله لئن أتيته ليقتلنك، ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً. فقال أبو مسلم: قوموا. وأرسل إلى نيزك فقال: ما ترى؟ فقال: ما أرى أن تأتيه، وأرى أن تأتي الري، فتقيم بها، فيصير ما بين خراسان والري لك، وهم جندك لا يخالفك أحد، فإن استقام لك استقمت له، وإن أبى كنت في جندك، وكانت خراسان من ورائك، فرأيت رأيك.

فدعا أبا حميد فقال: ارجع إلى صاحبك، فليس من رأي أن آتيه. فقال: قد اعتزمت على خلافه. قال: لا تفعل. قال: ما أريد أن ألقاه. فلما آيسه من الرجوع قال له: ما أمره أبو جعفر أن يقوله. فوجم طويلاً ثم قال: قم. فكسره ذلك القول وأرعبه. وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود وهو خليفة أبو مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم: إن لك إمرة خراسان ما بقيت. فكتب أبو داود إلى أبي مسلم: إنا لم نخرج بمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم، فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه. فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رعباً وهماً، فأرسل إلى أبي حميد وإلى مالك فقال لهما: إني قد كنت عازماً على المضي إلى خراسان، ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين، فيأتيني برأيه، فإنه ممن أثق به، وكان صاحب حرس أبي مسلم، فوجهه، فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب، وقال أبو جعفر: اصرفه عن وجهه؛ ولك ولاية خراسان، وأجازه. فرجع أبو إسحاق إلى أبي مسلم فقال له: ما أنكرت شيئاً، رأيتهم معظمين لحقك، يرون لك ما يرون لأنفسهم، وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين فيعتذر إليه مما كان منه، فأجمع على ذلك، فقال له نيزك: قد أجمعت على الرجوع؟ قال: نعم. وتمثل:

ما للرجال مع القضاء محالةٌ ذهب القضاء بحيلة الأقوام

فقال: أما إذا اعتزمت على هذا فخار الله لك، احفظ عني واحدة: إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت، فإن الناس لا يخالفونك. فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه، فبينا كتاب أبي مسلم بين أيدي أبي جعفر إذ دخل عليه أبو أيوب، فرمى أبو جعفر إليه بالكتاب، فقرأه فقال: والله لئن ملأت عيني منه لأقتلنه. فاغتنم أبو أيوب وقال في نفسه: لئن قتله لا يترك أصحابه أحداً ممن يتعلق بأبي جعفر حياً. وقال إسحاق الموصلي لما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم هاب ذلك عمه عيسى بن علي، فكتب إليه يقول:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فوقع المنصور في كتابه:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

ولا تهمل الأعداء يوماً بقدرة وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

قال أبو إسحاق: والشعر للمنصور. ثم سار أبو مسلم، فلما دنا من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس فتلقوه، فدخل أبو أيوب على أبي جعفر فقال: هذا الرجل يدخل العشية، فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أقتله حين أنظر إليه.فقال إن دخل عليك و لم تخرج لم آمن البلاء، ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف، فإذا غدا عليك رأيت رأيك. فلما دخل عليه سلم وقام قائماً على قدميه بين يديه. فقال: انصرف يا عبد الرحمن فأرح نفسك، وادخل الحمام، فإن للسفر قشفاً، ثم أغد علي. فانصرف، ثم ندم أبو جعفر، وافترى على أبي أيوب وقال: متى أقدر على هذه الحال ولا أدري ما يحدث في ليلتي!. فلما أصبحوا جاء أبو أيوب فقال له أبو جعفر: يا ابن اللخناء؛ لا مرحباً بك، أنت منعتني منه أمس، والله ما غمضت عيني الليلة. ثم شتمه حتى خاف أن يأمر بقتله. ثم قال: ادع لي عثمان بن نهيك. فدعاه فقال:يا عثمان، كيف بلاء أمير المؤمنين عندك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أنا عبدك، والله لو أمرتني أن أتكىء على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت. قال: كيف أنت إن أمرتك بقتل أبي مسلم فوجم ساعة لا يتكلم فقال له أبو أيوب: مالك لا تتكلم؟ فقال بصوت ضعيف: أقتله. قال: انطلق. فجيء بأربعة من وجوه الحرس أقوياء، فمضى؛ فلما كان عند الرواق ناداه: يا عثمان يا عثمان، ارجع واجلس وأرسل من تثق به من الحرس فليحضر منهم أربعة. فلما حضروا قال لهم أبو جعفر نحواً مما قال لعثمان، فقالوا: نقتله. قال: كونوا خلف الرواق. فإذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه. فأرسل إلى أبي مسلم رسلاً بعضهم على أثر بعض، فقالوا: قد ركب إلى عيسى بن موسى. فدعا له عيسى بالغداء، ثم خرج إلى أبي جعفر وأبو نصر حاجبه بين يديه وحربته معه، فلما قربا من الباب خرج سلام الحاجب فقال: انزل. فنزل فدخل الدهليز وأغلق الباب دونه، فقال أبو مسلم: يدخل خاصة أصحابي، فقال له الربيع: لم نؤمر بذلك. فنزع سيفه من وسطه وقال: الآن عرف الرامي موضع سهمه وهو مثلٌ يضرب لمن أمكن عدوه من نفسه فلما بصر بالمنصور انحرف إلى القبلة، فخر ساجداً، ثم دنا ليقبل أطرافه، فقال له: وراءك يا ابن اللخناء.

فنصب له كرسي فقعد فقال له أبو جعفر: أخبرني عن نصلين أصبتهما في متاع عبد الله بن علي. فقال: هذا أحدهما الذي علي. قال: أرنيه. فانتضاه و ناوله إياه، فهزه أبو جعفر ثم وضعه تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه. فقال له: اخترناك وأنت لا تدري أية بيضة انفقأت عن رأسك، ولا من أي وكرٍ نهضت، خامل ابن خامل، فل ابن فل، ذل ابن ذل، عشت أيام حداثتك، وخير يوميك، يوم تشتري فيه لعاصم بن يونس إزار قدره،ومكشحة داره، فرقأنا بك المنابر، ووطئنا أعناق العرب والعجم عقبيك، أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات، أردت أن تعلمنا الدين. قال: ظننت أخذه لا يحل، فكتب إلي، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم. قال: فأخبرني عن تقدمك إياي في الطريق؟ قال: كرهت اجتماعنا على الماء، فيضر ذلك بالناس، فتقدمت التماس الرفق. قال: فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إلي: نقدم فنرى رأينا، ومضيت، فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت إلي؟ قال: منعني ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس، وقلت نقدم الكوفة. قال: فجارية

عبد الله بن علي أردت أن تتخذها؟ قال: لا، ولكن خفت أن تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها. قال: فمراغمتك وخروجك إلى خراسان؟ قال: خفت أن يكون قد دخلك مني شيء، فقلت آتي خراسان، فأكتب إليك بعذري، ولو رأينا ذهب ما في نفسك علي؟ قال: تالله ما رأيت كاليوم قط، والله ما زدتني إلا غضباً. قال: ليس يقال لي هذا بعد بلائي، وما كان مني؟ قال: يا ابن الخبيثة، والله لو كانت أمة مكانك لأجزأت، إنما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا، ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً، ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك!؟ ألست تخطب أمينة بنت علي، وتزعم أنك ابن سليط عبد الله بن عباس، لقد ارتقيت لا أم لك مرتقىً صعباً. وأخذ يعتذر وأبو جعفر يعاتبه، إلى أن قال أبو مسلم: دع هذا، فما أصبحت أخاف أحداً إلا الله. فغضب وشتمه وضربه بعمود، وصفق بيديه، فخرجوا عليه، فضربه عثمان فلم يصنع شيئاً، لم يزد على قطع حمائل سيفه، وضربه آخر فقطع رجله، فصاح المنصور: اضربوا قطع الله أيديكم. فقال

أبو مسلم في أول ضربة: استبقني لعدوك. فقال: وأي عدو أعدى إلي منك!؟ فصاح: العفو. فقال المنصور: يا ابن اللخناء، العفو والسيوف قد اعتورتك؟! ثم قال: اذبحوه، فذبحوه، وجاء عيسى بن موسى فقال: أين أبو مسلم؟ فقال: مدرج في الكساء. فقال إنا لله، وجعل يلطم ويقول: أحنثتني في أيماني، وأهلكتني. فقال له:علي لكل شيء تخرجه ضعفاه، ويحك اسكت، فما تم سلطانك ولا أمرك إلا اليوم. ثم رمى به في دجلة. وذلك لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة. وقال المنصور:

زعمت أن الذي لا يقتضي   فاستوف بالكيل أبا مجرم
سيقت كأساً كنت تسقي بها   أمر في الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل في دولته ستمائة ألف صبراً.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري قال: حدثنا المعافي قال: حد ثنا الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا يعقوب، عن أبيه قال: خطب المنصور بالناس بعد قتل أبي مسلم فقال: أيها الناس، لاتنفروا أطراف النعم بقلة الشكر فتحل بكم النقم، ولا تسروا غش الأئمة، فإن أحداً لا يسر منكراً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه، وطوالع نظره وإنا لن نجهل حقوكم ما عرفتم حقنا، ولا ننسى الإحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا، ومن نازعنا هذا القميص أوطأنا أم رأسه خبيء هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايع لنا على أنه من نكث بيعتنا، أو أضمر غشاً لنا فقد أبحنا دمه، ومكث وغدر وفجر، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا. قال علماء السير: ثم إن أبا جعفر هم بقتل أبي إسحاق حرس صاحب أبي مسلم، وبقتل نصر بن مالك وكان على شرط أبي مسلم فكلمه أبو الجهم وقال: يا أمير المؤمنين، جنده جندك، أمرتهم بطاعته فأطاعوه. فدعا أبا إسحاق وقال: أنت المبايع لعدو الله أبي مسلم على ما كان يفعل. فجعل يلتفت يميناً وشمالاً تخوفاً من أبي مسلم. فقال له المنصور: تكلم بما أردت، فقد قتل الله الفاسق. وأمر بإخراجه إليه مقطعاً، فخر أبو إسحاق ساجداً، فأطال السجود وقال: الحمد لله، والله ما أمنته يوماً واحداً، وما جئته يوماً إلا وقد أوصيت وتكفنت وتحنطت. فقال: استقبل طاعة خليفتك، واحمد الله الذي أراحك من الفاسق، ثم دعا مالك بن الهيثم فكلمه بمثل ذلك، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته، ثم أمرهم بتفريق جند أبي مسلم. وبعث إلى عدة من قواد أبي مسلم بجوائز سنية، وأعطى جميع جنوده حتى رضوا. وكان أبو مسلم قد خلف أصحابه بحلوان وقدم المدائن في

ثلاثة آلاف، وخلف أبا نصر على ثقله وقال: أقم حتى يأتيك كتابي، قال: فاجعل بيني وبينك آيةً أعرف بها كتابك. قال: إن أتاك كتابي مختوماً بنصف خاتم فأنا كتبته، وإن أتاك بخاتم كله فلم أكتبه. فلما قتل أبو مسلم كتب أبو جعفر إلى أبي نصر كتاباً عن لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده، وأن يقدم. وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم، فلما رأى أبو نصر نقش الخاتم تاماً علم أن أبا مسلم لم يكتبه، فقال: أفعلتموها، وانحدر إلى همدان وهو يريد خراسان، فكتب أبو جعفر إلى أبي نصر بعهده على شهرزور، فلما مضى العهد جاءه الخبر أنه قد توجه إلى خراسان، فكتب أبا جعفر إلى عامله بهمدان: أن مر بك أبو النصر فاحبسه. فأخذه فحبسه، فقدم صاحب الكتاب بالعهد لأبي نصر فخلى سبيله، ثم قدم كتاب آخر بعده بيومين يقول فيه: إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله. فقال: جاءني كتاب عهده فخليت سبيله. وقدم أبو نصر على أبي جعفر فقال له: أشرت على أبي مسلم بالمضي إلى خراسان فقال: نعم يا أمير المؤمنين، كانت له عندي أيادٍ وصنائع، فاستشارني فنصحته، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتني نصحت لك وشكرت. فعفا عنه. وفي رواية: أن المنصور كتب إلى عامل أصبهان: لله دمك إن فاتك يعني أبا نصر فأخذه وأوثقه وبعثه إليه فصفح عنه. وقد كان أبو الجهم بن عطية أحد النقباء، وكان عيناً لأبي مسلم على المنصور، فلما اتهمه المنصور طاوله يوماً بالحديث حتى عطش، فاستسقى ماءً فدعي له بسويق لوز ممزوج بالسكر، وفيه سم، فشربه، فلما استقر في جوفه أحس بالموت، فوثب مسرعاً فقال له: إلى أين؟ قال: إلى حيث أرسلتني. فرجع إلى رحله فمات. فقال الشاعر:

تجنب سويق اللوز لا تقربنه فشرب سويق اللوز أودى أبا الجهم

وذهبت شربة أبي الجهم مثلاً للشيء الطيب الطعم الخبيث العاقبة. قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ: إن المنصور كان يقول: ثلاث كن في صدري شفى الله منها: كتاب أبي مسلم إلي وأنا خليفة: عافانا الله وإياك من السوء، ودخول رسوله علينا وقوله: أيكم ابن الحارثية؟ وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط. قال أبو محمد: كان سليمان قد استعمل المنصور على بعض كور فارس قبل أن تصير الخلافة إلى بني العباس، فاحتجز المال لنفسه، فضربه سليمان بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال، فلما ولي الخلافة ضرب عنقه. وفي هذه السنة: خرج ملبد بن حرملة الشيباني بناحية الجزيرة: فسارت إليه روابط الجزيرة وهم ألف، فقاتلهم ملبد فهزمهم، وقتل من قتل منهم، ثم سارت إليه روابط الموصل فهزمهم، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبي، فهزمه أيضاً بعد قتال شديد، ثم وجه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل في ألفين من نخبة الجند، فهزمهم ملبد واستباح عسكرهم، ثم وجه إليه بعد ذلك مراراً، فهزم الكل إلى أن قدم حميد بن قحطبة فهزمه أيضاً، وتحصن منه حميد، وأعطاه مائة ألف درهم حتى كف عنه. وزعم الواقدي أن ظهور ملبد كان في سنة ثمان وثلاثين. وفي هذه السنة: حج بالناس إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله، ومات العباس عند انقضاء الموسم، فضم إسماعيل عمله إلى زياد، فأقره أبو جعفر. أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا علي بن أيوب قال: أخبرنا علي بن شاذان قال: أخبرنا أبو علي الطوماري قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب بن عثمان قال: دخل أبو حمزة الربعي من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب على زياد بن عبيد الله الحارثي وهو والٍ على المدينة فقال: أصلح الله الأمير، بلغني أن أمير المؤمنين المنصور وجه إليك بمال يقسمه على القواعد والعميان والأيتام. قال: نعم قد كان ذلك، فتقول ماذا؟ قال: اكتبني في القواعد. قال: أي

رحمك الله، إنما القواعد النساء التي قعدن عن الأزواج! وأنت رجل! قال: فاكتبني في العميان. قال: أما هذه فنعم، اكتبه يا غلام، فقد قال الله تعالى عز وجل:"فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور" الحج 46 ،وأنا أشهد أن أبا حمزة أعمى. قال: واكتب بني في الأيتام. قال: وذاك، اكتبهم يا غلام، فمن كان أبو حمزة أ باه فهو يتيم. قال: فأخذ والله في العميان، وأخذ بنوه في الأيتام. وكان على الكوفة عيسى بن موسى. وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علي. وعلى قضائها عمرو بن عامر السلمي، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم. وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة. وعلى مصر صالح بن علي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خير بن نعيم بن مرة بن كريب، أبو نعيم الحضرمي. ولي القضاء والقصص في آخر خلافة بني أمية وأول خلافة بني العباس، وكان فقيهاً. روى عن عطاء بن أبي رباح. وروى عنه: يزيد بن أبي حبيب، وحيوة بن شريح، والليث، وابن لهيعة. قال سهيل بن علي: كنت أجالس خير بن نعيم، فرأيته يتجر في الزيت، فقلت له: وأنت أيضاً تتجر؟ فضرب بيده على كتفي، ثم قال: انتظر حتى تجوع ببطن غيرك. فقلت في نفسي:كيف يجوع الإنسان ببطن غيره. فلما بليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم. توفي خير بن نعيم في هذه السنة.

عبد الرحمن، أبو مسلم المروزي صاحب الدولة العباسية

روى عن أبي الزبير، وثابت البناني، وغيرهما. ولد بأصبهان، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السراج، فحمل إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فقال له إبراهيم بن علي بن عبد الله بن العباس لما عزم على توجيهه إلى خراسان أن غير اسمك. فقال: قد سميت نفسي عبد الرحمن. ومضى وله ذؤابة، فركب حماراً بإكاف وهو ابن سبع عشرة سنة فقال له: خذ نفقة من مالي، لا أريد أن تمضي بنفقة من مالك ولا من مال عيسى. وكان شجاعاً ذا رأي وعقل وحزم، إلا أنه كان فاتكاً. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني عبيد الله بن أبي الفتح قال: حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن عبيد الله النيسابوري قال: أخبرنا علي بن محمد الحبيبي قال: أخبرنا محمد بن عبدك قال: أخبرنا مصعب بن بشر قال: سمعت أبي يقول: قام رجل إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال له: ما هذا السواد الذي أرى عليك؟ فقال: حدثني أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، وهذه ثياب الهيبة و ثياب الدولة، يا غلام اضرب عنقه. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني الأزهري قال: حدثنا محمد بن جعفر النجار قال: أخبرنا أبو أحمد الجلوذي قال: حدثنا محمد بتركوية قال: روي لنا أبا مسلم قال: ارتديت الصبر، وآثرت الكتمان، وحالفت الأحزان والأشجان، وسامحت المقادير و الأحكام حتى بلغت غاية همتي، وأدركت نهاية بغيتي، ثم أنشأ يقول:

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا

مازلت أضربهم بالسيف فانتبهوا ... من رقدة لم ينمها قبلهم أحد

طفقت أسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في ملوكهم بالشام قد رقدوا

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

قال علماء السير: ظهر أبو مسلم لخمس بقين من رمضان سنة تسع وعشرين ومائة، ثم سار إلى أبي العباس أمير المؤمنين سنة ست و ثلاثين وقيل في سنة سبع وثلاثين بالمدائن. فبقي أبو مسلم فيما كان فيه ثمانية وسبعين شهراً غير ثلاثة عشر يوماً.وقد ذكرنا كيفية قتله في حوادث هذه السنة. قال مؤلف الكتاب: نقلت من خط أبي الوفا بن عقيل قال: وجدت في تعاليق محقق من أهل العلم: أن سبعة مات كل واحد منهم وله ست وثلاثون سنة، فعجبت من قصر أعمارهم مع بلوغ كل منهم الغاية فيما كان فيه، وانتهى إليه، فمنهم: الاسكندر ذو القرنين، وأبو مسلم صاحب الدولة العباسية، وابن المقفع صاحب الخطابة و الفصاحة، وسيبويه صاحب التصانيف و المتقدم في علم العربية، وأبو تمام الطائي وما بلغ من الشعر وعلومه، وإبراهيم النظام المعمق في علم الكلام، وابن الريوندي وما انتهى إليه من التوغيل في المخازي. فهؤلاء السبعة لم يجاوز أحدٌ منهم ستاً وثلاثين سنة، بل اتفقوا على هذا القدر من العمر.

عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام. سمع أباه، وروى عنه أخوه هشام، وابن عيينة.وكان قليل الحديث، وكان من وجوه قريش وساداهم، وكان جميل الوجه، حسن الثوب والمركب، عطراً، حتى كان أبوه يقول له وهو يغلف لحيته بالغالية: إني لأراها ستقطر. أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود والطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا مصعب بن عثمان قال: وفد عثمان بن عروة على مروان بن محمد فأخبر به، فقال: أنا راكب غداً، فلا ترونيه حتى أتوسمه في الناس، فركب، فتصفح وجوه الناس، ثم أقبل على بعض من معه فقال: ينبغي أن يكون هاذاك عثمان بن عروة، وأشار إليه. فقالوا: هو يا أمير المؤمنين. وكان وسيماً جسيماً فأعطاه مروان مائة ألف درهم، ثم قدم من عند مروان فأغلي كراء الحمر من كثرة من تلقاه. فقلت له: ولما ذاك؟ فقال: يرجون والله جوائزه.

واهب بن عبد الله، أبو عبد الله المعافري الكعبي. يروي عن: ابن عمر، وابن عمر، وعقبة بن عامر. روى عنه: ابن لهيعة وغيره. توفي في هذه السنة ببرقة، وكان قد عمر.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

فمن الحوادث فيها: دخول قسطنطين طاغية الروم ملطية عنوة،وقهره لأهلها، وهدمه سورها،إلا أنه عفا عمن فيها من المقاتلة و الذرية. وفيها غزا العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الصائفة مع صالح بن علي، فوصله صالح بأربعين ألف دينار، وخرج معهم عيسى بن علي، فوصله أيضاً بأربعين ألف دينار، وبنى صالح ما كان صاحب الروم هدمه من ملطية. وقد قيل إن خروج صالح والعباس إلى ملطية للغزو كان في سنة تسع وثلاثين ومائة.وفيها بايع عبد الله بن علي لأبي جعفر وهو مقيم بالبصرة مع أخيه سليمان بن علي.

وفيها خلع جهور بن مرار العجلي المنصور

وكان السبب أن جهور هزم سنباذ، وحوى ما في عسكره، وكان فيه خزائن أبي مسلم التي خلفها بالري، فلم يوجهها إلى أبي جعفر، فخاف فخلعه، فوجه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش عظيم، فلقيه محمد فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهرب جهور، فلحق بأذبيجان، ثم أخذ بعد ذلك وقتل.

وفيها قتل الملبد الخارجي

وقد ذكرنا شأنه في السنة التي قبلها، وما جرى له إلى أن تحصن منه حميد. ثم وجه أبو جعفر إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار، وضم إليه زياد بن مشكان، فأكمن له الملبد مائة فارس، فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين فهزموه وقتلوا عامة أصحابه، فوجه إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة في نحو من ثمانية آلاف، فالتقوا فتسايروا من مترل إلى مترل، فقتل الملبد في أكثر من ألف من أصحابه، وهرب الباقون فتبعهم فقتلوا منهم مائة وخمسين. وفي هذه السنة: حج بالناس الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس. وذكر أنه خرج من الشام حاجاً، فأدركته ولايته على الموسم والحج بالناس في الطريق، فمر بالمدينة، فأحرم منها. وكان زياد بن عبيد الله على مكة والمدينة والطائف. وعلى الكوفة وسوادها عيسى بن موسى. وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علي. وعلى قضائها سوار بن عبد الله. وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم. وعلى مصر صالح بن علي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر.

سليمان بن أبي سليمان وهو بن فيروز أبو إسحاق الشيباني. سمع ابن أبي أوفى، والشعبي، وعكرمة. روى عنه: سليمان التميمي، والدوري، وشعبة؛ توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

فمن الحادث فيها: إقامة صالح بن علي والعباس بن محمد بملطية حتى استما بناء ملطية، ثم غزوا الصائفة، فوغلا في أرض الروم. وفي هذه السنة: كان الفداء الذي جرى بين المنصور وصاحب الروم، واستقذ المنصور منهم أسرى المسلمين. وفيها: سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس، فملكه أهلها أمرهم، فولده ولاتها. وفيها: وسع أبو جعفر المسجد الحرام. وفيها: عزل سليمان بن علي عن ولاية البصرة وأعمالها، وولي ما كان إليه سفيان بن معاوية وذلك في رمضان. وقيل: إنما كان عزل ذلك وتوليه هذا في سنة أربعين، ولما عزل سليمان توارى عبد الله وأصحابه خوفاً على أنفسهم. فإنا قد ذكرنا أن عبد الله لما انهزم مضى إلى سليمان، فكان عنده، وكتب أبو جعفر إلى سليمان وعيسى بن علي في إشخاص عبد الله وأعطاهما الأمان ما رضيا به، فلما خرجا به أتى به وبأصحابه إلى أبي جعفر يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة. ولما دخل سليمان وعيس على أبي جعفر أعلماه حضور عبد الله، وسألاه الإذن له، فأنعم لهما بذلك، وشغلهما الحديث، وقد كان هيأ لعبد الله محبساً في قصره، وأمر إليه أن يصرف إليه بعد دخول سليمان وعيسى عليه، ففعل ذلك به، ثم قال لسليمان وعيسى: سارعا بعبد الله. فخرجا، فلم يرياه في المكان الذي خلفاه فيه، فعلما أنه قد حبس، فرجعا إلى أبي جعفر، فحيل بينهما وبينه، وقتل جماعة من أصحاب عبد الله وحبسوا. وفي هذه السنة: حج بالناس العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن

عبيد الله الطائي. وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى. وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية المهلبي، وعلى قضائها سوار بن عبد الله. وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم. وسميت هذه السنة بسنة الخصب، لاتصال الخصب فيها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جميل بن كريب المعافري

من أهل إفريقية. حدث عن أبي عبد الرحمن الجيلي، وكان من أهل العلم والدين.وسأله الأمير عبد الرحمن بن حبيب الفهري تولية القضاء فامتنع، وتمارض وشرب ماء التبن حتى اصفر لونه، فبعث إليه عبد الرحمن فقال له: إنما أردت أن تكون عوناً على الأمر، وأقلدك أمر المسلمين فتحكم علي وعلى من دوني بما تراه من الحق،فاتق الله في الناس.فقال له جميل: آلله إنك لتفعل؟ فقال: آلله، فقبل، فما مر إلا أيام حتى أتاه رجل يدعي على عبد الرحمن بن حبيب دعوى، فمضى معه إلى باب دار الإمارة، فقال للحاجب: أعلم الأمير بمكاني، وأن هذا يدعي عليه بدعوى. فدخل فأعلمه. وكان عبد الرحمن من أغنى من ولي إفريقية، فلبس رداء ونعلين وخرج إليه، فأقعده جميل مقعد الخصم مع صاحبه، ثن نظر بينهما، فأنصفه عبد الرحمن. وكان جميل يركب حماراً ورسنه ليف، وقعد فأراد أحدهما أن يمسك رأس الحمار، فمنعه وأمسكه هو، ثم ركب. وكان البربرقد رحلوا إلى القيروان، فخرج إليهم الناس ومعهم ابن كريب، فاقتتلوا فقتل أبن كريب في هذه السنة.

خالد بن يزيد مولى عمير بن وهب الجهني، يكنى أبا عبد الرحمن، كان فقيهاً مفتياً، وآخر من حدث عنه بمصر المفضل بن فضالة. توفي في هذه السنة.

داود بن أبي هند، أبو بكر واسم أبي هند: دينار مولى لآل الأعلم القشريين: ولد بسرخس، وروى عن أنس، وسعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، وأبي العالية، والحسن. وكان يفتي في زمن الحسن. أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا ابن المعروف قال: أخبرنا ابن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان قال: سمعت داود بن أبي هند يقول : أصابني يعني الطاعون فأغمي علي، وكأن اثنان أتياني، فغمز أحدهما عكوة لساني، وغمز الآخر اخمص قدمي، فقال: أي شيء تجد؟ فقال: تسبيحاً وتكبيراً، وشيئاً من خطو إلى المساجد وشيئاً من قراءة القرآن. قال: و لم أكن أخذت القرآن حينئذٍ، فعوفيت وأقبلت على القرآن فتعلمته. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد قال:أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثني الفضل بن جعفر عن عمرو بن علي قال: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود أربعين سنة لا يعلم به أهله. كان خزازاً يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق ويرجع عشياً فيفطر معهم.توفي داود في هذه السنة.

يونس بن عبيد، أبو عبد الله مولى لعبد القيس: اسند عن أنس ، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، وعكرمة. وكان عالماً ثقة زاهداً. أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني قال: حدثنا عمر بن أحمد بن عمرو قال: حدثنا رستة قال: سمعت زهيراً يقول: كان يونس بن عبيد خزازً، فجاء رجل يطلب ثوباً،فقال لغلامه: انشر الرزمة. وضرب بيده على الرزمة وقال: صلى الله على محمد. فقال: ارفعه. وأبى أن يبيعه مخافة أن يكون قد مدحه. قال أبو نعيم: وحدثنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن المثنى قال: حدثنا هدبة بن خالد قال: حدثنا أمية بن بسطام قال: كان يونس بن عبيد يشتري الأبريسم من البصرة

فيبعث به إلى وكيله بالسوس، وكان وكيله كتب إليه أن المتاع عندهم زائد قال أبو نعيم: وحدثنا أبو محمد بن حباب قال: حدثنا محمد بن أحمد بن معدان قال: حدثنا ابن وارة قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثنا مؤمن بن إسماعيل قال: جاء رجل من أهل الشام إلى سرق الخزازين، فقال: أريد مطرفاً بأربعمائة. قال يونس بن عبيد: عندنا بمائتي درهم، فنادى مناد بالصلاة. فانطلق يونس إلى بني بشير ليصلي بهم، فجاء وقد باع ابن أخيه المطرف من الشام بأربعمائة، وقال يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذاك المطرف بعناه من هذا الرجل. قال يونس: يا عبد الله، هذا الذي عرضت عليك بمائتي درهم، فإن شئت فخذه وخذ مائتين، وإن شئت فدعه. قال: من أنت؟ قال: رجل من المسلمين. قال: بل أسألك بالله من أنت؟ وما اسمك؟ قال: يونس بن عبيد. قال: فو الله إنا لنكون في نحر العدو، فإذا اشتد الأمر علينا قلنا اللهم رب يونس بن عبيد فرج عنا. أو شبيه هذا. فقال يونس: سبحان الله، سبحان الله. توفي يونس في هذه السنة. وقيل: في سنة أربع وثلاثين ومائة.

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

فمن الحوادث فيها: أن ناساً من الجند وثبوا على أبي داود بن إبراهيم عامل خراسان، فأشرف عليهم من حائط المترل الذي هو فيه، فوقع فانكسر ظهره فمات، فولى أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان، وقدمها فأخذ بها ناساً من القواد ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد علي بن أبي طالب فقتلهم. وفي هذه السنة: خرج أبو جعفر المنصور حاجاً، فأحرم من الحيرة، ثم رجع بعدما قضى الحج إلى المدينة، فتوجه منها إلى بيت المقدس، فصلى في مسجدها، ثم سلك إلى الشام منصرفاً حتى انتهى إلى الرقة فترلها، وكتب إلى صالح بن علي يأمره ببناء المصيصة، ثم خرج منها إلى ناحية الكوفة، فترل المدينة الهاشمية بالكوفة، ثم انتقل عنها، فاختط مدينة السلام. أنبأنا الحسين بن محمد البارع قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يحيى بن محمد قال: حدثني أبو منصور عبد الرحمن بن صالح بن دينار قال: حج أبو جعفر المنصور فأعطى أشراف القرشيين ألف دينار لكل واحد منهم، فلم يترك أحداً من أهل المدينة إلا أعطاه، إلا أنه لم يبلغ واحد ما بلغ بالأشراف، فكان ممن أعطاه الألف دينار سليم بن عروة، ويعطي قواعد قريش صحاف الذهب والفضة وكساهن، وأعطى بالمدينة عطايا لم يعطها أحد. وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان، فإن عاملها كان عبد الجبار. وحج المنصور بالناس. وما عرفنا أحداً من الأكابر توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها: قدوم المنصور من الحج إلى المدينة، ثم إلى بيت المقدس، فصلى فيه، ثم انحدر إلى الرقة، وقتل بها منصور بن جعونة، لأن المنصور قال: احمدوا الله يا أهل الشام، فقد رفع عنكم بولايتنا الطاعون. فقال منصور: الله أكرم من أن يجمعك علينا والطاعون. ثم انحدر نت الشام إلى شط الفرات حتى نزل الهاشمية بالكوفة.

وفيها: كان خروج الراوندية: وهم قوم من أهل خراسان كانوا على رأي أبي مسلم، إلا أنهم يقولون بتناسخ الأرواح، ويدعون أن روح آدم عليه السلام في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبرائيل.

وهؤلاء طائفة من الباطنية يسمون السبعية يقولون: الأرضون سبع، والسموات سبع، والأسبوع سبعة، يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة. فعدو: العباس، ثم ابنه عبد الله، ثم ابنه علي، ثم محمد بن علي، ثم إبراهيم، ثم السفاح، ثم المنصور، فقالوا: هو السابع. وكانوا يطوفون حول قصر المنصور ويقولون: هذا قصر ربنا. فأرسل المنصور فحبس منهم مائتين وكانوا ستمائة فغضب أصحابهم الباقون ودخلوا السجن، فأخرجوهم وقصدوا نحو المنصور، فتنادى الناس، وغلقت أبواب المدينة، وخرج المنصور ماشياً ولم يكن عنده دابة، فمن ذلك الوقت ارتبط فرساً، فسمي: فرس النوبة، يكون معه في قصره، فأتى بدابةٍ وركبها، وجاء معن بن زائدة فرمى بنفسه وقال: أنشدك الله عز وجل يا أمير المؤمنين إلا رجعت، فإني أخاف عليك. فلم يقبل وخرج، فاجتمع إليه الناس، وجاء عثمان بن نهيك فكلمهم، فرموه بنشابة وكانت سبب هلاكه، ثم حمل الناس عليهم فقتلوهم، وكان ذلك في المدينة الهاشمية بالكوفة في سنة إحدى وأربعين. وقد زعم بعضهم أن ذلك كان في سنة ست وأربعين أو سبع وأربعين ومائة. وفي هذه السنة: وجه أبو جعفر المنصور ابنه محمداً وهو ولي عهده يومئذ إلى خراسان في الجنود، وأمره بنزول الري، ففعل.

وفيها خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل أبي جعفر على خراسان

وسبب ذلك: أن المنصور بلغه عن عبد الجبار أنه يقتل رؤساء أهل خراسان، وأتاه من بعضهم كتاب فيه: قد نغل الأديم، فقال لأبي أيوب: إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا، وما فعل هذا إلا وهو يريد أن يخلع. فقال: اكتب إليه: إنك تريد غزو الروم، فيوجه إليك الجنود من خراسان، فإذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت، فليس به امتناع. فكتب بذلك إليه، فأجابه: أن الترك قد جاشت وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان. فقال لأبي أيوب: ما ترى؟ فقال: اكتب إليه: أن خراسان أهم إلي من غيرها، وأنا موجه إليك من قبلي. ثم وجه إليه الجنود ليكونوا بخراسان، فإن هم بخلع أخذوا بعنقه. فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه: إن خراسان لم تكن قط أسوأ حالاً منها في هذا العام، وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر، فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب فقال له: قد أبدى صفحته وقد خلع فلا تناظره. فشخص المهدي، فلما بلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا إلى عبد الجبار فناصبوه الحرب فهزم، فتبعه أحدهم فأخذه أسيراً وحمل إلى المنصور في مدرعة صوف على بعير، ووجهه من قبل عجزه، ومعه ولده وأصحابه، فبسط عليهم العذاب حتى استخرج منهم الأموال، وأمر المسيب بقطع يد عبد الجبار ورجليه، وضرب عنقه ففعل. وقال الواقدي: كان هذا سنة اثنتين وأربعين.

وفيها فتحت طبرستان

وذلك أنه لما وجه المنصور المهدي إلى الري لقتال عبد الجبار، فكفى أمره، كره المنصور أن يضيع نفقات التي أنفقت على المهدي، فكتب إليه أن يغزو طبرستان، فذهب فطالت الحروب، فوجه أبو جعفر عمر بن العلاء الذي يقول فيه بشار:

فقل للخليفة إن جئته ... نصيحاً ولا خير في المتهم

إذا أيقظتك حروب العدا ... فنبه لها عمراً ثم نم

وفي هذه السنة: فرغ من بناء المصيصة على يدي جبرائيل بن يحيى الخراساني، ورابط محمد بن إبراهيم الإمام بملطية. وفيها عزل زياد بن عبيد عن المدينة ومكة والطائف، واستعمل على المدينة محمد بن خالد فقدمها في رجب، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية العتكي. وفي هذه السنة: حج بالناس صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو على قنسرين وحمص ودمشق، وعلى المدينة: محمد بن خالد بن عبد الله القسري، وعلى مكة و الطائف: الهيثم بن معاوية .

وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى خراسان المهدي، وخليفته بها أسد بن عبد الله، وعلى مصر نوفل بن الفرات.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خالد بن مهران، أبو المنازل الحذاء مولى لقريش لآل عبد الله بن عامر بن كرز. سمع الحسن، وابن سيرين، وأبا قلابة. وكان ثقة، و لم يكن حذاء. وفي تلقيبه بالحذاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يجلس إلى حذاء، فلقب بذلك، قاله يزيد بن هارون. والثاني: أنه تزوج امرأة فنزل عليها في الحذائين. ذكره الخطابي. والثالث أن كان إذا تكلم يقول: احذوا على هذا النحو، فلقي بالحذاء. قاله فهد بن حبان القيسي. توفي في هذه السنة. وقيل: في سنة اثنتين وأربعين.

سلمة بن دينار، أبو حازم

مولى بن أشجع. كان أعرج زاهداً عابداً، يقص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة. وكان ثقة كثير الحديث. اسند عن ابن عمر، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك. قالت له امرأته: هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا مما يصلحنا فيه، وذكرت الثياب، والطعام، والحطب، فقال: من أين هذا كله؟ ولكن خذي فيما لا بد منه: الموت، والبعث، ثم الوقوف بين يدي الله، ثم الجنة والنار. كان يقول: ما مضى من الدنيا فحلم، ومل بقي فأماني. أخبرنا عبد المالك الكروخي قال: أنبأنا أبو عبد الله بن محمد بن علي بن عمير قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد القاضي قال: حدثنا أبو سعيد محمد بن حميد المرواني قال: حدثني محمد بن المنذر قال:حدثني محمد بن يوسف قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا محمد بن إسحاق الموصلي قال: قال أبو حازم إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها، فإنه لو قد جاء يوم نفاقها لم نصل منها إلى قليل ولا كثير. أخبرنا عبد الخالق بن أحمد قال: أخبرنا علي بن محمد بن إسحاق قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الراوي قال: أخبرنا جعفر بن عبيد الله بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن هارون الروياني قال: حدثنا يحيى بن المغيرة قال: حدثنا عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم قال: حدثني أبي قال: بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبي حازم فجاءه فقال: يا أبا حازم، مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم أخراكم، وأعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون ان تنتقلوا من العمران إلى الخراب. قال: صدقت، فكيف القدوم على الله عز وجل؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فاكالآبق يقدم على مولاه. فبكى سليمان وقال: ليت شعري مالنا عند الله يا أبا حازم؟ فقال: أعرض نفسك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عند الله. قال: يا أبا حازم، وأين أصيب ذلك؟ قال: عند قوله عز وجل" إن الأبرار لفي نعيم وأن الفجار لفي جحيم" فقال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال:"قريب من المحسنين" قال: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: اعفني من هذا. قال سليمان: نصيحة تلقيها. قال أبو حازم: إن ناساً أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماع من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم ارتحلوا عنها، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم. فقال بعض جلسائه:

بئس ما قلت يا شيخ. فقال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. فقال سليمان:أصبحنا يا أبا حازم تصب منا ونصب منك. قال: أعوذ بالله من ذلك. قال: و لم؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات. قال: فأشر علي. قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك. فقال: يا أبا حازم ادع لنا بخير. فقال: الله إن كان سليمان وليك فيسره للخير وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته. فقال: يا غلام، هات مائة دينار. ثم قال: خذها يا أبا حازم. قال: لا حاجة لي فيها، إني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي. وكان سليمان أعجب بأبي حازم فقال لزهري: إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط. فقال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتني، ولو أحببت الله لأحببتني. قال الزهري: أتشتمني؟ قال سليمان: بل أنت شتمت نفسك، أما علمت أن للجار على جاره حقاً؟ فقال أبو حازم: إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء، فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم وأتوا به إلى الأمراء، فاستغنت به عن الزهاد، واجتمع القوم على المعصية، فسقطوا وانتكسوا، ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم. قال الزهري:كأنك إياي تريد، وبي تعرض. قال: هو ما تسمع. أخبرنا ظفر بن علي بن العباس المهراني قال: أخبرنا أبو الحسن فيد بن عبد الرحمن بن الحسن بن شادي قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن سعيد قال: أخبرنا أبو زرعة أحمد بن الحسين الرازي قال: أخبرنا العباس بن عبد الله المزني قال: حدثنا المبرد، عن الرياشي، عن الأصمعي قال: دخل أبو حازم الطواف، فإذا هو بامرأة سافرة عن وجهها تطوف، وقد فتنت الناس بحسن وجهها فقال: يا هذه ألا تخمرين وجهك؟ فقالت: يا أبا حازم، إنا من اللواتي يقول فيهن الشاعر:

أماطت قناع الخز عن حر وجهها	وأبدت من الخدين برداًمهلهلا
من اللائي لم يحججن تبغين ريبة	ولكن ليقتلن البريء المغفلا
وترمي بعينيها القلوب إذا بدت	لها نظر لم يخط للحي مقتلا

فأقبل أبو حازم إلى أهل الطواف فقال: يا أهل بيت الله، تعالوا ندعو الله أن لا يعذب هذا الوجه بالنار، فذكر ذلك لسعيد بن المسيب، فقال: لو كان من بعض أهل العراق لقال: يا عدوة الله، ولكن ظرف أهل الحجاز. أبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر القرشي قال: أخبرنا الحسن بن عبد العزيز قال: حدثنا الحارث بن مسكين قال: أخبرنا ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن سليمان العمري قال: رأيت أبا جعفر القارىء في المنام فقلت له: أبا جعفر. فقال: نعم، أقرىء أبا حازم السلام وقل له: يقول لك: الكيس الكيس، فإن الله وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات.

موسى بن كعب كان على بسط المنصور وعلى مصر والهند، وكان خليفته على الهند ابنه عيينة. توفي موسى في هذه السنة.

ثم دخلت سنة اثنين وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها: خروج المنصور حتى نزل عند جسر البصرة الأكبر، وبنى لهم قبلتهم التي يصلون إليها في عيدهم بالحمان، واستعمل عيسى بن عمرو الكندي على البصرة، ومعن بن زائدة على اليمن. ووجه عمر بن أبي حفص بن أبي صفرة عاملاً على السند والهند، ومحارباً لعيينة بن موسى، فسار حتى ورد السند، وغلب عليها.

وفي هذه السنة

نقض إصبهبذ طبرستان العهد بينه وبين المسلمين

وقتل من كان ببلاده من المسلمين

وكان من حديثه أن أبا جعفر لما انتهى إليه خبر الإصبهذ وما فعل بالمسلمين وجه إليه جماعة منهم أبو الخصيب، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه في حصنه، فطال عليهم المقام، فاحتال أبو الخصيب فقال لأصحابه: اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي. ففعلوا ذلك به، ولحق بالإصبهبذ صاحب الحصن، فقال له: إنه ركب مني أمرٌ عظيم، وإنما فعلوا بي هذا تهمةً لي أن يكون هواي معك، فأخبره أنه معه، وأنه دليل على عورة عسكرهم. فقبل ذلك اللإصبهبذ وجعله في خاصته، وألطفه، وكان على باب مدينتهم من حجر يلقى إلقاء، تدفعه الرجال وتضعه عند فتحه وإغلاقه. وكان قد وكل به الإصبهبذ ثقات أصحابه، وجعل ذلك نوباً بينهم، وجعل أبو الخصيب فيمن ينوب عن ذلك، فكتب إلى أصحابه، وجعل الكتاب في نشابة ورماها إليهم، وأعلمهم أنه قد ظفر بالحيلة، ووعدهم ليلة سماها في فتح الباب، فلما كانت الليلة فتح لهم، فقتلوا من فيها من المقاتلة، وسبوا الذراري، فظفروا بأم منصور المهدي، وأم إبراهيم المهدي. فمص الإصبهبذ خاتماً له كان فيه سم فقتل نفسه. وقيل: إن هذا كان سنة ثلاث وأربعين. وفي هذه السنة: عزل نوفل بن الفرات عن مصر ووليها محمد بن الأشعث، ثم عزل محمد ووليها نوفل، ثم عزل نوفل ووليها حميد بن قحطبة. وفيها ولى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور، وضم إليه عدة من القواد. وفيها: اختط المنصور بغداد، و لم يشرع في البناء. وفيها: حج بالناس إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس. وكان العامل بالمدينة محمد بن عبد الله، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى مصر حميد بن قحطبة بن شبيب.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حميد بن هانئ، أبو هانئ الخولاني روى عن أبي قتيل، وشقي بن ماتع وغيرهما. حدث عنه الليث، وابن لهيعة، وآخر من حدث عنه بمصر إسحاق بن الفرات. وتوفي في هذه السنة.

سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس

أمه أم ولد، ولي الإمارة بالبصرة وغيرها، ولاه المنصور. أخبرنا محمد بن عمر الدموي قال: أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن المأمون قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن الحسن المأمون قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا محمد بن مجيب المازني قال: حدثني أبي قال: لما قدم سليمان بن علي البصرة والياً عليها قيل له: إن بالمربد رجلاً من بني سعد مجنوناً سريع الجواب، لا يتكلم إلا بالشعر.

فأرسل إليه سليمان بن علي قهرماناً له، وكان المجنون يعمل على ناقة له، فاستاق القهرمان الناقة، وأتى بهما إلى سليمان بن علي، فلما وقف بين يديه قال له سليمان: حياك الله يا أخا بني سعد،فقال:

حياك رب الناس من أمير ... يافاضل الأصل عظيم الخبر

إني أتاني الفاسق الجلواز ... والقلب قد طار به اهتزاز

فقال سليمان: إنما بعثته إليك ليشتري ناقتك. فقال:

ما قال شيئاً في شراء الناقة ... وقد إتى بالجهل والحماقة

فقال: ما أتي؟ فقال:

خرق سربالي وشق بردتي ... وكان وجهي في الملا وزينتي

فقال: نخلف عليك، أفتعزم على بيع الناقة. فقال:

أبيعها من بعد مال أوكس ... والبيع في الأوان أكيس

قال: كم شراؤها عليك؟ فقال:

شراؤها عشر ببطن مكة ... من الدنانير القيام السكة

ولا أبع الدهر أو أزاد ... إني لربح في الشرا معتاد

قال: فبكم تبيعها؟ فقال:

خذها بعشر و بخمس وازنه ... فإنها ناقة صدق مازنة

فقال: تحنطا وتحسن.فقال:

تبارك الله العلي العالي ... تسألني الحط وأنت الوالي

قال: فنأخذها ولا نعطيك شيئاً. فقال:

فأين ربي ذو الجلال الأفضل ... إن أنت لم تخشى الإله فافعل

فقال: كم نزن لك فيها؟ فقال:

والله ما ينعشني ما تعطي ... ولا يداني الفقر مني خطي

خذها بما أحببت يا ابن عباس ... يا ابن الكرام من قريش والراس

فأمر له سليمان بألف درهم وعشرة أثواب، فقال:

إني رمتني نحوك العجاج ... ولي عيال معدم محتاج

طاوي المطي ضيق المعيش ... فأنبت الله لديك ريش

شرفتني منك بألف فاخرة ... شرفك الله بها في الآخره

فقال سليمان بن علي: من يقول هذا مجنون!؟ ما كلمت أعرابياً قط أعقل منه. توفي سليمان بالبصرة في هذه السنة، وهو ابن تسع وخمسين، وصلى عليه أخوه عبد الصمد بن علي.
عاصم بن سليمان، عبد الرحمن الأحول البصري سمع أنساً، وعبد الله بن سرخس، والحسن.وولي القضاء بالمدائن في خلافة المنصور، وكان وكان يحتسب على المكاييل و الموازين، وهو معدود في كتاب الحفاظ الثقات.عن محمد بن عبادة قال: حدثني أبي قال: ربما رئي عاصم الأحول وهو صائم فيفطر، فإذا صلى العشاء تنحى فصلى، فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، لا يضع جنبه. توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها أن

الخبر جاء إلى المنصور بأن الديلم أوقعوا بالمسلمين

وقتلوا مقتلة عظيمة، فبعث أهل البصرة والكوفة لجهادهم. وفيها: عزل الهيثم بمن معاوية عن مكة و الطائف، وولي ما كان إليه من ذلك السري بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب، فأتى السري عهده على ذلك وهو باليمامة، فسار إلى مكة.ووجه المنصور إلى اليمامة محمد بن العباس بن عبد الله بن عباس. وفي هذه السنة: عزل حميد بن قحطبة عن مصر، ووليها نوفل، ثم عزل ووليها يزيد بن حاتم. وفي هذه السنة: حج بالناس عيسى بن موسى، وكان إليه ولاية الكوفة وسوادها، وكان عامل مكة والمدينة السري بن عبد الله، وعامل البصرة سفيان بن معاوية، وكان على قضائها سوار، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حميد بن مهران، أبو عبيدة الطويل مولى لخزاعة، ولد سنة ثمان وستين.
حيي بن شريح، أبو عبد الله المعافري ثم الحبلي: روى عنه: ابن لهيعة وغيره، وآخر من حدث عنه بمصر ابن وهب. توفي في هذه السنة.
سليمان بن طرخان، أبو المعتمر التيمي
نزل في التيم فنسب إليهم وليس بتيمي. وكان ثقة من العباد يصلي الغداة بوضوء صلاة العشاء، وكان هو وابنه المعتمر يدوران الليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد وفي هذا المسجد حتى يصبحا. أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب قال: أخبرني علي بن عبد الله بن أبي صادق قال: أخبرنا ابن باكويه قال: حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال: حدثنا عبد الله بن أبي القاسم قال: حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء قال:حدثنا أحمد بن الزورقي قال : حدثنا الوليد بن صالح قال : سمعت حماد بن سلمة يقول: ما أبقى سليمان التيمي من ساعة يطاع الله فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً، وإن لم يكن في ساعة صلاة وجدناه إما يتوضأ للصلاة أو عائداً لمريض أو مشيعاً لجنازة أو قاعداً في المسجد يسبح، وكنا نرى أنه لا يحسن أن يعصي الله عز وجل. أخبرنا ابن

ناصر قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن الحسين بن علي بن يحيى قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: سمعت معتمر بن سليمان يقول: لولا أنك بين أهلي ما حدثتك عن أبي بهذا، مكث أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلي الصبح بوضوء العشاء، وربما أحدث الوضوء من غير نوم. قال أبو نعيم: وحدثنا أبو حامد بن جميل قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا يوسف بن موسى قال: سمعت جريراً، عن رقبة قال: رأيت رب العزة في المنام، فقال: وعزتي لأكرمن مثوى سليمان؛ يعني التيمي. وبلغنا من طريق آخر قال: رأيت رب العزة في النوم فقال لي:يا رقبة، وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي، فإنه صلى لي أربعين سنة الغداة على ظهر العتمة. قال: فجئت إلى سليمان فحدثته فقال: أنت رأيت هذا؟ قلت: نعم. قال: لأحدثنك بمائة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جئتني بهذه البشارة. قال: فلما كان بعد مديدة مات فرأيته في المنام. فقلت ما فعل الله بك. قال: غفر لي وأدناني وقربني غلفني بيده. وقال: هكذا أفعل بأبناء ثلاث وثمانين. أسند سليمان التميمي عن أنس بن مالك وعن جماعة من أكابر التابعين. وتوفي بالبصرة.

فاطمة بنت محمد بن المنكدر

أخبرنا محمد بن ناصر بإسناد له عن إبراهيم بن مسلم القرشي قال: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها، فإذا جنها الليل تنادي بصوت حزين: هدأ الليل، واختلط الظلام، وأوى كل حبيب إلى حبيبه، وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار.

يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو

بن سهل بن ثعلبة، أبو سعيد الأنصاري المدني

سمع من أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وغبد الله بن عامر بن ربيعة، وسعيد بن المسيب، والقاسم، وغيرهم. ثم روى عنه هشام بن عروة، ومالك، وابن جريح، وشعبة، وغيرهم. وكان فقيهاً ثقة يتولى القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في أيام الوليد بن عبد الملك، أقدمه المنصور العراق وولاه القضاء بالهاشمية، وذلك قبل أن تبنى العراق. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا التنوخي قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر قال: حدثني علي بن محمد بن عبيد قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا يحيى بن محمد بن طلحة قال: حدثني سليمان بن بلال قال: كان يحيى بن سعيد قد ساءت حاله، وأصابه ضيق شديد، وركبه الدين، فبينا هو على ذلك إذ أتاه كتاب أبي العباس يستقضيه. قال سليمان: فوكلني يحيى بأهله وقال لي: والله ما خرجت وأنا أجهل شيئاً، وأنه والله لأول خصمين جلسا بين يدي، فاقتضيا بشيء والله ما سمعته قط، فإذا جاءك كتابي هذا فسل ربيعة واكتب إلي بما يقول، ولا يعلم أنني كتبت إليك بذلك. حدثنا القزاز قال: حدثنا أحمد بن علي قال: أخبرنا عمر بن المهدي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال: حدثني جدي قال: حدثني أبو بكر بن أبي الأسود قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن وهيب قال: قدمت المدينة فما رأيت أحداً إلا يعرف وينكر إلا يحيى بن سعيد، ومالك بن أنس. توفي يحيى بالهاشمية من الأنبار في هذه السنة. وقيل: سنة أربع. وقيل: سنة ست.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

غزو الديلم

وفيها انصرف المهدي عن خراسان إلى العراق، وشخص أبو جعفر إلى قنسرين، فلقيه بها ابنه محمد، فانصرفا جميعاً إلى الحيرة. وفيها: بنى المهدي عند مقدمه من خراسان بابنة عمه ريطة بنت أبي العباس. وفيها: ولى أبو جعفر رباح بن عثمان المري المدينة، وعزل محمد بن خالد القسري عنها. وكان السبب في ذلك أن أبا جعفر أهمه أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن وتخلفهما عن حضوره؛ مع من شهده من بني هاشم عام حج في حياة أخيه أبي العباس، ومعه أبو مسلم. وقد ذكر أن محمداً كان يذكر أن أبا جعفر ممن بايع له ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطراب مروان. فسأل أبو جعفر عن محمد وإبراهيم حين حج و لم يرهما، فقال له زياد بن عبد الله: ما يهمك من أمرهما! أنا آتيك بهما. فضمنه إياهما، وأقره على المدينة. ولما ولي أبو جعفر لم يكن له هم إلا طلب محمد، والسؤال عنه، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً يخلو به، فيسألهم عنه فيقولون: هو يخافك على نفسه، وما يريد بذلك خلافاً إلا حسن بن يزيد، فإنه أخبره خبره، وقال: والله ما آمن عليك؛ وإنه ما ينام عنك. فنظر المنصور إلى رجل له فطنةٌ يقال له: عقبة بن سالم، فقال له: أخف شخصك، واستر أمرك، وآتني لأمر إن كفيتنيه رفعتك. فأتاه فقال له: إن بني عمنا هؤلاء قد أبو إلا كيداً لملكنا، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف من بلادهم، فأخرج بكساً وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه أهل هذه القرية، ثم تسبر ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم فأحبب والله بهم وأقرب، وإن كانوا على رأيهم علمت ذلك، فأشخص حتى تلقى عبد الله بن حسن، فإن جبهك وهو فاعل فاصبر وعاوده حتى يأنس بك، فإذا أظهر لك ما قبله فاعجل علي. فشخص حتى قدم على عبد الله، فلقيه بالكتاب فأنكره ونهره وقال: ما أعرف هؤلاء القوم؛ فلم يزل ينصرف ويعود إليه حتى قبل كتابه وألطافه وآنس به، فسأله الجواب، فقال: إني لا أكتب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني خارجان لوقت كذا وكذا. فقدم على أبي جعفر فأخبره الخبر، فأنشأ حينئذ الحج وقال لعقبة: إني إذا صرت بمكان كذا وكذا لقيني بنو حسن، فيهم عبد الله، فأنا مبجله ورافعٌ مجلسه وداعٍ بالغداء، فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائماً، فإنه سيصرف بصره، فعد حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينه منك، ثم حسبك، وإياك أن يراك ما دام يأكل.فخرج حتى إذا تدفع في البلاد لقيه بنو حسن، فأجلس عبد الله إلى جانبه، ثم دعا بالغداء، فأصابوا منه، ثم أمر به فرفع، فأقبل على عبد الله فقال: يا محمد، قد علمت ما أعطيتني من المواثيق والعهود ألا تبغيني سوءاً، ولا تكيد لي سلطاناً. قال: فأنا على ذاك يا أمير المؤمنين. فلحظ أبو جعفر عقبة، فاستدار حتى قام بين يدي عبد الله، فأعرض عنه، فاستدار حتى قام من وراء ظهره؛ فغمزه بإصبعه، فرفع رأسه، فملأ عينه منه، فوثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله. قال: لا أقالني الله إن أقلتك. ثم أمر بحبسه. وفي رواية: أن المنصور أتاه عبد الله بن حسن، فجلس عنده، إذ تكلم المهدي فلحن، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر لهذا من يعدل لسانه، فأحفظ المنصور من هذا وقال: أين ابنك؟ قال: لا أدري. قال: لتأتيني به. قال: لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه. قال: يا ربيع، قم به إلى الحبس. وقيل: إن حبسه كان في سنة أربعين، فأقام في الحبس ثلاث سنين. ولما حبسه جد في طلب ابنيه وبعث عيناً له، وكتب معه كتباً على ألسن الشيعة إلى محمد

يذكرون طاعتهم، وبعث معه بمال وألطاف، فقدم الرجل المدينة، فسأل عن محمد، فذكر له أنه في جبل جهينة، فمضى إليه، فعلم حاله، ثم عاد إلى أبي جعفر، فكتب أبو جعفر إلى زياد بن عبيد الله يتنجزه ما ضمن له من أمر محمد، فأعان زياد محمداً وقال له: اذهب حيث شئت، فما ينالك مني مكروه. فبعث أبو جعفر من شد زياداً في الحديد، وأخذ جميع ماله، ووجد في بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار، وأخذ عماله، وشخص بالكل إلى أبي جعفر، فقال له زياد: إن دماء بني فاطمة علي عزيزة. واستعمل أبو جعفر محمد بن خالد بعد زياد، أمره بالجد في طلب محمد، ثم استبطأه فعزله، وولى رياح بن عثمان بن حيان

المدينة، وأمره بالجد في طلبهما، فخرج مسرعاً، فقدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من رمضان سنة أربع وأربعين ومائة. وكان عند أبي جعفر مرآة يرى بها ما في الأرض جميعاً، يقال إنها نزلت على آدم، وصارت إلى سليمان بن داود، ثم ذهبت بها الشياطين وبقيت منها بقية صارت إلى بني إسرائيل، فأخذها رأس جالوت، فأتى بها مروان بن محمد، فكان يحكيها ثم يجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ما يكره، فرمى بها وضرب عنق رأس جالوت، فلما استخلف أبو جعفر طلبها، فأتي بها،فكان يرى فيها محمد بن عبد الله بن حسن، فيكتب إلى رياح: إن محمداً ببلاد فيها الأترج و الأعناب، فاطلبه بها، فيطلبه فلا يجد، فيكتب إليه أنه ببلاد فيها الجبال فلا يجد. وكان السبب: أن محمداً كان لا يقيم بمكان إلا يسيراً، فاخبر رياح أنه في شعب من شعاب رضوى، فاستعمل عمرو بن عثمان بن مالك، وأمره بطلبه، فخرج إليه بالخيل والرجال، ففزع منهم محمد، فأحضر شداً، فأفلت، وكان معه جارية وله منها ولد، فهربت الجارية، فسقط الصبي منها فتقطع، فقال محمد:

منخرق السربال يشكو المجى ... تبكيه أطراف مروٍ حداد

شرده الخوف فأزرى به ... كذاك من يكره حر الجلاد

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

وكان رياح في طلبه، فرآه محمد قد جاء في الخيل، فعدل إلى بئر فوقف بين قرنيها ليستقي الماء، فنظر إليه رياح فقال: قاتله الله أعرابياً ما أحسن ذراعه! ولقيه مرة أخرى، فجلس محمد وجعل ظهره مما يلي الطريق، وسدل هدب ردائه على وجهه، فقال: رياح؛ امرأة رأتنا فاستحيت. وكان محمد جسيماً عظيماً آدم شديد الأدمة. وطال على المنصور أمره فلا يقدر عليه، وقيل له: أتطمع أن تخرج محمد وإبراهيم، وابن حسن مخلون!؟ وكانوا ثلاثة عشر رجلاً. وحبس معهم محمد بن عبد الله العثماني وولدين له، فلم يزالوا محبوسين حتى حج أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومائة، فيلقاه رياح بالربذة فرده إلى المدينة، وأمر بإشخاص بني حسن إليه، وبإسخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخو بني حسن لأمهم فاطمة بنت حسين بن علي فحملهم إليه، وكان محمد وإبراهيم يأتيان معتمين كهيئة الأعراب، فيسايران أباهما و يسألانه ويستأذنانه في الخروج فيقول: لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك؛ و يقول: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين. وأمر أبو جعفر محمد بن عبد الله ففرقت اسطوانة مبنية ثم أدخل فيها، فبني عليه وهو حي. وكان أول من مات. من المحبوسين من بني حسن: إبراهيم بن حسن ثم عبد الله بن حسن وقد ذكرنا أن الذي حج بالناس في هذه السنة المنصور، وكان الوالي على مكة السري بن عبد الله، والوالي على المدينة رياح بن عثمان، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سفيان بن معاوية، وعلى قضائها سوار، وعلى مصر يزيد بن حاتم. وجرت للمنصور

في حجة قصة مع بعض الصالحين: أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح قال: حدثنا أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري عن إبراهيم بن أحمد الخشاب المقرئ قال: حدثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الرازي قال: حدثنا المثنى قال: حدثنا سلمة بن سلمة القرشي قاضي اليمن قال: سمعت أبا المهاجر المكي يقول: قدم المنصور مكة، فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل ويطوف ويصلي، ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه، أقيمت الصلاة، فيصلي بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر، فبينا هو يطوف إذا سمع رجلاً عند الملتزم و هو يقول: إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع. فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد، ثم أرسل إليه ودعاه، فصلى ركعتين، واستلم الركن، وأقبل مع الرسول، فسلم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع؟ فو الله لقد حشوت مسامعي ما أضرني فأقلقني، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أمنيتي على نفسي أنبأتك بالأمور من أصلها، وإلا احتجبت منك وأقتصر على نفسي، ففيها لي شغل شاغل. فقال: أنت آمنٌ على نفسك. فقال: يا أمير المؤمنين،إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من تابغي والفساد في الأرض لأنت. قال: ويحك، كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء بيدي، والحلو والحامض في قبضتي. قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله عز وجل أسترعاك أمور المسلمين بأموالهم، فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الآجر والجص، وأبواباً من الحديد، وحجبة معهم السلاح، واتخذت وزراء وأعواناً فجرة، إن نسيت لم يذكروك، وإن أحسنت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالرجال و السلاح، وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان، و لم تآمر بإيصال المظلوم والملهوف والجائع والعاري، وما أحد إلا وله في المال حق،فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك، وأمرت ألا يحجبوا عنك، تجبي المال ولا تقسمه، قالوا: هذا قد خان الله، فما لنا لا نخونه، وقد سخر لنا، وائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا أقصوه عنك حتى تسقط مترلته عندك، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا و الأموال ليتقوا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك الثروة والقوة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من

الرعية، وامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك، وأنت غافل، وإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إلى مدينتك، وإن أراد رفع قصة إليك عند ظهورك، وجدك قد نهيت عن ذلك، ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم،فإن جاء ذلك الرجل يبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك، فإن صرخ بين يديك ضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره، وأنت تنظر فلا تنكر ولا تغير، فما بقاء الإسلام وأهله على هذا، وقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي إليهم مظلوم إلا رفعت مظلمته، ولقد كان الرجل يأتي من أقصى الأرض حتى يبلغ سلطانهم فينادي: يا أهل الإسلام.فيبتدرونه مالك مالك.فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف له. وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض وبها ملك، فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم، فجعل يبكي، فقال له وزراؤه: مالك تبكي لا بكت عيناك؟ فقال: أما إني لست أبكي على المصيبة إذا نزلت بي، ولكن المظلوم بالباب يصرخ فلا أسمع صوته، وقال: أما إن كان ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب، نادوا في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم. فكان يركب الفيل في طرف النهار، هل يرى مظلوماً فينصفه. هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين

ورقته على شح نفسه في ملكه، وأنت مؤمن بالله عز وجل وابن عم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ألا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك!؟ فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاث: إن قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال، وما من مال إلا ومن دونه يد شحيحة تحويه، فلا يزال الله يلطف بذلك الطفل الصغير حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست بالذي تعطي، بل الله يعطي من يشاء ما يشاء. وإن قلت أجمع المال ليشتد سلطاني فقد أراك الله عز وجل عبراً فيمن كان قبلك م أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة، وما أعدوا من السلاح والكراع ما ضرك، وولد أبيك ما كنت فيه من الضعف حين أراد الله عز وجل بكم ما أراد، وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فو الله ما فوق ما أنت فيه منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح. يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال:لا. قال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك ما أنت فيه من ملك الدنيا، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم، وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك، و أضمرته جوارحك، فما تقول إذا انتزع ملك الدنيا من يدك، ودعاك إلى الحساب؟ هل يفي عنك ما كنت فيه شيئاً؟ فبكى المنصور بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته، ثم قال: يا ليتني لم أخلق و لم أك شيئاً. ثم قال: كيف احتيالي فيما خولت و لم أر من الناس إلا خائناً. قال: يا أمير المؤمنين، عليك بالأئمة الأعلام المرشدين. قال: ومن هم؟ قال: العلماء. قال: قد فروا مني. قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك، ولكن افتح الأبواب، وسهل الحجاب، وانتصر للمظلوم، وامنع الظالم، وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالعدل، وأنا ضامن لك عن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل. وجاء المؤذنون فسلموا عليه، وأقيمت الصلاة، فخرج فصلى بهم ثم قال للحارس: عليك بالرجل، فإن لم تأتني به لأضربن عنقك، واغتاظ عليه غيظاً عظيماً، فخرج الحرسي يطلب الرجل، فبينا هو يطوف إذا هو بالرجل قائم يصلي، ثم قال: يا ذا الرجل، أما تتقي الله؟ قال: بلى. قال: ما تعرفه؟ قال: فانطلق معي فقد يقتلني إن لم آته بك. قال :ليس إلى ذلك سبيل. قال : يقتلني. قال: ولا يقتلك. قال: كيف؟ قال: تحسن تقرأ؟ قال: لا. قال: فأخرج من مزود كان معه رقاع فيه شيء مكتوب،فقال: خذه فاجعله في جيبك، فإن فيه دعاء الفرج. قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا السعداء. قال: رحمك الله فقد أ حسنت إلي، فإن رأيت أن الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا السعداء. قال: رحمك الله فقد أحسنت إلي، فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله! قال: من دعا به صباحاً ومساءً هدمت ذنوبه، ودام سروره، ومحيت خطاياه، واستجيب دعاؤه، وبسط له في رزقه، وأعطي أمله، وأعين على عدوه، وكتب عند اله صديقاً، ولا يموت إلا شهيداً؛ تقول: اللهم كما لطفت في بعظمتك

دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، و علانية القول كالسر في علمك، فانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك؛ اجعل لي من هم أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً. اللهم إن عفوك عن ذنوبي، وتجاوزك عن خطيئتي و سترك على قبيح عملي، أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك، فصرت أدعوك آمناً،وأسألك مستأنساً، إنك المحسن إلي وإني المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تودداً لي وأتبغض إليك، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك، فعد بفضلك علي، إنك أنت التواب الرحيم. قال: فأخذته فصيرته في جيبي، ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين، فدخلت فسلمت عليه، فرفع رأسه ينظر إلي ويبتسم، ثم قال لي:

ويلك، تحسن السحر. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين. ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ، فقال: هذا الرق. ثم جعل يبكي، ثم قال: به نجوت، وأمر بنسخه، وأعطاني عشرة آلف درهم، ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذاك الخضر.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

خالد بن أبي يزيد وقيل ابن يزيد أبو عبد الرحمن الحراني، قدم بغداد، فسمع بها من حجاج بن محمد الأعور. قال يحيى بن معين:هو ثقة.توفي في هذه السنة.

سعيد بن أبي إياس، أبو مسعود الجريري منسوب إلى جرير بضم الجيم وهو جرير بن عباد، قبيلة معروفة، يروي عن أبي العلاء، وأبي نضرة. سمع منه الثوري، وشعبة، وكان ثقة، لكنه اختلط في آخر عمره. توفي في هذه السنة.

عبد الله بن المقفع

كان فصيح العبارة، جيد الكلام، وله: "اليتيمة" كتاب فيه آداب حسان. فمن ذلك أنه قال فيه: يا طالب العلم والأدب أعرف الأصول و الفصول فإن من الناس من يطلب الفصول مع إضاعة الأصول، فلا تكون دركهم دركاً، ومن أحرز الأصول اكتفى بها من الفصول، فإن أصاب الفصل بعد إحراز الأصل فهو أفضل، وأفضل الأمر أن تعقد على الإيمان، وتجتنب الكبائر، وتؤدي الفريضة، فإن قدرت أن تجاوز إلى الفقه والعبادة، فهو أفضل، وأصل الأمر في إصلاح البدن أن لا يحمل عليه من المآكل والمشارب والباءة إلا خفاً، ثم إن قدرت أن تعلم عن جميع منافع الجسد ومضاره فهو أفضل. وأصل الأمر في المعيشة أن لا تني عن طلب الحلال، وتحسن التقدير لما تفيد وتنفق، ولا تغرنك سعة تكون فيها، فإن أعظم الناس خطراً أحوجهم إلى التقدير، والملوك أحوج إليه من السوقة، فإن السوقة قد يعيشون بغير مال، والملوك لا قوام لهم إلا بالمال. وإن ابتليت بالسلطان فتغوث بالعلماء، وأعلم أن قائل المدح كمادح نفسه، و الراد له ممدوح، والقائل له معيب، إنك إن تلتمس رضا الناس تلتمس ما لا يدرك، فعليك بالتماس رضا الأخيار ذوي العقول، احرص الحرص كله على أن تكون خابراً بأمور عمالك، فإن المسيء يفرق من خبرتك قبل أن يصيبه وقعك، وإن المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفك، تعرف الناس فيما يعرفون من أخلاقك، إنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب، فإن ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجي.واعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء، فدعه للمهم، فإن مالك لا يغني الناس كلهم، فخصص به أهل الحق، وكرامتك لا تطيق العامة، فتوخ بها أ هل الفضل. واعلم إنما شغلت من رأيك في غير المهم أزرى بك في المهم، ليس للملك أن يغضب؛لأن القدرة من وراء حاجته، ولا أن يكذب؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على ما لا يريد، ولا أن يبخل؛ لأنه أول الناس عذراً في خوف الفقر، و لا أن يكون حقوداً؛ لأن خطره قد جل عن المجازاة، وليتفقد الوالي حاجة الأحرار فيسد بها طغيان السفلة فيقمعهم. وليتق حرم الكريم الجائع، واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع. وأحوج الناس إلى التثبيت الملوك، و اللئام أصبر أجساداً والكرام أصبر قلوباً. اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسم، و أتلفها للمال، وأفسدها للعقل، وأذهبها للوقار الأغلام بالنساء. ومن البلاء على الحر الغرم بهن، إنه لا ينفك يسأم ما عنده، وتطمح عيناه إلى ما ليس عنده، ومجهولاتهن خدع، وربما هجم على ما يظنه حسناً، وهو قبيح حتى لو لم يبق في الأرض إلا امرأة ظن أن لها شأناً غير شأن ما ذاق، وهذا من الحمق. ومن أتخم نفسه الطعام والشراب والنساء كان مما يصيبه انقطاع تلك اللذات عنه لخمود نار شهوته، فإن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك بربوة فافعل، لا تجالس أميراً بغير طريقته، فإنك إن لاقيت الجاهل بالعلم،

والغني بالبيان؛ ضيعت عقلك، و آذيت جليسك بحملك عليه ما لا يعرف، كمخاطبة الأعجمي بما لا يفقه، إذا نزل بك مهم، فإن كان مما له حيلة فلا يعجز، وإن كان مما لا حيلة له فلا يجرع. وقيل له: من أدبك؟ قال: نفسي، إذا رأيت شيئاً أذمه من غيري اجتنبه. وكان ابن المقفع مع هذه الفصاحة والأدب كريماً. أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي قال: أخبرنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي قال: حدثنا حمزة بن يوسف السهمي قال: أخبرنا عبد الله بن عدي الحافظ قال: أخبرنا ابن مكرم قال: حدثنا عمرو بن علي قال: سمعت أبا عاصم يقول: حدثنا محمد بن عمارة قال: لما ولي ابن شبرمة القضاء كتب إليه إسماعيل بن مسلم المكي: إنه قد أصابتني حاجة. فكتب إليه: الحق بنا نواسك. فخرج إسماعيل، فلما قدم تلقاه ابن المقفع. فقال: ما جاء بك بعد هذا السن؟ قال: أصابتني حاجة فكتبت إلى ابن شبرمة،فكتب إلي: الحق بنا نواسك. قال: استخف والله بك، لأنك من العجم، ولو كنت من العرب لبعث إليك في مصرك تملك على نفسك ثلاثة أيام لا تأتيه. قال: فانطلق بي إلى منزله، فلما كان في اليوم الثالث أتاني بسبعة آلاف درهم تنقص دريهمات، وأتمهما بخلخال، وقال: خذها الآن إن شئت، فأقم عندي، وإن شئت فأته، وإن شئت فارجع إلى مصرك. قلت: لا والله، لا آتيه ولا أقيم عندك. ورجعت إلى بلدي. وروى شبيب بن شيبة قال: كنا وقوفاً بالمربد وكان مواقف الأشراف إذ أقبل ابن المقفع فتشبثنا

به، وبادءناه بالسلام، فرد علينا، وقال: لو ملتم إلى داري، فودعتم أبدانكم، وأرحتم دوابكم. فملنا، فلما استقر بنا المكان قال لنا: أي الأمم أعقل؟ فنظر بعضنا إلى بعض وقلنا: لعله أراد أصله من فارس. فقلنا: فارس. فقال: ليسوا كذلك، إنهم ملكوا كثيراً من الأرض، وحووا عظيماً من الملك، وغلبوا على كثيرمن الخلق، ولبث فيهم عقد الأمر، فما استنبطوا شيئاً بعقولهم، ولا ابتدعوا حكماً في أنفسهم. قلنا: فالروم. قال: أصحاب صبغة. قلنا: فالصين. قال: أصحاب طرفة. قلنا: فالهند. قال: أصحاب فلسفة. قلنا: السودان.قال: شر خلق الله. قلنا: الترك. قال: كلاب مختلسة. قلنا: الخزر.قال: بقر سائمة. قلنا: فقل. قال: العرب. فضحكنا. قال: إني ماأردت موافقتكم، ولكني إذا فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة؛ إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها، ولا آثار أثرت، أصحاب إبل وغنم، وسكان شعر وأدم، يجود أحدهم بقوته، ويتفضل بمجهوده، ويشارك في ميسوره ومعسوره، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة، ويفعله فيصير حجة، ويحسن ما يشاء فيحسن، ويقبح ما يشاء فيقبح، أدبتهم أنفسهم، ورفعتهم هممهم، وأعلمتهم قلوبهم وألسنتهم، فرفع الله بهم أكرم الفخر، وبلغ بهم أشرف الذكر، وختم لهم بملك الدنيا على الدهر، وافتتح دينه وخلافته منهم إلى الحشر، فمن دفع حقهم خسر، ومن أنكر فضلهم خصم، ودفع الحق باللسان أكبت للجنان. واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد فقال الخليل: علمه أكثر من عقله. وكان المقفع مع هذا يتهم في دينه، فروي عن المهدي أنه قال: ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع. وقد حكى المرتضى عن الجاحظ أنه قال: كان المقفع ومطيع بن إياس ومنقذ بن زياد يتهمون في دينهم. قال المرتضى: ومر ابن المقفع ببيت نار للمجوس بعد أن أسلم، فتلمحه ثم قال:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل — حذر العدى وبه الفؤاد موكل

إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً — إليك مع الصدود لأميل

وكان ابن المقفع قد كتب كتاب أمير المؤمنين لعبد الله بن علي، وكتب فيه:ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق،

ودوابه حبس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حل من بيعته. فاشتد ذلك على المنصور، فكتب إلى سفيان بن معاوية وهو أمير البصرة فقتله. وروى أبو بكر الصولي: أن الربيع الحاجب قال: لما قرأ المنصور الأيمان الذي كتبه ابن المقفع قال: من كتب هذا؟ فقيل: رجل يقال له عبد الله بن المقفع يكتب لعميك سليمان وعيسى ابني علي بالبصرة، فكتب إلى عامله بالبصرة: لا يفلتنك ابن المقفع حتى تقتله. فاستأذن يوماً عليه مع وجوه أهل البصرة، فأخر سفيان إذنه وأذن لمن كان معه قبله، ثم أذن له، فلما صار بالدهلز عدل به إلى حجرة، فقتل فيها، وخرج القوم فرأوا غلمانه فسألوهم عنه، فقيل: دخل بعدكم، فخاصم سليمان وعيسى ابنا علي سفيان بن معاوية المهلبي وأشخصاه إلى المنصور، وقامت البينة العادلة بأن ابن المقفع دخل دار سفيان سليماً و لم يخرج منها. فقال المنصور: أنا أنظر في هذا، وأقيده به.ووعدهم الغد، فجاء سليمان ليلاً فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في صنيعك ومتبع أمرك أن تجري قتله علي. قال: لا ترع واحضر. فحضر وقامت البينة. فقال المنصور: أرأيتم إن قتلت سفيان بن معاوية بابن المقفع، ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب وأومأ إلى باب خلفه من ينصب لي نفسه حتى أقتله مكان سفيان؟ فرجعوا كلهم عن الشهادة واندفع الأمر. وروى أبو الحسن المدائني: أن ابن المقفع كان يعبث بسفيان بن معاوية بن بزيد بن المهلب بالحيرة، ويضحك منه، فغضب سفيان مرة وافترى عليه، فقال له ابن المقفع: يا ابن المغتلمة، والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى نكحها رجال أهل الشام؟ وكانت أم سفيان: ميسون بنت المغيرة بنت المهلب. فاضطغن عليه سفيان، فقدم سفيان بن علي، وعيسى بن علي ليكتبوا لعبد الله بن علي أماناً. وكان ابن المقفع يكتب لعيسى بن علي، وكان يتنوق في الشرط، فكتب فيما اشترط: إن قتله أمير المؤمنين فلا بيعة له. فقال المنصور: من يتوثق لهم؟ قالوا: ابن المقفع. قال: فما أحد يكفيني ابن المقفع. فكتب أبو الخصيب إلى سفيان بن معاوية يحكي له هذا الكلام عن أمير المؤمنين، فاعتزم على قتله إن أمكنه ذلك فاستدعاه فقال: أتذكر ما كنت تقول؟ قال: أنشدك الله أيها الأمير. فقال: أمي مغتلمة كما قلت إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد. فأمر بتنور فسجر حتى إذا حمي أمر أن تقطع أعضاؤه، فكلما قطعوا عضواً قال: ألقوه في النار. فيلقونه وهو ينظر إليه، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق التنور وقال: ليس علي في المثلة بك حرج؛ لأنك زنديق قد أفسدت الناس،واختفى أثره وقال عيسى لغلمانه: قل لسفيان: إن لم تكن قتلته فخله، وإن كنت قتلته فو الله لأطالبنك بدية. قال سفيان: ما أدري أين هو. فمضى عيسى إلى المنصور وقال: قتله سفيان فجيء بسفيان مقيداً، وجعل عيسى يطلب الشهود ويخاطب المنصور،ودخل الشهود فشهدوا، فقال لهم المنصور: قد شهدتم، فإن أتيتكم بابن المقفع حتى يخاطبكم، ما تروني صانعاً بكم؟ فقام الشهود، وضرب عيسى بن علي عن ذلك الحديث.

العلاء بن بشر الاسكندراني مولى قريش: سمع من القاسم بن محمد، وأبي عبد الرحمن الحبلي. روى عنه حيوة بن شريح، وابن لهيعة. وكان مستجاب الدعوة. توفي بالاسكندرية في هذه السنة.

عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان وباب من سبي فارس، كان عمرو يسكن البصرة، وجالس الحسن البصري، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة، فقال بالقدر، ودعا إليه، واعتزل أصحاب الحسن، وكان له سمت وإظهار زهد، ودخل على المنصور فوعظه. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن ثابت قال: خبرنا القاضي أبو عبد الله الحسن بن علي الصيمري قال: حدثنا محمد بن عمران بن موسى الكاتب قال: أخبرنا علي بن هلرون قال: أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ، عن أبيه، عن عقبة بن هارون قال: دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي بعد أن بايع له ببغداد، فقال: يا أبا عثمان، عظني. فقال: إن هذا الأمر أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك، فأحذرك ليلة تمخض بيوم ليلة بعده، ثم أنشده:

يا أيهذا الذي قد غره الأمل ... ودون ما يأمل التنغيص و الأجل

ألا ترى أنما الدنيا وزينتها ... كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا

حتوفها رصد، وعيشها نكد ... وصفوها كدر، وملكها دول

تظل تفرغ بالروعات ساكنها ... فما يصوغ له لين ولا جذل

كأنه للمنايا و الردى غرض ... تظل فيه بنات الدهر تنتصل

تديره ما أدارته دوائرها ... منها المصيب ومنها المخطىء الزلل

والنفس هاربة والموت يرصدها ... فكل عثرة رجل عندها جلل

والمرء يسعى بما يسعى لوارثه ... والقبر ما يسعى له الرجل

قال: فبكى المنصور. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الصيمري قال: حدثنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثنا أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني قال: حدثنا أبو العيناء محمد بن القاسم قال: حدثنا الفضل بن يعقوب قال: حدثني عمي إسحاق بن الفضل قال: بينا أن على باب المنصور وإلى جنبي عمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار، فترل عن حماره، ونحى البساط برجله، وجلس دونه، فالتفت إلي عمارة فقال: لا تزال بصرتكم ترمينا بأحمق. فما فصل كلامه من فيه، حتى خرج الربيع وهو يقول: أجب أمير المؤمنين، جعلني الله فداك. فمر متوكئاً عليه، فالتفت إلى عمارة فقلت: إن الرجل الذي استحمقت قد دعي وتركنا. قال: كثيراً ما يكون هذا. فأطال اللبث، ثم خرج الربيع وعمرو متوكئاً عليه، وهو يقول: يا غلام، حمار أبي عثمان. فما برح حتى على سرجه، وضم إليه نشر ثوبه، و استودعه الله. فأقبل عمارة على الربيع فقال: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلاً لو فعلتموه بولي عهدكم لكنتم قد قضيتم حقه. قال: فما غاب عنك والله ما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب. قال: فإن اتسع لك الحديث فحدثنا. فقال: ما هو إلا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه، فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبوداً، ثم انتقل هو و المهدي، وكان على المهدي سواده وسيفه، ثم أذن له، فلما دخل عليه بالخلافة فرد عليه، ومازال يدينه حتى أتكأه على فخذه، وتحفى به،ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة، ثم قال: يا أبو عثمان، عظني. فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: "بسم الله الرحمن الرحيم، والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر، هل في ذلك قسم لذي حجر، ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد، فأطثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب" إن ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد. قال:فبكى بكاءً شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا في تلك الساعة، وقال: زدني. فقال: إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها، واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من قبلك، ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، وإني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة. قال: فبكى والله أشد من بكائه الأول حتى جف جفناه. فقال له سليمان بن خالد: رفقاً بأمير المؤمنين، قد أتعبته اليوم فقال له عمرو: بمثلك ضاع الأمر وانتشر، لا أبالك، وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله؟

عز وجل؟ فقال له أمير المؤمنين: يا أبا عثمان، أعني بأصحابك أستعن بهم. قال: أظهر الحق يتبعك أهله. قال: بلغني أن محمد بن عبد الله بن حسن كتب إليك كتاباً. قال: قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه. قال: فيم أجبته؟ قال: أوليس قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا، إني لا أراه، قال: أجل، ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي. قال: لئن كذبتك تقية لأحلفن لك بقية. قال: أنت والله الصادق البر. ثم قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك. قال: لا حاجة لي فيها. قال: والله لتأخذنها. قال: والله لا آخذها. فقال له المهدي: يحلف أمير المؤمنين وتحلف؟! فترك المهدي وأقبل على المنصور وقال: من هذا الفتى؟ قال: هذا ابني محمد، هو المهدي وولي العهد. قال: والله لقد أسميته اسماً ما استحقه عمله، وألبسته لباساً ما هو من لبس الأبرار، ولقد مهدت له أمراً أمتع ما يكون به، أشغل ما يكون عنه. ثم التفت إلى المهدي وقال له: يا ابن أخي، إذا حلف أبوك حلف عمك، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك. ثم قال: يا أبا عثمان، هل من حاجة؟ قال: نعم. قال: وما هي؟ قال: لا تبعث إلي حتى آتيك. قال: إذاً لا تأتيني. قال: عن حاجتي سألتني. قال: فاستحفظه الله وودعه ونهض، فلما ولى أمده ببصره وهو يقول:

كلكم يمشي رويد   كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: تكلم العلماء في عمرو بن عبيد لأجل مذهبه في القدر، وكذبه جماعة منهم في حديثه، وكان يقول: إن كانت"تبت يد أبي لهب" فما على أبي لهب من لوم. أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: سمعت أبا عمرو عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال يقول: سمعت أبي يقول: سمعت مسبح بن حاتم البصري يقول: سمعت عبيد الله بن معاذ العنبري يقول: سمعت أبي يقول: سمعت عمرو بن عبيد يقول وذكر حديث الصادق والمصدوق فقال: لو سمعت الأعمش يقتل هذا لكذبته، ولة سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أحببته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد الأصفهاني قال: حدثنا محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا محمد بن بشير بن مطير قال: حدثنا سواربن عبد الله قال:حدثنا الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، يخلف الله وعده؟ قال: لا. قال: أفرأيت إن وعد الله على عمل عقاباً، يخلف وعده؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت ياأبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد خلفاً ولا عاراً، إن تعد شراً ثم تفعله، ترى ذاك كرماً وفضلاً، إنما أن تعد خيراً ثم لا تفعله قال: أوجدني هذا في كلام العرب. قال: أما سمعت إلى قول الأول:

وإني وإن أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال: أخبرنا ابن إسحاق البغوي قال: حدثنا الحسن بن علبك قال: حدثنا عمرو بن علي قال: سمعت عبد الله بن سلمة الأفطس يقول: سمعت عمرو بن عبيد يقول: والله لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على سواك ماأجزته. توفي عمرو في هذه السنة ودفن بمران على ليالٍ من مكة. وقيل: توفي سنة ثمان وأربعين.

مجالد بن سعيد الهمداني روى عن الشعبي، وقد طعن بعض المحدثين فيه.

هلال بن خباب، ابو العلاء مولى زيد بن صوحان العبدي، وهو بصري سكن المدائن، وحدث بها عن أبي جحيفة السوائي، وسعيد بن جبير، وعكرمة. روى عنه: مسعر، والثوري. وكان ثقة مأموناً، وقد غلط بعض المحدثين فقال: ويونس بن خباب أخو هلال. وقال آخر: هلال ويونس وصالح بنو خباب. وكان ذلك غلط ليس بينهم قرابة، إنما هو اتفاق في اسم الأب. توفي هلال بن خباب بالمدائن في هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمدينة، وخروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بعده بالبصرة ومقتلهما رضي الله عنهما

فأما خبر محمد: فإن أب جعفر لما انحدر ببني حسن رد رياحاً إلى المدينة، فألح في الطلب وأحرج محمداً حتى عزم على الظهور، فخرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه إبراهيم. وقيل: إن إبراهيم هو الذي تأخر عن وقته لجدري أصابه. وخرج محمد في مائتين وخمسين فارساً، وتناوش الناس. وذلك في أول يوم من رجب هذه السنة. وقيل: لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة. فأمر برياح وابن مسلم فحبسا، وجعل يقول لأصحابه: لا تقتلوا. وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإن كان من أمر هذه الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بناية القبة الخضراء التي بناها معاندة لله في ملكه، وتصغيراً لكعبة الله الحرام، وإنما أخذ الله فرعون حين قال:"أنا ربكم الأعلى" فإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار، اللهم إنهم قد أحلو حرامك، وحرموا حلالك، وأمنو من خوفت وأخافوا من أمنت، اللهم فاحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً ياأيها الناس، إني والله ما خرجت بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوة ولاشدة، ولكني اخترتكم لنفسي، والله وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي. وكان المنصور يكتب على ألسن قواده يدعونه إلى الظهور، ويخبرونه أنهم معه، فكان محمد يقول: لو التقينا مال إلي القواد كلهم. ولما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله المخزومي، وعلى الشرط أبا القاسم عثمان بن عبيد الله، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن، واستعمل القاسم بن إسحاق على اليمن، وموسى بن عبد الله على الشام يدعوان إليه، فقتلا قبل أن يصلا. واستفتي مالك بن أنس في الخروج مع محمد، وقيل له: إن في أعناقنا لأبي حعفر بيعة. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد، ولزم مالك بيته، وأرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن حعفر، فدعاه فقال: يا ابن أخي، أنت والله مقتول، فكيف أبايعك؟ فارتدع الناس عنه قليلاً، وخرج محمد وأبو جعفر قد خط مدينة بغداد بالقصب. فلما خرج مضى زجل من بني عامر، فسار من المدينة تسع ليال، فقدم على أبي جعفر، فقال الربيع: ما حاجتك؟ فقال: لا بد لي من أمير المؤمنين فأعلمه. فقال: سله عن حاجته وأعلمني. قال: قد أبى إلا مشافهتك. فأذن له، فدخل فقال: يا أمير المؤمنين، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة. فقال: قتلته والله، أخبرني من معه، فسمى له. فقال: أنت رأيته. قال: أنا رأيته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأدخله أبو جعفر بيتاً، فلما أصبح جاءه الخبر، فأمر للرجل بتسعة آلاف، لكل ليلة سارها ألفاً. وكتب أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله: "إنما الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا

أو يصلبوا" إلى قوله: " غفور رحيم" ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك وجميع إخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم، وأسوغك ما أصبت من دمٍ أو مالٍ، وأعطيك ألف ألف درهم، وما سألت من الكراع، وأنزلك من البلاد حيث شئت، وأن أطلق من في حبسي من أهل بيتك، وأن أؤمن كل من جاءك أو بايعك أو دخل في شيء من أمرك، فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إلي من أحببت يأخذ لك مني من الأمان والميثاق ما تثق به. فكتب إليه محمد بن عبد الله: من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى محمد بن عبد الله: "طسم، تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق" إلى قوله تعالى: "ما كانوا يحذرون" وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت علي، فإن الحق حقنا، وأغما ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشعبتنا، وإن أبانا علياً كان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ومن السلف أولهم إسلاماً: علي بن أبي طالب، ومن الأزواج أفضلهم خديجة، وأول من صلى للقبلة، ومن البنات خيرهن فاطمة، ومن المولودين حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن هاشماً ولد علياً مرتين، وإن عبد المطلب ولد حسناً مرتين، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين، وإني

أوسط بني هاشم نسباً، وأصرحهم أباً، إنما لم نعرف في العجم، و لم ننازع في أمهات الأولاد، ولك عهد الله إن دخلت في طاعتي،أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته، إلا حداً من حدود الله، أو حقاً لمسلم أو معاهد، وأنا أولى بالأمر منك، وأوفى بالعهد؛ لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلي، فأي الأمانات تعطيني!؟ أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله بن علي، أم أمان أبي مسلم. فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد، فإني قد فهمت كتابك، فإذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء، و لم يجعل الله النساء كالعمومة، ولا الأباء كالعصبية، والأولياء، ولقد بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة، فأجاب اثنان أحدهما أبي، وأبي اثنان أحدهما أبوك، فقطع الله ولايتهما منه، وأما ما فخرت به علي، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة، فأمر غيره فصلى بالناس، وكان في الستة فدفعوه، وقتل عثمان وهو له متهم، وقاتله طلحة والزبير، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم ونفوكم، فطلبنا بثأركم، وأورثناكم أرضهم، ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج وزمزم، ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلا بأبينا. ولما ظهر محمد شخص إليه الحسن بت معاوية فرده إلى مكة، فغلب عليها ودخل مكة فخطب بالناس ونعى إليهم أبا جعفر، ودعا لمحمد بن عبد الله فدعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة النهراني، وكان أعلم الناس بالحرب، وقد شهد مع مروان حروبه، فقال له: يا جعفر، قد ظهر محمد، فما عندك؟ فقال: وأين ظهر؟ قال: بالمدينة. قال: فاحمد الله، ظهر حيث لا مال ولا سلاح ولا كراع، ابعث مولى لك تثق به الآن يترل بوادي القرى، فيمنعه ميرة الشام، فيموت مكانه جوعاً. ففعل وندب أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد وقال: لا أبالي أيهما قتل صاحبه وضم إليه أربعة آلاف من الجند، وبعث معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين، وقدم كثير بن أبي حصين العبدي فعسكر بفيد، وخندق عليه خندقاً حتى قدم عليه عيسى بن موسى، فخرج به إلى المدينة، وقال أبو جعفر لعيسى حين ودعه: يا عيسى، إني أبعثك إلى مابين هذين وأشار إلى جنبه فإن ظفرت بالرجل فشم سيفك وابذل الأمان، وإن تغيب فضمنهم إياه حتى يأتونك به، فإنهم يعرفون مذهبه. ففعل ذلك. ولما وصل عيسى إلى فيد كتب إلى رجال من أهل المدينة، فتفرقوا عن محمد وخرجوا إلى عيسى، وقد كان مع محمد نحو من مائة ألف، فلما دنا عيسى إلى المدينة قال محمد لأصحابه: أشيروا علي في الخروج والمقام. فاختلفوا، فقال بعضهم: إنك بأقل بلاد الله فرسًاو طعاماً، وأضعفها

رجلاً وسلاحاً، والرأي بأن تسير بمن معك حتى تأتي مصر، فو الله لا يردك رادٌ، فتقابل الرجل بمثل سلاحه ورجاله.وقال بعضهم: أعوذ بالله أن تخرج من المدينة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رأيتني في درع حصينة فأولتها المدينة" فحفر خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حفره يوم الأحزاب، وخطب الناس وقال: "إن هذا الرجل قرب منكم في عدد وعدة، وقد احللتكم من بيعتي، فمن أحب فليقم، ومن أحب فلينصرف. فتسللوا وخرج قوم منهم إلى الجبال حتى بقي في شرذمة، حتى قال بعضهم: نحن اليوم في عد أصحاب بدرٍ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ونزل عيسى بالحرف صبيحة اثنتي عشرة من رمضان من هذه السنة يوم السبت، فأقام يوم السبت ويوم الأحد وغداة الاثنين، حتى استولى على سلع، وشحن وجوه المدينة بالخيل، وأقبل على دابته يمشي وحوله نحو من خمسمائة وبين يديه راية، فوقف على الثنية ثم نادى: يا أهل المدينة، إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض ، فهلم إلى الأمان، فمن قام تحت رايتنا فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن خرج من المدينة فهو آمن، خلوا بيننا وبين صاحبنا، فإما لنا وإما له. فشتمه أهل المدينة، فانصرف يومه ذاك، وعاد من الغد، ففعل مثل ذلك فشتموه، فلما كان في اليوم الثالث أقبل بالخيل والرجال والسلاح، ونادى بنفسه: يا محمد، إن أمير المؤمنين أمرني أن لا أقاتل حتى أعرض عليك الأمان، فلك الأمان على نفسك وأهلك وولدك وأصحابك، وتعطي من المال كذا وكذا، ويقضى عنك دينك. فصاح محمد إله عن هذا،

فو الله لقد علمت إنه لايثنيني عنكم فزع، ولا يقربني منكم طمع، و لحج القتال وترجل، فقتل يومئذٍ نحو من سبعين بيده، وكانت الهزيمة قد بلغت الخندق، فأسل عيسى بأبواب بقدر الخندق، فعبروا عليها حتى كانوا من ورائه، ثم اقتتلوا أشد القتال من بكرة حتى العصر. وفي رواية أخرى: أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل في الخندق، وأمر ببابي دار سعد بن مسعود التي في الثنية، فطرحا في الخندق، فجازت الخيل، فالتقوا، فانصرف محمد قبل الظهر، فاغتسلوا وتحنط، فقيل له: الحق بمكة. فقال: لو خرجت لقتل أهل المدينة، والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل. فعرقب دابته، وعرقب أصحابه دوابهم، فلم يبق أحدٌ إلا كسر غمد سيفه، فجاز رجل فضرب محمداً بالسيف دون شحمة أذنه اليمنى، فبرك لركبتيه، وتعاونوا عليه. وصاح حميد بن قحطبة: لا تقتلوه، فكفوا، فجاء حميد فاجتز رأسه، وكان مع محمد سيف، فأعطاه قبل أن يقتل رجلاً من التجار له عليه دين أربعمائة دينار. فقال خذ هذا السيف، فإنك لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلا أخذه وأعطاك حقك،فكان السيف عنده حتى ولي جعفر بن سليمان المدينة، فأخبر عنه، فدعا الرجل وأخذ السيف منه وأعطاه أربعمائة دينار وقتل محمد رضي الله عنه بعد العصر يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من رمضان، فلما أصبحوا أرسلت أخته زينب وابنته فاطمة إلى عيسى: إنكم قد قتلتم هذا الرجل وقضيتم منه حاجتكم، فلو أذنتم لنا فواريناه. فأذن في ذلك، فدفنوه بالبقيع، وأمر عيسى بصلب أصحابه، وبعث عيسى بألوية فوضعها في أماكن ونادى مناديه: من دخل تحت لواء فهو آمن، أو دخل داراً من هذه الدور فهو آمن. وجعل عيسى يختلف إلى المسجد، فأقام بالمدينة أياماً، ثم شخص صبح تاسع عشر رمضان يريد مكة، وحمل رأس محمد إلى أبي جعفر وهو بالكوفة، فأمر به فطيف به في طبق أبيض، فلما أمسى بعث به في الآفاق، وتتبع من هرب من الخارجين معه فقتل أكثرهم. ولما خرج عيسى من المدينة استخلف عليها كثير بن حصين، فمكث والياً عليها شهراً، ثم قدم عبد الله بن الربيع الحارثي والياً عليها من قبل أبي جعفر. وفيها: ثارت السودان بالمدينة وواليها عبد الله بن الربيع، فهرب منهم. وكان السبب الذي هيج ذلك أن رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن عبد الله بن سبرة على صدقة أسدٍ وطيء،فلما خرج محمد أقبل إليه أبو بكر بما كان جبى،وشمر معه، فلما استخلف عيسى كثير بن حصين أخذ أبا بكر فضربه سبعين

سوطاً وحبسه، ثم قدم عبد الله بن الربيع والياً يوم السبت لخمس بقين من شوال سنة خمسٍ وأربعين، فنازع بعض جنده بعض تجار في بعض ما يشترون منهم، فخرجت طائفة منهم يعني التجار فشكوا ذلك إلى ابن الربيع فنهرهم وشتمهم، فطمع فيهم الجند، فانتهبوا شيئاً من طعام السوق ، وعدوا على رجل من الصرافين فغالبوه على كيسه، فاجتمع أهل المدينة فشكوا ذلك إلى ابن الربيع فلم ينكر ذلك،وجاء رجل من الجند فاشترى من جزار لحماً و لم يعطه ثمنه وشهر عليه السيف، فطعنه الجزار بشفرة فخر عن دابته، واعتوره الجزارون فقتلوه، وتنادى السودان على الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعمد في كل ناحية، حتى أمسوا، فلما كان الغد هرب ابن الربيع، ونفخ السودان في بوق لهم، فكان كل أسود يسمعه فيؤم الصوت، وذلك في يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة، وعدوا على ابن الربيع الناس في الجمعة، فأعجلوه عن الصلاة، وخرج حتى أتى السوق، فمر بمساكين خمسة وهم يسألون الناس، فحمل عليهم بمن معه فقتلوهم، وحمل عليه السودان، فهرب ابن الربيع إلى البقيع فرهقوه، فنثر لهم دارهم فأشغلوا بها، ومضى لوجهه حتى نزل بطن نخلة، ووقع السودان في طعام لأبي جعفر من سوق ودقيق وزيت، فانتهبوه. فخرج ابن أبي سبرة من السجن في حديده، فخطب الناس وصلى بهم، ودعاهم إلى الطاعة، وقال ابن أبي سبرة لجماعة من سادات العبيد: والله لئن ثبتت علينا هذه الثلاثة عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى إنه لاصطلام البلد وأهله، فذهبوا إلى العبيد فكلموهم. فذهبوا إليهم فقالوا: مرحباً بكم يا موالينا، والله ما قمنا إلا إبقاء لكم. وأقبلوا بهم إلى المسجد فردوا ما انتهبوه، فرجع ابن الربيع فقطع أيد جماعة من السودان.

وفيها أسست مدينة بغداد

وكان سبب ذلك: أن أبا جعفر بنى حين أفضي الأمر إليه الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة إلى جنب الكوفة، وبنى أبو جعفر أيضاً مدينة بظهر الكوفة سماها الرصافة. فلما ثارت الروندية بأبي جعفر في مدينته التي يقال لها: الهاشمية كره سكناها لاضطراب من اضطرب عليه من الروندية، و لم يأمن على نفسه. فخرج يرتاد موضعاً يتخذه مسكناً لنفسه وجنده، ويبني به مدينة، فانحدر إلى جرجرايا، ثم صار إلى بغداد، ثم مضى إلى الموصل، ثم عاد إلى بغداد فقال: هذا موضع صالح، وهذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء، يأتينا فيها كل ما في البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينيةو ما حول ذلك، وهذا الفرات يجيء فيها كل شيء بالشام و الرقة، وضرب عسكره على الصراة، وخط المدينة، ووكل بكل ربع قائداً. أخبرنا عبد الرحمن بن القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني محمد بن علي الورق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أخبرنا أبو محمد بن جعفر بن هارون الكوفي قال: حدثنا الحسن بن محمد السكوني قال: حدثنا محمد بن خلف قال: زعم عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثني أحمد بن حميد بن جبلة قال: حدثني أبي، عن جدي جبلة قال: كانت مدينة أبي جعفر قبل بنائها مزرعة البغداديين يقال لها: المباركة، وكانت لستين نفساً من البغداديين، فعوضهم عنها عوضاً أرضاهم فأخذ جدي جبلة قسمة فيهم. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: ذكر علماء الأوائل أن أقاليم الأرض السبعة، وأن الهند رسمته فجعلت صفة الأقاليم كأن حلقة، فالإقليم الأول منها: إقليم بلاد الهند، والإقليم الثاني إقليم الحجاز، والإقليم الثالث إقليم مصر، والإقليم الرابع إقليم بابل، وهو أوسط الأقاليم وأعمرها ، وفي جزيرة العرب، وفيه العراق

الذي هو سرة الدنيا، وبغداد في أوسط هذا الإقليم. والإقليم الخامس بلاد الروم، والإقليم السادس بلاد الترك، والإقليم السابع بلاد الصين. والإقليم الرابع الذي فيه العراق وفي العراق بغداد هو صفوة الأرض ووسطها لا يلحق من فبه عيب سرف ولا تقصير، فكذلك اعتدلت ألوان أهله، وامتدت أجسامهم، وسلموا من شقرة الرومو الصقالبة، ومن سواد الحبش وسائر أجناس السودان، ومن غلظ الترك، ومن جفاء أهل الجبال و خراسان، ومن دمامة أهل الصين ومن جانسهم، واجتمعت في أهل هذا القسم من الأرض محاسن جميع الأقطار، وكما اعتدلوا في الخلقة، كذلك لطفوا في الفطنة و التمسك بالعلم والآداب؛ وهم أهل العراق ومن جاورهم. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بي علي بن عبد الله المقرىء قال: أخبرنا محمد بن جعفر التميمي قال: أجبرنا أبو أحمد الجلوذي قال: حدثنا محمد بن زنجويه، عن عائشة قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى كعب الأحبار اختر لي المنازل.قال: فكتب: يا أمير المؤمنين إنه بلغنا أن الأشياء اجتمعت فقال السخاء: أريد اليمن. فقال حسن الخلق: أنا معك. فقال الجفاء: أريد الحجاز فقال الفقر: وأنا معك. فقال البأس: أريد الشام. فقال السيف: وأنا معك . فقال العلم أريد العراق. فقال العقل: وأنا معك. فقال الغنى: أريد مصر. فقال الذل: وأنا معك. فاختر لنفسك، فلما ورد الكتاب على عمر قال: فالعراق إذن، فالعراق إذن. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن محمد اليزدي، عن أبي شيخ عبد الله بن محمد بن حيان قال: حدثني أبو الحسن البغدادي قال: قال إبراهيم بن عبد الله: جئت إلى الجاحظ فقال: الأمصار عشرة: الصناعة ببصرة، والفصاحة بالكوفة، والخير ببغداد، والغدر بالري، الحسد بهراة، والجفاء بنيسابور، والبخل بمرو، والطرمذة بسمرقند، والمروءة ببلخ، والتجارة بمصر. وقال سليمانبن خالد: خرج المنصور يرتاد مترلاً، فخرجنا على ساباط، فتخلف بعض أصحابي لرمد أصابه، وأقام يعالج عينيه، فسأله الطبيب أين يريد أمير المؤمنين؟ قال: يرتاد مترلاً قال: فإنا نجد في كتاب عندنا أن رجلاً يدعى مقلاصاً يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى: الزوراء، فإذا أسسها وبنى عرقاً منها أتله فتق من الحجاز فقطع بناءها وأقبل على إصلاح ذلك الفتق، فإذا كاد يلتئم أتاه فتق من البصرة هو أكبر منه، فلا يلبث الفتقان أن يلتئما ثم يعود إلى بنائها فيتمه، ثم يعمر طويلاً، ويبقى الملك في عقبه. قال سليمان: فإن

أمير المؤمنين لبأطراف الجبال في ارتياد مترل إذا قدم علي صاحبي فأخبرني الخبر، فأخبرت به أمير المؤمنين. فدعا الرجل فحدثه الحديث، فكر راجعاً عوده على بدئه وقال: والله أنا ذلك لقد سميت مقلاصاً وأنا صبي، ثم انقطعت عني، ثم شاور في ذلك، فاتفق رأي القوم على بغداد، وقالوا له: تجيئك الميرة من العرب في الفرات وطرائف مصر والشام، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة، وتجيئك الميرة من أرمينية وما تصل بها في تامرا حتى تصل إلى الزاب، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة، وأنت بين أهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل إليك عدو وأنت بين دجلة والفرات، لا يجيئك أحدٌ من المشرق أو المغرب إلا احتاج إلى العبور بدجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين. فوجه في حشر من الصناع والفعلة من الشاك والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فأحضروا، وأمر قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، وكان ممن أحضر الحجاج بن أرطأة وأبو حنيفة والنعمان بن ثابت. وأمر بخط المدينة، وحفر الأساسات، وضرب اللبن، وحرق الآجر، وكان أول ما ابتدأ به في عملها سنة خمس وأربعين ومائة، وأحب أن ينظر إليها، فأمر أن تخط بالرماد، وأقبل أن يدخل من كل باب، ويمر في فضلاتها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد، وأمر أن يحفر أساس ذلك على ذلك الرسم. قال ابن عياش: فوضع أول لبنة بيده وقال: بسم الله وبالله، و"الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين" ثم قال: ابنو على بركة الله وعونه. وقال حماد التركي: لما وقع اختيارهم على موضع بغداد، وكان في موضع الخلد دير وفي فرات الصراة قرية، وكانت القرية تسمى العتيقة، وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة، وجاء المنصور فترل في موضع الخلد غللا الصراة، فوجده قليل البق، فقال: هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من الفرات ودجلة. فبناه، وكان موضع قرى ومزارع. ولما احتاج المنصور في بنائه إلى الأنقاض قال لخالد بن برمك: ما ترى في نقض بناء كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه. فقال: لا أرى ذلك. قال: و لم؟ قال: لأنه علم من أعلام الإسلام يستدل به الناظر إليه على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، وإنما هو بأمر دين. فقال: أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم. وأمر أن ينقض القصر الأبيض، فنقضت ناحية منه، وحمل نقضه، فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد، فرفع ذلك إلى المنصور، فدعا خالداً فأخبره وقال: ما ترى؟ قال: قد كنت أرى أن لا تفعل، فأما إذ فعلت فأرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده لئلا يقال إنك عجزت عن هدمه. فأعرض المنصور عن ذلك وأمر أن لا يهدم. أخبرنا أبو المنصور عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمر المرزباني قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني قال: حدثني أبو علي أحمد بن إسماعيل قال: لما صارت الخلافة إلى المنصور أمر بنقض إيوان المدائن فاستشار جماعة من أصحابه، وكلهم أشار عليه بمثل ما هم، وكان معه كاتب من الفرس فاستشاره في ذلك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من تلك القرية يعني المدينة وكان له بها مثل ذلك المترل، ولأصحابه مثل تلك الحجر، فخرج أصحاب ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جاءوا مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان مع عزته وصعوبة أمره، حتى غلبوه وأخذوه من يديه قسراً وقهراً، ثم قتلوه، فيجيء الجائي من أقاصي الأراضي فينظر إلى تلك المدينة وإلى هذا الإيوان، ويعلم أن صاحبا قهر صاحب هذا الإيوان، فلا يشك أنه بأمر الله عز وجل، وأنه هو الذي أيده، وكان معه ومع أصحابه، وفي تركه فخر لكم، فاستغشاه المنصور واتهمه لقربته من القوم، ثم بعث في بعض الإيوان فنقض منه الشيء اليسير، ثم كتب إليه أنه يغرم في نقضه أكثر مما يسترجع، وأن هذا تلف للأموال وذهابها. فدعا الكاتب فاستشاره فيما كتب به إليه، فقال له: قد كنت أشرت بشيء لم يقبل مني، وأما الآن فإني آنف لكم أن يكونوا أولئك بنوا بناءً تعجزون أنتم عن هدمه والصواب أن تبلغ به الماء، ففكر المنصور فعلم أنه قد صدق، ثم نظر فإذا هدمه يتلف الأموال فأمر بالإمساك عنه. وقيل إن أبا جعفر لما أمر بحفر الخنادق وأنشأ بناء الأساس أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً، وقدر أعلاه عشرين ذراعاً، فلما بلغ البناء قامة أتاه خروج محمد فقطع البناء، وخرج إلى الكوفة، فلما فرغ من حرب محمدٍ رجع إلى بغداد. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بن أبي طالب قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عروة قال: قال رجل من ولد الربيع. لما أراد أبو جعفر أن يبني لتفسه كان يؤتى من كل مدينة بتراب فيعفنه فيصير عقارب وهوام، حتى أتى بتربة بغداد، فخرج صرارات، واتى الخلد فنظر إلى دجلة والفرات فأعجبه، فرآه راهب كان هناك وهو يقدر بناءها. فقال: لا يتم؛ فبلغه فأتاه. فقال: نعم!. نجد في كتبنا ين الذي يبنيها ملك يقال له: مقلاص. قال أبو جعفر: كانت والله أمي تلقبني في صغري مقلاصاً. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: أخبرنا ابن أبي علي المعلى قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر قال: أخبرنا محمد بن جرير إجازة: أن أبا جعفر ابتدأ أساس المدينة سنة خمس و أربعين ومائة، واستتم البناء سنة ست وأربعين ومائة وسماها مدينة السلام.قال الخطيب: وبلغني أنه لما عزم على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعربة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرض، فمثل لهم صفتها التي في نفسه، ثم أحضر الفعلة

والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم، وأجرى عليهم الأرزاق، وكتب إلى كل بلد في حمل من فيه ممن يقهم شيئاً من أمر البناء، و لم يبتدىء في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل الصناعات ألوفٌ كثيرة، ثم اختطها وجعلها مدورة. ويقال: لا يعرف في أقطار الأرض كلها مدينة مدورة سواها، ووضع أساسها في وقت اختاره نوبخت المنجم. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان بن الفلو قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم قال: حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد الحداد قال: سمعت أحمد البربري يقول: مدينة أبي جعفر ثلاثون ومائة جريب، خنادقها وسورها ثلاثون جريباً، وانفق عليها ثمانية عشر ألف ألف. قال الخطيب: ورأيت في بعض الكتب أن المنصور أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها أربعة آلاف وثلاثة وثمانين درهماً، مبلغها من الفلوس مائة ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس، وذلك أن الأستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراطٍ إلى خمس حبات، والروزداري يعمل بحبتين إلى ثلاث حبات، وهذا خلاف ما تقدم ذكره، وبين القولين تفاوت كثير. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا محمد بن علي الوراق قال: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا الحسن بن محمد السكوني قال: حدثنا محمد بن خلف قال: قال يحيى بن الحسن بن عبد الخلق: خط المدينة ميل في ميل، ولبها ذراع في ذراع. قال ابن خلف: قال أحمد بن محمد الشروي: وهدمنا من السور الذي على باب المحول قطعة، فوجدنا فيها لبنة مكتوبٌ عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً، فوزناها فوجدناها كذلك. قال الخطيب: وبلغني عن محمد بن خلف أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت كان يتولى القيام بضرب لبن المدينة وعدده حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق. وكان أبو حنيفة يعد اللبن بالقصب، وهو أول من فعل ذلك، فاستفاده الناس منه. قال مؤلف الكتاب رحمه الله: وقد روي في حديث آخر أن المنصور أراد أبا حنيفة على القضاء فامتنع، فحلف لا بد أن يتولى له، فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن ليخرج من يمينه. فتولى ذلك. قال الخطيب: وذكر محمد بن إسحاق البغوي أن رياحاً البناء حدثه وكان ممن كان يتولى بناء سور مدينة المنصور قال: كان بين كل باب من أبواب المدينة إلى الباب الآخر ميل في كل ساف من أسواف البناء مائة ألف لبنة واثنتان وستون ألف لبنة، فلما بنينا الثلث من السور لقطناه، فصيرنا في الساف مائة ألف لبنة وخمسين ألف لبنة، فلما جاوزنا الثلثين لقطناه فصيرنا في البناء مائة ألف لبنة وأربعين ألفاً إلى أعلى. وذكر أبو بكر بن ثابت أن ارتفاع هذا السور خمسة وثلاثون ذراعاً، وعرضه من أرضه نحو من عشرين ذراعاً، وجعل لها أربعة أبواب، فإذا جاء أحد من الحجاز دخل من باب الكوفة، وإذا جاء أحد من المغرب دخل من باب الشام، فإذا جاء أحد من الأهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين دخل من باب البصرة، وإذا جاء من المشرق دخل من باب خراسان، فمن باب خراسان إلى باب الكوفة ألفا ذراع ومائتا ذراع، ومن باب البصرة إلى باب الشام ألفا ذراع ومائتا ذراع، وعلى كل أزج من أزاج هذه الأبواب مجلس ودرجة، وعليه قبة عظيمة، وعليه تمثال تديره الريح. وكان المنصور يجلس إذا أحب أن ينظر إلى من يقبل من باب خراسان في القبة التي تليه، وإذا أحب أن ينظر إلى الأرباض وما والاها جلس في قبة باب الشام، وإذا أحب النظر إلى الكرخ جلس في قبة باب البصرة، وإذا أحب النظر إلى البساتين جلس في القبة التي على باب الكوفة، وعلى كل باب من أبوا ب المدينة باب حديد، نقل تلك الأبواب من واسط وهي أبواب الحجاج، وأن الحجاج نقلها من مدينة بناها سليمان بن داود عليهما السلام، وكان على أبواب المدينة مما يلي الرحاب سور وحجار، وعلى كل باب قائد، فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في ألف، وعلى باب البصرة أبو الأزهر التميمي في ألف، وعلى باب الكوفة خالد العكي في ألف، وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب الغساني، و جعل بين كل

ثمانية وعشرين برجاً، إلا بين باب البصرة وباب الكوفة، فإنه يزيد واحداً وعمل عليها الخنادق، وجعل لها سورين وفيصلين، وكان لا يدخل أحد من عمومة المنصور ولا غيرهم من هذه الأبواب إلا راجلاً؛ إلا عمه داود، فإنه كان منقرساً، كان يحمل في محفة. ومحمد المهدي ابنه، وكانت تكنس الرحاب في كل يوم يكنسها الفراشون، ويحمل التراب إلى خارج المدينة. وقال له عمه عبد الصمد: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، فلو أذنت لي أن أنزل داخل الأبواب، فلم يأذن له. فقال: يا أمير المؤمنين، عدني بعض بغال الروايا التي تصل إلى الرحاب. فقال: يا ربيع، بغال الروايا تصل إلى رحابي، فقال: نعم. فقال: تتخذ الساعة قنى بالساج من باب خراسان حتى تجيء إلى قصري. وكانت الأبنية متصلة بالمدينة من شاطىء دجلة إلى الكبش و الأسد، وهما موضعان قريبٌ من قبر إبراهيم الحربي. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: قال لي هلال بن المحسن: حدثني بشر بن علي بن عبيد الكاتب قال: كنت أجتاز بالكبش والأسد فلا أتخلص من أسواقها من كثرة الزحمة، ثم بنى القصر والجامع، وكانت مساحة قصره أربعمائة ذراع، ومساحة المسجد الأول مائتين في مائتين، وأساطين الخشب في المسجد كل أسطوانة قطعتين معقبة بالعقب و الغراء وضباب الحديد إلا خمساً أو ستاً عند المنارة، فإن كل أسطوانة قطع ملفقة، وكان في صدر قصره القبة الخضراء، من الأرض إلى رأس القبة الخضراء ثمانون ذراعاً، وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس. أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أبو القاسم التنوخي قال: سمعت جماعة من مشايخنا يذكرون أن القبة الخضراء كان على رأسها صنم على صورة فارس في يده رمح، فكان السلطان إذا رأى ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها علم أن بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة، فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الأخبار بأن خارجياً قد نجم من تلك الجهة. قال التنوخي: وحدثني أبو الحسن بن عبيد الزجاج الشاهد قال: أذكر في سنة سبع وثلاثمائة وقد كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور، فأفلت من كان فيها، وكانت الأبواب الحديد التي للمدينة باقية فغلقت، وتتبع أصحاب ا لشرط من أفلت من الحبو س فأخذوا جميعهم حتى لم يفتهم منهم أحدٌ. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسين بن محمد المؤدب قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بجرجان قال: حدثنا أبو إسحاق الهجيمي قال: قال: أبو العيناء: بلغني أن المنصور جلس يوماً فقال للربيع: انظر من بالباب من وفود الملوك فأدخله. فقال: وافد من قبل ملك الروم. فقال: أدخله. فدخل فبينا هو جالس عبد أمير المؤمنين إذ سمع المنصور صرخة كادت تقلع القصر. فقال: يا ربيع، ينظر ما هذا؟ قال: ثم سمع صرخة هي أشد من الأولى. فقال: يا ربيع، ينظر ما هذا؟ قال: ثم سمع صرخة هي أشد من الأوليين، فقال: يا ربيع، اخرج بنفسك فخرج، ثم دخل فقال: يا أمير المؤمنين، بقرة قربت لتذبح فغلبت الجازر وخرجت تدور في الأسواق. فأصغى الرومي إلى الربيع

يتفهم ما قال، ففطن المنصور لإصغاء الرومي، يا ربيع، أفهمه، فأفهمه. فقال الرومي: يا أمير المؤمنين، إنك بنيت بناءً لم يبنه أحد كان قبلك وفيه ثلاث عيوب، قال: وما هي؟ قال: أول عيب فيه بعده عن الماء، ولا بد للناس من الماء لشفاههم. وأما العيب الثاني: فإنها ليس فيها بساتين يتتره فيها. وأما الغيب الثالث: فإن رعيتك معك في بنيانك إذا كانت الرعية مع الملك في بنيانه فشا سره. قال: فتجلد عليه المنصور فقال: أما قولك في الماء فحسبنا من الماء ما بل شفاهنا. وأما العيب الثاني فإنا لم نخلق للهو واللعب، وأما العيب الثالث في سري فما لي سر دون رعيتي. ثم عرف وجه الصواب. فقال: مدوا لي قناتين من دجلة واغرسوا لي العباسية، وانقلوا الناس إلى الكرخ. قال الخطيب: مد المنصور قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة، وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات وجرهما إلى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها، محكمة بالصاروخ والآجر من أعلاها، فكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في

الشوارع والدروب والأرباض، وتجري صيفاً وشتاءً لا ينقطع ماؤها، وجر لأهل الكرخ وما يتصل بها أنهاراً. وأما الجامع فقد ذكرنا أن المنصور جعل مساحته مائتين في مائتين، ولما جاء الرشيد أمر بنقضه و إعادة بنائه بالآجر والجص، ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد، وتسمية البناء والنجار، وذلك ظاهر الجدران إلى الآن، وكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع، حتى زيد في الدار المعروفة بالقطان، وكانت قديماً ديواناً للمنصور، فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحب القطان، فنسب إليه، ثم زاد المعتضد الصحن الأول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع، وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور السفطات المعروفة بالبدرية.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: قال لي: هلال بن المحسن قال: حدثني أبو الحسين محمد بن الحسن بن محفوظ قال: كنت أمضي مع والدي إلى الجامع بالمدينة لصلاة الجمعة، فربما وصلنا إلى باب خراسان في دجلة وقد قامت الصلاة، وامتدت الصفوف إلى الشاطىء، فنصعد ونفرش إلى السميرية ونصلي. قال هلال: وأذكر الصفوف ممتدة من جامع الرصافة إلى الباب الجديد من شارع الرصافة. أما جسور بغداد فإن المنصور أمر أن تعقد ثلاثة جسور، أحدها للنساء، ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان، فكان بالزندورد جسران قد عقدهما المهدي،
وكان الرشيد قد عقد عند باب الشماسية جسرين، وكان للمنصور جسر عند سويقة قطوطة، فلم تزل هذه الجسور إلى أن قتل الأمين فعطلت، وبقي منها ثلاثة إلى أيام المأمون ثم عطل واحد. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: سمعت أبا علي بن شاذان يقول: أدركت ببغداد ثلاثة جسور أحدها محاذي سوق الثلاثاء، وآخر بباب الطاق، و الثالث في أعلى البلد عند الدار المعزية. وذكر لي غير ابن شاذان: أن الجسر الذي كان عند الدار المعزية نقل إلى باب الطاق فصار هناك جسران يمضي الناس على أحدهما ويرجعون على الآخر. قال الخطيب: لم يبق ببغداد غير جسر واحد بباب الطاق إلى دخول سنة ثمان وأربعين. قال عبد الرحمن: وأخبرنا أحمد قال: حدثني هلال بن المحسن قال: ذكر أنه أحصيت السميرات المعبرات بدجلة أيام الموفق أبي أحمد فكملت ثلاثين ألفاً، فقدر من كسب ملاحتها كل يوم تسعين ألف درهم. وأما الأنهار؛ فإن نهري بغداد دجلة والفرات، وكانت الأنهار التي تجري بمدينة المنصور و الكرخ، وتخترق بين المحال تأخذ من نهر عيسى بن علي، وكان عند فوهته قنطرة دمما، وكان على الياسرية قنطرة، وعلى الرومية قنطرة، وعلى الزياتين قنطرة، وبعدها قنطرة عند باعة الأشنان، ثم قنطرة الشوك، ثم قنطرة عند باعة الرومان، ثم قنطرة عند الأرحاء، ثم قنطرة البستان، ثم قنطرة المعبدي، ثم قنطرة بني زريق، ثم يصب في دجلة والأنهار التي تجري في المحال كالكرخ وغيرها من نهر عيسى، وكان على الصراة قناطر يتفرع منها أنهار، وفي الجانب الشرقي نهر موسى يأخذ من نهرين ينقسم ثلاثة: نهر يمضي إلى الزاهر، والثاني باب بييرز، ويدخل البلد من هناك ويسمى نهر المعلى، ويمر بين الدور إلى سوق الثلاثاء ثم يدخل دار الخلافة، ويجري إلى دجلة والثالث يمر إلى دار الخلافة أيضاً، ونهر من الخالص يقال له نهر الفضل، إلى أن ينتهي إلى باب الشماسية، فيأخذ منه نهر يقال له: نهر المهدي ويدخل المدينة في شارع المهدي، ثم يجيء إلى قنطرة البردان، ويخرج إلى سويقة نصر بن مالك ثم يدخل الرصافة، ويمر في الجامع. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أحمد بن علي الوراق قال: اخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال: ذكر أحمد بن أبي طاهر أن ذرع بغداد الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً، منها الجانب الشرقي ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً. والغربي سبعة وعشرون ألف جريب. وأن عدد الحمامات كانت في ذلك الوقت ببغداد ستين ألف حمام. قال: أقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر: حمامي، وقيم، وزبال، ووقاد، وسقاء، يكون ذلك ثلاثمائة ألف رجل. وذكر أنه يكون

بإزاء كل حمام خمسة مساجد يكون ذلك ثلاثمائة ألف مسجد، وتقدير ذلك أن أقل ما يكون في كل مسجد خمسة أنفس، يكون ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان، يحتاج كل إنسان في ليلة العيد إلى رطل صابون، فيكون ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف رطل صابون ويكون ذلك حساب الجرة مائة وثلاثين رطلاً : ألف جرة ومائة جرة وخمسين جرة وثمانية جرار ونصفاً، يكون ذلك زيتاً حساب الجرة ستين رطلاً ستمائة ألف رطل وتسعة آلاف رطل وخمسمائة وعشرة أرطال. وقد روي أن الحمامات كانت في عهد معز الدولة بضعة عشر ألف حمام، وفي زمن عضد الدولة خمسة آلاف وكسر. وقد اتفق الناس أن بغداد لا نظير لها، وأحسن ما كانت في أيام الرشيد، فحدثت بها الفتن، وتتابعت المحن، وانتقل قطانها. أخبرنا أبو المنصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني أبو القاسم التنوخي قال: اخبرني أبي قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي في سنة ستين وثلاثمائة قال: أخبرني رجل يبيع سويق الحمص منفرداً به أنه حصر ما يعمل في سوقه من هذا السويق كل سنة؛ فكان مائة وأربعين كراً؛ يكون حمصاً مائتين وثمانين كراً، يخرج كل سنة حتى لا يبقى منه شيء، ويستأنف عمل ذلك للسنة الأخرى. قال هلال بن المحسن: عبرت إلى الجانب الشرقي من مدينة السلام بعد الأحداث الطارئة فرأيت ما بين سوق السلاح و الرصافة وسوق العطش ومربعة الحرسي والزاهر، وما في دواخل ذلك ورواضعه قد خرب خراباً فاحشاً، و لم يترك النقض فيه جداراً قائماً، ولا مسجداً باقياً، وأما ما بين باب البصرة والعتابين

والخلد وشارع الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراساً كلياً، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة متوسطين الصحراء بع أن كانا في وسط العمارة. وعرفني بعض العارفين بأمر الحمامات في جانبي البلد عدد ما بقي منها في هذا الوقت وهي سنة عشرين وأربعمائة نحو مائة وسبعين حماماً. وأنني لأذكر وقد حضر عند جدي إبراهيم بن هلال في سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة أحدٌ ممن كان يغشاه، وجرى ذكر مدينة السلام في كبرها، فقال الرجل: لعل هذه الحال كانت قديماً، فأما الآن فحدثني فلان وله معرفة بالحمامات أن جميع ما بقي منها نحو ثلاثة آلاف، فقال جدي: لا إله إلا الله، كذا يكون الانقراض!؟ فإنها أحصيت في زمان المقتدر، وقد فشا الخراب، فكانت تسعاً وعشرين ألف حمام. ولقد ورد كتاب ركن الدولة على أبي محمد المهلبي يقول فيه: بلغنا كثرة المساجد والحمامات ببغداد، فيذكر لنا الموجود اليوم فكانت المساجد تتجاوز حد الإحصاء، وأما الحمامات سبعة عشر ألفاً. وقال ابن هلال: كنت أركب من داري في باب المراتب إلى دار معز الدولة بالشماسية في الأسواق وتحت الظلال والمحال والدروب. وكذلك الجانب الغربي والدور على دجلة وبساتينها متناهية وأقطارها متباعدة وما فيها دار يخلو من الأغاني والدعوات، وجميع ما بقي من الحمامات في بغداد نيف وتسعون حماماً. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عباس الخزاز قال: حدثنا أبو بكر الصولي قال: حدثنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: سمعت أبا الوليد يقول: قال لي شعبة: أدخلت بغداد؟ قلت: لا. قال: فكأنك لم تر الدنيا. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثنا عبد العزيز بن علي الوارق قال: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب الجرجاني يقول: سمعت أحمد بن يوسف بن موسى يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال لي محمد بن إدريس: دخلت بغداد؟ قلت: لا. قال: يا يونس ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا الجوهري قال: حدثنا علي بن عبد الله الهمداني يقول: حدثنا علي بن محمد القاضي قال: حدثني أبو الحسين المالكي قال: حدثني عبد الله بن محمد التميمي قال: سمعت ذا النون يقول: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد. قيل: كيف؟ قال: لما حملت إلى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيداً، فمر بي رجل مؤتزر

بمنديل مصري، معتم بمنديل ديبقي، بيده كيزان وخزف رقاق، وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي: هذا ساقي العامة. فأومأت إليه: اسقني. فسقاني، فشممت من الكوز رائحة مسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً. فأعطاه الدينار. فأبى. وقال: ليس آخذ شيئاً. فقلت له: و لم؟ فقال: أنت أسير، وليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً.فقلت: كمل الظرف في هذا. أخبرنا هبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرني أبو القاسم القاضي قال: حدثني علي بن المحسن التنوخي قال: قال: قال لي أبو القاسم بزياشي بن الحسن الديلمي وهو شيخ يتعلق بعلوم فصيح العربية قال: سافرت الآفاق، ودخلت البادان من حد سمرقند إلى القيروان، ومن سرنديب إلى بلد الروم، فما وجدت بلداً أفضل ولا أطيب من بغداد. قال: وكان سبكتكتين حاجب معز الدولة من جملة أنسائي. فقال لي يوماً: قد سافرت الأسفار الطويلة، فأي بلد وجدت أفضل وأطيب؟ فقلت له: أيها الحاجب، إذا خرجت من العراق فالدنيا كلها رستاق. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا بن علي قال: حدثني أبو القاسم عبد الله بن علي الرقي قال: أخذ أبو العلاء المعري يوماً يدي فغمزها وهو ببغداد ثم قال لي: يا أبا القاسم، هذا بلد عظيم لا يأتي زمان عليك وأنت به إلا رأيت فيه من أهل الفضل من لم يره فيمن تقدم. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أنشدني التنوخي قال: أنشدنا أبو سعيد بن محمد بن علي بن خلف الهمذاني لنفسه يقول:

فدى لك يا بغداد كل قبيلة ... من الأرض حتى خطتي وبلاديا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها ... وسيرت رحلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً ... ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرق شمائلاً ... وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائل لو كان ودك صادقاً ... لبغداد لم ترحل فكان جوابيا
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثني علي بن محمد بن عبد قال: كتب إلي أخي من البصرة وأنا ببغداد يقول:

طيب الهواء ببغداد يصرفني ... قدماً إليها وإن عاقت معاذير
فكيف صبري عنها الآن إذ جمعت ... طيب الهواءين ممدود ومقصور

قال المصنف: وقد كان أبو الوفاء بن عقيل يصف ما شاهد من بغداد، وهذا عند خربها وذهاب أهلها، فيذكر العجائب، وقد ذكرت ذلك في"مناقب بغداد". وفيها: ظهر إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بالبصرة فحارب المنصور. وفيها: قتل أيضاً، وكان من قضيته أنه لما أخذ المنصور عبد الله بن حسن أشفق محمد وإبراهيم فخرجا إلى عدن، فخافا بها، فركبا البحر حتى سارا إلى السند، فسعى بهما، فقدما الكوفة، وكانت أم ولد إبراهيم تقول: ما أقرتنا الأرض منذ خمس سنين، مرة بفارس، ومرة بكرمان، ومرة بالجبل، ومرة بالحجاز. ووضع المنصور إلى إبراهيم الرصد، وكانت له مرآة قد سبق ذكرها ينظر فيها فيرى عدوه من صديقه، فنظر فيها فقال للمسيب: يا مسيب، قد رأيت والله إبراهيم في عسكري، فانظر ما أنت صانع. وأمر المنصور ببناء قنطرة الصراة العتيقة، ثم خرج ينظر إليها فوقعت عينه على إبراهيم، وجلس إبراهيم، فذهب في الناس، فأتى مأمناً فلجأ إليه، فأصعده غرفة له،

وجد المنصور في طلبه، فقال سفيان العمي لإبراهيم: قد ترى ما نزل بنا، ولا بد من المخاطرة. قال: فأنت وذاك. فأقبل إلى الربيع فسأله الإذن. قال: ومن أنت؟ قال: سفيان العمي. فأدخله إلى أبي جعفر، فلما رآه شتمه فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أهل لما تقول، غير أني أتيك تائباً، ولك عندي كل ما تحب إن أعطيتني ما أسألك. قال: وما لي عندك؟ قال: تأتيني بإبراهيم. قال: فما لي عندك إن فعلت؟ قال: كل ما تسأل، فأين إبراهيم؟ قال: قد دخل بغداد، وهو داخلها عن قريب، فاكتب لي جوازاً ولغلام لي ولفرانق، واحملني على البريد، ووجه معي جنداً، آتيك به. قال: فكتب إليه جوازاً، ودفع إليه جنداً وقال: هذه ألف دينار فاستعن بها. قال: لا حاجة لي إليها كلها. فأخذ معه ثلاثمائة دينار، وأقبل حتى أتى إبراهيم وهو في بيت عليه مدرعة صوف وقيل بل فياء كأقبية العبيد فصاح به" قم. فوثب كالفزع، فجعل يأمره وينهله حتى قدم المدائن، فمنعه صاحب القنطرة بها، فدفع إليه جوازه. قال: فأين غلامك؟ قال: هذا. فلما نظر في وجهه قال: والله ما هذا بغلامك، وإنه لإبراهيم، فاذهب راشداً فأطلقهما، فركبا البريد، ثم ركبا سفينة إلى البصرة فاختفيا فيها. وقيل: أنه قد البصرة، فجعل يأتي بالجند الدار ولها بابان فيقعد العشرة منهم على أحد البابين ويقول: لا تبرحوا حتى آتيكم. ثم يدخل الدار فيخرج من الجانب الآخر ويتركهم حتى فرق الجند وبقي وحده واختفى، فبلغ الخبر سفيان بن معاوية، فأرسل إليهم، وطلب العمي، فأعجزه، ونزل إبراهيم على أبي فروة، وأرسل إلى الناس يندبهم إلى الخروج، فلما بلغ الخبر أبا جعفر شاور، فقيل له: إن الكوفة له شيعة، والكوفة قد رافقوا، وأنت طبقتها. فاخرج حتى يترلها. ففعل. وخرج إبراهيم ليلة الاثنين لغرة شهر رمضان من سنة خمس وأربعين، فصار إلى مقبرة بني يشكر في بضعة عشر فارساً، فكان أول شيء أصاب دواب لجماعة من الجند، وأسلحة، وصلى بالناس الغداة بالمسجد الجامع، وتحصن سفيان بن معاوية في الدار، ثم طلب الأمان فأجيب له، ففتح الباب ودخل إبراهيم الدار، فألقي له حصير، فهبت ريح فقلبت الحصير ظهراً لبطن، فتطير الناس لذلك، فقال إبراهيم: لا تتطيروا.ثم جلس عليه مقلوباً والكراهة ترى في وجهه، وحبس سفيان بن معاوية في القصر وقيده قيداً خفيفاً. ووجد ببيت المال ستمائة ألف، فغدا بذلك، وفرض لكل رجل خمسين، ووجه رجلاً إلى الأهواز فبايعوا له، وخرج عاملها فخاصم أصحاب إبراهيم فهزموه. وبلغ جعفراً ومحمداً ابني سليمان بن علي وكانا بالبصرة مصير إبراهيم إلى دار الإمارة وحبسه سفيان، فأقبلا في ستمائة، فوجه إليهما إبراهيم المضاء بن جعفر في ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلاً، فهزمهم المضاء، وصارت البصرة والأهواز وفارس في سلطان إبراهيم، و لم يزل إبراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره بها يفرق العمال في النواحي، ويوجه الجيوش إلى البلدان حتى أتاه نعي أخيه محمد، فأخبر الناس بذلك، فازدادوا بصيرة في قتال أبي جعفر، وأصبح إبراهيم من الغد فعسكر. وأبلغ الخبر إلى أبي جعفر فقال: والله ما أدري ما أصنع، ما في عسكري سوى ألفي رجل، فرقت جندي مع المهدي بالري ثلاثون ألفاً، ومع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفاً، والباقون مع عيسى بن موسى. والله لئن سلمت من هذا لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً. ثم كتب إلى عيسى: إذا قرأت كتابي هذا فأقبل ودع ما أنت فيه. فلم يلبث أن قدم فبعثه على الناس، وكتب إلى سالم بن قتيبة، فقدم عليه من الري، فضمه إلى جعفر بن سليمان، وكتب إلى المهدي يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز، فوجهه في أربعة آلاف من الجند، وبقي المنصور في أيام حرب محمد وإبراهيم على مصلى ينام عليه، و يجلس عليه، وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها، و لم يلتفت إلى النساء، فقيل له في ذلك، فقال: ليست هذه الأيام من أيام النساء حتى أعلم رأس إبراهيم لي أم رأسي لإبراهيم، وكان قد أعد دواب وإبلاً، فإن كانت الكرة عليه خرج للري. وكان قد أحصى ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف، فالتقى عيسى وإبراهيم فاقتتلوا قتالاً شديداً، إلى أن جاء سهمٌ غائر، لا يدرون من رمى به، فوقع في حلق إبراهيم فنحوه عن

موضعه، وقال: أنزلوني. فأنزلوه وهو يقول: "وكان أمر اله قدراً مقدوراً" أردنا أمراً وأراد الله غيره، فأنزل وهو مثخن، واجتمع عليه أصحابه يقاتلون دونه، فشدوا عليهم، فخلصوا إليه، فجزوا رأسه، فأتوا به عيسى، فسجد، وبعث به إلى أبي جعفر، فقال: والله لو كنت لهذا كارهاً، ولكني ابتليت بك، وابتليت بي. فنصبه في السوق، وكان قتله يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ، وكان يوم قتل ابن ثمان وأربعين سنة. ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام. وفيها: خرجت الترك فقتلوا من المسلمين جماعة كثيرة بأرمينية. وفيها: حج بالناس السري بن عبد الله بن الحارث، وكان عامل أبي جعفر على مكة، وكان والي المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي. ووالي الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، ووالي البصرة سالم بن قتيبة الباهلي، وكان على قضائها عباد بن منصور، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يألف الوحدة هو وأخوه، وخرجا إلى البادية ثم خرج أخوه محمد على المنصور على ما سبق ذكره فقتل. وخرج هو فقتل على ما سبق.

إسماعيل بن أبي خالد، أبو عبد الله

واسم أبي خالد: سعد.راى أنساً، وسمع ابن أبي أوفى، وعمرو بن حوشب، وكان سفيان معجباً.وتوفي في هذه السنة. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا إبراهيم بن مخلد قال: حدثنا محمد بن أحمد الحكيمي قال: حدثنا عبد السلام بن محمد بن شاكر قال: حدثنا محمد بن عثمان العاصمي قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن طريف قال: توفي أخي عمير بن طريف فأصغيت إلى قبره، فسمعت صوت أخي صوتاً ضعيفاً أعرفه وهو يقول: ربي الله. فقال له الآخر: فما دينك؟ قال: الإسلام.

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سمع أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. قدم الأنبار على السفاح مع أخيه عبد الله بن الحسن في جماعة من الطالبيين، فأكرمهم السفاح وأجازهم، ورجعوا إلى المدينة. فلما ولي المنصور حبس الحسن بن الحسن وأخاه عبد الله لأجل محمد وإبراهيم ابني عبد الله، فلم يزل في حبسه حتى مات. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: حدثنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال: أخبرنا الحسن بن محمد العكبري قال: حدثنا جدي قال: حدثنا غسان الليثي، عن أبيه قال: كان أبو العباس قد خص عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى كان يتفضل بين يديه بقميص بلا سراويل، فقال له يوماً: ما رأى أمير المؤمنين على هذه الحال غيرك، ولا أعدك إلا ولداً. ثم سأله عن ابنيه فقال له: ما خلفهما عني، فلم يفدا علي مع من وفد علي من أهلهما، ثم أعاد عليه المسألة عنهما مرة أخرى. فشكى ذلك عبد الله بن الحسن إلى أخيه الحسن بن الحسن فقال له: إن أعاد المسألة عليك عنهما فقل له: علمهما عند عمهما. فقال له عبد الله: وهل أنت محتمل ذلك لي؟ قال: نعم. فلما أعاد أبو العباس على عبد الله المسألة عنهما قال: يا أمير المؤمنين، علمهما عند عمهما. فبعث أبو العباس إلى الحسن فسأله عنهما. فقال: يا أمير المؤمنين، أكلمك على هيبة الخلافة، أو كما يكلم الرحل ابن عمه. فقال له أبو العباس: بل كما يكلم الرجل ابن عمه. فقال له الحسن: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، إن كان الله قدر لمحمد وإبراهيم أن يليا من الأمر شيئاً، فجهدت وجهد أهل الأرض معك أن ترد ما قدر الله لهما أيردونه!؟ قال: لا. قال: فأنشدك الله إن كان الله لم يقدر لهما أن يليا من هذا الأمر شيئاً، فاجتمعا واحتمع أهل

الأرض معهما على أن ينالا ما لم يقدر لهما، أينالانه؟! قال: لا. قال: فما تنغيصك على هذا الشيخ النعمة التي أنعمت بها عليه. فقال أبو العباس: لا أذكرهما بعد اليوم، فما ذكرهما حتى فرق الموت بينهما. قال العلوي: قال جدي: توفي الحسن بن الحسن بن علي سنة خمس وأربعين ومائة في ذي القعدة بالهاشمية في حبس أبي جعفر، وهو ابن ثمان وستين سنة.

الحسن بن ثوبان بن عامر، أبو ثوبان الهمداني الهوزني روى عن موسى بن وردان وغيره. حدث عنه حيوة بن شريح، الليث بن سعد، وغيرهما. وكان أميراً على بعض الثغور في خلافة مروان بن محمد . قال المفضل بن فضالة: دخل علينا الحسن بن ثوبان يوماً ونحن في المسجد الجامع فوقف فسلم ثم ذهب فجال في المسجد، ثم رجع إلينا، فقلنا له: يا أبا ثوبان، وقفت علينا ثم ذهبت ثم عدت فقال: إني طلبت من هو أربح لي منكم، فلم أجده. توفي الحسن في رمضان هذه السنة.

حبيب بن الشهيد، أبو محمد البصري مولى لمزينة. سمع الحسن، وابن سيرين، وعكرمة. توفي بواسط في أيام التشريق يوم جاءت هزيمة إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وصلى عليه سوار.

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، أبو محمد

من أهل المدينة، كانت له منزلة من عمر بن عبد العزيز في خلافته، وفد مع جماعة من الطالبين إلى السفاح وهو بالأنبار، فوهب له ألف ألف درهم. ثم عاد إلى المدينة، فلما ولي المنصور حبسه بالمدينة لأجل ابنيه محمد وإبراهيم، فبقي مدة طويلة، ثم نقله إلى الكوفة، فحبسه بها إلى أن مات في الحبس يوم الأضحى من هذه السنة، وهو ابن ست وأربعين سنة. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن ثابت قال: أخبرنا ابن أبي بكر قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى العلوي قال: حدثنا جدي قال: حدثنا أبو الحسن بن علي الباهلي قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: جعل أبو العباس أمير المؤمنين يطوف في بنيانه بالأنبار، ومعه عبد الله بن الحسن، فجعل يريه البناء ويطوف به فيه، فقال عبد الله بن الحسن، يا أمير المؤمنين، وأنشده:

ألم تر حوشباً أمسى يبني ... بيوتاً نفعها لبني بقيلة

يؤمل أن يعمر عمر نوح ... وأمر الله يحدث لك ليلة

فقال أبو العباس: ما أردت بهذا. قال: أردت أن أزهدك في هذا. وقد روي من طريق أخرى أنه لما أنشد البيتين انتبه فقال: أقلني. فقال: لا أقالني الله إن بت في عسكري فأخرجه إلى المدينة. وبقيلة أم ولد للحسين بن علي، جاءت منه بالقاسم وأبي بكر وعبد الله، وقتلوا مع الحسين رضي الله عنه. أخبرنا عبد الرحمن القزاز قال: أخبرما أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا علي بن المحسن التنوخي قال: وجدت في كتاب جدي علي بن محمد بن أبي الفهم قال: حدثني أحمد بن أبي العلاء المعروف بحرقى قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبان قال: حدثني أبو معقل وهو ابن إبراهيم بن داجة قال : حدثني أبي قال: أخذ أبو جعفر أمير المؤمنين عبد الله بن حسن بن حسن فقيده وحبسه في داره، فلما أراد أبو جعفر الخروج إلى الحج جلست له ابنة لعبد الله بن حسن يقال لها: فاطمة، فلما مر بها أنشأت تقول:

إرحم كبيراً سنه متهدماً ... في السجن بين سلاسلٍ وقيود

وارحم صغار بني يزيد إنهم ... يتموا لفقدك لا لفقدك يزيد

إن جدت بالرحم القريبة بيننا ... ما جدنا من جدكم ببعيد

فقال أبو جعفر: أذكرتنيه، ثم أمر به فحدر إلى المطبق، فكان آخر العهد به.
عبد الملك بن أبي سليمان، أبو سليمان وقيل: أبو عبد الله واسم أبي سليمان، ميسرة، وهو عم محمد بن عبد الله العزرمي. نزل جبانة عزرم بالكوفة فنسب إليها. حدث عن أنس بن مالك، وعطاء، وسعيد بن جبير. روى عنه الثوري، وشعبة، وابن مبارك.وكان من الحفاظ ،كان شعبة يعجب من حفظه،وكان سفيان يسميه الميزان .قال أحمد بن حنبل ويحيى: هو ثقة. توفي ببغداد في هذه السنة، دفن بسوق يحيى.
عمرو بن ميمون بن مهران، أبو عبد الله الجزري
نزل الرقة، وسمع أباه، وسليمان بن يسار، وعمر بن عبد العزيز. روى عنه الثوري، وشريك، وابن المبارك. وكان ثقة صالحا" عالما" دينا". أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا احمد بن علي قال: أخبرنا الأزهري قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن جامع قال: قال علي بن محمد بن سعيد الحراني قال: حدثنا عبد الملك الميموني قال: حدثت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال: لما رأيت قدر عمي عند أبي جعفر قلت: يا عم، لو سألت أمير المؤمنين أن يقطعك قطيعة. فسكت عني، فلما ألححت عليه قال: يا بني، إنك لتسألني أن أسأله شيئاً قد ابتدأني به هو غير مرة، فقد قال لي يوماً: يا أبا عبد الله، إني أريد أن أقطعك قطيعة وأجعلها لك طيبة، وإن أحبابي وولدي وأهلي يسألوني ذلك فأبى عليهم، فما يمنعك أن تقبلها؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إني رأيت لهم الرجل على قدر انتشار صيته، وإني يكفيني من همي ما أحاطت به داري، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني فعل، قال: قد فعلت. فقال أحمد بن حنبل: أعده علي. فأعدته عليه حتى حفظه. أخبرنا عبد الرحمن قال: حدثنا أحمد بن علي قال: أخبرنا الأزهري قال: حدثنا ابن جامع قال: حدثنا أبو علي الحراني قال: حدثنا الميموني قال: حدثنا أبي قال: كان عمي عمرو يعطش فما يستسقي من أحدٍ ماء حتى يشربه من بيته، ويقول كل معروف صدقه، وما أحب أن يتصدق علي. توفي عمرو بن ميمون في هذه السنة. وقيل: في سنة أربعين. وفي مكان موته قولان: أحدهما: الرقة. والثاني: الكوفة.
محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله لقي نافعاً، وسمع منه ومن غيره، و لم يزل هو وأخوه إبراهيم يلزمان البادية ويحبان الخلوة، ولا يأتيان الخلفاء والولاة، فلما ولي المنصور طلبهما فنفرا منه وهربا في الجبال وأشخص أباهما وأهل بيتهما فحبسوا حتى ماتوا في حبسه، فبلغ ذلك محمد بن عبد الله، فخرج على المنصور، واجتمع إليه خلقٌ كثير، فبيض ودعي له بالخلافة، فأقبل إلى المدينة، فأخذها وغلب عليها ثم وجه إلى مكة فأخذت له فبيضوا فشمر أبو جعفر في طلبه وحربه، فقتل هو وأخوه على ما سبق. وكان مكث محمد من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً.
محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، أبو عبد الله القرشي وكان يعرف بالديباج لحسن وجهه، أمه فاطمة بنت الحسين ، وكانت قبل أبيه عند الحسن بن الحسن، فولدت له عبد الله وحسناً، ثم مات عنها، فخلف عليها عبد الله بن عمرو فولدت له محمداً، وهو الديباج. وكان جواداً ظاهر المروءة. حدث عن أبيه، وعن نافع، وعن أبي الزناد. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بم علي الحافظ قال: أخبرنا يحيى بن عبد العزيز قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن عباس الجوهري قال: أخبرنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز ، عن أبي السائب قال: احتجت إلى لقحة، فكتبت إلى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أسأله أن يبعث لي بلقحة، فإني لعلى بابي فإذا أنا بزجر إبلٍ، وإذا فيها عبدٌ يزجرها، فقلت: يا هذا، ليس ها هنا الطريق. قال: أردت أبا السائب. فقلت: أنا أبو السائب. فدفع إلي بكتاب محمد بن عبد الله، فإذا فيه: أتاني

كتابك تطلب فيه لقحة، وقد جمعت ما كان بحضرتنا منها، وهي تسع عشرة لقحة، وبعثت معها بعبد راعٍ، وهن بدنٌ، وهو حرٌ إن رجع، فما بعثت به بشيء في مالي أبداً. قال: فبعت منهم بثلاثمائة دينار سوى ما احتسبت لحاجتي. أخذ أبو جعفر المنصور محمد بن عبد الله في هذه السنة، وقتله ليلة جاءه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة، وبعث برأسه إلى خراسان، وذلك لأن محمد أخو عبد الله بن حسن بن حسن لأمه. كذلك ذكر الخطيب. وذكر محمد بن سعد أنه حبسه فمات في حبسه، وكان لهذا الرجل بنت تسمى:حفصة، لا نعرف امرأة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير سواها. لأن أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير، وأم عروة: أسماء بنت أبي بكر، وأم أبيها: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وأم الحسين: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم فاطمة بنت الحسين: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وأم عبد الله بن عمرو: زينب بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب.

يزيد بن أبي سعيد، أبو الحسين النحوي نسب إلى بطن يقال لهم: بني نحوة النحو بن شمس بضم الشين المعجمة بطن من الأزد، وليس منسوباً إلى النحو. قال أبو أحمد العسكري: وكذلك شيبان بن عبد الله النحوي. وقال أبو الحسين ابن المنادي: وهو يزيد لا شيبان. وروى يزيد عن علقمة، ومجاهد. ويروي عن الحسين بن واقد وأبي حمزة.

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها

استتمام المنصور بناء بغداد

وقد ذكر محمد بن عمران أن أبا جعفر تحول إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين، فنزلها. وفيها: عزل المنصور عبد الله بن الربيع الحارثي عن المدينة، وولاها جعفر بن سليمان بن علي. وعزل عن مكة السري بن عبد الله، وولاها عبد الصمد بن علي. وولى البصرة سالم بن قتيبة يسيراً ثم عزله. وكان سبب عزله: أن المنصور كتب إليه: بأي ذلك أبدأ؟ بالدور أم بالنخل؟ فكتب إليه: لو أمرتك بإفساد ثمرهم لكتبت تستأذني بأيه أبدأ؟ بالبرني أم بالشهريز. وعزله وولى محمد بن سليمان بن علي، فهدم دوراً كثيرة وعقر نخلهم، ثم عزله وولى محمد بن العباس، وعزل عيسى بن موسى عن الكوفة وولاه البصرة في جمادى الأولى من هذه السنة. وفيها: دخلت الترك تفليس فهزموا جبريل بن يحيى، وقتلوا حرب بن عبد الله، وسبوا سبياً كثيراً من المسلمين. وفيها: حج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن العباس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إسماعيل بن علي عم المنصور. توفي في هذه السنة.

أشعث بن عبد الملك، أبو هانىء الحمراني مولى حمران بن أبان. سمع الحسن، وابن سيرين. روى عنه يحيى القطان. توفي في هذه السنة. وكان ثقة.

رباح القيسي يكنى أبا المهاصر. كان كثير البكاء والتعبد، وكان قد اتخذ غلاً من حديد يضعه في عنقه بالليل ويبكي ويتضرع إلى الصباح. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط قال: أخبرنا أحمد بم محمد بن يوسف قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني أبو عمر الضرير قال: حدثني الحارث بن سعيد قال: أخذ بيدي رباح فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على قصر الساعات ونحن على هذه الحال. قال: فخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ، ثم خر مغشياً عليه. قال: فجلست والله عند رأسه أبكي، فأفاق، فقال: ما يبكيك؟قلت: لما أرى بك. قال: لنفسك فأبك. ثم قال: وانفساه، وانفسا، ثم غشي عليه. قال: فرحمته والله مما نزل به، ثم لم أزل عند رأسه حتى أفاق، فوثب وهو يقول: "تلك إذن كرة خاسرة" "تلك إذن كرة خاسرة" ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني حتى انتهى إلى مترله، فدخل وأصفق بابه، فرجعت إلى أهلي، و لم يلبث إلا يسيراً حتى مات.

ضيغم بن مالك، وأبو مالك العابد كان ورده كل يوم أربعمائة ركعة، وكان كثير البكاء، طويل الحزن، وكان يقول: لو أعلم أن رضاه في أن أقرض لحمي لدعوت بالمقراض فقرضته. أخبرنا عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط قال: أخبرنا أحمد بن محمد يوسف قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني مالم بن ضغيم قال: قالت أم ضغيم لي يوماً: ضغيم. قال لها: لبيك يا أماه. قالت: كيف فرحك بالقدوم على الله؟ قال: فحدثني غير واحد من أهله أنه صاح صيحة لم يسمعوه صاح مثلها قط، وسقط مغشياً عليه، فجلست العجوز تبكي عند رأسه وتقول: بأبي أنت، ما تستطيع أن يذكر بين يديك شيء من أمر ربك. قال: وقالت له يوماً: ضغيم. قال: لبيك يا أماه. قالت: تحب الموت؟ قال: نعم يا أماه. قالت: و لم يا بني؟ قال: رجاء خير ما عند الله. قال: فبكت العجوز وبكى، وتسامع أهل الدار، فجلسوا يبكون لبكائهم. قال: وقالت له يوماً آخر: ضغيم. قال: لبيك ياأماه. قالت: تحب الموت؟ قال: لا يا أماه . قالت: و لم يا بني؟ قال: لكثرة تفريطي وغفلتي من عن نفسي. قال: فبكت العجوز وبكى ضغيم، فاجتمع أهل الدار يبكون. وكانت أمه عربية كأها من أهل البادية.

عمرو بن قيس، أبو عبد الله الملائي

سمع عكرمة مولى ابن عباس، و أبا إسحاق السبيعي، وعطاء ، وعمر بن المنكدر. روى عنه الثوري، وكان يثني عليه، ويجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه، يتأدب بروءيته. وكان ثقة صالحاً يقال: إنه من الأبدال. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا حمزة بن محمد بن طاهر الوراق قال: حدثنا الوليد بن بكر الأندلسي قال: حدثنا علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي قال: حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي قال: حدثنا أبي، عن أبيه عبد الله قال: جاءت امرأة إلى عمرو بن قيس بثوب فقالت: يا أبا عبد الله، اشتر هذا الثوب، واعلم أن غزله ضعيف. قال: فكان إذا جاءه إنسان فعرضه عليه قال: إن صاحبته أخبرتني أنه كان في غزله ضعف. حتى جاءه رجل فاشتراه، وقال: قد أبرأناك منه. أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا ثابت بن بندار قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: سمعت عبد الله بن إبراهيم الأنبذوني يقول: أخبرنا أحمد بن عامر الدمشقي قال: أخبرنا أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا إسحاق بن خلف قال: أقام عمرو بن قيس عشرين سنة صائماً ما يعلم به أهله، يأخذ غداه ويغدو إلى الحانوت، فيتصدق بغدائه ويصوم وأهله لا يدرون. قال: وكان إذا حضرته الرقة يحول وجهه إلى الحائط ويقول: هذا الزكام. وإذا نظر إلى أهل السوق قال: ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال:

أخبرنا علي بن محمد المعدل قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال:حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا حفص بن غياث قال: حدثنا أبي قال: لما احتضر عمرو بن قيس الملائي بكى. فقال أصحابه: علام تبكي من الدنيا؟ فو الله لقد كنت منغص العيش أيام حياتك. فقال: والله ما أبكي على الدنيا إنما أبكي خوفاً أن أحرم خير الآخرة. أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا علي بن أبي قال: حدثنا حعفر بن كزال قال: حدثني محمد بن بشير قال: حدثنا المحاربي قال:قال لي سفيان: عمرو بن قيس هو الذي أدبني، علمني قراءة القرآن، وعلمني الفرائض، فكنت أطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته، إما يصلي وإما يقرأ القرآن في المصحف، كأنه يبادر أموراً تفوته، فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة في زاوية من زوايا المسجد كأنه سارق قاعد يبكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعداً ينوح على نفسه. فلما مات أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا بجنازته، فلما أخرجوه إلى الجبانة وبرزوا بسريره وكان أوصى أن يصلي عليه أبو حيان التيمي فلما تقدم أبو حيان وكبروا سمعوا صائحاً يصيح: قد جاء المحسن، قد جاء المحسن عمرو بن قيس. وإذا البرية مملوءة من طير أبيض لم ير على خلقتها وحسنها، فجعل الناس يعجبون من حسنها وكثرتها. قال أبو حيان: من أي شيء تعجبون؟ هذه ملائكة جاءت فشهدت عمراً. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن حسن الطبري قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد المقرىء قال: حدثنا محمد بن مخلد قال: حدثنا أبو العباس عيسى بن إسحاق السائح قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو خالد هو الأحمر قال: لما مات عمرو بن قيس رأوا الصحراء مملوءة رجالاً عليهم ثياب بيض، فلما صلي عليه ودفن لم يروا في الصحراء أحداً، فبلغ ذلك لأبي حعفر فقال لابن شبرمة، وابن أبي ليلى: ما منعكما أن تذكرا هذا الرجل لي فقالا: كان يسألنا أن لا نذكره لك. اختلفوا أين توفي، فقيل: بالكوفة، وقيل: بسجستان. وقيل: بالشام. وقيل: ببغداد. والأول أليق.

هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، أبو المنذر

وقيل أبو عبد الله الأسدي. ولد سنة إحدى وستين، رأى ابن عمر، وجابر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وعبد الله بن الزبير، وسمع أباه، وابن المنكدر، والزهري، وغيرهم. روى عنه أيوب السجستاني، ومالك، وابن جريج، والثوري، والليث بن سعد، و غيرهم. وكان ثقة، وقدم على المنصور. أخبرنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخطبي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا عاصم بن عمر بن علي المقرىء قال: حدثني أبي، عن هشام بن عروة: أنه دخل على أبي حعفر المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين، اقض عني ديني. قال: وكم دينك؟ قال: مائة ألف. قال: وأنت في فضلك وفهمك تأخذ ديناً مائة ألف وليس عندك قضاؤها؟ قال يا أمير المؤمنين، شب فتيان من فتياننا، فأحببت أن أبوئهم وخشيت أن ينتشر علي من أمرهم ما أكره فبوأهم واتخذت لهم منازل وأولمت عنهم ثقة بالله وبأمير المؤمنين قال: فرد عليه مائة ألف استعظاماً لها، ثم قال: قد أمرنا لك بعشرة آلاف. قال: يا أمير المؤمنين، فأعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس، فإني سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أعطى عطية وهو بها طيب النفس بورك للمعطي وللمعطى" قال: فإني بها طيب النفس. أخبرنا أبو منصور القزاز بإسناد له عن شيخ من قريش قال: أهوى هشام بن عروة إلى يد المنصور يقبلها فمنعه وقال: يا ابن عروة، إن نكره ذلك، إن نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك. توفي هشام عند المنصور فصلى عليه المنصور، وكانت وفاته في هذه السنة وهو ابن خمس وثمانين سنة. وقيل: توفي في سنة خمس وأربعين. وقيل: سبع وأربعين. واختلفوا

في قبره. قال أبو الحسين بن المنادي: أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام مات أيا خلافة أبي جعفر في سنة ست وأربعين، ودفن في الجانب الغربي خارج السور نحو باب قطربل. وأخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد قال: حدثني حمزة، عن طاهر الدقاق: أنه سمع أبا أحمد بن عبد الله بن الخفر ينكر أن يكون قبر هشام المشهور بالجانب الغربي، وإنما هو بالخيزرانية من الجانب الشرقي. قال أحمد: ونرى أن هذا هو الصواب.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها: أن الكواكب تناثرت كثيراً. وفيها إغارة الترك على المسلمين بناحية أرمينية، وسبيهم منهم ومن أهل الذمة خلقاً كثيراً ودخلوا بهم تفليس، وقتلهم حرب بن عبد الله الذي تنسب إليه الحربية ببغداد، وكان حرب مقيماً بالموصل في ألفين من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة، وكان أبو حعفر حين بلغه تحرك الترك هناك وجه إليهم جبريل بن يحيى، وكتب إلى حرب يأمره بالمسير معه، فسار معه، فقتل وهزم جبريل وأصيب من ذكرنا. وفيها: كان مهلك عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان السبب: أن أبا جعفر كان قد عزل عيسى بن موسى عن الكوفة و أرضها وولى مكانه محمد بن سليمان، وأوفده إلى مدينة السلام، فدعا به، فدفع إليه عبد الله بن علي سراً في جوف الليل وقال له: يا عيسى، إن هذا أراد أن يزيل النعمة عني وعنك، وأنت ولي عهد بعد المهدي، والخلافة صائرة إليك، فخذه إليك واضرب عنقه، وإياك أن تخور أو تضعف. ثم كتب إليه ما فعلت فيما أمرتك به؟ فكتب إليه ثم أنفذت ما أمرت به. فلم يشك أبو جعفر أنه قد قتل عبد الله بن علي، وكان عيسى حين أخذ عبد الله بن علي قد ستره، ودعا كاتبه يونس بن فروة فقال: إن هذا الرجل دفع إلي عمه فأمرني فيه بكذا وكذا. فقال:أراد أن يقتلك ويقتله، أمرك بقتله سراً، ثم يدعيه عليك علانية فيقيدك به. قال: فما الرأي؟ قال: أن تستره في مترلك ولا تطلع على ذلك أحداً، فإن طلبه منك علانية دفعته إليك علانية، ولا تدفعه إليه سراً أبداً، فإنه إن كان أسره إليك سيظهر، ففعل ذلك عيسى. وقدم المنصور ودس على عمومته من يحركهم على مسألته فيه هبة عبد الله بن علي لهم ويطمعهم أنه سيفعل يعني المنصور فجاءوا إليه فكلموه ورققوه، وأظهروا له الرقة، وذكروا له الرحم. فقال المنصور: نعم علي بعيسى بن موسى. فأتى فقال: يا عيسى، قد علمت أني دفعت إليك عمي وعمك عبد الله بن علي قبل خروجي إلى الحج، وأمرتك أن يكون في مترلك. قال: قد فعلت ذلك. قال: وقد كلمني عمومتك فيه، فرأيت الصفح و تخلية سبيله، فأتنا به. فقال: يا أمير المؤمنين، ألم تأمرنا بقتله. فقال: ما أمرتك بقتله. فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أمرتني بقتله. فقال: كذبت، ما أمرتك بقتله. ثم قال لعمومته: إن هذا قد اقر لكم بقتل أخيكم، وادعى أني أمرته بذلك، وقد كذب. قالوا: فادفعه إلينا نقيده. قال: شأنكم به. فأخرجوه إلى الرحبة، واجتمع الناس، واشتهر الأمر، فقام أحدهم وشهر سيفه وتقدم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أقاتلي أنت؟ قال: أي والله. قال: لا تعجلوا ردوني إلى أمير المؤمنين. فردوه إليه. فقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني، هذا عمك حي سوي، إن أمرتني بدفعه إليك دفعته. قال: إتنا به. فقال له عيسى: دبرت علي أمراً فحبسته فكان كما حسبت، فشأنك بعمك. فأمر به فجعل في بيت. وتوفي عبد الله في هذه السنة في الحبس.

وفيها خلع المنصور عيسى بن موسى

وكان سبب خلعه بعد أن بايع له السفاح بعد المنصور أقر على ما كان عليه من ولاية الكوفة وسوادها في زمن السفاح، فكان يكرمه ويجلسه عن يمينه والمهدي عن يساره، إلى أن عزم المنصور على تقديم المهدي في الخلافة عليه، فلما عزم على ذلك كلم عيسى بن موسى في ذلك برقيق من الكلام. فقال عيسى: يا أمير المؤمنين، فكيف بالأيمان والمواثيق التي علي وعلى المسلمين في العتق والطلاق وغير ذلك، ليس إلى ذلك سبيل، فلما رأى امتناعه تغير له وباعده بعض التباعد، وأمر بالإذن للمهدي قبله، فكان يدخل فيجلس في مجلس عيسى، ثم يؤذن لعيسى فيدخل فيجلس دون المهدي عن يمين المنصور أيضاً، ولا يجلس عن يساره فيغتاظ من ذلك المنصور، ويبلغ منه، فكان يأمر بالإذن للمهدي، ثم لعيسى بن علي، ثم عبد الصمد بن علي، ثم عيسى بن موسى. ثم صار الأمر إلى أوحش من ذلك بأن كان يكون في المجلس فيسمع الحفر في أصل الحائط، فيخاف أن يخر عليه الحائط، وينتثر عليه التراب، وينظر إلى الخشبة من سقف المجلس قد حفر عند طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه، فيأمر من معه من ولد بالتحول، ويقوم هو فيصلي، ويأتيه الإذن فيدخل على حالته والتراب عليه. وقيل: إنه دس لعيسى بعض ما يتلفه، ونهض وخرج، فقال له بختيشوع: ما أجترىء على معالجتك بالحضرة، فاستأذن في الكوفة، فأذن له، وبلغت العلة من عيسى كل مبلغ حتى تمعط شعره. وقد اختلفوا في نزول عيسى عن الخلافة للمهدي على خمسة أقوال: أحدها: أنه قيل للمنصور: إنما يحب عيسى الخلافة لولده، فلو أوهمته قتله لنزل عن الخلافة فأخذ ولده بحضرته وقال للربيع: اخنقه فلف حمائل سيفه على حلقه توهم أنه يخنقه. فلما رأى عيسى الجد قال: أشهدك أن نسائي طوالق ومماليكي أحرار، وكل ما أملك في سبيل الله، وهذه يدي بالبيعة للمهدي. والثاني: أن الجند كانوا يؤذون عيسى إذا ركب ويسبونه، فشكاهم إلى المنصور، فقال إنهم قد أشربوا حب هذا الفتى، فبايع حينئذ للمهدي. والثالث: أنه ذهب إليه ثلاثون نفساً، فسألوه أن ينزل عن الخلافة، فلم يفعل، فخرجوا فأخبروا المنصور أنه قد نزل وشهدوا عليه بذلك، فكتب بذلك إلى الأنبار، فلما أنكر شهدوا عليه. والرابع: أن سالم بن قتيبة أشار عليه بذلك فقبل منه. والخامس: أنه بذل له مال فخرج إلى الناس، فقال: قد بعت نصيبي من مقدمة ولاية العهد من أمير المؤمنين لابنه المهدي بعشرة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف بين يدي ولدي فلان وفلان وسبعمائة ألف من فلانة امرأة من نسائه بطيب نفسٍ مني؛ لأنه أولى بها مني وأحق،فما أدعيه بعد يومي هذا فإني فيه مبطل. وكساه أبو جعفر وكسا أولاده بقيمة ألف ألف درهم ومائتي ألف درهم، وكان ولاية عيسى الكوفة وسوادها وما حولها ثلاث عشرة سنة، حتى عزل محمد بن سليمان حين امتنع من تقديم المهدي على نفسه. وقال المنصور للمهدي لما عهد إليه: يا أبا عبد الله، استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو، والطاعة بالتألف، والنصر بالتوضع، ولا تبرم أمراً حتى تفكر فيه، فإن فكر العاقل مرآته تريه حسنة وسيئه. واعلم أنه لا يصلح رعيته إلا بالطاعة، ولا تعمر البلاد بمثل العدل، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال، وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة، وأعجز الناس من ظلم من هو دونه، واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختباره، ومن أحب الحمد أحسن السيرة، وليس العاقل الذي يحتال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه، ولكن هو الذي يحتال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه. وقال له يوماً: كم دابة عندك؟ قال: لا أدري. هذا والله التصنيع، أنت لأمر الخلافة أشد تضييعاً. وفي هذه

السنة: ولى أبو جعفر محمد بن العباس ابن أخيه البصرة، فاستعفى منها فأعفاه، فانصرف عنها إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، فمات بها. واستخلف على البصرة عقبة بن مسلم، وأقره أبو جعفر عليها.

وفيها ضرب مالك بن أنس

أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أخبرنا أحمد بن الحسين البيهقي قال: سمعت أبا أحمد ابن أبي الحسن يقول: سمعت أبا عوانة يقول: سمعت أبا يوسف الفارسي يقول: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: ضرب مالك بن أنس رضي الله عنه في سنة سبع وأربعين ومائة. ضربه سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس سبعين سوطاً. قال مؤلف الكتاب رحمه الله: والسبب في ضربه أنهم سألوه عن مبايعة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وقالوا له: إن في أعناقنا بيعة أبي جعفر. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محممد. فلذلك ضرب. وفي هذه السنة: حج بالناس المنصور، وقبض على جعفر بن محمد بن علي بالمدينة. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا علي بن عمر القزويني قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: حدثنا القاسم بن داود الكاتب قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد القرشي قال: حدثني عيسى بن حرب والمغيرة بن محمد قالا: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثني الحسين بن الفضل بن الربيع قال: حدثني عبد الله بن الفضل بن الربيع و لم يحفظ الدعاء وبعضه عن غيره قال: حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة، فقدم المدينة فقال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً، قتلني الله إن لم أقتله. فتغافل عنه الربيع لينساه، ثم أعاد ذكره للربيع وقال: ابعث إليه من يأتي به متعباً. فتغافل عنه، ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل. فلما أتاه فقال: أبا عبد الله، اذكر الله، فإنه قد أرسل إليك التي لا سوى لها. قال جعفر: لا حولة ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم أعلن أبا جعفر حضوره، فلما دخل أوعده وقال أبو عبد الله: إتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم، و تلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين، إن سليمان عليه السلام أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك الشيخ. فقال له أبو جعفر: إلي وعندي أبا عبد الله البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم. ثم تناول يده فأجلسه معه على فرشه، ثم قال: علي بالمحفة. فأتى بدهن فيه غالية فعلقه بيده حتى خلت لحيته قاطرة، ثم قال: في حفظ الله وكلاءته. ثم قال: يا ربيع، ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، انصرف أبا عبد اله في حفظ الله وفي كنفه. فانصرف، ولحقته فقلت له: إني رأيت قبل ذلك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، فما قلت يا أبا عبد الرحمن حين دخلت. قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني ببركتك التي لا أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وأستعيذك من شره. وكان عامل المنصور في هذه السنة على مكة والطائف عمه عبد الصمد بن علي، وعلى البصرة جعفر بن سليمان، وعلى الكوفة وأرضها محمد بن سليمان، وعلى البصرة عقبة بن سالم، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حسين بن ذكوان المعلم البصري سمع عبد الله بن بريدة، ويحيى بن أبي كثير. سمع منه: شعبة، وعبد الوارث، وابن المبارك، وكان ثقة.

سهيل بن حيان بن المنصور بن سعد، أبو السحماء الكلبي روى عنه: الليث، وابن وهب. وكانت له عبادة وفضل. توفي بالإسكندرية في هذه السنة.

عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي

عم أبو جعفر المنصور. أمه أو ولد بربرية، ولاه أبو العباس السفاح حرب مروان بن محمد، وضمن له لأنه إن جرى قتل مروان على يده أن يجعله الخليفة من بعده، فسار عبد الله إلى مروان حتى قتله، واستولى على بلاد الشام، و لم يزل أميراً عليها مدة خلافة السفاح، ثم تغيرت نية السفاح له، فعهد إلى المنصور، فلما ولي المنصور خالف عليه عبد الله، ودعا إلى نفسه محتجباً بما كان السفاح وعده، فوجه إليه المنصور أبا مسلم صاحب الدولة، فحاربه بنصيبين، فانهزم عبد الله واختفى، وصار إلى البصرة إلى أخيه سليمان بن علي، فأقام عنده إلى أن أخذ له أماناً من المنصور، و لم يصل إليه فحبسه، فلم يزل في الحبس حتى وقع عليه البيت الذي حبس فيه في ليلة مطيرة فقتله في هذه السنة، وهو ابن اثنين وخمسين. وقيل: بل كان عمره خمساً وأربعين. ودفن في مقابر باب الشام، فكان أول من دفن بها. وقد روى أصحاب التواريخ أن المنصور قال لابن عياش المتنوف وكان له انبساط على المنصور على طريق المزاح: تعرف ثلاثة أول أسمائهم عين، قتلوا ثلاثة أوائل أسمائهم عين؟ قال: نعم، عبد الرحمن قتل علي بن أبي طالب، وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير، ووقع البيت على عمك عبد الله. وكان قد كتب العهد لعبد الله واستوثق فيه، وغلظ في الأيمان، وفيه: أن أحج حافياً حاسراً، وأموالي وأملاكي حبيس في سبيل الله، وأقول كذا وكذا، وأبرأ من كذا وكذا. فلما وقف المنصور على هذا المكتوب قال: متى وقعت عليه عيني فهذا كله يلومني. فلما جيء به أعلم بمجيئه، فقال: يدخل بيتاً. وكان قد أعد له بيتاً بني أساسه بالملح، فلما استقر فيه أجري الماء حواليه فانهدم البيت عليه. وذكر أبو بكر الصولي عن عبد الله بن العياش قال: قال لنا المنصور: أخبروني عن أول خليفة اسمه عين، قتل ثلاثة جبابرة أول أسمائهم عين؟ فقلت: عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. قال: فخليفة آخر أول اسمه عين فعل مثل ذلك بثلاثة جبابرة أول أسمائهم عين. قلت: أنت يا أمير المؤمنين عبد الله بن محمد قتلت أل مسلم واسمه عبد الرحمن، وقتلت عبد الجبار بن عدي، وسقط البيت على عمك عبد اله. فضحك المنصور وقال: ويحك، وما ذنبي إذا سقط البيت عليه. قال الصولي: إنما قال: وسقط البيت عليه يريد أنك قتلته لأنه بنى له بيتاً أساسه ملحٌ فسقط عليه، و لم يفصح بهذا ولكنه عرض به. وقال الصولي: ويروي أنه قال لهم: أتعرفون عين ابن عين ابن عين ابن عين قتل ميم ابن ميم ابن ميم؟ قالوا: نعم، عمك عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب قتل مروان بن محمد بن مروان.

عثمان، أبو عمرو البتي الثقفي البصري وقيل: هو عثمان بن سليمان بن هرمز. وقيل: ابن سليمان بن جرموز. سمع الحسن. وروى عنه الثوري. وكان يبيع البت، وهي ثياب معروفة بالبصرة.

هشام بن حسان بن عبد الله الفردوسي روى عن عطاء وغيره. أخبرنا عبد الوهاب بإسناد له عن أبي بكر بن أبي الدنيا قال: حدثني ابن هرمز بن مروان قال: سمعت حماد بن زيد قال: حدثتني فارسية كانت تكون مع هشام بن حسان في الدار قالت: أي ذنب عمل هذا من قبل هذا الليل كله يبكي. توفي هشام في هذه السنة. وقيل في سنة ثمان، وقيل: في سنة ست.

هلني بن المنذر الكلاعي روى عنه ابن لهيعة. وكان علامة بالأنساب، مستطلعاً معرفتها، وبأخبار العرب وأيامها، وأخبار مصر وما جرى فيها. وكان يوثق فيما يحكيه. توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها: توجيه المنصور حميد بن قحطبة إلى أرمينية لحرب الترك الذين قتلوا حرب بن عبد الله، وعاثوا بتفليس، فسار فوجدهم قد ارتحلوا، فانصرف و لم يلق منهم أحداً. وفيها: عسكر صالح بن علي بدابق و لم يغز. وفيها: خرج الهند من البحر فأتوا دجلة البصرة. وفيها: حج بالناس جعفر بن أبي جعفر المنصور، وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أبو عبد الله جعفر الصادق. أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. كان عالمُا زاهداً عابداً، أسند عن أبيه وعطاء وعكرمة. حدثنا محمد بن أبي القاسم قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: حدثنا أبو نعيم الأصفهاني قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو الحسن بن أبان قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله قال: حدثنا الوليد بن شجاع قال: حدثنا إبراهيم بن أعين، عن يحيى بن الفرات قال: قال جعفر بن محمد بن لسفيان الثوري. لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره، وستره. أخبرنا محمد بن القاسم قال: حدثنا حمد بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم قال: حدثني أبو الحسن بن الحسين الكاتب قال: حدثني أبي قال: حدثني الهيثم قال: حدثني بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني، إنه من قنع بما قسم له استغنى، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه. يا بني، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ون دخل مداخل السوء اتهم. يا بني، قل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه. أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا عبد المحسن بن محمد قال: حدثنا مسعود بن ناصر السجستاني قال: أخبرنا سعيد بن أبي عمرو البحتري قال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن عبيدة يقول: سمعت أحمد بن سهل البخاري يقول: سمعت صالح بن محمد يقول: سمعت أحمد بن عبيدة يقول: سمعت محمد بن يوسف يقول: سمعت الثوري يقةل: دخلت على جعفر بن محمد الصادق فقلت له: يا ابن رسول الله، مالي أراك قد اعتزلت عن الناس؟ قال: يا سفيان، فسد الزمان، وتغير الإخوان، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد، ثم أنشأ يقول:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب ... والناس بين مخاتل ومو ارب

يفشون بينهم المودة و الصفا ... وقلوبهم محشوة بعقارب

سليمان بن مهران، أبو محمد الأعمش

مولى بني كاهل. أصله من طبرستان، من قرية يقال لها: دياوند. ولد يوم قتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وسكن

الكوفة، ورأى أنس بن مالك، و لم يسمع منه. ورأى أبا بكرة الثقفي وأخذ بركابه، فقال له: يا بني، إنما أكرمت ربك عز وجل. وسمع المغرور بن سويد، وأبا وائل، إبراهيم التيمي، وسفيان الثوري، وغيرهم، وكان من أقرأ الناس للقرآن وأعرفهم بالفرائض، وأحفظهم للحديث وأوثقهم. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا ابن رزق قال: أخبرنا عمر بن أحمد قال: حدثنا حنبل بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن داود قال: حدثنا عيسى بن يونس قال: لم نر نحن ولا القرآن الذين كانوا قبلنا مثل الأعمش، وما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عن الأعمش مع فقره وحاجته.أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني عبد الله بن أبي بكر بن شاذان قال: أخبرنا أحمد بن علي بن محمد بن الجهم قال: أخبرنا محمد بن جرير قال: حدثنا أبو هشام قال: سمعت عمي يقول: قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى: اجمع الفقهاء. قال: فجمعتهم، فجاء الأعمش في جبة فرو وقد ربط وسطه بشريط، فأبطأوا فقام الأعمش فقال: إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنا. فقال: يا ابن أبي ليلى، قلت لك تأتي بالفقهاء تجيء بهذا؟! قال: هذا سيدنا، هذا الأعمش. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت بإسناد له، عن وكيع قال: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلف إليه قريباً من سنتين، فما رأيته يقضي ركعة. أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو بمر المنكدري قال: أخبرنا أبو الحسن بن الصلت قال: أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني ابن المرزبان قال: حدثنا أبو محمد البلخي قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا جرير قال: جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية، فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء رجل عليه سواد، فلما بصر بالأعمش عليه فروة حقيرة قال: قم عبرني هذا الخليج. وجذب بيده فأقامه وركبه وقال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج، ثم رمى به وقال: "وقل ربي أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين" ثم خرج وترك المسود يتخبط في الماء. قال سلم بن إبراهيم: سمعت شعبة يقول: كان الأعمش إذا رأى ثقيلاً قال له: كم عرضك تقيم في هذه البلدة. قال الربيع بن نافع: كنا نجلس إلى الأعمش فيقول: في السماء غيم. يعني ها هنا من نكره. أخبرنا ابن ناصر بإسناد له عن إسماعيل بن زياد قال: نشزت على الأعمش امرأته، وكان يأتيه رجل يقال له: أبو البلاد مكفوف، فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه، فقال له: يا أبا البلاد، إن امرأتي قد نشزت علي، وضيعت بيتي وغمتني، فأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم. فدخل عليها فقال: يا هنياه، إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ أصل ديننا، وحلالنا وحرامنا، لا يغرنك عموشة عينيه، ولا حموشة ساقيه، فغضب الأعمش وقال: يا أعمى يا خبيث، أعمى اله قلبك، قد أخبرتها بعيوبي كلها، اخرج من بيتي. فأخرجه من بيته. عن الحسن بن يحيى بن آدم قال: حدثتني أمي قالت: لم تكن بالكوفة امرأة أجمل من امرأة الأعمش، فابتليت بالأعمش وبقبح وجهه، وسوء خلقه. توفي الأعمش في ربيع الأول من هذه السنة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. وقيل: توفي سنة سبع.

عمار بن سعد السلهمي يروي عنه عطاء بن دينار، وحيوة بن شريح، وكان فاضلاً، كان يقول: من تخايل الثواب خف عليه العمل، وما لاءم القلب خف على الجسد، ولسان الحكيم في قلبه، و قلب الأحمق في طرف لسانه، ما خطر على قلبه نطق به.

محمد بن عجلان

مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة، يكنى أبا عبد الله: وكان ثقة كثير الحديث، روى عنه حيوة بن شريح، والليث، وغيرهما. وكان يخضب بالصفرة. توفي في هذه السنة. أخبرنا أبو المنصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو محمد الخلال

قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا عبد العزيز بن أحمد الغافقي قال: سمعت عياش بن نصر البغدادي يقول: سمعت صفوان بن عيسى يقول: مكث محمد بن عجلان في بطن أمه ثلاث سنين، فشق بطن أمه فأخرج وقد نبتت أسنانه. أخبرنا أحمد بن عبد الباقي بإسناد له عن محمد بن عمر قال: خرج محمد بن عجلان مع محمد بن عبد الله بن حسين حتى خرج بالمدينة، فلما قتل وولي جعفر بن سليمان المدينة بعث إلى محمد بن عجلان فأتى به فبكته وكلمه كلاماً شديداً وقال له: خرجت مع الكلاب. وأمر بقطع يده. فلم يتكلم إلا أنه يحرك شفتيه بشيء لا ندري ما هو، يظن أنه يدعو. قال: فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء المدينة وأشرافهم. فقالوا: أصلح الله الأمير، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه، فظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، فلم يزالون يشفعون له حتى تركه. فولى محمد بن عجلان منصرفاً لم يتكلم بكلمة إلى مترله.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

فمن الحوادث فيها

غزو العباس بن محمد الصائفة أرض الروم

ومعه الحسن بن قحطبة، ومحمد بن الأشعث، فهلك ابن الأشعث في الطريق. وفيها: استتم المنصور جميع ما أراد من البناء ببغداد، واستتم حائط بغداد. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن علي الوارق قال: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا محمد بن الحسن السكوني قال: قال محمد بن خلف: أنبأني محمد بن موسى القيسي، عن محمد بن موسى الخوارزمي: أن أبا جعفر تحول من الهاشمية إلى بغداد ونزلها مع جنده، وسماها: مدينة السلام، واستتم حائط بغداد وجميع عملها بعد مائة سنة وثمان وأربعين وستة أشهر وأربعة أيام من الهجرة. وفي هذه السنة: شخص المنصور إلى مدينة الموصل ثم عاد إلى مدينة السلام. وعزل السري بن عبد الله عن مكة والطائف، وولاها محمد بن إبراهيم بن محمد. وفيها: حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وكانت العمال التي في الأمصار في هذه السنة هم العمال في السنة التي قبلها غير مكة والطائف، فإن واليها كان في هذه السنة محمد بن إبراهيم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن يزيد، أبو يونس العجلي القوي سمع من أبي سلمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد. أخبرنا ابن الناصر قال: أخبرنا محمد بن علي بن ميمون قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن رجاء قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الجعفي قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن كعب قال: حدثنا علي بن كعب قال: حدثنا إسماعيل بن زياد قال: إنما سمي أبو يونس: القوي لقوته على العبادة، صلى حتى أقعد، وبكى حتى عمي، وصام حتى صار كالحشفة.

زكريا بن أبي زائدة، أبو يحيى الهمداني سمع الشعبي، وأبا إسحاق. روى الثوري، ووكيع.

سالم بن قتيبة كان أمير كبيراً، غزير العقل، حسن المحضر، وولاه المنصور البصرة ثم عزله. عن أبي المعلى الثقفي يقول: جرى ذكر رجلٍ في مجلس سالم بن قتيبة فتناوله بعض أهل المجلس، فقال: يا هذا أوحشتنا من نفسك، وآنستنا من مودتك، ودللتنا على

عورتك. قال الأصمعي: أتى أهلنا سالم بن قتيبة في حاجة فقالوا له: جئناك فيما لا يرزأك ولا ينكأك. فقال: لا جاء الله بكم إذن، فلم جئتموني عليكم بلئام الناس. توفي سالم في هذه السنة، وصلى عليه المهدي.

عمران بن حرير، أبو عبيدة السدوسي البصري سمع عكرمة، وأبا مجلذ. وسمع منه: شعبة، ووكيع. وتوفي في هذه السنة.

عيسى بن عمرو الثقفي النحوي كان فاضلاً غاية في النحو، صنف كتباً حساناً.

كرز بن وبرة

كوفي الأصل، سكن جرجان، أسند عن طاووس، وعطاء والربيع بن خثيم وغيرهم. وكان متعبداً. أخبرنا ابن الناصر قال: أخبرنا أبو الفضل بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني شريح بن يونس قال: حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن أبيه قال: دخلت على كرز بن وبرة بيته وإذا عند مصلاه حفرة قد ملأها تبناً، وبسط عليها كساء، من طول القيام. وكان يقرأ في اليوم والليلة القرآن ثلاث مرات. قال أبو نعيم: وحدثنا محمد بن حيان قال: حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا خرير بن زناد الحارثي، عن شجاع بن صبيح مولى كرز بن وبرة قال: أخبرني أبو سليمان المكتب قال: صحبت كرزاً إلى مكة، وكان إذا نزل أدرج ثيابه فألقاها على الرجل، ثم تنحى للصلاة، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل فاحتبس يوماً عن الوقت، فانبثت أصحابه في طلبه. فكنت فيمن طلبه. قال: فأصبته في وهدة يصلي في ساعة حارة، قلت: وما حاجتك؟ قال: أحب أن تكتم علي ما رأيت. قال: قلت: ذاك لك: أوثق لي. فحلفت لا أخبر به أحداً حتى يموت.

كهمس بن الحسن، أبو عبد الله القيسي كان متعداً ورعاً، يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، ويقول لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء، فو الله ما رضيتك لله ساعة قط. عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا عمارة بن زادان قال: قال لي كهمس: يا أبا سلمة، أذنبت ذنباً، فأنا أبكي عليه أربعين سنة. قلت: ما هو يا أبا عبد الله. قال: زارني أخٌ لي فاشتريت له سمكاً بدانق، فلما أكل قمت إلى حائط جار لي، فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده، فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة.

عابد علوي مديني

أخبرنا المحمدان: ابن عبد الملك وابن ناصر قالا: أخبرنا أحمد بن خيرون قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي الوارق قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد قال: حدثنا محمد بن عبد الواحد الكتاني قال: حدثنا عبد الله بن محمد الأنصاري قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن العلاء قال: حدثني أبي قال: سمعت أبا عامر الواعظ يقول: بينا أنا جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني غلام أسود برقعة فقرأتها، فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم. متعك الله بمسامرة الفكرة، ونعمك بمؤانسة العبرة، وأفردك بحب الخلوة، يا أبا عامر، أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك، وأحببت زيارتك وبي من الشوق إلى مجالستك والاستماع لمحادثتك، ما لو كان فوقي لأظلني، ولو كان تحتي لأقلني، سألتك بالذي حباك بالبلاغة لما ألحقتني جناح التوصل من زيارتك. والسلام. قال أبو عامر: فقمت مع الرسول حتى أتى بي إلى فناء فأدخلني متزلاً رحباً خرباً. فقال لي: قف ها هنا حتى أستأذن لك. فوقف، فخرج إلي فقال لي: لج. فدخلت، فإذا بيت مفرد في الخربة، له باب من جريد النخل، وإذا بكهل قاعد مستقبل القبلة، تخاله من الوله مكروباً، ومن الخشية محزوناً، قد ظهرت في وجهه أحزانه، وذهبت من البكاء عيناه، ومرضت أجفانه،

فسلمت عليه، فرد السلام، ثم تحرك، فإذا هو أعمى أعرج مسقام. فقال لي: يا أبا عامر، غسل الله من درن الذنوب قلبك، لم يزل قلبي إليك تواقاً، وإلى سماع الموعظة منك مشتاقاً، وبي جرح بعدٍ، قد أعيا الواعظين دواه، وأعجز المتطببين شفاؤه، وقد بلغني نفع مراهمك للجراح ةالآلام ، فلا تألو رحمك الله في إيقاع الترياق، وإن كان مر المذاق، فإني ممن يصبر على ألم الدواء رجاء الشفاء. قال أبو عامر: فنظرت إلى منظر بهرني، وسمعت كلاماً قطعني، فأفكرت طويلاً، ثم تأتى من كلامي ما تأتى، وسهل من صعوبته مامنه يرق لي. فقلت: يا شيخ، ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء، وأجل سمع معرفتك في سكان الأرجاء، وتنقل بحقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعد الله فيها للأولياء، ثم تشرف على نار لظى فترى ما أعد فيها للأشقياء، فشتان ما بين الدارين، أليس الفريقان في الموت سواء؟ قال أبو عامر: فأن أنةً، وصاح صيحة، وزفر والتوى، وقال: يا أبا عامر، وقع والله دواؤك على دائي، وأرجو أن يكون عندك شفائي، زدني رحمك الله. فقلت له: يا شيخ، إن الله عالم بسريرتك، مطلع على خفيتك، شاهدك في خلوتك بعينه، أين كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته. فصاح صيحة كصيحته الأولى. ثم قال: من لفقري، من لفاقتي، من لذنبي، من لخطيئتي؟ أنت مولاي، وإليك منقلبي. ثم خر ميتاً رحمه الله. قال أبو عامر: فأسقط في يدي وقلت: ما جنيت على نفسي. فخرجت إلي جارية عليها مدرعة صوف، وخمار من صوف، قد ذهب السجود بجبينها وأنفها، وأصفر لطول القيام لونها، وتورمت قدماها، فقالت: أحسنت والله يا حادي قلوب العارفين، ومثير أشجان غليل المحزونين، لا نسي لك هذا المقام رب العالمين، يا أبا عامر، هذا الشيخ والدي، مبتلى بالسقم منذ عشر سنين، صلى حتى أقعد، وبكى حتى عمي، وكان يتمناك على الله ويقول: حضرت مجلس أبي عامر البناني، فأحيا موات قلبي، وطرد وسن نومي، فإن سمعته ثانية قتلتني، فجزاك الله من واعظ خيراً، ومتعك من كلمك بما أعطاك، ثم أكبت على أبيها تقبل عينيه وهي تبكي وتقول: يا أبي، يا أبتاه، يا من أعماه البكاء، يا أبي يا أبتاه، يا من قتله ذكر وعيد ربه ثم علا البكاء والنحيب والاستغفار ةالدعاء، وجعلت تقول: يا أبي، يا أبتاه، يا حليف الحرقة والبكاء. يا أبي يا أبتاه، يا قتيل الوعاظ والحكماء. قال أبو عامر: فأجبتها: أيتها الباكية الجرباء، والنادبة الثكلى، إن أباك نحبه قد قضي، وورد دار الجزاء، وعاين كل ما عمل، وعليه يحصى في كتاب عند ربي، لا ينسى لمحسن فله الزلفى، أو مسيء فوارد دار من أساء. فصاحت الجارية كصيحة أبيها، ثم جعلت ترشح عرقاً، وخرجت مبادراً إلى مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفرغت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء حتى إذا كان عند صلاة العصر، فجاءني الغلام الأسود فأذنني بجنازتيهما وقال: احضر الصلاة عليهما ودفنتهما. وسألت عنهما فقيل لي من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. قال أبو عامر: فما زلت جزعاً حذراً مما جنيت، حتى رأيتهما في المنام عليهما حلتان خضراوتان، فقلت: مرحباً بكما وأهلاً، فما زلت حذراً بما وعظتكما به، ماذا صنع الله بكما؟ فقال الشيخ:

أنت شريكي في الذي نلته ... مستأهلاً ذاك يا أبا عامر

وكل من أيقظ ذا غفلة ... فنصف مايعطاه للآمر

من رد عبداً آبقا مذنباً ... كان كمن قد راقب القاهر

واجتمعا في دار عدل وفي ... جوارب سيد غافر

ثم دخلت سنة خمسين ومائة

فمن الحوادث فيها: خروج بعض الأعاجم بخراسان في ثلاثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان، فوجه المنصور خازم بن خزيمة إلى المهدي، فولاه الحرب، وضم إليه اثنين وعشرين ألفاً. ثم ضم إليه ستة آلاف من الجند متخيرين، فالتقوا، فقتل من المشركين أكثر من سبعين ألفاً، وأسر أربعة عشر ألفاً، فضربت أعناقهم، ونجا ملك الأعاجم في جماعة لجأوا إلى جبل، فحاصرهم المسلمون، فنزلوا على حكمهم فحكموا بأن يؤسر الملك وأولاده ويعتق الباقون. وقد قيل: كان هذا في سنة إحدى وخمسين ومائة. وفي هذه السنة: عزل المنصور جعفر بن سليمان الهاشمي عن المدينة وولاها الحسن بن زيد بن علي. وفيها: حج بالناس عبد الصمد بن علي، وكان العامل على مكة الطائف محمد بن إبراهيم بن محمد، وعلى المدينة الحسن بن زيد العلوي، وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علي، وعلى البصرة عقبة بن مسلم، وعلى قضائها سوار، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حجاج بن أرطأة، أبو أرطأة النخعي الكوفي سمع عطاء بن أبي رباح وغيره. وروى عنه: سفيان الثوري، وهشيم، وبن المبارك، ويزيد بن هارون. وكان من حفاظ الحديث ومن الفقهاء. استفتي وهو ابن ست عشرة سنة. وولي القضاء بالبصرة، إلا أنه كان مدلساً، يروي عن من لم يلقه، فيرسل تارة عن مجاهد، وتارة عن الزهري و لم يلقهما، وكان مع المنصور في بناء مدينته، وتولى خطها، ونصب قبلة مسجدها، وكان في هذا الرجل تيه كثير، وكبر خارج عن الحد. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال:أخبرني حمد بن محمد بن طاهر الدقاق قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد قال: سمعت أبا قلابة يقول: سمعت أبا عاصم يقول: أول من ولي القضاء لبني العباس بالبصرة الحجاج بن أرطأة، فجاء إلى حلقة البتي، فجلس في عرض الحلقة، وقيل له: ارتفع إلى الصدر. فقال أنا صدر حيث كنت. قال: وقال: أنا رجل حبب إلي الشرف. أخبرنا القزاز قال: أخحبرنا أحمد بن علس بن ثابت قال: أخبرني محمد بن جعفر بن علان قال: أخبرنا مخلد بن جعفرقال: حدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثت عن قيس بن الوليد قال: سمعت أبا يوسف يقول: كان الحجاج بن أرطأة لا يشهد جمعة ولا جماعة، ويقول: أكره مزاحمة الأنذال. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني الأزهري قال: حدثنا محمد بن العباس قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال: كان الحجاج بن أرطأة في أصحاب أبي جعفر، فضمه إلى المهدي، فلم يزل معه حتى توفي بالري والمهدي بها يومئذ في خلافة أبي جعفر.وكان ضعيفاً في الحديث.

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح المكي

مولى أمية بن خالد. وكان يكنى أبا الوليد، وأبا خالد. سمع من طاووس مسألة واحدة، ومن مجاهد حرفين في القراءات. وسمع الكثير من عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وابن المنكدر وغيرهم. روى عنه: الأوزعي، والثوري، وابم المبارك، وغيرهم. وكان ثقة، يقال إنه أول من صنف الكتب، وكان عطاء يقول: ابن جريح سيد شباب أهل الحجاز، وقيل له: من نسألك بعدك؟ فقال: هذا الفتى إن عاش؛ يعني ابن جريج. وقال عبد الرزاق: كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله، وما رأيت أحداً أحسن صلاة منه. وقال مالك: كان ابن جريج صاحب ليل. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار قال: حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي قال: حدثنا أحمد بن حنبل قال: حدثنا عبد

الرزاق قال: أهل مكة يقولون أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء، وأخذ عطاء من أبي الزبير، وأخذها أبو الزبير من أبي بكر، وأخذها أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم. قال عبد الرزاق: وكان ابن جريج حسن الصلاة. توفي في هذه السنة، هكذا قال يحيى بن سعيد، ومكي بن إبراهيم، وخليفة بن خياط. وقال علي بن المديني: سنة إحدى وخمسين. وقال أحمد بن عبد الله العجلي سنة تسع وأربعين.

عبد الملك بن سعيد بن أبجر المتطبب أسند عن أبي الطفيل عامر بن وائلة ، وذر، والشعبي، وغيرهم. وكان شديد الورع، خصوصاً في نطقه، وكان من البكائين. أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصفهاني قال: حدثنا محمد بن إبراهيم في كتابه قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن قال: حدثنا موسى بن عبد الرحمن قال: حدثنا حسن الجعفي، عن عبد الملك بن أبجر قال: ما من الناس إلا مبتلي بعافية لينظر كيف شكره، أو يبليه لينظر كيف صبره.

عبد العزيز بن سليمان، أبو محمد الراسبي أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد قال: أخبرنا هلال بن محمد قال: حدثنا جعفر الخالدي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: سمعت دهثماً وكان من العابدين يقول: اليوم الذي كنت لا آتي فيه عبد العزيز أكون مغبوناً، وأبطأت عليه ذات يوم ثم أتيته فقال: ما الذي بطأ بك. قلت: خير. قال: على حال. قلت: شغلنا العيال، كنت ألتمس لهم شيئاً. قال: فوجدته لهم؟ قلت: لا. قال: هلم فلندع. قال: فدعا فأمنت ودعوت فأمن، ثم نهضنا لنقوم، فإذا والله الدنانير والدراهم تتناثر في حجورنا. فقال: دونكها. ومضى و لم ياتفت إلي. قال: فأخذها، فإذا هي مائة دينار ومائة درهم. قال محمد: فقلت له: ما صنعت بها؟ قال احتبست قوت عيالي جمعة حتى لا يشغلني عن عبادته وشكره وخدمته فكرٌ في شيء من عرض الدنيا. ثم أمضيتها والله في سبيل الله. أخبرنا عبد اله بن علي ومحمد بن ناصر قالا: أخبرنا طراد بن محمد قال: أخبرنا علي بن بشران قال:حدثنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: حدثني واقد الصفار قال: دعا عبد العزيز بن سليمان يوماً لمقعد كان في مجلسه وأمن إخوته. قال: فو الله ما انصرف المقعد إلى أهله إلا ماشياً على رجليه. أخبرنا عبد الوهاب وعلي بن عمر قالا: أخبرنا رزق الله قال: أخبرنا محمد بن يوسف قال: حدثنا الحسن بن صفوان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثني محمد بن إدريس قال: حدثنا محمد بن أبي الحواري قال: حدثنا عبد العزيز بن عمير قال: قيل لعبد العزيز الراسبي وكانت رابعة تسميه: سيد العابدين ما يقي مما تلذ به؟ قال: سرداب أخلو فيه.

مقاتل بن سليمان بن بشر، أبو الحسن البلخي

قدم بغداد فحدث بها عن عطية العوفي، وسعيد المقبري والضحاك، وعمرو بن شعيب، وغيرهم. وجمع تفاسير الناس، فجعلها لنفسه، وكان يروي عن الضحاك وقد مات الضحاك قبل مولد مقاتل بأربع سنين. قال ابن عيينة: قلت له: لم تحدث عن الضحاك وقد زعموا أنك لم تسمع منه؟ قال: كان يغلق علي وعليه الباب. قال ابن عيينة: قلت في نفسي: باب المدينة. وكان أحمد بن سيار يقول: مقاتل متهم متروك الحديث، كان يتكلم في الصفات بما يحل. وقال وكيع: كان مقاتل كذاباً، فلم نسمع منه. وقال أبو عبد الرحمن النسائي: مقاتل من المعروفين بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال البخاري: مقاتل لا شيء البتة. وقال أبو حفص عمر بم علي: مقاتل كذاب متروك الحديث. وكذلك قال الساجي. توفي مقاتل في هذه السنة.

مسعود الضرير، أبو جهير البصري

أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي الهاشمي قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني عبد الله بن أبي الفتح الفارسي قال: حدثني عبيد الله بن عثمان الدقاق قال: حدثنا علي بن محمد الواعظ قال: حدثنا علي بن عيسى أبو سعيد الخراز قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الختلي قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا شغيب بن محرز الأودي قال: حدثنا صالح المري قال: قال مالك بن دينار: أغد علي يا صالح إلى الجبان فإني قد وعدت نفراً من إخواني بأبي جهير مسعود الضرير. فسلم عليه. قال صالح المري: وكان أبو جهيل هذا رجلاً قد انقطع إلى زاوية يتعبد فيها، و لم يكن يدخل البصرة ألا يوم الجمعة في وقت الصلاة، ثم يرجع من ساعته. قال: فغدوت إلى موعد مالك إلى الجبان، فانتهيت إلى مالك وقد سبقني ومعه محمد بن واسع، وإذا ثابت البناني وحبيب، فلما رأيتهم قد اجتمعوا قلت: هذا والله يوم سرور. قال: فانطلقنا نريد أبا جهير. قال: فكان مالك إذا مر بموضع نظيف قال: يا ثابت صل ها هنا، لعله يشهد لم غداً. قال: فكان يصلي، قال: ثم انطلقنا حتى أتينا موضعه فسألنا عنه، فقالوا: الآن يخرج إلى الصلاة. قال: فانتظرنا فخرج علينا رجل إن شئت قلت: قد نشر من قبره. قال: فوثب رجل فأخذ بيده حتى أقامه عند باب المسجد، فأمهل يسيراً، ثم دخل المسجد فصلى ما شاء الله، ثم أقام الصلاة فصلينا معه، فلما قضى صلاته جاس كهيئة المهموم فتوافد القوم في السلام عليه، فتقدم محمد بن واسع، فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: من أنت؟ لا أعرف صوتك. قال: أنا من أهل البصرة. قال: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: أنا محمد بن واسع. قال: مرحباً وأهلاً، أنت الذي يقول هؤلاء القوم وأومأ بيده إلى البصرة إنك أفضلهم، لله أبوك إن قمت بشكر ذلك، اجلس، فجلس فقام ثابت البناني فسلم عليه، فرد عليه، وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ثابت البناني. فقال: مرحباً بك يا ثابت، أنت الذي يزعم أهل هذه القرية أنك من أطراهم صلاة، اجلس فقد كنت أتمناك على ربي. فقام إليه حبيب أبو محمد، فسلم عليه، فرد السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا حبيب، أبو محمد. فقال: مرحباً بك يا أبا محمد، أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك لم تسأل الله شيئاً إلا أعطاك، ألا سألته أن يخفي لك ذلك، اجلس يرحمك الله. قال: وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبه. قال: فقام إليه مالك بن دينار فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا مالك بن دينار. قال: بخ بخ أبو يحيى إن كنت كما يقولون، أنت الذي يزعم هؤلاء أنك أزهدهم، اجلس فالآن تمت أمنيتي على ربي في عاجل الدنيا. قال صالح: فقمت إليه لأسلم عليه، فأقبل على القوم فقال: انظروا كيف تكونون غداً بين يدي الله في مجمع القيامة. قال: فسلمت عليه فرد علي وقال: من أنت يرحمك الله؟ قلت: صالح المري. قال: أنت الفتى الفارسي؟ أنت أبو معشر؟ قلت: نعم. قال: فاقرأ يا صالح. فابتدأت فقرأت، فما استتممت الاستعاذة حتى خرى مغشياً عليه، ثم أفاق فقال: عد في قراءتك. قال صالح: فعدت فقرأت: "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً" . قال: فصاح صيحة ثم انكب لوجهه، وانكشف بعض جسده، فجعل يخور كما يخور الثور، ثم هدأ فدنونا منه ننظر، فإذا هو قد خرجت نفسه كأنه خشبة، فخرجنا فسألنا: هل له أحد؟ قيل: عجوز تخدمه، تأتيه الأيام، فبعثنا إليها، فجاءت فقالت: ما له؟ قلنا: قرىء عليه القرآن فمات. قالت: حق له، من ذا الذي قرأ عليه؟ لعله صالح المري القارىء؟ قلنا: نعم، وما يدريك؟ من صالح؟ قالت: لا أعرفه غير أن كثيراً مما كنت أسمعه يقول: إن قرأ علي صالح قتلني. قلنا: فهو الذي قرأ عليه. قالت: هو الذي قتل حبيبي. فهنأناه، ودفناه رحمه الله.

النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة التيمي

إمام أصحاب الرأي. ولد سنة ثمانين، رأى أنس بن مالك، وسمع من عطاء بن أبي رباح، وأبي إسحاق السبيعي، ومحارب بن دثار، وحماد بن أبي سليمان، ومحمد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، وهشام بن عروة وغيرهم. وروى عنه: هشيم، وابن المبارك،

ووكيع، ويزيد بن هارون وغيرهم. وكان ربعة من الرجال تعلوه سمرة، حسن الثياب، كثير التعطر كريماً. وكان أول أمره يبيع الخز، ثم تشاغل بالعلم. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الخلال قال: أخبرنا علي بن عمر الجريري: أن علي بن محمد النخعي حدثهم قال: حدثنا الحسن بن أبي مالك، عن أبي يوسف قال: قال أبو حنيفة: لما أردت أطلب العلم جعلت أتخير العلوم، وأسأل عن عواقبها، فقيل لي: تعلم القرآن. فقلت: إذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخر أمري؟ قالوا: تجلس في المسجد ويقرأ عليك الناس: الصبيان والأحداث، ثم لا تلبث أن تخرج منهم من هو أحفظ منك أو يساويك في الحفظ، فتذهب رئاستك. قلت: فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يبقى في الدنيا أحفظ مني؟ قالوا: إذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك الصبيان والأحداث، ثم لا تأمن أن تغلط فيرمونك بالكذب، فيصير عاراً عليك في عقبك. فقلت: لا حاجة لي في هذا. ثم قلت: أتعلم النحو، فإذا حفظت النحو والعربية، ما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعد معلماً، فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة. قلت: وهذا لا عاقبة له. قلت: فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني، ما يكون من أمري؟ قالوا: تمدح فيهب لك ويحملك على دابة، ويخلع عليك خلعة، وإن حرمك هجوته، فصرت تقذف المحصنات. فقلت: لا حاجة لي في هذا. قلت: فإن نظرت في الكلام؟ ما يكون آخره؟ قالوا: لا يسلم من نظره في الكلام من مشنعات الكلام، فيرمى بالزندقة، فإما أنك تأخذ فتقتل، وإما تسلم فتكون مذموماً ملوماً. قلت: فإن تعلمت الفقه؟ قالوا: تسأل فتفتي الناس، وتطلب للقضاء، وأن كنت شاباً. قلت: فليس في العلوم شيء أنفع من هذا. فلزمت الفقه. حدثنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا الصيمري قال: حدثنا عمرو بن إبراهيم المقرىء قال: حدثنا مكرم بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن محمد الحماني قال: حدثنا الفضيل بن غانم قال: كان أبو يوسف مريضاً شديد المرض، فعاده أبو حنيفة مراراً، فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلاً فاسترجع وقال: كنت أؤملك المسلمين بعدي، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير، ثم رزق الله أبا يوسف العافية، وأخبر بقول أبي حنيفة فيه، فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلساً في الفقه، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلساً، وأنه بلغه كلامك فيه، فدعا رجلاً كان له عنده قدرٌ فقال: صر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوباً ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء. وأنكره، ثم أن رب الثوب رجع إليه، فدفع له الثوب مقصوراً، أله أجرة؟ فإن قال له أجرة، فقل أخطأت، وإن قال لا أجرة له فقل أخطأت فصار إليه فسأله فقال أبو يوسف له الأجرة. فقال: أخطأت. فنظر ساعة ثم قال: لا أجرة له. فقال: أخطأت. فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصار. قال: أجل. قال: سبحان الله، من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات. فقال: يا أبا حنيفة، علمني. فقال: إن قصره بعد غصبه فلا أجرة له، لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة، لأنه قصره لصاحبه، ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن أبي عبد الله السمناني قال: حدثنا الحسين بن رحمة قال: حدثنا محمد بن شجاع الثلجي قال: حدثنا محمد بن سماعة، عن أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة يقول: إذا كلمت القدري فإنما هو حرفان، إما أن يسكت وإما أن يكفر، يقال له: هل علم الله في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي؟ فإن قال: لا، فقد كفر، وإن قال: نعم، يقال له: أفأراد أن يكون كما علم؟ أو أراد أن يكون بخلاف ما علم؟ فإن قال: أراد أن يكون

كما علم فقد أقرأ نه أراد من المؤمن الإيمان، ومن الكافر الكفر. وإن قال: أراد أن يكون بخلاف ما علم فقد جعل ربه متمنيا" متحسرا"؛ لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون، أو يكون ما علم أنه يكون فإنه متمن متحسر، ومن جعل ربه متمنيا" متحسرا" فهو كافر. قال مؤلف الكتاب رحمه الله": لا يختلف الناس في فهم أبي حنيفة وفقهه. كان سفيان الثوري، وابن المبارك يقولان: أبو حنيفة أفقه الناس. وقيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ فقال: رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. قال الشافعي رحمة الله عليه: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه. قال مؤلف الكتاب: وبعد هذا فاتفق الكل على الطعن فيه، ثم انقسموا على ثلاثة أقسام: فقوم طعنوا فيه لما يرجع إلى العقائد و الكلام في الأصول. وقوم طعنوا في روايته وقلة حفظه وضبطه. وقوم طعنوا لقوله الرأي فيما يخالف الأحاديث الصحاح. فأما القسم الأول: فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل قال: أخبرنا محمد بن عمرو البختري الرزاز قال: حدثنا حسن بن إسحاق قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا حمزة بن الحارث بن عمير، عن أبيه قال: سمعت رجلاً يسأل أبا حنيفة في المسجد عن رجل قال: أشهد أن الكعبة حقٌ، ولكن لا أدري هي هذه التي بمكة أم لا؟ فقال: مؤمن حقاً. وسأله عن رجل قال: أشهد أن محمداً عبد الله نبي، ولكن لا أدري هو هذا الذي قبره بالمدينة أم لا؟ قال: مؤمن حقاً. قال الحميدي: ومن قال هذا فقد كفر. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: حدثني علي بن عثمان بن نفيل قال: حدثنا أبو مسهر قال: حدثنا يحيى بن حمزة: أن أبا حنيفة قال: لو أن رجلاً عبد هذا البغل يتقرب به إلى الله لم أر بذلك بأساً. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله السراج قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عبدوس قال: أخبرنا أحمد بن سعيد الدارمي قال: حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي قال: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: سمعت أبا حنيفة يقول: إيمان أبي بكر الصديق وإيمان إبليس واحد، قال إبليس: يا رب . وقال أبو بكر: يا رب. قال أبو إسحاق: ومن كان من المرجئة ثم لم يقل هذا أنكر عليه قوله. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سليمان المؤدب قال: أخبرنا أبو بكر بن المقرىء قال: حدثنا سلامة بن محمود قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عمر قال: سمعت أبا مسهر يقول: كان أبو حنيفة رأس المرجئة. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال: المشهور عن أبي حنيفة أنه كان يقول بخلق القرآن ثم استتيب منه. وأخبرنا الخلال قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا عمر بن الحسن القاضي قال: حدثنا العباس بن عبد العظيم قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: كان أبو حنيفة في مجلس عيسى بن موسى فقال: القرآن مخلوق. فقال: أخرجوه، فإن تاب، وإلا فاضربوا عنقه. قال أبو بكر الحافظ: وأخبرني الحسن بن محمد أخو الخلال قال: أخبرنا جبريل بن محمد العدل قال: أخبرنا محمد بن حيوية قال: حدثنا محمود بن غيلان. قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: سمعت شريكاً يقول: استتيب أبو حنيفة مرتين. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر الحافظ قال: أخبرنا ابن رزق قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن سلمة قال: حدثنا أحمد بن علي قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا محبوب بن موسى قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: قال أبو حنيفة: لو أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركته لأخذ بكثير من قولي. القسم الثاني: أنهم ضعفوه لعلة حفظه وضبطه، وكثرة خطأه فيما روى: أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأنماطي قال: أخبرنا محمد بن المظفر قال: أخبرنا علي بن أحمد بن سليمان الصرفي قال: أخبرنا أحمد بن سعيد بن أبي مريم قال: سألت يحيى بن معين عن أبي حنيفة قال: لا تكتب حديثه. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا

أحمد بن علي قال: اخبرني علي بن محمد المالكي قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان الصفار قال: أخبرنا محمد بن عثمان الصيرفي قال: حدثنا عبد الله بن علي بن عبد الله المديني قال: سألت عن أبي حنيفة فضعفه جداً. وقال: روى خمسين حديثاً أخطأ فيها. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا ابن الفضل قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا سهل بن أحمد الواسطي قال: حدثنا أبو حفص عمرو بن علي قال: أبو حنيفة ليس بالحافظ، مضطرب الحديث، واهي الحديث. وقال أبو بكر ابن أبي داود: جميع ما روى أبو حنيفة من الحديث مائة وخمسون حديثاً أخطأ أو قال: غلط في نصفها. القسم الثالث: قوم طعنوا فيه لميله إلى الرأي المخالف للحديث الصحيح، وقد كان بعض الناس يقيم عذره ويقول: ما بلغه الحديث، وذلك ليس بشيء لوجهين: أحدهما: أنه لا يجوز أن يفتي من يخفى عليه أكثر الأحاديث الصحيحة. والثاني: أنه كان إذا أخبر بالأحاديث المخالفة لقوله لم يرجع عن قوله. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أو بكر أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو سعيد بن محمد بن حيوية الأصفهاني قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عيسى الخشاب قال: حدثنا أحمد بن مهدي قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا عبد السلام بن عبد الرحمن قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى بن علي الهاشمي قال: حدثني أبو إسحاق الفزاري قال: سألت أبا حنيفة عن مسألة فأجاب فيها فقلت: إنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا وكذا فقال: حك هذا بذنب الخترير. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرنا محمد بن أبي نصر النرسي قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بهتة البزاز قال: أخبرنا أحمد بن سعيد الكوفي قال: حدثنا موسى بن هارون بن إسحاق قال: حدثنا العباس بن عبد العظيم قال: حدثني أبو بكر بن أبي الأسود، عن بشر بن مفضل قال: قلت لأبي حنيفة: روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "البائعان بالخيار ما لم يتفرقا" قال: هذا زجر. قلت: قتادة عن أنس: أن يهودياً رضخ رأس جارية بين حجرين فرضح النبي صلى الله عليه وسلم رأسه بين حجرين. وقال: هذيان. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرنا البرقاني قال: قرأت على محمد المحمودي: حدثكم محمد بن علي الحافظ قال: حدثنا إسحاق بن منصور قال: أخبرنا عبد الصمد، عن أبيه قال: ذكر لأبي حنيفة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أفطر الحاجم والمحجوم" فقال: هذا سجع. وذكر له قولٌ قاله عمر فقال: هذا قول شيطان. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا الخلال قال: حدثنا عبد الله بن عثمان الصفار قال: حدثنا محمد بن مخلد قال: حدثنا العباس بن محمد قال: حدثنا إبراهيم بن شماس قال: سمعت وكيعاً يقول: سأل ابن المبارك أبا حنيفة عن رفع اليدين في الركوع فقال أبو حنيفة: يريد أن يطير فيرفع يديه؟ فقال له ابن المبارك: إن كان طار في الأولى فإنه يطير في الثانية. فسكت أبو حنيفة. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد المتوثي قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أخبرنا أحمد بن بشر المرثدي قال: أخبرنا رجاء بن السندي قال: سمعت بشر بن السري يقول: سمعت أبا عوانة يقول: كنت جالساً عند أبي حنيفة فأتاه رسول من قبل السلطان فقال: يقول الأمير رجل سرق وديا، فما ترى؟ فقال: غير متتعتع إن كانت قيمته عشرة دراهم فاقطعوه. فذهب الرجل، فقلت لأبي حنيفة: ألا تتقي الله؟ حدثني يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حيان، عن رافع بن خديج: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا قطع في ثمر ولا كثر" أدرك الرجل فإنه يقطع. فقال: " غير متعتع ذاك حكم قد مضى فانتهى، وقد قطع الرجل. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثنا ابن دوما قال: أخبرنا ابن أسلم قال: حدثنا الأبار قال: حدثنا محمد بن عجلان، عن مؤمل قال: سمعت حماد بن سلمة يقول: أبو حنيفة يستقبل السنة يردها برأيه. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي قال: أخبرنا

البرقاني قال: قرأت على أبي حفص بن الزيات قال: حدثكم عمر بن محمد الكاغدي قال: حدثنا أبو السائب قال: سمعت وكيعاً يقول: وجدنا أبا حنيفة خالف مائتي حديث. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عثمان البجلي قال: حدثنا عمر بن محمد بن عمر بن الفياض قال: أخبرنا أبو طلحة أحمد بن عبد الكريم قال: حدثنا عبد الله بن حسن قال: حدثنا أبو صالح الفراء قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: رد أبو حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة حديث أو أكثر. فقلت له: يا أبا محمد، تعرفها؟ قال: نعم. قلت: أخبرني بشيء. فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "للفرس سهمان وللراجل سهم" قال أبو حنيفة: أنا لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن. وأشعر رسول الله صلى الله علي وسلم وأصحابه البدن، وقال أبو حنيفة: الإشعار مثلة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المتبايعان بالخيار ما لم يفترقا" وقال أبو حنيفة: إذا وجب البيع فلا خيار. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرع بين نسائه إذا أراد أن يخرج في سفره وأقرع أصحابه. وقال أبو حنيفة: القرعة قمار. وقال أبو حنيفة: لو أدركني النبي صلى الله عليه وسلم لأخذ بكثير من قولي، وهل الدين إلا الرأي الحسن. قال بعض العلماء: العجب من أبي حنيفة، كيف يقول وهل الدين إلا الرأي، وهل يعلم أن كثيراً من التكاليف لا يهتدي إليها القياس، ولهذا يأخذ هو بالحديث الضعيف ويترك القياس.

فأما المسائل التي خالف فيها الحديث فكثيرة، إلا أن من مشهورها الذي خالف فيه الصحاح:

مسألة بول الغلام الذي لم يأكل الطعام يرش

وقال أبو حنيفة: يغسل وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بصبي لم يأكل الطعام فبال، فدعا بماء فرشه عليه.

مسألة لا يجوز تخليل الخمر، وإذا خللت لم تطهر

وقال أبو حنيفة: يجوز وتطهر. وفي صحيح مسلم: من حديث أنس: أن أبا طلحة سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أيتام ورثوا خمراً فقال:أهرقها. قال: أفلا أجعلها خلاً؟ قال: لا.

مسألة يجوز الآذان للفجر قبل طلوعه

وقال أبو حنيفة: لا يجوز. وفي الصحيحين: عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: "إن بلال يؤذن بليلٍ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم".

مسألة إذا لم تقدر على الركوع والسجود

لم يسقط عنه القيام وقال أبو حنيفة: يسقط وفي صحيح البخاري: عن عمران، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب".

مسألة يسن رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه

وقال أبو حنيفة: لا يسن. وفي الصحيحين: من حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى تحاذي منكبيه، وإذا أراد أن يركع، وبعد رفع رأسه من الركوع، ولا يرفع بين السجدتين. وفي الصحيحين: من حديث مالك بن الحويرث مثله. وقد رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو عشرين صحابي.

مسألة إذا طلعت الشمس وهو في صلاة الصبح أتم

وقال أبو حنيفة تبطل صلاته. وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس فقد أدركها، ومن أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصلاة" .

مسألة يجوز الوتر بركعة

وقال أبو حنيفة: بثلاث. وفي الصحيحين: من حديث ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر بركعة.

مسألة تسن الصلاة للاستسقاء

وقال أبو حنيفة: لا تسن. وفي الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الاستسقاء.

مسألة ويجوز تحويل الرداء في صلاة الاستسقاء وقلبه

وقال أبو حنيفة: لا يسن. وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك.

مسألة يستحب في غسل الميت شيء من كافور
في الغسلة الأخيرة

وقال أبو حنيفة: لا يستحب وفي الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للواتي غسلن ابنته: "اجعلن في الغسلة الأخيرة كافوراً" .

مسألة يسن استلام الركن اليماني في الطواف

وقال أبو حنيفة لا يسن. وفي صحيح مسلم: من حديث ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستلم إلا الحجر الأسود والركن اليماني.

مسألةإشعار البدن، وتقليدها سنة

و قال أبو حنيفة: يكره الإشعار؛ فإنه مثلة. وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر بدنته وقلدها.

مسألة يجوز بيع العرايا

وقال أبو حنيفة: لا يجوز. وفي الصحيحين: من حديث زيد بن ثابت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في بيع العرايا.

مسألة إذا اشترى مصراة ثبتت له خيار الفسخ

وقال أبو حنيفة: لا يثبت. وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تصروا الغنم، ومن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعاً من تمرٍ".

مسألة لا يجوز بيع الكلب وإن كان معلما

وقال أبو حنيفة: يجوز. وفي الصحيحين: من حديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب.

مسألة إذا أراق على ذمي خمرا أو قتل له خنزيرا لم يضمن

وقال أبو حنيفة: يضمن. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله حرم الخمر وثمنها.

مسألة لا يقتل المسلم بالكافر

وقال أبو حنيفة: يقتل بالذمي. وفي صحيح البخاري من حديث علي رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا يقتل مسلم بكافر".

مسألة يجب القصاص في القتل بالمثل

وقال أبو حنيفة: لا يجب إلا فيما له حدٌ. وفي الصحيحين: من حديث أنس: أن يهودياً رضخ رأس امرأة بين حجرين فقتلها، فرضخ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بين حجرين.

مسألة إذا ضربت حامل فماتت

ثم انفصل عنها جنين ميت وجبت فيه الغرة

وقال أبو حنيفة لا شيء في الجنين، وفي الصحيحين: عن المغيرة أنه قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغرة عبداً أو أمة.

مسألة الإسلام ليس بشرط في الإحصان

وقال أبو حنيفة: هو شرط. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجم يهودياً ويهودية.

مسألة النصاب في السرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم

وقال أبو حنيفة: دينار أو عشرة دراهم. وفي الصحيحين: من حديث عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعداً.

مسألة إذا اطلع في بيت إنسان على أهله

فله أن يرمي عينه، فإن فقأها فلا ضمان عليه

وقال أبو حنيفة: لزمه الضمان. وفي الصحيحين: من حديث سهل بن سعد قال: اطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مدرى يحك به رأسه، فقال: " لو أعلمك تنظر لطعنت به في عينيك" . وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اطلع على قوم في بيتهم بغير إذنهم فقد حل له أن يفقأوا عينه".

مسألة الإمام مخير في الأسرى

بين القتل والاسترقاق والمن الفداء

قال أبو حنيفة لا يجوز المن والفداء. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من على ثمامة بن أثال، وفدى الأسرى يوم بدر.

مسألة هدايا الأمراء كبقية أموال الفيء

لا يختصون بها

وقال أبو حنيفة: يختصون بها. وفي الصحيحين: من حديث أبي حميد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي إلي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بال العامل نبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفسي بيده لا يأتي أحدٌ منكم بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته".

مسألة لا يجوز الزكاة بالسن والظفر

وقال أبو حنيفة: بها إذا كانا منفصلين. وفي الصحيحين : منحديث رافع بن خديج قال: قلت: يا رسول الله، إن ملاقو العدو غداً وليست معنا مدي. فقال: "ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر" .

مسألة يحل أكل الضب

وقال أبو حنيفة: لا تحل. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يحرم الضب، وإنما قذره، فإن خالد بن الوليد قال له وقد قدم إليه: أحرام هو؟ قال: "لا، ولكنه لا يكون بأرض قومي فأجدني أعافه" فأكل خالد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر.

مسألة يحل أكل لحوم الخيل

وقال أبو حنيفة: لا تحل. وفي الصحيحين: من حديث جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر، وأن في لحوم الخيل.

مسألة النبيذ حرام

وقال أبو حنيفة: إنما يحرم المسكر منه. وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"كل مسكر حرام". وفي حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام".

مسألة حكم الحاكم لا يحيل الشيء عن صفته

وقال أبو حنيفة: يحيله في العقود والفسوخ. وفي الصحيحين: من حديث أم سلمة: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: "إنما أنا بشر مثلكم، وإنه يأتيني الحكم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه قد صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها" .

مسألة يجوز الحكم بشاهد ويمين

في المال وما يقصد به المال

وقال أبو حنيفة: لا يجوز. وقد روى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد. ورواه عمر، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وزيد بن ثابت، وأبو حزم، وأنس، وبلال بن الحارث، والمغيرة بن شعبة، وسلمة بن قيس في آخرين. فهذا من مشهور المسائل والمتروك أضعافه، ولكونه خالف مثل هذه الأحاديث الصحاح سعوا بالألسن في حقه، فلم يبق معتبر من الأئمة إلا تكلم فيه، ولا يؤثر أن يذكر ما قالوا، والعجب منه إذا رأى حديثاً لا أصل له هجر القياس ومال إليه؛ كحديث: نقض الوضوء بالضحك. فإنه شيء لا يثبت، وقد ترك القياس لأجله. وكان ابن هبيرة قد أمر أبا حنيفة أن يلي قضاء الكوفة فلم يفعل، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة، فلما رآه لا يفعل تركه. ثم إن المنصور أراده على القضاء فأبى، فحلف ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فقال الربيع: ألا أمير المؤمنين يحلف؟ فقال: هو أقدر مني على الكفارة فسجنه. وقيل: بل دخل في القضاء يومين، ثم مرض ومات. وقيل: إنما حبس لأنه تكلم في أيام خروج إبراهيم على المنصور، فحبس، وتوفي بسوق يحيى سنة خمسين ومائة، وهو ابن سبعين سنة. وقرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل: كان قبر أبي حنيفة عليه خربشة رأيته وأنا صبي قبل دخول الغز بغداد، ثم عمل عليه بعض أمراء التركمان سقفاً، ثم قدم شرف الملك في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فأحدث هذه القبة، وكان قد وضع أساس مسجد بين يدي ضريح أبي حنيفة، فهدم شرف الملك أبنيته وما يحيط بالقبر وحفروا أساسات وكانوا يطلبون الأرض الصلبة فأخرجوا أربعمائة صن من عظام الموتى. قال ابن عقيل: فقلت: ما يدريكم لعله قد خرجت عظامه في هذه العظام، وبقيت القبة فارغة من مقصود بانيها. وأنبأنا علي بن عبيد الله، عن أبي الحسين المهتدي قال: لا يصح أن قبر أبو حنيفة في هذا الموضع الذي بنوا عليه القبة، وكان الحاج يردون فيطوفون حول المقبرة يزورون أبا حنيفة لا يعينون موضعاً.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها: إغارة الكرك على جدة في البحر. وفيها: ولي عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة إفريقية، وعزل عن السند، وولي مكانه هشام بن عروة الثعلبي. وسبب عزل عمر: أنه لما خرج محمد وإبراهيم بعث إليه محمد بولده عبد الله في جماعة من أصحابه إلى السند بحجة خيل حملوها، فلما عرضت عليه قال له بعضهم: أدنني منك. فلما أدناه قال له: إنما جئناك بما هو خير من الخيل فأعطنا أماناً على خلتين: إما قبلت ما آتيناك به، وإما سترت حتى نخرج من أرضك. فأعطاهم الأمان فقالوا: ما للخيل أتيناك به، ولكن هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن أرسله أبوه إليك، وقد خرج بالمدينة، ودعا لنفسه بالخلافة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، وغلب عليها له. قال له: بالرحب والسعة، ثم بايعهم وأمر به فتوارى عنده، ودعا أهل بيته وقواده، وكبراء أهل البلد إلى البيعة فأجابوه، وقطع أعلاماً بيضاء، وملابس بيضاً، وهيأ لبسته من البياض يصعد فيها إلى المنبر، وتهيأ لذلك يوم الخميس، فجاءه الخبر بقتل محمد، فدخل على ابنه فأخبره الخبر وعزاه، فقال له: إن مكاني قد عرف، ودمي في عنقك، فقال: ها هنا ملك من ملوك السند كثير التبع ، وهو على شركه أشد الناس تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو رجل وفي، فأرسل إليه، فاعقد بينك وبينه عقداً، قال: أفعل فأرسل إليه، فأظهر كرامةً وبراً، فخرج في أربعمائة من أصحابه يتصيد ويتتره، وبلغ الخبر المنصور فعزل عمر، وولى هشاماً، وقال له: إن أسلم ذلك الملك عبد الله بن محمد وإلا حاربه، وكتب إلى عمر بولاية إفريقية، فكان هشام يدفع عن عبد الله ويتمادى في أمره، فخرجت خارجة ببلاد الشام فبعث إليهم أخاه، فبينا هو يسير إذ هو برهج، فظنهم مقدمات العدو الذي يقصده، فوجه طلائعه فقالوا: ليس بعدوك، ولكن عبد الله بن محمد ركب متترهاً، فمضى يريده، فقال له نصاحه: هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد علمت أن أخاك قد تركه مخافة أن يبوء بدمه و لم يقصدك. فأعرض عنه، فقال: لا أدع حظي من التقرب من المنصور بأخذه أو قتله، فقصده، وكان في عشرة آلاف، فقاتله فقتل عبد الله وأصحابه كلهم، فكتب بذلك إلى المنصور فشكره، وأمره بمحاربة الملك الذي آواه فحاربه وظفر به وقتله. وكان عبد الله قد اتخذ بحضرة ذلك الملك جواري فأولد منهن جارية فحملها وابنها إلى المنصور، فأمر أن يسلم إلى أقربائه. وفي هذه السنة قدم المهدي من خراسان في شوال على المنصور، فوفد إليه عامة أهل بيته من كل بلد يهنئونه فأجازهم وكساهم وحملهم، وفعل بهم المنصور مثل ذلك، واجرى على كل رجل منهم خمس مائة درهم. وفي هذه السنة: ابتدأ المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي من مدينة السلام لابنه المهدي. وكان السبب في ذلك: أن الراوندية لما حاربوا المنصور على باب الذهب دخل عليهم قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس، وهو يومئذ شيخ كبير ومقدم عند القوم، فقال له أبو جعفر: أما ترى ما نحن فيه من التياث العسكر علينا، قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا، فما ترى؟ فقال: يا أمير المؤمنين، عندي في هذا رأي، وإن تركتني أمضيه صلحت لك خلافتك وهابك جندك ،فقال : أفتمضي في خلافتي بشيء لا تعلمني ما هو ؟ فقال له : إن كنت عندك متهماً على دولتك فلا تشاورني ، وإن كنت مأموناً عليها فدعني أمضي رأيي قال: فقال له المنصور: أمضه، قال فانصرف قثم إلى مترله فدعى غلاماً له فقال له: إذا كان غداً فتقدمني فاجلس في دار أمير المؤمنين، فإذا رأيتني قد دخلت وتوسطت أصحاب المراتب، فخذ بعنان بغلتي واستوقفني واستحلفني بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحق العباس، وبحق أمير المؤمنين لما وقفت لك وسمعت مسألتك وأجبتك عنها، فإني سأنتهرك وأغلظ لك فلا يهولنك ذلك مني، وعاودني بالقول والمسألة، فإني سأضربك بالسوط، فلا يشق عليك ذلك، وقل: أي الحيين أشرف؟ أهل اليمن أو مضر؟ فإذا أجبتك فخل عنان بغلتي وأنت حر،

فغدا الغلام فجلس حيث أمره، فلما جاء فعل ما أمره به إلى أن قال: أي الحيين أشرف أهل اليمن أو مضر؟ فقال له قثم: مضر، منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها كتاب الله عز وجل، وفيها بيت الله، ومنها خليفة الله. قال: فامتعضت أهل اليمن إذ لم يذكر لها شيئاً من شرفها فقال

قائل من قواد أهل اليمن لغلامه: قم فخذ بعنان بغلتي الشيخ فكبحها كبحاً عنيفاً تطأ من به، ففعل الغلام حتى كاد يقيعها على عراقيبها، فامتعضت من ذلك مضر وقالت: أيفعل هذا بشيخنا وأمر رجل منهم غلامه فقال: اقطع يد العبد، فقام ذلك إلى غلام اليماني فقطع يده، فتفرق الحيان، وصرف قثم بغلته، فدخل على أبي جعفر وافترق الجند، وصارت مضر فرقة، واليمن فرقة، وربيعة فرقة، والخراسانية فرقة، فقال قثم لأبي جعفر: قد فرقت بين جندك وجعلتهم أحزاباً، كل حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثاً، فتضربه بالحزب الأخر، وقد بقي عليك في التدبير بقية، قال: وما هي؟ قال: اعبر بابنك، فابن له من ذلك الجانب قصراً وحول معه من جيشك قوماً فيصير ذلك بلداً وهذا بلداً، فإن فسد عليك أهل هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب، فإن فسدت عليك مضر ضربتها باليمن وربيعة وخراسانية، وإن فسدت عليك اليمن ضربتها بمن أطاعك من مضر وغيرها. فقبل رأيه وأمرهم فاستوى له ملكه، وكان سبب البناء في الجانب الشرقي، فبنى الرصافة للمهدي، وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً، وأجرى له الماء، وأقطع القواد هناك قطائع، و تولى صالح صاحب المصلى القطائع في الجانب الشرقي، وفعل كفعل أبي العباس الطوسي في فصول القطائع في الجانب الغربي. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق قال: حدثنا محمد بن جعفر التميمي قال: حدثنا الحسن بن محمد السكوني قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثنا أحمد بن محمد الشروي، عن أبيه قال: قدم المهدي من المحمدية بالري سنة إحدى وخمسين ومائة، في شوال، ووفدت إليه الوفود، وبنى له المنصور الرصافة، وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً، وأجرى لها الماء. قال ابن خلف: وقال يحيى بن حسن: كان بناء المهدي بالرهوص إلا ما كان يسكنه. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي الصيرمي، قال: أنبأنا محمد بن عمران المرزباني، قال: أخبرني محمد بن يحيى، قال: أخبرني محمد بن موسى المنجم أن المعتصم وابن أبي دؤاد اختلفا في مدينة أبي حعفر والرصافة أيهما أعلى؟ قال: فأمر بي المعتصم فوزنتهما فوجدت المدينة أعلى من الرصافة بذراعين وثلثي الذراع. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا الخطيب قال: وقيل إن الدروب والسكك أحصيت ببغداد، فكانت ستة آلاف درب وسكة بالجانب الغربي، وأربعة آلاف درب وسكة بالجانب الشرقي. وفي هذه السنة: جدد المنصور البيعة لنفسه ولابنه المهدي من بعده، ولعيسى بن موسى من بعد المهدي على أهل بيته في مجلسه في يوم جمعة، قد عمهم الإذن فيه، فكان كل من بايعه منهم يقبل يده ويد المهدي، ثم يمسح على يد عيسى بن موسى، ولا يقبل يده. وفي هذه السنة: غزا الصائفة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد. وفيها: شخص عقبة بن سلم من البصرة واستخلف عليها ابنه نافع بن عقبة على البحرين، فقتل سليمان بن حكيم العبدي وسبى أهل البحرين، وبعث ببعض من سبى منهم إلى أبي جعفر، فقتل منهم عدة، ووهب بقيتهم للمهدي، فمن عليهم وأعتقهم، وكسا كل إنسان منهم ثوبين مروريين، ثم عزل عقبة عن البصرة. وفيها: ولى أبو حعفر معن بن زائدة سجستان، وحميد بن قحطبة خراسان، وقد كان المنصور طلب معناً ليهلكه ثم أمنه وولاه. أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال: أنبأنا علي بن أبي علي البصري، عن أبيه قال: أخبرنا أبو الفرج بن علي بن الحسين القرشي قال: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا محمد بن نعيم البلخي قال: حدث مروان بن أبي حفصة قال: كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً،

وجعل فيه مالاً، فحدثني معن باليمن أنه اضطر لشدة الطلب حتى قام في الشمس حتى لوحت وجهه، وخفف عارضه ولحيته، ولبس جبة صوف غليظة، وركب حملاً من حمال النقالة، وخرج ليمضي إلى البادية، وقد كان أبلى في حرب بين يدي عمر بن هبيرة بلاءً عظيماً، فغاظ المنصور في طلبه قال معن: فلما خرجت من باب حرب تبعني أسود متقلد سيفاً حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض علي، فقلت: مالك؟ فقال: أنت طلبة أمير المؤمنين، فقلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين، فقال: أنت معن بن زائدة، فقلت: يا هذا اتق الله، و أين أنا

من معن بن زائدة، فقال: دع ذا عنك فأنا والله أعرف بك من نفسك، فقلت له: إن كان كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي، فخذه ولا تسفك دمي، قال: هاته، فأخرجته إليه فنظر إليه ساعة وقال: صدقت في قيمته ولست نائله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك، قلت: قل، قال: فإن الناس قد وصوفك بالجود، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله، قلت: لا، قال: فنصفه، قلت: لا، قال: فثلثه، قلت: لا، حتى بلغ العشر فاستحييت، فقلت: أظن إني قد فعلت ذلك، قال: ما أراك فعلته أنا والله رجل راجل رزقي مع أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير، وقد وهبته لك ووهبتك نفسك لجودك المأثور بين الناس، ولتحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف في مكرمة، ثم رمى بالعقد في حجري وخلى خطام البعير وانصرف، فقلت: يا هذا، قد والله فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلته، فخذ ما دفعته إليك فإني غني عنه، فضحك وقال: أردت أن تكذبني في مقامي هذا، والله لا آخذه لا أتخذ لمعروف ثمناً أبداً، ومضى، فو الله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جائني به ما شاء، فما عرفت له خبراً. وفيها: حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكان هو العامل على مكة والطائف، وكان على المدينة الحسن بن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابي، وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر.

أشعث الحداني أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا علي بن أحمد الملطي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: حدثني محمد بن عمر بن علي، قال: حدثنا سعيد بن عامر، قال: حدثنا حزم، قال: لنا أشعث الحداني: انطلقوا إلى حبيب أبي محمد نسلم عليه قال: وذاك عند ارتفاع النهار فانطلقنا معه نسلم، فخرج حبيب فأخذوا في البكاء، فما زالوا يبكون حتى حضرت الظهر، فصلينا ثم أخذوا في البكاء فما زالوا يبكون حتى حضرت العصر.قال: فصلينا العصر، فما زالوا يبكون حتى حضرت المغرب، ثم أدنينا حماره فركب فقال لنا: إن ناساً ينهون عن هذا أفأطيعهم؟ قلنا: أنت أعلم، قال: إذاً والله لا أطيعهم.

جعفر الأكبر ابن المنصور: كان يتولى إمارة الموصل ومات في حياة أبيه.

حميد بن جابر الشامي، الأمير:

أخبرنا محمد بن ناصر، والمبارك بن علي، قالا: أخبرنا علي بن محمد بن العلاف، قال: أخبرنا علي بن أحمد الحمامي، قال: أخبرنا جعفر بن محمد الخواص، قال: حدثنا إبراهيم بن نصر مولى منصور بن المهدي، قال: حدثني إبراهيم بن يسار، قال: كنت يوماً من الأيام ماراً مع إبراهيم بن أدهم في صحراء، إذ أتينا على قبر مسنم، فوجم عليه وبكى، فقلت: من هذا؟ قال: قبر حميد بن جابر أمير

هذه المدائن كلها، كان غرقاً في بحر الدنيا أخرجه الله منها واستنقذه، لقد بلغني أنه سر ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره، ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله، فرأى رجلاً واقفاً على رأسه بيده كتاب، فناوله إياه ففتحه وقرأه فإذا فيه مكتوب بالذهب: لا تؤثرون فانياً على باق، ولا تغتر بنلكك وسلطانك وعبيدك ولذاتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده هلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق فيه بغد، فسارع إلى أمر الله عز وجل، فإن الله قال: "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين"، فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة.

فخرج من ملكه إذ لا يعلم به، وقصد هذا الجبل، فتعبد فيه، فلما بلغني قصته وحدثت بأمره قصدته فسألته فحدثني ببدء أمره، فما زلت أقصده حتى مات ودفن ها هنا، فهذا قبره.

حسان بن أبي سنان: روى عن الحسن البصري، وأنس، وثابت.

أنبأنا أبو القاسم الجريري، قال: أخبرنا أبو طالب العشاري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: حدثنا غسان بن الفضل، قال: حدثنا شيخ لنا يقال له أبو حكيم، قال: خرج حسان بن سنان يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم امرأة قد حسنة رأيت اليوم؟ فلما أكثرت قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك. قال أبو بكر القرشي: وحدثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: أخبرنا عبد الله، قال: كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: إن قصب السكر أصابته آفة فاشتر السكر فيما قبلك. فاشترى من رجل فلم يأت عليه إلا قليل، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفاً. قال: فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا، إن غلامي كان كتب إلي و لم أعلمك فأقلني فيما اشتريت منك، قال الآخر: قد أعلمتني الآن وطيبة لك. فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه فقال: يا هذا، إني لم آت الأمر من وجهه فأحب أن تسترد هذا البيع، فما زال به حتى رده عليه. وقال عاصم بن فرقد: دخلنا على حسان بن أبي سنان وقد حضره الموت، فقال له – بعض – إخوانه: كيف تجدك؟ قال: أجدني بحال الموت، قال: أفتجد يا أبا عبد الله كرباً شديداً؟ قال: فبكى ثم قال: – إن ذلك، ثم قال: إن ذلك، ثم قال: – ينبغي للمؤمن أن يسلو عن كرب الموت وألمه لما يرجو من السرور في لقاء الله –عز وجل– عبد الله بن عون بن أرطبان يكنى أبا عون مولى عبد الله بن درة المزني: كان ثقة ورعاً. أنبأنا محمد بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قال: أخبرنا بن عمرو بن حيوية، قال: اخبرنا أحمد بن معروف، قال: حدثنا الحسين بن الفهم، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا بكار، قال: ما رأيت ابن عون يمازح أحداً ولا يماري أحداً – ولا ينشد شعراً –، وكان مشغولاً بنفسه، وكان إذا صلى صلاة الغداة مكث مستقبل القبلة في مجلسه يذكر الله، فإذا طلعت عليه الشمس صلى، ثم أقبل على أصحابه، وما رأيته شاتماً أحداً قط عبداً ولا أمة ولا دجاجة ولا شاة، ولا رأيت أحداً أملك للسانه منه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً حتى مات، وما رأيت بيده ديناراً ولا درهماً قط، وما رأيته يزن شيئاً قط، وكان إذا توضأ لا يعينه عليه أحد، وكان يمسح وجهه إذا توضأ بالمنديل أو بخرقة، وكان طيب الريح لين الكسوة، وكان إذا خلا في مترله صمت ولا يزيد على الحمد لله ربنا، وما رأيته دخل حماماً قط، وكان إذا وصل إنساناً بشيء وصله سراً، وإن صنع شيئاً صنعه سراً يكره أن يطلع عليه أحد، وكان له سبع يقرأه كل ليلة فإذا لم يقرأه بالليل أتمه بالنهار، وكان يحفي شاربه، وكان يأخذه أخذاً وسطاً، وكان في مرضه اصبر من رأيت، ما رأيته يشكو شيئاً من علته حتى مات في رجب هذه السنة.

وروى حماد بن زيد، عن ابن عون، قال: كانت له حوانيت يكريها، وكان لا يكريها من المسلمين، فقيل له في ذلك، فقال: إن لهذا إذا جاء رأس الشهر روعه، وأنا أكره أن أروع المسلم.

عثمان بن عطاء الخراساني: يروي عن عبد الله بن وهب، سكن فلسطين، وتوفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة حميد بن قحطبة كابل، وغزوة محمد بن إبراهيم الصائفة. وفيها: عزل المنصور جابر بن توبة عن البصرة وولاها يزيد بن منصور.وفيها قتل أبو جعفر هاشم بن الأشتاخنج، وكان قد عصى وخالف بإفريقية، فحمل إليه فقتله بالقادسية وهو متوجه إلى مكة. وفيها: عزل يزيد بن حاتم عن مصر، وولاها محمد بن سعيد. وفيها: حج بالناس المنصور، واستعدى عليه الحمالون، وحضر معهم عند الحاكم محمد بن عمران الطلحي، فحكم لهم عليه، وسنذكر القصة في حديث ابن عمران بعد ثلاث سنين. وكان العمال على الأمصار في هذه السنة العمال في السنة الماضية إلا البصرة ومصر فإن عامل البصرة كان يزيد بن منصور، وعامل مصر كان محمد بن سعيد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن أبي عبلة واسم أبي عبلة شمر بن يقطان، أبو إسماعيل القيسي ثم العقيلي: من أهل فلسطين، سمع من ابن عمر وغيره، وسمع منه ابن المبارك، والليث بن سعد، وتوفي في هذه السنة.أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: اخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص، قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا الأصمعي، قال: أخبرني رجل، عن إبراهيم بن أبي عبلة، قال: بعث إلي هشام بن عبد الملك، فقال: يا إبراهيم، إنا قد عرفناك صغيراً وخبرناك كبيراً، ورضينا بسيرتك وحالك، وقد رأيت أن أخلطك بنفسي وبخاصتي، وأشركك في عملي، وقد وليتك خراج مصر، فقال: أما الذي عليه رأيك يا أمير المؤمنين فالله يجزيك ويثيبك وكفى به جازياً ومثيباً، وأما الذي - أنا - عليه فمالي بالخراج تصرف، ومالي عليه قوة. فغضب حتى اختلج وجهه، ثم قال: ليلين طائعاً أو ليلين كارهاً، فأمسكت عن الكلام حتى رأيت غضبه قد انكسر وثورته قد طفئت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أأتكلم؟ فقال: نعم، فقلت: إن الله سبحانه قال في كتابه "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها - وأشفقن منها -" الآية. والله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن إذ أبين، ولا أكرههن إذ كرهن، وما أنا بحقيق أن تغضب علي إذ أبيت ولا تكرهني إذ كرهت، فضحك وقال: يا إبراهيم أبيت إلا رفقاً فقد أعفيناك ورضينا عنك.

خويل بن محمد الأزدي:

أخبرنا محمد بن أبي منصور، وعلي بن عمر، قالا: أخبرنا رزق الله، وطراد قالا: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: اخبرنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد، قال: حدثني محمد بن سهيل الأزدي، عن الهيثم بن عبيد، قال: سمعت خويل بن محمد - وكان عابداً - يقول: كأن خويلاً قد وقف للحساب، فقيل: يا خويل، قد عمرناك ستين سنة، فما صنعت فيها؟ فجمع نوم ستين سنة مع قائلة النهار فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في نوم وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل، ثم

جمعت ساعات وضوئي فإذا قطعة من عمري ذهبت فيه، ثم نظرت في صلاتي فإذا صلاة منقوصة وصوم مخرق، فما هو إلا عفو الله أو الهلكة.

محمد بن إسحاق بن يسار بن حبان وقيل: ابن يسار بن كوثان المديني، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف: وقال مصعب بن عبد الله: يسار مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة، جد محمد بن إسحاق من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل المدينة من العراق، يكنى أبا بكر، وقيل: أبا عبد الله. رأى أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر -الصديق-، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ونافعاً مولى ابن عمر، والزهري، وغيرهم. وكان عالماً بالسير والمغازي وأيام الناس والمبتدأ وقصص الأنبياء. وحدث عنه كبار الأئمة كيحيى بن سعيد -الأنصاري، وسفيان الثوري، وابن جريج، وشعبة، والحمادان، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وشريك- بن عبد الله وغيرهم.

قال الزهري: لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيهم ابن إسحاق.

وقال يحيى بن معين: كان محمد بن إسحاق ثقة، وضعفه في روايته.

ولما روى ابن إسحاق عم فاطمة بنت المنذر حديثاً قال زوجها هشام بن عروة: كذب، لقد دخلت بها وهي بنت تسع سنين، وما رآها مخلوق حتى لحقت بالله عز وجل.

وكان أحمد بن حنبل يقول: لعله دخل عليها وزوجها لا يعلم. وكان مالك بن أنس كذبه أيضاً لذلك.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا الخطيب، قال: قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأسباب منها أنه قد يتشيع، وينسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بندفوع عنه.

وقد قال أبو زرعة: محمد بن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه، وقد اختبره أهل الحديث فرأوه صدقاً وخيراً، مع مدح ابن شهاب له، وقد ذاكرت دحيماً في قول مالك فيه، فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتهمه بالقدر. وقد قال محمد بن عبد الله بن نمير: كان ابن إسحاق يرمي بالقدر وكان أبعد الناس منه، وكان إذا حدث عمن سمع من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق، وإنما أتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة.

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أحداً يتهم ابن إسحاق. وقال ابن المديني: حديثه عندي صحيح، قيل له: فكلام مالك فيه، فقال: مالك لم يجالسه و لم يعرفه، قيل: فهشام بن عروة، فقال: الذي قال هشام ليس بحجة لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها.

وقال أحمد بن حنبل: ابن إسحاق كان يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه. وكان أحمد يكتب حديثه ولا يحتج به في السنن. وقال ابن المديني، ويحيى بن معين، والساجي: توفي سنة اثنتين وخمسين ومائة. وقال الهيثم بن عدي، والفلاس، وابن عرفة: سنة خمسين ومائة. وقال أحمد بن خالد الوهبي: سنة إحدى وخمسين. وكذلك قال البخاري.

مسعر بن كدام بن ظهير، أبو سلمة: سمع أبا إسحاق الهمذاني. روى عنه الثوري، وشعبة. وكان عالماً عابداً كثير البكاء.

قال سفيان الثوري: لم يكن في زمانه مثله.

وقال سفيان بن عيينة: ما لقيت أحداً أفضله على مسعر.

-أخبرنا بن ناصر، قال:- أخبرنا المبارك بن عبد الجبار: قال: أخبرنا شجاع بن فارس، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن كناسة، قال: سمعت مسعراً يقول: من أهمته نفسه تبين ذلك عليه. أخبرنا زاهر بن طاهر، قال: أخبرنا أبو بكر بن الحسين البيهقي، قال: حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحاكم، قال: حدثنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب، قال: سمعت الحسين بن منصور، قال: سمعت جعفر بن عبد الرحمن، يقول: أتيت مسعراً بن كدام لأسمع منه، فكأنه رجل -قد- أقيم على شفير جهنم ليلقى فيها.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا أبو محمد بن حيان، قال: حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح، قال: حدثني الحسين بن مسلم، قال: حدثنا أحمد بن داود الحراني، قال سمعت مسعر بن كدام يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وسفيان الثوري آخذ بيده وهما يطوفان، فقال: يا رسول الله، مات مسعر بن كدام؟ قال: نعم واستبشر به أهل السماء. توفي مسعر بالكوفة في هذه السنة، وقيل: في سنة خمس وخمسين ومائة.

معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك، أبو الوليد الشيباني كان من صحابة المنصور ببغداد لما بنيت، ثم ولاه اليمن وغيرها، وكان جواداً.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد -القزاز-، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الأزهري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر النحوي، قال: حدثنا القاسم بن المغيرة، قال: حدثنا المدائني، عن غياث بن إبراهيم: أن معن بن زائدة دخل على أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين فقارب في خطوه، فقال أبو جعفر: كبرت سنك يا معن، قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: إنك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن عمر بن روح النهرواني، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا عمر بن الحسين بن علي الشيباني، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثنا قعنب، قال: قال سعيد بن سلم: لما ولى المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة، فلما صاروا ببابه واستأذنوا عليه فدخل الآذن، فقال: أصلح الله الأمير، بالباب وفد من أهل العراق، قال: من أي العراق؟ قال: من الكوفة، قال إئذن لهم، فدخلوا عليه، فنظر إليهم معن في هيئة زرية، فوثب على أريكته وأنشأ يقول:

إذا نوبة نابت صديقك فاغتنم — مردتها فالدهر بالناس قلب
فأحسن ثوبيك الذي هو لابس — وأفره مهريك الذي هو يركب
وبادر بنعروف إذا كنت قادراً — زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

قال: فوثب إليه رجل من القوم، فقال: أصلح الله الأمير، ألا أنشدك أحسن من هذا؟ قال: لمن؟ قال: لابن عمك ابن هرمة، قال: هات، فأنشأ وجعل يقول:

وللنفس تارات تحل بها العرى — وتسخو عن المال النفوس الشحائح
إذا المرء لم ينفعك حياً فنفعه — أقل إذا ضمت عليك الصفائح

لأية حال يمنع المرء ماله غداً فغدا والموت غاد ورائح

فقال معن: أحسنت والله وإن كان الشعر لغيرك، يا غلام أعطهم أربعة آلاف يستعينوا بها على أمورهم إلى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد، فقال الغلام: يا سيدي أجعلها دنانير أم دراهم؟ فقال معن: والله لا تكون همتك أرفع من همتي، صفرها لهم. قال المعافى: وحدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب، قال: حدثنا أبو موسى عيسى بن إسماعيل البصري، قال: حدثني العتبي، قال: قدم معن بن زائدة بغداد فأتاه الناس وأتاه ابن أبي حفصة، فإذا المجلس غاص بأهله، فأخذ بعضادتي الباب فقال:

وما أحجم الأعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعاً

له راحتان الجود والحتف فيهما أبى الله إلا أن تضر وتنفعا

فقال معن: احتكم يا أبا السمط، فقال: عشرة آلاف، فقال معن: ربحت والله –عليك– تسعين ألفاً. أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الأزهري، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: –أخبرنا ابن دريد، قال:– أخبرنا أبو عثمان الأشنانداني، عن الثوري، عن أبي عبيدة، قال: وقف شاعر بباب معن بن زائدة حولاً لا يصل إليه، وكان معن شديد الحجاب، فلما طال مقامه سأل الحاجب أن يوصل له رقعة، فأوصلها فإذا فيها مكتوب:

إذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل

فألقى معن الرقعة إلى كتابه وقال: أجيبوه عن بيته: فخلطوا وأكثروا و لم يأتوا بنعن، فأخذ الرقعة وكتب فيها:

إذا كان الجواد قليل مال ولم يعذر تعلل بالحجاب

فقال الشاعر: إنا لله أيؤيسني من معروفه، ثم ارتحل منصرفاً، فسأل معن عنه فأخبر بانصرافه، فأتبعه بعشرة آلاف وقال: هي عندنا في كل زورة. أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرني الحسين بن محمد بن عثمان النصيبي، قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد المعدل، قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو معاذ خلف بن أحمد المؤدب، قال: حدثنا أبو عثمان المازني، قال: حدثنا صاحب شرطة معن، قال: بينا أنا على رأس معن إذا هو براكب يوضع، فقال معن: ما أحسب هذا الرجل يريد إلا إياي، ثم قال لحاجبه: لا تحجبه، فجاء حتى مثل بين يديه، فقال:

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال إذ كثروا

ألح دهر رمى بكلكله فأرسلوني إليك وانتظروا

فقال معن وأخذته أريحية: لا جرم والله لأعجلن أوبتك، ثم قال: يا غلام، ناقتي الفلانية وألف دينار، فدفعها إليه وهو لا يعرفه. أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرني الأزهري، قال: حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد المقري، قال: حدثنا أبو طالب الكاتب، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي، قال: حدثنا سليمان، قال: خرج المهدي يوماً يتصيد، فلقيه الحسين بن مطير فأنشده يقول:

أضحت يمينك من جود مصورة لكن يمينك منها صور الجود

من حسن وجهك تضحي الأرض مشرقة ... ومن بنانك يجري الماء في العود

فقال المهدي: كذبت يا فاسق، وهل تركت في شعرك موضعاً لأحد مع قولك في معن بن زائدة:

ألما بنعن ثم قولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعاً

فيا قبر معن كنت أول حفرة ... من الأرض حطت للمكارم مضجعاً

أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعاً

ولكن حويت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعاً

وما كان إلا الجود صورة وجهه ... فعاش ربيعاً ثم ولى فودعا

فلما مضى معن مضى الجود والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

فأطرق الحسين ثم قال: يا أمير المؤمنين، وهل معن إلا حسنة من حسناتك. فرضي عنه وأمر له بألفي دينار.

بلغنا أن بعض فصحاء العرب دخل على معن، فقال: أصلح الله الأمير، لو شئت أن أتوسل إليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلاً ممكناً ولكني استشفعت إليك بقدرك، واستعنت عليك بفضلك، فإن رأيت أن تضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من رجائك، فإني لم أكرم نفسي عن مسألتك فأكرم وجهك عن ردي، قال: سل حاجتك، قال: ألف درهم، قال: ربحت عليك ربحاً بيناً، قال: مثلك لا يربح على سائله، قال: أضعفوا له ما سأل.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا ابن الفضل القطان، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: قتل معن بن زائدة بأرض خراسان سنة اثنتين وخمسين ومائة.

قال الخطيب: بلغني أن المنصور ولاه سجستان فترل بست فأساء السيرة في أهلها فقتلوه. وقال غيره: قتلته الخوارج بسجستان.

يونس بن يوسف أبو عمر بن حماس، وقيل: يوسف:

وكان عابداً مجتهداً يصوم الدهر ويقوم الليل، وكان مستجاب الدعوة. أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن علي العميري، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد القاضي، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يوسف المرواني، قال: حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج المهدي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أبو ضمرة عاصم بن أبي بكر الزهري، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كان يونس بن يوسف من العباد – أو –قال–: من خيار الناس– فأقبل ذات يوم وهو رائح من المسجد، فلقيته امرأة، فوقع في نفسه منها، فقال: اللهم إنك جعلت لي بصري نعمة وقد خشيت أن تكون علي نقمة فاقبضه إليك. قال: فعمي، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له، فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبي بلعب مع الصبيان فإن أتته حاجة حصبه فأقبل إليه، فبينا هو ذات ضحوة في المسجد إذ حس في بطنه بشيء فحصب الصبي فاشيغل عنه مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه، فقال: اللهم إنك كنت جعلت لي بصري نعمة وخشيت أن يكون نقمة فسألتك فقبضته إليك، وقد خشيت الفضيحة فرده – علي–. فانصرف إلى مترله صحيحاً يمشي. قال مالك: فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها قدوم المنصور من مكة إلى البصرة، فجهز جيشاً إلى البحر لحرب الكرك، وكانوا أغاروا على جده، وهذه قدمته الأخيرة إلى البصرة. وقيل: إنما كانت قدمته الأخيرة في سنة خمس وخمسين ومائة، وكانت الأولى في سنة خمس وأربعين، وأقام بها أربعين يوماً، وبنى بها قصراً، ثم انصرف منها إلى مدينة السلام. وفيها: غضب المنصور على أبي أيوب المرزباني فحبسه وحبس أخاه وبني أخيه سعيداً ومسعوداً ومخلداً ومحمداً فطالبهم، وكان سبب ذلك أن أبان بن صدقة كاتب أبي أيوب سعى به إليه.
وفيها: قتل عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة بإفريقية، قتله أبو حاتم الإباضي ومن كان معه من البربر، وكانوا ثلاثمائة ألف وخمسين ألفاً، الخيل منها خمسة وثمانون ألفاً، ومعهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفاً، وكان يسلم عليه بالخلافة. وفيها: حمل عباد مولى المنصور، وهرثمة بن أعين، ويوسف بن علوان من خراسان في سلاسل لتعصبهم لعيسى بن موسى. وفيها: أخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول، فقال أبو دلامة:

وكنا نرجي من إمام زيادة فزاد الإمام المصطفى في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهودٍ جللت بالبرانس

وفيها: غزا الصائفة معيوف بن يحيى الهمداني، فصار إلى حصن من حصون الروم ليلاً وأهله نيام، فسبى وأسر من كان فيه، ثم سار إلى اللاذقية وفتحها، وأخرج منها ستة آلاف امرأة سوى الرجال البالغين. وفيها: ولى المنصور بكار بن مسلم العقيلي –أرمينية–. وفيها: حج بالناس المهدي، وكان على مكة يومئذ محمد بن إبراهيم، وعلى المدينة الحسن بن زيد بن حسن وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة يزيد بن منصور، وعلى قضائها سوار، وعلى مصر محمد بن سعيد. وذكر الواقدي أن يزيد بن منصور كان والي اليمن في هذه السنة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر.

إبراهيم بن نشيط بن يوسف، ويكنى أبا بكر: كان فقيهاً عابداً رأى عبد الله بن الحارث، وسمع منه، وغزا القسطنطينية في خلافة الوليد بن عبد الملك في سنة ثمان وتسعين مع مسلمة بن عبد الملك.
وروى عنه الليث بن سعد، وابن المبارك، ورشد بن سعد، وابن وهب. توفي هذه السنة.
حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك، أبو زرعة التجيبي: روى عن عقبة بن مسلم، وكان فقيهاً عابداً مجاب الدعوة. روى عنه الليث، وابن المبارك، وابن لهيعة، وابن وهب.

قال ابن المبارك: ما وصف لي أحد فرأيته إلا كان دون ما وصف إلا حيوة بن شريح، فإن رؤيته كانت أكثر من صفته. أخبرنا عبد الله بن علي المقري، ومحمد بن ناصر، قالا: أخبرنا طراد، علي بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني أحمد بن سهل الأزدي، قال: حدثني خالد بن الفرز، قال: كان حيوة بن شريح دعاء من البكائين، وكان ضيق الحال جداً، فجلست إليه ذات يوم وهو مختلٍ وحده يدعو، فقلت: رحمك الله، لو دعوت الله يوسع عليك في معيشتك؟ قال: فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، فأخذ حصاة من الأرض فقال: اللهم اجعلها ذهباً، قال: فإذا هي والله قبرة في كفه، ما رأيت أحسن منها، قال: فرمى بها إلي وقال: لا خير في الدنيا إلا الآخرة، ثم التفت إلي فقال: هو أعلم بنا يصلح

عباده، فقلت: ما أصنع بها، قال: استنفقها، فهبته والله أن أراده. أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن علي السري، عن أبي عبد الله بن بطة، قال: حدثني أبو بكر الآجري، قال: حدثنا أبو نصر بن كردي، قال: حدثنا أبو بكر المروزي، قال: سمعت أبا بكر بن أبي عون، يقول: حدثنا أبو عبد الله البصري، قال: حدثنا محمد بن بشار اليشكري، قال: لما قدم أبو عون مصر وقتل بها من قتل واستولى على البلد أرسل إلى حيوة بن شريح: ائتني، قال: فجاء فدخل عليه فقال: إنا معشر الملوك لا نعصى، فمن عصانا قتلناه، قد وليتك القضاء، -قال-: أو آمر أهلي، قال: اذهب، قال: فجاء إلى أهله، فغسل رأسه ولحيته ونال شيئاً من الطيب، ولبس أنظف ما قدر عليه من الثياب قال: ثم جاء فدخل عليه فقال: من جعل السحرة أولى بنا قالوا منا، اقض ما أنت قاض لست أتولى لك شيئاً. قال: فأذن له فرجع.

توفي حيوة بن شريح في هذه السنة.

الحسن بن عمارة بن المضرب، أبو محمد الكوفي مولى بجيلة: حدث عن الزهري، وأبي إسحاق السبيعي، وأبي زهير المكي، وعمرو بن دينار، وغيرهم، روى عنه أبو يوسف القاضي، وشبابة. وولي القضاء ببغداد في خلافة المنصور، ثم بعث المنصور إلى عبيد الله بن محمد بن صفوان إلى مكة من يقدم به عليه، فلما قدم ولاه القضاء وضم الحسن بن عمارة إلى المهدي. أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم الربيعي، قال: حدثنا أبو عبد الله اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني جبلة بن سليمان، قال: جاء رجل إلى الحسن بن عمارة، فقال: إن لي على مسعر بن كدام سبعمائة درهم من ثمن دقيق وغير ذلك، وقد مطلني، ويقول: ليس عندي اليوم، فدفعها إليه الحسن بن عمارة، وقال: أعط مسعراً كلما أراد، وإذا اجتمع لك عليه شيء فتعال إلي حتى أعطيك. وقد قدحوا في الحسن بن عمارة، وكان شعبة يشهد أنه كذاب. وقال ابن المديني: أمره أبين من ذلك، قيل له: كان يغلط، قال: وأي شيء كان يغلط، وذهب إلى أنه كان يضع الحديث. وقال يحيى: لا يكتب حديثه.

وقال أحمد، ومسلم بن الحجاج: هو متروك الحديث. وقال الفلاس: هو رجل صدوق صالح كثير الوهم متروك الحديث. وقال الساجي: أجمع عليه أهل الحديث على ترك حديثه. وقال سفيان بن عيينة: كنت إذا سمعت الحسن بن عمارة يروي عن الزهري، وعمرو بن دينار جعلت إصبعي في أذني. توفي الحسن بن عمارة في هذه السنة.

شقيق بن إبراهيم، أبو علي البلخي:

كان ذا ثروة عظيمة، فخرج منها وتزهد، وصحب إبراهيم بن أدهم. أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي، قال: حدثنا عباس بن أحمد الشاشي، قال: حدثنا أبو عقيل الرصافي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الزاهد، قال: قال علي بن محمد بن شقيق: كان لجدي ثلاثمائة قرية و لم يكن له كفن يكفن فيه، قدم ذلك كله بين يديه، وثيابه وسيفه إلى الساعة معلق يتبركون به، وكان قد دخل إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدث، فدخل إلى أصنامهم فقال لعاملهم: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء، رازق كل شيء، فقال له: ليس يوافق قولك فعلك، فقال: كيف؟ قال: زعمت أن لك خالقاً قادراً وقد تعنيت إلى ها هنا لطلب الرزق، قال شفيق: فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع فتصدق بجميع ماله وطلب العلم. أخبرنا بن ناصر، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا عمر بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن أبي عمران، قال:

سمعت حاتماً الأصم يقول: كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافو الترك في يوم لا أرى فيه إلا رؤوساً تبدر وسيوفاً تقطع، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: يا حاتم، كيف ترى نفسك في هذا اليوم؟ تراها مثلها في الليلة التي زفت إليك امرأتك، فقلت: لا والله، فقال: لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي. قال: ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه.

عبيد الله بن أبي ليلى القاضي: توفي هذه السنة، فاستقضي مكانه شريك بن عبد الله النخعي.

عميرة بن أبي ناحية، أبو يحيى: كان عابداً ناسكاً دائم البكاء، وكان أبوه رومياً. -وتوفي عميرة في هذه السنة-.

معمر بن راشد، أبو عروة البصري: سكن اليمن وقال: طلبت العلم يوم مات الحسن البصري، وسمعت من قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما من شيء سمعته في تلك السنين إلا ومكتوب في صدري. وسمع من الزهري وغيره. وروى عنه الثوري، وابن عيينة، وابن المبارك.

وتوفي في هذه السنة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

موسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: كان من وجوه بني هاشم وأفاضلهم، وهو أخو محمد، وجعفر. وقدم بغداد في خلافة المنصور، فتوفي بها في هذه السنة.

هشام بن العلاء بن ربيعة، أبو العباس وقيل: أبو عبد الله الجرشي الشامي: سمع عطاء بن أبي رباح، ونافعاً ومكحولاً. روى عنه ابن المبارك، ووكيع، وشبابة، نزل بغداد وحدث بها، وولاه المنصور بيت المال، وكان ثقة من خيار الناس. وتوفي في هذه السنة.

هشام بن أبي عبد الله واسمه سنبر، الدستوائي، مولى لبني سدوس: كان شديد الخوف - من الله-، كثير البكاء. أخبرنا عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا علي بن أحمد الملطي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا سعيد بن عامر، قال: كان هشام بن أبي عبد الله قد أظلم بصره من طول البكاء، فكنت تراه يبصر إليك ولا يعرفك حتى تكلمه. توفي في هذه السنة، وقيل: سنة اثنتين وخمسين ومائة.

وهيب بن الورد بن أبي الورد مولى بني مخزوم، يكنى أبا أمية، وقيل: أبا عثمان: وكان اسمه عبد الوهاب، فصغر فقيل وهيب. أدرك عطاء، ومنصور بن زادان، وكان شديد الورع كثير التعبد، وكان سفيان الثوري إذا فرغ من حديثه يقول: قوموا بنا إلى الطبيب، يعني وهيباً. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، قال: أخبرنا ابن أبي الفوارس، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، قال: حدثنا أبو بكر المروزي، قال: قال قادم الديلمي: قيل لوهيب بن الورد: ألا تشرب من زمزم، قال: بأي دلو. قال المروزي: وسمعت عبد الوهاب الوراق يقول: قال شعيب بن حرب:

ما احتملوا لأحد ما احتملوا لوهيب، كان يشرب بدلوه. قال المروزي: وحدثنا أحمد بن الخليل، قال حدثنا ابن عيسى، قال: سمعت ابن المبارك يقول: ما جلست إلى أحد كان أنفع لي مجالسة من وهيب، وكان لا يأكل من الفواكه، وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكه يكشف عن بطنه وينظر إليه ويقول: يا وهيب ما أرى بك بأساً، ما أرى تركك الفواكه ضرك شيئاً. أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري، قال: أخبرنا أحمد بن المنصور البوشري، قال: حدثنا محمد بن مخلد، قال: حدثنا موسى بن هارون الطوسي، قال: حدثنا محمد بن نعيم بن الهيضم، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: كان

وهيب بن الورد تئن خضرة البقل من بطنه من الهزال. قال ابن مخلد: وحدثنا أحمد بن الفتح، قال: سمعت بشراً يقول: بلغني أن وهيباً كان إذا أتي بقرصيه بكى حتى يبلهما. قال أبو بكر بن عبيد: حدثني محمد بن يزيد بن خنيس، قال: حلف وهيب بن الورد ألا يراه الله ضاحكاً ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتي به رسل الله. قال: فسمعوه يقول عند الموت: وفيت لي و لم أف لك. توفي وهيب في هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها خروج المنصور إلى الشام. ومضيه إلى بيت المقدس، وتوجيهه يزيد بن حاتم إلى إفريقية في خمسين ألفاً لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن حفص، وأنفق المنصور على ذلك الجيش ثلاثة وستين ألف ألف درهم. وفيها: غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي. وفيها: عزم المنصور على بناء مدينة الرافقة، فلما أراد بناءها امتنع أهل الرقة وأرادوا محاربته، وقالوا: يعطل علينا أسواقنا ويذهب معايشنا ويضيق منازلنا. فهم بنحاربتهم. والرافقة على شط الفرات، كانت الرقة إلى جانبها، فخربت الرقة. والرافقة تعرف اليوم بالرقة. وفيها: وقعت صاعقة في المسجد الحرام فقتلت ستة نفر.
وفيها: أمر المنصور موسى بن دينار حاجب أبي العباس بقطع أيدي بني أخي –أبي– أيوب المورياني، وأرجلهم، وضرب أعناقهم. وكتب بذلك إلى المهدي، ففعل موسى فيهم ما أمره به. وفيها: حج بالناس محمد بن إبراهيم، وهو كان العامل على مكة والطائف. وكان على المدينة الحسن بن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة عبد الملك بن أيوب، وعلى قضائها سوار، وعلى السند هشام بن عمرو، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد بن سعيد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن يزيد بن شراحيل، أبو خزيمة: دخل على عبد الله بن الحارث بن جزء، وروى عن يزيد بن أبي حبيب. وروى عنه المفضل بن فضالة، وجرير بن حازم، ورشدين بن سعد. وولي القضاء بنصر بعد أن عرضه الأمير عبد الملك بن يزيد أبو عون على السيف. توفي في هذه السنة.
أشعب الطامع ويقال أن اسمه شعيب، واسم أبيه جبير: ولد أشعب سنة تسع من الهجرة، وكان أشعب خال الأصمعي، وقيل: خال الواقدي. وفي كنيته قولان، أحدهما: أبو العلاء، والثاني: أبو إسحاق. وفي اسم أمه ثلاثة أقوال، أحدها: جعدة مولاة أسماء بنت أبي بكر، والثاني: أم حميدة، والثالث: أم حميدة بفتح الحاء. واتفقوا أنه مولى، واختلفوا في مولاه على أربعة أقوال: أحدها: عثمان بن عفان، الثاني: سعيد بن العاص، والثالث: عبد الله بن الزبير، والرابع: فاطمة بنت الحسين. وعمر دهراً طويلاً، وكان قد أدرك زمن عثمان بن عفان، قرأ القرآن وتنسك. وروى عن عبد الله بن جعفر، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وعكرمة. وتوفي في هذه السنة، وله أخبار طريفة. أخبرنا عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن الحسين القطان، قال: أخبرنا أبو بكر الشافعي، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن سماعة، قال: حدثني عبد الله بن سوادة، قال: حدثنا أحمد بن شجاع، قال: حدثنا أبو العباس نسيم الكاتب، قال: قيل لأشعب: طلبت العلم، وجالست الناس، ثم تركت، فلو جلست لنا فسمعنا منك، قال: نعم فجلس لهم فقالوا: حدثنا، فقال: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن العباس يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: "خلتان لا تجتمعان في مؤمن.." ثم سكت، فقالوا: ما الخلتان؟ فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، قال: حدثنا محمد بن بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا أبو الحسن بن مسلم، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: قال الواقدي: لقيت أشعب يوماً فقال لي: يا ابن واقد قد وجدت ديناراً، فكيف أصنع به؟ قلت: تعرفه؟ قال: سبحان الله، قلت: فما الرأي؟ قال: أشتري به قميصاً وأعرفه، قلت: إذاً لا يعرفه أحد، قال: فذاك أريد. -قال المصنف-: وقد نقلت عن أشعب كلمات مضحكات ونوادر.

قال الهيثم بن عدي: أسلمته فاطمة بنت الحسين إلى البزازين، فقيل له: أين بلغت من معرفة البز؟ قال: أحسن أنشر ولا أحسن أطوي، وأرجو أن أتعلم الطي. ومر برجل يتخذ طبقاً، فقال: اجعله واسعاً لعلهم أن يهدون إلينا فيه.

وقال أبو عبد الرحمن المقري: قال أشعب: ماخرجت في جنازة قط فرأيت اثنين يتشاوران إلا ظننت أن الميت قد أوصى لي بشيء.

قال سليمان الشاذكوني: كان لي بني في المكتب فانصرف إلي يوماً فقال: يا أبت، ألا أحدثك بطريف؟ فقلت: هات، فقال: كنت أقرأ على المعلم أن أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالس، فلبس نعليه وقال: امش بين يدي، فقلت: إنما أقرأ عشري، فقال: عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك.

سعيد بن يزيد، أبو شجاع القتباني: روى عنه الليث بن سعد، وابن المبارك، وكان ثقة من العباد المجتهدين. كان إذا أصبح عصب ساقه من طول القيام. توفي بالإسكندرية -في هذه السنة-.

سليمان بن أبي سليمان المورياني مولى بني سليم: كان قديماً مع ابن هبيرة، ثم استكتبه المنصور، ثم أخبر المنصور أن خالداً أخا أبي أيوب، وكان بالأهواز قد جمع مالاً عظيماً، فغضب عليه المنصور فحبسه وحبس أخاه خالداً وبني خيه، وقطع أيدي بني أخيه وقتلهم على ما سبق ذكره. وكان أبو أيوب -سليمان- كريماً جواداً.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الطيب الطبري، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثنا محمد بن المرزبان، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن إسماعيل بن هيثم، قال: ابن شبرمة: زوجت ابني على ألفي درهم فلم أقدر عليها، ففكرت فيمن أقصد، فوقع في قلبي أبو أيوب المورياني، فدخلت عليه فقال: لك ألفان، فلما نهضت لأقوم، قال: والمهر ألفان فأين الجهاز، ثم قال: ألفان للجهاز فذهبت لأقوم فقال: المهر والجهاز فأين الخادم؟ ولك ألفان للخادم، فذهبت لأقوم فقال: والشيخ لا يصيب شيئاً؟ ولك ألفان، فلم أزل أقوم ويقعدني حتى انصرفت من عنده بخمسين ألفاً.

وقال أبو بكر الصولي: حدثنا محمد بن سعيد الأصم، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد أبو هفان، قال: حدثنا العباس بن إبراهيم، قال: كان أبو أيوب إذا دعاه المنصور يصفر ويرعد، فإذا خرج من عنده تراجع لونه، فقيل له: إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك إذا دخلت إليه ترعد، فقال: مثلي ومثلكم في هذا كمثل بازي وديك تناظرا، فقال البازي للديك: ما أعرف أقل وفاء منك، فقال: وكيف ذلك؟ فقال: تؤخذ بيضة ويحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصحت، فإذا علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت إلى غيرها. وأنا أؤخذ من الجبال وقد كبرت فأطعم الشيء اليسير وأؤنس يوماً أو يومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدي وآخذه وأجيء به

إلى صاحبي. فقال له الديك: -ذهبت عنك الحجة- أما لو رأيت بازياً في سفود ما عدت إليهم أبداً، وأنا في كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكاً وأبيت معهم، فأنا أكثر وفاء منك، ولو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه إياكم.

توفي أبو أيوب في هذه السنة.

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المديني:

وكان من أحسن الناس صورة. أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا علي بن أبي الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري، عن أبي هريرة بن جعفر المخزومي: أن الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب خطبا امرأة من قريش، فاختلف عليها في جمالها، فجعلت تسأل وتبحث إلى أن خرجت تريد صلاة العتمة في المسجد، فرأهما قائمين في القمر يتعاتبان في أمرها، فنظرت إلى بياض عبد العزيز وطوله، فتزوجته، فجمع الناس وأو لم لدخولها، فبعث إلى محمد بن عبد الله بن عمرو فدعاه فيمن دعاه، فأكرمه وأجلسه في مجلس شريف، فلما فرغ الناس برك له محمد بن عبد الله بن عمرو وخرج وهو يقول:

وبينا أرجي أن أكون وليها ... رميت بعرق من وليمتها سخن

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان، ومحمد بن الضحاك الخزامي، ومحمد بن الحسن المخزومي وغيرهم: أن عبد العزيز بن عبد الله كان فيمن أسر مع محمد بن عبد الله بن حسن، فلما قتل محمد حمل عبد العزيز إلى المنصور في حديد، فلما دخل عليه قال له: ما رضيت أن خرجت علي حتى خرجت معك بثلاثة أسياف من ولدك، فقال له عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، صل رحمي واعف عني واحفظ في عمر بن الخطاب، فقال: أفعل، فعفى عنه، فقال له عبد الله بن الربيع: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه لا يطمع فيك فتيان قريش، فقال له المنصور: إذا قتلت هذا فعلى من تحب أن أتأمر.

علي بن صالح بن حي ولد هو وأخوه الحسن توأماً في بطن، وكان علي قد تقدم بساعة، وكان الحسن يعظمه ويقول: قال أبو محمد. وكان علي كثير العبادة، وأسند عن جماعة من التابعين، وتوفي في هذه السنة. أخبرنا محمد بن عبد الملك، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن خيرون، قال: قرئ على أبي علي بن شاذان أن أحمد بن كامل القاضي أخبرهم، قال: حدثنا عيسى بن إسحاق الأنصاري، قال: حدثنا أحمد بن عمران البغدادي، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا الحسن بن حي قال: قال لي أخي علي في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء، وكنت قائماً أصلي، فلما قضيت الصلاة أتيته بناء فقلت يا أخي، فقال: لبيك، فقلت: هذا ماء، فقال: قد شربت الساعة، فقلت من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني جبريل الساعة بناء فسقاني وقال لي: أ،ت وأخوك وأبوك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وخرجت روحه رحمة الله عليه.

الفضل بن عطية الخراساني المروزي مولى بني عبس: روى عن سالم بن عبد الله. أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن غيلان، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، قال: حدثنا محمد بن علي السرخسي، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا الحسن بن سهل، عن سلام بن سالم، قال: زاملت الفضل بن عطية إلى مكة فلما رحلنا من فيد أنبهني في جوف الليل، فقلت: ما تشاء؟ قال: أريد أن أوصي إليك، قلت: غفر الله لك وأنت صحيح، فجزعت من قوله، فقال: لتقبلن ما أقول لك، قلت: نعم فأخبرني ما الذي حملك عليها هذه الساعة؟ قال: أريت في منامي ملكين

فقالا: إنا قد أمرنا بقبض روحك، فقلت لهم: لو أخرتماني إلى أن أقضي نسكي، فقال: إن الله عز وجل قد تقبل منك نسكك، ثم قال أحدهما للآخر: إفتح إصبعيك، ففتح السبابة والوسطى فخرج من بينهما ثوبان ملأت خضرهما ما بين السماء والأرض، فقالا: هذا كفنك من الجنة، ثم طواه وجعله بين إصبعيه، فما وردنا المترل حتى قبض، فإذا امرأة قد استقبلتنا وهي تسأل الرفاق: هل فيكم الفضل بن عطية؟ فلما انتهت إلينا قلت: ما حاجتك إلى الفضل؟ هذا الفضل زميلي، فقالت: رأيت في المنام أنه يصبحنا اليوم رجل ميت يسمى الفضل بن عطية من أهل الجنة، فأحببت -أن أشهد- الصلاة عليه.

محمد بن عمران بن إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني، أبو سليمان

ولي القضاء بالمدينة لبني أمية، ثم ولاه ذلك المنصور، وكان مهيباً قليل الحديث، و مات بالمدينة في هذه السنة وهو على القضاء، فبلغ موته المنصور، فقال: اليوم استوت قريش. أخبرنا محمد بن ناصر، قال: حدثنا محمد بن علي بن ميمون، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي العلوي، وأبو الفرج محمد بن أحمد بن غيلان، -قالا: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفزاري، قال: حدثني أبو القاسم الحسن بن محمد السكوني، قال:- حدثنا أبو الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني عمر بن أبي بكر، عن نمير المدني، قال: قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة، ومحمد بن عمران الطلحي على قضائه وأنا كاتبه، فاستعدى الحمالون على أمير المؤمنين في شيء ذكروه، فأمرني أن أكتب إليه كتاباً بالحضور معهم وإنصافهم، فقلت: اعفني من هذا فإنه يعرف خطي، فقال: اكتب، فكتبت ثم ختمه وقال: لا يمضي به والله غيرك، فمضيت به إلى الربيع وجعلت أعتذر إليه، فقال: لا تفعل، فدخل عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم: إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: إني قد دعيت إلى مجلس الحكم فلا أعلمن أحداً قام إلي إذا خرجت أو بدأني بالسلام. قال: ثم خرج المسيب بين يديه والربيع وأنا خلفه في إزار ورداء، فسلم على الناس فما قام إليه أحد، ثم مضى حى بدأ بالقبر فسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم التفت إلى الربيع، فقال: يا ربيع، ويحك أخشى إن رآني محمد بن عمران أن يدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه، وتالله لئن فعل لا ولي لي ولاية أبداً.

قال: قلما رآه -وكان متكئاً- أطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به ودعى بالخصوم وبالحمالين، ثم دعا بأمير المؤمنين ثم ادعوا وحكم عليه لهم، فلما دخل الدار قال: للربيع: اذهب فإذا قام وخرج من عنده من الخصوم فادعه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما دعا بك حتى تفرغ من أمر الناس جميعاً، فدعاه فلما دخل عليه سلم، فقال: جزاك الله عن دينك وعن بنيك وعن حسبك وعن حليفتك أحسن الجزاء، قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها، فكانت عامة أموال محمد بن عمران الطلحي من تلك الصلة.

ابن عمار أبو عمرو بن العلاء القاري وقيل: اسمه زبان، وقيل: سفيان، والصحيح أن اسمه كنيته، وكان أبوه على طراز الحجاج. وجده عمار حمل رية علي -بن أبي طالب- عليه السلام يوم صفين. ولد أبو عمرو بن العلاء في سنة سبعين في أيام عبد الملك بن مروان. ونشأ بالبصرة وقرأ على مجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وشيبة بن نصاح،ويحيى بن يعمر، وابن كثير. وكان مقدماً في دهره، عالماً بالقراءة، عارفاً بوجوهها، أعلم الناس بأمور العرب مع صدق وصحة سماع. وكان قد كتب عن العرب الفصحاء ما ملأ به بيتاً إلى قريب من السقف، ثم أنه تقرى فأحرقها كلها، فلما رجع من بعد إلى علمه لم يكن عنده إلا ما قد حفظه، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية. توفي بالكوفة في هذه السنة وهو ابن أربع وثمانين سنة.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها افتتاح يزيد بن حاتم إفريقية، وقتله أبا غازي، وأبا حاتم ومن كان معهما، واستقامة بلاد المغرب، ودخول يزيد القيروان. وفيها: غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي.

وفيها: وجه المنصور ابنه المهدي لبناء مدينة الرافقة، فشخص إليها فبناها على بناء مدينته ببغداد، في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها سوى سورها وخندقها، ثم انصرف إلى مدينة السلام. وفيها: خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة، وضرب عليهما سوراً وجعل ما أنفق في ذلك من أموال أهل المكان. وفيها: عزل عبد الملك بن أيوب عن البصرة واستعمل عليها القاسم بن معاوية العكي، وضم إليه سعيد بن دعلج وأمره ببناء سور لها يطيف بها، وخندق عليها من دون السور. قال ابن جرير: وقد ذكرنا أن المنصور لما أراد الأمر ببناء سور الكوفة وبحفر خندق لها أمر بقسمة خمسة دراهم على أهل الكوفة، وأراد بذلك علم عددهم، فلما علم عددهم أمر بجبايتهم اربعين درهماً من كل إنسان، فجبوا، ثم أمر بإنفاق ذلك على سور الكوفة وحفر الخندق، فقال شاعرهم:

يا لقومي ما لقينا ... من أمير المؤمنينا

قسم الخمسة فينا ... وجبانا أربعينا

وفي هذه السنة: طلب ملك الروم الصلح من المنصور على أن يؤدي إليه الجزية. وفيها: عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وأغرمه مالاً، وغضب عليه وحبسه ثم رضي عنه، واستعمل على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب. وفيها: عزل المنصور محمد بن سليمان بن علي عن الكوفة، واستعمل مكانه عمرو بن زهير أخا المسيب بن زهير. وقال عمر بن شبة: إنما كان هذا في سنة ثلاث وخمسين. وعمرو هو الذي حفر الخندق بالكوفة.

واختلفوا في سبب عزله لمحمد بن سليمان. فقال بعضهم: إنما عزله لأمور قبيحة بلغته عنه اتهمه فيها. وقال آخرون: بل كان السبب أنه أتى في عمله على الكوفة بعبد الكريم بن أبي العوجاء، وكان خال معن بن زائدة، فكثر شفعاؤه إلى أبي جعفر، ولم يشفع فيه إلا ظنين، فأمر بالكتاب إلى محمد بن سليمان بالكف عنه إلى أن يأتيه رأيه فيه. فكلم ابن أبي العوجاء أبا الجبار، فقال له: إن أخرني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف درهم ولك كذا وكذا، فأعلم أبو الجبار محمداً، فقال: أذكرتنيه، والله كنت قد نسيته، فإذا انصرفت من الجمعة فاذكرنيه. فلما انصرف أذكره إياه فأمر بضرب عنقه، فلما أيقن أنه مقتول قال: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم، فضربت عنقه. وورد محمد على رسول أبي جعفر بكتابه: إياك أن تحدث في ابن أبي العوجاء شيئاً، فإنك إن فعلت فعلت بك وفعلت، يتهدده. فقال للرسول: هذا رأس ابن أبي العوجاء وهذا بدنه مصلوباً بالكناسة، فأخبر أمير المؤمنين.

فلما بلغ الرسول أبا جعفر رسالته تغيظ عليه وأمر بعزله، ثم قال: والله لقد هممت أن أقيده به، ثم أرسل إلى عيسى بن علي فأتاه، فقال: هذا عملك، أنت أشرت بتولية هذا الغلام فوليته غلاماً جاهلاً لا علم له بنا يأتي، يقدم على رجل فيقتله من غير أن رأى ولا ينتظر أمري، وقد كتبت بعزله وبالله لأفعلن، يتهدده فسكت عنه عيسى حتى سكن غضبه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن محمداً إنما قتل هذا الرجل على الزندقة فإن كان قتله صواباً فهو لك، وإن كان خطأ فعلى محمد، والله يا أمير المؤمنين لئن عزلته على تفية ما صنع

لترجعن القالة من العامة عليك. فأمر بالكتب فمزقت وأقره على عمله. وفيها: عزل الحسن بن زيد عن المدينة، واستعمل عليها عبد الله بن علي، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه. وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم، وعلى الكوفة عمرو بن زهير، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد بن سعيد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

زبان بن فائد، أبو جوين الحمراوي كان على المظالم بنصر، وهو آخر من ولي لبني أمية، وكان فاضلاً من أعدل ولاتهم. روى عنه الليث، وابن لهيعة، ورشدين بن سعد. وتوفي في هذه السنة.

أبو هاشم الزاهد من قدماء زهاد بغداد ومن أقران أبي عبد الله البراثي.

كان سفيان الثوري يقول: ما زلت أرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم الزاهد، فأخذت من ترك الرياء.

وكان أبو هاشم يقول: أخذ المرء نفسه بحسن الأدب تأديب أهله.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب الوراق، قال: حدثنا أبو مسروق، قال: حدثنا محمد بن الحسن، قال: حدثني بعض أصحابنا، قال: قال أبو هاشم الزاهد: إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها ليقبل المطيعون له بالإعراض عنها، فأهل المعرفة بالله مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون. قال ابن مسروق: وحدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا حكيم بن جعفر، قال: نظر هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى بن خالد فبكى وقال: أعوذ بالله من علم لا ينفع.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة زفر بن عاصم الهلالي الصائفة، وأن الهيثم بن معاوية عامل أبي جعفر على البصرة ظفر بعمرو بن شداد عامل إبراهيم بن عبد الله على فارس، فقتل بالبصرة وصلب. وفيها: عزل أبو جعفر الهيثم بن معاوية عن البصرة وأعمالها، فاستعمل سوار بن عبد الله على البصرة وجمع له القضاء والصلاة، وولى سعيد بن دعلج شرطها وأحداثها.

وفيها: حج بالناس العباس بن محمد بن علي أخو المنصور، وكان العامل فيها على مكة محمد بن إبراهيم وهو ابن أخي المنصور، وكان مقيماً بمدينة السلام وابنه إبراهيم خليفته بنكة، وكان إليه مع مكة الطائف، وكان على الكوفة عمرو بن زهير، وعلى الأحداث والجوالي والشرطة وصدقات أرض العرب بالبصرة سعيد بن دعلج، وعلى الصلاة والقضاء بها سوار، وعلى كور دجلة والأهواز وفارس عمارة بن حمزة، وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد بن سعيد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

رباح بن أبي يزيد اللخمي: كان من أهل إفريقية، وكان عالماً زاهداً يضرب بعبادته المثل، وهو أخو قحذم بن يزيد الذي كان عابداً بالإسكندرية.

رؤبة بن العجاج واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر، ويكنى أبا الجحاف وأبا العجاج: روى عن أبي الشعشاء، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من رجاز الإسلام وفصحائهم المقدمين منهم، وهو بدوي سكن البصرة ومدح بني أمية وبني العباس، وتوفي في أيام المنصور، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة واحتجوا بشعره. والرؤبة اسم يقع على أشياء منها اللبن الخاثر، وماء الفحل، والحاجة والساعة تمضي من الليل وغير ذلك.

وكان يونس النحوي يقول: ما رأيت عربياً قط أفصح من رؤبة، ما كان معد بن عدنان أفصح منه، وكان رؤبة يأكل الفأر فعوتب على ذلك، فقال: هي أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي تأكلن العذرة، وهل يأكل الفأر إلا نقي البر ولباب الطعام. ولما توفي قال الخليل بن أحمد: دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم.

حمزة بن حبيب الزيات ويكنى أبا عمارة، مولى لآل عكرمة بن ربعي التيمي: كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة. وكان صاحب قرآن وفرائض، صدوقاً صاحب سنة. وقد أسند عن الأعمش. أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا أبو سهل بن سعدويه، قال: أخبرنا محمد بن الفضل القرشي، قال: أخبرنا أبو بكر من مردويه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس، قال: سمعت عبد الرحمن بن عمر يقول: سمعت جرير بن عبد الحميد يقول:

مر بنا حمزة بن حبيب فاستسقى فأتيته بناء، فقال: أنت ممن يحضرنا في القراءة؟ قلت: نعم، قال: لا حاجة لي في مائك. أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو الوليد بن عتبة بن عبد الملك العثماني، قال: حدثنا أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون المقرئ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن نصر بن هارون السامري، قال: أخبرنا سليمان بن جبلة، قال: أخبرنا إدريس بن عبد الكريم الحداد، قال: أخبرنا خلف بن هشام البزاز، قال: قال لي سليم بن عيسى: دخلت على حمزة بن حبيب الزيات فوجدته يمرغ خديه في الأرض ويبكي، فقلت: أعيذك بالله، فقال: رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت، وقد دعي بقراء القرآن، فكنت فيمن حضر، فسمعت قائلاً يقول بكلام عذب: لا يدخل علي إلا من عمل بالقرآن، فرجعت القهقرى، فهتف باسمي: أين حمزة بن حبيب الزيات؟ فقلت: لبيك داعي الله، فبدرني ملك فقال قل: لبيك اللهم لبيك، فقلت كما قال لي، فأدخلني داراً فيها ضجيج القرآن، فوقفت أرعد، فسمعت قائلاً يقول: لا بأس عليك اقرأ وأرق، فأدرت وجهي فإذا أنا بننبر من در أبيض دفتاه من ياقوت أصفر، مراقيه من زبرجد أخضر، فقال لي: اقرأ سورة الأنعام. فقرأت وأنا لا أدري على من أقرأ حتى بلغت الستين آية، فلما بلغت: "وهو القاهر فوق عباده" قال لي: يا حمزة، ألست القاهر فوق عبادي؟ فقلت: بلى، قال: صدقت،اقرأ، فقرأت حتى أتممتها، فقال لي: اقرأ، فقرأت الأعراف حتى بلغت آخرها وأومأت إلى الأرض بالسجود فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة، من أقرأك هذه القراءة؟ فقلت: سليمان، فقال: صدقت، من أقرأ سليمان؟ قلت: يحيى، قال: صدق يحيى، على من قرأ يحيى؟ فقلت: على أبي عبد الرحمن السلمي، قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمي، من أقرأ أبا عبد الرحمن؟ فقلت: ابن عم نبيك علي، فقال: صدق علي، فمن أقرأ علياً؟ قلت: نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، قال: ومن أقرأ نبيي؟ قال: قلت جبريل عليه السلام، قال: ومن أقرأ جبريل؟ فسكت، فقال لي: يا حمزة، قل أنت، فقلت: ما أجسر أن أقول أنت، فقال: قل أنت، فقلت: أنت، فقال: صدقت يا حمزة، وحق القرآن لأكرمن أهل القرآن لا سيما إذا عملوا بالقرآن، يا حمزة القرآن كلامي وما أحب أحداً كحبي أهل القرآن، ادن يا حمزة، فدنوت فضمخني بالغالية وقال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت ذلك بنظرائك بنن فوقك ومن دونك، ومن

أقرأ القرآن كما أقرأته، لم يزد بذلك غيري، وما خبأت لك يا حمزة عندي أكثر، فأعلم أصحابك مكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم، فهم المصطفون الأخيار، يا حمزة وعزتي وجلالي لا أعذب لساناً تلى القرآن بالنار، ولا قلباً وعاه، ولا أذناً سمعته، ولا عيناً نظرته، فقلت: سبحانك سبحانك أي رب، فقال: يا حمزة أين نظار المصاحف؟ فقلت: يا رب أفحفاظ هم؟ قال: لا، ولكني أحفظه لهم حتى يوم القيامة، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة. أفتلومني أن أبكي وأتمرغ في التراب.

توفي حمزة بحلوان في هذه السنة.

سعيد بن أبي عروبة، أبو النضر البصري واسم أبي عروبة مهران مولى لبني عدي بن يشكر: سمع النضر بن أنس وغيره، وكان كثير الحديث إلا أنه اختلط في آخر عمره، وتوفي في هذه السنة.

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، أبو خالد الأفريقي: سمع أبا عبد الرحمن الحبلي وغيره. روى عنه سفيان الثوري، وابن لهيعة. وكان أول مولود ولد بإفريقية في الإسلام.

وولي القضاء بها لمروان بن محمد، ووفد إلى المنصور في بيعة أهل إفريقية وشكى إليه جور العمال.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثاب، قال: أخبرنا البرقاني، قال: حدثني محمد بن أحمد بن محمد الأدمي، قال: حدثنا محمد بن علي الأيادي، قال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، قال: حدثني أحمد بن محمد، قال: حدثني الهيثم بن خارجة، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: ظهر بإفريقية جور من السلطان، فلما قام ولد العباس قدم عبد الرحمن بن زياد على أبي جعفر، فشكى إليه العمال ببلده، فأقام ببابه أشهراً، ثم دخل عليه، فقال: ما أقدمك؟ قال: ظهر الجور ببلدنا فجئت لأعلمك فإذا الجور يخرج من دارك، فغضب أبو جعفر وهم به ثم أمر بإخراجه. أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الأزهري، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: أخبرني أبو العباس المنصوري، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن ابن إدريس، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قال: أرسل أبو جعفر إلي: فقدمت عليه فدخلت والربيع قائم على رأسه، فاستدناني ثم قال: يا عبد الرحمن، كيف ما مررت به من أعمالنا إلى أن وصلت إلينا؟ قلت: يا أمير المؤمنين، رأيت أعمالاً سيئة، وظلماً فاشياً ظننته أبعد البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان أعظم للأمر. فنكس رأسه طويلاً ثم رفعه إلي، فقال: كيف لي بالرجال؟ قلت: أفليس عمر بن عبد العزيز كان يقول: الوالي بنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان براً أتوه ببرهم، وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم. قال: فأطرق طويلاً، فقال: لي الربيع وأومأ إلي أن أخرج، فخرجت و لم أعد إليه. قال مؤلف الكتاب رحمه الله: وقد قيل لأحمد بن صالح الحافظ: تحتج بحديث الإفريقي؟ قال: نعم، هو ثقة، وأنكر على من تكلم عليه. وقال يحيى بن معين: إنما أنكر عليه الأحاديث. قال مؤلف الكتاب: وفي هذه السنة توفي وقد جاز المائة.

عامر بن إسماعيل المسلي: توفي بمدينة السلام، وصلى عليه المنصور، ودفن في مقابر قريش.

قباث بن رزين بن حميد بن صالح، أبو هاشم: روى عن علي بن رباح، وعكرمة. وروى عنه الليث بن سعد، وابن لهيعة، وابن المبارك، وابن وهب. وكان إمام مسجد مصر، يقرئ القرآن في جامعها. توفي في هذه السنة.

الهيثم بن معاوية: ولي للمنصور البصرة وغيرها. وتوفي في هذه السنة فجأه وهو علي بطن جارية له، وصلى عليه المنصور، ودفن في مقابر قريش.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها أن المنصور حول الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكرخ وغيره من المواضع. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا محمد بن الحسين القطان، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: سنة سبع وخمسين ومائة نقل أبو جعفر الأسواق من المدينة الشرقية إلى باب الكرخ وباب الشعير والمحول، وفي السوق التي تعرف بالكرخ، وأمر ببنائها من ماله على يدي الربيع مولاه.

وفيها: وسع طرق المدينة وأرباضها، ووضعها على مقدار أربعين ذراعاً، وأمر بهدم ما شخص من الدور غير ذلك القدر.أخبرنا عبد الرحمن: قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أبو القاسم الأزهري، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن، قال: أخبرنا ابن عرفة، قال: لما دخلت سنة سبع وخمسين وكان أبو جعفر قد ولى الحسبة يحيى بن زكريا فاستغوى العامة وزين لهم الجموع، فقتله أبو جعفر بباب الذهب، وحول أسواق المدينة إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول، وأمر ببناء الأسواق على يد الربيع. أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا محمد بن علي الوراق، وأحمد بن علي المحتسب، قالا: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي، قال: حدثنا الحسن بن محمد السكوني، قال: قال محمد بن خلف: قال الخوارزمي، يعني محمد بن موسى: وحول أبو جعفر الأسواق إلى الكرخ وبناها من ماله بعد مائة سنة وست وخمسين، وخمسة أشهر وعشرين يوماً، ثم بدأ بعد ذلك في بناء قصر الخلد على شاطئ دجلة بعد شهر وأحد عشر يوماً. قال محمد بن خلف: وأخبرني الحارث بن أبي أسامة، قال: لما فرغ المنصور من مدينة السلام، وصير الأسواق في طاقات مدينته من كل جانب، قدم عليه وفد ملك الروم، فأمر أن يطاف بهم في المدينة، ثم دعاهم فقال للبطريق: كيف رأيت هذه المدينة؟ قال: رأيت أمرها كاملاً إلا في خلة واحدة، قال: وما هي؟ قال: عدوك يخترقها متى شاء وأنت لا تعلم، وأخبارك مبثوثة في الآفاق، لا يمكنك سترها، قال: كيف؟ قال: الأسواق فيها، والأسواق غير ممنوع منها أحد، فيدخل العدو كأنه يريد أن يتسوق، وأما التجار فإنها ترد الآفاق فيتحدثون بأخبارك، قال: فزعموا أن المنصور حينئذ أمر بإخراج الأسواق من المدينة إلى الكرخ، وأن يبني ما بين الصراة إلى نهر عيسى، وولى ذلك محمد بن حبيش الكاتب، ودعا المنصور بثوب واسع فحد فيه الأسواق، ورتب كل صنف منها في موضعه، وقال: اجعلوا سوق القصابين في آخر الأسواق، فإنهم سفهاء وفي أيديهم الحديد القاطع، ثم أمر أن يبنى لأهل الأسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون المدينة، ويفرد لهم ذلك وقلد ذلك رجلاً يقال له: الوضاح -بن شبا-. فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح والمسجد فيه، وسميت الشرقية لأنها في شرقي الصراة، و لم يضع المنصور على الأسواق غلة حتى مات، فلما استخلف المهدي أشار عليه أبو عبيد الله بذلك، وأمر فوضع على الحوانيت الخراج، وولى ذلك سعيد الحرسي سنة سبع وستين ومائة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا -أبو بكر أحمد بن علي- الخطيب، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن محمد المروزي، قال: حدثنا أبو إسحاق محمد بن هارون الهاشمي، قال: حدثنا حميد بن الصباح، مولى المنصور، قال: حدثني أبي، قال: أراد المنصور أن يذرع الكرخ، فقال لي: احمل الذراع معك، فخرج وخرجت معه ونسيت أن أحمل الذراع، فلما صرنا بباب الشرقية قال لي: أين الذراع؟ فدهشت وقلت: نسيته يا أمير المؤمنين، فضربني بالمقرعة فشجني وسال الدم على وجهي، فلما رآني قال: أنت حر لوجه الله.

حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ضرب عبده في غير حد حتى يسيل دمه فكفارته عتقه". وفيها: ولى المنصور جعفر بن سليمان على البحرين فلم تتم ولايته، ووجه مكانه سعيد بن دعلج أميراً، فبعث سعيد ابنه تميماً. وفيها: عرض المنصور جنده في السلاح والخيل في مجلس اتخذه على شط دجلة دون قطربل، وأمر أهل بيته وصحابته يومئذ بلبس السلاح، وخرج هو وهو لابس درعاٍ وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة مضربة. وفيها: عقد المنصور الجسر بباب الشعير. -وفيها-: عزل محمد بن سليمان الكاتب عن مصر، واستعمل عليها مولى للمنصور.

وفيها: ولى معبد بن الخليل السند وعزل عنها هشام بن عمرو، ومعبد يومئذ بخراسان كتب إليه. وغزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي في هذه السنة. وقيل: إنما غزاها زفر بن عاصم، والله أعلم. وفيها: حج بالناس -إبراهيم- بن يحيى بن محمد وهو كان على المدينة، وقيل: إنما كان على المدينة عبد الصمد، وكان على مكة والطائف قثم، وعلى الأهواز وفارس عمارة بن حمزة، وعلى كرمان والسند معبد بن الخليل، وعلى مصر مطر مولى المنصور رحمه الله.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي:

والأوزاع بطن من همذان، كذلك ذكر محمد بن سعد. وقال البخاري: الأوزاع قرية بدمشق إذا خرجت من -باب- الفراديس. ولد سنة ثمان وثمانين، وسكن بيروت، وبها مات. أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد، قال: أخبرنا إبراهيم، قال: أخبرنا أبو محمد بن حيان، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين، قال: حدثنا عباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي يقول: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً وساعة فساعة فلا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم. قال أبو نعيم: وحدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سالم الفامي، قال: حدثنا محمد بن منصور الهروي، قال: حدثنا عبد الله بن عروة، قال: سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث أن الأوزاعي قال: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا عبد الرحمن، أنت الذي تأمر بالمعروف تنهى عن المنكر؟ قلت: بفضلك يا رب، فقلت: يا رب أمتني على الإسلام، فقال: وعلى السنة. أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الكناني، قال: أخبرنا عبد الوهاب بن جعفر بن علي الميداني، قال: أخبرنا أبو عمرو بن فضالة، قال: حدثنا أحمد بن أنس، قال: أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد، قال: حدثنا عبد الحميد بن بكار، عن محمد بن شعيب، قال: جلست إلى شيخ في المسجد -يعني مسجد دمشق- فقال: أنا ميت يوم كذا وكذا، فلما كان ذلك اليوم إذا به يقول: ما أخذتم السرير خذوه قبل -أن تسبقوا إليه-، فقلت: رحمك الله، قال: هو ما أقول لك، إني رأيت في المنام كأن طائراً وقع على ركن من أركان هذه القبة، فسمعته يقول: فلان قدري، وفلان كذا، وأبو حفص عثمان بن أبي عاتكة نعم الرجل، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي خير من يمشي على وجه الأرض، وأنا ميت يوم كذا وكذا، قال: فما حان الظهر حتى مات وأخرجت جنازته. أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن الحسن بن محمد بن جميع الغساني بصيدا، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا جدي، قال: حدثنا أبو كريمة عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الصيدلاوي، قال: حدثنا أبو هشام إسماعيل بن عبد الله بن مهرجان البغدادي، قال: حدثنا محمد بن أحمد المصري، قال: حدثنا -محمد- بن مصعب

القرقساني، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، قال: أردت بيت المقدس فرافقت يهودياً فلما صرنا إلى طبرية نزل، فاستخرج ضفدعاً فشد في عنقه خيطاً فصار خترياً، فقال: حتى أذهب فأبيعه من هؤلاء النصارى، فذهب فباعه وجاء بطعام ثم ركبنا، فما سرنا غير بعيد حتى جاء القوم في الطلب، فقال لي: أحسبه صار في أيديهم ضفدعاً. قال: فحانت مني التفاتة فإذا بدنه بناحية ورأسه بناحية، فوقفت وجاء القوم، فلما نظروا إليه فزعوا من السلطان ورجعوا عنه. قال: فقال لي الرأس: رجعوا؟ قلت: نعم قال: فالتأم الرأس إلى البدن وركب وركبنا، فقلت: لا أرافقك أبداً، –اذهب عني–. وقد روى هذه الحكاية الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عطية بن قيس، قال: خرجت أريد بيت المقدس، فذكر نحوه.

محمد بن طارق المكي: روى عن طاووس، وروى عنه الثوري. وكان زاهداً في الدنيا كثير التعبد والطواف. أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني شريح بن يونس، قال: حدثنا محمد بن فضيل، قال: رأيت ابن طارق في الطواف وقد انفرج له أهل الطواف، عليه نعلان مطرفتان فحرزنا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشر فراسخ. قال أبو نعيم: وحدثنا أبي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا علي بن الوليد، قال: حدثنا محمد بن فضيل، قال: سمعت ابن شبرمة يقول:

لو شئت كنت ككرز في تعبده — أو كابن طارق حول البيت في الحرم

قد حال دون لذيذ العيش خوفهما — وسارعا في طلاب الفوز والكرم

قال: وكان طارق يطوف في كل يوم وليلة سبعين أسبوعاً. وكان كرز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات.

ثم دخلت

سنة ثمان وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها غزوة يزيد بن أسيد السلمي الصائفة، وفتحت الطالقان وطبرستان ونهاوند على يدي عمر بن العلاء.

ومن الحوادث: توجيه المنصور ابنه المهدي إلى الرقة، وأمره إياه بعزل موسى بن كعب عن الموصل، وتولية –يحيى بن– خالد بن برمك عليها. وسبب ذلك أن المنصور كان ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم. ونذر دمه فيها، وأجله بها ثلاثة أيام، فقال خالد لابنه يحيى، يا بني، قد أوذيت وطولبت بنا ليس عندي وإنما يراد بذلك دمي، فانصرف – إلى حرمتك وأهلك فما كنت فاعلاً بهم بعد موتي فافعله، ثم قال: يا بني–، لا يمنعك ذلك –من– أن تلقى إخواننا، وأن تمر بعمارة بن حمزة وصالح صاحب المصلى ومبارك التركي، فتعلمهم حالنا.

فأتاهم فأخبرهم فمنهم من تجهمه وبعث المال سراً، ومنهم من لم يأذن له وبعث بالمال في أثره، واستأذن على عمارة فدخل عليه وهو في صحن داره مقابل بوجهه الحائط، فلما انصرف إليه بوجهه وسلم عليه فرد عليه رداً ضعيفاً وقال: يا بني، كيف أبوك؟ قال: بخير، يقرأ عليك السلام ويعلمك بنا قد لزمه من الغرم، ويستسلفك مائة ألف درهم، فما رد عليه قليلاً ولا كثيراً، وقال: إن أمكنني شيء فسيأتيك، فانصرف وهو يقول: لعن الله كل شيء يأتي من تيهك وكبرك. ورجع إلى أبيه وأعلمه بالخبر، فإذا رسول عمارة قد

طلع بالمائة ألف، فجمعوا في يومين ألفي ألف وسبع مائة ألف، فورد على المنصور: انتقاض الموصل وانتشار الأكراد، فقال المنصور: من لها؟ فقال له المسيب: ما رميتها بنثل خالد، قال: ويحك، فيصلح لنا بعد ما أتينا إليه ما أتينا؟ قال: إنما كان ذلك تقويماً له يا أمير المؤمنين وأنا ضامن عليه، قال: فليحضر غداً، فأحضر فصفح له عن الثلاثمائة ألف وعقد له. فلم يزل خالد على -الموصل إلى- أن توفي المنصور، ويحيى على أذربيجان، وكان المنصور معجباً بيحيى، وكان يقول: ولد الناس أبناء وولد خالد آباء.

وروى الجاحظ عن ثمامة قال: كان أصحابنا يقولون: لم يكن يرى لجليس خالد بن برمك دار إلا وخالد قد بناها، ولا ضيعة إلا وهو اشتراها، ولا ولداً إلا وهو اشترى أمه إن كانت أمة، أو أمهرها إن كانت حرة، ولا دابة إلا وهي من حملانه. وكان خالد أول من سمى أهل الاستماحة والاسترفاد الزوار، فقال بعض من قصده:

حذا خالد في جوده حذو برمك فمجد له مستطرف وثليل

وكان بنو الإعدام يدعون قبله بنبر على الإعدام فيه دليل

يسمون بالسؤال في كل موطن وإن كان فيهم نابه وجليل

فسماهم الزوار ستراً عليهم واستاره في المحتدين سدول

وفي هذه السنة: نزل المنصور قصره الذي يعرف بالخلد على دجلة، وإنما سماه الخلد تشبيهاً له بجنة الخلد، وقال: إنما ابتنيته لأنظر إلى الماء فإنه يجلو البصر. وكان موضعه وراء باب خراسان، وقد اندرس فلا عين - له - ولا أثر.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي -بن ثابت-، قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل، قال: أخبرنا ابن صفوان، قال: أخبرنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني ابن جهور، قال: مررت مع علي بن -أبي- هاشم الكوفي بالخلد، فنظر إلى الآثار فوقف متأملاً وقال:

بنوا وقالوا لا نموت وللخراب بنى المبني

ما عاقل فيما رأيت إلى الحياة بنطمئن

أخبرنا أبو منصور، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، قال: حدثنا ابن البراء، قال: حدثنا علي بن ابي مريم، قال: مررت بسويقة عبد الوهاب وقد خربت منازلها وعلى جدار منها مكتوب:

هذه منازل أقوام عهدتهم في رغد عيش رغيب ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر

وفي هذه السنة: سخط المنصور على المسيب بن زهير، وعزله عن الشرطة وأمر بحبسه وتقييده. وذلك أنه قتل أبان بن بشير الكاتب بالسياط لأمر وجد عليه فيه، ثم كلمه فيه المهدي فأعاده. وفيها: وجه المنصور نصر بن حرب التميمي والياً على ثغر فارس. وفيها: سقط المنصور عن دابته بجر جرايا فانشج ما بين حاجبيه. وكان قد خرج مشيعاً ولده المهدي لما مضى إلى الرقة. وفيها: عاد المهدي من الرقة إلى بغداد فدخلها في شهر رمضان.

وفيها: أمر المنصور بنرمة القصر الأبيض الذي كان كسرى بناه، وأمر أن يغرم كل من وجد في داره شيء من الأجر الخسرواني،

قال: هذا فيء المسلمين، فلم يتم ذلك ولا ما أمر به مرمة القصر. وفيها: غزا الصائفة معيوف بن يحيى، فلقي العدو فاقتتلوا وتحاجزوا. وفيها: حبس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي وهو أمير مكة -بأمر المنصور- ابن جريج، وعباد بن كثير، والثوري، ثم أطلقهم من الحبس بغير أمر أبي جعفر، فغضب أبو جعفر عليه.

وروى عمر بن شبة أن محمد بن عمران مولى محمد بن إبراهيم حدثه عن أبيه، قال: كتب المنصور إلى محمد بن إبراهيم بن محمد وهو أمير على مكة يأمره بحبس رجل من آل علي بن أبي طالب بمكة، ويحبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري. فحبسهم، وكان له سمار يسامرونه بالليل، فلما كان وقت سمره جلس وأكب على الأرض ينظر إليها و لم ينطق بحرف حتى تفرقوا، فدنوت منه فقلت: ما لك؟ فقال: عمدت إلى ذي رحم فحبسته وإلى عيون من عيون الناس فحبستهم وما أدري ما يكون، لعله يأمر بهم فيقتلون فيشتد سلطانه ويهلك ديني. قال: قلت: فتصنع ماذا؟ قال: أؤثر الله وأطلق القوم، اذهب إلى إبلي فخذ راحلة وخذ خمسين ديناراً فأت بها الطالبي وأقرئه السلام وقل له إن ابن عمك يسألك أن تحله من ترويعه إياك، وتركب هذه الراحلة وتأخذ هذه النفقة، قال: فلما أحس بي جعل يتعوذ بالله من شري، فلما بلغته قال: هو في حل، ولا حاجة لي إلى الراحلة والنفقة، قال: فقلت: فإن أطيب لنفسه أن تأخذ. قال: ففعل. قال: ثم جئت ابن جريج وإلى سفيان وعباد بن كثير، فأبلغتهم ما قال، فقالوا: هو في حل، فقلت: يقول لكم: لا يظهرن أحد منكم ما دام المنصور بمكة مقيماً. قال: فلما قرب المنصور وجهني بن إبراهيم بألطاف، فلما أخبر المنصور أن رسول محمد ابن إبراهيم قدم، أمر بالإبل فضربت وجوهها، فلما صار إلى بئر ميمون لقيه محمد بن إبراهيم فأمر بدوابه فضربت وجوهها، فكان يسير ناحية وعدل بأبي جعفر عن الطريق في الشق الأيسر فأنيخ به ومحمد واقف قبالته ومعه طبيب له، فلما ركب أبو جعفر وسار وعديله، الربيع، أمر محمد الطبيب فمضى إلى موضع مناخ أبي جعفر فرأى نجوه، فقال لمحمد: رأيت نجو رجل لاتطول به الحياة، فلما دخل مكة لم يلبث أن مات وسلم محمد. وفي هذه السنة: شخص أبو جعفر من مدينة السلام متوجهاً إلى مكة وذلك في شوال، فنزل قصر عبدويه، فانقض في مقامه هناك كوكب لثلاث بقين من شوال بعد إضاءة الفجر، فبقي أثره بينا إلى طلوع الشمس، وكان المهدي معه وهو يوصيه بالمال، والسلطان يفعل ذلك كل يوم من أيام مقامه لا يفتر، وقال له: إني سائر وإني غير راجع، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فاسأل الله بركة ما أقدم عليه، وهذا كتاب وصيتي مختوماً، فإذا بلغك أني قد مت فانظر فيه. وعلي دين فأحب أن تقضيه وهو ثلاثمائة ألف ونيف، فلست أستحلها من بيت مال المسلمين، فاضمنها عني، وإني ولدت في ذي الحجة، ووليت في ذي الحجة وقد هجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة، وهذا الذي حداني على الحج، فاتق الله، وإياك والدم الحرام، وافتتح عملك بصلة الأرحام، وإياك والتبذير. فلما كان في اليوم الذي أراد أن يرتحل فيه دعى المهدي فقال له: إني لم أدع شيئاً إلا تقدمت إليك فيه، سأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها، وكان له سفط فيه دفاتر، فكان لا يأمن على فتحه أحداً، فقال: انظر هذا السفط فاحتفظ به، فإن فيه علم آبائك، وانظر هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها فإنها مدينتك وعزك، وقد جمعت ذلك فيها من الأموال ما لم يجمعه حليفة قبلي، فإن حبس عنك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامر، وما أظنك تفعل. وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم، والإحسان إليهم، وتوليهم المنابر، وتعطي الناس أعقابهم، فإن عزهم عزك وذلهم ذلك، وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم، واستكثر منهم، وإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك. وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم

أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودمائهم دون أن تحسن إليهم، وتتجاوز عن مسيئتهم، وتخلف من مات منهم في أهله وولده، وإياك أن تبني مدينة شرقية فإنك لا تتم بناءها، وإياك أن تدخل النساء في مشورتك وأمرك. ثم مضى المنصور إلى الكوفة فنزل الرصافة، ثم خرج منها فأهل بالحج والعمرة، وساق معه الهدي وأشعره وقلده لأيام خلت من ذي القعدة، فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذي توفي فيه. ثم أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، قال: سمعت محمد بن سهل بن عسكر يقول: بعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى
مكة، فقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه، قال: فجاء النجارون ونصبوا الخشب ونودي سفيان، وإذا رأسه في حجر الفضيل ورجلاه في حجر ابن عيينة. قال: فقالوا له: يا عبد الله، اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء. قال: فتقدم إلى الأستار فأخذها ثم قال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر. قال: فمات قبل أن يدخلها -يعني مكة- فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئا. وفي هذه السنة توفي المنصور، وبويع لولده المهدي.

باب ذكر خلافة المهدي

واسمه محمد بن عبد الله، ويكنى أبا عبد الله، ولد بأيذج سنة سبع وعشرين ومائة، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية، وكان أبيض -قيل: أسمر- طويلاً جعداً، وبعينه اليمنى نكتة بياض. قيل: كان ذلك باليسرى.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني علي بن أحمد الرزاز، قال: أخبرنا أحمد بن سلمان النجاد، قال: حدثنا محمد بن عثمان العبسي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا فضيل بن مرزوق، عن ميسرة -يعني ابن حبيب- عن المنهال- يعني ابن عمر- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: منا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي.
وقد روينا هذا الحديث من حديث الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً. والموقوف أصح.
حدثنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، قال: حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن حاتم المرادي، قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال: حدثنا يحيى بن يمان، قال: حدثنا سفيان وزائدة، عن عاصم ابن أبي وائل، -عن زر- عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المهدي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي". وكان للمهدي من الولد: موسى، وهارون، والياقوتة، وأمهم الخيزران أم ولده. وعلي، وعبيد الله، وأمهما ريطة بنت أبي العباس السفاح وعباسة وإبراهيم لأم ولد. وكان المنصور أراد أن يولي ابنه صالح بعد المهدي، فقال له المهدي: يا أمير المؤمنين، لا تحملني على قطيعة الرحم فإن كان لابد من إدخال آخر في هذا الأمر فوله قبلي، فإن الأمر إذا صار إلي أحببت ألا يخرج عن ولدي.
ذكر صفة العقد الذي عقد للمهدي بالخلافة:
روى علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال:خرجت في السنة التي مات فيها أبو جعفر من طريق البصرة، وكان أبو جعفر قد خرج على طريق الكوفة، فلقيته بذات عرق، فسرت معه، فلما صار ببئر ميمون نزل بها ودخلنا مكة، فقضيت عمرتي ثم كنت أختلف إلى مضربه فأقيم فيه إلى قرب الزوال ثم أنصرف. وأقبلت علته تزداد، فلما كانت الليلة التي مات فيها و لم نعلم صليت الصبح في المسجد الحرام مع طلوع الفجر، ثم ركبت وأنا أساير محمد بن عون الحارثي، فلقينا العباس بن محمد، ومحمد بن سليمان في خيل

ورجال يدخلان مكة فقال لي محمد بن عون: ما ترى هذين ودخولهما مكة، قلت: أحسب الرجل قد مات، فأرادا أن يحصنا مكة، فكان ذلك كذلك، فبينا نحن نسير إذا رجل يخفي صوته في طريق ونحن بعد في غلس قد جاء، فدخل بين أعناق دابتينا، ثم أقبل علينا فقال: والله مات الرجل ثم خفي عنا، فمضينا حتى دخلنا العسكر، فدخلنا إلى السرادق فسمعنا همساً. من بكاء فقال لي الحسن بن زائدة أتراه قد مات فقلت: لعله ثقل أو أصابته غشية، فما راعنا إلا بأبي العنبر الخادم الأسود خادم المنصور قد خرج علينا مشقوق الأقبية، من بين يديه ومن خلفه وعلى رأسه التراب، فصاح: وا أمير المؤمنيناه. ثم خرج الربيع وفي يده قرطاس فقرأه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من يخلف بعده من بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين ثم ألقى القرطاس من يده وبكى وبكى الناس. فأخذ القرطاس وقال: قد أمكنكم البكاء ولكن هذا عهد أمير لا بد من أن أقرأه عليكم فأنصتوا رحمكم الله، فسكت الناس ثم رجع إلى القراءة أما بعد، فإني كتبت كتابي هذا: وأنا في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وأنا أقرأ عليكم السلام، وأسأل الله ألا يفتنكم ولا يلبسكم شيعاً ، ولا يذيق بعضكم بأس بعض، يا بني هاشم ويا أهل خراسان، ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي وإذكارهم البيعة له وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده إلى آخر الكتاب.

وكان ذلك شيء قد وضعه الربيع ثم نظر في وجوه الهاشميين، وتناول الحسن بن زيد، فقال: يا أبا محمد، قم فبايع، فقام الحسن وانتهى به الربيع إلى -موسى بن المهدي فأجلسه بين يديه، فتناول الحسن- يد موسى فبايعه للمهدي، ثم جاء الربيع إلى محمد بن عون، فأنهضه فبايع وبايع الناس، ثم قال للهاشميين: انهضوا، فنهضوا فدخلوا فإذا بالمنصور على سريره في أكفانه مكشوف الوجه، فحملناه حتى أتينا بن مكة ثلاثة أميال، فكأني أنظر إليه حين أدنو من قائمة سريره حتى أحمله والريح تطير شعر صدغيه، وكان قد وفر شعره للحلاق، وقد نصل خضابه حتى أتينا به حفرته فدليناه فيها.

وبعث موسى بن المهدي والربيع مولى المنصور منارة البربري مولى المنصور بخبر وفاة المنصور وبالبيعة للمهدي، وبعثا بعده بقضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبردته التي يتوارثها الخلفاء مع الحسن السروي، وبعث أبو العباس الطوسي بخاتم الخلافة مع منارة أيضاً.

وفي رواية عن الربيع، أنه قال: رأى المنصور في طريق الحج رؤيا ففزع منها وقال: يا ربيع ما أحسبني إلا ميتاً في وجهي هذا – وأنك تؤكد البيعة للمهدي –. وثقل وهو يقول: بادر بي إلى حرم الله وأمنه -يأمن ذنوبي وإسرافي على نفسي-، فلما وصل إلى بئر ميمون قلت: قد دخلت الحرم، فقال: الحمد لله وقضى من يومه.

وقال الربيع: وأمرت بالخيم فضربت، وبالفساطيط فهيئت، وعمدت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة والدراعة وأسندته وألقيت على وجهه كله -رقيقة- يرى منها شخصه ولا يفهم أمره، ثم دخلت فوقفت بالموضع الذي أوهمهم أنه يخاطبني ثم خرجت، فقلت: إن أمير المؤمنين مفيق بمن الله، وهو يقرأ عليكم السلام ويقول: إني أحب أن يؤكد الله أمركم، ويكبت عدوكم ويسر وليكم وقد أحببت أن تجددوا البيعة لأبي عبد الله المهدي كيلا يطمع فيكم عدو ولا باغ، فقال القوم كلهم: وفق الله أمير المؤمنين، نحن إلى ذلك أسرع، فدخل فوقف ثم رجع إليهم، فقال: هلم للبيعة، فبايع القوم كلهم ثم دخل، وخرج باكياً مشقوق الجيب لاطماً على رأسه، فقال بعض من حضر: ويلي عليك يا ابن الشاة -يريد الربيع- كانت أمه ماتت وهو رضيع فأرضع على شاة. وحفر للمنصور مائة قبر لئلا يعرف موضع قبره، ودفن في غيرها للخوف عليه، وبويع للمهدي بنكة صبيحة الليلة التي توفي فيها المنصور.

قال أبو بكر الصولي: وكان الربيع بن أنس وزير المنصور، فلما توفي أخذ البيعة للمهدي، فشكر له المهدي ذلك إلا أنه لم يوله الوزارة لغلبة أبي عبيدة معاوية بن عبد الله عليه، فولى أبا عبيدة الوزارة، والربيع الحجبة، ثم وزر له يعقوب بن داود، ثم الفيض بن أبي صالح. وبعثوا منارة فوصل يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة، فكتم الخبر يومين، ثم خطب المهدي يوم الخميس ونعي إليهم المنصور، وقال: إن أمير المؤمنين عبد الله دعي فأجاب، واغرورقت عيناه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى عند فراق الأحبة، ولقد فارقت عظيماً وقلدت جسيماً، وعند الله أحتسب أمير المؤمنين، وبه عز وجل أستعين على خلافة المسلمين، ثم بايعه الناس. وحكى أبو بكر الصولي أنه لما جلس المهدي للتعزية والتهنئة دخل عليه أبو دلامة فأنشده:

عينان واحدة ترى مسرورة ... بإمامها جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك مرة ويسوءها ... ما أنكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرماً ... ويسرها أن قام هذا الأرأف

فكان أول من وصله.

وفي هذه السنة: حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي، وكان المنصور أوصى بذلك، وكان هو العامل على مكة والطائف، وعلى المدينة عبد الصمد بن علي، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي، وقيل: كان العامل عليها إسماعيل بن أبي إسماعيل الثقفي، وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي وضمت إليه بغداد.وقيل: كان القاضي على بغداد يوم مات المنصور عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي، وكان على خراج الكوفة ثابت بن موسى، وعلى خراسان حميد ين قحطبة، وكان على ديوان الخراج بالبصرة وأرضها عمارة بن حمزة، وعلى قضائها والصلاة عبد الله بن الحسن العنبري، وعلى أحداثها سعيد بن دعلج، وعلى الشرط ببغداد عمر بن عبد الرحمن أخو عبد الجبار، وقيل: موسى بن كعب. وفيها: أصاب الناس وباء شديد. وفيها: هلك طاغية الروم.

ذكر طرف من أخبار المهدي وسيرته أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا عبد الله الظاهري، قال: أخبرنا علي بن عبيد الله بن المغيرة الجوهري، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: أخبرني يونس بن عبد الله الخياط قال: دخل ابن الخياط المكي على المهدي وقد مدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم، فلما قبضها فرقها على الناس وقال:

أخذت بكفي كفه أبتغي الغنا ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذو الغنى ... أفدت وأعداني فبددت ما عندي

فنمي إلى المهدي فأعطاه بكل درهم ديناراً.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا سلامة بن الحسين المقرئ، قال: أخبرنا علي بن عمر الخياط، قال: حدثنا الحسين بن إسماعيل، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا هارون بن ميمون الخزاعي، قال: حدثنا أبو حزمة الباذغيسي، قال: قال المهدي: ما توسل أحد بوسيلة ولا تذرع بذريعة هي أقرب إلي وأحب من أن يذكرني يداً سلفت مني إليه أتبعها أختها وأحسن ربها؛ لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا محمد بن خلف المرزبان، قال: أخبرني محمد بن الفضل، قال: أخبرني بعض أهل الأدب عن حسن الوصيف، قال: قعد المهدي قعوداً عاماً للناس، فدخل رجل في يده نعل في منديل، فقال يا أمير المؤمنين، هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أهديتها لك، فقال: هاتها، فدفعها إليه، فقلب باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهمٍ، فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه: أترون أني لم أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلاً على أن يكون لبسها، ولو كذبناه لقال لناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول صلى الله عليه وسلم فردها علي وكان منن يصدقه أكثر ممن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها، والنصرة للضعيف على القوي، فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، ورأينا الذي فعلناه أنجح وأرجح.

أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرني الحسن بن محمد الخلال، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثنا الحسن بن علي العنبري، قال: حدثنا العباس بن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي، قال: حدثتني جدتي فائقة بنت عبد الله، قالت: بينا أنا يوماً عند المهدي وكان قد خرج متنزهاً إلى الأنبار إذ دخل عليه الربيع ومعه قطعة من جراب فيه كتاب برماد وخاتم من طين قد عجن بالرماد، وهو مطبوع بخاتم الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أعجب من هذه الرقعة، جاءني بها رجل أعرابي وهو ينادي: هذا كتاب أمير المؤمنين المهدي، دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع فقد أمرني أن أدفعها إليه أعني هذه الرقعة. فأخذها المهدي وضحك وقال: صدق هذا خطي وهذا خاتمي، أفلا أخبركم بالقصة؟ قلنا: يا أمير المؤمنين، رأيك أعلى عيناً في ذلك.

قال: خرجت أمس إلى الصيد في غب سماء، فلما أصبحت هاج علينا ضباب شديد وفقدت أصحابي حتى ما رأيت منهم أحداً، وأصابني من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم، وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من أبي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس، قال: "من قال إذا أصبح وإذا أمسى: بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله اعتصمت بالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وفي وكفي وشفي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء". فلما قلتها دفع لي ضوء نار فقصدتها، فإذا بهذا الأعرابي في خيمة له، وإذا هو يوقد ناراً بين يديه، فقلت: أيها الأعرابي هل من ضيافة؟ قال: انزل، فنزلت، فقال لزوجته: هاتي ذاك الشعير، فأتته به، فقال: اطحنيه، فابتدأت بطحنه، فقلت له: اسقني ماء، فجاء بسقاء فيه مذقة من لبن أكثره ماء، فشربت منها شربة ما شربت قط شيئاً إلا وهو أطيب منه، قال: فأعطاني حلساً له فوضعت رأسي عليه، فنمت نومة ما نمت نومة أطيب منها وألذ، ثم انتبهت فإذا هو قد وثب إلى شوية فذبحها، وإذا امرأته تقول له: ويحك قتلت نفسك وصبيتك إنما كان معاشكم من هذه الشاة فذبحتها فبأي شيء نعيش؟ قال: فقلت: لا عليك هات الشاة، فشققت جوفها واستخرجت كبدها بسكين في خفي فشرحتها ثم طرحتها على النار فأكلتها، ثم قلت: هل عندك شيء أكتب لك فيه؟ فجاءني بهذه القطعة وأخذت عوداً من الرماد الذي كان بين يديه، فكتبت له هذا الكتاب وختمته بهذا الخاتم وأمرته أن يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها إليه فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم، فقال: لا والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم، ولكن جرت بخمسمائة الف درهم، لا أنقض والله منها درهماً واحداً ولو لم يكن في بيت المال غيرها احملوها معه. فما كان إلا قليلاً حتى تكثرت إبله وشاؤه، وصار منزلاً من المنازل تنزله الناس من أراد الحج من الأنبار إلى مكة، وسمي مضيف أمير المؤمنين المهدي. أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرني

أبو القاسم الأزهري، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: وخرج المهدي يوماً إلى الصيد فانقطع عن خاصته، فدفع إلى أعرابي وهو يريد البول، فقال: يا أعرابي، احفظ علي فرسي حتى أبول، فسعى نحوه وأخذ بركابه، فنزل المهدي ودفع الفرس إليه فأقبل الأعرابي على السرج يقتلع حليته، ففطن المهدي وقد أخذ حاجته فقدم إليه فرسه، وجاءت الخيل نحوه فأحاطت به ونذر الأعرابي فولى هارباً فأمر برده وخاف أن يكون فطن به، فقال: خذوا ما أخذنا منكم ودعونا نذهب إلى حرق الله وناره، فقال المهدي: لا بأس عليك، فقال: ما تشاء جعلني الله فداء فرسك، فضحك من حضره وقالوا: ويلك هل رأيت إنساناً قد قال هذا؟ قال: فما أقول؟ قالوا: قل جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين، قال: أو هذا أمير المؤمنين؟ قالوا: نعم، قال: والله لئن أرضاه هذا مني فما يرضيني ذاك فيه، ولكن جعل الله جبريل وميكائيل فداءه، وجعلني فداءهما. فضحك المهدي واستطابه وأمر له بعشرة آلاف درهم. قال ابن عرفة: وبلغني أن المهدي لما فرغ من بناء عيسى باذ ركب في جماعة يسيرة لينظر فدخله مفاجأة وأخرج من كان هناك من الناس، وبقي رجلان خفيا عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش ما يعقل، فقال: من أنت؟ فقال: أنا أنا أنا، قال: ويحك من أنت؟ قال: لا أدري، قال: ألك حاجة؟ قال: لا لا، قال: أخرجوه أخرج الله نفسه، فدفع في قفاه. فلما خرج قال لغلام له اتبعه من حيث لا يعلم فسل عن أمره ومهنته فإني أخاله حائكاً، فخرج الغلام يقفوه. ثم رأى الآخر فستنطقه فأجابه بقلب جريء ولسان بسيط، قال: فما جاء بك إلى ها هنا؟ قال: جئت لأنظر إلى هذا البناء الحسن فأتمتع بالنظر إليه وأكثر الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة وتمام النعمة ونماء العز والسلامة، قال: أفلك حاجة؟ قال: نعم، خطبت ابنة عمي فردني أبوها وقال: لا مال لك والناس يرغبون في الأموال، وأنا بها مشغوف ولها وامق. قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم، قال: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قد وصلت فأجزلت الصلة، ومننت فأعظمت المنة فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيامك خيراً من أولها، وأمتعك بنا أنعم به عليك وأمتع رعيتك بك، فأمر أن تعجل صلته، ووجه بعض خاصته وقال: سل عن مهنته فإني

أخاله كاتباً، فرجع الرسولان معاً، فقال الأول: وجدت الأول حائكاً، وقال الآخر: وجدت الرجل كاتباً، فقال المهدي: لم تخف علي مخاطبة الكاتب والحائك. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا محمد بن يحيى الصولي، قال: قال عمرو بن أبي عمرو الأعجمي: اعترضت امرأة للمهدي فقالت: يا عصبة رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر في حاجتي، فقال المهدي: ما سمعتها من أحد قبلها، اقضوا حاجتها وأعطوها عشرة آلاف درهم . أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: حدثنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: حدثنا سهل بن أحمد الديباجي، قال: حدثنا أبو خليفة، قال: حدثنا رفيع بن سلمة، عن أبي عبيدة، قال: كان المهدي يصلي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يوماً، فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين، لست على طهر وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء ينتظروني، فقال: انتظروه رحمكم الله، ودخل المحراب ووقف إلى أن قيل له: قد جاء الرجل، فكبر فتعجب الناس من سماحة أخلاقه. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدثنا محمد بن عمرو بن البختري، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: حدثني عبيد الله بن فرقد مولى المهدي، قال: هاجت ريح زمن المهدي، فدخل المهدي بيتاً في جوف بيت وألزق خده بالتراب ثم قال: اللهم إني بريء من هذه الجناية، كل هذا الخلق غيري فإن كنت المطلوب من بين خلقك فها أنا ذا بين يديك، اللهم لا تشمت

بي أهل الأديان، فلم يزل مكانه حتى انجلت الريح. أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن منصور، قال: حدثني أبو قلابة، قال: حدثني نصر بن قديد، قال: حدثني أبو عمرو الشعافي، قال: صلينا مع المهدي المغرب ومعنا العوفي، وكان من مظالم المهدي، فلما انصرف المهدي من المغرب جاء العوفي حتى قعد في قبلته، فقام يتنفل، فجذب ثوبه فقال: ما شأنك؟ قال: شيء أولى بك من النافلة، قال: وما ذاك؟ قال: سلام مولاك، قال وهو قائم على رأسه: أوطأ قوماً الخيل وغصبهم على ضيعتهم وقد صح ذلك عندي تأمر بردها وتبعث من يخرجهم، فقال المهدي: حتى نصبح إن شاء الله، فقال العوفي: لا إلا الساعة، فقال المهدي: يا فلان القائد، اذهب الساعة إلى موضع كذا وكذا فأخرج من فيها وسلم الضيعة إلى فلان. قال: فما أصبحوا حتى ردت الضيعة على صاحبها.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا محمد بن الحسين الجارزي، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، قال: حدثني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أبي العنبس، عن إسحاق بن يحيى بن معاذ، قال: حدثني سوار، قال: انصرفت يوماً من دار المهدي، فلما دخلت مترلي دعوت بالغداء، فجاشت نفسي فأمرت به فرد، ثم دعوت جارية لي ألاعبها فلم تطب نفسي بذلك، فدخلت القائلة فلم يأخذني النوم، فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرحت، فركبتها، فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال، فقلت: ما هذا؟ فقال: ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد، قلت أمسكها معك واتبعني، قال: وخليت رأس البغلة حتى عبرت الجسر، ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الصحراء، ثم رجعت إلى باب الأنبار، وطوفت فلما صرت في شارع دار الأنبار انتهيت إلى باب دار نظيف وعليه شجرة وعلى الباب خادم، فوقفت وقد عطشت، فقلت للخادم: عندك ماء تسقيني؟فقال: نعم. وقام فأخرج قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل، فناولني فشربت، وحضر وقت العصر، فدخلت مسجداً على الباب، فصليت فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعمى يتلمس، فقلت: ما تريد يا هذا؟ قال: إياك أريد، قلت: وما حاجتك؟ فجاء حتى قعد فقال: شممت منك ريح الطيب فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن ألقي عليك شيئاً، فقلت: قل، قال: اترى هذا القصر؟ قلت: نعم، قال: هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها، فقدمت فأتيت صاحب الدار لأسأله شيئاً يصلني به وأصير إلى سوار فإن كان صديقاً لأبي، قلت: ومن أبوك؟ قال: فلان بن فلان، فإذا هو أصدق الناس إلي، فقلت له: يا هذا، فإن الله قد أتاك بسوار، منعه الطعام والنوم حتى جاء به فأقعده بين يديك، ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها إليه وقلت له: إذا كان الغد فصر إلى المترل. ثم مضيت فقلت: ما أحدث أمير المؤمنين بشيء أطرف من هذا. فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت وحدثته بالحديث، فأمر لي بألفي دينار فنهضت، فقال: اجلس، عليك دين؟ قلت: نعم، قال: كم؟ قلت: خمسون ألف دينار، فأمسك وجعل يحدثني ساعة، ثم قال: امض إلى مترلك، فصرت إلى مترلي، فإذا خادم معه خمسون ألف دينار قال: يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك، فقبضتها، فلما كان من الغد فأبطأ على المكفوف، وأتاني رسول المهدي يدعوني، فجئته فقال: فكرت في أمرك فقلت: يقضي دينه ويحتاج إلى الحيلة والقرض وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار، فقبضتها وانصرفت. فأتاني المكفوف فدفعت إليه الألفي دينار وقلت: قد رزق الله كلاً بكرمه خيراً كثيراً، وأعطيته من مالي ألفي دينار.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت ، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع

فيما أذن له أن نرويه عنه، قال: أخبرنا علي بن محمد بن السري، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد بن إسحاق، قال: أنبئت أن يعقوب بن المهدي سأل الفضل بن الربيع عن أرحاء البطريق، فقال: من هذا البطريق الذي نسبت إليه هذه الأرحاء؟ فقال الفضل: إن أباك رضي الله عنه لما أفضت إليه الخلافة وقدم عليه وافد من الروم فاستأذنه ثم كلمه بترجمان يعبر عنه، قال الرومي: إني لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا عرض، وإنما قدمت شوقاً إليه وإلى النظر إلى وجهه لأنا نجد في كتبنا أن الثالث من أهل نبي هذه الأمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فقال المهدي: قد سرني ما قلت ولك عندنا كل ما تحب، ثم أمر الربيع بإنزاله وإكرامه، فأقام مدة ثم خرج يتنزه، فمر بموضع الأرحاء فنظر إليه فقال للربيع: أقرضني خمسمائة ألف درهم ابني بها مستغلاً يؤدي إليه في السنة خمسمائة ألف درهم ، قال: أفعل، ثم أخبر المهدي بنا ذكر، فقال: أعطه خمسمائة ألف دينار وخمسمائة ألف درهم وما أغلت فادفعه إليه فإذا خرج إلى بلاده فابعث به إليه في كل سنة، قال: ففعل، فبنى الأرحاء ثم خرج إلى بلاده، فكانوا يبعثون بغلتها إليه حتى مات الرومي، فأمر المهدي أن يضم إلى مستغله. قال: واسم البطريق طاراث بن الليث بن العيزار بن طريف، وكان أبوه ملكاً من ملوك الروم أيام معاوية.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرني الأزهري: قال: أخبرنا أحمد إبراهيم، قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني خالد بن وضاح، قال: حدثني عبد الأعلى بن محمد بن صفوان الجمحي، قال: حملت ديناً بعسكر المهدي، فركب المهدي يوماً بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيغ، وأنا وراءه في موكبه على برذون قطوف. فقال: ما أنسب بيت قالته العرب؟ قال أبو عبيد الله: قول امرئ القيس، إذ يقول:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

قال: هذا أعرابي قح، فقال عمر بن بزيغ قول كثير بن أبي جمعة:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال: وما هذا بشيء، وما له يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له، فقلت: يا أمير المؤمنين، عندي حاجتك جعلني الله فداك قال: الحق، قلت: لا لحاق لي، ليس ذلك في دابتي، قال: احملوه على دابة، فقلت: هذا أول الفتح، فحملت عليها فلحقته، فقال: ما عندك؟ قلت: قول الأحوص:

إذا قلت إني مشتفٍ بلقائها ... فحم التلاقي بيننا زادنا سقما

قال: أحسن والله، اقضوا عنه دينه. فقضى عني ديني.

وكان المهدي إذا جلس للمظالم قال: أدخلوا علي القضاة، فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم.

وأتي المهدي برجل قد تنبأ،فلما رأه قال: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: وإلى من بعثت؟ قال: أتركتموني أذهب إلى من بعثت إليه، وجهن بالغداة فأخذتموني بالعشي ووضعتموني في الحبس، فضحك المهدي منه، وخلى سبيله.

قال الربيع: رأيت المهدي في ليلة يصلي فقرأ: "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم". قال: فلما فرغ من صلاته التفت إلي فقال: يا ربيع، قلت لبيك يا أمير المؤمنين، قال موسى: وقام إلى صلاته، فقلت من موسى؟ ابنه موسى أم موسى

بن جعفر، وكان محبوساً عندي، فجعلت أفكر فقلت: ما هو إلا موسى بن جعفر، فأحضرته فقال: يا موسى إني قرأت هذه الآية: "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم"، فخشيت أن أكون قد قطعت رحمك، فوثق لي أنك لا تخرج، فقال: نعم، فوثق له فخلاه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

شيبان الرعي حج معه سفيان الثوري، فلقيا سبعاً، فعرك شيبان أذنه وقال: لولا مكان الشهرة ما وضعت زادي إلا على ظهره.
أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن سليمان الهروي قال: حدثنا إبراهيم بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن نصر، عن محمد بن يزيد، عن محمد بن حمزة الربضي، قال: كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه، فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه فيجيء فيجدها لم تتحرك.
عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو أبو جعفر المنصور
روى علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه قال: مكان المنصور لا يستمرئ طعامه ويشكو إلى المتطببين ويسألهم أن يتخذوا له الجوارشنات، وكانوا يكرهون ذلك ويأمرونه أن يقل من الطعام، ويخبرونه أن الجوارشنات تهضم، ولكنها تحدث من العلل ما هو أشد عليه. فقال كثير وكان من قطيبي العراق لا يموت أو جعفر إلا بالبطن، فقلت له: وما علمك؟ فقال: هو يأخذ الجوارشن فيهضم طعامه ويخلق من رأس معدته كل يوم شيئاً وشحم مصارينه فيموت ببطنه، وقال: أضرب لذلك مثلاً أرأيت لو أنك وضعت جرة في موضع وضعت تحتها آجرة جديدة إنما كان قطرها يثقب الآجرة على طول الدهر، فمات بالبطن. وقال بعضهم: كان بدو وجعه الذي مات فيه من حر أصابه من ركوبه في الهواجر، وكان رجلاً محروراً. أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو بكر المنكدري قال: أخبرنا ابن الصلت قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا محمد بن أحمد المقدمي، قال: حدثنا أبو محمد التميمي قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال: حدثنا أبو سهل الحاسب قال: حدثني طيفور قال: كان سبب إحرام المنصور من مدينة السلام أنه نام ليلة فانتبه فزعاً، ثم عاود النوم فانتبه فزعاً، ثم راجع النوم فانتبه فزعاً فقال: يا ربيع، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: لقد رأيت في منامي عجباً قال: ما رأيت جعلني الله فداك؟ قال: رأيت كأن آتياً أتاني فهيم بشيء لم أفهمه، فانتبهت فزعاً، ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء، ثم عاودني بقوله، حتى فهمته وحفظته وهو:

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وعرى منه أهله ومنازله

وصار رئيس القوم من بعد بهجة ... إلى جدث يبنى عليه جنادله

وما أحسبني يا ربيع إلا وقد حانت وفاتي ، وحضر أجلي، ومالي غير ربي، قم فاجعل لي غسلاً، ففعلت فقام فاغتسل وصلى ركعتين وقال: أنا عازم على الحج. فهيأنا آلة الحج، فخرج وخرجنا حتى إذا انتهى إلى الكوفة نزل النجف، فأقام أياماً، ثم أمر بالرحيل فتقدمت نوابه وجنده، وبقيت أنا وهو في القصر وشاكريته بالباب، فقال لي: يا ربيع جئني بفحمة من المطبخ، وقال لي: أخرج فكن مع دابتي إلى أن أخرج، فلما خرج وركب، رجعت إلى المكان كأني أطلب شيئاً، وإذا قد كتب على الحائط بالفحمة شعراً:

المرء يهوى أن يعيش وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وتصرف الأيام حتى ما يرى شيئاً يسره

كم بي إن هلكت وقائل لله دره أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا الشريف أبو بكر المنكدري قال: أخبرنا أبو الحسن بن الصلت، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو عبد الله المطبخي قال: حدثنا أبو إسحاق الجيلي قال: لما حج المنصور في آخر عمره دخل على بعض المنازل بطريق مكة، فرأى كتابةً على الحائط فقرأها، فإذا هي:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بد واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم عن حر المنية دافع

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن أحمد البراء قال: حدثني أحمد بن هشام قال: قال الربيع: بينا أنا مع أبي جعفر المنصور في طريق مكة تبرز ونزل يقضي حاجته، فإذا الريح قد ألقت إليه رقعة فيها مكتوب:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بد واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم عن حر المنية دافع

قال: فناداني: يا ربيع تنعي إلي نفسي في رقعة؟ قلت: لا والله ما أعرف رقعة، ولا أدري ما هي؟ قال: فما رجع من وجهه حتى مات. قال ابن البراء: ومات ببئر ميمون، وهو محرم، فدفن مكشوف الوجه لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وخلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وثمانية أيام. قال مؤلف الكتاب رحمه الله تعالى: وقد اختلفوا في مقدار عمره على خمسة أقوال: أحدها: ثلاث وستون سنة كما ذكرنا، والثاني: ثلاث وستون وشهور، الثالث: أربع وستون، والرابع: خمس وستون. والخامس: ثمان وستون. واتفقوا أن مدة خلافته اثنان وعشرون سنة تنقص أياماً. وفي ذلك المقدار الناقص خمسة أقوال: أحدها: اثنان وعشرون يوماً. والثاني: أربعة وعشرون يوماً، والثالث: ثلاثة أيام، والرابع: سبعة أيام، والخامس: يومان. قالوا: ودفن في المقبرة التي عند بلبة المدينتين التي تسمى كدا، وتسمى المعلاة؛ لأنها بأعلى مكة.

عبد الله بن عياش بن عبد الله أبو الجراح الهمذاني الكوفي ويعرف بالمنتوف. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا الخطيب قال: حدث ابن عياش، عن الشعبي، وروى عنه الهيثم بن عدي، وكان رواية للأخبار والآداب. وكان من صحابة أبي جعفر المنصور، ونزل بغداد في دور الصحابة ناحية شط الصراة، قال: ويقال: إن دجلة مدت وأحاط الماء بداره، فركب المنصور ينظر إلى الماء، وابن عياش معه، فرأى داره وسط الماء، فقال: لمن هذه الدار قال: لوليك يا أمير المؤمنين، فقال المنصور: "وحال بينهما الموج فكان من المغرقين"، فقال له ابن عياش وكان جريئاً عليه: ما أظن أمير المؤمنين يحفظ من القرآن آية غيرها، فضحك منه وأمر له بصلة.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الجوهري قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي قال: حدثنا ميمون بن هارون قال: حدثني الوضاح بن حبيب بن يزيد التميمي، عن أبيه قال: كنت يوماً

عند المنصور وعبد الله بن عياش المنتوف وعبد الله بن الربيع الحارثي، وإسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري، وكان المنصور ولى بن قتيبة البصرة، وولى مولى له كور البصرة والأبلة، فورد الكتاب من مولى أبي جعفر يخبر أن سلماً ضربه بالسياط، فاستشاط أبو جعفر، وضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: علي يجترئ سلم، والله لأجعلنه نكالاً وعظة، وجعل يقرأ كتباً بين يديه، قال: فرفع ابن عياش رأسه وكان من أجرئنا عليه فقال: يا أمير المؤمنين، لم يضرب سلم مولاك بقوته ولا قوة ابنه ولكنك قلدته سيفك، وأصعدته منبرك، وأراد مولاك أن يطأطئ من سلم ما رفعت، ويفسد ما صنعت، فلم يحتمل له ذلك، يا أمير المؤمنين إن غضب العربي في رأسه، فإذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسانه أو يده، وإن غضب النبطي في استه، فإذا خري ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر، وقال: قبحك الله يا منتوف. وكف عن سلم. توفي المنتوف في هذه السنة.

الأسود المكي

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج قال: أخبرنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل الضراب، قال: أخبرني أبي قال: حدثنا أحمد بن مروان بن المالكي قال: حدثنا سليمان بن الحسن قال: حدثني أبي قال: قال ابن المبارك: قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون في المسجد الحرام، وكنت في الناس مما يلي باب بني شيبة، إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش، قد ائترز بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فصار في موضع خفي إلى جانبي، فسمعته يقول: إلهي أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد منعتنا غيث السماء لتؤدب الخليقة بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل، اسقهم الساعة الساعة. قال ابن المبارك: فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى استوت بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يسبح، وأخذت أبكي، فلما قام تبعته حتى عرفت موضعه، فجئت إلى فضيل بن عياض فقال لي: مالي أراك كئيباً؟ فقلت: سبقنا إلى الله غيرنا، فتولاه دوننا، قال: وما ذاك؟ فقصصت عليه القصة، فصاح وسقط وقال: ويحك يا ابن المبارك خذني إليه، قلت: قد ضاق الوقت، وسأبحث عن شأنه. فلما كان من الغد صليت الغداة، وخرجت إلى الموضع فإذا شيخ على الباب قد بسط له وهو جالس، فلما رآني عرفني وقال: مرحباً بك يا عبد الرحمن، حاجتك. فقلت له: احتجت إلى غلام أسود. فقال: نعم عندي عدة، فاختر أيهم شئت؟ فصاح يا غلام، فخرج غلام جلد، فقال: هذا محمود العاقبة، أرضاه لك، فقلت: ليس هذا حاجتي، فما زال يخرج إلي واحداً واحداً حتى أخرج إلي الغلام، فلما أبصرت به بدرت عيناي، فقال: هذا هو؟ قلت: نعم، فقال ليس إلى بيعه سبيل، قلت : و لم؟ قال: قد تبركت لموضعه في هذه الدار وذاك أنه لا يرزأني شيئاً ، قلت: ومن أين طعامه؟ قال: يكسب من قبل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم. وأخبرني الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل، ولا يختلط بأحد منهم مشغول بنفسه، وقد احبه قلبي، فقلت له: انصرف إلى سفيان الثوري وإلى الفضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟ فقال: إن ممشاك عندي كبير، خذه بنا شئت. قال: فاشتريته وأخذت نحو دار فضيل، فمشيت ساعة، فقال لي: يا مولاي، قلت: لبيك، قال: لا تقل لي لبيك، فإن العبد أولى أن يلبي المولى، قلت حاجتك يا حبيبي. قال: أنا ضعيف البدن، لا أطيق الخدمة، وقد كان لك في غيري سعة، قد أخرج إليك من هو أجلد مني، فقلت: لا يراني الله وأنا أستخدمك، ولكني أشتري لك مترلاً وأزوجك وأخدمك أنا بنفسي، قال: فبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنت لم تفعل في هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تعالى، وإلا فلم اخترتني من بين الغلمان؟ فقلت له: ليس بك حاجة إلى هذا، فقال لي: سألتك بالله إلا أخبرتني، فقلت: بإجابة دعوتك، فقال لي: إني أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحاً، إن لله عز وجل خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده

ولا يظهر عليهم إلا من ارتضى، ثم قال لي: ترى أن تقف علي قليلاً، فإنه بقيت على ركعات من البارحة. قلت: هذا منزل فضيل قريب. قال: لا. ها هنا أحب إلي أمر الله عز وجل لا يؤخر فدخل من باب الباعة إلى المسجد فما زال يصلي حتى إذا أتى على ما أراد التفت إلي فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل من حاجة؟ قلت: و لم؟ قال: لأني أريد الانصراف، قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرة. قلت: لا تفعل، دعني أسر بك. فقال لي: كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه تعالى فأما إذا اطلعت عليها أنت فسيطلع عليها غيرك فلا حاجة لي في ذلك، ثم خر لوجهه، فجعل يقول: إلهي إقبضني إليك السعة الساعة. فدنوت منه فإذا هو قد مات. فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزني وصغرت الدنيا في عيني.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة العباس بن محمد الصائفة حتى بلغ أنقرة وانصرفوا سالمين.

وفيها: ولي حمزة بن مالك سجستان، وولي جبرئيل بن يحيى سمرقند. وعزل عبد الصمد عن المدينة عن موجدة، واستعمل مكانه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحي. وفيها: بنى المهدي مسجد الرصافة وبنى حائطها وحفر خندقها. أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا الأزهري قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أخبرني أبو العباس المنصوري قال: لما حصلت في يد المهدي الخزائن والأموال ودخائر المنصور أخذ في رد المظالم، وأخرج ما في الزائن ففرقه وبر أهله وأقرباءه ومواليه، وأخرج لأهل بيته أرزاقاً لكل واحد منهم في كل شهر خمسمائة درهم، وأخرج لهم في الإقسام لكل واحد عشرة آلاف درهم.

وزاد بعضهم: وأمر ببناء مسجد الرصافة وحاط حائطها، وخندق خندقها .أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عياش قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد المروزي قال: حدثني أبي قال: حكي لنا أن الربيع قال: مات المنصور وفي بيت المال شيء لم يجمعه خليقة قط مائة ألف ألف درهم، وستون ألف ألف درهم، فلما صارت الخلافة إلى المهدي قسم ذلك وأنفقه. قال: الربيع: ونظرنا في نفقة المنصور فإذا هو ينفق في كل سنة ألفي درهم. قال: وفتح المنصور يوماً خزائن مروان بن محمد فأحصى ما فيها اثني عشر ألف عدل خزفاً. فأخرج منها ثوباً وقال: يا ربيع، اقطع من هذا الثوب جبتين، لي واحدة ولمحمد واحدة. قلت: لا يجيء منه هذا. قال: فاقطع لي منه جبة وقلنسوة، وبخل بثوب آخر يخرجه للمهدي. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي أمر بتلك الخزانة بعينها ففرقت على الموالي والغلمان والخدم. وفيها: وجه المهدي عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر إلى بلاد الهند في خلق كثير فوصلوا إلى الهند في سنة ستين. وفيها: أمر المهدي بإطلاق من كان في سجون المنصور إلا من كان قبله دم أو كان معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد، أو كان لأحد قبله مظلمة.و كان ممن أطلق يعقوب ابن داود مولى بني سليم، وكان معه في الحبس الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فحوله المهدي إلى نصير الوصيف فحبس عنده. وكان سبب تحويله: أنه كان هو ويعقوب في مكان واحد فأطلق يعقوب و لم يطلق الحسن، فساء ظنه وخاف على نفسه، فالتمس مخرجاً لنفسه فدس إلى بعض ثقاته فحفر له سرباً في موضع مسامتٍ للموضع الذي هو فيه محبوس،

وكان يعقوب بعد أن أطلق يطيف بابن علاثة وهو قاضي المهدي ويلزمه حتى أنس به، وبلغ يعقوب ما عزم عليه الحسن من الهرب، فأتى ابن علاثة فأخبره أن عنده نصيحة للمهدي، فسأله إيصاله إلى أبي عبيد الله، فدخل به إليه، فسأله إيصاله إلى المهدي ليعلمه النصيحة، فأدخله عليه فساره بذلك، فأمر بتحويل الحسن إلى نصير، فلم يزل حتى احتيل له فخرج، فطلب فلم يقدر عليه، فدعا المهدي يعقوب فأخبره خبر الحسن فقال: لا علم لي بنكانه، ولكن إن أعطيتني له أماناً يثق به ضمنت أن آتيك به. فأعطاه ذلك، فقال له : فاله عن ذكره يا أمير المؤمنين، ودع طلبه، فإن ذلك يوحشه، ودعني وإياه حتى أحتال له، وقال يعقوب: يا أمير المؤمنين قد بسطت عدلك، وعممت بخيرك، وقد بقيت أشياء لو ذكرتها لم تدع النظر فيها بنثل ما فعلت في غيرها، وإن جعلت لي سبيلاً إلى الدخول عليك، وأذنت لي في رفعها إليك فعلت فأعطاه المهدي ذلك، وكان يدخل على المهدي ليلاً ويرفع إليه النصائح الحسنة من أمر الثغور، وبناء الحصون، وفكاك الأسارى، والقضاء على الغارمين، والصدقة على المتعففين، فحظي بذلك عنده واتخذ أخاً في الله تعالى، وأخرج بذلك توقيعاً أثبت في الدواوين، ثم تغير عليه وأمر بحبسه. وفيها: عزل المهدي إسماعيل بن أبي إسماعيل عن الكوفة وأحداثها، وولاها إسحاق بن الصباح الكندي، وقيل: بل ولاها عيسى بن لقمان، وقيل: كان شريك على الصلاة والقضاء، وعيسى على الأحداث. وعزل عن أحداث البصرة سعيد بن دعلج، وعزل عن الصلاة والقضاء عبيد الله بن الحسين، وولى مكانها عبد الملك بن أيوب بن ظبيان، وكتب إليه يأمره بإنصاف من تظلم من سعيد بن دعلج، ثم صرفت الأحداث في هذه السنة عن عبد الملك بن أيوب إلى عمارة بن حمزة، فولاها عمارة رجلاً يقال له: المسور بن عبد الله وأمر عبد الملك على الصلاة. وفيها: عزل قثم بن العباس عن اليمامة عن سخط فوصل كتاب عزله إلى اليمامة وقد توفي، فاستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلي. وعزل يزيد بن منصور عن اليمن فاستعمل مكانه رجاء بن روح، وعزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة واستعمل عليها الفضل بن صالح، وعزل مطر مولى المنصور عن مصر واستعمل مكانه أبو ضمرة بن سليمان. وفيها: أعتق المهدي الخيزران أم ولده وتزوجها. وفيها: تزوج المهدي أيضاً أم عبيد الله بنت صالح بن علي. وفيها: وقع حريق في ذي الحجة في السفن ببغداد، عند قصر عيسى بن علي، فاحترقت السفن ، واحترق ناس كثير. وفيها: كانت حركة من تحرك من بني هاشم وشيعتهم من أهل خراسان في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وتصيير ذلك لموسى بن

المهدي، فلما تبين ذلك المهدي كتب إلى عيسى وهو بالكوفة ليقدم عليه، فأحس عيسى بذلك، فامتنع من القدوم، وكان المهدي قد سأل عيسى أن يخرج من الأمر، فامتنع عليه، فأراد الإضرار به، فولى الكوفة روح بن حاتم، وكان المهدي يحب أن يحمل روح على عيسى بعض الحمل، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً، وكان عيسى قد خرج إلى ضيعته بالرحبة فلا يدخل إلى الكوفة إلا في رمضان، فيشهد الجمع والعيد، ثم يرجع إلى ضيعته، ثم إن المهدي ألح على عيسى وقال له: إن لم تجبني إلى أن تنخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون، استحللت منك بنعصيتك ما يستحل من العاصي، وإن أجبتني عوضتك عنها ما هو أجدى عليك إنعاماً. فأجابه فبايع لهما وخلع عيسى وأمر له بعشرة آلاف ألف وقيل بعشرين ألف الف، وقطائع كثيرة. وفي هذه السنة: حج بالناس يزيد بن المنصور خال المهدي عند قدومه من اليمن، وكان المهدي قد أمره باانصراف إليه وولاه الموسم. وكان أمير المدينة في هذه السنة عبد الله بن صفوان الجمحي، وكان على صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى خراجها ثابت بن موسى، وعلى قضائها شريك بن عبد الله، وعلى صلاة البصرة عبد الملك بن أيوب، وعلى أحداثها عمارة بن حمزة وخليفته على ذلك المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلي، وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن وعلى كور دجلة وكور الأهواز وكور فارس عمارة بن حمزة، وعلى السند

البسطام بن عمرو، وعلى اليمن رجاء اليمن رجاء بن روح، وعلى اليمامة بشر بن المنذر، وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد، على الجزيرة الفضل بن صالح، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم. وعلى مصر أبو ضمرة محمد بن سليمان.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حميد بن قحطبة: عامل المهدي على خراسان. توفي في هذه السنة، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد.

سلمى بن عبد الله بن سلمى، أبو بكر الهذلي البصري. حدث عن الحسن، وابن سيرين، وعكرمة، والشعبي والزهري. روى عنه: أبو معاوية وابن المبارك، وشبابة، وكان من العلماء بأخبار الناس وأيامهم. وقال السفاح: ما رأيت أحداً أغزر علماً من أبي بكر الهذلي، لم يعد علي حديثاً قط، إلا أن المحدثين ضعفوه وتركوا حديثه.

عبد العزيز بن أبي رواد مولى المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة. روى عن جماعة من التابعين كعطاء، وعكرمة، ونافع، وكان من العباد، وذهب بصره فلم يعلم به أهله عشرين سنة.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني عبد الله بن يحيى اليشكري قال: أخبرنا أبو بكر الشافعي قال: أخبرنا جعفر بن محمد الأزهري قال: حدثنا ابن العلائي قال: حدثنا أبو سهل المدائني، عن شعيب بن حرب قال: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد خمسمائة مجلس فما أحسب أن صاحب الشمال كتب شيئاً. أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا محمد بن حيان قال: حدثنا أبو أحمد بن روح قال: حدثنا عبد الله بن الحبيق قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: مكث عبد العزيز بن أبي رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء، فبينا هو يطوف حول الكعبة إذ طعنه المنصور أبو جعفر بإصبعه في خاصرته فالتفت إليه فقال: قد علمت أنها إصبع جبار، توفي عبد العزيز في هذه السنة بنكة.

معبد بن الخليل. عامل المهدي. توفي بالسند وهو عامله عليها فاستعمل مكانه روح بن حاتم.

محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، أبو الحارث القرشي المدني. ولد سنة ثمانين، سمع عكرمة، والزهري وخلقاً كثيراً، وكان فقيهاً ورعاً صالحاً ثقة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أقدمه المهدي بغداد، فحدث بها، ثم رجع يريد المدينة، فمات بالكوفة في هذه السنة، وهو ابن تسع وسبعين سنة.

روى عنه: الثوري ووكيع، ويزيد بن هارون، وابن المبارك، وغيرهم. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا البرقاني قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن حيوية قال: أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان ابن أبي ذئب يشبه سعيد بن المسيب. قيل لأحمد: خلف مثله ببلاده؟ قال: لا، ولا بغيرها. وقال أبو داود سمعت أحمد يقول: كان ابن أبي ذئب ثقة صدوقاً أفضل من مالك بن أنس، إلا أن مالك أشد تنقية للرجال من أبي ذئب لا يبالي عمن يحدث.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عيسى المكي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: ابن أبي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس، فلو

أعنتهم بما في يديك من الفيء؟ قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في مترلك وتذبح. فقال ابن أبي ذئب: فقد سد الثغور وجيش الجيوش، وفتح الفتوح وأعطى الناس أعطياهم من هو خير منك. قال: ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه والسيف بيد المسيب والعمود بيد مالك بن الهيثم و لم يعرض له والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام، فقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز قال: حدثنا عبد الله بن محمد البغوي قال: حدثنا يحيى بن أيوب العابد قال: حدثني أبو عمر

عبد الله بن كثير قال: حدثني حسن بن زيد قال: كان قد ولي عبد الصمد على المدينة فعاقب بعض القرشيين وحبسهم، قال: فكتب بعض قرابته إلى أبي جعفر، فكتب أبو جعفر إلى المدينة، وأرسل رسولاً وقال: اذهب فانظر قوماً من العلماء فأدخلهم عليه حتى يروا حاله ويكتبوا إلي بها، فأدخلوا عليه في حبسه مالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وابن أبي سبرة وغيرهم من العلماء، فقالوا: اكتبوا بنا ترون إلى أمير المؤمنين. قال: وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حل عنه الوثاق وألبسه ثياباً، وكنس البيت الذي كان فيه ورشه، ثم أدخلهم عليه. فقال لهم الرسول: اكتبوا بنا رأيتم، فأخذوا يكتبون شهد فلان وفلان. فقال ابن أبي ذئب: لا تكتبوا شهادتي أنا أكتبها بيدي إذا فرغت فارم إلي بالقرطاس قال: فكتبوا رأينا محبساً ليناً ورأينا هيئة حسنة، وذكروا ما يشبه هذا من الكلام. قال: ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب، فلما نظر في الكتاب فرأى هذا الموضع نادى: يا مالك داهنت وفعلت وفعلت وملت إلى الهوى، لكن اكتب: رأيت مجلساً ضيقاً وأمراً شديداً. قال: وجعل يذكر شدة الحبس وضيقه. قال: وبعث الكتاب إلى أبي جعفر، فقدم أبو جعفر حاجاً، فمر بالمدينة فدعاهم، فلما دخلوا عليه جعلوا يذكرون وجعل ابن أبي ذئب يذكر شدة الحبس وضيقه، وشدة عبد الصمد، وما يكون منه. قالوا: وجعل أبو جعفر يتغير وجهه، وينظر إلى عبد الصمد، قال الحسن بن زيد: فلما رأيت ذلك أردت أن ألينه، فخشيت على عبد الصمد بن أبي جعفر أن يعجل عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ويرضى هذا أحد قال ابن أبي ذئب: أما والله إن يسألني عنك لأخبرته، فقال أبو جعفر: فإني أسألك، فقال: يا أمير المؤمنين ولي علينا ففعل بنا وفعل. فأطنب في. فلما ملأني غيظاً قلت:أفيرضي هذا أحد يا أمير المؤمنين؟ سله عن نفسك، فقال أبو جعفر: فإني أسألك عن نفسي فقال: لا تسألني، فقال: أنشدك الله فكيف تراني؟ قال: اللهم ما أعلمك إلا ظالماً جائراً، قال: فقام إليه وفي يده عمود، قال الحسن فجمعت إلي ثيابي مخافة أن يصيبني من دمه وقلت: الآن يضربه بالعمود فجعل يقول له: يا مجوسي أتقول هذا لخليفة الله في أرضه؟ وجعل يرددها عليه وابن أبي ذئب يقول: إنك تنشدني بالله يا عبد الله. قال: و لم ينله بسوء قال : وتفرقوا على ذلك.

عن محمد بن خلاد قال: لما حج المهدي دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد إلا قام، إلا ابن أبي ذئب فقال له المسيب بن زهير: من هذا أمير المؤمنين؟ فقال ابن أبي ذئب: إنما يقوم الناس لرب العالمين، فقال المهدي: لقد قامت كل شعرة في رأسي.

ثم دخلت سنة ستين ومائة

فمن الحوادث فيها خروج يوسف بن إبراهيم من خراسان منكراً هو ومن معه على رأيه على المهدي الحال التي هو بها وسيرته التي

يسير بها، واجتمع معه بشر كثير من الناس، فتوجه إلى يزيد بن مزيد فاقتتلا حتى صارا إلى المعانقة، فأسره يزيد وبعث به إلى المهدي، وبعث معه من وجوه أصحابه بعده فلما انتهى بهم إلى النهروان حمل يوسف على بعير قد حول وجهه إلى ذنب البعير وأصحابه على بعير، فأدخلوهم الرصافة على تلك الحال، فأدخلوا على المهدي، فأمر هرثمة بن أعين بقطع يدي يوسف ورجليه، وضرب عنقه وأعناق أصحابه وصلبهم على جسر دجلة الأعلى مما يلي عسكر المهدي، وإنما أمر هرثمة بقتله لأنه كان قتل أخاً لهرثمة بخراسان. وفيها: خلع عيسى بن موسى مما كان له من البيعة بعد المهدي وذلك أنه أحضر وجوه رؤساء الشيعة وألح عليه المهدي، فرضي بالخلع والتسليم، فخلع يوم الأربعاء لأربع بقين من المحرم بعد صلاة العصر وبايع للمهدي ولموسى من بعده يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم وقت ارتفاع النهار، ثم أذن المهدي لأهل بيته فأخذ بيعتهم لنفسه ولموسى بن المهدي من بعده، ثم خرج إلى مسجد الجماعة بالرصافة، فصعد المنبر وصعد موسى، فقام دونه، وقام عيسى على أول عتبة من المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه أعني المهدي وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبر بنا أجمع عليه أهل بيته وشيعته وقواده وأنصاره من خلع عيسى وتصيير الأمر الذي كان عقد له في أعناق المسلمين لموسى ابن أمير المؤمنين لاختيارهم له ورضاهم به وأن عيسى قد خلع نفسه، وحللهم مما كان له من البيعة في أعناقهم، وأن ما كان له من ذلك فقد صار لموسى عامل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، بأحسن السيرة، وأعدلها، وقرأ على عيسى كتاب ذكر الخلع، فأمر بذلك وتتابع أهل بيت المهدي و القواد يبايعون للمهدي ثم لموسى، ويمسحون على أيديهما، ثم نزل المهدي ووكل ببيعته من بقي من الخاصة والعامة لخالد بن يزيد بن منصور، وكتب على عيسى بخلعه كتاب ليكون حجة عليه، وفيه: أنه قد نزل عما كان حقاً له لموسى بن المهدي وأنه إن لم يف بذلك فكل زوجة هي عنده من يوم كتب هذا الكتاب أو يتزوجها طالق ثلاثاً البتة إلى ثلاثين سنة، وكل مملوك له عنده اليوم أو يملكه إلى ثلاثين سنة أحراراً لوجه الله، وكل مال له من نقد أو عرض أو أرض أو قليل أو كثير ويستفيد إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين، وعليه من مدينة السلام المشي حافياً إلى بيت الله العتيق نذراً واجباً ثلاثين سنة، وأشهد على نفسه بإقراره هذا مائة وثلاثين رجلاً من بني هاشم والموالي والوزراء والقضاة، وكتب في صفر سنة ستين وختم عليه عيسى بن موسى.

-وفي هذه السنة : وصل عبد الملك بن شهاب المسمعي في خلق كثير من المطوعة وغيرهم إلى بلد الكفار فنصبوا عليها المجانيق وفتحوها عنوة، وقتلوا أهلها واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلاً، وهاج البحر فلم يقدروا على ركوبه، وأقاموا إلى أن سكن فأصابهم في أفواههم داء فمات منهم نحو من ألف رجل، فيهم الربيع بن صبيح، ثم انصرفوا وسبي منهم ابنة الملك. وفيها : جعل أبان بن صدقة كاتباً للمهدي ووزيراً له . وفيها : عزل أبو عون عن خراسان وولي مكانه معاذ بن مسلم. وفيها : غزا ثمامة بن الوليد الصائفة، وغزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام. وفيها: رد المهدي إلى أبي بكرة من نسبهم في ثقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وألحقهم به، وأخرج آل زياد من قريش والعرب، وكان يقول ابن سمية الزانية، ويقبح استلحاق معاوية زياداً.

وفيها: ولى المدينة أعني قضاءها عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي. وفيها: خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري الخارجي، وسيأتي خبر مقتله. وفيها: عزل بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليها روح بن حاتم.

وفيها: حج المهدي بالناس واستخلف على مدينة السلام ابنه موسى، وترك معه يزيد بن المنصور بأمر المهدي وزيراً له ومدبراً

لأموره، وخرج مع المهدي ابنه هارون وجماعة من أهل بيته، فكان ممن شخص معه، يعقوب بن داود على منزلته التي كانت عنده فأتاه حين وافى مكة بالحسن بن إبراهيم بن عبد الله الذي أستأمن له يعقوب فأحسن المهدي صلته وجائزته، وأقطعه مالاً من الصوافي بالحجاز. وفي هذه السنة: نزع المهدي كسوة الكعبة التي كانت عليها، وكساها كسوة جديدة، وذلك أن حجبة الكعبة رفعوا إليه أنهم يخافون على الكعبة لكثرة ما عليها من الكسوة، فأمر أن يكشف عنها فكشف ما عليها حتى بقيت مجردة، ثم طلي البيت كله بالخلوق، ولما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً ووجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن. وقسم المهدي في هذه السنة في أهل مكة والمدينة مالاً كثيراً، فذكر أنه قسم في تلك السفرة ثلاثين ألف ألف درهم حملت معه، ووصل إليه من مصر ثلاثة ماية ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار قسم كل ذلك كله، وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بترع المقصورة التي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فترعت، وأراد أن ينقض منبر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيده إلى ما كان عليه، ويلقي ما كان معاوية زاده فيه، فشاور في ذلك، فقيل له: إن المسامير الذي أحدثه معاوية في الخشب الأول وهو عتيق لا نأمن إن خرجت المسامير التي فيه وزعزعت أن ينكسر، فتركه على حاله، وأمر المهدي أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقاً سوى أعطياتهم، وأقطعهم عند قدومهم معه بندينة السلام قطيعة تعرف بهم، ودخل عليه عثمان بن طلحة فاستعفاه من القضاء.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن ثابت قال: أخبرنا عبد الصمد بن محمد بن نصر بن مكرم قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد المعدل قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا أبو الفضل الربعي قال: حدثني أبي قال: استقصى بعض أمراء المدينة عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر، فامتنع عليه، فأشرف عليه بضرب السياط، فلما رأى ذلك قضى بين الناس حتى استوجب رزق عشرة أشهر، وقدم المهدي المدينة حاجاً، فدخل عليه عثمان بن طلحة، فسأل أن يعزله عن القضاء، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، قال له عثمان: والله يا أمير المؤمنين لو علمت أن بلد الروم تجيرني ولا تمنعني من الصلاة لاستجرت به، قال المهدي: وإنك على ما قلت. قال: فإني والله لعلى ما قلت، قال: فإني قد عزلتك فاقبض ما لك عندنا من الرزق. قال: والله ما في عنه غنى، ولكن كان لي نظر وأشباه ذلك يكرهون من هذا العمل ما أكره، ثم أكرهوا عليه، فدخلوا فيه، فلما عزلوا كرهوا العزل، فلم أجد معناهم في كراهتهم العزل إلا هذا الرزق، فلذلك كرهت أخذه. وتزوج المهدي في أيام مقامه بالمدينة رقية بنت عمرو العثمانية. وفيها: رد المهدي على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التي كانت مقبوضة عنهم.

وفيها: حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدي، حتى وافى مكة، فكان المهدي أول من حمل له الثلج من الخلفاء إلى مكة. وفيها: تزوج الهادي لبابة بنت جعفر بن المنصور، وهي أخت زبيدة. وكان في هذه السنة على صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي، وعلى صلاة البصرة وأحداثها وأعمالها، وعلى كور دجلة، والبحرين، وعمان وكور الأهواز، وفارس محمد بن سليمان، وكان على قضاء البصرة عبيد الله بن الحسن، وعلى خراسان معاذ بن سالم، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح، وعلى السند رواح بن حاتم. وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى مصر سليمان بن علي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي ويقال: التميمي. أصله من بلخ وكان من أولاد الملوك، وروى عن جماعة من التابعين كأبي إسحاق السبيعي، وأبي حازم، وقتادة، ومالك بن دينار، وأبان، والأعمش، واشتغل بالتزهد عن الرواية، وكان بالكوفة ثم بالشام.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد البغدادي قال: أخبرنا عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن منده قال: أخبرنا أبي قال: سمعت عبد الله بن محمد بن الحارث قال: سمعت إسماعيل بن بشر البلخي قال: سمعت عبد الله بن محمد العابد يقول: سمعت يونس بن سليمان البلخي يقول: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، فخرج إبراهيم يوماً إلى الصيد مع الغلمان والخدم والجنائب والبزاة فبينا إبراهيم في ذلك وهو على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم، ما هذا العبث "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون" اتق الله، وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قال: فترل عن دابته و رفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: حدثنا الغطريفي قال: حدثنا إسحاق بن ديمهر قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا بشر بن المنذر قال: كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح لو نفخته الريح لوقع، قد اسود متدرعاً بعباءة.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي بإسناده، عن شقيق بن إبراهيم يقول: قلت: لإبراهيم بن أدهم: تركت خراسان، قال: ما تمنيت بالعيش إلا في بلاد الشام أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: موسوس، ومن يراني يقول: حمال. عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أحمد بن داود يقول: مر يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر كرماً، فقال: ناولني من هذا العنب، فقال: ما أذن لي صاحبه، فقلت: السوط، وجعل يقنع رأسه فطأطأ إبراهيم رأسه، وقال: اضرب رأساً طال ما عصى الله. قال: فأعجز الرجل عنه. أخبرنا محمد قال: أخبرنا حمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا أبو الحسين بن محمد بن محمد الجرجاني قال: حدثنا الحسن بن علي الطوسي قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي قال: حدثنا محبوب بن موسى قال: أخبرني علي بن بكار قال: كنا جلوساً بالمصيصة وفينا إبراهيم بن أدهم، فقدم رجل من خراسان فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم فقال القوم: هذا. قال: إن أخوتك بعثوني إليك، فلما سمع بذكر أخوته قام بيده فنحاه، فقال: ما جاء بك؟ فقال: أنا مملوك معي فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم، بعث بها إليك إخوتك، قال: إن كنت صادقاً فأنت حر، وما معك لك، اذهب فلا تخبر أحداً. فذهب.
عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا علي الجرجاني يحدث أبا سليمان الداراني قال: صلى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد. قال مؤلف الكتاب رحمه الله: اقتصرت ها هنا على ما ذكرت من أخباره؛ لأني قد جمعت أخباره في مجلد فكرهت الإعادة في التواليف. توفي إبراهيم بالجزيرة، وحمل إلى صور فدفن هناك.
الحسن بن أبي جعفر، أبو سعيد الجفري واسم جعفر: عجلان. أسند عن أبي الزبير، وثابت البناني، وغيرهما. أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: حدثنا القواريري قال: حدثني أبو عمران التمار قال: غدوت يوماً قبل الفجر إلى مسجد الجفري، فإذا باب المسجد مغلق، وإذا حسن جالس يدعو، وإذا ضجة في المسجد وجماعة يؤمنون على دعائه فقام فأذن وفتح باب المسجد، فدخلت، فلم أر في المسجد أحداً، فلما أصبح وتفرق عنه الناس، قلت له: يا أبا سعيد، إني والله

رأيت عجباً، قال: وما رأيت؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت، قال: أولئك جن من أهل نصيبين يجيئون فيشهدون معي ختم القرآن كل ليلة جمعة.

زمعة بن صالح المكي

روى عن سلمة بن وهرام، وابن طاووس. وروى عنه: وكيع. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الدقاق قال: أخبرنا أبو الحسين بن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر القرشي قال: حدثنا الفضل بن غسان، عن مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعة نازلاً عندنا وكان له أهل وبنات، وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته. أيها الركب المعرسون، أكل هذا الليل ترقدون، ألا تقومون، فترحلون، فيسمع من ها هنا باكٍ، ومن ها هنا داعٍ، ومن ها هنا قارئ، ومن ها هنا متوضئ. فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السرى.

سليمان الخواص كان من المتعبدين الفطناء. أخبرنا أبو بكر العامري قال: أخبرنا عبد الغفار بن محمد الشيروي قال: حدثنا ابن باكويه قال: حدثنا محمد بن علي بن سعيد الأموي قال: حدثنا محمد بن سهل الكرماني قال: حدثنا يوسف بن موسى المروزي قال: حدثنا محمد بن سلام قال: سمعت يزيد بن سعيد يقول: دخل سعيد بن عبد العزيز على سليمان الخواص فقال له: أراك في ظلمة، قال: ظلمة القبر أشد من هذا. قال: أراك وحدك. قال: إن للصاحب على الصاحب حقاً فخفت أن لا أقوم بحق صاحبي، قال: فأخرج سعيد صرة فيها شيء، فقال له: تنفق هذا، وأنا أحلها لك من بين يدي الله تعالى، إنه حلال. قال: لا حاجة لي فيها، فقال له: رحمك الله ما ترى ما الناس فيه دعوة. قال: فصرخ سليمان صرخة، ثم قال: ما لك يا سعيد فتنتني بالدنيا وتفتني بالدين، مالي وللدعاء من أنا، فخرج سعيد، فأخبر بنا كان الأوزاعي، فقال الأوزاعي: دعوا سليمان، لو كان سليمان من الصحابة كان مثلاً.

شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام العتكي مولاهم، واسطي الأصل بصري الدار.

ولد بواسط سنة ثلاث ومائتين، ونشأ بها، وانتقل إلى البصرة، ورأى الحسن، وابن سيرين، وسمع قتادة، ويونس بن عبيد، وأيوب السجستاني، وخالد الحذاء، وعبد الملك بن عمير، وأبا إسحاق السبيعي، وطلحة بن المصرف، ومنصور بن المعتمر، والأعمش وغيرهم. وقد روى عنه: أيوب، والأعمش، وابن عيينة، وابن المهدي، وكان أكبر من سفيان الثوري بعشر سنين، وكان عالماً حافظاً للحديث صدوقاً زاهداً متعبداً، عارفاً بالشعر. قال الأصمعي: لم نر أحداً أعلم بالشعر من شعبة.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن القاسم الضبعي قال: أخبرنا أبو عمرو الخفاف قال: حدثنا الدوري قال: حدثنا قرار أبو نوح قال: رأى علي شعبة قميصاً فقال: بكم أخذت هذا؟ قال: بثمانية دراهم. قال: ويحك، أما تتق الله تلبس قميصاً بثمانية دراهم؟ ألا اشتريت قميصاً بأربعة دراهم، وتصدقت بأربعة. قال الضبعي: وحدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد الحيري قال: حدثنا أبي قال: سمعت محمد بن معاوية وسليمان بن حرب إلى جنبه يقول: خرج الليث ابن سعد يوماً فقوموا ثيابه ودابته وخاتمه وما كان عليه ثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألفاً، فقال سليمان بن حرب: خرج شعبة يوماً فقوموا حماره وسرجه ولجامه بثمانية عشر درهماً إلى عشرين درهماً. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا الأزهري قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا أبو عبد الله بن مغلس

قال: حدثنا عمرو بن علي الفلاس قال: سمعت أبا بحر البكراوي يقول: ما رأيت أعبد لله من شعبة، لقد عبد الله حتى جف جلده على عظمه ليس بينهما لحم. قال مؤلف الكتاب: كان شعبة متشاغلاً بالعلم، لا يكسب شيئاً من الدنيا، وكان له إخوة يقومون بأموره، فاشترى أحد أخوته طعاماً من السلطان فخسر فيه، فقدم شعبة على المهدي في ذلك فعابه بالدخول عليهم سفيان الثوري، فقال شعبة: هو لم يحبس أخوه. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران قال: أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا المبرد قال: حدثنا العباس بن الفرج الرياشي قال: حدثنا أبو عاصم قال: اشترى أخ لشعبة من طعام السلطان فخسر هو وشركاؤه، فحبس على ستة آلاف دينار تخصه، فخرج شعبة إلى المهدي ليكلمه فيه فلما دخل عليه قال له: يا أمير المؤمنين أنشدني قتادة وسماك بن حرب لأمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الكريم ولا مساء

فأرضك أرض مكرمة بنتها ... بنو تيم وأنت لهم سماء

فقال: لا يا أبا بسطام، لا تذكرها، قد عرفناها وقضيناها لك، ادفعوا إليه أخاه، ولا تلزموه شيئاً.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله المعدل قال: حدثنا محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: وهب المهدي لشعبة ثلاثين ألف درهم فقسمها، وأقطعه ألف جريب بالبصرة، فقدم البصرة فلم يجد شيئاً يطيب له فتركها ولم يرجع.

توفي شعبة بالبصرة في هذه السنة وهو ابن سبع وسبعين سنة.

عبد الله بن صفوان الجمحي والي المدينة. توفي فولي مكانه زفر بن عاصم.

عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي. سمع القاسم بن عبد الرحمن، وسلمة بن كهيل وعاصم بن بهدلة وغيرهم. روى عنه: الثوري، وشعبة، وابن عتبة، ووكيع ويزيد بن هارون وغيرهم. قال الأثرم: سئل أبو عبد الله أحمد بن حنبل عن أبي عمير وعبد الرحمن المسعودي: أيهما أحب إليك؟ قال: كلاهما ثقة؛ المسعودي عبد الرحمن أكثرهما حديثاً، قيل: له إخوة؟ قال: نعم. قيل له: هما من ولد عبد الله بن مسعود أو من ولد عتبة؟ فقال: هما من ولد عبيد الله بن عتبة بن مسعود، وابن عتبة بن عبد الله بن مسعود، فقال: ابن عتبة بن عبد الله بن مسعود. قال: وقال رجل للمسعودي: إنك من ولد عتبة بن مسعود فغضب، وقال: أنا من ولد عبد الله بن مسعود. وقد اتفقوا على أن عبد الرحمن ثقة، وإنما ذكروا أنه اختلط فيه آخر عمره.

توفي سنة ستين، وقيل: سنة خمس وستين، والأول أصح.

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

فمن الحوادث فيها خروج حكيم المقنع بخراسان من قرية من قرى مرو، وكان فيما ذكر يقول بتناسخ الأرواح، فاستغوى بشراً كثيراً، وسار إلى ما وراء النهر، فوجه المهدي لقتاله عدة من قواده، فيهم معاذ بن سالم وهو يومئذ على خراسان، ومعه عقبة بن

سالم، وجبرئيل بن يحيى، وليث مولى المهدي، ثم أفرد المهدي، لمحاربته سعيد الحرشي، وضم إليه هؤلاء القواد، فابتدأ المقنع يجمع الطعام في قلعة بكش عدة للحصار. وفيها: ظفر بشر بن محمد بن الأشعث الخزاعي بعبد الله بن مروان بالشام، فقدم به على المهدي و لم يعرض له. وفيها: غزا الصائفة ثمامة بن الوليد، وخرج إلى الروم، وأصيب من المسلمين عدة. وفيها: أمر المهدي ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التي كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زبالة، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس، وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل، وبتجديد الأميال والبرد، وحفر الركايا مع المصانع، وولى ذلك يقطين بن موسى، فلم يزل ذلك إليه إلى سنة إحدى وسبعين ومائة، وكان خليفة يقطين في ذلك أخوه أبو موسى. وفيها: أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الجامع بالبصرة، فزيد في مقدمته مما يلي القبلة، وعن يمينه مما يلي رحبة بني سليم، وولى ذلك محمد بن سليمان، وهو يومئذ والي البصرة. وفيها: أمر المهدي بنزع المقاصير، وتقصير المنابر وتصييرها إلى المقدار الذي مر عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، وكتب بذلك إلى الآفاق فعمل به. وفيها: أمر المهدي يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء في جميع الآفاق، ففعل وكان لا ينفذ للمهدي كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب إلى ثقة وأمينه بإنفاذ ذلك. وفيها: اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي، وسبب ذلك أن الموالي كانوا يشنعون عليه عند المهدي ويحرضونه عليه، ولما رأى أبو عبيد الله غلبة الموالي على المهدي، وخلوهم به، ضم إلى المهدي رجالاً من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم وكانوا في صحابته، و لم يكونوا ليدعوا الموالي يخلون به، ولما تولى الربيع أمر البيعة للمهدي وقدم على أبي عبيدة، فلم يتحرك له و لم يكرمه و لم يسأله كيف كان أمر البيعة، فابتدأ الربيع يحدثه، فقال: قد بلغنا نبأكم، فخرج الربيع مجتهداً في أذى أبي عبيد الله، فاتهم ابنه محمد ببعض حرم المهدي، حتى استحكمت الظنة عند المهدي بن حمد بن أبي عبيد الله، فأمر فأحضر، فقال: يا محمد، اقرأ؛ فاستعجمت عليه القراءة، فقال: يا معاوية، ألم تعلمني أن ابنك جامع للقرآن، فقال: بلى، ولكن فارقني منذ سنين فنسي، فقال: قم فتقرب إلى الله تعالى بدمه. فذهب يقوم فوقع، فقال العباس بن محمد: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تعفي الشيخ، ففعل وأمر به فضربت عنقه، ثم اتهم المهدي أبا عبيد الله في نفسه فقال له الربيع، قتلت ابنه وليس ينبغي أن يوثق به فأوحش المهدي منه واشتفى الربيع. وروى القاسم بن الربيع قال: دخل الربيع على المهدي وأبو عبيد الله يعرض عليه كتباً، فقال أبو عبيد الله: مر هذا أن يتنحى يعني الربيع فقال له: تنح، قال: لا افعل قال: كأنك تراني بالعين الأولى، قال: لا بل أراك بالعين التي أنت بها، قال: فلم لا تتنحى إذ أمرتك، قال: أنت ركن الإسلام، وقد قتلت ابن هذا، فلا آمن أن يكون معه حديدة يغتالك بها، فقام المهدي مذعوراً وأمر بتفتيشه فوجد بين جوربه وخفه سكيناً، فردت الأمور كلها إلى الربيع، وعزل أبو عبيد الله، وولي يعقوب بن داود مكانه، وكان بلغ المهدي من قبل الربيع أن ابن أبي عبيد الله زنديق، فأتي به، فأقر بذلك، فاستتيب فلم يتب، فقتله وصلبه على باب أبي عبيد الله. أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني أبو الحسين علي بن هشام قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب المعروف بابن أبي عمر قال: حدثنا محمد بن محمد العتابي قال: حدثنا خالي أبو محمد قال: سمعت إبراهيم بن العباسي الصوفي يقول: حدثت عن المأمون، عن الرشيد أنه سمع المهدي يقول: بعد زوال أبي عبيد الله عن الوزارة، وتفويض الأمر إلى يعقوب بن داود، ما رأيت أحزم ولا أفهم ولا أعف ولا أكفأ من أبي عبيد الله، ولقد كنت أحبه وأجريه مجرى الوالد، ومنذ خدمني اجتهدت أن يدعوني إلى

داره فيمتنع ويزعم أنه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك فاعتل، فكتب إلي باستعلاله، وأنه على الركوب إلي عازم بعد يوم أو يومين،

فسابقته فركبت إليه وقلت: قد كنت أجتهد بك أن تدعوني فتأبى، وقد جئتك جامعاً للعيادة والتهنئة بالعافية والدعوة، فقال: والله يا أمير المؤمنين: مالي طعام ولا غلمان ولا زبي يصلح لدعوتك، فقلت: قد فرغت لك من ذلك وتقدمت إلى غلماني بحمل الآلات والطعام، وإنما أردت تشريفك والأنس بك، وجاء الغلمان بالآلات وجلسنا فأكلنا وجعل يتحفني بالفاخر من الفرش والآنية والآلات التي في بيته هدية لي، فأخذت أحسنها فازداد ابتهاجاً، فلما الانصراف قال لي: أريد أن أبكي وأنا أتطير أن أبكي بعد انصراف أمير المؤمنين، وأنا أستأذن في البكاء بحضرته، وانحدرت دموعه، بعد عقيب الكلام، وبكى بكاء شديداً، فقلت: يا هذا، أنا أعلم فيك سخاء نسميه حسن تدبير، فإن كان بك ما أهديته فهو مرده عليك. فحلف بأيمان عظيمة أنه ما بكى لذلك، وقال: كيف أبكي على ما أسر به، حيث جعلتني أهلاً لقبوله، قلت: فلم؟ قال: لم يبق مرتبة تنال إلا وقد نلتها وبلغتها بفضل أمير المؤمنين حتى انتهت بي الحال إلى أن يعودني أمير المؤمنين أو يهنئني بحال تورده أو يصير إلى دعوتي، فلما كان اليوم جمع لي أمير المؤمنين ذلك، فعلمت أني قد بلغت النهاية وأنه ليس بعدها إلا الانحطاط، فبكيت لذلك فرققت له، وعلمت فضله، وقلت له: أما في أيامي فأنت آمن من ذاك، واعتقدت أن لا أنكبه، فلما رأى الربيع مترلته حسده، فجد في السعاية إلي به، والفساد بيننا، والحيلة عليه، إلى أن في أمر جرى ابنه وإقراره بالزندقة ما لم يسع معه إلا أن يقتل فقتله، وخفت أن يكون قد استوحش لذلك، فلم آمنه على نفسي، فاحتجت إلى صرفه فصرفته وكان الأمر على ظنه من النقصان بعد التناهي.

وفيها: غزا الغمر بن العباس الخثعمي في البحر.

وفيها: ولي نصر بن محمد الأشعث السند مكان روح بن حاتم، وشخص إليها، ثم عزل وولي مكانه محمد بن سليمان، فوجه إليها عبد الملك بن شهاب المسمعي، وأبا نصر بن محمد على السند، فرجع إلى عمله، وإنما أقام بها عبد الملك ثمانية عشر يوماً ورجع إلى البصرة. وفيها استقصى المهدي عافية بن يزيد الأزدي، فكان هو وابن غلاثة يقضيان في عسكر المهدي بالرصافة، وكان القاضي بالمدينة الشرقية عمر بن حبيب العدوي. وفيها: عزل الفضل بن صالح عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الصمد بن علي، وولي يزيد بن منصور سواد الكوفة، وحسان الشروري الموصل، وبسطام بن عمر أذربيجان. وفيها: صرف أبان بن صدقة عن هارون بن المهدي إلى موسى بن المهدي، وجعل كاتباً له ووزيراً، وجعل مكانه يحيى بن خالد بن برمك. وفيها: عزل محمد بن سليمان عن مصر في ذي الحجة، ووليها سلمة بن رجاء. وفيها: حج بالناس موسى بن المهدي وهو في عهد أبيه، وكان عامل مكة والطائف والمدينة جعفر بن سليمان، وعامل اليمن علي بن سليمان، وكان على صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندي. وعلى سوادها يزيد بن منصور.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

زند بن الجون، أبو دلامة الشاعر. قال المؤلف: ومن قال: زيد فقد صحف، وكان كوفياً أسود، مولى لبني أسد، وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له: قصاقص فأعتقه، أدرك آخر بني أمية، أعني أبو دلامة، لكن لم يكن له نباهة في أيامهم ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون نوادره، ومدح المنصور، وذكر قتل أبا مسلم فقال فيها:

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بنا خوفتني الأسد الورد

أبا مسلم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد

وأنشدها المنصور في محفل من الناس فقال: له عشرة آلاف درهم، فأمر له بها، فلما خلا به قال له: أما والله لو تعديتها لقتلتك. وقد قيل إ،المهدي بقي إلى خلافة الرشيد ولا يثبت. وكان مطبوعاً كثير النوادر. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكرٍ قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد قال: سمعت ثعلباً يقول: لما ماتت حمادة بنت عيسى امرأة المنصور، وقف المنصور والناس معه على حفرتها ينتظرون مجيء الجنازة وأبو دلامة، فأقبل عليه المنصور فقال: يا أبا دلامة ما أعددت لهذا المصرع؟ قال: حمادة بنت عيسى يا أمير المؤمنين، فأضحك القوم. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا ابن دريد قال: حدثنا ابن أخي الأصمعي قال: سمعت الأصمعي يقول: أمر المنصور أبا دلامة بالخروج نحو عبد الله بن علي فقال له أبو دلامة: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تحضرني شيئاً من عساكرك، فإني شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر. فضحك منه وأعفاه. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد قال: أخبرنا محمد بن محمد بن عمران قال: حدثنا تمام بن المنتصر قال: حدثنا أبو العيناء قال: أخبرني العتابي قال: دخل أبو دلامة على المهدي فطلب كلباً فأعطاه، ثم قائده فأعطاه، ثم دابة، ثم جارية تطبخ الصيد، فأعطاه قال: من يعولها، أقطعني ضيعة أعيش فيها وعيالي. قال: قد أقطعك أمير المؤمنين مائة جريب من العامر، ومائة من الغامر قال: وما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا ينبت، قال أبو دلامة: قد اقطعت أمير المؤمنين خمسمائة جريب من الغامر أرض بني أسد، قال: فهل بقيت لك من حاجة، قال: نعم قال: تأذن لي أن أقبل يدك، قال: ما إلى ذلك سبيل قال: والله ما رددتني عن حاجة أهون علي فقداً منها. أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الحاجي وحدثنا عنه محمد بن ناصر قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن سليمان الواسطي قال: أخبرنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد الفرضي قال: أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الواحد النحوي قال: حدثنا ثعلب، عن محمد بن سلام قال: لقي روح بن حاتم بعض الحروب فقال لأبي دلامة وقد دعاه رجل منهم إلى البراز تقدم إليه، قال: لست بصاحب قتال، قال: لتفعلن، قال: إني جائع فأطعمني، فدفع إليه خبزاً ولحماً، وتقدم فهم به الرجل فقال له أبو دلامة: اصبر يا هذا أي محارب تراني؟ ثم قال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: فهل أعرفك؟ قال: لا، قال: فما في الدنيا أحمق منا ودعاه للغداء فتغديا جمعياً وافترقا، فسأل روح عما فعل، فحدث فضحك، ودعا به، وسأله عن القصة فقال:

إني أعوذ بروح أن تقدمني إلى القتال فيخزي بي بني أسد

إن المهلب حب الموت ورثكم ولا ورثت لحب الموت من أحد

سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري.

من أهل الكوفة، ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك وسمع خلقاً كثيراً وكان من كبار أئمة المسلمين، لا يختلف في إمامته وأمانته وحفظه وعلمه وزهده. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال: حدثنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا سهل بن علي الدوري قال: حدثني الحسين بن علي بن يزيد الصدائي قال: حدثنا البراء بن رستم

قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: ما رأيت أفضل من سفيان الثوري، فقال له: يا أبا عبد الله رأيت سعيد بن جبير، وإبراهيم، وعطاء، ومجاهداً وتقول هذا؟ قال: هو ما أقول، ما رأيت أفضل من سفيان الثوري. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسين بن عمر بن برهان قال: حدثنا عبد الباقي بن قانع قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا عمرو بن علي قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما عاشرت في الناس رجلاً أرق من سفيان الثوري، وكنت أرمقه في الليلة بعد الليلة ينهض مرعوباً ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا الوليد بن بكر الأندلسي قال: حدثنا علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي قال: حدثنا صالح بن أحمد العجلي قال: حدثني أبي قال: دخل سفيان الثوري على المهدي فقال السلام عليكم، كيف أنتم. ثم جلس فقال: حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً، وأنت حججت، فأنفقت في حجتك بيوت الأموال قال: فأي شيء تريد، أكون مثلك؟ قال: فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه. فقال وزيره أبو عبيد الله: يا أبا عبد الله، قد كانت كتبك تأتينا فننفذها. قال: من هذا؟ قال: أبو عبيد الله وزيري. قال: احذره، فإنه كذاب، أنا كتبت إليك. ثم قام فقال له المهدي: إلى أين يا أبا عبد الله؟ قال: أعود، وكان قد ترك نعله حين قام، فعاد فأخذها ثم مضى، فانتظره المهدي فلم يعد، قال: وعدنا أن يعود فلم يعد، قيل: إنه عاد لأخذ نعله فغضب. وقال: قد آمن الناس إلا سفيان الثوري، ويونس بن فروة الزنديق، فإنه ليطلب وإنه لفي المسجد الحرام، فذهب فألقى نفسه بين النساء فجللنه، قيل له: لم فعلت؟ قال: إنهن أرحم ثم خرج إلى البصرة، فلم يزل بها حتى مات. فلما احتضر قال: ما أشد الغربة انظروا إلي هاهنا أحداً من أهل بلادي؟ فنظروا فإذا أفضل رجلين من أهل الكوفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر، والحسن بن عياش أخو أبي بكر، فأوصى إلى الحسن في تركته، وأوصى إلى عبد الرحمن بالصلاة عليه. توفي بالبصرة في هذه السنة. قال مؤلف الكتاب وقد أوردت أخبار سفيان الثوري في كتاب كبير، فلهذا اقتصرت هاهنا على هذا المقدار.

المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر. مدح المهدي وله أشعار. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: قرأت على الجوهري، عن أبي عبد الله المرزباني قال: أخبرني محمد بن العباس قال: ذكر المؤمل بين يدي المبرد، فقال: كانوا يقولون المؤمل البارد. فقال أبو العباس في شعره ذلك ولكنه شاعر، قال: أنشدني له عبد الصمد بن المعذل:

لا تغضبن على قوم تحبهم ... فليس ينجيك من أحبابك الغضب

ولا تخاصمهم يوماً وإن ظلموا ... إن القضاة إذا ما خوصموا غلبوا

يا جائرين علينا في حكومتكم ... والجور أعظم ما يؤتى ويرتكب

لسنا إلى غيركم منكم نفر إذا ... جرتم ولكن إليكم منكم الهرب

قال المرزباني: وأخبرني الصولي قال: يقال إن المؤمل لما قال:

شفى المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر

عمي فرأى في منامه إنساناً يقول له: هذا ما تمنيت في شعرك.

نصر بن مالك صاحب الشركة. توفي من فالج أصابه، ودفن في مقابر بني هاشم، وصلى عليه المهدي، وولي الشرطة بعده حمزة بن مالك.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

فمن الحوادث فيها: مقتل عبد السلام الخارجي بقنسرين، وكان قد خرج بالجزيرة وكثر بها اتباعه، واشتدت شوكته، فلقيه من قواد المهدي عدة فهزمهم، إلى أن بعث المهدي إليه جنوداً كثيرة، فهرب منهم إلي قنسرين فلحقوه فقتلوه بها.

وفيها: وضع المهدي دواوين الأزمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه، فولى عمر ابن بزيغ النعمان بن عثمان زمام خراج العراق. وفيها: أمر المهدي أن يجري على المجرمين وأهل السجون في جميع الآفاق. وفيها: خرجت الروم إلى الحدث فهدموا سورها. وفيها: غزا الحسن بن قحطبة الصائفة في ثمانين ألف مرتزق سوى المطوعة، فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من غير أن يلقى جمعاً أو يفتح حصناً، ثم قفل بالناس سالمين، وكان على قضاء عسكره وما تجمع من الفيء جعفر بن عمر بن عامر السلمي. وفيها: غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي باب قاليقلا فغنم، وافتتح ثلاثة حصون وأصابوا شيئاً كثيراً وأسرى. وفيها: عزل علي بن سليمان عن اليمن، وولي مكانه عبد الله بن سليمان، وعزل سلمة بن رجاء عن مصر ووليها عيسى بن لقمان في المحرم، ثم عزل في جمادى الآخرة ووليها واضح مولى المهدي، ثم عزل في ذي القعدة ووليها يحيى الحرشي. وفيها: ظهرت المحمرة بجرجان، وعليهم رجل يقال له: عبد القهار، فغلب على جرجان وقتل خلقاً كثيراً، فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان، فقتل عبد القهار وأصحابه. وفيها: حبس المهدي موسى بن جعفر: فرأى في المنام علي بن أبي طالب وهو يقول له: "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم" فأرسل إليه فأطلقه. وفيها: حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور، وكان العباس بن محمد استأذن المهدي في الحج بعد ذلك، فعاتبه أن لا يكون استأذنه قبل أن يولي الموسم أحداً فيوليه إياه، فقال: يا أمير المؤمنين، عمداً أخرت ذلك لأني لم أرد الولاية. وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها، غير أن الجزيرة كانت في هذه السنة إلى عبد الصمد بن علي وطبرستان والرويان إلى سعيد بن دعلج وجرجان إلى المهلهل بن صفوان. ومصر في آخر السنة إلى يحيى الحرشي كما تقدم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن أدهم العجلي كوفي. ليس بالزاهد المشهور، قدم مصر زائر لرشدين ين بن سعد حفظ عنه. توفي في هذه السنة، وقيل سنة ثلاث.

إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي واسم أبي إسحاق: عمر بن عبد الله الهمداني وسبيع الذي نسب إليه هو صعب بن معاوية بن كثير بن مالك، وإسرائيل: يكنى أبا يوسف، وهو كوفي. سمع جده أبا إسحاق، وسماك بن حرب، ومنصور بن المعتمر، والأعمش. روى عنه: وكيع، وابن مهدي وأبو نعيم. قال: يحيى ثقة، وقال علي: هو ضعيف. توفي في هذه السنة. وقيل: سنة إحدى وستين. وقيل سنة ستين.

سفيان بن حسين بن حسن مولى بني سليم. وقيل: مولى عبد الرحمن بن سمرة، ويكنى أبا محمد، ويقال: أبا الحسن. حدث عن الحسن البصري، وابن سيرين، والزهري، وكان ثقة. روى عن شعبة، وهشيم، ويزيد بن هارون، وكان من أهل واسط، فقدم إلى بغداد فضمه المنصور إلى المهدي، فعلمه وخرج معه إلى الري. وتوفي بالري في خلافة المهدي.

عباد بن عباد أبو عتبة الخواص. قال المؤلف: كذلك ذكره البخاري وغيره، وقد اشتهر بأبي عبيدة الخواص، كان من أهل الوجد

والشوق، وأسند الحديث عن الأوزاعي وغيره. أخبرنا أبو بكر العامري قال: حدثنا علي بن أبي صادق قال: أخبرنا ابن باكويه قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا أبو زكريا قال: حدثنا محمد بن ماهان الجويني قال: حدثنا محمد بن يحيى الأزدي قال: حدثنا عبد الأعلى بن سليمان قال: رأيت ابا عبيدة الخواص على سرته خرقة، وعلى رقبته خرقة، وهو يمشي ويقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه. أخبرنا سليمان بن مسعود قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن علي البيضاوي قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا عمر بن سعد قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا عبيد الله بن محمد قال: حدثنا عقبة بن فضالة قال: سمعت أبا عبيدة الخواص بعدما كبر وهو آخذ بلحيته يبكي ويقول: قد كبرت فأعتقني.

عيسى بن أبي عيسى

واسمه: ماهان، وكنيته: أبو جعفر التميمي. أصله من مرو، وسكن الري، ومات بها فنسب إليها، سمع عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وقتادة، ومنصور بن المعتمر، وغيرهم. حدث عنه شعبة، وجرير، ووكيع، وكان ثقة صدوقاً. لكن كان سيئ الحفظ، يهم كثيراً، وكان صديق سفيان فابتلي بأن صحبهم ولبس السواد، وزامل المهدي إلى مكة فهجره سفيان. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا البرقاني قال: أخبرنا محمد بن العباس قال: حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا أبو حفص عمر بن ياسر العطار، عن بشر بن الحارث قال: كان أبو جعفر الرازي صديقاً لسفيان الثوري، وكانت له نعه بضاعة، وكان يكثر الحج، فكان إذا قدم الكوفة تلقاه سفيان من القنطرة، فإذا خرج إلى مكة شيعه إلى النجف، فقدم سنة من السنين مدينة السلام، فاجتمع إليه الأضراء، فقالوا: يا أبا جعفر، تكلم لنا أمير المؤمنين فإنه قد ولى علينا رجلاً يقطع أرزاقنا، ويشيء فيما بيننا وبينه، فلم يجبهم إلى شيء فبلغ ذلك سفيان، فتلقاه على القنطرة وشيعه حتى جاوز النجف، وزاده في البر، فلما كان العام المقبل قدم أبو جعفر وهو يريد الحج، فاجتمع إليه الأضراء وكلموه بنا كلموه به في العام الماضي، فرق لهم، فأتى باب الذهب فقال للحاجب استأذن لي على أمير المؤمنين فأخبره أن بالباب أبا جعفر الرازي، فأسرع الرسول أن أدخل، فدخل على المنصور، فأكرمه بغاية الكرامة، وجعل يسأله عن أحواله ويسأله هل له حاجة، فقال: نعم، فقص عليه قصة الأضراء، فقال: يعزل عنهم كاتبهم، وولي عليهم من أحبوا، ونأمر لأبي جعفر بعشرة آلاف درهم لسؤاله إيانا هذه الحاجة، فلما صارت الدراهم بيده سقط في يديه، وعلم أنه قد أخطأ، فجلس بسور القصر، ثم دعا بخرق وجعلها صرراً، وفرقها على قوم، فنفض ثوبه وليس معه منها شيء، فبلغ ذلك سفيان الثوري، فلما دخل أبو جعفر الرازي الكوفة توارى سفيان فطلبه، فلم يقدر عليه، وسأل عنه، فلم يدل عليه فانتقض عليه لذلك بعض إخوان سفيان فقال له: ألك إليه حاجة؟ فقال: نعم، فقال: اكتب كتاباً وادفعه إلي أوصله لك إليه، فكتب كتاباً ودفعه إليه. قال: فصرت بالكتاب إلى سفيان، فإذا أنا به في غرفة وإذا هو مستلق على قفاه مستقبل القبلة، فسلمت عليه، وأظهرت الكتاب، وقلت: كتاب أبي جعفر الرازي، فقال: اقرأه، فقرأته، فقال لي: اكتب جوابه في ظهره. فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم: وقلت: ماذا أكتب؟ قال: اكتب "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود" إلى آخر الآية..، اردد إلينا بضاعتنا لا حاجة لنا في أرباحها. قال: فأتيته بالكتاب والناس إذ ذاك متوافرون بالكوفة، فنظر في الكتاب فأجمع رأيهم على أنهم يوجهون بكتابين إلى ابن أبي ليلى، ولا يعلمونه ممن الكتاب ولا من صاحب الجواب ليعرفوا ما عنده من الرأي، فوجهوا بالكتابين، فنظر فيهما، فقال: أما الأول: فكتاب رجل مداهن، وأما الجواب فجواب رجل يريد الله بفعله.

محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب. كان فاضلاً ديناً لبيباً مشهوراً بالجود والمروءة، وكان له اختصاص بالمنصور.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا عبيد الله بن أبي الفتح قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم البزاز قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أخبرني أبو العباس المنصوري، عن يحيى بن زكريا مولى علي بن عبيد الله عن أبيه قال: كان المنصور يعجب بنحمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس بؤانسته ومفاوضته ومداعبته ويلتذ لمحادثته، وكان أديباً لبيباً لسناً، وكان لحسن مترلته عند المنصور، وعظيم قدره عنده تفزع إليه الناس في حوائجهم فيكلمه فيها فيقضيها حتى أكثر عليه من الحوائج وأفرط فيها، فأمر الربيع أن يحجبه، فلما حجبه قعد في مترله أياماً فظمئ المنصور إلى رؤيته، وشوق إلى محادثته فقال: يا ربيع، إن جميع لذات مولاك قد اخلقن عنده ورثن في عينه سوى لذته من محادثة محمد بن جعفر، فإنها تتجدد عنده في كل يوم وقد كدرها علي ما يحملني عليه من حوائج الناس، فاحتل لمولاك فيما كدر عليه من لذته، فقال الربيع: أفعل يا أمير المؤمنين، وخرج من عنده، فأتى محمد بن جعفر فعاتبه على ما يحمل المنصور عليه من حوائج الناس ويسأله إعفاءه عن ذلك فنضح عن نفسه فيما عاتبه وأجابه أن لا يسأله حاجة لأحد وأمره بالغدو على المنصور، ورجع إلى المنصور فأعلمه بذلك، وبلغ قوماً من قريش قدموا العراق بحوائجهم ما كان من أمر محمد بن جعفر ومن الربيع، وأنه عازم على الغدو على المنصور فكتبوا حوائجهم في رقاع ووقفوا بها على طريق محمد بن جعفر . فلما غدا يريد المنصور له عليه بها ومتوا إليه بقراباتهم، وتوسلوا بأرحامهم . وسألوه إيصال رقاعهم إليه فاعتذر إليهم وسألهم أن يعفوه من ذلك فأبوا وألحوا عليه، فقال: لست أكلم المنصور في حاجة لأحد، فإن أحببتم أن تودعوا رقاعكم كمي فافعلوا فقدموا رقاعهم في كمه، ومضى حتى دخل على المنصور وهو في القبة الخضراء مشرف على مدينة السلام ودجلة والصراة وما حولها من البساتين والمزارع فعاتبه، فنفح عن نفسه، ثم حادثه ساع، فقال له المنصور: أما ترى حسن مستشرفنا هذا؟ قال: أرى يا أمير للؤمنين فبارك الله لك فيما آتاك وهنأك بإتمام النعمة عليك فيما أعطاك، فما بنت العرب في دولة الإسلام والعجم في مدة الكفر مدينة أحصن ولا أحسن ولا أجمع للخصال المحمودة منها، وقد سمجتها في عيني يا أمير المؤمنين خصلة، قال: وما هي؟ قال: ليس لي فيها ضيعة. فتبسم، ثم قال: فإني أحسنها في عينك بثلاث ضياع أقطعك في أكنافها فاغد على أمير المؤمنين يسجل لك بها، فقال: أنت والله يا أمير المؤمنين سهل الموارد، كريم المصالح، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، فلقد بررت فأفضلت، ووصلت فأجزلت، وأنعمت فأسبغت فبدت الرقاع من كمه وهو يتشكر له، فأقبل يردهن في كمه ويقول: لترجعن خاسئات، فضحك يعني الخليفة وقال: بحق أمير المؤمنين عليك لما أخبرت خبر هذه الرقاع، فأعلمه. فقال: أبيت يا ابن معلم الخير إلا كرماً، فف للقوم بضمانك وألقها عن كمك لننظر في حوائجهم، فطرحها بين يديه فتصفحها ثم دفعها إلى الربيع، ثم التفت إليه، فتمثل بقول امرئ القيس:

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوماً على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال: قد قضى أمير المؤمنين حوائجهم، فأمرهم بلقاء الربيع، قال محمد: فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

فمن الحوادث فيها:

هلاك المقنع، وذلك أن سعيداً الحرشي حصره بكش فاشتد عليه الحصار، فلما أحس بالهلكة شرب سماً وسقاه نساءه. فمات ومتن، فدخل المسلمون قلعته فاجتروا رأسه ووجهوا به إلى المهدي. وفيها: قطع المهدي البعوث للصائفة على جميع الأجناد من أهل خراسان وغيرهم، وخرج فعسكر بالبردان فأقام بها نحواً من شهرين ويعطي الجنود، وأخرج بها صلات لأهل بيته الذين خرجوا معه. وتوفي عيسى بن علي في آخر جمادى الآخر. وخرج المهدي من الغد من البردان متوجهاً إلى الصائفة، واستخلف بمدينة السلام ابنه موسى، وكاتبه يومئذ أبان بن صدقة، وعلى خاتمه عبد الله بن علاثة، وعلى حرسه علي بن عيسى، وعلى شرطته عبد الله بن خازم، وإنما خرج مشيعاً لولده هارون، وضم إليه الربيع، والحسن بن قحطبة، وخالد بن برمك، والحسن وسليمان ابني برمك. ووجه معه على أمر العسكر ونفقاته والقيام مع ابنه هارون بإمرة يحيى بن خالد، وكان أمر هارون كله إليه، ففتح الله عليهم فتوحاً كثيرة.

وفي مسيرة المهدي مع ابنه هارون عزل عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالي. وكان السبب أن المهدي سلك في سفرته هذه طريق الموصل وعلى الجزيرة عبد الصمد، فلما بلغ أرض الجزيرة ولم يتلقه عبد الصمد ولا هيأ له، ولا أصلح القناطر، فاضطغن ذلك عليه، فلما لقيه تجهمه وأظهر له جفاء فبعث إليه عبد الصمد بألطاف لم يرضها، فردها وأزداد عليه سخطاً، وأغلظ له، فرد عليه عبد الصمد، فأمر بحبسه وعزله عن الجزيرة، ولم يزل في حبسه إلى أن رضي عنه. وأتي المهدي وهو بحلب بزنادقة فقتلهم وصلبهم وقطع كتباً كانت معهم، ثم عرض بها جنده، وأمر بالرحلة وأشخص جماعة ومن وافاه من أهل بيته مع ابنه هارون إلى الروم وشيع المهدي ابنه هارون حتى قطع الدروب، وبلغ جيحان وارتاد بها المدينة التي تسمى المهدية، وودع هارون على نهر جيحان، فسار هارون حتى نزل رستاقاً من رساتيق أرض الروم، فيه قلعة، فأقام عليها ثمانياً وثلاثين ليلة، ونصب عليها المجانيق، ففتحها الله تعالى بعد أن أصاب الناس يعني أهلها عطش وجوع، وأصاب المسلمون قتل وجراح، وقفل هارون بالمسلمين. وفي هذه السفرة صار المهدي إلى بيت المقدس فصلى فيه.

وفيها: ولى المهدي ابنه هارون المغرب كله وأذربيجان وأرمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك. وفيها: عزل زفر بن عاصم، عن الجزيرة، وولى مكانه عبد الله بن صالح بن علي. وعزل معاذ بن مسلم عن خراسان، ووليها المسيب بن زهير، وعزل يحيى الحرشي عن أصبهان، وولي الحكم بن معبد مكانه.

وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان، ووليها عمر بن العلاء. وعزل مهلهل بن صفوان عن جرجان، ووليها هشام بن سعيد. وفيها: حج بالناس علي بن المهدي. وكان على مكة والمدينة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان وعلى الصلاة والأحداث بالكوفة إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى قضائها شريك، وعلى البصرة وأعمالها، وكور دجلة والبحرين، وعمان، وكور الأهواز، وكور فارس: محمد بن سليمان، وعلى خراسان المسيب بن زهير، وعلى السند نصر بن محمد بن الأشعث.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن طهمان، أبو سعيد الخراساني. ولد بهراة، ونشأ بنيسابور، ورحل في طلب العلم، فلقي جماعة من التابعين مثل: عبد الله بن دينار مولى ابن عمر، وأبي الزبير محمد بن مسلم، وعمرو بن دينار، وأبي حازم الأعرج، وأبي إسحاق الشيباني. وورد بغداد وحدث بها، ثم انتقل إلى مكة فسكنها إلى آخر عمره. وكان ثقة صالحاً ديناً جواداً، وكان يميل إلى الإرجاء. أخبرنا أبو منصور

القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بكير قال: أخبرنا الحسين بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن ياسين قال: سمعت إسحاق بن محمد يقول: قال مالك بن سليمان كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال فاخرة، وكان يسخو بذلك، فسئل يوماً مسألة في مجلس الخليفة فقال: لا أدري. فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة؟ قال: إنما آخذه على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا أحسن. فأعجب أمير المؤمنين جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن نعيم قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد الفقيه قال: حدثنا محمد بن صالح الصيمري قال: حدثنا أبو زرعة قال: سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان، وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون متكئ، ثم قال أحمد: حدثني رجل من أصحاب ابن المبارك، قال: رأيت ابن المبارك في المنام ومعه شيخ مهيب، فقلت: من هذا معك؟ قال: أما تعرف؟ هذا سفيان الثوري. قلت: من أين أقبلتم؟ قال: نحن نزور كل يوم إبراهيم بن طهمان. قلت: وأين تزورونه؟ قال: في دار الصديقين، دار يحيى بن زكريا. توفي إبراهيم بن طهمان بمكة في هذه السنة.

جرير بن عثمان بن عفان بن خبير بن أحمد بن أسعد بن عثمان وقيل: أبو عون الرحبي الحمصي. سمع عبد الله بن بشير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقاً كثيراً من التابعين. روى عنه: إسماعيل بن عياش، وبقية، ويزيد بن هارون، واتفق العلماء على أنه ثقة ثبت لكنه اتهموه بأنه كان ينتقض لعلي بن أبي طالب عليه السلام. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي قال: أخبرنا أحمد بن أبي جعفر قال: أخبرنا يوسف بن أحمد الصيدلاني قال: حدثنا محمد بن عمرو العقيلي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا الحسن بن علي الخولاني قال: حدثنا عثمان بن أبان قال: سمعت جرير بن عثمان يقول لأخيه: قتل إياي يعني علياً عليه السلام . أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن أبان الهيتي قال: أخبرنا الحسين بن عبد الله بن روح الجواليقي قال: حدثني هارون بن رضى مولى محمد بن عبد الرحمن بن إسحاق القاضي قال: حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: رأيت رب العزة تعالى في المنام، فقال لي: يا أبا يزيد لا تكتب عن جرير بن عثمان، فقلت: يا رب ما علمت منه إلا خيراً، فقال لي: يا أبا يزيد لا تكتب عنه فإنه يسب علياً.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد الأزرق قال: حدثنا محمد بن الحسين النقاش قال: مسيح بن حاتم قال: حدثنا سعيد بن شادي الواسطي قال: كنت في مجلس أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هارون في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وعاتبني، فقلت: غفر لك ورحمك وعاتبك، فقال: نعم، قال لي: يا يزيد بن هارون كتبت عن جرير بن عثمان؟ قلت: يا رب العزة ما علمت إلا خيراً، قال: إنه كان يبغض أبا الحسن علي بن أبي طالب. قال المؤلف : وقد روينا من طريق آخر قال: والله ما سببته قط وإني أترحم عليه. توفي في هذه السنة، وقيل: في سنة ست وستين.

سليمان بن القاسم بن عبد الرحمن مولى قريش، ثم مولى لبني سهم. روى عنه: عبد الله بن وهب وغيره، وكان من العابدين الزهاد. توفي في هذه السنة.

عثمان بن الحكم الجذامي. روى عن موسى بن عقبة وغيره، وكان فقيهاً متديناً، عرض عليه القضاء بنصر فلم يقبل. وكان الليث أشار بولايته فهجر الليث لذلك. توفي في هذه السنة.
عبد الحميد بن سالم مولى مهرة. روى عنه ابن وهب مقطعات، وكان كاتباً في ديوان مصر في خلافة بني أمية. قال المؤلف : وليس بعبد الحميد الذي يضرب به المصل في الكتابة ذلك كما ذكرنا توفي قبل هذا. وهذا توفي في هذه السنة.
عبد الرحمن بن خالد بن يزيد أبو الحسن مولى بني جمح روى عنه: الليث، وابن وهب، ورشدين بن سعد، وكان فقيهاً وهو أول من قدم بمسائل مالك إلى مصر. وتوفي بالإسكندرية في هذه السنة.
عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح المنصور حدث عن أبيه، وروى عنه: شيبان بن عبد الرحمن التميمي، وإليه ينسب ببغداد قصر عيسى ونهر عيسى.
قال يحيى بن معين: كان له مذهب جميل، وكان معتزلاً للسلطان.

أخبرنا القزاز: قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أنبأنا إبراهيم بن مخلد قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخطبي قال: توفي عيسى بن علي في سنة ثلاث وستين ومائة، وصلى عليه موسى بن المهدي، ومشى في جنازته من قصر عيسى إلى مقابر قريش، وكان سنه ثمانياً وسبعين سنة رحمه الله. وفي رواية: أن المهدي عسكر بالبردان في سنة أربع وستين يريد لاشام، وتوفي عيسى، فرجع من عسكره فصلى عليه في مقابر قريش، وعاد إلى عسكره.
عبيد بنت أبي كلاب. بكت من خشية الله عز وجل أربعين سنة حتى ذهب بصرها.
أخبرنا عبيد الله بن علي المقرئ قال: أخبرنا الحسين بن أحمد بن طلحة قال: أخبرنا محمد بن عبيد الله الحنائي قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الختلي قال: حدثنا عبد الله بن معلى الكوفي، عن يحيى بن بسطام قال: حدثني سلمة الأفقم قال: قلت لعبيدة بنت أبي كلاب ما تشتهي؟ قالت: الموت، قلت: ولم؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة. أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن هبة الله قال: أخبرنا ابن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني عيسى بن مرحوم قال: حدثني عبيدة بنت أبي كلاب قالت: رأيت رابعة في المنام، قلت: ما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب؟ قالت: هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قلت: وبن وقد كنت عند الناس أكبر منها. قلت: إنها لم تكن تبالي على ما أصبحت من الدنيا وأمست.
محمد بن النضر الحارثي، ويكنى أبا عبد الرحمن. كان كثير التعبد مؤثراً للعزلة. أخبرنا أبو بكر العامري قال: حدثنا ابن أبي صادق قال: أخبرنا ابن باكويه قال: حدثنا محمد بن يوسف بن إبراهيم قال: حدثنا سعيد بن عمر قال: حدثنا عبد الله بن محمد الكرماني، عن أبي أسامة قال: قلت: لمحمد بن النضر كأنك تكره أن تزار قال: أجل، قلت: أما تستوحش؟ قال: كيف استوحش وهو يقول: "أنا جليس من ذكرني"!؟ موسى بن علي بن رباح قيصر بن القشب أبو عبد الرحمن اللخمي أمير مصر لأبي جعفر المنصور. ولد بأفريقية سنة تسعين، قدم وافداً على هشام بن عبد الملك سنة عشرة ومائة. وكان يخضب بالسواد. روى عنه: الليث بن سعد، وابن المبارك، وابن وهب. توفي بالإسكندرية في هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة عبد الكريم بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، فأقبل إليه بطريق في تسعين ألفاً، فعجز عبد الكريم فانهزم، فأراد المهدي ضرب عنقه فكلم فيه فحبسه. وفيها: بنى المهدي بعيساباذ الكبرى قصراً من لبن إلى أن أسس قصره الذي بالآجر، وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة. وفيها: عزل المهدي محمد بن سليمان عن أعماله ووجه صالح بن داود على ما كان إلى محمد بن سليمان. أنبأنا محمد بن عبد الملك قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مصعب قال: لما بنى المهدي عيساباذ نزل منزله بها، فأمر أن يكتب له أبناء المهاجرين وأبناء الأنصار، فكتبوا ودعا نقباءهم وجلس مجلساً عاماً لهم، ففرق فيهم ثلاثة آلاف ألف درهم، فأغنى كل عائل، وجبر كل كسير، وفرج عن كل مكروب، ثم قامت الخطباء فخطبت، ودخل الشعراء فأنشدوا ففرق فيهم خمسمائة ألف درهم، ثم دعا بغدائه، وحضر خاصته وبطانته، وأهل المراتب من قوداه فطعموا فلم ينصرف واحد منهم إلا بحباء وكرامة، فكثر الدعاء له في الطرقات والبوادي، وقال الناس: هذا مفتاح الخير، هذا مهدي هذه الأمة الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم. وقام في هذا اليوم مروان بن أبي حفصة فأنشده:

ما يلمع البرق إلا حسن مغترب ... كأنه من دواعي شوقه وصب

مجالس الأنس غيثاً طل وابله ... علي من راحة المهدي ينسكب

شمساً فما اختطفتنا من مخايله ... سحابة صوبها الأوراق والذهب

صدقت يا خير مأمول ومعتمد ... ظني بأضعاف ما قد كنت أحتسب

أعطيت سبعين الفاً غير متبعها ... مناً ولست بنانٍ بنا تهب

قد لاح للناس بالمهدي نور هدىً ... يضيء والصبح في الظلماء محتجب

خليفة طاهر الأثواب معتصم ... بالحق ليس له في غيره أدب

وفيها: شخص المهدي حين أسس هذا القصر إلى الكوفة حاجاً فأقام برصافة الكوفة أياماً ثم خرج متوجهاً إلى الحج حتى انتهى إلى العقبة، فعرف قلة الماء، وأخذته حمى، فرجع من العقبة، وعطش الناس فغضب على يقطين لأنه كان صاحب المصانع، فرجع المهدي وبعث أخاه صالح بن المنصور فحج بالناس.

وفيها: عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطة، ووجه من يستقبله ويفتش متاعه ويحصي ما معه، ثم حبسه عند الربيع حين قدم حتى أقر من المال والجوهر والعنبر، بنا أقربه، واستعمل مكانه بن يزيد. وكان العامل على مكة والمدينة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان، وعلى اليمن منصور بن يزيد، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس صالح بن داود بن علي. وعلى خراسان المسيب بن زهير، وعلى الموصل محمد بن الفضل، وعلى قضاء البصرة عبيد الله بن الحسن، وعلى مصر إبراهيم بن صالح، وعلى إفريقية يزيد بن خالد، وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشي، وعلى الري خلف بن عبد الله.

حماد الراوية: وهو حماد بن ميسرة مولى بني شيبان، وقيل: هو حماد بن سابور. وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها. وكانت بنو أمية تقدمه وتسني عطاءه، ودخل على المنصور والمهدي. وروى المدائني أن الوليد بن يزيد قال لحماد: لم سميت الراوية، وما بلغ من حفظك حتى استحقيت هذا الاسم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب تجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة. فقال: هات، فأنشد حتى مل الوليد، ثم استخلف من يسمع منه حتى وفاه ما قال فأجزل صلته.

وفي رواية أنه أنشده ألفين وسبعمائة قصيدة للجاهلية، فأمر له بمائة ألف درهم، وقال الطرماح: أنشدت حماد الرواية قصيدة لي ستين بيتاً فسكت ساعة ثم قال: أهذه لك؟ قلت: نعم. قال: ليس الأمر كذلك، ثم ردها علي كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها في وقته. قال: إسحاق بن إبراهيم الموصلي: دخل مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد على حماد الراوية، فإذا سراجه على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين فقال يحيى: يا حماد إنك لمسرف متبذل، تحر المتاع، فقال له مطيع: ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقل منها ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع فقال له يحيى: ما أحسن ظنك به ومن أين له هذه المنارة؟ هذه وديعة، أو عارية، فقال مطيع: إنه لعظيم الأمانة عند الناس. قال لا يحيى: وعلى عظم أمانته فما أجمل من يخرج هذه من داره ويأمن عليها غيره. قال مطيع، ما أظنها عارية ولا وديعة، ولكني أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يخرج هذه من بيته؟ فقال حماد: شر منكما من يدخلكما إلى بيته. وقال الجاحظ: كان حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد ووالبه بن الحباب وبشار بن برد اللاحقي كلهم كان متهماً في دينه.

شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية التميمي المؤدب البصري وذكر أبو أحمد العسكري أن شيبان النحوي ينسب إلى بطن يقال لهم بنو نحو بن شمس، بضم الشين من بطن من الأزد. وقال أبو الحسين بن المنادي: المنسوب إلى القبيلة التي يقال لها نحو هو يزيد النحوي لا شيبان. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت أخبرني عبد الله بن يحيى السكري قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا جعفر بن محمد الأزهر قال: حدثنا ابن الغلابي، عن يحيى بن معين قال: كان شيبان بن عبد الرحمن ثقة، وكان مؤدباً لسليمان بن داود الهاشمي وكان أصله من البصرة فانتقل إلى الكوفة.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: حدث شيبان عن الحسن البصري، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير.

وتوفي ببغداد في هذه السنة، ودفن في مقابر قريش بباب التبن، كذلك قال ابن سعد. وقال يحيى بن معين: دفن في مقابر الخيزران.

شبيب بن شيبة، أبو معمر الخطيب المنقري البصري.

حدث عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وهشام بن عروة. روى عن عيسى بن يونس، والأصمعي، وغيرهما. وقدم بغداد في أيام المنصور. فاتصل به ثم بالمهدي من بعده وكان مقدماً عندهما. وقال له المنصور عظني وأوجز فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض من نفسه بأن يجعل فوقك أحداً من خلقه، فلا ترضى له من نفسك بأن يكون عبداً له أشكر منك، فقال: والله لقد أوجزت.

وخرج من دار المهدي فقيل له: كيف تركت الناس فقال: تركت الداخل راجياً والخارج راضياً. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى قال:

حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد، عن موسى بن إبراهيم قال: كان شبيب بن شيبة يصلي بنا الصبح يوماً وقرأ السجدة "وهل أتى"، ولما قضى الصلاة قام رجل فقال: لا جزاك الله عني خيراً، فإني كنت غدوت لحاجة فلما أقمت الصلاة دخلت اصلي فأطلت الصلاة حتى فاتتني حاجتي. قال: وما حاجتك؟ قال: قدمت من الثغر في شيء فيه مصلحته، وكنت وعدت البكور إلى الخليفة لأتنجز ذلك قال: فأنا أركب معك، فركب معه، ودخل على المهدي فأخبره الخبر وقص عليه القصة، قال: فيريد ماذا؟ قال: يقضي حاجته، فقضى حاجته وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفعها إلى رجل، ودفع إليه شبيب من ماله أربعة آلاف درهم، وقال له: لم تضرك السورتان. قال مؤلف الكتاب رحمه الله: كان شبيب بن شيبة فصيحاً ذا لسان، لكنه كان يخطئ في العربية أحياناً. أخبرنا محمد بن الحسين المرزباني بإسناده عن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري قال: أخبرنا أبي قال: أخبرنا عبيد بن ذكوان، عن الرياشي قال: توفي ابن لبعض المهالبة فأتاه شبيب بن شيبة المنقري يعزيه وعنده بكر بن حبيب السهمي، فقال شبيب: بلغنا أن الطفل لا يزال محتبطاً على باب الجنة يشفع لأبويه فقال بكر: إنما هو محتبطاً بالطاء غير المعجمة. فقال شبيل القول لي هذا وما بين لابتيها أفصح مني، فقال بكر: وهذا خطأ، تأتي ماء البصرة واللوب أهلك، غيرك قولهم: ما بين لابتي المدينة يريدون الحرة، قال أبو أحمد: الحرة أرض تركبها حجارة سود، وهي اللابة والجمع لابات، فإذا أكثرت فهي اللوب، وللمدينة لابتان من جانبيها، وليس للبصرة لابة ولا حرة. قال: وقال أبو عبيد: المحتبطي بغير همز: المتعصب المستبطئ للشيء والمحتبطىء بالهمز: العظيم البطن المنتفخ. وقد تكلم أصحاب الحديث في شبيب. سئل ابن المبارك أنأخذ عن شبيب؟ فقال: خذوا عنه، فإنه أشرف من أن يكذب. وقال الساجي: هو صدوق يهم. وقال أبو علي صالح بن محمد. هو صالح الحديث. فأما ابن معين فقال: ليس بثقة. وقال أبو داود: ليس بشيء.

عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون واسم أبي سلمة: ميمون مولى آل الهدير التيمي، وكنيته عبد العزيز أبو عبد الله.

وقيل: أبو الأصبغ. سمع الزهري، وابن المنكدر، وأبا حازم وغيرهم. روى عنه: وكيع، وابن مهدي، ويزيد بن هارون، وكان عالماً فقيهاً صدوقاً ثقة ثبتاً. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: حدثنا محمد بن العباس قال: أخبرنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب قال: سمعت الحربي يقول: الماجشون فارسي وإنما سمي الماجشون لأن وجنتيه كانتا حمراوين. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا العتيقي قال: حدثنا علي بن محمد العطار قال: حدثنا عبد الله بن أبي داود قال: حدثنا أبو طاهر قال: حدثنا ابن وهب قال: حججت سنة ثمان وأربعين وصائح يصيح. لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وعبد العزيز بن أبي سلمة. أخبرنا عبد الرحمن قال: حدثنا أحمد بن علي قال: أخبرني الحسين بن أبي طالب قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمران قال: حدثنا يحيى بن عبد الله العطار قال: حدثني أبو إبراهيم أحمد بن سعيد الزهري قال: سمعت عمرو بن خالد الحراني يقول: حج أبو جعفر المنصور فشيعه المهدي، فلما أراد الوداع قال: يا بني استهدني قال: استهدتك رجلاً عاقلاً، فأهدى له عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون. توفي عبد العزيز ببغداد في هذه السنة. وجاء المهدي حتى صلى عليه في خلافته ودفن في مقابر قريش.

المبارك بن فضالة بن أمية، أبو فضالة مولى زيد بن الخطاب

حدث عن الحسن بن أبي الحسن البصري، وثابت، وحميد الطويل، وخلق كثير. روى عنه: يزيد بن هارون وعفان وعلي بن أبي الجعد. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عبيد الله الحربي قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي قال: حدثنا معاذ بن المثنى قال: حدثنا سوار قال: حدثنا أبو أمية قال: حدثنا مبارك بن فضالة قال: إني يوماً

لعند أبي جعفر إذ أتي برجل فأمر بقتله، فقلت في نفسي: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن قال: وماهو؟ قلت: سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد حيث يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر فيقوم مناد من عند الله تعالى فيقول: ليقومن من له على الله يد فلا يقوم إلا من عفا".

فأقبل علي فقال: آلله سمعته من الحسن؟ فقلت: آلله سمعته من الحسن، فقال: خليا عنه.

قال المؤلف اختلف كلام يحيى بن معين في المبارك فقال مرة: صالح. وقال مرة: ثقة، وقال مرة: ضعيف.

توفي المبارك في هذه السنة. وقيل في سنة ست وستين.

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

فمن الحوادث فيها: غزوة هارون بن المهدي الصائفة من أرض الروم، وجهه أبوه في يوم السب لإحدى عشر ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازياً إلى بلاد الروم، وضم إليه الربيع مولاه فأوغل هارون في بلاد الروم فلقيته خيول فقاتلها فانهزمت، وسار هارون في خمسة وسبعين ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعين، وحمل من الفيء مائة ألف دينار وثلاثة وسبعين ألفاً وأربع مائة وخمسين ديناراً، ومن الورق أحد وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم، وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ امرأة أليون، وذلك أن زوجها هلك وابنها صغير، فكان في حجرها فجرت بينها وبين هارون رسل وسفراء في طلب الصلح والموادعة وإعطاء الفدية، فقبل ذلك منها هارون، وشرط عليها الوفاء بنا أعطت، وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في طريقه، وذلك أنه دخل مدخلاً ضيقاً مخوفاً على المسلمين، فأجابته إلى ما سأل، والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها سبعون ألف دينار تؤديها في نيسان في أول سنة، وفي كل سنة في حزيران، فقبل ذلك منها، وكتبوا كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين، وسلمت الأسارى، فكان الذي أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستمائة وثلاثة وأربعين رأساً، وقتل من الأسارى ألفان وسبعون أسيراً صبراً ، وأفاء الله عليه من الدواب الذلل بأدواتها عشرين ألفاً، وذبح من البقر والغنم مائة ألف، وكانت المرتزقة سوى المطوعة وأهل الأسواق مائة ألف. وفيها: عزل خلف بن عبد الله عن الري ووليها عيسى مولى جعفر. وفي هذه السنة: تزوج الرشيد زبيدة بنت جعفر بن المنصور وبنى بها، وسقط ببغداد ثلج قام في الأرض نحو ذراعين. وفيها: حج بالناس صالح بن أبي جعفر المنصور، وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة الماضية، غير أن العامل على أحداث البصرة والصلاة بأهلها كان روح بن حاتم، وعلى كور دجلة، والبحرين، وعمان، وكسكر، وكور الأهواز، وفارس، وكرمان المعلى مولى أمير المؤمنين، وعلى السند الليث مولى المهدي أمير المؤمنين.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الياقوتة بنت المهدي: توفيت فجزع عليه جزعاً شديداً، فدخل عليه شبيب بن شيبة فأنشده يقول:

فحسبي بقاء الله من كل ميت ... وحسبي ثواب الله من كل هالك

إذا كان رب العرش عني راضياً ... فإن شفاء النفس فيما هنالك

فدعا بالطعام ثم أكل.

داود بن نصير الطائي الكوفي.

سمع عبد الملك بن عمير، والأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم. روى عنه: ابن علية، وأبو نعيم، وغيرهما، وكان قد اشتغل بالعلم والفقه، ثم انقطع إلى العبادة ولازم المجاهدة، وقدم بغداد في أيام المهدي، ثم عاد إلى الكوفة وبها كانت وفاته. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن الفضل السلمي، قال: حدثنا أبو عمران موسى بن العباس الجويني قال: حدثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال: حدثنا عبيد بن جناد قال: سمعت عطاء يقول: كان لداود الطائي ثلاثمائة درهم فعاش بها عشرين سنة ينفقها على نفسه، وكنا ندخل على داود فلك يكن في بيته إلا بارية، ولبنة يضع عليها رأسه وإجانة فيها خبز، ومطهرة يتوضأ منها ومنها يشرب.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: قال أبو سليمان الداراني. ورث داود الطائي من أمه داراً، فكان ينتقل في بيوت الدار كلما خرب بيت من الدار انتقل منه إلى آخر و لم يعمره، حتى أتى على عامة بيوت الدار.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا ابن رزق قال: أخبرنا جعفر الخالدي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا إسماعيل بن زبان قال: قالت داية لداود: يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز؟ قال: يا داية، بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

توفي في هذه السنة. وقيل في سنة ستين.

عبد الله بن العلاء بن زبر بن عطاء أبو زبر العجلي الدمشقي ولد سنة خمس وسبعين، وحدث عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم والزهري، ومكحول. روى عنه: ابن الوليد بن مسلم وشبابة، وكان ثقة. توفي في هذه السنة.

رواد العجلي. عاهد الله سبحانه أن لا يضحك حتى يراه. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا علي بن أحمد الملطي قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف قال: حدثنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا عمر بن حفص قال: حدثنا سكين بن مسكين قال: كانت بيننا وبين رواد قرابة، فسألت أختاً له كانت أصغر منه؟ كيف كان ليله؟ قالت: يبكي عامة الليل ويصرخ. قلت: فما كان طعامه؟ قالت: قرصاً من أول الليل وقرصاً في آخره عند السحر، قلت: فتحفظين من دعائه شيئاً. قالت: نعم، كان إذا كان السحر أو قريب من طلوع الفجر سجد، ثم بكى، ثم قال: مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك فأعنه عليها بتوفيقك. مولاي عبدك يحب اجتناب خطيئتك فأعنه على ذلك بننك. مولاي عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح بخيرك الفائزون. قالت: فلا يزال على هذا ونحوه حتى يصبح، قالت: وكان قد كل من الاجتهاد جداً وتغير لونه. قال سكين: فلما مات رواد وحمل إلى حفرته نزلوا ليدلوه في حفرته فإذا اللحد مفروش بالريحان، وأخذ بعض القوم من ذلك الريحان شيئاً فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير، يغدوا الناس ويرحون وينظرون إليه قال فكثر الناس في ذلك حتى خاف الأمير أن يفتتن الناس فأرسل إلى الرجل، فأخذ ذلك الريحان وفرق الناس، وفقده الأمير من مترله لا يدري كيف ذهب.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

فمن الحوادث فيها: قدوم هارون ومن معه من خليج القسطنطينية في المحرم لثلاث عشرة ليلة بقيت فيه. وقدمت الروم بالجزية معهم، وجاءوا مع المال بثلاثين ألف رطل من المرعزي. وفيها: أخذ المهدي البيعة لهارون على قواده بعد موسى بن المهدي، وسماه الرشيد. وفيها: اعتمر المهدي عمرة في شهر رمضان، وأفطر بالمدينة، وصلى بهم في الفطر، و استقضى أبا سفيان. وفيها: عزل عبيد بن الحسن عن قضاء البصرة، وولى مكانه خالد بن طليق بن عمران بن حصين، فلم تحمد ولايته، واستعفى أهل البصرة منه. وفيها: عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة وما كان إليه من العمل. وفيها: سخط المهدي على يعقوب بن داود. وكان سبب سخطه: أن داود بن طهمان وهو أبو يعقوب كان كاتباً لنصر بن سيار، وقد كتب قبله لبعض ولاة خراسان، فلما كانت أيام يحيى بن زيد أتاه طهمان مطمئناً لما بينه وبينه، فآمنه أبو مسلم فلم يعرض نفسه، وأخذ أمواله التي استفادها أيام نصر، ونزل منازله بمرو وضيعة كانت له ميراثاً، فلما مات داود خرج ولده أهل أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم، ونظروا فإذا ليس لهم عند بني العباس مترلة فلم يطمعوا في خدمتهم لأجل أن أباهم كان كاتباً لنصر، فلما رأوا ذلك أظهروا مقالة الزيدية ودنوا من آل الحسين وطمعوا أن يكون لهم دولة فيعيشوا فيها. وكان يعقوب يجوب البلاد منفرداً بنفسه ومعه إبراهيم بن عبد الله أحياناً في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله، فلما ظهر محمد وإبراهيم كتب علي بن داود وكان أسن من يعقوب لإبراهيم بن عبد الله وخرج يعقوب مع عدة من إخوته مع إبراهيم، فلما قتل محمد وإبراهيم تواروا من المنصور، فجد في طلبهم، فأخذ يعقوب وعلياً فحبسهما أيام حياته، فلما توفي المنصور من عليهما المهدي فيمن من عليه بتخلية سبيله، وكان معهما في السجن إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن، وكانا لا يفارقانه ولا يفارقان إخوته المحبوسين معهم، فجرت بينهم بذلك صداقة، فلما خلى المهدي سبيل يعقوب مكث مدة يطلب عيسى بن زيد والحسن بن إبراهيم بن عبد الله، هرب الحسن من حبسه، فقال المهدي يوماً: لو وجدت رجلاً من الزيدية له معرفة بآل الحسن وبعيسى بن زيد، وله فقه، فأجتلبته إلى طريق الفقه، ويدخل بيني وبين أهل حسن وعيسى، فدل على يعقوب فأتى به فدخل عليه ذو عمامة كرابيسي وكساء أبيض غليظ فكلمه فوجده رجلاً كاملاً، فسأله عن عيسى بن زيد فوعد الدخول بينه وبينه وارتفع أمره عند المهدي وممن أرفع به استأمنه للحسن بن إبراهيم فجمع بينهما بمكة وما زال يعلو أمره عنده حتى استوزره، وفوض إليه الخلافة، فأرسل إلى الزيدية فأتى بهم من كل أوب، وولاهم من أمر الخلافة في الشرق والغرب كل عمل نفيس. ومال يعقوب إلى إسحاق بن الفضل فقيل للمهدي لو أراد أخذ له الدنيا في يوم. فملأ ذلك قلب المهدي عليه. ودخل عليه يوماً فقال: يا أمير المؤمنين، قد عرفت اضطراب مصر فأمرتني أن ألتمس لها رجلاً يجمع أمرها وقد أصبته، قال: من هو؟ قال: ابن عمك إسحاق بن الفضل، فرأى في وجه المهدي التغير، فنهض و أتبعه المهدي طرفه، وقال: قتلتني والله إن لم أقتلك. و لم يزل موالي المهدي يحرضونه عليه، ودخل عليه يوماً وهو في مجلس متناهي الحسن، وعنده جارية في غاية الكمال، فقال له: يا يعقوب كيف ترى مجلسنا؟ قال: على غاية الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به، فقال: هو لك احمله بما فيه، وهذه الجارية ليتم سرورك به، فدعا له فقال: ولي إليك حاجة فأحب أن تضمن لي قضاءها، فقال: الأمر لأمير المؤمنين وعلي السمع والطاعة، فقال: والله، ثلاث مرات، فقال: وحياة رأسي، فقال: فحياة رأسك قال: فضع يدك عليه فاحلف، ففعل لتقضين حاجته فقال: هذا فلان بن فلان من ولد علي، أحب أن

تكفيني مؤنته وتريحني منه، وتعجل ذلك، فقال: أفعل، قال: فخذه إليك فحوله وحول الجارية وجميع ما كان في البيت، و أمر بمائة ألف درهم، فلما مضى إلى مترله لم يصبر عن الجارية فضرب بينه وبينها ستراً، ودعا بالعلوي، فإذا أعقل الناس، فسأله عن حاله فأخبره، فقال: يا يعقوب تلقى الله بدمي، وأنا من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال له: لا والله، فهل فيك أنت خير؟ قال: إن فعلت خيراً شكرت، فقال له: أي الطريق أحب إليك؟ فقال: طريق كذا وكذا. قال: فمن ها هنا تأنس به وتثق بموضعه؟ قال: فلان وفلان،

فقال: فابعث إليهما وخذ هذا المال وامض معهما مصاحباً في ستر الله، موعدك في خروجك من داري وقت كذا وكذا من الليل، فسمعت الجارية ذلك، فبعثت به مع خادم لها إلى المهدي وقالت: هذا جزاؤك من الذي آثرته على نفسك، فبعث المهدي من وقته فشحن تلك الطرق والمواضع برجال، فلم يلبث أن جاؤوه بالعلوي وصاحبيه والمال، وأصبح يعقوب من غد ذلك اليوم، فإذا رسول المهدي يستحضره، فدخل عليه، فقال: يا يعقوب ما فعل الرجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد أراحك الله منه، قال: مات؟ قال: نعم، قال: والله، قال: والله، قال: فقم فضع يدك على رأسي واحلف، ففعل، فقال: يا غلام أخرج إلينا ما في هذا البيت، ففتح بابه عن العلوي وصاحبيه والمال بعينه فأبلس يعقوب، فقال المهدي: لقد حل لي دمك لة آثرت إراقته، ولكن احبسوه، ولا أذكر به، فحبسوه في مطمورة ثم أصيب فيها بصره، وطال شعره إلى أن ولي الرشيد، فدعا به، فأدخل عليه، فقيل له: سلم على أمير المؤمنين فسلم، فقال له: أي أمير المؤمنين أنا؟ فقال: المهدي، فقال: رحم الله المهدي، فقال: فالهادي، فقال: رحم الله الهادي. قال: الرشيد. قال: نعم، فما حاجتك؟ قال: المقام بمكة، فخرج إلى مكة فبقي قليلاً ثم مات. ولما عزل المهدي يعقوب أمر بعزل أصحابه عن الولايات في الشرق والغرب، وأن يأخذ أهل بيته وأن يحبسوا ففعل بهم ذلك. وفي هذه السنة: خرج موسى الهادي إلى جرجان، وجعل على قضائه أبو يوسف بن يعقوب بن إبراهيم. وفيها: تحول المهدي إلى عيساباذ فترلها ونزل معه الناس، وضرب بها الدنانير والدراهم. وفيها: أمر المهدي بإقامة إبل وبغال تكون بريداً بين المدينة ومكة واليمن. وفيها: أخذ داود بن روح بن حاتم، وإسماعيل بن سليمان بن مجالد، ومحمد بن أبي أيوب المكي، ومحمد بن طيفور في الزندقة، فأقروا فاستتابهم المهدي وخلى سبيلهم وبعث بداود بن روح إلى أبيه، وكان عاملاً على البصرة، فمن عليه وأمره بتأديبه. وفيها: أخرج المهدي عبد الصمد بن علي من حبسه، وعزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن، واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربيعي. وفيها: أجدبت الأرض فخرجوا للإستسقاء.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي قال: أخبرنا علي بن المحسن التنوخي، عن أبي عبيد الله محمد بن عمران قال: أخبرنا أبو بكر الجرجاني قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال: حدثنا الفضل بن الربيع قال: قحط الناس على المهدي سنة ست وستين ومائة، فنادى في الناس أن تصوموا ثلاثة أيام وأخرجوا للإستسقاء في اليوم الرابع، فخرجوا فسقوا، فقال لقيط بن بكر المحاربي:

يا إمام الهدى سقينا بك الغيث	وزالت عنا بك اللأواء
أحسب الأرض إذ عزمت لتستسقي	وجادت بالغيث منها السماء
بت تعني بالناس والناس نوام	عليهم من الظلام غطاء
فسقينا وقد قحطنا وقلنا	سنة قد تنكرت حمراء

بدعاء أخلصته في سواد الليل — لله فاستجب الدعاء

بغيوث تحيا بها الأرض — حتى أصبحت وهي زهرة خضراء

وفيها: حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد، وكان عامل الكوفة على الصلاة و الأحداث روح بن حاتم، وعلى قضائها خالد بن طليق، وعلى كور دجلة وكسكر وأعمال البصرة والبحرين وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى أمير المؤمنين. وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسي، وعلى مصر إبراهيم بن صالح، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشي، وعلى دنباوند وقومس مولى المهدي، وعلى الري سعد مولاه أيضاً. وعزل المنصور يزيد بن منصور عن اليمن، واستعمل مكانه عبيد الله بن سليمان. و لم يكن في هذه السنة صائفة لأجل الهدنة. وما عرفنا أحداً من الأكابر توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

فمن الحوادث فيها: توجيه المهدي ابنه موسى في جند كثيف إلى جرجان للحرب. وفيها: جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم، وولى أمرهم عمر الكلواذي، فأخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور، فأقر فحبس فهرب من الحبس. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: إهّم المهدي صالح بن عبد القدوس البصري بالزندقة، فأمر بحمله إليه فأحضر، فلما خاطبه أعجب بغزارة علمه وأدبه وحسن ثيابه فأمر بتخلية سبيله، فما ولي رده فقال: ألست القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه — حتى يواري في ثري رمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله — كذا الضنى عاد إلى نكسه

قال: بلى، قال: وأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك بحكمك. ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر. قال ابن ثابت: وقيل إنه بلغه عنه أبيات يعرض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: ويقال إنه كان مشهوراً بالزندقة وله الهذيل العلاف مناظرات. وفيها: عزل المهدي أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل، وولاه الربيع الحاجب، واستخلف سعيد بن واقد عليه، وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته. وفيها: أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام، فدخلت فيه دور كثيرة، وولى بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى، فلم يزل في بنائه حتى توفي المهدي. وفيها: عزل يحيى الحرشي عن طبرستان والرويان، وما كان إليه من تلك الناحية وولاها عمر بن العلاء، وولى جرجان فراشة مولى المهدي. وفيها: أظلمت الدنيا ظلمة شديد لليالٍ بقين من ذي الحجة حتى تعالى النهار فكشف الله تعالى ذلك. وأصاب الناس غير مرة تراب أحمر يجدونه في فرشهم، وعلى وجوههم، وظهر سعال شديد، وفشا الموت والوباء ببغداد والبصرة. وفيها: حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة، ثم توفي بعد فراغه من الحج، وقدومه المدينة بأيام، وولي مكانه إسحاق بن عيسى بن علي، وكان العامل على مكة والطائف عبيد الله بن قثم، وعلى اليمن سليمان ين يزيد الحارثي، وعلى اليمامة عبيد الله بن مصعب الزبيري، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها محمد بن سليمان. وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي، وعلى كور دجلة وأعمال البصرة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى المهدي، وعلى خراسان وسجستان الفضل

بن سليمان الطوسي، وعلى مصر موسى بن مصعب، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم، وعلى طبرستان والرويان عمرو بن العلاء، وعلى جرجان ودنباوند وقومس فراشة، وعلى الري سعيد مولى المهدي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بشار بن برد، أبو معاذ الشاعر مولى عقيل. ولد أعمى، وكان يشبه الأشياء في شعره، فيأتي بما لا يقدر البصراء عليه، فقيل له يوماً وقد قال:

كأن مثار النقع فوق رؤسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا و لم تر الدنيا قط؟ فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب، ويقطع عنه الشغل بما تنظر إليه من الأشياء، فيتوفر حسه وتذكو قريحته. وكان الأصمعي يقول: بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم. قال الجاحظ: كان بشار شاعراً خطيباً صاحب منثور ومرواج وسجع ورسائل، وهو المقدم من الشعراء المحدثين وهو بصري قدم بغداد. وقال أبو تمام الطائي: أشعر الناس وأشبههم في الشعر كلاماً بعد الطبقة الأولى بشار، والسيد و أبو نواس، ومسلم بن الوليد بعدهم. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قال بشار الشعر و لم يبلغ عشر سنين، وقال ثلاثة عشر ألف بيت جيد، ولا يكون عدد شعر الجاهلية والإسلام هذا العدد. قال: وكان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة يقال لها عبيدة، وخرجت عن البصرة مع زوجها إلى عمان فقال بشار:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت ... وأشهى لقلبي أن تهب جنوب

وما ذاك إلا أنها حين تنتهي ... تجيء وفيها من عبيدة طيب

عذيري من العذال يعذلونني ... شفاهاً وما في العاذلين لبي

يقولون لو عزيت قلبك لا رعوى ... فقلت وهل للعاشقين قلوب

إذا انطلق القوم الجلوس فإنني ... مكبٌ كأني في الجميع غريب

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن أيوب القمي قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن الحسن اليشكري قال: قيل لأبي حاتم من أشعر الناس؟ قال: يقول:

ولها مبسم كثغر الأقاحي ... وحديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السواد من حبة القلب ... وزادت زيادة المستزيد

عندها الصبر عن لقائي وعندي ... زفرات يأكلن صبر الجليد

يعني: بشاراً وكان يقدمه على جميع الناس. فبلغ المهدي أن بشاراً قد هجاه، وشهد أنه زنديق، فأمر المهدي بضربه، فضرب ضرب التلف، فمات في هذه السنة. وقيل: في سنة ثمان، وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة.

جعفر بن زياد، أبو عبد الله وقيل: أبو عبد الرحمن الأحمر الكوفي: حدث عن بيان بن بشر، ومنصور بن المعتمر، وأبي إسحاق

الشيباني: روى عنه: سفيان بن عبيدة، ووكيع وغيرهما. وكان قد خرج إلى خراسان فبلغ المنصور عنه أمر يتعلق بالإمامة، وأنه ممن يرى رأي الرافضة، فوجه إليه من قبض عليه، وحمله إلى بغداد وأودعه السجن دهراً طويلاً، ثم أطلقه. قال يحيى بن معين: هو ثقة، وكان من الشيعة. توفي في هذه السنة، وقيل: في سنة خمس وستين.

صالح بن عبد القدوس البصري له شعر حسن في الزهد. صلبه المهدي في الزندقة. قال المؤلف: وقد ذكرنا حاله في الحوداث.

عبد الرحمن بن شريح بن عبيد الله أبو شريح المعافري روى عنه: ابن المبارك، وابن وهب، وزيد بن الجباب، وكانت له عبادة وفضل. توفي في هذه السنة بالإسكندرية.

عيسى بن موسى بن محمد علي بن عبد الله بن عباس كان أبو العباس السفاح قد عهد عند موته إلى أخيه المنصور، ومن بعده إلى عيسى بن موسى، ومولد عيسى سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة، فشرع المنصور بعد قتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن وكان قتلهما جميعاً على يد عيسى بن موسى في تأخير عيسى، وتقديم المهدي في ولاية العهد، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائة، وجرت بينهما خطوب و مكاتبات وامتناع من عيسى، ثم أجابه إلى ذلك، فأقر به وأشهد على نفسه، وخطب المنصور الناس وأعلمهم ما جرى من تقديم المهدي،

ورضي عيسى بذلك وتكلم عيسى وسلم الأمر للمهدي، فبايع الناس للمهدي، ثم لعيسى من بعده، فلما ولي المهدي طالب عيسى بخلع نفسه من ولاية العهد ألبتة وتسليمه لموسى بن المهدي، وألح عليه إلحاحاً شديداً، وبذل له مالاً عظيماً، وجرت في ذلك خطوب، إلى أن أقدمه من الكوفة إلى بغداد وتقرر الأمر على أن يخلع نفسه ،ويسلم نفسه ،ويسلم الأمر لموسى ،ويدفع المهدي إليه عشرة آلاف ألف ،وقيل: عشرين ألف ألف.وقد كان عيسى ذكر أن عليه أيمانا" في أهله و ماله ،فأحضر المهدي من القضاة والفقهاء من أفتاه في ذلك وعوضه المهدي وأرضاه فيما يلزمه من الحنث في ماله ورقيقه، فقبل ذلك، ورضي به، وخلع نفسه في محرم سنة ستين ومائة، وبايع المهدي، ثم لموسى بعده، وأقر بذلك على المنبر، ورجع إلى الكوفة، فتوفي بها لثلاث بقين من ذي الحجة في هذه السنة، وصلى عليه ابنه العباس، وكان المهدي واجداً عليه، ووالي على الكوفة يومئذٍ روح بن حاتم، فأشهد روح على وفاته القاضي وجماعة من الوجوه، ثم دفن وله خمس وستون سنة، وولد له واحد وثلاثون ذكراً وعشرون أنثى وورثه من الرجال ثلاثون رجلاً، ومن النساء أربع عشرة امرأة.

عتبة بن أبان بن ضمعة وهو الذي يقال له: عتبة الغلام: وإنما سمي بالغلام لجده واجتهاده لا لصغر سنه، وكان كثير التعبد والبكاء، خشن العيش، وكان يشق الخوص، ويصوم الدهر، ويفطر على الخبز والملح. أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: حدثنا علي بن أحمد الملطي قالب: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف قال: أخبرنا ابن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر القرشي قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا عمار بن عثمان الحلبي قال: حدثنا سوار أبو عبيدة قال: بكى عتبة الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد تسع سنين لا يفتر يبكي من حين يبدأ عبد الواحد في الموعظة إلى أن يقوم، لا يكاد يفتر عنه، فقيل لعبد الواحد: إن لا نفهم كلامك من بكاء عتبة الغلام، قال: وأصنع ماذا؟ يبكي عتبة على نفسه وأنهاه أنا، لبئس واعظ قوم أنا. أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني قال: حدثنا محمد بن حيان قال: حدثنا أحمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن قال: حدثني عبد الخالق المعبدي قال: كان لعتبة

بيت يتعبد فيه فلما خرج من الشام أقفله وقال: لا تفتحوه إلا أن يبلغكم موتي، فلما بلغهم قتله، فتحوه فأصابوا فيه قبراً محفوراً وغلاً من حديد.

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

فمن الحوادث فيها: نقض الروم الصلح الذي جرى بينهم وبين هارون وقد تقدم ذكره، وكان بين أول الصلح وبين أول الغدر اثنان وثلاثون شهراً، فوجه علي بن سليمان وهو يومئذٍ على الجزيرة وقيس بن زيد بن المنذر بن البطال سرية في خيل إلى الروم فظفروا وغنموا. وفيها: وجه المهدي سعيد الحرشي إلى طبرستان في أربعين ألفاً. وفيها: قتل المهدي جماعة من الزنادقة ببغداد. وفيها: ولى المهدي علي بن يقطين زمام الأزمة على عمر وابن بزيع، وكان عمر أول من عمل ديوان الزمام في خلافة المهدي، وذلك: أنه جمعت له الدواوين، ففكر فإذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان فاتخذ دواوين الأزمة وولى كل ديوان رجلاً وكان واليه على ديوان الخرج إسماعيل بن صبيح، و لم يكن لبني أمية دواوين أزمة. وفيها: حج بالناس علي بن المهدي الذي يقال له ابن ريطة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو محمد الهاشمي المدني

حدث عن أبيه، وعن عكرمة، روى عنه: ابن إسحاق، ومالك وابن أبي ذئب وابن أبي الزناد. وكان أحد الأجواد، وولاه المنصور خمس سنين، ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوساً حتى مات المنصور، فأخرجه المهدي عليه ما أخذ منه و لم يزل معه. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بن زكريا قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن يحيى العلوي قال: حدثنا جدي قال: حدثني علي بن إبراهيم بن الحسن قال: حدثني عمي عبيد الله بن حسن وعبد الله بن العباس بن محمد قلا: كان أول ما عرف به شرف الحسن بن زيد أن أباه توفي وهو غلام وخلف ديناً أربعة آلاف دينار فحلف الحسن بن زيد أن لا يظل رأسه سقف بيت إلا سقف مسجد أو سقف بيت رجل يكلمه في حاجة يقضي دين أبيه، فلم يظل رأسه بيت حتى قضي دين أبيه. توفي الحسن بالحاجز على خمسة أميال من المدينة وهو يريد مكة من العراق في هذه السنة وهو ابن خمس وثمانين و صلى عليه المهدي. قال الناقل: وهذا الحسن هو أبو السيدة نفيسة رضي الله عنها المدفونة في الديار المصرية.

حماد بن سلمة، أبو سلمة مولى لبني تميم، وهو ابن أخت حميد الطويل: كان عالماً عابداً محاسباً لنفسه لا يضيع لحظة في غير طاعة. قال عبد الرحمن بن محمد: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً. وكان يبيع الثياب، فإذا ربح حبة أو حبتين نهض. أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد السمرقندي قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن عبد الملك بن شبابة قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الرازي قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن مهدي قال: حدثنا الحسن بن عمرو المروزي قال: حدثنا مقاتل بن صالح الخرساني قال: دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في بيته إلا حصير وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه، ومطهرة يتوضأ فيها، فبينا أنا عنده جالس دق داق الباب، فقال: يا صبية

أخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده، فدخل فناوله كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد، فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة، فإننا نسألك عنها والسلام. فقال: يا صبية هلمي الدواة، ثم قال لي: اقلب الكتاب واكتب: أما بعد: وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن كانت وقعت مسألة فأتنا وسلنا على ما بدا لك، فإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك، ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام. فبينا أنا عنده دق الباب، فقال: يا صبية، أخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: محمد بن سليمان، قال: قولي له ليدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه، فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً، فقال حماد: سمعت ثابت البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتتر به الكنوز هاب من كل شيء". فقال: أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت علي. فقال: أرددها على من ظلمته بها، فقال: والله ما أعطيك إلا ما ورثته، قال: لا حاجة لي فيها أزوها عني زوى الله عنك أوزارك، قال: فنقسمها، قال: فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل، أزرها عني زوى الله عنك أوزارك. قال مؤلف الكتاب: أسند حماد بن سلمة عن خلق كثير من التابعين. وتوفي في هذه السنة في المسجد وهو يصلي. أخبرنا ابن ناصر، وعلي بن أبي عمر قالا: أخبرنا رزق الله وطراد قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني أبو عبد الله التميمي، عن أبيه قال: رأيت حماد بن سلمة في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً. قلت: فماذا؟ قال: قيل لي طال ما كدرت نفسك فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعوبين في الدنيا، بخ بخ ماذا أعددت لهم.

حماد عجرد

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: هو حماد بن عمر بن يونس بن كليب، مولى لبني سوأة بن عامر بن صعصعة، يكنى أبا عمرو، وهو كوفي. ويقال: واسطي، ويقال: إن أعرابياً، مر به وهو غلام، يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان، فقال له: تعجردت يا غلام، فسمي عجرد، والمتعجرد المتعري، وكان خليعاً ماجناً ظريفاً، ونادم الوليد بن يزيد وهاجى بشار بن برد هو فحل الشعراء المجدين فانتصف منه، وكان بشار يضج منه، وقدم بغداد في أيام المهدي. أخبرنا القزاز قال: اخبرنا الخطيب قال: قرأت على الحسن بن علي الجوهري، عن محمد بن عمران المرزباني قال: وجدت بخط محمد بن القاسم بن مهروية قال: أخبرنا أحمد بن إسماعيل اليزيدي قال: حدثني علي بن الجعد قال: قدم علينا في أيام المهدي حماد عجرد ومطيع بن إياس الكناني، ويحيى بن زياد، فترلوا بالقرب منا، وكانوا لا يطاقون خبثاً ومجانة. قال المرزباني: وأخبرني علي بن أبي عبد الله الفارسي قال: أخبرني أبي قال: حدثني العتري قال: حدثني عمر بن شبة قال: كان مطيع بن إياس، وحماد عجرد، ويحيى بن زياد يقولون بالزندقة. زذكر ابم قتيبة في "طبقات الشعراء" قال: كان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان النحوي، وكانوا يتعاشرون وكانوا كلهم يرمون بالزندقة، وحماد عجرد هو القائل:

إن الكريم لتخفى عنك عسرته ... حتى تراه غنياً وهو مجهود

وللبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرمت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بيت النوال فلا يمنعك قلته فكل ما سد فقراً فهو محمود

روى حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اجتمع حفص بن أبي بردة، وحماد عجرد، وكان حفص أعمش أفطس، أغصف، مقبح الوجه، فإخذ حفص يطعن على مرقش ويعيب شعره فقال حماد:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كمثل العود عما تتبعه
تتبع لحناً في كلام مرقش وجهك مبني على اللحن أجمع
فأذناك إقواء وأنفك ؟؟ وعيناك إيطاء فأنت مرقع

عمر الكلوذاني الذي ولي على قتل الزنادقة. قتل في هذه السنة، فولي مكانه حمدويه، وهو محمد بن عيسى من أهل ميسان.

عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري

قاضي البصرة، سمع داود بن أبي هند، وخالد الحذاء، وسعيد الجريري، روى عنه: ابن مهدي، وكان فقيهاً ثقة، وولي القضاء سنة ست وخمسين بعد سوار بن عبد الله العنبري. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال: حدثني أبو عيسى بن حمدون قال: حدثني أبو سهل الرازي قال: لم يشرك في القضاء بين أحد قط إلا بين عبيد الله بن الحسن وبين عمر بن عامر على قضاء البصرة، فكانا يجتمعان في المجلس وينظران جميعاً بين الناس. قال: فقدم إليهما قوم في جارية لا تنبت، فقال فيها عمر بن عامر: هذه فضيلة في الجسم، وقال عبيد الله بن الحسن: كل ما خالف ما عليه الخلقة فهو عيب. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا العتيقي قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء، فلما وضع السرير جلس وجلس الناس حوله، فسأله عن مسألة فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله القول في هذه المسألة كذا وكذا، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: إذن أرجع وأنا صاغر، إذن ارجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني الخلال قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: حدثنا الحسن بن محمد بن سعدان قال: حدثني سليمان بن يزيد قال: حدثني أبو علي إسماعيل بن إبراهيم القرشي قال: حدثنا أصحابنا أن المهدي كتب إلى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي البصرة كتاباً فقرأه عبيد الله بن الحسن فرده، فحمل عبيد الله إلى المهدي فعاتبه، فكان فيما عاتبه فيه أن قال له: رددت كتابي. فقال له: عبيد الله: يا أمير المؤمنين إني لم أرد كتابك، ولكنه كان ملحوناً. فصدق المهدي مقالته وأجازه، ورده إلى عمله. توفي عبيد الله في ذي القعدة في هذه السنة وقيل توفي سنة ثمان وسبعين.

غوث بن سليمان بن زياد بن ربيعة بن نعيم أبو يحيى الحضرمي

ولد سنة أربع وتسعين، وولي القضاء بمصر ثلاث مرات في أيام المنصور و المهدي. روى عنه: ابن وهب، والواقدي، وآخر من حدث عنه بالعراق أبو الوليد الطيالسي. أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا أبو القاسم وأبو عمرو قالا: أخبرنا أبو عبيد الله بن منده وهو والداهما قال: حدثنا أبو سعيد بن يونس الحافظ قال: حدثني عاصم بن زارح قال: حدثنا بشير بن عبد الواحد قال:

سمعت أبي يقول: سمعت غوث بن سليمان يقول: بعث إلي أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، فحملت إليه، فقال: لي: يا غوث، إن صاحبتكم الحميرية خاصمتني إليك في شروطها، قلت: أفيرضى أمير المؤمنين أن يحكمني عليه قال: نعم، قلت: فالحكم له شروط فيحملها أمير المؤمنين قال: نعم، قلت: يأمرها أمير المؤمنين أن توكل وكيلاً ويشهد على وكالته خادمين خيرين يعدلهما أمير المؤمنين على نفسه ففعل، فوكلت خادماً، وبعثت معه بكتاب صدقها وشهد الخادمان على توكيلها، فقلت له: تمت الوكالة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يساوي الخصم في مجلسه فليفعل، فانحط عن فرشه وجلس مع الخصم، فدفع إلى الوكيل كتاب الصداق فقرأته عليه، فقلت: أيقرأ أمير المؤمنين بما فيه؟ قال: نعم، قلت: أرى في الكتاب شروطاً مؤكدة بها تم النكاح بينكما أرأيت يا أمير المؤمنين لو إنك خطبت إليها و لم تشرط لها هذا الشرط أكانت تزوجتك؟ قال: لا، قلت: فبهذا الشرط تم النكاح، وأنت أحق من وفى لها بشروطها قال: قد علمت إذ أجلستني هذا المجلس انك ستحكم علي. قلت: أعظم جائزتي وأطلق سبيلي يا أمير المؤمنين. قال: بل جائزتك على من قضيت له، وأمر لي بجائزة وخلعة، وأمرني أن أحكم بين أهل الكوفة فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس البلد بلدي، ولا معرفة لي بأهله. قال: لا بد من ذلك. قلت: يا أمير المؤمنين، فأنا أحكم بينهم فإذا أنا ناديت من له حاجة بخصومة و لم يأت أحد تأذن لي بالرجوع إلى بلدي؟ قال: نعم. قال: فجلست فحكمت بينهم، ثم انقطع الخصوم فناديت الخصوم، فلم يأت أحد، فرحلت من وقتي إلى مصر. قال أبو سعيد: وحدثنا علي بن الحسن بن فرقد قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم قال: حدثنا حماد بن الميسور أبو رجاء قال: قدمت امرأة من الريف في محفة وغوث قاضي مصر إذ ذاك، فوافت غوث بن سليمان عند السراجين رائحاً إلى المسجد، فشكت إليه أمرها وأخبرته بحاجتها، فترل عن دابته في بعض حوانيت السرجين، و لم يبلغ المسجد، فكتب لها بحاجتها وركب إلى المسجد، فانصرفت المرأة وهي تقول: أصابت والله أمك حين سمتك غوثاً أنت والله غوث توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة.

قيس بن الربيع، أبو محمد الأسدي من ولد الحارث بن قيس: الذي أسلم وعنده تسع نسوة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يمسك منهن أربعة ويفارق سائرهن. سمع قيس بم عمرو، وابن مرة، ومحارب بم دثار، وهشام بن عروة في آخرين. روى عن سفيان الثوري، وشعبة، وابن المبارك، وأبو معاوية، وعفان وغيرهم. قال عفان: كان قيس ثقة. وقال شريك: ما خلف بعده مثله. توفي في هذه السنة، وقيل: سنة خمس، وقيل: سنة ست.

محمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة بن مالك أبو اليسير العقيلي حدث عن هشام بن حسان، والأوزاعي، وغيرهما، وروى عنه ابن المبارك، ووكيع، وغيرهم. وكان قاضياً بالجانب الشرقي ببغداد زمن المهدي. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: قرأت في كتاب أبي الحسن بن الفرات بخطه: أخبرني أخي أبو القاسم عبد الله بن العباس بن الفرات قال: أخبرني علي بن سراج قال: محمد بن عبد الله بن علاثة يقال له: قاضي الجن وذلك أن بئراً كانت بين حران وحصن مسلمة، فكان من شرب منها خبطته الجن، قال: فوقف عليها، فقال: أيها الجن إنا قد قضينا بينكم وبين الإنس، فلهم النهار، ولكم الليل. قال: فكان الرجل إذا استقى منها بالنهار لم يصبه شيء. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم يقول: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول سمعت يحيى بن معين يقول: محمد بن علاثة ثقة. قال المصنف وقد روينا عن أبي الفتح الأزدي الحافظ أنه طعن في ابن علاثة ولا يحفظ هذا عن غيره؛ إلا أن البخاري قال: في حفظه نظر. توفي في هذه السنة.

محمد بن ميمون، أبو حمزة السكري المروزي سمع أبا إسحاق السبيعي، وعبد الملك بن عمير، ورقبة بن مصقلة، ومنصور بن المعتمر، والأعمش، وغيرهم. وكان من أهل الفضل والفهم.

حدث عنة ابن المبارك وغيره.أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي قال: حدثنا محمد بن العباس قال: أخبرنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: قال محمد بن علي بن الحسن: أراد جار لأبي حمزة السكري أن يبيع داره،قال: فقيل له: بكم تبيعها؟ قال: بألفين ثمن الدار، وألفين حق جوار أبي حمزة. قال: فبلغ ذلك أبا حمزة،فوجه إليه بأربعة آلاف،وقال خذها ولا تبع دارك.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد علي قال: أخبرنا أبو حازم العبدي قال: حدثنا أبو حامد الدهان قال: حدثنا خالي أحمد بن محمد بن يحيى قال: أخبر نا أبو أيوب قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن حكيم قال: حدثنا معاذ بن خالد قال: سمعت أبا حمزة السكري يقول: ما شبعت منذ ثلاثين سنة إلا أن يكون لي ضيف. قال يحيى بن معين: كان أبو حمزة السكري من ثقات الناس وكان إذا مرض عنده من قد رحل إليه ينظر إلى ما يحتاج إليه من الكفاية فيأمر بالقيام به، واسمه محمد بن ميمون، و لم يكن يبيع السكر، وإنما سمي السكري لحلاوة كلامه . روى الغلابي عن يحيى بن معين: أن أبا حمزة كان إذا مرض الرجل من جيرانه تصدق بمثل نفقة لمريض بما صرف عنه من العلة. قال البخاري: محمد بن ميمون مات سنة ثمان وستين حدثنيه بشر بن محمد. قال مؤلف الكتاب: وقال غيره سنة تسع وستين.

مندل بن علي، أبو عبد الله العنزي حدث عن أبي إسحاق الشيناني، وعاصم، والأعمش، وغيرهم، وقيل: إن اسمه عمرو، ولقبه مندل، إلا أنه غلب عليه. قال يحيى: مندل لا بأس به، وقال مرة: ضعيف. وقال يعقوب بن شيبة: كان رجلاً فاضلاً صدوقاً، وهو ضعيف الحديث. توفي في رمضان هذه السنة وقيل: في سنة سبع.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال حدثنا الدسكري قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن المقرئ قال حدثنا محمد بن علي بن مخلد قال: حدثنا إسماعيل بن عمروا قال: قال معاذ بن معاذ: دخلت الكوفة فلم أر أحداً أروع من مندل بن علي.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال: حدثنا محمد بن الحسين بن العباس قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عبد الله بن عمرو الرزاق قال: حدثنا أبو هشام قال: مرت جارية معها سلة فيها رطب بمندل بن علي ، وأصحاب الحديث حوله،فوقفت تنظر وتسمع، فنظر إليها مندل، ففطن أن السلة قد أهديت له، فقال: قدميها، فقدمتها، فقال لمن حوله: كلوا ما فيها وانصرفت الجارية إلى سيدها وقد احتبست، فقال: ما أسرع ما جئت، فقالت: وقفت أسمع من هذا الشيخ، فقال: قدمي السلة، ففعلت، فأكل الذين حوله ما فيها. وكان سيدها رجلاً من العرب فقال لها: أنت حرة لوجه الله عز وجل .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

فمن الحوادث فيها خروج المهدي في المحرم إلى ما سبذان. وكان سبب خروجه: أنه قد عزم في آخر عمره أن يقدم هارون على موسى، فبعث إلى موسى وهو بجرجان بعض أهل بيته ليقطع أمر البيعة ويقدم الرشيد، فلم يفعل، فبعث إليه المهدي بعض الموالي

فامتنع موسى من القدوم عليه، وضرب الرسول، فخرج المهدي يريده بجرجان فأصابه ما أصابه وولي الهادي. وفيها: توفي المهدي بالله.

باب ذكر خلافة موسى الهادي

وهو موسى بن محمد المهدي بن المنصور، ويكنى أبا محمد، أمه: الخيزران أم ولد، وكان طويلاً جسيماً أبيض مشرباً حمرة، وفي شفته العليا تقلص، ولد بالري، وكان يثب على الدابة وعليه درعان، وكان المهدي يسميه: ريحانتي.

ذكر بيعته

بويع لموسى الهادي يوم توفي المهدي، وكان الهادي إذ ذاك بجرجان يحارب أهل طبرستان، فاجتمع الموالي والقواد على هارون، وقالوا: إن علم الجند بوفاته لم نأمن الشغب، والرأي أن تنادي في الجند بالقفول حتى نواريه ببغداد، فقال هارون: ادعوا إلي أبي يحيى بن خالد، وكان المهدي قد ولى هارون المغرب كله من الأنبار إلى إفريقية، فأمر يحيى بن خالد أن يتولى ذلك، وكان بأعماله ودواوينه إلى أن توفي، فلما جاء يحيى قال له هارون: يا أبت، ما تقول فيما يقول عمرو بن بزيغ ونصير والمفضل؟ قال: وما قالوا؟ فأخبره،قال: ما أرى ذلك، قال: ولم؟ قال: لأن هذا لا يخفى، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلقوا بمحمله ويقولون: لا نخليه حتى نعطى لثلاث سنين وأكثر، ويتحكموا ويشتطوا، ولكن أرى أن يوارى هاهنا، وتوجه نصيراً إلى أمير المؤمنين الهادي بالخاتم والقضيب والتعزية والتهنئة، فإن البريد لا ينكر أحدً خروجه، وأن تأمر لمن معك من الجند بجوائز مائتين مائتين، وتنادي فيهم بالقفول، فإنهم إذا قبضوا الدراهم لم يكن لهم همة سوى أهاليهم وأوطانهم، فلما قبض الجند الدراهم قالوا: بغداد بغداد، فلما وصلوا إلى بغداد وعلموا خبر الخليفة ساروا إلى منزل الربيع فأخرجوه، وطالبوا بالأرزاق وضجوا، وقدم هارون بغداد، وأعطى الجند لسنتين، فسكتوا. ووجه هارون الجنود إلى الأمصار ونعى لهم المهدي، وأخذ بيعتهم للهادي، وله بولاية العهد، ولما بلغ الهادي وفاة المهدي نادى من فوره بالرحيل، فلما وصل إلى مدينة السلام استقبله الناس، فوصل لعشر بقين من صفر، فسار من جرجان إلى بغداد في عشرين يوما، فلما قدمها نزل القصر الذي يسمى الخلد، وكان له جاريه حظية تحبه، فكتبت إليه وهو بجرجان.

يا بعيد المحل أمسى بجرجان نازلاً في أبيات أخرى فلما دخل بغداد لم يكن له هم سواها، فدخل فأقام عندها يومه وليلته قبل أن يظهر للناس. ثم ولى الربيع الوزارة مكان عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى، وضم إليه ما كان عمر بن بزيع يتولاه من الزمام، وولى الفضل بن الربيع الحجابة، وولى محمد بن جميل ديوان خراج العراق ، وولى ابن زياد خراج الشام وما يليه، وأقر على حرسه علي بن عيسى بن ماهان، وضم إليه ديوان الجند، وولى شرطه عبد الله بن مالك مكان عبد الله بن حازم، وأقر الخاتم بيد علي بن يقطين، وولى أبا يوسف القضاء.

ذكر أولاده كان له جعفر وهو الذي يرشحه للخلافة، والعباس، وعبد الله، وإسحاق، وإسماعيل، وسليمان، وموسى، ولد بعد موت أبيه، وكلهم لأمهات أولاد، وكان له ابنتان: أم عيسى وكانت عند المأمون، وأم العباس.

طرف من سيرته وأخباره أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثنا الأزهري قال: حدثنا سهل بن الديباجي قال: حدثنا الصولي قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال: حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال: قدمنا على أمير المؤمنين شهوداً على رجل منا شتم قريشاً، وتخطى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس لنا مجلساً أحضر

فيه فقهاء أهل زمانه، ومن كان بالحضرة على بابه، واحضر الرجل وأحضرنا، فشهدنا عليه بم سمعنا منه، فتغير وجه الهادي ثم رفعه فقال : إني سمعت أبي المهدي يحدث:عن أبيه المنصور، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عباس قال: من أراد هوان قريش أهانه الله.وأنت ياعدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، اضربوا عنقه، فما برحنا حتى قتل.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسين بن الحسن النغالي قال: حدثنا العباس بن الفضل ، عن أبيه قال: غضب موسى الهادي على رجل، فكلم فيه فرضي عنه، فذهب يعتذر، فقال له موسى: إن الرضى قد كفاك مؤونة الاعتذار. أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن عبد الواحد بن علي البزاز قال: أخبرنا أبو سعيد السيرافي قال: حدثنا محمد بن أبي الأزهر النحوي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله، عن جدي عبد الله بن مصعب قال: دحل مروان بن أبي حفصة على الهادي فأنشده مديحاً له، حتى إذا بلغ قوله:

تشابه يوماً بأسه ونواله فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي: أيما أحب إليك ثلاثون ألفاً معجلة أو مائة ألف تدور في الدواوين؟ قال: يا أمير المؤمنين، أنت تحسن ما هو أحسن من هذا، ولكنك أنسيته، أفتأذن لي أن أذكرك؟ قال: نعم، قال: تعجل الثلاثون الألف، وتدور المائة ألف. قال: بل تعجلان لك جميعاً، فحمل ذلك إليه. قال سعيد بن سلم: سرنا مع الهادي بين أبيات جرجان، فسمع صوتاً من بعض تلك البساتين من رجل يتغنى فقال لصاحب شرطته: علي بالرجل الساعة. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما أشبه قصة هذا الخائن بقصة سليمان بن عبد الملك، فإنه كان في متتره له ومعه حرمه، فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنى، فدعا صاحب شرطته فقال: علي بصاحب هذا الصوت، فلما مثل بين يديه قال: ما حملك على الغناء وأنت إلى جنبي ومعي حرمي! أما علمت أن الرماك إذا سمعت صوت الفحل حنت؟ قال: فجب الرجل، فلما كان في العام المقبل ذهب سليمان إلى ذلك المتتره فجلس وذكر الرجل، فقال لصاحب شرطته: علي بالرجل الذي جببناه، فلما مثل بين يديه قال له: إما بعت فوفيناك، وإما وهبت فكافأناك قال: فو الله ما دعاه بالخلافة، ولكنه قال: يا سليمان إنك قطعت نسلي وذهبت بماء وجهي، وحرمتني لذتي، ثم تقول: إما وهبت وإما بعت؟ لا والله حتى أقف بين يدي الله. قال: فقال موسى: يا غلام، رد صاحب الشرطة، فرده، قال: لا تعرض للرجل.

قال علي بنى صالح: ركب الهادي يوماً يريد عيادة أمه الخيزران من علة كانت بها، فاعترضه عمر بن بزيع فقال: يا أمير المؤمنين ألا أدلك على وجه هو أعود عليك من هذا؟ قال: وما هو يا عمر؟ قال: المظالم، لم تنظر فيها منذ ثلاثة أيام، فأومأ إلى المطرقة أن يميلوا إلى دار المظالم، وبعث إلى الخيزران بخادم يعتذر من تخلفه ويقول: إن عمر أخبرنا من حق الله عز وجل بما هو أوجب علينا من حقك، فملنا إليه ونحن عائدون إليك في غد إن شاء الله تعالى.

وفيها: اشتدى طلب موسى للزنادقة، فقتل منهم جماعة، فكان فيمن قتل منهم كاتب يقطين وابنه علي بن يقطين وكان علي قد حج فنظر إلى الناس في الطواف يهرولون فقال: ما أشبههم ببقر يدوس في البيدر. فقال شاعر:

قل لأمين الله في خلقه ووارث الكعبة والمنبر

ماذا ترى في رجل كافر   يشبه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ما سعوا   حمراً يدوس البر والدوسر

فقتله موسى ثم صلبه، فسقطت خشبته على رجل من الحاج فقتلته وقتلت حماره، وقتل من بني هاشم يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان المهدي أتي به وبابن لداود بن علي فحبسهما لما أقرا له بالزندقة، وقال ليعقوب: لولا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت! أما والله لولا إني كنت جعلت على الله عهداً إن ولاني أن لا أقتل هاشمياً لما ناظرتك، ثم التفت إلى الهادي فقال: يا موسى، أقسمت عليك بحقي إن وليت هذا الأمر من بعدي أن لا تناظرهما ساعة واحدة. فمات ابن داود بن علي في الحبس قبل وفاة المهدي، فلما قدم الهادي من جرجان ذكر وصية المهدي، فأرسل إلى يعقوب فألقى عليه فراشاً، وأقعدت عليه الرجال حتى مات، ولها عنه، وكان الحر شديداً فقيل له: قد انتفخ، فقال: ابعثوا به إلى أخيه إسحاق بن الفضل فأخبروه أنه مات في الحبس، فبعث إليه، فإذا ليس فيه موضع للغسل، فدفن من ساعته.وكان ليعقوب ابنة تسمى فاطمة، فوجدت حبلى منه، وأقرت بذلك، فأدخلت وامرأة يعقوب بن داود يقال لها خديجة على الهادي أم على المهدي فأقرتا بالزندقة وأقرت فاطمة أنها حبلى من أبيها، فأرسل بهما إلى ريطة بنت أبي العباس فرأتهما مكحاتين مخضوبتين، فعذلتهما، خصوصاً البنت، فقالت: أكرهني فقالت لها: فما بال الخضاب والكحل ولعنتهما، ففزعتا فماتتا.

وفي هذه السنة: خرج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وسبب ذلك: أن إسحاق بن عيسى بن علي كان على المدينة، فلما استخلف الهادي وفد إليه واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي عنهم، فخرج الحسين بالمدينة، وصعد المنبر وعليه قميص أبيض وعمامة بيضاء، فخطب وقال: أيها الناس أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرم الله وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن لم أف لكم فلا بيعة لي في أعناقكم. وجرت الحرب بينه وبين الولاة، ثم خرج إلى مكة، فبعث الهادي محمد بن سليمان للحرب، فقتل الحسين وأصحابه، وجيء برأسه إلى الهادي، وكان مبارك التركي قد كره حرب الحسين، وبعث إليه: والله لئن أسقط من السماء أحب إلي من أن أشوكك بشوكة ولا بد من الاعتذار، فخرج إليه في نفر يسير فانهزم، فغضب عليه الهادي، وأمر بقبض أمواله وتصيره في ساسة الدواب، فلم يزل كذلك حتى مات الهادي. وجرت في هذه السنة حادثة عجيبة: أخبرنا أحمد بن علي بن المحلى قال: أخبرنا أخي أبو نصر هبة الله بن علي قال: أخبرنا أبو سعد محمد بن أحمد بن الحسن الحاسب قال: حدثنا عبد العزيز أبو الحسن قلب: حدثنا أبو محمد بن علي بن عبد الله الجوهري قال: حدثنا أبو الحسن الدمشقي قال: حدثنا الزبير قلب: حدثني الحسن بن هانئ أبو نواس قال: حدثني أبو عمرو الأعجمي صاحب خبر السند أيام المنصور ثم ولاه ما استخلف قال: فكتب في خبره أن رجلاً من أشراف أهل السند من آل المهلب بن أبي صفرة اشترى غلاماً أسود وهو صغير، فرباه وتبناه، فلما اشتد الغلام هوي مولاته، وراودها عن نفسها فأجابته، فدخل مولاه يوماً على غرة منه فإذا هو على بطن امرأته فعمد إليه فجب ذكره، وتركه يتشحط في دمه، ثم أنه أدركته عليه رقة وتخوف من فعله به، فعالجه إلى أن أبل من علته، فأقام بعد هذه الحادثة حيناً يطلب غرة مولاه ليثأر منه ويدبر عليه أمراً يكون فته شفاء قلبه وكان لمولاه ابنان، أحدهما طفل والآخر يافع، فغاب الرجل عن منزله في بعض

أموره، فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم وباللعب، إلى أن دخل مولاه فرفع رأسه، فإذا بابنيه في شاهق والغلام، فقال: ويلك يا فلان عرضت ابني للموت، قال: أجل قد ترى موضعهما، فوالله الذي تحلف به لأن لم تجب نفسك كما جببتني لأرمين بهما. فقال: ويلك الله الله في وفي بني، قال: دع عنك هذا، فوالله ما هي إلا نفسي وإني لأسمح بها من شربة ماء أسقاها، فجعل يكرر ذلك عليه ويأبى، فذهب ليروم الصعود إليه فأهوى بهما ليرديهما من ذروة ذلك الشاهق، فقال أبوهما: ويلك اصبر حتى أخرج مدية، قال: افعل ما أردت، فأخذ مدية واستقبله ليرى ما يصنع فرمى ذكره وهو يراه، فلما علم أنه قد فعل رمى بالصبيين فتقطع الصبيان، وقال: هذا الذي فعلت ثأري، وهذا زيادة فيه، فأخذ الأسود وكتب بخبره، فكتب موسى إلى صاحب السند بقتل الغلام، وقال: ما سمعت بأعجب من هذا، وأمر أن يخرج من ملكه وملك نسائه كل أسود.

وفيها: حج بالناس في هذه السنة سليمان بن المنصور. وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمري، وكان على مكة والطائف عبيد الله بن قثم، وعلى اليمن إبراهيم بن سلم بن قتيبة، وعلى اليمامة والبحرين سويد بن أبي سويد الخراساني، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها موسى بن عيسى، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان، وعلى جرجان الحجاج مولى الهادي، وعلى قومس زياد بن حسان، وعلى طبرستان والرويان صالح بن شيخ ابن أبي عميرة الأسدي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن الخليل بن مرة

كان كثير التعبد طويل البكاء. أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد قال: أخبرنا أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن أحمد بن يحيى البصري قال: حدثنا الحسين بن محمد بن بادا قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: ما رأيت بمصر من أفضله على الحسن بن الخليل في زهده وورعه، ولقد رأيته يحمل دقيقاً في جراب للناس بأجرة، يتقوت في كل جمعة بحمل يوم، ثم زاد أمره فلم يكن يدخر لوقت ثاني، وعليه مدرعة قيمتها أقل من درهم، وأجمع أهل مصر أنه مستجاب الدعوة. أخبرنا إسماعيل بن محمد الأنصاري قال: أخبرنا علي بن أيوب قال: أخبرنا الحسن بن محمد الخلال قال: حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا الحسين بن محمد بن بادا قال: أخبرنا عبد الله بن صالح قال حدثني موسى بن هارون قال: رأيت الحسن بن الخليل مرة بعرفات فكلمته ثم رأيته يطوف بالبيت، فقلت: ادع الله لي أن يتقبل حجي، فبكى ودعا لي، ثم أتيت مصر، فقلت: إن الحسن بن الخليل كان معنا بمكة، فقالوا: ما حج العام، وقد كان يبلغني أنه يمر إلى مكة في ليلة فما كنت أصدق حتى رأيته فعاتبني وقال: شهرتني، ما كنت أحب أن تحدث بهذا، فلا تعد بحقي عليك.

الحسن بن صالح بن حي ولد هو وأخوه علي توأم سنة مائة، فكانا وأمهما يقومون الليل كله على الثلث ويقرأ ثلث القرآن، ثم ينام ويقوم الحسن الثلث، فماتت أمهما فحزبا الليل بينهما، ثم مات علي فقام الحسن به كله، وكان يختم كل ليلة. وباع الحسن جارية فقال: أخبروهم أنها تنخمت عندنا مرة دماً. أخبرنا عبد الخالق بن أحمد قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا محمد ابن علي بن الفتح قال: أخبرنا أبو الحسين ابن أخي ميمي قال: حدثنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثنا أبي قال: أخبرني سليمان بن إدريس المنقري قال: اشتهى الحسن أخي سمكاً، فلما أتي به ضرب بيده إلى سرة السمكة فاضطربت يده، فأمر به

فرفع، و لم يأكل شيئاً، فقيل له في ذلك، فقال: إني ذكرت لما ضربت بيدي إلى بطنها أن أول ماينتن من الإنسان بطنه، فلم أقدر أن أذوقه. أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: اخبرنا محمد بن هبة الله الطبري قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد ابن الحسين قال: حدثني عبد الله بن صالح قال حدثني خلف بن تميم أن حسن بن صالح كان يصلي إلى السحر، ثم يجلس يبكي في مصلأ، ويجلس علي فيبكي في حجرته، قال: وكانت أمهم تبكي الليل و النهار، قال: فماتت ثم مات علي، ثم مات حسن، فرأيت حسناً في منامي، فقلت: ما فعلت الوالدة؟ قال: بدلت بطول ذلك البكاء سرور الأبد، قلت: وعلي؟ قال: وعلي على خير. قلت: فأنت فمضى وهو يقول: وهل يتكل إلا على عفوه. توفي الحسن في هذه السنة.

خالد بن حميد بن خالد، أبو حميد النهري. روى عن قيس بن الحجاج،وحميد بن هاني، حدث عنه ابن وهب وغيره،وآخر من حدث عنه بمصر روح بن صلاح المرادي.وتوفي بالإسكندرية في هذه السنة.

عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر أبو أويس المديني الأصبحي كان زوج أخت مالك بن أنس، وابن بن عمه لحاً، قدم بغداد وحدث بها عن الزهري، ومحمد بن المنكدر، وأبي الزناد، وهشام بن عروة. روى عنه ابناه أبو بكر،وإسماعيل، وشبابة، والقعبني. وثقه يحيى، في رواية وضعفه في أخرى، وقال أحمد: هو صالح. وقال النسائي: ليس بالقوي. قال أبو نعيم: قدم علينا وإذا معه جوار يضربن يعني القيان قال: فقلت لا والله لا أسمع منه شيئاً.

عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي. من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاه بعض أمراء المدينة القضاء على إكراه، فلم يأخذ عليه رزقاً. وكان محمود السيرة جميل الذكر. روى عن محمد بن المنكدر، فلما قدم المهدي المدنية استعفاه من القضاء، وجرت له في ذلك قصة قد ذكرناها في سنة ستين فأعفاه.

عقبة بن أبي الصهباء، أبو خريم مولى باهلة البصري، سمع سالم بن عبد الله، وبكر المزني، والحسن، وابن سيرين، وروى عنه يزيد بن هارون، وكن ثقة، انتقل عن البصرة فنزل المدائن، ثم دخل إلى مدينة السلام بغداد. وتوفي في هذه السنة ببغداد.

محمد المهدي بن عبد الله المنصور رأى مناماً قبل وفاته يدل عليها. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الحسين بن علي بن محمد بن المعدل قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن البراء قال: قال لي علي بن يقطين: خرجنا مع المهدي فقال لنا يوماً: إني داخل البهو فنائم فيه فلا يوقظني أحد حتى أستيقظ، قال: فنام ونمنا، فما أنبهنا إلا بكاؤه، فقمنا فزعين، فقلنا: ما شأنك يا أمير المؤمنين، فقال: أتاني الساعة آت في منامي، شيخ والله لو كان في مائة ألف شيخ لعرفته، فأخذ بعضادتي الباب وهو يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله	وأوحش منه ركنه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة	وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه	تنادي عليه بالعويل حلائله

واختلفوا في سبب وفاته على قولين: أحدهما: رواه واضح قهرمان المهدي قال: خرج المهدي يتصيد بقرية من قرى ماسبذان فلم أزل معه إلى بعد العصر وانصرفت إلى مضربي، وكان بعيداً من مضربه، فلما كان وقت السحر ركبت لإقامة وظائف ولقيني أسود

عريان، فدنى مني، ثم قال: أبا سهل، أعظم الله أجرك في مولاك أمير المؤمنين. فدخلت فإذا به مسجى في قبة. فقلت: فارقتكم بعد صلاة العصر وهو أسر ما كان حالاً وأصحه بدناً، فما كان الخبر؟ فقالوا اطردت الكلاب ظبياً فما زال يتبعها فاقتحم الظبي باب خربة فاقتحمت الكلاب خلفه واقتحم الفرس خلف الكلاب، فدق ظهره باب الخربة فمات من ساعته.

القول الثاني: ذكره أبو نعيم المروزي قال: بعثت جارية من جواري المهدي إلى ضرة لها لبناً فيه سم وهو قاعد في البستان بعد خروجه من عيساباد، فدعا به فأكل، ففرقت الجارية أن تقول إنه مسموم. وروى أحمد بن محمد الرازي: أن المهدي كان جالساً في علية القصر بما سبذان، وكانت جاريته حسنة قد عمدت إلى كمثرى فجعلته في صينية وسمت واحدة هي أحسنه وأنضجه، وردت القمع عليها ووضعتها في أعلى الصينية، وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية المهدي وكانت حظية عنده تريد قتلها، فمرت الوصيفة بالصينية، فرآها المهدي، فدعاها فمد يده فأخذ الكمثرية التي في أعلى الصينية وهي المسمومة فأكلها فصرخ: جوفي. فأخبرت حسنة الخبر، فجاءت تلطم وجهها وتبكي وتقول: أردت أن أنفرد بك فقتلتك، فهلك من يومه فجعلت حسنة على قبتها المسوح فقال أبو العتاهية في ذلك:

رحنا في الوشي وأص ... بنا عليهن المسوح

كل نطاح من الده ... ر له يوم نطوح

لست بالباقي ولو ... عمرت ما عمر النوح

فعلى نفسك نح إن ... كنت لابد تنوح

توفي المهدي بقرية يقال لها الرذ من ماسبذان في ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم، سنة تسع وستين، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، و لم توجد له جنازة يحمل عليها، فحمل على باب، وصلى عليه ابنه هارون، ودفن تحت جوزة كان يجلس تحتها في المكان الذي قبض فيه وكانت خلافته عشر سنين وشهر ونصف شهر، وقيل: عشر سنين وتسعة وأربعين يوماً.

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ المديني ويكنى أبا نعيم. وقيل: أبا رويم، وقيل: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا الحسن وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب وأصله من أصبهان. سمع من نافع مولى عمر، وعامر بن عبد الله بن الزبير. قال الليث بن سعد: قدمت المدينة سنة عشر ومائة فوجدت نافعاً إمام الناس في القراءة لا ينازع. توفي في هذه السنة، وقيل: سنة تسع وخمسين وأقرأ من مائة سنة.

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

فمن الحوادث فيها وفاة الهادي واستخلاف أخيه الرشيد.

باب ذكر خلافة الرشيد

واسمه هارون بن محمد المهدي، ويكنى أبا جعفر، وأمه الخيزران، ولد بالري لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وأربعين في خلافة المنصور. وقيل: ولد في يوم من المحرم سنة خمسين ومائة . وكان الفضل بن يحيى البرمكي ولد قبله بسبعة أيام، فجعلت أم الفضل

ظئراً له، وهي زينب بنت منير، فأرضعت الرشيد بلبان الفضل وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد. وكان الرشيد أبيض طويلاً سميناً جميلاً وسيماً جعداً و لم يمت وخطه الشيب. قال الصولي: وكان به حول في فرد عين، لا يتبين إلا لمن تأمله. وسمع الحديث من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد الزهري، وأكثر حديثه عن آبائه. روى عنه: أبو يوسف القاضي، والشافعي، وكان يحب الحديث وأهله.

ذكر أزواجه تزوج زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور وأعرس بها في سنة خمس وستين في خلافة المهدي ببغداد فولدت الأمين. وتزوج أمة العزيز أم ولد موسى بعد موسى. وتزوج العباسة بنت سليمان بن المنصور وأعرس بها في ذي الحجة سنة سبع وثمانين. وتزوج أم محمد بنت صالح، وأعرس بها في الرقة في ذي الحجة أيضاً، وكانت أملكت من إبراهيم بن المهدي، ثم خلعت منه فتزوجها الرشيد فحملتا جميعاً إليه. وتزوج عزيزة بنت الغطريف وكانت قبله عند سليمان بن أبي جعفر فطلقها، فخلف عليها الرشيد. وتزوج الجرشية العثمانية من أولاد عثمان بن عفان، وسميت الجرشية لأنها ولدت بجرش باليمن. فمات الرشيد عن أربع مهائر، أم جعفر، وأم محمد، وعباسة، والعثمانية.

ذكر أولاده محمد الأكبر وهو الأمين،أمه زبيدة، وعبد الله المأمون وأمه أم ولد يقال لها مراجل، والقاسم وأمه أم ولد يقال لها قصف، ومحمد المعتصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة وعلي أمه أمة العزيز، وصالح أمه أم ولد يقال لها رئم، ومحمد أبو عيسى أمه أم ولد يقال لها عرابة، ومحمد أبو يعقوب أمه أم ولد يقال لها شذرة، ومحمد أبو العباس أمه أم ولد يقال لها خبث، ومحمد أبو سليمان أمه أم ولد يقال لها رواح، ومحمد أبو علي أمه أم ولد يقال لها دواج، وأبو محمد وهو اسمه ولقبه كريب،أمه أم ولد يقال لها شجر، ومحمد أبو أحمد أمه أم ولد يقال لها كتمان أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو العلاء الواصطي قال: قرأنا على الحسين بن هارون الضبي، عن أبي العباس بن سعيد قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عرابة قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن هشام بن محمد وغيره من أصحابه قال: أبو العباس، وأبو أحمد، وأبو إسحاق، وأبو عيسى، وأبو يعقوب، وأبو أيوب بنو هارون الرشيد، وكل اسمه محمد، وكان للرشيد من الإناث: سكينة وهي أخت القاسم من أمه، وأم حبيب وهي أخت المعتصم لأمه. وأم الحسن وهي أخت أبي عيسى لأمه، وخديجة وهي أخت كريب لأمه، وأم محمد وهي حمدونة، وفاطمة وأمها غصص، وأم سلمة وأمها رحيق، وأم القاسم وأمها حزق، ورملة أم جعفر وأمها حلي، وأم علي وأمها أنيق، والغالية وأمها سمندل، وريطة وأمها زينة.

ذكر بيعة الرشيد

بويع للرشيد بالخلافة في الليلة التي توفي فيها أخوه الهادي أخرجه هرثمة بن أعين ليلاً فأقعده للمبايعة، وكانت تلك الليلة ليلة السبت لأربع عشر بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين. وفيها مات الهادي واستخلف الرشيد وولد المأمون، فلما جلس للخلافة سلم عليه بالخلافة عمه سليمان بن المنصور، وعم أبيه العباس بن محمد، وعم جده المنصور بن عبد الصمد بن علي، واستدعى الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان قد حبسه الهادي لميله إلى هارون، وعزم على قتله وقتل هارون فحضر يحيى فقلده الوزارة، وكانت الخيزران هي الناظرة في الأمور، فكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها، وكان الرشيد يقول ليحيى: يا أبي. وذكر الصولي: إنه كان يحيى يساير الرشيد يوماً فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، عطبت دابتي، فقال: يعطى خمسمائة درهم، فغمزه يحيى، فلما نزل قال: يا أبة، أومأت إلي بشيء وقت ما أمرت بالدراهم فما هو؟ فقال: مثلك لا يجرى هذا المقدار على لسانه، إنما يذكر مثلك

خمسة آلاف ألف، عشرة آلاف ألف، قال:فإذا سئلت مثل هذا كيف أقول، قال: تقول: نشتري له دابة يفعل به فعل نظرائه. ولما بويع للرشيد خرج فوصل إلى كرسي الجسر فدعا الغواصين، فقال لهم: كان المهدي وهب لي خاتماً شراؤه مائة ألف دينار، فدخلت على أخي وهو في يدي، فلما انصرفت لحقني سليمان الأسود فقال: يأمرك أمير المؤمنين أن تعطيني الخاتم، فرميت به في هذا الموضع. فغاصوا فأخرجوه، فسر به غاية السرور. وكان الهادي قد خلع الرشيد وبايع لابنه جعفر، وكان خزيمة بن حازم في خمسة آلاف من الموالي عليهم السلاح تلك الليلة، فهجم، فأخذ جعفر من فراشه، فقال: والله لأضربن عنقك أو تخلعها، فلما كان من غد ركب الناس إلى باب جعفر، فأتى به خزيمة فأقامه على باب الدار في العلو، والأبواب مغلقة، فنادى جعفر: يا معشر الناس، من كان لي في عنقه بيعة فقد أحللته منها والخلافة لعمي هارون، لا حق لي فيها. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني الأزهري قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أخبرني أبو العباس المنصوري، عن عمرو بن بحر قال: أجمع الرشيد ما لم يجمع لأحد من جد وهزل: وزراؤه البرامكة لم ير مثلهم سخاء وسروراً، وقاضيه أبو يوسف، وشاعره مروان بن أبي حفصة كان في عصره كجرير في عصره، ونديمه عم أبيه العباس بن محمد صاحب العباسية، وحاجبه الفضل بن الربيع أتيه الناس وأشدهم تعاظماً، ومغنيه إبراهيم الموصلي أوحد عصره، وضاربه زلزل، وزامره برصوما،وزوجته أم جعفر أراغب الناس في خير، وأسرعهم إلى كل بر ومعروف، ومن كبار قواده المعلى ولي البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين وغير ذلك، وإليه ينسب نهر معلى.

ذكر طرف من أخباره وسيرته كان الرشيد يحب العلم ويؤثره ويستفيده، فنال علماً كثيراً، وكانت له فطنة قوية. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال:أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري قال: حدثنا المعافى قال: حدثنا ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال:دخلت على هارون الرشيد ومجلسه حافل، فقال: يا أصمعي ما أغفلك عنا، وأجفاك لحضرتنا؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين ما ألاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك. فأمرني بالجلوس فجلست، فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام، فأشار إلي أن اجلس، فجلست حتى خلى المجلس، فلم يبق غيري وغيره ومن بين يديه من الغلمان، فقال لي: يا أبا سعيد : ما ألاقتني؟ قلت: ما امسكتني، وأنشدته:

كفاك كف لا تليق درهماً جوداً   وأخرى تعط بالسيف الدما

فقال لي: أحسنت، وهكذا فكن وقرنا في الملأ، وعلمنا في الخلاء، فأمر لي بخمسة آلاف درهم. وفي رواية دينار.

قال الأصمعي: وتأخرت عن الرشيد ثم جئته، فقال: كيف كنت يا أصمعي؟ قلت: بت والله بليلة النابغة فقال: إنا لله هو والله قوله:

فعجبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع

فعجبت من ذكائه وفطنته لما قصدت.

وقال أبو سعيد بن مسلم: كان فهم الرشيد فوق فهم العلماء. أنشده العماني في وصفة فرس بيت:

كأن أذنيه إذا تشرفا   قادمة أو قلما محرفا

فقال الرشيد: دع كأن، وقل: تخال أذنيه.

وكان الرشيد يتواضع لأهل العلم والدين.

أنبأنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو العلاء الواسطي قال: أخبرنا عبد الله بن محمد المزني قال: أخبرنا أبو طاهر عبد الله بن محمد بن مرة قال: حدثنا حسن الأزدي قال: سمعت علي المديني يقول: سمعت أيا معاوية يقول: أكلت مع الرشيد طعاماً يوماً من الأيام فسب على يدي رجل لا اعرفه، فقال هارون: يا أبا معاوية تدري من يصب عليك؟ قلت: لا، قال: أنا قلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: نعم إجلالاً للعلم.

أخبرنا يحيى بن علي المدبر قال: أخبرنا أبو جعفر بن ابن المسلمة قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد بن سويد قال: حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: سمعت علي بن عبد الله يعني ابن المديني قال: قال أبو معاوية الضرير: حدثت الرشيد بهذا الحديث يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ودتت إني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل" فبكى هارون حتى انتحب، ثم قال: يا أبا معاوية ترى لي أن أغزو؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، مكانك في الإسلام أكبر، ومقامك أعظم، ولكن ترسل الجيوش، قال أبو معاوية: وما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم على سيدي.

وكان الرشيد معظماً للسنة شديد النفور من البدع.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل العطار قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر درستويه قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: سمعت علي بن المديني يقول: قال محمد بن حازم: كنت أقرأ حديث الأعمش عن أبي صالح على أمير المؤمنين هارون، فكلما قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلى الله على سيدي ومولاي، حتى ذكرت التقاء آدم وموسى فقال عمه: يا محمد، أين التقيا؟ فغضب هارون الرشيد وقال: من طرح إليك هذا؟ وأمر به فحبس، فدخلت إليه في حبسه فقال: يا محمد، والله ما هو إلا شيئاً خطر ببالي، وحلف لي بالعتق وصدقة المال، وغير ذلك من معضلات الأيمان ما سمعته من أحد ولا يجري ولا جرى بيني وبين أحد فيه كلام. قال: فكلمته فيه فأمر به فأطلق من الحبس، وقال لي: يا محمد، ويحك، إنما توهمت أنه طرح إليه بعض الملحدين بهذا الكلام فأردت أن يدلني عليهم فأستفتحهم وإلا فأنا على يقين أن القرشي لا يتزندق.

وكان الرشيد إذا عرف الصواب رجع إليه سريعاً.

أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان الواعظ قال: حدثنا جعفر بن محمد بن أحمد الواسطي قال: حدثنا أبو الطيب النعمان بن أحمد القاضي قال: حدثنا أحمد بن زكريا بن سفيان قال سمعت أصحابنا يقولون: قال أبو معاوية: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا معاوية، لهممت أنه من تثبت خلافته علي فعلت به وفعلت به . فسكت، فقال لي: تكلم تكلم . فقلت: إن أذنت لي تكلمت. فقال: تكلم، قلت: يا أمير المؤمنين، قالت تيم منا خليفة رسول الله، وقالت عدي: منا خليفة رسول الله، وقالت بنو أمية، منا خليفة الخلفاء، فأين حظكم يا بني هاشم من الخلافة؟ والله ما حظكم فيها إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: والله يا أب معاوية لا يبلغني أن أحداً لم يثبت خلافة علي إلا فعلت به كذا وكذا.

وكان الرشيد يستقبح المدح بالكذب ويذم المادح به. قال يوماً لبعض ولاته: كيف تركت الناس؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أحسنت فيهم السيرة وأنسيتهم سيرة العمرين. فغضب الرشيد واستشاط وقال: ويلك يا ابن الفاعلة، العمرين العمرين، وأخذ سفرجلة فرماه بها فكادت تهلكه، وأخرج من بين يديه.

وكان الرشيد يكثر الحج والغزو واتخذ قلنسوة مكتوب عليها: غازٍ حاجٍ.

قال ابن البراء: كان يحج سنة وغزو سنة، حج بالناس ست مرات، فقال داود بن رزين :

بهارون لاح البدر في كل بلدة وقام به عدل سيرته النهج
إمام بذات الله أصبح شغله وأكثر ما يعنى به الغزو والحج
تضيق عيون الناس عن نور وجهه إذا ما بدا للناس منظره البلج
وإن أمين الله هارون بالندى ينيل الذي يرجوه أضعاف ما يرجو .

وقال أبو المعلى الكلابي:

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو علي طمر وفي أرض البنية فوق كور

وألح عليه في بعض غزواته الثلج، فقال بعض أصحابه: أما ترى يا أمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية وادعة فقال له: أسكت، على الرعية المنام، وعلينا القيام، ولا بد للراعي من حراسته رعيته. فقال بعض الشعراء في ذلك:

غضبت لغضبتك القواطع والقنا لما نهضت لنصرة الإسلام
ناموا إلى كنف بعدلك واسع وسهرت تحرس غفلة النوام

وكان الرشيد إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج ثلاثماية رجل بالنفقة التامة والكسوة الطاهرة، وكان يصلي كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة، وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم ألف درهم بعد زكاتها، وكان يقتفي أخلاق المنصور ويطلب العمل بها، إلا في بذل المال، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر ذلك، وكان يميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين، ويحب الشعر والشعراء، والمدح ولا سيما من شاعر فصيح، فدخل عليه يوماً مروان بن أبي حفصة فأنشده من قصيدة له:

وسدت بهارون الثغور فأحكمت به من أمور المسلمين المرائر
وما انفك معقوداً بنصرٍ لواؤه له عسكر عنه تشظى العساكر
فكل ملوك الروم أعطاه جزيةً على الرغم قسراً عن يد وهو صاغر
إلى وجهه تسمو العيون وما سمت إلى مثل هارون العيون النواظر
ترى حوله الأملاك من آل هاشمٍ كما حفت البدر النجوم الزواهر
إذا فقد الناس الغمام تتابعت عليهم بكفيك الغيوث المواطر
على ثقة ألقت إليك أمورها قريش كما ألقي عصاه المسافر
فطوراً يهزون القواطع والقنا وطوراً بأيديهم تهز المخاصر

ليهنكم الملك الذي أصبحت بكم   أسرته مختالة و المنابر

أبوك ولي المصطفى دون هاشمٍ   وإذا رغمت من حاسديك المناخر

فأعطاه عشرة آلاف دينار وكساه، وأمر له بعشرة من رقيق الروم وحمله على برذون.

وللرشيدأشعار حسان، منها: ما أخبرنا به عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أخبرنا سليمان بن أحمد للطبراني قال: أخبرنا محمد بن موسى بن حسان قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن صالح قال: حدثنا عمي علي بن صالح قال: قال الرشيد في ثلاث جوارٍ:

مالي تطاوعني البرية كلها   وأطيعهن وهن في عصياني؟

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى   وبه قوين أعز من سلطاني

وكان الرشيد طيب النفس، فكهاً يحب المزح.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الخبرية قالت: أخبرنا علي بن الحسين بن الفضل قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن خالد الكاتب قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهري قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني علي بن صالح قال: كان معاوية الرشيد ابن أبي مريم المديني، وكان مضاحكاً محدثاً فكهاً، وكان الرشيد لا يصبر عن محادثته، وكان قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار العرب من أهل الحجاز ومكائد المجان، فبلغ من خصوصيته به أنه أنزله في قصره وخلطه ببطانته وغلمانه، فجاء ذات ليلة وهو نائم وقد طلع الفجر، فكشف اللحاف عن ظهره، ثم قال له: كيف أصبحت؟ فقال: يا هذا، ما أصبحت بعد، مر إلى عملك، قال: ويلك، قم إلى الصلاة قال: هذا وقت صلاةٍ أبي الجارود، وأنا من أصحاب أبي يوسف القاضي، فقام ومضى وتركه نائماً، وقام الرشيد إلى الصلاة، فجاء غلامه فقال: أمير المؤمنين، قد قام إلى الصلاة، فألقى عليه ثيابه ومضى نحوه، فإذا هو يقرأ في صلاة الصبح "ومالي لا أعبد الذي فطرني" فقال له ابن أبي مريم: لا أدري والله فما تمالك أن ضحك في صلاته، ثم التفت كالمغضب فقال: يا ابن أبي مريم، في الصلاة أيضاً؟ قال: يا هذا، ما صنعت؟ قال: قطعت علي الصلاة. قال: والله ما فعلت، إنماسمعت منك كلاماً غمني حين قلت "وما لي لا أعبد الذي فطرني" فقلت: لا أدري . فضحك، وقال: إياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدها.

وكان الرشيد معاوية حبه اللهو كثير البكاء من خشية الله، محباً للمواعظ، وقد وعظه الفضيل بن عياض ، وابن السماك، والعمري والبهلول، وغيرهم، وكان يتقبل الموعظة ويكثر البكاء.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن أبي علي الأصبهاني قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق الشاهد قال: حدثنا ابن منيع فقال حدثنا يحيى بن أيوب الواعظ أو قال: العابد قال: سمعت منصور بن عمار يقول: ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة: فضيل بن عياض، وأبي عبد الرحمن الزاهد، وهارون الرشيد، وأتاه يوماً رجل من الزهاد، فقال: يا هارون، اتق الله، فأخذه فخلا به، وقال: يا هذا أنصفني، أنا شر أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: فأنت خير أم موسى؟ قال: بل موسى، قال: أفما تعلم أن الله تعالى لما بعثه وأخاه إليه قال: "فقولا له قولاً لينا" وقد جبهتني بأغلظ الألفاظ، فلا بأدب الله

تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت. قال: أخطأت وأنا استغفر الله، فقال: غفر الله لك، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها. فهذه الأخلاق الطيبة.

وفي هذه السنة: ولد المأمون في ربيع الأول، وولد الأمين في شوال.

وفيها: عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العمري عن مدينة الرسول عليه السلام ، وولاها إسحاق بن سليمان بن علي.

وفيها: أمر الرشيد بسهم ذوي القربى قسم في بني هاشم بالسوية.

وفيها: عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين، وجعل لها حيزاً واحداً، وسميت العواصم.

وفيها: عمرت طرسوس على يدي أبي سليم، فخرج الخادم التركي ونزلها الناس.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي قال: أنبأنا أبو الحسين بن عبد الله بن إبراهيم الزينبي قال: حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثني علي بن البربري قال: حدثني أبي وكان أول من سكن طرسوس حين بناها أبو سليم، وكان شيخاً قديماً قال: كان يغازينا من الشام ثلاثة أخوة فرسان شجعان، وكانوا لا يخالطون العسكر، وكانوا يسيرون وحدهم، ويترلون كذلك، فإذا رأوا العدو لم يقاتلوا ما كفوا، فغزوا مرة، فلقيهم الطاغية في جمع كثير، فقاتلوا المسلمين فقتلوا وأسروا، فقال بعضهم لبعض: قد ترون ما نزل بالمسلمين، وقد وجب علينا أن نبذل أنفسنا ونقاتل فتقدموا، وقالوا لمن بقي من المسلمين: كونوا وراء ظهورنا وخلوا بيننا وبين القتال نكفيكم إن شاء الله تعالى. فقاتلوا فقهروا الروم، فقال ملك الروم لمن معه من البطارقة: من جاءني برجل من هؤلاء قدمته وبطرقته. فألقت الروم أنفسها عليهم فأخذوهم أسرى، لم يصب رجل منهم كلم، فقال ملك الروم: لا غنيمة ولا فتح أعظم من أخذ هؤلاء. فرحل بهم حتى نزل بهم القسطنطينية، فعرض عليهم النصرانية وقال: إني أجعل فيكم الملك وأزواجكم بناتي. فأبوا عليه ونادوا: يا محمداه، فقال الملك: ما يقولون؟ قالوا: يدعون نبيهم، فقال لهم: إن أنتم أجبتموني وإلا أغليت قدوراً ثلاثة فيها الزيت، حتى إذا بلغت أناها ألقيت كل واحد منهم في قدر. فابوا، فأمر بثلاث قدور فنصبت، ثم صب فيها الزيت، ثم أمر أن يوقد تحتها ثلاثة أيام يعرضون في كل يوم على تلك القدور، ويدعوهم إلى النصرانية، وغلى أن يزوجهم بناته، ويجعل الملك فيهم، فيأبون أن يجيبوه، وأقاموا على الإسلام، فنادى الأكبر، ودعاه إلى دينه فأبى، فناشده وقال: إني ملقيك في هذه القدر. فأبى فألقاه في قدر منها، فما هو إلا أن سقط فيها، فارتفعت عظامه تلوح، ثم فعل بالثاني مثل ذلك، فلما رأى صبرهم على ما فعل بهم، وحفظهم لدينهم، ندم الملك وقال: فعلت هذا بقوم لم أر أشجع منهم، فأمر بالصغير فأدني منه فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر فيأبى، فقام إليه علج من أعلاجه فقال: أيها الملك ما تجعل لي إن فتنته؟ قال: أبطرقك، قال: قد رضيت، قال: فبماذا تفتنه؟ قال: قد علم الملك أن العرب أسرع شيء إلى النساء، وقد علمت الروم أنه ليس فيهم امرأة أجمل من ابنتي فلانة، فادفعه إلي حتى أخليه معها، فإنها ستفتنه، قال: فضرب الملك بينه وبين العلج أجلاً أربعين يوماً، ودفعه إليه، فجاء به فأدخله معاوية ابنته، وأخبرها بالذي ضمن للملك، وبالأجل الذي ضربه بينه وبينه، فقالت له: دعه، فقد كفيتك أمره، فأقام معها نهاره صائماً، وليله قائماً، لا يفتر من العمل، حتى مضى أكبر الأجل، فسأل الملك العلج: ما حال الرجل؟ فرجع إلى ابنته فقال لها: ما صنعت؟ قالت: ما صنعت شيئاً هذا رجل فقد إخوته في هذه البلدة، فأخاف أن يكون امتناعه من أجل أخويه، كلما رأى آثارهما، ولكن استزد الملك في الأجل، وانقلني وإياه إلى بلد غير هذا البلد الذي قتل فيه أخواه،

فسأل العلج الملك فزاده في الأجل، أياماً، وأذن له في خروجهما، فاخرجهما إلى قرية أخرى، فمكث على ذلك أياماً صائم النهار، قائم بالليل، حتى إذا بقي من الأجل قالت له الجارية ليلة من الليالي: يا هذا، إني أراك تقدس رباً عظيماً، وإني قد دخلت معك في دينك، وتركت دين آبائي فلم يثق بذلك منها، حتى أعادت عليه مراراً، فقال لها: فكيف الحيلة في الهرب والنجاة مما نحن فيه؟ فقالت له: أنا أحتال لك وجاءته بدواب وقالت له قم: بنا تهرب إلى بلادك، فركبا، فكانا يسيران الليل ويكمنان النهار، وطلباً فخفيا، فبينما هما يسيران ذات ليلة سمع وقع حوافر خيل، فقالت له الجارية: أيها الرجل، ادع ربك الذي صدقته وآمنت به أن يخلصنا من عدونا، فإذا هو بأخويه ومعهما ملائكة رسل إليه، فسلم عليهما وسألهما عن حالهما، فقالا له: ما كانت إلا لاغطسة التي رأيت حتى خرجنا في الفردوس، وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة. فزوجوه إياها ورجعوا، وخرج إلى بلاد الشام، فأقام معها، وكانا مشهورين بذلك، معروفين بالشام في الزمن الأول. وقد قيل فيهما من الشعر محمد أنسيته غير هذا البيت:

ستعطي الصادقين بفضل صدق نجاة في الحياة وفي الممات

وفي هذه السنة: حج بالناس الرشيد من مدينة السلام، فأعطى أهل الحرمين عطاء كثيراً وقسم مالاً جزيلاً.

وغزا الصائفة سليمان بن عبد الله الركابي.

وكان العامل على مكة والطائف عبد الله بن قثم، وعلى المدينة يقول: بن سليمان الهاشمي، وعلى الكوفة موسى بن عيسى وخليفته عليها ابنه العباس بن موسى، وعلى البصرة والبحرين وعمان واليمامة وكور الأهواز وفارس محمد بن سليمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن عباس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جوهرة العابدة البرائية نزلت معاوية زوجها أبي عبد الله البرائي، وكانت جارية لبعض الملوك فعتقت وتركت الدنيا، وتزوجت أبا عبد الله، وتعبدت معه، وكانت تحرضه على العبادة، وتوقظه من الليل وتقول: يا أبا عبد الله كروان برفت، معناه: قد سارت القافلة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب الوراق قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: حدثنا مر بن الحسين البرجلاني قال: حدثنا حكيم بن جعفر قال: كناأتي ابا عبد الله بن أبي جعفر الزاهد، وكان يسكن براثاً، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها جوهرة، وكان يجلس على جلة خوص بحرانية، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى، فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته، فقلنا له يا أبا عبد الله، ما فعلت الجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: ارى جوهرة أيقظتني البارحة، فقالت: أليس يقال في الحديث "إن الأرض تقول لابن آدم تجعل بيني وبينك ستراً وأنت غداً في بطني"؟ قال: قلت: نعم، قالت: هذه الجلال لا حاجة لنا فيها. فقمت والله فأخرجتها.

وقد روينا عن أبي شعيب الزاهد البرائي أن جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا نظرت إلى زهده، فتزوجت به وتركت الدنيا وجرت لها معه مثل هذه القصة في فرش من خوص.

الربيع بن يونس بن محمد يونس بن أبي فروة واسم أبي فروة: كيسان. مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه، ووزر له بعد أبي أيوب

المرزباني. أنبأنا أبو بكر بن محمد بن الحسين الحاجي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد بن سليمان الواسطي قال: أخبرنا أبو أحمد الفرضي قال: أخبرنا أبو عمر الزاهد قال: أخبرنا ثعلب، عن ابن شبيب، عن الزبير قال: حدثني عمرو بن عثمان قال: دخل المنصور أمير المؤمنين قصراً فرأى في جداره مكتوباً:

ومالي لا أبكي بعين حزينة وقد قربت للظاعنين حمول

وتحته مكتوب: إيه إيه. قال أبو عمر: ويروى آه آه. فقال المنصور: أي شيء آه آه؟ فقال له الربيع وهو إذ ذاك تحت يدي أبي الخطيب الحاجب: يا أمير المؤمنين إنه لما كتب البيت أحب أن يخبر أنه يبكي، فقال قائله: الله، ما كان أظرفه، فكان هذا أول ما ارتفع به الربيع.

وقد روى أبو الفرج الأصبهاني: أن الربيع قال: كنت في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور، ففرقنا في خدمته، فصرت غلاىياسر صاحب وضوئه، فكنت أراه يعطيه الإبريق في المستراح، ويقف مكانه لا يبرح. فقال لي يوماً كن في مكاني في هذا، فكنت أعطيه الإبريق، وأخرج مبادراً، فإذا سمعت حركته بادرت إليه فقال لي: ما أخفك على قلبي يا غلام، ثم دخل قصراً فرأى حيطانه مملوءة من الشعر وإذا بخط منفرد فقرأه فإذا هو:

ومالي لا أبكي وأندب ناقتي إذا صدرت الرعيان نحو المناهل

وكنت إذا ما اشتد شوقي رحلتها فسارت لمحزون طويل البلابل

وتحته مكتوب: آه آه، فلم يدر ما هو، وفطنت له، فقلت: يا أمير المؤمنين قال: الشعر، ثم تأوه فكتب تأوهه بنفسه فقال لي: مالك قاتلك الله، قد أعتقتك ووليتك مكان ياسر.

قال أبو بكر الصولي: لم يزل الربيع وزير المنصور حتى توفي المنصور بمكة، فأخذ الربيع للمهدي البيعة، فشكر المهدي له ذلك وجعله حاجبه، و لم يستوزره.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسين بن علي الصيمري قال: حدثنا أحمد بن محمد بن علي الصيرفي قال: حدثنا محمد بن عمر بن سالم الحافظ قال: ذكروا أنه لم ير في الحجابة أعرق من الربيع، حاجب أبي جعفر ومولاه، ثم صار وزيره، ثم حجب للمهدي، ومن ولده الفضل بن الربيع حجب هارون، ومحمد الأمين، وابنه عباس بن الفتضل حجب الأمين، فعباس حاجب ابن حاجب.

وقد مدحهم أبو نواس في قوله:

سار الملوك ثلاثة ما منهم إن حصلوا إلا أعز قريع

عباس عباس إذا اخترم الورى والفضل فضل والربيع ربيع

توفي الربيع في هذه السنة .

فتح بن محمد بن وشاح، أبو محمد الأزدي الموصلي. ذكر المعافى بن عمران أنه لم يكن أعقل منه.

قال مؤلف الكتاب : وليس هذا بفتح الموصلي المكي بأبي نصر، فإن أبا نصر مات في سنة عشرين ومائتين وابن وشاح مات في سنة

سبعين ومائة وأكثر الحكايات عن أبي نصر لا عن أبي محمد.
موسى الهادي، أمير المؤمنين ابن المهدي. اختلفوا في سبب موته قال بعضهم: كان في جوفه قرحة، وكانت سبب منيته.
وحكى أبو جعفر ابن جرير الطبري عن جماعة أنهم قالوا: إن الخيزران أمه أمرت بقتله، فأنا أستبعد ذلك.
قالوا: وكانت في أول خلافته تفتات عليه في أمور، وتسلك به مسلك أبيه في الاستبداد بالأمر والنهي، وكانت إذا سألته حاجة قضاها فانثال الناس إليها، فأرسل إليها: لا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاذة التبذل، فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك، وعليك بصلاتك وسبحتك، ولك بعد هذا طاعة مثلك، فكلمته يوماً في أمر فاعتل بعلة، فقالت: لا بد من إجابتي، فقال: لا أفعل، قالت: فإني قد ضمنت قضاء هذه الحاجة، قال: والله لا أقضيها لك، فقالت: إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً. قال: إذن والله لا أبالي، وغضب، فقامت وغضبة، فقال: مكانك حتى تستوعبي كلامي والله، وإلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد لأقبضن ماله، ولأضربن عنقه، ما هذه المواكب التي تغدو وتورح إلى بابك؟! أمالك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك أو يصونك!؟ إياك ثم إياكأن تفتحي بابك لملي أو ذمي. فانصرفت ما تعقل.
قال ابن جرير: وذكر قوم أن سبب موت الهادي: أنه لما أخذ في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على هارون منه، فدست من جواريها لما مرض من غمه وجلس على وجهه، ووجهت إلى يحيى بن خالد: إن الرجل قد توفي، فاجدد في أمرك.
وكان الهادي قد امر أن لا يسار قدام الرشيد بحربة، فاجتنبه الناس وتركوه، وطابت نفس هارون بالخلع لشدة خوفه على نفسه، فخلعته جماعة من القواد وبايعوا لجعفر بن موسى، ودخل هارون على موسى فقال له: يا هارون، كأني بك تحدث نفسك بتمام الؤيا، فقال: إني لأرجو أن يفضي الأمر إلي، فأنصف وأصل، فقال له: ذلك الظن بك، فأجلسه معه وأمر له بألف ألف دينار، وكانت الرؤيا أن المهدي قال: رأيت في منامي كأني دفعت إلى قضيباً وإلى هارون قضيباً فأورق قضيب موسى من أعلاه قليلاً، وأورق في قضيب هارون من أوله إلى آخره، فدعا المهدي الحكم بن موسى فقال له: أعبر هذه الرؤيا، فقال: يملكان جميعاً فتقل أيام موسى، ويبلغ هارون آخر مدى ما عاش خليفة، وتكون أيامه أحسن أيام. فلم يلبث الهادي إلا يسيراً حتى اعتل ثلاثة أيام ومات.
وحكى أبو بكر الصولي: أنه خرج على ظهر قدمه بثرة، فصارت كاللوزة، وافتصد ومات بعد ثلاث، وجاءت أمه الخيزران وبه رمق، فأخذت خاتمه من يده وقالت: أخوك أحق بهذا الأمر منك. وهو يرى ذلك ولا يقدر على حيلة.
توفي الهادي بعيساباذ للنصف من ربيع الأول من هذه السنة، وقيل: لثلاث عشرة بقيت من ربيع وهو ابن ست وعشرين سنة، وقيل ثلاث وعشرين، وصلى عليه أخوه هارون ودفن في بستانه بعيساباذ، وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة عشر يوماً، وقيل: سنة وثلاثة اشهر، وقيل وشهرين وأحد عشر يوماً.
معاوية بن عبيد الله بن يسار أبو عبيد الله الأشعري مولاهم من أهل طبرية
ولد سنة مائة، وكتب الحديث، وسمع أبا إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر ونحوهما، وكان خيراً فاضلاً عالماً، وكان يكتب للمهدي قبل الخلافة رسمه له المنصور، وكان جميع أمر المهدي إليه، فلا يخالفه في شيء، ثم وزر له.
أنبأنا المحمدان ابن عبد الباقي وابن عبد الملك قالا: أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال: أنبأنا أبو الحسن الداقطني قال: حدثني القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبيد الله بن نصر قال: أخبرني أبو بكر محمد بن عبد الملك السراج قال: حدثني عيسى بن أبي عباد قال: حدثني عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله قال: أبلى أبو عبيد الله مصليين، وأسرع في الثالث أو ثلاثة وأسرع في

الرابع موضع الركبتين والوجه واليدين لكثرة صلاته، قال: وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به على المساكين، وكان يلي ذلك مولى له، فلما اشتد الغلاء أتاه فقال: قد غلا السعر، فلو نقصنا من هذا؟ فقال: أنت شيطان، أو رسول الشيطان، صيره كرين. فكان له في كل يوم بعد ذلك كران يخبزان للمساكين قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت فلم يعبر عليها إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين، ودفن في مقابر قريش ببغداد وصلى عليه علي بن المهدي.

توفي في هذه السنة، وقيل: في السنة التي قبلها.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها: قدوم أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي مدينة السلام منصرفاً عن خراسان، وكان خاتم الخلافة مع جعفر بن محمد الأشعث، فلما تقدم أبو العباس أخذه الرشيد منه ودفعه إلى أبي العباس، ثم لم يلبث أبو العباس غلا يسيراً حتى توفي، فدفع الخاتم إلى يحيى بن خالد.

وفيها: أمر الرشيد بإخرج من كان بمدينة السلام من الطالبين إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان أبو الحسن فيمن شخص.

وفيها: خرج الفضل بن سعيد الحروري فقتله أبو خالد المروروذي.

وفيها: خرجت الخيزران في شهر رمضان إلى مكة فأقامت بها إلى وقت الحج وحجت.

وفيها: حج بالناس عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

حيان بن علي الكوفي، أبو علي أخو مندل. حدث عن الأعمش، وسهيل بن أبي صالح، روى عنه حجر بن المثنى وخلف بن هشام، وكان صالحاً ديناً فقيهاً.

قال يحيى: هو صدوق، وفي رواية عنه يضعفه.

توفي هذه السنة. وقيل: في السنة التي تليها.

سعيد بن السائب الطائفي. روى عنه سفيان ووكيع.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا علي بن أحمد الملطي قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: أخبرنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا الحميدي، عن سفيان قال: كان سعيد بن السائب الطائفي لا يطاد تجف له دمعة، إنما دموعه جارية دهره، إن صلى فهو يبكي، وإن جلس فهو يقرأ في المصحف فهو يبكي. قال سفيان: فحدثوني أن رجلاً عاتبه على ذلك فبكى، ثم قال: إنما ينبغي أن تعذلني وتعاتبني على التقصير والتفريط، وأنهما قد استوليا على. أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ، ومحمد بن ناصر الحافظ، وعلي بن عمر قالوا: أنبأنا طراد قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال: حدثنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني الحسن بن الصباح قال: حدثنا محمد بن يزيد بن حسن قال: سمعت الثوري يقول: جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي، فجعل يبكي

حتى رحمته، فقلت: يا سعيد، ما يبكيك وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وفعالهم، قال: يقول: يا سفيان، وما يمنعني من البكاء، وإذا ذكرت مناقب أهل الخير كنت منهم بمعزل، قال: يقول سفيان: وحق له أن يبكي.

توفي عبد الله في هذه السنة.

عمر بن ميمون بن الرماح، أبو علي. قاضي بلخ، تولى القضاء بها أكثر من عشرين سنة، وكان محموداً في ولايته، مذكوراً بالعلم والحلم والصلاح والفهم، حدث عن سهيل بن أبي صالح، والضحاك، روى عنه: سريج بن النعمان، وكان ثقة، وعمي في آخر عمره، وتوفي ببلخ في رمضان هذه السنة.

عيسى بن يزيد بن بكر بن داب، أبو الوليد.

أحد بني الليث بن بكر المديني، قدم بغداد وأقام بها، وحدث عن صالح بن كيسان، وهشام بن عروة، وكان رواية عن العرب، وافر الأدب، عالماً بالنسب، حافظاً للسير عارفاً بأيام الناس، إلا أنهم قدحوا فيه، فقالوا: يزيد في الأحاديث ما ليس فيها، ونسبه خلف الأحمر إلى الكذب، ووضع الحديث. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي الخطيب قال: أخبرنا الأزهري قال: أخبرنا حمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: لم يتول الخلافة قبل الهادي سنه أحد، لأنه كان حدثاً وكان يحب الأدب وأهله ويعطي عليه.

وكان عيسى بن داب يجالسه، وكان أكثر أهل الحجاز أدباً، وأعذبهم ألفاظاً، وكان قد حظي عند الهادي، وكان يقول له: ما استطلت بك يوماً ولا ليلة قط، ولا غبت عن عيني إلا تمنيت ألا أرى غيرك. وأمر له بثلاثين ألف دينار، فلما أصبح ابن داب، وجه قهرمانه فطالب بالمال، فلقي الحاجب فأبلغه رسالته فأعلمه أن ذلك ليس إليه، وأنه يحتاج إلى توقيع، فأمسك ابن داب، فبينا الهادي في نستشرف له نظر إلى ابن داب قد أقبل وليس معه غلام، فقال لإبرهيم الحداني: أما ترى ابن داب، ما غير حاله؟ ولا تزيي لنا، وقد برزناه بالأمس لنرى أثرنا عليه، فقال له إبراهيم: إن أمرنيام عرضت له بشيء من هذا، قال: لا هو أعلم بأمره. ودخل ابن داب، فأخذ في حديثه إلى أن عرض له الهادي شيئاً من أمره، فقال: أرى ثوبك غسيلاً، وهذا شتاء يحتاج إلى لبس الجديد واللين، فقال: يا أمير المؤمنين باعي قصير عما أحتاج إليه، فقال: كيف ذاك وقد صرفنا إليك من برنا ما فيه صلاح شأنك؟ قال: ما وصل إلي، فدعا بصاحب بيت مال الخاصة، فقال: عجل الساعة له بثلاثين ألف دينار، فحملت بين يديه.

المفضل بن محمد بن يعلى الضبي. سمع سماك بن حرب، وأبا إسحاق السبيعي، والأعمش وغيرهم.

وروى القراءات عن عاصم بن أبي النجود، روى عنه: الكسائي، والفراء، وغيرهما، وكان راوية للآداب وأيام الأعراب، علامة موثقاً في روايته.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن جعفر الخالع فيما أذن أن نرويه عنه قال: أخبرنا علي بن محمد بن السري قال: قال لنا جحظة: قال الرشيد للمفضل الضبي: ما أحسن ما قيل في الذئب ولك هذا الخاتم الذي في يدي وشراؤه ألف وستمائة دينار؟ فقال: قول الشاعر:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

فقال: ما ألقي هذا على لسانك إلا لذهاب الخاتم. ورماه إليه، فاشترته أم جعفر بألف وستمائة دينار وبعثت به إليه، وقالت: قد كنت أراك تعجب به فالتقطه الضبي وقال: خذه وخذ الدنانير، فما كنا نهب شيئاً فنرجع فيه.

أبو عبد الله الحربي الزاهد.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد قال: حدثنا عبد الغفار بن محمد المؤدب قال: حدثنا عمر بن أحمد الواعظ قال: حدثني علي بن الحسن بن دليل قال: حدثنا محمد بن أحمد المقدمي قال: حدثنا علي بن عبد العزيز قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الجروي قال: حدثنا إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال: كنا نتجالس في الجمعة فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحف به، فجلس إلينا، فألقى مسألة، فما زلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءنا في الجمعة المقبلة، فأجبناه وسألناه عن مترله، قال: أنزل الخريبة، فسألنا عن كنيته، فقال أبو عبد الله، فرغبنا في مجالسته ورأينا مجلسنا مجلس فقه، فمكثنا بذلك زماناً، ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لبعض، ما حالنا وقد كان مجلسنا عامراً بأبي عبد الله، وقد صار يوحشنا فوعد بعضنا بعضاً إذا أصبحنا أن نأتي الخريبة فنسأل عنه، فأتيناه الخريبة وكنا عدداً، فجعلنا نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتاب فقلنا: أبو عبد الله، فقالوا: لعلهم يعنون الصياد، قلنا: نعم، قالوا، هذا وقته الآن يجيء، فقعدنا ننتظره، فإذا هو قد اقبل مؤتزراً بخرقة، على كتفه خرقة ومعه أطيار مذبحة وأطيار أحياء، فلما رآنا تبسم إلينا وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا فقدناك، وقد كنت عمرت مجلسنا، فما غيبك عنا؟ قال: أصدقكم، كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذلك الثوب الذي كنت آتيكم فيه، وكان غريباً، فخرج إلى وطنه، فلم يكن لي ثوب آتيكم فيه، هل لكم أن تدخلوا المترل فتأكلوا مما رزق الله عز وجل؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا مترله، فجاء إلى الباب فسلم ثم صلى قليلاً ثم دخل، فأذن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقطع من البواري فبسطها لنا فقعدنا، فدخل إلى المرأة، فسلم إليها الأطيار المذبحة، وأخذ الأطيار الأحياء ثم قال: أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب، فأتى السوق فباعها واشترى لنا خبزاً، فجاء وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيئته، فقدم إلينا خبزاً ولحم الطير، فأكلنا، فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء، فكلما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا؟ ألا تغيرون وأنتم سادة أهل البصرة؟! فقال أحدهم: علي خمسمائة، وقال الآخر: علي ثلاثمائة، وقال هذا وقال هذا، ضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذي جمع له في الحساب خمسة آلاف درهم، فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا المال ونسأله أن يغير ما هو فيه، فقمنا فانصرفنا على حالنا ركباناً، فمررنا بالمربد، وإذا بمحمد بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظره له، فقال: يا غلام، آتيني بإبراهيم بن شبيب بن شيبة من بين القوم، فجئت فدخلت عليه، فسألني عن قصتنا ومن أين أقبلنا، فصدقته الحديث، فقال: أنا أسبقكم إلى بره، يا غلام، آتيني ببدرة دراهم، فجاء فقال: احمل هذه البدرة مع هذا الرجل حتى يدفعها إلى من أمرناه، ففرحت، ثم قمت مسرعاً، فلما أتيت الباب سلمت فأجابني أبو عبد الله، ثم خرج إلي، فلما رأى الفراش والبدرة على عنقه كأني سفيت في وجهه الرماد، فأقبل علي بغير الوجه الأول وقال: ما لي ولك، تريد أن تفتنني؟ فقلت: يا أبا عبد الله أقعد حتى أخبرك، إنه من القصة كذا وكذا، وهو الذي تعلم أحد الجبارين يعني محمد بن سليمان ولو كان أمرني أن أضعها حيث ارى لرجعت إليه فخبرته إني قد وضعتها، فالله الله في نفسك، فازداد علي غيظاً، وقام فدخل مترله وصفق الباب في وجهي فجعلت أقدم وأؤخر، ما أدري ما أقول للأمير، ثم لم أجد بداً من الصدق، فجئت فأخبرته الخبر فقال: حروري والله يا غلام، علي بالسيف، فجاء بالسيف فقال: خذ بي هذا حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا خرج إليك فاضرب عنقه وآتيني برأسه، قال إبراهيم: فقلت: أصلح الله الأمير، الله الله، فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكني أذهب فآتيك به، وما أريد بذلك إلا افتداء منه، قال: فضمنيه،

فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فإذا المرأة تحن وتبكي، ثم فتحت الباب وتوارت وأذنت فدخلت، فقالت: ما شأنكم وشأن أبي عبد الله؟ قلت: وما حاله؟ قالت: دخل فمال إلى الركي فترع منها ماء فتوضأ ثم صلى ثم سمعته يقول: اللهم اقبضني إليك ولا تفتني. ثم تمدد وهو يقول ذلك، فلحقته وقد مضى، فهو ذاك ميت، فقلت: يا هذه إن لنا قصة عجيبة، فلا تحدثوا فيه شيئاً، فجئت محمد بن سليمان فأخبرته الخبر، فقال: أنا

أركب فأصلي على هذا، قال: وشاع خبره بالبصرة، فشهد الأمير وعامة البصرة، رحمه الله.

ثم دخلت سنة اثنين وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها: شخوص الرشيد إلى مرج القلعة، ثم مرتاداً بها متزلاً يتزله، وكان قد استثقل مدينة السلام وكان يسميها البخار، فخرج على مرج القلعة فاعتل بها، وانصرف، وسميت تلك السفرة بسفرة المرتاد.

وفيها: عزل الرشيد يزيد بن مزيد عن أرمينية وولاها عبيد الله بن محمد المهدي.

وفيها: غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي.

وفيها: وضع الرشيد عن أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف.

وفيها: تزوج محمد بن سليمان بن علي العباسة بنت المهدي، وهي أول بنت خليفة من بني هاشم نقلت من بلد إلى بلد، نقلها إلى البصرة، وأول بنت خليفة نقلت من خلفاء بني أمية بنت معاوية، نقلت إلى البصرة إلى محمد بن زياد ذكره الصولي.

وفيها: ولي معاذ بن معاذ القضاء.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي قال: أخبرني الأزهري قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: ولي معاذ بن معاذ قضاء البصرة سنة اثنين وسبعين، وكان له محل ومترلة، فلم يحمد أهل البصرة أمره وكتبوا وكثر الكارهون له والوقائع عليه، فلما انصرف عن القضاء أظهر أهل البصرة السرور، ونحروا النحور وتصدقوا بلحمها، واستتر في بيته خوف الوثوب عليه، ثم شخص بعد ذلك إلى الرشيد فاعتذر، فقبل عذره ووهب له ألف دينار، وكان من الأثبات في الحديث.

وفيها: حج بالناس يعقوب بن أبي جعفر المنصور.

وعمال السنة ما قبلها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن عياش بن سالم مولى بني أسد وهو أخو أبي بكر بن عياش القارئ.

من أهل الكوفة، وكان وصي سفيان الثوري، وسمع أبا إسحاق الشيباني، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وغيرهم، وكان ثقة.

توفي في هذه السنة.

عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل الأنصاري المديني رأى سهل بن سعد وأنس بن مالك، وسمع عكرمة، وروى عنه أبو نعيم الفضل بن دكين، وكان ثقة.

توفي في هذه السنة. وقيل: السنة التي قبلها.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها: أن الرشيد أقدم جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان وولاها ابنه العباس بن جعفر.

قال الصولي: وخرج بالناس الرشيد محرماً من بغداد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إسماعيل بن زكريا بن مرة، أبو زياد الخلقاني مولى أسد بن خزيمة يلقب شقوصاً. كوفي الأصل، سمع إسماعيل بن أبي خالد، وأبا إسحاق والأعمش وغيرهم وكان ثقة. أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر ابن ثابت قال: أخبرني الأزهري قال: حدثنا محمد بن عباس قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحسين بن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد قال إسماعيل بن زكريا: كان تاجراً في الطعام وغيره، وهو من أهل الكوفة، نزل بغداد في ربض حميد بن قحطبة ومات بها في أول سنة ثلاث وسبعين ومائة، وهو ابن خمس وستين سنة.

الخيزران جارية المهدي. اشتراها فأعتقها وتزوجها، فولدت له الهادي والرشيد، و لم تلد امرأة خليفتين غير ثلاث نسوة هي إحداهن، والثانية ولادة العنسية بنت العباس زوجة عبد الملك بن مروان أم الوليد وسليمان، والثالثة: شاهقير يذ بنت فيروز بن يزدجرد ولدت للوليد عبد الملك إبراهيم ويزيد فوليا الخلافة.

وقد أسندت الحديث، عن المهدي، عن أبيه، عن جده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من اتقى الله وقاه الله كل شيء".

أخبرنا أحمد بن علي المحلي قال: أخبرنا أبو محمد الصريفيني قال: أخبرنا أبو القاسم الصيدلاني قال: حدثنا علي بن محمود الكاتب قال: حدثنا أبو الحسن علي بن الحسين الطويل قال: حدثني هارون بن عبيد الله بن المأمون قال: لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها: والله يا جارية إنك لعلى غاية التمني، ولكنك حمشة الساقين، فقالت يا مولانا، إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما، فقال اشتروها فحظيت عنده، فأولدها موسى وهارون.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني الأزهري والحسن بن أبي طالب وأنبأنا أحمد بن علي بن المقرئ قال: أخبرنا أبو محمد الصريفيني قالوا حدثنا عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ قال: حدثنا علي بن محمد بن أبي الجهم قال: حدثني علي بن الطويل قال: حدثني سليمان بن محمد، عن الوقدي قال: دخلت يوماً إلى المهدي فدعا بمحبرته ودفتره، وكتب عني أشياء حدثته بها، ثم نهض وقال: كن بمكانك حتى أعود إليك، ودخل إلى دار المحرم ثم خرج متنكراً ممتلئاً غيظاً، فلما جلس: قلت يا أمير المؤمنين خرجت على خلاف الحال التي دخلت عليها؟ قال: نعم دخلت على الخيزران فوثبت إلي ومدت يدها إلى وخرقت ثوبي، وقالت: يا قشاش، وأي خير رأيت منك؟ وإنما اشتريتها من نخاس ورأت من يقول: ما رأت وعقدت لابنيها ولاية العهد ويحك وأنا قشاش؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام" وقال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي". وقال: "خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومته كسرته".

وحدثته في هذا الباب بكل ما حضرني، فسكن غضبه، وأسفر وجهه، وأمر لي بألفي دينار، وقال: أصلح بهذه من حالك،

وانصرفت، فلما وصلت إلى منزلي وافاني رسول الخيزران، فقال: تقرأ عليك ستي السلام، وتقول لك: يا عم قد سمعت جميع ما كلمت به أمير المؤمنين، فأحسن الله جزاك، وهذه ألفا دينار إلا عشرة دنانير بعثت بها إليك لأني لم احب أن أساوي صلة أمير المؤمنين ووجهت إلي بأثواب.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا أحمد بن علي البسري، عن أبي عبد الله بن بطة قال: حدثنا أبو علي بن الحسين بن القاسم قال: حدثنا أبو الفضل بن الربعي قال: حدثني أبي قال: سأل رجل الخيزران حاجة ثم أرسل إليه بهدية فأجابته: إن كان ما وجهت به من هديتك ثمناً لرأيي فيك فلقد بخستني القيمة، وإن كان استزادة فقد استغششتني في المودة وردها عليه.

وقد حكى نحوه أبو بكر الصولي فقال: لما ولي محمد بن سليمان البصرة أهدى إلى الخيزران مائة وصيف بيد كل وصيف جام من ذهب مملوء مسكاَ. فقبلت ذلك، وكتبت إليه: عافاك الله إن كان ما وصل إلينا منك ثمن رأينا فيك، فقدبخستنا في القيمة، وإن كان وزن مثلك إلينا فظننا بك فوقه.

قال ابن الأعرابي: كتب المهدي إلى الخيزران وهي بمكة:

نحن في أفضل السرور ولكن	ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه من أهل ودي	أنكم غيب ونحن حضور
فأجدوا في السير بل إن قدرتم	أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته، أو قالت لمن أجابه:

قد أتانا الذي وصفت من الشوق	فكدنا وما فعلنا نطير
ليت إن الرياح كن تودين	إليكم ما قد يجن الضمير
لم أزل صبة فإن كنت بعدي	في سرور فدام ذاك السرور

توفيتالخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة، ودفنت بمقابر قريش.

وروى يحيى بن الحسن أن أخاه حدثه قال: رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران وعليه طيلسان أزرق قد شد به وسطه وهو آخذ بقائمة السرير حافياً يعدو في الطين حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه ودعا بخف، فصلى عليها، ودخل قبرها، فلما خرج من المقبرة وضع له كرسي فجلس عليه، ودعا الفضل بن الربيع وقال له: وحق المهدي وكان لا يحلف بها إلا إذا اجتهد إني لأهم بالشيء لك من التولية وغيرها فتمنعني أمي فأطيع أمرها، فخذ الخاتم من جعفر وولي الفضل نفقات العامة والخاصة وبادرويا والكوفة، فتمت حاله، وانصرف الرشيد من جنازتها يتمثل بقول متمم بن نويرة:

كنا كندماني جذيمة حقبة	من الدهر حتى قيل لن تتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً	لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وكانت غلة الخيزران ألف ألف وستين ألف درهم، فاتسع الرشيد بغلتها وأقطع الناس من ضياعها.

سعد بن عبد الله بن سعد، أبو عمر المعافري. روى عنه عبد الله بن وهب، ويقال هو الذي أعان ابن وهب على تصنيف كتبه، وكانت له عبادة وفضل. توفي بالإسكندرية في هذه السنة.

عبد الرحمن بن أبي الموالي

ويقال: ابن زيد ابن أبي الموالي، أبو محمد المدني، مولى علي بن أبي طالب، وقيل: مولى أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدث عن محمد أبو بكر كعب القرظي، وابن المنكدر، روى عنه: الثوري، وابن المبارك، وأبو عامر العقدي، والقعنبي، وقتيبة، وكان ثقة.

وتوفي في هذه السنة.

غادر جارية الهادي. حكى جعفر بن قدامة قال: كان لموسى الهادي جارية يقال لها: غادر، وكانت من أحسن النساء وجهاً وغناءً، وكان يحبها حباً شديداً، فبينا هي تغنيه يوماً عرض له فكر وسهو تغير له لونه، فسأله من حضر عن ذلك، فقال: وقع في فكري أني أمو، وأن أخي هارون يلي الخلافة ويتزوج جاريتي هذه. فقيل له: نعيذك بالله، ونقدم الكل قبلك، فأمر بإحضار أخيه وعرفه بما خطر له فأجابه بما يوجب زوال هذا الخاطر، فقال: لا أرضى حتى تحلف لي إني أن متى مت لم تتزوجها. فأحلفه واستوفى عليه الأيمان من الحج راجلاً، وطلاق نسائه، وعتق المماليك، وتسبيل ما يملكه، ثم نهض إليها فأحلفها بمثل ذلك فما لبث إلا نحو شهر حتى توفي، وولي الرشيد فبعث يخطب الجاري، فقالت: كيف يميني ويمينك؟ فقال: أكفر عن الكل وأحج راجلاً، فتزوجها وزاد في شغفه بها على شغف أخيه حتى إنها كانت تضع رأسها على حجره وتنام ولا يتحرك حتى تنتبه، فبينا هي ذات يوم على ذلك انتبهت فزعة تبكي، فسألها عن ذلك، فقالت: رأيت أخاك الساعة وهو يقول:

أخلفت وعدي بعد ما جاورت سكان المقابر

ونسيتني وحنثت في أيمانك الكذب الفواجر

ونكحت غادرة أخي صدق الذي سماك غادر

أمسيت في أهل البلاد وغدوت في حور الغرائر

لا يهنك الألف الجديد ولا تدر عنك الدوائر

ولحقت بي قبل الصباح فصرت حيث غدوت صائر

والله يا أمير المؤمنين فكأني لما سمعتها كتبها قلبي فما أنسيت منها كلمة، فقال لها الرشيد: أضغاث أحلام، فقالت: كلا. ثم لم تزل تضطرب وترتعد حتى ماتت بين يديه.

محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي. أمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

كان من رجال بني هاشم وشجعانهم، وكان قد ولاه المنصور البصرة والكوفة، وزوجه المهدي بابنته العباسة، ونقلها إليه في البصرة، وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله، فسقط ليلة من يده ليلة بنائه بالعباسة فجعلوا يطلبونه فلم يجدوه، فقال: اطفئوا الشمع ففعلوا فرأوه، وكان له خمسون ألف مولى منهم عشرون ألف عتاقة، وكانت به رطوبة فكان يتداوى بالمسك يستعمل منه كل يوم عشرين مثقالاً ويتركه في عكن بطنه، وأقره على ولايته الهادي والرشيد، وكانت غلته كل يوم ألف درهم.

وروي عنه حديث مسند لا يعرف له غيره.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الحسن الحسين بن عبد الواحد قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل المستلمي قال: حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا العباس بن أبي طالب قال: حدثنا سلمة بن حيان العتكي قال: حدثنا صالح الناجي، عن محمد بن سليمان قال: حدثني أبي، عن جدي الأكبر يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "امسح على رأس اليتيم هكذا إلى مقدام رأسه ومن له أب هكذا إلى مؤخر رأسه".
أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني القاسم الأزهري قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: لما بويع الرشيد بالخلافة قدم عليه محمد بن سليمان وافداً، فأكرمه وعظمه وبره وصنع به ما لم يصنع بأحد، وزاده فيما كان يتولى من أعمال البصرة وكور دجلة والأعمال المفردة والبحرين وعمان واليمامة، وكور الأهواز وكور فارس، ولم تجمع هذه لأحد غيره، فلما أراد الخروج شيعه الرشيد إلى كلواذى.
وتوفي في جمادى الآخر من هذه السنة، وسنه إحدى وخمسون سنة وخمسة أشهر، وأمر الرشيد بقبض أمواله.
وذكر ابن جرير: أن الرشيد بعث رجلاً يصطفي ما خلفه من الصامت، ورجلاً إلى الكسوةو ولى الفرش والرقيق والدواب والطيب والجواهر، فجعل لكل آلة رجلاً يصطفيها، فأصابوا له ستين ألف ألف، وأخرج من خزانته ثيابه التي كان يلبسها كل سنة في زمن الصغر وأخرجوا ما كان يهدى إليه من البلاد حتى الدهن والسمك، فوجدوا أكثر ذلك فاسداً، فألقي في الطريق فأنتنت الطريق.

وحكى الصولي: أن الرشيد قبض ما خلفه محمد بن سليمان من المال فكان ثلاثة آلاف ألف دينار، ولم يتعرض للضياع ولا الدور ولا المستغلات ولا الجواهر ولا الفرش ولا العطر ولا الكسوة.
أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الطبري قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا أبو صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثني أبو محمد العتكي قال: حدثني الحسين بن سلام مولى آل سليمان بن علي قال: لما احتضر محمد بن سليمان بن علي كان رأسه في حجر أخيه جعفر بن سليمان، فقال جعفر: وانقطاع ظهراه، فقال محمد: وانقطاع ظهر من يلقى الجبار غداً والله ليت أمك لم تلدني، ليتني كنت حمالاً، وإني لم أكن فيما كنت فيه، وولى الرشيد مكانه عمه سليمان بن أبي جعفر.
وحكى ابن جرير أن قوماً قالوا: كانت وفاة محمد بن سليمان والخيزران في يوم واحد.
أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم المازني قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: بلغني ان جارية من جواري محمد بن سليمان وقفت على قبره فقالت:

أمسى التراب لمن هويت مبيتا ... ألق التراب فقل له حييتا
إنا نحبك يا تراب وما بنا ... غلاكرامة من عليه حثيتا

هيلانة جارية الرشيد. أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى المكي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: حدثنا

الأصمعي قال: كان الرشيد شديد الحب لهيلانة، وكانت قبله ليحيى بن خالد بن برمك، فدخل يوماً إلى يحيى قبل الخلافة فلقيته في ممر فأخذت بكمه فقالت: نحن لا يصيبنا منك يوم، فقال لها فكيف السيل إلى ذلك، فقالت: تأخذني من هذا الشيخ، فقال ليحيى أحب أن تهب لي فلانة فوهبها له حتى غلبت عليه، وكانت تكثر أن تقول هي إلا أنه، فسماها هيلانة، فأقامت عنده ثلاث سنين ثم ماتت، فوجد عليها وجداً شديداً وأنشد:

قد قلت لما ضمنك الثرى ... وجالت الحسرة في صدري

اذهب فلا والله لا سرني ... بعدك شيء آخر الدهر

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا الأصبهاني قال: أخبرنا العسكري عن أبي بكر الصولي قال: أخبرنا الغلابي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن قال: لما توفيت هيلانة جارية الرشيد أمر العباس بن الأحنف أن يرثيها فقال:

يا من تباشرت القبور بموتها ... قصد الزمان مساءتي فرماك

أبغي الأنس فلا ارى لي مؤنساً ... إلا التردد حيث كنت أراك

ملك بكاك وطال بعدك حزنه ... لو يستطيع بملكه لفداك

يحمي الفؤاد عن النساء حفيظة ... كيلا يحل حمى الفؤاد سواك

فأمر له بأربعين ألف درهم لكل بيت عشرة آلاف وقال: لو زدت لزدناك.

الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها أن الرشيد ولَى إسحاق بن سليمان الهاشمي السِّند ومكران، واستقصى، الرشيد فيها، يوسف بن أبي يوسف وأبوه حيّ. وغزا الصائفة عبدُ الملك بن صالح. وفيها: خرج الرشيد إلى البصرة يُريد الحج، فزاد في مسجد البصرة مما يلي القبلة، وخرج فبدأ بالمدينة، فقسم في أهلها مالاً عظيماً.

ووقع الوباء في هذه السنة بمكة، فأبطأ عن دخولها، ثم دخلها فقضى طوافه وسعيه، و لم يترل مكة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

بكر بن مضر بن محمد بن حكيم، أبو عبد الملك، مولى ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وُلد سنة مائة، وكان عابداً، وتوفي يوم عرفة من هذه السنة.

عبد اللّه بن لَهيعة بن عُقْبة بن فُرغان، أبو عبد الرحمن الحَضْرَميُّ.

ولد سنة سبع وتسعين. وروى عن مِشْرَح بن هَاعَان، وغيره. وكان قاضي مصر، وروى عنه: الليث، وابن المبارك. وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة، وكان ضعيفاً.

عبد الرحمن بن أبي الزناد، يكنى: أبا عبد اللّه. توفي في هذه السنة.

محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد واسم أبي الزناد: عبد اللّه بن ذكوان– مولى رملة بنت شيبة، وكنية محمد: أبو عبد اللّه، المديني. كان يطلب الحديث مع أبيه، ولقي عامة شيوخه، وكان بينهما في السن سبع عشرة سنة، وحديثه قليل، روى عنه محمد بن عمر الواقدي. وكان عالمًا بالقراءة والحديث، والفرائض، والحساب، والعروض.

توفي في هذه السنة وهو ابن أربع وخمسين سنة، ومات أبوه قبله بإحدى وعشرين ليلة، ودفنا في مقابر باب التين. وقيل: في مقبرة الخيزران.

منصور، مولى عيسى بن جعفر، ولقبه: زلزل فغلب عليه ونُسي اسمه.

وكان يضرب بالعود، فيُضرَب به المثل، وعمل ببغداد بركة للسبيل كان يضرب بها المثل.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد ابن علي، الخطيب قال: أنشدنا الحسن بن أبي بكر قال: أنشدنا أبي قال: أنشدنا إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه لنفسه:

لو أن زهيراً وامرأ القيس أبصرا ... ملاحة ما تحويه بِركَةُ زَلْزَل

لما وصفا سلْمَى ولا أم سالم ولا أكثر ذِكْرَ الدخول فحومَل

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرنا أبو العباس المروزي قال: حدَّثني المفضل قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبيه قال: قال لي زلزل: عندي جارية من حالها من قصتها قد علّمتها الغناء. فكنت أشتهي أن أراها، وأستحي أن أسأله، فلما توفي زلزل بلغني أن ورثته يعرفون الجارية، فصرت إليهم، فأخرجوها فإذا هي جارية كاد الهزال يكويها، لولا ما تم منها ونقص منه، فقلت لها: غنّي، فغنَّت وعيناها تذرفان، ثم شهقت، ظننت أن نفسها قد خرجت. فركبت من ساعتي، فدخلت على أمير المؤمنين، فأخبرته خبرها، فأمر بإحضارها، فلما دخلت عليه قال: غنّي. فغنَّت وجعلت تريد البكاء، فتمنعها هيبة أمير المؤمنين، فرحمها وأعجب بها، وقال: أتحبين أن أشريك؟ فقالت: يا سيدي، أما إذ خيرتني فقد وجب نصحك عليّ، والله لا يشتريني أحد بعد زلزل فينتفع بي. فأمر بشرائها وأعتقها وأجرى عليها رزقاً.

وفي رواية أخرى: أنه قال: أتحبين أن أشتريك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لقد عرضت علي ما يقصر عنه الأمل، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد فينتفع بي. فزاد رقة عليها، وقال: غني صوتاً فغنت:

العينُ تظهر كتماني وتبديه والقلبُ يكتم ماضمَّنتهُ فيه

وكيف ينكتم المكنون بينهما والعين تظهره والقلب يخفيه

فاشتراها وأعتقها، وأجرى عليها إلى أن مات.

عابد مصري مبتلى.

أخبرنا عبد الوهاب الأنماطي قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا أحمد بن علي التوذي قال: أخبرنا عمر بن ثابت قال: أخبرنا علي بن أحمد بن أبي قيس قال:، حدَّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدَثنا علي بن الحسين، عن موسى بن عيسى، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي قال: حدَّثني بعض الحكماء قال: خرجت وأنا أريد الرباط، حتى إذا كنت بعريش مصر أو دونه إذا أنا بمظلة، وإذا فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وإذا هو يقول: اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيَلاً قلت: واللّه لأسْألنَّه أعلَمَهُ أم أُلهِمَه، فدنوت منه، فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام فقلت: إني سائلك عن شيء تخبرني به قال: إن كان عندي منه علم أخبرتك فقلت: على أي نعمة من نعمه تحمده أم على أي فضيلة تشكره؟ قال: أليس ترى ما قد صنع بي قلت: بلى قال: فو اللّه لو أن الله عز وجل صبّ علي السماءَ ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرّقتني، وأمر الأرض فخسفت بي، ما ازددت له إلا حباً وشكراً وإن لي إليك حاجة .قلت: وما هي. قال: كان لي مَنْ يتعاهدني في وقت صلاتي ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، انظر إلي، هل تحسه لي فقلت: إن في قضاء حاجة هذا العبد لقربة إلى الله تعالى، فخرجت في طلبه حتى إذا كنت في كثبان من رمل، إذا سبع قد افترس الغلام فأكله، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف آتي هذا العبد الصالح من وجه رقيق فأخبره الخبر لئلا يموت، فأتيته، فسلَمت عليه، فرد عليَ السلام، فقلت له: إني سائلك عن شيء، أتخبرني به؟ قال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به. قلت: أنت أكرم على الله عز وجل مترلة أم

أيوب عليه السلام قال: بل أيوب عليه السلام كان أكرم على الله عز وجل مني، وأعظم مترلة فقلتَ: أليس قد، ابتلاه فصبر، حتى استوحش منه من كان يأنس به، وصار غرضاً لُمرار الطريق؟ فقال: بلى. قلت: إن ابنك الذي أخبرتني من قصته ما أخبرتني، خرجت في طلبه، حتى إذا كنت بين كثبان رمل، إذا أنا بالسبع قد افترس الغلام وأكله فقال: الحمد للّه الذي لم يجعل في قلبي، حسرة من الدنيا ثم شهق شهقة فمات. فقلت: آنا لله وآنا إليه راجعون، مَنْ يعينني على غسله وتكفينه ودفنه. فبينا أنا كذلك إذا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم فأقبلوا، فقالوا: ما أنت وهذا فأخبرهم بالذي كان من أمره، فثنوا رحلهم فغسلناه بماءِ البحر، وكفناه بأثواب كانت معهم، ووليت الصلاة عليه من بينهم، ودفناه في مظلته تلك، ومضى القوم إلى رباطهم، وبت في مظلته تلك الليلة آنساً به. فلما مضى من الليل مثل ما بقي، إِذا أنا بصاحبي في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائماً يتلو الوحي، فقلت: أليس أنت صاحبي؟ قال: بلى قلت: فما الذي صيَّرك إلى ما أرى؟ قال: وردت من الصابرين على درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء.

فقال الأوزاعي ما زلت أحب أهل ذلك البلاء منذ حدثني الحكيم بهذا الحديث

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها: عَقد الرشيد لابنه محمد من بعده ولاية العهد، فأخذ له بيعة القواد والجند ببغداد، وسماه: الأمين، وله يومئذ خمس سنين، فقدَّمه على المأمون، والمأمون أكبر منه؟ لأن أمه زبيدة.

وقد روى أبو بكر الصولي قال: حدَّثنا سليمان بن داود المهلبي قال: حدَثنا القاسم بن محمد بن عباد، عن أبيه قال: كان الرشيد يقول: إني لأتعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة نفس الهادي، فلو أشأ أن أنسبه إلى الرابعة فَيّ لنسبته، وإني لأرضى سيرته، وأحمد طريقته، واستحسن سياسته، وأرى قوته وذهنه، وأمن ضعفه ووهنه، وإني لأقدم محمداً عليه، وأعلم أنه منقاد لهواه، متصرف في طريقه، مبذر لما حوته يده، مشارك للنساءِ والإماء في رأيه، ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه لقدّمت عبد الله عليه.

قال الصولي: ثم جعل يرى فضل المأمون، وعقله فيندم على تقديمه محمداً، فقال:

لقد بان وجه الرأي لي غير أنني	غلبت على الأمر الذي كان أحزما
فكيف يردُّ الذر في الضرع بعد ما	توزع حتى صار نهباً مقسما
أخاف التواءَ الأمر بعد انصداعهِ	وأن ينقض الأمر الذي كان أبرما

وكان السبب في التقدم لمحمد: أن جماعةً من بني العباس مدُّوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد، إذ لم يكن له ولي عهد، فمضى عيسى بن جعفر إلى الفضل بن يحيى، فقال له: أنشدك اللّه لما عملت في البيعة لابن أختي - يعني محمد بن زبيدة - فإنه ولدك، وخلافته لك. فوعده أن يفعل، فلما صار الفضل إلى خراسان فرق فيهم أموالاً وأعطى الجند أعطيات متتابعة، ثم أظهر البيعة لمحمد، فبايع الناس له، وكتب إلى الأفاق فبويع له، فأنكر قوم البيعة لصغر سنه.

وفيها: عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان، وولاها خاله الغطريف بن عطاء.

وفيها: صار يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن إلى الدّيْلم، فتحرك هناك.

وفيها: غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح.

قال الواقدي: الذي غزاها عبد الله بن صالح. قال: وأصابهم في هذه الغزاة برد قطع أيديهم وأرجلهم.

وفيها : حج بالناس الرشيد. وقيل: بل سليمان بن المنصور.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحكم بن فضيل، أبو محمد الواسطي. نزل المدائن، وحدَّث بها عن خالد الحذَاء، ويعلى بن عطاء، روى عنه: أبو النضر هاشم بن القاسم، وكان الحكم ثقة عند أهل زمانه، توفي في هذه السنة.

شعوانة العابدة . كانت كثيرة التعبد، شديدة الخوف، طويلة البكاء، وسألها الفضيل بن عياض الدعاء فقالت: يا فضيل، أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟ فشهق الفضيل وخرّ مغشياً عليه.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن علي التوزي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الدقاق، حدثنا أبو علي بن صفوان قال: حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدَّثني محمد بن الحسين قال: حدَثني مالك بن ضيغم قال: قال لي أبي يوماً انطلق بنا حتى نأتي هذه المرأة الصالحة، فننظر إليها – يعني شعوانة – فانطلقت أنا وأبو همام فدخلنا عليها فقالت: مرحباً يا ابن مَنْ لم نره ونحن نحبه، أما والله يا بني إني لمشتاقة إلى أبيك، وما يمنعني من إتيانه إلا أني أخاف أن أشغله عن خدمة سيده، وخدمة سيده أولى به من محادثة شعوانة، ثم قالت: ومَنْ شعوانة، وما شعوانة؟! أمة سوداء عاصية. ثم أخذت في البكاء فلم تزل تبكي حتى خرجنا وتركناها.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج قال: حدَّثنا أحمد بن علي قال: حدثنا محمد بن عبد الله القطيعي قال: حدَّثنا ابن صفوان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثني إبراهيم بن عبد الملك قال: قدمت شعوانة وزوجها مكة، فجعلا يطوفان ويصليان، فإذا كلّ أو عيا جلس، وجلست خلفه فيقول هو في جلوسه: أنا العطشان من حبك لا أروى. وتقول هي: أنبت لكل داء دواء في الجبال ودواء المحبين في الجبال لم ينبت.

الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث. يقال إنه مولى خالد بن ثابت الفهمي.

ولد بقرقشندة، وهي قرية من أسفل أرض مصر، سنة أربع وتسعين. وروى عن: عطاء بن أبي ربا، والزهري، ونافع في آخرين. حدث عن هشيم، وابن المبارك وغيرهما. وكان فقيهاً فاضلاً ثقة جَواداً، يحفظ القرآن ويعرف الحديث والعربية والشعر.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب قال: أخبرني الأزهري قال: حدثنا عبد اللّه بن عثمان الدقاق قال: حدَثنا علي بن محمد المصري قال: حدثني محمد بن أحمد بن عياض قال: سمعت حرملة بن يحيى يقول: سمعت ابن وهب يقول: كتب مالك بن أنس، إلى الليث بن سعد، أريد أن ادخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفر. قال: فبعث إليه الليث ثلاثين حملاً عصفر فصبغ لابنته، وباع منه بخمس مائة دينار وبقي عنده فضلة.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا علي بن طلحة المقري، أخبرنا صالح بن أحمد بن محمد الهمداني قال: حدثنا

أحمد بن القاضي قال: حدثنا أحمد بن عثمان النسائي قال: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: سمعت شعيب بن الليث يقول: خرجت مع أبي حاجاً، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق فيه رطب، فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا عبيد الله بن عمر الواعظ قال: حدثنا عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبي يقول: قال قتيبة بن سعيد: كان الليث بن سعد يستغل كل سنة عشرين ألف دينار، وقال: ما وجبت عليّ زكاة قط، وأعطى ابن لهيعة ألف دينار وأعطى مالك بن أنس ألف دينار، وأعطى منصور بن عمار ألف دينار، وجارية تساوي ثلاثمائة دينار. قال: وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد، فقالت: يا أبا الحارث إن ابني عليل وقد اشتهى عسلاً، فقال: يا غلام، أعطها مرطاً من عسل. والمرط مائة وعشرون رطلاً.

توفي الليث في شعبان من هذه السنة.

المنذر بن عبد اللّه بن المنذر بن المغيرة بن عبد اللّه بن خالد بن حزام.

كان من سروات قريش، وأهل الفضل.

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان بن داود قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدَّثني عمي مصعب قال: أخبرني الفضل بن الربيع قال: دعاه أمير المؤمنين المهدي إلى قضاء المدينة فلم أر رجلاً قط كان له استعفاء منه، قال لأمير المؤمنين: إني كنت وليت ولاية فخشيت أن لا أكون سلمت منها، فأعطيت الله عهداً أن لا ألي ولاية أبداً، وأنا أعيذ أمير المؤمنين باللّه ونفسي أن يحملني على أن أخيس بعهد الله. قال أمير المؤمنين المهدي: فواللّه لقد أعطيت هذا من نفسك قبل أن أدعوك. قال: والله لقد أعطيت هذا من نفسي قبل أن تدعوني. فقال: قد أعفيتك.

قال الزبير: وحدثني غير عمي من قريش قال: عرض عليه أمير المؤمنين المهدي مائة ألف درهم على أن يلي له القضاء فاستعفى، فقال: لا أعفيك حتى تدلني على إنسان أوليه القضاء. فدله على عبد الله بن محمد بن عمران فاستقضاه، فحج تلك الأيام المنذر بن عبد الله وأبو فاكترى لأبيه إلى الحج وما يجد ما يكتري لنفسه فحج ماشياً.

توفي المنذر في هذه السنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها : تولية الرشيد الفضل بن يحيى كور الجبال، وطَبرستان، ودُنْباوند، وقُومِس، وأرمينيَة، وأذْرَبيجان.

وفيها: ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بالديلم، فاشتدت شوكته، وقَوي أمره، ونزع إليه الناس من الأمصار والكُور، فاغتم لذلك الرشيد، وندب إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألفاً، ومعه صناديد القَواد، فاستخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين يجري الكتب على يديه، ثم مضى وحمل معه الأموال، وكاتب صاحب الديلم وجعل له ألف ألف درهم على أن يسهل خروج يحيى، فأجاب يحيى إلى الصلح والخروج على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه على نسخة يبعث بها إليه. فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد، فسره وكتب أماناً ليحيى بن عبد الله، وأشهد عليه، الفقهاء والقضاة وجلة أبني هاشم، مشايخهم منهم: عبد الصمد بن علي، والعباس بن محمد، ومحمد بن إبراهيم، وموسى بن عيسى، ومَنْ أشبههم ووجه به مع جوائز وكرامات وهدايا فوجّه الفضل بذلك إليه، فقدم يحيى عليه، وورد به الفضل بغداد، فلقيه الرشيد بكل ما أحبّ، وأمر له بمال كثير، وأجرى له أرزاقاً سنية، وأنزله منزلاً سرّياً بعد أن أقام

في منزل يحيى بن خالد أياماً، وكان يتولى أمره بنفسه، ولا يَكِلُ ذلك إلى غيره، وأمر الناس بإتيانه والسلام عليه بعد انتقاله عن منزل يحيى، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة الشاعر في الفضل:

ظَفِرتَ فلا شلتْ يَدٌ بَرْمَكية ... رَتَقْت بها الفَتْقَ الذي بين هاشم

على حين أعْيَا الراتقينَ التِئامُهُ ... فكَفُوا وقالوا لَيسَ بالمتلائم

فأصبَحْتَ قد فازَتْ يَدَاك بِخطةٍ ... من المجدِ باقٍ ذكرها في الْمَواسِمِ

وما زالَ قِدْحُ المُلْكِ يَخْرُجُ فائزاً ... لكمْ كلَّما ضُمتْ قِداحُ المُساهِمِ

ثم إن الرشيد دعا يحيى بن عبد الله وعنده أبو البختري القاضي ومحمد بن الحسن الفقيه، وأحضر كتاب الأمان الذي أعطاه يحيى، فقال لمحمد بن الحسن: ما تقول في هذا الأمان، أصحيح هو؟ قال: نعم، فحاجه الرشيد في ذلك. فقال له محمد بن الحسن: ما يصنع بالأمان لو كان محارباً ثم ولي وكان آمناً. فسأل أبا البختري أن ينظر في الأمان، فقال أبو البختري: هذا منتقض من وجه كذا ومن وجه كذا، فقال الرشيد: أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك، فمزَّق الأمان وتَفَلَ فيه أبو البختري، وقام يحيى ليمضى إلى الحبس. فقال له الرشيد : انصرف، أما ترون به أثر علة الآن، إن مات قال الناس سمّوه؟! فقال يحيى: كلا ما زلت عليلاً منذ كنت في الحبس وقبله. فما مكث بعد هذا إلا شهراً حتى مات.

وفي هذه السنة: هاجت العصبية بالشام بين النزارَية واليمانية، وكان رأس النزاريَّة يومئذ أبو الهيذام، وقتل بينهم خلق كثير.

وكان العامل على الشام حين هاجت هذه الفتنة موسى بن عيسى، فولى الرشيد موسى بن يحيى بن خالد البرمكي الشام، وضمّ إليه من القواد والجنود جماعة، فأصلح بين أهلها، وسكنت الفتنة، فمدحه الشاعر فقال:

قد هاجت الشأمُ هَيْجاً ... يشيب راسَ وَليده

فصُبَ موسى عليها ... بخيله وجُنُودِهْ

فَدانَت الشأمُ لمّا ... أتى بِسُنْح وَحيدهْ

هو الجَوادُ الذي بُذْ ... ذَ كلُ وجودٍ بجودِهْ

أعداهُ جودُ أبيه ... يحيى وجودُ جُدوده

فجاءَ موسَى بن يحيى ... بطارفٍ وتَليده

ونَالَ موسى ذُرى المج ... د وَهْو حَشوُ مُهُوده

خصَصْتُه بمَديحي ... منثورِهِ وقَصيدهْ

مِنَ البرامِكِ عودٌ ... له فأكرِمْ بِعُوده

حَوَوا على الشعر طراً ... خفيفهِ ومَديدهْ

وفي هذه السنة: عزل الرشيد الغطريف بن عطاء، عن خراسان، وولاها حمزة أبن مالك، بن الهيثم الخزاعي.

وفيها: ولي جعفر بن يحيى بن خالد مصر فولاها عمر بن مِهران.

وسبب ذلك: أن موسى بن عيسى كان على مصر، فبلغ الرشيد أنه عازم على الخَلْع، فقال: واللّه لا أعزله إلا بأخسَ مَنْ على بابي. فذكر له عمر بن مهران وكان أحول مشوه الوجه خسيس اللباس، وكان يشمر ثيابه، ويقصر أكمامَه، ويركب بغلاً عليه رَسَنٌ ، ويُردف غلامه خلفه، فدعاه فولاه مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، أتولى على شرط أن يكون، إليَ إذني إذا أصلحت البلاد انصرفت. فجعل ذلك إليه وبلغ الخبر موسى بن عيسى، فدخل عمر دار موسى والناس عنده، فجلس في أخْريات الناس، فلما تفرق أهل المجلس قال موسى لعمر: ألك حاجة يا شيخ؟ قال: نعم. ثم قام بالكتب، فدفعها إليه فقال: يقدم أبو حفص. قال: فأنا أبو حفص. قال: أنت عمر بن مهران؟! قال: نعم. قال: لعن الله فرعون حين قال: "أليس لي ملك مصر". ثم سلّم له العمل ورحَل، فتقدّم عمر إلى غلامه، فقال: لا تقبل من الهدايا إلا ما يدخل في الجراب، لا تقبل دابة، ولا جارية، ولا غلاماً. فجعل الناس يبعثون بهداياهم، فيرد الألطاف، ويقبل المال والثياب، فيأتي بها عمر، فيكتب عليها أسماء مَنْ بعث بها، ثم وضع الجباية. وكان قوم قد اعتادوا المطل وكسر الخراج، فبدأ برجل منهم فلواه، فقال: والله لا تؤدي ما عليك من، الخراج إلا في بيت المال، بمدينة السلام بغداد. فأشخصه مع رجلين، وكتب إلى الرشيد بالحال، وأخبره أنه قد خلف. فلم يلوه بعدها أحدٌ من الخراج بشيء، واستأدى النَجم الأول، والثاني، فلما كان في الثالث وقعت مماطلة فأحضر أهل الخراج فشكوا الضَيقة، فأمر بإحضار تلك الهدايا فأجزاها عن أهلها، ثم انصرف عن البلد.

وحكى أبو بكر الصولي أن الرشيد بايع في سنة ست وسبعين ومائة، لابنه عبد اللّه بالعهد بعد الأمين، وسَماه: المأمون، وولاّه المشرق كله، وكتب بينهما كتاباً علقه في المسجد الحرام.

وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك، فافتتح حصناً.

وفيها: حج بالناس سليمان بن المنصور.

قال أبو بكر الصولي: وفي هذه السنة حجت زبيدة فأمرت ببناءِ المصانعْ.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن صالح بن عبد الله بن عباس.

كان أمير مصر، حكى عنه ابن وهب، وتوفي في شعبان هذه السنة.

إبراهيم بن علي، بن سلمة بن علي بن هرمة، أبو إسحاق الفهري المديني.

شاعر مفلق، فصيح مسهب مجيد، أدرك دولة الأمويين والهاشميين، وكان ممن اشتهر بالانقطاع للطالبيين.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا الأزهري، أخبرنا أحمد بن إبراهيم، أخبرنا إبراهيم بن عرفة قال: تحول المنصور إلى مدينة السلام، ثم كتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباءهم وشعراءهم، فكان ممن وفد عليه إبراهيم بن هرمة، قال: فلم يكن في الدنيا خطبة أبغض إلي من خطبة تقربني منه، واجتمع الخطباء والشعراء من كل مدينة، وعلى المنصور ستر يرى الناس من ورائه ولا

يرونه، وأبو الخصيب حاجبه قائم يقول: يا أمير المؤمنين، هذا فلان الشاعر فيقول: أنشد، حتى كنت آخر مَن بقي. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا إبراهيم بن هرمة، فسمعته يقول: لا مرحباً ولا أهلاً، ولا أنعم اللّه به عيشاً ، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهبت واللّه نفسي ثم رجعت إلى نفسي، فقلت: يا نفس هذا موقف إن لم تشتدي فيه هلكت، فقال أبو الخصيب: أنشد. فأنشدته:

سرى ثوبه عنك الصبى المتخايل — وقرب للبين الخليط المزايل

حتى انتهيت إلى قولي:

فأما الذي أمنته يأمن الردى — وأما الذي حاولت بالثكل ثاكل

فقال: يا غلام، ارفع عني الستر فرفع، فإذا وجهه كأنه فلقة قمر، ثم قال: تمم القصيدة. فلما فرغت قال: ادن. فدنوت، ثم قال: اجلس، فجلست، وبين يديه مخصرة فقال: يا إبراهيم، قد بلغني عنك أشياء لولاها لفضلتك على نظرائك، فأقر لي بذنوبك أعفها عنك. فقلت: هذا رجل فقيه عالم، وإنما يريد أن يقتلني بحجة تجب عليَّ فقلت: يا أمير المؤمنين، كل ذنب بلغك مما عفوته عني فأنا مقربه.

فتناول المخصرة فضربني بها، فقلت:

أصبر من ذي ضاغطٍ عركرك — ألقى بواني زوره للمبرك

ثم ثنى فضربني، فقلت:

أصبر من عَوْب بجنبيه جلب — قد أثر البطان فيه والحقب

فقال: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وألحقتك بنظرائك من طريح بن إسماعيل، ورؤبة بن العجاج ولئن بلغني عنك أمر أكرهه لأقتلنك. قلت: نعم، وأنت في حل أو سعة، من دمي إن بلغك أمر تكرهه. قال ابن هرمة: فأتيت المدينة. فأتاني رجل من الطالبيين، فسلّم عليَّ فقلت: تنحَّ عني لاتشيط بدمي.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي، الخطيب، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن المخزومي، حدَّثنا أبو بكر الصولي، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، عن أحمد بن عيسى وذكر ابن هرمة قال – وكان متصلاً بنا – وهو القائل فينا:

ومهما ألام على حبهم — فإني أحب بني فاطمه

بني بنت من جاءَ بالمحكما — ت وبالدين والسنة القائمه

فلست أبالي بحبي لهم — سواهم من النعم السائمه

فقيل له في دولة بني العباس: ألست القائل كذا. وأنشده هذه الأبيات، فقال: أعض الله قائلها بهن أمه، فقال له من يثق به: ألست قائلها؟ قال: بلى، ولكن أعض بهن أمي خير من أن أقتل.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا الخطيب قال: حدَّثنا أبو جعفر محمد بن علان الوراق، حدَّثنا محمد بن أحمد بن محمد بن حماد قال: حدثنا هاشم بن محمد بن هارون الخزاعي، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب، ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: قال لي رجل من أهل الشام: قدمت المدينة فقصدت مترل إبراهيم بن هرمة، فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين، فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد

إلى بعض الأجواد، فما لنا به علم منذ مدة. فقلت: انحري لنا ناقة، فإنا أضيافك. قالت: والله ما عندنا ناقة. قلت: فشاة. قالت: والله ما عندنا. قلت: فدجاجة، قالت: والله ما عندنا. قلت: فأعطينا بيضة. قالت: والله ما عندنا. قلت: فباطل ما قال أبوك:

كم ناقةٍ قد وجَأتُ منحرها   بمستهل الشؤبوب أو جمل

قالت: فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء.

قال الأخفش: قال لنا ثعلب مرة: إن الأصمعي قال: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج.

الجراح بن مليح بن عدي، أبو وكيع.

ولد بالسند، حدَّث عن أبي إسحاق السبيعي، والأعمش. وولي بيت المال ببغداد في زمان الرشيد. وثقه يحيى بن معين، ويعقوب بن سفيان، وقال محمد بن سعد: كان ضعيفاً في الحديث، قال الدارقطني: ليس بشيء.

توفي في هذه السنة.

سعيد بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن جميل، أبو عبد الله المديني.

ولي القضاء ببغداد في عسكر المهدي، وزمن هارون الرشيد، وولي سبع عشرة سنة، وحدَّث عن هشام بن عروة، وسهل بن أبي صالح. قال يحيى: هو ثقة. توفي ببغداد في هذه السنة.

صالح بن بشير، أبو بشر القارىء، المعروف بالمري.

من أهل البصرة، كان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث، حدث عن الحسن، وابن سيرين، وبكر بن عبد اللّه، وثابت، روى عنه: عفان، وغيره. وكان عبداً صالحاً، كثير الخوف، شديد البكاء، وكان يذكر ويعظ، فحضر مجلسه سفيان الثوري فقال: هذا نذير قوم.

قال المؤلف: وقد ضعفه بعض المحدثين، والذي نراه أنه كان يخلط فيما يروي، ولا يتعمد الخطأ.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال أخبرنا السكري، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا جعفر بن محمد بن الأزهر قال: حدثنا ابن الغلابي قال: حدثنا شيخ من الكُتَّاب: أن صالحاً المري لما أرسل إليه المهدي، قدم عليه، فلما دخل عليه ودنا بحماره من بساط المهدي أمر ابنيه - وهما وليا عهده - موسى وهارون، فقال: قوما فأنزلا عمكما. فلما أقبلا إليه أقبل صالح علي نفسه، فقال: يا صالح لقد، خبتَ وخَسِرْتَ، إن كنت إنما عملت لهذا اليوم.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن أعلي، الخطيب قال: أخبرني علي بن أيوب قال: حدثنا محمد بن عمران بن موسى قال: حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال: حدَّثنا الحسين بن فهم قال: حدثني أبو همام قال: حدَّثني أبو نعيم بن عين قال: قال صالح المري: دخلت على المهدي فقلت: يا أمير المؤمنين، احمل لله ما أكلمك به اليوم، فإن أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه، وجدير بمن له قرابة، برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرث أخلاقه، ويَأتم بِهَدْيه وقد ورثك الله من فهم العلم ميراثاً قطع به عذرك، اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالفه في أمته، ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه، فاعتد لمخاصمة الله، ومخاصمة رسوله حججاً تضمن لك النجاة، أو استسلم للهلكة، واعلم أن أبطأ الصَرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة، وإن

أثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فمثلك لا يكاثر بتجريد المعصية، ولكن تتمثل لك الإساءة إحساناً، ويشهد لك عليها خونة العلماء، وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظراءك، فأحسن الحلم فقد أحسنت إليك الاداء قال: فبكى المهدي.

قال أبو همام: فأخبرني بعض الكتاب أنه رأى هذا الكلام مكتوباً في دواوين المهدي.

عبد الملك بن محمد، بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري. مديني قدم والياً على قضائها من قِبل الهادي، وكان عالماً بمذاهب أهل المدينة، روى عنه: المفضل بن فضالة وغيره، وتوفي بالعراق، في هذه السنة.

الفرج بن فضالة بن النعمان بن نعيم، أبو فضالة الحمصي التنوخي من أنفسهم.

سكن بغداد، وكان على بيت المال بها في أول، خلافة الرشيد. حدث عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وغيرهما.

روى عنه: علي بن الجعد وسريج بن يونس.

وذكر رجل من ولده أنه ولد في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان في غزوة مسلمة الطوانة جاء الخبر بولادته يوم فتحت الطوانة، فأعلم أبوه مسلمة فقال مسلمة: ما سميته؟ قال: سميته الفرج لما فرج الله عنا في هذا اليوم بالفتح. فقال مسلمة لفضالة: أصبت وكان أصاب المسلمين على الطوانة شدة شديدة. وذلك في سنة ثمان وثمانين.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز قال: حدَّثنا علي بن محمد بن الحسن القزويني قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: أقبل المنصور يوماً راكباً والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب، فقام الناس، فدخل من الباب و لم يقم له الفرج فاستشاط غضباً، ودعا به فقال: ما منعك من القيام حين رأيتني؟ قال: خفت أن يسألني الله عنه لِمَ فعلت، ويسألك لِمَ رضيت؟ وقد كرهه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. قال: فبكى المنصور وقرّبه وقضى حوائجه.

توفي الفرج في هذه السنة وقيل: في سنة سبع وسبعين، وقد وثقه بعض المحدثين وضعفه بعضهم.

المسيب بن زهير بن عمرو، أبو مسلم الضبي.

ولد في خلافة عمر بن عبد العزيز، وكان من رجالات الدولة العباسية، وولي شرطة بغداد في أيام المنصور، والمهدي، والرشيد، وقد كان تولى خراسان أيام المهدي، وتوفي في هذه السنة وهو ابن ست وسبعين سنة.

الوضاح أبو عوانة، مولى يزيد بن عطاء الواسطي.

وقال البخاري: يزيد بن عطاء، ويزيد مولى بني يشكر، وكان من سبي جرجان، رأى الحسن، وابن سيرين، وسمع من محمد بن المنكدر، وقتادة، ومنصور ابن المعتمر والأعمش، روى عنه: شعبة؟ وابن عليه، وابن مهدي، وكان أميناً ثبتاً ثقة صدوقاً.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: حدثنا محمد بن جعفر بن أحمد بن الليث الواسطي قال: حدثنا أسلم بن سهل قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبان قال: سمعت أبي يقول: اشترى عطاء بن يزيد أبا عوانة ليكون مع أبيه يزيد، وكان لأبي عوانة صديق قاص، وكان أبو عوانه يحسن إليه، فقال القاص: ما أدري بأي شيء أكافئه، فكان بعد ذلك لا يجلس مجلساً إلا قال لمن حضره: ادعو الله لعطاء البزار، فإنه اعتق أبا عوانة. فكان قل مجلس إلا

ذهب إلى عطاء مَنْ يشكره، فلما كثر عليه ذلك أعتقه.
توفى أبو عوانة في هذه السنة. وقيل: في سنة خمس، وله اثنتان وثلاثون سنة.

ثم دخلت سنة سبعة وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها: أن الرشيد عزل جعفر بن يحيى عن مصر، وولأَها إسحاق بن سليمان. وعزل حمزة بن مالك عن خراسان وولّاها الفضل بن يحيى إلى ما كان إليه من الأعمال. وفيها:غزا الصائفة عبد الرزاق بن عبد الحميد التَغلبي.
وكان في ليلة الأحد لأربع بقين من المحرم ظلمة وحمرة وريح، ثم كانت ظلمة ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من المحرم، ثم كانت ريح وظلمة شديدة يوم الجمعة لليلة خلت من صفر.
وفيها: حج الرشيد بالناس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

شريك بن عبد اللّه، أبو عبد اللّه النخعي الكوفي، القاضي أدرك عمر بن عبد الرحمن، وسمع أبا إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، وعبد الملك بن عمير، وسماك بن حرب، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن أبي ثابت، والأعمش وخلقاًكثيراً. روى عنه: ابن المبارك، ووكيع، وابن مهدي، وغيرهم.وهومن كبار العلماء الثقات، إلا أن قوماً قدحوا في حفظه.
أخبرنا أبو منصور، القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، الخطيب قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال: أخبرنا محمد بن جعفر التميمي قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال: أخبرنا وكيع قال: أخبرني إبراهيم بن عثمان قال: حدَّثنا أبوخالد يزيد بن يحيى بن يزيد قال: حدَثني أبي قال: مر شريك القاضي بالمستنير بن عمرو النخعي فجلس إليه فقال: أبا عبد اللّه، منْ أدَبَك. قال: أدبتني نفسي، واللّه ولدت ببخارى فحملني ابن عم لنا حتى طرحني عند بني عمٍّ لي، فكنت أجلس إلى معلم لهم فعلق بقلبي تعلم القرآن، فجئت إلى شيخهم فقلت: يا عمَّاه، الذي كنت تجريه علي هنا أجره علي بالكوفةأعرف بها السنَّة وقومي، ففعل، فكنت بالكوفة أضرب اللبن وأبيعه وأشتري دفاتر وطروساً، فاكتب فيها العلم والحديث، ثم طلبت الفقه فبلغت ما ترى فقال المستنير لولده: سمعتم قول ابن،عمكم، وقد أكثرت عليكم في الأدب ولا اراكم تفلحون فيه، فليؤدب كل رجل منكم نفسه، فمن أحسن فلها، ومن أساء فعليها.
لما ولي القضاء اضطرب حفظه.

أخبرنا أبو منصور قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قالى: أخبرنا أبو الفرج محمد بن عمر الجصاص قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف قال: وجدت في كتابناعن أبي العباس بن مسروق ما يدل حاله على السماع. قال: سمعت أبا كريب يقول: سمعت يحيى بن يمان يقول: لما ولي شريك القضاء أكره على ذلك، وأقعد معه جماعةمن الشرطة يحفظونه، ثم طاب للشيخ فقعد من نفسه، فبلغ الثوري أنه قعد من نفسه. فجاء فتراءى له، فلما رأى الثوري قام إليه فعظمه وأكرمه، ثم قال: يا أباعبدالله، هل من حاجة. قال: نعم مسألة. قال: أو ليس عندك من العلم ما يجزيك؟ قال: أحببت أن أذاكرك بها. قال: قل. قال: ما تقول في امرأة جاءت

فجلست على باب رجل، ففتح الرجل الباب واحتملها، ففجر بها، لمن تحد منهما؟، فقال له: دونها لأنها مغصوبة قال: فإنه لما كان من الغد جاءت فتزينت وتبخرت، وجلست على ذلك الباب، ففتح الرجل الباب فرأها فاحتملها ففجر بها، لمن تحدّ منهما؟ قال: أحدهماجميعاً؟ لأنها جاءت من نفسها، وقد عرفت الخبر بالأمس. قال: أنت كان عذرك حيث كان الشرط يحفظونك، اليوم أي عذر لك؟ قال: يا أبا عبد اللّه، أكلمك. قال: ما كان اللّه ليراني أكلمك أوتتوب. قال: فوثب فلم يكلمه حتى مات وكان إذا ذكره قال: أي رجل كان لو لم يفسدوه أخبرناأبومنصور، القزاز قال: أخبرنا أ أبو بكر بن ثابت الخطيب قال: أخبرناحمزة بن محمد بن طاهرقال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم قال: حدَثنا البغوي قال: حدَثنا أحمد بن زهيرقال: حدَثنا سليمان بن شيخ قال: حدَّثني عبد الله بن صالح بن !مسلم قال: كان شريك على قضاء الكوفة فخرج يلقى الخيزران، فبلغ شاهي وأبطأت الخيزران، فأقام ينتظرها ثلاثَاَ وييس خبزه، فجعل يبله بالماء ويأكله، فقال العلاء بن المنهال:

فإن كان الني قدقلت حقا بأنْ قدأكرهوك علىالقضاء فمالك موضعاًفي كل يوم تلقَى من يحج من النساء

مقيم في قرى شاهي ثلاثآ بلا زاد سوى كسر وماء أخبرنا أبومنصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبوالطيب الطبري قال: أخبرنا المعافى بن زكريا قال: حدًثنا محمد بن مزيد الخزاعي

قال: حدَّثنا الزبير قال: حدَثني عمي، عن عمربن الهياج بن سعيد قال: أتته امرأة يوماً- يعنِي شريكاً- وهو في مجلس الحكم، فقالت: إنا باللة ثم بالقاضي، امرأة من ولدجرير بن عبد اللة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. وردَدت الكلام فقال: إيها عنك الأن من ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لي بستان على شاطىء الفرات، لِي فيه نخل ورثته عن آبائي، فقاسمت أخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطاً، وجعلت فيه فارسياً في بيت يحفظ النحل، ويقوم ببستاني، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من أخوتي جميعاً، وساومنِي وأرغبني فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعواالحائط، فاصبحت لا أعرف من نخلي شيئا، واختلط بنخل أخوتي، فقال: يا كلام طينه بختم، ثم قال لها: امضيِ إلى بابه حتى يحضر معك. فجاءت المرأة بالطينةَ فأخذهاالحاجب ودخل بها إلى موسى فقال: أعدى شريك عليك، فقال: ادع لي صاحب الشرط. فدعا به، فقال: امض إلى شريك، فقل يا سبحان الله، ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي قال: يقول له صاحب الشرط،إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امض ويلك. فخرج فأمرغلمانه أن يتقدموا إلىالحبس بفراش وغيره من آلة الحبس، فلما جاء وقف بين يدي شريك فأدىالرسالة؟ قال: خذ بيده فضعه في الحبس. قال: قد عرفت والله إنك تفعل بي هذا،فقدمت ما يصلحني إلى الحبس، وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فوجَّه الحاجب إليه فقال: هذا رسول، أي شيء عليه؟ فلما وقف بين يديه وأدىالرسالة قال: ألحقه بصاحبه فحبس.

فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعثي وجماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك. فقال: امضوا إليه وأبلغوه سلامي، وأعلموه أنه قد استخف بي وإني لست كالعامة، فمضوا وهوجالس في مسجده بعد العصر، فدخلوا عليه فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم قال لهم: ما لي لا أراكم جئتم في غيره من الناس فكلمتموني؟ من هاهنا من فتيان الحي؟ فليأخذكل واحد منكم بيد رجل، فيذهب به إلى الحبس لا ينم والله إلا فيه. قالوا: أجاد أنت؟ قال: حقاً حتى لا تعودوابرسالة ظالمِ. فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبس، فأطلقهم جميعاَ. فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء، جاء السجان فأخبره

فدعا بالقمطر فختمه، ووجه به إلى مترله، ثم قال لغلامه ألحقني بثقلي إلى بغداد، فواللّه ما طلبنا هذاالأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الاعزاز فيه إذ أقد، تقلدناه لهم، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد.

وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله تثبت، انظر اخوانك تحبسهم دع أعواني. قال: نعم لأهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعاً إلى الحبس وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما قلّدني. فأمر بردّهم جميعاً إلى الحبس، وهو والله واقف مكانه حتى جاءه السجان فقال له: قد رجعوا إلى الحبس. فقال لأعوانه: خذوا بلجامه، فردوه بين يدي إلى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس مجلس القضاء، ثم قال: علي بالجويرية المتظلمة من هذا، فجاءت فقال: هذا خصمك قد حضِر، وهوجالس معها بين يديه، فقال: أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شيء. قال: أما الآن فنعم، أخرجوهم. ثم قال له: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة، قال: صدقت. قال: فرد جميع ما أخذ منها وتبني حائطها في وقت واحد سريعاً كما هدم. قال: أفعل. قال: بقي لك شيء. قال: تقول المرأة بيت الفارسي ومتاعه. قال: يقول موسى بن عيسى: ونرد ذلك جميعه، بقي لك شيء تدعينه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيراً. قال: قومي، ثم وثب من مجلسه، فأخذ بيد موسى بن عيسى، فأجلسه في مجلسه، ثم قال: السلام عليك أيها الأمير تأمر بشيء؟ قال: أي شيءآمر؟ وضحك.

أخبرنا القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي الخطيب قال: أخبرنا العتيقي قال: أخبرنا محمد بن العباس قال: حدَّثنا محمد بن خلف قال: أخبرني أحمد بن عثمان بن حكيم قال: أخبرني أبي قال: كان شريك القاضي لا يجلس حتى يتغدى ثم يأتي المسجد فيصلي ركعتين، ثم يخرج رقعة من قمطرة فينظر فيها، ثم يدعو بالخصوم، وإنما كان يقدمهم الأول فالأول، فقيل لابن شريك: نحب أن نعلم ما في هذه الرقعة؟ فنظر فيها ثم أخرجها إلينا، فإذا فيها: يا شريك بن عبد الله أذكر الصراط وحدته، يا شريك بن عبد الله، اذكر الموقف بين يدي الله تعالى.

توفي شريك بالكوفة يوم السبت غرة ذي القعدة من هذه السنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها: وثوب الحوْفيَّة بمصر بعامل الرشيد عليهم إسحاق بن سليمان، وقتالهم إيَّاه وتوجيه الرشيد إليه هرثمة بن أعين في عدة من القوَّاد مدداً له، حتى أذعن أهل الحَوْف، ودخلوا في الطاعة، وأدوْا ما كان عليهم من وظائف السلطان، وكان هرثمة إذ ذاك والي فلسطين، فلما انقضى أمر الحَوْفية صرف هارون إسحاق عن مصر، وولاها هرثمة نحواً من شهر، ثم صرفه عنها ولاها عبد الملك بن صالح.

وفيها: كان وثوب أهل إفريقية بعبدويه الأنباريّ ومَنْ معه من الجند هنالك، فقتلوا الفضل بن روح بن حاتم، وأخرج مَنْ كان بها من آل المهلب، فوجه الرشيد إليهم هرثمة فرجعوا إلى الطاعة، وكان عبدويه قد غلب على إفريقية، وخلع السلطان فتلطف الأمير يحيى بن خالد، وكاتبه بالترغيب في الطاعة والترهيب والتجريد للمعصية، فقبل الأمان، وعاد إلى الطاعة، فولي له يحيى .

وفيها: فوض الرشيد أمورَه إلى يحيى بن خالد بن برمك.

وفيها: خرج الوليد بن طريق الشاري بالجزيرة فقتل إبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين، ثم مضى إلى إرمينية .

وفي هذه السنة: شخص الفضل بن يحيى إلى خُراسان والياً عليها، فأحسن السِّيرة بها، وبنى المساجد والرّباطات، وغزا ما وراء النهر، واتخذ بخُراسان جنداً من العجم يبلغ عددهم خمس مائة ألف، وسماهم العباسيّة، وقدم بغداد منهم عشرون ألفاً فسمُّوا ببغداد الكرَنبية .

وفيها: غزا الصائفة معاوية بن زُفر بن عاصم، وغزا الشّاتية سليمان بن راشد .

وفيها: حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي، وهو إذ ذاك العامل على مكة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أبو طاهر الأنصاري المدني قدم بغداد فحدَّث بها، وروى عنه: سريج بن النعمان وكان ثقة جليلاً، من أهل العلم والسنَة والحديث، وولاه الرشيد القضاء بالجانب الشرقي من بغداد، فمكث أياماً ثم مات، فصلى عليه هارون ودفنه في مقبرة العباسة بنت المهدي، وقيل: توفي في سنة ست وسبعين ومائة.

عبثر بن القاسم، أبو زبيد الكوفي.

سمع أبا إسحاق الشيباني، وسليمان التيمي، والأعمش، والثوري، روى عن قتيبة، وكان ثقة صدوقاً توفي في هذه السنة.؟؟؟

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

فمن الحوادث فيها: انصراف الفضل بن يحيى عن خراسان، واستخلافُه عليها عمرو بن شُرَحبيل.

وفيها: ولى الرشيد خُراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميري، وعزل محمد بن خالد بن برمك عن الحجبة، وولاها الفضل بن الربيع.

وفيها: خرج بخُراسان حمزة بن أترك السجستاني.

وفيها: رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة، واشتدت شوكته، وكثر تبعه، فوجه الرشيد إليه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، فراوغه يزيد، ولقيه على غرة فقتله وجماعة ممن، معه وتفرَّق الباقون،.

واعتمر الرشيد في هذه السنة في رمضان شكراً لله تعالى، على، ما أنعم به عليه في الوليد بن طريف، فلما قضى عمرته انصرف إلى المدينة فأقام بها إلى وقت الحج، ثم حج بالناس، فمضى من مكة إلى منى، ثم إلى عرفات وشهد مشاهدها والمشاعر ماشياً، ثم انصرف على طريق البصرة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، أبو هاشم الحميري يُلَقب: السيد، كان شاعراً مجيداً، لكنه أفرط في سب الصحابة، وقذف أزواج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول بإمامة محمد بن الحنفية، ويقول: إنه مقيم بجبل رضوى، وإنه لم يمت. ومن شعره في ذلك:

ألا قل للوصي فدتك نفسي | أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشرٍ والوك منّا | وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرًا | مقامك فيهم ستين عاما
وما ذَاقَ ابن خولة طعم موت | ولا وارت لنا أرض عظاما
لقد أمسى بمُورَقِ شعبِرضْوَى | تراجعه الملائكة الكلاما
هدانا اللّه إذ حرتم لأمرٍ | به وارثه يلتمس التماما
تمام مَودَةِ المهدي حتى | تروا آياتنا تترى نظاما

وكان الحميري يشرب الخمر، ويقول بالرجعة، فقال لرجل: تعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة؟ فقال: نعم، إن وثقت لي بمن يضمن لي أنك ترجع إنساناً وإنما أخشى أن ترجع كلباً أو ختريراً فيذهب مالي قال: الأصمعي لما سمع شعره: قاتله الله، ما أطبعه وأسلكه طريق الشعراء، والله لولا ما في شعره من سب السلف ما قدمت عليه من طبقته أحداً.

وذكر القاضي أبو بكر محمد بن الطيب قال: كان السيد الحميري يزعم أن جهنم بحضَرَموْتَ وبوادي بَرْهَوت.

وقال في أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما يصف عداءهما عنده:

أمست عظامهما بطيبة للبلَى | وبحضرموت شرها روحاهما

وقال في ذم سيدتنا عائشة رضي الله عنها:

أعائشَ إنك في المحدثات | وفي المحدثين بوادي اليمن
ببرهُوت تسقين من مائها | شراباً كريهاً شديد الأسَنْ

قال: وكان شديد اللهج بسب سيدتنا عائشة وسيدتنا حفصة رضي الله عنهما، وقال في ذلك:

جاءَت مع الأشقين في هودج | تُزْجي إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها حيَّةٌ | تريد أن تَأكل أولادها

قال: وكان يقصد قذف حُرَم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالعظائم.

ذكر أبو الفرج الأصفهاني أنه قال يعني في، عائشة وحفصة:

أحداهما نمَت عليه حديثه | وبغت عليه بغية إحداهما
فهما اللتان سمعت رب محمد | في الذكر قصّ على العباد نباهما

قال المصنف: وإنما يذكر العلماء ذلك لتعرف هذا اللعين وغَورَهُ في الكفر.

واختلفوا أين مات لعنه اللّه، فقيل: بواسط، أخذه كرب فجلس قبل موته فقال: اللهم هذا كان جزائي لحُب آل محمد، فمات فلم يدفنوه لكفره وسبّه الصحابة رضي الله عنهم.

وقيل: بل توفي ببغداد، واسود وجهه قبل موته، فأفاق من سكرته وفتح عينيه وقال: يا أمير المؤمنين، تفعل هذا لوليك؟ قالها ثلاث مرات ومات، فدفن بالحديثة ببغداد وذلك في خلافة الرشيد.

حماد بن زيد بن إبراهيم، أبو إسماعيل.

كان من كبار العلماء وسادات الفقهاء، أسند عن خلق كثير من التابعين.

وتوفي في رمضان هذه السنة وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

قال ابن مهدي: ما رأيت أعرف بالسنة منه.

وقال يزيد بن زريع يوم موته: مات سيد المسلمين.

خالد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن، أبو الهيثم. وقيل: أبو أحمد الطحان، مولى مزينة .

من أهل واسط، ولد سنة عشر ومائة، وسمع يونس بن عبيد، وابن عون، وغيرهما. روى عنه: وكيع، وابن مهدي، وعفان بن مسدد، وكان ثقة صالحاً.

قال إسحاق الأزرق: ما أدركت أفضل من خالد. قيل: قد رأيت سفيان فقال: كان سفيان رجل نفسه، وكان خالد رجل عامة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدَّثنا أبو نعيم الحافظ قال: سمعت الطبراني يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: قال أبي: كان خالد بن عبد الله الواسطي من أفاضل المسلمين اشترى نفسه من اللّه أربع مرات فتصدق بوزن نفسه فضة أربع مرات.

توفي في رجب هذه السنة، وقيل: في سنة اثنتين وثمانينن رحمه الله تعالى.

الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن الحارث بن غَيْمان بالغين المعجمة بعدها ياء مثناة من تحتها – بن جُثَيل – بالجيم بعدها ثاء مثلثة – بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح.

حُمِل بمالك ثلاث سنين، وكان طوالاً عظيم الهامة، أصلع شديد البياض إلى الشقرة، أبيض الرأس واللحية.

رأى خلقاً من التابعين، وروى عنهم، وكان ثقة حجة، يلبس الثياب العدنية الجياد، وكان نقش خاتمه حسبي الله ونعم الوكيل فقيل له: لِم نقشت هذا؟ فقال: سمعت الله يقول عقب هذه الآية "فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سُوْء" وكان إذا دخل بيته فأدخل رجله قال: ما شاء الله، وقال: سمعت الله يقول: "ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء اللّه" أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أبو سهل بن سعدويه قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن الفضل القرشي قال: أخبرنا أبو بكر بن مردويه قال: حدَّثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا مسعدة بن أسعد العطار قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: سمعت معن بن عيسى يقول: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل وتَبخر وتطيب، فإذا رفع أحد صوتَه عنده قال: اغضض من صوتك فإن اللّه عز وجل يقول: "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي" فمن رفع صوته عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا محمد بن علي بن عاصم قال: سمعت الفضل بن محمد الجندي يقول: سمعت أبا مصعب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ابن سليمان قال: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني الحافظ قال: حدثنا أبو محمد بن حيان قال: حدَّثنا أبو محمد بن أحمد بن عمرو قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن كليب قال: حدثني أبو طالب، عن أبي عبيدة قال: سمعت ابن مهدي يقول: سأل رجل مالكاً عن مسألة فقال: لا أحسنها. فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها. فقال له مالك ابن أنس: إذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم إني قد قلت لك لا أحسنها.

أخبرنا زاهر بن طاهر قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال: حدثنا أبو الحسين، محمد بن يحيى العلوي قال: حدثَنا أبو علي الغطريف قال: حدَّثنا أبو إسماعيل الترمذي ، حدثنا نعيم بن حماد قال: سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت رجلاً ارتفع مثل مالك بن أنس من رجل ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة عند الله.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا أبو أيوب الجلاب، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: حدَّثنا محمد بن عمر قال: لما دُعي مالك وسُور وسُمع منه شَنِف الناس له وحسدوه، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة سعوا به إليه، وقالوا: إنه لا يرى أيمان بيعتكم بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت عن الأحنف، في طلاق المكره أنه لا يجوز، فغضب جعفر بن سليمان، فدعا بمالك، فاحتج عليه بما رُقي إليه، ثم جرده ومدَّه وضربه بالسياط، ومُدت يده حتى انخلع كتفاه، وارتُكب منه أمر عظيم، فو الله ما زال بمالك بعد ذلك من رفعة عند الناس، وكأنما كانت، تلك السياط حُلياً حُليَ بها .

وكان يشهد الصلوات والجنائز والجمعة ، ويعود المرضى، ويجلس في المسجد، ويجتمع إليه أصحابه، ثم ترك الجلوس في المسجد، وكان يصلي ثم ينصرف وترك شهود الجنائز، وكان يأتي أهلها فيعزيهم، ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد الصلوات في مسجد ولا الجمعة، ولا يأتي أحداً يُعزيه، واحتمل الناس له ذلك، ومات على ذلك وربما كُلم في ذلك فيقول: ليس كل الناس يقدر يتكلم بعذره.

ومنذ خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة لزم مالك بيته فلم يخرج حتى قتل محمد، وكان يجلس في منزله على ضجاع له ونمارق مطروحة يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتيه من قريش والأنصار، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان نبيَلاً مهيباً لايستفهم هيبة .

قال محمد بن سعد: وحدثنا ابن أبي أويس قال اشتكى مالك أياماً يسيرة، فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، فقال: تشهد ثم قال: "لله الأمر من قبل ومن بعد".

وتوفي في صبيحة أربعة عشر من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، في خلافة هارون، وصلى عليه والي المدينة عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ودفن بالبقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة، وقيل: توفي في صفر من هذه السنة رضي الله عنه.

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: عود الفتنة بالشام، فاقتتل أهلها، وتفاقم الأمر، فاغتم بذلك الرشيد، وعقد لجعفر بن يحيى على الشام، وقال له: إما أن تخرج أنت أو أنا. فقال له جعفر: بل أقيك بنفسي فشخص في جلة القَواد والكراعِ والسلاح، وأتاهم فأصلح بينهم، وقتل

المناصفية منهم و لم يدع بها رمحاً ولا فرساً، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة، وانطفأت تلك الثائرة، وولى جعفر بن يحيى صالح بن سليمان البلقاء وما يليها، واستخلف على الشام عيسى بن العتكيّ، وانصرف فازداد الرشيد له إكراماً، فلما قدم دخل على الرشيد فقبل يديه ورجليه، وقال: الحمد لله الذي آنس وحشتي وأنسأ في أجلي حتى أراني وجه سيدي وأكرمني بقربه، وردني إلى خدمته، فو الله إن كنت لأذكر غيبتي، والمقادير التي أزعجتني، فأعلم أنها كانت بمعاصٍ لحقتني، ولو طال مقامي لخفت أن يذهب عقلي إشفاقاً على قربك وأسفاً على فراقك .

وفي هذه السنة: كانتَ زلزلة بمصر ونواحيها، وسقطت رأس منارة الإسكندرية فيها.

وفيها: أخذ الرشيد من جعفر بن يحيى الخاتم، فدفعه إلى أبيه يحيى بن خالد .

وفيها: ولى جعفر بن يحيى خُراسان وسجستان، فاستعمل جعفر عليها محمد بن الحسن بن عطية .

وفيها: شخص الرشيد من مدينة السلام يريد الرّقة على طريق الموصل، فلما نزل البَردان، ولّى عيسى بن جعفر خراسان، وعزل عنها جعفر بن يحيى، وكانت ولاية جعفر إياها عشرين ليلة .

وفيها: ولى جعفر بن يحيى الحرس .

وفيها: هدم الرشيد سور الموصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها، ثم مضى إلى الرّقة فنزلها، فاتخذها وطناً .

وفيها: عزل هَرْثمة بن أعين عن إفريقية وأقفله إلى مدينة السلام فاستخلف جعفر بن يحيى على الحرَس.

وفيها: خرج خُراشة الشيباني وشَرِيَ بالجزيرة فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي.

وفيها: خرجت المحمرة بجرحان، وكتب طي بن موسى بن هامان أن الذي يهيج ذلك عليه عمرو بن محمد العمركي، وأنه زنديق، فأمر الرشيد بقتله، فقُتل بمَرْو.

وفيها: عَزَل الرشيد الفضل بن يحيى عن طبرستان والرّويان، وولّى ذلك عبد الله بن حازم. وعزلَ الفضل أيضاً عن الري، ووليَها محمد بن يحيى بن الحارث، وولى سعيد بن مسلم الجزيرة .

وفيها : غزا الصائفة معاوية بن زفر بن عاصم .

وفيها: قدم الرشيد من مكة إلى البصرة في المحرَم فنزل المحمدية أياماً، ثم تحوّل منها إلى قصر عيسى بالحربية، وشخص عن البصرة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم، فقدم بغداد، ثم شخص منها، إلى الحيرة فسكنها، وابتنى بها المنازل، وأقطع مَنْ معه الخطط، وأقام بها نحواً من أربعين يوماً، فوثب أهل الكوفة وأساءوا مجاورته، فارتحل إلى مدينة السلام، ثم شخص إلى الرقة، فاستخلف ببغداد الأمين، وولاه العراق .

وحج بالناس في هذه السنة: موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، أبو إبراهيم الأنصاري .

مولى بني زريق، قارىء مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعِ عبد الله بن دينار، وشريك بن عبد الله، ومالك بن أنس،

وغيرهم. وكان ثقة مأموناً. فأقام ببغداد يؤدب علي بن المهدي إلى أن توفي في هذه السنة.

علي بن المهدي، أبو محمد الهاشمي، وأمه ريطة بنت أبي العباس.

تولى أمور الحج وإمارة الموسم غير مرة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي، أنبأنا إبراهيم بن مخلد قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخطبي قال: توفي أبو محمد علي ابن أمير المؤمنين المهدي في المحرم من سنة ثمانين ومائة في بستانه بعيساباذ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة؟ لأن مولده بالري سنة سبع وأربعين ومائة وهو أسن من أخيه الرشيد بشهور.

حَسَان بن سنان بن أوفى بن عوف، أبو العلاء التنوخي الأنباري.

ولد سنة ستين من الهجرة على النصرانية، وكانت دينه ودين آبائه ثم أسلم، وحسن إسلامه، وكان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية، ولحق الدولتين، فلما قلده السفاح ربيعة الرأي القضاء بالأنبار أتى مكتوب بالفارسية، فلم يحسن أن يقرأه، فطلب رجلاً ثقة ديناً يحسن قراءته، فدلَ على حسان فجاء به، فكان يقرأ له الكتب بالفارسية، فلما اختبره ورضي مذاهبه استكتبه، وكان جد إسحاق البهلول، وسمع أنس بن مالك، ودعا له، فخرج من أولاده جماعة: فقهاء، وقضاة، ورؤساء، وصلحاء، وكتاب، وزهاد.

وروى عنه: ابن أبي إسحاق.

وتوفي في هذه السنة، وهو ابن مائة وعشرين سنة.

سلمة بن صالح، أبو إسحاق الجعفي الأحمر الكوفي.

حدَث عن أبي إسحاق، وحماد بن أبي سليمان. روى عنه: أحمد بن منيع، وكان قد ولي القضاء بواسط في زمن الرشيد ثم عزل وقدم بغداد فأقام بها إلى أن مات.

وكان سبب عزله عن واسط: أن هشيم بن بشير تقدم مع خصم له إليه، فكلّم الخصم هشيماً بكلمة، فرفع هشيم يده، فلطم الخصم، فأمر سلمة بهشيم فضرب عشر درر وقال: تتعدى على خصمك بحضرتي؟ فأغضب ذلك مشيخة واسط، فخرجوا إلى الرشيد، فلقوه بمكة يطوف، فكلموه في سلمة وقالوا: لسنا نطعن عليه، ولكن رجل موضع رجل. فأمر بعزله وتقليد سواه.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا محمد بن عمر بن روح، أخبرنا المعافى بن زكريا، حدَّثنا طاهر بن مسلم العبدي قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، حدثنا محمد بن خلاس قال: لما عزل شريك عن القضاء تعلق به رجل ببغداد فقال: يا أبا عبد الله، لي عليك ثلاثمائة درهم فأعطنيها. قال: ومن أنا؟ قال: أنت شريك بن عبد الله القاضي. قال: ومن أين هي لك؟ قال: ثمن هذا البغل الذي تحتك. قال: نعم، تعال. فجاء يمشي معه، حتى إذا بلغ الجسر قال: مَنْ ها هنا؟ فقام إليه أولئك الشرط، فقال: خذوا هذا فاحبسوه، لئن أطلقتموه لأخبرن أبا العباس عبد الله بن مالك. فقالوا: إن هذا الرجل يتعلق بالقاضي إذا عزل، فيدعي عليه فيفتدي منه، قد تعلق بسلمة الأحمر حين عُزل عن واسط، فأخذ منه أربعمائة درهم، فقال: هكذا؟ فكلم فيه، فأبى أن يطلقه، فقال له عبد الله بن مالك: إلى كم يحبس؟ قال: إلى أن يرد على سلمة الأحمر أربعمائة درهم. قال: فرد على سلمة الأحمر أربعمائة درهم، فجاء سلمة إلى شُريك فشكر له، فقال له: يا ضعيف كل مَنْ سألك مالك أعطيته إياه.

اضطرب على سلمة حفظه فضعَفه أصحاب الحديث، وتوفي ببغداد في هذه السنة. وقيل: في سنة ست وثمانين. وقِيل: سنة ثمان

وثمانين.

الضحاك بن عثمان بن عبد اللّه بن خالد بن حزام.

كان علامة قريش بالمدينة بأخبارها، وأشعارها، وأيامها، وكان من أكبر أصحاب مالك بن أنس هو وأبوه، ولما استعمل عبد الله بن مصعب بن ثابت على اليمن وجَّه الضحاك خليفة له عليها، وفرض له كل سنة ألف دينار، وكلم له الخليفة فأعطاه أربعين ألف درهم، وكان محمود السيرة.

وتوفي بمكة عند منصرفه من اليمن يوم التروية من هذه السنة.

عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، أبو معاوية البصري .

سمع هشام بن عروة. وروى عنه: أحمد بن حنبل، وأبو عبيد، وكان ثقة صدوقاً، غزير العقل، ذا هيْئَةٍ حسنة.

وتوفي في هذه السنة. وقيل: سنة إحدى وثمانين.

عبد الوارث بن سعيد، أبو عبيدة التميمي، مولى بني العنبر .

شهد له شعبة بالإتقان. وتوفي في هذه السنة.

عافية بن يزيد بن قيس القاضي.

ولاه المهدي القضاء ببغداد في الجانب الشرقي، وحدث عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والأعمش، وغيرهما. وكان من أصحاب أبي حنيفة الذين يجالسونه، فكان أصحابه يخوضون في مسألة فإن لم يحضر عافية قال أبو حنيفة: لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافية، فإذا حضر، فإن وافقهم قال أبو حنيفة: أثبتوها، وإن لم يوافقهم قال أبو حنيفة: لا تثبتوها ".

وكان عافية هو وابن علاثة فكانا يقضيان في عسكر المهدي في جامع الرصافة، هذا في أدناه وهذا في أعلاه .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن المحسن القاضي قال: أخبرنا أبي قال: حدَّثنا أبو الحسين علي بن هشام الكاتب قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن سعد مولى بني هاشم قال: حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن أشياخه قال: كان عافية القاضي يتقلد للمهدي القضاء، وكان عافية عالماً زاهداً، فصار إلى المهدي في وقت الظهر في يوم من الأيام وهو خال، فاستأذن عليه فأدخله، فإذا معه قمطرة فاستعفاه من القضاء واستأذنه في تسليم القمطر إلى من يأمر بذلك، فظن أن بعض الولاة قد غض منه، أو أضعف يده في الحكم، فقال له في ذلك، فقال له: ما جرى من هذا شيء، قال: فما كان سبب استعفائك؟ قال: كان يتقدم إلي خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قضية معضلة مشكلة، وكل يدعى بينة وشهوداً، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا أو يتبين لي وجه فصل ما بينهما. قال: فوقف أحدهما من خبري على أني أحب الرطب السكر، فعمد في وقتنا وهو أول أوقات الرطب إلى أن جمع لي رطباً سكراً لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله إلا لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه ورشا بوابي جملة دراهم على أن يدخل الطبق إلي ولا يبالِي أن يرد، فلما دخل إلي أنكرت ذلك وطردت بوابي وأمرت برد الطبق، فلما كان اليوم تقدم إلي مع خصمه فما تساويا في قلبي ولا في عيني، وهذا يا أمير المؤمنين و لم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلت، ولا آمن أن تقع علي حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس. فأقلني أقالك الله وأعفني، فأعفاه.

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي، الخطيب. قال: أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد

المقرىء إن داود بن وسيم البوشنجي أخبرهم قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله، عن عمه عبد الملك بن قريب الأصمعي: أنه قال: كنت عند الرشيد يوماً، فرفع إليه في قاض يقال له: عافية، فكبر عليه، فأمر بإحضاره، فاحضر، وكان في المجلس جمع كبير، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويوقفه على ما رفع إليه، وطال المجلس، ثم إن أمير المؤمنين عطس فشمته مَن كان بالحضرة ممن قرب منه سواه، فإنه لم يشمته، فقال له الرشيد: ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم؟ فقال له عافية لأنك، يا أمير المؤمنين لم تحمد الله، فلذلك لم أشمتك، هذا النبي صلى الله عليه وسلم عطس عنده رجلان فشمت أحدهما و لم يشمت الآخر، فقال يا رسول الله، ما بك شمت ذلك و لم تشمتني. قال: "لأن هذا حمد الله فشمتناه وأنت لم تحمده فلم أشمتك". فقال له الرشيد: ارجع إلى عملك، فأنت لم تسامح في عطسة تسامح في غيرها؟ وصرفه منصرفاً جميلاً وزبر القوم الذين كانوا رفعوا عليه .

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد بن علي، الخطيب قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب قال: أخبرنا علي بن محمد بن إبراهيم الرياحي قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أخبرنا أبو العباس المنصور، عن ابن الأعرابي قال: خاصم أبو دلامة رجلاً إلى عافية فقال:

لقد خاصمتني غواةُ الرجا ... ل وخاصمتهم سنة وافيه

فما دَحَض الله لي حجةً ... وماخيب الله لي قافيه

فمن كنتُ من جوره خائفاً ... فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية: لأشكونَّك إلى أمير المؤمنين. قال: لِمَ تشكوني؟ قال: لأنك هجوتني قال: والله لئن شكوتني ليعزلنك. قال: و لم؟ قال: لأنك لم تعرف الهجاء من المديح.

عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، المعروف بسيبويه النحوي، مولى بني الحارث بن كعب. وقيل: مولى آل الربيع بن زياد .

وتفسير سيبويه: رائحة التفاح، وكانت والدته ترقصه في الصغر بذلك.

قال إبراهيم الحربي: سُمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحة.

قال مؤلف الكتاب: وكان سيبويه يصحب المحدثين والفقهاء، ويطلب الآثار، وكان يستملي على حماد بن سلمة، فلحن في حرف، فعابه حماد فأنف من ذلك، ولزم الخليل فبرع في النحو، وقدم بغداد وناظر الكسائي.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأني القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي قال: أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل النجيرمي قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد المهلبي قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الروذباري قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخي قال: حدثنا إبراهيم الحربي قال: سمعت ابن عائشة يقول: كنا نجلس مع سيبوبه النحوي في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب فِي كل أدب بسهم مع حداثة سنه وبراعته في النحوْ.

قال التاريخي: وحدثني ابن الأعلم قال: حدَّثنا محمد بن سلام قال: كان سيبويه جالساً في حلقة بالبصرة، فتذاكرنا شيئاً من حديث قتادة، فذكر حديثاً غريباً وقال: لم يرو هذا غير سعيد بن أبي العروبة. فقال له بعض مَنْ حضر: ما هاتان الزيادتان يا أبا بشر. قال: هكذا يقال، لأن العروبة يوم الجمعة، فمن قال عروبة فقد أخطأ، قال ابن سلام: فذكرت ذلك ليونس فقال: أصاب، لله دره .

قال أبو سعيد السيرافي: أخذ سيبويه اللغات عن أبي الخطاب الأخفش وغيره، وعمل كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله ولا لحق به من بعده، وكان كتابه لشهرته عند النحويين علماً، فكان يقال بالبصرة قرأ فلان للكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه، وكان المراد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر. تعظيماً له واستصعاباً لما فيه.

وقال السيرافي: لم نعلم أحداً قرأ كتاب سيبويه عليه، إنما قرىء بعده على أبي الحسن الأخفش، ورأيت في تعاليق أبي عبد الله المرزباني: قال ثعلب: اجتمع أربعون نفساً حتى عملوا كتاب سيبويه هو أحدهم، وهو أول الخليل ونكته فادعاه سيبويه، وأنا أستبعد هذا لأن مثله لا يخفى، والكل قد سلموا للرجل.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد أبن علي بن ثابت، الخطيب قال: أخبرنا هلال بن المحسن قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الجراح قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: أخبرنا ابن المتوكل قال: حدثنا أبو بكر العبدي قال: لما قدم سيبويه بغداد، فناظر سيبويه الكسائي وأصحابه، فلم يظهر عليهم، فسأل من يبذل من الملوك ويرغب في النحو؟ فقيل له: طلحة بن طاهر. فشخص إلى خراسان، فلما انتهى إلى ساوة مرض مرضه الذي مات فيه، فتمثل عند الموت:

يؤمل دنيا لتبقى له فمات المؤمل قبل الأمل

حثيثاً يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

أخبرنا عبد الرحمن أبن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أخبرنا عبد الله بن يحيى السكري قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم قال: أخبرنا أبو محمد؟ الحسن بن علي المتوكل قال: أخبرنا أبو الحسن المدائني قال: قال أبو عمرو بن يزيد: احتضر سيبويه فوضع رأسه في حجر أخيه، فأغمي عليه فدمعت عين أخيه فأفاق فرآه يبكي فقال:

فكنا جميعاً فرق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى فمن يأمن الدهرا؟

توفي سيبويه في هذه السنة وقيل: في التي قبلها.

قال أبو بكر الخطيب: ويقال أن سنه كانت اثنتين وثلاثين سنة.

عفيرة العابدة.

كانت طويلة الحزن، كثيرة البكاء، قدم أخ لها، فبُشرت بقدومه، فبكت، فقيل لها هذا وقت بكاء؟ فقالت: ما أجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة، ولقد أذكرني قدومه يوم القدوم على الله فمن بين مسرور ومثبور.

أخبرنا ابن ناصر بإسناد له عن محمد بن عبيد قال: دخلنا على امرأة بالبصرة يقال لها: عفيرة، فقيل لها: أيا عفيرة، ادعي الله لنا. فقالت: لو خرس الخاطبون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أمن المسيء بالدعاءِ، جعل الله قراكم من بيتي في الجنة، وجعل الموت مني ومنكم على بال.

مسلم بن خالد بن سعيد بن خرجة، أبو خالد. ويلقب:. الزنجي.

كان فقيهاً، عابداً، يصوم الدهر.

توفي بمكة في هذه السنة، لكنه كان كثير الخلط والخطأ في حديثه.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها غزو الرشيد أرض الروم، فافتتح بها عنوة حصن الصّفصاف، فقال مروان بن أبي حفصه:

إن أمير المؤمنين المصطفى قد ترك الصفصاف قاعاً صَفصفاً

وفيها: غزا عبد الملك بن صالح الروم فبلغ أنقرة، وافتتح مطمورة.

وفيها: غلبت المحمرة على جرجان.

وفيها: أحدث الرشيد عند نزوله للرقة في صدور كتبه الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وفيها: حج بالناس الرشيد، وتخلف عنه يحيى بن خالد، ثم لحقه بالعمرة، فاضعفاه من الولاية، فأعفاه فرد إليه الخاتم، وسأله الإذن له في المقام بمكة، فأذن له، فانصرف إليها.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

الحسن بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان، أبو الحسن، وهو أخو حميد بن قحطبة والحسن أحد قواد الدولة العباسية.

توفي في هذه السنة وهو ابن أربع وثمانين سنة.

خلف بن خليفة بن صاعد، أبو أحمد الأشجعي .

روى عنه: هشيم، وقتيبة، والحسن بن عرفة. وكان ثقة صدوقاً، نزل الكوفة، ثم انتقل إلى واسط، ثم تحول إلى بغداد فأقام بها، حتى توفي في هذه السنة وهو ابن مائة سنة وستة.

عبد اللّه بن المبارك، أبو عبد الرحمن المروزي، مولى بني حنظلة.

كان أبوه تركياً أو كان عبداً لرجل من التجار من همذان من بني حنظلة، وكان عبد اللّه إذا قدم همذان يخضع لوالديه ويعظمهم، وكانت أمه خوارزمية.

ولد سنة ثماني عشرة ومائة، وسمع هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التيمي، وحميد الطويل، وابن عون ومالكاً، والثوري، والأوزاعي، وغيرهم. وكان من أئمة المسلمين الموصوفين بالحفظ والفقه والعزيمة والزهد والكرم والشجاعة. وله التصانيف الحسان، والشعر المتضمن للزهد والحكمة، وكان من أهل الغزو والمرابطة، وكان ابن عيينة يقول: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك، فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي، الخطيب، أخبرنا أحمد بن عبد الله أبو الحسين المحاملي قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي قال: حدثنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي قال: حدثنا عبد المجيد بن إبراهيم، حدثنا وهب بن زمعة قال: حدَّثنا معاذ بن خالد قال:. قال إسماعيل بن عياش: مما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد اللّه بن المبارك ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم.

أخبرنا عبد الرحمن أبن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو الطيب عبد العزيز بن علي بن محمد القرشي قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن هارون قال: حدَّثنا محمد بن حمدويه قال: حدَّثنا أحمد بن سعيد بن مسعود المروزي قال: حدثنا أبو حاتم الرازي قال: سمعت عبده بن سليمان يقول: كنا في سريَّة مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعى إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة، فطعنه فقتله، ثم خرج آخر فقتله، ثم دعى إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فقتله، فازدحم عليه الناس، فكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فممدته، فإذا هو عبد اللّه بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الخطيب قال: أخبرني أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد بن مجاهد قال: حدثنا محمد بن جبريل قال: سمعت أبا حسان البصري يقول: سمعت الحسن بن عرفة يقول: قال ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهب علي أن أرده إلى صاحبه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي إلى أرض، الشام حتى رددته على صاحبه .

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: حدَّثني يحيى بن علي بن الطيب الدسكري قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم الرازي قال: حدَّثنا محمد بن علي الهمذاني قال: حدثنا أبو حفص عمر بن مدرك قال: حدٌثنا القاسم بن عبد الرحمن قال: حدَّثنا أشعث بن شعبة المصيصي قال: قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين الرقة وقدم عبد الله بن المبارك بعده، فانجفل الناس خلف عبد اللّه بن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خُراسان قدم الرقة يقال له: عبد اللّه بن المبارك . فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بسوط وأعوان.

أخبرنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو بكر البيهقي قال: حدثنا أبو عبد الله الحاكم قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت عمر بن علي الجوهري يقول: حدَّثنا أبو بكر محمد بن عيسى الطرسوسي يقول: حدثنا نعيم بن حماد قال حدَّثنا ابن المبارك قال: قدمت على معمر فسمعت منه وأمرت له بجارية وخمسين ديناراً، ثم ودعته وخرجت، فلما كنت على مرحلة ذاكرني عنه إنسان بحديث لم أكن سمعته منه فقلت: لم أسمع منه هذا ، فقال: ارجع فإنك منه قريب. فقلت: بعدما بررته لا أرجع فيكون عليه فيه غضاضة أن أرجع إليه بعد البر، حدثني أنت عنه. فحدثني عنه.

قال الحاكم: وحدثنا محمد بن أيوب قال: أخبرنا أحمد بن عيسى قال: سمعت علي بن الحسن يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول. لا أرى لصاحب عشرة آلاف درهم أن يدع الكسب، فإنه إن لم يفعل لم آمن أن لا يعطف على جاره ولا يوسع على عياله.

قال الحاكم: وأخبرني محمد بن عمر قال: أخبرنا محمد بن المنذر قال: حدَّثني محمد بن إبراهيم الحدثي قال: حدَّثني أبي عن رجل قد سمَّاه كان يترل عليه عبد الله بن المبارك في بعض ما كان ومعه إخوان له، فشكى إلي العُزْبة وأمرني أن أشتر له جارية. قال: فاشتريت له جارية، وعرضتها عليه فرضيها، وقال: ابعث بها إلى المترل. قال: فأتيت بها أهلي فأقامت حتى حاضت وطهرت، فأخبرته بذلك فقال لي: ابعث بها الليلة، فأتيت بناتي فأخبرتهن، فقمن إليها فمشطنها وهيأنها. قال: فلما صلى العشاء الآخرة

وجهتها إليه، فلما أصبحنا قال للجارية: امضي إلى أهل فلان. قال: فجاءت الجارية فسألتها بناتي وأمهن عن حالها فقالت: ما وضع يده علي، قال: فغدوت إليه فقلت: يا أبا عبد الرحمن، شكوت إليّ العُزْبة، وأمرتني فاشتريت لك جارية، وعرضتها عليك فرضيتها، وقامت بناتي فهيأنها، وإن أم فلان أخبرتني أنك لم تضع يدك عليها؟ قال: لي يا أبا فلان، القول ما قلت لك من شدة العزبة، لكني لما خلوت بها ذكرت إخواني فتذممت أن أنال شهوة لا ينالوها، وليس في يميني ما يسعهم أخرج الجارية فبعها.

وفي معنى هذه الحكاية قول الشاعر:

وتركي مواساة الإخلاء بالذي تنال يدي ظلم لهم وعقوق

وإني لأستحيي من الناس أن أرى بحال اتساع والصديق مضيق

قال الحاكم: وأخبرني أبو نصر الخفاف قال: أخبرنا محمد بن المنذر قال: سمعت يعقوب ابن إسحاق بن أيوب، الشيباني يقول: سمعت أبي يحكي عن أبيه قال: كان عبد الله بن المبارك يحج ومعه أحمال وصناديق وخدم كثيرة، وكان مع بعض خدمه قبجة فلما ارتحلوا من المترل قدم أثقالهم، فنظر صاحب القبجة إلى القبجة وهي ميتة، فألقاها على كناسة، وبقرب الكناسة باب صغير، وعبد الله قائم على دابته، ونظر إلى جويرية تخرج رأسها وترجع لتجد بذلك فرصة لكي لا يراها أحد، فتغافل عنها عبد الله، فخرجت في إزارها ليس عليها قميص ولا مقنعة، فحملت تلك القبجة، ودخلت الدار تعدو، فقال عبد الله لغلام له: انزل واقرع هذا الباب.

ونزل الغلام وفعل ما أمره به، فخرجت تلك الجارية، فسألها عبد الله عن حالها وقصتها وقصة القبجة الميتة، لماذا حملتها؟ فقالت: يا أبا عبد الله، أنا وأخت لي في هذه الحجرة ليس لنا في هذه الدنيا إلا هذا الإزار الواحد، وكان والدنا رجلاً موسراً فمات، فظُلمنا وغُصبنا على أهوالنا، فبقينا بحال تحلّ لنا أكل، الميتة، وليس في مترلنا إلا هذا الإزار، إذا لبسته بقيت أختي عريانة، فهو كسوتنا وفراشنا ودثارنا. فقال لها عبد الله: ليس لكم قيّم؟ قالت: لا، والله. فرق لها عبد الله، ثم قال لغلامه: الحق فرد الأثقال، فردّها، فسأل وكيله: أين النفقة. فقال: على وسطي. وكان حمل ألف دينار فقال: يا غلام، عد عشرين ديناراً لنفقتنا إلى مرو، وصب الباقي في إزار هذه الجارية. ففعل الغلام ذلك، فلما رجع إلى المترل قيل له: ما ردَّك؟ قال: استقبلني ماهو أفضل من الحج. ورجع إلى مرو.

قال محمد بن المنذر: وحدثني موسى بن عمر وقال: سمعت الحسين بن الحسن يقول: كنا عند ابن المبارك جلوساً، فجاء سائل فسأله شيئاً، فقال: يا غلام ناوله درهماً، فلما ولى السائل قال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، هؤلاء السؤال يتغذون بالشواء والفالوذج! كان يكفيه قطعة، فلِم أمرت له بدرهم؟ قال ابن المبارك: يا غلام، رده، إنما ظننت أنهم يجيزون بالبقل والخل عند غدائهم، فأما إذا كان غداؤهم الشواء والفالوذج فلا بد من عشرة دراهم، يا غلام ناوله عشرة دراهم.

قال مؤلف الكتاب: وقرأت على ابن ناصر، عن أبي القاسم بن اليسرى، عن عبد الله بن بطة قال: سمعت أحمد بن الخليل يقول: حدَثني الحسن بن عيسى قال: سمعت إبراهيم بن رستم يقول: حدَثني خالد الواسطي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إني لأجهد أن أكون ثلاثة أيام على حالة يكون عليها ابن المبارك سنة فما أقدر عليه.

توفي ابن المبارك بهيت، في رمضان هذه السنة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

عيسى بن أبي جعفر المنصور.

توفي ببغداد في ذي القعدة من هذه السنة.

علي بن هاشم بن البريد، أبو الحسن الخزاز.

الكوفي قدم بغداد، وحدَّث بها عن إسماعيل بن أبي خالد، الأعمش.

روى عنه: أحمد بن حنبل، واتفقوا على أنه كان ثقة ولكن، كان يتشيع. وتوفي في هذه السنة.

المفَضَل بن فضالة بن عبيد، أبو معاوية الرعيني، ثم القتباني.

ولد سنة سبع ومائة وولي القضاء بمصر مرتين، وكان من أهل الدين والفقه والورع، وإجابة الدعوة، دعا إلى الله أن يُذهب عنه الأمل فأذهبه عنه، وكاد يختلس عقله و لم يهنئه شيء من الدنيا، فدعى اللّه أن يرثه إليه، فرده فرجع إلى حاله.

قال ابن رمح: كان بيني وبين جار لي مشاجرة في حائط، فقالت أمي: امض إلى القاضي المفضل بن فضالة فقل له: أمي تقول لك: أحب أن تأتي فتنظر هذه الحائط لنا أو لجارنا؟ فمضيتَ فأخبرته، فقال اجلس لي بعد العصر حتى آتيك. فجلست له، فأتى فدخل إلى دارنا ثم دخل إلى دار جارنا، فنظر ثم قال: الحائط لجاركم. ثم انصرف.

توفي في شوال هذه السنة وسيأتي ذكر ابن ابنه المفضل بن فضالة بن المفضل بن فضالة .

يعقوب العابد الكوفي .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب الصوفي قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صاعق الحيري قال: أخبرنا أبو عبد الله باكويه الشيرازي قال: حدَّثنا عمر بن محمد الأردبيلي حدثنا علي بن محمد القرشي قال: حدثنا علي بن الموفق، حدثنا منصور بن عمار قال: خرجت ذات ليلة فظننت أني قد أصبحت، فإذا عليّ ليل، فقعدت عند باب صغير، فإذا بصوت شاب يبكي ويقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولقد عصيتك حين عصيتك، وما أنا بنكالك جاهل، ولا بعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي، وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخي علي، عصيتك حين عصيتك بجهلي، وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك مَنْ يستنقذني، وبحبل مَنْ أتصل إن قطعت حبلك عني؟ واسوأتاه على ما مضت أيامي في معصية ربي، يا ويلي كم أتوب وكم أعود، قد آن لي أن أستحي من ربي.

قال منصور: فلما سمعت كلامه، قلت: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكمِ ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد. . " الآية، فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً، فمضيت حاجتي، فلما أصبحت رجعت، وإذا أنا بجنازة علي الباب، وعجوز تذهب تجيء، فقلت لها: مَن الميت؟ فقالت: أذهب عني، لا تجدد علي أحزاني . فقلت: إني رجل غريب. فقالت: هذا ولدي، مرّ بنا البارحة رجل – لا جزاه الله خيراً –ير– فقرأ أية فيها ذكر النار، فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات.

قال منصور: هكذا واللّه صفة الخائفين يا ابن عمار.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: انصراف الرشيد عن مكة، ومسيره إلى الرّقة، وبيعته بها لابنه المأمون بعد الأمين ، فأخذ له البيعة على الجند، وضمّه إلى جعفر بن يحيى، ووجّهه إلى مدينة السلام، ومعه من أهل بيته: جعفر بن المنصور، وعبد الملك بن صالح. ومن القوّاد: علي بن عيسى، فبويع له بمدينة السلام حين قدمها، وولاه أبوه خُراسان وما يتصل بها إلى همدان، وسمَّاه المأمون.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا أبو عبد اللّه الحميدي قال: أخبرنا أبو غالب بن بشران قال: أخبرنا أبو الحسين بن دينار الكاتب قال: حدَّثنا أبو علي عيسى بن محمد الطوماري قال: حدَّثنا أبو بكر بن الجنيد قال: حدَثني الحسين بن الصباح الزعفراني. قال: لما قدم الشافعي إلى بغداد وافق عقد الرشيد للأمين والمأمون على العهد.

قال: فبكّر الناس ليهنئوا الرشيد، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الإذن، قال: فجعل الناس يقولون: كيف ندعو لهما؟ فإنا إذا فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة، وإن لم ندع لهما كان تقصيراً؟ قال: فدخل الشافعي رضي اللّه عنه، فجلس، فقيل له في ذلك، فقال: الله الموفق. فلما أذن دخل الناس، وكان أول متكلم الشافعي رضي الله عنه فقال:

لا قصراً عنها ولابلغتهما ... حتى تطول على يديك طوالها

وفيها: غزا عبد الرحمن بن عبد الملك الصائفة فبلغ أفسوس مدينة أصحاب الكهف .

وفيها: سَملت الروم عينيْ ملكِهم قسطنطين .

وحج بالناس في هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي، أبو عتبة.

من أهل حمص، وُلد سنة اثنتين ومائة. وقيل: سنة ست. وسمع من الأكابر من أبي بكر بن أبي مريم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسهل بن أبي صالح، وغيرهم.

وروى عنه: الأعمش وابن المبارك ويزيد بن هارون وقدم بغداد على المنصور فولاه خزانة الكسوة، وكان يقول: ورثت عن أبي أربعة آلاف دينار فأنفقها في طلب العلم.

قال يحيى بن معين: إسماعيل ثقة، والعراقيون يكرهون حديثه. وقال البخاري: إذا حدث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غير أهل بلده ففيه نظر.

توفي في هذه السنة وبعضهم يقول: في سنة إحدى وثمانين.

عمار بن محمد، أبو اليقظان الكوفي.

ابن أخت سفيان الثوري، سكن بغداد وحدّث عن الأعمش. روى عنه: أحمد بن حنبل، والحسن بن عرفة. وقد وثَّقه قوم.

وقال ابن حبان: كان ممَنْ فحش خطؤه وكثر وهمه فاستحق الترك.

توفي في محرم هذه السنة.

مصد بن أبي شيبة بن إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي.

والد أبي بكر وعثمان وغيرهما.

قال أبو زكريا يحيى بن معين، كان رجلاً جميلاً ثقة كيّساً، وكان على قضاء فارس، ومات بفارس في هذه السنة وهو ابن سبع وسبعين سنة.

محمد بن حميد، أبو سفيان اليشكري يعرف بالمعمري.

لقي، معمر بن راشد، ولرحلته إليه، سُمِّي المعمري. وسمع سفيان الثوري وغيره. وكان ثقة صدوقاً فاضلاً.

لتوفي في هذه السنة.

مروان بن سليمان بن يحيى، بن أي حفصة، أبو الهيذام. وقيل: أبو السمط: واسم أبي حفصة: يزيد، وكان من سبي إصطخر، سُبِيَ غلاماً فاشتراه عثمان بن عفان، فوهبه لمروان بن الحكم، فأعتقه يوم الدار لأنه أبلى يومئذ بلاءً حسناً.

وقيل: إن أبا حفصة كان طبيباً يهودياً أسلم على يد عثمان بن عفان. وقيل: على يد مروان بن الحكم.

كان مروان بن سليمان شاعراً مجيداً، ومدح المهدي والرشيد ومعن بن زائدة.

وقال الكسائي: إنما الشعر سقاء تمخض، فدفعت الزبدة إلى مروان بن أبي حفصة.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي، الخطيب قال: أخبرني أبو علي الجازري قال: حدَّثنا المعافى قال: حدَّثنا أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عبد الله بن موسى بن حمزة قال: حدَّثني أحمد بن موسى قال: حدثنا الفضل بن بزيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة قد دخل، على المهدي بعد موت معن بن زائدة، فمدحه بأبيات، فقال: من أنت؟ قال: شاعرك مروان بن أبي حفصة. فقال له: ألست تقول:

أقمنا باليمامة بعد معن ... مقاماً ما نريد به زيالا

وقلنا أين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد جئت تطلب نوالنا، وقد ذهب النوال فلا شيء لك عندنا، جروا برجله.

فجر برجله حتى أخرج. فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء. وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة، فمثل بين يديه فأنشده:

طرقتك زائرة فحي خيالها

إلى أن بلغ منها

شهدت من الأنفال آخر آية ... بتراثهم فأردتمُ أبطالها

فجعل المهدي يتزاحف عن مصلاه إعجاباً بقوله، ثم قال: كم هي بيتاً؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم، فلما أفضت الخلافة إلى الرشيد أنشده فقال: ألست القائل في معن كذا وكذا؟ وذكر البيتين، ثم أمر بإخراجه، فتلطف حتى عاد ودخل بعد يومين، فأنشدى قصيدة، فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً .

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا الخطيب قال: أخبرنا، الأزهري قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: حدَثني عبد الله بن إسحق بن سلام قال: خرج مروان من دار المهدي ومعه ثمانون ألف درهم، فمرّ بزمن، فسأله فأعطاه ثلثي درهم، فقيل

له: هلا أعطيته درهماً؟ فقال: لو أعطيت مائة ألف لأتممت له درهماً.

قال: وكان مروان يبخل فلا يسرج له في داره ، فإذا أراد أن ينام أضاءت له الجارية بقصبة إلى أن ينام .

أنبأنا محمد بن عبد الملك، عن أبي محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرني يوسف بن يحيى بن علي المنجم، عن أبيه قال : حدثني ابن مهرويه قال: حدَّثني علي بن محمد النوفلي قال: سمعت أبي يقول: كان المهدي يعطي ابن أبي حفصة وسلماً الخاسر عطية واحدة، وكان سلم يأتي باب المهدي على برذون قيمته عشرة آلاف درهم، ولباسه الخز والوشي والطيب يفوح منه، ويجيء مروان وعليه فرو وكل وقميص كرابيس، وكساء غليظ، وكان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقدم إليه، فإذا قدم إليه، أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله، فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس. فقال: الرأس أعرف شعره فآمن خيانة الغلام، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، وآكل منه ألواناً: آكل عينيه لوناً، وأذنيه لوناً، وغلصمته لوناً، ودماغه لوناً، وأكفى مؤونة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق.

قال المرزبانِي: وحدثني أحمد بن عيسى الكرخي قال: حدثنا أبو العيناء قال: كان مروان بن أبي حفصة من أبخل الناس، خرج يريد المهدي، فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة. قال: إن أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك درهماً، فأعطى ستين ألفاً، فدفع إليها أربعة دوانيق.

توفي مروان في هذه السنة ودفن ببغداد في مقبرة نصر بن مالك.

يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حَبْتَةَ الأنصاري.

وسعد من الصحابة، عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فاستصغره. وحَبْتَة أمه، وأبوه: بحير بن معاوية.

ويكنى يعقوب. أبا يوسف القاضي، وهو صاحب أبي حنيفة.

سمع أبا إسحاق الشيباني، وسليمان التيمي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وهشام بن عروة، وابن إسحاق، والليث في آخرين.

روى عنه: محمد بن الحسن، وعلي بن الجعد، وأحمد بن حنبل، ويحيى ابن معين.

وسكن بغداد وولاَّه الهادي القضاء، ثم الرشيد، وهو أول مَنْ دُعِيَ بقاضي القضاة في الإسلام.

وكان استخلف ابنه يوسف على الجانب الغربي، وأقره الرشيد على عمله وولاَّه قضاء القضاة بعد أبي يوسف.

وقد روينا أنه تردد إلى أبي حنيفة وهو فقير، فنهاه أبوه عن ذلك فانقطع فلما رآه أبو حنيفة انقطع، سأله عن سبب انقطاعه، فأخبره فأعطاه مائة درهم وقال: استمتع بهذه، فإذا فرغت فأخبرني. ثم كان يتعاهده.

وروينا أن أباه مات وخلفه طفلاً، وأن أمه هي التي أنكرت عليه ملازمة أبي حنيفة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال: ذكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش: أن محمد بن عبد الرحمن الشامي أخبرهم قال: أخبرنا علي بن الجعد قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف قال: توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصَار أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس فأستمع، وكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي، لما يرى من حرصي على التعلم،

فلما كثر ذلك على أمي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا كسب له، وأنا من أطعمه من مغزلي، وآمل انه يكسب دانقاً يعود به على نفسه. فقال لها أبو حنيفة: مُري يا رعناء، ها هوذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق. فانصرفت وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

ثم لزمته، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد، معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدَّم إليَّ هارون فالوذجة بدهن فقال لي هارون: يايعقوب، كل منه، فليس كل يوم يعمل لنا مثله. فقلت: وماهذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن، الفستق، فضحكت. فقال لي: مم تضحك؟ قلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. وألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فتعجب من ذلك، وقال: لعمري إن العلم يرفع وينفع دنيا وآخرة. وترحم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يرى بعين رأسه.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني أبي قال: كان سبب اتصال يوسف بالرشيد أنه قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة، فحدث بعض القوَّاد في يمين، وطلب فقيهاً يستفتيه فيها، فجيء بأبي يوسف فأفتاه أنه لم يحنث، فوهب له دنانير، وأخذ له داراً بالقرب منه، واتصل به، فدخل القائد يوماً إلى الرشيد فوجده مغموماً، فسأله عن سبب غمه، فقال: شيء من أمر الدين قد أحزّنني فاطلب لي فقيهاً أستفتيه فجاءه بأبي يوسف. قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسناً عليه أثر الملك، وهو في حجرة محبوس، فأومأ إليَ بإصبعه مستغيثاً، فلم أفهم عنه إرادته، فأدخلت إلى الرشيد، فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت، فقال لي: ما اسمك؟ قلت: يعقوب، أصلح الله أمير المؤمنين،. قال: ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني، هل يحده؟ قلت: لا يجب ذلك. فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك، وأن الذي أشار إلي بالإستغاثة هو الزاني. ثم قال الرشيد: ومن أين قلت هذا؟ قلت: من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إدرأوا الحدود بالشبهات" وهذه شبهة يسقط الحدّ معها. فقال: وأي شبهة مع المعاينة؟! قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى، والحدود لا تكون بالعلم، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه. فسجد مرة أخرى وأمر لي بمال جزيل، وأن ألزم الدار، فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى، وهدية أمه، وأسبابه، فصار ذلك أصلاً للنعمة، ولزمت. الدار، فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني وصلاتهم تصل إليً، ثم استدعاني الرشيد واستفتاني في خواص أمره، فلم تزل حالي تقوى حتى قلّدني قضاء القضاة.

قال لي أبي: بلغني أن أبا يوسف لما مات خلف مائتي سراويل من أصناف السراويلات وكل، بتكة أرمني تساوي ديناراً.

وبلغ من محله عند الرشيد أنه طلبه يوماً فجاء وعليه بردة فقال الرشيد:

جاءت به معتجراً ببرده سفوآء ترضى بنسيج وحده

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن القاسم الأزرق قال: حدَّثنا محمد بن الحسن المقرىء أن محمد بن عبد الرحمن الشاميِ أخبرهم قال: أخبرنا ابن الجعد قال: سمعت أبا يوسف يقول: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فأنت إذا أعطيته كلك كان من إعطائه البعض على عشر.

قال مؤلف الكتاب: كان أبو حنيفة يشهد لأبي يوسف أنه أعلم الناس.

وقال المزني: أبو يوسف أتبعهم للحديث.
أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، الخطيب، أخبرنا الحسين بن محمد المعدل قال: أخبرنا عبد الله بن الأسمي قال: حدثنا أبو بكر الدامغاني الفقيه قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا ابن أبي عمران قال: حدّثنا بشر بن الوليد قال: سمعت أبا يوسف يقول: سألني الأعمش عن مسألة فأجبته فيها، فقال لي: من أين قلتَ هذا؟ قلت: لحديثك الذي حدثتناه أنت. ثم ذكرت الحديث فقال لي: يا يعقوب، إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يخرج أبواك، فما عرفت تأويله حتى الآن .
وقال أبو زرعة الرازي: كان محمد بن الحسن جهمياً، وكان أبو يوسف سليماً من التجهم.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي قال: أخبرنا الحسن بن أبي طالب قال: حدّثنا علي بن عمر بن محمد التمار قال: حدَّثنا مكرم بن أحمد القاضي قال: حدَّثنا أحمد بن عطية قال: سمعت بشاراً الخفاف قال: سمعت أبا يوسف يقول: مَنْ قال القرآن مخلوق فحرام كلامه وفرض مباينته.
قال ابن المديني: كان أبو يوسف صدوقاً. وقال يحيى: هو ثقة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال:، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال: حدَّثنا محمد بن جعفر التميمي قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال: أخبرنا وكيع قال: أخبرني إبراهيم بن أبي عثمان، عن يحيى بن عبد الصمد قال: خوصم موسى أمير المؤمنين إلى أبي يوسف في بستانه فكان الحكم في الظاهر لأمير المؤمنين، وكان الأمر على خلاف ذلك. فقال أمير المؤمنين لأبي يوسف: ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟ قال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق. فقال له موسى: وترى ذلك؟ قال: قد، كان ابن أبي ليلى يراه قال. فأردد البستان عليه إنما احتال أبو يوسف .
وروى الحسن بن أبي مالك قال: سمعت أبا يوسف يقول: وُلِّيت هذا الحكم ، وانغمست فيه، وليس في قلبي منه شيء، وأسأل الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل مني إلى أحد إلا يوماً واحداً، فإنه يقع في قلبي منه شيء. قالوا: وما هو؟ قال: جاءني رجل فقال: لي بستان قد اغتصبني إياه أمير المؤمنين. فقلت: فيِ يد مَنْ هو الآن؟ فقال: في يد أمير المؤمنين. قلت: ومن يقوم بعمارته ومصلحته؟ قال: أمير المؤمنين. فأخذت قصته ودخلت، قلت: يا أمير المؤمنين، إن لك خصماً بالباب قد، ادعى كيت وكيت. فقال: هذا البستان لي، اشتراه لي، المهديِ. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تدعو خصمك فأسمع منكما. قال: فدعي به، فأدخل فادّعى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما تقول فيما ادعى؟ قال: البستان لي وفي يدي، اشتراه لي المهدي. قلت: يا رجل قد سمعت، فما تشاء. قال: خذ لي يمينه. قلت: أيحلف أمير المؤمنين؟ قال: لا. قلت: يا أمير المؤمنين، أعرض عليك اليمين ثلاثاً فإن حلفت وإلا حكمت عليك. فعرضت عليه اليمين ثلاثاً، فأبى أن يحلف، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد حكمت عليك بهذا البستان، فإن رأيت أن تأمر بتسليمه إليه. قال: لا أسلم. قلت: يا رجل، تعود في مجلس غير هذا فقال: افعل لي ما يجب أن تفعل. قلت: يا أمير المؤمنين، بالحبس يعرض. فأمر به فأخرج. فقال الفضل بن الربيع: والله ما رأيت مجلساً قط إلا وهذا أحسن منه. فقلت: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن يتم حسن هذا المجلس بردٌ هذا البستان. قيل له: فأي شيء في قلبك؟ قال: جعلت أحتال في صرف الخصومة والقضية عن أمير المؤمنين، و لم أسأله أن يقعد مع خصمه أو يأذن لخصمه أن يقعد معه على السرير.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي، الخطيب قال: أخبرنا أحمد بن عمر بن روح النهرواني قال: أخبرنا المعافى بن زكريا قال: حدَّثنا محمد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي قال: حدَّثني أبي قال: حدثني بشر بن الوليد وسألته: من أين جاء؟ قال: كنت عند أبي يوسف القاضي وكنا في حديث ظريف، فقلت له: حدثني به، قال: قال لي يعقوب القاضي: بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي، فإذا داق يدق الباب دقاً شديداً، فأخذت عليّ إزاري وخرجت، عليه فقال: أجب أمير المؤمنين. فقلت: يا أبا حاتم، لي بك حرمة، وهذا وقت كما ترى، فإن أمكنك أن تدفع ذلك إلى الغد. قال: ما لي إلى ذلك سبيل. قلت: وكيف كان السبب؟ قال: خرج إلي مسرور الخادم فأمر أن آتي بك أمير المؤمنين. فقلت: قد أذن لي أن أصب علي ماء وأتحنط، فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأني، وإن رزق الله العافية فلن يضر. فأذن لي فدخلت، فلبست ثياباً جدداً، وتطيبت بما أمكن من الطيب، ثم خرجنا، فمضينا حتى أتينا، إلى دار الرشيد، فإذا مسرور، فقال له هرثمة: قد جئت به. فقلت لمسرور: يا أبا هاشم، خدمتي وحرمتي، وهذا وقت ضيق فتدري لِم طلبني أمير المؤمنين؟ قال: لا. قلت: فمَنْ عنده؟ قال: عيسى بن جعفر. قلت: ومَن؟ قال: ما عنده ثالث. فقال: مر. فإذا صرت في الصحن، فإنه في الرواق، فحرك رجلك في الأرض، فإنه سيسألك، فقل: أنا. فجئت ففعلت، فقال: مَنْ هذا؟ قلت: يعقوب قال: ادخل. فدخلت، فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر، فسلَّمت فرد عليّ السلام، وقال: أظننا روعناك. قلت: أي والله، وكذلك مَنْ خلفي. قال: اجلس. فجلست حتى سكن روعي، ثم التفت إليَ فقال: يا يعقوب، تدري لِم دعوتك. قلت: لا. قال: دعوتك لأشهدك على هذا أن عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع، وسألته أن يبيعنيها فأبى، ووالله لئن لم يفعل لأقتلنّه. قال: فالتفتُ إلى عيسى فقلت له: وما بلغ اللّه بجارية تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة؟ فقال لي: عجلت في القول قبل أن تعرف ما عندي. قلت: وما في هذا من الجواب؟ قال: إن علي يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها. فالتفت إلي الرشيد فقال: هل له في ذلك من مخرج. قلت: نعم. قال: وما هو. قلت: يهب لك النصف ويبيعك النصف. فيكون لم يبع و لم يهب. قال: ويجوز ذلك؟ قلت: نعم. قال: فأشهدك أني قد وهبت له نصفها وبعت له نصفها الباقي بمائة ألف دينار، فقال: عليّ، بالجارية. فأتي بالجارية وبالمال، فقال خذها يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك فيها. قال: يا يعقوب، بقيت واحدة. قلت: وما هي؟ قال: هي مملوكة، ولا بد أن تستبرأ، ووالله لئن لم أبت معها لِيلتي إني لأظن أن نفسي ستخرج. قلت: يا أمير المؤمنين، تعتقها وتتزوجها، فإن الحرة لا تستبرأ. قال: فإني قد أعتقتها فمن يزوجنيها؟ قلت: أنا فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله، ثم زوَّجته على عشرين ألف درهم، ودعا بالمال فدفعه إليها، ثم قال لي يا يعقوب، انصرف. ورفع رأسه إلى مسرور وقال: يا مسرور قال: لبيك أمير المؤمنين. قال: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم، وعشرين تختاً ثياباً. فحمل ذلك معي.

فقال بشر بن الوليد: فالتفت إلي يعقوب فقال: هل رأيت بأساً فيما فعلت؟ قلت: لا قال: فخذ منها حقك. قلت: وما حقي. قال: العشر. قال: فشكرته ودعوت له وذهبت لأقوم، فإذا بعجوز قد دخلتَ فقالت: يا أبا يوسف، ابنتك تقرئك السلام وتقول لك: والله ما وصل إليَّ في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي عرفته، وقد ضفت إليك النصف منه، وخلفت الباقي لما أحتاج إليه. فقال: ردّيه، فوالله لا قبلته، أخرجتها من الرق وزوجتها من أمير المؤمنين وترضى لِي بهذا؟!! فلم نزل نشفع إليه ، أنا وعمومتي حتى قبل، وأمر لي منه بألف دينار .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني محمد بن الحسين القطان قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش: أن محمد بن علي الصايغ أخبرهم قال: أخبرني يحيى بن معين قال: كنت عند أبي يوسف القاضي وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم، فوافته هدية من أم جعفر احتوت على تخوت دبيقي، ومصمت، وطيب، وتماثيل ند، وغير ذلك، فذاكرني رجل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها" فسمعه أبو يوسف فقال: أبي تعرض؟ ذلك إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والهدايا يومئذ الأقط والتمر والزبيب"، و لم تكن الهدايا ما ترون يا غلام، شل إلى الخزائن .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني الخلال قال: أخبرنا علي بن عمرو الحريري: أن علي بن محمد النخعي حدَثهم قال: أخبرنا إبراهيم بن إسحاق، عن بشر بن غياث قال: سمعت أبا يوسف يقول: صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة، ثم انصبت علي الدنيا سبع عشرة سنة، فما أظن أجلي إلا قد اقترب قال: فما مضت شهور حتى مات.

قال النخعي: وحدَّثني أبو عمرو القزويني قال: حدثنا القاسم بن الحكم العربي قال: سمعت أبا يوسف يقول عند موته: يا ليتني مت على ما كنت عليه من الفقر، وإني لم أدخل في القضاء، يا ليتني على أني ما تعمدت بحمد الله ونعمته جوراً ولا حَابَيْتُ خصماً على خصم من سلطان أوسوقة.

توفي أبو يوسف رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة. وهو ابن تسع وستين سنة، وأقام في القضاء ست عشرة سنة.

يعقوب بن داود بن طهمان، أبو عبد اللّه .

مولى عبد الله بن حازم السلمي، استوزره المهدي، وقرب من قلبه، وغلب على أمره، ثم إنه أمره بقتل بعض العلويين فقال: قد فعلت. و لم يفعل على ما حكيناه في سنة ست وستين، فسجنه إلى أن أخرجه الرشيد.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان قال: حدَّثنا أبو بكر أبي الدنيا قال: حدثني خالد بن يزيدُ الأزدي قال: حدّثني عبد الله بن يعقوب بن داود قال: قال أبي: حبسني المهدي في بئر وبُنيت عليّ قبة، فمكثت فيها خمس عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد، وكان يُدلى إلي كل يوم رغيف وكوز من ماء، وأوذن بأوقات الصلوات، فلما كان في رأس ثلاث عشرة حجة أتاني آتٍ في منامي فقال:

حَنى على يوسُفٍ رب فأخرجه ... من قعر جُبّ وبيت حوله غمم

قال: فحمدت الله، وقلت: أتى الفرج. قال: فمكثت حولاً لا أرى شيئاً، فلما كان رأس الحول الثاني أتاني ذلك الآتي فقال لي:

عسى الكرب الذي أمسيتَ فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائِفٌ ويفك عانٍ ... ويأتي أهله النائي الغريب

فلما أصبحت نوديت، فظننت أني أوذن بالصلاة، فدلي لي حبْلٌ أسود، وقيل لي: اشدد به وسطك ففعلت فأخرجوني فلما قابلت الضوء غشي بصري، فانطلقوا بي فأدخلوني على الرشيد، فقيل لي: سلّم على أمير المؤمنين. فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين المهدي. فقال: لست به. قلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الهادي. قال: ولست به. قلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال: الرشيد. فقلت: الرشيد. فقال: يا يعقوب، إنه والله ما شفع فيك إلي أحدٌ غير أني

حملت الليلة صبية لي على عنقي، فذكرت حملك إياي على عنقك، ورثيت لك من المحل الذي كنت فيه، فأفرجت عنك. قال: فأكرمني وقرب مجلسي.

ثم قال: إن يحيى بن خالد تنكر لي كأنه خاف أن أغلبه على أمير المؤمنين دونه، فخفته فاستأذنت للحج، فأذن لي.

فلم يزل مقيماً بمكة حتى مات بها في هذه السنة رحمه الله.

يزيد بن زريع بن معاوية العَيشي.

من بني عايش، وهم من ولد بكر بن وائل، كان عالماً صدوقاً ثبتاً. وكان أبوه والي البصرة، فلم يأخذ من ميراثه شيئاً، وكان يعمل الخوص.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر الخياط قال: حدَّثنا ابن أبي الفوارس قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن سلم قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سمعت عبد الوهاب يقول: سمعت أبا سليمان الأشقر يقول: تَنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذه.

توفي يزيد بالبصرة في هذه السنة. وقيل: في سنة سبع وسبعين، وكان ثقة صدوقاً ثبتاً في الحديث.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: خروج الخزر على الناس. وفي سبب ذلك قولان: أحدهما: أن ابنة خاقان الملك ماتت، فقيل لأبيها إنما قتلها المسلمون غيلة. فحنق لذلك فأخذ في الأهبة لحرب المسلمين، وجاء في أكثر من مائة ألف، فانتهكوا أمراً عظيماً، وأوقعوا بالمسلمين وبأهل الذمة، وسبوا منهم.

والثاني: أن سعيد بن مسلم قتل المنجم السلمي بفارس، فدخل ابنه بلاد، فاستجاشهم على سعيد، فدخلوا أرمينية من الثُّلْمة، فانهزم سعيد، ونكحوا المسلمات، فأقاموا مدة، فوجّه الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إلى أرمينية حتى أصلحوا ما أفسد سعيد، وأخرجوا الخزر، وسدت الثلمة.

وفيها: كتب الرشيد إلى عيسى بن ماهان وهو بخراسان أن يصير إليه، وكان سبب كتابه: أنه حُمل عليه، وقيل: إنه قد أجمع على الخلاف.

وفيها: خرج أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائي.

وفيها: حجّ بالناس العباس بن موسى الهادي .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف بن إسحاق الزهري.

سمع أباه، وابن هشام، وابن شهاب وابن عروة، وغيرهم.

روى عنه: شعبة، والليث بن سعد، وابن مهدي، وعلي بن الجعد، وأحمد بن حنبل، وكان ثقة، ونزل بغداد فمات بها في هذه السنة

وهو ابن خمس وسبعين سنة، ودفن في مقابر باب التين.

بهلول بن راشد الإفريقي.

روى عن يونس بن يزيد، والقعنبي وكانت له عبادة وفضل، أمر محمد بن مقاتل العتكي الأمير بالمعروف فضربه فمات بإفريقية في هذه السنة.

-داود بن مهران بن زياد، أبو هاشم الربعي.

ولد سنة مائة، وقدم مصر سنة تسع وثلاثين، وخرج عن المغرب إلى البصرة، وأقام بها ورجع إلى مصر سنة ستين وخرجِ إلى المغرب فأقام بها، وعاد إلى مصر فمات بها في رمضان هذه السنة، وكان عالماً ديناً في خلقه زعارة لا يحدث.

علي بن الفضيل بن عياض.

مات في حياة أبيه، كان متعبداً، مجهتداً، شديد الخوف من الله تعالى على حداثة سنه، يدقق في الورع، ويبالغ في النظر في المطعم، وقد أسند الحديث عن عبد العزيز بن أبي رواد، وسفيان بن عيينة، وغيرهما.

أخبرنا المحمدان، ابن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم المورقى قال: حدثنا سلمة بن عفان، عن محمد بن الحسين قال: كان علي بن الفضيل يصلي حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه، فيقول: يا أبت، سبقني العائدون.

قال الدورقي: وحدثني محمد بن شجاع، عن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه علي.

علي بن زياد، أبو الحسن العبسي المغربي.

من أهل تونس، رحل إلى الحجاز والعراق فِي طلب العلم. وروى عن: الثوري، ومالك، وهو الذي أدخل المغرب جامع الثوري،و موطأ مالك وفسر لهم قول مالك و لم يكونوا يعرفونه أقبل ذلك، وهو معلم سحنون بن سعيد الفقيه.

توفي في هذه السنة.

محمد بن صبيح، أبو العباس المذكر، مولى بني عجل، يعرف: بابن السماك.

سمع هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وسفيان الثوري، وغيرهم.

روى عنه: حسين بن علي، الجعفي، وأحمد بن حنبل، وغيرهما. وله مواعظ حسان، ومقامات عند الرشيد.

أخبرنا عبد الرحمن أبن محمد قال: أخبرنا، أحمد بن علي قال: أخبرني بكران بن الطيب قال: حدثنا محمد بن أحمد المفيد قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة قال: حدثنا أبي قال: حدثني أبي المغيرة بن شعيب قال: حضرت يحيى بن خالد وهو، يقول لابن السماك: إذا دخلت على أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه. قال: فلما دخل عليه وقام بين يديه قال: يا أمير المؤمنين، إن لك بين يدي الله مقاماً، وإن لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار. قال: فبكى هارون حتى كاد أن يموت.

توفي ابن السماك بالكوفة في هذه السنة.

موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهم، أبو الحسن الهاشمي.

ولد بالمدينة في سنة ثمان وعشرين. وقيل: سنة تسع وعشرين. وولد له أربعون ولداً من ذكر وأنثى، وكان كثير التعبد، جوَّاداً، وإذا

بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه ألف دينار وخرج إلى الصلح وأهدى له بعض العبيد عصيدة، فاشترى الضيعة التي فيها ذلك العبد والعبد بألف دينار، وأعتقه ووهبها له.

وأقدمه المهدي بغداد ثم رده إلى المدينة لمنام له رآه.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: حدَّثني الحسن بن، محمد الخلال قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمران قال: حدثنا محمد بن يحيى، الصولي قال: حدثنا عون بن محمد قال: سمعت إسحق الموصلي يقول: حدثنيا الفضل بن الربيع، عن أبيه: أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: يا محمد "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم" قال الربيع: فأرسل إلي ليلاً، فراعني ذلك فجئته، فإذا هو يقرأ هذه الآية، وكان أحسن الناس صوتاً. وقال علي بموسى بن جعفر: فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن، رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم فقرأ علي كذا، فتؤمنني أن َتخرج علي أو على أحد من ولدي؟ فقال: والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني قال: صدقت، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً، فما أصبح إلا وهو على الطريق خوف العوائق.

قال مؤلف الكتاب رحمه اللّه : ثم لم يزل مقيماً بالمدينة إلى أيام الرشيد، فحجَّ الرشيد فاجتمعا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسمع منه الرشيد كلاماً غيّره.

وهو ما أخبرنا به منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال: حدثنا عمر بن أحمد الواعظ قال: حدَّثنا الحسين بن القاسم قال: حدِّثني أحمد بن وهب قال: أخبرني عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال: حج هارون الرشيد فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائراً له وحوله قريش وأفياء القبائل ومعه موسى بن جعفر فلما انتهيا إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله ، يا ابن عم. افتخاراً على مَنْ حوله، فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبت فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً؟ ثم اعتمر الرشيد في رمضان سنة تسع وسبعين، فحمل موسى معه إلى بغداد فحبسه بها، فتوفي في حبسه، فلما طال حبسه كتب إلى الرشيد بما أخبرنا به عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا الجوهري قال: حدثنا محمد بن عمران المرزباني قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال: حدثني أحمد بن إسماعيل قال: بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة كانت: إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقص جميعاً إلى يوم ليس فيه انقضاء، يخسر فيه المبطلون .

توفي موسى بن جعفر لخمس بقين من رجب هذه السنة.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، الخطيب قال: أخبرنا القاضي أبو محمد، الحسن بن الحسين الأستراباذي قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم الخلال يقول: ما أهمني أمر، فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب.

هشيم بن بشير بن أبي حازم، واسم أبي حازم: القاسم بن دينار. وكنية هشيم: أبو معاوية، السلمي الواسطي .

بخاري الأصل. وُلد سنة أربع ومائة، وكان أبوه طباخ الحجاج بن يوسف.

سمع هشيم من: عمرو بن دينار، والزهري، ويونس بن عبيد، وأيوب، وابن عون، وخلق كثير.
روى عنه: مالك، والثوري، وشعبة، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهم. وكان من العلماء الحفاظ الثقات.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا العتيقي قال: حدَّثنا محمد بن العباس قال: أخبرنا أبو أيوب سليمان بن إسحق الحربي قال: قال أبو إسحق الحربي كان هشيم رجلاً كان أبوه صاحب صحناة وكواميخ، يقال له: بشر، فطلب ابنه هشيم الحديث واشتهاه، وكان أبوه يمنعه، فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي، وكان يناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم، فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا؟ قالوا: عليل. فقال: قوموا بنا حتى نعوده فقام أهل المجلس جميعاً يعودونه حتى جاؤوا إلى مترل بشير، فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجل إلى بشير ويده في الصحناة. فقال: الحق ابنك، قد جاء القاضي إليه يعوده فجاء بشير والقاضي في داره فلما خرج قال لابنه: يا بني، قد كنت أمنعك من طلب الحديث، فأما اليوم فلا. فصار القاضي يجيء إلى بابي، متى أملت أنا هذا؟ أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا أحمد بن أحمد بن رزق قال: حدَّثنا أحمد بن سليمان النجاد قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدَّثني مَنْ سمع عمرو بن عون قال: مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء عشاء الآخرة قبل أن يموت عشر سنين .
توفي هشيم ببغداد في شعبان هذه السنة.
يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، أبو سعيد.
سمع أباه وهشاماً بن عمر، والأعمش. أو غيرهم. روى عنه: قتيبة، وأحمد، ويحيى، وغيرهم وولي قضاء المدائن، وكان عالماً ثقة.
وقال ابن المديني: انتهى العلم إليه في زمانه. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: هو أول من صنَّف الكتب بالكوفة .
توفي في هذه السنة. وقيل: في سنة اثنتين وثمانين. وقيل أربع وثمانين، وهو ابن ثلاث وستين سنة.
يونس بن حبيب.
صحب أبا عمرو بن العلاء، وسمع من العرب. وقد روى عن العرب. وروى عنه سيبويه، فأكثر. وله مذهب في النحو تفرد به، وقد سمع منه الكسائي والفراء، وكانت حلقته بالبصرة يتباهى بها أهل العلم وأهل الأدب وفصحاء العرب والبادية. توفي في هذه السنة وله ثمان وتسعون سنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: قدوم هارون مدينة السلام في جمادى الآخرة منصرفاً إليها من الرّقة في الفرات بالسفن، وغرق أكثر بغداد بزيادة الماء .
وولي حماد البربريّ مكة واليمن، وولي داود بن يزيد بن حاتم المهلبي السند، ويحيى الحرشيّ الجبل، ومهرويه الرازيّ طبرستان، وقام بأمر، إفريقية إبراهيم بن الأغلب .
وفيها: خرج أبو عمرو الشاري فقُتل .
وفيها: طلب أبو الخصيب الأمان، فأعطاه ذلك علي بن عيسى.
وفيها: حج بالناس إبراهيم بن محمد المهدي أمير المؤمنين.

أحمد بن هارون الرشيد . أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد الحريري قال: أنبأنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي قال: أخبرنا إبراهيم بن أحمد المزكي قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي قال: سمعت علي بن الموفق يقول: سمعت عبد الله بن الفتوح يقول: خرجت يوماً أطلب رجلاً يرم لي شيئاً في الدار، فذهبت، فأشير لي إلى رجل حسن الوجه بين يديه مزود وزنبيل، فقلت: تعمل لي. قال: نعم بدرهم ودانق. فقلت: قم. فقام فعمل لي عملاً بدرهم ودانق ودرهم ودانق، ودرهم ودانق، ثم أتيت يوماً آخر فسألت عنه فقيل ذاك رجل لا يرى في الجمعة إلا يوماً واحداً يوم كذا. قال: فجئت ذلك اليوم، فقلت: تعمل لي. قال: نعم بدرهم ودانق. فقلت أنا : بدرهم. فقال: بدرهم ودانق. و لم يكن بي الدانق، ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده، فلما كان المساء وزنت له درهما فقال لي: ما هذا؟ قلت: درهم. قال: أ لم أقل لك: درهم ودانق؟! أفسدت علي. فقلت: وأنا أ لم أقل لك بدرهم؟ فقال: لست آخذ منه شيئاً قال: فوزنت له درهماً ودانقاً. فقلت: خُذ. فأبى أن يأخذ، وقال: سبحان اللّه أقول لك، لا آخذ وتلح علي!؟ فأبى أن يأخذه ومضى.

قال: فأقبل علي أهلي، وقالت: فعل الله بك ما أردت من رجل عمل لك عملاً بدرهم أن أفسدت عليه. قال: فجئت يوماً أسأل عنه، فقيل لي: مريض، فاستدللت على بيته فأتيته، فاستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون، وليس في بيته شيء إلا ذلك المزود والزنبيل، فسلمت عليه وقلت له: لي إليك حاجة، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن أحب لما جئت إلى بيتي أمرضك. قال: وتحب ذلك؟ قلت: نعم. قال: بشرائط ثلاث. قلت: نعم. قال: أن لا تعرض عليَّ طعاماً حتى أسألك، وإذا أنا مت أن تدفني في كسائي وجُبتي هذه. قلت: نعم. قال: والثالثة أشد منهما، وهي شديدة، قلت: وإن كان. فحملته إلى مترلي عند الظهر، فلما كان من الغد ناداني يا عبد الله فقلت: ما شأنك. قال قد احتضرت، افتح صرّة على كم جبتي قال: ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فص أحمر، فقال: إذا أنا مت ودفنتني فخُذ هذا الخاتم، ثم ادفعه إلى هارون الرشيد، أمير المؤمنين، فقل له: يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت. قال: فلما دفنته سألت يوم خروج هارون الرشيد أمير المؤمنين، وكتبت قصة، وتعرضت له وأوذيت أذى شديداً، فلما دخل قصره وقرأ القصة وقال: علي بصاحب هذه القصة. قال: فأدخلت عليه وهو مغضب يقول: يتعرضون لنا ويفعلون. فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم، فلما نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا الخاتم، قلت: دفعه إليَّ رجل طيَّان. فقال لي: طيَّان طيان، وقربني منه. فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني بوصية فقال لي: ويحك قل. فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني إذا أوصلت إليك هذا الخاتم أن أقول لك يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت عليها ندمت. فقام على رجليه قائماً وضرب بنفسه على البساط، وجعل يتقلب عليه ويقول: يا بني نصحت أباك. فقلت في نفسي: كأنه ابنه، ثم جلس وجاؤوا بالماء، فمسحوا وجهه، وقال كيف عرفته؟ قال فقصصت عليه قصته.

قال: فبكى وقال: هذا أول مولود لي، وكان أبي المهدي ذكر لي زبيدة أن يزوجني بها، فبصرت بهذه المرأة فوقعت في قلبي، وكانت حسيسة فتزوجتها سراً من أبي، فأولدتها هذا المولود، وأحدرتها إلى البصرة وأعطيتها، هذا الخاتم وأشياء، وقلت لها: اكتمي نفسك،

فإذا بلغك أني قعدت للخلافة فأتيني، فلما قعدت للخلافة سألت عنهما فقيل لي أنهما، ماتا، و لم أعلم أنه باقٍ، فأين دفنته؟ قلت: يا أمير المؤمنين دفنته في قبور عبد اللّه بن مالك. قال: لي إليك حاجة، إذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى أنزل إليك فأخرج متنكراً إلى قبره.

فوقفت له، فخرج متنكراً والخدم حوله حتى وضع يده بيدي، وصاح بالخدم فتنحوا، فجئتُ به إلى قبره، فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح ويداه ورأسه ولحيتُه على قبره وجعل يقول: يا بني، لقد نصحت أباك. قال: فجعلت أبكي لبكائه رحمة مني له، ثم سمع كلاماً فقال: كأني أسمع كلام الناس. قلت: أجل أصبحت يا أمير المؤمنين، قد طلع الفجر. فقال لي: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، واكتب عيالك مع عيالي، فإن لك فيَ حقّاً بدفنك ولدي، وإن أنا مت أوصيت: من يكون مَنْ بعدي أن يجري عليك ما بقي لك عقب، ثم أخذ بيدي حتى إذا بلغ قريباً من القصر ويده بيدي، فلما صار إلى القصر، قال: انظر ما أوصيك به إذا طلعت الشمس، فقف لي حتى أنظر إليك فأدعو بك فتحدثني حديثه. قلت: إن شاء الله، فلم أعد إليه.

قال المصنف: وقد روي حديث السبتي من طريق آخر، وفيه أشياء تخالف هذا، وهذه الطريق التي سقناها أصح، وأسنادها ثقات. وقد زاد القصَّاص في حديث السبتي، وأبدأوا وأعادوا وذكروا أنه كان من زبيدة، وأنه خرج يتصيد فوعظه صالح المري، فوقع من فرسه وأشياء كلها محال.

زين بن شعيب بن كريب، أبو عبد الملك المعافري.

روى عنه: ابن وهب، وغيره، وآخر مَنْ حدَّث عنه: مُرة الترسلي. وكانت له عبادة وفضل، كان يحيى بن بكير يقول: حدَثني زين بن شعيب وكان والله زيناً.

توفي بالإسكندرية في هذه السنة.

عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو بكر الأسدي. روى عن أبي حازم، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وغيرهم. فلما قدم المهدي المدينة اتصل به، وصار أحد خواصه، وكان المهدي يقول: واللّه ما كان في آبائه أحد إلا وهو أكمل منه، وما له في الناس نظير في كماله.

وبعث إليه أبو عبيد الله بألفي دينار فردها وكتب إليه إني لا أقبل صلة إلا من خليفة أو ولي عهد .

ولما بايع المهدي لموسى قال له عبد الله بن مصعب:

اشدد بهارون حبال العقد ... ووله ِبعدَ وليّ العَهْدِ

فبايع له بعد موسى، فقال له عبد الله بن مصعب:

لا قصرا عنها ولا بلغتهما ... حتى تطول علي يديك طوالها

فلما ولي الرشيد عرض على عبد الله بن مصعب الولاية فأبى، فألزمه، فكان جميل السيرة.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، الخطيب قال: أخبرنا الأزهري قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير قال: حدَّثني عمي مصعب قال: كان أبي يكره الولاية، فعرض عليه الرشيد ولاية

المدينة، فأبى فألزمه، فأقام على ذلك ثلاث ليال يلزمه فيأبى، فلما كان في الليلة الثالثة قال له: اغد علي بالغداة إن شاء الله فغدا عليه، فدعا أمير المؤمنين بقناة وعمامة، فعقد اللواء بيده، ثم قال: عليك طاعة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فخذ هذا اللواء. فأخذه، وقال له: أما إذا ابتليتني يا أمير المؤمنين بعد العافية فلا بد له أن أشترط لنفسي؟ قال له: اشترط. فاشترط خلالاً، منها: أنه قال له مال الصدقات مال قسمه الله بنفسه، و لم يكله إلى أحد من خلقه، فلست أستجيز أن أرتزق منه، ولا بد أرزق المرتزقة، فاحمل معي رزقي ورزق المرتزقة من مال الخراج. قال: قد أجبتك إلى ذلك.

قال: وأنفذ من كتبك ما رأيت، وأقفُ، عما لا أرى، قال: وذلك لك. قال: فولي المدينة، وكان يأمر بمال الصدقات يصيَّر إلى عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وإلى آخر معه وهو يحيى بن أبي غسان، فكانا يقسمانه، ثم ولاه الرَّشيد اليمن، وزاده معها ولاية عك، وكانت عك إلى والي مكة، ورزقه ألفي دينار في كل شهر. فقال يحيى بن خالد: يا أمير المؤمنين، كان رزق والي اليمن ألف دينار، فجعلت رزق عبد الله بن مصعب ألفي دينار، وأخاف أن لا يرضى أحد توليه اليمن من الرزق من قومك بأقل ما أعطيت عبد الله بن مصعب، فلو جعلت رزقه ألف دينار كما كان يكون، وأعضته من الألف الأخرى مالاً تجيزه به لم يكن عليك حجة لأحد من قومك في الجائزة فصير رزقه ألف دينار، وأجازه بعشرين ألف دينار، واستخلف على اليمن الضحاك بن عثمان.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: ثم ولى المدينة ابنه بكار بن عبد اللهّ، وشخص عبد اللّه بن مصعب إلى بغداد، ثم رحل إلى الرِّقة في صحبة الرشيد، فتوفي بها في ربيع الأول من هذه السنة، وهو ابن سبعين سنة، فتلهف عليه الرشيد، وبعث ابنه المأمون فصلى عليه.

أنبأنا الحسين بن محمد البارع قال: أخبرنا ابن المسلمة قال: أخبرنا المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدَّثنا الزبير بن بكار قال: حدَّثني عبد الله بن نافع قال: قال لي عبد الله بن مصعب: أريت فيما يرى النائم كأن رجلاً يقول: يولد لك ابن من أم ولدك ولا تراه، فلم يكن شيء أثقل عليه من أحمل، أم ولده أم عبد الله، فولدت عبد الله بن عبد الله بن مصعب يوم مات عبد الله، فلم يره.

عبد اللّه بن عبد العزيز العمري، أبو عبد الرحمن.

أدرك أبا طوالة، وروى عن أبيه، وعن إبراهيم بن سعد، وكان عابداً مجتهداً، ووعظ الرشيد فبالغ.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال قال: أخبرنا أبو يحيى أحمد بن محمد بن الجراح قال: حدَّثنا محمد بن جعفر بن دران قال: أخبرنا هاررن بن عبد العزيز العباسي قال: حدثنا محمد بن خلف بن حبان قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن البغوي قال: سمعت سعيد بن سليمان يقول: كنت بمكة في رواق الشطوى وإلى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حجّ هارون الرشيد، فقال لي إنسان: يا أبا عبد الرحمن، هو ذا أمير المؤمنين يسعى، قد أخلي له المسعى. قال العمري للرجل: لا جزاك الله عني خيراً، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً. ثم تعلق نعليه وقام، فتبعته، فأقبل هارون الرشيد، من المروة يريد الصفا، فصاح به: يا هارون قال: فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم. قال: ارق الصفا.

فلما رقيه قال: ارم بطرفك إلى البيت، قال: قد فعلت. قال: كم هم. قال: ومَنْ يحصيهم؟ قال: فكم في لناس مثلهم؟ قال: خلق لا يحصيهم إلا الله، قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسأل عن حاجته نفسه، وأنت تُسأل وحدك عنهم كلهم، فانظر كيف تكون. قال: فبكى هارون، وجلس وجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع.

قال العمري: وأخرى أقولها لك قال: قل يا عم. قال: والله إن الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرع في مال المسلمين. ثم مضى وهارون يبكي.

قال محمد بن خلف: سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: بلغني أن هارون الرشيد قال: إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر، ثم يُسمعني ما أكره.

وقد روي لنا من طريق آخر أنه لقيه بالمسعى، فأخذ لجام دابته فأهوى الأجناد إليه، فكفَّهم عنه الرشيد، فكلّمه، فإذا دموع الرشيد تسيل على معرقة دابته، ثم انصرف.

وإنه لقيه مرة فقال: ياهارون، فعلت وفعلت. فجعل يسمع منه ويقول: مقبول منك يا عم، على الرأس والعين. فقال له: يا أمير المؤمنين، حال الناس كيت وكيت. فقال: عن غير علمي وأمري.

وخرج العمري إلى الرشيد مرة ليعظه، فلما نزل الكوفة زحف العسكر، حتى لو كان، نزل بهم مائة ألف من العدو وما زادوا على هيئته، ثم رجع و لم يصل إليه.

توفي العمري بالمدينة في هذه السنة، وهو ابن ست وستين سنة.

محمد بن يوسف بن معدان، أبو عبد اللّه الأصفهاني.

أدرك التابعين، وتشاغل بالتعبد، وكان ابن المبارك يُسمّيه عروس الزهاد.

وقال ابن المهدي: ما رأيت مثله.

وقال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت أفضل منه، وكان كأنه قد عاين.

أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: أخبرنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الحافظ قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الحافظ قال: حدثنا أحمد بن عصام قال: حدَّثني يوسف بن زكريا قال: كان محمد بن يوسف لا يشتري زاده من خباز واحد ولا من بقال واحد، قال: لعلهم يعرفوني فيحابوني، فأكون ممن يعيش بدينه.

قال ابن عاصم: وأخبرنا عبد الرحمن بن عمر قال: قال عبد الرحمن بن مهدي باينت محمد بن يوسف في الشتاء والصيف فلم يكن يضع جنبه.

توفي محمد بن يوسف ، و لم تكتمل له أربعون سنة.

المعافى بن عمران، أبو مسعود الأزدي الموصلي.

رحل في طلب الحديث إلى البلاد البعيدة، وجالس العلماء، ولازم سفيان الثوري. فتفقه به وتأدب بآدابه، حدَّث عنه وعن أبي ذئب، ومالك، وابن جريج، وغيرهم.

كان سفيان يقول: أنت معافى كاسمك. وكان يسمّيه الياقوتة، فيقول: يا ياقوتة العلماء.

وصنف كُتباً، وروى عنه: ابن المبارك، وبشر الحافي، وكان زاهداً عابداً، فاضلاً عاقلاً صاحب سُنَة ثقة .

أخبرنا أبو منصور، القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا محمد بن عمر بن القاسم النرسي قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا هيثم بن مجاهد قال: حدَّثنا إسحاق بن الضيف قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: قتل للمعافى بن عمران ابنان في وقعة الموصل، فجاء إخوانه يعزّونه من الغد، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتعزوني فلا تعزوني، ولكن هنئوني، قال:

فهنَّوه، فما برحوا حتى غداهم وغلفهم بالغالية.

توفي المعافى في هذه السنة بالموصل. وقيل: في سنة خمس. وقيل: ست.

يعقوب بن الربيع. حاجب المنصور.

وهو أخو الفضل بن الربيع، كان أديباً شاعراً، حسن الافتنان في العلوم، وكان له جارية طلبها سبع سنين يبذل فيها ماله وجاهه حتى ملكها، وأعطي بها مائة ألف دينار فلم يبعها، ولم تمكث عنده إلا ستة أشهر حتى ماتت، فرثاها بمراث كثيرة .

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب قال: أخبرنا التنوخي قال: حدثنا محمد بن عمران المرزباني قال: أنشدنا علي بن سليمان الأخفش ليعقوب بن الربيع:

أضحوا يصيدون الظباء وإنني ... لأرى تصيّدها عليّ حراما

أشبهنَ منك سوالفاً ومدامعاً ... فأرى بذاك لها علي ذماما

أعْزِز عليَّ بان أودعَّ شبهها ... أو أن تذوق على يديّ حماما

وله أيضاً في جاريته:

لئن كان قربك لي نافعاً ... لبعدك أصبح لي أنفعا

لأني أمنتُ رزايا الدُّهور ... وإن جل خطب بأن أجْزَعا

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: قتل أهل طبرستان مَهْرُوَيه الرازي واليها، فولَّى الرشيد مكانه عبد الله بن سعيد الحَرشي.

وفيها: قتل عبد الرحمن الأبناويّ أبانَ بن قحطبة الخارجي بموج القلعة.

وفيها: أغار حمزة الشاري بباذغيس من خراسان فوثب عيسى بن علي على عشرة آلاف من أصحاب حمزة فقتلهم، وبلغ كابُل، وزابلستان .

وفيها غدر أبو الخصيب، وخرج وذهب إلى مرو، فأحاط بها، فهُزِم، ومضى نحو سرخس، وقوي أمره.

وفيها: مات يزيد بن مزيد ببَرذعة، فوُليَ مكانه أسد بن يزيد.

وفيها: شخص الرشيد إلى الرّقة على طريق الموصل.

واستأذنه فيها يحيى بن خالد في العمرة والمجاورة، فأذن له، فخرج في شعبان هذه السنة، واعتمر عمرة رمضان، ثم رابط بجدة إلى وقت الحج .

وفيها: حج بالناس منصور بن المهدي ووقعت صاعقة في المسجد الحرام في رمضان هذه السنة على بعض ظلال المسجد الحرام فأحرقت الظلة، وقتلت رجلين.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر.

عبد الصمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس. روى عن أبيه، وُلد سنة أربع ومائة، وكان عظيم الخلق، وكانت فيه عجائب: منها: أنه حج يزيد بن معاوية سنة خمسين، وحجّ عبد الصمد بالناس سنة خمسين ومائة. كذلك ذكره أبو بكر الخطيب.

وقال الزبير بن بكار: حجّ يزيد بالناس سنة خمسين، وعبد الصمد سنة خمسين إحدى ومئة وكان بين حجهما مائة سنة على قول الخطيب، وهما في النسب إلى عبد مناف سواء؟ لأن يزيد هو ابن معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ومنها: أنه وُلد سنة أربع ومائة، وتوفي سنة خمس وثمانين.

وولد أخوه بن علي سنة ستين، وكانت بينه وبين أخيه في المولد أربع وأربعون سنة.

وتوفي محمد بن علي سنة ست وعشرين، وتوفي عبد الصمد سنة خمس وثمانين، وكان بينهما في الوفاة تسع وخمسون سنة .

ومنها: أنه ولد عبد اللّه بن الحارث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وعبد الصمد إلى عبد مناف سواء.

ومنها: أنه أدرك أبا العباس وهو ابن أخيه، وأدرك المنصور وهو ابن أخيه، ثم أدرك المهدي وهو عم أبيه، ثم أدرك الهادي وهو عم جده، ثم أدرك الرشيد.

وقال يوماً للرشيد: يا أمير المؤمنين، هذا مجلس فيه أمير المؤمنين، وعم أمير المْومنين، وعم عمه، وعم عم عمه، وذلك أن سليمان بن جعفر عم الرشيد. والعباس بن محمد بن علي عم سليمان، وعبد الصمد عم العباس.

ومنها: أنه مات بأسنانه التي وُلد بها و لم تتغير، وكانت أسنانه قطعة واحدة من أسفل .

ومنها: أنه طارت ريشتان إلى عينيه فذهب بصره .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: حدَثني عبد العزيز بن علي الوراق قال: حدثنا أبو موسى هارون بن عيسى الخطيب قال: حدَّثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام قال: حدَثني أبي قال: حدَّثنا جدي محمد بن إبراهيم الإمام وكان يجلس لولده وولد ولده في كل يوم خميس يعظهم ويحدّثهم قال: أرسل إلي المنصور بكرة واستعجلني الرسول فدخلنا، فإذا الربيع واقف عند الستر، وإذا المهدي ولي العهد في الدهليز جالس، وإذا عبد الصمد بن علي، وداود بن علي، وإسماعيل بن علي وسليمان بن علي، ، وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن حسن بن حسن، والعباس بن محمد، فقال الربيع: اجلسوا مع بني عمكم فجلسنا، ثم دخل الربيع وخرج، وقال للمهدي: ادخل أصلحك الله. ثم خرج، فقال: ادخلوا جميعاً. فدخلنا، فسلمنا، وأخذنا مجالسنا، فقال للربيع: هات دوى وما يكتبون فيه. فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورق، ثم التفت إلى عبد الصمد بن علي فقال: يا عم، حدّث ولدك وأخوتك، وبني أخيك بحديث البر والصلة.

فقال عبد الصمد بن علي: حدثني أبي، عن جدي عبد الله بن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن البر والصلة ليطيلان في الأعمار، ويعمّران الديار، ويثريان الأموال، ولو كان القوم فجاراً".

ثم قال: يا عم، الحديث الآخر.

فقال عبد الصمد: حدثني أبي، عن جدي عبد الله بن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن البر والصلة ليخففان سوء الحساب يوم القيامة" ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذين يصلون ما أمر اللّه به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء

الحساب".

فقال المنصور: يا عم، الحديث الآخر.

فقال عبد الصمد: حدثني أبي، عن جدي، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كان في بني إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين، وكان أحدهما باراً برحمه، عادلاً على رعيته، وكان الآخر عاقاً برحمه، جائراً على رعيته، وكان في عصرهما نبي، فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبي أنه قد بقي من عمر هذا البار ثلاث سنين، وبقي من هذا العاق ثلاثون سنة. قال: فأخبر النبي رعية هذا ورعية هذا، فأحزن ذلك رعية العادل، وأحزن ذلك رعية الفاجر، قال: ففرقوا بين الأطفال والأمهات، وتركوا الطعام والشراب، وخرجوا إلى الصحراء يدعون الله أن يمتعهم بالعادل، ويزيل عنهم أمر الجائر فأقاموا ثلاثاً، فأوحى إلى ذلك النبي أن أخبر عبادي أني قد رحمتهم، وأجبت دعاءهم، فجعلت ما بقي من عمر هذا البار لذلك الجائر، وما بقي من عمر هذا الجائر لذلك البار. قال: فرجعوا إلى بيوقم، ومات العاق لتمام الثلاث سنين، وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على اللّه يسير".

ثم التفت المنصور إلى جعفر بن محمد، فقال: يا أبا عبد اللّه حدّث بني عمك وإخوتك بحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في البر.

فقال جعفر بن محمد: حدَثني أبي، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "ما من ملك يصل رحمه وذا قربته ويعدل في رعيته إلا شيد اللّهّ ملكه، وأجزل له ثوابه، وأكرم ما به، وخفف حسابه".

توفي عبد الصمد في هذه السنة بالجدري، وصلى عليه الرشيد ليلاً، ودفن في باب البردان، وله إحدى وثمانون سنة.

عباد بن العوام بن عبد اللّه، أبو سهل الواسطي. سمع حصين بن عبد الرحمن، وسعيد بن أبي عروبة.

روى عنه: أبو نعيم، وأحمد بن حنبل، وكان ثقة صدوقاً.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب قال: أخبرنا الجوهري قال: حدَّثنا محمد بن العباس قال: حدثنا أحمد بن معروف قال: حدثنا الحسين بن الفهم قال: حدَّثنا محمد بن سعد قال: عباد بن العوام كان من أهل واسط، وكان يتشيع، فأخذه هارون أمير المؤمنين فحبسه زماناً، ثم عفى عنه، فأقام ببغداد، وكان يترل بالكرخ على نهر البزازين .

توفي في هذه السنة. وقيل: في سنة ست وثمانين. وقيل: في سنة تسع. وقيل: في سنة ثلاث.

محمد بن إبراهيم، المعروف بالإمام، ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. كان يلي إمارة الحج والمسير بالناس إلى مكة وإقامة المناسك في خلافة المنصور عدة سنين.

وتوفي ببغداد في خلافة الرشيد لإحدى عشرة بقيت من شوال هذه السنة.

وكان الرشيد إذ ذاك قد شخص إلى الرّقة، فصلى عليه الأمين، ودفن في المقبرة المعروفة بالعباسية بباب الميدان.

محمد بن إبراهيم المعروف بالإمام بن الحسن، أبو بكر الهذلي كان هروي الأصل، وهو أخو أبي معمر إسماعيل وأبي الهذيل إسحاق.

سمع من سفيان بن عيينة وغيره.

وقال موسى بن هارون الحافظ: هو صدوق لا بأس به.

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: خروج علي بن عيسى بن ماهان من مَرْو لحرب أبي الخصيب إلى نَسا، فقُتل بها، وسبي نساؤه وذراريّه، فاستقامت خُراسان.

وفيها: حبس الرشيد ثمامة بن أشرس لوقوفه على كذبه في أمر أحمد بن عيسى بن زيد.

وكانت ببغداد رجفة شديدة بين المغرب والعشاء في رمضان.

وفيها: حج الرشيد، وكان شخوصه من الرّقة في رمضان، فمرّ بالأنبار، و لم يدخل مدينة السلام، ولكنه نزل منزلاً على شاطىء الفرات، وأخرج معه ابنيه الأمين والمأمون، فبدأ بالمدينة، فأعطى أهلها ثلاث عطيات، وبدأ بنفسه، فنودي باسمه، فأخذ ثلاث أعطيات فوضعها بين يديه، وفعل ذلك بالأمين والمأمون، ثم ببني هاشم، ثم بالناس بعدهم، ثم صار إلى مكة فأعطى أهلها عطاءين، فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار، وكان عقد لابنه محمد ولاية العهد في يوم الخميس في شعبان سنة ثلاث وسبعين، وسمّاه الأمين، وضم إليه الشام والعراق في سنة خمس وسبعين. ثم بايع للمأمون في سنة ثلاث وثمانين، وولاه من حد همَذان إلى آخر المشرق.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا الحميدي قال: أخبرنا أبو الحسين بن دينار قال: حدثنا أبو علي الطوماري قال: حدثنا أبو بكر بن الجنيد قال: حدَثني الحسين بن الصباح الزعفراني قال: لما قدم الشافعي إلى بغداد وافق عقد الرشيد للأمين، والمأمون على العهد. قال: فبكر الناس لتهنئة الرشيد، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الإذن، فجعل الناس يقولون: كيف ندعو لهما، فإنا إذا فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة وإن لم ندع لهما كان تقصيراً، فدخل الشافعي، فجلس، فقيل له ذلك، فقال: الله الموفق، فلما أذن دخل الناس، فكان أول متكلم الشافعي فقال:

لا قصرا عنها ولا بلغتهما ... حتى تطول على يديك طوالها

قال علماء السير: وكان القاسم بن الرشيد في حجر عبد الملك بن صالح، فلما بايع الرشيد للأمين والمأمون، كتب إليه عبد الملك:

يا أيها الملِكُ الذِي ... لو كان نجماً كان سَعْدا

اعقد لقاسِمَ بيعَةً ... واقدَحْ له في الناس زَنْدا

الله فرد واحد ... فاجعل ولاةَ العهد فِردا

فكان ذلك أول ما حضَّ الرشيد على البيعة للقاسم، فبايع له وسمَّاه المؤتمن، ولاه الجزيرة والثغور والعواصم.

فلما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة قال بعض الناس: قد أحكم الملك. وقال بعضهم: بل ألقى بأسهم بينهم، وعاقبة ما صنع مخوفة على الرّعيّة.

وحج هارون ومعه أبناؤه ووزراؤه، وقوّاده ، وقضاته في سنة ست وثمانين، وخلف بالرقة إبراهيم بن عثمان بن نَهيك العكيّ، وعلى الحرم، والخزائن، والأموال والعسكر وأشخص القاسم ابنه إلى منبج، فأسكنه إياها، ثم ضم إليه، من القوَّاد والجند، فلما قضى مناسكه كتب إلى المأمون ابنه كتابين أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم فيهما، أحدهما: على محمد الأمير بما اشترط عليه من الوفاء بتسليم ما ولي عبد الله من الأعمال، وصيَّر له من الضياع والغلات والجوهر والأموال. والآخر: نسخة البيعة التي أخذها على

الخاصة والعامة والشروط لعبد اللّه على محمد وعليهم، وحضر في الكعبة، وأحضر وجوه بني هاشم والقوَّاد والفقهاء، وقرأ الكتاب على الأمين والمأمون، وأشهد عليهما جميع من حضر من سائر ولده وأهل بيته ومواليه ووزرائه وقوَّاده وكُتَابه وغيرهم، ثم رأى أن يعلق الكتاب في الكعبة، فلما رفع ليعلق سقط.

وقد روى إبراهيم بن عبد اللّه الحجبي عن أبيه قال: لما رفع الكتاب ليعلق بسقف الكعبة سقط قبل أن يعلق، فقلت في نفسي: هذا أمر سريع انتقاضه. وتقدم إلى الحجبة في حفظ الكتابين ومنع من أراد إخراجهما.

وكانت نسخة الكتاب: هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين، في صحة عقله وجواز من، أمره طائعاً غير مكره أن أمير المؤمنين ولاني العهد من بعده وصير البيعة لي في رقاب المسلمين، وولى عبد اللّه بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة، وجميع أمور المسلمين بعدي، برضا منّي وتسليمه طائعاً غير مكره، وولاه خراسان وثغورها، وكورها، وحربها، وجندها، وخراجها، وبيوت أموالها، أو صدقاتها، وعشرها، وجميع أعمالها في حياته وبعدي، وشرطت لعبد اللّه هارون أمير المؤمنين برضا مني وطيب نفسي أن لأخي عبد اللّه بن هارون علي الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدي، وتسليم ذلك له، وما جعل له من ولاية خراسان، وأعمالها كلها، وما أقطعه أمير المؤمنين من قطيعته أو جعل له من عقده أو ضيعة من ضياعه ، وابتاع من الضياع والعقد وما أعطاه في حياته وصحته من مال أو حلي أو جوهر، أو متاع، أو كسوة، أو مترل، أو دواب، أو قليل، أو كثيرة فهو لعبد اللّه بن هارون أمير المؤمنين موفراً مسلماً إليه، وقد عرفت ذلك كله شيئاً فشيئاً، فإن حدث بأمير المؤمنين الموت، وأفضت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين، فعلى محمد إنفاذ ما أمر به هارون أمير المؤمنين في تولية عبد الله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها من لدن الري إلى أقصى خراسان ليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائداً ولا راجلاً واحداً ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إليه أمير المؤمنين، ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين من ولايته التي ولاها إياه هارون أمير المؤمنين، من ثغور خراسان وأعمالها كلها بنداراً ولا عاملاً، ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضراراً، ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتدبيره، ولا يعرض لأحد ممن ضم إليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته، وقضاته، وعماله، وكتابه، وخدمه، ومواليه، وجنده بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم في أنفسهم، ولا قرابتهم، ولا مواليهم، ولا أموالهم، ولا في ضياعهم ودورهم ورباعهم ورقيقهم، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه يترخص له في ذلك ولا يترع إليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين عبد الله ابن أمير المؤمنين وأهل بيت أمير المؤمنين، وصحابته وعماله وخدمه وجنده، ورفض اسمه أومكْتبه، ومكانه مع عبد الله، عاصياً له أومخالفاً، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده إلى عبد اللّه ابن أمير المؤمنين بصغرٍ له وقَماء حتى ينفذ رأيه وأمره. فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد اللّه ابن أمير المؤمنين من ولاية خراسان وثغورها وأعمالها، أو صرف أحد من قواده الذين ضمَهم إليه أمير المؤمنين أو أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه، أو بحيلة من الحيل، فلعبد اللّه بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين، وهو المقدَّم على محمد ابن أمير المؤمنين وهو وَليّ الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وجميع المسلمين في جميع الأمصار لعبد اللّه ابن أمير المؤمنين، والقيام معه، والمجاهدة لَمَنْ خالفه، والذبّ عنه، ما كانت الحياة في أبدالهم. وليس لأحد منهم أن يخالفه أو يعصيه، ولا يخرج من طاعته، ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلعِ عبد اللّه بن هارون أمير المؤمنين، وصرْف العهد عنه من بعده إلى غيره أو ينتقصه شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين

هارون في حياته وصحته.
واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام وفي كتابه هذا. وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدق في قوله، وأنتم في حلٍّ من البيعة التي في أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين، وعلى محمد ابن أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين، ويسلم له الخلافة.

وليس لمحمد ولا لعبد الله أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين، ولا يقدما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البرية، فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده، أو صرف ذلك عنه إلى مَنْ رأى من ولده وإخوته، وتقديم من أراد أن يقدم قبله، يحكم في ذلك بما أحب وأراد، فعليكم معشر المسلمين إنفاذ ما كتبه أمير المؤمنين في كتابه هذا وشرط، وعليكم السمع والطاعة لأمير المؤمنين فيما ألزمكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين، وعهد الله وذمته وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المقربين والمرسلين والنبيين، ووكدها في أعناق المؤمنين ليقرب لعبد الله ابن أمير المؤمنين بما سمى، ولمحمد، وعبد الله، والقاسم بني أمير المؤمنين بما سمى، وكتب في كتابه هذا واشترط عليكم، فبرئت منك ذمّة الله، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وذمم المسلمين، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين، وعلى كل رجل منكم المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجَّة نفراً واجباً لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك، وكل مملوك لأحد منكم أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة حر، وكلّ امرأة له فهي طالق ثلاثًا البتة طلاق الحرج، لا مثنويِّة لذلك فيها، والله عليكم بذلك كفيل، وكفى بالله حسيباً.
ونسخة الشرط الذي كتبه عبد الله ابن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة: هذا كتاب لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين كتبه له عبد اللّه بن هارون أمير المؤمنين في صحة من عقله وجواز أمر من أمره، وصدق نيّة، فيما كتبه في كتابه هذا، ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين أن أمير المؤمنين هارون ولاني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعد أخي محمد بن هارون، وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها، وجميع أعمالها، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة وولاية العباد والبلاد بعده وولاية خراسان وجميع أعمالها، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين، أو ابتاع لي من الضياع والعُقَد والرّباع، أو ابتعت منه من ذلك، وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال والجواهر والكساء والمتاع والدواب والرقيق وغير ذلك، فلا يعرض لي ولا لأحد من عُمَالي وكُتَّابي بسبب محاسبة، ولا يتَّبع لي في ذلك ولا لأحد منهم أبداً، ولا يدخل علي ولا عليهم ولا على من كان معي ممن استعنتُ به من جميع الناس مكروهاً في نفسي ولا دم، ولا شعر، ولا بشر ولا مال، ولا صغير ولا كبير. فأجابه إلى ذلك وأقَرّ به، وكتب له كَتاباً أكدَّ فيه على نفسه ورضي به أمير المؤمنين، وقبله فشرطت لأمير المؤمنين، وجعلت له على نفسي أن أسمع وأطيع محمد، ولا أعصيه، وأنصحه ولا أغشه، وأوفي ببيعته وولايته، ولا أغدر، ولا أنكُث، وأنفذ كتبَهَ وأوامره ، وأحسن مؤازرته، وجهاد عدوه في ناحيتي، ما وفى لي على ما شرط لأمير المؤمنين في أمري، وسمى في الكتاب الذي كتبه لأمير المؤمنين، فإن احتاج محمد إلى جند وكتب إليَّ يأمرني بإشخاصه إليه، أو إلى ناحية من النواحي، أو عدو خالفه وأراد نقض شيء من سلطانه أو سلطاني الذي أسنده أمير المؤمنين إلينا أن أنفذ أمره ولا أخالفه، ولا أقصر في شيء كتب به إلى، وإن أراد محمد أن يوَلِّي رجَلاً من ولاة العهد والخلافة بعدي، فذلك له ما وفّى لي بما جعله لي أمير المؤمنين واشترط لي عليه، وعلي إنفاذ ذلك والوفاء له به ولا انقض ذلك ولا أبدله، ولا أقدم قبله أحداً من ولدي، ولا قريباً ولا بعيداً من الناس، إلا أن يولِّي أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد

بعدي فيلزمني ومحمداً الوفاء له.

وجعلت لأمير المؤمنين ولمحمد الوفاء لي بما شرطت وسمَّيت في كتابي هذا، ما وَفى لي محمد بجميع ما اشترط لي أمير المؤمنين عليه في نفسي، وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسمَّاة في هذا الكتاب الذي كتبه له، وعليّ عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المسلمين وأشد ما أخذ الله على ميثاقه على النبيين والمرسلين من خلقه، من عهوده ومواثيقه، والأيمان المؤكدة التي أمر الله الوفاء بها، ونهى عن نقضها وتبديلها، وإن أنا نقضت شيئاً مما شرطت وسمّيت في كتابي هذا، أو غيَّرت أو بذلت، أو نكثت أو غدرت، فبرئت من الله ومن ولايته ودينه، ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم، ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركاً، وكل امرأة هي لي اليوم، أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة طلاق الحَرج، وكلّ مملوك هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله، وعلي المشي إلى بيت اللّه الحرام الذي بمكَة ثلاثين حجة، نذراً واجباً علي في عنقي حافياً راجلاً، لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك، وكل مال لي أو أملكه إلى ثلاثين سنة، هَدْي بالغ الكعبة، وكلّ ما جعلت لأمير المؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لا أضمر غيره، ولا أنوي غيره.

وشهد سليمان ابن أمير المؤمنين وفلان وفلان. وكتب في ذي الحجة سنة سبع وثمانين ومائة وكان في نسخة الكتاب الذي كتبه هارون إلى العمّال.

أما بعد، فإن الله ولي أمير المؤمنين، وولي ما ولاه، والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه والصانع له فيما قدم وأخَّر من أموره، والمنعم عليه بالنَصر والتأييد في مشارف الأرض ومغاربها، والكالىء والحافظ والكافي من جميع خلْقه وهو المحمود على جميع آلائه، والمسؤل تمامَ حسْنِ ما مضى من قضائه لأمير المؤمنين، وعادته الجميله عنده، وإلهامَ ما يرضى به، ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله.

و لم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عَقْد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين، ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد، يُعمل رأيه ونظره ورويّته فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة، واللّم للشعث، والحسم لكيْد أعداء النِّعم من أهل الكفر والنفاق والغلّ، والقطع لآمالهم من كلّ فرصة يرجون إدراكها وانتهازها، ويستخير الله في ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخِيرَة لهما ولجميع الأمة.

فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله الحرام، وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والانقياد لأمره، واكتتاب الشرط على كلِّ واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود وأغلظ الأيمان والتَّوكيد، وأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهما ومودتهما وتواصلهما ومكانتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاهما.

فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك، وما نظر فيه لهما، فقبلا ما دعاهما إليه، وكَتَبا لأمير المؤمنين في بَطْن بيت الله الحرام بخطوطهما، بمحْضر ممن شهد الموسم وأهل بيت أمير المؤمنين وقَوّاده وقضاته وحَجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة، وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة.

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك أمر قضاته الذين شهدوا عليهما، وحضروا كتابيهما، أن يعلموا جميع مَن حضر الموسم من الحاج

والعمار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابيهما ليعرفوا ذلك ويؤدُوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم. ففعلوا، وقرىء عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام، فانصرفوا. وقد اشتهر علم ذلك عندهم فأثبتوا الشهادة عليه، وعرفوا نظر أمير المؤمنين لصلاحهم وحقن لدمائهم، و لم شعثهم وإطفاء جَمْرة أعداء الله، وأعداء دينه.

وقد نسخ أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما محمد وعبد الله في أسفل كتابه هذا.

وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائة.

وأمر هارون الرشيد للمأمون بمائة ألف درهم حملت له من الرقة إلى بغداد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو زيان

حكى عنه عون بن عبد الله قال: قال لي أصبغ: سمعت من أبيك كلاماً نفعني اللّه به: لئن يخطىء الإمام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة.

توفي أصبغ في رمضان هذه السنة.

حسان بن إبراهيم، أبو هشام العتري الكوفي قاضي كرمان.

ولد سنة ست وثمانين، رأى محارب بن دثار، وسمع هشام بن عروة، والثوري، وروى عنه عفان بن مسلم، ووثقه يحيى، وتوفي في هذه السنة، وله مائة سنة.

سلم الخاسر الشاعر هو: سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء.

يقال أنه مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ويقال: بل مولى المهدي.

واختلف لِمَ سمَي الخاسر، فقال اليزيدي: ورث من أبيه مائة ألف درهم أو أصاب من مدائح الملوك مائة ألف درهم، فأنفقها كلها على الأدب وأهله.

وحكى الأصفهاني: أنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً.

وذكر الصولي أن الرشيد قال له: لِمَ سُمِّيت الخاسر؟ فقال: بعت وأنا صبي مصحفاً واشتريت بثمنه شعر امرىء القيس، وقد رزقني اللّه حفظ القرآن بعد ذلك، فقال له: فأنت الآن الرابح.

قال: وقيل إنهم رأوه يوماً في سوق الدفاتر وقد باع مصحفاً بشعر الأعشى، فقال له الناس: أنت واللّه الخاسر. فبقيت عليه.

قال: وكان مقتدراً على الشعر بلغ من اقتداره أنه اخترع شعراً على حرف واحد لم يسبق إليه، وأقل شعر سُمع للعرب على حرفين، نحو قول دريد بن الصمة:

ياليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع

فقال سلم الخاسر لموسى الهادي شعراً على حرف واحد منه:

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر

كم اعتسرتم اقتسروكم قدر

ثم غفرعدل السيرباقي الأثر

خير البشرفرع مُضربدرٌ بدَر

لمن نظرهو الوزرلمن حضر

والمفتخرلمن غبروالمجتبر

لمن عثر .

وذكر الخطيب أنه كان على طريقة غير مرضيَّة من المجون والخلاعة والفسق، ثم تعرى وترك ذلك، فرقت حاله، فاغتم لذلك، ورجع إلى شر مما كان عليه أولاً، فباعِ مصحفاً كان له واشترى بثمنه دفتراً فيه شعر، فشاع خبره في الناس فسمّوه: سلماَ الخاسر لذلك.

وكان من الشعراء المجيدين، وكان من تلامذة بشَّار، وصار يقول أرق من شعره، فغضب بشار، وكان بشار قد قال:

مَنْ راقبَ الناسَ لم يظفر بحاجتِهِ وفاز بالطيباتِ الفاتك اللهج

فقال هو:

من راقب الناس مات غماً وفاز باللّذة الجَسُور

فغضب بشار وقال: ذهب واللّه بيتي، تأخذ المعاني التي قد تعبت فيها فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظي!؟ لا أرضى عنك. فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال،: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن عمر قال: قال محمد بن داود بن الجراح: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أحمد بن المبارك بن خالد قال: حدثني الجواني الهامشي قال: حدثني أبي قال: كان سلم قد كسب مالاً بقصيدته التي مدح بها المهدي، التي أولها:

حضر الرحيل وشدَت الأحداج وحدا بهنَّ مشمر مزعاج

شربت بمكة من ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

وكان المهدي أعطى هارون بن أبي حفصة مائة ألف درهم، التي أولها :

طرقتك زائرة فحي خيالها .

فأراد أن ينقص سلماً عن هذه الجائزة، فحلف سلم أن لا يأخذ إلا مائة ألف درهم، وألف درهم، وقال: تطرح القصيدتان إلى أهل العلم حتى يخيروا بتقديم قصيدتي، فأنفذ له المهدي مائة ألف درهم، وألف درهم، فلما بلغ إلى زمان الرشيد قال قصيدته التي أولها:

قل للمنازل بالكثيب الأعفر أسقيت غادية السحاب الممطر

قد بايع الثقلان مهدي الهدى لمحمد ابن زبيدة ابنة جعفر

فحشت زبيدة فاه دراً، فباعه بعشرين ألف دينار، وهذا حين بايع الرشيد لمحمد ابن زبيدة.

ومات سلم في أيام الرشيد وقد اجتمع عنده من المال قيمة ستة وثلاثين ألف دينار، فأودعها أبا السمراء الغساني، فبقيت عنده، وأتى إبراهيم الموصلي يوم العيد عند الرشيد وغنّاه فأطربه، فقال: يا إبراهيم، سل ما شئت. قال: نعم يا سيدي، أسأل شيئاً لا يرزأك، قال: ما هو؟ قال: مات سلم وليس له وارث، وقد خلف ستة وثلاثين ألف دينار عند أبي السمراء الغساني، تأمره بدفعها إليَّ. فبعث إليه أن يدفعها إليه فدفعها. وكان الجماز بعد ذلك قدم هو وأبوه يطلبان ميراث سلم. وأنهما من قرابته .

وفي رواية: أن تركته كانت خمسين ألف دينار، وذكروا أنه لما قال أبو العتاهية:

تعالى اللّه يا سلم بن عمر وذل الحرصُ أعناقَ الرجال

غضب سلم وقال: يزعم أني حريص، فقال يرد عليه:

ما أقبح التزهيدَ من واعظٍ يُزَهد الناس ولا يَزهَدُ

لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد

ورفض الدنيا فلم يلقها ولم يك يسعى ويسترفد

أيخاف أن تنفذ أرزاقه والرزق عند اللّه لا ينفد

والرزق مقسوم على ماترى يناله الأبيض والأسود

كلاَ يوفى رزقه كاملاً مَنْ كف عن جهدٍ ومَنْ يجهد

قال أبو هفان: وصل إلى سلم من البرامكة خاصة عشرون ألف دينار، ومن الرشيد مثلها.

شقران بن علي الإفريقي، صاحب الفرائض. كان رجلاً صالحاً، بعبادته يضرب المثل. توفي في هذه السنة.

عمر و بن زرارة بن واقد، أبو محمد، الكلابي النيسابوري.

سمع معاذ بن معاذ، وسفيان بن عيينة، وهشيم بن بشير، وابن علية، وغيرهم.

وقرأ القرآن على علي بن حمزة الكسائي. روى عنه: البخاري، ومسلم، وغيرهما. وكان فوق الثقة.

العباس بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس. كان من رجالات بني هاشم، وولي إمرة الجزيرة أيام الرشيد، وكان أجود الناس رأياً، وكان الرشيد يقول: عمي العباس. يُذَكِّرنَا أسلافنا.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي، قال: أخبرنا الأزهري، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن عرفة قال: توفي العباس سنة خمس وثمانين ومائة، وُلي العباس بن محمد – الذي تنسب إليه العباسية – الجزيرة، وصار إلى الرقة، وأمر الرشيد ففرش له في قصر الإمارة، واتخذت له فيه الآلات وشحن بالرقيق، وحمل إليه خمسة آلاف ألف درهم، وفي سنة ست وثمانين ومائة توفي العباس ببغداد في رجب، وصلّى عليه الأمين، ودفن في العباسية وسِنُّهُ خمس وستون سنة وستة أشهر، وستة عشر يوماً.

أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا البيهقي قال: حدثنا سهل بن أحمد الديباجي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الفضل قال: حدثنا أبو سلمة هشام بن عمرو القرشي قال: قال رجل للعباس بن محمد: إني أتيتك لحاجة صغيرة. فقال له: اطلب لها رجلاً صغيراً.

يقطين بن موسى. كان أحد الدعاة إلى دولة بني العباس، وكان حازماً داهية، ولما حبس مروان بن محمد إبراهيم الإمام تحيرت

الشيعة فلم تدر مَن الإمام بعده، فقال لهم يقطين: أنا أعلمكم. فمضى إلى الشام فوقف لمروان، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل تاجر، قدمت بمتاع، فأدخلت إلى هيئة فابتاعه مني، و لم يزل يسوفني بثمنه، حتى جاءت رسلك فحبسته، فإن رأيت أن تجمع بيني وبينه وتأخذ لي بحقي. فقال مروان لبعض خدمه: يا غلام، امض معه إلى إبراهيم وقل له أخرج لهذا من حقه. فمضى معه إليه، فلما رآه قال: يا عدو الله، إلى متى تمطلني ومن أمرت بدفع مالي إليّ؟. فقال: إلى ابن الحارثية. فعاد إلى الشيعة فأعلمهم أن أبا العباس هو الإمام بعده.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد، وإيقاعه بالبرامكة.

فأما سبب غضبه على جعفر الذي قتله لأجله فقد اختلف فيه، وفي سبب تغيره على البرامكة.

فقال بختيشوع: إني لقاعد في مجلس الرشيد إذ طلع يحيى بن خالد، وكان يدخل بلا إذن، فلما صار بالقرب من الرشيد وسلَّم عليه ردّ عليه رداً ضعيفاً، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغيَّر، ثم أقبل علي الرشيد فقال: يا بختيشوع، يدخل عليك في مترلك أحد بلا إذنك؟ فقلت: لا، ولا يطمع في ذلك، فقال: ما بالنا يدخل علينا بلا إذن. فقام يحيى فقال: يا أمير المؤمنين قدمني اللّه قبلك، واللّه ما ابتدأت ذلك الساعة، وما هو إلا شيء خصني به أمير المؤمنين، ورفع به ذكري حتى إن كنت لأدخل وهو في فراشه، وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب، وإذ علمت فإني أكون في الطبقة الثانية من أهل الإذن والثالثة إن أمرني سيدي بذلك. قال: فآستحى، وكان من أرق الخلفاء وجهاً، وعيناه في الأرض، ما يرفع طرفه. ثم قال: ما أردت ما تكره، ولكن الناس يقولون. وخرج يحيى.

وقال ثمامة بن أشرس: رفع محمد بن الليث رسالة إلى الرشيد يعظه فيها ويقول: إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً، وقد جعلته فيما بينك وبين اللّه، فكيف أنت إذا وقفت بين يدي الله فسألك عما علمت في عباده وبلاده، فقلت: استكفيت يحيى أمور عبادك. أتراك تحتج بحجة يرضاها. مع كلام فيه توبيخ وتقريع، فدعى الرشيد يحيى وقد تقدم إليه خبر الرسالة، فقال: تعرف محمد بن الليث؟ قال: نعم قال: فأي الرجال هو؟ قال: متهم على الإسلام. فأمر به، فوضع في الحبس دهراً، فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه، فأحضر فقال له بعد مخاطبة طويلة: يا محمد، أتحبني. قال: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: تقول هذا!؟ قال: نعم، وضعت رجلي في الأكبال، وحلت بيني وبين العيال بلا ذنب أتيت، ولا حدث أحدثت، سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله، ويحبّ الإلحاد وأهله، فكيف أحبك؟ قال: !صدقت. وأمر بإطلاقه، ثم قال: يا محمد، أتحبني؟ قال: لا واللّه يا أمير المؤمنين، ولكن قد ذهب ما في قلبي. فأمر أن يعطى مائة ألف درهم، فأحضرت فقال: يا محمد، أتحبني؟ قال: أما الآن فنعم، قد أنعمت عليّ، وأحسنت إلي. قال: انتقم الله ممن ظلمك، وأخذ لك بحقك ممن بعثني عليك. قال: فقال الناس في البرامكة، فأكثروا، وان ذلك أو ما ظهر من تغير حالهم.

وقال محمد بن الفضل مولى سليمان بن أبي جعفر: دخل يحيى بن خالد بعد ذلك إلى الرشيد، فقام الغلمان إليه فقال الرشيد لمسرور الخادم: مُر الغلمان أن لا يقوموا إليه إذا دخل. فدخل فلم يقم إليه أحد، فاربدَ لونُه، وكان الغلمان والحجاب بعد ذلك إذا رأوه

أعرضوا عنه، فكان ربما استسقى الشربة فلا يسقونه.

وقال أبو محمد اليزيدي: مَنْ قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد اللّه بن حسن فلا تصدّقه، وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه، ثم دعى به ليلة من الليالي فسأله عن شيء من أمره فأجابه إلى أن قال له: اتق الله في أمري ولا تتعرض أن يكون خصمك غداً محمد صلى الله عليه وسلم، فواللّه ما أحدثت حدثاً، ولا آويت محدثاً. فرقَّ له وقال: اذهب حيث شئت من بلاد اللّه. قال: وكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ بعد قليل. فأرَدّ إليك أو على غيرك. فوجّه إليه من أداه إلى مأمنه. وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له عليه من خاص خدمه، فدخل على الرشيد فأخبره، فأراه أنه لا يعبأ بخبره وقال: ما أنت وهذا، لا أمّ لك، فلعل ذلك عن أمري. فانكسر الفضل، وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا، وجعل يلقمه ويحادثه، إلى أن كان آخر ما كان بينهما أن قال: ما فعل يحيى بن عبد اللّه؟ قال: بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكبال الثقيلة. فقال: بحياتي! فأحجم جعفر، وكان من أرق الخلق ذهناً، وأصحهم فكراً، فهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره، فقال: لا وحياتك يا سيدي، ولكن أطلقته وعلمت أنه لا حياة به، ولا مكروه عنده. قال: نعم ما فعلت، ما عدوتَ ما كان في نفسي. فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد يتوارى عن وجهه، ثم قال: قتلني اللّه بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك. فكان من أمره ما كان.

وقال إدريس بن بحر: عرض رجل للرشيد فقال: نصيحة، فقال لهرثمة: خذ إليك الرجل وسَلْه عن نصيحته. فسأله فأبى أن يخبره وقال: هي سر من أسرار الخليفة. فأخبر هرثمة الرشيد فقال له: لا تبرح بالباب حتى أفرغ له. فلما كان في الهاجرة، وانصرف من كان عنده، دعا به، فقال: أخلني. فالتفت هارون إلى بنيه فقال: انصرفوا يا فتيان. فوثبوا، وبقي خاقان وحسين على رأسه، فنظر إليهما الرجل فقال: تنحيا عنا. ففعلا، ثم أقبل على الرجل فقال: هات ما عندك. فقال: على أن تؤمنني. قال: علي أن أؤمنك وأحسن إليك. قال: كنت بحلوان في خان من خاناتها، فإذا أنا بيحيى بن عبد الله في دراعة صوف غليظة وكساء صوف أخضر غليظ، وإذا معه جماعة يترلون إذا نزل، ويرحلون إذا رحل، ويكونون منه برصد، يوهمون مَنْ رآهم أنهم لا يعرفونه وهم أعوانه، ومع كل واحد منهم منشور يأمن له إن عُرِض له. قال: تعرف يحيى بن عبد اللّه؟ قال: أعرفه قديماً، وذلك الذي حقق معرفتي به بالأمس. قال: فصفه. قال: مربوع، أسمر، رقيق البشرة، أجلح، حسن العينين، عظيم البطن. قال: صدقت هو ذلك. قال: فما سمعته يقول؟ قال: ما سمعته يقول شيئاً غير أني رأيته يصلي، ورأيت غلاماً من غلمانه أعرفه قديماً جالساً على باب بالخان، فلما فرغ من صلاته أتاه بثوب غسيل، فألقاه في عنقه، ونزع الجبة الصوف، فقال له: أحسن الله جزاءك، وشكر سعيك، فمن أنت. قال: رجل من أبناء هذه الحولة، وأصلي من مرو، ومولدي مدينة السلام. قال: فمترلك بها؟ قال: نعم. فأطرق ملياً، ثم قال: كيف احتمالك لمكروه تمتحن به في طاعتي؟ قال: أبلغ من ذلك حيث أحب أمير المؤمنين. قال: كن بمكانك حتى أرجع. فدخل حجرة كانت خلف ظهره، فأخرج كيساً فيه ألفا دينار، فقال: خذ هذه ودعني وما أدبر فيك. فأخذها وضم عليها ثيابه، ثم قال: يا غلام. فأجابه خاقان وحسين، فقال: اصفعا ابن اللخناء، فصفعاه نحواً من مائة صَفْعة، ثم قال: أخرِجاه إلى مَنْ بقيَ في الدار وعمامتُه في عنقه، فقولا: هذا جزاء من يسعى ببطانة أمير المؤمنين وأوليائه ففعلا ذلك وتحدثوا بخبره، ولم يعلم بحال الرجل أحد، ولا بما ألقى إلى الرشيد حتى كان من أمر البرامكة ما كان.

أخبرنا ابن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال: حدَّثني أبو الفضل ميمون بن مهران قال: حدَّثتني أمية البرمكية قالت: الناس يكثرون في قصة البرامكة، وأوكد الأسباب فيما نالهم أن جعفر بن يحيى كان اشترى جارية مغنية يقال لها فتينة لم يكن لها نظير في الدنيا في حسن الخلق وسجاة وطيبة، وكان ابن جامع إذا سمعها بكى ما دامت تغني، وكان غيره من الحذاق يسلمون لها، وكان شراؤها على جعفر مائة ألف دينار، فطلبها منه الرشيد فلم يدفعها إليه، فلم يكن إلا قليلاً حتى نزل بهم ما نزل، فأخذت وأخذ جميع من معها من الجواري والعوامل، ثم جلس لنا وأدخلنا عليه وفي يد كل واحدة منا ما تعمل به، فأقبل يأمر واحدة واحدة، فتغني المغنية، وتزمر الزامرة، حتى بلغ إلى فتينة، فقال لها: غَنّي. فأمسكت، فقلنا لها ونحن نرعد: ويحك غَنّي! فأسبلت دمعها وقالت: أما بعد الساعة فلا. فحثثناها على ذلك فأبت، فنظر الرشيد إلى أقبح مَنْ على رأسه وهو الحارث بن بسيحر وقال: خذها، قد وهبتها لك. فأخذ بيدها ومضت معه، فلما ولت دعا الحارث وأسرَّ إليه شيئاً علمناه فيما بعد؟ أمره أن لا يقربها، إذ كان إنما أراد كسرها، ثم أمر بصرفنا فانصرفنا، ومكثنا أياماً، ثم ذكرنا فأمر بإحضارنا على السبيل التي حضرناها أولاً، فلما وقفنا بين يديه قال للحارث: ما فعلت فلانة؟ يعني: فتينة. قال: هي قبلي يا أمير المؤمنين. قال: هاتها. فأحضرها وجلست وجلسنا، فأخذنا في شأننا وقال: هيهِ غنّي. فعصرت عينيها ثم بكت وقالت: أما بعد الساعة فلا. فغضب الرشيد وقال: سيف ونطع، ثم قال لها: غني. فردَّتْ مثل قولها الأول، وأسبلت الدموع، وذهبت عقولنا نحن، ووقعت علينا الرعدة من شدة الخوف، فقال للسياف: انظر إلى يدي، فإذا عقدت لك بالخنصر اثنين فأمسك، فإذا عقدت بالوسطى ثلاثاً فاضرب. فأخذ السياف السيف ووقف وراءها شاهراً به. فقال لها الرشيد: غني: فقالت: أما بعد الساعة فلا، وهي تبكي وقد علا بكاؤها، فعقد بيده واحدة، ثم قال لها ثانية فقالت القول الأول، فعقد اثنين، ورفع يده يريها السياف وأقبل يحرك الوسطى ويقول لها: غنّي. وأقبلنا عليها نناشدها في نفسها وفينا، فاندفعت تغني:

لما رأيت الديار قد درست ... أيقنت أن النعيم لم يعد

فوثب إليها الرشيد، فأخذ العود من يدها، وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تفتت، وأقبلت الدماء، وتطايرنا نحن، وحملت من بين يديه وقيدة، فمكثت ثلاثاً وماتت.

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري سبباً عجباً في خبر البرامكة في هلاك جعفر قال: كان الرشيد لا يصبر عن جعفر وأخته عباسة بنت المهدي، وقال جعفر: أزوجكها ليحل لك النظر إليها، ولا تمسها. فكانا يحضران مجلسه، ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما، فيقوم إليها جعفر فيجامعها، فحبلت منه، فولدت غلاماً، وخافت من الرشيد، فلم يزل الأمر مستوراً، ووجهت المولود مع خواص لها من مماليكها إلى مكة، فلم يزل الأمر مستوراً عن الرشيد حتى وقع بين عباسة وبعض جواريها شر، فأنهت أمرها وأمر الصبي، إلى الرشيد، وأخبرت بمكان الصبي، ومع مَنْ هو من جواريها، وما معه من الحلي التي كانت زيَّنته بها أمه، فلما حج هارون هذه الحجة أرسل إلى الموضع مَنْ يأتيه بالصبي وحواضنه، فلما حضرن سأل اللواتي معهن الصبي، فأخبرنه بمثل القصة التي أخبرته بها الرافعة على عباسة، وكان ذلك سبب ما نزل بهم.

وقد ذكر أبو بكر، الصولي أن علية بنت المهدي قالت للرشيد: ما رأيت لك يوم سرور منذ قتلت جعفراً، فلأي شيء قتلته؟ فقال: لوعلمت أن قميصي يعلم السبب الذي قتلت له جعفراً لأحرقته. وكان يحيى بن خالد قد كتب إلى جعفر: إني إنما أهملتك ليعثر

الزمان بك عثرة يُعرف بها أمرك، وإن كنت أخشى أن تكون التي لا سوى لها وقال يحيى للرشيد: يا أمير المؤمنين، أنا واللّه أكره مداخلة جعفر معك، ولست آمن أن ترجع العاقبة في ذلك عليَّ منك، فلو أعفيته واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم أعمالك كان ذلك واقعاً بموافقتي. قال الرشيد: يا أبت، ليس بك ذلك، ولئن تريد أن تقدم عليه الفضل.

وقد أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني أبو الحسين علي بن هشام قال: سمعت الحسن بن عيسى يقول: الشَّرَهُ قتل جعفر بن يحيى. فقيل له: إن الناس يقولون إن ذنبه أمر بعض أخوات الرشيد. فقال: هذا من رواية الجُهَّال من كان يجسر على الرشيد بهذا إنما كان جعفر قد حاز ضِيَاع الدنيا لنفسه، وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة أو بستان إلا قيل: هذا لجعفر.

فما زال ذلك في نفسه، ثم جنى على نفسه بأن وجه برأس بعض الطالبيين في يوم نيروز من غير أن يكون قد أمره بقتله، فاستحل بذلك دمه.

وقيل: بل أرادت البرامكة إظهار الزندقة وإفساد الملك فقتلهم لذلك.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أبو عبد الله النصيبي، أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن سويد، حدثنا أبو بكر الأنباري قال: حدثني أبي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن المدائني قال: قال أبو زكار الأعمى: كنت عند جعفر البرمكي في الليلة التي قتل فيها وهو يغني بهذا الشعر:

فلا تَبْعَد فكل فتىً سيأتي ... عليه الموتُ يبكر أو يُغَادي

وكل ذخيرة لا بد يوماً ... وإن بقيت تصير إلى نفاد

فلو فودِيتَ من حدث الليالي ... فديتك بالطريف وبالتلادِ

فقلت: يا سيدي، ممن أخذت هذا الشعر. قال: من أحسن شعراً من حكم الوادي. فما قام عن موضعه حتى جاء مسرور غلام الرشيد فأخذ رأسه.

قال علماء السير: لما انصرف الرشيد عن الحج في سنة ست وثمانين قال مسرور الخادم: سمعت الرشيد يقول في الطواف: اللهم إنك تعلم أن جعفر بن يحيى قد وجب عليه القتل، وأنا أستخيرك في قتله فخِرْ لي. قالوا: ثم عاد إلى الأنبار وبعث إليه بمسرور وحماد بن سالم، والمغني يغني:

فلا تَبْعَد فكل فتىً سيأتي ... عليه الموتُ يبكر أَو يغادي

قال مسرور: الذي جئت فيه من ذاك قد والله طرقك، أجب أمير المؤمنين. قال: فوقع على رجلي يقبلها ويقول: حتى أدخل فأوصي. فقلت: أما الدخول فلا سبيل إليه، ولكن أوص بما شئت. فتقدم في وصيته بما أراد، وقال: كل مال لي فهو صدقة، وكل عبد لي فهو حر، وكل مَنْ لي عنده وديعة أو حق فهو في حل. ثم أتت رسل الرشيد تستحث مسروراً، فأخرجه إخراجاً عنيفاً، حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد، فحبسه وقيده بقيد حمار، وأخبر الرشيد فقال: ائتني برأسه. فجاء إلى جعفر وأخبره، فقال: اللّه اللّه، واللّه ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران، فدافع بأمري حتى أصبح، أؤامِره فيّ ثانية. فعاد ليؤامره، فقال: يا ماصّ بَظْر أمّه ائتني

برأس جعفر. فرجع إليه فأخبره فقال: عاوده ثالثة. فأتاه فحدفه بعمود وقال: نُفيت من المهديّ إن جئتني و لم تأتني برأسه لأرسلن إليك مَنْ يأتيني برأسك، فأتاه برأسه.
وكان قتله ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين بأرض الأنبار، وهو ابن سبع وثلاثين سنة، ثم أمر بنصب رأسه على الجسر، وتقطيع بدنه، وصلب كل قطعة على جسر، فلم يزل كذلك حتى مرّ عليه الرشيد حين خروجه إلى خراسان، فقال: ينبغي أن يحرق هذا. فأحرق.

قال علماء السير: وجه الرشيد في ليلة قتل جعفر من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً، وحوّل الفضل بن يحيى ليلاً فحُبس في ناحية من منازل الرشيد، وحُبس يحيى بن خالد في مترله، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها، ووجَّه من ليلته رجاء الخادم إلى الرَّقة في قبض أموالهم، وما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم، وفرق الكتب من ليلته في جميع الغلمان في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم فلما أصبح كتب إلى السندي بتوجيه جثة جعفر إلى مدينة السلام، ونصْب رأسه على الجسر الأوسط، وقطع جثته وصلْب كل قطعة على الجسر الأعلى والجسر الأوسط. ففعل السندي ذلك، وأمر بالنداء في جميع البرامكة أن لا أمان لمن أمنهم أو آواهم إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه، فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة له، وعرفَ براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة، وخلّى سبيل يحيى قبل شخوصه مع العم، ووكَل بالفضل، ومحمد، وموسى، وأبي المهدي صهرهم حَفظةً من قيل هرثمة بن أعين إلى أن وافى بهم الرّقة، وأتى بأنس بن أبي شيخ صبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر فأصر بقتله، وكان من أصحاب البرامكة، وكان قد رفع إليه عنه أنه على الزندقة.
وقيل ليحيى بن خالد أن الرشيد قد قتل ابنك، فقال: كذلك يُقتَل ابنُه.
أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزاز، أنبأنا علي بن المحسن التنوخي، عن ابنه قال: حدثني علي بن هشام، أخبرنا علي بن عيسى قال: حدثنا أبي، حدثنا داود بن الجراح قال: قال لي الفضل بن مروان قال: كنت أعمل في أبواب ضياع الرشيد الحساب، فنظمت في حساب السنة التي نكب فيها البرامكة، فوجدت ثمن هدية دفعتين من مال الرشيد أهداهما إلى جعفر بن يحيى بضعة عشر ألف دينار، وفيه بعد شهور من هذه الهدية قد بينا الحساب لثمن نفط وحب قطن ابتيع فأحرق به جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر قيراطاً ذهباً.
وقد ذكر أبو بكر الصولي: أن الرشيد كان يقول؟ لعن اللّه مَنْ أغراني بالبرامكة، ما رأيت رخاء بعدهم، ولا وجدت لذة راحة.
قال الصولي: وحدثنا الغلابي، حدثنا العتبي قال: قال لي الرشيد بعد قتل البرامكة: وددت والله إني شوطرت عمري، وغرمت نصف ملكي، وأني تركت البرامكة على أمرهم.
أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني الأزهري، أخبرنا محمد بن العباس قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف قال: أخبرني أبو النضر هشام بن سعيد الزهري قال: أخبرني أبي قال: لما صلب الرشيد جعفر بن يحيى وقف الرقاشي الشاعر فقال:

أمَا واللّه لولا خوف واشٍ ... وعيَنٌ للخليفة لاتنام
لطفنا حَوْلَ جِذعكَ واستلَمْنا ... كما للنَّاس بالحَجرِ استْلامُ

فما أبصوت قبلك يا ابن يحيى حساماً فلّه السيف الحسامُ
على اللذات والدنيا جميعاً ودولَة آل برمكٍ السّلامُ

فقيل للرشيد، فأمر به فأحضر فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: تحركت نعمته في قلبي فلم أصبر. قال: كم أعطاك؟ قال: كان يعطيني كل سنة ألف دينار. قال: فأمر له بألفي دينار.

أخبرنا القزاز أخبرنا أحمد بن علي، الخطيب. قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد بن علي، البزاز قال: أخبرنا أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي قال: أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب بن عبد اللّه قال: لما قتل جعفر بن يحيى وصُلب بباب الجسر رأسه، وفي الجانب الغربي جسده، وقفت امرأة على حمار فاره، فنظرت إلى رأسه فقالت بلسان فصيح: واللّه لئن صرت اليوم آية لقد كنت في المكارم غاية، ثم أنشأت تقول:

لما رأيت السيف خالط جعفراً ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
وما هي إلا دولة بعد دولة تخول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل رفعةٍ من الملك حطت ذا إلى الغاية القصوى

ثم إنها حركت الحمار الذي تحتها وكأنها كانت، ريحاً لم يعرف لها أثر.

وفي هذه السنة: هاجت العصبية بدمشق بين المضرية واليمانية، فوجَّه الرشيد محمد بن منصور فأصلح بينهم.

وفيها: زلزلت المَصيصة فانهدم بعض سورها، ونضب ماؤهم ساعة من الليل.

وفيها: غزا هارون الروم، وافتتح هرقلة فظفر بابنة بطريقها فاستخلصها لنفسه، وأغزى ابنه القاسم الصائفة، ووهبه لله عز وجل، وجعله قرباناً له ووسيلة، وولاه العواصم، فدخل أرض الروم في شعبان، فأناخ على حصن سنان، فجهدوا، فبعث إليه ملك الروم يبذل له إطلاق ثلثمائة أسير وعشرين أسيراً من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم، ففعل.

وفيها: غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه، وكان بلغه أنه يروم الخلافة، فلم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد، فأطلقه محمد، وعقد له على الشام.

وفيها: نقض صاحب الروم الصلح الذي كان جرى بين الذي قبله وبين المسلمين، ومنع ما كان ضمنه الهالك لهم، وكان سبب النقض: أن الروم كانت عليهم امرأة تملكهم، فخلعوها وملكوا عليهم نقفور، فكتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرّخّ، وأقامت مقامها مقام البَيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهنّ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قِبَلك من أموالها، وافتد نفسك، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

فلما أن قرأ الكتاب استفزه الغضب، حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرّق جلساؤه خوفاً، واستعجم الرأي على الوزير من، أن يشير عليه أو يتركه برأيه، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب: بسم اللّه الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين

إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه. والسلام.
ثم شخص من يومه، وسار حتى أناخ بباب هِرَقلَة، ففتح وغنم، واصطفى، وخرب وأحرق، واصطلم. فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه في كل سنة، فأجابه إلى ذلك، فلما رجع من غزوته، وصار بالرّقة نقض نقفور العهد، وخان الميثاق، وكان البرد شديداً، فيئس نقفور من رجوعه إليه، فأتى الخبر بارتداده عما أخذ عليه، فلم يتهيأ لأحد إخباره بذلك إشفاقاً عليه وعلى أنفسهم من الكرّة في مثل تلك الأيام، فاحتيل له بشاعر من أهل جُدة يقال له: أبو محمد عبد الله بن يوسف فأخبره بذلك في أبيات.
وفي هذه السنة: قتل إبراهيم بن محمد بن عثمان، بن نهيك. وقيل: إنما قتل في سنة ثمان وثمانين.
وسبب قتله: أنه كان كثيراً ما يذكر البرامكة فيبكي حباً لهم، إلى أن خرج من حد البكاء ودخل في باب طالبي الثار، فكان إذا خلا بجواريه فشرب وسكر قال: يا غلام، سيفي، فيجيء غلامه بالسيف، فينتضيه ثم يقول: واجعفراه، واسيداه، والله لأقتلن قاتلك. فلما كثر هذا من فعله جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع فأخبره، فأخبر الفضل الرشيد، فقال: أدخله. فأدخله فقال: ما الذي قال عنك الفضل؟ فأخبره بقول أبيه وفعله، فقال الرشيد: فهل سمع هذا أحد معك. قال: نعم، خادمه. فدعا خادمه سراً فسأله، فقال: قد قال ذلك غير مرة. فقال الرشيد: ما يحل لي أن أقتل ولياً من أوليائي بقول غلام وخَصيٍّ، لعلهما تواصيا على هذا. فأراد أن يمتحن إبراهيم، فقال للفضل: إذا حضر الشراب فادعه، فإذا شرب خلِّني وإياه. ففعل ذلك الفضل، فلما خلا به الرشيد قال: يا إبراهيم، كيف أنت وموضع السر من قلبك ؟ قال: يا سيدي، أنا كأحسن عبيدك وأطوع خدمك. قال: إن في نفسي أمراً أريد أن أودعك إياه قد ضاق صدري، وأسْهَدَ ليلي. قال: إذاً أخفيه أن تعلمه نفسي. قال: ويحك! قد ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها، فوددت أني خرجت من ملكي، وأنه كان بقي لي، فما وجدت طعم النوم منذ فارقته، ولا لذّة العيش منذ قتلته. فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعه، وقال: رحم الله أبا الفضل وتجاوز عنه، والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله. فقال الرشيد: قم عليك لعنة الله يا ابن اللخناء فقام ما يعقل، فانصرف إلى ابنه فقال: يا بني، ذهبت والله نفسي. فما كان إلا ثلاث ليالٍ حتى قُتل.
وفيها: حج بالناس عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

جعفر بن يحيى بن خالد، أبو الفضل البرمكي.
كانت له فصاحة وبلاغة وكرم زائد، وكان أبوه يحيى بن خالد قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف ففقهه، فصار له اختصاص بالرشيد.
وقيل إنه وقع لي في ليلة بحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع، فنظر في جميعها فلم يخرج شيء منها عن موجب الفقه.
أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن عمران بن المرزباني قال: حدَّثنا عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال: سمعت علي بن الحسين الإسكافي يحدّث قال: كان أحمد بن الجنيد الإسكافي وكان أخص الناس بجعفر بن يحيى البرمكي، وكان الناس يقصدونه في حوائجهم إلى جعفر، وإن رقاع الناس كثرت في خف أحمد بن الجنيد، فلم يزل كذلك إلى أن تهيأت له الخلوة بجعفر فقال له: جعلني الله فداك، قد كثرت رقاع الناس معي وأشغالك كثيرة، وأنت اليوم خالٍ، فإن رأيت أن تنظر فيها. فقال له جعفر: على أن تقيم عندي اليوم. فقال: نعم. فصرف دوابه وأقام، فلما تغدوا جاءه بالرقاع، فقال له جعفر: هذا وقت ذا دَعْنا اليوم، فأمسك عنه وانصرف ولم ينظر في الرقاع، فلما كان بعد

أيام خلا به، فأذكره الرقاع، فقال: نعم، على أن تقيم عندي اليوم. فأقام عنده، ففعل به مثل الفعل الأول، حتى فعل به ذلك فلما كان ذلك في آخر يوم أذكره فقال: دعني الساعة. وناما، فانتبه جعفر قبل أحمد، فقال لخادم له: اذهب إلى خف أحمد بن الجنيد فجئني بكل رقعة فيه، وانظر لا يعلم أحمد فذهب الغلام، وجاء بالرقاع، فوقع فيها جعفر عن آخرها بخطه بما أحب أصحابها، ووكد ذلك، ثم أمر الغلام أن يردها إلى الخف، فردها، فانتبه أحمد و لم يقل فيها شيئاً، وانصرف أحمد، فركب يعلل أصحاب الرقاع بها أياماً. ثم قال لكاتب له: ويحك هذه الرقاع قد أخلقت في خفي، وهذا ليس ينظر فيها، فخذها فتصفحها، وجدد ماأخلق منها. فأخذها الكاتب، فنظر فيها، فوجد الرقاع موقعاً فيها بما سأل أصحابها، فتعجب من كرمه ونبل أخلاقه، ومن أنه قضى حاجته و لم يُعلمه بها لئلا يظن أنه اعتد بها عليه.

أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهري حدّثنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان، حدثنا يعقوب النخعي، حدثنا علي بن زيد كاتب العباس المأمون قال: حدَثني محمد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: حدَّثني أبي قال: حج هارون الرشيد ومعه جعفر بن يحيى البرمكي. قال: وكنت معهم، فلما صرنا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جعفر بن يحيى: أحب أن تنظر لي جارية، ولا تبقى غاية في حذاقتها بالغناء والضرب، والكمال في الظرف والأدب، وجنبني قولهم صفراء. قال: فأرشدت إلى جارية لرجل، فدخلت عليه فرأيت رسوم النعمة، وأخرجها إلي فلم أر أجمل منها ولا أصبح ولا آدب، ثم تغنت لي أصواتًا فأجادهما. قال: فقلت لصاحبها: قل ما شئت. قال: أقول لك قولاً ولا انقص منه درهماً. قال: قلت: قل. قال: أربعين ألف دينار. قال: قلت: قد أخذها وأشترط عليك نظرة قال: ذاك لك. قال: فأتيت جعفر بن يحيى. فقلت له: قد أصبت حاجتك على غاية الظرف والأدب والجمال ونقاء اللون وجودة الضرب، وقد اشترطت نظرة، فاحمل المال ومر بنا. فحمل المال على حمالين، وجاء جعفر مستخفياً، فدخلنا على الرجل، فأخرجها، فلما رآها جعفر أعجب بها، وعرف أن قد صدقته، ثم غنَّته فازداد بها عجباً، فقال لي: اقطع أمرها. فقلت لمولاها هذا المال، قد وزناه ونقدناه، فإن قنعت وإلا فوجه إلى من شئت لينقد. فقال: لا بل اقنع بما قلتم. قال: فقالت الجارية: يا مولاي في أي شيء أنت. فقال: قد عرفت ما كنت فيه من النعمة، وما كنا فيه من انبساط اليد، وقد انقبضت عن ذلك لتغير الزمان علينا، فقدرت أن تصيري إلى هذا الملك فتنبسطي في شهواتك وإرادتك. فقالت الجارية: والله يا مولاي لو ملكت منك ما ملكت مني ما بعتك بالدنيا وما فيها، وبعد فاذكر العهد الذي بيني وبينك. وقد كان حلف لها أن لا يأكل لها ثمناً. فتغرغرت عينا المولى، وقال: اشهدوا أنها حرة لوجه الله تعالى، وإني قد تزوجتها وأمهرتها داري. قال: فقال لي جعفر: انهض بنا. قال: فدعوت الحمالين ليحملوا المال فقال جعفر: والله لا يصحبنا منه درهم، ثم قال لمولاها: بارك اللّه لك فيه، انفقه عليها وعليك،. قال: وقمنا فخرجنا.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي، الخطيب قال: أخبرنا سلام بن الحسن المقرىء قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ قال: حدَّثنا إبراهيم بن حماد قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدَّثني محمد بن أحمد بن المبارك العبدي قال: حدثني عبد الله بن علي أبو محمد قال: لما غضب الرشيد، على البرامكة أصيب في خزانة لجعفر بن يحيى في جرة ألف دينار، في كل دينار مائة دينار، على أحد جانبي كل دينار منها:

واصفر من ضرب دار الملو ك يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحداً متى تعطه معسراً يوسر

قال المصنف: وقد ذكرنا السبب الذي أوجب قتل جعفر، ونكب البرامكة فلا نحتاج إلى إعادة.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر قالا: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد النصيبي قال: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن سويد قال: حدثنا أبو بكر الأنباري قال: حدَّثني أبي قال: حدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن المدائني قال: قال أبو زكَار الأعمى: كنت عند جعفر بن يحيى البرمكي في الليلة التي قتل وهو يغني بهذا الشعر:

فلا تَبْعَد فكلُّ فتىً سيأتي عليه الموتُ يبكر أو يُغادِي
وكل ذخيرة لابد يوماً وإن بقيت تصير إلى نفاد
فلو فُوديت من حدث الليالي فديتك بالطريف وبالتلاد

فقلت له: يا سيدي، ممن أخذت هذا الشعر؟ فقال: أخذته من أحسن الناس شعراً من حكم الوادي. فما قام عن موضعه حتى جاء مسرور غلام الرشيد فأخذ رأسه.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا إسماعيل بن سعيد المعدل قال: حدَّثنا الحسين بن الفهم قال: أخبرني الحسين بن سعيد العنبري قال: حدَثني حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: قال أبو يزيد الرياحي: كنت قاعداً عند خشبة جعفر بن يحيى البرمكي أتفكر في زوال ملكه، وحاله التي صار إليها إذ أقبلت امرأة راكبة لها رواء وهيئة، فوقفت على جعفر فبكت فأحزنت، وتكلمت فأبلغت، وقالت: أما والله لئن أصبحت في الناس آية، لقد بلغت فيهم الغاية، ولئن زال ملكك، وخانك دهرك، ولم يطل بك عمرك، لقد كنت المغبوط حالاً، الناعم بالاً، يحسن بك الملك، فاستعظم الناس فقدك إذ لم يستخلفوا ملكاً بعدك، فنسأل الله الصبر على عظيم الفجيعة وجليل الرزية التي لا تستعاض بغيرك، والسلام عليك وداع غيرِ قالٍ ولا ناسٍ لذكرك، ثم أنشأت تقول:

العيش بعدك مر غير محبوب ومذ صلبت وَمَقْنا كل مصلوب
أرجو لك الله ذا الإحسان إن له فضلاً علينا وعفواً غير محسوب

ثم سكتت ساعة وتأملته، ثم أنشأت تقول:

عليك من الأحبة كل يوم سلام اللّه، ما ذكر السلام
لئن أمسى صداك برأي عين على خشب حباك بها الإمام
فمن مُلكٍ إلى ملَك برغم من الأملاك أسلمك الحمامُ

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال: أخبرنا عمر بن جعفر بن محمد بن مسلم قال: حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثني إسماعيل بن محمد قال: لما بلغ سفيان بن عيينة قتل جعفر بن يحيى وما نزل بالبرامكة حول وجهه إلى القبلة وقال: اللهم إنه كان قد كفاني مؤونة الدنيا فاكفه مؤونة الآخرة.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري قال: حدَّثنا المعافى بن زكريا.

وأخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد قال: حدَّثنا محمد بن عبد الرحيم المازني قال: حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا أبو بكر الضرير قال: حدَثني غسان بن عمر القاضي، عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي قال: دخلت على أمي في يوم أضحى وعندها امرأة بَرْزة في أثواب دنسة رثة، فقالت لي: أتعرف هذه!؟ قلت: لا. قالت: هذه عبادة أم جعفر بن يحيى بن خالد. فسلمت عليها ورحبت بها، وقلت لها: يا فلانة، حدثيني ببعض أمركم. قالت: أذكر لك جملة كافية فيها اعتبار لمن اعتبر، وموعظة لمن فكر، لقد هجم عليَ مثل هذا العيد وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، وأنا أزعم أن جعفراً ابني عاق بي، وقد أتيتكم في هذا اليوم أسألكم، جلد شاتين أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثاراً.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار، أنبأنا علي بن أبي علي البصري، عن أبيه، أن مسروراً قال: استدعاني المأمون فقال لي: قد أكثر عليَّ أخبار السر بأن شيخاً يأتي خراب البرامكة فيبكي وينتحب طويلاً ثم ينشد شعراً يرثيهم به وينصرف، فاركب أنت ودينار بن عبد الله واستتر بالجدران، فإذا جاء وشاهدتما ما فعل وسمعتما ما قال فأتياني به، فركبنا مغلسين، فأتينا الموضع فاختفينا فيه وأبعدنا الدواب، فلما أصبحنا إذا بخادم أسود قد أقبل ومعه كرسي حديد، فطرحه وجاء على أثره كهل فجلس على الكرسي وتلفت فلم ير أحداً، فبكى وانتحب حتى قلت قد فارق الدنيا، ثم أنشأ يقول:

ولما رأيت السيف خلل جعفراً ونادى مناد للخليفة في يحيى

وذكر أبياتاً قد تقدمت، فلما قام قبضنا عليه، فقال: ما تريدان مني. قلت: هذا دينار بن عبد الله وأنا مسرور خادم أمير المؤمنين وهو يستدعيك فالبس، ثم قال: إني لا آمنه على نفسي، أمهلني حتى أوصي. قلت: شأنك. فسرنا معه فوقف على دكان رجل واستدعى دواة وبيضاء، فكتب فيها وصيته، ودفعها إلى خادمه، وسرنا به، فلما مثل بين يدي الخليفة زبره وقال: من أنت؟ وبم استحق منك البرامكة ما تصنع. فقال غير هايب ولا محتشم: يا أمير المؤمنين، إن للبرامكة عندي أيادي خضراء، فإن أمر أمير المؤمنين حدثته ببعضها. فقال: هات. فقال: أنا المنذر بن المغيرة الدمشقي، نشأت في نعمة فزالت حتى أفضت إلى بيع داري، وأملقت إلى غير غاية، فأشير عليّ بقصد البرامكة، فخرجت إلى بغداد ومعي نيف وعشرون امرأة وصبياً، فدخلت بهم إلى مسجدِ ببغداد، ثم خرجت وتركتهم جياعاً لا نفقة لهم، فمررت بمسجد فيه

جماعة عليهم أحسن زي، فجلست معهم أردد في صدري ما أخاطبهم به فتحيد نفسي عن ذل السؤال، فإذا خادم قد أزعج القوم، فقاموا فقمت معهم، فدخلوا داراً كبيرة، فدخلت معهم، فإذا يحيى بن خالد على دكة وسط بستان، فجلسوا وجلست، وكنا مائة رجل ورجل، فخرج مائة خادم وخادم، في يد كل واحد منهم مجمرة ذهب، فيها قطعة عنبر، فسجروا العود، وأقبل يحيى على القاضي فقال زوج ابن عمي هذا بابنتي عائشة فخطب وعقد النكاح، فأخذنا النثار من فتات المسك وبناق العنبرَ وتماثيل الند، فالتقط الناس والتقط، ثم جاءنا الخدم في يد كل واحد منهم صينية فضة، فيها ألف دينار، مخلوط بالمسك، فوضع بين يدي كل واحد واحدةَ، فأقبل كل واحد يأخذ الدنانير في كمه، والصينية تحت إبطه، ويخرج، فبقيت وحدي، لا أجسر أفعل ذلك، فغمزني

بعض الخدم وقال: خذها وقم، فأخذها وقمت، وجعلت أمشي، والتفت خوفاً من أن يؤخذ مني، ويحيى يلاحظني من حيث لا أفطن، فلما قاربت الستر، رعدت فيئست من الصينية، فجئت فأمرني بالجلوس، فجلست فسألني عن حالي فحدثته بقصتي، فبكى، ثم قال: عليَّ بموسى. فجاءه، فقال: يا بني، هذا رجل من أولاد النعم، قد رمته الأيام بصرفها، فخذه واخلطه بنفسك، فأخذني فخلع علي وأمر لي بحفظ الصينية فكنت في العيش يومي وليلتي، ثم استدعى أخاه، العباس وقال: إن الوزير سلم إليّ هذا، وأريد الركوب إلى دار أمير المؤمنين، فليكن عندك اليوم. فكان يومي مثل أمسي، وأقبلوا يتداولوني وأنا قلق بأمر عيالي، ولا أتجاسر أن أذكرهم، فلما كان اليوم العاشر أدخلت إلى الفضل بن يحيى، فأقمت عنده يومي وليلتي، فلما أصبحت جاءني خادم فقال: قم إلى عيالك وصبيانك. فقلت: إنَا للّه، ذهبت الصينية وما فيها، فيا ليت هذا كان من أول يوم. فقمت والخادم يمشي بين يدي، فأخرجني من الدار، فازداد يأسي، ثم أدخلني إلى دار كأن الشمس تطلع من جوانبها، وفيها من صنوف الآلات والفرش، فلما توسطتها رأيت عيالي يرتعون فيها في الديباج والستور، وقد حُمل إليهم مائة ألف درهم، وعشرة آلاف دينار، وسلم إلي الخادم صكاً بضيعتين جليلتين، وقال: هذه الدار وما فيها والضياع لك. فأقمت مع البرامكة في أخفض عيش ثم قصدني عمرو بن مسعدة في الضيعتين، فألزمني من خراجهما ما لا يفي به دخلهما، فكلما لحقتني نائبة قصدت دورهم فبكيتهم، فاستدعى المأمون عمرو بن اسحق، فأمره أن يرد على الرجل ما استخرج منه، ويقرر خراجه على ما كان في أيام البرامكة. فبكى الرجل بكاءً شديداً، فقال له المأمون: ألم استأنف لك جميلاً. قال: بلى، ولكن هذا من بركة البرامكة. فقال: امض، فإن الوفاء مبارك، وحسن العهد من الإيمان.

الفضيل بن عياض، أبو علي التميمي.

ولد بخراسان بكور أبْيَورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وعطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، وغيرهم.

ثم تعبد وانتقل إلى مكة، فمات بها في أول هذه السنة. وكان ثقة فاضلاً زاهداً.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: حدثنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني قال: حدَّثنا محمد بن علي قال: حدثنا أبو سعيد الجندي قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة، كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة ترفَد فيها وسأل، وكان يلقى له حصير بالليل في مسجده، فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عيناه فينام على الحصير،، فينام قليلاً، ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم، هكذا حتى يصبح.

وسمعته يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل، كبَّلتك خطيئتك.

أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: حدثنا حمد، بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدَّثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثنا أبو عمرو الجرمي قال: حدثني الفضيل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين، فأتاني فخرجت مسرعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك. فقال: ويحك! قد حك في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت: هنا سفيان بن عيينة. فقال: امض بنا إليه. فأتيناه فقرعت الباب، فقال: مَنْ ذا قلت: أجب أمير المؤمنين. فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلي أتيتك، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله. فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم. قال: أبا العباس، اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله. قلت: هذا عبد الرزاق بن همام. قال: امض بنا إليه. فأتيناه، فقرعت الباب فقال: مَنْ هذا قلت: أجب أمير المؤمنين. فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال له: خذ لما جئناك له. فحادثه ساعة، ثم قال: هل عليك دين؟ قال: نعم. قال: أبا عباس، اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله. قلت: هنا الفضيل بن عياض. قال: مرَّ بنا إليه. فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي، يتلو آية من القرآن، يرددها، فقال: اقرع الباب. فقرعت الباب. فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: أجب أَمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين. فقلت: سبحان الله، أما عليك طاعة، أليس قد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس للمؤمن أن يذل نفسه"؟ فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ المصباح، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلي إليه، فقال: يا لها من كف، ما ألينها، إن نجت غداً من عذاب الله تعالى. فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام من قلب نقي. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

قال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة. فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا عليَّ. فقال سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فصُم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها الموت.

وقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مُت إذا شئت، وإني أقول لك إني أخاف عليك أشد الخوف، يوماً تزل فيه الأقدام، فهل معك – رحمك اللهّ – مَنْ يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى بكاءً شديداً حتى غشي عليه، فقلت: أرفق بأمير المؤمنين يا بن أم الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأرفق أنا به، ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه، فكتب إليه عمر: يا أخي، أذكرك اللّه طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد منك وانقطاع الرجاء.

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى اللّه عز وجل قال: فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: زدني رحمك اللهّ.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أمّرني على إمارة. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل".

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً، وقال له: زدني رحمك الله.

قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أصبح غاشاً لرعيته لم يرح رائحة الجنة".

فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم

ألهم حجتي. قال: أعني من دين العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أوحده وأطيع أمره، فقال عز وجل: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن اللّه هو الرزاق ذو القوة المتين".
فقال له: هذه ألف دينار خذها أنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادتك. فقال: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلمك اللّه ووفقك. ثم صمت، فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب قال: أبا العباس، إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.
فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت له: يا هذا، قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فانفرجنا به. فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه.
فلما سمع هارون هذا الكَلام قال: تدخل فعسى يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس على السطح على باب الغرفة، فجلس هارون إلى جنبه، فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا، قد أذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف رحمك اللّه. فانصرفنا.
أبو شعيب البراثي العابد.
أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أخبرني أبو جعفر الخلدي في كتابه.
وحدَثني فيه محمد بن إبراهيم عنه قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثا في كوخ يتعبد فيه، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا كانت رُبِّيَتْ في قصور الملوك، فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنت حاله، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرد عن الدنيا والاتصال بأبي شعيب، فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون لك خادمة. فقال لها: إن أردت ذلك فغيّري من هيئتك وتجردي عما أنت فيه حتى تصلحي لما أردت. فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النساك وحضرته فتزوجها، فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف وكان يجلس عليها أبو شعيب تقيه من الندى، فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتى تخرج ما تحتك، لأني سمعتك تقول: إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني، فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً، فأخذ أبو شعيب الخصاف فرمى به، فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين.
قال المصنف: وقد ذكرنا فيما تقدم أن جوهرة زوجة عبد الله البراثي جرى لها نحو هذا.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة، ودخوله أرض الروم، فخرج للقائه نقفور، فجُرح وانهزم وقُتل من الروم أربعون ألفاً وسبعمائة، وأخذ أربعة آلاف دابة.
أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب قال: قرأت على الجوهري، عن أبي عبد الله المرزباني قال: حدَّثني علي بن هارون قال: أخبرني أبي قال: قال أبو الشيص يمدح الرشيد. عند ورود الخبر بهزيمة نقفور وفتح بلد الروم من قصيدة:

شددت أمير المؤمنين قوى الملك ... صدعت بفتح الروم أفئدة الترك.
قرنت بسيف الله هام عدوه ... وطأطأت بالإسلام ناصية الشرك

فأصبحت مسروراً ولاتَعْيَ ضاحكاً وأصبح نقفور على ملكه يبكي

وفيها: رابط القاسم بن الرشيد بدابق.

وفيها: حج بالناس الرشيد، وهي آخر حجة حجها الرشيد، ولقيه بهلول في الطريق فوعظه.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا محمد أبو الغنائم بن ميمون الزينبي قال: حدَّثنا محمد بن علي بن عبد الرحمن قال: حدثنا زيد بن الحاجب قال: أخبرنا محمد بن هارون قال: حدثنا علي بن الحسن قال: حدَّثنا علي بن إبراهيم الكرخي قال: حدثنا محمد بن الحسن الحراني قال: حدَّثنا أحمد بن عبد اللّه القزويني، عن الفضل بن الربيع قال: حججت مع هارون الرشيد، فمررنا بالكوفة، فإذا بهلول المجنون يهذي، فقلت: اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين. فسكت، فلما حاذاه الهودج قال: يا أمير المؤمنين، حدَّثنا إسحاق بن بابل قال: حدَّثنا قدامة بن عبد اللّه العامري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل، وتحته رحل رث، ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك. قلت: يا أمير المؤمنين، إنه بهلول المجنون، قال: قد عرفته، قل يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين:

فهب أن قد ملكت الأرض طرّاً ودان لك العباد فكان ماذا

أليس غداً مصيرك جوف قبر ويحثو الترب هذا ثم هذا

قال: أجدت يا بهلول، أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مَنْ رزقه اللّه جمالاً ومالاً، فعفّ في جماله، وواسى في ماله، كُتب في ديوان الأبرار.

قال: فظن أنه يريد شيئاً، قال: فإنا قد أمرنا بقضاء دينك.

قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقض ديناً بدين، اردد الحق إلى أهله، واقض دين نفسك من نفسك.

قال. إنا قد أمرنا أن نجري عليك.

قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يعطيك شيئاً وينساني، أجرى عليَّ الذي أجرى عليك، لا حاجة لي في جرايتك.

وقد روى أبو بكر الصولي قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثنا محمد بن مسعر قال: لما دخل الرشيد إلى الفضيل بن عياض ولم يعرفه الفضيل، ثم عرفه فقال له: أنت هو يا حسن الوجه، استكثر من زيارة هذا البيت، فإنه لا يحج خليفة بعدك.

قال الصولي: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم البزار قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم السندي، عن أبي بكر بن عياش أنه قال وقد مرَّ به الرشيد بالكوفة منصرفاً من الحج سنة ثمان وثمانين ومائة: لا يحج الرشيد بعد هذه الحجة، ولا يحج بعده خليفة أبداً.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة، أبو إسحاق الفزاري كان عالماً صاحب سُنَة، أسند الحديث عن سفيان الثوري، والأوزاعي. وتوفي بالمصيصة في هذه السنة، وقيل: سنة خمس وثمانين.

إبراهيم بن ماهان بن بهمن، أبو إسحاق المعروف بالموصلي وهو من أرجان، يُنسب إلى ولاء الحنظليين، وأصله من الفرس. خرج أبوه من أرجان بأمه وهي حاملة به، فقدم الكوفة فولدته سنة خمس وعشرين ومائة، وصحب بالكوفة فتياناً في طلب الغناء،

فاشتدت عليه أخواله في ذلك، فخرج إلى الموصل، ثم عاد إلى الكوفة، فقال له أخواله: مرحباً بالفتى الموصلي، ونظر في الأدب، وقال الشعر: واتصل بالخلفاء والملوك.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا علي بن عبد العزيز الطاهري قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهري قال: حدِّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدَّثني إسحاق الموصلي، عن أبيه إبراهيم قال: جاءني غلامي فقال: بالباب رجل حائك يطلب عليك الأذن. فقلت: ويلك! ما لي وللحائك؟ قال: لا أدري غير أنه حلف بالطلاق أنه لا ينصرف حتى يكلمك لحاجته. فقلت: ائذن له. فدخل، فقلت: ما حاجتك؟ قال: جعلني الله فداك، أنا رجل حائك كان بالأمس جماعة من أصحابي وأنا تذاكرنا الغناء والمقدمين فيه، فأجمع مَنْ حضر أنك رأس القوم وبندارهم وسيدهم فيه، فحلفت بطلاق ابنة عمي أعز الخلق عليّ، ثقة مني بكرمك على أن تشرب عندي غداً وتغنيني، فإن رأيت – جعلني الله فداك – أن تمن على عبدك بذلك.

فقلت له: أين مترلك؟ قال في دور الصحابة. قلت: فصف للغلام موضعه.

فلما صليت الظهر مضيت، فلما دخلت قام لي الحاكة وأكبوا علي، فقبلوا أطرافي، وعرضوا عليَّ الطعام، فقلت: قد تقدمت في الأكل، وقلت له: اقترح. فقال لي الحائك: غنني بحياتي:

يقولون لي لو كان بالوصل لم تمت ... نسيبة والطرّاق يكذب قيلها

فغنَيت، فقال: أحسنت والله، جعلني الله فداك. ثم قلت: اقترح. فقال: غنني بحياتي:

وخُطَا بأطراف الأسنَّة مضجعي ... وردّا على عينيَّ فضل ردائيا

فغنيت، فقال: أحسنت والله، جعلني الله فداك. فقلت: اقترح. فقال غنني بحياتي:

أحقاً عباد الله أن لست وارداً ... ولا صادراً إلا عليّ رقيب

فقلت: يا بن اللخناء، أنت، بابن سريج أشبه منك بالحاكة، ثم قلت: واللّه إن عدت ثانية حلَّت امرأتك لغلامي قبل أن تحل لك. ثم انصرفت، وجاء رسول الرشيد يطلبني، فمضيت من فوري ذلك، فدخلت على الرشيد، فقال: أين كنت يا إبراهيم؟ فقلت: ولي الأمان. فقال: ولك الأمان، فحدثته، فضحك وقال: هذا أنبل حائك على وجه الأرض، واللّه لقد كرمت في أمره، حسنت في إجابته. وبعث إلى الحائك فاستنطقه وسأله، فاستطابه واستظرفه، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

توفي إِبراهيم في هذه السنة، وقال في ذلك:

مل والله طبيبي ... من مقاساة الذي بي

سوف أنعى عن قريب ... لعدو وحبيب

ويقال: مات سنة ثلاث عشرة ومائتين. والأول أصح. ووجد له من المال أربعة وعشرين ألف ألف درهم.

جرير بن عبد الحميد بن جرير بن قرط بن هلال، أبو عبد اللّه الضبي الرازي كوفي الأصل، ولد سنه عشر ومائة، ورأى أيوب السجستاني. وسمع من مغيرة بن مقسم، وحصين بن عبد الرحمن، ومنصور بن المعتمر، وهشام بن عروة، والأعمش، وغيرهم. روى عنه ابن المبارك، والطيالسي، وأحمد بن حنبل، ويحيى، وابن المديني، وغيرهم. وكان صاحب ليل، وعرض عليه ابن شبرمة أن

يجري عليه من الصدقة في كل شهر مائة درهم، فأبى. وتوفي في هذه السنة وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

رشدين بن سعد بن مفلح، أبو الحجاج. ولد سنة عشر ومائة، وروى عنه: ابن المبارك، وبقية. وكان رجلاً صالحاً أدركه نوع من، التغفل. وتوفي في هذه السنة.

عمر بن أيوب، أبو حفص العبدي الموصلي. رحل إلى الشام، والعراق، وأكثر من سماع الحديث وكتابته، وسمع من المعافى بن عمران، والثوري، وخلق كثير. روى عنه: أحمد بن حنبل ومدحه، وقال: هو ثقة، وكانت له هيئة.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أخبرنا البرقاني قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن حميرويه قال: حدثنا الحسين بن إدريس الأنصاري قال: قال ابن عمار: رأيت عمر بن أيوب أخرج صوفاً من قُفةٍ، مرقعة فدفعه إلى ابنه، فذهب به فباعه، فجاء بخبز، فوضعه بين أيدينا، فأبينا أن نأكل، فبات ليلته و لم يكن عنده شيء، وما رأيته يذكر الدنيا بواحدة، وكان من أشد الناس حياءً. توفي بالرقة، في هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

فمن الحوادث فيها: شخوص الرشيد إلى الري. وسبب ذلك: أن الرشيد كان قد استشار يحيى بن خالد في توليه خراسان علي بن عيسى بن ماهان، فأشار عليه أن لا يفعل، فخالفه وولاه إياها، فلما شخص علي بن عيسى ظلم الناس وعسفهم، وجمع مالاً جليلاً، ووجه إلى هارون بهدايا لم ير مثلها قط من الخيل، والرقيق، والثياب، والنساء، والأموال، فقعد هارون بالشماسية على دكان مرتفع حين وصلت إليه تلك الهدايا وأحضرت فعرضت عليه، فعظمت في عينه، وكان إلى جانبه يحيى بن خالد، فقال له: يا أبا علي، هذا الذي أشرت علينا أن لا نوليه هذا الثغر فخالفناك فيه، وكان في خلافك البركة. وهو كالمازح معه إذ ذاك فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، أنا وإن كنت أحب أن أصيب في رأيي وأوافق في مشورتي، فأنا أحب أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى، وفراسته أثقب، وما أحسن هذا وأكثره إن لم يكن وراءه ما تكره. قال: وما ذاك. قال: إني أحسب أن أكثر هذا أخذ ظلماً. فوقر ذلك في نفس الرشيد، فلما عاث علي بن عيسى بخراسان ووتر أشرافها، وأخذ أموالهم، واستخف برجالهم شكى الناس سوء سيرته، وسألوا أمير المؤمنين أن يبدّلهم من أحب من كفاءته، فدعا يحيى بن خالد فشاوره في أمر علي بن عيسى وفي صرفه، وقال: أشر عليَّ برجل ترضاه لذلك الثغر، يُصلح ما أفسد ذلك الفاسق ويرتق ما فتق. فأشار عليه بيزيد بن مزيد، فلم يقبل.

وكان قد قيل للرشيد أن علي بن عيسى قد أجمع على خلافك، فشخص إلى الري من أجل ذلك عند منصرفه من مكة، فعسكر بالنهروان لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى ومعه ابناه: المأمون والقاسم، فلما صار بقرميسين أشخص إليه جماعة من القضاة وغيرهم، وأشهدهم عليه أن جميع ماله في عسكره ذلك من الأموال والخزائن والسلاح والكراع، وما سوى ذلك للمأمون، وأنه ليس له فيه قليل ولا كثير، وجدد البيعة له على من كان معه، ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد، فأخذ البيعة على الأمين، ثم مضى الرشيد عند انصراف هرثمة إلى الري، وأقام بها نحواً من أربعة أشهر حتى قدم عليه علي بن عيسى من خراسان بالأموال، والهدايا، والطُّرف، والمتاع، والمسك، والجوهر، وآنية الذهب والفضة، والسلاح، والدواب، وأهدى بعد ذلك إلى جميع من كان معه من أهل بيته وخدمه على طبقاتهم، فرأى منه خلاف ما كان ظن به، وغير ما كان يقال عنه، فرضي عنه، وردهِ إلى

خراسان، فخرج وهو مشيع له. وقدم خزيمة بن خازم على الرشيد الري، فأهدى له هدايا كثيرة.

وفي هذه السنة: قدم سعيد الجرشي بأربعمائة رجل من طبرستان، فأسلموا على يد الرشيد.

وفيها: ولى الرشيد عبد اللّه بن مالك طبرستان، والريّ، والرُّويان، دنْباوند، وقُومِس، وهَمَدان. وولى عيسى بن جعفر بن سليمان عمان، فقطع البحر فافتتح حصنين، وعاد الرشيد إلى بغداد، فدخلها لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وقال: واللّه إني لأطوي مدينة ما وضعت مدينة بشرق ولا غرب، وما رأيت مدينة أيمن منها ولا أيسر، وإنها لوطني ووطن آبائي، ودار مملكة بني العباس ما بقوا، وما رأى أحط من آبائي سوءاً ولا نكبةً ولا شراً، ولنعم الدار هي، ولكني أريد المناخ على ناحيتها أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى، ولولا ذلك ما فارقت بغداد ما حييت، ولا خرجت عنها أبداً.

وفي هذه السنة: كان الفداء بين المسلمين والروم، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به. فقال مؤمل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة ابن عم مروان بن أبي حفصة، من قصيدة:

وفُكتْ بِكَ الأسرَى التي شُيدَتْ لها ... محابِسُ ما فيها حَمِيمٌ يَزورُها

على حِين أعيا المسلمينَ فِكاكُها ... وقالوا: سُجُون المُشرِكينَ قبورُها

وفي هذه السنة: رابط القاسم بدابق.

وفيها: حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ذكر من توفي في هده السنة من الأكابر إسحاق بن عبد الرحمن بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري. من أهل المدينة، سكن بغداد، وكان له قدر عند الخلفاء والأمراء، وأبوه عبد الرحمن كان يقال له: عزيز، وكان إسحاق في صحابة المهدي، والهادي، والرشيد وهلك في خلافته، وكان موصوفاً بالصفاء والجود، حتى قال الشاعر الهيصبي فيه ولأخيه يعقوب:

نفى الجوع عن بغداد إسحاق ذو الندى ... كما قد نفى جوع الحجاز أخوه

ومايك من خير أتوه فإنما ... فعالُ غُرَيْرٍ قبلهم وَرثوهُ

فأقسم لو ضافَ الغُرَيْرِيَّ بغْتَة ... جميع بني حواء ماحفلوه

هو البحر بل لو حل بالبحر وفده ... ومن يجتديه ساعة نزَفوه

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا علي بن أبي علي، حدَّثنا محمد بن عبد الرحمن وأحمد بن عبد اللّه قالا: حدَّثنا أحمد بن سليمان الطوسي، حدثنا الزبير، حدَّثنا أبو عزية محمد بن موسى الأنصاري قال: كان إسحاق بن غرير معجباً بعبادة جارية المهلبية، وكانت الجارية منقطعة إلى الخيزران أم المؤمنين، وهي ذات مترلة عندها قال: فركب يوماً عبد الله بن مصعب بن الزبير وإسحاق بن غرير إلى المهدي، وكانا يأتيانه في كل عشية إذا صلى الناس العصر، فيقيمان معه إلى أن ينقضي سمره، فلقيا يوماً عبادة في طريقهما، فقال إسحاق بن غرير لعبد الله بن مصعب: يا أبا بكر، هذه عبادة التي كنت تسمعني أذكرها. وركض دابته حتى استقبلها، فنظر إليها، ثم رجع. فضحك عبد الله بن مصعب مما صنع. ثم مضيا فدخلا على أمير المؤمنين المهدي، فحدثه عبد الله بن مصعب حديث إسحاق بن غرير وعبادة، وما كان منه في أمرها تلك العشية، فقال لإسحاق: أنا أشتريها لك. وقام فدخل على الخيزران، فقال: أين المهلبية؟ فأمرت بها فدعيت له، فقال لها: أتبيعيني عبادة بخمسين ألف درهم؟ فقالت: يا

سيدي، إن كنت تريدها لنفسك فبها فَداك اللّه فقال: إنما أريدها لإسحاق بن غرير. فبكت وقالت: يدي ورجلي ولساني في حوائجي تترعها مني لإسحاق بن غرير. فقالت الخيزران: ما يبكيك؟ لا يقدر واللّه إسحاق عليها. وقالت للمهدي: صار ابن غرير يتعشق جواري الناس. فخرج المهدي فأخبر إسحاق الخبر، وأمر له بخمسين ألف درهم، فأخذها، فقال في ذلك أبو العتاهية:

من صدق الحُب لأحبابه ... فإن حب ابن غُرَيرٍ غُرور

أنساهُ عبَّادة ذات الهوى ... وأذهل الحُبَّ لديه الضمير

خمسون ألفاً كلها وازن ... خشن، لها في كل كيس صرير

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً:

حبكَ المال لا كحبكَ عبَّا ... دةَ يا فاضح المحبينَا

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني أحمد بن محمد بن أحمد الكاتب قال: حدَّثني جدي محمد بن عبيد الله بن قفرجل، حدَّثنا محمد بن يحيى النديم قال: أنشدنا أحمد بن يحيى قال: أنشدني الزبير لمنكف – وهو من ولد زهير بن أبي سلمى – يرثي إسحاق بن غرير:

بكت العيونُ فأقْرَحَتْ أجفانَها ... عَبَرَاتها جَزَعاً على إسحاق

فلئِن بكت جَزَعاً عليه فقد بكت ... حزناً عليه مكارمُ الأخلاق

يَاخَير َمن بكتِ المكارمُ فقْده ... لم يبق بعدَكَ للمكارِمِ باق

لو طافَ في شرقِ البلاد وغربها ... لم يَلْقَ إلا حامداً للاقي

ما بثَّ من كرم الطبائع ليلة ... إلا لعِرْضِك من نوالك واق

بَخِلَتْ بما حوت الأكفُّ وإنما ... خلَقَ الإلهُ يدَيْك للإنفاق

الزبير بن خُبَيْب بن ثابت بن عبد اللّه بن الزبير بن العوام الأسدي.

سمع محمد بن عباد. وروى عنه معن بن عيسى، وكان من الفضلاء العُبَّاد. قدم بغداد مرتين، إحداهما في زمن المهدي، والأخرى في زمن الرشيد.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب قال: أخبرني الأزهري، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن، حدَّثنا أحمد بن سليمان الطوسي، حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مصعب بن عبد اللّه قال: سمعت أبي يقول: قال لي أمير المؤمنين هارون الرشيد: دلني على رجل من أهل المدينة من قريش، له فضل منقطع. قال: قلت: عمارة بن حمزة بن عبد اللّه. قال: فأين أنتَ عن ابن عمك الزبير بن حبيب. قال: قلت له: إنما سألتني عن الناس، ولو سألتني عن أسطوان من أساطين المسجد قلت لك الزبير بن حبيب.

توفي الزبير بوادي القرى في ضيعة له، وهو ابن أربع وسبعين سنة.

سعيد بن سليمان بن نوفل بن إسحاق المديني.

ولي قضاء المدينة في خلافة المهدي، ووفد على الرشيد، وكان شديد المذهب، حسن الطريقة.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا الأزهري، أخبرنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، حدّثنا، الزبير بن بكار قال: حدَّثني نوفل بن ميمون قال: جاء سعيد بن سليمان إلى محمد بن عبد الله بن محمد بن عمران شاهداً فرد شهادته، فلما ولي القضاء جاءه عبد اللّه بن محمد بن عمران شاهداً فأخذ شهادته، فنظر فيها ساعة، ثم رفع رأسه وقال: المؤمن لا يشفي غيظه، أوقع شهادته يا ابن دينار، فأوقعها.

سليمان بن حيان، أبو خالد الأحمر الأزدي الكوفي.

ولد سنة أربع عشرة ومائة. سمع يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان التيمي، والأعمش، روى عنه: أحمد بن حنبل، وكان سفيان يقول: هو رجل صالح، وكان ينقم عليه خروجه مع إبراهيم ابن عبد الله بن حسن، فهجره لذلك. وقال يحيى: هو ثقة.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا أحمد بن رزق الله، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا محمد بن أحمد بن البراء، حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: دخلت على أبي خالد الأحمر عند موته وهو يقول: يا نفس اخرجي، والله لخروجك أحب إلي من بقائك في بدني.

توفي في هذه السنة. وقيل: في سنة تسعين.

عبد اللّه بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد اللّه، أبو محمد التيمي.

من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاّه هارون الرشيد قضاء المدينة، ثم صرفه وولاه مكة، ثم صرفه ورده إلى قضاء المدينة، ثم عزله فقدم بغداد وأقام في ناحية الرشيد، ثم سافر معه إلى الري، فمات بها في هذه السنة.

علي بن حمزة بن عبد اللّه، أبو الحسن الأسدي، المعروف بالكسائي النحوي.

أحد أئمة القراء، من أهل الكوفة، استوطن بغداد، وعلم الرشيد، ثم الأمين بعده، وكان قد قرأ على حمزة الزيات، فأقرأ ببغداد زماناً بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، فأقرأ بها الناس.

وقد سمع الحديث من أبي بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، وآخرين.

وروى عنه: الفراء، وأبو عبيد.

وقال الشافعي: مَنْ أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي.

أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا أحمد بن ثابت، أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي، أخبرنا محمد بن جعفر بن هارون التميمي، حدثنا أبو علي الحسن بن داود، حدثنا أبو جعفر عقدة، حدثنا أبو يزيد الوضاحي قال: قال لي الفراء: إنما تعلم الكسائي النحو على الكبر، وكان سبب تعلمه: أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعي، فجلس إلى الهبارين فقال: قد عييت. فقالوا له: أتجالسنا وأنت تلحن؟! فقال: كيف لحنت؟ فقالوا له: إن كنت أردت من التعب فقل أعييت، وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتدبير والتحير في الأمر فقل: عييت – مخففة فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره، وسأل عمن يعلم النحو. فأرشدوه إلى معاذ الهرا، فلزمه حتى أنفذ ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة؟ فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز، ونجد، وتهامة. فخرج ورجع وقد أنفذ بخمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه، و لم يكن له همة غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات وقد جلس موضعه يونس النحوي، فمرت بينهم مسائل أقر له يونس فيها وصدره موضعه.

قال مؤلف الكتاب رحمه الله: وفي تسميته بالكسائي قولان: أحدهما: أنه أحرم في كساء.
أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا أحمد بن علي، أنبأنا علي بن أحمد بن عمر المقرىء، أخبرنا عبد الواحد عمر بن محمد بن أبي هاشم، حدَّثني محمد بن سليمان بن محبوب، حدَّثنا أبو عبد الرحمن البصري مردويه، حدِّثنا علي بن عبد الله المدني، حدَّثنا عبد الرحيم بن موسى قال: قلت للكسائي: لِمَ سُمِّيت الكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساء.

القول الثاني: أخبرنا به أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا محمد بن علي الصوري، أخبرنا أبو الحسن عبيد اللّه بن القاسم القاضي، حدَّثنا علي بن محمد الحراني، حدَّثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن سليمان المروزي قال سألت خلف بن هشام: لِمَ سُمِّيَ الكسائي كسائياً. قال: دخل الكسائي الكوفة فجاء إلى مسجد السّبيع، وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرىء فيه، فتقدم الكسائي مع أذان الفجر وهو ملتف بكساء، فرمقه القوم بأبصارهم، فقالوا: إن كان حائكاً فسيقرأ سور يوسف، وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه، فسمع، فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ قصة الذئب قرأ: "فأكله الذيب" بغير همز، فقال له حمزة: الذئب بالهمز. فقال الكسائي: وكذلك أهمز الحوت فالتقمه الحؤت. قال: لا. قال: فلِمَ همزت الذئب و لم تهمز الحوت؟ وهذا فأكله الذئب، وهذا فالتقمه الحوت؟ فرفع حمزة بصره إلى خلاد الأحول، وكان أجمل غلمانه، فتقدم إليه في جماعة من، أهل المجلس فناظروه فلم يصنعوا شيئاً. فقالوا: أفدنا يرحمك الله. فقال لهم الكسائي: تفهموا عن الحائك؟ تقول إذا نسبت الرجل، إلى الذئب: قد استذأب الرجل، فلو قلت: استذاب – بغير همز – لكنت إنما نسبته إلى الهزال، تقول: قد استذاب الرجل إذا استذاب شحمه – بغير همز– وإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل، أي كثر أكله، لأن الحوت يأكل كثيراً، لا يجوز فيه الهمز، فلتلك العلة همز الذئب و لم يهمز الحوت، وفيه معنى آخر: لا تسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه، وأنشدهم:

أيها الذئب وابنه وأبوه ... أنت عندي من أذأب الضاريات

قال: فسمي الكسائي من ذلك اليوم.
أخبرنا أبو منصور، أخبرنا أحمد الخطيب، حدثنا الحسين بن محمد أخو الخلال، حدثنا الصاحب إسماعيل بن عباد، أخبرنا عبد الله بن محمد الأيجي، أخبرنا محمد بن الحسن الأزدي، حدثنا أبو حاتم السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر فِي عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مسلماً عليه، فقال لي: يا سجستاني، مَنْ علماؤكم بالبصرة؟ قلت: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشاذكوني أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله انسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط. قال: فقال لكاتبه: إذا كان غد فاجمعهم. قال: فجمعنا فقال: أيكم أبو عثمان المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنا ذا يرحمك الله. قال: هل يجزي في كفارة الظهار عتق عبد أعور؟ قال المازني: لست صاحب فقه، أنا صاحب عربية. فقال: يا زيادي، كيف يكتب بين رجل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها. قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال الرأي. قال: يا هلال، كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال هذا ليس من علمي، هذا من علم الشاذكوني. قال: يا شاذكوني "يثنون صدورهم" قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم أبي حاتم. قال: يا أبا حاتم، كيف تكتب إلى أمير المؤمنين كتاباً تصف فيه خصاصة أهل البصرة وما أصابهم في الثرمة، وتسأله لهم النَظر والنظرة؟ قال: لست – رحمك الله – صاحب بلاغة وكتابة، أنا

صاحب قرآن. فقال: ما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً، حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه و لم يمر، ولكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله أجاب.

أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الأصفهاني، حدثنا جعفر الخالدي، حدَّثنا ابن مسروق، حدَّثنا سلمة بن عاصم قال: قال الكسائي: صليت بهارون الرشيد فاعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما غلط فيها صبي قط، أردت أن أقول: لعلهم يرجعون فقلت: لعلهم يرجعين، فواللّه ما اجترأ هارون أن، يقول لي أخطأت، ولكنه لما سلمت قال لي: يا كسائي، أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قد يعثر الجواد. فقال: أما هذا فنعم.

أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا أبو بكر بن علي، أخبرنا هلال بن الحسن، أخبرنا ابن الجراح، أخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: قال لي الفراء: لقيت الكسائي يوماً فرأيته كالباكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يوجه إليّ فيحضرني فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عيب، وإن بادرت لم آمن الزلل. قال: فقلت – ممتحناً له –: يا أبا الحسن، مَنْ يعترض عليك قل ما شئت، فأنت الكسائي. فأخذ لسانه بيده فقال: قطعه اللّه إن قلت ما لا أعلم.

أخبرنا القزاز أخبرنا الخطيب، أخبرنا أحمد بن عبد الله الثابتي، أخبرنا أحمد بن موسى القرشي، أخبرنا محمد بن يحيى الصولي، حدَّثنا عون بن محمد الكندي، حدثنا سلمة بن عاصم قال: حلفت أن لا أكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه، فوقفت على نجار فقلت: بكم هذان البابان؟ فقال: بسَلْحِتان يا مصفعان.

توفي الكسائي في هذه السنة. هكذا ذكر ابن عرفة، وابن كامل القاضي. وذكر ابن الأنباري أنه مات في سنة اثنتين وثمانين هو ومحمد بن الحسن، فدفنهما الرشيد، قال: وبلغ الكسائي سبعين سنة.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا علي بن أحمد بن عمر المقرىء، أخبرنا أبو بكر ابن مقسم، حدثنا ابن فضلان، حدثنا الكسائي الصغير، حدثنا أبو مسحل قال: رأيت الكسائي في النوم كأن وجهه البدر فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بالقرآن، فقلت: ما فعل حمزة الزيات. قال: ذاك في عليين ما نراه إلا كما نرى الكوكب الدري.

محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبد اللّه الشيباني مولاهم، صاحب أبي حنيفة.

أصله دمشقي من قرية هناك، قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط في سنة اثنتين وثلاثين، ونشأ بالكوفة وسمع العلم بها من أبي حنيفة، ومسعر، والثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول، وكتب عن مالك بن أنس رضي الله عنهما، والأوزاعي، وأبي يوسف القاضي. سكن بغداد وحدَّث بها، وغلب عليه الرأي، وبلغ فيه الغاية. وروى عنه: الشافعي، وأبو عبيد وجماعة.

وخرج إلى الرقة، والرشيد بها، فولاه قضاء الرقة، ثم عزله فقدم بغداد، فلما خرج الرشيد إلى الري خرج معه، فمات بالري. وكان يقول: ترك أبي ثلاثين ألف درهم، فأنفقت خمسة عشر ألفاً على النحو والشعر، وخمسة عشر ألفاً على الحديث والفقه.

وكان يقول لأهله: لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا تشغلوا قلبي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي، فإنه أقل لِهمّي، وأفرغ لقلبي.

أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا رضوان بن محمد الدينوري قال: سمعت الحسين بن جعفر العتري يقول: سمعت أبا بكر بن المنذر يقول: سمعت المزني يقول: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت سميناً أخف روحاً من محمد بن الحسن، وما رأيت أفصح

منه، كنت إذا رأيته يقرأ كأن القرآن أنزل بلغته. وفي رواية عن الشافعي: أنه قال: ما رأيت أعقل من محمد بن الحسن، وحملت عنه وقر بختي كتباً.

وقال رجل للشافعي: في أي مسألة خالفك الفقهاء. فقال الشافعي: وهل رأيت فقيهاً قط، اللهم إلا أن يكون محمد بن الحسن، فإنه كان يملأ العين والقلب.

قال الطحاوي: وكان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتاب السير فلم يجبه إلى الإعارة، فكتب إليه:

قل للذي لم تر ... عين من رآه مثله

حتى كأن من رآه ... قد رأى من قبله

العلم ينهى أهله ... أن يمنعوه أهله

لعله يبذله ... لأهله لعله

فوجه به إليه في الحال هدية لا عارية.

وقال إبراهيم الحربي: قلت لأحمد بن حنبل: هذه المسائل الدقاق من أين لك؟ قال: من كتب محمد بن الحسن.

قال أحمد: وكان يذهب مذهب جهم.

وكذلك قال أبو زرعة: كان محمد بن الحسن جهمياً.

قال نوح بن ميمون: دعاني محمد بن الحسن إلى القول بخلق القرآن، فأبيت عليه.

أخبرنا أبو منصور، أخبرنا أبو بكر الحافظ، أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب قال: سألت الدارقطني عن محمد بن الحسن فقال: قال يحيى بن معين: كذَاب.

وقال فيه أحمد نحو هذا. وعندي لا يستحق الترك.

وقال علي بن المديني: محمد بن الحسن صدوق.

توفي محمد بن الحسن بالري في صحبة الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

قال أبو عمر الزاهد: سمعت أحمد بن يحيى يقول: توفي الكسائي ومحمد بن الحسن في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنت اليوم اللغة والفقه.

قال أبو عبد اللّه محمد بن يوسف بن درست: مات محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد، ومات معروف الكرخي في يوم واحد وأبو نواس، ومات ابن دريد وأبو هاشم بن علي الجبائي في يوم واحد، ومات الشبلي، وعلي بن عيسى الوزير في يوم واحد، ودفنا جميعاً بالخيزرانية ومات محمد بن داود الأصفهاني ويوسف بن يعقوب القاضي في يوم واحد، ومات القاضيان أبو حسان الزيادي - وكان على قضاء الشرقية - والحسن بن الجعد - وكان على مدينة المنصور - في يوم واحد، ومات أبو العتاهية والعباس بن الأحنف وإبراهيم الموصلي في يوم واحد.

يحيى بن يمان، أبو زكريا العجلي.

كوفي، سمع الثوري، وروى عنه: يحيى بن معين، والحسن بن عرفة وكان صالحاً صدوقاً، كثير الحفظ، لكنه نسي فصار يغلط.
أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا علي بن محمد بن محمد المعدل، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا الحسن بن عمر قال: سمعت بشراً يقول: كنت جالساً بين يدي يحيى بن يمان. قال: فكنت أعجب من ثيابه، وكان يعجب من ثيابي، وذكر كثرة رقاع في جبة يحيى بن يمان. قال بشر: فمرّ إنسان عليه بزة فقال: ثيابك أحسن من ثيابي. قال بشر: أراد أن يقويني.
توفي يحيى بن يمان في هذه السنة. وقيل: في سنة ثمان، وكان قد فلج.

ثم دخلت سنة تسعين ومائة

فمن الحوادث فيها: خروج رافع بن الليث بن نصر بن سيار بمسمرقند مخالفاً لهارون، وخلعه إياه، ونزعه يده من طاعته.
وكان سبب ذلك: أن يحى بن الأشعثَ بن يحيى الطائي تزوَّج بنتاً لعمه أبي النعمان، وكانت ذات يسار، فأقام بمدينة السلام وتركها بسَمَرقند، فلما طال مقامه بها. وبلغهما أنه قد اتخذ أمهاتِ أولاد، التمست سبباً للتخلص منه، وبلغ رافعاً خبرُها، فطمع فيها وفي مالها، فدسَّ إليها مَنْ قال لها: إنه لا سبيل لها، إلى التخلص من صاحبها إلا أن تشرك باللّه، وتحضر لذلك قوما عدولاً، وتكشف شعرها بين أيديهم ثم تتوب، فتحل للأزواج، ففعلت ذلك وتزوجها رافع. وبلغ ذلك يحيى بن الأشعث، فرفع ذلك إلى الرشيد، فكتب إلى عليِ بن عيسى يأمره أن يفرّق بينهما، وأن يجلد رافعاً الحدِّ، ويقيّده ويطيف به في مدينة سَمَرْقَنْد مقيداً على حمار، حتى يكون عظةً لمن يراه، فدرأ عنه سليمان بن حميد الحد، وحمَله على حمار مقيداً حتى طلقها، ثم حبسه، فهرب من الحبْس ليلاً، فلحق بعليّ بن عيسى ببلخ، فطلب الأمان فلم يجبه علي إليه، وهمّ بضرب عنقه، فكلّمه فيه ابنه عيسى بن علي، فأذن له في الانصراف إلى سمَرْقند، فوثب بسليمان بن حميد عامل علي بن عيسي، فقتله، فوجه عليّ بن عيسى ابنه، فمال الناس إلى سباع بن مسعدة، فرأسوه عليهم، فوثب على رافع فقيَّده، فوثب بسباعٍ، فقيدوه ورأسوا رافعاً وبايعوه، وطابقه مَنْ وراء النهر، ووافاه عيسى بن علي، فلقيه رافع فهزمه، فأخذ عليّ ابن عيسى في فرض الرجال، والتأهب للحرب.
وفي هذه السنة: قدم الرشيد من الري، فأتى الرقة، فبدأ بأم جعفر فظل عندها، وأمر لها من الغد بستة آلاف ألف درهم، وتخوت من الوشي، وسلال من الزعفران، وطرائف مما أهداه إليه علي بن عيسى بن ماهان.
أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا أبو الغنائم بن الرسي، أخبرنا الشريف أبو عبد اللّه محمد بن علي العلوي وأبو الفرج محمد بن أحمد بن علان الشاهد قالا: أخبرنا القاضي أبو عبد اللّه محمد بن عبد الله النهرواني قال: حدثني محمد بن الحسن السكوني، حدَّثنا أبو الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدَّثني الزبير بن بكار قال: حدَّثني عمي مصعب بن عبد اللّه قال: كان عبيد الله بن ظبيان قاضي الرقة، وكان الرشيد إذ ذاك بها، فجاء إليه رجل، فاستعدى إليه من عيسى بن جعفر، فكتب إليه ابن ظبيان: أما بعد، أبقى اللّه الأمير وحفظه وأتم نعمه عليه، أتاني رجل فذكر أنه فلان بن فلان، وأن له على الأمير أبقاه اللّه خمسمائة ألف درهم، فإن رأى الأمير أبقاه الله أن يحضر هو مجلس الحكم، أو يوكل وكيلاً يناظر خصمه فعل.

ودفع الكتاب إلى الرجل، فأتى باب عيسى فدفع الكتاب إلى حاجبه، فأوصله إليه، فقال له: قل له: كل هذا الكتاب. فرجع إلى القاضي فأخبره، فكتب إليه: أبقاك الله وحفظك، وأمتع بك، حضر رجل يقال له فلان بن فلان، ذكر أن له عليك خمسمائة ألف

درهم، فصر معه إلى مجلس الحكم أو وكيلك إن شاء الله.

ووجَّه الكتاب مع عونين من أعوانه، فحضرا باب عيسى، ودفعا الكتاب إليه، فغضب ورمى به، فانطلقا فأخبراه، فكتب إليه: حفظك الله وأبقاك، وأمتع بك، لا بد أن تصير أنت وخصمك إلى مجلس الحكم، فإن أبيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين.

ثم وجّه الكتاب مع رجلين من أصحابه، فقعدا على باب عيسى حتى خرج، فقاما إليه ودفعا إليه كتاب القاضي، فلم يقرأه، ورمى به، فأبلغاه فختم قمطره وانصرف، وقعد في بيته، وبلغ الخبر إلى الرشيد، فدعاه فسأله عن أمره، فأخبره بالقصة حرفاً حرفاً، فقال لإبراهيم بن عثمان: صر إلى باب عيسى بن جعفر واختم أبوابه كلها، ولا يخرجن أحد منها، ولا يدخل إليه أحد، حتى يخرج إلى الرجل حقه، أو يصير معه إلى مجلس الحكم.

فأحاط إبراهيم بداره خمسين فارساً، وغلَّقت أبوابه، فظن ابن عيسى أنه قد حدث بالرشيد أمر في قتله، و لم يعلم ما سبب ذلك، وجعل يكلم الأعوان من خلف الباب، وارتفع الصياح من مترله بصراخ النساء، فأمرهن أن يسكتن، وقال لبعض غلمان إبراهيم: ادع لِي أبا إسحاق لأكلمه، فأعلموه ما قال، فجاء حتى صار إلى الباب فقال له عيسى: ما حالنا؟ فأخبره بخبر ابن ظبيان، فأمر أن يحضر خمسمائة ألف درهم من ساعته، وتدفع إلى الرجل، فجاء إبراهيم إلى الرشيد. فأخبره، فقال: إذا قبض الرجل ماله أفتح عليه أبوابه.

وفي هذه السنة: غزا الرشيد الصائفة – وهي بلاد الروم – في رجب، واستخلف المأمون بالرقة، وفوّض إليه الأمور، وكتب إلى الآفاق بالسمع والطاعة، ودفع إليه خاتم المنصور يتيَمن به، وهو خاتم الخاصة، ونقشه: "الله ثقتي آمنت به" وفيها: أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون.

وفيها: خرجت الروم إلى عين زَرْبة، وكنيسة السّوْداء، فأغارت وأسرت، فاستنقذ أهل المصيصة ما أخذوا.

وفيها: فتح الرشيد هرقلة.

وكان من خبر غزاة الرشيد أن الروم كانوا ملّكوا امرأة لم يكن بقي في زمانها من أهل المملكة غيرها، فكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد بالتبجيل والتعظيم، وتهدي لهم، حتى بلغ ابنها، فجاءه الملك دونها، وعاث وأفسد، وتغير على الرشيد، فخافت على ملك الروم أن يذهب، لعلمها بسطوة الرشيد، فسملت عيني ابنها، فبطل ملكه، وعاد إليها، فعظم ذلك عند أهل مملكتها وأبغضوها، فخرج عليها نقفور – وكان كاتبها – فأعانوه وعضدوه، وقام بأمر الملك، وكتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب، أما بعد: فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك، وإني واضعك بغير ذلك الموضع، وعامل على تطرق بلادك، والهجوم على أمصارك، أو تؤدي إلي ما كانت المرأة تؤدي إليك، والسلام.

فلما ورد الكتاب على الرشيد كتب جواب كتابه يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، جوابك عندي ما تراه عياناً، لا ما تسمعه.

وقد ذكرنا أنهم تكاتبوا نحو هذا في سنة سبع وثمانين، فمشى الرشيد إلى بلاد الروم في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتزقة سوى الأتباع، فدخل بلاد الروم، فجعل يقتل ويسبي ويغنم ويعفي الآثار ويخرب الحصون، حتى نزل على هرقلة، وهي أوثق حصن وأمنعه، فتحصن أهلها، وكان لها خندق يطيف بها، فلما ألح عليهم الرشيد بالسهام والمجانيق والعرادات، ففتح الباب يوماً رجل منهم وخرج في أكمل زي وسلاح، فنادى: هل من مبارز؟ قد طالت مرافقتكم إيانا، فليبرز إلي منكم رجلان، ثم لم يزل يزيد حتى

بلغ عشرين، فلم يجبه أحد، فدخل وأغلق الباب، وكان الرشيد نائماً، فلم يعلم بخبره إلا بعد انتباهه، فغضب ولام خدمه إذ لم يعلموه فقيل له: إن الامتناع عنه سيغريه ويطغيه، وهو يخرج في غدٍ فيطلب مثل ما طلب، فطالت على الرشيد ليلته انتظاراً له، فإذا هو بالباب قد فتح، وخرج طالباً للبراز، فجعل يدعي أنه يثبت لعشرين، فقال الرشيد: من له؟ فابتدر جماعة من القواد كهزيمة وخزيمة، فعزم

على إخراج المطوعة بعضهم، فضج المطوعة، فإذا بعشرين منهم، فقال قائلهم: يا أمير المؤمنين، قوادك مشهورون بالبأس، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك، وإن قتله العلج كانت وَصْمَةً على العسكر قبيحة، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صوت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلاً من العامة فنخرجه إليه، فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعرفهم على يد رجل من العامة ليس ممن يؤمن قتله، ولا يؤثر، وإن قتل الرجل كان شهيداً و لم يؤثر دماً. فقال الرشيد: قد استصوبت رأيكم، فاختاروا رجلاً منكم، فاختاروا رجلاً يقال له: ابن الجزري، وكان معروفاً بالبأس والنجدة، فقال له الرشيد: أتخرج؟ قال: نعم، واستعين باللّه.

فقال: اعطوه فرساً ورمحاً وسيفاً وترساً. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا بفرسي أوثق، ورمحي بيدي أشد، ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس سلاحه واستدناه الرشيد وودعه وأتبعه الدعاء، وخرج معه عشرون من المطوعة، فلما انقض في الوادي قال لهم العلج وهو يعدّهم واحداً واحداً، إنما الشرط عشرون وقد زدتم رجَلاً، ولكن لا بأس. فنادوه: ليس يخرج إليك إلا رجل واحد. فلما فصل منهم ابن الجزري تلقاه الرجل الرومي وقد أشرف أكثر الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن، حتى ظُنَ أنه لم يبق أحد في الحصن إلا أشرف، فقال الرومي: أتصدقني عما استخبرك. قال: نعم، قال: أنت بالله ابن الجزري، قال: اللهم نعم. فكفَّر له، ثم أخذا في شأنهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما، وكان الفرسان يقومان و لم نجد من واحد منهما صاحبه، ثم تجالدا بالسيوف، وجعل ابن الجزري يضرب الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها، فيتقيها الرومي، وكان ترسه حديداً، فيسمع لذلك صوت منكر، ويضربه الرومي ضرب مغدر، لأن ترس ابن الجزري كان درقة، فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري، فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها قط، وعطعط المشركون، ثم اتبعه العلج، فالتفت ابن الجزري، فرمى العلج بوهق فوقع في عنقه، وركض إليه فاستلبه عن فرسه، ثم عطف عليه، فما وصل إلى الأرض حتى فارقه رأسه، فكبر المسلمون وانخذل المشركون، وبادروا الباب يغلقونه. وإنما كانت هزيمة ابن الجزري حيلة منه.

واتصل الخبر بالرشيد فقال للقوَّاد: اجعلوا النار في المجانيق، فتهافت السور، ففتحوا الباب مستأمنين، وصبت الأموال على ابن الجزري وقوّد، فلم يقبل النقود، وسأل أن يعفى ويترك بمكانه من الثغر، فلم يزل به طول عمره.

وكان فتح هرقلة في شوال، وأخربها وسبى من أهلها ستة عشر ألفاً، فأقدمهم الرافقة، فتولى بيعهم أبو البختري القاضي.

ووجه الرشيد داود بن عيسى بن موسى سائحاً في أرض الرقة في سبعين ألفاً.

وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودَبْسة.

وافتتح يزيد بن مخلد الصّفْصاف، ومقلونية.

وولي حُمَيد بن مَعيوف ساحل بحر الشام إلى مِصْر، فبلغ حُميد قبرس، فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفاً، وأقدمهم الرّافقة، فتولّى بيعهم أبو البختريّ القاضي.

وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه، وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار، منها عن رأسه أربعة دنانير، وعن رأس ولده دينارين.
وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته في جارية من سبي هرقلة كتاباً نسخته: لعبد اللّه هارون أمير المؤمنين، من نقفور ملك الروم، سلام عليك، أما بعد: أيها الملك، إنّ لي حاجة لا تضرّك في دينك ولا دنياك، هيّنة يسيرة، أن، هب لابني جارية من بنات أهل هرقلة كنت خطَبْتُها على ابني، فإن رأيت أن تسعفني في حاجتي فعلت، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

واستهداه أيضاً طيباً وسُرادقاً، فأمر الرشيد بطلب الجارية، فاحضرَت وزُيِّنَتْ واجْلِسَتْ على فراش في مضربه الذي كان نازلاً فيه، وسلمت الجارية والمضرب بما فيه من الآنية والمتاع إلى رسول نقفور، وبعث إليه بما سأل من العطر، وبعث إليه من التمور والزّبيب والأخبصة والترياق، فسلَّم ذلك إليه رسول الرشيد، فأعطاه نقْفور وقرْ برذون دراهم كان مبلغه خمسين ألف درهم، ومائة ثوب ديباج، ومائتي ثوب بُزْيون، واثني عشر بازياً، وأربعة أكلب من كلاب الصّيد، وثلاث براذين، وكان نقفور اشترط ألا يخرّب ذا الكلاع، ولا حمله، ولا حصن سنان، واشترط الرّشَيد عليه ألا يعمّر هرقلة، وعلى أن يحمل نقفور ثلثمائة ألف دينار، فقال أبو العتاهية في ذلك:

إمام الهدى أصبحت بالدين معنيّا ... وأصبحت تسقي كل مستمطر ريّا
لك اسمان شُقا من رشاد ومن هدى ... فأنت الذي تدعى رشيداً ومهديَّا
إذا ما سخطت الشيء كان مسخطاً ... وإن ترض شيئاً كان في الناس مرضيًا
بسطت لنا شرقاً وغرباً يد العُلا ... فأوسعت شرقياً وأوسعت غربيّا
ووشَيْتَ وجه الأرض بالجود والندى ... فأصبح وجه الأرض بالجود موشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى ... نشرت من الإحسان ما كان مَطْويًّا
تحلَّيت للدنيا وللدين بالرضا ... فأصبح نقفور لهارون ذميّاً

وفيها: خرج خارجيّ من عبد القيس يقال له سيف بن بكر، فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد فقتله بعين النُّورَة.
وفيها: نقض أهل قُبرس العَهد، فغزاهم معيوف وسبى أهلها.
وفيها: حج بالناس عيسى بن موسى الهادي.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

أسد بن عمرو بن عامر، أبو المنذر البجلي الكوفي صاحب أبي حنيفة.
تفقه وسمع من حجاج بن أرطأة، روى عنه: أحمد بن حنبل وغيره كان قد ولي القضاء ببغداد وبواسط، فأنكر من بصره شيئاً، فرد القَمْطر واعتزل عن القضاء. وثقه يحيى، وقال أحمد: كان صدوقاً. وضعفه علي، والبخارِي، وتوفي في هذه السنة.
حكام بن سلم الكناني الرازي، أبو عبد الرحمن. سمع من إسماعيل بن خالد، والزبير بن عدي، وحميد الطويل، والثوري. روى عنه:

يحيى بن معين، وأبو معمر الهذلي. وكان ثقة.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا محمد بن أحمد الصوَّاف، حدَّثنا عبد اللّه بن أحمد قال: حدِّثنا أبو معمر قال: حدثنا حكام الرازي، حدَّثنا جراح الكندي، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لقد رأيت ثلثمائة من أهل بدر، ما فيهم أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى.

توفي حكام بمكة في هذه السنة قبل أن يحج.

سعدون المجنون. أخبرنا محمد بن أبي القاسم، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الأصفهاني، حدثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرىء على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى وأنا حاضرٌ قال: سمعت يوسف يقول: قال الفتح بن شخرف: كان سعدون صاحب محبة للّه، صام ستين سنة حتى خف دماغه، فسمَاه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة، فغاب عنَا زماناً، فبينا أنا قائم على حلقة ذي النون رأيت عليه جبة صوف، وعليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى فسمع كلام ذي النون، فصرخ وأنشأ يقول:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى	ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا رضوان بن محمد بن الدينوري، حدَّثنا أحمد بن علي بن لال، حدثنا مكي بن بندار الزنجاني حدَّثنا أبو علي الحسين بن عبد الله البلاذري، حدثنا عبد العزيز بن قرة قال: قال الأصمعي: مررت بسعدون فإذا هو جالس عند رأس شيخ سكران يذب عنه. فقلت: سعدون، مالي أراك جالساً عند رأس هذا الشيخ. فقال: إنه مجنون، فقلت له: أنت المجنون أو هو؟ قال: لا بل هو. قلت: من أين قلت ذلك؟ قال: لأني صليت الظهر والعصر جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى. قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فقال:

تركت النبيذ لأهل النبيذ	وأصبحت أشرب ماءً قراحا
لأن النبيذ يذل العزيز	ويكسو سواد، الوجوه الصباحا
فإن كان ذا جائزاً للشباب	فما العذر فيه إذا الشيب لاحا

فقلت له: صدقت. وانصرفت.

عبد اللّه بن عمر بن غانم، أبو عبد الرحمن الرُّعَينيُّ. ولد سنة ثمان وعشرين ومائة، ورحل في طلب العلم. وروى عن مالك وغيره. وهو أحد الثقات الأثبات. ولي القضاء بإفريقية، وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة.

عبد الواحد بن واصل، أبو عبيدة الحداد، مولى سدوس.

سمع سعيد بن أبي عروبة، وشعبة، وهو بصري سكن بغداد وحدَّث بها، فروى عنه أحمد وغيره، ويحيى، وأبو خيثمة، وكان ثقة من المثبتين.

توفي في هذه السنة.

عبيدة بن حميد بن صهيب، أبو عبد الرحمن التيمي. ولد سنة سبع ومائة، وسمع منصور بن المعتمر، والأعمش. وروى عنه: أحمد بن حنبل، وكان كوفياً، فسكن بغداد إلى أن توفي بها في هذه السنة. وكان مؤدباً للأمين، وكان أحمد يثني عليه.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرني الأزهري، حدَّثنا محمد بن العباس، حدَّثنا أحمد بن معروف، حدَّثنا الحسين بن الفهم، أخبرنا محمد بن سعد قال: عبيدة بن حميد كان ثقة صالحاً، صالح الحديث، صاحب نحو وعربية، وقراءة للقرآن، وكان من أهل الكوفة، فقدم بغداد أيام هارون الرشيد، فصيره مع ابنه محمد، فلم يزل معه حتى مات.

عطاء بن مسلم، أبو مخلد الخفاف الحلبي قدم بغداد وحدث عن الأعمش.

قال يحيى، وأبو داود: كان ثقة.

حدثنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي، أخبرنا محمد بن أحمد الغطريف العبدي، حدثنا محمد بن مخلد، حدثنا محمد بن الحسن بن نافع، حدَّثنا محمد بن أبي سكينة قال: دخلت على عطاء بن مسلم أعوده، فما لبثت أن قمت، فقال: جزاك الله خيراً من عائد، لكن عيسى بن صالح لا جزاه الله خيراً، عادني فما برح حتى بلت في ثيابي.

توفي عطاء في رمضان هذه السنة.

يحيى بن خالد بن برمك، أبو علي. كان المهدي قد ضم إليه هارون الرشيد وجعله في حجره، فلما استخلف هارون عرف ليحيى حقه، وكان يعظمه، وإذا ذكره يقول: قال أبي. وجعل إصدار الأمور وإيرادها إليه، إلى أن نكب البرامكة، فغضب عليه، وخلده في الحبس إلى أن مات فيه وكان له الكلام الحسن، والكرم الواسع، فمن كلامه: حاجب الرجل عامله على عرضه.

وقال: من بلغ رتبة تاه بها أخبر أن محله دونها.

وقال: يدل على كرم الرجل سودان غلمانه.

وقال لابنه: خذ من كل طرفاً، فإن من جهل شيئاً عاد.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا الحسن بن محمد الخلال، حدثنا أحمد بن محمد بن عمران، أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال: قال يحيى بن خالد: ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية، والكتاب، والرسول. وكان يقول لولده: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

قال ابن عمران: وحدَّثنا أبو عبد الله الحكيم قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدَّثني، علي بن عيسى قال: كان يحيى بن خالد يقول: إذا أقبلت الدنيا فأنفق فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقى.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القزاز، أخبرنا أبو سعيد السيرافي، حدثنا محمد بن أبي الأزهر، حدَّثنا الزبير بن بكار قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: كانت صِلات يحيى بن خالد إذا ركب لمن تعرض له بمائتي درهم، فركب ذات يوم، فعرض له أديب شاعر فقال:

ياسمي الحصور يحيى أتيحت	لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم	فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلي قليل	هي منكم للقابس العجلان

قال يحيى: صدقت. وأمر بحمله إلى داره، فلما رجع من دار الخليفة سأله عن حاله، فذكر أنه تزوج، وأخذ بواحدة من ثلاث، إما أن تؤدي المهر وهو أربعة آلاف درهم، وإما أن يطلق، وإما أن يقيم جارياً للمرأة، ما يكفيها إلى أن يتهيأ له نقلها، فأمر له يحيى

بأربعة آلاف للمهر، وأربعة آلاف لثمن مترل، وأربعة آلاف لما يحتاج إليه المترل، وأربعة آلاف للبنية، وأربعة آلاف يستظهر بها، فأخذ عشرين ألف درهم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أحمد بن عمر النهرواني، أخبرنا المعافى، حدَّثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج، حدَّثنا حسين بن فهم قال: قال ابن الموصلي: حدَّثني أبي قال:، أتيت يحيى بن خالد بن برمك، فشكوت إليه ضيقة، فقال: ويحك! ما أصنع بك؟ ليس عندنا في هذا الوقت شيء، ولكن ها هنا أمر أدلك عليه، فكن فيه رجلاً، قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئاً، وقد أبيت ذلك، فألح عليّ وقد بلغني أنك أعطيت بجاريتك فلانة آلاف دنانير، فهو ذا أستهديه إياها وأخبره أنها قد أعجبتني، فإياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار، وانظر كيف يكون. قال: فوالله ما شعرت إلا بالرجل قد وافاني فساومني بالجارية. فقلت: لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار، فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها، فبعتها وقبضت العشرين ألفاً، وصرت إلى يحيى بن خالد، فقال لي: كيف صنعت في بيع جاريتك. فأخبرته وقلت: والله ما ملكت نفسي أن أجبت إلى العشرين ألفاً حين سمعتها. فقال: إنك لخسيس، وهذا خليفة فارس قد جاءني في مثل هذا، فخذ جاريتك، فإذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فإنه لا بد أن يشتريها منك بذلك.
قال: فجاءني الرجل فأسمت عليه خمسين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار، فضعف قلبي عن ردها، و لم أصدق بها، فأوجبتها له بها، ثم صرت إلى يحيى بن خالد، فقال لي: بكم بعت الجارية. فأخبرته، فقال: ويحك! أما تؤدبك الأولى عن الثانية. قلت: والله ضعف قلبي عن رد شيء، لم أطمع فيه. فقال: هذه جاريتك فخذها إليك. قال: جارية أفدت بها خمسين ألف دينار، ثم أملكها، أشهدك أنها حرة، وأني قد تزوجتها.
أخبرنا أبو، منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت الخطيب: وبلغنا أن الرشيد بعث صالحاً صاحب المصلى إلى منصور بن زياد يقول له: قد وجب عليك عشرة آلاف درهم، فاحملها إلي اليوم، فإن فعل إلى ما قبل غروب الشمس، وإلا فخذ رأسه، وائتني به، ولا تراجعني. قال صالح: فخرجت إلى منصور فعرفته، فقال: ذهبت واللّه نفسي، والله ما أتمكن من ثلثمائة ألف درهم فضلاً عن عشرة آلاف ألف. قال له صالح: خذ فيما هو أعود عليك من هذا القول. فقال له: تحملني إلى أهلي حتى أوصي. فلما دخل إليهم ارتفع صياح الحريم والجواري، فقال لصالح: امض بنا إلى يحيى بن خالد، لعل الله أن يأتي بالفرج على يده. فمضى معه، فدخل على يحيى وهو يبكي فقال: ما لك. فقص عليه القصة، فأطرق متفكراً ثم دعى جارية فقال: كم عندك من المال. قالت: خمسة آلاف ألف درهم. فقال: أعديها. ثم وجه إلى الفضل فقال له: يا بني، كنت عرفتني أنك تريد أن تشتري ضيعة بألفي ألف درهم، وقد وجدت لك ضيعة تغل السكر، وتبقى الدهر فأنفذها إليَّ. فأنفذها وأرسل إلى جعفر، فقال: يا بني أبعث إليَّ بألف ألف درهم لحق لزمني. فبعث إليه، ففكر ساعة ثم قال لخادم على رأسه: ابعث إلى دنانير وقل لها هات العقد الذي وهبه لك أمير المؤمنين فأهديه. فقال: هذا عقد أمير المؤمنين بمائة وعشرين ألف دينار. فوهبه لدنانير، وقد قومناه عليك بألفي ألف درهم ليتم المال، فخل عن صاحبنا. فأخذت ذلك، ورددت منصوراً معي، فلما صرنا إلى الباب تمثل منصور:

فما بقيا عليَّ تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال

قال صالح: فقلت في نفسي ما أحد أكرم من يحيى، ولا أردأ طبعاً من هذا النبطي، إذ لم يشكر من أحيا نفسه. وصرت إلى الرشيد فعرفته ما جرى إلا إنشاد البيت، خوفاً عليه أن يقتله. فقال الرشيد: قد علمت أنه لا يسلم إلا بأهل هذا البيت، فاقبض المال، واردد العقد، فما كنت لأهب هبة ثم أرتجعها.

قال صالح: وحملني غيظي من منصور أن عرفت يحيى ما أنشد، فأقبل يحيى يتحمل له بالغدر ويقول: إن الخائف لا يُتقى له لب، وربما نطق بما لا يعتقد، فقلت: واللّه لا أدري من أي فعليك أعجب، من فعلك معه، أومن اعتذارك عنه، لكني أعلم أن الزمان لا يأتي بمثلك أبداً.

وكان يحيى بن خالد يجري على سفيان بن عيينة كل شهر ألف درهم، فسمع سفيان يقول في سجوده: اللهم إن يحيى كفاني أمر دنياي فاكفه هم آخرته. فلما مات يحيى رآه بعض إخوانه في النوم، فقال له: ما فعل اللّه بك. قال: غفر لي بدعوة سفيان. أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا أحمد بن أبي جعفر الأخرم، أخبرنا أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد الطوماري، حدَّثنا المبرد قال: حدَّثني محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قال: قال أبي لأبيه: يحيى بن خالد بن برمك – وهم في القيود ولبس الصوف والحبس –: يا أبت، بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس؟ فقال له أبوه: يا بني، دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

رب قوم قد غدوا في نعمةٍ	زمناً والدهر ريان غدق
سكت الدهر زماناً عنهم	ثم أبكاهم دماً حين نطق

توفي يحيى في حبس الرشيد بالرافقة لثلاث خلون من محرم هذه السنة وهو ابن سبعين، وصلى عليه ابنه الفضل، ودفن على شاطىء الفرات في ربض هرثمة، ووجد في جيبه رقعة حين مات، مكتوب فيها بخطه: قد تقدم الخصم والمدعى عليه بالأثر، والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج إلى بيّنة.

فحملت الرقعة إلى الرشيد، فلم يزل يبكي يومه، وبقي أياماً يتبين الأسى في وجهه.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة

فمن الحوادث فيها: خروج خارجي يقال له: ثروان بن سيف، وكان يتنقَّل فِي السواد، فوجه إليه طوق بن مالك فهزمه وجرحه، وقتل عامة أصحابه وهرب مجروحاً.

وفيها: خرج أبو النداء بالشام، فوجه الرشيد في طلبه يحيى بن معاذ، وعقد له على الشام.

وفيها: ظفر حماد بهيصم اليمانيّ.

وفيها: غلظ أمر رافع بن الليثَ بسَمَرْقَنْد، وكتب إليه أهل نسف يعطونه الطاعة، ويسألونه أن يبعث إليهم مَنْ يعينهم على قتل عيسى بن علي، فوجَّه قائداً من قواده، فقتل عيسى بن علي في ذي القعدة.

وفيها: غزا يزيد بن مخلد الهبيريّ أرض الروم في عشرة آلاف، فأخذ الروم عليه المضيق فقتلوه في خمسين من أصحابه، وسلم الباقون.

وفيها: ولى الرشيد حمويه الخادم بريد خراسان، وولى غزو الصائفة هرثمة بن أعْين، وضمّ إليه ثلاثين ألفاً من جند خراسان، ومعه مسرور الخادم، إليه النفقات وجميع الأمور، خلا الرئاسة، ومضى الرشيد إلى درب الحدث، فرتّب هناك عبد الله بن مالك، ورتب سعيد بن سلم مقيماً بها، فأغارت الروم عليها، وأصابوا من المسلمين وانصرفوا وسعيد بن سلم مقيم، بها، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد إلى طرطوس، وأقام الرشيد بحرب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان، ثم انصرف إلى الرقة وأقام.

وأمر الرشيد بهم كنائس الثغور، وكتب إلى السندي بن شاهك يأمره بذلك ويأخذ أهل الذمة من مدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم.

وفيها: عزل الرشيد علي بن عيسى بن ماهان عن خُراسان وولاها هرثمة، واستصفى أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف.

وفيها: وقع الثلج بمدينة السلام، وكان مقداره أربعة أصابع مفرجة.

وفيها: حج بالناس الفضل بن العباس بن محمد بن علي، وكان والي مكة.

و لم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

البختري بن محمد البختري، أبو صالح اللخمي المعدل. حدث عن كامل بن طلحة. روى عنه: الطبراني. وقال الدارقطني: لا بأس به. توفي في هذه السنة.

خالد بن حيان، أبو يزيد الخراز الرقي.

سمع جعفر بن برقان، وفرات بن سلمان. روى عنه: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وقال: هو ثقة. وكان شديد التحفظ في الضبط والتوقي، نزل الرقة فتوفي بها في ذي القعدة من هذه السنة.

عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو عمرو الهمداني الكوفي رأى جده أبا إسحاق، إلا أنه لم يسمع منه، وسمع إسماعيل بن أبي خالد، وهشا م بن عروة، والأعمش، والأوزاعي، وشعبة، ومالك بن أنس، وابن إسحاق. روى عنه: القعنبي، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وابن راهويه، وكان ثقة ثبتاً، وانتقل عن الكوفة إلى بعض ثغور الشام فسكنها.

قال أحمد بن حنبل: كنا نخبر أن عيسى كان سنة في الغزو، وسنة في الحج، وقد كان قدم بغداد، فأمر له بمال فلم يقبله.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا أحمد بن سليمان بن علي المقرىء، أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس، أخبرنا علي بن حسين النديم، أخبرنا الحسين بن عمر الثقفي، حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي، حدثنا عمر بن أبي الرطيل، عن أبي بلال الأشعري، عن جعفر بن يحيى بن خالد قال: ما رأينا مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه فأتانا بالرَقة، فاعتل قبل أن يرجع، فقلنا له: يا أبا عمر، قد أمر لك بعشرة آلاف. فقال: هيه، فقلت: هي خمسون ألفاً. فقال لي: لا حاجة لي فيها. فقلت: و لم؟ أما والله لاهنيتكها، هي واللّه مائة ألف. قال: لا واللّه لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمَنَاً، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إلي. فأما على الحديث فو الله لا شربة ماء ولا أهليلجة!.

توفي في هذه السنة بالحدث. وقيل: في سنة إحدى وثمانين. وقيل: سبع وثمانين وقيل: ثمان وثمانين.

مخلد بن الحسين، أبو محمد. كان من أهل البصرة، ونزل المصيصة، وتوفي بها في هذه السنة، وقد أسند عن هشام بن حسان.
أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا حمد بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، أخبرنا عبد اللّه بن محمد بن جعفر، حدَّثنا أحمد بن الحسين الحداد، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدَّثنا عبد اللّه بن عبد اللّه قال: قال مخلد بن الحسين: ما تكلمت بكلمة أريد أن أعتذر عنها منذ خمسين سنة.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

فمن الحوادث فيها: شخوص هرثمة إلى خراسان والياً عليها، فأخذ علي بن عيسى وقيَّده، وأخذ ماله ومال أولاده وأصحابه، وأقامه للناس ليرد المظالم.
وفيها: ولي ثابت بن نصر بن مالك الثغور، وغزا فافتتح مطمورة، وكان الفداء بين المسلمين والروم.
وفيها: خرجت الخُرمية في الجبل وناحية أذربيجان، فوجَّه إليهم عبد اللّه بن مالك بن الهيثم الخزاعي، فأسر منهم وقتل وسبى ذراريهم، وقدم بهم بغداد فبيعوا، وكان قد غزاهم قبله خزيمة بن خازم.
وفيها: وافى الرشيد من الرقة في السفن مدينة السلام، يريد الشخوص إلى خُراسان لحرب رافع، وكان مصيره بغداد يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر، واستخلف بالرقة ابنه القاسم، وضم إليه خزيمة بن خازم، ثم شخص من مدينة السلام عشية الاثنين لخمس خلون من شعبان بعد صلاة العصر من الخيزرانية، فبات في بستان أبي جعفر، وسار من غد إلى النهروان، فعسكر هناك، ورد حماداً البربري إلى أعماله، واستخلف ابنه محمداً بمدينة السلام، وخرج وهو مريض.
وفيها: أمر الرشيد بنقض جامع المنصور وبنيانه.
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا إبراهيم بن مخلد، أخبرنا إسماعيل بن علي الحبطي قال: وهم مسجد أبي جعفر، وزيد في نواحيه، وجدد بناؤه، وأحكم، وكان الابتداء فيه في سنة اثنتين وتسعين، والفراغ منه في سنة ثلاث وتسعين ومائة.
وفيها: قدم يحيى بن معاذ بأبي النَداء على الرشيد وهو بالرقة، فقتله وقتل الهيصم اليماني.
وفيها: تحرك ثرْوان الحَروري، وقتل عامل السلطان بطف البصرة.
وفيها: حج بالناس الفضل بن العباس بن محمد بن علي، وكان والي مكة. وقيل: بل حج بهم العباس بن عبد الله بن جعفر بن المنصور.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن وداعة، أبو القاسم. كان يحفظ القرآن – فيما ذكر الأصفهاني – إلا أنه اشتهر بالغناء.
أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الأنطاكي، أخبرنا أبو الحسن بن الطيوري، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان، حدثنا حماد بن إسحاق قال: أخبرني أبي قال: قال ابن جامع: كان أبي ينهاني عن الغناء ويعذبني

عليه، ويضيق عليّ، فهربت منه إلى أحوالي، وكانوا يتزلون بحران، فأنزلوني في مشرعة على نهر، فإني أشرف منها على نهر إذ طلعت سوداء معها قربة، فترلت إلى المشرعة، فجلست و وضعت قربتها، واندفعت تغني:

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي ... لها عسل مني وتبدل علقما

فردي مصاب القلب أنت قتلته ... ولاتتركيه هائم القلب مغرما

قال: فاستفزني ما لا قوام لي به، ورجوت أن ترده فلم تفعل، وأخذت القربة ونهضت، فترلت أعدو خلفها، وقلت: يا جارية. فوقفت، فقلت لها: بأبي أنت وأمي، ردي الصوت. قالت: ما أشغلني عنك. قلت: بماذا؟ قالت: علي خراج كل يوم درهمين. فأعطيتها درهمين، فوضعت القربة وجلست تغنيه حتى أخذته وانصرفت، فلهوت يومي به، وبت فأصبحت وما أذكر منه حرفاً واحداً، وإذا أنا بالسوداء قد طلعت، ففعلت كفعلها الأول، إلا أنها تغنت غير ذاك الصوت، فنهضت وعدوت في أثرها وقلت: الصوت قد ذهب عني نغمته. فأبت أن تعيده إلا بدرهمين، فأعطيتها، فأعادته فذكرته، فقلت: حسبك. فقالت: كأنك تكاثر فيه بأربعة دراهم؟ كأني والله بك وقد أصبت فيه أربعة آلاف دينار.

قال ابن جامع: فبينا أنا أغني الرشيد وبين يديه أكيسة أربعة، وفي كل واحد ألف دينار، قال: مَنْ أطربني فله كيس، وعن لي والله الصوت. فغنيته، فرمى إليَ بكيس، ثم قال لي: أعد. فأعدت، فرمى إلي بكيس آخر، ثم قال لي: أعد. فأعدت، فرمى إلي بكيس، فتبسمت فقال لي: مم تضحك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، لهذا الصوت حديث عجيب. فحدثته الحديث، فضحك ورمى إلي بالكيس الرابع، وقال: لا تكذب السوداء. ورجعت بأربعة آلاف دينار.

وقد روى نحو هذه الحكاية أبو الفرج علي بن عيسى الأصفهاني: أن ابن جامع قال: انتقلت من مكة إلى المدينة لشدة لحقتني، فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم، فهي في كمي، إذا بجارية في يدها جرة تريد الركي، تسعى بين يدي، وترنم بصوت شجي:

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليل، عندنا

وذاك لأن النوم يغشى عيونهم ... سِرَاعاً ولا يغشى لنا النوم أعينا

إذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشسرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال: فأخذ الغناء بقلبي و لم يدر لي منه حرف فقلت: يا جارية، ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك، فلو شئت أعدت. قالت: حباً وكرامة، ثم أسندت ظهرها إلى جدار ثم انبعثت تغنيه، فما دار لي منه حرف، فقلت: لو تفضلت مرة أخرى. فغضبت وكلحت وقالت: ما أعجب أحدكم يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها فضربت يدي إلى الدراهم الثلاثة فدفعتها إليها، فأخذتها، وقالت: تريد أن تأخذ مني صوتاً أحسبك تأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار. ثم غنت ففهمته ثم سافرت إلى بغداد، فآل الأمر إلى أن غنيت الرشيد بهذا الصوت، فرمى إلي ثلاثة أكياس، فتبسمت فأخبرته خبر الجارية.

أخبرني بعض آهل الأدب قال: كان إسماعيل بن جامع قد تزوج بالحجاز جارية سوداء مولاة لقوم، يقال لها مريم، فلما صار من الرشيد بالموضع الذي صار به اشتاق إلى السوداء، فقال يذكر الموضع الذي كان يألفها فيه ويجتمعان فيه:

هل ليلة بقفا الصحصاح عائدة	من قبة ذات أشراح وأزرار

تسمو مجامرها بالمندلي كما	تسمو بحباته أفراح أعصار

المسك يبدو إلينا من غلائلها	والعنبر الورد تذكيه على النار

ومريم بين أتراب منعمة	طوراً وطوراً تغنيني بأوتار

فقال الرشيد: ويلك! مَنْ مريمك هذه التي وصفتها صورة الحور العين. قال زوجتي. ثم وصفها كلاماً أكثر مما وصفها شعراً، فأرسل الرشيد من الحجاز حتى حملت، فإذا هي سوداء طمطمانية، ذات مشافر، فقال له: ويلك! هذه مريم التي ملأت الدنيا بذكرها، عليك وعليها لعنة اللّه. فقال: يا سيدي، إن عمر بن أبي ربيعة يقول:

فتضاحكن وقد قلن لها	حسن في كل عين ماتود

بكر بن النطاح، أبو وائل الحنفي، الشاعر.

بصري سكن بغداد في زمن الرشيد، وكان يعاشر أبا العتاهية وأصحابه. وكان أبو هفان يقول: أشعر أهل الغزل من المحدثين أربعة، أولهم بكر بن النطاح.

أخبرنا القزاز أخبرنا الخطيب، أخبرنا علي بن طلحة المقرىء، أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران، حدثنا محمد بن يحيى النديم، حدَّثنا عثمان بن محمد الكندي، حدثنا، النضر بن حديد قال: كنا في مجلس فيه أبو العتاهية، والعباس بن الأحنف، وبكر بن النطاح، ومنصور النميري، والعتابي، فقالوا لمنصور: أنشدنا، فأنشد مدائح الرشيد، فقال أبو العتاهية لابن الأحنف - أعني العباس -: طرفنا بمدحك،. فأنشد أبياته:

تعلمت أسباب الرضا خوف عَتْبه	وعلمهُ حبي له، كيف يغضب

ولي غير وجه قد عرفت مكانَه	ولكن بلا قلب إلى أين أذهب؟

فقال أبو العتاهية: الجُيُوب من هذا الشعر على خطر، ولا سيما إن سنح بين حلق ووتر، فقال بكر: قد حضرني شيء في هذا، فأنشد:

أرانا مَعْشر الشعراءِ قوماً	بألسننا تَنعمَتِ القلوبُ

إذا انبعثت قرائحنا أتينا	بألفاظ تُشَق لها الجيوبُ

فقال العتابي:

ولاسِيمَا إذا ماهَيَّجَتْها	بَنَانٌ قد تجيب وتستَجيب

قال النضر: فما زلت معهم في سرور. وبلغ إسحاق الموصلي خبرنا فقال: اجتماع هؤلاء ظرف الدهر.

قال المبرد: سمعت الحسن بن رجاء يقول: حضرت بكر بن النطاح ومعه جماعة من الشعراء، وهم يتناشدون، فلما فرغوا من طوالهم أنشدهم:

ما ضرها لو كتبتْ بالرِّضا ... فجفّ جَفْنُ العينِ أو أغمَضَا
شفاعة مردودة عندَهَا ... في عاشق تَنْدَمُ لو قد قَضَى
يانَفْسُ صبراً واعلمي أن ما ... نأمَلُ منها مثل ماقد مَضَى
لم تمهن الأجفانُ من قاتِلٍ ... بلحظة إلا لأن أمْرَضا

قال: فابتدروه يقبلون رأسه.

ولما مات ابن النطاح رثاه أبو العتاهية فقال:

مات ابن نطَاح أبو وائل ... بكرٌ فأمسى الشعر قد بانا

بهلول المجنون.

كانت له كلمات حسان، ولقي الرشيد في سنة ثمان وثمانين وهو يريد الحج، فوعظه موعظة بليغة. وقد ذكرناها هناك. وكان بهلول يأوي المقابر.

عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود، أبو محمد الأودي، الكوفي.

ولد سنة خمس عشرة ومائة. وقيل: سنة عشرين. والأول أصح.

سمع الأعمش، وأبا إسحاق الشيباني، وابن جريج، ومالك بن أنس، وشعبة، وسفيان الثوري. وروى عنه: ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، ويحيى، وغيرهم.

وأقدمه الرشيد إلى بغداد ليوليه قضاء الكوفة، فامتنع وعاد إلى الكوفة، وأقام بها إلى أن مات في هذه السنة. وكان ثقة عالماً زاهداً ورعاً، وكان أحمد بن حنبل يقول فيه: نسيج وحده.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين النهرواي، حدثنا المعافى بن زكريا، حدَّثنا ابن مخلد، حدَّثنا حماد بن المؤمل الكلبي قال: حدثني شيخ على باب بعض المحدثين قال: سألت وكيعاً عن مقدمه هو وابن إدريس وحفص على الرشيد فقال لي: ما سألني عن هذا أحد قبلك، قدمنا على هارون فأقعدنا بين السريرين فكان أول مَنْ دعا به أنا، فقال: أهل بلدك طلبوا مني قاضياً، وسمّوك لي فيمن سمّوا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي، وصالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك أيها الرجل وامض. فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، وإحدى عيني ذاهبة، والأخرى ضعيفة. فقال هارون: اللهم غفراً خذ عهدك أيها الرجل وامض. فقلت: يا أمير المؤمنين، واللّه إن كنت صادقاً إنه لينبغي أن تقبل مني، ولئن كنت كاذباً فما ينبغي أن تولي القضاء كذاباً. فقال: اخرج. فخرجت، ودخل ابن إدريس، وكان هارون قد وسم له من ابن إدريس وسم – يعني خشونة جانبه – فدخل، فسمعنا صوت ركبتيه على الأرض حين برك، وما سمعناه يسلم إلا سلاماً خفياً، فقال له هارون:

أتدري لِمَ دعوتك. فقال له: لا. قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً، وإنهم سمّوك لي فيمن سمّوا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي، وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض. فقال له ابن إدريس: ليس أصلح للقضاء. فنكت هارون بإصبعه وقال له: وددت أني لم أكن رأيتك. قال له ابن إدريس: وأنا وددت أني لم أكن رأيتك. فخرج، ثم دخل حفص بن غياث. فقال له كما قال لنا. فقبل عهده وخرج. فأتانا خادم معه ثلاثة أكياس في كل كيس خمسة آلاف. فقال: إن أمير المؤمنين يقرئكم السلام ويقول لكم قد لزمتكم في شخوصكم مؤونة فاستعينوا بهذه في سفركم. قال وكيع: فقلت له: أقرىء المؤمنين السلام، وقل له قد وقعت مني بحيث يحب أمير المؤمنين، وأنا عنها مستغن وفي رعية أمير المؤمنين من هو أحوج إليها مني، فإن رأى أمير المؤمنين بصرفها إلى من أحب.

وأما ابن إدريس فصاح به: مر من هنا. وقبلها حفص، وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا: عافانا الله وإياك، سألناك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل، فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله. فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله. ثم مضينا، فلما صرنا إلى الياسرية حضرت الصلاة، فنزلنا نتوضأ للصلاة. قال وكيع: فنظرت إلى شرطي محموم نائم في الشمس، عليه سواده، فطرحت كسائي عليه وقلت: تدفأ إلى أن نتوضأ. فجاء ابن إدريس فاستلبه ثم قال لي: رحمته لا رحمك اللّه، في الدنيا أحد يرحم مثل ذا؟ ثم التفت إلى حفص فقال له: يا حفص، قد علمت حين دخلت إلى سوق أسد، فخضبت لحيتك ودخلت الحمام، أنك ستلي القضاء، لا واللّه لا كلمتك حتى تموت. قال: فما كلمه حتى مات.

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا محفوظ بن أحمد، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري، أخبرنا المعافى بن زكريا، حدَّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي، حدَّثنا موسى بن عبد الرحمن بن مسروق الكندي، حدثنا ابن المنذر – وكان جاراً لعبد الله بن إدريس – قال: حج الرشيد ومعه الأمين والمأمون، فدخل الكوفة، فقال لأبي يوسف: قل للمحدثين يأتونا فيحدثونا. فلم يتخلف عنه من شيوخ أهل الكوفة إلا اثنان: عبد اللّه بن إدريس، وعيسى بن يونس، فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدثهما بمائة حديث، فقال المأمون لعبد اللّه: يا عم، أتأذن لي أن أعيدها عليك من حفظي. قال: افعل. فأعادها كما سمعها، وكان ابن إدريس من أهل الحفظ يقول: لولا أني أخشى أن ينفلت مني القرآن لدونت العلم. فعجب عبد اللّه من حفظ المأمون. وقال المأمون: يا عم، إلى جانب مسجدك دار، إن أردت اشتريناها ووسعنا بها المسجد. فقال: ما لي إلى هذا حاجة، قد أجزى من كان قبلي وهو يجزيني. فنظر إلى قرح في ذراع الشيخ، فقال: إن معنا أطباء وأدوية، أتأذن لي أن أجيئك بمن يعالجك؟ قال: لا، قد ظهر بي مثل هذا وبرأ. فأمر له بمال فأبى أن يقبله. وصار إلى عيسى بن يونس فحدثه، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها، فظن أنه استقلها، فأمر له بعشرين ألفاً، فقال عيسى: والله ولا أهليلجة، ولا شربة ماء على حديث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف. فانصرفا من عنده.

وعن حسين بن عمرو المنقري قال: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته، فقال: لا تبكي، فقد ختمت في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

توفي ابن إدريس في هذه السنة.

علي بن ظبيان، أبو الحسن العبسي، الكوفي.

تقلد قضاء الشرقية، ثم ولي قضاء القضاة في أيام الرشيد. وكان يجلس في المسجد الذي ينسب إلى الخلد فيقضي فيه. وحدث عن عبيد اللّه بن عمر العمري، وإسماعيل بن أبي خالد، وعبد الملك بن أبي سليمان. روى عنه: داود بن رشيد. وقد ضعفه بعض أصحاب الحديث. وقال بعضهم: لا بأس به.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا علي بن المحسن، أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن محمد بن عبيد، عن أحمد بن زهير، عن سليمان بن أبي شيخ، حدثنا عبيد بن ثابت قال: كتبت إلى علي بن ظبيان وهو قاضي بغداد: بلغني أنك تجلس على بارية، وقد كان مَنْ قبلك من القضاة يجلسون على الوطاء، ويتكئون. فكتب إلي: إني لا أستجيز أن يجلس بين يدي رجلان حران مسلمان على بارية وأنا على وطاء، لست أجلس إلا على ما يجلس عليه الخصوم. قال طلحة: علي بن ظبيان رجل جليل، متواضع، دين، حسن العلم بالفقه، من أصحاب أبي حنيفة، وكان حسناً في باب الحكم، تقلد قضاء الشرقية، ثم تقلد قضاء القضاة، ولاه الرشيد، وكان يخرجه معه إذا خرج إلى المواضع. فتوفي بقرميسين سنة اثنتين وتسعين ومائة.

العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة، أبو الفضل الشاعر.

كان من عرب خُراسان ومنشأة بغداد، وكان طريفاً مقبولاً حسن الشعر.

عن محمد بن يحيى قال: سمعت عبد اللّه بن المعتز يقول: لو قيل لي: ما أحسن شعر تعرفه لقلت شعر العباس بن الأحنف:

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا ... وفرق الناس فيها قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركمُ ... وصادق ليس يدري أنه صدقا

أخبرنا القزاز، أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا محمد بن عبد الرحيم المازني، حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، حدثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، حدثنا عبد الله بن الربيع قال: قال هارون الرشيد في الليل بيتاً وأراد أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه، فقال: علي بالعباس بن الأحنف، فلما طُرِق ذعر وفزع أهله، فلما وقف بين يدي الرشيد قال: وجّهت إليك لبيت قلته، ورمت أن أشفعه بمثله فامتنع القول علي. فقال: يا أمير المؤمنين، دعني حتى ترجع إلي نفسي، فإني تركت عيالي على حال من القلق عظيمة، ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف. فانتظر هنية، ثم أنشده:

جنان قد رأيناها ... ولم نر مثلها بشرا

فقال العباس:

يزيدك وجهها حسناً ... إذا ما زدته نظرا

فقال له الرشيد: زدني.

فقال العباس:

إذا ما الليل مال علي ... ك بالظلماء واعتكرا

ودج فلم تر قمراً ... فأبرزها ترى القمرا

فقال له الرشيد: قد ذعرناك وأفزعنا عيالك، وأقل الواجب أن نعطيك دينك فأمر له بعشرة آلاف درهم، وصرفه.

أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا عبيد اللّه بن عبد الرحمن الزهري، حدَّثنا محمد بن القاسم الشطوي، حدثنا أحمد بن عبيد

قال: سمعت الأصمعي يقول: بينا أنا قاعد يوماً في مجلس بالبصرة، فإذا أنا بغلام أحسن الناس وجهاً وثوباً، واقف على رأسي، فقال: إن مولاي يريد أن يوصي إليك، فأخذ بيدي حتى أخرجني إلى الصحراء، فإذا بالعباس بن الأحنف ملقى على فراشه، وإذا هو يجود بنفسه وهو يقول:

يا بعيد الدار عن وطنه — مفرداً يبكي على شجنه
كلما جد النجيب به — زادت الأسقام في بدنه

ثم أغميِ عليه، فانتبه بصوت طائر على شجرة، وهو يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجى — هاتف يبكي على فننه
شاقه ماشاقني فبكى — كلنا يبكي على سكنه

ثم أغمي عليه، وظنناها مثل الأولى، فحركته فإذا هو ميت.

توفي العباس بن الأحنف في قول إبراهيم بن العباس الصوليِ في هذه السنة.

وقال عمر بن شبة: توفي سنة ثمان وثمانين. وقال غيره: بقي بعد الرشيد.

عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور.

كان من وجوه بني هاشم وسراهم، وولي إمارة البصرة، وخرج من بغداد يقصد الرشيد، وهو إذ ذاك بخراسان، فأدركه أجله بالدسكرة من طريق حلوان، فتوفي في هذه السنة.

الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي.

أخو جعفر، وُلد بالمدينة سنة سبع وأربعين ومائة، وأمه زبيدة بنت منين بربرية، فأرضعته الخيزُران، وأرضعت زبيدة أمه الرشيد أياماً، فصارا رضيعين، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة يمدحه:

كفى لك فضلاً أن أفضل حرة — غذتك بثدي والخليفة واحدِ
لقد زِنْتَ يحيى في المشاهد كلها — كما زان يحيى خالداً في المشاهد

قال مؤلف الكتاب رحمه اللّه: كان الفضل أجود من أخيه جعفر، وأندى راحة، إلا أنه كان فيه كبرٌ شديد، وكان جعفر أطلق وجهاً، وأظهر بشراً، وكان الناس يؤثرون لقاء جعفر على لقاء الفضل.

وهب الفضل لطباخه مائة ألف درهم، فعاتبه أخوه في هذا، فقال: إن هذا صحبني وأنا لا أملك شيئاً، واجتهد في نصحي، وقد قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا — من كان عاونهم في المنزل الخشن

ووهب لبعض الأدباء عشرة آلاف دينار، فبكى الأديب، فقال: أتبكي استقلالاً لها؟ قال: لا والله، ولكن أسفاً، كيف تواري الأرض مثلك.

وولى الرشيد الفضل أعمالاً جليلة. بخُراسان وغيرها، فلما غضب على البرامكة وقتل جعفر خلد الفضل في الحبس مع أبيه يحيى، فلم يزالا محبوسين حتى ماتا في حبسهما.

مات يحيى سنة تسعين، ومات الفضل سنة اثنتين وتسعين، قبل موت الرشيد بشهور. وقيل: سنة ثلاث.

أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا أبو القاسم الأزهري، أخبرنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، حدثنا محمد بن الحسين بن هشام، حدَّثنا علي بن الجهم، عن أبيه قال: لما أصبحت ذات يوم وأنا في غاية الضيقة، ما أهتدي إلى دينار ولا درهم، ولا أملك إلا دابة أعجف، وخادماً خلعاً، فطلبت الخادم فلم أجده، ثم جاء فقلت: أين كنت؟ فقال: كنت في احتيال شيء لك، وعلف لدابتك، فوالله ما قدرت عليه. فقلت: اسرج لي دابتي. فأسرجه، فركبت، فلما صرت في سوق يحيى إذا أنا بموكب عظيم، وإذا الفضل بن يحيى، فلما بصرني قال: سر. فسرنا قليلاً، وحجز بيني وبينه غلام يحمل طبقاً على باب، يصيح بجارية، فوقف الفضل طويلاً، ثم قال: سر. ثم قال: أتدري ما سبب وقفتي. قلت: إن رأيت أن تعلمني. قال: كانت لأختي جارية، وكنت أحبها حباً شديداً، واستحي من أختي أن أطلبها منها، ففطنت أختي لذلك، فلما كان في هذا اليوم لبستها وزينتها، وبعثت لها إلي، فما كان في عمري يوم أطيب من يومي هذا، فلما كان في هذا الوقت جاءني رسول أمير المؤمنين فأزعجني، وقطع علي لذتي، فلما صرت إلى هذا المكان دعا هذا الغلام صاحب الطبق باسم تلك الجارية، فارتدت لندائه، ووقفت فقلت: أصابك ما أصاب أخا بني عامر حيث يقول:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيَّج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

فقال: اكتب لي هذين البيتين. فعدلت لأطلب ورقة أكتب له هذين البيتين فيها فلم أجد، فرهنت خاتمي عند بقال، وأخذت ورقة، وكتبتهما فيها، وأدركته بها، فقال لي: ارجع إلى مترلك. فرجعت، ونزلت، فقال لي الخادم: اعطني خاتمك أرهنه. فقلت: رهنته. فما أمسيت حتى بعث إلي بثلاثين ألف درهم جائزة، وعشرة آلاف درهم سلفاً لسنة من رزق أجراه لي.

أخبرنا ابن ناصر الحافظ، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا محمد بن عبد الواحد بن محمد، أخبرنا جعفر، أخبرنا أبو عمرو بن حيوية، أخبرنا أبو عبد اللّه الحكيمي، حدَّثنا أبو الفضل ميمون بن هارون، حدَّثني عبد اللّه بن الحسين العلوي قال: أتيت الفضل بن يحيى فأجلسني معه وأكرمني، فكلمته في دَيْني ليكلّم أمير المؤمنين في قضائه عني. قال: فكم دينك. قلت: ثلثمائة ألف درهم. قال: نعم. فخرجت من عنده وأنا مغمور لضعف رده، فمررت ببعض إخواني مستريحاً إليه، ثم صرت إلى مترلي، فوجدت المال قد سبقني.

محمد بن أبي أمية بن عمرو، مولى بني أمية بن عبد شمس.

أصله من البصرة، وله إخوة وأقارب كلهم شعراء، وقد اختلطت أشعارهم، واختلفت الروايات في أنساهم، إلا أن محمد بن أمية أشهرهم ذكراً، وأكثرهم شعراً، والباقون أشعارهم نزرة جداً. ومحمد بن أمية شاعر منهم، اختلط شعره بشعر عمه، فلم يفرق أكثر الناس بينهما.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا علي بن المحسن القاضي قال: حدَّثنا أبي، حدثنا أبو بكر الصولي، حدثنا عون بن محمد الكندي قال: قال لي محمد بن أبي أمية الكاتب: كنت أنا وأخي نكتب للعباس بن الفضل بن الربيع فجاءه أبو العتاهية مسلماً، فأمره بالمقام عنده، فقال: على شريطة ينشدني كاتبك هذا من شعره – وأومأ إلي– فقال: ذلك لك.

وتغدينا، فقال: الشرط. فأمرني أن أنشده، فحضرت وقلت: ما أجسر على ذلك، وما ذاك قدرتي. فقال: إن أنشدني وإلا قمت. فأنشدته:

رب قول منك لا أنساه لي — واجب الشكر وإن لم يفعل

أقطع الدهر بظنٍ حَسَنٍ — وأجَلي غمرةً ماتنجلي

وأرى الأيام لا تدني الذي — أرتجي منك وتدني أجلي

وإذا أمَّلت يوماً صالحاً — عرض المقدور لي في أملي

فبكى أبو العتاهية أشد بكاء، ثم قال لي: زدني. فقال لي: زده. فأنشدته:

بنفسي من يناجيني — ضميري بأمانيه

ومن يعرض عن ذكري — كأني لست أعنيه

لقد أسرفت في الذل — كما أسرفت في التيه

أما تعرف لي إحسا — ن يوم فتجازيه

منصور بن سلمة بن الزبرقان. وقيل: منصور بن الزبرقان بن سلمة، أبو الفضل، النميري الشاعر.

من أهل الجزيرة. قدم بغداد، ومدح الرشيد. وجد منصور يقال له: مطعم الكبش الرخم، لأنه أطعم ناساً نزلوا به، ونحر لهم، ثم رفع رأسه فإذا هو برخم تحلق حول أضيافه، فأمر أن يذبح لهن كبش ويرمي به بين أيديهن، ففعل ذلك، فنزلن عليه، فمزَّقنَهُ، فسمّي: مطعم الكبش الرخم.

وفي ذلك يقول أبو بعجة النميري يمدح رجلاً منهم:

أبوك زعيم بني قاسط — وخالك ذو الكبش يقري الرَّخم

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسيّة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته، وعنه أخذ. ووصفه العتابي للفضل بن يحيى حتى استصحبه، ثم وصله بالرشيد، ثم جرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة فتهاجيا.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا الحسن بن الحسن الثعالبي، أخبرنا أبو الفرج الأصفهاني قال: حدَّثني عمي، عن جدي قال: قال النميري: كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد اللّه بن هشام بن عمرو التغلبي وقد وخطني الشيب يومئذ، وعبيد اللّه شاب حدث السن، فإذا أنا بقصرية ظريفة، وقد وقفت، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد اللّه بن هشام، ثم انصرفت، فقلت فيها:

لما رأيت سوام الشيب منتشراً — في لمتي وعبيد اللّه لم يشب

سللت سهمين من عينيك فانتصلا — على شبيبة ذي الأذيال والطرب

كذا الغواني مراميهن قاصدة — إلى الفروع معداة عن الخشب

شبَّه الشباب بالفرع الأخضر، والشيخ بالخشبة التي قد يبست، أو ساق الشجرة الذي لا ورق له.
ثم أتم القصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد، فأعطاه عشرة آلاف درهم.
يوسف بن يعقوب بن إبراهيم، القاضي.
سمع الحديث من يونس بن إسحاق السبيعي، والسري بن يحيى، ونظر في الرأي وفقه، وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه، وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر الرشيد، و لم يزل على القضاء ببغداد إلى أن توفي في رجب من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

فمن الحوادث فيها: خروج الرشيد إلى ناحية خُراسان: أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا أبو المعالي، أخبرنا أحمد بن محمد البخاري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو الحسن بن رزقويه، أخبرنا أبو جعفر بن برية، أخبرنا أبو بكر بن محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن علي التيمي، عن أحمد بن صباح الطبري مولى عيسى بن جعفر الهاشمي قال: حدَّثني أبي قال: شيعت الرشيد حين مضى إلى خُراسان فقال لي وهو يريد أن يَأرِما: يا صباح، ما أحسبك تراني بعد هذا أبداً. فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تقول هذا، والله إني لأرجو أن يبقيك الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم مائة سنة. فتبسم وقال: يا صباح، أنا والله ميت بعد قريب. فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، والله إني أرى دماً ظاهراً، ولوناً ناصعاً، وشباباً زائداً، ومؤونة قوية، وروحاً طيبة، فعمرك الله أكثر مما عمَر من ملك الأرض، وفتح لك ما فتح على ذي القرنين، ولا أرى رعيتك فيك. قال: فالتفت إلى جميعة كانت من ورائه، فقال: تنحوا عني. ثم قال: مل بنا نحو تلك الشجرة حتى أسرّ إليك سراً. قال: فسرت معه منحرفاً عن الجادة نحواً من ثلثمائة ذراع، فكمن في ظل حائط ثم قال: أمانة الله في عنقك أن لا، تخبر بما ألقي إليك أحداً. فقلت: يا سيدي، هذه مخاطبة الأخ أخاه، وأنا عبد يخاطبني مولاي بمثل هذا. فقال: واللّه لتقولن إني لا أقولها لأحد، وإنها أمانة حتى أؤديها إليك عند الله. قال: فعلت. فكشف عن بطنه، فإذا حرير قد عصب به بطنه وظهره، ثم حول إلى قفاه فأخذ ثيابه عن ظهره، فإذا قروح ونقابات قد واراها بخرق وأدوية، وقال: منذ كم ترى هذا بي؟ قلت: لا أدري. قال: ظهرت في أول سنة تسع وثمانين، والله ما أطلع عليها أحد من الناس إلا بختيشوع، ورجاء، ومسرور، فأما ابن بختيشوع فإنه بلغني أنه أخبر به المأمون، ووالله لئن بقيت لابن الفاعلة لأتركنه يهيم بطلب الخبز حتى يشغله ذلك عن إذاعة السر. وأما مسرور فأخبر الأمين بعلتي، وما منهم أحد إلا له علي حَيْنٌ، فأنى تصفوا لي حياة وأعز ولدي يحصي أنفاسي، ويستحب علتي، ولقد بلغ من تبرمهم بي وبحياتي أني إذا أردت الركوب جاءوني ببرذون قطوف، وليس إلا ليزيد في علتي، ويفسد علي جوارحي، فأكره أن أظهر هذا لهم، فيستوحشوا مني، ومتى استوحشوا أظهروا من العداوة ما كان باطناً، والعامة لهم أرجأ والخاصة إليهم أميل، وأنا كالخائف بينهم، أصبح فلا أطمع في المساء، وأمسي ولا أطمع في الصباح.
فقلت يا سيدي، ما أحسن الجواب عن هذا، ولكن أقول: من أرادك بكيد فأراه الله ذلك الكيد في نفسه، وأراه فيك ما يسوءه، وأطال بقاءك، وكبت أعداءك حيث كانوا.
فقال: سمع اللّه دعاءك، انصرف فإن أشغالك ببغداد كثيرة. فودعته، وكان آخر العهد به.
وروى أبو بكر الصولي قال: حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود، حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني مسرور قال:

دخلت على الرشيد وهو يبكي عند خروجه إلى خراسان آخر خرجة، وفي يده قرطاس يقرأه فقال: يا مسرور، كأني واللّه عنيت بما في هذا القرطاس. ثم رمى به مزيدة، فأخذته، ووثب فدخل، فإذا فيه شعر لأبي العتاهية:

هل أنت معتبر بمن خربت … منه غداة قضى دساكره

وبمن أذل الدهر مصرعه … فتبرأت منه عساكره

وبمن خلت منه أسرته … وبمن خلت منه منابره

أين الملوك وأين جندهم … صاروا مصيراً أنت صائره

يا مؤثر الدنيا بلذته … والمستعد لمن يفاخره

نل مابدا لك أن تنال من الدن … يا فإن الموت آخر

قال: فمات في سفرته تلك.

قال علماء السير: ودخل الرشيد جرجان، فوافته خرائن علي بن عيسى على ألف بعير وخمسمائة بعير، ثم رحل من جرجان وهو مريض إلى طوس، فأقام بها إلى أن تُوفِّيَ، واتهم هرثمة، فوجّه ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مرو، ومعه عبد الله بن مالك، ويحيى بن معاذ، وأسد بن يزيد في آخرين. وكان بين هرثمة وأصحاب رافع فيها وقعة، ففتح فيها بخارى، وأسر أخا رافع بشير بن الليث، فبعث به إلى الرشيد وهو بطوس، فدخل به عليه وهو ينظر في المرآة ويقول: "إنا للّه وإنا إليه راجعون". فنظر إليه فقال: يا ابن اللّخناء، إني لأرجو ألا يفوتني رافع كما لم تَفُتْني أنت. فقال: يا أمير المؤمنين، قد أظفرك اللّه، فافْعَل ما يحبّ الله، ولعل الله أن يلين لك قلب رافع إذا رأى أنك قد مننت عليَّ! فغضب وقال: واللّه لو لم يبق من أجَلي إلاَ أن أحرك شفتيً بكلمة لقلت: اقتلوه. ثم دعا بقصاب فقال: لا تشحذ مُداك، دعها على حالها، وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق. فجعله أشلاء، ثم أغميِ عليه، وتفرق من حضره.

وفي هذه السنة: توفي الرشيد، وبويع الأمين.

باب ذكر خلافة الأمين

هو محمد بن هارون. ويكنى: أبا موسى، ويقال: أبا عبد الله. ولد برصافة بغداد سنة إحدى وسبعين ومائة. أمه أم جعفر، واسمها: زبيدة بنت جعفر الأكبر بن المنصور.

وكان أبيض، سبطاً، أنزع، صغير العِينين، أقنى، جميلاً، طويلاً، سميناً، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين. سمع الحديث الكثير، وأسند الحديث.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني الحسن بن أبي طالب، حدَّثنا أحمد بن محمد بن عمران، أخبرنا محمد بن يحيى، حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال: رأيت عند الحسين بن الضحاك جماعة من بني هاشم، فسألوه عن الأمين وأدبه، فوصف أدباً كثيراً، وقال: سمعته يقول: حدثني أبي، عن أبيه، عن المنصور، عن أبيه، عن علي بن عبد الله بن عباس،

عن أبيه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من مات محرماً حشر ملبيا".

ذكر بيعته توفي الرشيد بطوس، فبويع للأمين صبيحة الليلة التي مات فيها الرشيد، تولى ذلك صالح بن الرشيد، وذلك يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكتب حمويه مولى المهدي صاحب البريد من طوس إلى سلام مولاه، وخليفته على البريد ليعلمه بوفاة الرشيد، فدخل على الأمين فعزاه وهنأه بالخلافة.

وكان الأمين نازلاً ببغداد في الخلد، فتحوَّل إلى قصر المنصور بالمدينة، وأمر الناس بالحضور، فحضروا، فصعد المنبر، فحمد اللهّ، وأثنى عليه، ونعى الرشيد إلى الناس، وعزى نفسه والناس، ووعدهم الخير وبسط الأمان للأسود والأبيض. فبايعه جلة أهل بيته وخاصة مواليه وقواده، ثم دخل ووكل ببيعته من بقي منهم سليمان بن المنصور، وأمر للجند بمدينة السلام برزق سنتين، واتخذ الفضل بن الربيع وزيراً، وابنه العباس بن الفضل حاجباً، وجعل إسماعيل بن صبيح كاتباً، وجعله على ديوان الرسائل والتوقيعات والخاتم. وجعل عيسى بن علي بن ماهان على الشرطة، وقيل: عبد اللّه بن حازم.

أخبرنا ابن ناصر، أنبأنا أحمد بن خلف، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، حدثنا أحمد بن كامل قال: حدثني عبد اللهّ بن إبراهيم النحوي، حدَّثنا أبو هفان، حدثنا أحمد بن يوسف قال: دخل أبو نواس على محمد الأمين فهنأه بالخلافة وعزاه بالرشيد في بيت، فأنشأ يقول:

جرت جوار بالسعد والنحس ... فنحن في وحشة وفي أنس

العين تبكي والسن ضاحكة ... فنحن في مأتم وفي عرس

يضحكها القائم الأمين ويب ... كيها وفاة الرشيد بالأمس

بدران :بدر أضحى ببغداد في ... الخلد وبحر بطوس في الرمس

ثم قدم القادم بالبردة والقضيب والخاتم، فوصل لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة، وقدم عليه حسين الخادم بالخزائن التي كانت مع الرشيد، وقدمت زبيدة من الرافقة في آخر رجب بخزائن الرشيد، فتلقاها محمد بالأنبار، وكان الأمين قد بعث مَنْ يأتيه بأخبار الرشيد في زمن علته كل يوم، وأرسل بدر بن المعتمر فكتب معه كتباً، وجعلها في قوائم صناديق منقورة، وألبسها جلود البقر، وقال: لا يظهرن أميرُ المؤمنين ولا أحد من في عسكره على شيء من أمرك، وما توجهت فيه، ولا على مامعك، ولو قُتِلتَ حتى يموت أميرُ المؤمنين فإذا مات فادفعْ إلى كل إنسان منهم كتابه.

فلما قدم بكر طوس بلغ هارون قدومه، فدعا به، فقال: ما أقدمك؟ قال: بعثني محمد لأعلم خبرك وآتيه به. قال: فهل معك كتاب. قال: لا فأمر بما معه ففتش، فلم يصيبوا شيئاً، فهدده بالضرب، فلم يقر بشيء، فأمر به، فحُبس وقُيِّد، فلما كان في الليلة التي مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر، فيقرره، فإن أقرّ وإلا ضُرب عنقه.

وصار إلى هارون فغشي عليه غشية ظنوا أنها هي، وارتفعت الصيحة، فأرسل بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضل بن الربيع يسأله أن لا يعجلوا في أمره، ويعلمه أن معه أشياء يحتاجون إليها، وكان بكر محبوساً عند حسين الخادم، فلما توفي الرشيد دعاه الفضل بن الربيع فسأله عما عنده فأنكر أن يكون عنده شيء وخشي على نفسه من أن يكون هارون حياً، حتى صح عنده موت هارون،

فأخبره أن عنده كتباً من أمير المؤمنين الأمين، وأنه لا يجوز له إخراجها وهو على حاله في قيوده، فامتنع حسين الخادم من إطلاقه حتى أطلقه الفضل فأتاهم بالكتب التي عنده، فكان في تلك الكتب: كتاب من محمد إلى حسين الخادم بخطه، يأمره بتخلية بكر بن المعتمر وإطلاقه، فدفعه إليه.

وكتاب إلى المأمون، فاحتبس كتاب المأمون لغيبته بمصر، وأرسلوا إلى صالح بن الرشيد، فأتاهم، فدفعوا إليه كتاب الأمين، وكان في الكتاب إلى المأمون: إذا وَرَد عليك كتابُ أخيك – أعافه الله من فقدك – فعز نفسك بماعزاك الله به، واعلم أنً الله قد اختار لأمير المؤمنين أفضل الدارين، وأجزل الحظين، فقم في أمرك قيام ذي الحزْم، والناظر لأخيه وسلطانه، وعامة المسلمين، وإياك أنْ يغلب عليك الجزَع، فإنه يُحبط الأجْر، ويُعقب الوِزر، وصلوات الله على أمير المؤمنين حيّاً وميّتاً، وإنا للّه وإنا إليه راجعون، ثم إنا لله وإنا إليه راجعون وخُذْ البَيْعة على من قِبَلك من قوّادك وجندك، وخاصتك وعامتك، لأخيك ثم لنفسك، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين، على الشرط التي جعلها لك أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فإنك مقلّد من ذلك ما قلدك الله وخليفته، فاعلِمْ مَنْ قِبَلك رأيي في صلاحِهم، وسد خَلّتِهم، والتوسعِة عليهم، فمن أنكرته عند بيعته، أو اتهمته على طاعته، فابعث إليَّ برأسه، وإياك وإقالته، فإنَّ النار أولى به. واكتب إلى عمال ثغورك، وأمراء أجنادك بما طرقك من المصيبة بأمير المؤمنين، وأعلمهم أنَّ الله لم يرضَ الدنيا ثواباً له حتى قبضه إلى رحمته وجنته، مغبوطاً محموداً. وَمُرْهم أن يأخذوا البيعَة على أجنادهم وخواصهم وعوامّهم على مثل ما أمرتُك به، وأوعز إليهم في ضبط ثغورهم، والقوّة على عدوّهم، وأعلمهم أني متفقد أحوالهم، ولاٌّمٌ شعثهم، وموسع عليهم، واعمل فيما تأمر به لمن حَضَرك أو نأى عنك من أجنادك، على حسب ما ترى وتشاهد، فإن أخاك يعرف حسنَ اختيارك، وصحّة رأيك، وبُعد نظرك، وهو يستحفظك الله، ويسأله أن يشدّ بك عضده، ويجمع بك أمره، إنه لطيف لما يشاء.

وكتب بكر بن المعتمر بين يدي بإملائي في شوال سنة اثنتين وتسعين ومائة.

وكتب إلى صالح أخيه:

إذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوع ما قد سَبق من علم الله، ونفذ من قضائه في خُلفائه وأوليائه، وجرتْ به سنته في الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، فقال تعالى: "كل شَيْء هَالِك إلا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإلَيْه تُرْجَعون" فاحمد الله على ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه ومرافقة أوليائه، وصلى الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد كان لهم عصمةً وكهفاً، وبهم رؤوفاً رحيماً، فشمّر في أمرك، وإياك أن تلقي بيديك، فإنَ أخاك قد اختارك لما استنهضك له، وهو متفقد مواقع فعلك، فحقق ظنه، ونسأل الله التوفيق. وخذ البيعة على من قِبَلك من ولد أمير المؤمنين، فإن السعادة واليُمْن في الأخذ بعهده، والمضيّ على منهاجه. وأعْلِم مَنْ قِبَلك من الخاصّة والعامة رأيي في استصلاحهم، وردّ مظالمهم، وتفقد حالاتهم، وإدرار أرزاقهم وأعطياتهم، فإن شغَب شاغب، أو نعَرَ ناعر، فاسطُ به سطوة تجعله نَكالاً، واضمُم إلى الفضْل ابن الربيع ولَد أمير المؤمنين وحرمه وأهله، وَمُرْه بالمسير معهم فيمن معه من جنده ورابطته، وصيِّر إلى عبد اللّه بن مالك أمر العسكر وأحداثه فإنه ثقة على ما يلي، مقبول عند العامة، ومُره بالجِد والتيقظ، وتجديد الحرم، وتقديم الحزم في أمره كله، وأقِرّ حاتم بن هرثمة على ما هو عليه، ومُره بحراسة ما يحيط به من قصور أمير المؤمنين، ومُرْ الخدم بإحضار روابطهم ممن يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخَلَل من عسكرك. والسلام.

ولما بلغ المأمون الخبر نعى الرشيد على المنبر، وشقّ ثوبه ونزل، وأمر للناس بمال، وبايع لمحمد ولنفسه، وأعطى الجند رزق، اثني عشر

شهراً.

ولما قرأ الذين وردت عليهم كتبُ محمد بطُوس من القواد والجند وأولاد هارون، تشاوروا في اللحاق بمحمد، فقال الفضل بن الربيع: لا أدع ملكاً حاضراً لآخر، ما ندري ما يكون من أمره. وأمرَ الناس بالرحيل ففعلوا ذلك محبةً منهم للحوق بأهليهم ومنازلهم ببغداد، وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون، فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمَرْو، فجمع مَنْ معه من قواد أبيه، منهم: عبد الله بن مالك، ويحيى بن معاذ، وشبيب بن حميد بن قحطبة، وذو الرياستين وهو عنده من أعظم الناس قدراً، وأخصهم به، فأخبرهم وشاورهم، فأشاروا عليه أن يلحقهم في ألفيْ فارس جَريدة، فيردهم، فدخل عليه ذو الرياستين فقال: إن فعلت ما أشاروا عليك جعلت هؤلاء هدية إلى محمد، ولكن الرأي أن تكتب كتاباً، وتوجه إليهم رسولاً، فتذكّرهم البيعة، وتسألهم الوفاء، وتحذرهم الحنث، وما يلزمهم في ذلك في الدين والدنيا، فتستبرىء ما عند القوم. فكتب كتاباً، ووجهه مع سهل بن صاعد، ونوفل الخادم، فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل.

فقال الفضل بن الربيع: إنما أنا رجل واحد منهم. وشد على سهل عبد الرحمن ابن جبلة بالرمح، وقال: قل لصاحبك: والله لو كنت حاضراً لوضعت الرمح في فيك، هذا جوابي. ونال من المأمون، فرجعا بالخبر.

فقيل للمأمون: أعداء قد استرحتَ أمنهم، فابعث إلى الفقهاء فادعهم إلى الحق والعمل به، وإحياء السنة.

ففعل، وحط عن خراسان ربع الخراج، وردّ المظالم، وأقام على ولايته، وكاتب الأمين بالتعظيم منهم، وأهدى له هدايا كثيرة من فنون الطرف.

وأما الأمين فإنه تشاغل باللهو واللعب، وبنى ميداناً حول قصر المنصور للصوالجة، وعمل خمس حراقات في دجلة على خلقة: الأسد، والفيل، والعقاب، والفرس، والحية. وأمر لبعض من أنشده بثلثمائة ألف دينار، وأوقر لشاعر أنشده ثلاثة أبغل دراهم.

قال الصولي: حدثني أحمد بن يزيد المهلبي، عن أبيه قال: لما ولي الأمين الخلافة استبطأ الناس جلوسه، وقالوا: تشاغل باللهو. فجلس، وأمضى الأمور، وقال: أتراني لا أعرف الإصدار والإيراد، ولكن شرب كأس، وسم أس، والاستلقاء من غير نعاس أحب إليَّ من مداراة الناس.

وفي هذه السنة: دخل هرثمة حائط سَمَرْقند، ولجأ رافع إلى المدينة الداخلة، وراسل رافع الترك فوافوْه، فصار هرثمة هو ورافع والترك، ثم انصرف هرثمة إلى الترك، وضعف رافع.

وفيها: قُتل نِقفْورملك الروم في حرب بُرْجان، وكان ملكه سبع سنين، وملك بعده ابنه استبراق – وكان مجروحاً – شهرين ومات، وملك ميخائيل خَتَنه على أخته.

وأقر الأمين أخاه القاسم على ولايته التي ولاه الرشيد من عمل الجزيرة وقِنَّسرين والثغور، ثم صرفه عن الجزيرة في هذه السنة، واستعمل عليها خزيمة بن خازم.

وفي ذي القعدة: توفي إسماعيل بن علية، وكان على المظالم، فولى الأمين مكانه محمد بن عبد اللّه الأنصاري على المظالم والقضاء ببغداد.

وفيها: حج بالناس داود بن عيسى بن موسى، وكان والي مكة.

إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، أبو بشر الأسمي مولاهم، يعرف بابن علية.

من أهل البصرة، وأصله كوفي. سمع من أبي الساج الضبعي حديثاً واحداً. وروى الكثير: عن عبد العزيز بن صهيب، وأيوب السجستاني، وابن عون، وسليمان التيمي، وحميد الطويل، وغيرهم.

وحدّث عنه: ابن جريح، وشعبة، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد، ويحيى، وعلي، وغيرهم. وكان حافظاً، ثقة، مأموناً، ورعاً، تقياً، وكان يقرأ في الليل ثلث القرآن.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي، حدثنا الجوهري، حدثنا محمد بن العباس، أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب حدثنا الحسين بن فهم، حدثنا محمد بن سعد قال: إسماعيل بن إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، مولى عبد الرحمن بن قطبة الأسدي – أسد خزيمة – وكان إبراهيم تاجراً من أهل الكوفة، وكان يقدم البصرة بتجارته، فتزوج علية بنت حسان مولاة لبني شيبان، وكانت امرأة نبيلة عاقلة، لها دار بالعوقه تعرف بها، وكان صالح المري وغيره من وجوه البصرة وفقهائها يدخلون فتحادثهم وتسائلهم، فولدت لإبراهيم إسماعيل سنة عشر ومائة، فنُسب إليها، وكان ابن إبراهيم ثقة ثبتاً في الحديث حجة، وقد ولي صدقات البصرة، وولي ببغداد المظالم في آخر خلافة هارون.

قال مؤلف الكتاب: وقد زعم علي بن حجر أن علية جدته لأمه.

وكان إسماعيل يقول: مَنْ قال ابن علية فقد اغتابني. إلا أن هذا شاع فعرف وقال أحمد بن حنبل: فاتني مالك فأخلف الله علي سفيان بن عيينة، وفاتني حماد بن زيد فأخلف الله علي إسماعيل بن علية.

وقال شعبة: ابن علية سيد المحدثين.

أنبأنا زاهر بن طاهر، حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال: سمعت أبا الفضل محمد بن إبراهيم يقول: حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا عمرو بن زائدة قال: صحبت ابن علية ثلاث عشرة سنة، ما رأيته تبسم فيه.

أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن علي بن ثابت، أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، أخبرنا أبو الفوارس إبراهيم بن أحمد بن محمد الفارسي، حدَّثنا أبو الحسين يحيى بن محمد، حدثنا مسبح بن حاتم قال: قال عبد الله بن محمد بن جعفر بن عائشة، حدثنا حماد بن سلمة، وحماد بن زيد: أن عبد الله بن المبارك كان يتجر في البز، وكان يقول: لولا خمسة ما تجرت. فقيل له: يا أبا محمد، مَنْ الخمسة؟ فقال: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ومحمد بن السماك، وابن علية. وكان يخرج إلى خُراسان فيتجر، فما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج، والباقي يصل به إخوانه الخمسة. قال: فقدم سنة، فقيل له: قد ولي ابن علية القضاء. فلم يأته و لم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم، فركب إليه، فلم يرفع به عبد اللّه رأساً، و لم يكلمه، فانصرف، فلما كان من الغد كتب إليه رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. أسعدك الله بطاعته، وتولاك بحفظه، وحاطك بحياطته، قد كنت منتظراً لبرك وصلتك: أتبرك بها، وجئتك أمس فلم تكلمني، ورأيتك واجداً علي، فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه؟ فلما وردت الرقعة على عبد اللّه دعا بالدواة والقرطاس وقالَ: يأبى هذا الرجل إلا أن نشق له العصا، ثم كتب إليه:

يا جاعل الدين له بازياً يصطاد أموال المساكين

احتلتَ للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنوناً بها بعدما كنت دواءً للمجانين

أين رواياتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين

أين رواياتك والقول في إتيان أبواب السلاطين

إن قلت أكرهت فذا باطل زل حمارُ العلم في الطين

فلما وقف ابن علية على الأبيات قام من مجلس القضاء، فوطىء بساط هارون، وقال: يا أمير المؤمنين، الله الله ارحم شيبتي، فإني لا أصبر للخطأ. فقال له هارون: لعل هذا المجنون قد أغرى بقلبك. فقال له: اللّه اللّه أنقذك اللّه. فأعفاه من القضاء، فلما اتصل بعبد الله بن المبارك ذلك وجّه إليه بالصرة.

توفي ابن علية في ذي القعدة من هذه السنة، ودفن في مقابر عبد اللّه بن مالك.

محمد بن جعفر، أبو عبد اللّه البصري، يلقب: غندر. وهو مولى لهذيل.

بصري صاحب سعيد بن أبي عروبة، جالس شعبة نحواً من عشرين سنة، وسمع من جماعة غيرهما، وكان إماماً ثقة، أخرج عنه في الصحيحين. وكان فيه سلامة صدر. أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي، أخبرنا سعد اللّه بن علي بن أيوب، أخبرنا عبد الصمد بن علي بن المأمون، أخبرنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن المأمون، حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثني محمد بن المرزبان قال: حدثني أبو محمد المروزي، حدثنا عبد الله بن بشير، عن سليمان بن أيوب صاحب البصري قال: قيل لغندور إن الناس يعظمون أمر السلامة التي فيك، قال: يكذبون. قال: قلت: فحدثني منها بشيء صحيح. قال: صمت يوماً فأكلت ثلاث مرات ناسياً، ثم ذكرت أني صائم، ثم نسيت، فثنيت، ثم ثلثت، فأتممت صومي.

قال ابن المرزبان: وحدثنا عباس بن محمد، عن يحيى بن معين قال: اشترى غندور يوماً سمكاً، وقال لأهله: اصلحوه. ونام، فأكل عياله السمك ولطّخوا يده، فلما انتبه قال: قدموا السمك. قالوا: قد أكلت. قال: لا. قالوا: فشم يدك. ففعل، فقال: صدقتم، ولكن ما شبعت.

قال البخاري في تاريخه: مات في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة.

وذكر ابن سعد في الطبقات أنه مات بالبصرة سنة أربع وتسعين.

قال مؤلف الكتاب: وقد اتفق في أسماء المحلفين أسماء جماعة: محمد بن جعفر، فلقبوا: غندور تشبيهاً بهذا الرجل، فمنهم: محمد بن جعفر بن دران بن سليمان، أبو الطيب. توفي سنة سبع وخمسين وثلثمائة. وسيأتي ذكره في السنين.

ومنهم: محمد بن جعفر، أبو بكر الوراق. توفي سنة سبعين وثلثمائة.

ومنهم: محمد بن جعفر، أبو بكر القاضي، مولى فاتن المقتدري. روى عن ميسرة بن عبد اللّه الخادم.

ومحمد بن جعفر. حدّث عن الحسن بن علي العمري. روى عن أحمد بن الفرج بن حجاج.

كل هؤلاء يلقب، غندر، واسمه: محمد بن جعفر.

مروان بن معاوية بن الحارث بن عثمان بن أسماء بن خارجة بن عيينة بن حصن الفزاري.

كوفي الأصل. سمع إسماعيل بن خالد، وعاصماً الأحول. وحميد الطويل، والأعمش.

وقال: أتيت الأعمش فقال لي: قد قسم جدك أسماء قسماً، فنسي جاراً له، ثم استحى أن يعطيه وقد بدأ بآخر قبله، فبعث عليه، وصب عليه المال صباً.

وكان مروان قد تحول إلى دمشق، فسكنها، وقدم بغداد، فحدث بها، فروى عنه قتيبة، وأحمد بن حنبل، ويحيى، وأبو خيثمة، وابن راهويه. ثم عاد إلى مكة. وكان ثقة، إلا أنه كان يروي عن ضعاف ويدلسهم.

أخبرنا القزاز، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا ابن الفضل، حدثنا عبد اللّه بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان قال: سمعت مهديِ بن أبي مهدي قال: كان في خلق الفزاري شراسة، وكان معيلاً شديد الحاجة، وكان الناس يبرونه، فإذا بره الإنسان كان ما دام ذلك البر عنده في منزله يعرف فيه الانبساط إلى الرجل. قال: فنظرت فلم أجد شيئاً أبقى في منزل الرجل من الخل، ولا أرخص منه بمكة، فكنت أشتري جرة من خل فأهدي له، فأرى موقع ذلك منه، فإذا فني أرى ذلك منه، فأسأل الجارية: أفني خلكم؟ فتقول: نعم. فأشتري جرة، فأهديها له، فيعود إلى ما كان عليه، توفي بمكة قبل التروية بيوم من هذه السنة.

هارون الرشيد، أمير المؤمنين، ابن المهدي.

كان بالرقة، وكان جبرئيل بن بختيشوع يدخل عليه كل يوم، فإن أنكر شيئاً وصفه له، فذكر له ما يصلح، فدخل عليه يوماً، فرآه مهتماً، فسأله عن حاله، فقال: لرؤيا رأيتها أفزعتني. فقال: لعلها من بخارات رديئة، أو من تهاويل السوداء: فقال: رأيت كأني جالس على سريري هذا، إذ مُدَتْ إليَّ من تحتي ذراع أعرفها، وكف أعرفها، وفي الكف تربة حمراء، فقال لي قائل أسمعه ولا أرى صفته: هذه التربة التي تدفن فيها. فقلت: أين هذه التربة؟ فقال: بطوس. وغابت اليد وانتبهت. فقال له الطبيب: أحسبك أخذت مضجعك ففكرت في خُراسان وحروبها. فقال: قد كان ذلك. ومرت الأيام، ونسي، واتفق خروجه إلى خراسان حين تحرك رافع الخارجي، فلما كان ببعض الطريق ابتدأت به العلة، وما زالت تزيد حتى دخل إلى طوس، فمرض في بستان هناك، فبينا هو في البستان وذكر تلك الرؤيا، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط، فاجتمعوا إليه، كل يقول: يا سيدي، ما جاء لك. فقال: يا جبريل، تذكر رؤياي بالرقة، في طوس. ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال: جئني من تربة هذا البستان فمضى وأتى بالتربة في كفه حاسراً عن ذراعه، فلما نظر إليه قال: والله هذه الذراع التي رأيتها في منامي، وهذا والله الكف بعينه، وهذه والله التربة الحمراء ما خرمت شيئاً. وأقبل على البكاء والنحيب بعد هذا الكلام ثلاثة أيام.

وفي رواية أخرى: أنه رأى في المنام أن امرأة وقفت عليه، وأخذت كف تراب وقالت: هذه تربتك عن قليل. فأصبح فزعاً، فقدر رؤياه، فقال له أصحابه: وما في هذا؟ قد يرى النائم أغلظ من هذا. فبينا هو يوماً يسير إذ نظر إلى امرإة فقال: هذه والله المرأة التي رأيتها في منامي، ولقد رأيتها بين ألف امرأة ما خفيت علي، ثم أمرها أن تأخذ كفاً من تراب فتناوله، فضربت بيدها الأرض، وناولته، فقال: هذه واللّه التربة التي رأيتها، وهذه المرأة بعينها. وكان إذ مات هناك.

وروى الصولي قال: حدثني حسين بن يحيى قال: سمعت هبة الله بن إبراهيم بن المهدي يحدث عنه أبيه قال: أحب الرشيد أن يعرف

حقيقة علته، وعلم أن ابن بختيشوع يكتمه، فواطأ إنساناً من أهل طوس وسأله أن يلاطف بختيشوع، ففعل، ثم أعطى الرجل ماءه وقال له: إذهب به إلى ابن بختيشوع على أنه ماء لمريض لك. ففعل الرجل ذلك، فلما رأى ابن بختيشوع الماء قال لبعض من معه: كأنه والله ماء الرجل.

ففطن الذي جاء بالماء، فقال لابن بختيشوع: اتق الله في، فإن بيني وبين هذا الرجل معاملات، فإن كان يعيش لم استقص عليه، وإن كان يموت فرغت مما بيني وبينه فقال: تريد أن أصدقك؟ قال: نعم. قال: صاحب هذا الماء لا يعيش إلا أياماً. فعاد الرسول وأخبر الرشيد بذلك. وعلم ابن بختيشوع بالأمر، فاختفى إلى أن مات الرشيد، ولما قرب موت الرشيد جعل يقول:

إني بطوس مقيم … مالي بطوس حميم

أرجو إلهي لما بي … فإنه بي رحيم

لقد أتاني بطوس … قضاؤه المحتوم

وقال: احفروا لي قبراً. فحفروا له في ذلك البستان. فقال: احملوني أنظر إليه.

فحمل فنظر إليه، فجعل يقول: أغثني أغثني، وارحم عبرتي. ثم قال: قربوني قليلاً. فقربوه، فنظر في القبر فقال: وسعوا عند الصدر قليلاً. ففعلوا، وهو ينظر، وأنزل قوماً فختموا فيه القرآن، وقال: مدوا موضع الرجلين. ففعلوا، وهو في محلة على شفير القبر، ثم شخص ببصره إلى السماء وقال: يا من لا يموت، ارحم مَنْ يموت، يا من لا يزول ملكه، ارحم مَنْ قد زال ملكه. ثم بكى بكاءً شديداً، وأنشد:

أنا مَيْتٌ وعز مَنْ لايموت … قد تيقنت أنني سأموت

ليس مُلك يزيله الموت ملكاً … إنما الملك مُلك مَنْ لايموت

وتوفي ليلة الأحد، وقيل: ليلة السبت نصف الليل، لغرة جمادى الأولى، لثلاث خلون منه، من سنة ثلاث وتسعين، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة، وشهرين، وثمانية عشر يوماً، وكان له سبع وأربعون سنة، وخمسة أشهر، وخمسة أيام. وقيل: خمس وأربعون سنة. وقيل: ست وأربعون. وصلى عليه ابنه.

وتوفي وفي بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيف. وذكر بعض المؤرخين أنه خلف ما لم يخلفه أحد من الملوك من العين والورق والجوهر والدواب والأثاث، ما بلغ قيمته سوى قيمة الضياع: مائة ألف ألف دينار.

ورثاه أبو الشيص فقال:

غربت في الشرق شمس … فلها العينان تدمع

مارأينا قط شمساً … غربت من حيث تطلع

أبو بكر بن عياش بن سالم بن الحناط، مولى واصل بن حيان الأسدي.

وقد اختلفوا في اسمه، فقيل: شعبة، وقيل: محمد، وقيل: مطرف، وقيل: رؤبة، وقيل: سالم، وقيل: اسمه كنيته.

ولد سنة سبع وتسعين، وقيل: أربع وتسعين، وقيل: خمس وتسعين، وقيل: ست وتسعين.

سمع أبا إسحاق السبيعي، وسليمان التيمي، والأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة، وغيرهم.

روى عنه: ابن المبارك، وابن مهدي، وحسين الجعفي، وأحمد بن حنبل، وعلى بن المديني، وغيرهم، وكان ثقة متشدداً في السُّنَّة، إلا أنه ربما أخطأ في الحديث.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا البرقاني قال: قرأت على أبي القاسم النحاس، أخبرنا ابن أبي داود، حدثنا إسحاق بن وهب قال: سمعت يزيد بن هارون وذُكر عنده أبو بكر بن عياش، فقال: كان أبو بكر بن عيّاش خيراً فاضلاً، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، أخبرنا محمد بن جعفر التميمي بالكوفة، أخبرنا أبو بكر الدارمي، حدثنا الحسن بن يحيى بن أبان، عن ابن هشام الرفاعي قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: لي غرفة قد عجزت عن الصعود إليها وما يمنعني من النزول منها إلا أني أختم فيها القرآن كل يوم وليلة ختمة ستون سنة.

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر – الدوادي، حدثنا محمد بن العباس بن الفرات، حدثنا محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم، حدثنا أبو شيح الأصبهاني، حدثنا دلويه قال: سمعت، علياً – يعني ابن محمد ابن أخت يعلى بن عبيد – يقول: مكث أبو بكر بن عياش عشرين سنة وقد نزل الماء في إحدى عينيه ما يعلم به أهله.

وأخبرنا القزاز أخبرنا الخطيب، أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، حدثنا، إسحاق بن الحسين قال: كان أبو بكر بن عياش لما كبر يأخذ إفطاره، ثم يغمسه في إناء في جر كان له في بيت مظلم، ويقول: يا ملائكتي، طالت صحبتي لكما، فإن كان لكما عند اللّه شفاعة فاشفعا.

وتوفي أبو بكر بن عياش في هذه السنة، وقد جاز التسعين، وقد قيل أنه جاز، ستاً وتسعين.

وأخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، أخبرنا ابن بشر، أخبرنا ابن صفوان، أخبرنا ابن أبي الدنيا، حدثنا محمد بن المثنى قال: سمعت إبراهيم بن شماس قال: سمعت إِبراهيم بن أبي بكر بن عياش يقول: شهدت أبي عند الموت فبكيت، فقال: يا بني، ما يبكيك. فما أتى أبوك فاحشة قط.